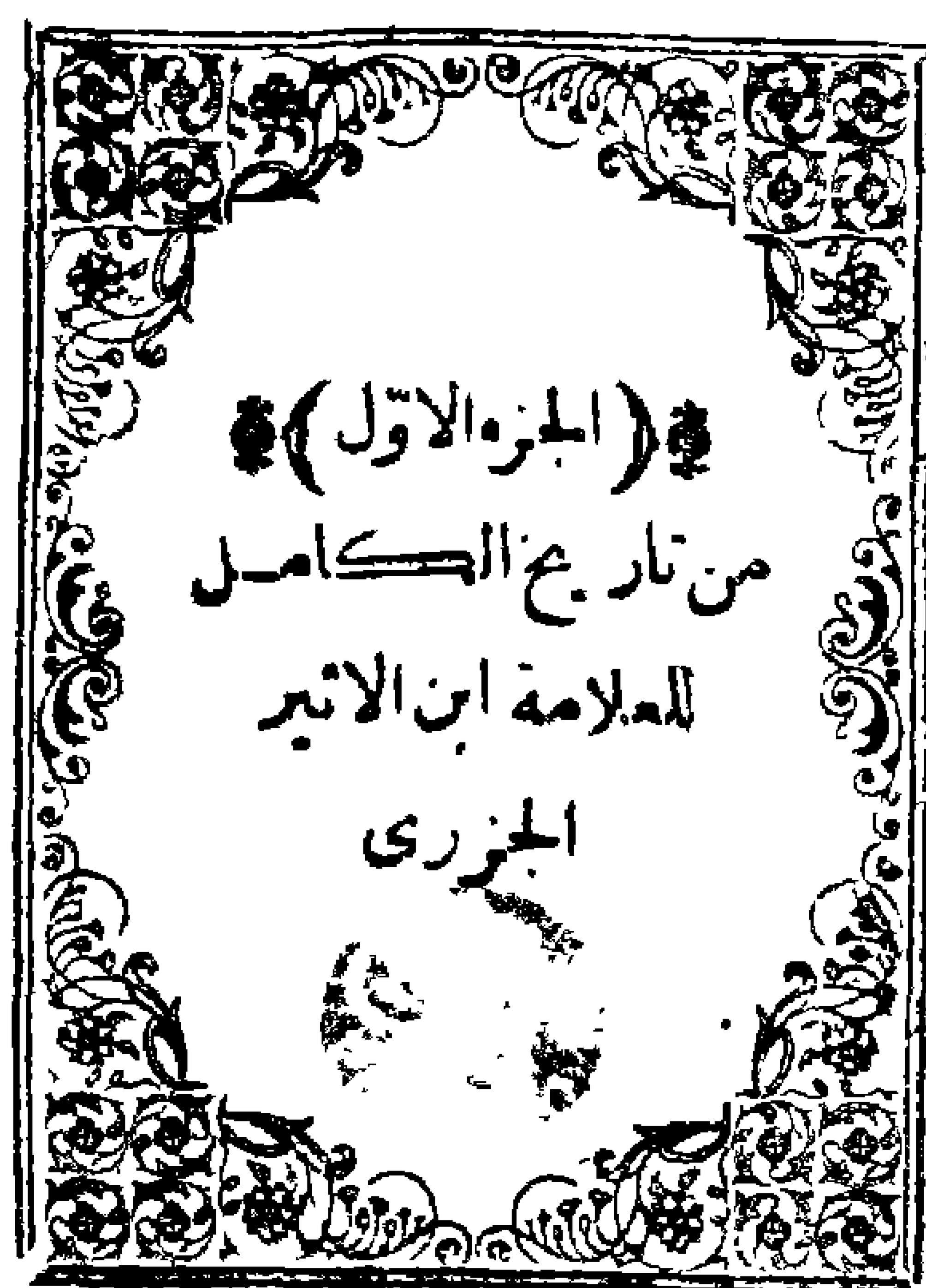

(الجزء الاول)
من تاريخ الكامل
للعلامة ابن الاثير
الجزري

﴿فهرسة الجزء الاول من تاريخ الكامل للعلامة ابن الاثير الجزرى﴾

﴿تمت﴾

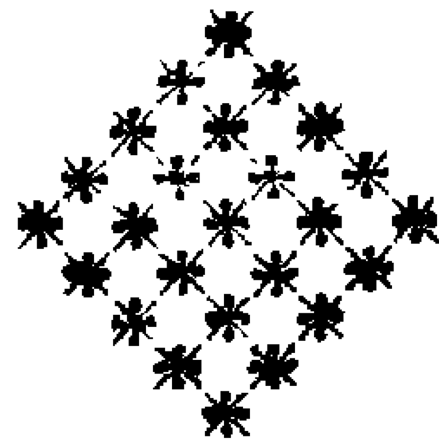
﴿فهرسة ما على هذا الجزء من تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي﴾

صحيفة

﴿الجزء الاول﴾

من تاريخ الكامل للعلامة أبى الحسن على بن
أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن
الاثير الجزرى الملقب بعز
الدين رحمه الله
آمين

﴿وبهامشه تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر﴾
﴿للامام أبى الحسن على بن الحسين المسعودى رحمه الله﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القديم فلا أوّل لوجوده الدائم الكريم فلا آخر لبقائه ولا نهاية لجوده الملك حقا فلا تدرك العقول حقيقة كنهه القادر فكل ما فى العالم من أثر قدرته المقدس فلا تقرب الحوادث حماه المنزه عن التغيير فلا يحوم نحوه سواه مصرف الخلائق بين رفع وخفض وبسط وقبض وابرام ونقض واماتة واحياء وايجاد وافناء واسعاد واضلال واعزاز واذلال يؤتى الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شئ قدير مبيد القرون السالفة والامم الخالفة لم يغن عنهم منه ما اتخذوه معقلا وحرزا فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا بتقديره النفع والضر وله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين أحمده على ما أولى من نعمه وأجزل للناس من قسمه وأصلى على رسوله محمد سيد العرب والعجم المبعوث الى جميع الامم وعلى آله وأصحابه أعلام الهدى ومصابيح الظلم صلى الله عليه وعليهم وسلم (اما بعد) فانى لم أزل محبا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها مؤثرا للاطلاع على الجلى من حوادثها وخافيها مائلا الى المعارف والآداب والتجارب المودعة فى مطاويها فلما تأملتها رأيتها متباينة فى تحصيل الغرض يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل الى العرض فمن بين مطوّل قد استقصى الطرق والروايات ومختصر قد أخل بكثير مما هو آت ومع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحادثات والمشهور من الكائنات وسوّد كثير منهم الاوراق بصغائر الامور التى الاعراض عنها أولى وترك تسطيرها احرى كقولهم خلع فلان الذمى صاحب العيار وزاد رطلا فى الاسعار وأكرم فلان وأهين فلان وقد أرخ كل منهم الى زمانه وجاء بعده من ذيل عليه وأضاف المتجددات بعد تاريخه اليه والشرقى منهم قد أخل بذكر أخبار الغرب والغربى قد أهمل أحوال الشرق فكان الطالب اذا أراد أن يطالع تاريخا احتاج الى مجلدات كثيرة وكتب متعددة مع ما فيها من الاخلال والاملال فلما رأيت الامر كذلك شرعت فى تأليف تاريخ جامع لاخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما ليكون تذكرة لى اراجعه خوف النسيان وآتى فيه بالحوادث والكائنات من أوّل الزمان متتابعة يتلو بعضها بعضا الى وقتنا هذا ولا أقول انى أتيت على جميع

الحوادث

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله أهل الحمد ومستوجب الثناء والمجد وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين وسلم تسليما الى يوم الدين

﴿باب ذكر جوامع أغراض هذا الكتاب﴾

أما بعد فانا صنفنا كتابنا فى اخبار الزمان وقدمنا القول فيه فى هيئة الارض ومدنها وعجائبها وبحارها وأغوارها وجبالها وأنهارها وبدائع معادنها واصناف مناهلها وأخبار غياضها وجزائر البحار والبحيرات الصغار وأخبار الابنية المعظمة والمساكن المشرفة وذكر شأن المبدا وأصل النسل وتباين الاوطان وما كان نهرا فصار بحرا وما كان بحرا فصار برا وما كان برا فصار بحرا على مرور الايام وكرور الدهور وعلة ذلك وسببه الفلكى والطبيعى وانقسام الاقاليم بخواص الكواكب ومعاطف الاوتاد ومقادير النواحى والآفاق وتباين الناس فى التاريخ القديم واختلافهم فى بدئه وأوّليته من الهند وأصناف الملحدين وما ورد فى ذلك عن الشرعيين وما نطقت به الكتب وورد على الديانيين

الحوادث المتعلقة بالتاريخ فان من هو بالموصل لابدان يشذ عنه ماهو بأقصى الشرق والغرب ولكن أقول انى قد جمعت فى كتابى هذا مالم يجتمع فى كتاب واحد ومن تأمله علم صحة ذلك فابتدأت بالتاريخ الكبير الذى صنفه الامام أبو جعفر الطبرى اذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه والمرجوع عند الاختلاف اليه فأخذت مافيه من جميع تراجمه لم أخل بترجمة واحدة منها وقد ذكر هو فى أكثر الحوادث روايات ذوات عدد كل رواية منها مثل التى قبلها أو أقل منها وربما زاد الشئ اليسير أو نقصه فقصدت أتم الروايات فنقلتها وأضفت اليها من غيرها ماليس فيها وأودعت كل شئ مكانه فجاء جميع مافى تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقا واحدا على ماتراه فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعتها واضفت منها الى مانقلته من تاريخ الطبرى ماليس فيه ووضعت كل شئ منها موضعه الا مايتعلق بما جرى بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى لم أضف الى مانقله أبو جعفر شيأ الا مافيه زيادة بيان أو اسم انسان أو مالا يطعن على أحد منهم فى نقله وانما اعتمدت عليه من بين المؤرخين اذ هو الامام المتقن حقا الجامع علما وصحة اعتقاد وصدقا على انى لم أنقل الا من التواريخ المذكورة والكتب المشهورة ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه وصحة مادونوه ولم أكن كالخابط فى ظلماء الليالى ولا كمن يجمع الحصباء واللآلى ورأيتهم أيضا يذكرون الحادثة الواحدة فى سنين ويذكرون منها فى كل شهر أشياء فتأتى الحادثة مقطعة لايحصل منها على غرض ولا تفهم الا بعد امعان النظر فجمعت أنا الحادثة فى موضع واحد وذكرت كل شئ منها فى أى شهر أو سنة كانت فأتت متناسقة متتابعة قد أخذ بعضها برقاب بعض وذكرت فى كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها فاما الحوادث الصغار التى لايحتمل منها كل شئ ترجمة فانى أفردت لجميعها ترجمة واحدة فى آخر كل سنة فاقول ذكر عدة حوادث واذا ذكرت بعض من نبغ وملك فى قطر من البلاد ولم تطل أيامه فانى أذكر جميع حاله من أوله الى آخره عند ابتداء أمره لانه اذا تفرق خبره لم يعرف للجهل به وذكرت فى آخر كل سنة من توفى فيها من مشهور العلماء والاعيان والفضلاء وضبطت الاسماء المشتبهة المؤتلفة فى الخط المختلفة فى اللفظ الواردة فيه بالحروف ضبطا يزيل الاشكال ويغنى عن الانقاط والأشكال فلما جمعت أكثره أعرضت عنه مدة طويلة لحوادث تجددت وقواطع توالت وتعددت ولان معرفتى بهذا النوع كملت وتمت ثم ان نفرا من اخوانى وذوى المعارف والفضائل من خلانى ممن أرى محادثتهم نهاية أوطارى وأعدهم من اماثل مجالسى وسمارى رغبوا الى فى ان يسمعوه منى ليرووه عنى فاعتذرت بالاعراض عنه وعدم الفراغ منه فانى لم أعاود مطالعة مسودته ولم أصلح مافيها من غلط وسهو ولا اسقطت منها مايحتاج الى اسقاط ومحو وطالت المراجعة مدة وهم للطلب ملازمون وعن الاعراض معرضون وشرعوا فى سماعه قبل اتمامه واصلاحه واثبات ماتمس الحاجة اليه وحذف مالابد من اطراحه والعزم على اتمامه فاتر والعجز ظاهر للاشتغال بما لابد منه لعدم المعين والمظاهر ولهموم توالت ونوائب تتابعت فانا ملازم الاهمال والتوانى فلا أقول انى لاسير اليه سير الشوانى فبينما الامر كذلك اذ برز أمر من طاعته فرض واجب واتباع أمره حكم لازب من أعلاق الفضل باقباله عليها نافقة وأرواح الجهل باعراضه عنها نافقة من أحيا المكارم وكانت أمواتا وأعادها خلقا جديدا بعد ان كانت رفاتا من عم رعيته عدله ونواله وشملهم احسانه وافضاله مولانا الملك الرحيم العالم المؤيد المنصور المظفر بدر الدين ركن الاسلام والمسلمين محيى

﴿ثم اتبعنا ذلك﴾ باخبار الملوك الغابره والامم الدائره والقرون الخاليه والطوائف البائده على من سيرهم فى تغير أوقاتهم وتضيف أعصارهم من الملوك والفراعنة العاديه والاكاسرة واليونانية وماظهر من حكمهم ومقائل فلاسفتهم وأخبار ملوكهم وأخبار العناصر الى مافى تضاعيف ذلك من أخبار الانبياء والرسل والاتقياء الى أن افضى الله بكرامته وشرف برسالته محمدا نبيه صلى الله عليه وسلم فذكرنا مولده ومنشأه وبعثته وهجرته ومغازيه وسراياه الى أوان وفاته واتصال الخلافة واتساق المملكة بزمن زمن ومقاتل من ظهر من الطالبيين الى الوقت الذى شرعنا فيه تصنيف كتابنا هذا من خلافة المتقى لله أمير المؤمنين وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ﴿ثم اتبعناه﴾ بكتابنا الاوسط فى الاخبار على التاريخ وما اندرج فى السنين الماضية ﴿ومن لدن البدء الى الوقت الذى عنده انتهى كتابنا الاعظم وماتلاه من الكتاب الاوسط رأينا﴾ ايجاز مابسطناه واختصار ماوسطناه فى

العدل فى العالمين خلد الله دولته فحينئذ ألقيت عنى جلباب المهل وابطلت رداء الكسل وألقت الدواة واصلحت القلم وقلت هذا أوان الشد فاشتدى زيم وجعلت الفراغ أهم مطلب واذا أراد الله أمرا هيأ له السبب وشرعت فى اتمامه مسابقا ومن العجب ان السكيت يروم ان يجيء سابقا ونصبت نفسى غرضا للسهام وجعلتها مظنة لاقوال اللوام لان المآخذ اذا كانت تتطرق الى التصنيف المهذب والاستدراكات تتعلق بالمجموع المرتب الذى تكررت مطالعته وتنقيحه واجيد تأليفه وتصحيحه فهى بغيره أولى وبه أحرى على انى مقر بالتقصير فلا أقول ان الغلط سهو جرى به القلم بل أعترف بان ما أجهل أكثر مما أعلم ﴿وقد سميته﴾ اسما يناسب معناه وهو الكامل فى التاريخ ولقد رأيت جماعة ممن يدعى المعرفة والدراية ويظن بنفسه التبحر فى العلم والرواية يحتقر التواريخ ويزدريها ويعرض عنها ويلغيها ظنا منه أن غاية فائدتها انما هو القصص والاخبار ونهاية معرفتها الاحاديث والاسمار وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره وأصبح مخشلبا جوهره ومن رزقه الله طبعا سليما وهداه صراطا مستقيما علم ان فوائدها كثيرة ومنافعها الدنيوية والاخروية جمة غزيرة وها نحن نذكر شيأ مما ظهر لنا فيها ونكل الى قريحة الناظر فيه معرفة باقيها فاما فوائدها الدنيوية فنها ان الانسان لا يخفى انه يحب البقاء ويؤثر ان يكون فى زمرة الاحياء فياليت شعرى أى فرق بين ما رآه أمس أو سمعه وبين ما قرأه فى الكتب المتضمنة اخبار الماضين وحوادث المتقدمين فاذا طالعها فكأنه عاصرهم واذا علمها فكأنه حاضرهم ومنها ان الملوك ومن اليهم الامر والنهى اذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة فى الكتب يتناقلها الناس فيرويها خلف عن سلف ونظروا الى ما أعقبت من سوء الذكر وقبيح الاحدوثة وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الاموال وفساد الاحوال استقبحوها وأعرضوا عنها واطرحوها واذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم وان بلادهم وممالكهم عمرت وأموالها درت استحسنوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه وتركوا ما ينافيه هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التى دفعوا بها مضرة الاعداء وخلصوا بها من المهالك واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخرا ومنها ما يحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير اليه عواقبها فانه لا يحدث أمر الا قد تقدم هو أو نظيره فيزداد بذلك عقلا ويصبح لأن يقتدى به أهلا ولقد أحسن القائل حيث يقول

رأيت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع
فلا ينفع مسموع * اذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

يعنى بالمطبوع العقل الغريزى الذى خلقه الله تعالى للانسان وبالمسموع ما يزداد به العقل الغريزى من التجربة وجعله عقلا ثانيا توسعا وتعظيما له والا فهو زيادة فى عقله الاول ومنها ما يتجمل به الانسان فى المجالس والمحافل من ذكر شئ من معارفها ونقل طريفة من طرائفها فترى الاسماع مصغية اليه والوجوه مقبلة عليه والقلوب متأملة ما يورده ويصدره مستحسنة ما يذكره وأما الفوائد الاخروية فمنها ان العاقل اللبيب اذا تفكر فيها ورأى تقلب الدنيا بأهلها وتتابع نكباتها الى اعيان قاطنيها وانها سلبت نفوسهم وذخائرهم وأعدمت أصاغرهم واكابرهم

كتاب لطيف نودعه لمع ما فى دواوين الكاتبين مما منحناها وغير ذلك من أنواع العلوم وأخبار الامم الماضية والاعصار الخالية مما لم يتقدم ذكره فيهما على انا نعتذر من تقصير ان كان ونتنصل من اغفال أو عرض لما قد شاب خواطرنا وغمر قلوبنا من تقاذف الاسفار وقطع القفار تارة على متن البحر وتارة على ظهر البر مستعملين بدائع الامم بالمشاهدة عارفين خواص الاقاليم بالمعاينة كقطعنا بلاد السند والزنج والصنف والصين والرانج وتقحمنا الشرق والغرب فتارة بأقصى خراسان وتارة بوسائط ارمينية وأذربيجان والهوات والطالقان وطورا بالعراق وطورا بالشام فسيرى فى الآفاق سرى الشمس فى الاشراق كما قال بعضهم

تيمم أقطار البلاد فتارة
لدى شرقها الاقصى وطورا الى الغرب
سرى الشمس لا ينفك تقذفه النوى
الى أفق ناء يقصر بالركب

قال المصنف ثم مفاوضتنا فى أصناف الملوك على تغاير أخلاقهم وتباين هممهم وتباعد ديارهم وأخذنا بمسالك مسالك من مواقفهم على ان العلم قد بادت آثاره

وأكابرهم فلم تبق على جليل ولا حقير ولم يسلم من نكدها غني ولا فقير زهد فيها واعرض عنها
واقبل على التزود للآخرة منها ورغب في دار تنزهت عن هذه الخصائص وسلم أهلها من
هذه النقائص ولعل قائلا يقول ماترى ناظرا فيها زاهدا في الدنيا واقبل على الآخرة ورغب في
درجاتها العليا فياليت شعري كم رأى هذا القائل قارئا للقرآن العزيز وهو سيد المواعظ وأفصح
الكلام يطلب به اليسير من هذا الحطام فان القلوب مولعة بحب العاجل ومنها التخلق
بالصبر والتأسي وهما من محاسن الاخلاق فان العاقل اذا رأى ان مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي
مكرم ولا ملك معظم بل ولا أحد من البشر علم أنه يصيبه ما اصابهم وينوبه ما نابهم

وهل أنا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية ارشد

ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى
السمع وهو شهيد فان ظن هذا القائل ان الله سبحانه أراد بذكرها الحكايات والاسمار فقد
تمسك من اقوال الزيغ بحكم سببها حيث قالوا هذه اساطير الاولين اكتتبها نسأل الله تعالى ان
يرزقنا قلبا عقولا ولسانا صادقا ويوفقنا للسداد في القول والعمل وهو حسبنا ونعم الوكيل

﴿ذكر الوقت الذي ابتدئ فيه بعمل التاريخ في الاسلام﴾

قيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أمر بعمل التاريخ والصحيح المشهور أن عمر بن
الخطاب امر بوضع التاريخ وسبب ذلك ان أبا موسى الاشعري كتب الى عمر انه يأتينا منك كتب
ليس لها تاريخ فجمع عمر الناس للمشورة فقال بعضهم أرخ بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقال
بعضهم بمهاجرة رسول الله فقال عمر بل نؤرخ بمهاجرة رسول الله فان مهاجرته فرق بين الحق
والباطل قاله الشعبي وقال ميمون بن مهران رفع الى عمر صك محله شعبان فقال أي شعبان أشعبان
هو آت أم شعبان الذي نحن فيه ثم قال لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعوا للناس شيأ
يعرفونه فقال بعضهم اكتبوا على تاريخ الروم فانهم يؤرخون من عهد ذي القرنين فقال هذا
يطول فقال اكتبوا على تاريخ الفرس فقيل ان الفرس كلما أقام ملك طرح تاريخ من كان قبله
فاجتمع رأيهم على ان ينظروا كم أقام رسول الله بالمدينة فوجدوه عشر سنين فكتبوا التاريخ من
هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن سيرين قام رجل الى عمر فقال أرخوا فقال عمر ما
ارخوا فقال شيء تفعله الاعاجم في شهر كذا من سنة كذا فقال عمر حسن فأرخوا فاتفقوا على الهجرة
ثم قالوا من أي الشهور فقالوا من رمضان ثم قالوا فالمحرم هو منصرف الناس من حجهم وهو شهر
حرام فاجمعوا عليه وقال سعيد بن المسيب جمع عمر الناس فقال من أي يوم نكتب التاريخ فقال
علي من مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفراقه أرض الشرك ففعله عمر وقال عمرو بن دينار
أول من أرخ يعلى بن أمية وهو باليمن وأما قبل الاسلام فقد كان بنو ابراهيم يؤرخون من نار
ابراهيم الى بنيان البيت حين بناه ابراهيم واسمعيل عليهما السلام ثم ارخ بنو اسمعيل من بنيان
البيت حتى تفرقوا فكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا بمخرجهم ومن بقي بتهامة من بني اسمعيل
يؤرخون من خروج سعد ونهد وجهينة بني زيد من تهامة حتى مات كعب بن لؤي وأرخوا من
موته الى الفيل ثم كان التاريخ من الفيل حتى ارخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع
عشرة أو ثمان عشرة وقد كان كل طائفة من العرب تؤرخ بالحادثات المشهورة فيها ولم يكن لهم
تاريخ يجمعهم وفي ذلك قول بعضهم

وطمس مناره وكثر فيه
العناء وقل الفهماء فلا
تماين الا مموها جاهلا
ومتعاطيا ناقصا قد قنع
بالظنون وعمي عن اليقين
لم ير الاشتغال بهذا الضرب
من العلوم والتفرغ لهذا
الفن من الآداب حتى
صنفنا كتبنا من ضروب
المقالات وأنواع الديانات
ككتاب الابانة عن أصول
الديانة وكتاب المقادير في
أصول الديانات وكتاب
سر الحياة وكتاب نظر
الادلة في أصول الملة وما
اشتمل عليه من أصول
الفتوى وقوانين الاحكام
ككتاب القياس والاجتهاد
في الاحكام ووقع الرأي
والاستحسان ومعرفة
الناسخ من المنسوخ وكيفية
الاجماع وماهيته ومعرفة
الخاص والعام والاوامر
والنواهي والحظر والاباحة
وما أتت به الاخبار من
الاستفاضة والآحاد
وأفعال النبي صلى الله عليه
وسلم وما ألحق بذلك من
اصول الفتوى ومناظرة
أبناء الخصوم فيما نازعونا
فيه وموافقتهم في شيء منه
وكتاب الاستبصار في
الامامة ووصف أقاويل
الناس في ذلك من أصحاب
النص والاختيار وحجاج
كل فريق منهم وكتاب

ها أناذا آمل الخلود وقد * أدرك عقلي مولدي حجرا

وقال الجعدي فمن يك سائلا عني فاني * من الشبان أيام الختان

وقال آخر وما هي الا في ازار وعلقة * بغار ابن همام على حي خثعما

وكل واحد ارخ بحادث مشهور عندهم فلو كان لهم تاريخ يجمعهم لم يختلفوا في التاريخ والله أعلم

﴿القول في الزمان﴾

الزمان عبارة عن ساعات الليل والنهار وقد يقال ذلك للطويل والقصير منهما والعرب تقول اتيتك زمان الصرام * وزمان الصرام يعني به وقت الصرام وكذلك أتيتك ازمان الحجاج أمير ويجمعون الزمان يريدون بذلك ان كل وقت من اوقات امارته من الازمنة

﴿القول في جميع الزمان من أوله الى آخره﴾

اختلف الناس في ذلك فقال ابن عباس من رواية سعيد بن جبير عنه سبعة آلاف سنة وقال وهب ابن منبه ستة آلاف سنة قال أبو جعفر والصحيح من ذلك ما دل على صحته الخبر الذي رواه ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أجلكم في أجل من قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وروى نحو هذا المعنى أنس وأبو سعيد الا انهما قالا الى غروب الشمس وبدل صلاة العصر بعد العصر وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وروى نحوه جابر بن سمرة وأنس وسهل بن سعيد وبريدة والمستورد بن شداد وأشياخ من الانصار كلهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذه أخبار صحيحة قال وقد زعم اليهود ان جميع ما ثبت عندهم على ما في التوراة من لدن خلق آدم الى الهجرة أربعة آلاف سنة وثلثمائة واثنتان واربعون سنة وقالت اليونانية من النصارى ان من خلق آدم الى الهجرة خمسة آلاف سنة وتسعمائة واثنتين وتسعين سنة وشهرا وزعم قائل ان اليهود انما نقصوا من السنين دفعا منهم لنبوة عيسى اذ كانت صفته ومبعثه في التوراة وقالوا لم يأت الوقت الذي في التوراة ان عيسى يكون فيه فهم ينتظرون بزعمهم خروجه ووقته قال وأحسب ان الذي ينتظرونه ويدعون صفته في التوراة هو الدجال وقالت المجوس ان قدر مدة الزمان من لدن ملك جيومرث الى وقت الهجرة ثلاثة آلاف ومائة وتسع وثلاثون سنة وهم لا يذكرون مع ذلك شيأ يعرف فوق جيومرث ويزعمون أنه هو آدم وأهل الاخبار مختلفون فيه فمن قائل مثل قول المجوس ومن قائل انه يسمى بآدم بعد ان ملك الاقاليم السبعة وانه حام بن يافث بن نوح وكان بارا بنوح فدعا له ولذريته بطول العمر والتمكين في البلاد واتصال الملك فاستجيب له فملك جيومرث وولده الفرس ولم يزل الملك فيهم الى أن دخل المسلمون المدائن وغلبوهم على ملكهم ومن قائل غير ذلك كذا قال أبو جعفر ﴿قلت﴾ ثم ذكر أبو جعفر بعد هذا أصولا تتضمن الدلالة على حدوث الازمان والاوقات وهل خلق الله قبل خلق الزمان شيأ أم لا وعلى فناء العالم وان لا يبقى الا الله تعالى وانه أحدث كل شئ واستدل على ذلك بأشياء يطول ذكرها ولا يليق ذلك بالتواريخ لاسيما المختصرات منه فانه بعلم الاصول أولى وقد فرغ المتكلمون منه في كتبهم فرأينا تركه أولى ﴿بريدة بضم الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخرها هاء﴾

﴿القول في ابتداء الخلق وما كان أوله﴾

صح في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه عبادة بن الصامت انه سمعه يقول ان

الصفوة في الامامة وما احتواه ذلك مع سائر كتبنا في ضروب علم الظواهر والبواطن والخفي الداثر وايقاظنا على ما يرتقبه المرتقبون ويتوقعه المحدثون وما ذكروه من نور يلمع في الارض وينبسط في الجدب والخصب وما في عقب الملاحم الكائنة الظاهر أنباؤها المنجلي أوائلها الى سائر كتبنا في السياسة كالسياحة المدنية واجزاء المدينة ومثلها الطبيعية وانقسام أجزاء تكور المدينة ومثلها الطبيعية منه وانقسام أجزاء الملة والابانة عن المواد وكيفية تركيب العوالم والاجسام السماوية وما هو محسوس وغير محسوس من الكثيف واللطيف وما قال أهل النحلة في ذلك وكان ما دعاني الى تأليف كتابي هذا في التاريخ وأخبار العالم وما مضى في أكناف الزمان من أخبار الانبياء والملوك وسيرها والامم ومساكنها محبة احتذاء الشاكلة التي قصدها العلماء وقفاها الحكماء وأن يبقى للعالم ذكرا محمودا وعلما منظوما عتيدا فانا وجدنا مصنفي الكتب في ذلك مجيدا ومقصرا ومسهبا ومختصرا ووجدنا

أول ماخلق الله تعالى القلم وقال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن وروى نحو ذلك عن ابن عباس وقال محمد بن اسحق أول ماخلق الله تعالى النور والظلمة فجعل الظلمة ليلا أسود وجعل النور نهارا أبيض مضيئا والاول أصح للحديث وابن اسحق لم يسند قوله الى أحد واعترض أبو جعفر على نفسه بما روى سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد عن ابن عباس انه قال ان الله تعالى كان على عرشه قبل ان يخلق شيأ فكان أول ماخلق الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة وأجاب بان هذا الحديث ان كان صحيحا فقد رواه شعبة أيضا عن أبي هاشم ولم يقل فيه ان الله كان على عرشه وروى أنه قال أول ماخلق الله القلم

القول فيما خلق بعد القلم

ثم ان الله خلق بعد القلم وبعد ان أمره فكتب ماهو كائن الى يوم القيامة سحابا رقيقا وهو الغمام الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم وقد سأله أبو رزين العقيلي أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق فقال في غمام ماتحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء وهو الغمام الذي ذكره الله في قوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام (قلت) فيه نظر لانه قد تقدم ان أول ماخلق الله تعالى القلم وقال له اكتب فجرى في تلك الساعة ثم ذكر في أول هذا الفصل ان الله خلق بعد القلم وبعد ان جرى بما هو كائن سحابا ومن المعلوم ان الكتابة لابد فيها من آلة يكتب بها وهو القلم ومن شئ يكتب فيه وهو الذي يعبر عنه ههنا باللوح المحفوظ وكان ينبغي أن يذكر اللوح المحفوظ ثانيا للقلم والله اعلم ويحتمل أن يكون ترك ذكره لانه معلوم من مفهوم اللفظ بطريق الملازمة ثم اختلف العلماء فيمن خلق الله بعد الغمام فروى الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس أول ماخلق الله العرش فاستوى عليه وقال آخرون خلق الله الماء قبل العرش وخلق العرش فوضعه على الماء وهو قول أبي صالح عن ابن عباس وقول ابن مسعود ووهب بن منبه وقد قيل ان الذي خلق الله تعالى بعد القلم الكرسي ثم العرش ثم الهواء ثم الظلمات ثم الماء فوضع العرش عليه قال وقول من قال ان الماء خلق قبل العرش أولى بالصواب لحديث أبي رزين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان الماء كان على متن الريح حين خلق العرش قاله سعيد بن جبير عن ابن عباس فان كان كذلك فقد خلقا قبل العرش وقال غيره ان الله خلق القلم قبل أن يخلق شيأ بألف عام واختلفوا أيضا في اليوم الذي ابتدأ الله تعالى فيه خلق السموات والارض وقال عبد الله بن سلام وكعب والضحاك ومجاهد ابتداء الخلق يوم الاحد وقال محمد بن اسحق ابتداء الخلق يوم السبت وكذلك قال أبو هريرة واختلفوا أيضا فيما خلق كل يوم فقال عبد الله بن سلام ان الله تعالى بدأ الخلق يوم الاحد فخلق الارضين يوم الاحد والاثنين وخلق الاقوات والرواسي في الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات يوم الخميس والجمعة ففرغ آخر ساعة من الجمعة فخلق فيها آدم عليه السلام فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة ومثله قال ابن مسعود وابن عباس من رواية أبي صالح عنه الا انهما لم يذكرا خلق آدم ولا الساعة وقال ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة عنه ان الله تعالى خلق الارض بأقواتها من غير ان يدحوها ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك فذلك قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وهذا القول عندي هو الصواب وقال ابن عباس أيضا من رواية عكرمة عنه ان الله تعالى وضع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفي عام ثم دحيت الارض من تحت البيت ومثله قال ابن عمرو وروى السدي عن أبي صالح وعن أبي مالك عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود في قوله

الاخبار زائدة مع زيادة الايام حادثة مع حدوث الازمان وربما غاب البارع منها على الفطن الذكي ولكل واحد قسط يخصه بقدر عنايته ولكل اقليم عجائب يقتصر على علمها أهله وليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نما اليه من الاخبار عن اقليمه كمن قسم عمره على قطع الاقطار ووزع أيامه بين تقاذف الاسفار واستخراج كل دقيق من معدنه واثارة كل نفيس من مكمنه وقد ألف الناس كتبا في التاريخ والاخبار مما سلف وخلف فأصاب البعض واخطأ البعض وكل قد اجتهد بغاية امكانه وأظهر مكنون جوهر فطنته كوهب بن منبه وأبي مخنف لوط بن يحيى العامري ومحمد بن اسحق والواقدي وابن الكلبي وأبي عبيدة معمر بن المثنى وأبي العباس الهمداني والهيثم بن عدي الطائي والمشرقي بن القطامي وحماد الراوية والاصمعي وسهل بن هرون وعبد الله ابن المقفع واليزيدي ومحمد ابن عبد الله العتبي والآمدي وأبي زيد سعيد ابن أوس الانصاري والنضر بن شميل وعبيد الله بن عائشة وأبي عبيد الله

تعالى هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسوّاهن سبع سموات قال ان الله عز وجل كان عرشه على الماء ولم يخلق شيأ مما خلق قبل الماء فلما أراد ان يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين فى يومين يوم الاحد ويوم الاثنين فخلق الارض على حوت والحوت النون الذى ذكره الله تعالى فى القرآن فى قوله ن والقلم والحوت فى الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة فى الريح وهى الصخرة التى ذكرها لقمان ليست فى السماء ولا فى الارض فتحرك الحوت فاضطربت وتزلزلت الارض فأرسى عليها الجبال فقرت فالجبال تفخر على الارض فذلك قوله تعالى وجعلنا فيها رواسى أن تميد بكم قال ابن عباس والضحاك ومجاهد وكعب وغيرهم كل يوم من هذه الايام الستة التى خلق الله فيها السماء والارض كالف سنة ﴿قلت﴾ أما ماورد فى هذه الاخبار من ان الله تعالى خلق الارض فى يوم كذا والسماء فى يوم كذا انما هو مجاز والا فلم يكن ذلك الوقت أيام وليالى لان الايام عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها والليالى عبارة عما بين غروبها وطلوعها ولم يكن ذلك الوقت سماء ولا شمس وانما المراد به انه خلق كل شئ بمقدار يوم كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وليس فى الجنة بكرة وعشى ﴿سلام والد عبد الله بتخفيف اللام﴾

﴿القول فى الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه﴾

قد ذكرنا ما خلق الله تعالى من الاشياء قبل خلق الاوقات وأن الازمنة والاوقات انما هى ساعات الليل والنهار وان ذلك انما هو قطع الشمس والقمر درجات الفلك فلنذكر الآن بأى ذلك كان الابتداء أبالليل أم بالنهار فان العلماء اختلفوا فى ذلك فان بعضهم يقول ان الليل خلق قبل النهار ويستدل على ذلك بان النهار من نور الشمس فاذا غابت الشمس جاء الليل فبان بذلك أن النهار وهو النور وارد على الظلمة التى هى الليل واذا لم يرد نور الشمس كان الليل ثابتا فدل ذلك على ان الليل هو الاول وهذا قول ابن عباس وقال آخرون كان النهار قبل الليل واستدلوا بأن الله تعالى كان ولا شئ معه ولا ليل ولا نهار وان نوره كان يضئ به كل شئ خلقه حتى خلق الليل قال ابن مسعود ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور السموات من نور وجهه قال أبو جعفر والاول أولى بالصواب للعلة المذكورة أولا ولقوله تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها فبدأ بالليل قبل النهار قال عبيد بن عمير الحارثى كنت عند على فسأله ابن الكواء عن السواد الذى فى القمر فقال ذلك آية محيت وقال ابن عباس مثله وكذلك قال مجاهد وقتادة وغيرهما الذلك خلقهما الله تعالى الشمس أنور من القمر ﴿قلت﴾ وروى أبو جعفر ههنا حديثا طويلا عدة أوراق عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى خلق الشمس والقمر وسيرهما فانهما على عجلتين لكل عجلة ثلثمائة وستون عروة يجرها بعددها من الملائكة وانهما يسقطان عن العجلتين فيغوصان فى بحر بين السماء والارض فذلك كسوفهما ثم ان الملائكة يخرجونهما فذلك تجليهما من الكسوف وذكر الكواكب وسيرها وطلوع الشمس من مغربها ثم ذكر مدينة بالمغرب تسمى جابرسا وأخرى بالمشرق تسمى جابرقا ولكل واحدة منهما عشرة آلاف باب يحرس كل باب منها عشرة آلاف رجل لا تعود الحراسة اليهم الى يوم القيامة وذكر يأجوج ومأجوج ومنسك وتاريس الى أشياء أخر لا حاجة الى ذكرها فأعرضت عنها لمنافاتها العقول ولو صح اسنادها لذكرناها وقلنا به ولكن الحديث غير

القاسم بن سلام وعلى بن محمد المدائنى ودمار بن ربيع ابن سلمة ومحمد بن سلام الجمحى وأبى عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ وأبى زيد عمرو بن شبة النميرى والزرقى الانصارى وأبى السائب المخزومى وعلى بن محمد بن سليمان النوفلى والزبير بن بكار والانجيلى والرياشى وابن عائدة وعمار ابن وسيمة المصرى وعيسى ابن لهيعة المصرى وعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى وابى حسان الزيادى ومحمد بن عيسى الخوارزمى وأبى جعفر محمد ابن أبى السرى ومحمد بن الهيثم بن شبابة الخراسانى صاحب كتاب الدولة واسحق بن ابراهيم الموصلى صاحب كتاب الاغانى وغيره من الكتب والخليل ابن الهيثم الحرثمى صاحب كتاب الحيل والمكايد فى الحروب وغيره ومحمد بن يزيد المبرد الازدى ومحمد بن سليمان المنقرى الجوهرى ومحمد بن زكريا العلائى المصرى المصنف للكتاب المترجم بكتاب الاجراد وغيره وابن أبى الزينى مؤدب المكتفى بالله وأحمد ابن محمد الخزاعى المعروف بالخاقانى الانطاكى وعبد الله محمد بن محفوظ البلدى

صحيح

صحيح ومثل هذا الامر العظيم لايجوز أن يسطر فى الكتب بمثل هذا الاسناد الضعيف * واذ كنا قد بينا مقدار مدة ما بين أول ابتداء الله عز وجل فى انشاء ما اراد انشاءه من خلقه الى حين فراغه من انشاء جميعه من سنى الدنيا ومدة أزمانها وكان الغرض فى كتابنا هذا ذكر ما قد بينا انا ذاكروه من تاريخ الملوك الجبابرة والعاصية ربها والمطيعة ربها وأزمان الرسل والانبياء وكنا قد أتينا على ذكر ما تصح به التاريخات وتعرف به الاوقات وهو الشمس والقمر فلنذكر الآن أول من أعطاه الله تعالى ملكا وأنعم عليه فكفر نعمته وجحد ربوبيته واستكبر فسلبه الله نعمته وأخزاه وأذله ثم نتبعه ذكر من استن سنته واقتفى أثره وأحل الله به نقمته ونذكر من كان بازائه أو بعده من الملوك المطيعة ربها المحمودة آثارها ومن الرسل والانبياء ان شاء الله تعالى

قصة ابليس لعنه الله وابتداء أمره واطغائه آدم عليه السلام

وأولهم وامامهم ورئيسهم ابليس وكان الله تعالى قد حسن خلقه وشرفه وملكه على سماء الدنيا والارض فيما ذكر وجعله مع ذلك خازنا من خزان الجنة فاستكبر على ربه وادّعى الربوبية ودعا من كان تحت يده الى عبادته فمسخه الله تعالى شيطانا رجيما وشوه خلقه وسلبه ما كان خوّله ولعنه وطرده عن سمواته فى العاجل ثم جعل مسكنه ومسكن أتباعه فى الآخرة نار جهنم نعوذ بالله تعالى من نار جهنم ونعوذ بالله تعالى من غضبه ومن الحور بعد الكور ونبدأ بذكر الاخبار عن السلف بما كان الله أعطاه من الكرامة وبادعائه مالم يكن ونتبع ذلك بذكر أحداث فى سلطانه وملكه الى حين زوال ذلك عنه والسبب الذى به زال عنه ان شاء الله تعالى

ذكر الاخبار بما كان لابليس لعنه الله من الملك وذكر الاحداث فى ملكه

روى عن ابن عباس وابن مسعود أن ابليس كان له ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا قال ابن عباس ثم انه عصى الله تعالى فمسخه شيطانا رجيما وروى عن قتادة فى قوله تعالى ومن يقل منهم انى اله من دونه انما كانت هذه الآية فى ابليس خاصة لما قال ما قال لعنه الله تعالى وجعله شيطانا رجيما وقال فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين وروى عن ابن جريج مثله * وأما الاحداث التى كانت فى ملكه وسلطانه فمنها ما روى عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان خازنا من خزان الجنة قال وخلقت الملائكة من نور وخلقت الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذى يكون فى طرفها اذا التهبت وخلق الانسان من طين فاوّل من سكن فى الارض الجن فاقتتلوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا قال فبعث الله تعالى اليهم ابليس فى جند من الملائكة وهم هذا الحى الذين يقال لهم الجن فقاتلهم ابليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال فلما فعل ذلك اغتر فى نفسه وقال قد صنعت مالم يصنعه أحد فاطلع الله تعالى على ذلك من قلبه ولم يطلع عليه أحد من الملائكة الذين معه وروى عن أنس نحوه وروى أبو صالح عن ابن عباس ومرة الهمدانى عن ابن مسعود انهما قالا لما فرغ الله تعالى من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل ابليس على ملك سماء الدنيا وكان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم من خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع فى نفسه كبر وقال ما أعطانى الله تعالى هذا الامر الا لمزية لى على الملائكة فاطلع الله على ذلك منه فقال انى جاعل

الانصارى صاحب أبى زيد عمارة بن زيد المدنى ومحمد البرقى بن خالد الرقى الكاتب صاحب التبيان وولده أحمد بن محمد بن خالد البرقى وأحمد بن أبى طاهر صاحب الكتاب المعروف باخبار بغداد وغيره وأبى الوشاء وعلى بن مجاهد صاحب الكتاب المعروف باخبار الامويين وغيره ومحمد بن صالح بن النطاح صاحب كتاب الدولة العباسية وغيره ويوسف بن ابراهيم صاحب اخبار ابراهيم بن المهدى وغيرها ومحمد بن الحرث الثعلبى صاحب الكتاب المعروف باخبار الملوك المؤلف للفتح بن خاقان وغيره وأبى سعيد السكرى صاحب كتاب أبيات العرب وعبد الله بن عبد الله بن حسن بن داربة فانه كان اماما فى التأليف متنوعا فى ملاحة التصنيف اتبعه من يعتمد وأخذ منه ووطئ على عقبه وقفا اثره واذا أردت ان تعلم صحة ذلك فانظر الى كتابه الكبير فى التاريخ فانه أجمع هذه الكتب حدا وأبدعها نظما وأكثرها علما وأحوى لاخبار الامم وملوكها وسيرها من الاعاجم وغيرها ومن كتبه النفيسة فى المسالك والممالك وغير ذلك مما اذا طلبته

في الارض خليفة قال ابن عباس وكان اسمه عزازيل وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما فدعاه ذلك الى الكبر وهذا قول ثالث في سبب كبره وروى عكرمة عن ابن عباس ان الله تعالى خلق خلقا فقال اسجدوا لآدم فقالوا لا نفعل فبعث عليهم نارا فاحرقتهم ثم خلق خلقا آخر فقال اني خالق بشرا من طين فاسجدوا لآدم فأبوا فبعث الله تعالى عليهم نارا فاحرقتهم ثم خلق هؤلاء الملائكة فقال اسجدوا لآدم قالوا نعم وكان ابليس من أولئك الذين لم يسجدوا وقال شهر بن حوشب ان ابليس كان من الجن الذين سكنوا الارض وطردتهم الملائكة وأسره بعض الملائكة فذهب به الى السماء وروى عن سعيد بن مسعود ذلك وأولى الاقوال بالصواب ان يقال كما قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه وجائز أن يكون فسوقه من اعجابه بنفسه لكثرة عبادته واجتهاده وجائز أن يكون لكونه من الجن ﴿ومرة الهمداني بسكون الميم والدال المهملة نسبة الى همدان قبيلة كبيرة من اليمن﴾

﴿ذكر خلق آدم عليه السلام﴾

ومن الاحاديث في سلطانه خلق أبينا آدم عليه السلام وذلك لما أراد الله تعالى ان يطلع ملائكته على ما علم من انطواء ابليس على الكبر ولم يعلمه الملائكة حتى دنا أمره من البوار وملكه من الزوال فقال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء روى عن ابن عباس ان الملائكة قالت ذلك للذي كانوا عهدوا من أمره وأمر الجن الذين كانوا سكان الارض قبل ذلك فقالوا لربهم تعالى أتجعل فيها من يكون مثل الجن الذين كانوا يسفكون الدماء فيها ويفسدون ويعصونك ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال الله لهم اني أعلم ما لا تعلمون يعني من انطواء ابليس على الكبر والعزم على خلاف أمري واغتراره وأنا مبدي ذلك لكم منه لتروه عيانا فلما أراد الله أن يخلق آدم أمر جبريل أن يأتيه بطين من الارض فقالت الارض أعوذ بالله منك أن تنقص مني وتشينني فرجع ولم يأخذ منها شيأ وقال يارب انها عاذت بك فاعذتها فبعث ميكائيل فاستعاذت منه فاعاذها فرجع وقال مثل جبريل فبعث اليها ملك الموت فاستعاذت منه فقال أنا أعوذ بالله ان أرجع ولم أنفذ أمر ربي فأخذ من وجه الارض فخلطه ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء وطينا لازبا فلذلك خرج بنو آدم مختلفين وروى أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والاسود والابيض وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب ثم بلت طينته حتى صارت طينا لازبا ثم تركت حتى صارت حمأ مسنونا ثم تركت حتى صارت صلصالا كما قال ربنا تبارك وتعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون واللازب الطين الملتزب بعضه ببعض اي ثم ترك حتى تغير وأنتن وصار حمأ مسنونا يعني منتنا ثم صار صلصالا وهو الذي له صوت وانما سمي آدم لانه خلق من اديم الارض قال ابن عباس أمر الله بتربة آدم فرفعت فخلق آدم من طين لازب من حمأ مسنون وانما كان حمأ مسنونا بعد الالتزاب فخلق منه آدم بيده لئلا يتكبر ابليس عن السجود له قال فمكث أربعين ليلة وقيل أربعين سنة جسدا ملقى فكان ابليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل أي يصوت قال فهو قول الله تعالى من صلصال كالفخار يقول هو كالمنفوخ الذي ليس بصمت ثم يدخل من فيه فيخرج من دبره ويدخل من دبره فيخرج من فيه ثم يقول لست شيأ ولشيء ما خلقت ولئن سلطت عليك

واذا انتقدته حمدته وكتاب التاريخ من المولد الى الوفاة ومن كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الخلفاء والملوك الى خلافة المعتضد بالله وما كان من الاحداث والكوائن في أيامهم واخبارهم تأليف محمد بن علي وكتاب النسب لاحمد بن علي البلاذري وكتابه أيضا في البلدان وفتوحها صلحا وعنوة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وما فتح في ايامه وعلى يد الخلفاء بعده وما كان من الاخبار في ذلك ووصف البلدان في الشرق والغرب والجنوب ولا نعلم في فتوح البلدان أحسن منه وكتاب داود بن الجراح في التاريخ الجامع لكثير من أخبار الفرس وغيرها من الأمم وهو جد الوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح وكتاب التاريخ الجامع لفنون من الاخبار والكوائن في الاعصار قبل الاسلام وبعده تأليف أبي عبد الله محمد بن الحسن بن سوار المعروف بابن اخت عيسى بن برخان شاه بلغ في تصنيفه الى سنة عشرين وثلثمائة وتاريخ أبي عيسى ابن المنجم على ما أنبأت به التوراة وغير ذلك من أخبار الانبياء والملوك وكتاب التاريخ وأخبار

لاهلكنك ولئن سلطت على لاعصينك فكانت الملائكة تمر به فتخافه وكان ابليس أشدهم منه
خوفا فلما بلغ الحين الذى أراد الله أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه من روحى فقعوا
له ساجدين فلما نفخ الروح فيه دخلت من قبل رأسه وكان لايجرى شئ من الروح فى جسده الاصار
لحما فلما دخلت الروح رأسه عطس فقالت له الملائكة قل الحمد لله وقيل بل ألهمه الله التحميد
فقال الحمد لله رب العالمين فقال الله له رحمك ربك يا آدم فلما دخلت الروح عينيه نظر الى ثمار الجنة
فلما بلغت جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمار الجنة فلذلك
يقول الله تعالى خلق الانسان من عجل فسجد له الملائكة كلهم الا ابليس استكبر وكان من
الكافرين فقال الله له يا ابليس مامنعك ان تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه لم أكن لاسجد لبشر
خلقته من طين فلم يسجد كبرا وبغيا وحسدا فقال الله له يا ابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى
الى قوله لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين فلما فرغ من ابليس ومعاتبته وأبى الا
المعصية أوقع عليه اللعنة وأيأسه من رحمته وجعله شيطانا رجيما وأخرجه من الجنة قال الشعبي
أنزل ابليس مشتمل الصماء عليه عمامة اعور فى احدى رجليه نعل وقال حميد بن هلال نزل ابليس
مختصرا فلذلك كره الاختصار فى الصلاة ولما أنزل قال يارب أخرجتنى من الجنة من أجل آدم
وانى لاأقوى عليه الا بسلطانك قال فانت مسلط قال زدنى قال لايولد له ولد الا ولد لك مثله قال زدنى
قال صدورهم مساكن لك وتجرى منهم مجرى الدم قال زدنى قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك
وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم قال آدم يارب قد أنظرته وسلطته على وانى لا امتنع منه
الا بك قال لايولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يارب زدنى قال الحسنة بعشر
امثالها وأزيدها والسيئة بواحدة أو أمحوها قال يارب زدنى قال ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم
لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا قال يارب زدنى قال التوبة لاأمنعها من ولدك ما
كانت فيهم الروح قال يارب زدنى قال أغفر ولا أبالى قال حسبى ثم قال الله لآدم ائت أولئك لنفر
من الملائكة فقل السلام عليكم فأتاهم فسلم عليهم فقالوا له وعليك السلام ورحمة الله ثم رجع الى
ربه فقال هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم فلما امتنع ابليس من السجود وظهر للملائكة ما
كان مستترا عنهم علم الله آدم الاسماء كلها واختلف العلماء فى الاسماء فقال الضحاك عن ابن
عباس علمه الاسماء كلها التى تتعارف بها الناس انسان ودابة وأرض وسهل وجبل وفرس وحمار
وأشباه ذلك حتى الفسوة والفسية وقال مجاهد وسعيد بن جبير مثله وقال ابن زيد علم أسماء
ذريته وقال الربيع علم أسماء الملائكة خاصة فلما علمها عرض الله اهل الاسماء على الملائكة
فقال أنبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين أنى ان جعلت الخليفة منكم اطعتمونى وقدستمونى ولم
تعصونى وان جعلته من غيركم أفسد فيها وسفك الدماء فانكم ان لم تعلموا أسماء هؤلاء وأنتم
تشاهدونهم فبأن لاتعلموا مايكون منكم ومن غيركم وهو مغيب عنكم أولى وأحرى وهذا قول ابن
مسعود ورواية أبى صالح عن ابن عباس وروى عن الحسن وقتادة انهما قالا لما أعلم الله الملائكة
بخلق آدم واستخلافه وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال انى أعلم مالا تعلمون قالوا
فيما بينهم ليخلق ربنا مايشاء فلن يخلق خلقا الا كنا أكرم على الله منه واعلم منه فلما خلقه وأمرهم
بالسجود له علموا أنه خير منهم وأكرم على الله منهم فقالوا ان يك خيرا منا وأكرم على الله منا فنحن
أعلم منه فلما أعجبوا بعلمهم ابتلوا بأن علمه الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى
باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين انى لا أخلق أكرم منكم ولا أعلم منكم ففزعوا الى التوبة والهما

الامويين ومناقبهم وذكر
فضائلهم وماباينوا به عن
غيرهم وماأحدثوه من
السير فى أيامهم تأليف أبى
عبد الرحمن خالد بن هشام
الاموى وكتاب القاضى
أبى بشر الدولابى فى التاريخ
والكتاب الشريف تأليف
أبى بكر محمد بن خلف وكيع
القاضى فى التاريخ وغيره
من الاخبار وكتاب السير
والاخبار لمحمد بن خالد
الهاشمى وكتاب السير
والاخبار لاسحق بن سليمان
الهاشمى وكتاب سير الخلفاء
لابى بكر محمد بن زكرياء
الرازى صاحب كتاب
المنصورى فى الطب وغيره
فأما عبد الله بن مسلم بن
قتيبة الدينورى فممن
كثرت كتبه واتسع تصنيفه
ككتابه المترجم بكتاب
المعارف وغيره من مصنفاته
وأما تاريخ أبى جعفر محمد بن
جرير الطبرى الزاهى على
المؤلفات والزائد على
الكتب المصنفات فقد جمع
أنواع الاخبار وحوى فنون
الآثار واشتمل على صنوف
العلم وهو كتاب تكثر فائدته
وتنفع عائدته وكيف
لايكون كذلك ومؤلفه
فقيه عصره وناسك دهره
اليه انتهت علوم فقهاء
الامصار وحملة السنن
والآثار وكذلك تاريخ

يذرع كل مؤمن فقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم قال وعلمه اسم كل شئ من هذه الخيل والبغال والابل والجن والوحش وكل شئ

﴿ذكر اسكان آدم الجنة واخراجه منها﴾

فلما ظهر للملائكة من معصية ابليس وطغيانه ما كان مستترا عنهم وعاتبه الله على معصيته بتركه السجود لآدم فأصر على معصيته واقام على غيه لعنه الله وأخرجه من الجنة وطرده منها وسلبه ما كان اليه من ملك سماء الدنيا والارض وخزن الجنة فقال الله له اخرج منها يعنى من الجنة فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين وأسكن آدم الجنة قال ابن عباس وابن مسعود فلما اسكن آدم الجنة كان يمشى فيها فردا ليس له زوج يسكن اليها فنام نومة واستيقظ فاذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها فقال من أنت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الى قالت له الملائكة لينظروا مبلغ علمه ما اسمها قال حواء قالوا ولم سميت حواء قال لانها خلقت من حى وقال الله له يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقال ابن اسحق فيما بلغه عن أهل الكتاب وغيرهم منهم عبد الله بن عباس قال ألقى الله تعالى على آدم النوم وأخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر ولأم مكانه لحما وخلق منه حواء وآدم نائم فلما استيقظ رآها الى جنبه فقال لحمى ودمى وروحى فسكن اليها فلما زوجه الله تعالى وجعل له سكنا من نفسه قال له يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وعن مجاهد وقتادة مثله فلما أسكن الله آدم وزوجته الجنة اطلق لهما ان يأكلا كل ما أرادا من كل ثمرها غير ثمرة شجرة واحدة ابتلاء منه لهما وليمضى قضاؤه فيهما وفى ذريتهما فوسوس لهما الشيطان وكان سبب وصوله اليهما أنه اراد دخول الجنة فمنعته الخزنة فأتى كل دابة من دواب الارض وعرض نفسه عليها انها تحمله حتى يدخل الجنة ليكلم آدم وزوجته فكل الدواب أبى عليه حتى أتى الحية وقال لها أمنعك من ابن آدم فانت فى ذمتى ان أنت ادخلتينى فجعلته بين نابين من أنيابها ثم دخلت به وكانت كاسية على أربعة قوائم من أحسن دابة خلقها الله كأنها بختية فأعراها الله وجعلها تمشى على بطنها قال ابن عباس اقتلوها حيث وجدتموها واخفروا ذمة عدو الله فيها فلما دخلت الحية الجنة خرج ابليس من فيها فناح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها فقالا له ما يبكيك قال ابكى عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة فوقع ذلك فى أنفسهما ثم أتاهما فوسوس لهما وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين أى تكونا ملكين أو مخلدين ان لم تكونا ملكين فى نعمة الجنة قال الله تعالى فدلاهما بغرور وكان انفعال حواء لوسوسته أعظم فدعاها آدم لحاجته فقالت لا الا ان تأتى ههنا فلما أتى قالت لا الا ان تأكل من هذه الشجرة وهى الحنطة قال فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وكان لباسهما الظفر فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وكانت الشجرة من أكل منها أحدث وذهب آدم هاربا فى الجنة فناداه ربه أن يا آدم منى تفر قال لا يارب ولكن حياء منك فقال يا آدم من أين أتيت قال من قبل حواء يارب فقال الله فان لها على ان أدميها فى كل شهر وان أجعلها سفيهة وقد كنت خلقتها حليمة وان اجعلها تحمل كرها وتضع كرها وتشرف على الموت مرارا وقد كنت جعلتها تحمل يسرا وتضع يسرا ولولا بليتها لكان النساء لم يحضن ولكن

أبى عبد الله ابراهيم بن محمد ابن عرفة الواسطى النحوى الملقب بنفطويه فحشو من ملاحة كتب الخاصة مملوء من فوائد السادة وكان احسن أهل عصره تأليفا وأملحهم تصنيفا وكذلك سلك محمد بن يحيى الصولى فى كتابه المترجم بكتاب الاوراق فى اخبار الخلفاء من بنى العباس وبنى أمية وشعرائهم ووزرائهم فانه ذكر غرائب لم تقع لغيره واشياء تفرد بها لانه شاهدها بنفسه وكان محظوظا من العلم محدودا من المعرفة مرزوقا من التصنيف وحسن التأليف وكذلك كتاب الوزراء واخبارهم لابى الحسن على بن الحسن المعروف بابن الماشطة فانه بلغ فى تصنيفه الى آخر أيام الراضى بالله وكذلك أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب فانه كان حسن التأليف بارع التصنيف موجز الالفاظ معربا للمعانى واذا أردت علم ذلك فانظر فى كتابه فى الاخبار المعروفة باخبار زهر الربيع وأشرف على كتابه المترجم بكتاب الخراج فانك تشاهد منه حقيقة ما قد ذكرنا وصدق ما وصفنا وما صنفه أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى الفقيه فى كتابه فى

حليمات ولكن يمجان يسرا و يضعن يسرا وقال الله تعالى له لا ً لعنن الارض التى خلقت منها لعنة يتحول ثمارها شوكا ولم يكن فى الجنة ولا فى الارض شجرة أفضل من الطلح والسدر وقال للحية دخل الملعون فى جوفك حتى غر عبدى ملعونة أنت لعنة يتحول بها قوائمك فى بطنك ولا يكون لك رزق الا التراب أنت عدوة بنى آدم وهم أعداؤك حيث لقيت واحدا منهم أخذت بعقبه وحيث لقيك شدخ رأسك اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ آدم وابليس والحية فاهبطهم الى الارض وسلب الله آدم وحواء كل ما كانا فيه من النعمة والكرامة قيل كان سعيد بن المسيب يحلف بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن سقته حواء الخمر حتى سكر فلما سكر قادته اليها فأكل (قلت) والعجب من سعيد كيف يقول هذا والله يقول فى صفة خمر الجنة لا فيها غول

﴿ذكر اليوم الذى أسكن آدم فيه الجنة واليوم الذى أخرج فيه منها واليوم الذى تاب فيه﴾

روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أسكن الجنة وفيه أهبط منها وفيه تاب الله عليه وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا الا أعطاه اياه قال عبد الله بن سلام قد علمت أى ساعة هى هى آخر ساعة من النهار وقال أبو العالية أخرج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة منه وأهبط الى الارض لتسع ساعات مضين من ذلك اليوم وكان مكثه فى الجنة خمس ساعات منه وقيل كان مكثه ثلاث ساعات منه ٢ فان كان قائل هذا القول أراد انه سكن الفردوس لساعتين مضتا من يوم الجمعة من أيام الدنيا التى هى على ماهى به اليوم فلم يبعد قوله من الصواب لان الاخبار كذا كانت واردة عن السلف من أهل العلم بان آدم خلق آخر ساعة من اليوم السادس التى مقدار اليوم منها ألف سنة من سنيننا فمعلوم ان الساعة الواحدة من ذلك اليوم ثلاثة وثمانون عاما من أعوامنا وقد ذكرنا ان آدم بعد ان خمر ربنا طينته بقى قبل أن ينفخ فيه الروح أربعين عاما وذلك لاشك انه عنى به أعوامنا ثم بعد ان نفخ فيه الروح الى أن تناهى امره وأسكن الجنة واهبط الى الارض غير مستنكر ان يكون مقدار ذلك من سنيننا قدر خمس وثلاثين سنة وان كان أراد انه سكن الجنة لساعتين مضتا من نهار يوم الجمعة من الايام التى مقدار اليوم منها ألف سنة من سنيننا فقد قال غير الحق لان كل من له قول فى ذلك من أهل العلم يقول انه نفخ فيه الروح آخر نهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس وقد روى أبو صالح عن ابن عباس ان مكث آدم كان فى الجنة نصف يوم كان مقداره خمسمائة عام وهذا أيضا خلاف ما وردت به الاخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن العلماء

﴿ذكر الموضع الذى أهبط فيه آدم وحواء من الارض﴾

قيل ثم ان الله تعالى اهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذى خلقه فيه وهو يوم الجمعة مع زوجته حواء من السماء فقال على وابن عباس وقتادة وأبو العالية انه أهبط بالهند على جبل يقال له نود من أرض سرنديب وحواء بجدة قال ابن عباس فجاء فى طلبها فكان كلما وضع قدمه بموضع صار قرية وما بين خطوتيه مفاوز فسار حتى أتى جمعا فازدلفت اليه حواء فلذلك سميت المزدلفة وتعارفا بعرفات فلذلك سميت عرفات واجتمعا بجمع فلذلك سميت جمعا واهبطت الحية باصفهان وابليس بميسان وقيل اهبط آدم بالبرية وابليس بالابلة قال أبو جعفر وهذا ما لا يوصل الى معرفة صحته الا بخبر يجىء مجىء الحجة ولا نعلم خبرا فى ذلك غير ما ورد فى هبوط آدم بالهند فان ذلك مما

الاخبار الذى يعارض فيه كتاب الروضة ولقبه بالباهر وكتاب ابراهيم بن ماهويه الفارسى الذى عارض فيه المبرد فى كتابه الملقب بالكامل وكتاب ابراهيم ابن موسى الواسطى الكاتب فى اخبار الوزراء الذى عارض فيه كتاب محمد بن داود الجراح فى الوزراء * وكتاب على بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوق فى اخبار عدة من وزراء المقتدر بالله وكتاب زهرة العيون وجلاء القلوب تأليف المصرى وكتاب التاريخ تأليف عبد الرحمن بن عبد الرزاق المعروف بالجوزجانى السعدى وكتاب التاريخ واخبار الموصل تأليف أبى ذكوة الموصلى وكتاب تاريخ أحمد بن أبى يعقوب

٢ (قوله فان كان قائل هذا القول الخ) غير محرر وعبارة مروج الذهب واما ماذهب اليه الجمهور من أهل الفقه والآثار فهو ان الابتداء كان يوم الاحد والفراغ يوم الجمعة وفيه نفخ فى آدم الروح وهو اليوم السادس من نيسان ثم خلقت حواء من آدم وأسكنا الجنة لثلاث ساعات مضت منه فمكثا ثلاث ساعات وهو ربع يوم بمائتى سنة وخمسين سنة من أعوام الدنيا انتهت

لا يدفع صحته علماء الاسلام قال ابن عباس فلما اهبط آدم على جبل نود كانت رجلاه تمس الارض ورأسه بالسماء يسمع تسبيح الملائكة فكانت تهابه فسألت الله ان ينقص من طوله فنقص طوله الى ستين ذراعا فحزن آدم لما فاته من الانس باصوات الملائكة وتسبيحهم فقال يارب كنت جارك فى دارك ليس لى رب غيرك ادخلتنى جنتك آكل منها حيث شئت فاهبطتنى الى الجبل المقدس فكنت أسمع أصوات الملائكة وأجد ريح الجنة فحططتنى الى ستين ذراعا فقد انقطع عنى الصوت والنظر وذهبت عنى ريح الجنة فأجابه الله تعالى بمعصيتك يا آدم فعلت بك ذلك فلما رأى الله تعالى عرى آدم وحواء أمره ان يذبح كبشا من الضأن من الثمانية الازواج التى أنزلها الله من الجنة فاخذ كبشا فذبحه وأخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم فعمل لنفسه جبة ولحواء درعا وخمارا فلبسا ذلك وقيل أرسل اليهما ملكا يعلمهما ما يلبسانه من جلود الضأن والانعام وقيل كان ذلك لباس أولاده واما هو وحواء فكان لباسهما ما كان خصفا من ورق الجنة فاوحى الله الى آدم ان لى حرما حيال عرشى فانطلق وابن لى بيتا فيه ثم حف به كما رأيت ملائكتى يحفون بعرشى فهنالك استجيب لك ولولدك من كان منهم فى طاعتى فقال آدم يارب وكيف لى بذلك لست أقوى عليه ولا أهتدى اليه فقيض الله ملكا فانطلق به نحو مكة وكان آدم اذا مر بروضة قال للملك انزل بنا ههنا فيقول الملك مكانك حتى قدم مكة فكان كل مكان نزله آدم عمرانا وما عداه مفاوز فبنى البيت من خمسة أجبل من طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودى وبنى قواعده من حراء فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات فأراه المناسك التى يفعلها الناس اليوم ثم قدم به مكة فطاف بالبيت اسبوعا ثم رجع الى الهند فمات على نود فعلى هذا القول أهبط حواء وآدم جميعا وان آدم بنى البيت وهذا اخلاف الذى نذكره ان شاء الله تعالى منه ان البيت أنزل من السماء وقيل حج آدم من الهند أربعين حجة ماشيا ولما أنزل الى الهند كان على رأسه اكليل من شجر الجنة فلما وصل الى الارض يبس فتساقط ورقه فنبتت منه أنواع الطيب بالهند وقيل بل الطيب من الورق الذى خصفه آدم وحواء عليهما وقيل لما أمر بالخروج من الجنة جعل لا يمر بشجرة منها الا أخذ منها غصنا فهبط وتلك الاغصان معه فكان أصل الطيب بالهند منها او زوده الله من ثمار الجنة فثمارنا هذه منها غير ان هذه تتغير وتلك لا تتغير وعلمه صنعة كل شئ ونزل معه بعض طيب الجنة والحجر الاسود وكان أشد بياضا من الثلج وكان من ياقوت الجنة ونزل معه عصا موسى وهى من آس الجنة أو من لبان وانزل بعد ذلك العلاة والمطرقة والكلبتان وكان حسن الصورة لا يشبهه من ولده غير يوسف وانزل عليه جبريل بصرة فيها حنطة فقال آدم ما هذا قال هذا الذى أخرجك من الجنة فقال ما أصنع به فقال انثره فى الارض ففعل فانبته الله من ساعته ثم حصده وجمعه وفركه وذراه وطحنه وعجنه وخبزه كل ذلك بتعليم جبريل وجمع له جبريل الحجر والحديد فقدحه فخرجت منه النار وعلمه جبريل صنعة الحديد والحراثة وانزل اليه ثورا فكان يحرث عليه قيل هو الشقاء الذى ذكره الله تعالى بقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ثم ان الله أنزل آدم من الجبل وملكه الارض وجميع ما عليها من الجن والدواب والطير وغير ذلك فشكا الى الله تعالى وقال يارب أما فى هذه الارض من يسبحك غيرى فقال الله تعالى سأخرج من صلبك من يسبحنى ويحمدنى وسأجعل فيها بيوتا ترفع لذكرى وأجعل فيها بيتا أختصه بكرامتى وأسميه بيتى وأجعله حرما آمنا فمن حرمه بحرمتى فقد استوجب كرامتى ومن أخاف أهله فيه فقد خفر ذمتى وأباح حرمتى أول بيت وضع للناس فمن اعتمده لا يريد غيره فقد وفد الى وزارنى وضافنى ويحق

على

المصرى فى اخبار العباسيين وغيرهم وكتاب التاريخ فى اخبار الخلفاء من بنى العباس وغيرهم لعبد الله بن الحسين ابن سعد الكاتب وكتاب محمد بن مزيد بن أبى الازهر فى التاريخ وغيره وكتابه المترجم بكتاب الهرج والاحداث ورأيت سنان ابن ثابت بن قرة الحرانى حين انتحل ما ليس من صناعته واستنهج ما ليس من طريقته قد ألف كتابا جعله رسالة الى بعض اخوانه من الكتاب واستفتحه بجوامع من الكلام فى اخلاق النفس وأقسامها من الناطقة والغضبية والشهوانية وذكر لمعا من السياسات المدنية مما ذكره افلاطون فى كتابه فى السياسة المدنية وهو عشر مقالات ولمعا مما يجب على الملوك والوزراء ثم خرج الى اخبار يزعم انها صحت عنده ولم يشاهدها وصل ذلك باخبار المعتضد بالله وذكر صحبته به وايامه السالفة ثم ترقى الى خليفة خليفة فى التصنيف مضادة لرسم الاخبار والتواريخ وخروجا عن جملة أهل التأليف وهو وان أحسن فيه ولم يخرجه عن معانيه فانما عيبه أنه خرج عن مركز صناعته وتكلف ما ليس

على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وان يسعف كلا بحاجته تعمره أنت يا آدم ما كنت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة ثم أمر آدم أن يأتي البيت الحرام وكان قد أهبط من الجنة ياقوتة واحدة وقيل درة واحدة وبقي كذلك حتى أغرق الله قوم نوح عليه السلام فرفع وبقي اساسه فبوأه الله لابراهيم عليه السلام فبناه على ما نذكره ان شاء الله تعالى وسار آدم الى البيت ليحجه ويتوب عنده وكان قد بكى هو وحواء على خطيئتهما وما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما ثم أكلا وشربا بعدها ومكث آدم لم يقرب حواء مائة عام فحج البيت وتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴿نود بضم النون وسكون الواو وآخره دال مهملة﴾

﴿ذكر اخراج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق﴾

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أخذ الله الميثاق على ذرية آدم بنعمان من عرفة فأخرج من ظهره كل ذرية ذرأها الى أن تقوم الساعة فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة الى قوله بما فعل المبطلون ﴿نعمان بفتح النون الاولى﴾ وقيل عن ابن عباس أيضا انه أخذ عليهم الميثاق بدحنا موضع وقال السدي أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه الى الارض من السماء ثم مسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج ذرية كهيئة الذر بيضاء مثل اللؤلؤ فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتي ومسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منها كهيئة الذر سوداء فقال ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال ألست بربكم قالوا بلى فأعطوه الميثاق طائفة طائعين وطائفة على وجه التقية

﴿ذكر الاحداث التي كانت في عهد آدم في الدنيا﴾

وكان أول ذلك قتل قابيل بن آدم أخاه هابيل وأهل العلم مختلفون في اسم قابيل فبعضهم يقول قين وبعضهم يقول قاين وبعضهم يقول قابن وبعضهم يقول قابيل واختلفوا أيضا في سبب قتله فقيل كان سببه ان آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت له فيها بقابيل ابن آدم وتوأمته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولم تجد عليهما طلقا حين ولدتهما ولم تر معهما دما لطهر الجنة فلما أكلا من الشجرة وهبطا الى الارض فاطمأنا بها تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق حين ولدتهما ورأت معهما الدم وكانت حواء فيما يذكرون لا تحمل الا توأما ذكرا وأنثى فولدت حواء لآدم أربعين ولدا لصلبه من ذكر وأنثى في عشرين بطنا وكان الولد منهم أي أخواته شاء تزوج الا توأمته التي تولد معه فانها لا تحل له وذلك انه لم يكن يومئذ نساء الا أخواتهم وأمهم حواء فأمر آدم ابنه قابيل ان ينكح توأمة هابيل وأمر هابيل ان ينكح توأمة أخيه قابيل وقيل بل كان آدم غائبا وكان لما أراد السير قال للسماء احفظي ولدي بالامانة فأبت وقال للارض فأبت وللجبال فأبت وقال لقابيل فقال نعم تذهب وترجع وستجد ما يسرك فانطلق آدم فكان ما نذكره وفيه قال الله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فلما قال آدم لقابيل وهابيل في معنى نكاح أختيهما ما قال لهما سلم هابيل لذلك ورضي به وأبى ذلك قابيل وكرهه تكرها عن أخت هابيل ورغب بأخته عن هابيل وقال نحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الارض فأنا أحق بأختي وقال بعض أهل العلم ان أخت قابيل كانت من أحسن

من مهنته ولو أقبل على الذي انفرد به من علم اقليدس والمعظمات والمجسطي والمدورات ولو استفتح بسقراط وافلاطون وارسطاطاليس فأخبر عن الاشياء الفلكية والآثار العلوية والمزاجات الطبيعية والنسب والتأليفات والنتائج والمقدمات والصنائع المركبات ومعرفة الطبيعيات من الالهيات والجواهر والهيآت ومقادير الاشكال وغير ذلك من أنواع الفلسفة لكان قد سلم مما تكلفه وأتى بما هو أليق بصنعته ولكن العارف بقدره يعود والعالم بمواضع الخلل مفقود وقد قال عبد الله بن المقفع من وضع كتابا فقد استهدف فان أجاد فقد استشرف وان أساء فقد استقذف (قال أبو الحسن) على بن الحسين بن على المسعودي ولم نذكر من كتب التواريخ والاخبار والسير والآثار الا ما اشتهر مصنفوها وعرف مؤلفوها ولم نتعرض لذكر كتب تواريخ أصحاب الاحاديث في معرفة أسماء الرجال وأعصارهم وطبقاتهم اذ كان ذلك أكثر من ان نأتي على ذكره في هذا الكتاب اذ كنا قد أتينا على جميع تسمية أهل الاعصار من حملة الآثار

الناس فضيل بها على أخيه وارادها لنفسه وانهما لم يكونا من ولادة الجنة انما كانا من ولادة
الارض والله أعلم فقال له أبوه آدم يابني انها لا تحل لك فأبى ان يقبل ذلك من أبيه فقال له أبوه يابني
فقرب قربانا ويقرب اخوك هابيل قربانا فأيكما قبل الله قربانه فهو أحق بها وكان قابيل على بذر
الارض وهابيل على رعاية الماشية فقرب قابيل قمحا وقرب هابيل ابكارا من ابكار غنمه وقيل قرب
بقرة فأرسل الله نارا بيضاء فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل وبذلك كان يقبل القربان
اذا قبله الله فلما قبل الله قربان هابيل وكان في ذلك القضاء له باخته قابيل غضب قابيل وغلب
عليه الكبر واستحوذ عليه الشيطان وقال لاقتلنك حتى لا تنكح أختي قال هابيل انما يتقبل الله
من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك الى قوله فطوعت له نفسه
قتل أخيه فاتبعه وهو في ماشيته فقتله فهما اللذان قص الله خبرهما في القرآن فقال واتل عليهم
نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر الى آخر القصة قال فلما قتله
سقط في يده ولم يدر كيف يواري به وذلك أنه كان فيما يزعمون أول قتيل من بني آدم فبعث الله غرابا
يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال ياويلتي أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب
فأواري سوأة اخي فاصبح من النادمين الى قوله لمسرفون فلما قتل اخاه قال الله تعالى ياقابيل أين
اخوك هابيل قال لا أدري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان صوت دم أخيك يناديني من
الارض الآن أنت ملعون من الارض التي فتحت فاها فبلعت دم أخيك فاذا أنت عملت في
الارض فانها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكون فزعا تائها في الارض فقال قابيل عظمت
خطيئتي ان لم تغفرها قيل كان قتله عند عقبة حراء ثم نزل من الجبل آخذا بيد أخته وهرب بها الى
عدن من اليمن قال ابن عباس لما قتل أخاه أخذ بيد أخته ثم هبط بها من جبل نود الى الحضيض
فقال له آدم اذهب فلا تزال مرعوبا لا تأمن من تراه فكان لا يمر به أحد من ولده الا رماه فأقبل
ابن لقابيل اعمى ومعه ابن له فقال للاعمى ابنه هذا أبوك قابيل فارمه فرمى الاعمى أباه قابيل فقتله
فقال ابن الاعمى لابيه قتلت أباك فرفع الاعمى يده فلطم ابنه فمات فقال ياويلتي قتلت أبي برميتي
وابني بلطمتي ولما قتل هابيل كان عمره عشرين سنة وكان لقابيل يوم قتله خمس وعشرون سنة
وقال الحسن كان الرجلان اللذان ذكرهما الله تعالى في القرآن بقوله واتل عليهم نبأ ابني آدم
بالحق من بني اسرائيل ولم يكونا من بني آدم لصلبه وكان آدم أول من مات وقال أبو جعفر الصحيح
عندنا انهما ابنا آدم لصلبه للحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من نفس تقتل
ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل منها وذلك لانه أول من سن القتل فبان بهذا انهما لصلب
آدم فان القتل مازال بين بني آدم قبل بني اسرائيل وفي هذا الحديث انه أول من سن القتل ومن
الدليل على أنه مات من ذرية آدم قبله ما ورد في تفسير قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس
واحدة الى قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما عن ابن عباس وابن جبير والسدي وغيرهم قالوا
كانت حواء تلد لآدم فتعبدهم أي تسميهم عبد الله وعبد الرحمن ونحو ذلك فيصيبهم الموت فأتاهما
ابليس فقال لو سميتماه بغير هذه الاسماء لعاش ولد لكما فولدت ولدا فسمته عبد الحرث وهو اسم
ابليس فنزلت هو الذي خلقكم من نفس واحدة الآيات وقد روي هذا المعنى مرفوعا (قلت)
انما كان الله تعالى يميت أولادهم أولا وأحيا هذا المسمى بعبد الحرث امتحانا واختبارا وان كان
الله تعالى يعلم الاشياء بغير امتحان لكن علما لا يتعلق به الثواب والعقاب ومن الدليل على ان
القاتل والمقتول ابنا آدم لصلبه ما رواه العلماء عن علي بن أبي طالب ان آدم قال لما قتل هابيل

ونقلة السير والاخبار وطبقات أهل العلم من عصر الصحابة ثم من تلاهم من التابعين وأهل كل عصر على اختلاف أنواعهم وتنازعهم في آرائهم من فقهاء الامصار وغيرهم من أهل الآراء والنحل والمذاهب والجدل الى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في كتابنا المترجم بكتاب أخبار الزمان والكتاب الاوسط (وقد وسمت كتابي هذا بكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر) لنفاسة ما حواه وعظم خطر ما استولى عليه من طوالع بوارع ما تضمنته كتبنا السالفة في معناه وغرر مؤلفاتنا في مغزاه وجعلته تحفة للاشراف من الملوك وأهل الدرايات لما قد ضمنته من جمل ما تدعو الحاجة اليه وتنازع النفوس الى علمه من دراية ما سلف وغبر في الزمان وجعلته مسهما على اغراض ما سلف من كتبنا ومشتملا على جوامع يحسن بالاديب العاقل معرفتها ولا يعذر في التغافل عنها ولم نترك نوعا من العلوم ولا فنا من الاخبار ولا طريقة من الآثار الا أوردناه في هذا الكتاب مفصلا أو ذكرناه مجملا أو أشرنا اليه بضرب من

تغيرت

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه المليح

فى أبيات غيرها وقد زعم أكثر علماء الفرس ان جيومرث هو آدم و زعم بعضهم انه ابن آدم لصلبه من حواء وقالوا فيه أقوالا كثيرة يطول بذكرها الكتاب اذ كان قصدنا ذكر الملوك وأيامهم ولم يكن ذكر الاختلاف فى نسب ملك من جنس ما أنشأنا له الكتاب فان ذكرنا من ذلك شيأ فلتعريف من ذكرنا ليعرفه من لم يكن عارفا به وقد خالف علماء الفرس فيما قالوا من ذلك آخرون من غيرهم ممن زعم انه غير آدم ووافق علماء الفرس على اسمه وخالفهم فى عينه وصفته فزعم ان جيومرث الذى زعمت الفرس انه آدم انما هو حام بن يافث بن نوح وانه كان معمرا سيدا نزل جبل دنباوند من جبال طبرستان من أرض المشرق وتملك بها وبفارس وعظم أمره وأمر ولده حتى ملكوا بابل وملكوا فى بعض الاوقات الاقاليم كلها وابتنى جيومرث المدن والحصون وأعد السلاح واتخذ الخيل وتجبر فى آخر أمره وتسمى بآدم وقال من سمانى بغيره قتلته وتزوج ثلاثين امرأة فكثر منهن نسله وان مارى ابنه ومارية أخته ممن كانا ولدا فى آخر عمره فأعجب بهما وقدمهما فصار الملوك من نسلهما قال أبو جعفر وانما ذكرت من أمر جيومرث فى هذا الموضع ما ذكرت لانه لا تدافع بين علماء الامم انه أبو الفرس من العجم وانما اختلفوا فيه هل هو آدم أبو البشر أم غيره على ما ذكرناه ومع ذلك فلان ملكه وملك أولاده لم يزل منتظما على سياق متصل بارض المشرق وجبالها الى ان قتل يزدجرد بن شهريار بمرو أيام عثمان بن عفان والتاريخ على اسماء ملوكهم اسهل بيانا واقرب الى التحقيق منه على أعمار ملوك غيرهم من الامم اذ لا يعلم أمة من الامم الذين ينتسبون الى آدم دامت لهم المملكة واتصل الملك لملوكهم بأخذه آخرهم عن أولهم وغابرهم عن سالفهم سواهم وانا ذاكر ما انتهى الينا من القول فى عمر آدم وأعمار من بعده من ولده من الملوك والانبياء وجيومرث أبى الفرس فاذكر ما اختلفوا فيه من أمرهم الى الحال التى اجتمعوا عليها واتفقوا على ملك منهم فى زمان بعينه انه هو الملك فى ذلك الزمان ان شاء الله وكان آدم مع ما أعطاه الله تعالى من ملك الارض نبيا رسولا الى ولده وأنزل الله عليه احدى وعشرين صحيفة كتبها آدم بيده علمه اياها جبريل روى أبو ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قال قلت يا رسول الله كم الرسل من ذلك قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا يعنى كثيرا طيبا قال قلت من أولهم قال آدم قال قلت يا رسول الله وهو نبى مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه رجلا وكان ممن أنزل عليه تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم فى احدى وعشرين ورقة

(ذكر ولادة شيث)

ومن الاحداث فى أيامه ولادة شيث وكانت ولادته بعد مضى مائة وعشرين سنة لآدم وبعد قتل هابيل بخمس سنين وقيل ولد فردا بغير توأم وتفسير شيث هبة الله ومعناه انه خلف من هابيل وهو وصى آدم وقال ابن عباس كان معه توأم ولما حضرت آدم الوفاة عهد الى شيث وعلمه ساعات الليل والنهار وعبادة الخلوة فى كل ساعة منها وأعلمه بالطوفان وصارت الرياسة بعد آدم اليه وأنزل الله عليه خمسين صحيفة واليه انساب بنى آدم كلهم اليوم وأما الفرس الذين قالوا ان جيومرث هو آدم فانهم قالوا ولد لجيومرث ابنه ميشان أخت ميشى وتزوج ميشى أخته ميشان فولدت له

الاشارات أو اتوحنا اليه بفحو من العبارات فمن حرف شيأ من معناه أو ازال ركنا من مبناه أو طمس واضحة من معالمه أو لبس شاهدة من تراجمه أو غيره أو بدله أو شعنه أو اختصره أو نسبه الى غيرنا أو أضافه الى سوانا فوافاه من غضب الله ووقوع نقمه وفوادح بلاياه ما يعجز عنه صبره ويحار له فكره وجعله الله مثلة للعالمين وعبرة للمعتبرين وآية للمتوسمين وسلبه الله ما أعطاه وحال بينه وبين ما أنعم عليه من قوة ونعمة مبتدع السموات والارض من أى الملل كان والآراء انه على كل شئ قدير وقد جعلت هذا التخويف فى أول كتابى هذا وآخره ليكون رادعا لمن ميله هوى أو غلبه شقاء فليراقب أمر ربه وليحاذر منقلبه فالمدة يسيرة والمسافة قصيرة والى الله المصير وهذا حين نبدأ بجمل ما استودعناه هذا الكتاب من الابواب وما حوى كل باب منها من أنواع الاخبار وبالله التوفيق

(ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب)

قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ذكرنا لاغراضه فلنذكر الآن جملا من كمية أبوابه على حسب

سيامك وسيامي فولد لسيامك بن جيومرث افروال ودقس وبواسب واجرب واوراش وأمهم
جميعا سيامي ابنة ميشي وهي أخت أبيهم وذكروا ان الارض كلها سبعة أقاليم فارض بابل وما
يوصل اليه مما يأتيه الناس برا او بحرا فهو من اقليم واحد وسكانه ولد افروال بن سيامك واعقابهم
فولد لافروال بن سيامك من افرى ابنة سيامك أوشهنج بيشداد الملك وهو الذي خلف جده
جيومرث في الملك وهو أول من جمع ملك الاقاليم السبعة وسنذكر اخباره وكان بعضهم يزعم ان
أوشهنج هذا هو ابن آدم لصلبه من حواء وأما ابن الكلبي فانه زعم أن أول من ملك الارض
أوشهنق بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح قال والفرس تزعم انه كان بعد آدم بمائتي سنة
وانما كان بعد نوح بمائتي سنة ولم تعرف الفرس ما كان قبل نوح والذي ذكره هشام بن الكلبي
لا وجه له لان أوشهنج مشهور عند الفرس وكل قوم أعلم بانسابهم وأيامهم من غيرهم قال وقد
زعم بعض نسابة الفرس ان أوشهنج هذا هو مهلائيل وان أباه افروال هو قينان وان سيامك
هو انوش أبو قينان وان ميشي هو شيث أبو انوش وان جيومرث هو آدم فان كان الامر كما زعم فلا
شك ان أوشهنج كان في زمن آدم رجلا وذلك لان مهلائيل فيما ذكر في الكتب الاولى كانت
ولادة أمه دينه ابنة براكيل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم وأتاه بعد ما مضى من عمر آدم
ثلثمائة سنة وخمس وتسعون سنة وقد كان له حين وفاة آدم ستمائة سنة وخمس وستون سنة على
حساب أن عمر آدم كان ألف سنة وقد زعمت الفرس أن ملك أوشهنج كان أربعين سنة فان كان
الامر على ما ذكره النسابة الذي ذكرت عنه ما ذكرت فلا يبعد من قال ان ملكه كان بعد وفاة آدم
بمائتي سنة

﴿ ذكر وفاة آدم عليه السلام ﴾

ذكر ان آدم مرض أحد عشر يوما وأوصى الى ابنه شيث وأمره ان يخفي علمه عن قابيل وولده
لانه قتل هابيل حسدا منه له حين خصه آدم بالعلم فاخفى شيث وولده ما عندهم من العلم ولم يكن
عند قابيل وولده علم ينتفعون به وقد روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قال الله
تعالى لآدم حين خلقه ائت أولئك النفر من الملائكة فقل السلام عليكم فأتاهم فسلم عليهم
وقالوا له عليك السلام ورحمة الله ثم رجع الى ربه فقال له هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم ثم قبض
له يديه فقال له خذ واختر فقال أخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين ففتحها له فاذا فيها صورة آدم
وذريته كلهم واذا كل رجل منهم مكتوب عنده أجله واذا آدم قد كتب له عمر ألف سنة واذا قوم
عليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين عليهم النور فقال هؤلاء الانبياء والرسل الذين أرسلهم
الى عبادي واذا فيهم رجل هو من اضوئهم نورا ولم يكتب له من العمر الا أربعين سنة فقال آدم
يارب هذا من اضوئهم نورا ولم تكتب له الا اربعين سنة بعد ان اعلمه انه داود عليه السلام فقال
ذلك ما كتبت له فقال يارب انقص له من عمري ستين سنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
اهبط الى الارض بعد أيامه فلما أتاه ملك الموت لقبضه قال له آدم عجلت ياملك الموت قد بقي من
عمري ستون سنة فقال له ملك الموت مابقي شيء سألت ربك ان يكتبه لابنك داود فقال ما فعلت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم فنسي آدم فنسيت ذريته وجحد فجحدت ذريته فحينئذ وضع الله
الكتاب وامر بالشهود وروى عن ابن عباس قال لما نزلت آية الدين قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان أول من جحد آدم ثلاث مرار وان الله لما خلقه مسح ظهره فاخرج منه ما هو ذارئ الى يوم

القيامة

مراتبها فيه واستحقاقها منه لكي يقرب تناولها على مريدها فأول ذلك
ذكر المبدء وشأن الخليقة وذرء البرية من آدم الى ابراهيم عليهما الصلاة والسلام
ذكر قصة ابراهيم عليه السلام ومن تلا عصره من الانبياء والملوك من بني اسرائيل
ذكر ملك ارخبعم بن سليمان ابن داود ومن تلا عصره من ملوك بني اسرائيل وجمل من اخبار الانبياء والملوك من بني اسرائيل
ذكر أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم
ذكر جمل من اخبار الهند وارائها ومبدء ممالكها وسيرها وآرائها في عبادتها
ذكر الارض والبحار ومبادئ الانهار والجبال والاقاليم السبعة وما والاها من الكواكب وغير ذلك
ذكر جمل من الاخبار عن انتقال البحار وجمل من اخبار الانهار الكبار
ذكر الاخبار عن البحر الحبشي وما قيل في مقداره وتشعبه وخلجانه
ذكر تنازع الناس في المد والجزر وجوامع ما قيل في ذلك
ذكر البحر الرومي ووصف

القيامة فجعل يعرضهم على آدم فرأى منهم رجلا يزهر فقال أى رب أى بنى هـذا قال ابنك داود قال كم عمره قال ستون سنة قال زده من العمر قال الله تعالى لا الا أن تزيده أنت وكان عمر آدم الف سنة فوهب له اربعين سنة فكتب عليه بذلك كتابا واشهد عليه الملائكة فلما احتضر آدم اتته الملائكة لتقبض روحه فقال قد بقى من عمرى اربعون سنة قالوا انك قد وهبتها لابنك داود قال ما فعلت ولا وهبت له شيأ فانزل الله عليه الكتاب واقام الملائكة شهودا فاكمل لآدم الف سنة واكمل لداود مائة سنة وروى مثل هذا عن جماعة منهم سعيد بن جبير وقال ابن عباس كان عمر آدم تسعمائة سنة وستا وثلاثين سنة وأهل التوراة يزعمون ان عمر آدم تسعمائة سنة وثلاثون سنة والاخبار عن رسول الله والعلماء ما ذكرنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الخلق وعلى رواية ابى هريرة التى فيها ان آدم وهب داود من عمره ستين سنة لم يكن كثير اختلاف بين الحديثين وما فى التوراة من ان عمره كان تسعمائة وثلاثين سنة فلعل الله ذكر عمره فى التوراة سوى ما وهبه لداود قال ابن اسحق عن يحيى بن عباد عن أبيه قال بلغنى ان آدم حين مات بعث الله بكفنه وحنوطه من الجنة ثم وليت الملائكة قبره ودفنه حتى غيبوه وروى ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم ان آدم حين حضرته الوفاة بعث الله اليه بحنوطه وكفنه من الجنة فلما رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل دونهم فقال خلى عنى وعن رسل ربى فما لقيت ما لقيت الا منك ولا أصابنى ما أصابنى الا فيك فلما قبض غسلوه بالسدر والماء وترا وكفنوه فى وتر من الثياب ثم لحدوا له ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده قال ابن عباس لما مات آدم قال شيث لجبرائيل صل عليه فقال تقدم انت فصل على ابيك فكبر عليه ثلاثين تكبيرة فأما خمس فهى الصلاة وأما خمس وعشرون تفضيلا لآدم وقيل دفن فى غار فى جبل أبى قبيس يقال له غار الكنز وقال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة دفن آدم ببيت المقدس وكانت وفاته يوم الجمعة كما تقدم وذكر ان حواء عاشت بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع زوجها فى الغار الذى ذكرت الى وقت الطوفان واستخرجهما نوح وجعلهما فى تابوت ثم حملهما معه فى السفينة فلما غاضت بالارض الماء ردهما الى مكانهما الذى كانا فيه قبل الطوفان قال وكانت حواء فيما ذكر قد غزلت ونسجت وعجنت وخبزت وعملت أعمال النساء كلها واذ قد فرغنا من ذكر آدم وعدوه ابليس وذكر اخبارهما وما صنع الله بعدوه ابليس حين تجبر وتكبر من تعجيل العقوبة وطغى وبغى من الطرد والابعاد والنظرة الى يوم الدين وما صنع بآدم اذ أخطأ ونسى من تعجيل العقوبة له ثم تغمده الله بالرحمة اذ تاب من زلته فأرجع الى ذكر قابيل وشيث ابنى آدم وأولادهما ان شاء الله

﴿ ذكر شيث بن آدم عليه السلام ﴾

قد ذكرنا بعض أمره وانه كان وصى آدم فى مخلفيه بعد مضيه لسبيله وما أنزل الله عليه من الصحف وقيل انه لم يزل مقيما بمكة يحج ويعتمر الى ان مات وانه كان جمع ما أنزل عليه وعلى أبيه آدم من الصحف وعمل بما فيها وانه بنى الكعبة بالحجارة والطين وأما السلف من علمائنا فانهم قالوا لم تزل القبة التى جعل الله لآدم مكان البيت الى أيام الطوفان فرفعها الله حين أرسل الطوفان وقيل ان شيثا لما مرض أوصى الى ابنه انوش ومات فدفن مع أبويه بغار أبى قبيس وكان مولده لمضى مائتى سنة وخمس وثلاثين سنة من عمر آدم وقيل غير ذلك وقد تقدم وكانت وفاته وقد أتت عليه تسعمائة سنة واثنتا عشرة سنة وقام انوش بن شيث بعد موت أبيه بسياسة الملك وتدبير من تحت

بديه من رعيته مقام أبيه لا يوقف منه على تغيير ولا تبديل فكان جميع عمر انوش سبعمائة وخمس سنين وكان مولده بعد ان مضى من عمر أبيه شيث ستمائة سنة وخمس سنين وهذا قول أهل التوراة وقال ابن عباس ولد لشيث انوش وولد معه نفرا كثيرا واليه أوصى شيث ثم ولد لانوش بن شيث ابنه قينان من أخته نعمة بنت شيث بعد مضى تسعين سنة من عمر انوش وولد معه نفرا كثيرا واليه الوصية وولد قينان مهلائيل ونفرا كثيرا معه واليه الوصية وولد مهلائيل يرد وهو اليارد ونفرا معه واليه الوصية فولدت يرد حنوخ وهو ادريس النبي ونفرا معه واليه الوصية وولد حنوخ متوشلخ ونفرا معه واليه الوصية وأما التوراة ففيها ان مهلائيل ولد بعد ان مضى من عمر آدم عليه السلام ثلثمائة وخمس وتسعون سنة ومن عمر قينان سبعون وولد يرد لمهلائيل بعدما مضى من عمر آدم اربعمائة سنة وستون سنة فكان على منهاج أبيه غير ان الاحداث بدأت فى زمانه

﴿ذكر الاحداث التى كانت من لدن ملك شيث الى ان ملك يرد﴾

ذكر ان قابيل لما قتل هابيل وهرب من أبيه آدم الى اليمن أتاه ابليس فقال له ان هابيل انما قبل قربانه وأكلته النار لانه كان يخدم النار و يعبدها فانصب أنت أيضا نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها وقال ابن اسحق ان قينا وهو قابيل نكح أخته اشوث بنت آدم فولدت له رجلا وامرأة حنوخ بن قين وعذب بنت قين فنكح حنوخ أخته عذب فولدت ثلاثة بنين وامرأة غيرد ومحويل وأنوشيل ومويلث ابنة حنوخ فنكح أنوشيل بن حنوخ أخته مويلث وولدت له رجلا اسمه لامك فنكح لامك امرأتين اسم احداهما عدى والاخرى صلى فولدت عدى بولس بن لامك فكان أول من سكن القباب واقتنى المال وتوبلين فكان أول من ضرب بالونج والصنج وولدت رجلا اسمه توبلقين وكان أول من عمل النحاس والحديد وكان أولادهم فراعنة وجبابرة وكانوا قد أعطوا بسطة فى الخلق قال ثم انقرض ولد قين ولم يتركوا عقبا الا قليلا وذرية آدم كلها جهلت أنسابهم وانقطع نسلهم الا ما كان من شيث فمنه كان النسل وانساب الناس اليوم كلهم اليه دون أولاد أبيه آدم ولم يذكر ابن اسحق من أمر قابيل وولده الا ما حكيت وقال غيره من أهل التوراة ان أول من اتخذ الملاهى من ولد قابيل رجل يقال له توبال بن قابيل اتخذها فى زمان مهلائيل بن قينان اتخذ المزامير والطنابير والطبول والعيدان والمعازف فانهمك ولد قابيل فى اللهو وتناهى خبرهم الى من بالجبل من ولد شيث فهم مائة رجل منهم بالنزول اليهم وبمخالفة ما أوصاهم به آباؤهم وبلغ ذلك يارد فوعظهم ونهاهم فلم يقبلوا ونزلوا الى ولد قابيل فأعجبوا بما رأوا منهم فلما أرادوا الرجوع حيل بينهم وبين ذلك لدعوة سبقت من آبائهم فلما أبطؤا ظن من بالجبل ممن كان فى نفسه زيغ انهم أقاموا اغتباطا فتسللوا ينزلون من الجبل ورأوا اللهو فأعجبهم ووافقوا نساء من ولد قابيل متشرعات اليهم وصرن معهم وانهمكوا فى الطغيان وفشت الفحشاء وشرب الخمر فيهم وهذا القول غير بعيد من الحق وذلك أنه قد روى عن جماعة من سلف علمائنا المسلمين نحو منه وان لم يكونوا بينوا زمان من حدث ذلك فى ملكه الا انهم ذكروا ان ذلك كان فيما بين آدم ونوح منهم ابن عباس أو مثله ومثله روى الحكم بن عتيبة عن أبيه مع اختلاف قريب من القولين والله أعلم وأما نسابو الفرس فقد ذكرت ما قالوا فى مهلائيل بن قينان وانه هو أوشهنج الذى ملك الاقاليم السبعة وبينت قول من خالفهم وقال هشام بن الكلبى انه أول من بنى البناء واستخرج المعادن وأمر أهل زمانه باتخاذ

المساجد وبنى مدينتين كانتا أول ما بنى على ظهر الارض من المدائن وهما مدينة بابل وهى بالعراق ومدينة السوس بخوزستان وكان ملكه أربعين سنة وقال غيره هو أول من استنبط الحديد وعمل منه الادوات للصناعات وقدر المياه فى مواضع المنافع وحض الناس على الزراعة واعتماد الاعمال وأمر بقتل السباع الضارية واتخاذ الملابس من جلودها والمفارش وبذبح البقر والغنم والوحش وأكل لحومها وانه بنى مدينة الرى قالوا وهى أول مدينة بنيت بعد مدينة جيومرث التى كان يسكنها بدنباوند وقالوا انه أول من وضع الاحكام والحدود وكان ملقبا بذلك يدعى بيشداد ومعناه بالفارسية أول من حكم بالعدل وذلك ان بيش معناه أول وداد معناه عدل وقضاء وهو أول من استخدم الجوارى وأول من قطع الشجر وجعله فى البناء وذكروا أنه نزل الهند وتنقل فى البلاد وعقد على رأسه تاجا وذكروا انه قهر ابليس وجنوده ومنعهم الاختلاط بالناس وتوعدهم على ذلك وقتل مردتهم فهربوا من خوفه الى المفاوز والجبال فلما مات عادوا وقيل انه سمى شرار الناس شياطين واستخدمهم وملك الاقاليم كلها وانه كان بين مولد أوشهنج وموت جيومرث مائتا سنة وثلاث وعشرون سنة ❊عنيبة بالعين وبعدها تاء فوقها نقطتان وياء تحتها نقطتان وباء موحدة❊

❊(ذكر يرد)❊

وقيل ياردبن مهلائيل أمه خالته سمعن ابنة براكيل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم ولد بعد ما مضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستون سنة وفى أيامه عملت الاصنام وعاد من عاد عن الاسلام ثم نكح يرد فى قول ابن اسحق وهو ابن مائة واثنتين وستين سنة بركتا ابنة الدرمسيل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم فولدت له حنوخ وهو ادريس النبى فكان أول بنى آدم اعطى النبوة وخط بالقلم وأول من نظر فى علوم النجوم والحساب وحكماء اليونانيين يسمونه هرمس الحكيم وهو عظيم عندهم فعاش يرد بعد مولد ادريس ثمانمائة سنة وولد له بنون وبنات فكان عمره تسعمائة سنة واثنتين وستين سنة وقيل أنزل على ادريس ثلاثون صحيفة وهو أول من جاهد فى سبيل الله وقطع الثياب وخاطها وأول من سبى من ولد قابيل بن آدم فاسترق منهم وكان وصى والده يرد فيما كان آباؤه وصوا به اليه وفيما أوصى بعضهم بعضا وتوفى آدم بعد ان مضى من عمر ادريس ثلثمائة وثمان سنين ودعا ادريس قومه ووعظهم وأمرهم بطاعة الله تعالى ومعصية الشيطان وان لا يلابسوا ولد قابيل فلم يقبلوا منه قال وفى التوراة ان الله رفع ادريس بعد ثلثمائة سنة وخمس وستين سنة من عمره وبعد ان مضى من عمر أبيه خمسمائة سنة وسبع وعشرون سنة فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمسا وثلاثين سنة تمام تسعمائة واثنتين وستين سنة قال النبى صلى الله عليه وسلم يا أباذر من الرسل أربعة سريانيون آدم وشيث وحنوخ وهو أول من خط بالقلم وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة وقيل ان الله أرسله الى جميع أهل الارض فى زمانه وجمع له علم الماضين وزاده ثلاثين صحيفة وقال بعضهم ملك بيوراسب فى عهد ادريس وكان قد وقع اليه من كلام آدم فاتخذه سحرا وكان بيوراسب يعمل به يارد بياء معجمة باثنتين من تحتها وراء مهملة وذال (٣) معجمة وحنوخ بحاء مهملة مفتوحة ونون بعدها واو وخاء معجمة وقيل بخاءين معجمتين

❊ذكر ملك طهمورث❊

زعمت الفرس انه ملك بعد موت أوشهنج طهمورث بن ويونجهان يعنى خير أهل الارض ابن

حبايدادبن أوشهنج وقيل فى نسبه غيرذلك وزعم الفرس أيضا انه ملك الاقاليم السبعة وعقد على رأسه تاجا وكان محمودا فى ملكه مشفقا على رعيته وانه ابتنى سابور من فارس ونزلها وتنقل فى البلدان وانه وثب بابليس حتى ركبه فطاف عليه فى أدانى الارض وأقاصيها وافزعه ومردته حتى تفرقوا وكان أول من اتخذ الصوف والشعر للبس والفرش وأول من اتخذ زينة الملوك من الخيل والبغال والحمير وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشى وغيرها واخذ الجوارح للصيد وكتب بالفارسية وان بيوراسب ظهر فى أول سنة من ملكه ودعا الى ملة الصابئين كذا قال أبوجعفر وغيره من العلماء انه ركب ابليس وطاف عليه والعهدة عليهم وانما نحن نقلنا ما قالوه قال ابن الكلبى أول ملوك الارض من بابل طهمورث وكان لله مطيعا وكان ملكه أربعين سنة وهو أول من كتب بالفارسية وفى أيامه عبدت الاصنام وأول ما عرف الصوم فى ملكه وسببه ان قوما فقراء تعذر عليهم القوت فامسكوا نهارا وأكلوا ليلا ما يمسك رمقهم ثم اعتقدوه تقربا الى الله وجاءت الشرائع به

﴿ذكر حنوخ وهو ادريس عليه السلام﴾

ثم نكح حنوخ بن يرد هدانة وتقال اذانة ابنة باويل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم وهو ابن خمس وستين سنة فولدت له متوشلخ بن حنوخ فعاش بعد ما ولد متوشلخ ثلثمائة سنة ثم رفع واستخلفه حنوخ على أمر ولده وأمر الله وأوصاه وأهل بيته قبل ان يرفع واعلمهم ان الله سوف يعذب ولد قابيل ومن خالطهم ونهاهم عن مخالطتهم وانه كان أول من ركب الخيل لانه سلك رسم أبيه حنوخ فى الجهاد ثم نكح متوشلخ عربا ابنة عزاريل بن أنوشيل بن حنوخ بن قين وهو ابن مائة سنة وسبع وثلاثين سنة فولدت له لمك بن متوشلخ فعاش بعد ما ولد له لمك سبعمائة سنة وولد له بنون وبنات فكان كل ما عاش متوشلخ تسعمائة سنة وسبعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى الى ابنه لمك فكان لمك يعظ قومه وينهاهم عن مخالطة قابيل فلم يقبلوا حتى نزل اليهم جميع من كان معهم فى الجبل وقيل كان لمتوشلخ ابن آخر غير لمك يقال له صابئ وبه سمى الصابئون (قلت محويل بحاء مهملة وياء معجمة باثنتين من تحت وقين بقاف وياء معجمة باثنتين من تحت ومتوشلخ بفتح الميم وبالتاء المعجمة باثنتين من فوق وبالشين المعجمة وبحاء مهملة وقيل خاء معجمة) ونكح لمك بن متوشلخ قينوش ابنة براكيل بن محويل بن حنوخ بن قين وهو ابن مائة سنة وسبع وثمانين سنة فولدت له نوح بن لمك وهو النبى فعاش لمك بعد مولد نوح خمسمائة سنة وخمسا وتسعين سنة وولد له بنون وبنات ثم مات ونكح نوح بن لمك عزرة بنت براكيل بن محويل بن حنوخ بن قين وهو ابن خمسمائة سنة فولدت له ولده ساما وحاما ويافث بنى نوح وكان مولد نوح بعد موت آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة ولما أدرك قال له أبوه لمك قد علمت انه لم يبق فى هذا الجبل غيرنا فلا تستوحش ولا تتبع الامة الخاطئة وكان نوح يدعو قومه ويعظهم فيستخفون به وقيل كان نوح فى عهد بيوراسب وكانوا قومه فدعاهم الى الله تسعمائة وخمسين سنة كلما مضى قرن اتبعهم قرن على ملة واحدة من الكفر حتى انزل الله عليهم العذاب وقال ابن عباس فيما رواه الكلبى عن أبى صالح عنه فولد لملك نوحا وكان له يوم ولد نوح اثنتان وثمانون سنة ولم يكن فى ذلك الزمان أحد ينهى عن منكر فبعث الله اليهم نوحا وهو ابن أربعمائة وثمانين سنة فدعاهم مائة وعشرين سنة ثم أمره الله بصنعة الفلك فصنعها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق ثم مكث من بعد

السفينة

السفينة ثلثمائة سنة وخمسين سنة وروى عن جماعة من السلف انه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على ملة الحق وان الكفر بالله حدث فى القرن الذى بعث اليهم فيه نوح فأرسله الله وهو أوّل نبى بعث بالانذار والدعاء الى التوحيد وهو قول ابن عباس وقتادة

﴿ذكر ملك جمشيد﴾

وأما علماء الفرس فانهم قالوا ملك بعد طهمورث جمشيد والشيد عندهم الشعاع وجم القمر لقبوه بذلك لجماله وهو جم بن ويونجهان وهو أخو طهمورث وقيل انه ملك الاقاليم السبعة وسخر له ما فيها من الجن والانس وعقد التاج على رأسه وأمر لسنة مضت من ملكه الى خمسين سنة بعمل السيوف والدروع وسائر الاسلحة وآلة الصناع من الحديد ومن سنة خمسين من ملكه الى سنة مائة بعمل الابريسم وغزله والقطن والكتان وكل ما يستطاع غزله وحياكة ذلك وصبغه ألوانا ولبسه ومن سنة مائة الى سنة خمسين ومائة صنف الناس أربع طبقات طبقة مقاتلة وطبقة فقهاء وطبقة كتاب وصناع وطبقة حراثين واتخذ منهم خدما ووضع لكل أمر خاتما مخصوصا به فكتب على خاتم الحرب الرفق والمداراة وعلى خاتم الخراج العمارة والعدل وعلى خاتم البريد والرسل الصدق والامانة وعلى خاتم المظالم السياسة والانتصاف وبقيت رسوم تلك الخواتم حتى محاها الاسلام ومن سنة مائة وخمسين الى سنة خمسين ومائتين حارب الشياطين وأذلهم وقهرهم وسخروا له ومن سنة خمسين ومائتين الى سنة ست عشرة وثلثمائة وكل الشياطين بقطع الاحجار والصخور من الجبال وعمل الرخام والجص والكلس والبناء بذلك الحمامات والنقل من البحار والجبال والمعادن والذهب والفضة وسائر ما يذاب من الجواهر وأنواع الطيب والادوية فنفذوا فى ذلك بأمره ثم أمر فصنعت له عجلة من الزجاج فاصفد فيها الشياطين وركبها وأقبل عليها فى الهواء من دنباوند الى بابل فى يوم واحد وهو يوم هرمزروز وافروردين ماه فاتخذ الناس ذلك اليوم عيدا وخمسة أيام بعده وكتب الى الناس فى اليوم السادس يخبرهم انه قد سار فيهم بسيرة ارتضاها الله فكان من جزائه اياه عليها انه قد جنبهم الحر والبرد والاسقام والهرم والحسد فمكث الناس ثلثمائة سنة بعد الثلثمائة والستة عشر سنة لا يصيبهم شئ مما ذكره ثم بنى قنطرة على دجلة فبقيت دهرا طويلا حتى خربها الاسكندر وأراد الملوك عمل مثلها فعجزوا فعدلوا الى عمل الجسور من الخشب ثم ان جما بطر نعمة الله عليه وجمع الانس والجن والشياطين وأخبرهم انه وليهم ومانعهم بقوّته من الاسقام والهرم والموت وتمادى فى غيه فلم يحر أحد منهم جوابا وفقد مكانه بهاءه وعزه وتخلت عنه الملائكة الذين كان الله أمرهم بسياسة أمره فأحس بذلك بيوراسب الذى سمى الضحاك فابتدر الى جم لينتهسه فهرب منه ثم ظفر به بعد ذلك بيوراسب فاستطرد امعاءه وأشره بمنشار وقيل انه ادّعى الربوبية فوثب عليه أخوه ليقتله واسمه اسفنور فتوارى عنه مائة سنة فخرج عليه فى تواريه بيوراسب فغلبه على ملكه وقيل كان ملكه سبعمائة سنة وست عشرة سنة وأربعة أشهر قلت وهذا الفصل من حديث جم قد أتينا به تاما بعد ان كنا عازمين على تركه لما فيه من الاشياء التى تمجها الاسماع وتأباها العقول والطباع فانها من خرافات الفرس مع أشياء أخر قد تقدّمت قبلها وانما ذكرناها ليعلم جهل الفرس فانهم كثيرا ما يشنعون على العرب بجهلهم وما بلغوا هذا ولا نالوه ولو تركناها هذا الفصل لخلا من شئ نذكره من أخبارهم

﴿ذكر الاحداث التي كانت في زمن نوح عليه السلام﴾

قد اختلف العلماء في ديانة القوم الذين ارسل اليهم نوح فمنهم من قال انهم كانوا قد أجمعوا على العمل بما يكرهه الله تعالى من ركوب الفواحش والكفر وشرب الخمور والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله ومنهم من قال انهم كانوا أهل طاعة بيوراسب أول من أظهر القول بمذهب الصابئين وتبعه على ذلك الذين ارسل اليهم نوح وسنذكر أخبار بيوراسب فيما بعد وأما كتاب الله قال فينطق بأنهم أهل أوثان قال تعالى وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا قلت لا تناقض بين هذه الاقاويل الثلاثة فان القول الحق الذي لا يشك فيه هو انهم كانوا أهل أوثان يعبدونها كما نطق به القرآن وهو مذهب طائفة من الصابئين فان أصل مذهب الصابئين عبادة الروحانيين وهم الملائكة لتقربهم الى الله تعالى زلفى فانهم اعترفوا بصانع العالم وانه حكيم قادر مقدس الا انهم قالوا الواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى معرفة جلاله وانما نتقرب اليه بالوسائط المقربة لديه وهم الروحانيون وحيث لم يعاينوا الروحانيين تقربوا اليهم بالهياكل وهي الكواكب السبعة السيارة لانها مدبرة لهذا العالم عندهم ثم ذهبت طائفة منهم وهم أصحاب الاشخاص حيث رأوا ان الهياكل تطلع وتغرب وترى ليلا ولا ترى نهارا الى وضع الاصنام لتكون نصب أعينهم ليتوسلوا بها الى الهياكل والهياكل الى الروحانيين والروحانيون الى صانع العالم فهذا كان أصل وضع الاصنام أولا وقد كان أخيرا في العرب من هو على هذا الاعتقاد قال تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقد حصل من عبادة الاصنام مذهب الصابئين والكفر والفواحش وغير ذلك من المعاصي فلما تمادى قوم نوح على كفرهم وعصيانهم بعث الله اليهم نوحا يحذرهم بأسه ونقمته ويدعوهم الى التوبة والرجوع الى الحق والعمل بما أمر الله تعالى وأرسل نوح وهو ابن خمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما وقال عون بن شداد ان الله تعالى أرسل نوحا وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ثم عاش بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة وقيل غير ذلك وقد تقدم قال ابن اسحق وغيره ان قوم نوح كانوا يبطشون به فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال اللهم اغفر لي ولقومي فانهم لا يعلمون حتى اذا تمادوا في معصيتهم وعظمت منهم الخطيئة وتطاول عليه وعليهم الشأن اشتد عليه البلاء وانتظر النجل بعد النجل فلا يأتي قرن الا كان أخبث من الذي كان قبله حتى ان كان الآخر ليقول قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا مجنونا لا يقبلون منه شيأ وكان يضرب ويلف ويلقى في بيته يرون انه قد مات فاذا أفاق اغتسل وخرج اليهم يدعوهم الى الله فلما طال ذلك عليه ورأى الاولاد شرا من الآباء قال رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان تك لك فيهم حاجة فاهدهم وان يك غير ذلك فصبرني الى أن تحكم فيهم فأوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلما يئس من ايمانهم دعا عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى آخر القصة فلما شكا الى الله واستنصره عليهم أوحى الله اليه ان اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاقبل نوح على عمل الفلك ولها عن دعاء قومه وجعل يهيئ عتاد الفلك من الخشب والحديد والقار وغيرها مما لا يصلحه سواه وجعل قومه يمرون به وهو في عمله فيسخرون منه فيقول ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون قال ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة وأعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم وصنع الفلك من خشب الساج وأمره ان يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثين ذراعا وقال قتادة كان

طولها

طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وقال الحسن كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع والله أعلم وأمر نوحا ان يجعله ثلاث طبقات سفلى ووسطى وعليا ففعل نوح كما أمره الله تعالى حتى اذا فرغ منه وقد عهد الله اليه اذا جاء أمرنا وفار التنور فاحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه فلما فار التنور وكان فيما قيل من حجارة كان لحواء وقال ابن عباس كان ذلك تنورا من أرض الهند وقال مجاهد والشعبي كان التنور بأرض الكوفة وأخبرته زوجته بفوران الماء من التنور وأمر الله جبرائيل فرفع الكعبة الى السماء الرابعة وكانت من ياقوت الجنة كما ذكرناه وخبأ الحجر الاسود بجبل أبي قبيس فبقي فيه الى ان بنى ابراهيم البيت فأخذه فجعله موضعه ولما فار التنور حمل نوح من أمر الله بحمله وهم أولاده الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم وستة أناسي فكانوا مع نوح ثلاث عشرة وقال ابن عباس كان في السفينة ثمانون رجلا أحدهم جرهم كلهم بنو شيث وقال قتادة كانوا ثمانية أنفس نوح وامرأته وثلاثة بنوه ونساؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة ولم يذكر فيهم زوج نوح وحمل معه جسد آدم ثم أدخل ما أمر الله به من الدواب وتخلف عنه ابنه يام وكان كافرا وكان آخر من دخل السفينة الحمار فلما دخل صدره تعلق ابليس بذنبه فلم ترتفع رجلاه فجعل نوح يأمره بالدخول فلا يستطيع حتى قال ادخل وان كان الشيطان معك فقال كلمة زلت على لسانه فلما قالها دخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك يا عدو الله فقال ألم تقل ادخل وان كان الشيطان معك فتركه ولما أمر نوح بادخال الحيوان السفينة قال أي رب كيف أصنع بالاسد والبقرة وكيف أصنع بالعناق والذئب والطير والهر قال الذي ألقى بينها العداوة هو يؤلف بينها فالقى الحمى على الاسد وشغله بنفسه ولذلك قيل

وما الكلب محموما وان طال عمره * ألا انما الحمى على الاسد الورد

وجعل نوح الطير في الطبق الاسفل من السفينة وجعل الوحش في الطبق الاوسط وركب هو ومن معه من بني آدم في الطبق الاعلى فلما اطمأن نوح في الفلك وأدخل فيه كل من أمر به وكان ذلك بعد ستمائة سنة من عمره في قول بعضهم وفي قول بعضهم ما ذكرناه وحمل معه من حمل جاء الماء كما قال الله تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر فكان بين ان أرسل الماء وبين ان احتمل الماء الفلك أربعون يوما وأربعون ليلة وكثر واشتد وارتفع وطمى وغطى نوح عليه وعلى من معه طبق السفينة وجعلت الفلك تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه الذي هلك وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين وكان كافرا قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء وكان عهد الجبال وهي حرز وملجأ فقال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وعلا الماء على رؤس الجبال فكان على أعلى جبل في الارض خمسة عشر ذراعا فهلك ما على وجه الارض من حيوان ونبات فلم يبق الا نوح ومن معه والاعوج بن عنق فيما زعم أهل التوراة وكان بين ارسال الماء وبين ان غاض ستة أشهر وعشر ليال قال ابن عباس أرسل الله المطر أربعين يوما فاقبلت الوحش حين أصابها المطر والطين الى نوح وسخرت له فحمل منها كما أمره الله فركبوا فيها لعشر ليال مضين من رجب وكان ذلك لثلاث عشرة خلت من آب وخرجوا منها يوم عاشوراء من المحرم فلذلك صام من صام يوم عاشوراء وكان الماء نصفين نصفا من السماء ونصفا من الارض وطافت السفينة بالارض كلها لا تستقر حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعا ثم ذهبت في الارض تسير

بهم حتى انتهت الى الجودى وهو جبل بقردى بأرض الموصل فاستقرت عليه فقيل عند ذلك بعدا للقوم الظالمين ولما استقرت قيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء نشفته الارض وأقام نوح فى الفلك الى ان غاض الماء فلما خرج منها اتخذ بناحية من قردى من أرض الجزيرة موضعا وابتنى قرية سموها ثمانين وهى الآن تسمى سوق الثمانين لان كل واحد ممن معه بنى لنفسه بيتا وكانوا ثمانين رجلا قال بعض أهل التوراة لم يولد لنوح الا بعد الطوفان وقيل ان ساما ولد قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة وقيل ان اسم ولده الذى أغرق كان كنعان وهو يام وأما المجوس فانهم لا يعرفون الطوفان ويقولون لم يزل الملك فينا من عهد جيومرث وهو آدم قالوا ولو كان كذلك لكان نسب القوم قد انقطع وملكهم قد اضمحل وكان بعضهم يقر بالطوفان ويزعم انه كان فى اقليم بابل وما قرب منه وان مساكن ولد جيومرث كانت بالمشرق فلم يصل ذلك اليهم وقول الله تعالى أصدق فى ان ذرية نوح هم الباقون فلم يعقب أحد ممن كان معه فى السفينة غير ولده سام وحام ويافث ولما حضرت نوحا الوفاة قيل له كيف رأيت الدنيا قال كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وأوصى الى ابنه سام وكان أكبر ولده

﴿ذكر بيوراسب وهو الازدهاق الذى يسميه العرب الضحاك﴾

وأهل اليمن يدعون أن الضحاك منهم وانه أول الفراعنة وكان ملك مصر لما قدمها ابراهيم الخليل والفرس تذكر انه منهم وتنسبه اليهم وانه بيوراسب بن اروند اسب بن رينكار بن وندريشتك بن تازين بن فروال بن سيامك بن ميشى بن جيومرث ومنهم من ينسبه هذه النسبة وزعم أهل الاخبار انه ملك الاقاليم السبعة وانه كان ساحرا فاجرا قال هشام بن الكلبى ملك الضحاك بعد جم فيما يزعمون والله أعلم ألف سنة ونزل السواد فى قرية يقال لها برس فى ناحية طريق الكوفة وملك الارض كلها وسار بالجور والعسف وبسط يده فى القتل وكان أول من سن الصلب والقطع وأول من وضع العشور وضرب الدراهم وأول من تغنى وغنى له قال وبلغنا ان الضحاك هو نمرود وان ابراهيم عليه السلام ولد فى زمانه وانه صاحبه الذى أراد احراقه وتزعم الفرس ان الملك لم يكن الا للبطن الذى منه أوشهنج وجم وطهمورث وان الضحاك كان غاصبا وانه غصب أهل الارض بسحره وخبثه وهول عليهم بالحيتين اللتين كانتا على منكبيه وقال كثير من أهل الكتب ان الذى كان على منكبيه كان لحمتين طويلتين كل واحدة منهما كرأس الثعبان وكان يسترهما بالثياب ويذكر على طريق التهويل أنهما حيتان يقتضيانه الطعام وكانتا تتحركان تحت ثوبه اذا جاع ولقى الناس منه جهدا شديدا وذبح الصبيان لان اللحمتين اللتين كانتا على منكبيه كانتا تضربانه فاذا اطلاهما بدماغ انسان سكنتا فكان يذبح كل يوم رجلين فلم يزل الناس كذلك حتى اذا أراد الله هلاكه وثب رجل من العامة من أهل أصبهان يقال له كابى بسبب ابنين له أخذهما أصحاب بيوراسب بسبب اللحمتين اللتين على منكبيه وأخذ كابى عصا كانت بيده فعلق بطرفها جرابا كان معه ثم نصب ذلك كالعلم ودعا الناس الى مجاهدة بيوراسب ومحاربته فاسرع الى اجابته خلق كثير لما كانوا فيه من البلاء وفنون الجور فلما غلب كابى تفاءل الناس بذلك العلم فعظموه وزادوا فيه حتى صار عند ملوك العجم علمهم الاكبر الذى يتبركون به وسموه درفش كابيان فكانوا لا يسيرونه الا فى الامور الكبار العظام ولا يرفع الا لاولاد الملوك اذا وجهوا فى الامور الكبار وكان من خبر كابى أنه من أهل أصبهان فثار بمن اتبعه فالتفت الخلائق اليه فلما أشرف على

الضحاك قذف فى قلب الضحاك منه الرعب فهرب عن منازله وخلى مكانه فاجتمع الاعاجم الى كابى فاعلمهم انه لا يتعرض للملك لانه ليس من أهله وأمرهم ان يملكوا بعض ولد جم لانه ابن الملك أوشهنج الاكبر بن فروال الذى رسم الملك وسبق فى القيام به وكان أفريدون بن اثفيان مستخفيا من الضحاك فوافى كابى ومن معه فاستبشروا بموافاته فملكوه وصار كابى والوجوه لافريدون اعوانا على أمره فلما ملك وأحكم ما احتاج اليه من أمر الملك واحتوى على منازل الضحاك وسار فى أثره فأسره بدنباوند فى جبالها وبعض المجوس تزعم انه وكل به قوما من الجن وبعضهم يقول انه لقى سليمان بن داود وحبسه سليمان فى جبل دنباوند وكان ذلك الزمان بالشام فابرح بيوراسب بحبسه يجره حتى حمله الى خراسان فلما عرف سليمان ذلك أمر الجن فأوثقوه حتى لا يزول وعملوا عليه طلسما كرجلين يدقان باب الغار الذى حبس فيه أبدا لئلا يخرج فانه عندهم لا يموت وهذا أيضا من أكاذيب الفرس البارده ولهم فيه أكاذيب اعجب من هذا تركنا ذكرها وبعض الفرس يزعم ان افريدون قتله يوم النيروز فقال العجم عند قتله امروز نو روز أى استقبلنا الدهر بيوم جديد فاتخذوه عيدا وكان أسره يوم المهرجان فقال العجم امد مهرجان لقتل من كان يذبح وزعموا انهم لم يسمعوا فى أمور الضحاك بشئ يستحسن غير شئ واحد وهو أن بليته لما اشتدت ودام جوره وتراسل الوجوه فى أمره فاجمعوا على المصير الى بابه فوافاه الوجوه فاتفقوا على ان يدخل عليه كابى الاصبهانى فدخل عليه ولم يسلم فقال أيها الملك أى السلام أسلم عليك سلام من يملك الاقاليم كلها أم سلام من يملك هذا الاقليم فقال بل سلام من يملك الاقاليم لانى ملك الارض فقال كابى اذ كنت تملك الاقاليم كلها فلم خصصتنا بأثقالك واسبابك من بينهم ولم لا تقسم الامور بيننا وبينهم وعدد عليه أشياء كثيرة فصدقه فعمل كلامه فى الضحاك فأقر بالاساءة وتألف القوم ووعدهم بما يحبون وأمرهم بالانصراف ليعودوا ويقضى حوائجهم ثم ينصرفوا الى بلادهم وكانت أمه حاضرة تسمع معاتبتهم وكانت شرا منه فلما خرج القوم دخلت مغتاظة من احتماله وحلمه عنهم فوبخته وقالت له الا أهلكتهم وقطعت أيديهم فلما أكثرت عليه قال لها يا هذه لا تفكرى فى شئ الا وقد سبقت اليه الا ان القوم بدهونى بالحق وقرعونى به فكلما هممت بهم تخيل لى الحق بمنزلة الجبل بينى وبينهم فما أمكننى فيهم شئ ثم جلس لاهل النواحى فوفى لهم بما وعدهم وقضى أكثر حوائجهم وقال بعضهم كان ملكه ستمائة سنة وكان عمره ألف سنة وانه كان فى باقى عمره شبيها بالملك لقدرته ونفوذ أمره وقيل كان ملكه ألف سنة ومائة سنة وانما ذكرنا خبر بيوراسب ههنا لان بعضهم يزعم ان نوحا كان فى زمانه وانما أرسل اليه والى أهل مملكته وقيل انه هو الذى بنى مدينة بابل ومدينة صور ومدينة دمشق

﴿ذكر ذرية نوح عليه السلام﴾

قال النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين انهم سام وحام ويافث وقال وهب بن منبه ان سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم وان حام أبو السودان وان يافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج وقيل ان القبط من ولد قوط بن حام وانما كان السودان فى نسل حام لان نوحا نام فانكشفت سوأته فرآها حام فلم يغطها ورآها سام ويافث فألقيا عليه ثوبا فلما استيقظ علم ما صنع حام واخوته فدعا عليهم قال ابن اسحق فكانت امرأة سام بن نوح صلب ابنة بتاويل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم فولدت له نفرا أرفخشذ واشوذ ولاوذ وآرم قال ولا أدرى آرم لام أرفخشذ واخوته أم لا فمن ولد لاوذ بن سام فارس وجرجان وطسم وعمليق وهو أبو العماليق

العزيز بن مروان بن الحكم رضى الله عنه ولمع من اخباره وسيره وزهده

ذكر أيام يزيد بن عبد الملك ولمع من اخباره وسيره

ذكر أيام هشام بن عبد الملك ولمع من اخباره وسيره

ذكر أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك ولمع من اخباره وسيره

ذكر أيام يزيد بن الوليد بن عبد الملك وابراهيم بن الوليد ابن عبد الملك ولمع من اخبارهما

ذكر السبب فى العصبية بين اليمانية والنزارية وما ولد ذلك على بنى أمية من العصبية

ذكر أيام مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم وحروبه ومقتله

ذكر مقدار المدة من الزمان وما ملكت فيه بنو أمية من الاعوام

ذكر الدولة العباسية ولمع من اخبار مروان ومقتله وجوامع من حروبه وسيره

ذكر خلافة السفاح وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان فى ايامه

ذكر خلافة المنصور وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان فى ايامه

ذكر خلافة المهدى وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان فى ايامه

ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون والفراعنة بمصر وكان أهل البحرين وعمان منهم ويسمون جاسم وكان منهم بنو أميم بن لاوذ أهل وبار بأرض الرمل وهى بين اليمامة والشحر وكانوا قد كثروا فأصابتهم نقمة من الله من معصية أصابوها فهلكوا وبقيت منهم بقية وهم الذين يقال لهم النسناس وكان طسم ساكنى اليمامة الى البحرين فكانت طسم والعماليق وأميم وجاسم قوما عربا لسانهم عربى ولحقت عبيل بيثرب قبل ان تبنى ولحقت العماليق بصنعاء قبل أن تسمى صنعاء وانحدر بعضهم الى يثرب فأخرجوا منها عبيلا فنزلوا موضع الجحفة فأقبل سيل فاجتحفهم أى أهلكهم فسميت الجحفة قال وولد آرم بن سام عوض وعابر وحويل فولد عوض عابر وعادو عبيل وولد عابر بن آرم ثمود وجديس وكانوا عربا يتكلمون بهذا اللسان المضرى وكانت العرب تقول لهذه الامم ولجرهم العرب العاربة ويقولون لبنى اسمعيل العرب المتعربة لانهم انما تكلموا بلسان هذه الامم حين سكنوا بين أظهرهم فكانت عاد بهذا الرمل الى حضرموت وكانت ثمود بالحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى ولحقت جديس بطسم وكانوا معهم باليمامة الى البحرين واسم اليمامة اذ ذاك جو وسكنت جاسم عمان والنبط من ولد نبيط بن ماش بن آرم بن سام والفرس بنو فارس بن تيرش بن ماسور بن سام قال وولد لارفخشذ بن سام ابنه قينان كان ساحرا وولد لقينان شالخ بن أرفخشذ من غير ذكر قينان لما ذكر من سحره وولد لشالخ عابر ولعابر فالغ ومعناه القاسم لان الارض قسمت والالسن تبلبلت فى أيامه وقحطان بن عابر فولد لقحطان يعرب ويقطان فنزلا اليمن وكان أول من سكن اليمن وأول من سلم عليه بأبيت اللعن وولد لفالغ بن عابر ارغو وولد لارغو ساروغ وولد لساروغ ناحور وولد لناحور تارخ واسمه بالعربية آزر وولد لآزر ابراهيم عليه السلام وولد لارفخشذ أيضا نمروذ وقيل هو نمروذ ابن كوش بن حام بن نوح قال هشام بن الكلبى السند والهند بنو توقير بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وجرهم من ولد يقطن بن عابر وحضرموت بن يقطن ويقطن هو قحطان فى قول من نسبه الى غير اسمعيل والبربر من ولد ثميلا بن مارب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ما خلا صنهاجة وكتامة فانهما بنو فريقش بن صيفى بن سبا وأما يافث فمن ولده جامر وموعع وموركى وبوان وفوبا وماشج وتيرش فمن ولد جامر ملوك فارس فى قول ومن ولد تيرش الترك والخزر ومن ولد ماشج الاشبان * ومن ولد موعع يأجوج ومأجوج ومن ولد بوان الصقالبة وبرجان والاشبان كانوا فى القديم بأرض الروم قبل ان يقع بها من وقع من ولد العيص ابن اسحق وغيرهم وقصد كل فريق من هؤلاء الثلاثة سام وحام ويافث أرضا فسكنوها ودفعوا غيرهم عنها ومن ولد يافث الروم وهم بنو لنطى بن يونان بن يافث بن نوح وأما حام فولد له كوش ومصرايم وقوط وكنعان فمن ولد كوش نمروذ بن كوش وقيل هو من ولد سام وصارت بقية ولد حام بالسواحل من النوبة والحبشة والزنج ويقال ان مصرايم ولد القبط والبربر وأما قوط فقيل انه سار الى الهند والسند فنزلها وأهلها من ولده وأما الكنعانيون فلحق بعضهم بالشام ثم جاءت بنو اسرائيل فقتلوهم بها ونفوهم عنها وصار الشام لبنى اسرائيل ثم وثبت الروم على بنى اسرائيل فأجلوهم عن الشام الى العراق الا قليلا منهم ثم جاءت العرب فغلبوا على الشام وكان يقال لعاد عاد ارم فلما هلكوا قيل لثمود ثمود ارم قال وزعم أهل التوراة ان أرفخشذ ولد لسام بعد ان مضى من عمر سام مائة سنة وسنتان وكان جميع عمر سام ستمائة سنة ثم ولد لارفخشذ قينان بعد ان مضى من عمر أرفخشذ خمس وثلاثون سنة وكان عمره أربعمائة وثمانيا وثلاثين سنة ثم ولد

لقينان

ذكر خلافة الهادى وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه

ذكر خلافة الرشيد وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه

ذكر البرامكة وأخبارهم وما كان منهم فى أيامهم

ذكر خلافة الامين وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه

ذكر خلافة المأمون وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه

ذكر خلافة المعتصم وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه

ذكر خلافة الواثق وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه

ذكر خلافة المتوكل وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه

ذكر خلافة المنتصر وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه

ذكر خلافة المستعين وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه

ذكر خلافة المعتز وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه

ذكر خلافة المهتدى وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان فى أيامه

ذكر خلافة المعتمد وجمل

لقينان شالخ بعد ان مضى من عمره تسع وثلاثون سنة ولم نذكر مدة عمر قينان فى الكتب لما ذكرنا من عمره ثم ولد لشالخ عابر بعد ما مضى من عمره ثلاثون سنة وكان عمره كله أربعمائة وثلاثا وثلاثين سنة ثم ولد لعابر فالغ وأخوه قحطان وكان مولد فالغ بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة وكان عمره أربعمائة وأربعا وسبعين سنة ثم ولد لفالغ أرغو بعد ثلاثين سنة من عمر فالغ وكان عمره مائتين وتسعا وثلاثين سنة وولد لارغو ساروغ بعد ما مضى من عمره اثنتان وثلاثون سنة وكان عمره مائتين وتسعا وثلاثين سنة وولد لساروغ ناخور بعد ثلاثين سنة من عمره وكان عمره كا مائتين وثلاثين سنة ثم ولد لناخور تارخ أبو ابراهيم بعد ما مضى من عمره سبع وعشرون سنه وكان عمره كله مائتين وثمانيا وأربعين سنة وولد لتارخ وهو آزر ابراهيم عليه السلام وكان بين الطوفان ومولد ابراهيم ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف سنة وثلثمائة وسبع وثلاثين سنة وولد لقحطان بن عابر يعرب فولد ليعرب يشجب فولد ليشجب سبا فولد لسبا حمير وكهلان وعمرو والاشعر وأنمار ومرا فولد لعمرو بن سبا عديا وولد لعدى لخم وجذاما

﴿ذكر ملك افريدون﴾

وهو افريدون بن اثغيان وهو من ولد جمشيد وقد زعم بعض نسابة الفرس ان نوحا هو افريدون الذى قهر الضحاك وسلبه ملكه وزعم بعضهم ان افريدون هو ذو القرنين صاحب ابراهيم الذى ذكره الله فى كلامه العزيز وانما ذكرته فى هذا الموضع لان قصته فى أولاده الثلاثة شبيهة بقصة نوح على ما سيأتى ولحسن سيرته وهلاك الضحاك على يديه ولانه قيل ان هلاك الضحاك كان على يد نوح وأما باقى نسابة الفرس فانهم ينسبون افريدون الى جمشيد الملك وكان بينهما عشرة آباء كلهم يسمى اثغيان خوفا من الضحاك وانما كانوا يتميزون بالقاب لقبوها فكان يقال لاحدهم اثغيان صاحب البقر الحمر واثغيان صاحب البقر البلق واشباه ذلك وكان افريدون أول من ذلل الفيلة وامتطاها ونتج البغال واتخذ الاوز والحمام وعمل الترياق ورد المظالم وأمر الناس بعبادة الله والانصاف والاحسان ورد على الناس ما كان الضحاك غصبه من الارض وغيرها الا ما لم يجد له صاحبا فانه وقفه على المساكين وقيل انه أول من سمى الصوفى وهو أول من نظر فى علم الطب وكان له ثلاثة بنين اسم الاكبر شرم والثانى طوج والثالث ايرج فخاف ان يختلفوا بعده فقسم ملكه بينهم اثلاثا وجعل ذلك فى سهام كتب أسماءهم عليها وأمر كل واحد منهم فاخذ سهما فصارت الروم وناحية العرب لشرم وصارت الترك والصين لطوج وصارت العراق والسند والهند والحجاز وغيرها لايرج وهو الثالث وكان يحبه وأعطاه التاج والسرير ومات افريدون ونشبت العداوة بين أولاده وأولادهم من بعدهم ولم يزل التحاسد بينهم وبينهم الى ان وثب طوج وشرم على أخيهما ايرج فقتلاه وقتلا ابنين كانا لايرج وملكا الارض بينهما ثلثمائة سنة ولم يزل افريدون يتبع من بقى بالسواد من آل نمرود والنبط وغيرهم حتى أتى على وجوههم ومحا أعلامهم وكان ملكه خمسمائة سنة

﴿ذكر الاحداث التى كانت بين نوح وابراهيم﴾

قد ذكرنا ما كان من أمر نوح وأمر ولده واقتسامهم الارض بعده ومساكن كل فريق منهم فكان ممن طغى وبغى فأرسل الله اليهم رسولا فكذبوه فأهلكهم الله هذان الحيان من ولد ارم بن

سام بن نوح أحدهما عاد والثاني ثمود فاما عاد فهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهو عاد الاولى وكانت مساكنهم مابين الشحر وعمان وحضرموت بالاحقاف فكانوا جبارين طوال القامة لم يكن مثلهم يقول الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فأرسل الله اليهم هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص ومن الناس من يزعم انه هود وهو عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وكانوا أهل أوثان ثلاثة يقال لاحدها صدا وللآخر صمود وللثالث الهباء فدعاهم الى توحيد الله وافراده بالعبادة دون غيره وترك ظلم الناس فكذبوه وقالوا من أشد منا قوة ولم يؤمن به ودمنهم الا قليل وكان من أمره ما ذكره ابن اسحق قال ان عادا أصابهم قحط تتابع عليهم بتكذيبهم هودا فلما أصابهم قالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة يستسقون لكم فبعثوا قيل بن عير ولقيم بن هزال ومرثد بن سعد وكان مسلما يكتم اسلامه وجلهمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر ولقمان بن عاد بن فلان بن عاد الاكبر في سبعين رجلا من قومهم فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر بظاهر مكة خارجا عن الحرم فاكرمهم وكانوا اخواله وصهره لان لقيم بن هزال كان تزوج هزيلة بنت بكر أخت معاوية فأولدها أولادا كانوا عند خالهم معاوية بمكة وهم عبيد وعمرو وعامر وعمير بنو لقيم وهم عاد الآخرة التي بقيت بعد عاد الاولى فلما نزلوا على معاوية أقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية فلما رأى معاوية طول مقامهم وتركهم ما أرسلوا له شق عليه ذلك وقال هلك اخوالي واستحيا ان يأمر الوفد بالخروج الى ما بعثوا له فذكر ذلك للجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قائله لعلهم يتحركون فقال معاوية

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يصبحنا غماما
فيسقي أرض عاد ان عادا * قد أمسوا لا يبينون الكلاما

في أبيات ذكرها والهينمة الكلام الخفي فلما غنتهم الجرادتان ذلك الشعر وسمعه القوم قال بعضهم لبعض يا قوم بعثكم قومكم يتغوثون بكم من البلاء الذي نزل بهم فابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد انهم والله لا يسقون بدعائكم ولكن أطيعوا نبيكم فأنتم تسقون وأظهر اسلامه عند ذلك فقال جلهمة بن الخيبري خال معاوية لمعاوية بن بكر احبس عنا مرثد بن سعد وخرجوا الى مكة يستسقون بها لعاد فدعوا الله تعالى لقومهم واستسقوا فأنشأ الله سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ونادى مناد منها يا قيل اختر لنفسك وقومك فقال قد اخترت السحابة السوداء فانها أكثر ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لا تبقي من عاد أحدا لا ولدا تترك ولا والدا الا جعلته همدا الا بني اللوذية المهدي وبنو اللوذية بنو لقيم بن هزال كانوا بمكة عند خالهم معاوية بن بكر وساق الله السحابة السوداء بما فيها من العذاب الى عاد فخرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها أي كل شئ أمرت به وكان أول من رأى ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها فهدد فلما رأت ما فيها صاحت وصعقت فلما أفاقت قالوا ماذا رأيت قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار امامها رجال يقودونها فلما خرجت الريح من الوادي قال شعبة رهط من الخلجان تعالوا حتى نقوم على شفير الوادي فنردها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله فتدق عنقه وبقي الخلجان فمال الى الجبل وقال

عن ذوي الدراية في اعدادهم

(قال المسعودي) فهذه جوامع ماحوى هذا الكتاب من الابواب على انه يأتي في كل باب مما ذكرناه من أنواع العلوم وفنون الاخبار والآثار مالم تأت عليه تراجم الابواب وهو مرتب على حسب ماقدمناه من أبوابه على تفصيل منا لتاريخ الخلفاء ومقادير أعمارهم بابواب نفردها عن سيرهم وأخبارهم ثم نعقب بعد ذلك بالغرر من أخبارهم والعيون من سيرهم والجوامع مما كان في أعصارهم وأخبار وزرائهم وماجرى من أنواع العلوم في مجالسهم ملوحين بذلك الى ما سلف من تصنيفنا وتقدم من تأليفنا في هذه المعاني والفنون وعدد ما اجتمع من جميع ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب مائة واثنان وثلاثون بابا أولها ذكر جميع اغراض هذا الباب * والثاني ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب وآخرها ذكر من حج بالناس من أول الاسلام الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وذكر جمل القابهم

لم يبق الا الجلجان نفسه * بالك من يوم دهاني أمسه
بثابت الوطء شديد وطسه * لو لم يجئني جئته أجسه

فقال له هود أسلم تسلم فقال ومالى قال الجنة فقال فما هؤلاء الذين فى السحاب كأنهم البخت قال الملائكة قال أيعيذنى ربك منهم ان اسلمت قال هل رأيت ملكا لا يعيذ من جنده قال لو فعل مارضيت ثم جاءت الريح وألحقته بأصحابه وسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما كما قال تعالى والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد أحدا الا هلك واعتزل هود والمؤمنون فى حظيرة لم يصبه ومن معه الا تلين الجلود وانها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وعاد وفد عاد الى معاوية بن بكر فنزلوا عليه فأتاهم رجل على ناقة فأخبرهم بمصاب عاد وسلامة هود قال وكان قد قيل للقمان بن عاد اختر لنفسك الا انه لا سبيل الى الخلود فقال يارب أعطنى عمرا وقيل له اختر فاختار عمر سبعة أنسر فعمر فيما يزعمون عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ الذكر حين يخرج من بيضته حتى اذا مات أخذ غيره وكان يعيش كل نسر ثمانين سنة فلما مات السابع مات لقمان معه وكان السابع يسمى لبدا قال وكان عمر هود مائة وخمسين سنة وقبره بحضرموت وقيل بالحجر من مكة فلما اهلكوا أرسل الله طيرا أسود فنقلتهم الى البحر فذلك قوله تعالى فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم ولم تخرج ريح قط الا بمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فذلك قوله أهلكوا بريح صرصر عاتية وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم البيت على من فيه وأما ثمود فهم ولد ثمود بن جاثر بن ارم بن سام وكانت مساكن ثمود بالحجر بين الحجاز والشام وكانوا بعد عاد قد كثروا وكفروا وعتوا فبعث الله اليهم صالح بن عبيد بن اسف بن ماشح بن عبيد بن جادر بن ثمود وقيل اسف بن كاشح بن اروم بن ثمود يدعوهم الى توحيد الله تعالى وافراده بالعبادة فقالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا وكان الله قد اطال اعمارهم حتى ان كان أحدهم يبنى البيت من المدر فينهدم وهو حى فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فارهين فنحتوها وكانوا فى سعة من معايشهم ولم يزل صالح يدعوهم فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم بالدعاء والتحذير والتخويف سألوه فقالوا يا صالح اخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه بأصنامهم فأرنا آية فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال نعم فخرجوا بأصنامهم وصالح معهم فدعوا أصنامهم ان لا يستجاب لصالح ما يدعو به وقال له سيد قومه يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة ناقة جوفاء عشراء فان فعلت ذلك صدقناك فأخذ عليهم المواثيق بذلك وأتى الصخرة وصلى ودعا ربه عز وجل فاذا هى تتمخض كما تتمخض الحامل ثم انفجرت وخرجت من وسطها الناقة كما طلبوا وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها فى العظم فآمن به سيد قومه واسمه جندع بن عمرو ورهط من قومه فلما خرجت الناقة قال لهم صالح هذه الناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ومتى عقرتموها أهلككم الله فكان شربها يوما وشربهم يوما معلوما فاذا كان يوم شربها خلوا بينها وبين الماء وحلبوا لبنها وملؤا كل وعاء واناء واذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء فلم تشرب منه شيأ وتزودوا من الماء للغد فأوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون الناقة فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل قال الا تعقروها أنتم يوشك ان يولد فيكم مولود يعقرها قالوا وما علامته فوالله لا نجده الا قتلناه قال فانه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر قال فكان فى المدينة شيخان عزيزان منيعان لاحدهما ابن رغب له عن المناكح وللآخر ابنة لا يجد لها كفؤا فزوج أحدهما ابنه بابنة الآخر فولد بينهما المولود فلما قال لهم صالح اعما

﴿بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقى الا بالله﴾

﴿ذكر المبدء وشأن الخليفة وذرء البرية﴾

اتفق أهل العلم جميعا من أهل الاسلام ان الله عز وجل خلق الاشياء على غير مثال وابتدعها من غير أصل ثم روى عن ابن عباس وغيره أن أول ما خلق الله عز وجل الماء وكان عرشه عليه فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع الدخان فوق الماء فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين فى يومين الاحد والاثنين وخلق الارض على حوت والحوت هو الذى ذكره الله سبحانه فى القرآن فى قوله تعالى ن والقلم وما يسطرون والحوت فى الماء والماء على الصفا والصفا على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة على الريح وهى الصخرة التى ذكرها الله تعالى فى القرآن حكاية عن قول لقمان لابنه يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير فاضطرب الحوت فتزلزلت الارض فأرسى الله عليها الجبال فقرت الارض وذلك قوله

يعقرها مولود فيكم اختار واقوابل من القرية وجعلوا معهن شرطا يطوفون في القرية فاذا وجدوا امرأة تلد نظروا ولدها ما هو فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة وقلن هذا الذي يريد نبي الله صالح فأراد الشرط ان يأخذوه فحال جداه بينهم وبينه وقالوا لو أراد صالح هذا لقتلناه فكان شر مولود وكان يشب في اليوم شباب غيره في الجمعة فاجتمع تسعة رهط منهم يفسدون في الارض ولا يصلحون كانوا قتلوا أبناءهم حين ولدوا خوفا ان يكون عاقر الناقة منهم ثم ندموا فاقسموا ليقتلن صالحا وأهله وقالوا نخرج فترى الناس أنا نريد السفر فنأتي الغار الذي على طريق صالح فنكون فيه فاذا جاء الليل وخرج صالح الى مسجده قتلناه ثم رجعنا الى الغار ثم انصرفنا الى رحالنا وقلنا ما شهدنا قتله فيصدقنا قومه وكان صالح لا يبيت معهم كان يخرج الى مسجد له يعرف بمسجد صالح فيبيت فيه فلما دخلوا الغار سقطت عليهم صخرة فقتلتهم فانطلق رجال ممن عرف الحال الى الغار فرأوهم هلكى فعادوا يصيحون ان صالحا أمرهم بقتل أولادهم ثم قتلهم وقيل انما كان تقاسم التسعة على قتل صالح بعد عقر الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب وذلك ان التسعة الذين عقروا الناقة قالوا تعالوا فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلنا قتله وان كان كاذبا ألحقناه بالناقة فأتوه ليلا في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فهلكوا فأتى أصحابهم فرأوهم هلكى فقالوا لصالح أنت قتلتهم وأرادوا قتله فمنعهم عشيرته وقالوا انه قد أنذركم العذاب فان كان صادقا فلا تزيدوا ربكم غضبا وان كان كاذبا فنحن نسلمه اليكم فعادوا عنه فعلى القول الاول يكون التسعة الذين تقاسموا غير الذين عقروا الناقة والثاني أصح والله أعلم وأما سبب قتل الناقة فقيل ان قدار بن سالف جلس مع نفر يشربون الخمر فلم يقدروا على ماء يمزجون به خمرهم لانه كان يوم شرب الناقة فحرض بعضهم بعضا على قتلها وقيل ان ثمودا كان فيهم امرأتان يقال لاحداهما قطام وللاخرى قبال وكان قدار يهوى قطام ومصدع يهوى قبال ويجتمعان بهما ففي بعض الليالي قالتا لقدار ومصدع لا سبيل لكما الينا حتى تقتلا الناقة فقالا نعم وخرجا وجمعا أصحابهما وقصدا الناقة وهي على حوضها فقال الشقي لاحدهم اذهب فاعقرها فأتاها فتعاظمه ذلك فاضربت عنه وبعث آخر فاعظم ذلك وجعل لا يبعث أحدا الا تعاظمه قتلها حتى مشى هو اليها فتطاول فضرب عرقوبها فوقعت تركض وكان قتلها يوم الاربعاء واسمه بلغتهم جبار وكان هلاكهم يوم الاحد وهو عندهم أول فلما قتلت أتى رجل منهم صالحا فقال أدرك الناقة فقد عقروها فاقبل وخرجوا يتلقونه يعتذرون اليه يا نبي الله انما عقرها فلان انه لا ذنب لنا قال انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى الله ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه ولما رأى الفصيل أمه تضطرب قصد جبلا يقال له القارة قصيرا فصعده وذهبوا يطلبونه فأوحى الله الى الجبل فطال في السماء حتى ما يناله الطير ودخل صالح القرية ولما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم استقبل صالحا فرغا ثلاثا فقال صالح لكل رغوة أجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وآية العذاب أن وجوهكم تصبح في اليوم الاول مصفرة وتصبح في اليوم الثاني محمرة وتصبح في اليوم الثالث مسودة فلما أصبحوا اذا وجوههم كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم فلما أصبحوا في اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة فلما أصبحوا في اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فتكفنوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصبر والمر وكانت أكفانهم الانطاع ثم ألقوا انفسهم الى الارض فجعلوا يقلبون أبصارهم الى السماء والارض لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما أصبحوا في اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء

تعالى وجعل فيها رواسي أن تميد بكم وخلق الجبال فيها وخلق أقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في يوم الثلاثاء والاربعاء وذلك قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فكان ذلك الدخان من نفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبعا في يومين في يوم الخميس والجمعة وانما سمى الجمعة لان الله جمع فيه خلق السموات والارض ثم قال وأوحى في كل سماء أمرها يقول خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد وان سماء الدنيا من زمردة خضراء والسماء الثانية من فضة بيضاء والسماء الثالثة من ياقوتة حمراء والسماء الرابعة من درة بيضاء والسماء الخامسة من ذهب أحمر والسماء السادسة من ياقوتة صفراء والسماء السابعة من نور قد طبقها

فيها

فيها صوت كالصاعقة فتقطعت قلوبهم في صدورهم فأصبحوا في ديارهم جاثمين وأهلك الله من كان بين المشارق والمغارب منهم الا رجلا كان في الحرم فمنعه الحرم قيل ومن هو قيل أبو رغال وهو أبو ثقيف في قول ولما سار النبي صلى الله عليه وسلم أتى على قرية ثمود فقال لاصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها وأراهم مرتقى الفصيل في الجبل وأراهم الفج الذي كانت الناقة ترد منه الماء وأما صالح عليه السلام فانه سار الى الشأم فنزل فلسطين ثم انتقل الى مكة فأقام بها يعبد الله حتى مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة وكان قد أقام في قومه يدعوهم عشرين سنة وأما أهل التوراة فانهم يزعمون انه لا ذكر لعاد وهود وثمود وصالح في التوراة قال وأمرهم عند العرب في الجاهلية والاسلام كشهرة ابراهيم الخليل عليه السلام (قلت) وليس انكارهم ذلك بأعجب من انكارهم نبوة ابراهيم الخليل ورسالته وكذلك انكارهم حال المسيح عليه السلام

﴿ذكر ابراهيم الخليل عليه السلام ومن كان في عصره من ملوك العجم﴾

وهو ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام واختلف في الموضع الذي كان فيه والموضع الذي ولد فيه فقيل ولد بالسوس من أرض الاهواز وقيل ولد ببابل وقيل بكوثى وقيل بحران ولكن آباه نقله قال عامة أهل العلم كان مولده في عهد نمروذ بن كوش ويقول عامة أهل الاخبار ان نمروذ كان عاملا للازدهاق الذي زعم بعض من زعم ان نوحا أرسل اليه واما جماعة من سلف من العلماء فانهم يقولون كان ملكا برأسه قال ابن اسحق وكان ملكه قد أحاط بمشارق الارض ومغاربها وكان ببابل قال ويقال لم يجتمع ملك الارض الا لثلاثة ملوك نمروذ وذي القرنين وسليمان بن داود وأضاف غيره اليهم بختنصر وسنذكر بطلان هذا القول فلما أراد الله ان يبعث ابراهيم حجة على خلقه ورسولا الى عباده ولم يكن فيما بينه وبين نوح نبي الا هود وصالح فلما تقارب زمان ابراهيم اتى أصحاب النجوم نمروذ فقالوا له انا نجد غلاما يولد في قريتك هذه يقال له ابراهيم يفارق دينكم ويكسر أصنامكم في شهر كذا من سنة كذا فلما دخلت السنة التي ذكر واحبس نمروذ الحبالى عنده الا أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانه لم يظهر عليها اثره فذبح كل غلام ولد في ذلك الوقت فلما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبة منها فولدت ابراهيم وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه المغارة ثم سعت الى بيتها راجعة ثم كانت تطالعه لتنظر ما فعل فكان يشب في اليوم ما يشب غيره في الشهر وكانت تجده حيا يمص ابهامه جعل الله رزقه فيها وكان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وقيل بل علم آزر بولادة ابراهيم وكتمه حتى نسي الملك ذكر ذلك فقال آزر ان لي ابنا قد خبأته أفتخافون عليه الملك ان أنا جئت به فقالوا لا فانطلق فأخرجه من السرب فلما نظر الى الدواب والى الخلق ولم يكن رأى قبل ذلك غير أبيه وأمه فجعل يسأل أباه عما يراه فيقول أبوه هذا بعير أو بقرة أو غير ذلك فقال ما لهؤلاء الخلق بد من ان يكون لهم رب وكان خروجه بعد غروب الشمس فرفع رأسه الى السماء فاذا هو بالكوكب وهو المشتري فقال هذا ربي فلم يلبث أن غاب فقال لا احب الآفلين وكان خروجه في آخر الشهر فلهذا رأى الكوكب قبل القمر وقيل كان تفكر وعمره خمسة عشر شهرا وقال لامه وهو في المغارة أخرجيني انظر فأخرجته عشاء فنظر فرأى الكوكب وتفكر في خلق السموات والارض وقال في الكوكب ما تقدم فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما غاب قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين

الله ملائكة قيام على رجل واحدة تعظيما لله لقربهم منه قد خرقت أرجلهم الارض السابعة واستقرت اقدامهم على مسيرة خمسمائة عام تحت الارض السابعة ورؤسهم تحت العرش من غير أن تبلغ العرش وهم يقولون لا اله الا الله ذو العرش المجيد فهم على ذلك منذ خلقوا الى أن تقوم الساعة وتحت العرش بحر تنزل منه أرزاق الحيوان يوحي الله تعالى اليه فيمطر ما شاء الله من سماء الى سماء حتى ينتهي الى موضع يقال له الابرم فيوحي الله الى الريح فتحمله الى السحاب فتغربله وتحت سماء الدنيا بحر من ماء يطفح فيه من الدواب مثل ما في بحور الارض مستمسك بالقدرة وان الله تعالى أسكن ظهر الارض لما فرغ من خلقها الجن قبل آدم فجعلهم من مارج من نار وابليس فيهم فنهاهم الله ان يسفكوا دم البهائم ويظهروا المعصية بينهم فسفكوا وعدا بعضهم على بعض فلما رآهم ابليس لا يقلعون عن ذلك سأل الله تعالى ان يرفعه الى السماء فصار مع الملائكة يعبد الله أشد عبادة وأرسل الله الى الجن وهم حزب ابليس قبيلا من الملائكة فطردوهم

فلما جاء النهار وطلعت الشمس رأى نورا أعظم من كل ما رأى فقال هـذا ربي هذا أكبر فلما أفلت
قال يا قوم اني بريء مما تشركون ثم رجع ابراهيم الى أبيه وقد عرف ربه وبرئ من دين قومه الا أنه لم
ينادهم بذلك فأخبرته أمه بما كانت صنعت من كتمان حاله فسره ذلك وكان آزر يصنع الاصنام
التي يعبدونها ويعطيها ابراهيم ليبيعها فكان ابراهيم يقول من يشتري ما لا يضره ولا ينفعه فلا
يشتريها منه أحد وكان يأخذها وينطلق بها الى نهر فيصوّب رؤسها فيه ويقول اشربي استهزاء
بقومه حتى فشا ذلك عنه في قومه غير أنه لم يبلغ خبره نمروذ فلما بدا لابراهيم ان يدعو قومه الى ترك
ما هم عليه ويأمرهم بعبادة الله تعالى دعا أباه الى التوحيد فلم يجبه ودعا قومه فقالوا من تعبد أنت
قال رب العالمين قالوا نمروذ فقال بل أعبـد الذي خلقني فظهر أمره وبلغ نمروذ ان ابراهيم أراد ان
يرى قومه ضعف الاصنام التي يعبدونها ليلزمهم الحجة فجعل يتوقع فرصة ينتهزها ليفعل
بأصنامهم ذلك فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم أي طعين لتهربوا منه اذا سمعوا به وانما يريد
ابراهيم أن يخرجوا عنه ليبلغ من أصنامهم وكان لهم عيد يخرجون اليه جميعهم فلما خرجوا قال
هذه المقالة فلم يخرج معهم الى العيد وخالف الى أصنامهم وهو يقول تالله لأكيدن أصنامكم
فسمعه ضعفاء الناس ومن هو في آخرهم ورجع الى الاصنام وهي في بهو عظيم بعضها الى جنب
بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما بين يدي آلهتهم
وقالوا نترك الآلهة الى حين نرجع فنأكله فلما نظر ابراهيم الى ما بين ايديهم من الطعام قال ألا
تأكلون فلما لم يجبه أحد قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فكسرها بفأس في يده
حتى اذا بقي أعظم صنم منها ربط الفأس بيده ثم تركهن فلما رجع قومه ورأوا ما فعل بأصنامهم
راعهم ذلك واعظموه وقالوا من فعل هـذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له
ابراهيم يعنون يسبها ويعيبها ولم نسمع ذلك من غيره وهو الذي نظنه صنع بها هذا وبلغ ذلك نمروذ
وأشراف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ما نفعل به وقيل يشهدون عليه
كرهوا ان يأخذوه بغير بينة فلما أتي به واجتمع له قومه عند ملكهم نمروذ قالوا أأنت فعلت هذا
بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هـذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون غضب من ان تعبدوا هذه
الصغار وهو أكبر منها فكسرها فارعووا ورجعوا عنه فيما ادّعوا عليه من كسرها الى أنفسهم
فيما بينهم فقالوا لقد ظلمناه وما نراه الا كما قال ثم قالوا وعرفوا انها لا تضر ولا تنفع ولا تبطش لقد
علمت ما هؤلاء ينطقون أي لا يتكلمون فيخبرونا من صنع هذا بها وما تبطش بالايدي فنصدقك
يقول الله تعالى ثم نكسوا على رؤسهم في الحجة عليهم لابراهيم فقال لهم ابراهيم عند قولهم ما هؤلاء
ينطقون أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله
أفلا تعقلون ثم ان نمروذ قال لابراهيم أرأيت الهك الذي تعبد وتدعو الى عبادته ما هو قال ربي
الذي يحيي ويميت قال نمروذ أنا أحيي وأميت قال ابراهيم وكيف ذلك قال آخذ رجلين قد
استوجبا القتل فأقتل احدهما فأكون قد أمته وأعفو عن الآخر فأكون قد أحييته فقال
ابراهيم ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت عند ذلك نمروذ ولم يرجع اليه شيأ
ثم انه وأصحابه أجمعوا على قتل ابراهيم فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم قال عبد الله بن عمر أشار
بتحريقه رجل من اعراب فارس قيل له وللفرس اعراب قال نعم الاكراد هم اعرابهم قيل كان
اسمه هيزن فخسف به فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة فأمر نمروذ بجمع الحطب من أصناف

الخشب

الى جزائر البحار وقتلوا من
شاء الله منهم وجعل الله
ابليس على سماء الدنيا خازنا
فوقع في صدره كبر ثم شاء
الله عز وجل ان يخلق آدم
فقال الله للملائكة اني جاعل
في الارض خليفة فقالوا
ربنا وما يكون ذلك الخليفة
قال تكون له ذرية
ويفسدون في الارض
ويتحاسدون ويقتل بعضهم
بعضا فقالوا ربنا أتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدماء
ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك قال اني أعلم ما لا تعلمون
ثم بعث الله جبريل الى
الارض ليأتيه بطين منها
فقالت له الارض اني أعوذ
بالله منك ان تنقصني فرجع
ولم يأخذ منها شيأ وقال يارب
انها عاذت بك ثم بعث الله
ميكائيل فقالت له مثل ذلك
فرجع ولم يأخذ منها شيأ
فبعث الله ملك الموت فعاذت
بالله منه فقال وأنا أعوذ بالله
ان أرجع ولم أنفذ الامر
فأخذ من تربة سوداء
وحمراء وبيضاء فلذلك
خرج بنو آدم مختلفين في
الالوان وسمي آدم لانه أخذ
من اديم الارض وقيل غير
ذلك ووكل الله ملك الموت
بالموت وجبله الله تعالى
وتركه حتى صار طينا لازبا
يلزق بعضه ببعض أربعين
سنة ثم تركه حتى أنتن وتغير

الحطب حتى ان كانت المرأة لتنذر بان بلغت ما تطلب ان تحتطب لنار ابراهيم حتى اذا أرادوا أن يلقوه فيها قدموه وأشعلوا النار حتى ان كانت الطير لتمر بها فتحترق من شدتها وحرها فلما اجمعوا لقذفه فيها صاحت السماء والارض وما فيها الا الثقلين الى الله صيحة واحدة اى ربنا ابراهيم ليس فى أرضك من يعبدك غيره يحرق بالنار فيك فأذن لنا فى نصره قال الله تعالى ان استغاث بشئ منكم فلينصره وان لم يدع غيرى فأنا له فلما رفعوه على رأس البنيان رفع رأسه الى السماء وقال اللهم أنت الواحد فى السماء وأنت الواحد فى الارض حسبى الله ونعم الوكيل وعرض له جبريل وهو يوثق فقال ألك حاجة يا ابراهيم قال أما اليك فلا فقذفوه فى النار فناداها الله فقال يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وقيل ناداها جبريل فلو لم يتبع بردها سلاما لمات ابراهيم من شدة بردها فلم يبق يومئذ نار الا طفئت ظنت انها هى وبعث الله ملك الظل فى صورة ابراهيم فقعد فيها الى جنبه يؤنسه فمكث نمروذ أياما لا يشك ان النار قد أكلت ابراهيم فرأى كانه نظر فيها وهى تحرق بعضها بعضا وابراهيم جالس الى جنبه رجل مثله فقال لقومه لقد رأيت كان ابراهيم حيا ولقد شبه على ابنوا لى صرحا يشرف بى على النار فبنوا له وأشرف منه فرأى ابراهيم جالسا والى جانبه رجل فى صورته فناداه نمروذ يا ابراهيم ان الهك كبير الذى بلغت قدرته وعزته أن حال بينك وبين ما أرى هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال أتخشى ان أقمت فيها قال لا فقام ابراهيم فخرج منها فلما خرج قال له يا ابراهيم من الرجل الذى رأيت معك مثل صورتك قال ذلك ملك الظل أرسله الى ربى ليؤنسنى قال نمروذ انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته وما صنع بك حين أبيت الا عبادته فقال ابراهيم اذا لا يقبل الله منك ما كنت على شئ من دينك فقال يا ابراهيم لا أستطيع ترك ملكى وقرب أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم ومنعه الله منه وآمن مع ابراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله به على خوف من نمروذ وملئهم وآمن له لوط بن هاران وهو ابن أخى ابراهيم وكان لهم أخ ثالث يقال له ناخور بن تارخ وهو أبو بتويل وبتويل أبو لابان وأبو ربقا امرأة اسحق بن ابراهيم أم يعقوب ولابان أبو ليا وراحيل زوجتى يعقوب وآمنت به سارة وهى ابنة عمه وهى سارة ابنة هاران الاكبر عم ابراهيم وقيل كانت ابنة ملك حران فآمنت بالله تعالى مع ابراهيم

﴿ذكر هجرة ابراهيم عليه السلام ومن آمن معه﴾

ثم ان ابراهيم والذين اتبعوا أمره أجمعوا على فراق قومهم فخرج مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى كان اسمه سنان بن علوان بن عبيد بن عولج بن عملاق بن لاوذ بن سام ابن نوح وقيل كان أخا الضحاك استعمله على مصر وكانت سارة من أحسن النساء وجها وكانت لا تعصى ابراهيم شيأ فلما وصفت لفرعون أرسل الى ابراهيم فقال من هذه التى معك قال أختى يعنى فى الاسلام وتخوف ان قال هى امرأتى أن يقتله فقال له زينها وأرسلها الى فأمر بذلك ابراهيم فتزينت وأرسلها اليه فلما دخلت عليه أهوى بيده اليها وكان ابراهيم حين أرسلها قام يصلى فلما أهوى اليها أخذ أخذا شديدا فقال ادعى الله ولا أضرك فدعت له فأرسل فأهوى اليها فأخذ أخذا شديدا فقال ادعى الله ولا أضرك فدعت له فأرسل ثم فعل ذلك الثالثة فذكر مثل المرتين فدعا أدنى حجابه فقال انك لم تأتنى بانسان وانك أتيتنى بشيطان أخرجها وأعطها هاجر ففعل فاقبلت بهاجر فلما أحس ابراهيم بها انفتل من صلاته فقال مهيم فقالت كفى الله كيد الكافرين

أربعين سنة وذلك قوله تعالى من حمأ مسنون أى متغير منتن ثم صوره وتركه بلا روح من صلصال كالفخار حتى أتى عليه مائة وعشرون سنة وقيل أربعون سنة وهو قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا فكانت الملائكة تمر به فيفزعون منه وكان أشدهم فزعا ابليس كان يمر به فيضربه برجله فيظهر له صوت كظهوره من الفخار وتكون له صلصلة وذلك قوله تعالى من صلصال كالفخار وقد قيل ان الصلصال غير ماذكرنا وكان ابليس يدخل من فيه ويخرج من دبره ويقول لامر ما خلقت فلما أراد الله تعالى ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وقال يارب أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين والنار أشرف من الطين وأنا الذى كنت مستخلفا فى الارض وأنا الملبس بالريش والموشح بالنور والمتوج بالكرامة وأنا الذى عبدتك فى سمائك وأرضك فقال الله تعالى اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين فسأل الله المهلة الى يوم يبعثون فأنظره الله الى

وأخدم هاجر وكان أبو هريرة يقول تلك أمكم يابنى ماء السماء وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث مرات اثنتين فى ذات الله قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله فى سارة هى أختى

﴿ذكر ولادة اسمعيل عليه السلام وحمله الى مكة﴾

قيل كانت هاجر جارية ذات هيئة فوهبتها سارة لابراهيم وقالت خذها لعل الله يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى أسنت فوقع ابراهيم على هاجر فولدت اسمعيل ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما يعنى ولادة هاجر فكان ابراهيم قد خرج بها الى الشام من مصر خوفا من فرعون فنزل السبع من ارض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهى من السبع مسيرة يوم وليلة فبعثه الله نبيا وكان ابراهيم قد اتخذ بالسبع بئرا ومسجدا وكان ماء البئر معينا طاهرا فآذاه أهل السبع فانتقل عنهم فنضب الماء فاتبعوه يسألونه العود اليهم فلم يفعل وأعطاهم سبعة اعنز وقال اذا أوردتموها الماء ظهر حتى يكون معينا طاهرا فاشربوا منه ولا تغترف منه امرأة حائض فخرجوا بالاعنز فلما وقفت على الماء ظهر اليها وكانوا يشربون منه الى أن غرفت منه امرأة طامث فعاد الماء الى الذى هو عليه اليوم وأقام ابراهيم بين الرملة وايليا ببلد يقال له قط أو قط قال فلما ولد اسمعيل حزنت سارة حزنا شديدا فوهبها الله اسحق وعمرها سبعون سنة فعمر ابراهيم مائة وعشرون سنة فلما كبر اسمعيل واسحق اختصما فغضبت سارة على هاجر فأخرجتها ثم اعادتها فغارت منها فأخرجتها وحلفت لتقطعن منها بضعة فتركت أنفها وأذنها الثلا تشينها ثم خفضتها فمن ثم خفض النساء وقيل كان اسمعيل صغيرا وانما أخرجتها سارة غيرة منها وهو الصحيح وقالت سارة لا تساكننى فى بلد فأوحى الله الى ابراهيم أن يأتى مكة وليس بها يومئذ نبت فجاء ابراهيم باسمعيل وأمه هاجر فوضعهما بمكة بموضع زمزم فلما مضى نادته هاجر يا ابراهيم من أمرك أن تتركنا بأرض ليس فيها زرع ولا ضرع ولا ماء ولا زاد ولا أنيس قال ربى أمرنى قالت فانه لن يضيعنا فلما ولى قال ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن يعنى من الحزن وقال رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم الآية فلما ظمئ اسمعيل جعل يدحض الارض برجله فانطلقت هاجر حتى صعدت الصفا لتنظر هل ترى شيأ فلم تر شيأ فانحدرت الى الوادى فسعت حتى أتت المروة فاستشرفت هل ترى شيأ فلم تر شيأ ففعلت ذلك سبع مرار فذلك أصل السعى ثم جاءت الى اسمعيل وهو يدحض الارض بقدميه وقد نبعت العين وهى زمزم فجعلت تفحص الارض بيدها عن الماء وكلما اجتمع أخذته وجعلته فى سقائها قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم يرحمها الله لو تركتها لكانت عينا سائحة وكانت جرهم بواد قريب من مكة ولزمت الطير الوادى حين رأت الماء فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادى قالوا ما لزمته الا وفيه ماء فجاؤا الى هاجر فقالوا لو شئت لكنا معك فآنسناك والماء ماؤك قالت نعم فكانوا معها حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل امرأة من جرهم فتعلم العربية منهم هو وأولاده فهم العرب المتعربة واستأذن ابراهيم سارة أن يأتى هاجر فاذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فقدم وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ليس ههنا ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع قال ابراهيم هل عندك ضيافة قالت ليس عندى

الوقت المعلوم وذهب على ابليس المعنى الذى من أجله أمر لآدم بالسجود فمن الناس من رأى ان آدم كان محرابا للمأمورين بالسجود والمقصود بذلك الخالق عز وجل وموافقة الامر والطاعة له على سبيل البلوى والاختبار والمحنة الواقعة بالمكلفين ومنهم من رأى غير ذلك ثم نفخ الله تعالى فى آدم من روحه فكان كلما دخل فى بعضه الروح يذهب ليجلس فقال الله تعالى وكان الانسان عجولا ولما تتابع فيه الروح عطس فقال الله له قل الحمد لله يرحمك الله يا آدم (قال المسعودى) وما ذكرناه من الاخبار فى مبدا الخليقة هو ما جاءت به الشريعة ونقله الخلف عن السلف والباقى عن الماضى فعبرنا عنهم على حسب ما نقل الينا من ألفاظهم ووجدناه فى كتبهم مع شهادة الدلائل بحدوث العالم واتضاحها بكونه ولم نتعرض لوصف من وافق ذلك وانقاد اليه من أهل الملل القائلين بالحدوث ولا الرد على من سواهم ممن خالف ذلك وقال بالقدم لذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا وقد ذكرنا فى مواضع كثيرة من كتابنا هذا

ضـيافة وماعنـدى أحـد فقال ابراهيم اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولى له فليغير عتبة بابه
وعاد ابراهيم و جاء اسمعيل فوجد ريح أبيه فقـال لامرأته هل عندك أحـد قالت جاءنى شيخ كذا
وكذا كالمستخفة بشأنه قال فـا قال لك قالت قال اقرئى زوجك السـلام وقولى له فليغير عتبة بابه
فطلقها وتزوّج أخرى فلبث ابراهيم ماشاء الله أن يلبث ثم استأذن سارة ان يزور اسمعيل فأذنت
له وشرطت عليه ان لا ينزل فجاء ابراهـيم حتى انتهى الى باب اسمعيـل فقال لامرأته أين صاحبك
قالت ذهب ليتصـيد وهو يجئ الآن ان شاء الله تعالى فانزل يرحمك الله فقال لها فعنـدك ضيافة
قالت نعم قال فهل عندك خبز أو بر أو شعير أو تمر قال فجاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة ولو جاءت
يومئذ بخبز أو تمر أو بر أو شـعير لكانت أكثر أرض الله من ذلك فقالت انزل حتى أغسل رأسـك فلم
ينزل فجاءته بالمقام بالاناء فوضعته عند شقه الايمن فوضع قدمه عليـه فبقى أثر قدمه فيه فغسلت شق
رأسـه الايمن ثم حولت المقام الى شقه الايسر ففعلت به كذلك فقال لهـا اذا جاء زوجك فاقرئيه
عنى السلام وقولى له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح أبيه فقـال لامرأته هـل
جاءك أحد قالت نعم شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فقال لى كذا وكذا وقلت له كذا وكذا
وغسلت رأسه وهذا موضع قدمه وهو يقرئك السلام ويقول قد استقامت عتبـة بابك قال ذلك
ابراهيم وقيل ان الذى انبع المـاء جـبرئيل فانه نزل الى هاجر وهى تسعى فى الوادى فسمعت حسه
فقالت قد اسمعتنى فاغثنى فقد هلكت أنا ومن معى فجاء بها الى موضع زمزم فضرب بقدمه ففارت
عينا فعجلت فجعلت تفرغ فى شنها فقال لها لا تخافى الظمأ

﴿ذكر عمـارة البيت الحرام بمكة﴾

قيل ثم أمر الله ابراهـيم ببناء البيت الحرام فضاق بذلك ذرعا فأرسـل الله السكينـة وهى ريح
خجوج وهى اللينـة الهبوب لها رأسان فسار معها ابراهـيم حتى انتهت الى موضع البيت فتطوّت
عليه كتطوى الجحفة فأمر ابراهيم ان يبنى حيث تستقر السكينة فبنى ابراهيم وقيل أرسل الله مثل
الغمامة له رأس فكلمه وقال يا ابراهـيم ابن على ظلى أو على قدرى لا تزد ولا تنقص فبنى وهـذان
القولان نقلا عن علىّ وقال السـدى الذى دله على موضع البيت جـبريل فسار ابراهيم الى مكة
فلمـا وصلها وجد اسمعيل يصلح نبلا له وراء زمزم فقال له يا اسمعيـل ان الله قد أمرنى ان أبنى له بيتـا
قال اسمعيل فأطع ربك فقال ابراهيم قد أمرك ان تعيننى على بنـائه قال اذن أفعل فقام معه فجعل
ابراهـيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة ثم قال ابراهيم لاسمعيل ائتنى بحجر حسـن أضعه على الركن
فيكون للناس علمـا فناداه أبو قبيس ان لك عنـدى وديعة وقيل بل جبريل أخـبره بالحجر الاسود
فأخذه ووضعه موضعه وكانا كلمـا بنيا دعوا الله ربنا تقبـل منا انك أنت السميع العليم فلمـا ارتفع
البنيان وضعف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر وهو مقام ابراهيم فجعل يناوله فلمـا فرغ من بناء
البيت أمره الله ان يؤذن فى الناس بالحج فقال ابراهـيم يارب وما يبلغ صوتى قال أذن وعلىّ البلاغ
فنادى أيها الناس ان الله قد كتب عليـكم الحج الى البيت العتيـق فسمعـه ما بين السمـاء والارض
وما فى اصلاب الرجال وارحام النساء فأجابه من آمن ممن سـبق فى علـم الله ان يحج الى يوم القيامة
فأجيب لبيك لبيك ثم خرج باسمعيل معه الى التروية فنزل به منى ومن معه من المسلمين فصلى بهم
الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ثم بات حتى اصبح فصلى بهم الفجر ثم سار الى عرفة فقـام
بهم هنالك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصـلاتين الظهر والعصر ثم راح بهـم الى الموقف من

جمـلا من عـلوم النظـر والبراهين والجدل تتعلق بكثير من الآراء والنحـل على طريق الخبر وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام انه قال ان الله حـين شاء تقـدير الخليقة وذرء البرية وابداع المبدعات نصب الخلق فى صور كالهباء قبـل دحو الارض ورفع السمـاء وهو فى انفراد ملكوته وتوحـد جبروته فأتاح نورا من نوره فلمع ونزع قبسا من ضـيائه فسـطع ثم اجتمع النور فى وسـط تلك الصور الخفية فوافـق ذلك صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال الله عز من قائل أنت المختار المنتخب وعندك مستودع نورى وكنوز هدايتى من أجلك أسـطح البطحاء وأموج المـاء وارفع السماء وأجعل الثواب والعقاب والجنـة والنـار وانصب أهل بيتك للهداية وأوتيهم من مكنون علمى ما لا يشكل عليهم دقيق ولا يعييهم خفى واجعلهـم حجتى على بريتى والمنبهين عـلى قـدرتى ووحدانيتى ثم أخـذ الله الشهادة عليهـم بالربوبية والاخـلاص بالوحدانية فقبل أخذ ما أخذ جل شأنه ببصائر الخلق انتخب محمـدا وآله وأراهم ان الهـداية

عرفة الذي يقف عليه الامام فوقف به على الاراك فلما غربت الشمس دفع به ومن معه حتى أتى المزدلفة فجمع بها الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة ثم بات بها ومن معه حتى اذا طلع الفجر صلى الغداة ثم وقف على قزح حتى اذا اسفر دفع به وبمن معه يريه ويعلمه كيف يصنع حتى رمى الجمرة وأراه المنحر ثم نحر وحلق وأراه كيف يطوف ثم عاد به الى منى ايريه كيف رمى الجار حتى فرغ من الحج وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبرئيل هو الذي أرى ابراهيم كيف يحج ورواه عنه ابن عمر ولم يزل البيت على مابناه ابراهيم عليه السلام الى ان هدمته قريش سنة خمس وثلاثين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم على مانذكره ان شاء الله تعالى

ذكر قصة الذبيح

واختلف السلف من المسلمين فى الذبيح فقال بعضهم هو اسمعيل وقال بعضهم هو اسحق وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كلا القولين ولو كان فيهما صحيح لم نعده الى غيره فاما الحديث فى أن الذبيح اسحق فقد روى الاحنف عن العباس بن عبد المطلب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث ذكر فيه وفديناه بذبح عظيم هو اسحق وقد روى هذا الحديث عن العباس من قوله لم يرفعه واما الحديث الآخر فى ان الذبيح اسمعيل فقد روى الصنابحى قال كنا عند معاوية بن أبى سفيان فذكروا الذبيح فقال على الخبير سقطتم كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يارسول الله عد علىّ مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك صلى الله عليه وسلم فقيل لمعاوية وما الذبيحان فقال ان عبد المطلب نذر ان سهل الله حفر زمزم أن يذبح أحد أولاده فخرج السهم على عبد الله أبى النبي صلى الله عليه وسلم ففداه بمائة بعير وسنذكره ان شاء الله والذبيح الثانى اسمعيل

ذكر من قال انه اسحق

ذهب عمر بن الخطاب وعلى والعباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله رضى الله عنهم فيمارواه عنه عكرمة وعبد الله بن مسعود وكعب وابن سابط وابن أبى الهذيل ومسروق الى ان الذبيح اسحق عليه السلام حدث عمرو بن أبى سفيان بن أبى أسيد بن أبى جارية الثقفى ان كعبا قال لابى هريرة الا أخبرك عن اسحق بن ابراهيم قال بلى قال كعب لما رأى ابراهيم ذبح اسحق قال الشيطان والله لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم لم افتن أحدا منهم بعد ذلك أبدا فتمثل رجلا يعرفونه فأقبل حتى اذا خرج ابراهيم باسحق ليذبحه دخل على سارة امرأة ابراهيم فقال لها أين أصبح ابراهيم غاديا باسحق قالت لبعض حاجته قال لا والله انما غدا به ليذبحه قالت سارة لم يكن ليذبح ولده قال الشيطان بلى والله لانه زعم ان الله قد أمره بذلك قالت سارة فهذا أحسن ان يطيع ربه ثم خرج الشيطان فأدرك اسحق وهو مع أبيه فقال له ان ابراهيم يريد أن يذبحك قال اسحق ماكان ليفعل قال بلى والله انه زعم أن ربه امره بذلك قال اسحق فوالله لئن أمره ربه بذلك ليطيعنه فتركه ولحق ابراهيم فقال أين أصبحت غاديا بابنك قال لبعض حاجتى قال لا والله انما غدوت به لتذبحه قال ولم قال لانك زعمت أن الله أمرك بذلك قال ابراهيم فوالله ان كان الله أمرنى بذلك لافعلن فلما أخذ ابراهيم اسحق ليذبحه أعفاه الله من ذلك وفداه بذبح عظيم واوحى الله الى اسحق انى معطيك دعوة أستجيب لك فيها قال اسحق اللهم فأيما عبد لقيك من الاولين والآخرين لا يشرك بك شيأ فادخله

الجنة

معه والنور له والامامة فى آله تقديما السنة العدل وليكون الاعذار متقدما ثم أخفى الله الخليقة فى غيبه وغيبها فى مكنون علمه ثم نصب العوالم وبسط الزمان وموّج الماء وأثار الزبد وأهاج الدخان فطفا عرشه على الماء فسطح الارض على ظهر الماء ثم استجابهما الى الطاعة فاذعنا بالاستجابة ثم أنشأ الله الملائكة من أنوار أبدعها وأرواح اخترعها وقرن توحيده بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم فشهرت فى السماء قبل بعثته فى الارض فلما خلق الله آدم أبان فضله للملائكة وأراهم ماخصه به من سابق العلم حيث عرفه عند استنبائه اياه أسماء الاشياء فجعل الله آدم محرابا وكعبة وبابا وقبلة أسجد لها الابرار والروحانيين الانوار ثم نبه آدم على مستودعه وكشف له عن خطر ما ائتمنه عليه بعد ماسماه اماما عند الملائكة فكان حظ آدم من الخير ما أراه من مستودع نورنا ولم يزل الله تعالى يخبأ النور تحت الزمان الى ان وصل محمدا صلى الله عليه وسلم فى ظاهر الفترات فدعا الناس ظاهرا وباطنا وندبهم سرا واعلانا واستدعى عليه السلام التنبيه على العهد الذى قدمه الى الذر قبل

الجنة وقال عبيد بن عمير قال موسى يارب يقولون بالله ابراهيم واسحق ويعقوب فبم نالوا ذلك قال ان ابراهيم لم يعدل بي شيأ قط الا اختارني وان اسحق جاد لي بالذبح وهو بغير ذلك أجود وان يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظن بي (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين وجارية بالجيم)

﴿ذكر من قال ان الذبيح اسمعيل عليه السلام﴾

روى سعيد بن جبير ويوسف بن مهران والشعبي ومجاهد وعطاء بن أبي رباح كلهم عن ابن عباس انه قال ان الذبيح اسمعيل وقال زعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود وقال ابو الطفيل والشعبي ومجاهد والحسن ومحمد بن كعب القرظي انه اسمعيل قال الشعبي رأيت قرني الكبش في الكعبة قال محمد بن كعب ان الذي أمر الله ابراهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل وانا لنجد ذلك في كتاب الله في قصة الخبر عن ابراهيم وما أمر به من ذبحه ابنه انه اسمعيل وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابني ابراهيم قال وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ويقول وبشرناه باسحق نبيا ومن وراء اسحق يعقوب بابن وابن ابن فلم يكن يأمره بذبح اسحق وله فيه من الله عز وجل ما وعده وما الذي أمر بذبحه الا اسمعيل فذكر ذلك محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة فقال ان هذا الشيء ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلت

﴿ذكر السبب الذي من اجله أمر ابراهيم بالذبح وصفة الذبح﴾

قيل أمر الله ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه فيما ذكر انه دعا الله ان يهب له ولدا ذكرا صالحا فقال رب هب لي من الصالحين فلما بشرته الملائكة بغلام حليم قال اذن هو لله ذبيح فلما ولد الغلام وبلغ معه السعي قيل له اوف بنذرك الذي نذرت وهذا على قول من زعم ان الذبيح اسحق وقائل هذا يزعم ان ذلك كان بالشام على ميلين من ايليا واما من زعم انه اسمعيل فيقول ان ذلك كان بمكة قال محمد بن اسحق ان ابراهيم قال لابنه حين أمر بذبحه يا بني خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب لاهلك فلما توجه اعترضه ابليس ليصده عن ذلك فقال اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر الله فاعترض اسمعيل فأعلمه ما يريد ابراهيم يصنع به فقال سمعا لامر ربي وطاعة فذهب الى هاجر فاعلمها فقالت ان كان ربه أمره بذلك فتسليما لامر الله فرجع بغيظه لم يصب منهم شيأ فلما خلا ابراهيم بالشعب وهو شعب ثبير قال له يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم قال له يا أبت ان أردت ذبحي فاشدد رباطي لا يصيبك من دمي شيء فينتقص أجري فان الموت شديد واشحذ شفرتك حتى تريحني فاذا أضجعتني فكبني على وجهي فاني أخشى ان نظرت في وجهي أنك تدركك رحمة فتحول بينك وبين أمر الله وان رأيت ان ترد قميصي الى هاجر أمي فعسى ان يكون اسلى لها عني فافعل فقال ابراهيم نعم المعين أنت أي بني على أمر الله فربطه كما امره ثم أحد شفرته وتله للجبين ثم أدخل الشفرة لحلقه فقلبها الله لقفاها ثم اجتذبها اليه ليفرغ منه فنودي أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها وقيل جعل الله على حلقه صفيحة نحاس قال ابن عباس خرج عليه كبش من الجنة قد رعى فيها أربعين خريفا وقيل هو الكبش الذي قربه هابيل وقال علي عليه السلام كان كبشا اقرن أعين أبيض وقال الحسن ما فدي اسمعيل الا بتيس من الاروى هبط عليه من ثبير فذبحه قيل بالمقام وقيل بمنى في المنحر

النسل فمن وافقه واقتبس من مصباح النور المقدم اهتدى الى سيره واستبان واضح أمره ومن ألبسته الغفلة استحق السخط ثم انتقل النور الى غرائزنا ولمع في أئمتنا فنحن أنوار السماء وأنوار الارض فبنا النجاة ومنا مكنون العلم والينا مصير الامور وبمهدينا تنقطع الحجج خاتمة الائمة ومنقذ الامة وغاية النور ومصدر الامور فنحن أفضل المخلوقين وأشرف الموحدين وحجج رب العالمين فليهنأ بالنعمة من تمسك بولايتنا وقبض عروتنا فهذا ما روي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ولم نتعرض لكثير من أسانيد هذه الاخبار وطرقها الا انا قد أتينا على جميع ذكرها واتصالها في النقل عن ذكرناها عنه وعزوناها اليه فيما سلف من كتبنا خوف الاكثار والتطويل في هذا الكتاب وأما ما وجدت في التوراة فهو ان الله تعالى ابتدأ الخلق في يوم الاثنين وكان انتهاء الفراغ يوم السبت فاتخذ اليهود لذلك يوم

﴿ذكر ما امتحن الله به ابراهيم عليه السلام﴾

بعد ابتلاء الله تعالى ابراهيم بما كان من نمروذ وذبح ولده بعد رجاء نفعه ابتلاه الله بالكلمات التي اخبر انه ابتلاه بهن فقال تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن واختلف السلف من العلماء الائمة في هذه الكلمات فقال ابن عباس من رواية عكرمة عنه في قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه الا ابراهيم وقال الله وابراهيم الذي وفى قال والكلمات عشر في براءة وهي العابدون الحامدون الآية وعشر في الاحزاب وهي ان المسلمين والمسلمات الآية وعشر في المؤمنين من أولها الى قوله تعالى والذين هم على صلاتهم يحافظون وقال آخرون هي عشر خصال قال ابن عباس من رواية طاوس وغيره عنه الكلمات عشر وهي خمس في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمس في الجسد وهي تقليم الاظفار وحلق العانة والختان ونتف الابط وغسل أثر الغائط وقال آخرون هي مناسك الحج وقوله تعالى اني جاعلك للناس اماما وهو قول أبي صالح ومجاهد وقال آخرون هي ست وهي الكواكب والقمر والشمس والنار والهجرة والختان وذبح ابنه وهو قول الحسن قال ابتلاه بذلك فعرف أن ربه دائم لا يزول فوجه وجهه للذي فطر السموات والارض وهاجر من وطنه وأراد ذبح ابنه وختن نفسه وقيل غير ذلك مما لا حاجة اليه في التاريخ المختصر وانما ذكرنا هذا القدر لئلا يخلو من فصول الكتاب

﴿ذكر عدو الله نمروذ وهلاكه﴾

ونرجع الآن الى خبر عدو الله نمروذ وما آل اليه امره في دنياه وتمرده على الله تعالى واملاء الله له وكان أول جبار في الارض وكان احراقه ابراهيم ما قدمنا ذكره فأخرج ابراهيم عليه السلام من مدينته وحلف انه يطلب اله ابراهيم فأخذ أربعة أفرخ نسور فرباهن باللحم والخمر حتى كبرن وغلظن فقرنهن بتابوت وقعد في ذلك التابوت فأخذ معه رجلا ومعه لحم لهن فطرن به حتى اذا ذهبن اشرف ينظر الى الارض فرأى الجبال تدب كالنمل ثم رفع لهن اللحم ونظر الى الارض فرآها يحيط بها بحر كأنها فلك في ماء ثم رفع طويلا فوقع في ظلمة فلم ير ما فوقه وما تحته ففزع وألقى اللحم فاتبعته النسور منقضات فلما نظرت الجبال اليهن وقد أقبلن منقضات وسمعن حفيفهن فزعت الجبال وكادت تزول ولم يفعلن وذلك قول الله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وكان طيرانهن من بيت المقدس ووقوعهن في جبل الدخان فلما رأى انه لا يطيق شيئا أخذ في بنيان الصرح فبناه حتى علا وارتقى فوقه ينظر الى اله ابراهيم بزعمه وأحدث ولم يكن يحدث وأخذ الله بنيانهم من القواعد من أساس الصرح فسقط وتبلبلت الالسن يومئذ من الفزع فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا وكان لسان الناس قبل ذلك سريانيا هكذا روي انه لم يحدث وهذا ليس بشيء فان الطبع البشري لم يخل منه انسان حتى الانبياء صلوات الله عليهم وهم أكثر اتصالا بالعالم العلوي وأشرف أنفسا ومع هذا فيأكلون ويشربون ويبولون ويتغوطون فلو نجا منه أحد لكان الانبياء أولى لشرفهم وقربهم من الله تعالى وان كان لكثرة ملكه فالصحيح انه لم يملك مستقلا ولو ملك مستقلا لكان الاسكندر أكثر ملكا منه ومع هذا فلم يقل فيه شيء من هذا قال زيد بن أسلم ان الله تعالى بعث الى نمروذ بعد ابراهيم ملكا يدعوه الى الله أربع مرات فأبى وقال أرب غيري فقال

له

السبت عيدا وزعم أهل الانجيل ان المسيح عليه السلام قام من قبره يوم الاحد فاتخذوا ذلك اليوم عيدا وأما ما ذهب اليه الجمهور من أهل الفقه والآثار فهو ان الابتداء كان يوم الأحد والفراغ يوم الجمعة وفيه نفخ في آدم الروح وهو اليوم السادس من نيسان ثم خلقت حواء من آدم وأسكنا الجنة لثلاث ساعات مضت منه فمكثا ثلاث ساعات وهو ربع يوم بمائتي سنة وخمسين سنة من اعوام الدنيا وأهبط الله آدم بسرنديب وحواء بجدة وابليس ببيسان والحية باصبهان فهبط آدم بالهند على جزيرة سرنديب على جبل الراهون وعليه الورق الذي خصفه من ورق الجنة فيبس فذرته الرياح فانتشر في بلاد الهند فيقال والله أعلم ان علة كون الطيب بارض الهند من ذلك الورق وقيل غير ذلك ولذلك خصت أرض الهند بالعود والقرنفل والأفاويه والمسك وسائر الطيب وكذلك الجبل لمعت عليه اليواقيت وكان منه الماس وفي جزائر بحره السنباذج وفي قعره مغائص اللؤلؤ وان آدم لما أهبط من الجنة أخرج منها معه

له الملك اجمع جموعك الى ثلاثة أيام فجمع جموعه ففتح الله عليه بابا من البعوض فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها فبعثها الله عليهم فأكلتهم ولم يبق منهم الا العظام والملك كما هو لم يصبه شئ فارسل الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكث يضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من يجمع يديه ويضرب بهما رأسه وكان ملكه ذلك أربعمائة سنة وأماته الله تعالى وهو الذي بنى الصرح وقال جماعة ان نمرود بن كنعان ملك مشرق الارض ومغربها وهذا قول يدفعه أهل العلم بالسير واخبار الملوك وذلك انهم لا ينكرون أن مولد ابراهيم كان أيام الضحاك الذي ذكرنا بعض اخباره فيما مضى وانه كان ملك شرق الارض وغربها وقول القائل ان الضحاك الذي ملك الارض هو نمرود ليس بصحيح لان أهل العلم بالمتقدمين يذكرون ان نسب نمرود في النبط معروف ونسب الضحاك في الفرس مشهور وانما الضحاك استعمل نمرود على السواد وما اتصل به يمنة ويسرة وجعله وولده عمالا على ذلك وكان هو ينتقل في البلاد وكان وطنه ووطن أجداده دنباوند من جبال طبرستان وهناك رمى به افريدون حين ظفر به وكذلك بختنصر ذكر بعضهم أنه ملك الارض جميعها وليس كذلك وانما كان اصبهبذ ما بين الاهواز الى أرض الروم من غربي دجلة من قبل لهراسب لان لهراسب كان مشتغلا بقتال الترك مقيما بازائهم ببلخ وهو بناها لما تطاول مقامه هناك لحرب الترك ولم يملك أحد من النبط شبرا من الارض مستقلا برأسه فكيف الارض جميعها وانما تطاولت مدة نمرود بالسواد فمكث أربعمائة سنة ثم دخل من نسله بعد هلاكه جبل يقال له نبط بن قعود ملك بعده مائة سنة ثم كداوص بن نبط ثمانين سنة ثم بالش بن كداوص مائة وعشرين سنة ثم نمرود بن بالش سنة وشهرا فذلك سبعمائة سنة وسنة وشهد أيام الضحاك وظن الناس في نمرود ما ذكرناه فلما ملك افريدون وقهر الازدهاق قتل نمرود بن بالش وشرد النبط وقتل فيهم مقتلة عظيمة

﴿ذكر قصة لوط وقومه﴾

قد ذكرنا مهاجر لوط مع ابراهيم عليه السلام الى مصر وعودهم الى الشام ومقام لوط بسدوم فلما أقام بها أرسله الله الى أهلها وكانوا أهل كفر بالله تعالى وركوب فاحشة كما قال تعالى لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فكان قطعهم السبيل أنهم كانوا يأخذون المسافر اذا مر بهم ويعملون به ذلك العمل الخبيث وهو اللواطة وأما اتيانهم المنكر في ناديهم فقيل كانوا يحذفون من مر بهم ويسخرون منهم وقيل كانوا يتضارطون في مجالسهم وقيل كان يأتي بعضهم بعضا في مجالسهم وكان لوط يدعوهم الى عبادة الله وينهاهم عن الامور التي يكرهها الله منهم من قطع السبيل وركوب الفواحش واتيان الذكور في الادبار ويتوعدهم على اصرارهم وترك التوبة بالعذاب الاليم فلا يزجرهم ذلك ولا يزيدهم وعظه الا تماديا واستعجالا لعقاب الله انكارا منهم لوعيده ويقولون له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين حتى سأل لوط ربه النصرة عليهم لما تطاول عليه أمرهم وتماديهم في غيهم فبعث الله لما أراد هلاكهم ونصر رسوله جبرئيل وملكين آخرين معه أحدهما ميكائيل والآخر اسرافيل فاقبلوا فيما ذكر مشاة في صورة رجال وأمرهم ان يبدؤا بابراهيم وسارة ويبشروه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم وكان الضيف قد أبطأ عنه خمسة عشر يوما حتى شق ذلك عليه وكان يضيف من نزل به وقد وسع الله عليه

صرة من الحنطة وثلاثين قضيبا من شجرات الجنة مودعة أصناف الثمار منها عشرة مما له قشر وهي الجوز واللوز والجلوز وهو البندق والفستق والخشخاش والشاهبلوط والرانج والرمان والموز والبلوط ومنها عشرة ذات نوى وهو الخوخ والمشمش والاجاص والرطب والغبيراء والنبق والزعرور والعناب والمقل والشاهلوج وهذا اسم فارسي وتفسيره ملك الاجاص ومنها ما لا قشر له ولا يزال دون مطعمها والنوى داخلها وهي التفاح والسفرجل والعنب والكمثرى والتين والتوت والاترج والقثاء والخيار والخروب ويقال ان آدم لما هبط من الجنة هو وحواء هبطا متفارقين فتعارفا بالموضع الذي يسمى عرفة وبتعارفهما فيه سمي بهذه التسمية وقيل غير ذلك وان آدم عليه السلام تاق الى حواء فغشيها فاشتملت على ذكر وانثى فسمى الذكر قابين والانثى لوبذاء ثم عاود الغشيان فاشتملت حواء أيضا على ذكر وأنثى فسمى الذكر هابيل والانثى أقليماء وقد تنوزع في اسم الولد الاول فذهب الاكثرون

الرزق فرح بهم ورأى ضيفا لم ير مثلهم حسنا وجمالا فقال لا يخدم هؤلاء القوم أحد الا أنا بيدي فخرج الى أهله فجاء بعجل سمين قد حنذه أى أنضجه فقربه اليهم فامسكوا أيديهم عنه فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة فضحكت لما عرفت من أمر الله ولما تعلم من قوم لوط فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فقالت وصكت وجهها أألد وأنا عجوز الى قوله حميد مجيد وكانت ابنة تسعين سنة وابراهيم ابن عشرين ومائة فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى ذهب يجادل جبرائيل فى قوم لوط فقال له أرأيت ان كان فيهم خمسون من المسلمين قالوا وان كان فيهم خمسون من المسلمين لم يعذبهم قال وأربعون قالوا وأربعون قال وثلاثون حتى بلغ عشرة قالوا وان كان فيهم عشرة قال ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير ثم قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين ثم مضت الملائكة نحو سدوم قرية لوط فلما انتهوا اليها لقوا لوطا فى أرض له يعمل فيها وقد قال الله تعالى لهم لا تهلكوهم حتى تشهدوا عليهم لوطا أربع شهادات فأتوه فقالوا انا مضيفوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت اليهم فقال لهم اما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية والله ما أعلم على ظهر الارض انسانا أخبث منهم حتى قال ذلك أربع مرات وقيل بل لقوا ابنته فقالوا يا جارية هل من منزل قالت نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم خافت عليهم من قومها فاتت أباها فقالت يا أبتاه ادرك فتيانا على باب المدينة ما رأيت أصبح وجوها منهم لئلا يأخذهم قومك فيفضحوهم وكان قومه قد نهوه ان يضيف رجلا فجاء بهم فلم يعلم الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فاخبرت قومها وقالت لهم قد نزل بنا قوم ما رأيت أحسن وجوها منهم ولا أطيب رائحة فجاءه قومه يهرعون اليه فقال يا قوم اتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد فنهاهم ورغبهم وقال هؤلاء بناتى هن أطهر لكم مما تريدون قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد أولم ننهك عن العالمين فلما لم يقبلوا منه قال لو أن لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد يعنى لو أن لى أنصارا أو عشيرة يمنعونى منكم فلما قال ذلك وجل عليه الرسل فقالوا ان ركنك لشديد ولم يبعث الله نبيا الا فى ثروة من قومه ومنعة من عشيرته وأغلق لوط الباب فعالجوه وفتح لوط الباب فدخلوا واستأذن جبرئيل ربه فى عقوبتهم فاذن له فبسط جناحه ففقأ أعينهم وخرجوا يدوس بعضهم بعضا عميانا يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط أسحر قوم فى الارض وقالوا للوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون فأخرجهم الله الى الشام وقال لوط أهلكوهم الساعة فقالوا لن نؤمر الا بالصبح أليس الصبح بقريب فلما كان الصبح ادخل جبرائيل وقيل ميكائيل جناحه فى أرضهم وقراهم الخمس فرفعها حتى سمع اهل السماء صياح ديكتهم ونباح كلابهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل فأهلكت من لم يكن بالقرى وسمعت امرأة لوط الهدة فقالت واقوماه فأدركها الحجر فقتلها ونجى الله لوطا وأهله الا امرأته وذكر أنه كان فيها أربعمائة ألف وكان ابراهيم يتشرف عليها ويقول سدوم يوما هالك ومدائن قوم لوط خمس سدوم وصبعة وعمرة ودوما وصعوة وسدوم هى القرية العظمى قوله يهرعون اليه هو مشى بين الهرولة والجمز

❊ذكر وفاة سارة زوج ابراهيم عليه السلام وذكر أولاده وأزواجه❊

لا يدفع أحد من أهل العلم ان سارة توفيت بالشام ولها مائة وسبع وعشرون سنة وقيل انها

كانت

أهل الكتاب وغيرهم ان اسمه قاين على ما ذكرنا ومنهم من رأى أن اسمه قابيل وهو قول فريق من الناس والاغلب ما قدمناه وقد ذكر على بن الجهم فى قصيدته فى بدء الخلق والذرء ذلك فقال

واقتنيا الابن فسمى قاينا
وعاينا من نشئه ما عاينا
فشب هابيل وشب قاين
ولم يكن بينهما تباين

وذكر أهل الكتاب ان آدم زوج أخت هابيل لقاين وأخت قاين لهابيل وفرق فى النكاح بين البطنين وهذه سنة آدم عليه السلام احتياطا لأقصى ما يمكنه فى ذوى المحارم لموضع الاضطرار وعجز النسل عن التباين والاغتراب وقد زعمت المجوس ان آدم لم يخالف فى النكاح بين البطون ولم يتحر المخالفة ولهم فى هذا المعنى شعر يدعون فيه الفضل فى الصلاح بتزويج الاخ من أخته والام من ابنها وقد أتينا به فى الفن الرابع عشر من كتابنا الموسوم باخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الداثرة وان هابيل وقاين قربا قربانا فنحر هابيل أجود

كانت بقرية الجبابرة من أرض كنعان وقيل عاشت هاجر بعد سارة مدة والصحيح ان هاجر توفيت قبل سارة كما ذكرنا في مسير ابراهيم الى مكة وهو الصحيح ان شاء الله تعالى فلما ماتت سارة تزوج بعدها قطورا ابنة يقطن امرأة من الكنعانيين فولدت له ستة نفر نفشان و زمران ومدين ومدان و نشق وسرح وكان جميع أولاد ابراهيم مع اسمعيل واسحق ثمانية نفر وكان اسمعيل بكره وقيل في عدد أولاده غير ذلك فالبربر من ولد نفشان وأهل مدين قوم شعيب من ولد مدين وقيل تزوج بعد قطورا امرأة أخرى اسمها حجون ابنة اهير

﴿ذكر وفاة ابراهيم وعدد ما أنزل عليه﴾

قيل لما أراد الله قبض روح ابراهيم أرسل اليه ملك الموت في صورة شيخ هرم فرآه ابراهيم وهو يطعم الناس وهو شيخ كبير في الحر فبعث اليه بحمار فركبه حتى أتاه فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه فيدخلها في عينه وأذنه ثم يدخلها فاه فاذا دخلت جوفه خرجت من دبره وكان ابراهيم سأل ربه أن لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت فقال يا شيخ مالك تصنع هذا قال يا ابراهيم الكبر قال ابن كم أنت فزاد على عمر ابراهيم سنتين فقال ابراهيم انما بيني وبين أن أصير هكذا سنتان اللهم اقبضني اليك فقام الشيخ وقبض روحه ومات وهو ابن مائتي سنة وقيل مائة وخمس وسبعين سنة وهذا عندي فيه نظر لان ابراهيم لا يخلو أن يكون قد رأى من هو أكبر منه بسنتين أو أكثر من ذلك فان من عاش مائتي سنة كيف لا يرى من هو أكبر منه بهذا القدر القريب ولكن هكذا روى ثم انه قد بلغه عمر نوح ولم يصبه شئ مما رأى بذلك الرجل وروى أبوذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وأنزل الله على ابراهيم عشر صحائف قال قلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المسلط المبتلى المغرور انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا أردها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثال (٣) منها وعلى العاقل مالم يكن مغلوبا على عقله ان يكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يفكر فيها في صنع الله وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاده أو مرمة لمعاشه أولذة في غير محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل الا فيما يعنيه وهو أول من اختتن وأول من أضاف الضيف وأول من اتخذ السراويل الى غير ذلك من الاقاويل

﴿ذكر خبر ولد اسمعيل بن ابراهيم﴾

قد ذكرنا فيما مضى سبب اسكان اسمعيل الحرم وتزوجه امرأة من جرهم وفراقه اياها بأمر ابراهيم ثم تزوج اخرى وهي السيدة بنت مضاض الجرهمي وهي التي قال لها قولي لزوجك قد رضيت عتبة بابك فولدت لاسمعيل اثنى عشر رجلا نابت وقيدار واذبل وميشا ومسمع ورما وماش وآزر وقطورا وفاقس وطميا وقيدمان وكان عمر اسمعيل فيما يزعمون سبعا وثلاثين ومائة سنة ومن نابت وقيدار ابنى اسمعيل نشر الله العرب وأرسله الله تعالى الى العماليق وقبائل اليمن وقد ينطق أولاد اسمعيل بغير الالفاظ التي ذكرت ولما حضرت اسمعيل الوفاة اوصى الى أخيه اسحق ان يزوج ابنته من العيص بن اسحق وان يدفن عند قبر أمه هاجر بالحجر

غمه وأفضل طعامه فقربه ونحر قابن شر ماله وقربه فكان من أمرهما ما قد حكاه الله تعالى في كتابه العزيز من قتل قابن هابيل ويقال انه اغتاله في برية قاع ويقال ان ذلك كان ببلاد دمشق من أرض الشأم وكان قتله شدخا بحجر فيقال ان الوحوش هنالك استوحشت من الانسان وذلك انه بدأ فبلغ الغرض بالشر والقتل فلما قتله تحير في تور يته وجعله يطوف به فبعث الله غرابا الى غراب فقتله ثم دفنه فأسف قابن ثم قال ماحكاه القرآن عنه ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخي فدفنه عند ذلك فلما علم آدم بذلك حزن وجزع وارتاع وهلع (قال المسعودى) وقد استفاض في الناس شعر يعزونه الى آدم قاله حين حزن على ولده وأسف على فقده وهو

تغيرت البلاد ومن عليها
فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى لون وطعم
وقل بشاشة الوجه الصبيح
وبدل أهلها خمطا واثلا
بجنات من الفردوس فيح
وجاورنا عدو ليس ينسى
لعين لا يموت فنستريح
وقتل قابن هابيل ظلما
فوا أسفا على الوجه المليح

(٣) قوله وكان فيها امثال هكذا في النسخ التي بأيدينا والاولى حذفها أو ابدال امثال بمواعظ اهـ

﴿ذكر اسحق بن ابراهيم وأولاده﴾

قيل ونكح اسحق رفقا بنت بتويل فولدت له عيص ويعقوب توأمين وان عيص كان أكبرهما
وكان عمر اسحق لما ولدله ستين سنة ثم نكح عيص ابن اسحق نسمة بنت عمه اسمعيل فولدت له
الروم بن عيص وكل بني الاصفر من ولده وزعم بعض الناس ان اشبان من ولده ونكح يعقوب
ابن اسحق وهو اسرائيل ابنة خاله ليا بنت لبان بن بتويل فولدت له روبيل وكان أكبر ولده
وشمعون ولاوي ويهوذا وزبالون ولشحر وقيل ويشحر ثم توفيت ليا فتزوج اختها راحيل فولدت
له يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد وولد له من سريتين أربعة نفر دان ونفتالي وجاد واشر
فكان ليعقوب اثنا عشر رجلا قال السدي تزوج اسحق بجارية فحملت بغلامين فلما أرادت ان
تضع أراد يعقوب ان يخرج قبل عيص فقال عيص والله لئن خرجت قبلي لاعترض في بطن أمي
ولاقتلنها فتأخر يعقوب وخرج عيص وأخذ يعقوب بعقب عيص فسمي يعقوب وسمي أخوه
عيص لعصيانه وكان عيص احبهما الى أبيه ويعقوب أحبهما الى أمه وكان عيص صاحب صيد
فقال له اسحق لما كبر وعمي يابني اطعمني لحم صيد واقترب مني أدع لك بدعاء دعالي به أبي وكان
عيص رجلا أشعر وكان يعقوب أجرد وسمعت أمهما ذلك فقالت ليعقوب يابني اذبح شاة واشوها
والبس جلدها وقربها الى أبيك وقل له أنا ابنك عيص ففعل ذلك يعقوب فلما جاء قال يا أبتاه كل
قال من أنت قال أنا ابنك عيص فمسحه اسحق فقال المس مس عيص والريح ريح يعقوب فقالت
أمه انه عيص فكل فاكل ودعا له ان يجعل الله في ذريته الانبياء والملوك وقام يعقوب وجاء عيص
وكان في الصيد فقال لابيه قد جئتك بالصيد الذي طلبت فقال يابني قد سبقك أخوك فحلف عيص
ليقتلن يعقوب فقال يابني قد بقيت لك دعوة فدعا له أن تكون ذريته عدد التراب وان لايملكهم
غيرهم وهرب يعقوب خوفا من أخيه الى خاله وكان يسري بالليل ويكمن بالنهار فلذلك سمي
اسرائيل ثم ان يعقوب تزوج ابنتي خاله وجمع بينهما فلذلك قال الله تعالى وان تجمعوا بين الاختين
الا ما قد سلف وولد له منهما فماتت راحيل في نفاسها ببنيامين وأراد يعقوب الرجوع الى بيت
المقدس فاعطاه خاله قطيع غنم فلما ارتحلوا لم يكن لهم نفقة فقالت زوجة يعقوب ليوسف اسرق
صنما من أصنام أبي نستنفق منه فسرق صنما من أصنام أبيها واحب يعقوب يوسف وأخاه بنيامين
حبا شديدا ليتمهما وقال يعقوب لراع من الرعاة اذا أتاكم أحد يسألكم من أنتم فقولوا نحن ليعقوب
عبد عيص ولقيهم عيص فسألهم فاجابه الراعي بذلك الجواب فكف عيص عن يعقوب ونزل
يعقوب الشام ومات اسحق بالشام وعمره مائة وستون سنة ودفن عند أبيه ابراهيم عليه السلام

﴿قصة أيوب عليه السلام﴾

وهو رجل من الروم من ولد عيص وهو أيوب بن موص بن وازج بن عيص بن اسحق بن ابراهيم
وقيل موص بن روعيل بن عيص وكانت زوجته التي أمر ان يضربها بالضغث ليا ابنة يعقوب بن
اسحق وقيل هي رحمة ابنة افرايم بن يوسف وكانت أمه من ولد لوط وكان دينه التوحيد والاصلاح
بين الناس واذا أراد حاجة سجد ثم طلبها وكان من حديثه وسبب بلائه ان ابليس سمع تجاوب
الملائكة بالصلاة على ايوب حين ذكره الله فحسده وسال الله ان يسلطه عليه ليفتنه عن دينه
فسلطه على ماله حسب فجمع ابليس عظماء أصحابه من العفاريت وكان لايوب البثنية جميعها
من اعمال دمشق بما فيها وكان له فيها ألف شاة برعاته وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل

فقال لا أجود بسكب دمع
وهابيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة على غما
وما أنا من حياتي مستريح
ووجدت في عدة من كتب
التواريخ والسير والانساب
ان آدم لما نطق بهذا الشعر
أجابه ابليس من حيث يسمع
صوته ولا يرى شخصه وهو
يقول
تنح عن البلاد وساكنيها
فقد في الارض ضاق بك
الفسيح
وكنت وزوجك الحواء فيها
آدم من أذى الدنيا مريح
فما زالت مكايدتي ومكري
الى ان فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الرحمن أضحت
بكفك من جنان الخلد ريح
ووجدت أن آدم عليه السلام
سمع صوتا ولا يرى شخصا
وهو يقول بيتا آخر مفردا
دون ما ذكرنا من هذا الشعر
وهو هذا البيت
أباهابيل قد قتلا جميعا
وصار الحي بالموت الذبيح
فلما سمع آدم ذلك ازداد حزنا
وجزعا على الماضي والباقي
وعلم ان القاتل مقتول فاوحى
الله اليه اني مخرج منك نوري
الذي به السلوك في القنوات
الطاهرة والارومات
الشريفة وأباهي به الانوار
وأجعله خاتم الانبياء وأجعله
خيار الائمة الخلفاء وأختم
الزمان بمدتهم وأغص الارض

عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة الفدان اتان ولكل اتان ولد واثنان وما فوق ذلك فلما جمعهم ابليس قال ما عندكم من القوة والمعرفة فانى قد تسلطت على مال أيوب فقال كل منهم قولا فارسلهم فاهلكوا ماله كله وأيوب يحمد الله ولا يرجع عن الجد فى عبادته والشكر له على ما أعطاه والصبر على ما ابتلاه فلما رأى ذلك ابليس من أمره سأل الله ان يسلطه على ولده فسلط ولم يجعل له سلطانا على جسده ولا عقله وقلبه فاهلك ولده كلهم ثم جاء اليه متمثلا بمعلمه الذى كان يعلمهم الحكمة جريحا مشدوخا يرققه حتى رق أيوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه فسر بذلك ابليس ثم ان أيوب ندم لذلك وجد واستغفر فصعد حفظته من الملائكة بتوبته الى الله قبل ابليس فلما لم يرجع أيوب عن عبادة ربه والصبر على ما بلاه به سأل الله تعالى ان يسلطه على جسده فسلطه عليه خلا لسانه وقلبه وعقله فانه لم يجعل له على ذلك سلطانا فجاءه وهو ساجد فنفخ فى منخره نفخة اشتعل منها جسده وصار أمره الى ان انتثر لحمه وامتلأ جسده دودا فان كانت الدودة لتسقط من جسده فيردها اليه ويقول كلى من رزق الله وأصابه الجذام وكان أشد من ذلك عليه انه كان يخرج فى جسده مثل ثدى المرأة ثم يتفقأ وأنتن حتى لم يطق احد أن يشم ريحه فاخرجه أهل القرية منها الى الكناسة خارج القرية لا يقربه أحد الا زوجته وكانت تختلف اليه بما يصلحه فبقى مطروحا على الكناسة سبع سنين ما يسأل الله ان يكشف ما به وما على وجه الارض أكرم على الله منه وقيل كان سبب بلائه ان أرض الشام اجدبت فارسل فرعون الى أيوب ان هلم الينا فان لك عندنا سعة فاقبل باهله وخيله وماشيته فاقطعهم فرعون القطائع ثم ان شعيبا النبى دخل الى فرعون فقال يا فرعون اما تخاف ان يغضب الله غضبة فيغضب لغضبه أهل السماء وأهل الارض والبحار والجبال وأيوب ساكت لا يتكلم فلما خرجا أوحى الله الى ايوب يا أيوب سكت عن فرعون لذهابك الى أرضه استعد للبلاء فقال أيوب أما كنت اكفل اليتيم وآوى الغريب وأشبع الجائع واكفت الارملة فرت سحابة يسمع فيها عشرة آلاف صوت من الصواعق يقولون من فعل ذلك يا أيوب فأخذ ترابا فوضعه على رأسه وقال أنت يارب فاوحى الله اليه استعد للبلاء قال فدينى قال اسلمه لك قال فما أبالى وقيل كان السبب غير ذلك وهو نحو مما ذكرناه فلما ابتلاه الله واشتد البلاء قالت امرأته انك رجل مجاب الدعوة فادع الله ان يشفيك فقال كنا فى النعماء سبعين سنة فلنصبر فى البلاء سبعين سنة والله لئن شفانى الله لاجلدنك مائة جلدة وقيل انما اقسم ليجلدنها لان ابليس ظهر لها وقال بما أصابكم ما أصابكم قالت بقدر الله قال وهذا أيضا بقدر الله فاتبعينى فاتبعته فأراها جميع ما ذهب منهم فى واد وقال اسجدى لى وأرد عليكم فقالت ان لى زوجا استأمره فلما أخبرت ايوب قال الم تعلمى ان ذلك الشيطان لئن شفيت لاجلدنك مائة جلدة وأبعدها وقال لها طعامك وشرابك على حرام لا اذوق مما تأتينى به شيأ فابعدى عنى فلا اراك فذهبت عنه فلما رأى أيوب ان امرأته قد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا وقال رب انى مسنى الضر وانت أرحم الراحمين كرر ذلك فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ورد الله اليه جسده وصورته واما امرأته فقالت كيف اتركه وليس عنده أحد يموت جوعا وتأكله السباع فرجعت اليه فرأت ايوب وقد عوفى فلم تعرفه فعجبت حيث لم تره على حاله فقالت له يا عبد الله هل رأيت ذلك الرجل المبتلى الذى كان ههنا قال وهل تعرفينه اذا رأيتيه قالت نعم قال هو انا فعرفته وقيل انما

بدعوتهم وانشرها بشيعتهم فشمر وتطهر وقدس وسبح واغش زوجتك على طهارة منها فان وديعتى تنتقل الى الولد الكائن منكما فواقع آدم حواء فحملت لوقتها وأشرق جبينها وتلألأ النور فى مخايلها ولمع من محاجرها حتى اذا انتهى حملها وضعت نسمة كأسر ما يكون من الذكران وأتمهم وقارا وأحسنهم صورة وأكملهم هيئة وأعدلهم خلقا مجللا بالنور والهيبة موشحا بالجلالة والابهة فانتقل النور من حواء اليه حتى لمع فى أسارير جبهته وبسق فى غرة طلعته فسماه آدم شيثا وقيل شيث هبة الله حتى اذا ترعرع وينفع وكهل واستبصر أوعز اليه آدم وصيته وعرفه محل ما استودعه وأعلمه انه حجة الله بعده وخليفته فى الارض والمؤدى حق الله الى أوصيائه وأنه ثانى انتقال الذرة الطاهرة والجرثومة الزاهرة ثم ان آدم حين أدى الوصية الى شيث احتقبها واحتفظ بمكنونها وأتت وفاة آدم عليه السلام وقرب انتقاله فتوفى يوم الجمعة لست خلون من نيسان فى الساعة التى كان فيها خلقه وكان عمره عليه السلام

قال مسنى الضر لما وصل الدود الى لسانه وقلبه خاف ان يبطل عن ذكر الله تعالى والفكر ورد الله اليه اهله ومثلهم معهم قيل هم باعيانهم وقيل رد الله اليه امرأته ورد اليها شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وانزل الله اليه ملكا فقال يا ايوب ان الله يقرئك السلام لصبرك على البلاء اخرج الى أندرك فخرج اليه فبعث الله سحابة فألقت عليه جرادا من ذهب وكانت الجرادة تذهب فيتبعها حتى يردها فى اندره فقال الملك اما تشبع من الداخل حتى تتبع الخارج فقال ان هذه البركة من بركات ربى لست اشبع منها وعاش ايوب بعد ان رفع عنه البلاء سبعين سنة ولما عوفى امره الله ان يأخذ عرجونا من النخل فيه مائة شمراخ فيضرب به زوجته ليبر من يمينه ففعل ذلك وقول أيوب رب انى مسنى الضر دعاء ليس بشكوى ودليله قوله تعالى فاستجبنا له وكان من دعاء ايوب أعوذ بالله من جار عينه ترانى ان رأى حسنة سترها وان رأى سيئة ذكرها وقيل كان سبب دعائه انه كان قد اتبعه ثلاثة نفر على دينه اسم احدهم يلدد والآخر اليفر والثالث صافر فانطلقوا اليه وهو فى البلاء فبكتوه أشد تبكيت وقالوا له لقد اذنبت ذنبا ما اذنبه احد فلهذا لم يكشف العذاب عنك وطال الجدال بينهم وبينه فقال فتى كان معهم لهم كلاما رد عليهم فقال قد تركتم من القول أحسنه ومن الرأى أصوبه ومن الامر أجمله وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذى وصفتم فهل تدرون حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذى عبتم ألم تعلموا أن أيوب نبى الله وخيرته من خلقه يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يعلمكم الله انه سخط شيأ من أمره ولا انه نزع شيأ من الكرامة التى أكرم الله بها عباده ولا أن ايوب فعل غير الحق فى طول ما صحبتموه فان كان البلاء هو الذى ازرى به عندكم ووضعه فى نفوسكم وقد علمتم ان الله يبتلى النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لأولئك دليلا على سخطه عليهم ولا على هوانهم عليه ولكنها كرامة وخيرة لهم وأطال فى هذا النحو من الكلام ثم قال لهم وقد كان فى عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يكل ألسنتكم ويكسر قلوبكم ويقطع حجتكم الم تعلموا ان لله عبادا اسكتهم خشيته عن الكلام من غير عى ولا بكم وانهم لهم الفصحاء الالباء العالمون بالله وآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم وطاشت احلامهم وعقولهم فزعا من الله وهيبة له فاذا أفاقوا استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون انفسهم مع الظالمين وانهم لابرار ومع المقصرين وانهم لاكياس أتقياء ولكنهم لا يستكثرون لله عز وجل الكثير ولا يرضون له القليل ولا يدلون عليه بالاعمال فهم أينما لقيتهم خائفون مهيمون وجلون فلما سمع ايوب كلامه قال ان الله يزرع الحكمة بالرحمة فى قلب الصغير والكبير فتى كانت فى القلب ظهرت على اللسان ولا تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة واذا جعل الله تعالى عبدا حكيما عند الصبا لم تسقط منزلته عند الحكام ثم اقبل على الثلاثة فقال رهبتم قبل ان تسترهبوا وبكيتم قبل ان تضربوا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عنى باموالكم لعل الله ان يخلصنى أو قربوا قربانا لعل الله ان يتقبل ويرضى عنى وانكم قد اعجبتكم انفسكم فظننتم انكم عوفيتم باحسانكم فبغيتم وتعززتم لو صدقتم ونظرتم بينكم وبين ربكم لوجدتم لكم عيوبا سترها الله بالعافية وقد كنت فيما خلا والرجال يوقروننى وأنا مسموع كلامى معروف من حقى مستنصف من خصمى فاصبحت اليوم وليس لى رأى ولا كلام معكم فانتم أشد على من مصيبتى ثم اعرض عنهم واقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه فقال رب لاى شئ خلقتنى ليتنى ان كرهتنى لم تخلقنى ياليتنى كنت حيضة

تسعمائة سنة وثلاثين سنة وكان قد وصى ابنه شيثا عليه السلام على ولده ويقال ان آدم مات عن اربعين ألفا من ولده وولد ولده وتنازع الناس فى قبره فنهم من زعم ان قبره بنى فى مسجد الخيف ومنهم من رأى انه فى كهف جبل أبى قبيس وقيل غير ذلك والله أعلم بحقيقة الحال وان شيثا حكم فى الناس واستشرع صحف أبيه وما أنزل عليه فى خاصته من الاسفار والاشراع وان شيثا واقع امرأته فحملت بأنوش فانتقل النور اليها حتى اذا وضعته لاح النور عليه فلما بلغ الوصاة أوعز اليه شيث فى شان الوديعة وعرفه شأنها وانها شرفهم وكرمهم وأوعز اليه أن ينبه ولده على حقيقة هذا الشرف وكبر محله وأن ينبهوا أولادهم عليه ويجعل ذلك فيهم وصية منتقلة مادام النسل فكانت الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن الى ان أدى الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا موضع تنازع الناس فيه من أهل الملة ممن قال بالنص وغيرهم من أصحاب الاختيار والقائلون بالنص هم الاباضية أهل الامامة

ملقاه ويا ليتني عرفت الذنب الذي اذنبت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت امتني فالموت أجمل بي ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهي أنا عبد ذليل ان أحسنت فالمن لك وان اسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا فقد وقع علي البلاء لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي ذهب المال فصرت اسأل بكفي فيطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمنها علي ويعيرني اهلك أولادي ولو بقي أحدهم أعانني قد ملني أهلي وعقني ارحامي فتنكرت معارفي ورغب عني صديقي وجحدت حقوقي ونسيت صنائعي اصرخ فلا يصرخونني واعتذر فلا يعذرونني دعوت غلامي فلم يجبني وتضرعت الى أمتي فلم ترحمني وان قضاءك هو الذي آذاني واقماني وان سلطانك هو الذي اسقمني فلو ان ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي ثم كان ينبغي للعبد ان يحاج مولاه عن نفسه لرجوت ان تعافيني عند ذلك ولكنه القاني وعلا عني فهو يراني ولا اراه ويسمعني ولا أسمعه لا نظر الي فرحمني ولا دنا مني فاتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي فلما قال أيوب ذلك أظلتهم غمامة ونودي منها يا أيوب ان الله يقول قد دنوت منك ولم ازل منك قريبا فقم فأدل بحجتك وتكلم ببراءتك وقم مقام جبار فانه لا ينبغي ان يخاصمني الا جبار تجعل الزيار في فم الاسد واللجام في فم التنين وتكيل مكيالا من النور وتزن مثقالا من الريح وتصر صرة من الشمس وترد امس لقد منتك نفسك أمرا لا تبلغه بمثل قوتك أردت ان تكابرني بضعفك أم تخاصمني بعيك ام تحاجني بخطلك أين أنت مني يوم خلقت الارض هل علمت باي مقدار قدرتها اين كنت معي يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا بعلائق ولا بدعائم تحملها هل تبلغ حكمتك ان تجري نورها او تسير نجومها او يختلف بامرك ليلها ونهارها وذكر أشياء من مصنوعات الله فقال أيوب قصرت عن هذا الامر ليت الارض انشقت لي فذهبت فيها ولم اتكلم بشيء يسخطك الهي اجتمع علي البلاء وانا أعلم ان كل الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك لا يعجزك شيء ولا تخفى عليك خافية تعلم ما تخفي القلوب وقد علمت في بلائي مالم اكن اعلمه كنت اسمع بسطوتك سمعا فاما الآن فهو نظر العين انما تكلمت بما تكلمت به لتعذرني وسكت لترحمني وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي فدسست فيه وجهي فلا أعود لشيء تكرهه ودعا فقال الله يا أيوب نفذ فيك حكمي وسبقت رحمتي غضبي قد غفرت لك ورددت عليك اهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وعبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء وقرب عن أصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك فركض برجله فانفجرت له عين ماء فاغتسل فيها فرفع الله عنه البلاء ثم خرج فجلس واقبلت امرأته فسألته عنه فقال هل تعرفينه قالت نعم مالي لا أعرفه فتبسم فعرفته بضحكه فاعتنقته فلم تفارقه من عناقه حتى مر بهما كل مال لهما وولد وانما ذكرته قبل يوسف وقصته لما ذكر بعضهم من أمره وانه كان نبيا في عهد يعقوب وذكر ان عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة وانه أوصى عند موته الى ابنه حومل وان الله بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نبيا وسماه ذا الكفل وكان مقيما بالشام حتى مات وكان عمره خمسا وسبعين سنة فاوصى الى ابنه عيدان وان الله بعث بعده شعيب بن صيفون بن عنقا بن نابت بن مدين بن ابراهيم عليه السلام

﴿ذكر قصة يوسف عليه السلام﴾

من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه والطاهرين من ولده الذين زعموا ان الله لم يخل عصرا من الاعصار من قائم بحق الله اما أنبياء واما أوصياء منصوص عن أسمائهم واعيانهم من الله ورسوله وأصحاب الاختيار هم فقهاء الامصار والمعتزلة وفرق من الخوارج والمرجئة وكثير من أصحاب الحديث والعوام وفرق من الزيدية فزعم هؤلاء ان الله ورسوله فوض الى الامة ان تختار رجلا منها فتنصبه لها اماما وان بعض الاعصار قد يخلو من حجة الله وهو الامام المعصوم عند الشيعة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من ايضاح ما وصفنا من أقاويل المتنازعين وتباين المختلفين وان انوش قد لبث في الارض يعمرها وقد قيل والله أعلم ان شيثا أصل النسل من آدم دون سائر ولده وقيل غير ذلك وفي زمن انوش قتل قابن ابن آدم قاتل أخيه ولمقتله خبر عجيب قد أوردناه في اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وكانت وفاة انوش لثلاث خلون من تشرين الاول فكانت مدته تسعمائة سنة وستين سنة وكان قد ولد له قينان ولاح النور في جبينه وأخذ عليه

ذكروا أن اسحق توفي وعمره ستون ومائة سنة وقبره عند ابيه ابراهيم قبره ابناه يعقوب وعيص في مزرعة حبرون وكان عمر يعقوب مائة وسبعا واربعين سنة وكان ابنه يوسف قد قسم له ولامه شطر الحسن وكان يعقوب قد دفعه الى أخته ابنة اسحق تحضنه فاحبته حبا شديدا وأحبه يعقوب أيضا حبا شديدا فقال لاخته يا أخية سلمي الى يوسف فوالله ما أقدر ان يغيب عني ساعة فقالت والله ما انا بتاركته ساعة فأصر يعقوب على أخذه منها فقالت اتركه عندي أياما لعل ذلك يسليني ثم عمدت الى منطقة اسحق وكانت عندها لانها كانت اكبر ولده فحزمتها على وسط يوسف ثم قالت قد فقدت المنطقة فانظروا من أخذها فالتمست فقالت اكشفوا أهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف وكان من مذهبهم ان صاحب السرقة يأخذ السارق له لا يعارضه فيه أحد فاخذت يوسف فامسكته عندها حتى ماتت وأخذه يعقوب بعد موتها فهذا الذي تقول اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل وقيل في سرقته غير هذا وقد تقدم فلما رأى اخوة يوسف محبة أبيهم له واقباله عليه حسدوه وعظم عندهم ثم ان يوسف رأى في منامه كأن احد عشر كوكبا والشمس والقمر تسجد له فقصها على أبيه وكان عمره حينئذ اثنتي عشرة سنة فقال له أبوه يابني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين ثم عبر له رؤياه فقال وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث وسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لابيه فقال لها يعقوب اكتمي ما قال يوسف لا تخبري أولادك قالت نعم فلما أقبل أولاد يعقوب من الرعي أخبرتهم بالرؤيا فازدادوا حسدا وكراهة له وقالوا ما عني بالشمس غير ابينا ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا ان ابن راحيل يريد ان يتملك علينا ويقول أنا سيدكم وتآمروا بينهم ان يفرقوا بينه وبين أبيه وقالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفي ضلال مبين في خطأ بين في ايثارهما علينا اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين اي تائبين فقال قائل منهم وهو يهودا وكان أفضلهم وأعقلهم لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة واخذ عليهم العهود انهم لا يقتلونه فاجمعوا عند ذلك ان يدخلوا على يعقوب ويكلموه في ارسال يوسف معهم الى البرية واقبلوا اليه ووقفوا بين يديه وكذلك كانوا يفعلون اذا أرادوا منه حاجة فلما رآهم قال ما حاجتكم قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون تحفظه حتى نرده أرسله معنا الى الصحراء يرتع ويلعب وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب انه ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لا تشعرون وانما قال لهم ذلك لانه كان رأى في منامه كأن يوسف على رأس جبل وكأن عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليقتلوه واذا ذئب منها يحمي عنه وكأن الارض انشقت فذهب فيها فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة ايام فلذلك خاف عليه الذئب فقال له بنوه لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما سمع يعقوب ذلك اطمأن اليهم فقال يوسف يا أبت ارسلني معهم قال أوتحب ذلك قال نعم فاذن له فلبس ثيابه وخرج معهم وهم يكرمونه فلما برزوا الى البرية أظهروا له العداوة وجعل بعض اخوته يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه فجعل لا يرى منهم رحيما فضربوه حتى كادوا يقتلونه وجعل يصيح يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بابنك بنو الاماء فلما كادوا يقتلونه قال لهم يهودا أليس قد أعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فانطلقوا به الى الجب فأوثقوه كتافا ونزعوا قميصه وألقوه فيه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به في الجب فقالوا ادع

العهد فعمر البلاد حتى مات فكانت مدته تسعمائة سنة وعشرين سنة وقد قيل ان موته كان في عوز بعد ما ولد له مهلائيل فكانت مدة مهلائيل ثمانمائة سنة وقد ولد له لود والنور متوارث والعهد مأخوذ والحق قائم ويقال ان كثيرا من الملاهي أحدثت في ايامه أحدثها ولد قاين قاتل أخيه ولولد قاين مع ولد لود حروب وقصص قد أتينا على ذكرها في كتابنا اخبار الزمان ووقع التحارب بين ولد شيث وبين غيرهم من ولد قاين واكثر هذا النوع بأرض قار من أرض الهند والى بلدهم أضيف العود القماري فكانت حياة لود سبعمائة سنة واثنتين وثلاثين سنة وكانت وفاته في اذار وقام بعده ولده (خنوخ) وهو ادريس النبي صلى الله عليه وسلم والصابئة تزعم انه هو هرمس ومعنى هرمس عطارد وهو الذي أخبر الله عز وجل في كتابه انه رفعه مكانا عليا وهو أول من درز الدروز وخاط بالابرة وأنزل عليه ثلاثون صحيفة وكان قد نزل قبل ذلك على آدم احدى وعشرون صحيفة وأنزل على شيث تسع وعشرون صحيفة فيها تهليل وتسبيح وقام بعده (متوشلخ)

الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا يؤانسونك قال انى لم أرشيأ فدلوه فى الجب فلما بلغ نصفه ألقوه وأرادوا أن يموت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة فقام عليها ثم نادوه فظن أنهم قد رحموه فاجابهم فارادوا أن يرضخوه بالحجارة فمنعهم يهودا ثم أوحى الله اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون بالوحى وقيل لا يشعرون انه يوسف والجب بأرض بيت المقدس معروف ثم عادوا الى أبيهم عشاء يبكون فقالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب فقال لهم أبوهم بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل ثم قال لهم أرونى قميصه فأروه فقال تالله ما رأيت ذئبا أحلم من هذا أكل ابنى ولم يشق قميصه ثم صاح وخر مغشيا عليه ساعة فلما أفاق بكى بكاء طويلا فأخذ القميص يقبله ويشمه وأقام يوسف فى الجب ثلاثة أيام وأرسل الله ما كالخل كتافه ثم جاءت سيارة فأرسلوا واردهم وهو الذى يتقدم الى الماء فأدلى دلوه الى البئر فتعلق به يوسف فأخرجه من الجب وقال يا بشرى هذا غلام أى تباشروا وقيل بشرى اسم غلام وأسروه بضاعة يعنى الوارد وأصحابه خافوا ان يقول اشتريناه فيقول الرفقة أشركونا فيه فقال ان أهل الماء استبضعوناه هذا الغلام وجاء يهودا بطعام ليوسف فلم يره فى الجب فنظر فرآه عند مالك فى المنزل فاخبر اخوته بذلك فأتوا مالكا وقالوا هذا عبد ابق منا وخافهم يوسف فلم يذكر حاله واشتروه من اخوته بثمن بخس قيل عشرون درهما وقيل أربعون درهما وذهبوا به الى مصر فكساه مالك وعرضه للبيع فاشتراه قطفير وقيل اطفير وهو العزيز وكان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العمالقة قيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف ومات ويوسف حى وملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف فلم يؤمن فلما اشترى يوسف وأتى به الى منزله قال لامرأته واسمها راعيل أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا اذا فهم الامور بعض ما نحن بسبيله او نتخذه ولدا وكان لا يأتى النساء وكانت امرأته حسناء ناعمة فى ملك ودنيا فلما خلا من عمر يوسف ثلاث وثلاثون سنة آتاه الله العلم والحكمة قبل النبوّة وراودته راعيل عن نفسه وأغلقت الابواب عليه وعليها ودعته الى نفسها فقال معاذ الله انه ربى يعنى ان زوجك سيدى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون يعنى ان خيانته ظلم وجعلت تذكر محاسنه وتشوّقه الى نفسها فقالت له يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أوّل ما ينتثر من جسدى قالت يا يوسف ما أحسن عينيك قال هى أوّل ما يسيل من جسدى قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب فلم تزل به حتى همت وهم بها وذهب ليحل سراويله (٢) فاذا هو بصورة يعقوب قد عض على اصبعه يقول يا يوسف أتواقعها انما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير فى جوّ السماء لا يطاق ومثلك اذا واقعتها مثله اذا مات وسقط الى الارض وقيل جلس بين رجليها فرأى فى الحائط ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فقام حين رأى برهان ربه هاربا يريد الباب فادركته قبل خروجه من الباب فجذبت قميصه من قبل ظهره فقدّته وألفيا سيدها لدى الباب وابن عمها معه فقالت له ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الا ان يسجن قال يوسف بل هى راودتنى عن نفسى فهربت منها فادركتنى فقدّت قميصى قال لها ابن عمها تبيان هذا فى القميص فان كان قدّ من قبل فصدقت وان كان قدّ من دبر فكذبت فأتى بالقميص فوجده قدّ من دبر فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وقيل كان الشاهد صبيا فى المهد قال ابن عباس تكلم أربعة فى المهد وهم صغار ابن ماشطة امرأة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم وقال زوجها يوسف أعرض عن هذا أى ذكر ما كان منها فلا تذكره لاحد ثم قال لزوجته استغفرى لذنبك انك

ابن خنوخ فعمر البلاد والنور فى جبينه وولد له أولاد وقد تكلم الناس فى كثير من ولده وان البلغر والروس والصقالبة من ولده وكانت حياته تسعمائة سنة وستين سنة ومات فى أيلول وقام بعده (لمك) وكانت فى أيامه كوائن واختلاف ونوفى وكانت حياته سبعمائة سنة وتسعين سنة وقام بعده (نوح) بن لمك عليه السلام وقد كثر الفساد فى الارض فاشتدت دياجى الظلم فقام فى الارض داعيا الى الله فأبوا الا طغيانا وكفرا فدعا الله عليهم فأوحى الله اليه ان اصنع الفلك فلما فرغ من السفينة أتاه جبريل عليه السلام بتابوت آدم فيه رمته وكان ركوبهم فى السفينة يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من أذار فاقام نوح ومن معه فى السفينة على ظهر الماء وقد غرق جميع الارض خمسة أشهر ثم

---

(٢) قوله وذهب ليحل سراويله نعوذ بالله من اعتقاد هذا بل هم بها بالضرب تأديبا أو ان الهم وحصوله معلق على عدم رؤية البرهان والا فانبياء الله منزهون عن الهم على الفاحشة اهـ من هامش

كنت من الخاطئين وتحدث النساء بأمر يوسف وامرأة العزيز وبلغ ذلك امرأة العزيز فارسلت
اليهن وأعتدت لهن متكأ يتكئن عليه وسائد وحضرن وقدمت لهن أترنجا واعطت كل واحدة
منهن سكينا لقطع الاترنج وقد أجلست يوسف فى غير المجلس الذى هن فيه وقالت له اخرج عليهن
فخرج فلما رأينه أكبرنه واعظمنه وقطعن أيديهن بالسكاكين ولا يشعرن وقلن معاذ الله ما هذا
بشرا ان هذا الا ملك كريم فلما حل بهن ما حل من قطعهن أيديهن وذهاب عقولهن وعرفن
خطأهن فيما قلن أقرت على نفسها وقالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه
فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين فاختار يوسف السجن على
معصية الله فقال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن
فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن ثم بدا للعزيز من بعد مارأى الآيات من القميص وخمش
الوجه وشهادة الطفل وتقطيع النسوة ايديهن فى ترك يوسف مطلقا وقيل انها شكت الى زوجها
وقالت ان هذا العبد قد فضحنى فى الناس يخبرهم انى راودته عن نفسه فسجنه سبع سنين فلما
حبس يوسف ادخل معه السجن فتيان من أصحاب فرعون مصر أحدهما صاحب طعامه والآخر
صاحب شرابه لانهما نقل عنهما انهما يريدان أن يسما الملك فلما دخل يوسف السجن قال انى
اعبر الاحلام فقال أحد الفتيين للآخر هلم فلنجربه قال الخباز انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا
تأكل الطير منه وقال الآخر انى أرانى أعصر خمرا فقال لهما يوسف لا يأتيكما طعام ترزقانه الا
نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما كره ان يعبر لهما ماسألاه عنه واخذ فى غير ذلك وقال يا صاحبى
السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار وكان اسم الخباز مجلث واسم الآخر نبو فلم
يدعاه حتى أخبرهما بتأويل ماسألاه عنه فقال اما أحدكما وهو الذى رأى انه يعصر الخمر فيسقى
ربه خمرا يعنى سيده الملك وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه فلما عبر لهما قالا ما رأينا
شيأ قال قضى الامر الذى فيه تستفتيان ثم قال لنبو وهو الذى ظن انه ناج منهما اذكرنى عند ربك
الملك وأخبره انى محبوس ظلما فأنساه الشيطان ذكر ربه غفلة عرضت ليوسف من قبل
الشيطان فأوحى الله اليه يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن حبسك فلبث فى السجن سبع
سنين ثم ان الملك وهو الريان بن الوليد بن الهروان بن اراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ
ابن سام بن نوح رأى رؤياه اذ رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ورأى سبع سنبلات
خضر وأخر يابسات فجمع السحرة والكهنة والحازة والعافة فقصها عليهم فقالوا اضغاث أحلام
وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين فقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أى حين أنا أنبئكم بتأويله
فارسلون فارسلوه الى يوسف فقص عليه الرؤيا فقال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه
فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما
تحصنون ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون فان البقر السمان سنون
مخاصيب والبقرات العجاف السنون المحول وكذلك السنبلات الخضر واليابسات فعاد نبو الى
الملك فاخبره فعلم ان قول يوسف حق فقال ائتونى به فلما أتاه الرسول ودعاه الى الملك لم يخرج معه
وقال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن فلما رجع الرسول من عند يوسف
سأل الملك أولئك النسوة فقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء ولكن امرأة العزيز خبرتنا انها
راودته عن نفسه فقالت امرأة العزيز أنا راودته عن نفسه فقال يوسف انما رددت الرسل ليعلم
سيدى أنى لم أخنه بالغيب فى زوجته فلما قال ذلك قال له جبرائيل ولا حين هممت بها فقال يوسف

أمر الله الارض ان تبلغ
الماء والسماء أن تقلع
واستوت السفينة على
الجودى والجودى ببلاد
ماسور جزيرة ابن عمر
الموصلى وبينه وبين دجلة
ثمانية فراسخ وموضع
خروج السفينة على رأس
هذا الجبل الى هذه الغاية
وذكر ان بعض الارض
لم يسرع الى بلع الماء ومنها
ما اسرع الى بلعه عندما
ما أمرت فما أطاع كان
ماؤه عذبا اذا احتفر وما
تأخر عن القبول اعقبها الله
بماء ملح وملاحات ورمال
وما تخلف من الماء الذى
امتنعت الارض من بلعه
انحدر الى قعور مواضع
من الارض فمن ذلك
البحار وهى بقية ماء
غضب اهلك به امم وسنذكر
بعد هذا الموضع من
كتابنا هذا أخبار
البحار ووضعها ونزل
نوح من السفينة ومعه
أولاده الثلاثة وهم (سام
وحام ويافث) وكنائنه
الثلاث أزواج أولاده
وأربعون رجلا وأربعون
امرأة وصاروا الى سفح
هذا الجبل فابتنوا هنالك
مدينة سموها ثمانين وهو
اسمها الى وقتنا هذا وهو
سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة ودبر عقب هؤلاء

وما

وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء فلما ظهر للملك براءة يوسف وأمانته قال ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما جاءه الرسول خرج معه ودعا لاهل السجن وكتب على بابه هذا قبر الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم اغتسل ولبس ثيابه وقصد الملك فلما وصل اليه وكلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين فقال يوسف اجعلني على خزائن الارض فاستعمله بعد سنة ولو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته فسلم خزائنه كلها اليه بعد سنة وجعل القضاء اليه وحكمه نافذا ورد اليه عمل قطفير سيده بعد ان هلك وكان هلاكه في تلك الليالي وقيل بل عزله فرعون وولى يوسف عمله والاول أصح لان يوسف تزوج امرأته على ما نذكره ولما ولي يوسف عمل مصر دعا الملك الريان الى الايمان فآمن ثم توفي ثم ملك بعده مصر قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن فاران ابن عمرو بن عملاق فدعاه يوسف الى الايمان فلم يؤمن وتوفي يوسف في ملكه ثم ان الملك الريان زوج يوسف راعيل امرأة سيده فلما دخل بها قال أليس هذا خيرا مما كنت تريدين فقالت أيها الصديق لا تلمني فاني كنت امرأة حسناء جميلة في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك فغلبتني نفسي ووجدها بكرا فولدت له ولدين افرايم ومنشا فلما ولي يوسف خزائن أرضه ومضت السنون السبع المخصبات وجمع فيها الطعام في سنبله ودخلت السنون المجدبة وقحط الناس وأصابهم الجوع وأصاب بلاد يعقوب التي هو بها فبعث بنيه الى مصر وامسك بنيامين أخا يوسف لامه فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون وانما أنكروه لبعد عهدهم منه ولتغير لبسه فانه لبس ثياب الملوك فلما نظر اليهم قال أخبروني ما شأنكم قالوا نحن من الشام جئنا نمتار الطعام قال كذبتم أنتم عيون فاخبروني خبركم قالوا نحن عشرة أولاد رجل واحد صديق كنا اثني عشر وانه كان لنا أخ فخرج معنا الى البرية فهلك وكان أحبنا الى أبينا قال فالى من سكن أبوكم بعده قالوا الى أخ لنا أصغر منه قال فأتوني به أنظر اليه فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه قال فاجعلوا بعضكم عندي رهينة حتى ترجعوا فوضعوا شمعون أصابته القرعة وجهزهم يوسف بجهازهم وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم يعني ثمن الطعام في رحالهم لعلهم يرجعون لما علم ان أمانتهم وديانتهم تحملهم على رد البضاعة فيرجعون اليه لاجلها وقيل ردما لهم لانه خشي ان لا يكون عند أبيه ما يرجعون به مرة أخرى فاذا رأوا معهم بضاعة عادوا وكان يوسف حين رأى ما بالناس من الجهد قد آسى بينهم وكان لا يحمل للرجل الا بعيرا فلما رجعوا الى أبيهم باحمالهم قالوا يا أبانا ان عزيز مصر قد أكرمنا كرامة لو انه بعض أولاد يعقوب ما زاد على كرامته وانه ارتهن شمعون وقال أئتوني باخيكم الذي عطف عليه أبوكم بعد أخيكم فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل فلما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير قال يعقوب ذلك كيل يسير فقال يعقوب لن أرسله معكم حتى تؤتوني موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل ثم أوصاهم أبوهم بعد ان أذن لاخيهم في الرحيل معهم وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة خاف عليهم العين وكانوا ذوي صورة حسنة ففعلوا كما أمرهم أبوهم ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه وعرفه وأنزلهم منزلا وأجرى عليهم الوظائف وقدم لهم الطعام واجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا

الثمانين نفسا وجعل الله نسل الخليقة من نوح من الثلاثة من ولده وقد اخبر الله عز وجل بذلك بقوله وجعلنا ذريته هم الباقين والله أعلم بهذا التأويل والمتخلف عنه من ولده الذي قال له يا بني اركب معنا هو يام وقسم الارض نوح بين أولاده أقساما وخص كل واحد بموضع ودعا على ولده حام لامر كان منه مع ما قد اشتهر فقال ملعون حام عبد عبيد يكون لاخوته ثم قال مبارك سام ويكثر الله يافث ويحل يافث في مسكن سام ووجدت في التوراة ان نوحا عاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة فجميع عمر نوح تسعمائة سنة وخمسون سنة فانطلق حام واتبعه ولده فنزلوا مساكنهم في البر والبحر على حسب ما نذكره بعد هذا الموضع من هذا الكتاب وسنذكر تفرق النسل في الارض ومساكنهم فيها من ولد يافث وسام وحام (فاما سام) فسكن وسط الارض من بلاد الحرم الى حضرموت الى عمان الى عالج فمن ولده ارم بن سام وارفخشذ بن سام بن نوح ومن ولد ارم بن سام عاد بن عوض بن ارم بن سام وكانوا ينزلون الاحقاف من الرمل فارسل اليهم هود وثمود بن

لا جلسنى معه فقال يوسف لقد بقى أخوكم هذا وحيدا فاجلسه معه وقعد يؤاكله فلما كان الليل جاءهم بالفرش وقال لينم كل أخوين منكم على فراش وبقى بنيامين وحده فقال هذا ينام معى فبات معه على فراشه فبقى يشمه ويضمه اليه حتى أصبح وذكر له بنيامين حزنه على يوسف فقال له اتحب أن أكون أخاك عوض أخيك الذاهب فقال بنيامين ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه فعانقه وقال له انى أنا أخوك يوسف فلا تبتئس بما فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا ولا تعلمهم بما علمتك وقيل لما خلوا على يوسف نقر الصواع وقال انه يخبرنى انكم كنتم اثنى عشر رجلا وانكم بعتم أخاكم فلما سمعه بنيامين سجد له وقال سل صاعك هذا عن أخى أحى هو فنقره ثم قال هو حى وستراه قال فاصنع بى ما شئت فانه ان علم بى سوف يستنقذنى قال فدخل يوسف فبكى ثم توضأ وخرج اليهم قال فلما حمل يوسف ابل اخوته من الميرة جعل الاناء الذى يكيل به الطعام وهو الصواع وكان من فضة فى رحل أخيه وقيل كان اناء يشرب فيه ولم يشعر أخوه بذلك وقيل ان بنيامين لما علم ان يوسف أخوه قال لا أفارقك قال يوسف أخاف غم أبوينا ولا يمكننى حبسك الا بعد ان أشهرك بأمر فظيع قال افعل قال فانى اجعل الصواع فى رحالك ثم أنادى عليك بالسرقة لآخذك منهم قال افعل فلما ارتحلوا أذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين لانا رددنا ثمن الطعام الى يوسف فلما قالوا ذلك قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه تأخذونه لكم فبدأ بأوعيتهم فتشها قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه فقالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف وكانت سرقته حين سرق صنما لجده أبى أمه فكسره فعيروه بذلك وقيل ما تقدم ذكره من المنطقة فلما استخرجت السرقة من رحل الغلام قال اخوته يا بنى راحيل لا يزال لنا منكم بلاء فقال بنيامين بل بنو راحيل ما زال لهم منكم بلاء وضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع الدراهم فى رحالكم فاخذ يوسف أخاه بحكم اخوته فلما رأوا انهم لا سبيل لهم عليه سألوه ان يتركه لهم وقالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه فقال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فلما أيسوا من خلاصه خلصوا نجيا لا يختلط بهم غيرهم فقال كبيرهم وهو شمعون وقيل روبيل ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ان نأتيه بأخينا الا ان يحاط بنا ومن قبل هذه المرة ما فرطتم فى يوسف فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى بالخروج وقيل بالحرب فارجعوا الى أبيكم فقصوا عليه خبركم فلما رجعوا الى أبيهم فاخبروه بخبر بنيامين وتخلف شمعون قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله ان يأتينى بهم جميعا يوسف وأخيه وشمعون ثم أعرض عنهم وقال واحزناه على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم مملوء من الحزن والغيظ فقال له بنوه تالله لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا اى دنفا او تكون من الهالكين فاجابهم يعقوب فقال انما اشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون من صدق رؤيا يوسف وقيل بلغ من وجد يعقوب وجد سبعين مثكلا واعطى على ذلك اجر مائة شهيد قيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد انهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ ابوك فقال هشمنى وأفنانى ما ابتلانى الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه اتشكونى الى خلقى قال يارب خطيئة فاغفرها قال قد غفرتها لك فكان يعقوب اذا سئل بعد ذلك قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله فأوحى الله اليه لو كانا ميتين لاحييتهما لك انما ابتليتك لانك قد شويت وقترت على جارك ولم تطعمه وقيل كان سبب ابتلائه انه كان له بقرة لها عجول فذبح عجولها بين يديها وهى تخور فلم يرحمها

غاثر بن ارم بن سام وكانوا ينزلون الجزيرة بين الشأم والحجاز فارسل الله اليهم أخاهم صالحا وكان من امرهم مع صالح ما قد اتضح أمره واشتهر خبره وسنذكر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب لمعا من اخباره واخبار غيره من الانبياء عليهم السلام وطسم وجديس ابنا لاوذ ابن ارم وكانوا ينزلون اليمامة والبحرين وأخوهما عمليق ابن لاوذ بن ارم نزل بعضهم الحرم وبعضهم الشأم ومنهم العماليق تفرقوا فى البلاد واخوهم أميم بن لاوذ نزل أرض فارس وسنذكر فى باب تنازع الناس وانساب الفرس من هذا الكتاب من ألحق كيومرث باميم وقيل ان اميما نزل أرض وبار وهى التى غلبت عليها الجن على ما زعم الاخباريون من العرب ونزل بنو عبيل بن عوض أخى عاد بن عوص مدينة الرسول عليه السلام وولد سام بن نوح ماش ابن ارم بن سام نزل بابل فولد نمروذ بن ماش وهو الذى بنى الصرح ببابل وجسر جسرا ببابل على شاطئ الفرات وملك خمسمائة سنة وهو ملك النبط وفى زمانه فرق الله الالسن فجعل فى ولد سام تسعة

يعقوب فابتلى بفقد اعز ولده عنده وقيل ذبح شاة فقام ببابه مسكين فلم يطعمه منها فأوحى الله اليه فى ذلك واعلمه انه سبب ابتلائه فصنع طعاما ونادى من كان صائما فليفطر عند يعقوب ثم ان يعقوب امر بنيه الذين قدموا عليه من مصر بالرجوع اليها وتحسس الاخبار عن يوسف وأخيه فرجعوا الى مصر فدخلوا على يوسف وقالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة يعنى قليلة فأوف لنا الكيل قيل كانت بضاعتهم دراهم زيوفا وقيل كانت سمنا وصوفا وقيل غير ذلك وتصدق علينا بفضل ما بين الجيد والردىء وقيل برد اخينا علينا فلما سمع كلامهم غلبته نفسه فارفض دمعه باكيا ثم باح لهم بالذى كان يكتم وقيل انما اظهر لهم ذلك لان اباه كتب اليه حين قيل له انه اخذ ابنه لانه سرق كتابا من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر المظهر العدل اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء أما جدى فشدت يداه ورجلاه والقى فى النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبى فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على حلقه ليذبح ففداه الله واما انا فكان لى ابن وكان احب اولادى الى فذهب به اخوته الى البرية فعادوا ومعهم قميصه ملطخا بدم وقالوا اكله الذئب وكان لى ابن آخر اخوه لامه فكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ الكتاب لم يتمالك ان بكى وأظهر لهم فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون قالوا أئنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخى قد من الله علينا بأن جمع بيننا فاعتذروا وقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم اى لا أذكر لكم ذنبكم يغفر الله لكم ثم سألهم عن أبيه فقالوا لما فاته بنيامين عمى من الحزن فقال اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه ابى يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين فقال يهوذا أنا اذهب به لانى ذهبت اليه بالقميص ملطخا بالدم وأخبرته ان يوسف أكله الذئب فانا اخبره انه حى فافرحه كما أحزنته وكان هو البشير ولما فصلت العير عن مصر حملت الريح الى يعقوب ريح يوسف وبينهما ثمانون فرسخا ويوسف بمصر ويعقوب بارض كنعان فقال يعقوب انى لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون فقال له من حضره من اولاده تالله انك من ذكر يوسف لفى ضلالك القديم فلما ان جاء البشير بقميص يوسف ألقاه على وجه يعقوب فعاد بصيرا وقال الم اقل لكم انى اعلم من الله ما لا تعلمون يعنى تصديق الله تاويل رؤيا يوسف ولما ان جاء البشير قال له يعقوب كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اى دين تركته قال تركته على الاسلام قال الآن تمت النعمة فلما رأى من عنده من اولاده قميص يوسف وخبره قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا قال سوف استغفر لكم أخر الدعاء الى السحر من ليلة الجمعة ثم ارتحل يعقوب وولده فلما دنا من مصر خرج يوسف يتلقاه ومعه أهل مصر وكانوا يعظمونه فلما دنا احدهما من صاحبه نظر يعقوب الى الناس والخيل وكان يعقوب يمشى ويتوكأ على ابنه يهوذا فقال له يا بنى هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك يوسف فلما قرب منه اراد يوسف ان يبدأه بالسلام فمنع من ذلك فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان لانه لم يفارقه الحزن والبكاء مدة غيبة يوسف عنه قال فلما دخلوا مصر رفع أبويه يعنى أمه وأباه وقيل كانت خالته وكانت أمه قد ماتت وخروا له يعقوب وأمه واخوته سجدا وكان السجود تحية الناس للملوك ولم يرد بالسجود وضع الجبهة على الارض فان ذلك لا يجوز الا لله تعالى وانما أراد الخضوع والتواضع والانحناء على السلام كما يفعل الآن بالملوك والعرش السرير وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا

عشر لسانا وفى ولد حام سبعة عشر لسانا وفى ولد يافث ستة وثلاثين لسانا وتشعبت بعد ذلك اللغات وتفرعت الالسن وسنذكر هذا فى موضعه الذى يوجد فى كتابنا هذا وتفرق الناس فى البلاد وما قالوا فى ذلك من الاشعار عند تفرقهم فى البلاد بارض العراق ويقال ان فالغ هو الذى قسم الارض بين الامم ولذلك سمى فالغ وهو فالح أى قاسم بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح فولد شالح فالغ بن شالح الذى قسم الارض وهو جد ابراهيم عليه السلام وعابر ابن شالح وابنه قحطان بن عابر وابنه يعرب بن قحطان وهو أول من حيا ولده بتحية الملك أنعم صباحا وأبيت اللعن وقيل ان غيره حيا بهذه التحية الملك من ملوك الحيرة وقحطان أبو اليمن كلها على حسب ما نذكر ان شاء الله تعالى فى باب تنازع الناس فى انساب اليمن من هذا الكتاب وهو أول من تكلم بالعربية لاعرابه عن المعانى وابانته عنهما ويقطن بن عابر بن شالح وهو جرهم وجرهم بن عم يعرب وكانت جرهم ممن سكن اليمن وتكلم بالعربية ثم نزلوا بمكة فكانوا بها على حسب ما نورده من اخبارهم

وكان بين رؤيا يوسف ومجيء يعقوب أربعون سنة وقيل ثمانون سنة فانه ألقي في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة ولقيه وهو ابن سبع وتسعين سنة وعاش بعد جمع شمله ثلاثا وعشرين سنة وتوفي وله مائة وعشرون سنة واوصى الى أخيه يهوذا وقيل كانت غيبة يوسف عن يعقوب ثماني عشرة سنة وقيل ان يوسف دخل مصر وله سبع عشرة سنة واستوزره فرعون بعد ثلاث عشرة سنة من قدومه الى مصر وكانت مدة غيبته عن يعقوب اثنتين وعشرين سنة وكان مقام يعقوب بمصر وأهله معه سبع عشرة سنة وقيل غير ذلك والله اعلم ولما مات يعقوب اوصى الى يوسف أن يدفنه مع أبيه اسحق ففعل يوسف فسار به الى الشام فدفنه عند أبيه ثم عاد الى مصر واوصى يوسف ان يحمل من مصر و يدفن عند آبائه فحمله موسى لما خرج ببني اسرائيل و ولد يوسف افرايم ومنشا فولد لافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى و ولد لمنشا موسى قبل موسى بن عمران و زعم اهل التوراة انه موسى الخضر و ولد له رحمة امرأة ايوب في قول

﴿قصة شعيب عليه السلام﴾

قيل ان اسم شعيب يثرون بن ضيعون بن عنقا بن ثابت بن مدين بن ابراهيم وقيل هو شعيب بن ميكيل من ولد مدين وقيل لم يكن شعيب من ولد ابراهيم وانما هو من ولد بعض من آمن بابراهيم وهاجر معه الى الشام ولكنه ابن بنت لوط فجدة شعيب ابنة لوط وكان ضرير البصر وهو معنى قوله تعالى وانا لنراك فينا ضعيفا أي ضرير البصر وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكره قال ذاك خطيب الانبياء بحسن مراجعته قومه وان الله ارسله الى أهل مدين وهم أصحاب الايكة والايكة شجر ملتف وكانوا أهل كفر بالله وبخس للناس في المكاييل والموازين وافساد أموالهم وكان الله وسع عليهم في الرزق و بسط لهم في العيش استدراجا لهم منه مع كفرهم بالله فقال لهم شعيب يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني أراكم بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط فلما طال تماديهم في غيهم وضلالهم ولم يردهم تذكير شعيب اياهم وتحذيره عذاب الله اياهم الا تماديا ولما أراد اهلاكهم سلط عليهم عذاب يوم الظلة وهو ما ذكره ابن عباس في تفسير قوله تعالى فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم فقال بعث الله عليهم وقدة وحرا شديدا فأخذ بأنفسهم فخرجوا من البيوت هرابا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فأظلتهم من الشمس فوجدوا لها بردا ولذة فنادى بعضهم بعضا حتى اجتمعوا تحتها فارسل الله عليهم نارا قال عبد الله بن عباس فذلك عذاب يوم الظلة وقال قتادة بعث الله شعيبا الى أمتين الى قومه أهل مدين والى أصحاب الايكة وكانت الايكة من شجر ملتف فلما اراد الله أن يعذبهم بعث عليهم حرا شديدا ورفع لهم العذاب كأنه سحابة فلما دنت منهم خرجوا اليها رجاء بردها فلما كانوا تحتها امطرت عليهم نارا قال فذلك قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة واما أهل مدين فهم من ولد مدين بن ابراهيم الخليل فعذبهم الله بالرجفة وهي الزلزلة فاهلكوا وقال بعض العلماء كان قوم شعيب عطلوا حدا فوسع الله عليهم في الرزق ثم عطلوا حدا فوسع الله عليهم في الرزق فجعلوا كلما عطلوا حدا وسع الله عليهم في الرزق حتى اذا أراد اهلاكهم سلط عليهم حرا لا يستطيعون ان يتقاروا ولا ينفعهم ظل ولا ماء حتى ذهب ذاهب منهم فاستظل تحت ظلة فوجد روحا فنادى أصحابه هلموا الى الروح فذهبوا اليه سراعا حتى اذا اجتمعوا اليها ألهبها الله عليهم نارا فذلك عذاب يوم الظلة وقد روى عامر عن ابن عباس انه قال له من حدثك ما عذاب يوم الظلة فكذبه وقال مجاهد عذاب يوم الظلة هو اظلال العذاب على قوم شعيب وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى يا شعيب اصلواتك تأمرك ان نترك

وقطور بنو عم لهم ثم اسكنها الله اسمعيل عليه السلام ونكح في جرهم فهم اخوال ولده وذكر أهل الكتاب ان مالك بن سام بن نوح حي لان الله عز وجل أوحى الى سام ان الذي وكلته بجسد آدم بقيته الى آخر الابد وذلك ان سام بن نوح دفن تابوت آدم في وسط الارض فوكل مالكا بقبره وكانت وفاة سام يوم الجمعة وذلك في أيلول وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل ستمائة سنة وكان القيم بعد سام في الارض ولده (ارفخشذ) وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل أربعمائة سنة وخمسا وستين سنة وكانت وفاته في نيسان ولما قبض الله ارفخشذ قام بعده ولده (شالح) بن ارفخشذ وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل اربعمائة سنة وثلاثين سنة ولما قبض الله شالح قام بعده ولده (عابر) فعمر البلاد وكانت في ايامه كوائن وتمازع في مواضع من الارض وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل اليه ثلثمائة وأربعين سنة ولما قبض الله عابر قام بعده (فالغ) على نهج من سلف من آبائه وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائتي سنة وسبعا وثلاثين سنة وقد قدمنا

مايعبدآباؤنا أوأن نفعل فى أموالنامانشاء قال مما كان ينهاهم عنه قطع الدراهم

﴿قصة الخضر وخبره مع موسى﴾

قال أهل الكتاب ان موسى صاحب الخضر هوموسى بن منشابن يوسف بن يعقوب والحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى صاحب الخضر هوموسى بن عمران على مانذكره وكان الخضر ممن كان فى أيام افريدون الملك بن اثغيان فى قول علماء الكتاب الاول قبل موسى بن عمران وقيل انه كان على مقدمة ذى القرنين الاكبر الذى كان فى أيام ابراهيم الخليل وانه بلغ مع ذى القرنين نهر الحياة فشرب من مائه ولا يعلم ذو القرنين ومن معه فخلد وهو حى عندهم الى الآن وزعم بعضهم انه كان من ولد من آمن مع ابراهيم وهاجر معه واسمه بليابن ملكان بن فالغ ابن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وكان أبوه ملكا عظيما وقال آخرون ذو القرنين الذى كان على عهد ابراهيم افريدون بن اثغيان وعلى مقدمته كان الخضر قال عبد الله بن شوذب الخضر من ولد فارس والياس من بنى اسرائيل يلتقيان كل عام بالموسم وقال ابن اسحق استخلف الله على بنى اسرائيل رجلا منهم يقال له ناشية بن أموص فبعث الله لهم الخضر معه نبيا قال واسم الخضر فيما يقول بنو اسرائيل ارميا بن حلقيا وكان من سبط هرون بن عمران وبين هذا الملك وبين افريدون أكثر من ألف عام وقول من قال ان الخضر كان فى أيام افريدون وذى القرنين الاكبر قبل موسى بن عمران أشبه بالحديث الصحيح ان موسى بن عمران أمره الله بطلب الخضر ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أعلم الخلق بالكائن من الامور فيحتمل ان يكون الخضر على مقدمة ذى القرنين قبل موسى وانه شرب من ماء الحياة فطال عمره ولم يرسل فى أيام ابراهيم وبعث فى أيام ناشية بن أموص وكان ناشية هذا فى أيام بشتاسب بن لهراسب والحديث مارواه أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس ان نوفا يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى بن عمران قال كذب عدو الله حدثنى أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان موسى قام فى بنى اسرائيل خطيبا فقيل له أى الناس اعلم فقال أنا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم اليه فقال يارب هل هناك أعلم منى قال بلى عبد لى بمجمع البحرين قال يارب كيف لى به قال تأخذ حوتا فتجعله فى مكتل فحيث تفقده فهو هناك فأخذ حوتا فجعله فى مكتل ثم قال لفتاه اذا فقدت هذا الحوت فأخبرنى فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى أتيا الصخرة وذلك الماء وهو ماء الحياة فمن شرب منه خلد ولا يقاربه شئ ميت الا حيى فمس الحوت منه فحيى وكان موسى راقدا واضطرب الحوت فى المكتل فخرج فى البحر فامسك الله عنه جرية الماء فصار مثل الطاق فصار للحوت سربا وكان لهما عجبا ثم انطلقا فلما كان حين الغداء قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى تجاوز حيث أمره الله فقال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا قال يقصان آثارهما حتى أتيا الصخرة فاذا رجل نائم مسجى بثوبه فسلم موسى عليه فقال وأنى بارضنا السلام قال أنا موسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم قال ياموسى انى على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله لا أعلمه قال له موسى هل أتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا قال ستجدنى ان شاء الله

ذكره فى هذا الكتاب فيما سلف وما كان بأرض بابل عند تبلبل الالسن ولما قبض الله فالغ قام بعده (رعو) بن فالغ وقيل ان فى زمنه كان مولد نمرود الجبار وكان عمره الى ان قبضه الله مائتى سنة وكانت وفاته فى نيسان ولما قبض الله رعو قام بعده (ساروغ) بن رعو وقيل انه فى ايامه ظهرت عبادة الاصنام والصور لضروب من العلل احدثت فى الارض وكان عمره الى ان قبضه الله اليه مائتى سنة وثلاثين سنة ولما قبض الله ساروغ قام بعده (ناحور) ابن ساروغ مقتديا بمن سلف من آبائه وحدث فى ايامه رجف وزلازل لم تعهد فيما سلف من الايام قبله وأحدثت فى أيامه ضروب من المحن والآلات وكانت فى ايامه حروب وتحزيب الاحزاب من الهند وغيرها وكان عمره الى ان قبضه الله اليه مائة سنة وستا وأربعين سنة ولما قبض الله ناحور قام بعده ولده (تارح) وهو آزر ابو ابراهيم الخليل وفى عصره كان نمرود بن كنعان وفى ايام نمرود حدثت فى الارض عبادة النيران والانوار وجعل لها مراتب فى العبادات وكان فى الارض

صابرا ولا أعصى لك أمرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ثم ركبا سفينة فجاء عصفور فقعد على حرف السفينة فنقر في الماء فقال الخضر لموسى ما ينقص علمي وعلمك من علم الله الا مقدار ما نقر هذا العصفور من البحر قال فبيناهم في السفينة فلم يفجأ موسى الا وهو يتد وتدا أو ينزع تختا منها فقال له موسى حملنا بغير نول فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا قال وكانت الاولى من موسى نسيانا قال فخرجا فانطلقا يمشيان فأبصرا غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ برأسه فقتله فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فلم يجدا أحدا يطعمهما ولا يسقيهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فاقامه فقال له موسى لم يضيفونا ولم ينزلونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وفي قراءة أبي سفينة صالحة وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا الى ما لم تسطع عليه صبرا فكان ابن عباس يقول ما كان الكنز الا علما قيل لابن عباس لم نسمع لفتى موسى بذكر فقال شرب الفتى من الماء فخلد فاخذه العالم فطابق به سفينته ثم أرسلها في البحر فانها لتموج به الى يوم القيامة الحديث يدل على ان الخضر كان قبل موسى وفي أيامه ويدل على خطا من قال انه أرميا لان أرميا كان أيام بختنصر وبين أيام موسى وبختنصر من المدة ما لا يشكل على عالم بايام الناس فان موسى انما نبئ في أيام منوجهر وكان ملكه بعد جده افريدون

﴿ذكر الخبر عن منوجهر والحوادث في أيامه﴾

ثم ملك بعد افريدون بن اثغيان بن كاو منوجهر وهو من ولد ايرج بن افريدون وكان مولده بدنباوند وقيل بالري فلما ولد منوجهر أخفى أمره خوفا من طوج وسلم عميه ولما كبر منوجهر سار الى جده افريدون فتوسم فيه الخير وجعل له ما كان جعله لجده ايرج من المملكة وتوجه بتاجه وقد زعم بعضهم ان منوجهر بن نجر بن افريقش بن اسحق بن ابراهيم انتقل اليه الملك واستشهد بقول جرير بن عطية

وابناء اسحق الليوث اذا ارتدوا * حمائل موت لابسين السنورا
اذا انتسبوا عدوا الصبهبذ منهم * وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا
وكان كتاب فيهم ونبوّة * وكانوا باصطخر الملوك وتسترا
فيجمعنا والغرّ ابناء فارس * أب لا يبالي بعده من تأخرا
أبونا خليل الله والله ربنا * رضينا بما أعطى الاله وقدرا

وأما الفرس فتنكر هذا النسب ولا تعرف لها ملكا الا في اولاد أفريدون ولا تقر بالملك لغيره قلت والحق ما قاله الفرس فان أسماء ملوكهم قبل الاسكندر معروفة وبعد أيامه ملوك الطوائف واذا كان منوجهر أيام موسى وكل ما بين موسى واسحق خمسة آباء معروفون ولم

رهج عظيم من حروب واحداث حروب وممالك بالشرق والغرب وغير ذلك وظهر القول باحكام النجوم وصور الافلاك وعملت لها الآلات وقرب فهم ذلك الى قلوب الناس فنظر أصحاب النجوم الى طالع السنة التي ولد فيها ابراهيم عليه السلام وماذا يوجب فأخبر النمروذ ان مولودا يولد يسفه احلامهم ويزيل عبادتهم فامر النمروذ بقتل الولدان واخفى ابراهيم عليه السلام ومات آزر وهو تارح وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائتين وستين سنة والله الموفق للصواب

(ذكر قصة ابراهيم عليه السلام ومن تلا عصره من الانبياء والملوك من بني اسرائيل وغيرهم)

ولما نشأ ابراهيم عليه السلام وخرج من المغارة التي كان بها وتامل آفاق الارض والعالم وما فيه من دلائل الحدوث والتأثير نظر الى الزهرة واشراقها فقال هذا ربي فلما رأى القمر أنور منها قال هذا ربي فلما رأى الشمس أبهر مما رأى قال هذا ربي هذا أكبر وقد تنازع الناس في قول ابراهيم هذا ربي فنهم من رأى ان ذلك كان على طريق الاستدلال

بزالوا بمصرفى أى زمان كثروا وانتشروا وملكوا بلاد الفرس ومن أين لجرير هذا العلم حتى يكون قوله حجة لاسيما وقد جعل الجميع ابناء اسحق قال هشام بن الكلبي ملك طوج وسلم الارض بعد أخيهما ايرج ثلثمائة سنة ثم ملك منوجهر مائة وعشرين سنة ثم وثب به ابن لطوج التركى على رأس ثمانين سنة فنفاه عن بلاد العراق اثنتى عشرة سنة ثم أديل منه منوجهر فنفاه عن بلاده وعاد الى ملكه بعد ذلك ثمانيا وعشرين سنة وكان منوجهر يوصف بالعدل والاحسان وهو أوّل من خندق الخنادق وجمع آلة الحرب وأوّل من وضع الدهقنة فجعل لكل قرية دهقانا وأمر أهلها بطاعته ويقال ان موسى ظهر فى سنة ستين من ملكه وقال غير هشام انه لما ملك سار نحو بلاد الترك طالبا بدم جده ايرج بن افريدون فقتل طوج بن افريدون وأخاه سلما ثم ان افراسياب بن فشنج بن رستم بن ترك الذى ينسب اليه الاتراك من ولد طوج بن افريدون حارب منوجهر بعد قتله طوج بستين سنة وحاصره بطبرستان ثم اصطلحا ان يجعلا حدما بين ملكيهما رمية سهم رجل من أصحاب منوجهر اسمه ايرشى وكان راميا شديد النزع فرمى سهما من طبرستان فوقع بنهر بلخ وصار النهر حدما بين الترك ولد طوج وعمل منوجهر قالت وهذا من أعجب ما يتداوله الفرس فى أكاذيبهم ان رمية سهم تبلغ هذا كله وقد ذكر ان منوجهر اشتق من الفرات ودجلة ونهر بلخ أنهارا عظاما وأمر بعمارة الارض وقيل ان الترك تناولت من أطراف رعيته بعد خمس وثلاثين سنة من ملكه فوبخ قومه وقال لهم أيها الناس انكم لم تلدوا الناس كلهم وانما الناس ناس ما ناضلوا عن أنفسهم ودفعوا العدوّ عنهم وقد نالت الترك من أطرافكم وليس ذلك الا بترككم جهاد عدوكم وان الله أعطانا هذا الملك ليبلونا أنشكر أم نكفر فيما قمنا فاذا كان غد فاحضروا فحضر الناس والاشراف فقام على قدميه فقام له الناس فقال اقعدوا انما قمت لاسمعكم فجلسوا فقال أيها الناس انما الخلق للخالق والشكر للمنعم والتسليم للقادر ولا بد مما هو كائن وانه لا أضعف من مخلوق طالبا كان أو مطلوبا ولا أقوى من خالق ولا أقدر ممن طلبته فى يده ولا أعجز ممن هو فى يد طالبه وان التفكر نور والغفلة ظلمة فالضلالة جهالة وقد ورد الاوّل ولا بد للآخر من اللحاق بالاول ان الله أعطانا هذا الملك فله الحمد ونسأله الهام الرشد والصدق واليقين وانه لا بد ان يكون للملك على أهل مملكته حق ولاهل مملكته عليه حق فحق الملك عليهم أن يطيعوه ويناصحوه ويقاتلوا عدوّه وحقهم على الملك ان يعطيهم أرزاقهم فى أوقاتها اذ لا معوّل لهم الا عليها وانه خازنهم وحق الرعية على الملك ان ينظر اليهم ويرفق بهم ولا يحملهم على ما لا يطيقون وان أصابتهم مصيبة أو تنقص من ثمارهم ان يسقط عنهم خراج ما نقص وان اجتاحتهم مصيبة ان يعوضهم ما يقويهم على عمارتهم ثم يأخذ منهم بعد ذلك قدر ما لا يجحف بهم فى سنة او سنتين ألا وان الملك ينبغى ان يكون فيه ثلاث خصال ان يكون صدوقا لا يكذب وان يكون سخيا لا يبخل وان يملك نفسه عند الغضب فانه مسلط ويده مبسوطة والخراج يأتيه فلا يستأثر على جنده ورعيته بما هم أهل له وان يكثر العفو فانه لا ملك أقوى ولا أبقى من ملك فيه العفو فان الملك ان يخطئ فى العفو خير من ان يخطئ فى العقوبة ألا وان الترك قد طمعت فيكم فاكفونا فانما تكفون أنفسكم وقد أمرت لكم بالسلاح والعدّة وأنا شريككم فى الرأى وانما لى من هذا الملك اسمه مع الطاعة منكم ألا وانما الملك ملك اذا أطيع فان خولف فهو مملوك وليس بملك ألا وان أكمل الاداة عند المصيبات الاخذ بالصبر والراحة الى اليقين فمن قتل فى مجاهدة العدوّ رجوت له بفوز رضوان الله وانما هذه الدنيا سفر لاهلها لا يحلون عقد الرحال الا فى غيرها وهى خطبة طويلة ثم أمر بالطعام فأكلوا وشربوا

والاستغفار ومنهم من رأى ان ذلك منه كان قبل البلوغ وحال التكليف ومنهم من رأى غير ذلك فأتاه جبريل فعلمه دينه واصطفاه الله نبيا وخليلا وكان قد أوتى رشده من قبل ومن أوتى رشده فقد عصم من الخطا والزلل وعبادة غير الواحد الصمد فعاب ابراهيم عليه السلام على قومه ما رأى من عبادتهم واتخاذهم المجوّفات آلهة لهم فلما كثر عليهم ذم ابراهيم لآلهتهم واستفاض ذلك فيهم اتخذ له النمرود النار وألقاه فيها فجعلها الله عليه بردا وسلاما وخمدت النار على سائر بقاع الارض فى ذلك اليوم وولد لابراهيم (اسمعيل) عليهما السلام وذلك بعد ان مضى من عمره ست وثمانون أو سبع وثمانون سنة وقيل سبعون سنة من هاجر جارية كانت لسارة وكانت سارة أول من آمن بابراهيم عليه السلام وهى ابنة بتوايل بن ناحور وهى ابنة عم ابراهيم وقد قيل غير هذا مما سنورده بعد هذا الموضع وآمن به لوط بن هاران بن تارح بن ناحور وهو ابن أخى ابراهيم عليه السلام وأرسل الله (لوطا) الى سدوم وقراها الخمس وهى صبغة وعمرة وادماه وصبوغ وبالع وان قوم لوط

وخرجوا وهم له شاكرون مطيعون وكان ملكه مائة وعشرين سنة وزعم ابن الكلبي ان الرائش واسمه الحرث بن قيس بن صيفي بن سبا بن يعرب بن قحطان وكان قد ملك اليمن بعد يعرب بن قحطان كان ملكه باليمن أيام ملك منوجهر وانما سمي الرائش لغنيمة غنمها فادخلها اليمن فسمي الرائش ثم غزا الهند فقتل بها وأسر وغنم ورجع الى اليمن ثم سار على جبلي طيئ ثم على الانبار ثم على الموصل ووجه منها خيله وعليها رجل من أصحابه يقال له شمر بن العطاف فدخل على الترك بأرض أذربيجان فقتل المقاتلة وسبى الذرية وكتب ما كان من مسيره على حجرين وهما معروفان باذربيجان ثم ملك بعده ابنه ابرهة ولقبه ذو المنار وانما لقب بذلك لانه غزا بلاد المغرب وأوغل فيها برا وبحرا وخاف على جيشه الضلال عند قفوله فبنى المنار ليهتدوا وقد زعم أهل اليمن انه وجه ابنه العبد بن ابرهة في غزواته الى ناحية من أقاصي المغرب فغنم وقدم بسبي له وحشة منكرة فذعر الناس منهم فسمي ذو الاذعار فابرهة أحد ملوكهم الذين توغلوا في البلاد وانما ذكرت من ذكرت من ملوك اليمن ههنا القول من زعم ان الرائش كان أيام منوجهر وان ملوك اليمن كانوا عمالا لملوك فارس

(قصة موسى عليه السلام ونسبه وما كان في أيامه من الاحداث)

قيل هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وولد لاوى ليعقوب وهو ابن تسع وثمانين سنة وولد قاهث للاوى وهو ابن ست وأربعين سنة وولد لقاهث يصهر وولد عمران ليصهر وله ستون سنة وكان عمره جميعه مائة وسبعا وأربعين سنة وولد موسى ولعمران سبعون سنة وكان عمر عمران جميعه مائة وسبعا وثلاثين سنة وأم موسى يوحانذ واسم امرأته صفورا ابنت شعيب النبي وكان فرعون مصر في أيامه قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني وكانت امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الاول وقيل كانت من بني اسرائيل فلما نودي موسى أعلم ان قابوس فرعون مصر مات وقام أخوه الوليد بن مصعب مكانه وكان عمره طويلا وكان أعتى من قابوس وافجر وأمر بان يأتيه هو وهرون بالرسالة ويقال ان الوليد تزوج آسية بعد أخيه ثم سار موسى الى فرعون رسولا مع هرون فكان من مولد موسى الى ان أخرج بني اسرائيل من مصر ثمانون سنة ثم سار الى التيه بعد ان مضى وعبر البحر وكان مقامهم هنالك الى ان خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة فكان بين مولد موسى الى وفاته مائة وعشرون سنة قال ابن عباس وغيره دخل حديث بعضهم في بعض ان الله تعالى لما قبض يوسف وهلك الملك الذي كان معه وتوارثت الفراعنة ملك مصر ونشر الله بني اسرائيل لم يزل بنو اسرائيل تحت يد الفراعنة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب واسحق وابراهيم شرعوا فيهم من الاسلام حتى كان فرعون موسى وكان أعتاهم على الله وأعظمهم قولا وأطولهم عمرا واسمه فيما ذكر الوليد بن مصعب وكان سيئ الملكة على بني اسرائيل يعذبهم ويجعلهم خولا ويسومهم سوء العذاب فلما أراد الله ان يستنقذهم بلغ موسى الاشد وأعطاه الرسالة وكان شأن فرعون قبل ولادة موسى انه رأى في منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقت القبط وتركت بني اسرائيل وأخربت بيوت مصر فدعا السحرة والحزاة والكهنة فسألهم عن رؤياه فقالوا يخرج من هذا البلد يعنون بيت المقدس الذي جاء بنو اسرائيل منه رجل يكون على وجهه هلاك مصر فأمر ان لا يولد لبني اسرائيل مولود الا ذبح ويترك الجواري وقيل انه لما تقارب زمان موسى أتى المنجمون

هم أصحاب المؤتفكة وهذا الاسم مشتق من الافك وهو الكذب على رأي من ذهب الى الاشتقاق وقد ذكرهم الله في كتابه بقوله والمؤتفكة أهوى وهذه بلاد بين تخوم الشام والحجاز مما يلي الاردن وبلاد فلسطين الا ان ذلك في حيز الشام وهي مبقاة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة خرابا لا أحد بها والحجارة المسومة موجودة فيها يراها الناس السفار سوداء فأقام فيهم لوط بضعا وعشرين سنة يدعوهم الى الله فلم يؤمنوا فاخذهم العذاب على حسب ما أخبر الله من شأنهم ولما ولد (اسمعيل) هاجر الى مكة فاسكنهم بها وذلك قوله عز وجل يخبر عن ابراهيم رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم فاجاب الله دعوته وآنس وحشتهم بجرهم والعماليق وجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وأهلك الله قوم لوط في عهد ابراهيم لما كان من فعلهم واتضح من خبرهم ثم أمر الله ابراهيم عليه السلام بذبح ولده فبادر الى طاعة ربه وتله للجبين ففداه الله بذبح عظيم ورفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ثم ولد

فرعون وحزاته اليه فقالوا اعلم انا نجد فى علمنا ان مولودا من بنى اسرائيل قد أظلك زمانه الذى يولد فيه يسلبك ملكك ويغلبك على سلطانك ويبدل دينك فأمر بقتل كل مولود يولد فى بنى اسرائيل وقيل بل تذاكر فرعون وجلساؤه معا ما وعد الله عز وجل ابراهيم ان يجعل فى ذريته أنبياء وملوكا فقال بعضهم ان بنى اسرائيل لينتظرون ذلك وقد كانوا يظنونه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا وعد الله ابراهيم فقال فرعون كيف ترون فاجمعوا على ان يبعث رجالا يقتلون كل مولود فى بنى اسرائيل وقال للقبط انظروا اعمالكم الذين يعملون خارجا فأدخلوهم واجعلوا بنى اسرائيل يلون ذلك فجعل بنى اسرائيل فى أعمال غلمانهم فذلك حين يقول الله عز وجل ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم فجعل لا يولد لبنى اسرائيل مولود الا ذبح وكان يأمر بتعذيب الحبالى حتى يضعن فكان يشقق القصب ويوقف المرأة عليه فيقطع أقدامهن وكانت المرأة تضع فتتقى بولدها القصب وقضى الله الموت فى مشيخة بنى اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وكلموه وقالوا ان هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت فيوشك ان يقع العمل على غلماننا تذبح الصغار وتفنى الكبار فلو انك كنت تبقى من أولادهم فأمرهم ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فلما كان فى تلك السنة التى تركوا فيها ولد هرون وولد موسى فى السنة التى يقتلون فيها وهى السنة المقبلة فلما أرادت أمه وضعه حزنت من شأنه فاوحى الله اليها اى ألهمها ان أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم وهو النيل ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فلما وضعته ارضعته ثم دعت نجارا فجعل له تابوتا وجعل مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه وألقته فى اليم فلما توارى عنها أتاها ابليس فقالت فى نفسها ما الذى صنعت بنفسى لو ذبح عندى فواريته وكفنته كان أحب الى من ان القيه بيدى الى حيتان البحر ودوابه فلما ألقته قالت لاخته واسمها مريم قصيه يعنى قصى اثره فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون انها اخته فاقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ويخفضه اخرى حتى ادخله بين أشجار عند دور فرعون فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغتسلن فوجدن التابوت فادخلنه الى آسية وظنن ان فيه مالا فلما فتح ونظرت اليه آسية وقعت عليها رحمته وأحبته فلما اخبرت به فرعون واتته به قالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه فقال فرعون يكون لك وأما انا فلا حاجة لى فيه قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى يحلف به لو اقر فرعون ان يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله كما هداها وأراد ان يذبحه فلم تزل آسية تكلمه حتى تركه لها وقال انى أخاف أن يكون هذا من بنى اسرائيل وان يكون هذا الذى على يديه هلاكنا فذلك قوله عز وجل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وأرادوا له المرضعات فلم يأخذ من احد من النساء فذلك قوله وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت اخته مريم هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فاخذوها وقالوا ما يدريك ما نصحهم له هل يعرفونه حتى شكوا فى ذلك فقالت نصحهم له شفقتهم عليه ورغبتهم فى قضاء حاجة الملك ورجاء منفعته فانطلقت الى امه فاخبرتها الخبر فجاءت امه فلما اعطته ثديها أخذ منها فكادت تقول هذا ابنى فعصمها الله وانما سمى موسى لانه وجد فى ماء وشجر والماء بالقبطية مو والشجر سا فذلك قوله تعالى فرددناه الى امه كى تقر عينها ولا تحزن وكان غيبته عنها ثلاثة أيام واخذته معها الى بيتها واتخذه فرعون ولدا فدعى ابن فرعون فلما تحرك الغلام حملته امه الى آسية فاخذته ترقصه وتلعب به وناولته فرعون فلما أخذه اليه أخذ الغلام بلحيته فنتفها فقال فرعون على بالذباحين يذبحونه هو هذا فقالت آسية لا تقتلوه عسى ان

لابراهيم من سارة (اسحق) عليه السلام وذلك بعد مضى عشرين ومائة سنة من عمره وقد تنازع الناس فى الذبيح فمنهم من ذهب الى انه اسحق ومنهم من رأى انه اسمعيل فان كان الامر وقع بالذبح بالحجاز فالذبيح اسمعيل لان اسحق لم يدخل الحجاز وان كان الامر بالذبح وقع بالشأم فالذبيح اسحق لان اسمعيل لم يدخل الشأم بعد ان حمل منه وتوفيت سارة وتزوج ابراهيم بعد ذلك بقنطوراء فولد له منها ستة ذكور وهم مرق ونفس ومدن ومدين وسنان وسرح وتوفى ابراهيم بالشأم وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائة سنة وخمسا وتسعين سنة وأنزل الله عليه عشرا من الصحف وتزوج اسحق بعد ابراهيم بوحا ابنة بتوابل فولدت له (العيص ويعقوب) فى بطن واحد وكان البادئ منهما الى الفصل عيص ثم يعقوب وكان لاسحق فى وقت مولدهما ستون سنة وذهب بصر اسحق فدعا ليعقوب بالرياسة على اخوته والنبوة فى ولده ودعا للعيص بالملك فى ولده وكان عمر اسحق الى ان قبضه الله مائة وخمسا وثمانين سنة ودفن مع أبيه الخليل ومواضع قبورهم

ينفعنا أو نتخذه ولدا انما هو صبي لا يعقل وانما فعل هذا من جهل وقد علمت انه ليس في مصر امرأة أكثر حليا مني أنا أضع له حليا من ياقوت وجمرا فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان اخذ الجمر فانما هو صبي فاخرجت له ياقوتها ووضعت له طشتا من جمر فجاء جبريل فوضع يده في جمرة فاخذها فطرحها موسى في فمه فاحرقت لسانه فهو الذي يقول الله تعالى واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فدرأت عن موسى بذلك القتل وكبر موسى وكان يركب مراكب فرعون ويلبس ما يلبس ويدعى موسى بن فرعون وامتنع به بنو اسرائيل ولم يبق قبطي يظلم اسرائيليا خوفا منه ثم ان فرعون ركب مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له فرعون قد ركب فركب موسى في اثره فادركه المقيل بارض يقال لها منف وهذه منف (بفتح الميم وسكون النون) مصر القديمة التي هي مصر يوسف الصديق وهي الآن قرية كبيرة فدخل نصف النهار وقد اغلقت اسواقها على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته يقول هذا اسرائيلي قيل انه السامري وهذا من عدوه يقول من القبط فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فغضب موسى لانه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني اسرائيل وحفظه لهم وكان قد جاهم من القبط وكان الناس لا يعلمون انه منهم بل كانوا يظنون ان ذلك بسبب الرضاع فلما اشتد غضبه وكزه فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم أوحى الله تعالى الى موسى وعزتي لو ان النفس التي قتلت أقرت لي ساعة واحدة اني خالق رازق لاذقتك العذاب قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين فاصبح في المدينة خائفا يترقب ان يؤخذ فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يقول يستعينه قال له موسى انك لغوي مبين ثم أقبل لينصره فلما نظر الى موسى وقد اقبل نحوه ليبطش بالرجل الذي يقاتل الاسرائيلي خاف ان يقتله من أجل انه اغلظ له في الكلام قال اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين فترك القبطي فذهب فافشى عليه ان موسى هو الذي قتل الرجل فطلبه فرعون وقال خذوه فانه صاحبنا فجاء رجل فأخبره وقال له ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج قيل كان حزقيل مؤمن آل فرعون كان على بقية من دين ابراهيم عليه السلام وكان أول من آمن بموسى فلما أخبره خرج من بينهم خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين وأخذ في ثنيات الطريق فجاءه ملك على فرس وفي يده عنزة وهي الحربة الصغيرة فلما رآه موسى سجد له من الفرق فقال له لا تسجد لي ولكن اتبعني فهداه نحو مدين وقال موسى وهو متوجه اليها عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فانطلق به الملك حتى انتهى به الى مدين فكان قد سار وليس معه طعام وكان يأكل ورق الشجر ولم يكن له قوة على المشي فما بلغ مدين حتى سقط خف قدمه فلما ورد ماء مدين قصد الماء فوجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان أي تحبسان غنمهما وهما ابنتا شعيب النبي وقيل ابنتا يثرون وهو ابن أخي شعيب فلما رآهما موسى سألهما ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فرحمهما موسى فاتى البئر فاقتلع صخرة عليها كان النفر من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها فسقى لهما غنمهما فرجعتا سريعا وكانتا انما تسقيان من فضول الحياض وقصد موسى شجرة هناك ليستظل بها فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير قال ابن عباس لقد قال موسى ذلك ولو شاء انسان ان ينظر الى خضرة امعائه من شدة الجوع لفعل وما سأل الا أكلة فلما رجع الجاريتان الى أبيهما سريعا سألهما فاخبرتاه فأعاد احداهما الى موسى تستدعيه

مشهورة وذلك على ثمانية عشر ميلا من بيت المقدس في مسجد هناك يعرف بمسجد ابراهيم ومراعيه وقد كان اسحق أمر ولده يعقوب بالمسير الى أرض الشام وبشره بالنبوة ونبوة أولاده الاثني عشر وهم (لاوي ويهوذا ويساخر وزبولون ويوسف وبنيامين ودوان ونفتالي وكان واشار وشمعون وروبيل) هؤلاء الاسباط والنبوة والملك في عقب أربعة منهم لاوي ويهوذا ويوسف وبنيامين وكثر جزع يعقوب من أخيه العيص فأمنه الله من ذلك وكان ليعقوب خمسة آلاف وخمسمائة من الغنم فأعطى يعقوب لاخيه العيص العشر من غنمه استكفاء للشر وخوفا من سطوته من بعد ان آمنه الله عز وجل من خوفه وان لا سبيل له عليه فعاقبه الله في ولده لمخالفته لوعده فأوحى الله تعالى اليه ألم تطمئن الى قولي فلاجعلن ولد العيص يملكون ولدك خمسمائة وخمسين عاما وكانت المدة مدة أخربت الروم بيت المقدس واستعبدت بني اسرائيل الى ان فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس وكان أحب ولد يعقوب اليه (يوسف) فحسده اخوته على ذلك

فأتته وقالت له ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام معها فمشت بين يديه فضربت الريح ثوبها فكشف عجيزتها فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق فانا أهل بيت لا ننظر في اعقاب النساء فلما أتاه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما وهي التي احضرته يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين قال لها أبوها القوة قد رأيتها فما يدريك بامانته فذكرت له ما أمرها به من المشي خلفه فقال له أبوها اني أريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك فقال له موسى ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل فاقام عنده يومه فلما أمسى احضر شعيب العشاء فامتنع موسى من الاكل فقال ولم ذلك قال انا من أهل بيت لا نأخذ على اليسير من عمل الآخرة الدنيا باسرها فقال شعيب ليس لذلك اطعمتك انما هذه عادتي وعادة آبائي فاكل وازدادت رغبة شعيب في موسى فزوجه ابنته التي احضرته واسمها صفورا وأمرها ان تأتيه بعصا فاتته بعصا وكانت تلك العصا قد استودعها اياه ملك في صورة رجل فدفعتها اليه فلما رآها أبوها أمرها بردها والاتيان بغيرها فالقتها وأرادت ان تأخذ غيرها فلم تقع بيدها سواها وجعل يردها وكل ذلك لا يخرج في يدها غيرها فاخذها موسى ليرعى بها فندم أبوها حيث أخذها وخرج ليأخذها منه حيث هي وديعة فلما رآه موسى يريد أخذها منه مانعه فحكما أول رجل يلقاهما فاتاهما ملك في صورة آدمي فقضى بينهما ان يضعها موسى في الارض فمن حملها فهي له فالقاها موسى فلم يطق أبوها حملها واخذها موسى بيده فتركها له وكانت من عوسج لها شعبتان وفي رأسها محجن وقيل كانت من آس الجنة حملها آدم معه وقيل في أخذها غير ذلك وأقام موسى عند شعيب يرعى له غنمه عشر سنين وسار باهله في زمن شتاء وبرد فلما كانت الليلة التي أراد الله عز وجل لموسى كرامته وابتداءه فيها بنبوته وكلامه اخطأ فيها الطريق حتى لا يدري أين يتوجه وكانت امرأته حاملا فاخذها الطلق في ليلة شاتية ذات مطر ورعد وبرق فاخرج زنده ليقدح نارا لاهله ليصطلوا ويبيتوا حتى يصبح ويعلم وجه طريقه فاصلد زنده فقدح حتى اعيا فرفعت له نار فلما رآها ظن انها نار وكانت من نور الله فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر فان لم أجد خبرا آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فحين قصدها رآها نورا ممتدا من السماء الى شجرة عظيمة من العوسج وقيل من العناب فتحير موسى وخاف حين رأى نارا عظيمة بغير دخان وهي تلتهب في شجرة خضراء لا تزداد النار الا عظما ولا تزداد الشجرة الا خضرة فلما دنا منها استأخرت عنه ففزع ورجع فنودي منها فلما سمع الصوت استأنس فعاد فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن من الشجرة في البقعة المباركة ان بورك من في النار ومن حولها يا موسى اني أنا الله رب العالمين فلما سمع النداء ورأى تلك الهيبة علم انه ربه تعالى فخفق قلبه وكل لسانه وضعفت قوته وصار حيا كميت الا ان الروح تتردد فيه فارسل الله اليه ملكا يشد قلبه فلما ثاب اليه عقله نودي اخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى وانما أمر بخلع نعليه لانهما كانتا من جلد حمار ميت وقيل لينال قدمه الارض المباركة ثم قال له تسكينا للقلب وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي يقول أضرب الشجر فيسقط ورقه للغنم ولي فيها مآرب أخرى احمل عليها المزود والسقاء وكانت تضيء لموسى في الليلة المظلمة وكانت اذا أعوزه الماء دلاها في البئر فينال الماء ويصير في رأسها شبه الدلو وكان اذا اشتهى فاكهة غرسها في الارض فنبتت لها اغصان تحمل الفاكهة لوقتها فقال له ألقها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى عظيمة الجثة في خفة حركة الجان فلما

وكان من أمره مع اخوته ما قص الله عز وجل في كتابه وأخبر على لسان نبيه واشتهر ذلك في أمته وقبض الله عز وجل يعقوب ببلاد مصر وهو ابن مائة وأربعين سنة فحمله يوسف فدفنه ببلاد فلسطين عند تربة ابراهيم واسحق وقبض الله يوسف بمصر وله مائة وعشرون سنة وجعل في تابوت من الرخام وشد بالرصاص وطلي بالاطلية الدافعة للهواء والماء وطرح في نيل مصر نحو مدينة منف وهناك مسجده وقيل ان يوسف أوصى ان يحمل فيدفن عند قبر أبيه يعقوب في مسجد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان في عصره (أيوب) النبي صلى الله عليه وسلم وهو أيوب بن موص بن رزاح ابن رعوايل بن العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام وذلك في بلاد الشام من أرض حوران والبثنية من بلاد دمشق والجابية وكان كثير المال والولد فابتلاه الله في نفسه وماله وولده فصبر ورد الله عليه ذلك وأقاله عثرته واقتص ما اقتص من أخباره في كتابه على لسان

رآها موسى ولى مدبرا ولم يعقب فنودى ياموسى لاتخف انى لايخاف لدىّ المرسلون اقبل ولاتخف
سنعيدها سيرتها الاولى عصا وانما أمره الله بالقاء العصا حتى اذا ألقاها عند فرعون لايخاف منها
فلما اقبل قال خذها ولاتخف وأدخل يدك فى فيها وكان على موسى جبة صوف فلف يده بكمه وهو
لها هائب فنودى ألق كمك عن يدك فالقاه وأدخل يده بين لحييها فلما ادخل يده عادت عصا كما
كانت لاينكر منها شيأ ثم قال له آدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء يعنى برصا فادخلها
وأخرجها بيضاء من غير سوء مثل الثلج لها نور ثم ردّها فعادت كما كانت فقيل له هذان برهانان من
ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون وأخى
هرون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردأ يصدقنى أى يبين لهم عنى ما أكلمهم به فانه يفهم عنى
مالا يفهمون قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن
اتبعكما الغالبون فاقبل موسى الى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلا فتضيف على أمه وهو
لا يعرفهم ولا يعرفونه فجاء هرون فسألها عنه فاخبرته انه ضيف فدعاه فاكل معه وسأله هرون
من أنت قال أنا موسى فاعتنقا وقيل ان الله ترك موسى سبعة أيام ثم قال أجب ربك فيما كلمك
فقال رب اشرح لى صدرى الآيات فامره بالمسير الى فرعون ولم يزل أهله مكانهم لا يدرون مافعل
حتى مر راع من أهل مدين فعرفهم فاحتملهم الى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى
بعدما فلق البحر فساروا اليه واما موسى فانه سار الى مصر وأوحى الله الى هرون يعلمه بقفول
موسى ويأمره بتلقيه فخرج من مصر فالتقى به فقال موسى ياهرون ان الله تعالى قد أرسلنا الى
فرعون فانطلق معى اليه قال سمعا وطاعة * فلما جاء الى بيت هرون وأظهر انهما ينطلقان الى
فرعون سمعت ذلك ابنة هرون فصاحت امهما فقالت أنشدكما الله ان لاتذهبا الى فرعون
فيقتلكما جميعا فابيا فانطلقا اليه ليلا فضربا بابه فقال فرعون لبوّابه من هذا الذى يضرب بابى هذه
الساعة فاشرف عليهما البوّاب فكلمهما فقال له موسى انا رسول رب العالمين فاخبر فرعون
فادخل اليه وقيل ان موسى وهرون مكثا سنتين يغدوان الى باب فرعون ويروحان يلتمسان
الدخول اليه فلم يجسر أحد يخبره بشأنهما حتى أخبره مسخرة كان يضحكه بقوله فامر حينئذ
فرعون بادخالهما فلما دخلا قال له موسى انى رسول من رب العالمين فعرفه فرعون فقال له ألم نربك
فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا
وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما يعنى نبوّة وجعلنى من المرسلين
فقال له فرعون ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هى ثعبان
مبين قد فتح فاه فوضع اللحى الاسفل فى الارض والاعلى على القصر وتوجه نحو فرعون ليأخذه
فخافه فرعون ووثب فزعا فاحدث فى ثيابه ثم بقى بضعا وعشرين يوما يجيء بطنه حتى كاد يهلك
وناشده فرعون بربه تعالى ان يردّ الثعبان فاخذه موسى فعاد عصا ثم ادخل يده فى جيبه وأخرجها
بيضاء كالثلج لها نور يتلألأ ثم ردّها فعادت الى ما كانت عليه من لونها ثم اخرجها الثانية لها نور
ساطع فى السماء تكل منه الابصار قد اضاءت ماحولها يدخل نورها البيوت ويرى من الكوى
ومن وراء الحجب فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردّها موسى فى جيبه واخرجها فاذا هى على لونها
وأوحى الله تعالى الى موسى وهرون ان قولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى فقال له موسى هل لك
فى ان أعطيك شبابك فلا تهرم وملكك فلا ينزع وارد اليك لذة المناكح والمشارب والركوب فاذا
مت دخلت الجنة وتؤمن بى فقال لاحتى يأتى هامان فلما حضر هامان عرض عليه قول موسى

نبيه صلى الله عليه وسلم ومسجده والعين التى اغتسل منها فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مشهوران ببلاد نوى والجولان فيما بين دمشق وطبرية من بلاد الاردن وهذا المسجد والعين على ثلاثة اميال من مدينة نوى ونحو ذلك والحجر الذى كان يأوى اليه فى حال بلائه هو وزوجته واسمها رحمة فى ذلك المسجد الى هذا الوقت وذكر أهل التوراة والكتب الاولى ان (موسى) بن ميشاء بن يوسف بن يعقوب نبى قبل موسى بن عمران وانه هو الذى طلب الخضر بن ملكان بن فالغ بن عابور ابن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وذكر بعض أهل الكتب ان (الخضر) هو خضرون بن عمائيل ابن النصر بن العيص بن اسحق بن ابراهيم وانه أرسل الى قومه فاستجابوا له فكان (موسى) بن عمران ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب بمصر فى زمن فرعون الجبار وهو الوليد ابن مصعب بن معاوية بن أبى نمير بن الهلواس بن ليث ابن هران بن عمر بن عملاق وهو الرابع من فراعنة

فعجزه وقال له تصير تعبد بعد ان كنت تعبد ثم قال له انا اردّ عليك شبابك فعمل له الوسمة فخضبه بها
فهو أوّل من خضب بالسواد فلما رآه موسى هاله ذلك فاوحى الله اليه لا يهولنك ماترى فلن يلبث
الا قليلا فلما سمع فرعون ذلك خرج الى قومه فقال ان هذا لساحر عليم وأراد قتله فقال مؤمن آل
فرعون واسمه حزقيل أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات وقال الملأ من قوم
فرعون أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم ففعل وجمع السحرة فكانوا
سبعين ساحرا وقيل اثنين وسبعين وقيل خمسة عشر ألفا وقيل ثلاثين الفا فوعدهم فرعون واتعدوا
يوم العيد كان لفرعون فصفهم فرعون وجمع الناس وجاء موسى ومعه أخوه هرون وبيده عصاه
حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه مع أشراف قومه فقال موسى للسحرة حين جاءهم ويلكم لا تفتروا
على الله كذبا فيسحتكم بعذاب فقال السحرة بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر ثم قالوا لنأتينك
بسحر لم تر مثله وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فقال له السحرة ياموسى اما ان تلقي واما ان
نكون نحن الملقين قال بل القوا فالقوا حبالهم وعصيهم فاذا هي في رأي العين حيات أمثال
الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا فاوجس موسى خوفا فاوحى الله اليه ان ألق ما في
يمينك تلقف ماصنعوا فالقى عصاه من يده فصارت ثعبانا عظيما فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم
وعصيهم وهي كالحيات في أعين الناس فجعلت تلقفها وتبتلعها حتى لم تبق منها شيأ ثم أخذ موسى
عصاه فاذا هي في يده كما كانت وكان رئيس السحرة أعمى فقال له أصحابه ان عصا موسى صارت
ثعبانا عظيما وتلقف حبالنا وعصينا فقال لهم ولم يبق لها أثر ولا عادت الى حالها الاول فقالوا لا فقال
هذا ليس بسحر فخر ساجدا وتبعه السحرة اجمعون وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال
فرعون آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من
خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل فقطعهم وقتلهم وهم يقولون ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا
مسلمين فكانوا أول النهار كفارا وآخر النهار شهداء وكان حزقيل مؤمن آل فرعون يكتم ايمانه قيل
كان من بني اسرائيل وقيل كان من القبط وقيل هو النجار الذي صنع التابوت الذي جعل فيه
موسى وألقي في النيل فلما رأى غلبة موسى السحرة أظهر ايمانه وقيل أظهر ايمانه قبل ذلك
وكان فرعون أراد قتل موسى فقال أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم
فلما أظهر ايمانه قتل وصلب مع السحرة وكان له امرأة مؤمنة تكتم ايمانها أيضا وكانت ماشطة
ابنة فرعون فبينما هي تمشطها اذ وقع المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت ابنة فرعون أبي
قالت لا بل ربي وربك ورب أبيك فاخبرت أباها بذلك فدعاها وبولدها وقال لها من ربك قالت
ربي وربك الله فامر بتنور نحاس فاحمي ليعذبها وأولادها فقالت لي اليك حاجة قال وماهي
قالت تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها قال ذلك لك فامر باولادها فالقوا في التنور واحدا واحدا
وكان آخر أولادها صبيا صغيرا فقال اصبري يا أماه فانك على الحق فالقيت في التنور مع ولدها
وكانت آسية امرأة فرعون من بني اسرائيل وقيل كانت من غيرهم وكانت مؤمنة تكتم ايمانها
فلما قتلت الماشطة رأت آسية الملائكة تعرج بروحها كشف الله عن بصيرتها وكانت تنظر اليها
وهي تعذب فلما رأت الملائكة قوي ايمانها وازدادت يقينا وتصديقا لموسى فبينما هي كذلك
اذ دخل عليها فرعون فاخبرها اخبر الماشطة فقالت له آسية الويل لك ما اجرأك على الله فقال لها
لعلك اعتراك الجنون الذي اعترى الماشطة فقالت مابي جنون ولكني آمنت بالله تعالى ربي
وربك ورب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها ان ابنتك قد أصابها ما أصاب الماشطة فاقسم

مصر وقد كان طال عمره
وعظم جسمه وكان
بنو اسرائيل قد استرقوا
بعد مضي يوسف واشتد
عليهم البلاء وأخبر أهل
الكهانة والنجوم والسحر
فرعون ان مولودا
سيولد ويزيل ملكه ويحدث
ببلاد مصر امورا عظيمة
فجزع لذلك فرعون وأمر
بذبح الاطفال وكان من
أمر موسى ما أوحى الله
عز وجل الى امه في أمره
أن اقذفيه فقذفته في اليم
الى آخر ما اقتص من خبره
وأوضحه على لسان نبيه
صلى الله عليه وسلم وكان في
ذلك الزمان (شعيب) صلى
الله عليه وسلم وهو شعيب
بن نويت بن رعويل بن
مر بن عنقاء بن مدين بن
ابراهيم فكان لسانه عربيا
وكان يبعث الى أهل
مدين فلما خرج موسى عليه
السلام هاربا من فرعون
مر بشعيب النبي صلى الله
عليه وسلم وكان من أمره
معه وتزويجه ابنته ماقد
ذكره الله عز وجل فكلم
الله موسى تكليما وشد
عضده بأخيه (هارون)
وبعثهما الى فرعون
فخالفهما فاغرق الله عز
وجل فرعون وأمره الله
عز وجل بالخروج ببني
اسرائيل الى التيه وكان
عددهم ستمائة ألف بالغ

لتذوقن الموت أو لتكفرن باله موسى فخلت بها امها وأرادتها على موافقة فرعون فابت وقالت أما
انا اكفر بالله فلا والله فامر فرعون حتى مدت بين يديه أربعة أوتاد وعذبت حتى ماتت فلما عاينت
الموت قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين
فكشف الله عن بصيرتها فرأت الملائكة وما اعد لها من الكرامات فضحكت فقال فرعون
انظروا الى الجنون الذى بها تضحك وهى فى العذاب ثم ماتت ولما رأى فرعون قومه قد دخلهم
الرعب من موسى خاف ان يؤمنوا به ويتركوا عبادته فاحتال لنفسه وقال لوزيره ياهامان ابن لى
صرحا لعلى أطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا فامر هامان بعمل الآجر وهو أول من عمله
وجمع الصناع وعمله فى سبع سنين وارتفع البنيان ارتفاعا لم يبلغه بنيان آخر فشق ذلك على موسى
واستعظمه فاوحى الله اليه ان دعه وما يريد فانى مستدرجه ومبطل ما عمله فى ساعة واحدة فلما تم
بناؤه أمر الله جبريل نخر به واهلك كل من عمل فيه من صانع ومستعمل فلما رأى فرعون ذلك
من صنع الله أمر أصحابه بالشدة على بنى اسرائيل وعلى موسى ففعلوا ذلك وصاروا يكلفون بنى
اسرائيل من العمل ما لا يطيقونه وكان الرجال والنساء فى شدة وكانوا اقبل ذلك يطعمون بنى
اسرائيل اذا استعملوهم فصاروا لا يطعمونهم شيأ فيعودون باسواط يريدون يكسبون
ما يقوتهم فشكوا ذلك الى موسى فقال لهم استعينوا بالله واصبروا ان العاقبة للمتقين وان الله
يستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون فلما ابى فرعون وقومه الا الثبات على الكفر تابع الله
عليه الآيات فارسل عليهم الطوفان وهو المطر المتتابع فغرق كل شئ لهم فقالوا ياموسى ادع ربك
يكشف عنا هذا ونحن نؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فكشفه الله عنهم ونبتت زروعهم
فقالوا ما سرنا ان لم نمطر فبعث الله عليهم الجراد فأكل زروعهم فسألوا موسى ان يكشف ما بهم
ويؤمنون به فدعا الله فكشفه فلم يؤمنوا وقالوا قد بقى من زروعنا بقية فأرسل الله عليهم الدبا وهو
القمل فاهلك الزروع والنبات اجمع وكان يهلك أطعمتهم ولم يقدروا ان يحترزوا منه فسألوا
موسى أن يكشفه عنهم ففعل فلم يؤمنوا فارسل الله عليهم الضفادع وكانت تسقط فى قدورهم
وأطعمتهم وملأت البيوت عليهم فسألوا موسى ان يكشفه عنهم ليؤمنوا به ففعل فلم يؤمنوا
فارسل الله عليهم الدم فصارت مياه الفرعونيين دما وكان الفرعونى والاسرائيلى يستقيان من
ماء واحد فيأخذ الاسرائيلى ماء ويأخذ الفرعونى دما وكان الاسرائيلى يأخذ الماء فى فيه فيمجه فى
فم الفرعونى فيصير دما فبقى ذلك سبعة أيام فسألوا موسى ان يكشفه عنهم ليؤمنوا ففعل فلم يؤمنوا
فلما يئس من ايمانهم ومن ايمان فرعون دعا موسى وأمن هرون فقال ربنا انك آتيت فرعون
وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على
قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله لهما فمسخ الله أموالهم ما عدا ثيابهم
وجواهرهم وزينتهم حجارة والنخل والاطعمة والدقيق وغير ذلك فكانت احدى الآيات التى
جاءهم بها موسى فلما طال الامر على موسى أوحى الله اليه يأمره بالمسير ببنى اسرائيل وأن يحمل معه
تابوت يوسف بن يعقوب ويدفنه بالارض المقدسة فسأل موسى عنه فلم يعرفه الا امرأة عجوز فأرته
مكانه فى النيل فاستخرجه موسى وهو فى صندوق مرمر فاخذه معه فسار وأمر بنى اسرائيل ان
يستعيروا من حلى القبط ما أمكنهم ففعلوا ذلك وأخذوا شيأ كثيرا وخرج موسى ببنى اسرائيل
ليلا والقبط لا يعلمون وكان موسى على ساقة بنى اسرائيل وهرون على مقدمتهم وكان بنو اسرائيل
لما ساروا من مصر ستمائة ألف وعشرين ألفا وتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان فلما تراءى

دون من ليس ببالغ وكانت
الالواح التى أنزلها الله على
موسى بن عمران على جبل
طور سيناء من زمرذ أخضر
فيها كتابة بالذهب فلما
نزل من الجبل رأى قوما
من بنى اسرائيل قد
اعتكفوا على عبادة عجل
لهم فارتعد فسقطت الالواح
من يده فتكسرت فجمعها
وأودعها تابوت السكينة
مع غيرها وجعله فى الهيكل
وكان هارون كاهنا وهو قيم
الهيكل وأتم الله عز وجل
نزول التوراة على موسى
ابن عمران وهو فى التيه
وقبض الله هرون فى التيه
فدفن فى جبل مران من
نحو جبل الشراه مما يلى
الطور وقبره مشهور فى
مغارة عادية يسمع منها فى
بعض الليالى دوى عظيم
يجزع منه كل ذى روح
وقيل انه غير مدفون بل هو
موضوع فى تلك المغارة
ولهذا الموضع خبر عجيب قد
ذكرناه فى كتابنا اخبار
الزمان عن الامم الماضية
والممالك الداثرة ومن
وصل الى هذا الموضع علم
ما وصفنا وكان ذلك قبل
وفاة موسى بسبعة أشهر
وقبض الله هرون وهو
ابن مائة وثلاث وعشرين
سنة وقيل انه قبض وهو
ابن مائة وعشرين وقيل ان

الم ان قال أصحاب موسى انا لمدركون ياموسى أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا اما الاول فكانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا واما الآن فقد ادركنا فرعون فيقتلنا قال موسى كلا ان معي ربي سيهدين وبلغ بنواسرائيل الى البحر وبقي بين ايديهم وفرعون من ورائهم فأيقنوا بالهلاك فتقدم موسى فضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وصار فيه اثناعشر طريقا لكل سبط طريق فقال كل سبط قد هلك أصحابنا فأمر الله الماء فصار كالشبابيك فكان كل سبط يرى من عن يمينه وعن شماله حتى خرجوا ودنا فرعون وأصحابه من البحر فرأى الماء على هيئته والطرق فيه فقال لاصحابه ألا ترون البحر قد فرق مني وانفتح لي حتى أدرك أعدائي فلما وقف فرعون على أفواه الطرق لم تقتحمه خيله فنزل جبريل على فرس أنثى وديق فشمت الحصن ريحها فاقتحمت في أثرها حتى اذا هم أولهم ان يخرج ودخل آخرهم أمر البحران يأخذهم فالتطم عليهم فأغرقهم وبنواسرائيل ينظرون اليهم وانفرد جبريل بفرعون يأخذ من حمأة البحر فيجعلها في فيه وقال حين ادركه الغرق آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنواسرائيل وغرق فبعث الله اليه ميكائيل يعيره فقال له آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم لو رأيتني وأنا ادس من حمأة البحر في فم فرعون مخافة ان يقول كلمة يرحمه الله بها فلما انجا بنواسرائيل قالوا ان فرعون لم يغرق فدعا موسى فاخرج الله فرعون غريقا فأخذه بنواسرائيل يتمثلون به ثم ساروا فأتوا على قوم يعبدون الاصنام فقالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون فتركوا ذلك ثم بعث موسى جندين عظيمين كل جند اثناعشر ألفا الى مدائن فرعون وهي يومئذ خالية من أهلها قد اهلك الله عظماءهم ورؤساءهم ولم يبق غير النساء والصبيان والزمنى والمرضى والمشايخ والعاجزين فدخلوا البلاد وغنموا الاموال وحملوا ما أطاقوا وباعوا ما عجزوا عن حمله على غيرهم وكان على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وكان موسى قد وعده الله وهو بمصر انه اذا خرج مع بني اسرائيل منها واهلك الله عدوهم ان يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون فلما اهلك الله فرعون وأنجى بني اسرائيل قالوا ياموسى ائتنا بالكتاب الذى وعدتنا فسأل موسى ربه ذلك فأمره أن يصوم ثلاثين يوما ويتطهر ويطهر ثيابه ويأتي الى الجبل جبل طور سيناء ليكلمه ويعطيه الكتاب فصام ثلاثين يوما أولها أول ذى القعدة وسار الى الجبل واستخلف أخاه هرون على بني اسرائيل فلما قصد الجبل أنكر ريح فمه فتسوك بعود خرنوب وقيل تسوك بلحاء شجرة فأوحى الله اليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك وأمره ان يصوم عشرة أيام أخرى فصامها وهي عشر ذى الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة ففي تلك الليالي العشر افتتن بنواسرائيل لان الثلاثين انقضت ولم يرجع اليهم موسى وكان السامري من أهل باجرمى وقيل من بني اسرائيل فقال هرون يابني اسرائيل ان الغنائم لا تحل لكم والحلي الذى استعرتموه من القبط غنيمة فاحفروا حفرة وألقوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه ففعلوا ذلك وجاء السامري بقبضة من التراب الذى أخذه من اثر حافر فرس جبريل فألقاه فيه فصار الحلي عجلا جسدا له خوار وقيل ان الحلي ألقي في النار فذاب فألقى السامري ذلك التراب فصار الحلي عجلا جسدا له خوار وقيل كان يخور ويمشي وقيل ما خار الا مرة واحدة ولم يعد وقيل ان السامري صاغ العجل من ذلك الحلي في ثلاثة أيام ثم قذف فيه التراب فقام له خوار فلما رأوه قال لهم السامري هذا الهكم واله موسى فنسي موسى وتركه ههنا وذهب يطلبه فعكفوا عليه يعبدونه فقال لهم هرون ياقوم انما فتنتم به

موسى قبض بعد وفاة هرون بثلاث سنين وانه خرج الى الشأم وكان له بها حروب من سرايا كانوا يسرونها من البر الى العماليق والعربانيين والمدينيين وغيرهم ممن كان بالشام وغيرهم من الطوائف على حسب ما في التوراة وأنزل الله عز وجل على موسى عشر صحف فاستتم مائة صحيفة ثم أنزل الله عليه التوراة بالعبرية وفيها الامر والنهي والتحريم والتحليل والسنن والاحكام وذلك في خمسة اسفار والسفر يريدون به الصحيفة وكان موسى قد ضرب التابوت الذى فيه السكينة من الذهب من ستمائة ألف مثقال وسبعمائة وخمسين مثقالا فصار الكاهن بعد هارون (يوشع بن نون) من سبط يوسف وقبض الله موسى وهو ابن عشرين ومائة سنة ولم يحدث لموسى ولا لهارون شئ من الشيب ولا حالا عن صفة الشباب ولما قبض الله عز وجل موسى ابن عمران سار يوشع بن نون ببني اسرائيل الى بلاد الشام وقد كان غلب عليها الجبابرة من ملوك العماليق وغيرهم من ملوك الشام فاسرى اليهم يوشع بن نون

وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري فأطاعه بعضهم وعصاه بعضهم فأقام بمن معه ولم يقاتلهم ولما ناجى الله تعالى موسى قال له ما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على أثري قال فانا قد فتنا قومك من بعدك ياموسى وأضلهم السامري فقال موسى يارب هذا السامري قد أمرهم ان يتخذوا العجل من نفخ فيه الروح قال أنا قال فأنت اذا أضللتهم ثم ان موسى لما كلمه الله تعالى احب ان ينظر اليه قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فتجلى الله للجبل فجعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين واعطاه الالواح فيها الحلال والحرام والمواعظ وعاده موسى ولا يقدر أحد أن ينظر اليه وكان يجعل عليه حريرة نحوا من اربعين يوما ثم يكشفها لما تغشاه من النور فلما وصل الى قومه ورأى عبادتهم العجل ألقى الالواح وأخذ برأس اخيه ولحيته يجره اليه قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي فترك هرون واقبل على السامري وقال ما خطبك ياسامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سوّلت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس ثم اخذ العجل وبرده بالمبارد واحرقه وأمر السامري فبال عليه وذراه في البحر فلما ألقى موسى الالواح ذهب ستة اسباعها وبقي سبع وطلب بنو اسرائيل التوبة فأبى الله ان يقبل توبتهم وقال لهم موسى ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم فاقتتل الذين عبدوه والذين لم يعبدوه فكان من قتل من الفريقين شهيدا فقتل منهم سبعون ألفا وقام موسى وهرون يدعوان الله فعفا عنهم وأمرهم بالكف عن القتال وتاب عليهم وأراد موسى قتل السامري فأمره الله بتركه وقال انه سخي فلعنه موسى ثم ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا من أخيارهم وقال لهم انطلقوا معي الى الله فتوبوا مما صنعتم وصوموا وتطهروا وخرج بهم الى طور سيناء للميقات الذى وقته الله له فقالوا اطلب أن نسمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل كله ودخل فيه موسى وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام فوقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه فلما فرغ انكشف عن موسى الغمام فأقبل اليهم فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد الله تعالى ويدعوه ويقول يارب اخترت أخيار بني اسرائيل واعود اليهم وليسوا معي فلا يصدقونني ولم يزل يتضرع حتى ردّ الله اليهم أرواحهم فعاشوا رجلا رجلا ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فقالوا ياموسى انت تدعو الله فلا تسأله شيأ الا اعطاك فادعه يجعلنا انبياء فدعا الله فجعلهم أنبياء وقيل أمر السبعين كان قبل ان يتوب الله على بني اسرائيل فلما مضوا للميقات واعتذر واقبل توبتهم وامرهم ان يقتل بعضهم بعضا والله أعلم ولما رجع موسى الى بني اسرائيل ومعه التوراة ابوا ان يقبلوها ويعملوا بما فيها للاثقال والشدة التي جاء بها وامر الله جبريل فقطع جبلا من فلسطين على قدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ ورفعه فوق رؤسهم مقدار قامة الرجل مثل الظلة وبعث نارا من قبل وجوههم واتاهم البحر من خلفهم فقال لهم موسى خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا فان قبلتموه وفعلتم ما أمرتم به والا رضختكم بهذا الجبل وغرقتكم في هذا البحر واحرقتكم بهذه النار فلما رأوا ان لا مهرب لهم قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود يسجدون على جانب وجوههم وقالوا سمعنا واطعنا ولما رجع موسى من المناجاة بقي أربعين يوما لا يراه أحد الا مات وقيل ما رآه الاعمى فجعل على وجهه ورأسه برنسا

سرايا وكانت له معهم وقائع فافتتح بلادا ريحاء من أرض الغور وهي أرض البحيرة المنتنة التي لا تقبل الغرقاء ولا يتكون فيها ذو روح من سمك ولا غيره وقد ذكرها صاحب المنطق وغيره من الفلاسفة ومن تقدم وتأخر من عصره واليها ينتهي ماء بحيرة طبرية وهو الاردن ويده ماء بحيرة طبرية من بحيرة كفولى وفرعون من أرض دمشق فاذا انتهى مصب نهر الاردن الى البحيرة المنتنة خرقها وانتهى الى وسطها متميزا عن مائها فيغوص في وسطها وهو نهر عظيم فلا يدري اين غاص من غير ان يزيد من البحيرة ولا ينقص منها ولهذه البحيرة أعني المنتنة اخبار عجيبة وقصة طويلة وقد أتينا على ذلك في كتابنا اخبار الزمان عن الامم الماضية والملوك الداثرة وذكرنا أخبار الاحجار التي تخرج منها على صورة البطيخ على شكلين ويعرف الواحد منها بالحجر اليهودي وذكرته الفلاسفة واستعملته في الطب لمن به وجع الحصاة في المثانة وهو نوعان ذكر وانثى فالذكر للرجال والانثى للنساء ومن هذه البحيرة

لئلا يرى وجهه * ثم ان رجلا من بنى اسرائيل قتل ابن عم له ولم يكن له وارث غيره ليرث ماله وحمله والقاه بموضع آخر ثم اصبح يطلب دمه عند موسى من بعض بنى اسرائيل فجحدوا فسأل موسى ربه فامرهم ان يذبحوا بقرة فقالوا اتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين المستهزئين فقالوا له ما هى ولو ذبحوا بقرة ما لاجزأت عنهم ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم وانما كان تشديدهم لان رجلا منهم كان برا بامه وكان له بقرة على النعت المذكور فنفعه بره بامه فلم يجدوا على الصفة المذكورة الا بقرته فباعها منهم بملء جلدها ذهبا فلما سألوا موسى عنها قال انها بقرة لا فارض ولا بكر يقول لا كبيرة ولا صغيرة نصف بين السنين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ان البقر تشابه علينا قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها يعنى لا عيب فيها وقيل لا بياض فيها قالوا الآن جئت بالحق وطلبوها فلم يجدوا الا بقرة ذلك الرجل البار بامه فاشتروها فغالى بها حتى أخذ ملء جلدها ذهبا فذبحوها وضربوا القتيل بلسانها وقيل بغيره فحيى وقال قتلنى فلان ثم مات

﴿ذكر أمر بنى اسرائيل فى التيه ووفاة هرون عليه السلام﴾

ثم ان الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يسير ببنى اسرائيل الى اريحاء بلد الجبارين وهى أرض بيت المقدس فسار واحتى كانوا قريبا منهم فبعث موسى اثنى عشر نقيبا من سائر اسباط بنى اسرائيل فساروا ليأتوا بخبر الجبارين فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عناق فاخذ الاثنى عشر فحملهم وانطلق بهم الى امرأته فقال انظرى الى هؤلاء القوم الذين يزعمون انهم يريدون أن يقاتلونا واراد ان يطأهم برجله فمنعته امرأته وقالت اطلقهم ليرجعوا ويخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك فلما خرجوا قال بعضهم لبعض انكم ان أخبرتم بنى اسرائيل بخبر هؤلاء لا يقدموا عليهم فاكتموا الامر عنهم وتعاهدوا على ذلك ورجعوا فنكث عشرة منهم العهد واخبروا بما رأوا وكتم رجلان منهم وهما يوشع بن نون وكالب بن يوقنا ختن موسى ولم يخبروا الا موسى وهرون فلما سمع بنو اسرائيل الخبر عن الجبارين امتنعوا عن المسير اليهم فقال لهم موسى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان وهما يوشع وكالب من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فغضب موسى فدعا عليهم فقال رب انى لا أملك الا نفسى واخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وكانت عجلة من موسى فقال الله تعالى فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون فى الارض فندم موسى حينئذ فقالوا له فكيف لنا بالطعام فانزل الله المن والسلوى فاما المن فقيل هو كالصمغ وطعمه كالشهد يقع على الاشجار وقيل هو الترنجبين وقيل هو الخبز الرقاق وقيل هو عسل كان ينزل لكل انسان صاع وأما السلوى فهو طائر يشبه السمانى فقالوا أين الشراب فامر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين فقالوا أين الظل فظلل عليهم الغمام فقالوا أين اللباس فكانت ثيابهم تطول معهم ولا يتمزق لهم ثوب ثم قالوا يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم فلما خرجوا من التيه رفع

يخرج الغبار المعروف بالحمرة وليس فى الدنيا والله أعلم بحيرة لا يتكون فيها ذو روح من سمك وغيره الا هذه البحيرة وبحيرة ركبتها ببلاد اذربيجان بين مدينة ارمينية ومنارة هى المعروفة هناك بكنودان وقد ذكر الناس ممن تقدم عدم تكون الحيوان فى البحيرة المنتنة ولم يتعرضوا لبحيرة كنودان وينبغى على قياس قولهم ان تكون عينهما واحدة وسار ملك الشام وهو السميدع بن هوبر بن مالك الى يوشع بن نون فكانت بينهم حروب الى ان قتله يوشع واحتوى على جميع ملكه والحق به غيره من الجبابرة والعماليق وشن الغارات بارض الشأم وكانت مدة يوشع بن نون فى بنى اسرائيل بعد وفاة موسى ابن عمران تسعا وعشرين سنة وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم وقيل ان يوشع بن نون كان بدو محاربته لملك العماليق وهو السميدع ببلاد ايلة نحو مدين ففى ذلك يقول عوف ابن سعيد الجرهمى

ألم تر ان العلقمى بن هوبر
بايلة أمسى لحمه قد تمزعا
تداعت اليه من يهود جحافل
ثلاثون ألفا حاسرين ودرعا

عنهم المن والسلوى ثم ان موسى التقى هو وعوج بن عناق فوثب موسى عشرة اذرع وكانت عصاه عشرة اذرع وكان طوله عشرة اذرع فاصاب كعب عوج فقتله وقيل عاش عوج ثلاثة آلاف سنة ثم ان الله أوحى الى موسى انى متوفى هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلقا نحوه فاذا هم فيه بشجرة لم يروا مثلها وفيه بيت مبنى وسرير عليه فرش وريح طايبة فلما رآه هرون أعجبه قال ياموسى انى اريد ان انام على هذا السرير فقال له موسى ثم قال انى اخاف رب هذا البيت ان يأتى فيغضب على قال موسى لا تخف أنا أكفيك قال فنم معى فلما ناما أخذ هرون الموت فلما وجد حسه قال ياموسى خدعتنى فتوفى ورفع على السرير الى السماء ورجع موسى الى بنى اسرائيل فقال له بنو اسرائيل انك قتلت هرون لحبنا اياه فقال ويحكم اترونى أن أقتل أخى فلما أكثروا عليه صلى ودعا الله فنزل بالسرير حتى نظروا اليه ما بين السماء والارض فاخبرهم انه مات وان موسى لم يقتله فصدقوه وكان موته فى التيه

﴿ ذكر وفاة موسى عليه السلام ﴾

قيل بينما موسى عليه السلام يمشى ومعه يوشع بن نون فتاه اذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع ظن انها الساعة فالتزم موسى وقال لا تقوم الساعة وانا ملتزم نبى الله فاستل موسى من تحت القميص وبقى القميص فى يدى يوشع فلما جاء يوشع بالقميص أخذه بنو اسرائيل وقالوا قتلت نبى الله فقال ما قتلته ولكنه استل منى فلم يصدقوه قال فاذا لم تصدقونى فاخرونى ثلاثة أيام فوكلوا به من يحفظه فدعا الله فاتى كل رجل كان يحرسه فى المنام فاخبر ان يوشع لم يقتل موسى فانا رفعناه الينا فتركوه وقيل ان موسى كره الموت فأراد الله ان يحبب اليه الموت فاوحى الله الى يوشع بن نون وكان يغدو عليه ويروح ويقول له موسى يانبى الله ما أحدث الله اليك فقال له يوشع بن نون يانبى الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شئ مما احدث الله لك ولا يذكر له شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت وقيل انه مر منفردا برهط من الملائكة يحفرون قبرا فعرفهم فوقف عليهم فلم ير أحسن منه ولم ير مثل ما فيه من الخضرة والبهجة فقال لهم ياملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا نحفره لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد له منزل كريم ما رأيت مضجعا ولا مدخلا مثله فقالوا أتحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك وتنفس اسهل تنفس تنفسه فنزل فيه وتوجه الى ربه ثم تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وكان صلى الله عليه وسلم زاهدا فى الدنيا راغبا فيما عند الله انما كان يستظل فى عريش ويأكل ويشرب من نقير من حجر تواضعا الى الله تعالى وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله أرسل ملك الموت ليقبض روحه فلطمه ففقأ عينه فعاد وقال يارب أرسلتنى الى عبد لا يحب الموت قال الله ارجع له وقل له يضع يده على ظهر ثور وله بكل شعرة تحت يده سنة وخيره بين ذلك وبين ان يموت الآن فاتاه ملك الموت وخيره فقال له فما بعد ذلك قال الموت قال فالآن اذا فقبض روحه وهذا القول صحيح قد صح النقل به عن النبى صلى الله عليه وسلم فكان موته فى التيه أيضا وقيل بل هو الذى فتح مدينة الجبارين على ما نذكره وكان جميع عمر موسى مائة وعشرين سنة من ذلك فى ملك افريدون عشرون وفى ملك منوجهر مائة سنة وكان ابتداء أمره منذ بعثه الله الى ان قبضه فى ملك منوجهر ثم نبئ بعده يوشع بن نون فكان فى زمن منوجهر عشرين سنة وفى زمن افراسياب سبع سنين

﴿ ذكر يوشع بن نون عليه السلام وفتح مدينة الجبارين ﴾

فامست عدادا للعماليق بعده
على الارض مشيا مصعدين وفرعا
كان لم يكونوا بين أجبال مكة
ولم ير راء قبل ذاك السميدعا

وكان بقرية من قرى البلقاء من بلاد الشأم رجل يقال له بلعم بن باعوراء بن سنور بن وسيم بن ناب بن لوط بن هاران وكان مستجاب الدعوة فحمله قومه على الدعاء على يوشع بن نون فلم يتأت له ذلك وعجز عنه فاشار على بعض ملوك العماليق ان يبرزوا الحسان من النساء نحو عسكر يوشع بن نون ففعلوا فتسرعوا الى النساء فوقع فيهم الطاعون فهلك منهم سبعون ألفا وقيل ان يوشع بن نون قبض وهو ابن مائة وعشرين سنة وقام فى بنى اسرائيل بعد يوشع بن نون (كالب) بن يوفنا بن بارض بن يهوذا ويوشع وكالب الرجلان اللذان انعم الله عليهما (قال المسعودى) ووجدت فى نسخة ان القائم فى بنى اسرائيل بعد وفاة يوشع بن نون (وشان) الكعرى وانه أقام فيهم ثمانين سنة وهلك وملك (عمايل) بن قائم من سبط يهوذا أربعين سنة وقيل (كوش) جبار كان فى آب من أرض البلقاء وان

لما توفي موسى بعث الله يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل
عليه السلام نبيا الى بني اسرائيل وأمره بالمسير الى أريحاء مدينة الجبارين واختلف العلماء
في فتحها على يد من كان فقال ابن عباس ان موسى وهرون توفيا في التيه وتوفي فيه كل من دخله
وقد جاوز العشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فلما انقضى أربعون سنة أوحى الله الى
يوشع بن نون فامره بالمسير اليها وفتحها ففتحها ومثله قال قتادة والسدي وعكرمة وقال آخرون ان
موسى عاش حتى خرج من التيه وسار الى مدينة الجبارين وعلى مقدمته يوشع بن نون ففتحها وهو
قول ابن اسحق قال ابن اسحق سار موسى بن عمران الى أرض كنعان لقتال الجبارين فقدم يوشع
ابن نون وكالب بن يوفنا وهو صهره على اخته مريم بنت عمران فلما بلغوها اجتمع الجبارون الى
بلعم بن باعوراء وهو من ولد لوط فقالوا له ان موسى قد جاء ليقتلنا ويخرجنا من ديارنا فادع الله عليهم
وكان بلعم يعرف اسم الله الاعظم فقال لهم كيف ادعو على نبي الله والمؤمنين ومعهم الملائكة
فراجعوه في ذلك وهو يمتنع عليهم فاتوا امرأته وأهدوا لها هدية فقبلتها وطلبوا اليها ان تحسن
لزوجها ان يدعو على بني اسرائيل فقالت له في ذلك فامتنع فلم تزل به حتى قال استخير الله فاستخار
الله تعالى فنهاه في المنام فاخبرها بذلك فقالت راجع ربك فعاود الاستخارة فلم يرد اليه جواب
فقالت لو أراد ربك لنهاك ولم تزل تخدعه حتى اجابهم فركب حمارا له متوجها الى جبل مشرف
على بني اسرائيل ليقف عليه ويدعو عليهم فسار عليه الا قليلا حتى ربض الحمار فنزل عنه
وضربه حتى قام فركبه فسار به قليلا فبرك فعل ذلك ثلاث مرات فلما اشتد ضربه في الثالثة انطقه
الله فقال له ويحك يا بلعم أين تذهب أما ترى الملائكة تردني فلم يرجع فاطلق الله الحمار حينئذ فسار
عليه حتى أشرف على بني اسرائيل فكان كلما اراد ان يدعو عليهم ينصرف لسانه الى الدعاء لهم
واذا أراد ان يدعو لقومه انقلب دعاؤه عليهم فقالوا له في ذلك فقال هذا شيء غلبنا الله عليه واندلع
لسانه فوقع على صدره فقال الآن قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق غير المكر والحيلة
وأمرهم ان يزينوا نساءهم ويعطوهن السلع للبيع ويرسلوهن الى العسكر ولا تمنع امرأة نفسها
ممن يريدها وقال ان زنى منهم رجل واحد كفيتموهم ففعلوا ذلك ودخل النساء عسكر بني اسرائيل
فاخذ زمري بن شالوم وهو رأس سبط شمعون بن يعقوب امرأة وأتى بها موسى فقال له أظنك
تقول هذا حرام فوالله لا اطيعك ثم أدخلها خيمته فوقع عليها فانزل الله عليهم الطاعون وكان
فنحاص بن العيزار بن هرون صاحب أمر عمه موسى غائبا فلما جاء رأى الطاعون قد استقر في
بني اسرائيل وأخبر الخبر وكان ذا قوة وبطش فقصد زمري فرآه وهو مضاجع المرأة فطعنهما
بحربة في يده فانتظمهما ورفع الطاعون وقد هلك في تلك الساعة عشرون ألفا وقيل سبعون
ألفا فانزل الله في بلعم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من
الغاوين ثم ان موسى قدم يوشع الى اريحا في بني اسرائيل فدخلها وقتل بها الجبارين وبقيت منهم
بقية وقد قاربت الشمس الغروب فخشي ان يدركهم الليل فيعجزوه فدعا الله تعالى ان يحبس عليهم
الشمس ففعل وحبسها حتى استأصلهم ودخلها موسى فاقام بها ما شاء الله ان يقيم وقبضه الله اليه
لا يعلم بقبره أحد من الخلق وأما من زعم ان موسى كان قد توفي قبل ذلك فقال ان الله أمر يوشع
بالمسير الى مدينة الجبارين فسار ببني اسرائيل فقارفه رجل يقال له بلعم بن باعوراء وكان
يعرف الاسم الاعظم وساق من حديثه نحو ما تقدم فلما ظفر يوشع بالجبارين أدركه المساء
ليلة السبت فدعا الله فرد الشمس عليه وزاد في النهار ساعة فهزم الجبارين ودخل مدينتهم وجمع

بني اسرائيل كفرت بعد
ذلك فاهلك الله عليهم (كنعان)
عشر سنين وهلك فكان على
بني اسرائيل (عـلان)
الاخباري أربعين سنة
ثم قام (سمويه) الى ان وليهم
طالوت وخرج عليهم جالوت
الجبار ملك البربر من أرض
فلسطين (قال المسعودي)
فاما على الرواية الاولى التي
قدمنا ذكرها فالقائم بعده في
بني اسرائيل والمدبر لهم
فنحاص بن العازر بن هرون
ابن عمران ثلاثين سنة وكان
عمد الى مصاحف موسى بن
عمران عليه السلام فجعلها
في خابية نحاس ورصص
رأسها وأتى بها صخرة بيت
المقدس وذلك قبل بنائه
وانفرجت فاذا مغارة فيها
صخرة ثانية فوضع الخابية
فيها وانضمت الصخرة على
ذلك ككونها أولا ولما
هلك فينحاس بن العزدبر
أمرهم كوشان بن لاسم
ملك الجزيرة فتعبد بني
اسرائيل وأخذهم البلاء
ثمان سنين ثم دبرهم عثنيئال
ابن قناز اخو كالاب من
سبط يهوذا أربعين سنة ثم
دبرهم عغلون ملك هاب
بجهد شديد ثمان عشرة
سنة ثم دبرهم أهوذ من
ولد افرايم خمسا وعشرين
سنة وخمس وثلاثين سنة
خلت من ايامه تم العالم

غنائمهم ليأخذها القربان فلم تأت النار فقال يوشع فيكم غلول فبايعوني فبايعوه فلصقت يده في يد من غل فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلتهما وقيل بل حصرها ستة أشهر فلما كان السابع تقدموا الى المدينة وصاحوا صيحة واحدة فسقط السور فدخلوها وهزموا الجبارين وقتلوا فيهم فأكثروا ثم اجتمع جماعة من ملوك الشام وقصدوا يوشع فقاتلهم وهزمهم وهرب الملوك الى غار فأمر بهم يوشع بن نون فقتلوا وصلبوا ثم ملك الشام جميعه فصار لبني اسرائيل وفرق عماله فيه ثم توفاه الله فاستخلف على بني اسرائيل كالب بن يوفنا وكان عمر يوشع مائة وستا وعشرين سنة وكان قيامه بالامر بعد موسى سبعا وعشرين سنة وأما من بقي من الجبارين فان افريقش بن قيس بن صيفي بن سبا بن كعب بن زيد بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان مر بهم متوجها الى افريقية فاحتملهم من سواحل الشام فقدم بهم افريقية فافتتحها وقتل ملكها جرجير وأسكنهم اياها فهم البرابرة وأقام من حمير في البربر صنهاجة وكتامة فهم فيهم الى اليوم

﴿ذكر أمر قارون﴾

وكان قارون بن يصهر بن قاهث وهو ابن عم موسى بن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى والاول أصح وكان عظيم المال كثير الكنوز قيل ان مفاتح خزائنه كانت تحمل على أربعين بغلا فبغى على قومه بكثرة ماله فوعظوه ونهوه وقالوا له ما قص الله تعالى في كتابه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين فأجابهم جواب مغتر لحلم الله عنه فقال انما أوتيته يعني المال والخزائن على علم عندي قيل على خبر ومعرفة مني وقيل لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا فلم يرجع عن غيه ولكنه تمادى في طغيانه حتى خرج على قومه في زينته وهي انه ركب برذونا أبيض بمراكب الارجوان المذهبة وعليه الثياب المعصفرة وقد حمل معه ثلثمائة جارية على مثل برذونه وأربعة آلاف من أصحابه وبنى داره وضرب عليها صفائح الذهب وعمل لها بابا من ذهب فتمنى أهل الغفلة والجهل مثل ماله فنهاهم أهل العلم بالله وأمره الله تعالى بالزكاة فجاء الى موسى من كل ألف دينار دينار وعلى هذا من كل ألف شئ شئ فلما عاد الى بيته وجده كثيرا فجمع نفرا يثق بهم من بني اسرائيل فقال ان موسى امركم بكل شئ فأطعتموه وهو الآن يريد أخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت فقال آمركم ان تحضروا فلانة البغي فتجعلوا لها جعلا فتقذفه بنفسها ففعلوا ذلك فأجابتهم اليه ثم أتى موسى فقال ان قومك قد اجتمعوا لك لتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم فقال من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وان كانت له امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت أنت فقال نعم قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فقال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى أقسمت عليك بالذي أنزل التوراة الا صدقت أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء قالت لا كذبوا ولكن جعلوا لي جعلا على ان أقذفك فسجد ودعا عليهم فأوحى الله اليه مر الارض بما شئت تطعك فقال يا أرض خذيهم وقيل ان هذا الامر بلغ موسى فدعا الله تعالى عليه فأوحى الله اليه مر الارض بما شئت تطعك فجاء موسى الى قارون فلما دخل عليه عرف الشر في وجهه فقال له يا موسى ارحمني فقال موسى يا أرض خذيهم فاضطربت داره وساخت بقارون وأصحابه الى الكعبين وجعل يقول يا موسى ارحمني قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى ركبهم فلم يزل

وبعة آلاف سنة وقيل غير ذلك من التاريخ ثم دبرهم شاعان بن أهوذ خمسا وعشرين سنة ثم دبرهم يابين الكنعاني ملك الشام عشرين سنة ثم دبرهم امرأة يقال لها دبورا وقيل انها ابنته وضمت اليها رجلا من سبط نفتالي يقال له باراق أربعين سنة ثم تداولتهم رؤساء بني اسرائيل وهم عريب وريبب وبرسونا ودارع وصلناع تسع سنين وثلاثة أشهر ثم دبرهم كذعون من آل ميشا أربعين سنة وقيل ملوك مدين ثم ابنه أبيمالخ ثلاث سنين وثلاثة أشهر ثم تويع من آل فرايم ثلاثة وعشرين سنة ثم سابه من آل ميشا اثنتين وعشرين سنة ثم ملوك عمان ثماني عشرة سنة وثلاثة أشهر ثم يحشون من بيت لحم سبع سنين ثم قهرهم ملوك فلسطين أربعين سنة ثم عالى الكاهن بعد ذلك أربعين سنة وفي زمانه ظفر البابليون ببني اسرائيل وغنموا التابوت وكان بنو اسرائيل يستفتحون به فحملوه الى بابل وأخرجوهم من ديارهم وابناءهم وكان ما كان من أمر قوم حزقيل وهم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا

يستعطفه

يستعطفه وهو يقول يا أرض خذيهم حتى خسف بهم فأوحى الله الى موسى ما أفظك أما وعزتى لو اياى نادى لأجبته ولأعيد الارض نطيع احدا أبدا بعدك فهو يخسف به كل يوم قامة فلما أنزل الله نقمته حمد المؤمنون الله وعرف الذين تمنوا مكانه بالامس خطأ أنفسهم واستغفروا وتابوا

﴿ذكر من ملك من الفرس بعد منوجهر﴾

لما هلك منوجهر ملك فارس سار افراسياب بن فشنج بن رستم ملك الترك الى مملكة الفرس واستولى عليها وسار الى أرض بابل وأكثر المقام بها وبمهرجان فقذف وأكثر الفساد في مملكة فارس وعظم ظلمه وأخرب ما كان عامرا ودفن الانهار والقنى وقحط الناس سنة خمس من ملكه الى ان خرج عن مملكة فارس ولم يزل الناس منه في أعظم البلية الى ان ملك زو بن طهماسب وكان منوجهر قد سخط على ولده طهماسب ونفاه عن بلاده فأقام في بلاد الترك عند ملك لهم يقال له وامن وتزوج ابنته فولدت له زو بن طهماسب وكان المنجمون قد قالوا لابيها ان ابنته تلد ولدا يقتله فحبسها فلما تزوجها طهماسب وولدت منه كتمت أمرها وولدها ثم ان منوجهر رضي عن طهماسب وأحضره اليه فاحتال في اخراج زوجته وابنه زو من محبسهما فوصلت اليه ثم ان زوفيما ذكر قتل جده وامن في بعض الحروب وطرد افراسياب التركي عن مملكة فارس حتى رده الى الترك بعد حروب جرت بينهما وكانت غلبة افراسياب على أقاليم بابل ومملكة الفرس اثنتي عشرة سنة من لدن توفي منوجهر الى أن أخرجه عنها زو وكان اخراجه عنها في روز آبان من شهر آبان ماه فاتخذ لهم هذا اليوم عيدا وجعلوه الثالث لعيديهم النوروز والمهرجان وكان زو محمودا في ملكه محسنا الى رعيته وأمر باصلاح ما كان افراسياب أفسده من مملكتهم وبعمارة الحصون واخراج المياه التي غورطرقها حتى عادت البلاد الى أحسن ما كانت ووضع عن الناس الخراج سبع سنين فعمرت البلاد في ملكه وكثرت المعايش واستخرج بالسواد نهرا وسماه الزاب وبنى عليه مدينة وهي التي تسمى العتيقة وجعل لها طسوج الزاب الاعلى وطسوج الزاب الاوسط وطسوج الزاب الاسفل وكان أول من اتخذ ألوان الطبيخ وأمر بها وباصناف الاطعمة وأعطى جنوده ما غنم من الترك وغيرهم وكان جميع ملكه الى ان انقضت مدته ثلاث سنين وكان كرشاسب بن انوط وزيره في ملكه ومعينه فيه وقيل كان شريكه في الملك والاول أصح وكان عظيم الشأن في فارس الا انه لم يملك

﴿ذكر ملك كيقباذ﴾

ثم ملك بعد زو كيقباذ بن راع بن ميسرة بن نوذر بن منوجهر وقدر مياه الانهار والعيون لشرب الارض وسمى البلاد بأسمائها وحدها بحدودها وكور الكور وبين حيز كل كورة وأخذ العشر من غلاتها الارزاق الجند وكان فيما ذكر كيقباذ حريصا على عمارة البلاد ومنعها من العدو كثير الكنوز وقيل ان الملوك الكيانية وأبناءهم من نسله وجرت بينه وبين الترك حروب كثيرة فكان مقيما بالقرب من نهر بلخ وهو جيحون لمنع الترك من تطرق شيء من بلاده وكان ملكه مائة سنة

﴿ذكر الاحداث في بني اسرائيل في عهد زو وكيقباذ ونبوة حزقيل﴾

لما توفي يوشع بن نون قام بأمر بني اسرائيل بعده كالب بن يوفنا ثم حزقيل بن نوري وهو الذي يقال له ابن العجوز وانما قيل له ذلك لان أمه سألت الله الولد وقد كبرت فوهبه الله لها وهو الذي دعا

ثم أحياهم وكان قد أصابهم الطاعون فبقي منهم ثلاثة اسباط فلحقت فرقة بالرمل وفرقة بشواهق الجبال وفرقة بجزيرة من جزائر البحر وكان لهم خبر طويل حتى رجعوا الى ديارهم فقالوا لحزقيل هل رأيت قوما أصابهم ما أصابنا قال لا ولا سمعت بقوم فروا من الله فراركم فسلط الله عليهم الطاعون سبعة أيام فماتوا عن آخرهم ودبر بني اسرائيل بعد غيلام الكاهن شمويل بن بروحان بن تاحورا ونبي فمكث فيهم عشرين سنة ووضع الله عز وجل عنهم القتال وصلح أمرهم فخلطوا بعد ذلك فقالوا لشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل معنا في سبيل الله فأمر بتمليك طالوت وهو ساود بن بشر بن ابنال ابن طرون بن بحرون بن افيح بن سميداح بن فالح ابن بنيامين بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام فملكه عليهم ولم يجمعهم قبل ذلك مثل طالوت وكان بين خروج موسى عليه السلام ببني اسرائيل من مصر الى ان ملك على بني اسرائيل طالوت خمسمائة سنة واثنتان وسبعون وثلاثة أشهر وكان طالوت دباغا يعمل الأدم

للقوم الموتى فأحياهم الله وكان سبب ذلك ان قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فهرب عامة أهلها ونزلوا ناحية فهلك أكثر من بقي بالقرية وسلم الآخرون فلما ارتفع الطاعون رجعوا فقال الذين بقوا أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا ولو صنعنا كما صنعوا بقينا فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وهم بضعة وثلاثون ألفا وقيل ثلاثة آلاف وقيل أربعة آلاف وقيل غير ذلك حتى نزلوا ذلك المكان فصاح بهم ملك فماتوا ونخرت عظامهم فمر بهم حزقيل فلما رآهم جعل يتفكر في بعثهم فأوحى الله اليه أتريد أن أريك كيف أحييهم قال نعم فقيل ناد فنادى يا أيتها العظام البالية ان الله يأمرك ان تجتمعي فجعلت العظام تطير بعضها الى بعض حتى صارت أجسادا من عظام ثم نادى يا أيتها العظام ان الله أمرك ان تكتسي فألبست لحما ودما وثيابها التي ماتت فيها ثم نادى يا أيتها الارواح ان الله يأمرك أن تعودي الى أجسادك فعادت وقامت الاجساد أحياء وقالوا حين أحيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا أنت فرجعوا الى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد كفنا دسما ثم ماتوا ثم مات حزقيل ولم تذكر مدته في بني اسرائيل وقيل كانوا قوم حزقيل فلما أن ماتوا بكى حزقيل وقال يارب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا فقال الله أتحب ان احييهم قال نعم قال فاني قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله تعالى فعاشوا

﴿ ذكر الياس عليه السلام ﴾

لما توفي حزقيل كثرت الاحداث في بني اسرائيل وتركوا عهد الله وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم الياس بن ياسين بن فنحاص بن العزار بن هرون بن عمران نبيا وكان الانبياء في بني اسرائيل بعد موسى بن عمران يبعثون بتجديد ما نسوا من التوراة وكان الياس مع ملك من ملوكهم يقال له اخاب وكان يسمع منه ويصدقه وكان الياس يقيم له أمره وكان بنو اسرائيل قد اتخذوا صنما يعبدونه يقال له بعل فجعل الياس يدعوهم الى الله وهم لا يسمعون الا من ذلك الملك وكان ملوك بني اسرائيل متفرقة كل ملك قد تغلب على ناحية يأكلها فقال ذلك الملك الذي كان الياس معه والله ما أرى الذي تدعو اليه الا باطلا لاني أرى فلانا وفلانا يعدد ملوك بني اسرائيل قد عبدوا الاوثان فلم يضرهم ذلك شيئا يأكلون ويشربون ويتمتعون ما ينقص ذلك من دنياهم وما نرى لنا عليهم من فضل ففارقه الياس وهو يسترجع فعبد ذلك الملك الاوثان أيضا وكان للملك جار صالح مؤمن يكتم ايمانه وله بستان الى جانب دار الملك والملك يحسن جواره وللملك زوجة عظيمة الشر والكفر فقالت له ليأخذ بستان الرجل فلم يفعل فكانت تخلف زوجها اذا سار عن بلده وتظهر للناس فغاب مرة فوضعت امرأته على صاحب البستان من شهد عليه أنه سب الملك فقتلته وأخذت بستانه فلما عاد الملك غضب من ذلك واستعظمه وأنكره فقالت فات أمره فأوحى الله الى الياس يأمره ان يقول للملك وامرأته ان يردا البستان على ورثة صاحبه فان لم يفعلا غضب عليهما وأهلكهما في البستان ولم يتمتعا به الا قليلا فأخبرهما الياس بذلك فلم يراجعا الحق فلما رأى الياس أن بني اسرائيل قد أبوا الا الكفر والظلم دعا عليهم فأمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين فهلكت الماشية والطيور والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا واستخفى الياس خوفا من بني اسرائيل فكان يأتيه رزقه ثم انه أوى ليلة الى امرأة من بني اسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب به ضر شديد فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به واتبع الياس وكان معه وصحبه وصدقه وكان الياس قد كبر فأوحى الله اليه انك قد أهلكت كثيرا من الخلق

فأخبرهم نبيهم شمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فقالوا فيه ما أخبر الله عز وجل في كتابه أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم وأخبرهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة وكان مدة ما مكث التابوت ببابل عشر سنين فسمعوا عند الفجر حفيف الملائكة تحمل التابوت واشتد سلطان جالوت وكثرت عساكره وقواده وبلغه انقياد بني اسرائيل الى طالوت فسار جالوت من فلسطين بأجناس من البربر وهو جالوت بن بالول بن ريال ابن حطال بن فارس فنزل بساحة بني اسرائيل فأمر شمويل طالوت بالمسير ببني اسرائيل الى حرب جالوت فابتلاهم الله عز وجل بنهر بين الاردن وفلسطين وسلط الله عليهم العطش وقد نص الله ذلك في كتابه وأمروا كيف يشربون من النهر فولغه أهل الريبة ولغ الكلاب فقتلهم طالوت عن آخرهم ثم فضل من

من

من البهائم والدواب والطير وغيرها ولم يعصر سوى بنى اسرائيل فقال الياس أى رب دعنى اكن انا الذى أدعو لهم وابتهج بالفرج لعلهم يرجعون فجاء الياس اليهم وقال لهم انكم قد هلكتم وهلكت الدواب بخطاياكم فان أحببتم ان تعلموا ان الله ساخط عليكم بفعلكم وأن الذى أدعوكم اليه هو الحق فاخرجوا بأصنامكم وادعوها فان استجابت لكم فذلك الحق كما تقولون وان هى لم تفعل علمتم انكم على باطل فنزعتم ودعوت الله ففرّج عنكم قالوا انصفت فخرجوا بأصنامهم فدعوها فلم يستجب لهم ولم يفرج عنهم فقالوا الالياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا لهم بالفرج وأن يسقوا فخرجت سحابة مثل الترس وعظمت وهم ينظرون ثم أرسل الله منها المطر فحييت بلادهم وفرج الله عنهم ما كانوا فيه من البلاء فلم ينزعوا ولم يراجعوا الحق فلما رأى ذلك الياس سأل الله ان يقبضه فيريحه منهم فكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فصار ملكا انسيا سماويا أرضيا وسلط الله على الملك وقومه عدوا فقتلهم وقتل الملك وزوجته بذلك البستان وألقاهما فيه حتى بليت لحومهما

﴿ذكر نبوة اليسع عليه السلام وأخذ التابوت من بنى اسرائيل﴾

فلما انقطع الياس عن بنى اسرائيل بعث الله اليسع فكان فيهم ماشاء الله ثم قبضه الله وعظمت فيهم الاحداث وعندهم التابوت يتوارثونه فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة فكانوا لايلقاهم عدو فيقدمون التابوت الاهزم الله العدو وكانت السكينة شبه رأس هر فاذا صرخت فى التابوت بصراخ هر ايقنوا بالنصر وجاءهم الفتح ثم خلف فيهم ملك يقال له ايلاف وكان الله يمنعهم ويحميهم فلما عظمت أحداثهم نزل بهم عدو فخرجوا اليه وأخرجوا التابوت فاقتتلوا فغلبهم عدوهم على التابوت وأخذه منهم وانهزموا فلما علم ملكهم ان التابوت أخذ مات كمدا ودخل العدو أرضهم ونهب وسبى وعاد فمكثوا على اضطراب من أمرهم واختلاف وكانوا يتمادون أحيانا فى غيهم فيسلط الله عليهم من ينتقم منهم فاذا راجعوا التوبة كف الله عنهم شر عدوهم فكان هذا حالهم من لدن توفى يوشع بن نون الى ان بعث الله اشمويل وملكهم طالوت ورد عليهم التابوت وكانت مدة مابين وفاة يوشع الذى كان يلى أمر بنى اسرائيل بعضها القضاة وبعضها الملوك وبعضها المتغلبون الى ان ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة الى اشمويل أربعمائة سنة وستين سنة فكان أول من سلط عليهم رجل من نسل لوط يقال له كوشان فقهرهم وأذلهم ثمانى سنين ثم أنقذهم من يده أخ لكالب الاصغر يقال له عتنيل فقام بأمرهم أربعين سنة ثم سلط عليهم ملك يقال له عجلون فملكهم ثمانى عشرة سنة ثم استنقذهم منه رجل من سبط بنيامين يقال له أهوذ وقام بأمرهم ثمانين سنة ثم سلط عليهم ملك من الكنعانيين يقال له يابين فملكهم عشرين سنة واستنقذهم منه امرأة من بنى أنبيائهم يقال لها دابور ودبر الامر رجل من قبلها يقال له باراق أربعين سنة ثم سلط عليهم قوم من نسل لوط فملكوهم سبع سنين واستنقذهم رجل يقال له جدعون بن يواش من ولد نفتالى بن يعقوب فدبر أمرهم أربعين سنة وتوفى ودبر أمرهم بعده ابنه أبيمالخ ثلاث سنين ثم دبرهم بعده فولع بن فوا ابن خال أبيمالخ ويقال انه ابن عمه ثلاثا وعشرين سنة ثم دبر أمرهم بعده رجل يقال له يائير اثنتين وعشرين سنة ثم ملكهم قوم من أهل فلسطين بنى عمون ثمانى عشرة سنة ثم قام بأمرهم رجل منهم يقال له يفتح ست سنين ثم دبرهم بعده يحسون سبع سنين ثم بعده آلون عشر سنين ثم بعده لبرون ويسميه بعضهم عكرون ثمانى سنين ثم قهرهم أهل فلسطين وملكوهم أربعين سنة ثم وليهم شمسون عشرين سنة ثم بقوا بعده عشرين سنة بغير

خيارهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فيهم داود عليه السلام ولحق داود باخوته فتوافق الجيشان جميعا وكانت الحروب بينهما سجالا وندب طالوت الناس وجعل لمن يخرج الى جالوت ثلث ملكه وان يتزوج ابنته فبرز داود فقتله بحجر كان فى مخلاته رماه بمقلاع فخر جالوت ميتا وقد اخبر الله عز وجل بذلك فى كتابه بقوله وقتل داود جالوت وقد كان الحجر الذى كان فى مخلاة داود كان ثلاثة احجار فاجتمعت وصارت حجرا واحدا وهى التى قتل بها جالوت وان القوم الذين ولغوا فى الماء وخالفوا ما أمروا به كان القاتل لهم طالوت وقد أتينا على خبر الدرع التى كان أخبرهم نبيهم انه لا يقتل جالوت الا من صلحت عليه تلك الدرع اذا لبسها وانها صلحت على داود وما كان من هذه الحروب وخبر الدهن الذى استدار على رأسه وخبر طالوت واخبار البربر وبدء شأنهم فى كتابنا فى أخبار الزمان وسنورد بعد هذا جملا من أخبار البربر وتفرقهم فى البلاد فى الموضع اللائق بها من هذا الكتاب (ورفع الله ذكر داود) واجمل ذكر

مدبر ولا رئيس ثم قام بأمرهم بعد ذلك عالى الكاهن وفى أيامه غلب أهل فلسطين على التابوت فى قول فلما مضى من وقت قيامه أربعون سنة بعث اشمويل نبيا فدبرهم عشر سنين ثم سألوا اشمويل ان يبعث لهم ملكا يقاتل بهم أعداءهم

﴿ذكر حال اشمويل وطالوت﴾

كان من خبر اشمويل بن بالى ان بنى اسرائيل لما طال عليهم البلاء وطمع فيهم الاعداء وأخذ التابوت منهم فصاروا بعده لا يلقون ملكا الا خائفين فقصدهم جالوت ملك الكنعانيين وكان ملكه ما بين مصر وفلسطين فظفر بهم فضرب عليهم الجزية وأخذ منهم التوراة فدعوا الله ان يبعث لهم نبيا يقاتلون معه وكان سبط النبوة هلكوا فلم يبق منهم غير امرأة حبلى فحبسوها فى بيت خيفة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بنى اسرائيل فى ولدها فولدت غلاما سمته اشمويل ومعناه سمع الله دعائى وسبب هذه التسمية انها كانت عاقرا وكان لزوجها امرأة أخرى قد ولدت له عشرة أولاد فبغت عليها بكثرة الاولاد فانكسرت العجوز ودعت الله أن يرزقها ولدا فرحم الله انكسارها وحاضت لوقتها وقرب منها زوجها فحملت فلما انقضت مدة الحمل ولدت غلاما فسمته اشمويل فلما كبر أسلمته فى بيت المقدس يتعلم التوراة وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ أن يبعثه الله نبيا أتاه جبريل وهو يصلى فناداه بصوت يشبه صوت الشيخ فجاء اليه فقال ما تريد فكره أن يقول لم ادعك فيفزع فقال ارجع فنم فرجع فعاد جبريل لمثلها فجاء الى الشيخ فقال له يا بنى عد فاذا دعوتك فلا تجبنى فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل وأمره بانذار قومه واعلمه ان الله بعثه رسولا فدعاهم فكذبوه ثم أطاعوه وأقام يدبر أمرهم عشر سنين وقيل أربعين سنة وكان العمالقة مع ملكهم جالوت قد عظمت نكايتهم فى بنى اسرائيل حتى كادوا يهلكونهم فلما رأى بنو اسرائيل ذلك قالوا ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا قالوا وما لنا أن لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فدعا الله فأرسل اليه عصا وقرنا فيه دهن وقيل له ان صاحبكم يكون طوله طول هذه العصا واذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذى فى القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن رأسه به وملكه عليهم فقاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا أمثالها وكان طالوت دباغا وقيل كان سقاء يسقى الماء ويبيعه فضل حماره فانطلق يطلبه فلما اجتاز بالمكان الذى فيه اشمويل دخل يسأله ان يدعو له ليرد الله حماره فلما دخل نش الدهن فقاسوه بالعصا فكان مثلها فقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وهو بالسريانية شاول بن قيس بن اغار بن ضرار بن بحرف بن يفتح بن ايش بن بنيامين بن يعقوب بن اسحق فقالوا له ما كنت قط أكذب منك الساعة ونحن من سبط المملكة ولم يؤت طالوت سعة من المال فتبعه فقال اشمويل ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم فقالوا ان كنت صادقا فأت بآية فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة والسكينة رأس هر وقيل طست من ذهب يغسل فيها قلوب الانبياء وقيل غير ذلك وفيه الالواح وهى من در وياقوت وزبرجد وأما البقية فهى عصا موسى ورضاضة الالواح فحملته الملائكة وأتت به الى طالوت نهارا بين السماء والارض والناس ينظرون فأخرجه طالوت اليهم فأقروا بملكه ساخطين وخرجوا معه كارهين وهم ثمانون ألفا فلما خرج قال لهم طالوت ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى وهو نهر فلسطين وقيل الاردن فشربوا منه الا قليلا وهم أربعة آلاف فمن شرب منه عطش ومن لم يشرب منه الا غرفة روى

طالوت وأبى طالوت ان يفى لداود بما تقدم من شرطه فلما رأى ميل الناس اليه زوجه ابنته وسلم اليه ثلث الجباية وثلث الحكم وثلث الناس ثم حسده بعد ذلك فأغتاله فنعه الله عز وجل من ذلك فأبى داود ان ينافسه فى ملكه وانما أمر داود فمات طالوت على سرير ملكه فات من ليلته كمدا وانقادت بنو اسرائيل الى داود عليه السلام وكان مدة طالوت عشرين سنة وذكران الموضع الذى قتل فيه جالوت بيسان من أرض الغور من بلاد الاردن وألان الله عز وجل لداود الحديد فعمل منه الدروع وسخر له الجبال والطير يسبحن معه وحارب داود أهل مؤاب من أرض البلقاء وأنزل الله عز وجل عليه الزبور بالعبرانية خمسين ومائة سورة وجعله ثلاثة أثلاث فثلث ما يكون مع بخت نصر وما يكون من أمره فى المستقبل وثلث ما يلقون من أهل أثور وثلث موعظة وترغيب ومحبة وترهيب ليس فيه أمر ولا نهى ولا تحليل ولا تحريم واستقامت الامور لداود ولحقت الخوارج من الاكراد باطراف الارض لهيبة

فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه لقيهم جالوت وكان ذا بأس شديد فلما رأوه رجع أكثرهم وقالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ولم يبق معه غير ثلثمائة وبضعة عشر عدد أهل بدر فلما رجع من رجع قالوا كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وكان فيهم ايشا أبو داود ومعه من أولاده ثلاثة عشر ابنا وكان داود أصغر بنيه وقد خلفه يرعى لهم ويحمل لهم الطعام وكان قد قال لابيه ذات يوم يا أبتاه ما أرمى بقذافتى شيأ الا صرعته ثم قال له لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسدا رابضا فركبت عليه وأخذت باذنيه فلم أخفه ثم أتاه يوما آخر فقال انى لامشى بين الجبال فاسبح فلا يبقى جبل الا سبح معى قال له أبشر فان هذا خير أعطاكه الله فارسل الله الى النبى الذى مع طالوت قرنا فيه دهن وتنور من حديد فبعث به الى طالوت وقال له ان صاحبكم الذى يقتل جالوت يوضع هذا الدهن على رأسه فيغلى حتى يسيل من القرن ولا يجاوز رأسه الى وجهه ويبقى على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل فى هذا التنور فيملؤه فدعا طالوت بنى اسرائيل فجربهم فلم يوافقه منهم أحد فأحضر داود من رعيه فمر فى طريقه بثلاثة أحجار فكلمته وقلن خذنا يا داود تقتل بنا جالوت فأخذهن فجعلهن فى مخلاته وكان طالوت قد قال من قتل جالوت زوجته ابنتى وأجريت خاتمه فى مملكتى فلما جاء داود وضعوا القرن على رأسه فغلى حتى ادهن منه ولبس التنور فملأه وكان داود مسقاما أزرق مصفارا فلما دخل فى التنور تضايق عليه حتى ملأه وفرح اشمويل وطالوت وبنو اسرائيل بذلك وتقدموا الى جالوت وتصافوا للقتال وخرج داود نحو جالوت وأخذ الاحجار ووضعها فى قذافته ورمى بها جالوت فوقع الحجر بين عينيه فنقب رأسه فقتله ولم يزل الحجر يقتل كل من أصابه ينفذ منه الى غيره فانهزم عسكر جالوت باذن الله ورجع طالوت فأنكح ابنته داود وأجرى خاتمه فى ملكه فمال الناس الى داود وأحبوه فحسده طالوت وأراد قتله غيلة فعلم ذلك داود ففارقه وجعل فى مضجعه زق خمر وسجاه ودخل طالوت الى منام داود وقد هرب داود فضرب الزق ضربة خرقه فوقعت قطرة من الخمر فى فيه فقال يرحم الله داود ما كان أكثر شربه الخمر فلما أصبح طالوت علم أنه لم يصنع شيأ فخاف داود أن يغتاله فشدد حجابه وحراسه ثم ان داود أتاه من القابلة فى بيته وهو نائم فوضع سهمين عند رأسه وعند رجليه فلما استيقظ طالوت بصر بالسهام فقال يرحم الله داود هو خير منى ظفرت به وأردت قتله وظفر بى فكف عنى وأذكى عليه العيون فلم يظفروا به وركب طالوت يوما فرأى داود فركض فى اثره فهرب داود منه واختفى فى غار فى الجبل فعمى الله أثره على طالوت ثم ان طالوت قتل العلماء حتى لم يبق أحد الا امرأة كانت تعرف اسم الله الاعظم فسلمها الى رجل يقتلها فرحمها وتركها واخفى أمرها ثم ان طالوت ندم وأراد التوبة وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكى ويقول أنشد الله عبدا علم لى توبة الا أخبرنى بها فلما أكثر ناداه مناد من القبور يا طالوت اما رضيت قتلتنا احياء حتى تؤذينا أمواتا فازداد بكاء وحزنا فرحمه الرجل الذى أمره بقتل تلك المرأة فقال له ان دللتك على عالم لعلك تقتله قال لا فأخذ عليه العهود والمواثيق ثم أخبره بتلك المرأة فقال سلها هل لى من توبة فحضر عندها وسألها هل له من توبة فقالت ما أعلم له من توبة ولكن هل تعلمون قبر نبى قالوا نعم قبر يوشع بن نون فانطلقت وهم معها فدعت فخرج يوشع فلما رآهم قال ما لكم قالوا جئنا نسألك هل لطالوت من توبة قال ما أعلم له توبة الا أن يتخلى من ملكه ويخرج هو وولده فيقاتلون فى سبيل الله حتى تقتل أولاده ثم يقاتل هو حتى يقتل فعسى أن يكون له توبة ثم سقط ميتا ورجع طالوت أحزن مما كان يخاف ان لا يتابعه ولده فبكى حتى سقطت اشفار عينيه ونحل جسمه فسأله بنوه عن حاله فأخبرهم

باورشليم وهى بيت المقدس وهو البيت الباقى لوقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يدعى بمحراب داود عليه السلام وليس فى بيت المقدس أعلى منه فى هذا الوقت وقد يرى من أعلاه البحيرة المنتنة ونهر الاردن المقدم ذكره وكان من أمر داود مع الخصمين ما قص الله عز وجل فى كتابه من خبره وقوله لاحدهما قبل استماعه من الآخر لقد ظلمك وقد تنازع الناس فى خطيئة داود فنهم من رأى ما وصفنا ونفى عن الانبياء المعاصى وتعمد الفسق وانهم معصومون فكانت الخطيئة ما ذكرنا وذلك قوله عز وجل يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ومنهم من رأى ان ذلك كان قضية اوريا بن حنان ومقتله على ما ذكرنا فى كتاب المبتدا والخبر وغيره وتاب الله عز وجل على داود بعد أربعين يوما كان فيها صائما باكيا وتزوج داود عليه السلام مائة امرأة ونشأ سليمان ابن داود عليه السلام وبرع وداخل أباه فى قضائه فآتاه الله فصل الخطاب والحكم على ما أخبر الله عز وجل عنهما بقوله وكلا آتينا حكما وعلما ولما حضرت داود الوفاة أوصى الى ولده سليمان

فتجهز والتقى فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم قاتل هو بعدهم حتى قتل وقيل ان النبي الذي بعث لطالوت حتى أخبره بتوبته اليسع وقيل اشمويل والله أعلم وكانت مدة ملك طالوت الى ان قتل أربعين سنة

﴿ذكر ملك داود﴾

هو داود بن ايشا بن عوفيذ بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمينوذب بن رام بن حصرون بن فارض ابن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وكان قصيرا أزرق قليل الشعر ولما قتل طالوت أتى بنو اسرائيل داود فاعطوه خزائن طالوت وملكوه عليهم وقيل ان داود ملك قبل ان يقتل جالوت وسبب ملكه حينئذ أن الله أوحى الى اشمويل ان أمر طالوت بغزو مدين وقتل من بها فسار اليها وقتل من بها الا ملكهم فانه أخذه أسيرا فأوحى الله الى اشمويل قل لطالوت آمرك بأمر فتركته لانزعن الملك منك ومن بيتك ثم لا يعود فيكم الى يوم القيامة وأمر اشمويل بتمليك داود فملكه وسار الى جالوت فقتله والله أعلم فلما ملك بني اسرائيل جعله الله نبيا وملكا وأنزل عليه الزبور وعلمه صنعة الدروع وهو أول من عملها وألان له الحديد وأمر الجبال والطير يسبحون معه اذا سبح ولم يعط الله أحدا مثل صوته كان اذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقها وانها لمصيخة تسمع صوته وكان شديد الاجتهاد كثير العبادة والبكاء وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر وكان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف وكان يأكل من كسب يده وفي ملكه مسخ أهل أيلة قردة وسبب ذلك أنهم كانوا تأتيهم يوم السبت حيتان البحر كثيرا فاذا كان غير يوم السبت لا يجيء اليهم منها شئ فعملوا على جانب البحر حياضا كبيرة وأجروا اليها الماء فاذا كان آخر نهار يوم الجمعة يحوّل الماء الى الحياض فدخلها الحيتان ولا تقدر على الخروج عنها فيأخذونها يوم الاحد فنهاهم بعض أهلها فلم ينتهوا فمسخهم الله قردة وبقوا ثلاثة أيام وهلكوا

﴿ذكر فتنته بزوجة أوريا﴾

ثم ان الله ابتلاه بزوجة أوريا وكان سبب ذلك أنه قد قسم زمانه ثلاثة أيام يوما يقضي فيه بين الناس ويوما يخلو فيه للعبادة ويوما يخلو فيه مع نسائه وكان له تسع وتسعون امرأة وكان يحسد فضل ابراهيم واسحق ويعقوب فقال أي رب أرى الخير قد ذهب آبائي به فاعطني مثل ما أعطيتهم فأوحى اليه ان آباءك ابتلوا ببلاء فصبروا ابتلى ابراهيم بذبح ابنه وابتلى اسحق بذهاب بصره وابتلى يعقوب بحزنه على يوسف فقال رب ابتلني بمثل ما ابتليتهم وأعطني مثل ما أعطيتهم فأوحى الله اليه انك مبتلى فاحترس وقيل كان سبب البلية أنه حدّث نفسه انه يطيق ان يقطع يوما بغير مقارفة سوء فلما كان اليوم الذي يخلو فيه للعبادة عزم على ان يقطع ذلك اليوم بغير سوء وأغلق بابه وأقبل على العبادة فاذا هو بحمامة من ذهب فيها كل لون حسن قد وقعت بين يديه فاهوى ليأخذها فطارت غير بعيد من غير ان ييأس من أخذها فما زال يتبعها وهي تفرّ منه حتى أشرف على امرأة تغتسل فأعجبه حسنها فلما رأت ظله في الارض جللت نفسها بشعرها فاستترت به فزاده ذلك رغبة فسأل عنها فاخبر أن زوجها بثغر كذا فبعث الى صاحب الثغر بأن يقدم أوريا بين يدي التابوت في الحرب وكان كل من يتقدم بين يدي التابوت لا ينهزم اما ان يظفر أو يقتل ففعل ذلك به فقتل وقيل ان داود لما نظر الى المرأة فأعجبته سأل عن زوجها فقيل انه في جيش كذا فكتب الى صاحب الجيش ان يبعثه في سرية الى عدوّ كذا ففعل ذلك ففتح الله عليه فكتب الى داود فامر ان يرسله أيضا الى عدوّ كذا أشد منه ففعل فظفر فامر داود ان يرسل الى عدوّ ثالث ففعل فقتل أوريا

وقبض فكان ملكه أربعين سنة على فلسطين والاردن وكان عسكره ستين ألفا أصحاب سيوف جردا مردا أصحاب بأس ونجدة وكان ببلاد مدين وأيلة في عصر داود عليه السلام (لقمان الحكيم) وهو لقمان بن عنقاء ابن مربد بن صاوون وكان نوبيا مولى للقين بن جسر ولد على عشر سنين من ملك داود عليه السلام وكان عبدا صالحا فمن الله عز وجل عليه بالحكمة ولم يزل باقيا في الارض مظهرا للحكمة والزهد في هذا العالم الى أيام يونس بن متى حين أرسل الى أهل نينوى من بلاد الموصل ولما قبض داود عليه السلام قام بعده ولده (سليمان) بالنبوة والحكم وغمر عدله رعيته واستقامت له الامور وانقادت له الجيوش وابتدأ سليمان بنيان بيت المقدس وهو المسجد الاقصى الذي بارك الله عز وجل حوله فلما استتم بناءه بنى لنفسه بيتا وهو الموضع الذي يسمى في وقتنا هذا كنيسة القمامة وهي الكنيسة العظمى ببيت المقدس عند النصارى ولهم كنائس غيرها معظمة ببيت المقدس منها كنيسة صهيون وقد ذكرها داود عليه السلام والكنيسة المعروفة بالجسمانية ويزعمون

في المرة الثالثة فلما قتل تزوج داود امرأته وهي أم سليمان في قول قتادة وقيل ان خطيئة داود كانت انه لما بلغه حسن امرأة أوريا فتمنى أن تكون له حلالا فاتفق ان أوريا سار الى الجهاد فقتل فلم يجد له من الهم ما وجده لغيره فبينما داود في المحراب يوم عبادته وقد أغلق الباب اذ دخل عليه ملكان أرسلهما الله اليه من غير الباب فراعه ذلك فقالا لا تخف نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب أي قهرني وأخذ نعجتي فقال للآخر ما تقول قال صدق اني أردت أن أكمل نعاجي مائة فأخذت نعجته فقال داود اذا لا ندعك وذاك فقال الملك ما أنت بقادر عليه قال داود فان لم ترد عليه ماله ضربنا منك هذا وهذا وأومأ الى انفه وجبهته قال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا حيث لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأوريا الا امرأة واحدة فلم تزل به حتى قتل وتزوجت امرأته ثم غابا عنه فعرف ما ابتلي به وما وقع فيه فخر ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة لا بد منها وادام البكاء حتى نبت من دموعه عشب غطى رأسه ثم نادى يارب قرح الجبين وجمدت العين وداود لم يرجع اليه في خطيئته بشئ فنودي أجائع فتطعم أم مريض فتشفى أم مظلوم فتنصر قال فنحب نحبة هاج ما كان نبت فعند ذلك قبل الله توبته وأوحى اليه ارفع رأسك فقد غفرت لك قال يارب كيف اعلم انك قد غفرت لي وأنت حكم عدل لا تحيف في القضاء اذا جاء أوريا يوم القيامة آخذ رأسه بيمينه تشخب أوداجه دما قبل عرشك يقول يارب سل هذا فيم قتلني فأوحى الله اليه اذا كان ذلك دعوته وأستوهبك منه فيهبك لي فاهبه بذلك الجنة قال يارب الآن علمت انك قد غفرت لي قال فما استطاع داود بعدها ان يملأ عينه من السماء حياء من ربه حتى قبض ونقش خطيئته في يده فكان اذا رآها اضطربت يده وكان يؤتى بالشراب في الاناء ليشرب به فكان يشرب نصفه أو ثلثه فيذكر خطيئته فينتحب حتى تكاد مفاصله يزول بعضها من بعض ثم يملأ الاناء من دموعه وكان يقال ان دمعة داود تعدل دموع الخلائق وهو يجيء يوم القيامة وخطيئته مكتوبة بكفه فيقول يارب ذنبي ذنبي قدمني فيقدم فلا يأمن فيقول يارب أخرني فلا يأمن وأزالت الخطيئة طاعة داود عن بني اسرائيل واستخفوا بأمره ووثب عليه ابن له يقال له ايشا وأمه ابنة طالوت فدعا الى نفسه فكثر أتباعه من أهل الزيغ من بني اسرائيل فلما تاب الله على داود اجتمع اليه طائفة من الناس فحارب ابنه حتى هزمه ووجه اليه بعض قواده وأمره بالرفق به والتلطف لعله يأسره ولا يقتله وطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فقتله فحزن عليه داود حزنا شديدا وتنكر لذلك القائد

﴿ ذكر بناء بيت المقدس ووفاة داود عليه السلام ﴾

قيل أصاب الناس في زمان داود طاعون جارف فخرج بهم الى موضع بيت المقدس وكان يرى الملائكة تعرج منه الى السماء فلهذا قصده ليدعو فيه فلما وقف موضع الصخرة دعا الله تعالى في كشف الطاعون عنهم فاستجاب له ورفع الطاعون فاتخذوا ذلك الموضع مسجدا وكان الشروع في بنائه لاحدى عشرة سنة مضت من ملكه وتوفي قبل ان يستتم بناءه وأوصى الى سليمان باتمامه وقتل القائد الذي قتل أخاه ايشا بن داود فلما توفي داود ودفنه سليمان تقدم بانفاذ أمره فقتل القائد واستتم بناء المسجد بناه بالرخام وزخرفه بالذهب ورصعه بالجواهر وقوي على ذلك جميعه بالجن والشياطين فلما فرغ اتخذ ذلك اليوم عيدا عظيما وقرب قربانا فتقبله الله منه وكان ابتداؤه

ان فيها اقبر داود عليه السلام وأعطى الله عز وجل لسليمان عليه السلام من الملك ما لم يعطه لاحد من خلقه وسخر له الجن والانس والطير والريح على حسب ما ذكره الله عز وجل في كتابه وكان ملك سليمان بن داود على بني اسرائيل أربعين سنة وقبض وهو ابن اثنتين وخمسين سنة والله ولي التوفيق

﴿ذكر مالك بن رحبعم بن سليمان بن داود عليهما السلام ومن تلاه من بني اسرائيل وجمل من أخبار الانبياء﴾

وملك على بني اسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام مالك بن رحبعم بن سليمان واجتمعت عليه الاسباط ثم افترقوا عنه الا سبط يهوذا وسبط بنيامين وكان ملكه الى أن هلك سبع عشرة سنة وملك على العشرة أسباط (نورهم) وكانت له كوائن وحروب واتخذ له عجلا من الذهب والجوهر واعتكف على عبادته فاهلكه الله عز وجل فكان ملكه عشرين سنة وملك بعده (لودم) فاظهر عبادة الاصنام والتماثيل وكان ملكه سنة ثم ملكت بعده امرأة يقال لها (عيلان)

أوّلا ببناء المدينة فلما فرغ منها ابتدأ بعمارة المسجد وقد أكثر الناس في صفة البناء مما يستبعد ولا حاجة الى ذكره وقيل ان سليمان هو الذي ابتدأ بعمارة المسجد وكان داود أراد ان يبنيه فاوحى الله اليه ان هذا بيت مقدس وانك قد صبغت يدك في الدماء فلست ببانيه ولكن ابنك سليمان يبنيه لسلامته من الدماء فلما ملك سليمان بناه ثم ان داود توفي وكان له جارية تغلق الابواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح فيقوم الى عبادته فاغلقتها ليلة فرأت في الدار رجلا فقالت من أدخلك الدار فقال انا الذي ادخل على الملوك بغير اذن فسمع داود قوله فقال أنت ملك الموت قال نعم قال فهلا أرسلت الي لاستعد للموت قال قد أرسلت اليك كثيرا قال من كان رسولك قال أين أبوك وأخوك وجارك ومعارفك قال ماتوا قال فهم كانوا رسلي اليك لانك تموت كما ماتوا ثم قبضه فلما مات ورث سليمان ملكه وعلمه ونبوته وكان له تسعة عشر ولدا فورثه سليمان دونهم وكان عمر داود لما توفي مائة سنة صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وكانت مدة ملكه أربعين سنة

﴿ذكر ملك سليمان بن داود عليه السلام﴾

لما توفي داود ملك بعده ابنه سليمان على بني اسرائيل وكان ابن ثلاث عشرة سنة وآتاه مع الملك النبوة وسأل الله ان يؤتيه ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاستجاب له وسخر له الانس والجن والشياطين والطير والريح فكان اذا خرج من بيته الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس وقيل انما سخر له الريح والجن والشياطين والطير وغير ذلك بعد أن زال ملكه وأعاده الله سبحانه اليه على ما نذكره وكان أبيض جسيما كثير الشعر يلبس البياض وكان أبوه يستشيره في حياته ويرجع الى قوله فمن ذلك ما قصه الله في كتابه في قوله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الآية وكان خبره ان غنما دخلت كرما فأكلت عناقيده وافسدته فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان أوغير ذلك ان يسلم الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ويدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها الى أن يعود كرمه الى حاله ثم يأخذ كرمه ويدفع الغنم الى صاحبها فأمضى داود قوله وقال الله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما قال بعض العلماء في هذا دليل على ان كل مجتهد في الاحكام الفروعية مصيب فان داود أخطأ الحكم الصحيح عند الله تعالى وأصابه سليمان فقال له الله تعالى وكلا آتينا حكما وعلما وكان سليمان يأكل من كسب يده وكان كثير الغزو وكان اذا أراد الغزو أمر بعمل بساط من خشب يسع عسكره ويركبون عليه هم ودوابهم وما يحتاجون اليه ثم أمر الريح فحملته فسارت في غدوته مسيرة شهر وفي روحته كذلك وكان له ثلثمائة زوجة وسبعمائة سرية وأعطاه الله انه لا يتكلم أحد بشيء الا حملته الريح اليه فيعلم ما يقول

﴿ذكر ما جرى له مع بلقيس﴾

نذكر أوّلا ما قيل في نسبها وملكها ثم ما جرى له معها فنقول قد اختلف العلماء في اسم آبائها فقيل انها هي بلقمة ابنة أبنشرح بن الحرث بن قيس بن صيفي بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقيل هي بلقمة ابنة الهدهاد واسمه انيشرح بن تبع ذي الاذعار بن تبع ذي المنار بن تبع الرائش وقيل في نسبها غير ذلك ولا حاجة الى ذكره وقد اختلف الناس في التبابعة وتقديم بعضهم على بعض والزيادة في عددهم والنقصان اختلافا لا يحصل الناظر فيه على طائل وكذا أيضا اختلفوا في نسبها اختلافا كثيرا وقال كثير من الرواة ان أمها جنية ابنة ملك الجن واسمها رواحة بنت السكر

فبذلت السيف في ولد داود عليه السلام فلم ينج منهم الا غلام فانكرت بنو اسرائيل ذلك من فعلها فقتلوها وكان ملكها سبع سنين وقيل غير ذلك وملكوا عليهم (الغلام) الذي بقي من نسل داود فملك وله سبع سنين فاقام ملكا أربعين سنة وقيل دون ذلك وملك بعده (مليصا) وكان ملكه اثنتين وخمسين سنة وكان في عصره (شعيب) النبي ولشعيب معه اخبار وكانت له حروب قد أتينا على ذكرها في كتاب اخبار الزمان وملك بعده (نوفا) ابن عدل عشر سنين وقيل ست عشرة سنة وملك بعده (اجام) فاظهر عبادة الاصنام فطغى وأظهر البغي فصار اليه بعض ملوك بابل وكان يقال له فلعيعس وكان من عظماء ملوك بابل وكان للاسرائيلي معه حروب الى ان اسره البابلي وخرب مدن الاسباط ومساكنهم وكان في أيامه تنازع بين اليهود في الديانة فنبذتهم الاسامرة وأنكروا نبوة داود عليه السلام ومن تلاه من الانبياء وأبوا ان يكون بعد موسى نبي وجعلوا رؤساءهم من ولد هرون ابن عمران والاسامرة في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين

وقيل اسم أمها يلقمة بنت عمرو بن عمير الجني وانما نكح أبوها الى الجن لانه قال ليس في الانس لي كفوء فخطب الى الجن فزوجوه واختلفوا في سبب وصوله الى الجن حتى خطب اليهم فقيل انه كان لهجا بالصيد فربما اصطاد الجن على صور الظباء فيخلي عنهن فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فانكحه على ان يعطيه ساحل البحر ما بين يبرين الى عدن وقيل ان أباها خرج يوما متصيدا فرأى حيتين تقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فامر بقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها ماء فافاقت فاطلقها وعاد الى داره وجلس منفردا فاذا معه شاب جميل فذعر منه فقال له لا تخف أنا الحية التي انجيتني والاسود الذي قتلته غلام لنا تمرد علينا وقتل عدة من أهل بيتي وعرض على ابيها المال وعلم الطب فقال اما المال فلا حاجة لي به وأما الطب فهو قبيح بالملك ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجه على شرط ان لا يغير عليها شيأ تعمله ومتى غير فارقته فاجابه الى ذلك فحملت منه فولدت له غلاما فالقته في النار فجزع لذلك وسكت للشرط ثم حملت منه فولدت جارية فالقتها الى كلبة فاخذتها فعظم ذلك عليه وصبر للشرط ثم انه عصى عليه بعض أصحابه فجمع عسكره فسار اليه ليقاتله وهي معه فانتهى الى مفازة فلما توسطها رأى جميع ما معهم من الزاد يخلط بالتراب واذا الماء يصب من القرب والمزاود فايقنوا بالهلاك وعلموا أنه من فعال الجن عن أمر زوجته فضاق ذرعا عن حمل ذلك فاتاها وجلس وأوما الى الارض وقال يا أرض صبرت لك على احراق ابني واطعام الكلبة ابنتي ثم أنت الآن قد فجعتينا بالزاد والماء وقد اشرفنا على الهلاك فقالت المرأة لو صبرت لكان خيرا لك وساخبرك ان عدوك خدع وزيرك فجعل السم في الازواد والمياه ليقتلك وأصحابك فمر وزيرك ليشرب ما بقي من الماء ويأكل من الزاد فامره فامتنع فقتله ودلتهم على الماء والميرة من قريب وقالت اما ابنك فدفعته الى حاضنة تربيه وقد مات وأما ابنتك فهي باقية واذا بجويرية قد خرجت من الارض وهي بلقيس وفارقته امرأته وسار الى عدوه فظفر به وقيل في سبب نكاحه اليهم غير ذلك والجميع حديث خرافة لا أصل له ولا حقيقة وأما ملكها اليمن فقيل ان أباها فوض اليها الملك فملكت بعده وقيل بل مات عن غير وصية بالملك لاحد فاقام الناس ابن أخ له وكان فاحشا خبيثا فاسقا لا يبلغه عن بنت قيل ولا ملك ذات جمال الا أحضرها وفضحها حتى انتهى الى بلقيس بنت عمه فاراد ذلك منها فوعدته ان يحضر عندها الى قصرها واعدت له رجلين من أقاربها وأمرتهما بقتله اذا دخل اليها وانفرد بها فلما دخل اليها وثبا عليه فقتلاه فلما قتل أحضرت وزراءه فقرعتهم فقالت أما كان فيكم من يانف لكريمته وكرائم عشيرته ثم ارتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه فقالوا لا نرضى بغيرك فملكوها وقيل ان أباها لم يكن ملكا وانما كان وزير الملك وكان الملك خبيثا قبيح السيرة ياخذ بنات الاقيال والاعيان والاشراف وانها قتلته فملكها الناس عليهم وكذلك أيضا عظموا املكها وكثرة جندها فقيل كان تحت يدها أربعمائة ملك كل ملك منهم على كورة مع كل ملك منهم أربعة آلاف مقاتل وكان لها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها وكان لها اثنا عشر قائدا يقود كل قائد منهم اثنى عشر ألف مقاتل وبالغ آخرون مبالغة تدل على سخف عقولهم وجهلهم قالوا كان لها اثنا عشر ألف قيل تحت يد كل قيل مائة ألف مقاتل مع كل مقاتل سبعون ألف جيش في كل جيش سبعون ألف مبارز ليس فيهم الا ابناء خمس وعشرين سنة وما اظن الساعة راوي هذا الكذب الفاحش عرف الحساب حتى يعلم مقدار جهله ولو عرف مبلغ العدد لاقصر عن اقدامه على هذا القول السخيف فان أهل الارض لا يبلغون جميعهم شبابهم وشيوخهم وصبيانهم

وثلاثين وثلثمائة ببلاد فلسطين والاردن وفي قرى متفرقة مثل القرية المعروفة بعارا وهي بين الرملة وطبرية وغيرها من القرى الى مدينة نابلس وأكثرهم في هذه المدينة أعني نابلس ولهم جبل يقال له طور برك وللسامرة عليه صلوات في أوقاتها ولهم بوقات من فضة ينفخ فيها عند أوقات الصلاة وهم الذين يقولون لا مساس ويزعمون ان نابلس هي بيت المقدس وهي مدينة يعقوب النبي عليه السلام وهنالك مرعاه وهم صنفان متباينان كتبا ينهم لسائر اليهود وأحد الصنفين يقال له الكوسان والآخر الدورسان أحد الصنفين يقول بقدم العالم ومعان غير ذلك أعرضنا عن ذكرها لمخافة التطويل وأن كتابنا هذا كتاب خبر لا كتاب آراء ونحل وكان ملك اجام الى ان أسره الملك الثاني سبع عشرة سنة ولما أسر الملك اجام ولد له ولد يقال (حزقيل اجام) فاظهر عبادة الرحمن وأمر بتكسير التماثيل والاصنام وفي ملكه سار (سنحاريب) ملك بابل الى بيت المقدس وكانت له حروب كثيرة مع بني

ونساؤهم هذا العدد فكيف ان يكونوا ابناء خمس وعشرين سنة فياليت شعري كم يكون غيرهم ممن ليس من أسنانهم وكم تكون الرعية وأرباب الحرف والفلاحة وغير ذلك وانما الجند بعض أهل البلاد وان كان الحاصل من اليمن قد قل في زماننا فان رقعة أرضه لم تصغر وهي لا تسع هذا العدد قياما كل واحد الى جانب الآخر ثم انهم قالوا أنفقت على كوة بيتها التي تدخل الشمس منها فتسجد لها ثلثمائة ألف أوقية من الذهب وقالوا غير ذلك وذكروا من أمر عرشها ما يناسب كثرة جيشها فلا نطول بذكره وقد تواطؤوا على الكذب والتلاعب بعقول الجهال واستهانوا بما يلحقهم من استجهال العقلاء لهم وانما ذكرنا هذا على وجهه ليقف بعض من كان يصدق به عليه فينتهي الى الحق واما سبب مجيئها الى سليمان واسلامها فانه طلب الهدهد فلم يره وانما طلبه لان الهدهد يرى الماء من تحت الارض فيعلم هل في تلك الارض ماء أم لا وهل هو قريب أم بعيد فبينما سليمان في بعض مغازيه اذ احتاج الى الماء فلم يعلم أحد ممن معه بعده فطلب الهدهد ليسأله عن ذلك فلم يره وقيل بل نزلت الشمس الى سليمان فنظر ليرى من أين نزلت لان الطير كانت تظله فرأى موضع الهدهد فارغا فقال لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين وكان الهدهد قد مر على قصر بلقيس فرأى بستانا لها خلف قصرها فمال الى الخضرة فرأى فيه هدهدا فقال له أين أنت عن سليمان وما تصنع ههنا فقال له ومن سليمان فذكر له حاله وما سخر له من الطير وغيره فعجب من ذلك فقال له هدهد سليمان وأعجب من ذلك ان كثرة هؤلاء القوم تملكهم امرأة وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجعلوا الشكر لله ان سجدوا للشمس من دونه وكان عرشها سريرا من ذهب مكلل بالجواهر النفيسة من اليواقيت والزبرجد واللؤلؤ ثم ان الهدهد عاد الى سليمان فاخبره بعذره في تاخيره فقال له اذهب بكتابي هذا فألقه اليها فاتاها وهي في قصرها فالقاه في حجرها فاخذته وقرأته وأحضرت قومها وقالت اني ألقي الي كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا علي وائتوني مسلمين يا أيها الملأ ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين قالت اني مرسلة اليهم بهدية فان قبلها فهو من ملوك الدنيا فنحن أعز منه وأقوى وان لم يقبلها فهو نبي من الله فلما جاءت الهدية الى سليمان قال للرسل أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم الى قوله وهم صاغرون فلما رجع الرسل اليها سارت اليه وأخذت معها الاقيال من قومها وهم القواد وقدمت عليه فلما قاربته وصارت منه على نحو فرسخ قال لاصحابه أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك يعني قبل أن تقوم في الوقت الذي تقصد فيه بيتك للغداء قال سليمان أريد أسرع من ذلك فقال الذي عنده علم من الكتاب وهو آصف بن برخيا وكان يعرف اسم الله الاعظم أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك وقال له انظر الى السماء وادم النظر فلا ترد طرفك حتى احضره عندك وسجد ودعا فرأى سليمان العرش قد نبع من تحت سريره فقال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر اذ أتاني به قبل أن يرتد الي طرفي أم أكفر اذ جعل تحت يدي من هو أقدر مني على احضاره فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو ولقد تركته في حصون وعنده جنود تحفظه فكيف جاء الى ههنا فقال سليمان للشياطين ابنوا لي صرحا تدخل علي فيه بلقيس فقال بعضهم ان سليمان قد سخر له ما سخر وبلقيس ملكة سبا ينكحها فتلد غلاما فلا ننفك من العبودية أبدا وكانت امرأة شعراء الساقين فقال الشياطين ابنوا له بنيانا يرى ذلك منها فلا يتزوجها فبنوا له صرحا من قوارير خضر وجعلوا له طوابق من قوارير بيض فبقي كأنه الماء وجعلوا تحت الطوابق صور دواب البحر

من

اسرائيل وقتل من أصحابه خلق كثيرون وسبي من الاسباط عددا كثيرا وكان ملك حزقيل الى ان هلك سبعا وعشرين سنة ثم ملك بعد حزقيل ولد له يقال له (منشا) فعمر شره سائر مملكته وهو الذي قتل شعيبا النبي فبعث الله قسطنطين ملك الروم فسار اليه في الجيوش فهزم جيشه وأسره فاقام في أرض الروم عشرين سنة واقلع عما كان عليه وعاد الى ملكه فكان ملكه الى ان هلك خمسا وعشرين سنة وقيل ثلاثين سنة ثم ملك بعده ولد له يقال له (أمون) بن منشا فاظهر الطغيان وكفر بالرحمن وعبد التماثيل والاصنام ولما اشتد بغيه سار اليه فرعون الاعرج من بلاد مصر في الجيوش فامعن في القتل وأسره ومضى به الى مصر فمات هنالك وكان ملكه خمس سنين وقيل غير ذلك وملك بعده أخ له يقال له (نوفين) وهو أبو دانيال عليه السلام وفي عصر هذا الملك سار البخت نصر وهو مرزبان العراق والعرب من قبائل فارس وكان ببلخ وكانت قصبة الملك فامعن البخت نصر في القتل لبني اسرائيل والاسر

من السمك وغيره وقعد سليمان على كرسي ثم أمر فادخلت بلقيس عليه فلما أرادت ان تدخله ورأت صور السمك ودواب الماء حسبته لجة ماء فكشفت عن ساقيها لتدخل فلما رآها سليمان صرف نظره عنها وقال انه صرح ممرد من قوارير فقالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين فاستشار سليمان فى شئ يزيل الشعر ولا يضر الجسد فعمل له الشياطين النورة فهى أوّل ماعملت النورة ونكحها سليمان وأحبها حبا شديدا ورّدها الى ملكها باليمن فكان يزورها كل شهر مرة يقيم عندها ثلاثة أيام وقيل انه أمرها ان تنكح رجلا من قومها فامتنعت وانفت من ذلك فقال لا يكون فى الاسلام الا ذلك فقالت ان كان ولا بد من ذلك فزوّجنى ذا تبع ملك همدان فزوّجه اياها ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على الملك وأمر الجن من أهل اليمن بطاعته فاستعمل ذو تبع فعملوا له عدة حصون باليمن منها سلحين ومراوخ وفليون وهنيدة وغيرها فلما مات سليمان لم يطيعوا ذا تبع وانقضى ملك ذى تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان وقيل بل بقيا وقيل ان بلقيس ماتت قبل سليمان بالشام وانه دفنها بتدمر واخفى قبرها

﴿ ذكر غزوته أباز وجته جرادة ونكاحها وعبادة الصنم فى داره وأخذ خاتمه وعوده اليه ﴾

قيل سمع سليمان بملك فى جزيرة من جزائر البحر وشدة ملكه وعظم شأنه وانه لم يكن للناس اليه سبيل فخرج سليمان الى تلك الجزيرة وحملته الريح حتى نزل بجنوده بها فقتل ملكها وغنم مافيها وغنم بنتا للملك لم ير الناس مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على قلة رغبة فيه واحبها حبا شديدا وكانت لا يذهب حزنها ولا تزال تبكى فقال لها ويحك ماهذا الحزن والدمع الذى لا يرقأ قالت انى اذكر أبى وملكه وما أصابه فيحزننى ذلك قال فقد ابدلك الله ملكا خيرا من ملكه وهداك الى الاسلام قالت انه كذلك ولكنى اذا ذكرته أصابنى ماترى فلو أمرت الشياطين فصوّروا صورته فى دارى أراها بكرة وعشية لرجوت ان يذهب ذلك حزنى فأمر الشياطين فعملوا لها مثل صورته لا ينكر منها شيأ وألبستها ثيابا مثل ثياب أبيها وكانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه فى جواريها فتسجد له ويسجدن معها وتروح عشية ويفعلن مثل ذلك ولا يعلم سليمان بشئ من أمرها أربعين صباحا وبلغ الخبر آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد من منازل سليمان أى وقت أراد من ليل أو نهار سواء كان سليمان حاضرا أو غائبا فاتاه فقال يانبى الله قد كبر سنى ودق عظمى وقد حان منى ذهاب بصرى وقد احببت ان أقوم مقاما اذكر فيه انبياء الله واثنى عليهم بعلمى فيهم واعلم الناس بعض مايجهلون قال افعل فجمع له سليمان الناس فقام آصف خطيبا فيهم فذكر من مضى من الانبيا واثنى عليهم حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان احلمك فى صغرك وابعدك من كل مايكره فى صغرك ثم انصرف فملئ سليمان غضبا فارسل اليه وقال له يا آصف لماذكرتنى جعلت تثنى على فى صغرى وسكت عما سوى ذلك فما الذى احدثت فى آخر أمرى قال ان غير الله ليعبد فى دارك أربعين يوما فى هوى امرأة قال انا لله وانا اليه راجعون لقد علمت انك ماقلت الا عن شئ بلغك ودخل داره وكسر الصنم وعاقب تلك المرأة وجواريها ثم امر بثياب الطهارة فاتى بها وهى ثياب تغزلها الابكار اللائى لم يحضن ولم تمسها امرأة ذات دم فلبسها وخرج الى الصحراء وفرش الرماد ثم اقبل تائبا الى الله وتمعك فى الرماد بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا وبكى واستغفر يومه ذلك ثم عاد الى داره وكانت ام ولد له لا يثق الا بها يسلم خاتمه اليها وكان لا ينزعه الا عند دخول الخلاء واذا اراد أن يصيب امرأة يسلمه اليها حتى يتطهر وكان ملكه فى خاتمه فدخل فى بعض تلك الايام الخلاء وسلم خاتمه اليها فاتاها شيطان اسمه صخر الجنى فى

وحملهم الى أرض العراق وأخذ التوراة وما كان فى بيت المقدس من كتب الملوك وطرحه فى بئر وعمد الى تابوت السكينة فاودعه بعض المواضع من الارض فيقال انه كان عدة من سبى من بنى اسرائيل ثمانية عشر ألفا وفى هذا العصر كان (أقدمنا) النبى عليه السلام وسار بخت نصر الى مصر فقتل فرعون الاعرج وكان يومئذ ملك مصر وسار نحو المغرب فقتل ملوكا وافتتح مدائن وكان ملك فارس تزوّج جارية من سبايا بنى اسرائيل فاولدها ولدا فردّ بنى اسرائيل الى ديارهم وكان ذلك بعد سنين ولما رجعت بنو اسرائيل الى بلادهم ملكت عليها (زريابل) بن سلسان فابتنى مدينة بيت المقدس وعمر ما كان خرب واخرجت بنو اسرائيل التوراة من البئر واستقامت لهم الامور فاقام هذا الملك على عمارة أرضهم ستا وأربعين سنة وشرع لهم الصلوات وغيرها من الشرائع مما كان تلف منهم فى حال السبى والاسامرة تزعم ان التوراة التى فى يد اليهود ليست التوراة التى أورد موسى ابن عمران عليه السلام وان تلك حرفت و بدلت وغيرت وان المجدد لها هذا

صورة سليمان فاخذ الخاتم وخرج الى كرسي سليمان وهو في صورة سليمان فجلس عليه وعكفت عليه الانس والجن والطير وخرج سليمان وقد تغيرت حاله وهيئته فقال خاتمي فقالت ومن أنت قال انا سليمان قالت كذبت لست بسليمان قد جاء سليمان واخذ خاتمه مني وهو جالس على سريره فعرف سليمان خطيئته فخرج وجعل يقول لبني اسرائيل أنا سليمان فيحثون عليه التراب فلما رأى ذلك قصد البحر وجعل ينقل سمك الصيادين ويعطونه كل يوم سمكتين يبيع احداهما بخبز ويأكل الاخرى فبقي كذلك أربعين يوما ثم ان آصف وعظماء بني اسرائيل انكروا حكم الشيطان المتشبه بسليمان فقال آصف يا بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان ما رأيت قالوا نعم قال أمهلوني حتى أدخل على نسائه وأسألهن هل أنكرن ما أنكرنا منه فدخل عليهن وسألهن فذكرن أشد مما عنده فقال انا لله وانا اليه راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم خرج الى بني اسرائيل فاخبرهم فلما رأى الشيطان انهم قد علموا به طار من مجلسه فمر بالبحر فالقى الخاتم فيه فبلعته سمكة واصطادها صياد وحمل له سليمان يومه ذلك فاعطاه سمكتين تلك السمكة احداهما فاخذها فشقها ليصلحها ويأكلها فرأى خاتمه في جوفها فاخذه وجعله في اصبعه وخر لله ساجدا وعكفت عليه الانس والجن والطير واقبل عليه الناس ورجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وبث الشياطين في احضار صخر الذي أخذ الخاتم فاحضروه فنقب له صخرة وجعله فيها وسد النقب بالحديد والرصاص والقاه في البحر وكان مقامه في الملك اربعين يوما بقدر عبادة الصنم في دار سليمان وقيل كان السبب في ذهاب ملكه ان امرأة له كانت ابر نسائه عنده تسمى جرادة ولا يأتمن على خاتمه سواها فقالت له ان اخي بينه وبين فلان حكومة وانا أحب ان تقضي له فقال افعل ولم يفعل فابتلي واعطاها خاتمه ودخل الخلاء فخرج الشيطان في صورته فاخذه وخرج سليمان بعده فطلب الخاتم فقالت ألم تاخذه قال لا وخرج من مكانه تائها وبقي الشيطان أربعين يوما يحكم بين الناس ففطنوا له واحدقوا به ونشروا التوراة فقرؤها فطار من بين أيديهم والقى الخاتم في البحر فابتلعه حوت ثم ان سليمان قصد صيادا وهو جائع فاستطعمه وقال أنا سليمان فكذبه وضربه فشجه فجعل يغسل الدم فلام الصيادون صاحبهم واعطوه سمكتين احداهما التي ابتلعت الخاتم فشق بطنها وأخذ الخاتم فرد الله اليه ملكه فاعتذروا اليه فقال لا أحمدكم على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم وسخر الله له الجن والشياطين والريح ولم يكن سخرها له قبل ذلك وهو أشبه بظاهر القرآن وهو قوله تعالى قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد وقيل في سبب زوال ملكه غير ذلك والله أعلم

﴿ذكر وفاة سليمان﴾

لما اراد الله الى سليمان الملك لبث فيه مطاعا والجن تعمل له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات وغير ذلك ويعذب من الشياطين من شاء ويطلب من شاء حتى اذا دنا أجله وكان عادته اذا صلى كل يوم رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول ما اسمك فتقول كذا فيقول لاي شئ أنت فان كانت لغرس غرست وان كانت لدواء كتبت فبينما هو وقد صلى ذات يوم اذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك فقالت الخرنوبة فقال لها لاي شئ أنت قالت لخراب هذا البيت يعني بيت المقدس فقال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب البيت وقلعها ثم قال اللهم عم عن الجن موتي حتى يعلم الناس ان الجن لا يعلمون الغيب وكان سليمان

الملك لانه جمعها ممن كان يحفظها من بني اسرائيل وان التوراة الصحيحة هي في أيدي الاسامرة دون غيرهم وكان ملك هذا الملك ستا وأربعين سنة ووجدت في نسخة أخرى ان المتزوج في بني اسرائيل هو بخت نصر وهو الذي ردهم ومن عليهم وفيه نظر ودبر اسمعيل بن ابراهيم أمر البيت بعد ابراهيم عليه السلام ونبأه الله عز وجل وأرسله الى العماليق وقبائل اليمن فنهاهم عن عبادة الاوثان فامن طائفة منهم وكفر أكثرهم وولد اسمعيل اثني عشر ذكرا وهم قائث وقيدار وأربل وميم ومسمع ودوما ودوام وميشا وحداد وحيم وقطورا وماش وكانت وصية ابراهيم الى ابنه اسمعيل عليه السلام ووصى اسمعيل الى أخيه اسحق عليهما السلام وقد قيل الى ولده قيدار بن اسمعيل وكان عمر اسمعيل الى ان قبضه الله اليه مائة سنة وسبعا وثلاثين سنة ودفن بالمسجد الحرام في الموضع الذي كان فيه الحجر الاسود ودبر أمر البيت بعده قائث ابن اسمعيل عليه السلام

يتجرد للعبادة فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل وأكثر يدخل طعامه وشرابه فادخله فى المرة التى توفى فيها فبينما هو قائم يصلى متوكئا على عصاه أدركه أجله فمات ولا تعلم به الشياطين ولا الجن وهم فى ذلك يعملون خوفا منه فاكلت الارضة عصاه فانكسرت فسقط فعلموا انه قدمات وعلم الناس ان الجن لا يعلمون الغيب ولو علموا الغيب مالبثوا فى العذاب المهين ومقاساة الاعمال الشاقة ولما سقط أراد بنو اسرائيل ان يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصا يوما وليلة فاكلت منها فحسبوا بنسبته فكان أكل تلك العصا فى سنة ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تاكلين الطعام لاتيناك باطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب لاتيناك اطيب الشراب واكنا سنقل لك الماء والطين فهم ينقلون اليها حيث كانت الم تر الى الطين يكون فى وسط الخشبة فهو ما ينقلونه لها قيل ان الجن والشياطين شكوا ما يلحقهم من التعب والنصب الى بعض أولى التجربة منهم وقيل كان ابليس فقال لهم الستم تنصرفون باحمال وتعودون بغير احمال قالوا بلى قال فلكم فى كل ذلك راحة فحملت الريح الكلام فالقته فى اذن سليمان فامر الموكلين بهم انهم اذا جاؤا بالاحمال والآلات التى يبنى بها الى موضع البناء والعمل يحملهم من هنالك فى عودهم ما يلقونه من المواضع التى فيها الاعمال ليكون أشق عليهم وأسرع فى العمل فاجتاز وابذلك الذى شكوا اليه حالهم فاعلموه حالهم فقال لهم انتظروا الفرج فان الامور اذا تناهت تغيرت فلم تطل مدة سليمان بعد ذلك حتى مات وكان مدة عمره ثلاثا وخمسين سنة وملكه أربعين سنة

﴿ ذكر من ملك من الفرس بعد كيقباذ ﴾

لما توفى كيقباذ ملك بعده ابنه كيكاوس بن كينية بن كيقباذ فلما ملك حمى بلاده وقتل جماعة من عظماء البلاد المجاورة له وكان يسكن بنواحى بلخ وولد له ولد سماه سياوخش وضمه الى رستم الشديد بن داستان بن نريمان بن جوذنك بن كرشاسب وكان اصبهبد سجستان وما يليها وجعله عنده ليربيه فاحسن تربيته وعلمه العلوم والفروسية والآداب وما يحتاج الملوك اليه فلما كمل ما أراد حمله الى أبيه فلما رآه سر به صورة ومعنى وكان أبوه كيكاوس قد تزوج ابنة افراسياب ملك الترك وقيل انها ابنة ملك اليمن فهويت سياوخش ودعته الى نفسها فامتنع فسعت به الى أبيه حتى أفسدته عليه فسأل سياوخش رستم الشديد ان يخاطب أباه لينفذه الى محاربة افراسياب بسبب منعه بعض ما كان قد استقر بينهما وأراد البعد عن أبيه ليأمن كيد امرأته ففعل ذلك رستم فسيره أبوه وضم اليه جيشا كثيفا فسار الى بلاد الترك للقاء افراسياب فلما سار الى تلك الناحية جرى بينهما صلح فكتب سياوخش الى أبيه يعرفه ما جرى بينه وبين افراسياب من الصلح فكتب اليه والده يامره بمناهضة افراسياب ومحاربته وفسخ الصلح فاستقبح سياوخش الغدر وانف منه فلم ينفذ ما أمره به ورأى ان ذلك من فعل زوجة والده ليقبح فعله فراسل افراسياب فى الامان لنفسه لينتقل اليه فاجابه افراسياب الى ذلك وكان السفير فى ذلك قيران بن وكسعان ودخل سياوخش الى بلاد الترك فاكرمه افراسياب وأنزله واجرى عليه وزوجه بنتا له يقال لها وسفافريد وهى أم كيخسرو فظهر له من ادب سياوخش ومعرفته بالملك وشجاعته ما خاف على ملكه منه وزاد الفساد بينهما بسعى ابنى افراسياب وأخيه كندر وحسد امنهم لسياوخش فامرهم افراسياب بقتله فقتلوه ومثلوا به وكانت زوجته ابنة افراسياب حاملة منه بابنه كيخسرو فطلبوا الحيلة فى اسقاط ما فى بطنها فلم يسقط فانكر قيران الذى كان امان سياوخش على يده

على منهج اسمعيل وملته وقيل أيضا انه كان وصى أبيه اسمعيل عليه السلام وكان بين سليمان بن داود وبين المسيح عليهما السلام انبياء وعباد وصالحون منهم ارميا ودانيال وعزير وقد تنازع الناس فى نبوة أيوب واشعياء وحزقيل والياس واليسع ويونس وذى الكفل والخضر وروى عن اسحق انه أرميا وقيل بل كان عبدا صالحا وزكريا وهو من ولد داود من سبط يهوذا وكانت أيساع بنت عمران أخت مريم بنت عمران أم المسيح عليهما السلام وهو عمران بن ماثان بن يعاميم من ولد داود أيضا واسم أم أيساع ومريم حنة ولدت لزكريا يحيى بن خالة المسيح عليهم السلام وكان زكريا نجارا فاشاعت اليهود انه ركب من مريم الفاحشة فقتلوه وكان لما أحس بهم لجأ الى شجرة فدخل فى جوفها فدلهم عليه ابليس لعنه الله عز وجل فنشروا الشجرة وهو فيها فقطعوه وقطعوها ولما ولدت أيساع ابنة عمران أخت مريم أم المسيح يحيى بن زكريا عليهما السلام هربت به من بعض

قتله وحذر عاقبته والاخذ بثاره من والده كيكاووس ومن رستم وأخذ وجه سياوخش ابنه لتضع ما فى بطنها ويقتله فلما وضعت رق قيران لها وللولود ولم يقتله وستر أمره حتى بلغ فسير كيكاووس الى بلاد الترك من كشف أمره وأخذه اليه وحين بلغ خبر قتله الى فارس لبس شادوس بن جودرز السواد حزنا وهو أوّل من لبسه ودخل على كيكاووس فقال له ماهذا فقال ان هذا اليوم يوم ظلام وسواد ثم ان كيكاووس لما علم بقتل ابنه سير الجيوش مع رستم الشديد وطوس اصبهبذ اصبهان لمحاربة افراسياب فدخلا بلاد الترك فقتلا واسرا واثخنا فيها وجرى لهما مع افراسياب حروب شديدة قتل فيها ابنا افراسياب وأخوه الذين أشاروا بقتل سياوخش وزعمت الفرس ان الشياطين كانت مسخرة له وانها بنت له مدينة طولها فى زعمهم ثلثمائة فرسخ وبنوا عليها سورا من صفر وسورا من شبه وسورا من فضة وكانت الشياطين تنقلها بين السماء والارض وان كيكاووس لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث فيها ثم ان الله أرسل الى المدينة من يخربها فعجزت الشياطين عن المنع عنها فقتل كيكاووس جماعة من رؤسائهم وقال بعض العلماء باخبار المتقدمين انما سخر له فعل الشياطين بامر سليمان بن داود وكان مظفرا لا ينا ويه أحد من الملوك الا ظهر عليه فلم يزل كذلك حتى حدثته نفسه بالصعود الى السماء فسار من خراسان الى بابل واعطاه الله تعالى قوة ارتفع بها هو ومن معه حتى بلغوا السحاب ثم سلبهم الله تلك القوة فسقطوا وهلكوا وافلت بنفسه واحدث يومئذ وهذا جميعه من اكاذيب الفرس الباردة ثم ان كيكاووس بعد هذه الحادثة تمزق ملكه وكثرت الخوارج عليه وصار وا يغزونه فيظفر مرة ويظفرون أخرى ثم غزا بلاد اليمن وملكها يومئذ ذو الاذعار بن ابرهة ذى المنار بن الرائش فلما ورد اليمن خرج اليه ذو الاذعار وكان قد أصابه الفالج فلم يكن يغزو فلما وطئ كيكاووس بلاده خرج اليه بنفسه وعساكره وظفر بكيكاووس فاسره واستباح عسكره وحبسه فى بئر واطبق عليه فسار رستم من سجستان الى اليمن وأخرج كيكاووس وأخذه وأراد ذو الاذعار منعه فجمع العساكر وأراد القتال ثم خاف البوار فاصطلحا على أخذ كيكاووس والعود الى بلاد الفرس فاخذه واعاده الى ملكه فاقطعه كيكاووس سجستان وزابلستان وهى أعمال غزنة وأزال عنه اسم العبودية ثم توفى كيكاووس وكان ملكه مائة وخمسين سنة

﴿ذكر ملك كيخسرو بن سياوخش بن كيكاووس﴾

لما مات كيكاووس ملك بعده ابن ابنه كيخسرو بن سياوخش بن كيكاووس وأمه وسفافريد ابنة افراسياب ملك الترك فلما ملك كتب الى الاصبهبذين جميعهم ان يأتوا بعساكرهم جميعا فلما اجتمعوا جهز ثلاثين ألفا مع طوس وأمره بدخول بلاد الترك وان لا يمر بقرية ولا مدينة لهم الا قتل كل من فيها الا مدينة من مدنهم كان بها أخ له اسمه فرود بن سياوخش كان أبوه قد تزوّج أمه فى بعض مدائن الترك فاجتاز طوس بها فجرى بينه وبين فرود حرب قتل فيها فرود فبلغ خبره كيخسرو فعظم عليه وكتب الى عم له كان مع طوس يأمره بالقبض على طوس وارساله مقيدا والقيام بامر الجيش ففعل ذلك وسار بالعسكر نحو افراسياب فسير افراسياب العساكر اليه فاقتتلوا قتالا شديدا كثرت فيه القتلى وانحازت الفرس الى رؤس الجبال وعادوا الى كيخسرو فوبخ عمه ولامه واهتم بغزو الترك فامر بجمع العساكر جميعها وان لا يتخلف أحد فلما اجتمعوا أعلمهم انه يريد قصد بلاد الترك من أربعة وجوه فسير جودرز فى أعظم العساكر وأمره بالدخول الى بلاد الترك مما يلى بلخ وأعطاه درفش كابيان وهو العلم الاكبر الذى لهم وكانوا لا يرسلونه الا مع

الملوك الى مصر فلما صار رجلا بعثه الله عز وجل الى بنى اسرائيل فقام فيهم بأمر الله عز وجل ونهيه فقتلوه وكثرت الأحداث فى بنى اسرائيل فبعث الله عليهم ملكا من ناحية المشرق يقال له حردوس فقتل منهم على دم يحيى بن زكريا ألوفا من الناس وهو يفور الى ان هدأ الدم بعد خطب طويل ولما بلغت مريم ابنة عمران سبع عشرة سنة بعث الله عز وجل اليها جبريل فنفخ فيها الروح فحملت بالسيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وولدت بقرية يقال لها بيت لحم على أميال من بيت المقدس وولدته فى يوم الاربعاء لاربع وعشرين ليلة خلت من كانون الاول وكان من أمره ما ذكره الله عز وجل فى كتابه واتضح على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد زعمت النصارى ان أشيوع الناصرى أقام على دين من سلف من قومه يقرأ التوراه والكتب السالفة فى مدينة طبرية من بلاد الاردن فى كنيسة يقال لها المدراس ثلاثين سنة وقيل تسعا وعشرين سنة وانه فى بعض الايام كان يقرأ فى سفر اشعياه

بعض أولاد الملوك لامر عظيم وسير عسكرا آخر من ناحية الصين وسير عسكرا آخر مما يلي الخزر وعسكرا آخر بين هذين العسكرين فدخلت العساكر بلاد الترك من كل جهاتها واخربتها الاسيما جودرز فانه قتل وأخرب وسبى وتبعه كيخسرو بنفسه فى طريقه فوصل اليه وقد قتل جماعة كثيرة من أهل افراسياب واثخن فيهم ورآه قد قتل خمسمائة ألف ونيفا وستين ألفا وأسر ثلاثين ألفا وغنم مالا يحد ولا يحصى وعرض عليه من قتل من أهل افراسياب وطراخنته فعظم جودرز عنده وشكره واقطعه اصبهان وجرجان ووردت عليه الكتب من عساكره الداخلة من تلك الوجوه الى الترك بما قتلوا وغنموا وأخربوا وانهم هزموا لافراسياب عسكرا بعد عسكر وكتب اليهم ان يجدوا فى محاربتهم و يوافوه بموضع سماه لهم فلما بلغ افراسياب قتل من قتل من طراخنته وأهله وعساكره عظم ذلك عليه وسقط فى يديه ولم يكن بقى عنده من أولاده الا ولده شيده فوجهه فى جيش نحو كيخسرو فسار اليه واقتتلوا قتالا شديدا أربعة أيام ثم انهزمت الترك وتبعهم الفرس يقتلونهم و يأسرون وأدركوا ابن افراسياب فقتلوه وسمع افراسياب بالحادثة وقتل ابنه فاقبل فيمن عنده من العساكر فالتقى كيخسرو فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله واشتد الامر فانهزم افراسياب وكثر القتل فى الترك فقتل منهم مائة ألف وجد كيخسرو فى طلب افراسياب ولم يزل يهرب من بلد الى بلد حتى بلغ اذربيجان فاستتر وظفر به وأتى به الى كيخسرو فلما حضر عنده سأله عن غدره بابيه فلم يكن له حجة ولا عذر فامر بقتله فذبح كما ذبح سيا وخش ثم انصرف من اذربيجان مظفرا منصورا فرحا فلما قتل افراسياب ملك الترك بعده أخوه كى سواسف فلما توفى ملك بعده ابنه حرزاسف وكان جبارا عاتيا فلما فرغ كيخسرو من الاخذ بثار أبيه واستقر فى ملكه زهد فى الدنيا وترك الملك وتنسك واجتهد أهله وأصحابه به ليلازم الملك فلم يفعل فقالوا له فاعهد الى من يقوم بالملك بعدك فعهد الى لهراسب وفارقهم كيخسرو وغاب عنهم فلا يدرى ما كان منه ولا أين مات وبعض يقول غير ذلك وكان ملكه ستين سنة وملك بعده لهراسب

﴿ذكر أمر بنى اسرائيل بعد سليمان﴾

قيل ثم ملك بعد سليمان على بنى اسرائيل ابنه رحبعم بن سليمان وكان ملكه سبع عشرة سنة ثم افترقت ممالك بنى اسرائيل بعد رحبعم فملك افيا بن رحبعم سبط يهوذا وبنيامين دون سائر الاسباط وذلك ان سائر الاسباط ملكوا عليهم يوربعم بن نابط عبد سليمان بسبب القربان الذى كانت جرادة زوجة سليمان قربته فى داره للصنم فتوعده الله تعالى ان ينزع بعض الملك عن ولده فكان ملك افيا بن رحبعم ثلاث سنين ثم ملك اسا بن افيا أمر السبطين اللذين كان أبوه يملكهما احدى وأربعين سنة وكان رجلا صالحا وكان أعرج

﴿ذكر محاربة اسا بن افيا وزرح الهندى﴾

قيل كان اسا بن افيا رجلا صالحا وكان أبوه قد عبد الاصنام ودعا الناس الى عبادتها فلما ملك ابنه اسا أمر مناديا فنادى ألا ان الكفر قد مات وأهله وعاش الايمان وأهله فليس كافر فى بنى اسرائيل يطلع رأسه بكفر الا قتلته فان الطوفان لم يغرق الدنيا وأهلها ولم يخسف بالقرى ولم تمطر الحجارة والنار من السماء الى الارض الا بترك طاعة الله والعمل بمعصيته وشدد فى ذلك فاتى بعضهم ممن كان يعبد الاصنام و يعمل بالمعاصى الى ام اسا الملك وكانت تعبد الاصنام فشكوا اليها فجاءت اليه ونهته عما كان يفعله و بالغت فى زجره فلم يصغ الى قولها بل تهددها على عبادة الاصنام وأظهر البراءة منها فحينئذ أيس الناس منه وانتزح من كان يخافه وساروا الى الهند

اذ نظر فى السفر الى كتاب من نور فيه انت نبيى وخالصتى اصطفيتك لنفسى فاطبق السفر ودفعه الى خادم الكنيسة وخرج وهو يقول الآن تمت المشيئة لله فى ابن البشر وقد قيل ان المسيح عليه السلام كان بقرية يقال لها ناصرة من بلاد اللجون من اعمال الاردن وبذلك سميت النصرانية ورأيت فى هذا القرن كنيسة تعظمها النصارى وفيها توابيت من حجارة فيها عظام الموتى يسيل منها زيت ثخين كالرب تتبرك به النصارى وان المسيح مر ببحيرة طبرية وعليها أناس من الصيادين والقصارين وقد ذكر أن ميرو حنا وشمعون وبواس ولوقا هم الحواريون الاربع الذين تلقوا الانجيل فالفوا خبر عيسى عليه السلام وما كان من أمره وخبر مولده وكيف عمده يحيى بن زكريا وهو يحيى المعمدانى فى بحيرة طبرية وقيل فى بحر الاردن الذى يخرج من بحيرة طبرية ويجرى الى البحيرة المنتنة وما فعل من الاعاجيب وأتى من المعجزات وما قالت اليهود الى ان رفعه الله عز وجل اليه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وفى الانجيل خطب طويل فى أمر المسيح ومريم عليهما

وكان بالهند ملك يقال له زرح وكان جبارا عاتيا عظيم السلطان قد أطاعه أكثر البلاد وكان يدعو الناس الى عبادته فوصل اليه أولئك النفر من بني اسرائيل وشكوا اليه ملكهم ووصفوا له البلاد وكثرتها وقلة عسكرها وضعف ملكها وأطمعوه فيها فارسل الجواسيس فاتوه باخبارها فلما تيقن الخبر جمع العساكر وسار الى الشام في البحر وقال له بنو اسرائيل ان لاسا صديقا ينصره ويعينه قال فاين اسا وصديقه من كثرة عساكري وجنودي وبلغ خبره الى اسا فتضرع الى الله تعالى وأظهر الضعف والعجز عن الهندي وسأل الله النصرة عليه فاستجاب الله له وأراه في المنام اني سأظهر من قدرتي في زرح الهندي وعساكره ما أكفيك شرهم وأغنمك أموالهم حتى يعلم أعداؤك ان صديقك لا يطاق وليه ولا ينهزم جنده ثم سار زرح حتى أرسى بالساحل وسار الى بيت المقدس فلما صار على مرحلتين منه فرق عساكره فامتلأت منهم تلك الارض وملأت قلوب بني اسرائيل رعبا وبعث اسا العيون فعادوا وأخبروه من كثرتهم بما لم يسمع بمثله وسمع الخبر بنو اسرائيل فصاحوا وبكوا وودع بعضهم بعضا وعزموا على أن يخرجوا الى زرح ويستسلموا اليه وينقذوا اله فقال لهم ملكهم ان ربي قد وعدني بالظفر ولا خلف لوعده فعاودوا الدعاء والتضرع ففعلوا ودعوا جميعهم وتضرعوا فافزعموا ان الله أوحى اليه يا اسا ان الحبيب لا يسلم حبيبه وأنا الذي أكفيك عدوك فانه لا يهون من توكل علي ولا يضعف من تقوى بي وقد كنت تذكرني في الرخاء فلا أسلمك في الشدة وسأرسل بعض الزبانية يقتلون أعداءك فاستبشر واخبر بني اسرائيل فاما المؤمنون فاستبشروا واما المنافقون فكذبوه وأمره الله بالخروج الى زرح في عساكره فخرج في نفر يسير فوقفوا على رابية من الارض ينظرون الى عساكره فلما رآهم زرح احتقرهم واستصغرهم وقال انما خرجت من بلادي وجمعت عساكري وأنفقت أموالي لهذه الطائفة ودعا النفر من بني اسرائيل الذين قصدوه والجواسيس الذين أرسلهم ليخبروه وقال كذبتموني وأخبرتموني بكثرة بني اسرائيل حتى جمعت العساكر وفرقت أموالي ثم أمر بهم فقتلوا وأرسل الى اسا يقول له أين صديقك الذي ينصرك ويخلصك من سطوتي فاجابه اسا يا شقي انك لا تعلم ما تقول أتريد ان تغالب الله بقوتك أم تكاثره بقلتك وهو معي في موقفي هذا ولن يغلب أحد كان الله معه وستعلم ما يحل بك فغضب زرح من قوله وصف عساكره وخرج الى قتال اسا وأمر الرماة فرموهم بالسهام فبعث الله من الملائكة مددا لبني اسرائيل فاخذوا السهام ورموا بها الهنود فقتلت كل انسان منهم نشابته فقتل جميع الرماة فضج بنو اسرائيل بالتسبيح والدعاء وتراءت الملائكة للهنود فلما رآهم زرح ألقى الله الرعب في قلبه وسقط في يده ونادى في عساكره يأمرهم بالحملة عليهم ففعلوا فقتلتهم الملائكة ولم يبق منهم غير زرح وعبيده ونسائه فلما رأى ذلك ولى هاربا وهو يقول قتلني صديق اسا فلما رآه اسا مدبرا قال اللهم انك ان لم تهلكه استنفر علينا ثانية وبلغ زرح ومن معه الى البحر فركبوا السفن فلما سارت بهم أرسل الله عليهم الرياح فغرقتهم أجمعين ثم ملك بعد اسا ابنه سافاط الى أن هلك خمسا وعشرين سنة ثم ملكت عزليا بنت عمرم أخت اخزيا وكانت قتلت أولاد ملوك بني اسرائيل ولم يبق منهم الا يواش بن اخزيا وهو ابن ابنها فانه ستر عنها ثم قتلها يواش وأصحابه وكان ملكها سبع سنين ثم ملك يواش أربعين سنة ثم قتله أصحابه وهو الذي قتل جدته ثم ملك عوزيا بن امصيا بن يواش ويقال له غوزيا الى أن توفي اثنتين وخمسين سنة ثم ملك يوثام بن غوزيا الى أن توفي ست عشرة سنة ثم ملك حزقيا بن احاز الى أن توفي فيقال انه صاحب شعيا الذي أعلمه شعيا انقضاء عمره فتضرع الى ربه فزاده وأمر شعيا باعلامه ذلك وقيل

ان

أعرضنا عن ذلك لان الله عز وجل لم يخبر بشئ من ذلك في كتابه ولا أخبر به محمد نبيه صلى الله عليه وسلم

﴿ذكر أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم﴾

وكان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم جماعة من أهل التوحيد ممن يقر بالبعث وقد اختلف فيهم فمن الناس من رأى انهم أنبياء ومنهم من رأى غير ذلك فممن ذكر أنه نبي حنظلة بن صفوان وكان من ولد اسمعيل ابن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم وأرسل الى أصحاب الرس وكانوا من ولد اسمعيل ابن ابراهيم وهم قبيلتان يقال لاحداهما ادمان وللاخرى يامن وقيل رعويل وذلك باليمن فقام فيهم حنظلة بامر الله عز وجل فقتلوه فأوحى الله الى نبي من أنبياء بني اسرائيل من سبط يهوذا ان يأمر بختنصر يسير اليهم فسار اليهم فأتى عليهم فذلك قوله عز وجل فلما أحسوا بأسنا الى قوله حصيدا خامدين وقيل ان القوم كانوا من حمير وقد ذكر ذلك بعض شعرائهم في مرثية له فقال

بكت عيني لاهل الر
س رعويل وقدمان
وأسلم من أبي زرع
بكال الحي قحطان

ان صاحب شعيا في هذه القصة اسمه صدقيا على ما يرد ذكره

﴿ذكر شعيا والملك الذي معه من بني اسرائيل ومسير سنحاريب الى بني اسرائيل﴾

قيل كان الله تعالى قد أوحى الى موسى ما ذكر في القرآن وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا فكثر في بني اسرائيل الاحداث والذنوب وكان الله يتجاوز عنهم متعطفا عليهم وكان من أول ما أنزل الله عليهم عقوبة لذنوبهم ان ملكا منهم يقال له صدقيا وكانت عادتهم اذا ملك عليهم رجل بعث الله اليه نبيا يرشده ويوحي اليه ما يريد ولم يكن لهم غير شريعة التوراة فلما ملك صدقيا بعث الله تعالى اليه شعيا وهو الذي بشر بعيسى ومحمد عليه السلام فلما قارب أن ينقضي ملكه عظمت الاحداث في بني اسرائيل فارسل الله عليهم سنحاريب ملك بابل في عساكر يغص بها الفضاء فسار حتى نزل بيت المقدس واحاط به وملك بني اسرائيل مريض في ساقه قرحة فأتاه النبي شعيا وقال له ان الله يأمرك أن توصي وتعهد فانك ميت فاقبل الملك على الدعاء والتضرع فاستجاب الله له فاوحى الله الى شعيا انه قد زاد في عمر الملك صدقيا خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنحاريب فلما قال له ذلك زال عنه الالم وجاءته الصحة ثم ان الله أرسل على عساكر سنحاريب ملكا صاح بهم فماتوا الا يسيرا منهم سنحاريب وخمسة من كتابه أحدهم بختنصر في قول بعضهم فخرج صدقيا وبنو اسرائيل الى معسكرهم فغنموا ما فيه والتمسوا سنحاريب فلم يجدوه فارسل الطلب في أثره فوجدوه ومعه أصحابه فاخذوهم وقيدوهم وحملوهم اليه فقال لسنحاريب كيف رأيت صنع ربنا بك فقال قد أتاني خبر ربكم ونصره اياكم فلم أسمع ذلك فطاف بهم حول بيت المقدس ثم سجنهم فاوحى الله الى شعيا أمر الملك باطلاق سنحاريب ومن معه فاطلقهم فعادوا الى بابل وأخبروا قومهم بما فعل الله بهم وبعساكرهم وبقي بعد ذلك سبع سنين ثم مات وقد زعم بعض أهل الكتاب ان بني اسرائيل سار اليهم قبل سنحاريب ملك من ملوك بابل يقال له كفرو وكان بختنصر ابن عمه وكاتبه وان الله أرسل عليهم ريحا فاهلكت جيشه وأفلت هو وكاتبه وان هذا البابلي قتله ابن له وان بختنصر غضب لصاحبه فقتل ابنه الذي قتله وان سنحاريب سار بعد ذلك وكان ملكه بنينوى وغزا مع ملك اذربيجان ومنذ بني اسرائيل فاوقع بهم ثم اختلف سنحاريب وملك اذربيجان وتحاربا حتى تفانى عسكراهما فخرج بنو اسرائيل وغنموا ما معهم وقيل كان ملك سنحاريب الى أن توفي تسعا وعشرين سنة وكان ملك بني اسرائيل الذي حصره سنحاريب حزقيا فلما توفي حزقيا ملك بعده ابنه منشا خمسا وخمسين سنة ثم ملك بعده امون الى أن قتله أصحابه ثنتي عشرة سنة ثم ملك ابنه يوشيا الى أن قتله فرعون مصر الاجدع احدى وثلاثين سنة ثم ملك بعده ابنه ياهواحاز بن يوشيا فعزله فرعون الاجدع واستعمل بعده يوياقيم ابن ياهواحاز ووظف عليه خراجا يحمله اليه وكان ملكه اثنتي عشرة سنة ثم ملك بعده ابنه يوياحين فغزاه بختنصر وأشخصه الى بابل بعد ثلاثة أشهر من ملكه وملك بعده يقونيا ابن عمه وسماه صدقيا وخالفه فغزاه وظفر به وحمله الى بابل وذبح ولده بين يديه وسمل عينيه وخرب بيت المقدس والهيكل وسبى بني اسرائيل وحملهم الى بابل فمكثوا الى ان عادوا اليه على ما نذكره ان شاء

وقد حكي عن وهب بن منبه ان ذا القرنين وهو الاسكندر كان بعد المسيح عليه السلام في الفترة وانه كان حلم حلما رأى فيه انه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقيها وغربيها فقص رؤياه على قومه فسموه بذي القرنين وللناس في ذي القرنين تنازع كبير قد أتينا على ذلك في كتاب اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وسنذكر لمعا من خبره عند ذكرنا الملوك اليونانيين والروم وكذلك تنازع الناس في أصحاب الكهف في أي الاعصار كانوا فمنهم من زعم انهم كانوا في زمن الفترة ومنهم من رأى غير ذلك وسنأتي بلمع من خبرهم في ذكر ملوك الروم في هذا الكتاب وان كنا قد أتينا على ذلك في الكتاب الاوسط وفيما سلف قبله من كتاب اخبار الزمان وممن كان في الفترة بعد المسيح عليه السلام جرجيس وقد أدرك بعض الحواريين فأرسله الله الى بعض ملوك الموصل فدعاه الى الله عز وجل فقتله فأحياه الله وبعثه اليه ثانية فقتله فأحياه الله فأمر بنشره ثالثة واحراقه واذراته في دجلة فاهلك الله

الله وكان جميع ملك صدقيا احدى عشرة سنة وقيل ان شعيا أوحى الله اليه ليقوم فى بنى اسرائيل يذكرهم بما يوحى الله على لسانه لما كثرت فيهم الاحداث ففعل فعدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها وأخذ الشيطان بهدب ثوبه وأراه بنى اسرائيل فوضعوا المنشار على الشجرة فنشروها حتى قطعوه فى وسطها وقيل فى أسماء ملوكهم غير ذلك تركناه كراهة التطويل ولعدم الثقة بصحة النقل به

﴿ذكر ملك لهراسب وابنه بشتاسب وظهور زرادشت﴾

قد ذكرنا ان كيخسرو لما حضرته الوفاة عهد الى ابن عمه لهراسب بن كيوخى بن كيكاوس فهو ابن ابن كيكاوس فلما ملك اتخذ سريرا من ذهب وكلله بانواع الجواهر وبنيت له بارض خراسان مدينة بلخ وسماها الحسناء ودون الدواوين وقوى ملكه بانتخابه الجنود وعمر الارض وجبى الخراج لارزاق الجند واشتدت شوكة الترك فى زمانه فنزل مدينة بلخ لقتالهم وكان محمودا عند أهل مملكته شديد القمع لاعدائه المجاورين له شديد التفقد لاصحابه بعيد الهمة عظيم البنيان وشق عدة أنهار وعمر البلاد وحمل اليه ملوك الهند والروم والمغرب الخراج وكاتبوه بالتمليك هيبة له وحذرا منه ثم انه تنسك وفارق الملك واشتغل بالعبادة واستخلف ابنه بشتاسب فى الملك وكان ملكه مائة وعشرين سنة وملك بعده ابنه بشتاسب وفى أيامه ظهر زرادشت بن سفيمان الذى ادعى النبوة وتبعه المجوس وكان زرادشت فيما يزعم أهل الكتاب من أهل فلسطين يخدم لبعض تلامذة أرميا النبى خاصا به فخانه وكذب عليه فدعا الله عليه فبرص ولحق ببلاد اذربيجان وشرع بها دين المجوس وقيل انه من العجم وصنف كتابا وطاف به الارض فما عرف أحد معناه وزعم انها لغة سماوية خوطب بها وسماه اشتا فسار من اذربيجان الى فارس فلم يعرفوا مافيه ولم يقبلوه فسار الى الهند وعرضه على ملوكها ثم أتى الصين والترك فلم يقبله أحد وأخرجوه من بلادهم وقصد فرغانة فاراد ملكها ان يقتله فهرب منها وقصد بشتاسب بن لهراسب فامر بحبسه فحبس مدة وشرح زرادشت كتابه وسماه زند ومعناه التفسير ثم شرح الزند بكتاب سماه بازند يعنى تفسير التفسير وفيه علوم مختلفة كالرياضة واحكام النجوم والطب وغير ذلك من اخبار القرون الماضية وكتب الانبياء وفى كتابه تمسكوا بما جئتكم به الى ان يجيئكم صاحب الجمل الاحمر يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وذلك على رأس ألف سنة وستمائة سنة وبسبب ذلك وقعت البغضاء بين المجوس والعرب ثم يذكر عند أخبار سابور ذى الاكتاف ان من جملة الاسباب الموجبة لغزوة العرب هذا القول والله أعلم ثم ان بشتاسب أحضر زرادشت وهو ببلخ فلما قدم عليه شرع له دينه فاعجبه واتبعه وقهر الناس على اتباعه وقتل منهم خلقا كثيرا حتى قبلوه ودانوا به وأما المجوس فيزعمون ان أصله من اذربيجان وانه نزل على الملك من سقف ايوانه وبيده كبة من نار يلعب بها ولا تحرقه وكل من أخذها من يده لم تحرقه وانه اتبعه الملك ودان بدينه وبنى بيوت النيران فى البلاد وأشعل من تلك النار فى بيوت النيران فيزعمون ان النيران التى فى بيوت عباداتهم من تلك الى الآن وكذبوا فان النار التى للمجوس طفئت فى جميع البيوت لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم على ما نذكره ان شاء الله تعالى وكان ظهور زرادشت بعد مضى ثلاثين سنة من ملك بشتاسب وأتاه بكتاب زعم انه وحى من الله تعالى وكتب فى جلد اثنى عشر ألف بقرة حفرا ونقشا بالذهب فجعله بشتاسب فى موضع باصطخر ومنع من تعليمه العامة وكان بشتاسب وآباؤه قبله يدينون بدين الصابئة وسيرد باقى أخباره

عز وجل الملك وجميع أهل مملكته ممن اتبعه على حسب ما وردت به الاخبار عن أهل الكتاب ممن آمن وذلك موجود فى كتاب المبتدا والسير لوهب بن منبه وغيره وممن كان فى الفترة حبيب النجار وكان يسكن انطاكية من أرض الشام وكان بها ملك جبار يعبد التماثيل والصور فسار اليه اثنان من تلامذة المسيح فدعوه الى الله عز وجل فحبسهما وضربهما فعززهما الله بثالث وقد تنوزع فيه فذهب كثير من الناس الى انه بطرس وهذا بالرومية واسمه بالعربية شمعان وبالسريانية شمعون وهو شمعون الصفاء وذكر كثير من الناس واليه ذهب سائر فرق النصرانية ان الثالث المعزز به بولس وان الاثنين المتقدمين اللذين أودعا الحبس توما وبطرس فكان لهم مع ذلك الملك خطب عظيم طويل فيما أظهروا من الاعجاز والاعاجيب والبراهين من ابراء الاكمه والابرص واحياء الميت وحيلة بولس عليه بعد اخلته اياه وتلطفه له واستنقاذ صاحبيه من الحبس فجاء حبيب النجار فصدقهم لما رأى من آيات الله عز وجل

﴿ذكر مسير بختنصر الى بني اسرائيل﴾

قد اختلف العلماء في الوقت الذي أرسل فيه بختنصر على بني اسرائيل فقيل كان في عهد أرميا النبي ودانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل وقيل انما أرسله الله على بني اسرائيل لما قتلوا يحيى ابن زكريا والاول أكثر وكان ابتداء أمر بختنصر ما ذكره سعيد بن جبير قال كان رجل من بني اسرائيل يقرأ الكتب فلما بلغ الى قوله تعالى بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد قال أي رب أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني اسرائيل على يده فأري في المنام مسكينا ببابل يقال له بختنصر ببابل فسار على سبيل التجارة الى بابل وجعل يدعو المساكين ويسأل عنهم حتى دلوه على بختنصر فأرسل من يحضره فرآه صعلوكا مريضا فقام عليه في مرضه يعالجه حتى برأ فلما برأ أعطاه نفقة يرم على السفر فقال له بختنصر وهو يبكي فعلت معي ما فعلت ولا أقدر على مجازاتك قال الاسرائيلي بلى تقدر عليه تكتب لي كتابا ان ملكت أطلقتني فقال أتستهزئ بي فقال انما هذا أمر لا محالة كائن ثم ان ملك الفرس أحب أن يطلع على أحوال الشام فأرسل انسانا يثق به ليتعرف له اخباره وحال من فيه فسار اليه ومعه بختنصر فقيرا لم يخرج الا للخدمة فلما قدم الشام رأى أكثر بلاد الله خيلا ورجالا وسلاحا ففت ذلك في ذرعه فلم يسأل عن شيء وجعل بختنصر يجلس مجالس أهل الشام فيقول لهم ما يمنعكم ان تغزوا بابل فلو غزوتموها ما دون بيت مالها شيء فكلهم يقول له لا نحسن القتال ولا نراه فلما عادوا أخبر الطليعة بما رأوا من الرجال والسلاح والخيل وأرسل بختنصر الى الملك يطلب اليه ان يحضره ليعرفه جلية الحال فاحضره فأخبره بما كان جميعه ثم ان الملك أراد أن يبعث عسكرا الى الشام أربعة آلاف راكب جريدة واستشار فيمن يكون عليهم فأشاروا ببعض أصحابه فقال لا بل بختنصر فجعله عليهم فساروا فغنموا وأوقعوا ببعض البلاد وعادوا سالمين ثم ان لهراسب استعمله اصبهبذا على ما بين الاهواز الى أرض الروم من غربي دجلة وكان السبب في مسيره الى بني اسرائيل انه لما استعمله لهراسب كما ذكرنا سار الى الشام فصالحه أهل دمشق وبيت المقدس فعاد عنهم وأخذ رهائنهم فلما عاد من المقدس الى طبرية وثب بنو اسرائيل على ملكهم الذي صالح بختنصر فقتلوه وقالوا داهنت أهل بابل وخذلتنا فلما سمع بختنصر قتل الرهائن الذين معه وعاد الى القدس فاخربه وقيل ان الذي استعمله انما كان الملك بهمن بن بشتاسب بن لهراسب وكان بختنصر قد خدم جده وأباه وخدمه وعمر عمرا طويلا فأرسل بهمن رسلا الى ملك بني اسرائيل ببيت المقدس فقتلهم الاسرائيلي فغضب بهمن من ذلك واستعمل بختنصر على أقاليم بابل وسيره في الجنود الكثيرة ففعل بهم ما نذكره هذه الاسباب الظاهرة وانما السبب الكلي الذي أحدث هذه الاسباب الموجبة للانتقام من بني اسرائيل هو معصية الله تعالى ومخالفة أوامره وكانت سنة الله تعالى في بني اسرائيل انه اذا ملك عليهم ملكا أرسل معه نبيا يرشده ويهديه الى أحكام التوراة فلما كان قبل مسير بختنصر اليهم كثرت فيهم الاحداث والمعاصي وكان الملك فيهم يقونيا بن يوياقيم فبعث الله اليه أرميا وقيل هو الخضر عليه السلام فأقام فيهم يدعوهم الى الله وينهاهم عن المعاصي ويذكرهم نعمة الله عليهم باهلاك سنحاريب فلم يرعووا فأمره الله ان يحذرهم عقوبته وانهم ان لم يراجعوا الطاعة سلط عليهم من يقتلهم ويسبي ذراريهم ويخرب مدينتهم ويستعبدهم ويأتيهم بجنود ينزع من قلوبهم الرأفة والرحمة فلم يراجعوها فأرسل الله اليه لأقيضن لهم فتنة تذر الحليم حيران ويضل فيها رأي ذي الرأي وحكمة الحكيم ولأسلطن عليهم جبارا قاسيا عاتيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل

وقد أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه بقوله اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما الى قوله وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى وقتل بواس وبطرس بمدينة رومية وصلبا منكسين وكان لهما فيها خبر طويل مع الملك ومع سليمان الساحر ثم جعلا بعد ذلك في خزانة من البلور وذلك بعد ظهور دين النصرانية وجرمهما في كنيسة هناك قد ذكرناها في الكتاب الاوسط عند ذكرنا العجائب رومية وأخبار تلاميذ المسيح عليه السلام وتفرقهم في البلاد وسنورد في هذا الكتاب لمعا من اخبارهم ان شاء الله تعالى فأما أصحاب الاخدود فانهم كانوا في الفترة في مدينة نجران باليمن في ملك ذي نواس وهو القاتل لذي سار وكان على دين اليهودية فبلغ ذا نواس ان قوما بنجران على دين المسيح عليه السلام فسار اليهم بنفسه واحتفر لهم اخاديد في الارض وملأها جمرا واضرمها نارا ثم عرضهم على اليهودية فمن تبعه تركه ومن أبى قذفه في النار فأتى بامرأة معها طفل ابن سبعة أشهر فأبت ان تتخلى عن دينها فادنيت من النار فجزعت فانطق الله عز وجل

سواد الليل وعساكر مثل قطع السحاب يهلك بني اسرائيل وينتقم منهم ويخرب بيت المقدس فلما سمع أرميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه وجعل الرماد على رأسه وتضرع الى الله في رفع ذلك عنهم في أيامه فأوحى الله اليه وعزتي لا أهلك بيت المقدس وبني اسرائيل حتى يكون الامر من قبلك في ذلك ففرح أرميا وقال لا والذي بعث موسى وأنبياءه بالحق لا آمر بهلاك بني اسرائيل أبدا وأتى ملك بني اسرائيل فأعلمه بما أوحى اليه فاستبشر وفرح ثم لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين ولم يزدادوا الا معصية وتماديا في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقل الوحي حيث لم يكونوا هم يتذكرون فقال لهم ملكهم يابني اسرائيل انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يأتيكم عذاب الله فلم ينتهوا فألقى الله في قلب بختنصر ان يسير الى بني اسرائيل ببيت المقدس فسار في العساكر الكثيرة التي تملأ الفضاء وبلغ ملك بني اسرائيل الخبر فاستدعى أرميا النبي فلما حضر عنده قال له يا أرميا أين مازعمت ان ربك أوحى اليك أن لا يهلك بيت المقدس حتى يكون الامر منك فقال أرميا ان ربي لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الاجل ودنا انقطاع ملكهم وأراد الله اهلاكهم أرسل الله ملكا في صورة آدمي الى أرميا وقال له استفتيه فأتاه وقال له يا أرميا انا رجل من بني اسرائيل استفتيك في ذوي رحمي وصلت أرحامهم بما أمرني الله به وأتيت اليهم حسنا وكرامة فلا تزيدهم كرامتي اياهم الا سخطا لي وسوء سيرة معي فافتني فيهم فقال له احسن فيما بينك وبين الله وصل ما أمرك الله به ان تصله فانصرف عنه الملك ثم عاد اليه بعد أيام في تلك الصورة فقال له أرميا أما طهرت اخلاقهم ومارأيت منهم ماتريد فقال والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامة يؤتيها أحد من الناس الى ذوي رحمه الا وقد أتيتها اليهم وأفضل من ذلك فلم يزدادوا الا سوء سيرة فقال ارجع الى أهلك واحسن اليهم فقام الملك من عنده فلبث أياما ونزل بختنصر على بيت المقدس باكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل وقال ملكهم لارميا أين ماوعدك ربك فقال اني بربي واثق ثم ان الملك الذي ارسله الله يستفتي أرميا عاد اليه وهو قاعد على جدار بيت المقدس فقال مثل قوله الاول وشكا أهله وجورهم وقال له يانبي الله كل شئ كنت أصبر عليه قبل اليوم لان ذلك كان فيه سخطي وقد رأيتهم اليوم على عمل عظيم من سخط الله تعالى فلو كانوا على ما كانوا عليه اليوم لم يشتد عليهم غضبي وانما غضبت اليوم لله واتيتك لاخبرك خبرهم واني أسألك بالله الذي بعثك بالحق الا مادعوت الله عليهم ان يهلكهم فقال ارميا يامالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فاهلكهم فلما خرجت الكلمة من فيه أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس والتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها فلما رأى ذلك أرميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه وقال يامالك السموات والارض يا أرحم الراحمين أين ميعادك يارب الذي وعدتني به فأوحى الله اليه انه لم يصبهم ما أصابهم الا بفتياك التي أفتيت رسولنا فاستيقن انها فتياه وان السائل كان من عند الله وخرج أرميا حتى خالط الوحش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس فوطئ الشام وقتل بني اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس وأمر جنوده فحملوا التراب وألقوه فيه حتى ملؤه ثم انصرف راجعا الى بابل وأخذ معه سبايا بني اسرائيل وأمرهم فجمعوا من كان في بيت المقدس كلهم فاجتمعوا واختار منهم مائة ألف صبي فقسمهم على الملوك والقواد الذين كانوا معه وكان من أولئك الغلمان دانيال النبي وحنانيا وعزاريا وميشائيل وقسم بني اسرائيل ثلاث فرق فقتل ثلثا وأقر بالشام ثلثا وسبى ثلثا ثم عمر الله بعد ذلك أرميا فهو الذي رؤي بفلوات الارض والبلدان ثم ان بختنصر عاد الى بابل وأقام

الطفل فقال ياامه امض على دينك فلانار بعد هذه فالقاها في النار وكانوا مؤمنين موحدين لا على رأي النصرانية في هذا الوقت فمضى رجل منهم يقال له دعمليان الى قيصر ملك الروم يستنجده فكتب الى النجاشي لانه كان أقرب اليهم دارا فكان من أمر الحبشة وعبورهم الى أرض اليمن وتغلبهم عليها الى ان كان من أمر سيف بن ذي يزن واستنجاده الملوك الى أن أنجده انوشروان ماقد أتينا على ذكره في كتابنا في أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وسنذكر لمعا من ذلك فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا الاخبار الاذواء وملوك اليمن وقد ذكر الله عز وجل في كتابه قصة أصحاب الاخدود بقوله عز وجل قتل أصحاب الاخدود الى قوله وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد وممن كان في الفترة خالد بن سنان العبسي وهو خالد بن سنان بن غيث ابن عبس وقد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ذلك نبي أضاعه قومه وذلك ان نارا ظهرت في العرب فافتتنوا بها وكانت تنتقل وكادت العرب تتمجس وتغلب عليها المجوسية

فى سلطانه ماشاء الله ان يقيم ثم رأى رؤيا فبينما هو قد أعجبه ما رأى اذ رأى شيأ انساه ما رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل وقال أخبرونى عن رؤيا رأيتها فانسيتها ولئن لم تخبرونى بها وبتأويلها لانزعن أكتافكم فخرجوا من عنده ودعوا الله وتضرعوا اليه وسألوه ان يعلمهم اياها فاعلمهم الذى سألهم عنه فجاؤا الى بختنصر فقالوا رأيت تمثالا قال صدقتم قالوا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد فبينما انت تنظر اليه قد اعجبك ارسل الله عليه صخرة من السماء فدقته وهى التى انستك الرؤيا قال صدقتم فما تأويلها قالوا أريت ملك الملوك فبعضهم كان ألين ملكا من بعض وبعضهم كان أحسن ملكا من بعض وبعضهم أشد وكان اوّل الملك الفخار وهو اضعفه والينه ثم كان فوقه النحاس وهو افضل منه واشد ثم كان فوق النحاس الفضة وهى أفضل من ذلك واحسن ثم كان فوقها الذهب وهو أحسن من الفضة وأفضل ثم كان الحديد وهو ملكك فهو أشد الملك وأعز وكانت الصخرة التى رأيت ان ارسل الله ملكا من السماء فدق ذلك جميعه نبيا يبعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع ويصير الامر اليه فلما عبر دانيال ومن معه رؤيا بختنصر قربهم وادناهم واستشارهم فى أمره فحسدهم أصحابه وسعوا بهم اليه وقالوا عنهم ما أوحشه منهم فامر فحفر لهم اخدود وألقاهم فيه وهم ستة رجال والقى معهم سبعا ضاريا ليأكلهم ثم قال أصحاب بختنصر انطلقوا فلنأكل ولنشرب فذهبوا فأكلوا وشربوا ثم راحوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم لم يخدش منهم أحدا ووجدوا معهم رجلا سابعا فخرج اليهم السابع وكان ملكا من الملائكة فلطم بختنصر لطمة فمسخه وصار فى الوحش فى صورة اسد وهو مع ذلك يعقل ما يعقله الانسان ثم رده الله الى صورة الانس واعاد عليه ملكه فلما عاد الى ملكه كان دانيال واصحابه أكرم الناس عليه فعاد الفرس وسعوا بهم الى بختنصر وقالوا له فى سعايتهم ان دانيال اذا شرب الخمر لا يملك نفسه من كثرة البول وكان ذلك عندهم عارا فصنع لهم بختنصر طعاما واحضره عنده وقال للبوّاب انظر أوّل من يخرج ليبول فاقتله وان قال لك انا بختنصر فقل له كذبت بختنصر أمرنى بقتلك واقتله فحبس الله عن دانيال البول وكان أوّل من قام من الجمع بختنصر فقام مدلا انه الملك لئلا يقدم أحد عليه وكان ذلك ليلا فلما رآه البوّاب شدّ عليه ليقتله فقال له أنا بختنصر فقال له كذبت ان بختنصر أمرنى بقتلك وقتله وقيل فى سبب قتله ان الله ارسل عليه بعوضة فدخلت فى منخره وصعدت الى رأسه فكان لا يقر ولا يسكن حتى يدق رأسه فلما حضره الموت قال لاهله شقوا رأسى فانظروا ما هذا الذى قتلنى فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة بأم رأسه ليرى الله العباد قدرته وسلطانه وضعف بختنصر لما تجبر قتله باضعف مخلوقاته تبارك الذى بيده ملكوت كل شئ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد واما دانيال فانه اقام بارض بابل وانتقل عنها ومات ودفن بالسوس من أعمال خوزستان ولما أراد الله تعالى ان يردّ بنى اسرائيل الى بيت المقدس كان بختنصر قد مات فانه عاش بعد تخريب بيت المقدس اربعين سنة فى قول بعض أهل العلم وملك بعده ابن له يقال له أولمردج فملك الناحية ثلاثا وعشرين سنة ثم هلك وملك ابن له يقال له بلتاصر سنة فلما ملك تخلط فى أمره فعزله ملك الفرس حينئذ وهو مختلف فيه على ما ذكرناه واستعمل بعده داريوش على بابل والشام وبقى ثلاثين سنة ثم عزله واستعمل مكانه اخشويرش فبقى أربع عشرة سنة ثم ملك ابنه كيرش العلمى وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكان قد تعلم التوراة ودان باليهودية وفهم عن دانيال ومن معه مثل حنانيا وعزاريا وغيرهما فسألوه ان يأذن لهم فى الخروج الى بيت المقدس

فأخذ خالد بن سنان هراوة وشد عليها وهو يقول بدا كل ذى دين يردالى الله الأعلى لادخلنها وهى تتلظى ولاخرجن منها وما بى سدى فاطفأها فلما حضرت خالد بن سنان الوفاة قال لاخوته اذا أنا دفنت فانه سيجئ عانة من حمير وحش يقدمها عير أبتر فضرب قبرى بحافرها فاذا رأيتم ذلك فانبشوا عنى فانى سأخرج اليكم فاخبركم بجميع ما هو كائن فلما مات ودفنوه رأوا ما قال فأرادوا ان يخرجوه فكره ذلك بعضهم وقالوا نخاف ان تسبنا العرب الى نبشنا عن ميت لنا وأتت ابنته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته يقرأ قل هو الله أحد فقالت كان أبى يقول هذا وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من أخباره مما تدعو الحاجة الى ذكره ان شاء الله تعالى (قال المسعودى) وممن كان فى الفترة رئاب الشنى وكان من عبد القيس ثم من شن وكان على دين المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وكان لا يموت أحد من ولده ولد رئاب فيدفن الا رأوا واسطا على قبره ومنهم اسعد أبو كرب

فقال لو كان بقي منكم ألف نبي ما فارقتكم وولى دانيال القضاء وجعل اليه جميع أمره وأمره ان يقسم ما غنمه بختنصر من بني اسرائيل عليهم وامره بعمارة بيت المقدس فعمر في أيامه وعاد اليه بنو اسرائيل وهذه المدة لهؤلاء الملوك معدودة من خراب بيت المقدس منسوبة الى بختنصر وكان ملك كيرش اثنتين وعشرين سنة وقيل ان الذي أمر بعود بني اسرائيل الى الشام بشتاسب بن لهراسب وكان قد بلغه خراب بلاد الشام وانها لم يبق بها من بني اسرائيل احد فنادى في ارض بابل من شاء من بني اسرائيل ان يرجع الى الشام فليرجع وملك عليهم رجلا من آل داود وأمره ان يعمر بيت المقدس فرجعوا وعمروه وكان أرميا بن حزقيا من سبط هرون بن عمران فلما وطئ بختنصر الشام وخرب بيت المقدس وقتل بني اسرائيل وسباهم قد فارق البلاد واختلط بالوحش فلما عاد بختنصر الى بابل اقبل أرميا على حمار له معه عصير عنب وفي يده سلة تين فرأى بيت المقدس خرابا فقال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم امات حماره وأعمى عنه العيون فلما أن عمر بيت المقدس أحيا الله من ارميا عينيه ثم أحيا جسده وهو ينظر اليه وقيل له كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قيل بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه ويتغير وانظر الى حمارك فنظر الى عظام حماره وهي تجتمع بعضها الى بعض ثم كسي لحما ثم قام حيا باذن الله ونظر الى المدينة وهي تبنى وقد كثر فيها بنو اسرائيل وتراجعوا اليها من البلاد وكان عهدها خرابا وأهلها ما بين قتيل وأسير فلما رآها عامرة قال أعلم ان الله على كل شئ قدير وقيل ان الذي أماته الله مائة عام ثم أحياه كان عزيرا فلما عاش قصد منزله من بيت المقدس على وهم منه فرأى عنده عجوزا عمياء زمنة كانت جارية له ولها من العمر مائة وعشرون سنة فقال لها هذا منزل عزير قالت نعم وبكت وقالت ما أرى أحدا يذكر عزيرا غيرك فقال أنا عزير فقالت ان عزيرا كان مجاب الدعوة فادع الله لي بالعافية فدعا لها فعاد بصرها وقامت ومشت فلما رأته عرفته وكان لعزير ولد له من العمر مائة وثلاث عشرة سنة وله أولاد شيوخ فذهبت اليهم الجارية وأخبرتهم به فجاؤا فلما رأوه عرفه ابنه بشامة كانت في ظهره وقيل ان عزيرا كان مع بني اسرائيل بالعراق فعاد الى بيت المقدس فجدد لبني اسرائيل التوراة لانهم عادوا الى بيت المقدس ولم يكن معهم التوراة لانها كانت قد أخذت فيما أخذ وأحرقت وعدمت وكان عزير قد أخذ مع السبي فلما عاد عزير الى بيت المقدس مع بني اسرائيل جعل يبكي ليلا ونهارا وانفرد عن الناس فبينما هو كذلك في حزنه اذ أقبل اليه رجل وهو جالس فقال يا عزير ما يبكيك فقال ابكي لان كتاب الله وعهده الذي كان بين أظهرنا انعدم قال فتريد أن يرده الله عليكم قال نعم قال فارجع وصم وتطهر والميعاد بيننا غدا هذا المكان ففعل عزير ذلك وأتى المكان فانتظره وأتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله في صورة رجل فسقاه من ذلك الاناء فتمثلت التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وحدودها فاحبوه حبا شديدا لم يحبوا شيأ قط مثله وأصلح أمرهم وأقام عزير بينهم ثم قبضه الله اليه على ذلك وحدثت فيهم الاحداث حتى قال بعضهم عزير ابن الله ولم يزل بنو اسرائيل ببيت المقدس وعادوا وكثروا حتى غلبت عليهم الروم زمن ملوك الطوائف فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة وقد اختلف العلماء في أمر بختنصر وعمارة بيت المقدس اختلافا كثيرا تركنا ذكره اختصارا

﴿ذكر غزو بختنصر العرب﴾

قيل أوحى الله الى برخيا بن حنانيا يأمره ان يقول لبختنصر ليغزو العرب فيقتل مقاتلتهم ويسبي

الحميري وكان مؤمنا وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة قال

شهدت على أحمد انه رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره لكنت وزيرا له وابن عم
والزم طاعته كل من على الارض من عرب أو عجم

وهو أول من كسا الكعبة الانطاع والبرود فلذلك يقول بعض حمير

وكسونا البيت الذي عظم الله ملاء مقصبا وبرودا

ومنهم قس بن ساعدة بن اياد بن نزار بن معد وكان حكيم العرب وكان مقرا بالبعث وهو الذي يقول من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت وقد ضرب العرب بحكمته وعقله الامثال قال الاعشى

وأحكم من قس وأجرى من الذي بذي الغيل من خفان أصبح خادرا

وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد من اياد فسألهم عنه فقالوا هلك فقال رحمه الله كأني أنظر اليه بسوق عكاظ على جمل له أحمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش

ذراريهم ويستباح أموالهم عقوبة لهم على كفرهم فقال برخيا لبختنصر ما أمر به فابتدأ بمن فى بلاده من تجار العرب فاخذهم وبنى لهم حيرا بالنجف وحبسهم فيه ووكل بهم وانتشر الخبر فى العرب فخرجت اليه طوائف منهم مستأمنين فقبلهم وعفا عنهم فانزلهم السواد فابتنوا الانبار وخلى عن أهل الحيرة فاتخذوها منزلا حياة بختنصر فلما مات انضموا الى أهل الانبار وهذا أول سكنى العرب السواد بالحيرة والانبار وسار الى العرب بنجد والحجاز فاوحى الله الى برخيا وأرميا يأمرهما أن يسيرا الى معد بن عدنان فيأخذاه ويحملاه الى حران وأعلمهما انه يخرج من نسله محمدا صلى الله عليه وسلم الذى يختم به الانبياء فسارا فطوى لهما المنازل والارض حتى سبقا بختنصر الى معد فحملاه الى حران فى ساعتهما ولمعد حينئذ اثنتا عشرة سنة وسار بختنصر فلقى جموع العرب فقاتلهم فهزمهم وأكثر القتل فيهم وسار الى الحجاز فجمع عدنان العرب والتقى هو وبختنصر بذات عرق فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عدنان وتبعه بختنصر الى حصون هناك واجتمع عليه العرب وخندق كل واحد من الفريقين على نفسه وأصحابه فكمن بختنصر كمينا وهو أول كمين عمل وأخذتهم السيوف فنادوا بالويل ونهى عدنان عن بختنصر وبختنصر عن عدنان فافترقا فلما رجع بختنصر خرج معد بن عدنان مع الانبياء حتى أتى مكة فاقام اعلامها وحج وحج معه الانبياء وخرج معد حتى أتى ريشوب وسال عمن بقى من ولد الحرث بن مضاض الجرهمى فقيل له بقى جوشم بن جاهمة فتزوج معد ابنته معانة فولدت له نزار بن معد

(ذكر بشتاسب والحوادث فى ملكه وقتل أبيه لهراسب)

لما ملك بشتاسب بن لهراسب ضبط الملك وقرر قوانينه وابتنى بفارس مدينة فسا ورتب سبعة من عظماء أهل مملكته مراتب وملك كل واحد منهم مملكة على قدر مرتبته ثم انه أرسل الى ملك الترك واسمه خرزاسف وهو أخو افراسياب وصالحه واستقر الصلح على ان يكون لبشتاسب دابة واقفة على باب ملك الترك لا تزال على عادتها على أبواب الملوك فلما جاء زرادشت الى بشتاسب واتبعه على ما ذكرناه أشار زرادشت على بشتاسب بنقض الصلح مع ملك الترك وقال أنا اعين لك طالعا تسير فيه الى الحرب فتظفر وهذا أول وقت وضعت الاختيارات للملوك بالنجوم وكان زرادشت عالما بالنجوم جيد المعرفة بها فاجابه بشتاسب الى ذلك فارسل الى الدابة التى بباب ملك الترك والى الموكل بها فصرفها فغضب ملك الترك وأرسل اليه يتهدده وينكر عليه ذلك ويأمره بانفاذ زرادشت اليه وان لم يفعل غزاه وقتله وأهل بيته فكتب اليه بشتاسب كتابا غليظا يؤذنه فيه بالحرب وسار كل واحد منهما الى صاحبه والتقيا واقتتلا قتالا شديدا فكانت الهزيمة على الترك وقتلوا قتلا ذريعا ومر وا منهزمين وعاد بشتاسب الى بلخ وعظم أمر زرادشت عند الفرس وعظم شأنه حيث كان هذا الظفر بقوله وكان أعظم الناس غنى فى هذه الحرب اسفنديار بن بشتاسب فلما انجلت الحرب سعى الناس بين بشتاسب وابنه اسفنديار وقال يريد الملك لنفسه فندبه لحرب بعد حرب ثم أخذه وحبسه مقيدا ثم ان بشتاسب سار الى ناحية كرمان وسجستان وسار الى جبل يقال له طميدر لدراسة دينه والتنسك هناك وخلف أباه لهراسب ببلخ شيخا قد أبطله الكبر وترك بها خزائنه وأولاده ونساءه فبلغت الاخبار الى ملك الترك خرزاسف فلما تحققه جمع عساكره وحشد وسار الى بلخ وانتهز الفرصة بغيبة بشتاسب عن مملكته ولما بلغ بلخ ملكها وقتل لهراسب وولدين لبشتاسب والهرابذة واحرق الدواوين وهدم بيوت النيران وأرسل السرايا الى البلاد

مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت أما بعد فان فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا نجوم تغور وبحار تفور وسقف مرفوع ومهاد موضوع اقسم بالله قسما لا حانثا فيه ولا آثما ان لله دينا هو أرضى من دين أنتم عليه مالى أراهم يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا ام تركوا فناموا سبيل مؤتلف وعمل مختلف وقال أبياتا لا أحفظها فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال أنا أحفظها يا رسول الله فقال هاتها فقال

فى الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها تمضى الاوائل والاواخر
لا يرجع الماضى ولا يبقى من الباقين غابر
ايقنت انى لا محالة حيث صار القوم صائر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى لأرجو أن يبعثه الله أمة (قال المسعودى) ولقس أشعار كثيرة وحكم واخبار مع قيصر فى الطب والزجر والفأل وانواع الحكم وقد ذكرنا ذلك فى كتاب اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط

فقتلوا وسبوا وأخربوا وسبى ابنتين لبشتاسب احداهما خماني وأخذ علمهم الأكبر المعروف بدرفش كابيان وسار متبع البشتاسب وهرب بشتاسب من بين يديه فتحصن بتلك الجبال مما يلي فارس وضاق ذرعا بما نزل به فلما اشتد عليه الامر أرسل الى ابنه اسفنديار مع عالمهم جاماسب فأخرجه من محبسه واعتذر اليه ووعده ان يعهد اليه بالملك من بعده فلما سمع اسفنديار كلامه سجد له ونهض من عنده وجمع من عنده من الجند وبات ليلته مشغولا بالتجهز وسار من الغد نحو عسكر الترك وملكهم والتقوا واقتتلوا والتحمت الحرب وحمي الوطيس وحمل اسفنديار على جانب من العسكر فأثر فيه ووهنه وتابع الحملات وفشا في الترك ان اسفنديار هو المتولي لحربهم فانهزموا ولا يلوون على شئ وانصرف اسفنديار وقد ارتجع درفش كابيان فلما دخل على أبيه استبشر به وأمره باتباع الترك ووصاه بقتل ملكهم ومن قدر عليه من أهله وبقتل من الترك من أمكنه قتله وان يستنقذ السبايا والغنائم التي أخذت من بلادهم فسار اسفنديار ودخل بلاد الترك وقتل وسبى وأخرب وبلغ مدينتهم العظمى ودخلها عنوة وقتل الملك واخوته ومقاتلته واستباح أمواله وسبى نساءه واستنقذ أختيه ودوخ البلاد وانتهى الى آخر حدود بلاد الترك والى التبت وأقطع بلاد الترك وجعل كل ناحية الى رجل من وجوه الترك بعد أن أمنهم ووظف عليهم خراجا يحملونه كل سنة الى أبيه بشتاسب ثم عاد الى بلخ فحسده أبوه بما ظهر منه من حفظ الملك والظفر بالترك وأسر ذلك في نفسه وأمره بالتجهز والمسير الى قتال رستم الشديد بسجستان وقال له هذا رستم متوسط بلادنا ولا يعطينا الطاعة لان الملك كيكاوس اعتقه فاقطعه اياها وقد ذكرنا ذلك في ملك كيكاوس وكان غرض بشتاسب ان يقتله رستم أو يقتل هو رستم فانه كان أيضا شديد الكراهة لرستم فجمع العساكر وسار الى رستم لينتزع سجستان منه فخرج اليه رستم وقاتله فقتل اسفنديار قتله رستم ومات بشتاسب وكان ملكه مائة سنة واثنتي عشرة سنة وقيل مائة وعشرين سنة وقيل مائة وخمسين سنة وقيل انه جاءه رجل من بني اسرائيل زعم انه نبي أرسل اليه واجتمع به ببلخ فكان يتكلم بالعبري وزرادشت نبي المجوس يعبر عنه وجاماسب العالم هو حاضر معهم يترجم أيضا عن الاسرائيلي وكان بشتاسب ومن قبله من آبائه وسائر الفرس يدينون بدين الصابئة قبل زرادشت

(ذكر الخبر عن ملوك بلاد اليمن من أيام كيكاوس الى أيام بهمن بن اسفنديار)

قد مضى ذكر الخبر عمن زعم ان كيكاوس كان في عهد سليمان بن داود وقد ذكرنا من كان في عهد سليمان من ملوك اليمن والخبر عن بلقيس بنت ايلشرح وصار الملك بعد بلقيس الى ياسر بن عمرو بن يعفر الذي يقال له انعم لانعامه قال أهل اليمن انه سار غازيا نحو المغرب حتى بلغ واديا يقال له وادي الرمل ولم يبلغه أحد قبله فلما انتهى اليه لم يجد وراءه مجازا لكثرة الرمل فبينما هو مقيم عليه اذ انكشف الرمل فأمر رجلا يقال له عمرو أن يعبر هو وأصحابه فعبروا فلم يرجعوا فلما رأى ذلك أمر بنصب صنم نحاس فصنع ثم نصب على صخرة على شفير الوادي وكتب على صدره بالمسند هذا الصنم لياسر انعم الحميري ليس وراءه مذهب فلا يتكلفن أحد ذلك فيعطب وقيل ان وراء ذلك الرمل قوما من أمة موسى وهم الذين عنى الله بقوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون والله أعلم * ثم ملك بعده تبع وهو تبان وهو أسعد وهو أبو كرب بن ملكيكرب تبع بن زيد ابن عمرو بن تبع وهو ذو الاذعار بن ابرهة تبع ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبا وكان يقال له الرائد وكان تبع هذا في أيام بشتاسب واردشير بهمن بن اسفنديار بن بشتاسب وانه شخص

متوجها

وممن كان في الفترة زيد بن عمرو بن نفيل أبو سعيد بن زيد أحد العشرة وهو ابن عم عمر بن الخطاب وكان زيد رغب عن عبادة الاصنام وعابها فأولع به عمه الخطاب من سفهاء مكة وسلطهم عليه فآذوه فسكن كهفا بحراء وكان يدخل مكة سرا وصار الى الشام يبحث عن الدين فسمه بعض ملوك غسان بدمشق وقد أتينا عليه فيما سلف من كتبنا ومنهم أمية بن أبي الصلت الثقفي وكان شاعرا عاقلا وكان يتجر الى الشام فتلقاه أهل الكنائس من اليهود والنصارى وقرأ الكتب وكان علم ان نبيا يبعث من العرب وكان يقول أشعارا على آراء أهل الديانة يصف فيها السموات والارض والشمس والقمر والملائكة وذكر الانبياء والبعث والجنة والنار ويعظم الله عز وجل ويوحده من ذلك قوله

الحمد لله لا شريك له
من لم يقلها فنفسه ظلما

ووصف أهل الجنة فقال

فلا لغو ولا تأثيم فيها
وما فاهوا به لهم مقيم

ولما بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم اغتاظ وتأسف وجاء المدينة ليسلم فرده الحسد فرجع الى الطائف

متوجها من اليمن في الطريق الذي سلكه الرائش حتى خرج على جبلي طيء ثم سار يريد الانبار فلما انتهى الى موضع الحيرة تحير وكان ليلا فاقام بمكانه فسمي ذلك المكان بالحيرة وخلف به قوما من الازد ولخم وجذام وعاملة وقضاعة فبنوا وأقاموا به ثم انتقل اليهم بعد ذلك ناس من طيء وكلب والسكون وبلحرث بن كعب واياد ثم توجه الى الموصل ثم الى اذربيجان فلقي الترك فهزمهم فقتل المقاتلة وسبى الذرية ثم عاد الى اليمن فهابته الملوك وأهدوا اليه وقدمت عليه هدية ملك الهند وفيها تحف كثيرة من الحرير والمسك والعود وسائر طرف الهند فرأى مالم ير مثله فقال للرسول كل هذا في بلدكم فقال أكثره من بلد الصين ووصف له بلد الصين فحلف ليغزونها فسار بحمير حتى أتى الى الركايك وأصحاب القلانس السود ووجه رجلا من أصحابه يقال له ثابت نحو الصين في جمع عظيم فأصيب فسار تبع حتى دخل الصين فقتل مقاتلتها واكتسح ماوجد فيها وكان مسيره ومقامه ورجعته في سبع سنين ثم انه خلف بالتبت اثني عشر ألف فارس من حمير فهم أهل التبت ويزعمون انهم عرب وألوانهم ألوان العرب وخلقهم هكذا ذكر وقد خالف هذه الرواية كثير من أصحاب السير والتواريخ وكل واحد منهم خالف الآخر وقدم بعضهم من أخره الآخر فلم يحصل منهم كثير فائدة ولكن ننقل ماوجدناه مختصرا

(ذكر خبر اردشير بهمن وابنته خماني)

ثم ملك بعد بشتاسب ابن ابنه اردشير بهمن بن اسفنديار وكان مظفرا في مغازيه وملك أكثر من أبيه وقيل انه ابتنى بالسواد مدينة وسماها اباوان اردشير وهي القرية المعروفة بهمينا بالزاب الاعلى وابتنى بكور دجلة الابلة وسار الى سجستان طالبا بثار أبيه فقتل رستم وأباه دستان وابنه فرامرز وبهمن هو أبو دارا الاكبر وأبو ساسان أبي ملوك الفرس الاحرار اردشير بن بابك وولده وأم دارا خماني ابنة بهمن فهي أخته وأمه وغزا بهمن رومية الداخلة في ألف ألف مقاتل وكان ملوك الارض يحملون اليه الاتاوة وكان أعظم ملوك الفرس شأنا وأفضلهم تدبيرا وكانت أم بهمن من نسل بنيامين بن يعقوب وأم ابنه ساسان من نسل سليمان بن داود وكان ملك بهمن مائة وعشرين سنة وقيل ثمانين سنة وكان متواضعا مرضيا فيهم وكانت كتبه تخرج من عبد الله خادم الله السائس لاموركم * ثم ملكت بعده ابنته خماني ملكوها حبا لابيها ولعقلها وفروسيتها وكانت تلقب بشهرزاد وقيل انما ملكت لانها حين حملت منه دارا الاكبر سألته ان يعقد التاج له في بطنها ويؤثره بالملك ففعل بهمن وعقد التاج عليه حملا في بطنها وساسان بن بهمن رجل يتصنع للملك فلما رأى فعل أبيه لحق باصطخر وتزهد ولحق برؤس الجبال واتخذ غنما وكان يتولاها بنفسه فاستبشعت العامة ذلك منه وهلك بهمن وابنه دارا في بطن أمه فملكوها ووضعته بعد أشهر من ملكها فانفت من اظهار ذلك وجعلته في تابوت وجعلت معه جواهر وأجرته في نهر الكر من اصطخر وقيل نهر بلخ وسار التابوت الى طحان من أهل اصطخر ففرح لما فيه من الجوهر فحضنته امرأته ثم ظهر أمره حين شب فاقرت خماني باساءتها فلما تكامل امتحن فوجد على غاية مايكون ابناء الملوك فحولت التاج اليه وسارت الى فارس وبنت مدينة اصطخر وكانت قد أوتيت ظفرا واغزت الروم وشغلت الاعداء عن تطرق بلادها وخففت عن رعيتها الخراج وكان ملكها ثلاثين سنة وقيل ان خماني أم دارا حضنته حتى كبر فسلمت الملك اليه وعزلت نفسها فضبط الملك بشجاعة وحزم * ونرجع الى ذكر بني اسرائيل ومقابلة تاريخ أيامهم الى حين تصرمها

افبينما هو ذات يوم في فتية يشرب اذ وقع غراب فنعب ثلاثة أصوات وطار فقال أمية اتدرون ماقال قالوا لا قال فانه يقول لكم ان أمية لايشرب الكاس الثالثة حتى يموت فقال القوم لتكذبن قوله ثم قال حسوا كاسكم فحسوها فلما انتهت النوبة اليه اغمى عليه فسكت طويلا ثم أفاق وهو يقول

لبيكما لبيكما * ها أناذا لديكما

نا من حفت به النعمة والحمد والشكر

ان تغفر اللهم تغفر جما
وأي عبد لك لا ألما

أو قال انا من حفت به النعمة ولم يجهد في الشكر ثم أنشأ يقول

ان يوم الحساب يوم عظيم
شاب فيه الصغير يوما طويلا
ليتني كنت عندما قد بدا لي
في رؤس الجبال أرعى الوعولا
كل عيش وان تطاول حينا
فقصارى أيامه ان يزولا

ثم شهق شهقة فكانت فيها نفسه (قال المسعودي) وقد ذكر جماعة من أهل المعرفة بايام الناس واخبار من سلف كابي دأب والهيثم ابن عدي وأبي مخنف لوط ابن يحيى ومحمد بن السائب الكلبي ان السبب في كتابة قريش واستفتاحها

ومدة من كان فى أيامهم من ملوك الفرس قد ذكرنا فيما مضى سبب انصراف من انصرف الى بيت المقدس من سبايا بنى اسرائيل الذين كان بختنصر سباهم وكان ذلك فى أيام كيرش بن اخشويرش وملكه ببابل من قبل بهمن وأربع سنين بعد وفاته فى ملك ابنته خمانى وكانت مدة خراب بيت المقدس من لدن خربه بختنصر مائة سنة كل ذلك فى أيام بهمن بعضه وفى أيام ابنته خمانى بعضه وقيل غير ذلك وقد تقدم ذكر الاختلاف وقد زعم بعضهم ان كيرش هو بشتاسب وانكر عليه قوله ولم علك كيرش منفردا قط ولما عمر بيت المقدس ورجع اليه أهله كان فيهم عزير وكان الملك عليهم بعد ذلك من قبل الفرس امارجل منهم وامارجل من بنى اسرائيل الى أن صار الملك بناحيتهم لليونانية والروم لسبب غلبة الاسكندر على الناحية حين قتل دارا بن دارا وكان جملة مدة ذلك فيما قيل ثمانيا وثمانين سنة

﴿ ذكر خبر دارا الاكبر وابنه دارا الاصغر وكيف كان هلاكه مع خبر ذى القرنين ﴾

وملك دارا بن بهمن بن اسفنديار وكان يلقب جهرازاد يعنى كريم الطبع فنزل ببابل وكان ضابطا لملكه قاهرا لمن حوله من الملوك يؤدّون اليه الخراج وبنى بفارس مدينة سماها دارابجرد وحذف دواب البرد ورتبها وكان معجبا بابنه دارا ومن حبه له سماه باسم نفسه وصير له الملك بعده وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة * ثم ملك بعده ابنه دارا وبنى بارض الجزيرة بالقرب من نصيبين مدينة داراوهى مشهورة الى الآن واستوزر انسانا لايصلح لها فافسد قلبه على أصحابه فقتل رؤساء عسكره واستوحش منه الخاصة والعامة وكان شابا غرا جميلا حقودا جبارا سيئ السيرة فى رعيته وكان ملكه أربع عشرة سنة

﴿ ذكر الاسكندر ذى القرنين ﴾

كان فيلقوس أبو الاسكندر اليونانى من أهل بلدة يقال لها مقدونية كان ملكا عليها وعلى بلاد أخرى فصالح دارا على خراج يحمله اليه فى كل سنة فلما هلك فيلقوس ملك بعده ابنه الاسكندر واستولى على بلاد الروم أجمع فقوى على دارا فلم يحمل اليه من الخراج شيأ وكان الخراج الذى يحمله بيضا من ذهب فسخط عليه دارا وكتب اليه يؤنبه بسوء صنيعه فى ترك حمل الخراج وبعث اليه بصولجان وكرة وقفيز من سمسم وكتب اليه انه صبى وانه ينبغى له ان يلعب بالصولجان والكرة ويترك الملك وان لم يفعل ذلك واستعصى عليه بعث اليه من يأتيه به فى وثاق وان عدة جنوده كعدة حب السمسم الذى بعث به اليه فكتب اليه الاسكندر انه قد فهم ما كتب به وقد نظر الى ماذكر فى كتابه اليه من ارساله الصولجان والكرة وتيمن به لالقاء الملقى الكرة الى الصولجان واحترازه اياها وشبه الارض بالكرة وانه يجر ملك دارا الى ملكه وتيمنه بالسمسم الذى بعث كتيمنه بالصولجان والكرة لدسمه وبعده من المرارة والحرافة وبعث اليه بصرة فيها خردل وأعلمه فى ذلك أن مابعث به اليه قليل ولكنه مر حريف وان جنوده مثله فلما وصل كتابه الى دارا تأهب لحاربته وقد زعم بعض العلماء باخبار الاوّلين ان الاسكندر الذى حارب دارا بن دارا هو أخو دارا الاصغر الذى حاربه وان أباه دارا الاكبر كان تزوج أم الاسكندر وهى ابنة ملك الروم فلما حملت اليه وجد نتن ريحها وسهكها فامر ان يحتال لذلك منها فاجتمع رأى اهل المعرفة فى مداواتها على شجرة يقال لها بالفارسية سندر فغسلت بماثها فاذهب ذلك كثيرا من نتنها ولم يذهب كله وانتهت نفسه عنها فردها الى أهلها وقد علقت منه فولدت فى أهلها غلاما فسمته باسم الشجرة التى غسلت بمائها مضافا الى اسمها وقد هلك أبوها وملك الاسكندر بعده فمنع الخراج الذى كان يؤديه جده

فى أوائل كتبها باسمك اللهم هو أن أمية بن أبى الصلت الثقفى خرج الى الشام فى نفر من ثقيف وقريش فى عيرلهم فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلا واجتمعوا الشأنهم اذ أقبلت حية صغيرة حتى دنت منهم فحصبها بعضهم بشئ فى وجهها فرجعت فشدوا على ابلهم وارتحلوا من منزلهم فلما برزوا عن المنزل أشرفت عليهم عجوز من كثيب رمل متوكئة على عصالها فقالت مامنعكم ان تطعموا رحيمة الجارية اليتيمة التى جاءتكم عشية قالوا ومن أنت قالت ام العوّام أوغمت منذ أعوام أما ورب العباد لتفترقن فى البلاد ثم ضربت بعصاها الارض أثارت بها الرمل وقالت أطيلى ايابهم وأنفرى ركابهم فوثبت الابل فكان كل بعير منها على ذروة ماعلك منها شيأ حتى افترقت فى البوادى فجمعناها من آخر النهار الى غد ولم نكد فلما أنخناها عادت الى مقالتها مامنعكم ان تطعموا رحيمة الجارية اليتيمة ألا أطيلى ايابهم وأنفرى ركابهم فخرجت الابل ماعلك منها شيأ فجمعناها من آخر النهار الى غد ولم نكد فلما انخناها فعلت مثل فعلتها الاولى والثانية فتفرقت الابل

الى دارا فارسل يطلبه وكان بيضا من ذهب فاجابه انى قد ذبحت الدجاجة التى كانت تبيض ذلك البيض واكلت لحمها فان أحببت وادعنا لك وان أحببت ناجزناك ثم خاف الاسكندر من الحرب فطلب الصلح فاستشار دارا أصحابه فاشاروا عليه بالحرب لفساد قلوبهم عليه فعند ذلك ناجزه دارا القتال فكتب الاسكندر الى حاجبى دارا وحكمهما على الفتك بدارا فاحتكما شيأ ولم يشترطا أنفسهما فلما التقيا للحرب طعن دارا حاجباه فى الوقعة وكانت الحرب بينهما سنة فانهزم أصحاب دارا ولحقه الاسكندر وهو بآخر رمق وقيل بل فتك به رجلان من حرسه من أهل همذان حبا للراحة من ظلمه وكان فتكهما به لما رأيا عسكره قد انهزم عنه ولم يكن ذلك بامر الاسكندر وكان قد أمر الاسكندر مناديا ينادى عند هزيمة عسكر دارا أن يؤسر دارا ولا يقتل فاخبر بقتله فنزل اليه ومسح التراب عن وجهه وجعل رأسه فى حجره وقال له انما قتلك أصحابك وانى لم أهمم بقتلك قط ولقد كنت أرغب بك يا شريف الاشراف ويا ملك الملوك وحر الاحرار عن هذا المصرع فأوص بما أحببت فاوصاه دارا أن يتزوج ابنته روشنك ويرعى حقها ويعظم قدرها ويستبقى احرار فارس ويأخذ له بثاره ممن قتله ففعل الاسكندر ذلك أجمع وقتل حاجبى دارا وقال لهما انكما لم تشترطا نفوسكما فقتلهما بعد أن وفى لهما بما ضمن لهما وقال ليس ينبغى ان يستبقى قاتل الملوك الا بذمة لا تخفر وكان التقاؤهما بناحية خراسان مما يلى الخزر وقيل ببلاد الجزيرة عند دارا وكان ملك الروم قبل الاسكندر متفرقا فاجتمع وملك فارس مجتمعا فتفرق وحمل الاسكندر كتبا وعلوما لاهل فارس من علوم ونجوم وحكم ونقله الى الرومية وقد ذكرنا قول من قال ان الاسكندر اخو دارا لابيه واما الروم وكثير من أهل الانساب فيزعمون انه الاسكندر بن فيلقوس وقيل فيلبوس بن مطربوس وقيل ابن مصرايم بن هرمس بن هردس بن ميطون بن رومى بن ليطى بن يونان بن يافث ابن ثوبة بن سرحون بن روميط بن زنط بن توقيل بن رومى بن الاصفر بن اليفر بن العيص بن اسحق ابن ابراهيم فجمع بعد هلاك دارا ملك دارا فملك العراق والشام والروم ومصر والجزيرة وعرض جنده فوجدهم على ما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف رجل منهم من جنده ثمانمائة ألف رجل ومن جند دارا ستمائة ألف رجل وتقدم بهدم حصون فارس وبيوت النيران وقتل الهرابذة واحرق كتبهم واستعمل على مملكة فارس رجالا وسار قدما الى أرض الهند فقتل ملكها وفتح مدنها وخرب بيوت الاصنام وأحرق كتب علومهم ثم سار منها الى الصين فلما وصل اليها أتاه حاجبه فى الليل وقال هذا رسول ملك الصين فاحضره فسلم وطلب الخلوة ففتشوه فلم يروا معه شيأ فخرج من كان عند الاسكندر فقال انا ملك الصين جئت أسالك عن الذى تريده فان كان مما يمكن عمله عملته وتركت الحرب فقال له الاسكندر ما الذى آمنك منى قال علمت أنك عاقل حكيم ولم يكن بينى وبينك عداوة ولا ذحل وأنت تعلم انك ان قتلتنى لم يكن قتلى سببا لتسليم أهل الصين ملكهم اليك ثم انك تنسب الى الغدر فعلم انه عاقل فقال له أريد منك ارتفاع ملكك لثلاث سنين عاجلا ونصف الارتفاع لكل سنة قال قد أجبتك ولكن اسألنى كيف حالى قال قل كيف حالك قال أكون أوّل قتيل لمحارب وأول أكلة لمفترس قال فان قنعت منك بارتفاع سنتين قال يكون حالى أصلح قليلا قال فان قنعت منك بارتفاع سنة قال يبقى ملكى وتذهب لذاتى قال وانا اترك لك ما مضى وآخذ الثلث لكل سنة فكيف يكون حالك قال يكون السدس للفقراء والمساكين ومصالح البلاد والسدس لى والثلث للعسكر والثلث لك قال قد قنعت منك بذلك فشكره وعاد وسمع العسكر بذلك ففرحوا بالصلح فلما كان الغد خرج ملك الصين بعسكر عظيم أحاط بعسكر الاسكندر فركب

وأمسينا فى ليلة مقمرة وقد يئسنا من ظهوره فقلنا لامية بن أبى الصلت أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك فتوجه الى ذلك الكثيب الذى تأتى منه العجوز حتى هبط منه من ناحية أخرى ثم صعد كثيبا آخر حتى هبط منه ثم رفعت له كنيسة فيها قناديل فاذا رجل وهو مضطجع معترض على بابها واذا رجل جالس أبيض الرأس واللحية قال أمية فلما وقفت عليه رفع رأسه الىّ وقال انك لمتبوع قلت أجل قال فمن أين يأتيك صاحبك قلت من أذنى اليسرى قال فبأى الثياب يأمرك قلت بالسواد قال خطب الحوادث ولم فعل وليكن يكاملك فى اذنك اليمنى وأحب الثياب اليه البياض فما جاءبك وما حاجتك فحدثته حديث العجوز فقال صدقت وليست بصادقة هى امرأة يهودية هلك زوجها منذ أعوام وانها لا تزال تصنع بكم ذلك حتى تهلككم ان استطاعت قال أمية فما الحيلة قال اجمعوا ظهوركم فاذا جاءتكم ففعلت ما كانت تفعل فقولوا لها سبعا من فوق وسبعا من أسفل باسمك اللهم فانها لا تضركم فرجع الى أصحابه فأخبرهم بما قيل له فجاءتهم

الاسكندر والناس فظهر ملك الصين على الفيل وعلى رأسه التاج فقال له الاسكندر أغدرت قال لا ولكني أردت ان تعلم انى لم اطعك من ضعف ولكنى لما رأيت العالم العلوى مقبلا عليك أردت طاعته بطاعتك والقرب منه بالقرب منك فقال له الاسكندر لا يسام مثلك الجزية فما رأيت بينى وبينك من يستحق الفضل والوصف بالعقل غيرك وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا منصرف عنك فقال له ملك الصين فلست تخسر وبعث اليه بضعف ما كان قرره معه وسار الاسكندر عنه من يومه ودانت له عامة الارضين فى الشرق والغرب وملك التبت وغيرها فلما فرغ من بلاد المغرب والمشرق وما بينهما قصد بلاد الشمال وملك تلك البلاد ودانت له من بها من الامم المختلفة الى أن اتصل بديار يأجوج ومأجوج وقد اختلفت الاقوال فيهم والصحيح انهم نوع من الترك لهم شوكة وفيهم شر وهم كثيرون وكانوا يفسدون فيما يجاورهم من الارض ويخربون ماقدروا عليه من البلاد ويؤذون من يقرب منهم فلما رأى أهل تلك البلاد الاسكندر شكوا اليه من شرهم كما أخبر الله عنهم فى قوله ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وهما جبلان متقابلان لا يرتقى فيهما وليس لهما مخرج الا من الفرجة التى بينهما فلما بلغ الى تلك وقارب السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما يقول ما مكنى فيه ربى خير من خرجكم ولكن أعينونى بالقوة وا قوة الفعلة والصناع والآلة التى يبنى بها فقال آتونى زبر الحديد أى قطع الحديد فاتوه بها فحفر الاساس حتى بلغ الماء ثم جعل الحديد والحطب صفوفا بعضها فوق بعض حتى اذا ساوى بين الصدفين وهما الجبلان اشعل النار فى الحطب فحمى الحديد وافرغ عليه القطر وهو النحاس المذاب فصار موضع الحطب وبين قطع الحديد فكأنه برد محبر من حمرة النحاس وسواد الحديد وجعل أعلاه شرفا من الحديد فامتنعت يأجوج ومأجوج من الخروج الى البلاد المجاورة لهم قال الله تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا فلما فرغ من أمر السد دخل الظلمات مما يلى القطب الشمالى والشمس جنوبية فلهذا كانت ظلمة والافليس فى الارض موضع الا تطلع الشمس عليه أبدا فلما دخل الظلمات أخذ معه أربعمائة من أصحابه يطلب عين الخلد فسار فيها ثمانية عشر يوما ثم خرج ولم يظفر بها وكان الخضر على مقدمته فظفر بها وسبح فيها وشرب منها والله أعلم ورجع الى العراق فمات فى طريقه بشهرزور وبعلة الخوانيق وكان عمره ستا وثلاثين سنة فى قول ودفن فى تابوت من ذهب مرصع بالجوهر وطلى بالصبر لئلا يتغير وحمل الى أمه بالاسكندرية وكان ملكه أربع عشرة سنة وقتل دارا فى السنة الثالثة من ملكه وبنى اثنتى عشرة مدينة منها أصبهان وهى التى يقال لها جى ومدينة هراة ومرو وسمرقند وبنى بالسواد مدينة لروشنك ابنة دارا وبارض اليونان مدينة وبمصر الاسكندرية فلما مات الاسكندر أطاف به من معه من الحكماء اليونانيين والفرس والهند وغيرهم فكان يجمعهم ويستريح الى كلامهم ووقفوا عليه فقال كبيرهم ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا ووضع يده على التابوت وقال أصبح آسر الاسراء أسيرا وقال آخر هذا الملك كان يخبأ الذهب فقد صار الذهب يخبؤه وقال آخر ما أزهد الناس فى هذا الجسد وما أرغبهم فى التابوت وقال آخر من أعجب العجب أن القوى قد غلب والضعفاء لاهون مغترون وقال آخر هذا الذى جعل أجله ضمارا وجعل أمله عيانا هلا باعدت من أجلك لتبلغ بعض أملك بل هلا خففت من أملك بالامتناع

فقعلت كما كانت تفعل فقالوا سبعا من فوق وسبعا من أسفل باسمك اللهم فلم تضرهم فلما رأت الابل لم تتحرك قالت عرفت صاحبكم ليبيض أعلاه ويسودن أسفله وسرنا فلما أدركنا الصبح نظرنا الى امية قد برص فى عذاريه ورقبته وصدره واسود فى أسفله فلما قدموا مكة ذكروا هذا الحديث وكان أمية أول من كتب باسمك اللهم الى ان جاء الله عز وجل بالاسلام وكتب بسم الله الرحمن الرحيم وله أخبار غير هذه قد أتينا على وعلى ذكرها فى اخبار الزمان وغيره فيما سلف من كتبنا ومنهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهو ابن عم خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم حالا وكان قد قرأ الكتاب وطلب العلم ورغب عن عبادة الاصنام وبشر خديجة بالنبى صلى الله عليه وسلم وانه نبى هذه الامة وانه سيؤذى ويكذب ولقى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى اثبت على ما أنت عليه فو الذى نفس ورقة بيده انك لنبى هذه الامة ولتؤذين ولتكذبن ولتخرجن ولتقاتلن ولكن ان أدركت ذلك لأنصرن الله نصرا يعلمه

من وفور أجلك وقال آخر أيها الساعي المنتصب جمعت ما خذلك عن الاحتياج اليه فعود رت عليك أوزاره وفارقت آثامه فجمعت لغيرك واثمه عليك وقال آخر قد كنت لنا واعظا فما وعظتنا موعظة أبلغ من وفاتك فمن كان له معقول فليعقل ومن كان معتبرا فليعتبر وقال آخر رب هائب لك يخافك من ورائك وهو اليوم بحضرتك ولا يخافك وقال آخر رب حريص على سكوتك اذ لا تسكت وهو اليوم حريص على كلامك اذ لا تتكلم وقال آخر كم أماتت هذه النفس لئلا تموت وقد ماتت وقال آخر وكان صاحب كتب الحكمة قد كنت تأمرني ان لا ابعد عنك فاليوم لا أقدر على الدنو منك وقال آخر هذا يوم عظيم أقبل من شره ما كان مدبرا وادبر من خيره ما كان مقبلا فمن كان باكيا على من زال ملكه فليبك وقال آخر يا عظيم السلطان اضمحل سلطانك كما اضمحل ظل السحاب وعفت آثار ملكك كما عفت آثار الذباب وقال آخر يا من ضاقت عليه الارض طولا وعرضا ليت شعري كيف حالك بما احتوى عليك منها وقال آخر اعجبوا ممن كان هذا سبيله كيف شهر نفسه بجمع الاموال الحطام البائد الهشيم النافد وقال آخر أيها الجمع الحافل والملقى الفاضل لا ترغبوا فيما لا يدوم سروره وتنقطع لذته فقد بان لكم الصلاح والرشاد من الغي والفساد وقال آخر انظروا الى حلم النائم كيف انقضى وظل الغمام كيف انجلى وقال آخر يا من كان غضبه الموت هلا غضبت على الموت وقال آخر قد رأيتم هذا الملك الماضي فليتعظ به هذا الملك الباقي وقال آخر ان الذي كانت الآذان تنصت له قد سكت فليتكلم الآن كل ساكت وقال آخر سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته وقال آخر مالك لا تقل عضوا من أعضائك وقد كنت تستقل بملك الارض بل مالك لا ترغب عن ضيق المكان الذي انت فيه وقد كنت ترغب عن رحب البلاد وقال آخر ان دنيا يكون هذا في آخرها فالزهد أولى أن يكون في أولها وقال صاحب مائدته قد فرشت النمارق ونضدت النضائد ولا أرى عميد القوم وقال صاحب بيت ماله قد كنت تأمرني بالادخار فالى من أدفع ذخائرك وقال آخر هذه الدنيا الطويلة العريضة قد طويت منها في سبعة أشبار ولو كنت بذلك موقنا لم تحمل على نفسك في الطلب وقالت زوجته روشنك ما كنت أحسب ان غالب دارا يغلب فان الكلام الذي سمعت منكم فيه شماتة فقد خلف الكاس الذي شرب به ليشرب به الجماعة وقالت أمه حين بلغها موته لئن فقدت من ابني أمره لم يفقد من قلبي ذكره فهذا كلام الحكماء فيه مواعظ وحكم حسنة فلهذا أثبتها ومن حيل الاسكندر في حروبه أنه لما حارب دارا خرج الى بين الصفين وأمر مناديا فنادى يا معشر الفرس قد علمتم ما كتبتم الينا وما كتبنا اليكم من الامان فمن كان منكم على الوفاء فليعتزل فانه يرى منا الوفاء فاتهمت الفرس بعضها بعضا واضطربوا ومن حيله انه تلقاه ملك الهند بالفيلة فنفرت خيل أصحابه عنها فعاد عنه وأمر باتخاذ فيلة من نحاس وألبسها السلاح وجعلها مع الخيل حتى ألفتها ثم عاد الى الهند فخرج اليهم ملك الهند فأمر الاسكندر بتلك الفيلة فحشيت بطونها من النفط والكبريت وجرت على العجل الى وسط المعركة ومعها جمع من أصحابه فلما نشبت الحرب أمر باشعال النار في تلك الفيلة فلما حميت انكشف أصحابه عنها وغشيتها فيلة الهند فضربتها بخراطيمها فاحترقت وولت هاربة راجعة على الهند فانهزموا بين يديها ومن حيله انه نزل على مدينة حصينة وكان بها كثير من الاقوات وبها عيون ماء فعاد عنها فارسل اليها قوما على هيئة التجار ومعهم أمتعة يبيعونها وأمرهم بشترى الطعام والمغالاة في ثمنها فاذا صار عندهم أحرقوه وهربوا ففعلوا

وقد اختلف فيه فمنهم من زعم انه مات نصرانيا ولم يدرك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدركه أبوه ومنهم من رأى انه مات مسلما وانه مدح النبي صلى الله عليه وسلم فقال

يعفو ويصفح لا يجزي بسيئة
ويكظم الغيظ عند الشتم والغضب

ومنهم عداس مولى عتبة ابن أبي ربيعة كان من أهل نينوى ولقي النبي صلى الله عليه وسلم بالطائف حين خرج يدعوهم الى الله عز وجل وكان له مع النبي صلى الله عليه وسلم خطب في الحديقة وقتل يوم بدر على النصرانية وكان ممن يبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنهم أبو قيس صرمة بن أبي أنس من الانصار من بني النجار وكان ترهب ولبس المسوح وهجر الاوثان ودخل بيتا واتخذه مسجدا لا تدخله طامث ولا جنب وقال أعبد رب ابراهيم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم أسلم وحسن اسلامه وفيه نزلت آية السحور وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وهو القائل في رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذلك وهربوا اليه فانفذ السرايا الى سواد تلك المدينة وأمرهم بالغارة مرة بعد أخرى فهربوا ودخلوا البلد ليحتموا به فسار الاسكندر اليهم فلم يمتنعوا عليه وكتب الى ارسطاطاليس يذكر له ان من خاصة الروم جماعة لهم همم بعيدة ونفوس كبيرة وشجاعة وأنه يخافهم على نفسه ويكره قتلهم بالظنة فكتب اليه ارسطاطاليس فهمت كتابك فان ماذكرت من بعد هممهم فان الوفاء من بعد الهمة وكبر النفس والغدر من دناءة النفس وخبثها وأما شجاعتهم ونقص عقولهم فمن كانت هذه حاله فرفهه فى معيشته واخصصه بحسان النساء فان رفاهية العيش تميت الشجاعة وتحبب السلامة واياك والقتل فانه زلة لا تستقال وذنب لا يغفر وعاقب بدون القتل تكن قادرا على العفو فما أحسن العفو من القادر وليحسن خلقك تخلص لك النيات بالمحبة ولا تؤثر نفسك على أصحابك فليس مع الاستئثار محبة ولا مع المواساة بغضة وكتب الى ارسطاطاليس أيضا لما ملك بلاد فارس يذكر له انه رأى بايرانشهر رجالا ذوى رأى وصرامة وشجاعة وجمال وانساب رفيعة وانه انما ملكهم بالحظ والاتفاق وانه لا يأمن ان سافر عنهم فارقهم ووثوبهم وأنه لا يكفى شرهم الا ببوارهم فكتب اليه قد فهمت كتابك فى رجال فارس فاما قتلهم فهو من الفساد والبغى الذى لا يؤمن عاقبته ولو قتلتهم لانبت أهل البلد امثالهم وصار جميع اهل البلد اعداءك بالطبع واعداء عقبك لانك تكون قد وترتهم فى غير حرب واما اخراجك اياهم من عسكرك فمخاطرة بنفسك وأصحابك ولكنى أشير عليك برأى هو أبلغ من القتل وهو ان تستدعى منهم أولاد الملوك ومن يصلح للملك فتقلدهم البلدان وتجعل كل واحد منهم ملكا برأسه فتتفرق كلمتهم ويقع بأسهم بينهم ويجتمعون على الطاعة والمحبة لك ويرون أنفسهم صنيعتك ففعل الاسكندر ذلك فهم ملوك الطوائف وقيل فى ملوك الطوائف غير هذا السبب ونحن نذكره ان شاء الله

❁(ذكر من ملك من قومه بعد الاسكندر)❁

لما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه الاسكندروس فابى واختار العبادة فملكت اليونان فيما قيل بطليموس بن لاغوس وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة ثم ملك بعده بطليموس فيلوذفوس وكان ملكه أربعين سنة ثم ملك بعده بطليموس أوراغاطس اربعا وعشرين سنة ثم ملك بعده بطليموس فيلافطر احدى وعشرين سنة ثم ملك بعده بطليموس افيفانس اثنتين وعشرين سنة ثم ملك بعده بطليموس اوراغاطس تسعا وعشرين سنة ثم ملك بعده بطليموس ساطر سبع عشرة سنة ثم ملك بعده بطليموس الاخشندر احدى عشرة سنة ثم ملك بعده بطليموس الذى اختفى عن ملكه ثمانى سنين ثم ملكت بعده قالوبطرى سبع عشرة سنة وكانت من الحكماء وهؤلاء كلهم من اليونان وكل من كان بعد الاسكندر كان يدعى بطليموس كما كانت تدعى ملوك الفرس اكاسرة وملوك الروم قياصرة وقد ذكر بعض العلماء ان بطليموس صاحب المجسطى وغيره من الكتب لم يكن من هؤلاء الملوك وانما كان أيام ملوك الروم على مانذكره ان شاء الله تعالى ثم ملك الشام فيما بعد قالوبطرى ملوك الروم فكان أول من ملك منهم جايوس يولوس خمس سنين ثم ملك بعده اغسطوس ستا وخمسين سنة فلما مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة ولد عيسى ابن مريم عليه السلام وقيل كان بين مولده وقيام الاسكندر ثلثمائة سنة وثلاث سنين

❁(ذكر اخبار ملوك الفرس بعد الاسكندر وهم ملوك الطوائف)❁

لما مات الاسكندر ملك بلاد الفرس بعده ملوك الطوائف وقد تقدم ذكر السبب فى تمليكهم وقيل كان السبب فى ذلك ان الاسكندر لما ملك بلاد الفرس ووصل الى ما أراد كتب الى

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة بمكة لا يلقى صديقا مواتيا ومنهم أبو عامر الاوسى وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة وكان سيدا قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة كان له معه خطب فخرج فى خمسين غلاما فمات على النصرانية بالشام ومنهم عبد الله بن جحش الاسدى من بنى أسد بن خزيمة وكانت عنده أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب قبل ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد قرأ الكتب فمال الى النصرانية فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر الى أرض الحبشة فيمن هاجر من المسلمين ومعه زوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ثم انه ارتد عن الاسلام وتنصر ومات بأرض الحبشة وكان يقول للمسلمين انا فقحنا وصأصأتم يريد أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر وهذا مثل ضربه لهم وذلك انه يقال للكلب اذا فتح عينيه بعد ما يولد وهو جرو قد فقح واذا كان يريدان يفتحهما ولم يفتحهما قيل صأصأ ولما مات عبد الله بن جحش

ارسطاطاليس الحكيم انى قد وترت جميع من فى بلاد المشرق وقد خشيت ان يتفقوا بعدى على قصد بلادنا وايذاء قومنا وقد هممت ان اقتل أولاد من قتلت من الملوك والحقهم بآبائهم فما ترى فكتب اليه انك ان قتلت أبناء الملوك افضى الملك الى السفل والانذال والسفل اذا ملكوا قدروا واذا قدروا طغوا وبغوا وظلموا ومايخشى من معرتهم أكثر والرأى أن تجمع أبناء الملوك فتملك كل واحد منهم بلدا واحدا وكورة واحدة فان كل واحد منهم يقوم فى وجه الآخر ويمنعه عن بلوغ غرضه خوفا على ما بيده فتتولد العداوة بينهم فيشتغل بعضهم ببعض فلا يتفرغون الى من بعد عنهم فعندها قسم الاسكندر بلاد المشرق على ملوك الطوائف ونقل عن بلدانهم النجوم والحكمة وكان من حالهم بعد الاسكندر ماذكره ارسطاطاليس واشتغلوا عن قصد اليونان وكان ارسطاطاليس من افضل الحكماء وأعلمهم وكان الاسكندر يصدر عن رأيه وأخذ الحكمة عن افلاطون تلميذ سقراط وسقراط تلميذ اوسيلاوس فى الطبيعيات دون غيرها ومعنا مرأس السباع وكان اوسيلاوس تلميذ انكساغورس الا ان ارسطاطاليس خالف استاذه فى عدة مسائل فلما قيل له فى ذلك قال افلاطون صديق والحق صديق الا أن الحق أولى بالصداقة منه وقد اختلف العلماء فى الملك الذى كان بسواد العراق بعد الاسكندر وعدد ملوك الطوائف الذين ملكوا اقليم بابل فقال هشام بن الكلبى وغيره ملك بعد الاسكندر بلاقس سلوقيس ثم انطيخس وهو الذى بنى مدينة انطاكية وكان فى أيدى هؤلاء الملوك سواد الكوفة اربعا وخمسين سنة وكانوا يتطرقون الجبال وناحية الاهواز وفارس

﴿ ذكر ملك اشك بن اشكان ﴾

ثم خرج رجل يقال له اشك وهو من ولد دارا الاكبر وكان مولده ومنشؤه بالرى فجمع جمعا كبيرا وسار يريد انطيخس وزحف اليه انطيخس والتقيا ببلاد الموصل فقتل انطيخس وملك اشك السواد وصار بيده من الموصل الى الرى واصبهان وعظمته سائر ملوك الطوائف لسنه وشرفه وفعله وبدءوا به كتبهم وسموه ملكا من غير ان يعزل أحدا منهم ثم ملك بعده ابنه سابور بن اشك

﴿ ذكر ملك جوذرز ﴾

ثم ملك بعد سابور جوذرز بن اشكان وهو الذى غزا بنى اسرائيل فى المرة الثانية وسبب تسليط الله اياه عليهم قتلهم يحيى بن زكريا فاكثر القتل فيهم فلم يعد لهم جماعة كجماعتهم الاولى ورفع الله منهم النبوة وأنزل بهم الذل وقيل ان الذى غزا بنى اسرائيل طيطوس بن اسفيانوس ملك الروم فقتلهم وسباهم وخرب بيت المقدس وقد كانت الروم غزت بلاد فارس يطلبون ثار انطيخس وملك بابل حينئذ بلاش ابو اردوان الذى قتله اردشير بن بابك فكتب بلاش الى ملوك الطوائف يعلمهم ما اجمعت عليه الروم من غزو بلادهم وما حشدوا وجمعوا وانه ان عجز عنهم ظفروا بهم جميعا فوجه كل ملك من ملوك الطوائف الى بلاش من الرجال والسلاح والمال بقدر قوته فاجتمع عنده اربعمائة ألف رجل فولى عليهم صاحب الحضر وكان له ما بين السواد والجزيرة فلقى الروم وقتل ملكهم واستباح عسكرهم وذلك الذى هيج الروم على بناء القسطنطينية ونقل الملك من رومية اليها وكان الذى انشأها قسطنطين الملك وهو أول من تنصر من ملوك الروم وأجلى من بقى من بنى اسرائيل عن فلسطين والشام لقتلهم عيسى بزعمهم وأخذ الخشبة التى يزعمون انهم صلبوا المسيح عليها فعظمها الروم وأدخلوها خزائنهم وهى عندهم الى اليوم ولم يزل ملك فارس متفرقا حتى ملك أردشير بن بابك ولم يبين هشام مدة ملكهم وقال غيره من اهل العلم بأخبار فارس ملك بلادهم بعد

تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبى سفيان زوجها اياه النجاشى وأمهرها عنه أربعمائة دينار ومنهم بحيرى الراهب وكان مؤمنا على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام واسم بحيرى فى النصارى جرجس وكان من عبد القيس ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه الى الشام فى تجارة أبى طالب وهو ابن اثنتى عشرة سنة ومعهما أبو بكر وبلال مروا ببحيرى وهو فى صومعته فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ودلائله وما كان يجده فى كتابه ان الغمام تظله حيث ما جلس فانزلهم بحيرى وأكرمهم واصطنع لهم طعاما ونزل من صومعته حتى نظر الى خاتم النبوة بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع يده على موضعه وآمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وأعلم أبا بكر وبلالا بقصته وما يكون من أمره وساله ان يرجع به من وجهه ذلك وحذرهم عليه من أهل الكتاب وأخبر عمه أبا طالب بذلك فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة وأعلم قريشا بما أظهر الله

الاسكندر ملوك من غير الفرس كانوا يطيعون كل من ملك بلاد الجبل وهم الاشغانيون الذين يدعون ملوك الطوائف وكان ملكهم مائتي سنة وقيل كان ملكهم ثلثمائة وأربعين سنة ملك من هذه السنين اشك بن اشكان عشرين سنة ثم ابنه سابور ستين سنة وفي احدى وأربعين سنة من ملكه ظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وان تيطوس بن اسفيانوس ملك رومية غزا بيت المقدس بعد ارتفاع المسيح بنحو من أربعين سنة فملك المدينة وقتل وسبي وأخرب المدينة ثم ملك جوذرز بن اشغان الاكبر عشر سنين ثم ملك بيرون الاشغاني احدى وعشرين سنة ثم ملك جوذرز الاشغاني تسعا وثمانين سنة ثم ملك نرسي الاشغاني أربعين سنة ثم ملك هرمز الاشغاني سبع عشرة سنة ثم ملك اردوان الاشغاني اثنتين وعشرين سنة ثم ملك كسرى الاشغاني أربعين سنة ثم ملك بلاش الاشغاني أربعا وعشرين سنة ثم ملك اردوان الاصغر ثلاث عشرة سنة ثم ملك اردشير بن بابك وقال بعضهم ملك بلاد الفرس بعد الاسكندر ملوك الطوائف الذين فرق الاسكندر المملكة بينهم وتفرد بكل ناحية من ملك عليها من حين ملكه عليها ما خلا السواد فانه كان أربعا وخمسين سنة بعد هلاك الاسكندر في يد الروم وكان في ملوك الطوائف رجل من نسل الملوك قد ملك الجبال واصبهان ثم غلب ولده بعد ذلك على السواد وكانوا ملوكا عليها وعلى الماهات والجبال واصبهان كالرئيس على سائر ملوك الطوائف لان العادة جرت بتقديمه وتقديم ولده ولذلك قصد لذكرهم في كتب سير الملوك فاقتصرنا على ذكرهم دون غيرهم فكانت مدة ملوك الطوائف مائتي سنة وستين سنة وقيل ثلاثمائة واربعا واربعين سنة وقيل خمسمائة وثلاثا وعشرين سنة والله أعلم فمن الملوك الذين ملكوا الجبال ثم تهيأت بعد أولادهم الغلبة على السواد أشك بن جزه وهو من ولد اسفنديار بن بشتاسب في قول وبعض الفرس زعم ان اشك بن دارا فقال بعضهم اشك بن أشكان الكبير هو من ولد كيكاووس وكان ملكه عشرين سنة ثم ملك بعده اشك ابنه احدى وعشرين سنة ثم ملك ابنه سابور ثلاثين سنة ثم ملك ابنه جوذرز عشر سنين ثم ملك ابنه نيرى احدى وعشرين سنة ثم ملك ابنه جوذرز الاصغر تسع عشرة سنة ثم ابنه نرسه أربعين سنة ثم هرمز بن بلاش بن اشكان سبع عشرة سنة ثم اردوان الاكبر بن اشكان اثنتي عشرة سنة ثم كسرى ابن اشكان أربعين سنة ثم اردوان الاصغر ابن بلاش ثلاث عشرة سنة وكان أعظم ملوك الاشكانية وأظهرهم واعزهم قهر الملوك ثم ملك أردشير بن بابك وجمع مملكة الفرس على ما نذكره ان شاء الله وقد عد بعضهم في اسماء الملوك غير ما ذكرنا لا حاجة الى الاطالة بذكره وقد ذكرنا بعض ما قيل عند ملك أردشير بن بابك

(ذكر الاحداث ايام ملوك الطوائف فمن ذلك ذكر المسيح عيسى بن مريم ويحيى ابن زكريا عليهم السلام)

انما جمعنا هذين الامرين العظيمين في هذه الترجمة لتعلق أحدهما بالآخر فنقول كان عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود وكان آل ماثان رؤس بني اسرائيل وأحبارهم وكان متزوجا بحنة بنت فاقوذ وكان زكريا بن برخيا متزوجا باختها ايشاع وقيل كانت ايشاع اخت مريم بنت عمران وكانت حنة قد كبرت وعجزت ولم تلد ولدا فبينما هي في ظل شجرة ابصرت طائرا يزق فرخاله فاشتهت الولد فدعت الله ان يهب لها ولدا ونذرت ان يرزقها ولدا أن تجعله من سدنة بيت المقدس وخدمته فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو وكان النذر المحرر عندهم ان يجعل للكنيسة يقوم بخدمتها ولا يبرح منها حتى يبلغ الحلم فاذا بلغ خير فان أحب ان يقيم فيها أقام وان أحب ان يذهب ذهب

حيث

عز وجل من اظهار دلائل نبوته وما أخبر به وما كان منه في طريقه (قال المسعودي) فهذه جمل مدة الخليقة الى حيث انتهينا من هذا الموضع ولم نشبه بشئ غير ما جاءت به الشرائع ونطقت به الكتب وأوضحت عنه الرسل عليهم الصلاة والسلام ولنذكر الآن بدء ممالك الهند ولمعا من آرائها ونتبع ذلك بذكر سائر الممالك اذ كنا قدمنا ذكر ملوك الاسرائيليين على حسب ما وجدنا في كتب الشرعيين والله أعلم

(ذكر جمل من اخبار الهند وآرائها وبدء ممالكها وملوكها)

ذكر جماعة من أهل العلم والنظر والبحث الذين وصلوا الغاية بتأمل شأن العالم وبدئه ان الهند كانت قديم الزمان الفرقة التي فيها الصلاح والحكمة فانه لما تجيلت الاجيال وتحزبت الاحزاب حاولت الهند ان تضم المملكة وتستولي على الحوزة وتكون الرياسة فيهم فقال كبراؤهم نحن أهل البدء وفينا التناهي ولنا الغاية والصدر والانتهاء ومنا سرى الاب الى الارض فلا ندع أحدا شاقنا ولا عاندنا وأراد بنا الاغتماص الا أتينا عليه

حيث شاء ولم يكن يحرر الا الغلمان لان الاناث لا يصلحن لذلك لما يصيبهن من الحيض والاذى ثم هلك عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اذ هى أنثى فقالت عند ذلك رب انى وضعتها أنثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى فى خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وانى سميتها مريم وهى بلغتهم العبادة ثم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار أبناء هرون وهم يلون من بيت المقدس ما يلى بنو شيبة من الكعبة فقالت دونكم هذه المنذورة فتنافسوا فيها لانها بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال زكريا أنا احق بها لان خالتها عندى فقالوا لنا نقترع عليها فألقوا اقلامهم فى نهر جار قيل هو نهر الاردن فالقوا فيه اقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فاخذها وكفلها وضمها الى خالتها أم يحيى واسترضع لها حتى كبرت فبنى لها غرفة فى المسجد لا يرقى اليها الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء فيقول أنى لك هذا فتقول هو من عند الله فلما رأى زكريا ذلك منها دعا الله تعالى ورجا الولد حيث رأى فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف فقال ان الذى فعل هذا بمريم قادر على ان يصلح زوجتى حتى تلد فقال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فبينما هو يصلى فى المذبح الذى لهم فاذا هو برجل شاب هو جبريل ففزع زكريا منه فقال له ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله يعنى عيسى بن مريم عليه السلام ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وذلك ان أمه كانت حاملا به فاستقبلت مريم وهى حامل بعيسى فقالت لها يا مريم احامل أنت فقالت لماذا تسألينى قالت لما انى أرى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك تصديقه وقيل صدق المسيح عليه السلام وله ثلاث سنين وسماه الله تعالى يحيى ولم يكن قبله من تسمى هذا الاسم قال الله تعالى لم نجعل له من قبل سميا وقال تعالى والسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا قيل أوحش ما يكون ابن آدم فى هذه الايام الثلاثة فسلمه الله تعالى من وحشتها وانما ولد يحيى قبل المسيح بثلاث سنين وقيل بستة أشهر وكان لا يأتى النساء ولا يلعب مع الصبيان قال رب أنى يكون لى ولد وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر وكان عمره اثنتين وتسعين سنة وقيل مائة وعشرين سنة وكانت امرأته ابنة ثمان وتسعين سنة فقيل له كذلك الله يفعل ما يشاء وانما قال ذلك استخبارا اهل يرزق الولد من امرأته العاقر أم غيرها لا انكارا لقدرة الله تعالى قال رب اجعل لى آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا قال أمسك الله لسانه عقوبة لسؤاله الآية والرمز الاشارة فلما ولد رآه أبوه حسن الصورة قليل الشعر قصير الاصابع مقرون الحاجبين دقيق الصوت قويا فى طاعة الله مذ كان صبيا قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا قيل انه قال له يوما الصبيان امثاله يا يحيى اذهب بنا نلعب فقال لهم ما للعب خلقت وكان يأكل العشب وأوراق الشجر وقيل كان يأكل خبز الشعير ومر به ابليس ومعه رغيف شعير فقال أنت تزعم انك زاهد وقد ادخرت رغيف شعير فقال يحيى يا ملعون هو القوت فقال ابليس ان الاقل من القوت يكفى لمن يموت فاوحى الله اليه اعقل ما يقول لك ونبئ صغيرا فكان يدعو الناس الى عبادة الله ولبس الشعر فلم يكن له دينار ولا درهم ولا مسكن يسكن اليه أينما جنه الليل اقام ولم يكن له عبد ولا أمة واجتهد فى العبادة فنظر يوما الى بدنه وقد نحل فبكى فاوحى الله اليه يا يحيى اتبكى لما نحل من جسمك وعزتى وجلالى لو اطلعت فى النار اطلاعة لتدرعت الحديد عوض الشعر فبكى حتى أكلت الدموع لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فبلغ ذلك أمه فدخلت عليه وأقبل زكريا ومعه الاحبار فقال يا بنى ما يدعوك الى هذا قال أنت أمرتنى بذلك حيث قلت ان بين الجنة والنار

وأبدناه أو يرجع الى طاعتنا فازمعت على ذلك ونصبت لها ملكا وهو البرهمن الاكبر والملك الاعظم والامام فيها المقدم ظهرت فى ايامه الحكمة وتقدمت العلماء واستخرجوا الحديد من المعادن وضربت فى أيامه السيوف والخناجر وكثير من أنواع المقاتل وشيد الهياكل ورصعها بالجواهر المشرقة المنيرة وصور فيها الافلاك والبروج الاثنى عشر والكواكب وبين بالصورة كيفية العالم وأورد بالصورة أيضا أفعال الكواكب فى هذا العالم واحداثها الاشخاص الحيوانية من الناطقة وغيرها وبين حال المدبر الذى هو الشمس وأثبت تابه فى براهين جميع ذلك وقرب الى عقول العوام فهم ذلك وغرس فى نفوس الخواص دراية ما هو أعلى من ذلك واشار الى المبدا الاول المعطى سائر الموجودات وجودها الفائض عليها بجوده وانقاد له الهند وأخصبت بلادها وأراهم وجه مصالح الدنيا وجمع الحكماء فاحدثوا فى ايامه كتاب السند هند وتفسيره دهر الدهور ومنه فرعت الكتب ككتاب

عقبة لا يجوزها الا البكاؤن من خشية الله فقال فابك واجتهد اذن فصنعت له أمه قطعتي لبد على خديه توارى اضراسه فكان يبكي حتى بلهما وكان زكريا اذا أراد أن يعظ الناس نظر فان كان يحيى حاضرا لم يذكر جنة ولا نارا وبعث الله عيسى رسولا نسخ بعض أحكام التوراة فكان مما نسخ انه حرم نكاح بنت الاخ وكان لملكهم واسمه هيرودس بنت أخ تعجبه يريد ان يتزوجها فنهاه يحيى عنها وكان لها كل يوم حاجة يقضيها لها فلما بلغ ذلك امها قالت لها اذا سألك الملك ما حاجتك فقولي ان تذبح يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه وسألها ما حاجتك قالت أريد أن تذبح يحيى بن زكريا فقال سلي غير هذا قالت ما أسألك غيره فلما أبت دعا بيحيى ودعا بطست فذبحه فلما رأت الرأس قالت اليوم قرت عيني فصعدت الى سطح قصرها فسقطت منه الى الارض ولها كلاب ضارية تحته فوثبت الكلاب عليها فاكلتها وهي تنظر وكان اخر ما أكل منها عيناها لتعتبر فلما قتل بدرت قطرة من دمه على الارض فلم تزل تغلي حتى بعث الله بختنصر عليهم فجاءته امرأة فدلته على ذلك الدم فالقى الله في قلبه ان يقتل منهم على ذلك الدم حتى يسكن فقتل منهم سبعين ألفا حتى سكن الدم وقال السدي نحو هذا غير انه قال أراد الملك ان يتزوج بنت امرأة له فنهاه يحيى عن ذلك فطلبت المرأة من الملك قتل يحيى فارسل اليه فقتله وأحضر رأسه في طست وهو يقول له لا تحل لك فبقي دمه يغلي فطرح عليه تراب حتى بلغ سور المدينة فلم يسكن الدم فسلط الله عليهم بختنصر في جمع عظيم فحصرهم فلم يظفر بهم فاراد الرجوع فاتته امرأة من بني اسرائيل فقالت بلغني انك تريد العود قال نعم قد طال المقام وجاع الناس وقلت الميرة بهم وضاق عليهم فقالت ان فتحت لك المدينة أتقتل من آمرك بقتله وتكف اذا أمرتك قال نعم قالت اقسم جندك أربعة أقسام على نواحي المدينة ثم ارفعوا أيديكم الى السماء وقولوا اللهم انا نستفتحك على دم يحيى بن زكريا ففعلوا فخرب سور المدينة فدخلوها فامرتهم العجوز ان يقتلوا على دم يحيى بن زكريا حتى يسكن فلم يزل يقتل حتى قتل سبعين ألفا وسكن الدم فامرته بالكف وكف وخرب بيت المقدس وأمر ان تلقى فيه الجيف وعاد ومعه دانيال وغيره من وجوه بني اسرائيل منهم عزريا وميشائيل ورأس الجالوت فكان دانيال أكرم الناس عليه فحسدهم المجوس وسعوا بهم الى بختنصر وذكر نحو ما تقدم من القائهم الى السبع ونزول الملك عليهم ومسخ بختنصر ومقامه في الوحش سبع سنين وهذا القول وما لم نذكره من الروايات من ان بختنصر هو الذي خرب بيت المقدس وقتل بني اسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا باطل عند أهل السير والتاريخ وأهل العلم بامور الماضين وذلك انهم أجمعون مجمعون على ان بختنصر غزا بني اسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيا في عهد أرميا بن حلقيا وبين عهد أرميا وقتل يحيى أربعمائة سنة واحدى وستون سنة عند اليهود والنصارى ويذكرون ان ذلك في كتبهم وأسفارهم مبين وتوافقهم المجوس في مدة غزو بختنصر بني اسرائيل الى موت الاسكندر وتخالفهم في مدة ما بين موت الاسكندر ومولد يحيى فيزعمون ان مدة ذلك كانت احدى وخمسين سنة واما ابن اسحق فانه قال الحق ان بني اسرائيل عمروا بيت المقدس بعد مرجعهم من بابل وكثروا ثم عادوا يحدثون الاحداث ويعود الله سبحانه عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم زكريا وابنه يحيى وعيسى بن مريم عليهم السلام فقتلوا يحيى وزكريا فابتعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له جودرس فسار اليهم حتى دخل عليهم الشام فلما دخل عليهم بيت المقدس قال لقائد عظيم من عسكره اسمه نبوزاذان وهو صاحب الفيل اني كنت حلفت لئن أنا ظفرت ببني اسرائيل لاقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط

الازجهير والمجسطي وفرع من الازجهير الاركند ومن المجسطي كتاب بطليموس ثم عمل منهما بعد ذلك الزيجات واحدثوا التسعة الاحرف المحيطة بالحساب الهندي وكان أول من تكلم في اوج الشمس وذكر انه يقيم في كل برج ثلاثة آلاف سنة ويقطع الفلك في ستة وثلاثين ألف سنة والاوج على رأي البرهمن في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة في برج الثور وانه اذا انتقل الى البروج الجنوبية انتقلت العمارة فصار العامر خرابا والخارب عامرا والشمال جنوبا والجنوب شمالا ورتب في بيت الذهب حساب الدور الاول والتاريخ الاقدم الذي عليه عملت الهند في تواريخ البردة وظهورها في أرض الهند دون سائر الممالك ولهم في البردة خطب طويل اعرضنا عن ذكره اذ كان كتابنا كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر وقد أتينا على جمل من ذلك في الكتاب الاوسط ومن الهند من يذكر ان ابتداء العالم في كل سبعين ألف سنة هازروان وان العالم اذا قطع هذه المدة عاد الكون فظهر النسل ومرحت البهائم وتغلغل

عسكري الان لا أجد من أقتله وأمره ان يدخل المدينة و يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم فدخل نبوزاذان المدينة فاقام في المدينة التي يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلي فقال يا بني اسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي فقالوا هذا دم قربان لنا لم يقبل فلذلك هو يغلي فقال ما صدقتموني الخبر فقالوا انه قد انقطع منا الملك والنبوة فلذلك لم يقبل منا فذبح منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلا من رؤسهم فلم يهدأ فأمر بسبعمائة من علمائهم فذبحوا على الدم فلم يهدأ فلما رأى الدم لا يبرد قال لهم يا بني اسرائيل اصدقوني واصبروا على أمر ربكم فقد طال ما ملكتم في الارض تفعلون ما شئتم قبل ان لا أدع منكم نافخ نار ولا ذكرا الا قتلته فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر وقالوا هذا دم نبي كان ينهانا عن كثير مما يسخط الله ويخبرنا بخبركم فلم نصدقه وقتلناه فهذا دمه فقال ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا فقال الآن صدقتموني لمثل هذا انتقم ربكم منكم وخر ساجدا وقال لمن حوله أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من ههنا من جيش جودرس ففعلوا وخلا في بني اسرائيل ثم قال للدم يا يحيى قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهدأ باذن الله قبل ان لا يبقى من قومك أحد فسكن الدم ورفع نبوزاذان القتل وقال آمنت بما آمنت به بنو اسرائيل وصدقت به وأيقنت انه لا رب غيره ثم قال لبني اسرائيل ان جودرس أمرني ان أقتل فيكم حتى تسيل دماؤكم في عسكره ولست أستطيع ان أعصيه قالوا افعل فأمرهم ان يحفروا حفيرة وأمر بالخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والابل فذبحها حتى كثر الدم وأجرى عليه ماء فسال الدم في العسكر فأمر بالقتلى الذين كان قتلهم فألقوا فوق المواشي فلما نظر جودرس الى الدم قد بلغ عسكره أرسل الى نبوزاذان أن ارفع القتل عنهم فقد انتقمت منهم بما فعلوا وهي الوقعة الاخيرة التي أنزل الله ببني اسرائيل يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا وعسى من الله حق وكانت الوقعة الاولى بختنصر وجنوده ثم رد الله سبحانه لهم الكرة ثم كانت الوقعة الاخيرة جودرس وجنوده وكانت أعظم الوقعتين فيها كان خراب بلادهم وقتل رجالهم وسبي ذراريهم ونسائهم يقول الله تعالى وليتبروا ما علوا تتبيرا وزعم بعض أهل العلم ان قتل يحيى كان أيام أردشير ابن بابك وقيل كان قتله قبل رفع المسيح عليه السلام بسنة ونصف والله أعلم

(ذكر قتل زكريا)

لما قتل يحيى وسمع أبوه بقتله فر هاربا فدخل بستانا عند بيت المقدس فيه أشجار فارسل الملك في طلبه فمر زكريا بالشجرة فنادته هلم الي يا نبي الله فلما أتاها انشقت فدخلها فانطبقت عليه وبقي في وسطها فأتى عدو الله ابليس فأخذ هدب ردائه فأخرجه من الشجرة ليصدقوه اذا أخبرهم ثم لقي الطلب فأخبرهم فقال لهم ما تريدون فقالوا نلتمس زكريا فقال انه سحر هذه الشجرة فانشقت له فدخلها قالوا لا نصدقك قال فان لي علامة تصدقوني بها فأراهم طرف ردائه فأخذوا الفؤس وقطعوا الشجرة باثنتين وشقوها بالمنشار فمات زكريا فيها فسلط الله عليهم أخبث أهل الارض فانتقم به منهم وقيل ان السبب في قتله ان ابليس جاء الى مجالس بني اسرائيل فقذف زكريا بمريم

الماء ودب الحيوان وبقل العشب وخرق النسيم الهواء فأما أكثر الهند فانهم قالوا بكرور منه وبات على دوائر تبتدئ القوى متلاشية الشخص موجودة القوة منتصبة الذات وحدوا لذلك آجالا ضربوه ووقتا نصبوه وجعلوا الدائرة العظمى والحادثة الكبرى ووسموا ذلك بعمر العالم وجعلوا المسافة بين البدء والانتهاء مدة ست وثلاثين ألف سنة مكررة في اثني عشر ألف عام وهذا عندهم الهازر وان الضابط لقوى هذه الاشياء والمدبر لها وان لدوائر تقبض وتبسط جميع المعاني التي تستودعها وان الاعمار تطول في أول الكر لانفساح الدوائر وتمكن القوى من الحال وتقصر الاعمار في آخر الكر لضيق الدائرة وكثرة ما يعرض فيها من الاكدار الباترة للاعمار وذلك أن قوى الاجسام وصفوها في أول الكر يظهر ويسرح وان الصفو سابق الكدر والصافي يبادر العقل والاعمار تطول بحسب صفاء المزاج وتكامل القوى المدبرة لعناصر اخلاط الكائنات الفاسدات المستحيلات البائدات وان آخر الكر الاعظم وغاية البدء الاكبر تظهر الصور

وقال لهم ما أحبلها غيره وهو الذى كان يدخل عليها فطلبوه فهرب وذكر من دخوله الشجرة نحو ما تقدم

﴿ذكر ولادة المسيح عليه السلام ونبوته الى آخر أمره﴾

كانت ولادة المسيح أيام ملوك الطوائف قالت المجوس كان ذلك بعد خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل وبعد احدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين وقالت النصارى ان ولادته كانت لمضى ثلثمائة وثلاث وستين سنة من وقت غلبة الاسكندر على أرض بابل وزعموا ان مولد يحيى كان قبل مولد المسيح بستة اشهر وان مريم عليها السلام حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة وقيل عشرين وأن عيسى عاش الى ان رفع اثنتين وثلاثين سنة وأياما وان مريم عاشت بعده ست سنين فكان جميع عمرها احدى وخمسين سنة وان يحيى قتل قبل ان يرفع المسيح وأتت المسيح النبوة والرسالة وعمره ثلاثون سنة وقد ذكرنا حال مريم فى خدمة الكنيسة وكانت هى وابن عمها يوسف بن يعقوب بن ماثان النجار يليان خدمة الكنيسة وكان يوسف حكيما نجارا يعمل بيديه ويتصدق بذلك وقالت النصارى ان مريم كان قد تزوجها يوسف ابن عمها الا انه لم يقربها الا بعد رفع المسيح والله أعلم وكانت مريم اذا نفد ماؤها وماء يوسف ابن عمها أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق الى المغارة التى فيها الماء يستعذبان منه ثم يرجعان الى الكنيسة فلما كان اليوم الذى لقيها فيه جبرائيل نفد ماؤها فقالت ليوسف ليذهب معها الى الماء فقال عندى من الماء ما يكفينى الى غد فأخذت قلتها وانطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت جبرائيل قد مثله الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم ان الله قد بعثنى اليك لاهب لك غلاما زكيا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا أى مطيعا لله وقيل هو اسم رجل بعينه وتحسبه رجلا قال انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا أى زانية قال كذلك قال ربك الى قوله أمرا مقضيا فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ فى جيب درعها ثم انصرف عنها وقد حملت بالمسيح وملأت قلتها وعادت وكان لا يعلم فى أهل زمانها أعبد منها ومن ابن عمها يوسف النجار وكان معها وهو أول من أنكر حملها فلما رأى الذى بها استعظمه ولم يدر على ماذا يضع ذلك منها فاذا أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وانها لم تغب عنه ساعة قط واذا أراد أن يبرئها رأى الذى بها فلما اشتد ذلك عليه كلمها فكان أول كلامه لها ان قال لها انه قد وقع من أمرك شئ قد حرصت على ان اميته وأكتمه فغلبنى فقالت قل قولا جميلا فقال حدثينى هل ينبت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل ينبت شجر بغير غيث يصيبه قالت نعم قال فهل يكون ولد بغير ذكر قالت له نعم ألم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه بغير بذر ألم تعلم ان الله خلق الشجر من غير مطر وانه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعدما خلق كل واحدة منها وحده أو تقول لن يقدر الله على ان ينبت حتى يستعين بالبذر والمطر قال يوسف لا أقول هكذا ولكنى أقول ان الله يقدر على ما يشاء انما يقول لذلك كن فيكون قالت له ألم تعلم ان الله خلق آدم وحواء من غير ذكر ولا أنثى قال بلى فلما قالت له ذلك وقع فى نفسه ان الذى بها شئ من الله لا يسعه ان يسألها عنه لما رأى من كتمانها له وقيل انها خرجت الى جانب الحجرات لحيض أصابها فاتخذت من دونهم حجابا من الجدران فلما طهرت اذا برجل معها وذكر الآيات فلما حملت أتتها خالتها امرأة زكريا ليلة تزورها فلما فتحت لها الباب التزمتها فقالت امرأة زكريا انى حبلى فقالت لها مريم وأنا أيضا حبلى قالت امرأة زكريا فانى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك وولدت امرأة زكريا يحيى وقد

منسوبة والنفوس ضعيفة والامزجة مختلطة وتتناقض القوى وتبيد المواصل وترد المواد فى الدوائر منعكسة مزدوجة فلا تخطئ ذوى الاعصار تمام الاعمار وللهند فيما ذكرنا علل وبراهين فى المبادى الاول وفيما بسطناه من تفريقهم فى الدوائر الهازروانات ورموز واسرار فى النفوس واتصالها بما علا من العوالم وكيفية بدئها من أعلى الى أسفل وغير ذلك مما رتب لهم البرهمن فى بدء الزمان وكان ملك البرهمن الى ان هلك ثلثمائة سنة وستين سنة وولده يعرفون بالبراهمة الى وقتنا والهند تعظمهم وهم أعلى أجناسهم وأشرفهم ولا يغتذون بشئ من الحيوان وفى رقاب الرجال والنساء منهم خيوط صفر يتقلدون بها كحمائل السيوف فرقا بينهم وبين غيرهم من أنواع الهند وقد كان اجتمع منهم فى قديم الزمان فى ملك البرهمن سبعة من حكمائهم المنظور اليهم فى بيت الذهب فقال بعضهم لبعض اجلسوا حتى نتناظر فننظر ما قصة العالم وما سره ومن أين أقبلنا والى أين نمر وهل خروجنا من عدم الى وجود حكمة أو ضد ذلك وهل خالقنا

اختلف في مدة حملها فقيل تسعة أشهر وهو قول النصارى وقيل ثمانية أشهر فكان ذلك آية أخرى لانه لم يعش مولود لثمانية أشهر غيره وقيل ستة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة وهو أشبه بظاهر القرآن العزيز لقوله تعالى فحملته فانتبذت به مكانا قصيا عقبه بالفاء فلما أحست مريم خرجت الى جانب المحراب الشرقي فاتت اقصاه فاجاءها المخاض الى جذع النخلة فقالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا يعني نسي ذكري وأثري فلا يرى لي أثر ولا عين قالت مريم كنت اذا خلوت حدثني عيسى وحدثته فاذا كان عندنا انسان سمعت تسبيحه في بطني فناداها جبرائيل من تحتها أي من أسفل الجبل لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهو النهر الصغير اجراه تحتها فمن قرأ من تحتها بكسر الميم جعل المنادي جبرائيل ومن فتحها قال انه عيسى انطقه الله وهزي اليك بجذع النخلة كان جذعا مقطوعا فهزته فاذا هو نخلة وقيل كان مقطوعا فلما اجهدها الطلق احتضنته فاستقام واخضر وأرطب فقيل لها وهزي اليك بجذع النخلة فهزته فتساقط الرطب فقال لها كلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا وكان من صام في ذلك الزمان لا يتكلم حتى يمسي فلما ولدته ذهب ابليس فاخبر بني اسرائيل ان مريم قد ولدت فاقبلوا يشتدون بدعوتها فاتت به قومها تحمله وقيل ان يوسف النجار تركها في مغارة أربعين يوما ثم جاء بها الى أهلها فلما رأوها قالوا لها يا مريم لقد جئت شيأ فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا فبالك أنت وكانت من نسل هرون أخي موسى كذا قيل قلت انها ليست من نسل هرون انما هي من سبط يهودا ابن يعقوب من نسل سليمان بن داود وانما كانوا يدعون بالصالحين وهرون من ولد لاوي بن يعقوب قالت لهم ما أمرها الله به بعد ذلك فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام أشارت اليه فغضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد علينا من زناها قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا فتكلم عيسى فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا فكان أول ما تكلم به العبودية ليكون ابلغ في الحجة على من يعتقد أنه اله وكان قومها قد اخذوا الحجارة ليرجموها فلما تكلم ابنها تركوها ثم لم يتكلم بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان وقال بنو اسرائيل ما احبلها غير زكريا فانه هو الذي كان يدخل عليها ويخرج من عندها فطلبوه ليقتلوه ففر منهم ثم ادركوه فقتلوه وقيل في سبب قتله غير ذلك وقد تقدم ذكره وقيل انه لما دنا نفاسها اوحى الله اليها ان اخرجي من ارض قومك فانهم ان ظفروا بك عيروك وقتلوا ولدك فاحتملها يوسف النجار وسار بها الى ارض مصر فلما وصلا الى تخوم مصر ادركها المخاض فلما وضعت وهي محزونة قيل لها الا تحزني الآية الى انسيا فكان الرطب يتساقط عليها وذلك في الشتاء واصبحت الاصنام منكوسة على رؤسها وفزعت الشياطين فجاؤا الى ابليس فلما رأى جماعتهم سألهم فاخبروه فقال قد حدث في الارض حادث فطار عند ذلك وغاب عنهم فمر بالمكان الذي ولد فيه عيسى فرأى الملائكة محدقين به فعلم ان الحدث فيه ولم تمكنه الملائكة من الدنو من عيسى فعاد الى اصحابه واعلمهم بذلك وقال لهم ما ولدت امرأة الا وانا حاضر واني لارجو ان أضل به أكثر ممن يهتدي واحتملته مريم الى ارض مصر فمكث اثنتي عشرة سنة تكتمه من الناس فكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبيها قلت والقول الاول في ولادته بارض قومها للقرآن أصح لقول الله تعالى فاتت به قومها تحمله وقوله كيف نكلم من كان في المهد صبيا وقيل ان مريم حملت المسيح الى مصر بعد ولادته ومعها يوسف النجار وهي الربوة التي ذكرها الله تعالى وقيل الربوة

المخترع لنا والمنشئ لاجسامنا يجتلب بخلقنا منفعة أم هل يدفع بقائنا عن هذه الدار عن نفسه مضرة أم هل يدخل عليه من الحاجة والنقص ما يدخل علينا أم هل هو غني من كل وجه عن ابقائه ايانا واعدامنا بعد وجودنا وآلامنا وملاذنا فقال الحكيم المنظور اليه منهم أترى أحدا من الناس أدرك الاشياء الحاضرة والغائبة على حقيقة الادراك فظفر بالبغية واستراح الى الثقة قال الحكيم الثاني لو تناهت حكمة الباري عز وجل في أحلام العقول كان ذلك نقصا من حكمته وكان الغرض غير مدرك وكان التقصير مانعا من الادراك قال الحكيم الثالث الواجب علينا ان نبتدئ بمعرفة أنفسنا التي هي أقرب الاشياء منا ونحن أولى بها وهي أولى بنا من قبل ان نتفرغ الى علم ما بعد منا قال الحكيم الرابع لو شاء وقوع أمر وقع وقوعا احتاج فيه بنفسه قال الحكيم الخامس من ههنا وجب الاتصال بالعلماء الممدودين بالحكمة قال الحكيم السادس الواجب على المرء المحب لسعادة نفسه ان

دمشق وقيل بيت المقدس وقيل غير ذلك فكان سبب ذلك الخوف من ملك بني اسرائيل وكان من الروم واسمه هيردوس فان اليهود أغروه بقتله فساروا الى مصر وأقاموا بها اثنتي عشرة سنة الى ان مات ذلك الملك وعادوا الى الشام وقيل ان هيردوس لم يرد قتله ولم يسمع به الا بعد رفعه وانما خافوا اليهود عليه والله أعلم

(ذكر نبوة المسيح و بعض معجزاته)

لما كانت مريم بمصر نزلت على دهقان وكانت داره يأوي اليها الفقراء والمساكين فسرق له مال فلم يتهم المساكين فحزنت مريم فلما رأى عيسى حزن امه قال أتريدين ان أدله على ماله قالت نعم قال انه أخذه الاعمى والمقعد اشتركا فيه حمل الاعمى المقعد فاخذه فقيل للاعمى ليحمل المقعد فاظهر العجز فقال له المسيح كيف قويت على حمله البارحة لما أخذتما المال فاعترفا واعاداه ونزل بالدهقان اضياف ولم يكن عنده شراب فاهتم لذلك فلما رآه عيسى دخل بيتا للدهقان فيه صفان من جرار فأمر عيسى يده على أفواهها وهو يمشي فامتلأت شرابا وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة وكان في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع أهلوهم وبما كانوا يأكلون قال وهب بينما عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبي فضربه على رجله فقتله فألقاه بين رجلي المسيح متلطخا بالدم فانطلقوا به الى الحاكم في ذلك البلد فقالوا قتل صبيا فسأله الحاكم فقال ما قتلته فارادوا أن يبطشوا به فقال ائتوني بالصبي حتى أسأله من قتله فتعجبوا من قوله واحضروا عنده القتيل فدعا الله فأحياه فقال من قتلك فقال قتلني فلان يعني الذي قتله فقال بنو اسرائيل للقتيل من هذا قال هذا عيسى بن مريم ثم مات الغلام من ساعته وقال عطاء سلمت مريم عيسى الى صباغ يتعلم عنده فاجتمع عند الصباغ ثياب وعرض له حاجة فقال للمسيح هذه ثياب مختلفة الالوان وقد جعلت في كل ثوب منها خيطا على اللون الذي يصبغ به فاصبغها حتى أعود من حاجتي هذه فاخذها المسيح وألقاها في حب واحد فلما عاد الصباغ ساله عن الثياب فقال صبغتها فقال أين هي قال في هذا الحب قال كلها قال نعم قال لقد أفسدتها على اصحابها وتغيظ عليه فقال له المسيح لا تعجل وانظر اليها وقام وأخرجها كل ثوب منها على اللون الذي أراد صاحبه فتعجب الصباغ منه وعلم ان ذلك من الله تعالى ولما عاد عيسى وأمه الى الشام نزلوا بقرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى فأقام الى ان بلغ ثلاثين سنة فاوحى الله اليه ان يبرز للناس ويدعوهم الى الله تعالى ويداوي المرضى والزمنى والاكمه والابرص وغيرهم من المرضى ففعل ما أمر به واحبه الناس وكثر اتباعه وعلا ذكره وحضر يوما طعام بعض الملوك وكان دعا الناس اليه فقعد على قصعة يأكل منها ولا تنقص فقال الملك من انت قال أنا عيسى بن مريم فنزل الملك عن ملكه واتبعه في نفر من أصحابه فكانوا الحواريين وقيل ان الحواريين هم الصباغ الذي تقدم ذكره وأصحاب له وقيل كانوا صيادين وقيل قصارين وقيل ملاحين والله أعلم وكانت عدتهم اثني عشر رجلا وكانوا اذا جاعوا أو عطشوا قالوا يا روح الله قد جعنا وعطشنا فيضرب بيده الى الارض فيخرج لكل انسان منهم رغيفان وما يشربون فقالوا من أفضل منا اذا شئنا أطعمتنا وسقيتنا فقال أفضل منكم من يأكل من كسب يده فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة ولما أرسله الله أظهر من المعجزات أنه صور من الطين صورة طائر ثم نفخ فيه فيصير طائرا باذن الله قيل هو الخفاش وكان غالب على زمانه الطب فاتاهم بما أبرأ الاكمه والابرص وأحيا الموتى تعجيزا لهم فمن أحياه عازر وكان صديقا لعيسى فمرض فارسلت أخته الى عيسى ان عازر يموت فسار اليه وبينهما ثلاثة أيام فوصل اليه وقد مات منذ ثلاثة أيام فاتى

لا ينفك عن ذلك لا سيما اذا كان المقام في هذه الدنيا ممتنعا والخروج منها واجبا قال الحكيم السابع أنا لا أدري ما تقولون غير اني أخرجت الى هذه الدنيا مضطرا وعشت فيها حائرا وأخرج منها مكرها فاختلف الهند ممن سلف وخلف في آراء هؤلاء السبعة وكل قد اقتدى بهم وعم منهم ثم تفرعوا بعد ذلك في مذاهبهم وتنازعوا في آرائهم والذي وقع عليه الحصر من طوائفهم سبعون فرقة (قال المسعودي) وقد رأيت أبا القاسم البلخي ذكر في كتاب عيون المسائل والجوابات وكذلك الحسن بن موسى النوبختي في كتابه المترجم بالآراء والديانات مذاهب الهند وآراءهم والعلة التي من أجلها أحرقوا أنفسهم في النيران وقطعوا أجسامهم بأنواع العذاب فاعرضنا عما ذكرنا ولا عما نحوما وصفنا وقد تنوزع في البرهمن فمنهم من زعم انه آدم عليه السلام وانه رسول الله عز وجل الى الهند ومنهم من يقول انه كان ملكا على حسب ما ذكرنا وهذا أشهر ولما هلك البرهمن جزعت عليه الهند جزعا شديدا وفزعت

قبره فدعا له فعاش و بقي حتى ولد له وأحيا امرأة وعاشت وولد لها وأحيا سام بن نوح كان يوماً مع الحواريين يذكر نوحاً والغرق والسفينة فقالوا لو بعثت لنا من شهد ذلك فأتى تلا وقال هذا قبر سام ابن نوح ثم دعا الله فعاش وقال قد قامت القيامة فقال المسيح لا ولكن دعوت الله فأحياك فسألوه فأخبرهم ثم دعا ميتاً وأحيا عزيراً النبي قال له بنو اسرائيل أحي لنا عزيراً والا أحرقناك فدعا الله فعاش فقالوا ما تشهد لهذا الرجل قال أشهد انه عبد الله ورسوله وأحيا يحيى بن زكريا وأحيا غير من ذكرناه وكان يمشي على الماء

﴿ذكر نزول المائدة﴾

وكان من المعجزات العظيمة نزول المائدة وسبب ذلك ان الحواريين قالوا له يا عيسى هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء فدعا عيسى فقال اللهم أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا فأنزل الله المائدة عليها خبز ولحم يأكلون منها ولا تنفد فقال لهم انها مقيمة ما لم تدخروا منها فما مضى يومهم حتى ادخروا وقيل أقبلت الملائكة تحمل المائدة عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعوها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وقيل كان عليها من ثمار الجنة وقيل كانت تمد بكل طعام الا اللحم وقيل كانت سمكة فيها طعم كل شيء فلما أكلوا منها وهم خمسة آلاف وزادت حتى بلغ الطعام ركبهم قالوا نشهد أنك رسول الله ثم تفرقوا فتحدثوا بذلك فكذب به من لم يشهده وقالوا سحر أعينكم فافتتن بعضهم وكفر فمسخوا خنازير ليس فيهم امرأة ولا صبي فبقوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا وقيل كانت المائدة سفرة حمراء تحتها غمامة وفوقها غمامة وهم ينظرون اليها تنزل حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة ولا عقوبة واليهود ينظرون الى شيء لم يروا مثله ولم يجدوا ريحاً أطيب من ريحها فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الجنة فقال المسيح لا من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة انما هو شيء خلقه الله بقدرته فقال لهم كلوا مما سألتم فقالوا له كل أنت يا روح الله فقال معاذ الله أن آكل منها فلم يأكل ولم يأكلوا منها فدعا المرضى والزمنى والفقراء فأكلوا منها وهم ألف وثلثمائة فشبعوا وهي بحالها لم تنقص فصح المرضى والزمنى واستغنى الفقراء ثم صعدت وهم ينظرون اليها حتى توارت وندم الحواريون حيث لم يأكلوا منها وقيل انها نزلت أربعين يوماً كانت تنزل يوماً وتنقطع يوماً وأمر الله عيسى أن يدعو اليها الفقراء دون الاغنياء ففعل ذلك فاشتد على الاغنياء و جحدوا نزولها وشكوا في ذلك وشككوا غيرهم فيها فأوحى الله الى عيسى اني شرطت ان أعذب المكذبين عذاباً لا أعذب به أحداً من العالمين فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثين رجلاً فأصبحوا خنازير فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى وبكوا وبكى عيسى على الممسوخين فلما أبصرت الخنازير عيسى بكوا وطافوا به وهو يدعوهم بأسمائهم ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا

﴿ذكر رفع المسيح الى السماء ونزوله الى امه وعوده الى السماء﴾

قيل ان عيسى استقبله ناس من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة وقذفوه وامه فسمع ذلك ودعا عليهم فاستجاب الله دعاءه ومسخهم خنازير فلما رأى ذلك رأس بني اسرائيل فزع وخاف و جمع كلمة اليهود على قتله فاجتمعوا عليه فسألوه فقال يا معشر اليهود ان الله يبغضكم فغضبوا من مقالته وثاروا اليه ليقتلوه فبعث اليه جبريل

الى نصب ملك عليها من أكبر ولده فكان ولي عهده الموصى له من ولده ابنه (الناهوذ) فسار فيهم سيرة أبيه وأحسن النظر اليهم وزاد في بناء الهياكل وقدم الحكماء وزاد في مراتبهم وحثهم على تعليم الناس الحكمة و بعثهم على طلبها فكان ملكه الى ان هلك مائة سنة وفي أيامه عمل النرد وأحدث اللعب بها وجعل ذلك مثالاً للمكاسب وأنها لا تنال بالكسب ولا بالحيل في هذه الدنيا وأن الرزق لا يتأتى فيها بالحذق وقد ذكر ان أردشير ابن بابك أول من صنع النرد ولعب بها وأرى تقلب الدنيا باهلها واختلاف أمورها وجعل بيوتها اثني عشر بيتاً بعدد الشهور وجعل كلابها ثلاثين بعدد أيام الشهر وجعل الفصين مثلاً للقدر ومثله بأهل الدنيا وان الانسان يلعب فيبلغ باسعاد القدر اياه بما في مراده باللعب بها ومراده ان الحازم الفطن لا يتأتى له ما تأتى لغيره الا اذا أسعده القدر وان الارزاق والحظوظ في هذه الدنيا لا تنال الا بالجدود ثم ملك (دامان) بعد الناهوذ فكان ملكه نحواً من خمسين ومائة سنة ولدامان سير

فأدخله فى خوخة الى بيت فيهار وزنة فى سقفها فرفعه الى السماء من تلك الروزنة فأمر رأس اليهود رجلا من أصحابه اسمه نطليانوس ان يدخل اليه فيقتله فدخل فلم ير أحدا وألقى الله عليه شبه المسيح فخرج اليهم فظنوه عيسى فقتلوه وصلبوه وقيل ان عيسى قال لاصحابه أيكم يحب ان يلقى عليه شبهى وهو مقتول فقال رجل منهم أنا يا روح الله فالقى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل ان الذى شبه بعيسى وصلب رجل اسرائيلى اسمه يوشع أيضا وقيل لما أعلم الله المسيح انه خارج من الدنيا جزع من الموت فدعا الحواريين فصنع لهم طعاما فقال احضرونى الليلة فان لى اليكم حاجة فلما اجتمعوا عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا أخذ يغسل أيديهم بيده ويمسحها بثيابه فتعاظموا ذلك وكرهوه فقال من رد على الليلة شيأ مما أصنع فليس منى فاقروه حتى فرغ من ذلك ثم قال اما ما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدى فليكن بى اسوة فلا يتعاظم بعضكم على بعض واما حاجتى التى أستعينكم عليها فتدعون الله لى وتجتهدون فى الدعاء ان يؤخر أجلى فلما نصبوا أنفسهم للدعاء أخذهم النوم حتى ما يستطيعون الدعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله ما تصبرون لى ليلة قالوا والله ما ندرى ما لنا لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نقدر عليه الليلة وكلما نريد الدعاء حيل بيننا وبينه فقال يذهب بالراعى ويفترق الغنم وجعل ينعى نفسه ثم قال ليكفرن بى أحدكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعنى أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمنى فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون أحد الحواريين وقالوا هذا صاحبه واختلف العلماء فى موته قبل رفعه الى السماء فقيل رفع ولم يمت وقيل توفاه الله ثلاث ساعات ثم أحياه ورفعه ولما رفع الى السماء قال الله له انزل فلما قالوا لشمعون عن المسيح جحد وقال ما أنا صاحبه فتركوه وفعلوا ذلك ثلاثا فلما سمع صياح الديك بكى وأحزنه ذلك وأتى أحد الحواريين الى اليهود فدلهم على المسيح وأعطوه ثلاثين درهما فاتى معهم الى البيت الذى فيه المسيح فدخله فرفع الله المسيح وألقى شبهه على الذى دلهم عليه فأخذوه وأوثقوه وقادوه وهم يقولون له أنت كنت تحيى الموتى وتفعل كذا وكذا فهلا تنجى نفسك وهو يقول أنا الذى دللتكم عليه فلم يصغوا الى قوله ووصلوا به الى الخشبة وصلبوه عليها وقيل ان اليهود لما دلهم عليه الحوارى اتبعوه وأخذوه من البيت الذى كان فيه ليصلبوه فاظلمت الارض وأرسل الله ملائكة فحالوا بينهم وبينه وألقى شبه المسيح على الذى دلهم عليه فأخذوه ليصلبوه فقال أنا الذى دللتكم عليه فلم يلتفتوا اليه فقتلوه وصلبوه عليها ورفع الله المسيح اليه بعد ان توفاه ثلاث ساعات وقيل سبع ساعات ثم أحياه ورفعه ثم قال له انزل الى مريم فانه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن أحد حزنها فنزل عليها بعد سبعة أيام فاشتعل الجبل حين هبط نورا وهى عند المصلوب تبكى ومعها امرأة كان أبرأها من الجنون فقال ما شأنكما تبكيان قالتا عليك قال انى رفعنى الله اليه ولم يصبنى الا خير وان هذا شئ شبه لهم وأمرها فجمعت له الحواريين فبثهم فى الارض رسلا عن الله وأمرهم ان يبلغوا عنه ما أمره الله به ثم رفعه الله اليه وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم فصار انسيا ملكيا سماويا أرضيا فتفرق الحواريون حيث أمرهم فتلك الليلة التى أهبطه الله فيها هى التى تدخن فيها النصارى وتعدى اليهود على بقية الحواريين يعذبونهم ويشتمونهم فسمع بذلك ملك الروم واسمه هيردوس وكانوا تحت يده وكان صاحب وثن فقيل له ان رجلا كان فى بنى اسرائيل وكان يفعل الآيات من احياء الموتى وخلق الطير من الطين والاخبار عن الغيوب فعدوا عليه فقتلوه وكان يخبرهم انه رسول الله فقال الملك ويحكم ما منعكم ان تذكروا

اخبار وحروب مع ملوك فارس وملوك الصين قد أتينا على الغرر منها فيما سلف من كتبنا ثم ملك (فور) وهو الذى واقعه الاسكندر فقتله الاسكندر مبارزة وكان ملك فور الى ان هلك أربعين ومائة سنة ثم ملك بعده (دبشلم) وهو الواضع كتاب كليلة ودمنة الذى ينسب لابن المقفع وقد صنف سهل بن هرون الكاتب لامير المؤمنين المأمون كتابا ترجمه بثعلة وعفرة يعارض به كتاب كليلة ودمنة فى أبوابه وامثاله يزيد عليه فى حسن نظمه وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقيل غير ذلك ثم ملك بعده (بلهيت) وصنعت فى أيامه الشطرنج فقضى بلعبها على النرد وبين الظفر الذى يناله الحازم والبلية التى تلحق الجاهل وحسب حسابها ورتب لذلك كتابا للهند يعرف بطرق حكما يتداولونه بينهم ولعب بالشطرنج مع حكمائه وجعلها صورة تماثيل مشكلة على صور الناطقين وغيرهم من الحيوان مما ليس بناطق وجعلهم درجات فى مراتب ومثل الشاه بالمدبر الرئيس وكذلك من يليه من القطائع وأقام ذلك مثالا للاجساد العلوية

هـذا من أمره فوالله لو علمت ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من أيدى اليهود وسألهم عن دين عيسى فأخبروه وتابعهم على دينهم واستنزل المصلوب الذى شبه لهم فغيبه وأخذ الخشبة التى صلب عليها فأكرمها وصانها وعدا على بنى اسرائيل فقتل منهم قتلى كثيرة فمن هنالك كان أصل النصرانية فى الروم وقيل كان هـذا الملك هيردوس ينوب عن ملك الروم الاعظم الملقب قيصر واسمه طيباريوس وكان هذا أيضا يسمى ملكا وكان ملك طيباريوس ثلاثا وعشرين سنة منها الى ارتفاع المسيح ثمانى عشرة سنة وأياما

(ذكر من ملك من الروم بعد رفع المسيح الى عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم)

زعموا ان ملك الشام جميعه صار بعد طيباريوس الى ولده جايوس وكان ملكه أربع سنين ثم ملك بعده ابن له آخر اسمه قلوديوس أربع عشرة سنة ثم ملك بعده نيرون الذى قتل بطرس وبولس فصلبهما منكسين أربع عشرة سنة ثم ملك بعده بوطلايس أربعة أشهر ثم ملك اسفسيانوس وهذا الذى وجه ابنه طيطوس الى البيت المقدس فهدمه وقتل من بنى اسرائيل غضبا للمسيح ثم ملك ابنه طيطوس ثم ملك أخوه دومطيانوس ست عشرة سنة ثم ملك بعده ناروا س ست سنين ثم ملك من بعده طرايانوس تسع عشرة سنة ثم ملك بعده هدريانوس احدى وعشرين سنة ثم ملك من بعده انطونينوس بن بطيانوس اثنتين وعشرين سنة ثم ملك مرقوس وأولاده تسع عشرة سنة ثم ملك بعده قومودوس ثلاث عشرة سنة ثم ملك من بعده فرطيناجوس ستة أشهر ثم ملك بعده سيوا روس أربع عشرة سنة ثم ملك بعده انطينانوس سبع سنين ثم ملك من بعده مرقيانوس ست سنين ثم ملك من بعده انطينانوس أربع سنين وفى ملكه مات جالينوس الطبيب ثم ملك الحسندروس ثلاث عشرة سنة ثم ملك مكسيمانوس ثلاث سنين ثم ملك جورديانوس ست سنين ثم فيلفوس سبع سنين ثم ملك داقيوس ست سنين ثم ملك قالوس ست سنين ثم ملك والريانوس وقالينوس خمس عشرة سنة ثم ملك قلوديوس سنة ثم ملك قريطاليوس شهرين ثم ملك أورليانوس خمس سنين ثم ملك طيقطوس سنة أشهر ثم ملك فولورنوس خمسة وعشرين يوما ثم ملك فروبوس ست سنين ثم دقلطيانوس ست سنين ثم ملك مخسيميانوس عشرين سنة ثم قسطنطين ثلاثين سنة ثم ملك بليانوس سنتين ثم ملك يوبانوس سنة ثم ملك والنطيانوس وغرطيانوس عشر سنين ثم ملك خرطيانوس والنطيانوس الصغير سنة ثم ملك تيداسيس الاكبر سبع عشرة سنة ثم ارقاديوس وانوريوس عشرين سنة ثم ملك تيداسيس الاصغر ووالنطيانوس ست عشرة سنة ثم ملك مرقيانوس سبع سنين ثم ملك لاوست عشر سنين ثم ملك زانون ثمانى عشرة سنة ثم ملك انسطاس سبعا وعشرين سنة ثم ملك يوسطنيانوس تسع سنين ثم ملك يوسطنيانوس الشيخ عشرين سنة ثم ملك يوسطينس اثنتى عشرة سنة ثم ملك طيباريوس ست سنين ثم مريقيش وتاداسيس ابنه عشرين سنة ثم ملك فوقا الذى قتل سبع سنين وستة أشهر ثم هرقل الذى كتب اليه النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين فمن لدن عمر البيت المقدس بعد ان أخربه بختنصر الى الهجرة على قولهم ألف سنة ونيف ومن ملك الاسكندر اليها تسعمائة ونيف وعشرون سنة فمن ذلك من وقت ظهوره الى مولد عيسى عليه السلام ثلثمائة سنة وثلاث سنين ومن مولده الى ارتفاعه اثنتان وثلاثون سنة ومن وقت ارتفاعه الى الهجرة خمسمائة وخمس وثمانون سنة وأشهر هذا الذى ذكره أبو جعفر من عدد ملوك الروم وقد أخلى ذكرهم عن شئ من الحوادث التى كانت فى أيامهم وقد سطرها غيره من العلماء بالتاريخ وخالفه فى كثير منها ووافقه

التى هى الاجسام السماوية من السبعة والاثنى عشر وافرد كل قطعة منها بكوكب وجعلها ضابطة للملكة واذا كان عدو من اعدائه فوقعت منه حيلة فى الحروب نظروا من أين يؤتون فى عاجل وآجل وللهند فى لعب الشطرنج سر يسرونه فى تضاعيف حسابها ويتعلقون بذلك الى ما علا من الافلاك وما اليه منتهى العلة الاولى وأعداد أضعاف الشطرنج ثمانية عشر ألف ألف ألف ألف ألف ألف وسبعمائة وأربعون ألف ألف ألف ألف ألف وتسعة آلاف ألف ألف ألف وخمسمائة ألف ألف ألف واحد وخمسون ألف ألف وستمائة وخمسة عشر ألفا ومراتب هذه الالوف الستة الاولى ثم الخمسة التى هى ألف ألف خمس مرات ثم الاربع ثم الثلاث ثم الاثنتين ثم الواحدة لها عندهم معان يذكرونها فى الدهور والاعصار وما تقتضيه سائر المؤثرات العلوية فى هذا العالم لارتباط نفوس الناطقين بها وللبونانيين والروم وغيرهم من الامم فى الشطرنج كلام ونوع من اللعب بها قد ذكر ذلك الشطرنجيون فى كتبهم ممن تقدم منهم الى الصولى

في الباقي مع مخالفة الاسم وأضاف الى أسمائهم ذكرشئ من الحوادث في أيامهم وانا اذكره مختصرا ان شاء الله

﴿ذكر ملوك الروم وهم ثلاث طبقات فالطبقة الاولى الصابئون﴾

ذكر غير واحد من علماء التاريخ ان الروم غلبت اليونان وهم ولد صوفير والاسرائيليون يدعون ان صوفير هو الاصغر بن نفر بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانوا ينزلون رومية قبل غلبتهم على اليونان وكانوا يدينون قبل النصرانية بمذهب الصابئين ولهم أصنام يعبدونها على عادة الصابئين فكان أوّل ملوكهم برومية غاليوس وكان ملكه ثماني عشرة سنة وقيل كان ملك قبله روملس وارمانوس وهما بنياها واليهما نسبت وأضيف الروم اليها واغا غاليوس أوّل من بعد في التاريخ لشهرته ثم ملك بعده يوليوس أربع سنين وأربعة أشهر ثم ملك أوغسطس ومعناه الصباء وهو أوّل من سمى قيصر وتفسير ذلك انه شق عنه بطن أمه لانها ماتت وهي حامل به فأخرج من بطنها ثم صار ذلك لقبا لملوكهم وكان ملكه ستا وخمسين سنة وخمسة أشهر وأكثر المؤرخين يبتدؤن باسمه لانه أوّل من خرج من رومية وسير الجنود برا وبحرا وغزا اليونانيين واستولى على ملكهم وقتل قلوبطرة آخر ملوكهم واستولى على الاسكندرية ونقل ما فيها الى رومية وملك الشام واضمحل ملك اليونانيين ودخلوا في الروم واستخلف على البيت المقدس هيردوس بن انطيقوس ولاثنتين وأربعين سنة من ملكه كانت ولادة المسيح وهو الذي بنى قيصارية ثم ملك بعده طيباريوس ثلاثا وعشرين سنة وهو الذي بنى مدينة طبرية فأضيفت اليه وعربها العرب وفي ملكه رفع المسيح عليه السلام وملك بعد رفعه ثلاث سنين ثم ملك بعده ابنه غايوس أربع سنين وهو الذي قتل اصطفنوس رئيس الشمامسة عند النصارى ويعقوب أخا يوحنا بن زبدى وهما من الحواريين وقتل خلقا من النصارى وهو أوّل الملوك من عباد الاصنام قتل النصارى ثم ملك قلوديوس بن طيباريوس أربع عشرة سنة وفي ملكه حبس شمعون الصفا ثم خلص شمعون من الحبس وسار الى انطاكية فدعا الى النصرانية ثم سار الى رومية فدعا أهلها ايضا فاجابته زوجة الملك وسارت الى البيت المقدس وأخرجت الخشبة التي تزعم النصارى ان المسيح صلب عليها وكانت في أيدي اليهود فاخذتها وردتها الى النصارى ثم ملك نيرون ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وفي آخر ملكه قتل بطرس وبولس بمدينة رومية وصلبهما منكسين وفي أيامه ظفرت اليهود بيعقوب بن يوسف وهو أوّل الاساقفة بالبيت المقدس فقتلوه وأخذوا خشبة الصليب فدفنوها وفي أيامه كان مارينوس الحكيم صاحب كتاب الجغرافيا في صورة الارض ثم ملك بعده غلباس سبعة أشهر ثم ملك اوثون ثلاثة أشهر ثم ملك بيطاليس احد عشر شهرا ثم ملك اسباسيانوس سبع سنين وسبعة أشهر وفي أيامه خالف أهل البيت المقدّس قيصر فحصرهم وافتتح المدينة عنوة وقتل كثيرا من أهلها من اليهود والنصارى وعمهم الاذى في أيامه ثم ملك ابنه طيطوس سنتين وثلاثة أشهر وفي أيامه اظهر مرقيون مقالته بالاثنين وهما الخير والشر وبعد ثالث بينهما واليه ينسب المرقونية وهو من أهل حران ثم ملك ذومطيانس بن اسباسيانوس خمس عشرة سنة وعشرة أشهر ولتسع سنين من ملكه نفي يوحنا الحواري كاتب الانجيل الى جزيرة في البحر ثم رده ثم ملك نرواس سنة وخمسة أشهر ثم ملك طرايانوس تسع عشرة سنة وفي السادسة من ملكه توفي يوحنا كاتب الانجيل بمدينة افسوس ثم ملك ايليا اندريانوس عشرين سنة وقتل من اليهود والنصارى خلقا كثيرا الخلاف كان منهم عليه وأخرب البيت المقدس

وهو

والعدلي واليهما كان انتهاء اللعب بالشطرنج في هذا العصر وكان ملك بلوميت ملك الهند الى ان هلك ثمانين سنة وفي بعض النسخ انه ملك ثلاثين ومائة سنة ثم ملك بعده كورس فاحدث للهند آراء في الديانات على حسب مارأى من صلاح الوقت وما يحتمله من التكليف أهل العصر وخرج عن مذاهب من سلف وكان في مملكته وعصره سندباد دوّن له كتاب الوزراء السبعة والمعلم وامرأة الملك وهو الكتاب المترجم بالسندباد وعمل في خزانة هذا الملك الكتاب الاعظم في معرفة العلل والادواء والعلاجات وشكات الحشائش وصورت وكان مدة ملك الهند هذا الى ان مات عشرين ومائة سنة ولما هلك هذا الملك اختلفت الهند في آرائها فتحزبت الاحزاب وتحيلت الاجيال وانفرد كل رئيس بناحية فملك على أرض السند ملك وملك على أرض القنوج ملك وتملك على أرض قشمير ملك وتملك على مدينة المامايز وهي الحوزة الكبرى ملك يسمى بالبلهزا وهذا أول ملك سمى من ملوكهم بالبلهزا فصارت سمة لمن ادخر من الملوك

وهو آخر خرابه فلما مضى من ملكه ثمان سنين عمره أيضا وسماه أيليا فبقى الاسم عليه فكان قبل ذلك يسمى اورشلم وأسكن المدينة جماعة من الروم واليونان وبنى هيكلا عظيما للزهرة وكان عالى البنيان فهدم من أعلاه كثير وهو باق الى يومنا هذا وهو سنة ثلاث وستمائة وقد رأيته وهو محكم البناء ولا أدرى كيف نسب الى داود وقد بنى بعده بدهر طويل على أننى سمعت بالبيت المقدس من جماعة يذكرون ان داود بناه وكان يتفرغ فيه لعبادته وفى أيام هذا الملك كان ساقيدس الفيلسوف الصامت ثم ملك انطنينس بيوس اثنتين وعشرين سنة وفى أيامه كان بطليموس صاحب المجسطى والجغرافيا وغيرهما وقيل انه من ولد قلوذيوس ولهذا قيل له القلوذى نسبة اليه وهو السادس من ملوك الروم ودليل كونه فى هذا الزمان وليس من ملوك اليونان انه ذكر فى كتاب المجسطى انه رصد الشمس بالاسكندرية سنة ثمانمائة وثمانين لبختنصر وكان من ملك بختنصر الى قتل دارا أربعمائة وتسع وعشرون سنة وثلثمائة وستة عشر يوما ومن قتل دارا الى زوال ملك قلوبطرة الملكة آخر ملوك اليونان على يد أوغسطس مائتا سنة وست وثمانون سنة ومدة غلبة أوغسطس الى انطنينوس مائة وسبع وستون سنة فذ ملك بختنصر الى ادريانوس ثمانمائة وثلاث وثمانون سنة تقريبا وهذا موافق لما حكاه بطليموس قال ومن زعم انه ابن قلوبطرة آخر ملوك اليونانيين فقد أبطل ذكره هذا بعض العلماء بالتاريخ وعد ملوك اليونان وذكر مدة ملكهم على ما قال واما أبو جعفر الطبرى فانه ذكر فى مدة ملكهم مائتى سنة وسبعا وعشرين سنة على ما تقدم ذكره ثم ملك بعده مرقس ويسمى أورليوس تسع عشرة سنة وفى ملكه أظهر ابن ديصان مقالته وكان أسقفا بالرها وهو من القائلين بالاثنين ونسب الى نهر على باب الرها يسمى ديصان وجد عليه منبوذا وبنى على هذا النهر كنيسة ثم ملك قومودوس اثنتى عشرة سنة وفى أيامه كان جالينوس قد أدرك بطليموس القلوذى وكان دين النصرانية قد ظهر فى فى أيامه وذكرهم فى كتابه فى جوامع كتاب افلاطون فى السياسة ثم ملك برطينقس ثلاثة أشهر ثم ملك بوليانوس شهرين ثم ملك سيوارس سبع عشرة سنة وشمل اليهود والنصارى فى أيامه القتل والتشريد وبنى بالاسكندرية هيكلا عظيما سماه هيكل الآلهة ثم ملك انطونيوس ست سنين ثم ملك مقرونيوس سنة وشهرين ثم ملك انطونيوس الثانى أربع سنين ثم ملك الاكصندروس ويلقب ماميا س ثلاث عشرة سنة ثم ملك مقسميانوس ثلاث سنين ثم ملك مقسموس ثلاثة أشهر ثم ملك غرديانوس ست سنين ثم ملك فيلبوس ست سنين وتنصر وترك دين الصابئين وتبعه كثير من أهل مملكته واختلفوا لذلك وكان فيمن خالفه بطريق يقال له داقيوس فقتل فيلبوس واستولى على الملك ثم ملك بعد فيلبس داقيوس سنتين وتتبع النصارى فهرب منه أصحاب الكهف الى غار فى جبل شرقى مدينة افسوس وقد خربت المدينة وكان لبثهم فيه مائة وخمسين سنة وهذا باطل لانه على هذا السياق من حين رفع المسيح الى الآن نحو مائتى سنة وخمس عشرة سنة وكان لبث أصحاب الكهف على ما نطق به القرآن المجيد ثلثمائة وسبع سنين وازدادوا تسعا فذلك خمسمائة سنة وأربع وعشرون سنة فعلى هذا يكون ظهورهم قبل الاسلام بنحو ستين سنة وقد ذكرنا أن من لدن ظهورهم الى الهجرة زيادة على مائتى سنة فهذه الجملة أكثر من الفترة بين المسيح والنبى عليهما الصلاة والسلام الا ان هذا الناقل قد ذكر ان غيبتهم كانت مائة وخمسين سنة على ما نراه مذكورا وفيه مخالفة للقرآن ولولا نص القرآن لكان استقام له ما يريد ثم ملك بعده غليوس سنتين وكان شريكه فى الملك بوليانوس ملك خمس عشرة سنة ثم ملك قلوديوس (٣) ثم ملك ابنه أورليانوس

لهذه الحوزة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وأرض الهند أرض واسعة فى البر والبحر والجبال وملكهم متصل بملك الزابج وهى دار مملكة المهراج ملك الجزائر وهذه المملكة قدر بين مملكة الهند والصين وتضاف الى الهند والهند متصلة مما يلى الجبال بأرض خراسان والسند الى أرض التبت وبين هذه الممالك تباين وحروب ولغاتهم مختلفة وآراؤهم غير متفقة والاكثر منهم يقول بالتناسخ وتنقل الارواح على حسب ما قدمناه آنفا والهند فى عقولهم وسياساتهم وحكمهم وألوانهم وصفاتهم وصحة أمزجتهم وصفاء أذهانهم ودقة نظرهم بخلاف سائر السودان من الزنج والدادم وسائر الاجناس وقد ذكر جالينوس فى الاسود عشر خصال اجتمعت فيه ولم توجد فى غيره تفلفل الشعر وخفة الحاجبين وانتشار المنخرين وغلظ الشفتين وتحديد الاسنان ونتن الجلد وسواد الحدق وتشقق اليدين والرجلين وطول الذكر وكثرة الطرب قال جالينوس وانما غلب على الاسود الطرب لفساد دماغه فضعف لذلك عقله وقد ذكر

ست سنين ثم ملك طافسطوس وأخوه فورس تسعة أشهر ثم بروبس تسع سنين ثم ملك فاروس
سنتين وخمسة أشهر ثم ملك دقلطيانوس سبع عشرة سنة ثم ملك مقسيمانوس وشاركه مقسنطيوس
ثم اقتتلا فاقتسما الملك فملك الاب على الشام وبلاد الجزيرة وبعض الروم وملك الابن رومية
وما اتصل بها من أرض الفرنج وملكا تسع سنين وملك معهما قسطنس أبو قسطنطين بلاد بورنطيا
وما يليها وهي نواحي القسطنطينية ولم تكن بنيت حينئذ ثم مات قسطنطس وملك بعده ابنه
قسطنطين المعروف بامه هيلانا وهو الذي تنصر قال ومن أول ملوك الروم الى ههنا كانوا اشبه بين
ملوك الطوائف لا ينضبط عددهم وقد اختلف الناس فيهم كاختلافهم في ملوك الطوائف وانما
الذي يعول عليه من قسطنطين الى هرقل الذي بعث محمد صلى الله عليه وسلم في أيامه ولقد صدق
قائل هذا فان فيه من الاختلاف والتناقض ما ذكرنا بعضه عند ذكر دقيوس وأصحاب الكهف
ولهذه العلة لم يذكر الطبري أصحاب الكهف في زمان أي الملوك كانوا وانما ذكرناه نحن لما في
أيام الملوك من الحوادث

(الطبقة الثانية من ملوك الروم المتنصرة)

ثم ملك قسطنطين المعروف بامه هيلانا في جميع بلاد الروم وجرى بينه وبين مقسيمانوس وابنه
حروب كثيرة فلما ماتا استولى على الملك وتفرد به وكان ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وهو
الذي تنصر من ملوك الروم وقاتل عليها حتى قبلها الناس ودانوا بها الى هذا الوقت وقد اختلفوا
في سبب تنصره فقيل انه كان به برص وأراد نزعه فاشار اليه بعض وزرائه ممن كان يكتم
النصرانية باحداث دين يقاتل عليه ثم حسن له النصرانية يساعده من دان به ففعل ذلك فتبعه
النصارى من الروم مع أصحابه وخاصته فقوي بهم وقهر من خالفه وقيل انه سير عسكرا على اسماء
أصنامهم فانهزمت العساكر وكان لهم سبعة أصنام على اسماء الكواكب السبعة على عادة
الصابئين فقال له وزير له يكتم النصرانية في هذا وازرى بالاصنام وأشار عليه بالنصرانية فأجابه
فظفر ودام ملكه وقيل غير ذلك وهو الذي بنى مدينة القسطنطينية لثلاث سنين خلت من ملكه
بمكانها الآن اختاره لحصانته وهي على الخليج الآخذ من البحر الاسود الى بحر الروم والمدينة
على البر المتصل برومية وبلاد الفرنج والاندلس والروم تسميها اسطنبول يعني مدينة الملك
ولعشرين سنة مضت من ملكه كان السنهودس الاول بمدينة نيقية من بلاد الروم ومعناه
الاجتماع فيه ألفان وثمانية وأربعون أسقفا فاختار منهم ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا متفقين
غير مختلفين فحرموا اريوس الاسكندراني الذي يضاف اليه الاريوسية من النصارى ووضع
شرائع النصرانية بعد ان لم تكن وكان رئيس هذا الجمع بطرق الاسكندرية وفي السنة السابعة
من ملكه صارت امه هيلانا الرهاوية كان أبوه سباها من الرها فاولدها هذا الملك فسارت الى
البيت المقدس وأخرجت الخشبة التي تزعم النصارى أن المسيح صلب عليها وجعلت ذلك اليوم
عيدا فهو عيد الصليب وبنت الكنيسة المعروفة بقمامة وتسمى القيامة وهي الى وقتنا هذا يحجها
أنواع النصارى وقيل كان مسيرها بعد ذلك لان ابنها دان بالنصرانية في قول بعضهم بعد عشرين
سنة من ملكه وفي السنة الحادية والعشرين من ملكه طبق جميع ممالكه بالبيع هو وأمه منها
كنيسة حمص وكنيسة الرها وهي من العجائب ثم ملك بعده قسطنطين انطاكية أربعا وعشرين
سنة بعهد من أبيه اليه وسلم اليه القسطنطينية والى أخيه قسطنطس انطاكية والشام ومصر
والجزيرة والى أخيه قسطوس رومية وما يليها من بلاد الفرنج والصقالبة وأخذ عليهما المواثيق

بالانقياد

جالينوس في طرب السودان
وغلبة الفرح عليهم وما
خص به الزنج دون سائر
السودان في الاكثر من
الطرب أمور اقد ذكرناها
فيما سلف من كتبنا ولقد
كان طاوس اليماني صاحب
عبدالله بن عباس لا يأكل
من ذبيحة الزنجي ويقول انه
عبد مشوه الخلقة وبلغنا
ان أبا العباس الراضي بن
المقتدر بالله كان لا يتناول
شيأ من أسود ويقول انه
عبد مشوه خلقه فلست
أدري أفاد طاوسا في مذهبه
أم لضرب من الآراء والنحل
وقد صنف عمرو بن بحر
الجاحظ كتابا في فخر
السودان ومناظرتهم مع
البيضان والهند لا تملك
الملك عليها حتى يبلغ من
عمره أربعين سنة ولا تكاد
ملوكهم تظهر لعوامهم
الا في كل برهة من الزمان
معلومة ويكون ظهورها
في أمور الرعية لان في نظر
العوام عندها الى ملوكها
خرقا لهيبتها واستخفافا بحقها
والرياسات عند هؤلاء
لا تجوز الا بالتخيير ووضع
الاشياء مواضعها من
مراتب السياسة (قال
المسعودي) ورأيت في بلاد
السرنديب وهي جزيرة
من جزائر البحر أن الملك
من ملوكهم اذا مات صير

بالانقياد لاخيه اقسطنطين ثم ملك بعده يوليانوس ابن أخيه سنتين وكان يدين بمذهب الصابئين ويخفى ذلك فلما ملك أظهرها وخرب البيع وقتل النصارى وهو الذى سار الى العراق أيام سابور بن أردشير فقتل بسهم غرب وقد ذكر أبو جعفر خبر هذا الملك مع سابور ذى الاكتاف وهو بعد سابور بن اردشير ثم ملك بعده يونيانوس سنة اظهر دين النصرانية ودان بها وعاد عن العراق ثم ملك بعده والنطيوش اثنتى عشرة سنة وخمسة أشهر ثم ملك والنس ثلاث سنين وثلاثة أشهر ثم ملك والنطيانوس ثلاث سنين ثم ملك تدوس الكبير ومعناه عطية الله تسع عشرة سنة وفى ملكه كان السنهودس الثانى بمدينة القسطنطينية اجتمع فيه مائة وخمسون اسقفا فلعنوا مقدونس واشياعه وكان فيه بطرق الاسكندرية وبطرق انطاكية وبطرق البيت المقدس والمدن التى تكون فيها كراسى البطرق أربع احداها رومية وهى لبطرس الحوارى والثانية الاسكندرية وهى لمرقس احد أصحاب الاناجيل الاربعة والثالثة القسطنطينية والرابعة انطاكية وهى لبطرس أيضا ولثمان سنين من ملكه ظهر أصحاب الكهف ثم ملك بعده ارقاديوس بن تدوس ثلاث عشرة سنة ثم ملك تدوس الصغير ابن تدوس الكبير اثنتين وأربعين سنة ولاحدى وعشرين سنة من ملكه كان السنهدوس الثالث بمدينة أفسوس وحضر هذا المجمع مائتا اسقف وكان سببه ماظهر من نسطورس بطرق القسطنطينية وهو رأس النسطورية من النصارى من مخالفة مذهبهم فلعنوه ونفوه فسار الى صعيد مصر فاقام ببلاد اخميم ومات بقرية يقال لها سيفلج وكثر اتباعه وصار بسبب ذلك بينهم وبين مخالفيهم حرب وقتال ثم دثرت مقالته الى ان أحياها برصوما مطران نصيبين قديما ومن العجائب ان الشهرستانى مصنف كتاب نهاية الاقدام فى الاصول ومصنف كتاب الملل والنحل فى ذكر المذاهب والآراء القديمة والجديدة ذكر فيه ان نسطور كان أيام المأمون وهذا تفرد به ولا أعلم له فى ذلك سلفا ثم ملك بعده مرقيان ست سنين وفى أول سنة من ملكه كان السنهدوس الرابع على تسقرس بطرق القسطنطينية اجتمع فيه ثلثمائة وثلاثون أسقفا وفى هذا المجمع خالفت اليعقوبية سائر النصارى ثم ملك ليون الكبير ست عشرة سنة ثم ملك ليون الصغير سنة وكان يعقوبى المذهب ثم ملك زينون سبع سنين وكان يعقوبيا فزهد فى الملك فاستخلف ابن اله فهلك فعاد الى الملك ثم ملك نسطاس سبعا وعشرين سنة وكان يعقوبى المذهب وهو الذى بنى عمورية فلما حفر أساسها أصاب فيه مالا وفى بالنفقة على بنائها وفضل منه شئ بنى به بيعا وديرة ثم ملك يوسطين سبع سنين وأكثر القتل فى اليعقوبية ثم ملك يوسطانوس تسعا وعشرين سنة وبنى بالرها كنيسة عجيبة وفى أيامه كان السنهدوس الخامس بالقسطنطينية فحرموا ادريجا أسقف منبج لقوله بتناسخ الارواح فى أجساد الحيوان وان الله يفعل ذلك جزاء لما ارتكبوه وفى أيامه كان بين اليعاقبة والملكية ببلاد مصر فتن وفى أيامه ثار اليهود بالبيت المقدس وجبل الخليل على النصارى فقتلوا منهم خلقا كثيرا وبنى الملك من البيع والديرة شيأ كثيرا ثم ملك يوسطينوس ثلاث عشرة سنة وفى أيامه كان كسرى أنوشروان ثم ملك طبار يوس ثلاث سنين وثمانية أشهر وكان بينه وبين أنوشروان مراسلات ومهاداة وكان مغرى بالبناء وتحسينه وتزويقه ثم ملك موريق عشرين سنة وأربعة أشهر وفى أيامه ظهر رجل من أهل مدينة حماة يعرف بمارون اليه تنسب المارونية من النصارى واحدث رأيا يخالف من تقدمه وتبعه خلق كثير بالشام ثم انهم انقرضوا ولم يعرف الآن منهم أحد وهذا موريق هو الذى قصده كسرى ابرويز حين انهزم من بهرام جوبين فزوجه ابنته وأمده بعساكر وأعاده الى ملكه على ماذكره ان شاء الله ثم ملك

على عجلة قريبة من الارض صغيرة البكرة معدة لهذا المعنى وشعره يجر على الارض وامرأة بيدها مكنسة تحثو التراب على رأسه وتنادى أيها الناس هذا ملككم بالامس قد صار فيكم حكمه وقد صار الى ماترون من ترك الدنيا وقبض روحه ملك الموت والحى القديم الذى لايموت فلا تغتروا بالحياة بعده وتقول كلاما هذا معناه من الترهيب والتزهيد فى هذا العالم ويطاف به شوارع المدينة ثم يفصل أربع قطع وقد هيئ له الصندل والكافور وسائر أنواع الطيب فيحرق بالنار ويذر رماده فى الرياح وكذا فعل أكثر أهل الهند بملوكهم وخواصهم لغرض يذكرونه ونحو يتيممونه فى المستقبل من الزمان والملك مقصور فى أهل بيت لاينتقل عنهم الى غيرهم وكذلك بيت الوزارة والقضاة وسائر أهل المراتب ولا تغير ولا تبدل والهند تمتنع من شرب الشراب ويعنفون شاربه لاعلى طريق التدين ولكن تنزها أن يوردوا على عقولهم مايغشيها ويزيلها عما وضعت له فيهم واذا صح عندهم عن ملك من ملوكهم شربه استحق

بعده فوقاس وكان من بطارقة موريق فوثب به فاغتاله فقتله وملك الروم بعده وكان ملكه ثمان سنين وأربعة أشهر ولما ملك تتبع ولد موريق وحاشيته بالقتل فلما بلغ ذلك ابرويز غضب وسير الجنود الى الشام ومصر فاحتوى عليهما وقتلوا من النصارى خلقا كثيرا وسيرد ذلك عند ذكر ابرويز ثم ملك هرقل وكان سبب ملكه ان عساكر الفرس لما فتكت في الروم ساروا حتى نزلوا على خليج القسطنطينية وحصروها وكان هرقل يحمل الميرة في البحر الى أهلها فحسن موقع ذلك من الروم وبانت شهامته وشجاعته وأحبه الروم فحماهم على الفتك بفوقاس وذكرهم سوء آثاره ففعلوا ذلك وقتلوه وملكوا عليهم هرقل

(ذكر الطبقة الثالثة من ملوك الروم بعد الهجرة)

فاولهم هرقل قد ذكر سبب ملكه وكان مدة ملكه خمسا وعشرين سنة وقيل احدى وثلاثين سنة وفي أيامه كان النبي صلى الله عليه وسلم ومنه ملك المسلمون الشام ثم ملك بعده ابنه قسطنطين وقيل هو ابن أخيه قسطنطين وكان ملكه تسع سنين وستة أشهر وسيرد خبره عند ذكر غزاة الصوارى ان شاء الله وفي أيامه كان السنهدوس السادس على لعن رجل يقال له قورس الاسكندري خالف الملكية ووافق المارونية ثم ملك بعده ابنه قسطا خمس عشرة سنة في خلافة علي عليه السلام ومعاويه ثم ملك هرقل الاصغر بن قسطنطين أربع سنين وثلاثة أشهر ثم ملك قسطنطين بن قسطا ثلاث عشرة سنة بعض أيام معاوية وأيام يزيد وابنه معاوية ومروان بن الحكم وصدرا من أيام عبد الملك ثم ملك اسطينان المعروف بالاخرم تسع سنين أيام عبد الملك ثم خلعه الروم وخرموا أنفه وحمل الى بعض الجزائر فهرب ولحق بملك الخزر واستنجده فلم ينجده فانتقل الى ملك برجان ثم ملك بعده لونطش ثلاث سنين ايام عبد الملك ثم ترك الملك وترهب ثم ملك السمين المعروف بالطرسوسي سبع سنين فقصده اسطينان ومعه برجان وجرى بينهما حروب كثيرة وظفر به اسطينان وخلعه وعاد الى ملكه فكان ذلك أيام الوليد بن عبد الملك واستقر اسطينان وكان قد شرط الملك برجان ان يحمل اليه خراجا كل سنة فعسف الروم وقتل بها خلقا كثيرا فاجتمعوا عليه وقتلوه فكان ملكه الثاني سنتين ونصفا وكان قتله أول دولة سليمان بن عبد الملك ثم ملك نسطاس ابن فيلفوس وكان في أيامه اختلاف بين الروم فخلعوه ونفوه ثم ملك تيدوس المعروف بالارمني في أيام سليمان بن عبد الملك أيضا وهو الذي حصره مسلمة بن عبد الملك ثم ملك بعده اليون بن قسطنطين لضعفه عن الملك وضمن أليون للروم رد المسلمين عن القسطنطينية فملكوه فكان ملكه ستا وعشرين سنة ومات في السنة التي بويع فيها الوليد بن يزيد بن عبد الملك ثم ملك بعده ابنه قسطنطين احدى وعشرين سنة وفي أيامه انقرضت الدولة الاموية وتوفي لعشر سنين مضت من أيام منصور ثم ملك بعده ابنه اليون تسع عشرة سنة وأربعة أشهر بقية أيام منصور وتوفي في خلافة المهدي ثم ملك بعده رينى امرأة اليون بن قسطنطين ومعها ابنها قسطنطين بن اليون وهي تدبر الامر بقية أيام المهدي والهادي وصدرا من خلافة الرشيد فلما كبر ابنها أفسد ما بينه وبين الرشيد وكانت أمه مهادنة له فقصده الرشيد وجرى له معه وقعة فانهزم وكاد يؤخذ فكحلته أمه وانفردت بالملك بعده خمس سنين وهادنت الرشيد ثم ملك بعدها نقفور واخذ الملك منها وكان ملكه سبع سنين وثلاثة أشهر وهو نقفور بن استبراق وكنت قد رأيته مضبوطا بكثير من الكتب بسكون القاف حتى رأيت رجلا زعم ان اسمه نقفور بفتح القاف وعهد نقفور الى ابنه استبراق بالملك بعده

وهو

الخلع عن ملكه اذ كان لا يتأتى التدبير والسياسة مع الاختلاط وربما يسقون الجواري فيطرب بحضرتهم فنطرب الرجال لطرب الجواري وللهند سياسات كثيرة قد أتينا على ذكر كثير منها ومن اخبارهم وسيرهم في كتابنا اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا وأعظم ملوك الهند في وقتنا هذا البلهرا صاحب مدينة المانكير وأكثر ملوك الهند تتوجه في صلواتها نحوه وتصلي لرسله اذا وردوا عليهم وتلي مملكة البلهرا ممالك كثيرة للهند منهم ملوك في الجبال لا بحر لهم مثل الراى صاحب القشمير وملك الطافي وغير ذلك من ملوكهم أعني ملوك الهند ومنهم من مملكته برو بحر فأما البلهرا فان بين دار ملكه وبين البحر مسيرة ثمانين فرسخا سندية والفرسخ ثمانية أميال وله جيوش وفيلة لا يدرى كثرتها وأكثر جيوشه رجالة لان دار ملكه بين الجبال ويساويه من ملوك الهند ممن لا بحر له بزورة صاحب مدينة القنوج وهذا الاسم تفسيره الذي على الشمال والجنوب والصبا والدبور لانه في كل

وهو أول من فعل ذلك في الروم ولم يكن يعرف قبله وكانت ملوك الروم قبل نقفور تخاق لحاها وكذلك ملوك الفرس فلم يفعله نقفور وكانت ملوك الروم قبله تكتب من فلان ملك النصرانية فكتب نقفور من فلان ملك الروم وقال لست ملك النصرانية كلها وكانت الروم تسمى العرب سارقيوس يعني عبيد سارة بسبب هاجر أم اسمعيل فنهاهم عن ذلك وجرى بين نقفور وبين برجان حرب سنة ثلاث وتسعين ومائة فقتل فيها ثم ملك بعده ابنه استبراق بعهد من أبيه اليه وكان ملكه شهرين ثم ملك بعده ميخائيل بن جرجس وهو ابن عم نقفور وقيل ابن استبراق وكان ملكه سنتين في أيام الامين وقيل أكثر من ذلك فوثب به اليون المعروف بالبطريق وغلب على الامر وحبسه ثم ملك بعده اليون البطريق سبع سنين وثلاثة أشهر فوثب به أصحاب ميخائيل في خلاص صاحبهم وقتل اليون ثم فتح لهم ذلك وعاد ميخائيل الى الملك وقيل انه كان قد ترهب أيام اليون وكان ملكه هذه الدفعة الثانية تسع سنين وقيل أكثر من ذلك ثم ملك بعده ابنه توفيل بن ميخائيل أربع عشرة سنة وهو الذي فتح زبطرة وسار المعتصم بسبب ذلك وفتح عمورية وكان موته أيام الواثق ثم ملك بعده ابنه ميخائيل ثمانيا وعشرين سنة وكانت أمه تدبر الملك معه وأراد قتلها فترهبت وخرج عليه رجل من أهل عمورية من أبناء الملوك السالفة يعرف بابن بقراط فلقيه ميخائيل فيمن عنده من أساري المسلمين فظفر به ميخائيل فقتل به ثم خرج عليه بسيل الصقلبي فاستولى على الملك وقتل ميخائيل سنة ثلاث وخمسين ومائتين ثم ملك بعده بسيل الصقلبي عشرين سنة أيام المعتز والمهتدي وصدرا من أيام المعتمد وكانت أمه صقلبية فنسب اليها وقد غلط حمزة الاصفهاني فيه فقال عند ذكر ميخائيل ثم انتقل الملك عن الروم وصار في الصقالب فقتله بسيل الصقلبي ظنا منه ان أباه كان صقلبيا ثم ملك بعده ابنه اليون بن بسيل ستا وعشرين سنة أيام المعتمد والمعتضد والمكتفي وصدرا من أيام المقتدر وقيل ان وفاته كانت سنة سبع وتسعين ومائتين ثم ملك أخوه الاسكندر وس سنة وشهرين ومات بالدبيلة وقيل انه اغتيل لسوء سيرته ثم ملك بعده قسطنطين بن اليون وهو صبي وتولى الامر له بطريق بطريق البحر واسمه ارماس وشرط على نفسه شروطا منها انه لا يطلب الملك ولا يلبس التاج لا هو ولا أحد من أولاده فلم يمض غير سنتين حتى خوطب هو وأولاده بالملوك وجلس مع قسطنطين على السرير وكان له ثلاثة من الولد فخصى أحدهم وجعله بطرقا ليأمن من المنازعة فان البطرق يحكم على الملك فبقي على حاله الى سنة ثلاثين وثلثمائة من الهجرة فاتفق أبناه مع قسطنطين الملك على ازالة أبيهما فدخلا عليه وقبضاه وسيراه الى دير له في جزيرة بالقرب من القسطنطينية وأقام ولداه مع قسطنطين نحو أربعين يوما وأرادا الفتك به فسبقهما الى ذلك وقبض عليهما وسيرهما الى جزيرتين في البحر فوثب أحدهما بالموكل به فقتله وأخذه أهل تلك الجزيرة فقتلوه وأرسلوا رأسه الى قسطنطين الملك فجزع لقتله وأما أرمانوس فانه مات بعد أربع سنين من ترهبه ودام ملك قسطنطين بقية أيام المقتدر والقاهر والراضي والمستكفي وبعض أيام المطيع ثم خرج على قسطنطين هذا قسطنطين ابن اندرونقس وكان أبوه قد توجه الى المكتفي سنة أربع وتسعين ومائتين وأسلم على يده وتوفي فهرب ابنه هذا على طريق ارمينية واذربيجان الى بلاد الروم فاجتمع عليه خلق كثير وكثر اتباعه فسار الى القسطنطينية ونازع الملك قسطنطين في ملكه وذلك سنة احدى وثلثمائة فظفر به الملك فقتله وخرج عن طاعته أيضا صاحب رومية وهي كرسي ملك الافرنج وتسمى بالملك ولبس ثياب الملوك وكان قبل ذلك يطيع ملوك الروم أصحاب القسطنطينية ويصدرون عن أمرهم فلما كان سنة أربعين وثلثمائة قوي ملك رومية

وجمن هذه الوجوه يلقي ملكا محاذيا له وسنذكر جملا من أخبار ملوك السند والهند وغيرهم من ملوك الارض فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك وغير ذلك وان كنا قد اسلفنا ذلك فيما تقدم من كتبنا والله أعلم

(ذكر الارض والبحار ومبادي الانهار والجبال والاقاليم السبعة وما والاها من الكواكب وترتيب الافلاك وغير ذلك)

قسمت الحكماء الارض الى جهة المشرق والمغرب والشمال والجنوب وقسموا ذلك الى قسمين مسكون وغير مسكون وعامر وغير عامر وذكروا أن الارض مستديرة ومركزها في وسط الفلك والهواء محيط بها من كل الجهات وانها عند فلك البروج بمنزلة النقطة وأخذوا عمرانها من حدود الجزائر الخالدات في بحر أوقيانوس الغربي وهي ستة أجزاء عامرة الى أقصى عمران الصين فوجدوا ذلك اثنى عشر فعلموا أن الشمس اذا غابت في أقصى الصين كان طلوعها على الجزائر العامرة

نخرج عن طاعته فأرسل اليه قسطنطين العساكر يقاتلونه ومن معه من الفرنج فالتقوا واقتتلوا فانهزمت الروم وعادت الى القسطنطينية منكوبة فكف حينئذ قسطنطين عن معارضته ورضي بالمسالمة وجرى بينهما مصاهرة فزوّج قسطنطين ابنه ارمانوس بابنة ملك رومية ولم يزل أمر الافرنج بعد هذا يقوى ويزداد ويتسع ملكهم كالاستيلاء على بعض بلاد الاندلس على ما نذكره وكأخذهم جزيرة صقلية وبلاد ساحل الشام والبيت المقدس على ما نذكره وفي آخر الامر ملكوا القسطنطينية سنة احدى وستمائة على ما نذكره ان شاء الله ومما ينبغي ان يلحق بهذا ان الطوائف من الترك اجتمعت منهم البجناك والبختي وغيرهما وقصدوا مدينة للروم تسمى وليدر سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وحصروها فبلغ خبرهم الى أرمانوس فسير اليهم عسكرا كثيفا فيهم من المتنصرة اثنا عشر ألفا فاقتتلوا اقتتالا شديدا فانهزم الروم واستولى الترك على المدينة وخرّبوها بعد ان اكثروا القتل فيها والسبي والنهب ثم ساروا الى القسطنطينية وحصروها أربعين يوما وأغاروا على بلاد الروم واتصلت غاراتهم الى بلاد الافرنج ثم عادوا راجعين

﴿ذكر وصول قبائل العرب الى العراق ونزولهم الحيرة﴾

قال ابن الكلبي لما مات بختنصر انضم الذين اسكنهم الحيرة من العرب الى أهل الانبار وبقيت الحيرة خرابا دهرا طويلا وأهلها بالانبار لا يطلع عليهم قادم من العرب فلما كثر أولاد معد بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب وفرقتهم الحروب خرجوا يطلبون الريف فيما يليهم من اليمن ومشارق الشام وأقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين وبها جماعة من الازد وكان الذين أقبلوا من تهامة مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم الله بن اسد بن وبرة بن قضاعة ومالك بن زهير بن عمرو بن فهم في جماعة من قومهم والحيقار بن الحنق بن عمير بن قنص بن معد بن عدنان في قنص كلها ولحق بهم غطفان بن عمرو بن الطمثان بن عوذمناة بن يقدم بن افصى بن دعمى بن اياد بن نزار بن معد بن عدنان وغيره من اياد فاجتمع بالبحرين قبائل من العرب وتحالفوا على التنوخ وهو المقام وتعاقدوا على التناصر والتساعد فصاروا يدا واحدة وضمهم اسم تنوخ وتنخ عليهم بطون من غارة بن لخم ودعا مالك بن زهير جذيمة الابرش بن مالك بن فهم بن غانم بن أوس الازدي الى التنوخ معه وزوّجه أخته لميس فتنخ جذيمة وكان اجتماعهم ايام ملوك الطوائف وانما سموا ملوك الطوائف لان كل ملك منهم كان ملكه على طائفة قليلة من الارض قال ثم تطلعت أنفس من كان بالبحرين الى ريف العراق فطمعوا في ان يغلبوا الاعاجم فيما يلي بلاد العرب أو مشاركتهم فيه لاختلاف بين ملوك الطوائف فاجمعوا على المسير الى العراق فكان أول من تطلع منهم الحيقار بن الحنق في جماعة من قومه واخلاط من الناس فوجدوا الارمانيين وهم الذين ملكوا أرض بابل وما يليها الى ناحية الموصل يقاتلون الاردوانيين وهم ملوك الطوائف وهو ما بين نفر وهي قرية من سواد العراق الى الابلة فدفعوهم عن بلادهم والارمانيون من بقايا ارم فلهذا سموا الارمانيين وهم نبط السواد ثم طلع مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم الله وغيرهم من تنوخ الى الانبار على ملك الارمانيين وطلع غارة ومن معه الى نفر على ملك الاردوانيين وكانوا لا يدينون للاعاجم حتى قدمها تبع وهو اسعد أبو كرب بن مليكيكرب في جيوشه فخلف بها من لم يكن فيه قوة من عسكره وسار تبع ثم رجع اليهم فاقرهم على حالهم ورجع الى اليمن وفيهم من كل القبائل ونزلت تنوخ من الانبار الى الحيرة في الاخبية لا يسكنون بيوت المدر وكان أول من ملك منهم مالك بن فهم وكان منزله مما يلي الانبار ثم

المذكورة التي في بحر أوقيانوس الغربي واذا غابت في هذه الجزائر كان طلوعها في أقصى الصين وذلك نصف دائرة الارض وهو طول العمران الذي ذكروا أنهم وقفوا عليه ومقداره من الاميال ثلاثة عشر الف ميل وخمسمائة ميل من الاميال التي عملوا عليها في مساحة دور الارض ثم نظروا الى العروض فوجدوا العمران مما وضع خط الاستواء عليه من الارض الى ناحية الشمال تنتهي الى جزيرة تولى التي في برطانية حيث يكون طول النهار الاطول عشرين ساعة وذكروا أن موضع خط الاستواء من الارض يقطع فيما بين المشرق والمغرب في جزيرة الهند والحبش من ناحية الجنوب فعرض ما بين الشمال والجنوب في النصف مما بين الجزائر العامرة وأقصى عمران الصين وهو قبة الارض المعروفة بما ذكرنا ويكون العرض من خط الاستواء الى جزيرة تولى قريبا من ستين جزأ وذلك سدس دائرة الارض واذا ضرب هذا السدس الذي هو مقدار العرض في النصف الذي هو مقدار الطول كان مقدار ما ظهر

مات مالك فملك بعده أخوه عمرو بن فهم بن غانم بن دوس الازدى ثم مات فملك بعده جذيمة الابرش ابن فهم وقيل ان جذيمة من العادية الاولى من بنى دمار بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام والله أعلم

﴿ذكر جذيمة الابرش﴾

قال وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأيا وأبعدهم مغارا وأشدهم نكاية وأول من استجمع له الملك بأرض العراق وضم اليه العرب وغزا بالجيوش وكان به برص فكنت العرب عنه فقيل الوضاح والابرش اعظاما له وكان منازله ما بين الحيرة والانبار وبقة وهيت وعين التمر وأطراف البر الى العمير وخفية وتجبى اليه الاموال وتفد اليه الوفود وكان غزا طسما وجديسا فى منازلهم من اليمامة فاصاب حسان بن تبع اسعد أبى كرب قد أغار عليهم فعاد بمن معه وأصاب حسان سرية لجذيمة فاجتاحها وكان له صنمان يقال لهما الضيزنان وكانت اياد بعين أباغ فذكر لجذيمة غلام من لخم فى اخواله من اياد يقال له عدى بن نصر بن ربيعة له جمال وظرف فغزاهم جذيمة فبعث ايادمن سرق صنميه وحملهما الى اياد فارسلت اليه ان صنميك أصبحا فينا ازهدا فيك فان أوثقت لنا ان لا تغزونا دفعناهما اليك قال وتدفعون معهما عدى بن نصر فاجابوه الى ذلك وأرسلوه مع الصنمين فضمه الى نفسه وولاه شرابه فأبصرته رقاش أخت جذيمة فعشقته وراسلته ليخطبها الى جذيمة فقال لا أجترئ على ذلك ولا أطمع فيه قالت اذا جلس على شرابه فاسقه صرفا واسق القوم ممزوجا فاذا أخذت الخمر فيه فاخطبنى اليه فلن يردك فاذا زوجك فاشهد القوم ففعل عدى ما أمرته فاجابه جذيمة واملكه اياها فانصرف اليها فاعرس بها من ليلته وأصبح بالخلوق فقال له جذيمة وأنكر ما رأى به ماهذه الآثار ياعدى قال آثار العرس قال أى عرس قال عرس رقاش قال من زوجكها ويحك قال الملك فندم جذيمة وأكب على الارض متفكرا وهرب عدى فلم يرله أثر ولم يسمع له بذكر فأرسل اليها جذيمة

خبرينى وأنت لا تكذبينى * أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد فأنت أهل لعبد * أم بدون فأنت أهل لدون

فقالت لا بل أنت زوجتنى امرأ عربيا حسيبا ولم تستأمرنى فى نفسى فكف عنها وعذرها ورجع عدى الى اياد فكان فيهم فخرج يوما مع فتية متصيدين فرمى به فتى منهم فيما بين جبلين فتكسر فمات فحملت رقاش فولدت غلاما فسمته عمرا فلما ترعرع وشب البسته وعطرته وأزارته خاله فلما رآه أحبه وجعله مع ولده وخرج جذيمة متبديا بأهله وولده فى سنة خصيبة فاقام فى روضة ذات زهر وغدر فخرج ولده وعمرو معهم يجتنون الكمأة فكانوا اذا أصابوا كمأة جيدة أكلوها واذا أصابها عمرو خبأها فانصرفوا الى جذيمة يتعادون وعمرو يقول

هذا جناى وخياره فيه * اذ كل جان يده فى فيه

فضمه جذيمة اليه والتزمه وسر بقوله وامر فجعل له حلى من فضة وطوق فكان اول عربى ألبس طوقا فبينا هو على أحسن حالة اذا استطارته الجن فطلبه جذيمة فى الآفاق زمانا فلم يقدر عليه ثم أقبل رجلان من بلقين قضاعة يقال لهما مالك وعقيل ابنا فارج بن مالك من الشام يريدان جذيمة واهديا له طرفا فنزلا منزلا ومعهما قينة لهما تسمى أم عمرو فقدمت طعاما فبينما هما يأكلان اذ اقبل فتى عريان قد تلبد شعره وطالت أظفاره وساءت حاله فجلس ناحية عنهما ومد يده يطلب الطعام فناولته القينة كراعا فأكلها ثم مد يده ثانية فقالت لا تعط العبد الكراع فيطمع فى الذراع فذهبت مثلا ثم سقتهما من شراب معها وأوكت زقها فقال عمرو بن عدى

من العمران من ناحية الشمال مقدار نصف سدس دائرة القمر واما الاقاليم السبعة فأولها أرض بابل منه خراسان وفارس والاهواز والموصل وأرض الجبال له من البروج الحمل والقوس ومن الانجم السبعة المشترى والاقليم الثانى الهند والسند والسودان له من البروج الجدى ومن الانجم السبعة زحل والاقليم الثالث مكة والمدينة واليمن والطائف والحجاز وما بينها له من البروج العقرب ومن الانجم السبعة الزهرة وهى سعد الفلك والاقليم الرابع مصر وافريقية والبربر والاندلس وما بينها له من البروج الجوزاء ومن الانجم السبعة عطارد والاقليم الخامس الشام والروم والجزيرة له من البروج الدلو ومن الانجم السبعة القمر والاقليم السادس الترك والخزر والديلم والصقالبة له من البروج السرطان ومن الانجم السبعة المريخ والاقليم السابع الديبل والصين له من البروج الميزان ومن الانجم السبعة الشمس * ذكر جلس المنجم صاحب كتاب الزيج فى النجوم عن خالد بن عبد الله المروزى وغيره وقد كانوا

صددت الكاس عنا أم عمرو * وكان الكاس مجراها اليمينا
وما شر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لا تصبحينا

فسألاه عن نفسه فقال ان تنكرانى وتنكرا نسبى فانى أنا عمرو بن عدى ابن تنوخية اللخمى وغدا ما تريانى فى غمارة غير معصى فنهضا وغسلا رأسه وأصلحا حاله وألبساه ثيابا وقالا ما كنا لنهدى لجذيمة أنفس من ابن اخته فخرجا به الى جذيمة فسر به سرورا شديدا وقال لقد رأيته يوم ذهب وعليه طوق فما ذهب من عينى وقلبى الى الساعة وأعادوا عليه الطوق فنظر اليه وقال كبر عمرو عن الطوق وارسلها مثلا وقال لمالك وعقيل ما حكمكما فالا حكمنا منادمتك ما بقينا وبقيت فهما ندمانا جذيمة اللذان يضرب بهما المثل وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشام عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة العمليقى من عاملة العمالقة فتحارب هو وجذيمة فقتل عمرو وانهزمت عساكره وعاد جذيمة سالما وملكت بعد عمرو ابنته الزباء واسمها نائلة وكان جنود الزباء بقايا العماليق وغيرهم وكان لها من الفرات الى تدمر فلما استجمع لها أمرها واستحكم ملكها اجتمعت لغزو جذيمة تطلب بثار أبيها فقالت لها أختها زبيبة وكانت عاقلة ان غزوت جذيمة فانما هو يوم له ما بعده والحرب سجال وأشارت بترك الحرب واعمال الحيلة فأجابتها الى ذلك وكتبت الى جذيمة تدعوه الى نفسها وملكها وكتبت اليه انها لم تجد ملك النساء الا قبحا فى السماع وضعفا فى السلطان وانها لم تجد لملكها ولا لنفسها كفؤا غيره فلما انتهى كتاب الزباء اليه استخف مادعته اليه وجمع اليه ثقاته وهو ببقة من شاطئ الفرات فعرض عليهم مادعته اليه واستشارهم فأجمع رأيهم على ان يسير اليها ويستولى على ملكها وكان فيهم رجل يقال له قصير بن سعد من لخم وكان سعد تزوج أمة لجذيمة فولدت له قصيرا وكان أديبا حازما ناصحا لجذيمة قريبا منه فخالفهم فيما أشاروا به عليه وقال رأى فاتر وعدو حاضر فذهبت مثلا وقال لجذيمة اكتب اليها فان كانت صادقة فلتقبل اليك والا لم تمكنها من نفسك وقد وترتها وقتلت أباها فلم يوافق جذيمة ما أشار به قصير وقال له لا ولكنك امرؤ رأيك فى الكن لا فى الضح فذهبت مثلا ودعا جذيمة ابن أخته عمرو بن عدى فاستشاره فشجعه على المسير وقال ان غمارة قومى مع الزباء فلو رأوك صاروا معك وأطاعوك فقال قصير لا يطاع لقصير أمر وقالت العرب ببقة أبرم الامر فذهبتا مثلا واستخلف جذيمة عمرو بن عدى على ملكه وعمرو بن عبد الجن على خيوله معه وسار فى وجوه أصحابه فلما نزل الفرضة قال لقصير ما الرأى قال ببقة تركت الرأى فذهبت مثلا واستقبله رسل الزباء بالهدايا والالطاف فقال يا قصير كيف ترى قال خطر يسير وخطب كبير فذهبت مثلا وستلقاك الخيول فان سارت امامك فان المرأة صادقة وان أخذت جنبيك وأحاطت بك فان القوم غادرون فاركب العصا وكانت فرسا لجذيمة لا تجارى فانى راكبها ومسايرك عليها فلقيته الكتائب فحالت بينه وبين العصا فركبها قصير ونظر اليه جذيمة موليا على متنها فقال ويل أمه حزما على متن العصا * فذهبت مثلا وقال ماضل من تجرى به العصا فذهبت مثلا وجرت به الى غروب الشمس ثم نفقت وقد قطعت أرضا بعيدة فبنى عليها برجا يقال له برج العصا وقالت العرب خير ما جاءت به العصا مثل تضرب به وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيول حتى دخل على الزباء فلما رأته تكشفت فاذا هى مظفورة الاسب والاسب بالباء الموحدة هو شعر الاست وقالت له يا جذيمة أداب عروس ترى فذهبت مثلا فقال بلغ المدى وجف الثرى وأمر غدر أرى فذهبت مثلا فقالت له أما والهى ما بنا من عدم مواس ولا قلة أواس ولكنها شيمة ما اناس فذهبت مثلا

وقالت

وصدوا الشمس لامير المؤمنين المأمون فى برية سنجار من بلاد ديار ربيعة ان مقدار درجة واحدة من وجه الارض ستة وخمسون ميلا فضربوا مقدار درجة واحدة فى ثلثمائة وستين فوجد دور منطقة كرة الارض المحيطة بالبر والبحر عشرين ألف ميل ومائة وستين ميلا ثم ضربوا دور الارض فى سبعة فاجتمع مائة ألف ميل وأحد وأربعون ألف ميل ومائة وعشرون ميلا فقسموا ذلك على اثنين وعشرين وخرج القسم الذى هو مقدار قطر الارض ستة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر ميلا ونصف عشر بالتقريب ونصف قطر الارض ثلاثة آلاف ميل ومائتا ميل وسبعة أميال وست عشرة دقيقة وثلثا ثانية يكون ربع ميل وربع عشر ميل والميل أربع آلاف ذراع بالاسود وهى الذراع التى وضعها أمير المؤمنين المأمون للثياب ومساحة البناء وقسمة المنازل والذراع مائة وعشرون اصبعا (قال المسعودى) وقد ذكر بطليموس فى الكتاب المعروف بجغرافيا صفة الارض ومدنها وجبالها وما فيها من البحار والجزائر والانهار والعيون ووصف المدن المسكونة

وقالت له انبئت ان دماء الملوك شفاء من الكلب ثم أجلسته على نطع وأمرت بطست من ذهب فأعدّ له وسقته الخمر حتى أخذت منه مأخذها ثم أمرت براهشيه فقطعا وقدمت اليه الطست وقد قيل لها ان قطر من دمه شئ في غير الطست طلب بدمه وكانت الملوك لا تقتل بضرب الرقبة الا في قتال تكرمة للملك فلما ضعفت يداه سقطتا فقطر من دمه في غير الطست فقالت لا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة دعوا دما ضيعه أهله فذهبت مثلا فهلك جذيمة وخرج قصير من الحي الذين هلكت العصا بين أظهرهم حتى قدم على عمرو بن عدي وهو بالحيرة فوجده قد اختلف هو وعمرو ابن عبد الجن فأصلح بينهما وأطاع الناس عمرو بن عدي وقال له قصير تهيأ واستعد ولا تطل دم خالك فقال كيف لي بها وهي أمنع من عقاب الجو فذهبت مثلا وكانت الزباء سألت كهنة عن أمرها وهلاكها فقالوا الها ترى هلاكك بسبب عمرو بن عدي ولكن حتفك بيدك فحذرت عمرا واتخذت نفقا من مجلسها الى حصن لها داخل مدينتها ثم قالت ان فجأني أمر دخلت النفق الى حصني ودعت رجلا مصوّرا حاذقا فأرسلته الى عمرو بن عدي متنكرا وقالت له صوّره جالسا وقائما ومتفضلا ومتنكرا ومتسلحا بهيئته ولبسه ولونه ثم أقبل الي ففعل المصوّر ما أوصته الزباء وعاد اليها وأرادت ان تعرف عمرو بن عدي فلا تراه على حال الا عرفته وحذرته وقال قصير لعمرو اجدع أنفي واضرب ظهري ودعني واياها فقال عمرو ما أنا بفاعل فقال قصير خل عني اذا وخلاك ذم فذهبت مثلا فقال عمرو فانت أبصر فجدع قصير أنفه ودق ظهره وخرج كأنه هارب وأظهر ان عمرا فعل ذلك به وسار حتى قدم على الزباء فقيل لها ان قصيرا بالباب فأمرت به فادخل عليها فاذا أنفه قد جدع وظهره قد ضرب فقالت لامر ما جدع قصير أنفه فذهبت مثلا فقالت ما الذي أرى بك يا قصير قال زعم عمرو اني غدرت خاله وزينت له المسير اليك ومالأتك عليه ففعل بي ما ترين فأقبلت اليك وعرفت اني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك فأكرمته وأصابت عنده بعض ما أرادت من الحزم والرأي والتجربة والمعرفة بأمور الملك فلما عرف انها قد استرسلت اليه ووثقت به قال لها ان لي بالعراق أموالا كثيرة ولي بها طرائف وعطر فابعثيني لاحمل مالي وأحمل اليك من طر[illegible] وصنوف ما يكون بها من التجارات فتصيبين أرباحا وبعض ما لا غنى للملوك عنه فسرحته ودفعت اليه أموالا وجهزت معه عيرا فسار حتى قدم العراق وأتى عمرو بن عدي متخفيا وأخبره الخبر وقال جهزني بالبز والطرف وغير ذلك لعل الله يمكنك من الزباء فتصيب ثارك وتقتل عدوك واعطاه حاجته فرجع بذلك كله الى الزباء فعرضه عليها فأعجبها وسرها وازدادت به ثقة ثم جهزته بعد ذلك بأكثر مما جهزته به في المرة الاولى فسار حتى قدم العراق وحمل من عند عمرو حاجته ولم يدع طرفة ولا متاعا قدر عليه ثم عاد الثالثة فأخبر عمرا الخبر وقال اجمع لي ثقاة أصحابك وجندك وهيئ لهم الغرائر وهو أوّل من عملها وحمل كل رجلين على بعير في غرارتين وجعل معقد رؤسهما من باطنهما وقال له اذا دخلت مدينة الزباء أقمتك على باب نفقها وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا باهل المدينة فمن قاتلهم قاتلوه وان أقبلت الزباء تريد نفقها قتلتها ففعل عمرو ذلك وساروا فلما كانوا قريبا من الزباء تقدم قصير اليها فبشرها وأعلمها كثرة ما حمل من الثياب والطرائف وسألها ان تخرج وتنظر الى الابل وما عليها وكان قصير يكمن النهار ويسير الليل وهو أوّل من فعل ذلك فخرجت الزباء فابصرت الابل تكاد قوائمها تسوخ في الارض فقالت يا قصير

ما للجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردا شديدا * أم الرجال جثما قعودا

والمواضع العامرة وان عددها أربع آلاف وخمسمائة وثلاثون مدينة في عصره وسماها مدينة مدينة في أقاليم اقليم وذكر في هذا الكتاب ألوان جبال الدنيا من الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك من الالوان وان عددها مائتا جبل ونيف وذكر مقدارها وما فيها من المعادن والجواهر وذكر الفيلسوف هذا أن عدد البحار المحيطة بالارض خمسة أبحر وذكر ما فيها من الجزائر والعامر منها وغير العامر وما اشتهر من الجزائر دون ما لم يشتهر وذكر ان في البحر الحبشي جزائر منه لها نحوا من ألف جزيرة يقال لها الدبيجات عامرة كلها وذكر بطليموس في جغرافيا أن ابتداء بحر مصر من الروم الى بحر الاصنام النحاس وان جميع العيون الكبار التي تنبع من الارض مائتا عين وثلاثون عينا دون ما عداها من الصغار وان عدد الانهار الكبار الجارية في الاقاليم سبعة على حسب ما قدمناه في عدة الاقاليم وكل اقليم سعته تسعمائة فرسخ في مثلها وفي البحار ما هو معمور بالحيوان ومنها ما ليس بمعمور وهو اقيانوس البحر المحيط وسنأتي

ودخلت الابل المدينة فلما توسطتها أنيخت وخرج الرجال من الغرائر ودل عمرو على باب النفق
وصاحوا باهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح وقام عمرو على باب النفق وأقبلت الزباء تريد الخروج
من النفق فلما أبصرت عمرا قائما على باب النفق فعرفته بالصورة التي عملها المصور فمصت سما
كان في خاتمها فقالت بيدي ولا بيد عمرو فذهبت مثلا وتلقاها عمرو بالسيف فقتلها وأصاب
ما أصاب من المدينة ثم عاد الى العراق وصار الملك بعد جذيمة لابن أخته عمرو بن عدي بن نصر بن
ربيعة بن عمرو بن الحرث بن مسعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم وهو أول من اتخذ الحيرة منزلا
من ملوك العرب فلم يزل ملكا حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل مائة وثماني عشرة سنة
منها أيام ملوك الطوائف خمس وتسعون سنة وأيام أردشير بن بابك أربع عشرة سنة وأشهر وأيام
ابنه سابور بن اردشير ثمان سنين وشهران وكان منفردا بملكه يغزو المغازي ولا يدين لملوك
الطوائف الى ان ملك اردشير بن بابك أهل فارس ولم يزل الملك في ولده الى ان كان آخرهم
النعمان بن المنذر الى أيام ملوك كندة على ما نذكره ان شاء الله وقيل في سبب مسير ولد نصر بن
ربيعة الى العراق غير ما تقدم وهو رؤيا رآها ربيعة وسيرد ذكرها عند أمر الحبشة ان شاء الله تعالى

(ذكر طسم وجديس وكانوا أيام ملوك الطوائف)

كان طسم بن لوذ بن أزهر بن سام بن نوح وجديس بن عامر بن أزهر بن سام ابني عم وكانت مساكنهم موضع اليمامة وكان اسمها حينئذ جوا وكانت من أخصب البلاد وأكثرها خيرا وكان ملكهم أيام ملوك الطوائف عمليق وكان ظالما قد تمادى في الظلم والغشم والسيرة الكثيرة القبح وان امرأة من جديس يقال لها هزيلة طلقها زوجها وأراد أخذ ولدها منها فخاصمته الى عمليق وقالت أيها الملك حملته تسعا ووضعته دفعا وأرضعته شفعا حتى اذا تمت أوصاله ودنا فصاله أراد ان يأخذه مني كرها ويتركني بعده ورها فقال زوجها أيها الملك انها أعطيت مهرها كاملا ولم أصب منها طائلا الا وليدا خاملا فافعل ما كنت فاعلا فامر الملك بالغلام فصار في غلمانه وان تباع المرأة وزوجها فيعطى زوجها خمس ثمنها وتعطى المرأة عشر ثمن زوجها فقالت هزيلة

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا * فانفذ حكما في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورعا * ولا كنت فيمن يبرم الحكم عالما
ندمت ولم أندم واني بعثرتي * وأصبح بعلي في الحكومة نادما

فلما سمع عمليق قولها أمر أن لا تزوج بكر من جديس وتهدى الى زوجها حتى يفترعها فلقوا من ذلك بلاء وجهدا وذلا ولم يزل يفعل ذلك حتى زوجت الشموس وهي عفيرة بنت عباد أخت الاسود فلما أرادوا حملها الى زوجها انطلقوا بها الى عمليق لينالها قبله ومعها الفتيان فلما دخلت عليه افترعها وخلى سبيلها فخرجت الى قومها في دمائها وقد شقت درعها من قبل ومن دبر والدم يبين وهي في أقبح منظر تقول

لا أحد أذل من جديس * أهكذا يفعل بالعروس
يرضى بذا يا قوم بعل حر * أهدى وقد أعطى وسيق المهر

وقالت أيضا تحرض قومها

أيجمل ما يؤتى الى فتياتكم * وأنتم رجال فيكم عدد النمل
وتصبح تمشي في الدماء عفيرة * جهارا وزفت في النساء الى بعل

فيما يرد من هذا الكتاب على ذكر جمل في تفصيل البحار ووصفها وهذه البحار كلها في كتاب جغرافيا بأنواع من الاصباغ مختلفة المقادير في الصورة منها ما هو على صورة الطيلسان ومنها ما هو على صورة الشابورة ومنها مصراني الشكل ومنها مدور ومنها مثلث الا ان أسماءها في هذا الكتاب باليونانية متعذر فهمها وان قطر الارض ألفان ومائة فرسخ تقدير كل فرسخ ستة عشر ألف ذراع والذي يحيط به باسفل دائرة النجوم هو فلك القمر فانه ألف فرسخ وخمسة وعشرون ألفا وثمانمائة وستون فرسخا وان قطر الارض من حد رأس الحمل الى الميزان أربعون ألف فرسخ بتقدير هذه الفراسخ وتقدير هذه الافلاك تسعة فأولها وهو أصغرها وأقربها الى الارض للقمر والثاني لعطارد والثالث للزهرة والرابع للشمس والخامس للمريخ والسادس للمشتري والسابع لزحل والثامن للكواكب الثابتة والتاسع للبروج وهيئة هذه الافلاك هيئة الاكر بعضها في جوف بعض

ولو أننا كنا رجالا وكنتم * نساء لكنا لا نقر لذا الفعل
فموتوا كراما أو أميتوا عدوكم * ودبوا لنار الحرب بالحطب الجزل
والا فخلوا بطنها وتحملوا * الى بلد قفر وموتوا من الهزل
فللبين خير من مقام على الاذى * وللموت خير من مقام على الذل
وان أنتم لم تغضبوا بعد هذه * فكونوا نساء لا تعيب من الكحل
ودونكم طيب النساء فانما * خلقتم لأثواب العروس وللغسل
فبعدا وسحقا للذي ليس دافعا * ويختال يمشي بيننا مشية الفحل

فلما سمع أخوها الاسود قولها وكان سيدا مطاعا قال لقومه يا معشر جديس ان هؤلاء القوم ليسوا باعز منكم في داركم الا بملك صاحبهم علينا وعليهم ولولا عجزنا لما كان له فضل علينا ولو امتنعنا لانتصفنا منه فأطيعوني فيما آمركم فانه عز الدهر وقد حمي جديس لما سمعوا من قولها فقالوا نطيعك ولكن القوم أكثر منا قال فاني أصنع للملك طعاما وادعوه وأهله اليه فاذا جاؤا يرفلون في الحلل أخذنا سيوفنا وقتلناهم فقالوا افعل فصنع طعاما فأكثر وجعله بظهر البلد ودفن هو وقومه سيوفهم في الرمل ودعا الملك وقومه فجاؤا يرفلون في حللهم فلما اخذوا مجالسهم ومدوا أيديهم يأكلون أخذت جديس سيوفهم من الرمل وقتلوهم وقتلوا ملكهم وقتلوا بعد ذلك السفلة ثم ان بقية طسم قصدوا حسان بن تبع ملك اليمن فاستنصروه فسار الى اليمامة فلما كان منها على مسيرة ثلاث قال له بعضهم ان لي أختا متزوجة في جديس يقال لها اليمامة تبصر الراكب من مسيرة ثلاث واني أخاف ان تنذر القوم بك فمر أصحابك فليقطع كل رجل منهم شجرة فليجعلها أمامه فأمرهم حسان بذلك فنظرت اليمامة فأبصرتهم فقالت لجديس لقد سارت اليكم حمير قالوا وما ترين قالت أرى رجلا في شجرة معه كتف يتعرقها أو نعل يخصفها وكان كذلك فكذبوها فصبحهم حسان فأبادهم وأتى حسان باليمامة ففقأ عينيها فاذا فيهما عروق سود فقال ما هذا قالت حجر أسود كنت أكتحل به يقال له الاثمد وكانت أول من اكتحل به وبهذه اليمامة سميت اليمامة وقد أكثر الشعراء ذكرها في أشعارهم ولما هلكت جديس هرب الاسود قاتل عمليق الى جبلي طيئ فأقام بهما وذلك قبل ان تنزلهما طيئ وكانت طيئ تنزل الجرف من اليمن وهو الآن لمراد وهمدان وكان يأتي الى طيئ بعير أزمان الخريف عظيم السمن ويعود عنهم ولم يعلموا من أين يأتي ثم انهم اتبعوه يسيرون بسيره حتى هبط بهم على اجا وسلمى جبلي طيئ وهما بقرب فيد فرأوا فيه النخل والمراعي الكثيرة ورأوا الاسود بن عفار فقتلوه وأقامت طيئ بالجبلين بعده فهم هناك الى الآن وهذا أول مخرجهم اليهما

ذكر أصحاب الكهف وكانوا أيام ملوك الطوائف

كان أصحاب الكهف أيام ملك اسمه دقيوس ويقال دقيانوس وكانوا بمدينة للروم اسمها افسوس وملكهم يعبد الاصنام وكانوا فتية آمنوا بربهم كما ذكر الله تعالى فقال أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا والرقيم خبرهم كتب في لوح وجعل على باب الكهف الذي أووا اليه وقيل كتبه بعض أهل زمانهم وجعله في البناء وفيه أسماؤهم وفي أيام من كانوا وسبب وصولهم الى الكهف وقيل كتبه الملك الذي ظهر عليهم وبنى الكنيسة عليهم وكانت عدتهم فيما ذكر ابن عباس سبعة وثامنهم كلبهم وقال أنا من القليل الذين يعلمونهم وقال ابن اسحق كانوا ثمانية فعلى قوله يكون تاسعهم كلبهم وكانوا من الروم وكانوا يعبدون الاوثان فهداهم الله وكانت

ففلك البروج يسمى فلك الكل وبه يكون الليل والنهار لانه يدير الشمس والقمر وسائر الكواكب من المشرق الى المغرب في كل يوم وليلة دورة واحدة على قطبين ثابتين أحدهما مما يلي الشمال وهو قطب بنات نعش والآخر مما يلي الجنوب وهو قطب سهيل وليس للبروج غير هذا الفلك وانما هي مواضع لقبت بهذه الاسماء لتعرف مواضع الكواكب من الفلك الكلي فيجب ان تكون الفروج تضيق من ناحية القطبين وتتسع وسط الكرة والخط القاطع للكرة نصفين واحد وانما سمي دائرة معدل النهار لان الشمس اذا صارت عليها استوى الليل والنهار في جميع البلدان فما كان من الفلك آخذا من الجنوب الى الشمال يسمى العرض وما كان آخذا من المشرق الى المغرب يسمى الطول والافلاك مستديرة محيطة بالعالم وهي تدور على مركز الارض والارض في وسطها مثل النقطة في وسط الدائرة وهي تسعة أفلاك فاقربها من الارض فلك القمر وفوقه فلك عطارد وفوق ذلك فلك الزهرة ثم فلك الشمس والشمس متوسطة

شريعتهم شريعة عيسى عليه السلام وزعم بعضهم انهم كانوا قبل المسيح وان المسيح أعلم قومه بهم وان الله بعثهم من رقدتهم بعد رفع المسيح والاول أصح وكان سبب ايمانهم انه جاء حوارى من أصحاب عيسى الى مدينتهم فأراد ان يدخلها فقيل له ان على بابها صنما لا يدخلها أحد حتى يسجد له فلم يدخلها وأتى حماما قريبا من المدينة فكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام البركة وعلقه الفتية فجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام فعيره الحوارى فاستحيا ثم رجع مرة أخرى فعيره فسبه وانتهره ودخل الحمام ومعه المرأة فماتا فى الحمام فقيل للملك ان الذى بالحمام قتلهما فطلب فلم يوجد فقيل من كان يصحبه فذكر الفتية فطلبوا فهربوا فمروا بصاحب لهم على حالهم فى زرع له فذكروا له أمرهم فسار معهم وتبعهم الكلب الذى له حتى آواهم الليل الى الكهف فقالوا نبيت ههنا حتى نصبح ثم نرى رأينا فدخلوه فرأوا عنده عين ماء وثمارا فأكلوا من الثمار وشربوا من الماء فلما جنهم الليل ضرب الله على آذانهم ووكل بهم ملائكة يقلبونهم ذات اليمين وذات الشمال لئلا تأكل الارض أجسادهم وكانت الشمس تطلع عليهم وسمع الملك دقيانوس خبرهم فخرج فى أصحابه يتبعون أثرهم حتى وجدهم قد دخلوا الكهف وأمر أصحابه بالدخول اليهم واخراجهم فكلما أراد رجل ان يدخل ارعب فعاد فقال بعضهم أليس لو كنت ظفرت بهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا ففعل فبقوا زمانا بعد زمان ثم ان راعيا أدركه المطر فقال لو فتحت باب هذا الكهف فادخلت غنمى فيه ففتحه فرد الله اليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا فبعثوا أحدهم بورق ليشترى لهم طعاما واسمه تمليخا فلما أتى باب المدينة رأى ما أنكره حتى دخل على رجل فقال بعنى بهذه الدراهم طعاما فقال فمن أين لك هذه الدراهم قال خرجت أنا وأصحاب لى أمس فلما أصبحنا أرسلونى لاشترى لهم طعاما فقال هذه الدراهم كانت على عهد الملك الفلانى فرفعه الى الملك وكان ملكا صالحا فسأله عنها فاعاد عليه حالهم فقال الملك وأين أصحابك قال انطلقوا معى فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف فقال دعونى أدخل الى أصحابى قبلكم لئلا يسمعوا أصواتكم فيخافوا ظنا منهم ان دقيانوس قد علم بهم فدخل عليهم وأخبرهم الخبر فسجدوا واشكروا الله وسألوه ان يتوفاهم فاستجاب لهم فضرب على اذنه وآذانهم وأراد الملك الدخول عليهم فكانوا كلما دخل عليهم رجل أرعب فلم يقدروا ان يدخلوا عليهم فعادعنهم فبنوا عليهم كنيسة يصلون فيها قال عكرمة لما بعثهم الله كان الملك حينئذ مؤمنا وكان قد اختلف أهل مملكته فى الروح والجسد وبعثهما فقال قائل يبعث الله الروح دون الجسد وقال قائل يبعثان جميعا فشق ذلك على الملك فلبس المسوح وسأل الله ان يبين له الحق فبعث الله أصحاب الكهف بكرة فلما بزغت الشمس قال بعضهم لبعض قد أغفلنا هذه الليلة عن العبادة فقاموا الى الماء وكان عند الكهف عين وشجرة فاذا العين قد غارت والاشجار قد يبست فقال بعضهم لبعض ان أمرنا لعجب هذه العين غارت وهذه الاشجار يبست فى ليلة واحدة وألقى الله عليهم الجوع فقالوا أيكم يذهب الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا فدخل أحدهم يشترى الطعام فلما رأى السوق عرف طرقها وأنكر الوجوه ورأى الايمان ظاهرا بها فأتى رجلا يشترى منه فانكر الدراهم فرفعه الى الملك فقال الفتى أليس ملككم فلان فقال الرجل لا بل فلان فعجب لذلك فلما أحضر عند الملك أخبره بخبر أصحابه فجمع الملك الناس وقال لهم انكم قد اختلفتم فى الروح والجسد وان الله قد بعث لكم آية هذا الرجل من

قوم

الافلاك السبعة وفوقها فلك المريخ وفوقه فلك المشترى وفوق ذلك فلك زحل وفى كل فلك من هذه الافلاك السبعة كوكب واحد فقط وفوق فلك زحل الفلك الثامن والفلك التاسع وهو أرفع وأعظم جسما وهو الفلك الاعظم محيط بالافلاك التى دونه مما سميناه وبالطبائع الاربع وبجميع الخليقة وليس فيه كوكب ودوره من المشرق الى المغرب فى كل يوم دورة واحدة تامة ويدير بدورانه ما تحته من الافلاك المتقدم وصفها وأما الافلاك السبعة التى قدمنا ذكرها فانها تدور من المغرب الى المشرق وللذ واثر فيما ذكرنا حجج يطول الخطب فيها والكواكب المرئية التى نشاهدها وسائر الكواكب فى الفلك الثامن وهو يدور على قطبين غير قطبى الفلك الاعظم المتقدم ذكره وزعموا ان الدليل على ان حركة فلك البروج غير حركة الافلاك هو ان البروج الاثنى عشر يتلو بعضها بعضا فى مسيرها ولا تنتقل عن أماكنها ولا تتغير حركتها فى طلوعها وغروبها وان الكواكب السبعة لكل واحد منها حركة خلاف حركة صاحبه ولها

قوم فلان يعني الملك الذي مضى فقال الفتى انطلقوا بي الى أصحابي فركب الملك والناس معه فلما انتهى الى الكهف قال الفتى للملك ذروني اسبقكم الى أصحابي أعرفهم خبركم لئلا يخافوا اذا سمعوا وقع حوافر دوابكم وأصواتكم فيظنوكم دقيانوس فقال افعل فسبقهم الى أصحابه ودخل على أصحابه فأخبرهم الخبر فعلموا حينئذ مقدار لبثهم في الكهف وبكوا فرحا ودعوا الله ان يميتهم ولا يراهم أحد ممن جاءهم فماتوا لساعتهم فضرب الله على اذنه وآذانهم معه فلما استبطؤه دخلوا الى الفتية فاذا أجسادهم لا ينكرون منها شيئا غير انها لا أرواح فيها فقال الملك هذه آية لكم ورأى الملك تابوتا من نحاس مختوما بخاتم ففتحه فرأى فيه لوحا من رصاص مكتوبا فيه أسماء الفتية وانهم هربوا من دقيانوس الملك مخافة على نفوسهم ودينهم فدخلوا هذا الكهف فلما علم دقيانوس بمكانهم بالكهف سده عليهم فليعلم من يقرأ كتابنا هذا شأنهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذي أراهم هذه الآية للبعث ورفعوا أصواتهم بالتحميد والتسبيح وقيل ان الملك ومن معه دخلوا على الفتية فرأوهم أحياء مشرقة وجوههم وألوانهم لم تبل ثيابهم وأخبرهم الفتية بما لقوا من ملكهم دقيانوس واعتنقهم الملك وقعد معهم يسبحون الله ويذكرونه ثم قالوا له نستودعك الله ورجعوا الى مضاجعهم كما كانوا فعمل الملك لكل رجل منهم تابوتا من الذهب فلما نام رآهم في منامه وقالوا انا لم نخلق من الذهب انما خلقنا من التراب واليه نصير فعمل لهم حينئذ توابيت من خشب فحجبهم الله بالرعب وبنى الملك على باب الكهف مسجدا وجعل لهم عيدا عظيما واسماء الفتية مكسلمينا وتمليخا ومرطوس ونيرونس وكسطومس ودينموس وريطوفس وقالوس ومحسيلمينيا وهذه تسعة أسماء وهي أتم الروايات والله أعلم وكلبهم قطمير

(ذكر يونس بن متى)

وكان أمره من الاحداث أيام ملوك الطوائف قيل لم ينسب أحد من الانبياء الى أمه الا عيسى ابن مريم ويونس بن متى وهي أمه وكان من قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الاصنام فبعثه الله اليهم بالنهي عن عبادتها والامر بالتوحيد فاقام فيهم ثلاثا وثلاثين سنة يدعوهم فلم يؤمن غير رجلين فلما أيس من ايمانهم دعا عليهم فقيل له ما أسرع ما دعوت على عبادي ارجع اليهم فادعهم أربعين يوما فدعاهم سبعة وثلاثين يوما فلم يجيبوه فقال لهم ان العذاب يأتيكم الى ثلاثة أيام وآية ذلك ان ألوانكم تتغير فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم فقالوا قد نزل بكم ما قال يونس ولم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم فأمنوا من العذاب وان لم يبت فاعلموا ان العذاب يصبحكم فلما كانت ليلة الاربعين أيقن يونس بنزول العذاب فخرج من بين أظهرهم فلما كان الغد تغشاهم العذاب فوق رؤسهم خرج عليهم غيم أسود هائل يدخن دخانا شديدا ثم نزل الى المدينة فاسودت منه سطوحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا يونس فلم يجدوه فالهمهم الله التوبة فاخلصوا النية في ذلك وقصدوا شيخا وقالوا له قد نزل بنا ما ترى فما نفعل فقال آمنوا بالله وتوبوا وقولوا ياحي ياقيوم ياحي حين لا حي ياحي محيي الموتى ياحي لا اله الا أنت فخرجوا من القرية الى مكان رفيع في براز من الارض وفرقوا بين كل دابة وولدها ثم عجوا الى الله واستقالوه وردوا المظالم جميعا حتى ان كان أحدهم ليقلع الحجر من بنائه فيرده الى صاحبه فكشف الله عنهم العذاب وكان يوم عاشوراء يوم الاربعاء وقيل للنصف من شوال يوم الاربعاء وانتظر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مر به مار فقال ما فعل أهل القرية فقال تابوا الى الله فقبل منهم وأخر عنهم العذاب فغضب يونس عند ذلك فقال والله لا أرجع كذابا ولم تكن قرية رد الله عنهم العذاب بعد

تفاوت في حركتها فربما أسرع الكوكب في حركته ومسيره وربما أخذ في الجنوب وربما أخذ في الشمال وحد الفلك عندهم انه نهاية لما تصير اليه الطبائع علوا وسفلا وحده من جهة الطبائع انه شكل مستدير وهو أوسع الاشكال بالاشكال كلها واما مقادير حركة هذه الكواكب في افلاكها فمقام القمر في كل برج يومان ونصف ويقطع الفلك في شهر ومقام الشمس في كل برج شهر ومقام عطارد في كل برج خمسة عشر يوما ومقام المريخ في كل برج خمسة وأربعون يوما ومقام المشتري في كل برج سنة ومقام زحل في كل برج ثلاثون شهرا * زعم بطليوس صاحب كتاب المجسطي ان استدارة الارض كلها جبالها وبحارها أربعة وعشرون ألف ميل وان قطرها وهو عرضها وعمقها تسعة آلاف وستمائة وستة وثلاثون ميلا وانهم انما استدركوا ذلك بأنهم أخذوا ارتفاع القطب الشمالي في مدينتين هما خط واحد من خط الاستواء مثل مدينة تدمر التي في البرية بين العراق

ماغشيهم الا قوم يونس ومضى مغاضبا لربه وكان فيه حدة وعجلة وقلة صبر ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون مثله فقال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت ولما مضى ظن ان الله لا يقدر عليه أي يقضي عليه العقوبة وقيل يضيق عليه الحبس فسار حتى ركب في سفينة فأصاب أهلها عاصف من الريح وقيل بل وقفت فلم تسر فقال من فيها هذا بخطيئة أحدكم فقال يونس هذا بخطيئتي فالقوني في البحر فابوا عليه حتى أفاضوا بسهامهم فساهم فكان من المدحضين فلم يلقوه وفعلوا ذلك ثلاثا ولم يلقوه فألقى نفسه في البحر وذلك تحت الليل فالتقمه الحوت فأوحى الله الى الحوت ان يأخذه ولا يخدش له لحما ولا يكسر له عظما فاخذه وعاد الى مسكنه من البحر فلما انتهى اليه سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فأوحى الله اليه في بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة فقال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد له كل يوم عمل صالح فشفعوا له عند ذلك فنادى في الظلمات ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وظلمة الليل ان لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين وكان قد سبق له من العمل الصالح فانزل الله فيه فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وذلك ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر فنبذناه بالعراء وهو سقيم ألقي على جانب البحر وهو كالصبي المنفوس ومكث في بطن الحوت أربعين يوما وقيل عشرين يوما وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام والله أعلم وأنبت عليه شجرة من يقطين وهو القرع يتقطر اليه منه اللبن وقيل هيأ الله له أروية وحشية فكانت ترضعه بكرة وعشية حتى رجعت اليه قوته وصار يمشي ورجع ذات يوم الى الشجرة فوجدها قد يبست فحزن وبكى عليها فعاتبه الله وقيل له أتبكي وتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف وزيادة اردت ان تهلكهم ثم ان الله أمره ان يأتي قومه فيخبرهم ان الله قد تاب عليهم فعمد اليهم فلقي راعيا فسأله عن قوم يونس فاخبره انهم على رجاء ان يرجع اليهم رسولهم قال فاخبرهم انك قد لقيت يونس قال لا أستطيع الا بشاهد فسمى له عنزا من غنمه والبقعة التي كانا فيها وشجرة هنالك وقال كل هذه تشهد لك فرجع الراعي الى قومه فاخبرهم أنه رأى يونس فهموا به فقال لا تعجلوا حتى أصبح فلما أصبح غدا بهم الى البقعة التي لقي فيها يونس فاستنطقها فشهدت له وكذلك الشاة والشجرة وكان يونس قد اختفى هنالك فلما شهدت الشاة قالت لهم ان أردتم نبي الله فهو بمكان كذا وكذا فاتوه فلما رأوه قبلوا يديه ورجليه وأدخلوه المدينة بعد امتناع فمكث مع أهله وولده أربعين يوما وخرج سائحا وخرج الملك معه يصحبه وسلم الملك الى الراعي فاقام يدبر أمرهم أربعين سنة بعد ذلك ثم ان يونس أتاهم بعد ذلك وقال ابن عباس وشهر بن حوشب كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت وقالا كذلك أخبر الله تعالى في سورة الصافات فانه قال فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وقال شهر ان جبريل أتى يونس فقال له انطلق الى اهل نينوى فانذرهم العذاب فانه قد حضرهم قال ألتمس دابة قال الامر اعجل من ذلك قال ألتمس حذاء قال الامر اعجل من ذلك قال فغضب وانطلق الى السفينة فركب فلما ركب احتبست قال فساهموا فسهم فجاءت الحوت فنودي الحوت انا لم نجعل يونس من رزقك انما جعلناك له حرزا فالتقمه الحوت وانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الابلة ثم انطلق به على دجلة حتى ألقاه بنينوى

﴿ومما كان من الاحداث أيام ملوك الطوائف﴾

والشام ومثل مدينة الرقة فوجدوا ارتفاع القطب في مدينة الرقة خمسة وثلاثين جزأ وثلثا ووجدوا ارتفاع القطب في مدينة تدمر أربعة وثمانين جزأ وثلث جزء ومسحوا ما بين الرقة وتدمر فوجدوه سبعة وثلاثين ميلا فالظاهر من الفلك سبعة وستون ميلا من الارض والفلك ثلثمائة وستون جزأ لعلل ذكروها يبعد علينا ايرادها في هذا الموضع وهذه قسمة صحيحة عندهم لانهم وجدوا الفلك قد اقتسمته البروج الاثنا عشر وان الشمس تقطع كل برج في شهر وتقطع البروج كلها في ثلثمائة وستين يوما وان الفلك مستدير يدور بمحورين وقطبين وانهما بمنزلة محوري النجار والخراط الذي يخرط الاكرة والقصاع وغيرها من الآلات الخشب وان من كان مسكنه وسط الارضين وعند خط الاستواء استوت ساعات ليله ونهاره وسائر الدهور ورأى هذين المحورين أعني القطب الشمالي والقطب الجنوبي فاما أهل البلد التي مالت الى ناحية الشمال فانهم يرون القطب الشمالي

ارسال الله تعالى الرسل الثلاثة الى مدينة انطاكية وكانوا من الحواريين أصحاب المسيح أرسل أولا اثنين وقد اختلف في أسمائهما فقدما انطاكية فرأيا عندها شيخا يرعى غنما وهو حبيب النجار فسلما عليه فقال من أنتما قالا رسولا عيسى ندعوكم الى عبادة الله تعالى قال معكما آية قالا نعم نحن نشفي المرضى ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله قال حبيب ان لي ابنا مريضا منذ سنين وأتى بهما منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على ايديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك اسمه انطيخس يعبد الاصنام فبلغ اليه خبرهما فدعاهما فقال من أنتما قالا رسولا عيسى ندعوك الى الله تعالى قال فما آيتكما قالا نبرئ الاكمه والابرص ونشفي المرضى باذن الله فقال قوما حتى ننظر في أمركما فقاما فضربهما العامة وقيل انهما قدما المدينة فبقيا مدة لا يصلان الى الملك فخرج الملك يوما فكبرا وذكرا الله فغضب وحبسهما او جلد كل واحد منهما مائة جلدة فلما كذبا وضربا بعث المسيح شمعون رأس الحواريين لينصرهما فدخل البلد متنكرا وعاشر حاشية الملك فرفعوا خبره الى الملك فاحضره ورضي عشرته وأنس به وأكرمه فقال له يوما أيها الملك بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى دينهما فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال الملك حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأى الملك ان يحضرهما حتى نسمع كلامهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما قالا الله الذي خلق كل شئ ولا شريك له قال فصفاه وأوجزا قالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون فما آيتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك فجئ بغلام مطموس العينين موضعهما كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر وأخذا بندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصار تاما ينظر بهما فتعجب الملك لذلك فقال ان قدر الهكما الذي تعبدانه على احياء ميت آمنا به وبكما قالا ان الهنا قادر على كل شئ فقال الملك ان ههنا ميتا منذ سبعة أيام فلم ندفنه حتى يرجع أبوه وهو غائب فاحضر الميت وقد تغيرت ريحه فدعوا الله تعالى علانية وشمعون يدعو سرا فقام الميت فقال لقومه اني مت مشركا وأدخلت في أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن هم فقال هذا وأومأ الى شمعون وهذان وأشار اليهما فتعجب الملك فحينئذ دعاه شمعون الملك الى دينه فآمن قومه وكان الملك فيمن آمن وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا النجار وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم فيذكرهم ويدعوهم الى طاعة الله وطاعة المرسلين فذلك قوله تعالى اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث وهو شمعون فاضاف الله تعالى الارسال الى نفسه وانما أرسلهم المسيح لانه أرسلهم باذن الله تعالى فلما كذبهم أهل المدينة حبس الله عنهم المطر فقال أهلها للرسل انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم بالحجارة وقيل لنقتلنكم وليمسنكم منا عذاب أليم فلما حضر حبيب وكان مؤمنا يكتم ايمانه وكان يجمع كسبه كل يوم وينفق على عياله نصفه ويتصدق بنصفه فقال يا قوم اتبعوا المرسلين فقال قومه وأنت مخالف لربنا ومؤمن باله هؤلاء فقال ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون فلما قال ذلك قتلوه فأوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وأرسل الله عليهم صيحة فماتوا

﴿ ومما كان من الاحداث شمسون ﴾

وكان من قرية من قرى الروم قد آمن وكانوا يعبدون الاصنام وكان على أميال من المدينة وكان يغزوهم وحده ويقاتلهم بلحي جمل فكان اذا عطش انفجر له من الحجر الذي فيه ماء عذب فيشرب

وبنات نعش ولا يرون القطب الجنوبي ولا الكواكب التي هي قريبة منه وكذلك لا يرى الكوكب المعروف بسهيل بناحية خراسان ويرى في العراق في السنة أياما ولا تقع عين جمل من الجمال عليه الا هلك على حسب ما ذكرناه وما ذكر الناس من العلة في ذلك في موت هذا النوع من الحيوان وأما في البلدان الجنوبية فانه يرى في السنة كلها وقد تنازع طوائف الفلكيين وأصحاب النجوم في هذين المحورين اللذين يعتمد عليهما الفلك أساكنان هما أم متحركان فذهب الاكثر منهم الى انهما غير متحركين وقد أتينا على ما يلزم كل فريق منهم في بيان هذين المحورين أمن جنس الافلاك هما أم من غير ذلك فيما سلف من كتبنا وقد تنوزع في شكل البحار فذهب الاكثر من الفلاسفة المتقدمين من الهند وحكماء اليونانيين الا من خالفهم وذهب الى قول الشرعيين ان البحر مستدير على مواضع من الارض واستدلوا على صحة ذلك بدلائل كثيرة منها اذا لججت فيه غابت عنك الارض والجبال شيأ بعد شئ حتى يغيب ذلك كله ولا ترى شيأ

منه وكان قد أعطى قوة لا يوثقه حديد ولا غيره وكان على ذلك يجاهدهم ويصيب منهم ولا يقدرون منه على شيء فجعلوا لامرأته جعلا لتوثقه لهم فاجابتهم الى ذلك فاعطوها حبلا وثيقا فتركته حتى نام وشدت يديه فاستيقظ وجذبه فسقط الحبل من يديه فارسلت اليهم فاعلمتهم فارسلوا اليها بجامعة من حديد فتركتها في يديه وعنقه وهو نائم فاستيقظ وجذبها فسقطت من عنقه ويديه فقال لها في المرتين ما حملك على ما صنعت فقالت أريد أن أجرب قوتك وما رأيت مثلك في الدنيا فهل في الارض شيء يغلبك قال نعم شيء واحد فلم تزل تسأله عنه حتى قال لها ويحك لا يضبطني الا شعري فلما نام أوثقت يديه بشعر رأسه وكان كثيرا فارسلت اليهم فجاؤا فاخذوه فجدعوا أنفه وأذنيه وفقؤا عينيه وأقاموه للناس وجاء الملك لينظر اليه وكانت المدينة على أساطين فدعا الله شمسون عليهم فامر ان يأخذ عمودين من عمد المدينة فيجذبهما ويرد اليه بصره وما أصابوا من جسده وجذب العمودين فوقعت المدينة بالملك والناس وهلك من فيها هدما وكان شمسون أيام ملوك الطوائف

(ومما كان من الاحداث أيضا جرجيس)

قيل كان بالموصل ملك يقال له داذانه وكان جبارا عاتيا وكان جرجيس رجلا صالحا من أهل فلسطين يكتم ايمانه مع أصحاب له صالحين وكانوا قد أدركوا بقايا من الحواريين فاخذوا عنهم وكان جرجيس كثير التجارة عظيم الصدقة وربما نفد ماله في الصدقة ثم يعود يكتسب مثله ولولا الصدقة لكان الفقر أحب اليه من الغنى وكان يخاف بالشام ان يفتتن عن دينه فقصد الموصل ومعه هدية للملك لئلا يجعل لاحد عليه سبيلا فجاءه وحين قد جاءه أحضر عظماء قومه وأوقد نارا وأعد أصنافا من العذاب وأمر بصنم له يقال له أفلون فنصب فمن لم يسجد له عذبه وألقي في النار فلما رأى جرجيس ما يصنع استعظمه وحدث نفسه بجهاده فعمد الى المال الذي معه فقسمه في أهل ملته وأقبل عليه وهو شديد الغضب فقال له اعلم أنك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيأ ولا لغيرك شيأ وان فوقك ربا هو الذي خلقك ورزقك فاخذ في ذكر عظمة الله تعالى وعيب صنمه فاجابه الملك بان يسأله من هو ومن أين هو فقال جرجيس أنا عبد الله وابن أمته من التراب خلقت واليه أعود فدعاه الملك الى عبادة صنمه وقال له لو كان ربك ملك الملكوت لرؤي عليك أثره كما ترى على من حولي من ملوك قومي فاجابه جرجيس بتعظيم أمر الله وتمجيده وقال له تعبد أفلون الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يغني من رب العالمين أم تعبد الذي قامت بامره السموات والارض أم تعبد طرقلينا عظيم قومك من الناس عليه السلام فانه كان آدميا يأكل ويشرب فاكرمه الله بان جعله انسيا ملكا أم تعبد عظيم قومك مخليطيس أيضا وما قال ولا يتك عيسى عليه السلام وذكر من معجزاته وما خصه الله به من الكرامة فقال له الملك انك أتيتنا باشياء لا نعلمها ثم خيره بين العذاب والسجود للصنم فقال جرجيس ان كان صنمك هو الذي رفع السماء وعدد أشياء من قدرة الله عز وجل فقد أصبت ونصحت والا فاخسأ أيها الملعون فلما سمع الملك أمر بحبسه ومشط جسده بامشاط الحديد حتى تقطع لحمه وعروقه وينضح بالخل والخردل فلم يمت فلما رأى ذلك لم يقتله أمر بستة مسامير من حديد فاحميت حتى صارت نارا ثم سمر بها رأسه فسال دماغه فحفظه الله تعالى فلما رأى ذلك لم يقتله أمر بحوض من نحاس فأوقد عليه حتى جعله نارا ثم أدخله فيه وأطبق عليه حتى برد فلما رأى ذلك لم يقتله دعاه وقال له ألم تجد ألم هذا العذاب قال ان الهي حمل عني عذابك بصبرني ليحتج عليك فايقن الملك بالشر وخافه على نفسه وملكه فاجمع رأيه على أن يخلده في السجن فقال الملأ من

قومه

من شوامخ الجبال واذا أقبلت أيضا نحو الساحل ظهرت تلك الجبال شيأ بعد شيء وظهرت الاشجار والارض وهذا جبل دباوند بين بلد الري وطبرستان يرى من مائة فرسخ لعلوه وذهابه في الجو ويرتفع في أعاليه الدخان والثلوج مترادفة عليه خالية أعاليه منها ويخرج من أسفله نهر كثير الماء نهر أصفر كبريتي ذهبي اللون مسافة الصعود عليه في نحو ثلاثة أيام بلياليها وان من علاه وصار في قلته وجد مساحة رأس القلة نحو ألف ذراع في مثل ذلك وهي ترى في رأي العين من أسفل نحو القبة المخروطة وان في هذه المساحة في أعاليه رملا تغوص فيه الاقدام أحمر وان هذه القبة لا يلحقها شيء من الوحش ولا من الطير لشدة الرياح وعتوها في الهواء وشدة البرد وان في أعاليه نحوا من ثلاثين ثقبا يخرج منها الدخان الكبريتي العظيم ويخرج مع ذلك دوي عظيم كاشد ما يكون من الرعد وذلك صوت تلهب النيران وربما يحمل من غرر بنفسه وصعد الى أعاليه من أفواه هذه الثقوب كبريتا أصفر كانه الذهب يقع في أنواع

قومه انك ان تركته فى السجن طليقا يكلم الناس ويميل بهم عليك ولكن يعذب بعذاب يمنعه من الكلام فأمر به فبطح فى السجن على وجهه ثم أوتد فى يده ورجليه أوتادا من حديد ثم أمر باسطوان من رخام حمله ثمانية عشر رجلا فوضع على ظهره فظل يومه ذلك تحت الحجر فلما أدركه الليل أرسل الله اليه ملكا وذلك أول ما أيد بالملائكة فأول ما جاءه الوحى قلع عنه الحجر ونزع الاوتاد وأطعمه وأسقاه وبشره وعزاه فلما أصبح أخرجه من السجن فقال له الحق بعدوك فجاهده فانى قد ابتليتك به سبع سنين يعذبك ويقتلك فيهن أربع مرات فى كل ذلك أرد اليك روحك فاذا كانت القتلة الرابعة تقبلت روحك وأوفيتك أجرك فلم يشعر الملك الا وقد وقف جرجيس على رأسه يدعوه الى الله فقال له أجرجيس قال نعم قال من أخرجك من السجن قال أخرجنى من سلطانه فوق سلطانك فملئ غيظا ودعا بأصناف العذاب ومدوه بين خشبتين ووضعوا على رأسه سيفا ثم أشروه حتى سقط بين رجليه وصار جزلتين ثم قطعوهما قطعا وكان له سبعة اسد ضارية فى جب فالقوا جسده اليها فلما رأته خضعت برؤسها وقامت على براثنها لا تألو أن تقيه الاذى الذى تحتها فظلت يومها تحته ميتا وكان أول ميتة ذاقها فلما أدركه الليل جمع الله جسده وسواه ورد فيه روحه وأخرجه من قعر الجب فلما أصبحوا أقبل جرجيس وهم فى عيد لهم صنعوه فرجاءوت جرجيس فلما نظروا اليه مقبلا قالوا ما أشبه هذا بجرجيس قال الملك هو هو وقال جرجيس أنا هو حقا بئس القوم أنتم قتلتم ومثلتم فرد الله روحى الىّ هلموا الى عذاب هذا الرب العظيم الذى أراكم قدرته فقالوا ساحر سحر أعينكم وأيديكم عنه فجمعوا من بلادهم من السحرة فلما جاؤا قال الملك لكبيرهم اعرض علىّ من سحرك ما يسرى به عنى فدعا بثور فنفخ فى أذنيه فاذا هو ثوران ودعا ببذر فبذر وحرث وزرع وحصد ودق وذرى وطحن وخبز وأكل فى ساعة فقال له الملك هل تقدر أن تمسخه كلبا قال ادع لى بقدح من ماء فأتى به فنفث فيه الساحر ثم قال لجرجيس اشربه فشربه جرجيس حتى أتى على آخره فقال له الساحر ماذا تجد قال ما أجد الا خيرا كنت عطشان فلطف الله بى فسقانى وأقبل الساحر على الملك وقال لو كنت تقاسى جبارا مثلك لغلبته انما تقاسى جبار السماء والارض وكانت أتت جرجيس امرأة من الشام وهو فى أشد العذاب فقالت له انه لم يكن لى مال الا ثور أعيش به من حرثه فمات وجئتك لترحمنى وتسأل الله ان يحيى ثورى فأعطاها عصا وقال اذهبى الى ثورك فاضربيه بهذه العصا وقولى له احى باذن الله فأخذت العصا وأتت مصرع الثور فرأت روقيه وشعر ذنبه فجمعتها ثم قرعتها بالعصا وقالت ما أمرها به جرجيس فعاش ثورها وجاء الخبر بذلك فلما قال الساحر ما قال قال رجل من أصحاب الملك وكان أعظمهم بعد الملك اسمعوا منى قالوا نعم قال انكم قد وضعتم أمره على السحر وانه لم يعذب ولم يقتل فهل رأيتم ساحرا قط قدر على أن يدفع عن نفسه الموت أو أحيا ميتا وذكر الثور واحياءه فقالوا له ان كلامك كلام رجل قد أصغى اليه فقال قد آمنت به وأشهد الله انى برىء مما تعبدون فقام اليه الملك وأصحابه بالخناجر فقطعوا لسانه بالخناجر فلم يلبث ان مات وقيل أصابه الطاعون فأعجله قبل ان يتكلم وكتموا شأنه فكشفه جرجيس للناس فاتبعه أربعة آلاف وهو ميت فقتلهم الملك بأنواع العذاب حتى أفناهم وقال له رجل من عظماء أصحاب الملك يا جرجيس انك زعمت ان الهك يبدأ الخلق ثم يعيده وانى سائلك أمرا ان فعله الهك آمنت به وصدقتك وكفيتك قومى هذا تحتنا أربعة عشر منبرا ومائدة واقداح وصحاف من خشب يابس وهو من أشجار شتى فادع ربك ان يعيدها خضرا

الصنعة والكيمياء وغير ذلك من الوجوه وان من علاه يرى ما حوله من الجبال الشامخة كأنها رواب وتلال لعلوه عليها وبين هذا الجبل وبحر طبرستان فى المسافة نحو من عشرين فرسخا والمراكب اذا لججت فى هذا البحر غاب عنها جبل دباوند فلم يره أحد فاذا صاروا فى هذا البحر على نحو من مائة فرسخ ودنوا من جبال طبرستان رأوا اليسير من أعالى هذا الجبل فكلما قربوا من هذا الساحل ظهر لهم وهذا دليل على ما ذهبوا اليه من كرية ماء البحر وانه مستدير الشكل وكذلك من يكون فى بحر الروم الذى هو بحر الشام يرى الجبل الاقرع وهو جبل لا يدرك علوه مطل على بلدة انطاكية واللاذقية وطرابلس وجزيرة قبرس وغيرها من بلاد الروم فيغيب عن أبصارهن فى المراكب ولا يخفى عنهم فى المسير فى البحر فى المواضع التى يرى منها وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جبل دباوند وما قال الفرس فى ذلك قال الضحاك ذو الافواه وجر من أعاليه بالحديد هذه النار التى فى أعالى هذا الجبل أطم عظيمة من آطام الارض

كابدأها يعرف كل عود بلونه وورقه وزهره وثمره قال جرجيس قد سألت أمرا عزيزا على
وعليك وانه على الله يسير ودعا الله فما برحوا حتى اخضرت وساخت عروقها وتشعبت ونبت
ورقها وزهرها حتى عرفوا كل عود باسمه فقال الذى سأله هذا أنا أتولى عذابه فعمد الى نحاس
فصنع منه صورة ثور مجوف ثم حشاها نفطا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا وادخل جرجيس فى
وسطها ثم أوقد تحت الصورة النار حتى التهبت وذاب كل شئ فيها واختلط ومات جرجيس فى
جوفها فلما مات أرسل الله ريحا عاصفا ورعدا وبرقا وسحابا مظلما وأظلم ما بين السماء والارض
وبقوا أياما متحيرين فارسل الله ميكائيل فاحتمل تلك الصورة فلما أقلها ضرب بها الارض ففزع
من روعتها كل من سمعها وانكسرت وخرج منها جرجيس حيا فلما وقف وكلمهم انكشفت
الظلمة واسفر ما بين السماء والارض قال له عظيم من عظمائهم ادع الله بان يحيى موتانا من هذه
القبور فامر جرجيس بالقبور فنبشت وهى عظام رفات ثم دعا فما برحوا حتى نظروا الى سبعة
عشر انسانا تسعة رجال وخمس نسوة وثلاث صبية وفيهم شيخ كبير فقال له جرجيس متى مت فقال
فى زمان كذا وكذا فاذا هو اربعمائة عام فلما رأى ذلك الملك قال لم يبق من عذابكم شئ الا وقد
عذبتموه وأصحابه الا الجوع والعطش فعذبوه به فعمدوا الى بيت عجوز فقيرة وكان لها ابن أعمى أبكم
مقعد فحصروه فيه فلا يصل اليه طعام ولا شراب فلما جاع قال للعجوز هل عندك طعام أو شراب
قالت لا والذى يحلف به ما لنا عهد بالطعام من كذا وكذا وسأخرج فالتمس لك شيأ فقال لها هل
تعبدين الله قالت لا فدعاها فآمنت وانطلقت تطلب له شيأ وفى بيتها دعامة خشبية يابسة تحمل
خشب البيت فدعا الله فاخضرت تلك الدعامة وأنبتت كل فاكهة تؤكل وتعرف فظهر للدعامة
فروع من فوق البيت تظله وما حوله وعادت العجوز وهو يأكل رغدا فلما رأت الذى فى بيتها
قالت آمنت بالذى أطعمك فى بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم ان يشفى ابنى قال أدنيه منى
فادنته فبصق فى عينيه فأبصر فنفث فى أذنيه فسمع قالت له أطلق لسانه ورجليه قال لها أخريه فان
له يوما عظيما ورأى الملك الشجرة فقال أرى شجرة ما كنت اعهدها قالوا تلك الشجرة نبتت لذلك
الساحر الذى أردت ان تعذبه بالجوع وقد شبع منها وأشبعت العجوز وشفى لها ابنها فأمر بالبيت
فهدم وبالشجرة ان تقطع فلما هموا بقطعها ايبسها الله وتركوها وأمر بجرجيس فبطح على وجهه
وأمر بعجل فأوقر اسطوانا وجعل فى أسفل العجل خناجر وشفارا ثم دعا بأربعين ثورا فنهضت بالعجل
نهضة واحدة وجرجيس تحتها فانقطع ثلاث قطع ثم أمر بقطعة فأحرقت حتى صارت رمادا وبعث
بالرماد مع رجال فذروه فى البحر فلم يبرحوا حتى سمعوا صوتا من السماء يا بحر ان الله يأمرك ان
تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب فانى أريد أن أعيده فأرسل الرياح فجمعته كما كان قبل أن
يذروه والذين ذروه قيام لم يبرحوا وخرج جرجيس حيا مغبرا فرجعوا ورجع معهم وأخبروا
خبر الصوت والرياح فقال له الملك هل لك فيما هو خير لى ولك ولولا أن يقال انك غلبتنى لآمنت
بك ولكن اسجد لصنمى سجدة واحدة أو اذبح له شاة واحدة وأنا أفعل ما يسرك فطمع جرجيس
فى اهلاك الصنم حين يراه وايمان الملك عند ذلك فقال له افعل خديعة منه وادخلنى على صنمك
اسجد له واذبح ففرح الملك بذلك وقبل يديه ورجليه وطلب منه أن يكون يومه وليلته عنده ففعل
وأخلى له الملك بيتا ودخله جرجيس فلما جاءه الليل قام يصلى ويقرأ الزبور وكان حسن الصوت فلما
سمعته امرأة الملك استجابت له وآمنت به وكتمت ايمانها فلما أصبح غدا به الى بيت الاصنام ليسجد
لها وقيل للعجوز ان جرجيس قد افتتن وطمع فى الملك بعد الملك فخرجت تحمل ابنها على عاتقها

وعجائبها وقد تكلم الناس
فى بعد الارض فذكر
الاكثر أن من مركز الارض
الى ما ينتهى اليه الهواء
والنار مائة ألف وثمانية
عشر ألف ميل وأما القمر
فان الارض أعظم منه
بتسع وثلاثين مرة والارض
أعظم من عطارد بثلاث
وعشرين ألف مرة والارض
أعظم من الزهرة باربع
وعشرين ألف مرة والشمس
أعظم من الارض بمائة
وسبعين مرة وربع وثمن
وأعظم من القمر بالف
وستمائة وأربع وأربعين
مرة والارض كلها نصف
عشر ثمن الشمس وقطر
الارض اثنان وأربعون
ألف ميل والمريخ مثل
الارض وزيادة ثلاث وستين
مرة وقطره ثمانية آلاف
وسبعمائة ميل ونصف
ميل والمشترى مثل الارض
احدى وثمانين مرة ونصف
وربع وقطره ثلاثة وثلاثون
ألف ميل وستة عشر ميلا
وزحل أعظم من الارض
تسعا وتسعين مرة ونصفا
وقطره اثنان وثلاثون ألف
ميل وسبعمائة وستة وثلاثون
ميلا وأما أجرام الكواكب
الثابتة التى فى المشرق
الاول وهى خمسة عشر
كوكبا فكل كوكب منها
أعظم من الارض باربع

في اغراضها و يخ جرجيس فلما دخل بيت الاصنام نظر فاذا العجوز وابنها أقرب الناس اليه فدعا ابنها فأجابه وما تكلم قبل ذلك قط ثم نزل عن عاتق أمه يمشي على قدميه سويين وما وطئ الارض قط فلما وقف بين يدي جرجيس قال له ادع لي هذه الاصنام وهي على منابر من ذهب واحد وسبعون صنما وهم يعبدون الشمس والقمر معها فدعاها فأقبلت تتدحرج اليه فلما انتهت اليه ركض برجله الارض فخسف بها وبمنابرها فقال له الملك يا جرجيس خدعتني وأهلكت أصنامي فقال له فعلت ذلك عمدا لتعتبر وتعلم انها لو كانت آلهة لامتنعت مني فلما قال هذا قالت امرأة الملك وأظهرت اسلامها وعددت عليهم أفعال جرجيس وقالت ما تنتظرون من هذا الرجل الا دعوة فتهلكون كما هلكت أصنامكم فقال الملك ما أسرع ما أضلك هذا الساحر ثم أمر بها فعلقت على خشبة ثم مشط لحمها بأمشاط الحديد فلما آلمها العذاب قالت لجرجيس ادع الله أن يخفف عني الالم فقال انظري فوقك فنظرت فضحكت فقال لها الملك ما ضحكك قالت أرى على رأسي ملكين معهما تاج من حلي الجنة ينتظرون خروج روحي ليزيناني به ويصعدا بها الى الجنة فلما ماتت أقبل جرجيس على الدعاء وقال اللهم أكرمتني بهذا البلاء لتعطيني أفضل منازل الشهداء وهذا آخر أيامي فاسألك أن تنزل بهؤلاء المنكرين من سطواتك وعقوبتك ما لا قبل لهم به فأمطر الله عليهم النار فاحترقوا فلما احترقوا بحرها عمدوا اليه فضربوه بالسيوف فقتلوه وهي القتلة الرابعة فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها ارتفعت من الارض وجعل عاليها سافلها فلبثت زمانا يخرج من تحتها دخان منتن وكان جميع من آمن به وقتل معه أربعة وثلاثين ألفا وامرأة الملك

﴿ذكر خالد بن سنان العبسي﴾

وممن كان في الفترة خالد بن سنان العبسي قيل كان نبيا وكان من معجزاته ان نارا ظهرت بأرض العرب فافتتنوا بها وكادوا يتمجسون فأخذ خالد عصاه ودخلها حتى توسطها ففرقها وهو يقول بدا بدا كل هاد مؤد الى الله الاعلى لادخلنها وهي تلظى ولاخرجن منها وثيابي تندى ثم انها طفئت وهو في وسطها فلما حضرته الوفاة قال لاهله اذا دفنت فانه ستجيء عانة من حمير يقدمها عير أبتر فيضرب قبري بحافره فاذا رأيتم ذلك فانبشوا عني فاني سأخبركم بجميع ما هو كائن فلما مات ودفنوه رأوا ما قال فارادوا انبشه فكره ذلك بعضهم قالوا نخاف ان نبشناه أن تسبنا العرب بانا نبشنا ميتا لنا فتركوه فقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه ذلك نبي ضيعه قومه وأتت ابنته النبي صلى الله عليه وسلم فآمنت به كذا قيل انه آخر الحوادث أيام ملوك الطوائف ولا وجه له فان من أدركت ابنته النبي صلى الله عليه وسلم يكون بعد اجتماع الملك لاردشير بن بابك بدهر طويل ونرجع الى اخبار ملوك الفرس لسياق التاريخ وتقدم قبل ذكرهم عدد الملوك الاشغانية من ملوك الطوائف وطبقات ملوك الفرس ان شاء الله تعالى

﴿ذكر طبقات ملوك الفرس﴾

الطبقة الاولى الفيشداذية ملوك الارض بعد جيومرث أوشهنج وملك فيشداذ أربعين سنة ومعنى فيشداذ أول حاكم ملك بعده طهمورث بن نوجهان ثلاثين سنة ثم ملك أخوه جمشيد سبعمائة وست عشرة سنة ثم ملك بيوراسف بن اروند اسف ألف سنة ثم ملك افريدون بن اثفيان خمسمائة سنة ثم ملك منوجهر مائة وعشرين سنة ثم ملك افراسياب التركي اثنتي عشرة سنة ثم ملك زو بن تهماسف ثلاث سنين ثم ملك كرشاسب تسع سنين

﴿الطبقة الثانية الكيانية﴾

وتسعين مرة ونصف مرة وأما بعدها من الارض فان أقرب بعد القمر منها مائة ألف وثمانية وعشرون ألف ميل وأبعد بعده من الارض مائة ألف وأربعة وعشرون ألف ميل وأبعد بعد عطارد من الارض سبعمائة ألف ألف وسبعمائة وثلاثة وثلاثون ألف ميل وأبعد بعد الزهرة من الارض أربعة آلاف ومائة وتسعة عشر ألف ميل وستمائة ميل وأبعد بعد الشمس من الارض أربعة آلاف ألف وثمانمائة ألف وعشرون ألفا ونصف ميل وأبعد بعد المريخ من الارض ثلاثة وثلاثون ألف ألف ميل وثمانمائة ميل وشئ وأبعد بعد المشترى من الارض أربعة وخمسون ألف ألف ومائة ألف وستون ألف ميل الاشيا وأبعد بعد زحل من الارض سبعة وسبعون ألف ألف ميل الاشيا وبعد الكواكب الثابتة من الارض نحو ذلك فبما ذكرنا من القسمة ولاخذ المقاييس استدرك القوم الساعات وبها استخرجوا الآلات والاسطرلابات وعليها صنفوا كتبهم كلها وهذا باب ان شرعنا في ايراد البعض منه كثر واتسع الكلام وانما ذكرنا لمعا من هذه الفنون لتدل

ثم ملك كيقباذ مائة وستاوعشرين سنة ثم ملك كيكاوس مائة وخمسين سنة ثم ملك كيخسرو ثمانين سنة ثم ملك كي لهراسب مائة وعشرين سنة ثم ملك كي بشتاسب مائة وعشرين سنة ثم ملك كي بهمن مائة واثنتي عشرة سنة ثم ملك خماني جهرازاد ثلاثين سنة ثم ملك أخوها دارا بن بهمن اثنتي عشرة سنة ثم ملك ابنه دارا بن دارا أربع عشرة سنة وهو الذي أخذ الاسكندر الملك منه وكان ملك الاسكندر بعده أربع عشرة سنة

﴿الطبقة الثالثة الاشغانية﴾

وهم الذين استولوا على العراق والجبال وكان سائر ملوك الطوائف يعظمونهم فأول ملوك الاشغانيين أيام ملوك الطوائف أشك ملك اثنتين وخمسين سنة ثم ملك ابنه شابور بن اشك أربعا وعشرين سنة ثم ملك ابنه جوذرز بن شابور وهو الذي غزا بني اسرائيل بعد قتل يحيى بن زكريا خمسين سنة ثم ملك ابن أخيه ويجن بن بلاش احدى وعشرين سنة ثم ملك جوذرز بن ويجن تسع عشرة سنة ثم ملك أخوه نرسه ثلاثين سنة ثم ملك عمه هرمزان بن بلاش بن شابور تسع عشرة سنة ثم ملك ابنه فيروز بن هرمزان اثنتي عشرة سنة ثم ملك ابنه خسرو أربعين سنة ثم ملك أخوه بلاش ابن فيروز أربعا وعشرين سنة ثم ملك ابنه اردوان بن بلاش خمسا وخمسين سنة وقد ذكر بعضهم انه ملك بعد هرمزان بن بلاش اردوان الاكبر اثنتي عشرة سنة وقيل في عدد ملوك الطوائف غير ذلك والفرس تعترف باضطراب التاريخ عليهم في أيام ملوك الطوائف وملك بيوراسف وملك افراسياب التركي لانهم زال الملك عنهم ولم يمكن ضبطه

﴿الطبقة الرابعة الساسانية﴾

فأولهم اردشير بن بابك

﴿ذكر أخبار اردشير بن بابك وملوك الفرس﴾

قيل لما مضى من لدن ملك الاسكندر أرض بابل في قول النصارى وأهل الكتاب الاول خمسمائة سنة وثلاث وعشرون سنة وفي قول المجوس مائتان وست وستون وثب اردشير بن بابك ابن ساسان الاصغر بن بابك بن ساسان بن بابك بن مهرمس بن ساسان بن بهمن الملك بن اسفنديار ابن بشتاسب وقيل في نسبه غير ذلك يريد الاخذ بثار الملك دارا بن دارا ورد الملك الى أهله والى مالم يزل عليه أيام سلفه الذين مضوا قبل ملوك الطوائف وجمعه لرئيس واحد وذكران مولده كان بقرية من قرى اصطخر يقال لها طيروده من رستاق اصطخر وكان جده ساسان شجاعا مغرى بالصيد وتزوج امرأة من نسل ملوك فارس يعرفون بالبادرنجيين وكان قيما على بيت نار باصطخر يقال له بيت نارهيد فولدت له بابك فلما كبر قام بأمر الناس بعد أبيه ثم ولد له ابنه اردشير وكان ملك اصطخر يومئذ رجلا من البادرنجيين يقال له جوزهر وكان له خصي اسمه تيرى قد صيره ارجبذا بدارابجرد فلما أتى لاردشير سبع سنين قدمه أبوه الى جوزهر وسأله ان يضمه الى تيرى ليكون ربيباله وارجبذا بعده في موضعه فأجابه وأرسله الى تيرى فقبله وتبناه فلما هلك تيرى تقلد اردشير الامر وحسن قيامه به وأعلمه قوم من المنجمين صلاح مولده وانه تملك فازداد في الخير ورأى في منامه ملكا جلس عند رأسه فقال له ان الله يملكك البلاد فقويت نفسه قوة لم يعهدها وكان أول مافعل انه سار الى موضع من دارابجرد يسمى خوبابان فقتل ملكها واسمه فاسين ثم سار الى موضع يقال له كوسن فقتل ملكها واسمه منوجهر ثم الى موضع يقال له لزويز فقتل ملكها واسمه دارا وجعل في هذه المواضع قوما من قبله وكتب الى أبيه بما كان منه وأمره

بالوثوب

على مالم نورده وقد رتبت الصابئة من الحرانيين وهم عوام اليونانيين وحشوية الفلاسفة المتقدمين في هياكلها مراتب على ترتيب هذه الافلاك السبعة وأعلى كهانهم يسمى رأس كمرودن بعدهم النصارى برتبة الكهنة في كهانها على ماتقدمت فيه الصابئة في مذهبها وسمت النصارى هذه المراتب العظات فأولها السلط والثاني اعنسط والثالث بودنا والرابع شماس والخامس قسيس والسادس بودوط والسابع حورالفيمنطس وهو الذي يخلف الاسقف والثامن اسقف والتاسع مطران وتفسيره مطران رئيس المدينة والذي فوق هؤلاء كلهم في المرتبة البطرك وتفسيره أبو الآباء ممن تقدم ذكرهم من أصحاب المراتب وغيرهم من الاداني وعوامهم هذا عند خواص النصارى فاما العوام منهم فيذكرون في هذه المراتب غير ماذكرنا وهو أن ملكا ظهر وأظهر أمورا يذكرونها الاحاجة بنا الى وصفها وهذا ترتيب الملكية وهم عمد النصرانية وقطبها لان المسارقة وهم العباد والملقبون بالنسطورية

بالوثوب بجوزهر وهو بالبيضاء ففعل ذلك وقتل جوزهر وأخذ تاجه وكتب الى اردوان ملك الجبال وما يتصل بها يتضرع اليه ويسأله في تتويج ابنه سابور بتاج جوزهر فمنعه من ذلك وهدده فلم يحفل بابك بذلك وهلك في ثلاثة أيام فتتوج سابور بن بابك بالتاج وملك مكان أبيه وكتب الى اردشير يستدعيه فامتنع فغضب سابور وجمع جموعا وسار بهم نحوه ليحاربه وخرج من اصطخر وبها عدة من أصحابه واخوانه وأقاربه وفيهم من هو أكبر سنا منه فأخذوا التاج والسرير وسلموه الى اردشير فتتوج وافتتح أمره بجد وقوة وجعل له وزيرا ورتب موبذ موبذان وأحس من اخوته وقوم كانوا معه بالفتك به فقتل جماعة كثيرة منهم وعصى عليه أهل دارابجرد فعاد اليهم فافتتحها وقتل جماعة من أهلها ثم سار الى كرمان وبها ملك يقال له بلاش فاقتتلا قتالا شديدا وقاتل اردشير بنفسه وأسر بلاش فاستولى على المدينة وجعل فيها ابنا له اسمه اردشير أيضا وكان في سواحل بحر فارس ملك اسمه اسيون يعظم فسار اليه اردشير فقتله وقتل من معه واستخرج له أموالا عظيمة وكتب الى جماعة من الملوك منهم مهرك صاحب ابرساس من اردشيرخرة يدعوهم الى الطاعة فلم يفعلوا فسار اليهم فقتل مهرك ثم سار الى جور فأسسها وبنى الجوسق المعروف بالطوبال وبيت نار هناك فبيناه هو كذلك اذ ورد عليه رسول اردوان بكتاب فجمع الناس فقرأه عليهم فاذا فيه انك عدوت قدرك واجتلبت حتفك أيها الكردي من أذن لك في التاج والبلاد ومن أمرك ببناء المدينة وأعلمه انه قد وجه اليه ملك الاهواز ليأتيه به في وثاق فكتب اليه ان الله حباني بالتاج وملكني البلاد وأنا أرجو ان يمكنني منك فأبعث برأسك الى بيت النار الذي أسسته وسار اردشير نحو اصطخر وخلف وزيره ابرسام باردشيرخرة فلم يلبث الا قليلا حتى ورد عليه كتاب برسام بموافاة ملك الاهواز وعوده منكوبا ثم سار الى اصبهان فملكها وقتل ملكها وعاد الى فارس وتوجه الى محاربة نيروفر صاحب الاهواز وسار الى ارجان والى ميسان وطاسار ثم الى سرق فوقف على شاطئ دجيل فظفر بالمدينة وابتنى مدينة سوق الاهواز وعاد الى فارس بالغنائم ثم عاد من فارس الى الاهواز على طريق خرة وكازرون وقتل ملك ميسان وبنى هناك كرخ ميسان وعاد الى فارس فأرسل الى اردوان يؤذنه بالحرب ويقول له ليعين موضع القتال فكتب اليه اردوان اني أوافيك في صحراء هرمزجان لانسلاخ مهرماه فوافاه اردشير قبل الوقت وخندق على نفسه واحتوى على الماء ووافاه اردوان وملك الارمانيين وكانا يتحاربان على الملك فاصطلحا على اردشير وحارباه وهما متساندان يقاتله هذا يوما وهذا يوما فاذا كان يوم بابا ملك الارمانيين لم يقم له اردشير واذا كان يوم اردوان لم يقم لاردشير فصالح اردشير بابا ملك الارمانيين على أن يكف عنه ويفرغ اردشير لاردوان فلم يلبث ان قتله واستولى على ما كان له وأطاعه بابا وسمى اردشير شاهنشاه ثم سار الى همذان فافتتحها والى الجبل وأذربيجان وأرمينية والموصل ففتحها عنوة وسار الى السواد من الموصل فملكه وبنى على شاطئ دجلة قبالة طيسبون وهي المدينة التي في شرق المدائن مدينة غربية وسماها به اردشير وعاد من السواد الى اصطخر وسار منها الى سجستان ثم الى جرجان ثم الى نيسابور ومرو وبلخ وخوارزم وعاد الى فارس ونزل جور فجاءه رسل ملك كوسان وملك طوران وملك مكران بالطاعة ثم سار من جور الى البحرين فاضطر ملكها الى ان رمى نفسه من حصنه فهلك وعاد الى المدائن فتوج ابنه سابور بتاجه في حياته وبنى ثمان مدن منها مدينة الخط بالبحرين ومدينة بهرسير مقابل المدائن وكان اسمه به اردشير فعربت بهسير وأردشيرخرة هي مدينة فيروزاباذ سماها عضد الدولة بن بويه كذلك وبنى

والمعاقبة عن هؤلاء تفرعوا ومنهم تبددوا وانما أخذت النصارى جملا من هذه المراتب على ما ذكرنا من الصابئة وأما القسيس والشماس وغير ذلك فمن المانية الا النصدوس والسماع وكان ماني حدث بعد مضي السيد عيسى بن مريم عليه السلام وكذلك ابن ديصان ومرقيون والى ماني أضيفت المانية والى مرقيون أضيفت المرقيونية والى ابن ديصان أضيفت الديصانية ثم تفرعت بعد ذلك المرقية وغيرها ممن سلك طريقة صاحب الاثنين وقد أتينا في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط على جمل من نوادر هذه المذاهب وما أوردوه من الخرافات المزخرفة والشبه الموضوعة وما ذكرناه من مذاهبهم في كتابنا في المقالات في أصول الديانات وما ذكرناه من الآراء وهدم هذه المذاهب في كتابنا المترجم بكتاب الابانة في أصول الديانة وانما نذكر في هذه الأبواب ما يتشعب الكلام اليه ويتغلغل هذا الوصف نحوه فنورد منه لمعا على طريق الخبر والحكاية للمذهب لا على طريق النظر والجدل

بكرمان مدينة أردشير أيضا فعربت بردشير وبنى بهمن أردشير على دجلة عند البصرة والبصريون يسمونها بهمن شير وفرات ميسان أيضا وبنى رامهرمز من بخوزستان وبنى سوق الاهواز وبالموصل بود أردشير وهى حزة ولم يزل محمود السيرة مظفرا منصورا لا ترد له راية ومدن المدن وكور الكور ورتب المراتب وعمر البلاد وكان ملكه من قتله أردوان الى ان هلك أربع عشرة سنة وقيل أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ولما استولى أردشير على العراق كره كثير من تنوخ المقام فى مملكته فخرج من كان منهم من قضاعة الى الشام ودان له أهل الحيرة والانبار وقد كانت الحيرة والانبار بنيتا زمن بختنصر فخربت الحيرة تحول أهلها الى الانبار وعمرت الانبار خمسمائة سنة وخمسين سنة الى ان عمرت الحيرة زمن عمرو بن عدى فعمرت خمسمائة وبضعا وثلاثين سنة الى ان وضعت الكوفة ونزلها أهل الاسلام

(ذكر ملك سابور بن أردشير بن بابك)

ولما هلك أردشير بن بابك قام بالملك بعده ابنه سابور وكان أردشير قد أسرف فى قتل الاشكانية حتى أفناهم بسبب اليمين التى آلاها جده ساسان بن اردشير بن بهمن فانه أقسم انه ان ملك يوما من الدهر لم يستبق من نسل اشك بن حرة أحدا وأوجب ذلك على عقبه فكان أوّل من ملك من عقبه اردشير فقتلهم جميعا نساءهم ورجالهم غير ان جارية وجدها فى دار المملكة فأعجبته وكانت ابنة للملك المقتول فسألها عن نسبها فذكرت انها خادم لبعض نساء الملك فسألها أبكر أم ثيب فأخبرته انها بكر فاتخذها لنفسه وواقعها فعلقت منه فلما أمنت منه بحبلها أخبرته انها من ولد اشك فنفر منها ودعا هرجند بن اسام وكان شيخا مسنا فأخبره الخبر وقال له ليقتلها ليبر قسم جده فأخذها الشيخ ليقتلها فأخبرته انها حبلى فأتى بالقوابل فشهدن بحبلها فأودعها سربا من الارض ثم قطع مذاكيره ووضعها فى حق وختم عليه وحضر عند الملك فقال ما فعلت فقال استودعتها بطن الارض ودفع الحق اليه وسأله ان يختمه بخاتمه ويودعه بعض خزائنه ففعل ثم وضعت الجارية غلاما فكره الشيخ ان يسمى ابن الملك دونه وخاف أن يعلمه به وهو صغير فأخذ له الطالع وسماه شاه بور ومعناه ابن الملك فيكون اسما وصفة وهو أوّل من تسمى بهذا الاسم وبقى اردشير لا يولد له فدخل عليه الشيخ الذى عنده الصبى يوما فوجده محزونا فقال له ما يحزن الملك فقال ضربت بسيفى ما بين المشرق والمغرب حتى ظفرت وصفا لى ملك آبائى ثم أهلك وليس لى عقب فيه فقال له الشيخ سرك الله أيها الملك وعمرك لك عندى ولد طيب نفيس فادع لى بالحق الذى استودعتك أرك برهان ذلك فدعا اردشير بالحق وفضه فوجد فيه مذاكير الشيخ وكتابا فيه انما أخبرتنى ابنة اشك التى علقت من ملك الملوك حين أمر بقتلها لم أستحل اتلاف زرع الملك الطيب فأودعتها بطن الارض كما أمر وتبرأنا اليه من أنفسنا لئلا يجد علينا سبيلا فأمره اردشير ان يجعل مع سابور مائة غلام وقيل ألف غلام من اشباهه فى الهيئة والقامة ثم يدخلهم عليه جميعا لا يفرق بينهم زى ففعل الشيخ فلما نظر اليهم اردشير قبلت نفسه ابنه من بينهم ثم اعطوا صوالجة وكرة فلعبوا بالكرة وهو فى الايوان فدخلت الكرة الايوان فهاب الغلمان ان يدخلوه وأقدم سابور من بينهم ودخل فاستدل باقدامه مع ما كان من قبوله له حين رآه انه ابنه فقال له اردشير ما اسمك قال شاه بور فلما ثبت عنده انه ابنه شهر أمره وعقد له التاج من بعده وكان عاقلا بليغا فاضلا فلما ملك ووضع التاج على رأسه فرق الاموال على الناس من قرب ومن بعد وأحسن اليهم فبان فضل سيرته وفاق جميع الملوك وبنى مدينة نيسابور ومدينة سابور بفارس وبنى فيروز سابور وهى الانبار وبنى جندى سابور وقيل

انه

الا يخلو كتابنا هذا مما تدعو الحاجة اليه والى ذكره والله أعلم

(ذكر الاخبار عن انتقال البحار وجمل من اخبار الانهار الكبار)

ذكر صاحب المنطق ان البحار تنتقل على مرور السنين وطول الدهر حتى تصير مواضع مختلفة وان جملة البحار متحركة الا ان تلك الحركة اذا أضيفت الى جملة مياهها وسعة سطوحها وبعد قعورها صارت كانها ساكنة وليست مواضع الارض الرطبة أبدا رطبة ولا مواضع الارض اليابسة أبدا يابسة لكنها تتغير وتستحيل لصب الانهار اليها وانقطاعها عنها ولهذه العلة يستحيل موضع البحر وموضع البر فليس موضع البر أبدا برا ولا موضع البحر أبدا بحرا بل قد يكون برا حيث كان مرة بحرا ويكون بحرا حيث كان مرة برا وعلة ذلك الانهار وبدؤها فان لمواضع الانهار شبابا وهرما وحياة وموتا ونشورا كما يكون ذلك فى الحيوان والنبات غير ان الشباب والكبر فى الحيوان والنبات لا يكون جزأ بعد جزء لكنها تشب وتكبر أجزاؤها كلها معا وكذلك تهرم وتموت فى وقت واحد

انه حاصر الروم بنصيبين وفيها جمع من الروم مدة ثم أتاه من ناحية خراسان ما احتاج الى مشاهدته فسار اليها وأحكم أمرها ثم عاد الى نصيبين فزعموا ان سورها تصدع وانفرجت منه فرجة دخل منها وقتل وسبى وغنم وتجاوزها الى بلاد الشام فافتتح من مدائنها مدنا كثيرة منها قالوقية وقدوقية وحاصر ملك الروم بانطاكية فاسره وحمله وجماعة كثيرة معه فاسكنهم مدينة جنديسابور

(ذكر خبر مدينة الحضر)

كانت بجبال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضر وكان بها ملك يقال له الساطرون وكان من الجرامقة والعرب تسميه الضيزن وهو من قضاعة وكان قد ملك الجزيرة وكثر جنده وانه تطرق بعض السواد اذ كان سابور بخراسان فلما عاد سابور أخبر بما كان منه فسار اليه وحاصره أربع سنين وقيل سنتين لا يقدر على هدم حصنه ولا الوصول اليه وكان للضيزن بنت تسمى النضيرة فحاضت فاخرجت الى ربض المدينة وكذلك كان يفعل بالنساء وكانت من أجمل النساء وكان سابور من أجمل الناس فرأى كل واحد منهما صاحبه فتعاشقا فارسلت اليه ما تجعل لى ان دللتك على ما تهدم به سور المدينة فقال احكمك وأرفعك على نسائي فقالت عليك بحمامة ورقاء مطوقة فاكتب على رجلها بحيض جارية بكر زرقاء ثم أرسلها فانها ستقع على سور المدينة فيخرب وكان ذلك طلسم ذلك البلد ففعل وتداعت المدينة فدخلها عنوة وقتل الضيزن وأصحابه فلم يبق منهم أحد يعرف اليوم وأخرب المدينة واحتمل النضيرة فاعرس بها بعين التمر فلم تزل ليلتها تتضور فالتمس ما يؤذيها فاذا ورقة آس ملتزقة بعكنة من عكن بطنها فقال لها ما كان يغذوك به أبوك قالت بالزبد والمخ وشهد الابكار من النحل وصفو الخمر فقال وأبيك لانا أحدث عهدا وآثر لك من أبيك فامر رجلا فركب فرسا جموحا ثم عصب غدائرها بذنبه ثم استركضها فقطعها قطعا وقد أكثر الشعراء ذكر الضيزن فى أشعارهم وفى أيام سابور ظهر مانى الزنديق وادعى النبوة وتبعه خلق كثير وهم الذين يسمون المانوية وكان ملكه ثلاثين سنة وخمسة عشر يوما وقيل احدى وثلاثين سنة وستة أشهر وتسعة أيام

(ذكر ملك ابنه هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك)

وكان يشبه فى خلقه باردشير ولا حق به فى تدبيره وكان من البطش والجراءة على أمر عظيم وكانت أمه من بنات مهرك الملك الذى قتله أردشير وتتبع نسله فقتلهم لان المنجمين اخبروه انه يكون من نسله من يملك فهربت أمه الى البادية وأقامت عند بعض الرعاء وخرج سابور متصيدا فاشتد به العطش وارتفعت له الاخبية التى فيها أم هرمز فقصدها وطلب الماء فناولته المرأة فرأى منها جمالا فائقا فلم يلبث ان حضر الرعاء فسألهم سابور عنها فقال بعضهم انها ابنته فتزوجها وسار بها الى منزله وكسيت ونظفت فارادها فامتنعت عليه مدة فلما طال عليه سألها عن سبب ذلك فاخبرته انها ابنة مهرك وانها تفعل ذلك ابقاء عليه من أردشير فعاهدها على ستر أمرها ووطئها فولدت له هرمز فستر أمره حتى صار له سنون فركب أردشير يوما الى منزل ابنه سابور لشئ أراد ذكره له فدخل منزله مفاجأة فلما استقر خرج هرمز وبيده صولجان وهو يصيح فى أثر الكرة فلما رآه أردشير أنكره ووقف على المشابه التى فيه من حسن الوجه وعبالة الخلق وأمور غيرها فاستدناه أردشير وسأل عنه سابور فخرج معترفا على سبيل الاقرار بالخطا وأخبر أباه أردشير الخبر فسر وأخبره انه قد تحقق الذى ذكره المنجمون فى ولد مهرك وان ذلك قد سلى ما كان فى نفسه وأذهبه فلما ملك سابور ولى هرمز خراسان وسيره اليها فقهر الاعداء واستقل بالامر فوشى به الوشاة الى

فاما الارض فانها تهرم وتكبر جزأ بعد جزء وذلك بدوران الشمس وان مجراها كلها أعنى البحار واحد وذلك من البحر الاعظم وان ذلك بحر عذب ليس هو بحر اقيانوس وزعمت طائفة ان البحار فى الارضين كالعروق فى البدن وقال آخرون حق الماء ان يكون على سطح فلما اختلفت الارض فكان منها العالى والهابط انحاز الماء الى اعماق الارض فاذا انحصرت المياه فى اعماق الارض وقعورها طلبت النفس حينئذ الغلظ الارض وضغطها اياها من أسفل فينشق من ذلك العيون والانهار وربما تتولد فى باطن الارض من الهواء الكائن هناك وان الماء ليس باستقص وانما هو متولد من عفونات الارض وبخارها وقالوا فى ذلك كلاما كثيرا أعرضنا عن ذكره طلبا للايجاز وميلا للاختصار وبسطنا ذلك فى غير كتاب من كتبنا وأما مبادئ الانهار الكبار ومطارحها ومقادير جريانها فنهر مهران السند وجيحس وهو نهر عظيم بأرض الهند ونهر سامط وهو نهر عظيم ونهر اطفاس الذى يصب الى نهر نيطش وغيرهما

سابور رأنه على عزم ان يأخذ الملك منه وسمع هرمز بذلك فقيل انه قطع يده وأرسلها الى أبيه فكتب اليه بما بلغه وانه فعل ذلك ازالة للتهمة لان رسمهم انهم كانوا لايملكون ذا عاهة فلما وصلت يده الى سابور تقطع اسفا وأرسل الى هرمز يعلمه ماناله لذلك وعقد له على الملك وملكه ولما ملك عدل فى رعيته وكان صادقا وسلك سبيل آبائه وكور كورة رامهرمز وكان ملكه سنة وعشرة أيام

﴿ ذكر ملك ابنه بهرام بن هرمز بن سابور ﴾

وكان حليما متأنيا حسن السيرة وقتل مانى الزنديق وسلخه وحشا جلده تبنا وعلق على باب من ابواب جنديسابور يسمى باب مانى وكان ملكه ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام وكان عامل سابور بن أردشير وابنه هرمز وبهرام بن هرمز بعد مهلك عمرو بن عدى على ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ ابن لعمرو بن عدى يقال له امرؤ القيس الكندى وهو أول من تنصر من آل نصر بن ربيعة وعمال الفرس وعاش مملكا فى عمله مائة سنة وأربع عشرة سنة منها فى زمن سابور بن أردشير ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وفى زمن هرمز بن سابور سنة وعشرة أيام وفى زمن بهرام ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام وفى زمن بهرام بن بهرام بن هرمز ثمانى عشرة سنة

﴿ ذكر ملك ابنه بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ﴾

وكان ملكه حسنا وكان عالما بالامور فلما عقد له التاج وعدهم بحسن السيرة واختلف فى سنى ملكه فقيل ثمانى عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة والله أعلم

﴿ ذكر ملك بهرام بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور ﴾

فلما عقد التاج على رأسه دعا له العظماء فأحسن الرد وكان قبل ان يفضى اليه الامر مملكا على سجستان وكان ملكه أربع سنين

﴿ ذكر ملك نرسى بن بهرام ﴾

وهو أخو بهرام الثالث فلما عقد التاج على رأسه دخل عليه الاشراف والعظماء ماندعوا له فوعدهم خيرا وسار فيهم باعدل السيرة وقال لن نضيع شكر ما أنعم الله به علينا وكان ملكه تسع سنين

﴿ ذكر ملك هرمز بن نرسى بن بهرام بن بهرام بن هرمز ﴾

وكان الناس قد وجلوا منه لفظاظته فاعلمهم انه قد علم ما كانوا يخافون من شدة ولايته وان الله قد أبدل ما كان فيه من الفظاظة رقة ورأفة وساسهم أرفق سياسة وكان حريصا على انتعاش الضعفاء وعمارة البلاد والعدل ثم هلك ولا ولد له فشق ذلك على الناس فسألوا عن نسائه فذكر لهم ان بعضهن حبلى وقيل ان هرمز كان أوصى بالملك لذلك الحمل وولدت المرأة سابور ذا الاكتاف وكان ملك هرمز ست سنين وخمسة أشهر وقيل سبع سنين وخمسة أشهر وأسماء الملوك من سابور بن أردشير الى ههنا لم يحذف منها شئ

﴿ ذكر ملك ابنه سابور ذى الاكتاف ﴾

وهو سابور بن هرمز بن نرسى بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن اردشير بن بابك قيل ملك بوصية أبيه له فاستبشر الناس بولادته وبثوا خبره فى الآفاق وتقلد الوزراء والكتاب ما كانوا يعملونه فى ملك أبيه وسمع الملوك ان ملك الفرس صغير فى المهد فطمعت فى مملكتهم الترك والعرب والروم وكانت العرب أقرب الى بلاد فارس فسار جمع عظيم منهم فى البحر من عبد القيس والبحرين الى بلاد فارس وسواحل اردشير خرة وغلبوا أهلها على مواشيهم ومعايشهم وأكثروا

كبر من الانهار فقد تكلم الناس فى مقدار جريانها على وجه الارض فرأيت فى جغرافيا (النيل) مصورا ظاهرا من تحت جبل القمر ومنبعه ومبدء ظهوره من اثنتى عشرة عينا فتصب تلك المياه الى بحر بن هنالك كالبطائح ثم يجتمع الماء جاريا فيمر برمال هنالك وجبال ويخرق أرض السودان مما يلى بلاد الزنج فيتشعب منه خليج ينصب الى بحر الزنج وهو بحر جزيرة قنبلو وهى جزيرة عامرة فيها قوم من المسلمين الا انهم لغتهم زنجية غلبوا على هذه الجزيرة وسبوا من كان فيها من الزنج كغلبة المسلمين على جزيرة اقريطش فى البحر الرومى وذلك فى مبدا الدولة العباسية وتقضى الاموية ومنها الى عمان فى البحر نحو من خمسمائة فرسخ على ما يقول البحريون حزرا منهم لذلك على طريق التحصيل والمساحة وذكر جماعة من نواخذة هذا البحر من السيرافيين والعمانيين ومنهم أرباب المراكب انهم يشاهدون فى هذا البحر فى الوقت الذى يذكر فيه زيادة النيل بمصر أو قبل الاوان بمدة يسيرة ماء يخرق هذا البحر بشقه

الفساد وغلبت اياد على سواد العراق وأكثروا الفساد فيهم فكثوا حينا لا يغزوهم أحد من الفرس لصغر ملكهم فلما ترعرع سابور وكبر كان أول ما عرف من حسن فهمه انه سمع فى السحر ضوضاة وأصواتا فسأل عن ذلك فقيل ان الناس يزدحمون فى الجسر الذى على دجلة مقبلين ومدبرين فامر بعمل جسر آخر يكون أحدهما للمقبلين والآخر للمدبرين فاستبشر الناس بذلك فلما بلغ ست عشرة سنة وقوى على حمل السلاح جمع رؤساء أصحابه فذكر لهم ما اختل من أمرهم وانه يريد الذب عنهم ويشخص الى بعض الاعداء فدعا له الناس وسألوه ان يقيم بموضعه ويوجه القواد والجنود ليكفوه ما يريد فأبى واختار من عسكره ألف رجل فسألوه الازدياد فلم يفعل وسار بهم ونهاهم عن الابقاء على أحد من العرب وقصد بلاد فارس فاوقع بالعرب وهم غارون فقتل وأسر وأكثر ثم قطع البحر الى الخط فقتل من بالبحرين لم يلتفت الى غنيمة وسار الى هجر وبها ناس من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس فقتل منهم حتى سالت دماؤهم على الارض وأباد عبد القيس وقصد اليمامة وأكثر فى أهلها القتل وغوّر مياه العرب وقصد بكرا وتغلب فيما بين مناظر الشام والعراق فقتل وسبى وغور مياههم وسار الى قرب المدينة ففعل كذلك وكان ينزع أكتاف رؤسائهم ويقتل الى ان هلك فسموه سابور ذا الاكتاف لهذا وانتقلت اياد حينئذ الى الجزيرة وصارت تغير على السواد فجهز سابور اليهم الجيوش وكان لقيط الايادى معهم فكتب الى اياد

سلام فى الصحيفة من لقيط * الى من بالجزيرة من اياد
بأن الليث كسرى قد أتاكم * فلا يشغلكم سوق النقاد
أتاكم منهم سبعون ألفا * يزجون الكتائب كالجراد

فلم يقبلوا منه وداموا على الغارة فكتب اليهم أيضا

أبلغ ايادا وخلل فى سراتهم * انى أرى الرأى ان لم أعص قد نصعا

وهى قصيدة مشهورة من أجود ما قيل فى صفة الحرب فلم يحذروا وأوقع بهم سابور وأبادهم قتلا الا من لحق بأرض الروم فهذا فعله بالعرب وأما الروم فان سابور كان هادن ملكهم وهو قسطنطين وهو أوّل من تنصر من ملوك الروم ونحن نذكر سبب تنصره عند الفراغ من ذكر سابور ان شاء الله ومات قسطنطين وفرق ملكه بين ثلاثة بنين كانوا له فهلكوا وملكت الروم عليهم رجلا من أهل بيت قسطنطين يقال له اليانوس وكان على ملة الروم الاولى ويكتم ذلك فلما ملك أظهر دينه وأعاد ملة الروم وأخرب البيع وقتل الاساقفة ثم جمع جموعا من الروم والخزر وسار نحو سابور واجتمعت العرب للانتقام من سابور فاجتمع فى عسكر اليانوس منهم خلق كثير وعادت عيون سابور اليه فاختلفوا فى الاخبار فسار سابور بنفسه مع جماعة من ثقاته نحو الروم فلما قرب من يوسانوس وهو على مقدمة اليانوس اختفى وأرسل بعض من معه الى الروم فاخذوا وأقر بعضهم على سابور فارسل يوسانوس اليه سرا ينذره فارتحل سابور الى عسكره وتحارب هو والعرب والروم فانهزم عسكره وقتل منهم مقتلة عظيمة وملكت الروم مدينة طيسفون وهى المدائن الشرقية وملكوا أيضا أموال سابور وخزائنه وكتب سابور الى جنوده وقواده يعلمهم ما لقى من الروم والعرب ويستحثهم على المسير اليه فاجتمعوا اليه وعادوا فاستنقذوا مدينة طيسفون ونزل اليانوس مدينة بهرسير واختلف الرسل بينهما فبينما اليانوس جالس أصابه سهم لا يعرف راميه فقتله فسقط فى أيدى الروم ويئسوا من الخلاص من بلاد الفرس فطلبوا من يوسانوس ان يملك عليهم فلم يفعل وأبى الا أن يعودوا الى النصرانية فاخبروه انهم على ملته وانما كتموا ذلك خوفا من اليانوس

من شدة جريانه يخرج من جبال الزنج عرضه أكثر من ميل عذبا حلوا يتكدر فى أثارة الزيادة فيه السموسار وهو التمساح الكائن فى نيل مصر ويسمى أيضا الورل وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ ان نهر مهران الذى هو نهر السند من النيل ويستدل على انه من النيل بوجود التماسيح فيه فلست أدرى كيف وقع له هذا الدليل وذكر ذلك فى كتابه المترجم بكتاب الامصار وهو كتاب فى نهاية الغثاثة لان الرجل لم يسلك البحار ولا أكثر الاسفار ولا يعرف المسالك والامصار وانما كان حاطب ليل ينقل من كتب الوراقين أولم يعلم ان نهر مهران السند يخرج من أعين مشهورة من أعالى بلاد السند من أرض القنوج الى مملكة بووره وأرض قشمير والقندار والطافر حتى ينتهى الى بلاد المولتان ومن هنالك يسمى مهران وتفسير المولتان رجل من قريش من ولد سامة بن لؤى بن غالب والقوافل منه الى خراسان متصلة وكذلك صاحب مملكة المنصورة رجل من قريش من ولد هبار بن الاسود وهذا الملك فى هؤلاء وملك صاحب المولتان متوارثان قديما منذ صدر الاسلام حتى ينتهى نهر مهران الى

ذلك عليهم وأرسل سابور الى الروم يتهددهم ويطالب الذى ملك عليهم يجتمع به فسار اليه يوسانوس فى ثمانين رجلا فتلقاه سابور وتساجدا وطعما وقوى سابور أمر يوسانوس بجهده وقال للروم انكم أخربتم بلادنا وأفسدتم فيها فاما ان تعطونا قيمة ما أهلكتم واما ان تعوضونا نصيبين وكانت قديما للفرس فغلبت الروم عليها فدفعوها اليهم وتحول أهلها عنها فحول اليها سابور اثنى عشر ألف بيت من أهل اصطخر وأصبهان وغيرها وعادت الروم الى بلادها وهلك ملكهم بعد ذلك بيسير وقيل ان سابور سار الى حد الروم وأعلم أصحابه انه على قصد الروم مختفيا لمعرفة أحوالهم وأخبار مدنهم وسار اليهم فجال فيهم حينا وبلغه ان قيصر أولم وجمع الناس فحضر بزى سائل لينظر الى قيصر على الطعام ففطن به وأخذ وأدرج فى جلد ثور وسار قيصر بجنوده الى أرض فارس ومعه سابور على تلك الحال فقتل وأخرب حتى بلغ جنديسابور فتحصن أهلها وحاصرها فبينما هو يحاصرها اذ غفل الموكلون بحراسة سابور وكان بقربه قوم من سبى الاهواز فأمرهم ان يلقوا على القد الذى عليه زيتا كان بقربهم ففعلوا ولان الجلد وانسل منه وسار الى المدينة وأخبر حراسها فادخلوه فارتفعت أصوات أهلها فاستيقظ الروم وجمع سابور من بها وعبأهم وخرج الى الروم سحر تلك الليلة فقتلهم وأسر قيصر وغنم أمواله ونساءه وأثقله بالحديد وأمره بعمارة ما أخرب وألزمه بنقل التراب من بلد الروم ليبنى به ما هدم المنجنيق من جنديسابور وان يغرس الزيتون مكان النخل ثم قطع عقبه وبعث به الى الروم على حمار وقال هذا جزاؤك ببغيك علينا فاقام مدة ثم غزا فقتل وسبى سبايا أسكنهم مدينة بناها بناحية السوس سماها ايرانشهر سابور وبنى مدينة نيسابور بخراسان فى قول وبالعراق بزرج سابور وكان ملكه اثنتين وسبعين سنة وهلك فى ايامه امرؤ القيس بن عمرو بن عدى عامله على العرب فاستعمل ابنه عمرو بن امرئ القيس فبقى فى عمله بقية ملك سابور وجميع أيام أخيه اردشير بن هرمز وبعض أيام سابور بن سابور وكانت ولايته ثلاثين سنة وأما سبب تنصر قسطنطين فانه كان قد كبر سنه وساء خلقه وظهر به وضح كبير فارادت الروم خلعه وترك ماله عليه فشاور نصحاءه فقالوا له لا طاقة لك بهم فقد أجمعوا على خلعك وانما تحتال عليهم بالدين وكانت النصرانية قد ظهرت وهى خفية وقالوا له استمهلهم حتى تزور البيت المقدس فاذا زرته دخلت فى دين النصرانية وحملت الناس عليه فانهم يعترفون فتقاتل من عصاك بمن أطاعك وما قاتل قوم على دين الا نصروا ففعل ذلك فاطاعه عالم عظيم وخالفه خلق كثير وأقاموا على دين اليونانية فقاتلهم وظفر بهم فقتلهم فاحرق كتبهم وحكمتهم وبنى القسطنطينية ونقل الناس اليها وكانت رومية دار ملكهم وبقى ملكه عليه وغلب على الشام وكان الاكاسرة قبل سابور ذى الاكتاف ينزلون طيسفون وهى المدينة الغربية من المدائن فلما نشأ سابور بنى الايوان بالمدائن الشرقية وانتقل اليه وصار هو دار الملك وهو باق الى الآن ونحن فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة

ذكر ملك اردشير بن هرمز بن نرسى بن بهرام بن سابور بن اردشير بن بابك أخى سابور

فلما ملك واستقر له الملك عطف على العظماء وذوى الرياسة فقتل منهم خلقا كثيرا فخلعه الناس بعد أربع سنين من ملكه

ذكر ملك سابور بن سابور ذى الاكتاف

فلما ملك بعد خلع عمه استبشر الناس بعود ملك أبيه اليه وكتب الى العمال بالعدل والرفق بالرعية وأمر بذلك وزراءه وحاشيته وأطاعه عمه المخلوع وأحبه رعيته ثم ان العظماء وأهل الشرف

قطعوا

بلاد المنصورة وبعض نحو بلاد الديبل فى بحر الهند والتماسيح كثيرة فى أجواف هذا البحر وفى خليج ميذابون من مملكة باغر من أرض الهند وخلجان الزابج من بحر مملكة المهراج وكذلك فى خلجان الاعباب وفى عب التى تلى جزيرة سرنديب والاغلب على التماسيح كونها فى المياه العذب وماذكرنا من خلجانات الهند فالاغلب من أمواهها أن تكون عذبة لصب مياه الامصار اليها فلنرجع الآن الى الاخبار عن نيل مصر فنقول ان الذى ذكرته الحكماء انه يجرى على وجه الارض تسعمائة فرسخ وقيل ألف فرسخ فى عامر وغير عامر حتى يأتى اسوان من صعيد مصر والى هذا الموضع تصعد المراكب من فسطاط مصر وعلى أميال من اسوان جبال واحجار يجرى النيل فى وسطها ولا سبيل الى جريان السفن فيه هنالك وهذه الجبال والمواضع فارقة بين مواضع سفن الحبشة فى النيل وبين سفن المسلمين ويعرف هذا الموضع من النيل بالجنادل والصخور ثم يأتى النيل الفسطاط وقد قطع الصعيد ومر بجبل الطيلمون وحجر الاهواز من بلاد الفيوم

قطعوا أطناب خيمة كان فيها فسقطت عليه فقتلته وكان ملكه خمس سنين

(ذكر ملك أخيه بهرام بن سابور ذي الاكتاف)

وكان يلقب كرمان شاه لان أباه ملكه كرمان في حياته فكتب الى القواد كتابا يحثهم على الطاعة وكان محمودا في أموره وبنى بكرمان مدينة وثار به ناس من الفتاك فقتله أحدهم بنشابة وكان ملكه احدى عشرة سنة

(ذكر ملك يزدجرد الاثيم بن بهرام بن سابور ذي الاكتاف)

ومن أهل العلم من يقول ان يزدجرد هذا هو أخو بهرام كرمان شاه بن سابور لا ابنه وكان فظا غليظا ذا عيوب كثيرة يضع الشيء في غير مواضعه كثير الريبة في الصغائر واستعمل كل ما عنده في المواربة والدهاء والمخاتلة مع فطنة بجهات الشر وعجب به وكان عاقا سيئ الخلق لا يغفر الصغيرة من الزلات ولا يقبل شفاعة أحد من الناس وان كان قريبا منه كثير التهمة ولا يأتمن أحدا على شيء ولم يكن يكافئ أحدا على حسن البلاء وان هو أولى الخسيس من العرف استعظمه واذا بلغه ان أحدا من أصحابه صافى أحدا من أهل صناعته نحاه عن خدمته وكان فيه مع ذلك ذكاء ذهن وحسن أدب وقد مهر في صنوف من العلم واستوزر نرسي حكيم زمانه وكان فاضلا قد كمل أدبه ولقبه هزار بنده فأمل الناس ان يصلح نرسي منه فكان ما أملوه بعيدا فلما استوى له الملك واشتدت شوكته هان به الاشراف والعظماء وحمل على الضعفاء فأكثر من سفك الدماء فلما ابتليت الرعية به شكوا ما نزل بهم منه الى الله تعالى وسألوه تعجيل انقاذهم منه فزعموا انه كان بجرجان فرأى ذات يوم في قصره فرسا عائرا لم ير مثله فأخبر به فأمر ان يسرج ويلجم ويدخل عليه فلم يقدر أحد على ذلك فأعلم بذلك فخرج اليه بنفسه وألجمه بيده وأسرجه فلما رفع ذنبه ليثفره رمحه على فؤاده رمحة هلك منها مكانه وملأ الفرس فروجه جريا ولم يعلم له خبر وكان ذلك من صنع الله ورأفته بهم وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة عشر يوما وأما العرب فقيل انه لما هلك عمرو بن امرئ القيس الكندي ابن عمرو بن عدي في عهد سابور استخلف سابور على عمله أوس بن قلام وهو من العماليق فملك خمس سنين وقتل في عهد بهرام بن سابور فاستخلف بعده في عمله امرؤ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الكندي فبقي خمسا وعشرين سنة وهلك أيام يزدجرد الاثيم فاستخلف بعده في عمله ابنه النعمان وأمه شقيقة ابنة أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان وهو صاحب الخورنق وسبب بنائه له ان يزدجرد الاثيم كان لا يبقى له ولد فسأل عن منزل بريء صحيح فدل على ظاهر الحيرة فدفع ابنه بهرام جور الى النعمان هذا وأمره ببناء الخورنق مسكنا له وأمره باخراجه الى بوادي العرب وكان الذي بنى الخورنق رجلا اسمه سنمار فلما فرغ من بنائه تعجبوا منه فقال لو علمت أنكم توفوني أجري لعملته يدور مع الشمس فقال وانك لتقدر على ما هو أفضل منه ثم أمر به فالقي من رأس الخورنق فهلك فضربت العرب بجزائه المثل وهو مذكور في اشعارها وغزا النعمان هذا الشام مرارا وأكثر المصائب في أهلها وسبى وغنم وجعل معه ملك فارس كتيبتين يقال لاحداهما دوس وهي لتنوخ وللاخرى الشهباء وهي لفارس فكان يغزو بهما الشام ومن لم يطعه من العرب ثم انه جلس يوما في مجلسه من الخورنق فأشرف منه على النجف وما يليه من البساتين والانهار في يوم من أيام الربيع فأعجبه ذلك فقال لوزيره هل رأيت مثل هذا المنظر قط قال لا لو كان يدوم قال فما الذي يدوم قال ما عند الله في الآخرة قال فبم ينال ذلك قال بترك الدنيا وعبادة الله فترك ملكه من ليلته ولبس المسوح وخرج هاربا لا يعلم به فأصبح الناس فلم يروه وكان ملكه

وهو الموضع المعروف بالجزيرة التي اتخذها يوسف النبي صلى الله عليه وسلم وطنا فيقطعه وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار مصر والفيوم وضياعها وكيفية فعل يوسف عليه الصلاة والسلام في مائها ثم يمضي جاريا فتنقسمه خلجانات الى بلاد تنيس ودمياط ورشيد والاسكندرية كل يصب الى البحر الرومي وقد أحدث فيه بحيرات في هذه المواضع وقد كان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية قبل هذه الزيادة التي زادها في هذه السنة وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ونمى الي وأنا بمدينة انطاكية والثغر الشامي ان النيل زاد في هذه السنة ثمانية عشر ذراعا فلست أدري أفي هذه الزيادة دخل خليج الاسكندرية أم لا وقد كان الاسكندر بن الفيلقوس المقدوني بنى الاسكندرية على هذا الخليج من النيل وكان ينفجر اليه عظيم ماء النيل ويسقي الاسكندرية وبلاد مريوط وكان بلد مريوط هذا في نهاية العمارة والجبال المتصلة بأرض برقة من بلاد المغرب وكانت السفن تجري في النيل فتتصل بأسواق الاسكندرية وقد بلط أرض

الى ان تركه وساح تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر من ذلك فى أيام يزدجرد خمس عشرة سنة وفى زمن بهرام جور بن يزدجرد أربع عشرة سنة وأما علماء الفرس فانهم يقولون غير هذا وسيرد ذكره

﴿ ذكر ملك بهرام بن يزدجرد الاثيم ﴾

لما ولد يزدجرد بهرام جور واختار لحضانته العرب فدعا بالمنذر بن النعمان واستحضنه بهرام وشرفه وكرمه وملكه على العرب فسار به المنذر واختار لرضاعه ثلاث نسوة ذوات اجسام صحيحة واذهان ذكية وآداب حسنة من بنات الاشراف منهن عربيتان وعجمية فأرضعنه ثلاث سنين فلما بلغ خمس سنين أحضر له مؤدبين فعلموه الكتابة والرمى والفقه بطلب من بهرام بذلك وأحضر حكيما من حكماء الفرس فتعلم ووعى كل ما علمه بأدنى تعليم فلما بلغ اثنتى عشرة سنة تعلم كل ما أفيد وفاق معلميه فامرهم المنذر بالانصراف وأحضر معلمى الفروسية فأخذ عنهم كل ما ينبغى له ثم صرفهم ثم أمر فأحضرت خيل العرب للسباق فسبقها فرس أشقر للمنذر وأقبل باقى الخيل بدادا فقرب المنذر الفرس بيده اليه فقبله وركبه يوما للصيد فبصر بعانة حمر وحش فرمى عليها وقصدها واذا هو بأسد قد أخذ عيرا منها فتناول ظهره بفيه فرماه بهرام بسهم فنفذ فى الاسد والعير ووصل الى الارض فساخ السهم الى ثلثه فرآه من معه فعجبوا منه ثم أقبل على الصيد واللهو والتلذذ فمات أبوه وهو عند المنذر فتعاهد العظماء وأهل الشرف على ان لا يملكوا أحدا من ذرية يزدجرد لسوء سيرته فاجتمعت الكلمة على صرف الملك عن بهرام لنشوه فى العرب وتخلقه باخلاقهم ولانه من ولد يزدجرد وملكوا رجلا من عقب اردشير بن بابك يقال له كسرى فانتهى هلاك يزدجرد وتمليك كسرى الى بهرام فدعا بالمنذر وابنه النعمان وناس من أشراف العرب وعرفهم احسان والده اليهم وشدته على الفرس وأخبرهم الخبر فقال المنذر لا يهولنك ذلك حتى الطف الحيلة فيه وجهز عشرة آلاف فارس ووجههم مع ابنه النعمان الى طيسفون وبهرسير مدينتى الملك وأمره أن يعسكر قريبا منهما ويرسل طلائعه اليهما وان يقاتل من قاتله ويغير على البلاد ففعل ذلك وأرسل عظماء فارس جوابى صاحب رسائل يزدجرد الى المنذر يعلمه أمر النعمان فلما ورد جوابى قال له الق الملك بهرام فدخل عليه فراعه ما رأى منه فاغفل عن السجود دهشا فعرف بهرام ذلك وكلمه ووعده أحسن الوعد ورده الى المنذر وقال له أجبه فقال له ان الملك بهرام أرسل النعمان الى ناحيتكم حيث ملكه الله بعد أبيه فلما سمع جوابى مقالة المنذر وتذكر ما رأى من بهرام علم ان جميع من تشاور فى صرف الملك عن بهرام محجوج فقال للمنذر سر الى مدينة الملوك وتجمع اليك الاشراف والعظماء وتشاوروا فى ذلك فلن تخالفوا ما تشير به وسار المنذر بعد عود جوابى من عنده بيوم فى ثلاثين ألفا من فرسان العرب الى مدينتى الملك بهرام فجمع الناس وصعد بهرام على منبر من ذهب مكلل بالجوهر وتكلم عظماء الفرس فذكروا فظاظة يزدجرد أبى بهرام وسوء سيرته وكثرة قتله واخراب البلاد وانهم لهذا السبب صرفوا الملك عن ولده فقال بهرام لست أكذبكم ومازلت زاريا عليه ذلك ولم أزل أسال الله ان يملكنى لاصلح ما أفسد ومع هذا فاذا أتى على ملكى سنة ولم أف بما أعد تبرأت من الملك طائعا وانا راض بان تجعلوا التاج وزينة الملك بين اسدين ضاريين فمن تناولهما كان الملك له فاجابوه الى ذلك ووضعوا التاج والزينة بين أسدين وحضره موبذان فقال بهرام لكسرى دونك التاج والزينة فقال كسرى أنت أولى لانك تطالب الملك بوراثة وأنا فيه مغتصب فحمل بهرام جرزا وتوجه نحو التاج فبدر اليه أحد الاسدين فوثب بهرام فعلا ظهره وعصر جنبى الاسد بفخذيه وجعل يضرب رأسه بالجرز الذى معه ثم وثب

الاسد

نيلها فى المدينة بالرخام والمرمر فانقطع الماء لعوارض سدت خلجانها ومنعت الماء من دخوله وقيل لعلل غير ذلك منعت من تنفسه وردت الماء الى كنانه لا يحملها كتابنا هذا لاستعمالنا فيه الاختصار فصار شربهم من الآبار وصار النيل على نحو يوم منها وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب فى باب ذكرنا الاخبار الاسكندرية جملا من اخبارها واخبار بنائها وما ذكرنا من الماء الجارى الى بحر الزنج فانما هو آخذ من معالى مصب الزنج وفارق بين بلاد الزنج وبين أقاصى بلاد احماس الاحابيش ولولا ذلك الخليج ومفاوز من رمال ودهاس لم يكن للحبشة مقام فى ديارهم من أنواع الزنج لكثرتها وبسطها (وأما نهر بلخ) الذى يسمى جيحون فانه يخرج من أعين تجرى حتى تأتى بلاد خوارزم وقد اجتاز قبل ذلك ببلاد الربد واسرائيل وغيرها من بلاد خراسان فاذا ورد الى بلاد خوارزم تفرق فى مواضع هنالك ويمضى باقيه فينصب فى البحيرة التى عليها القمرية المعروفة بالجرجانية أسفل خوارزم وليس فى ذلك الصقع أكبر من هذه البحيرة ويقال انه ليس فى

الاسد الآخر عليه فقبض أذنيه بيده ولم يزل يضرب رأسه برأس الاسد الآخر الذى تحته حتى دمغهما ثم قتلهما بالجرز الذى معه وتناول بعد ذلك التاج والزينة فكان أوّل من أطاعه كسرى وقال جميع من حضر قد أذعنا لك ورضينا بك ملكا وان العظماء والوزراء والاشراف سألوا المنذر ليكلم بهرام فى العفو عنهم فسأل المنذر الملك بهرام ذلك فاجابه وملك بهرام وهو ابن عشرين سنة وأمر ان يلزم رعيته راحة ودعة وجلس للناس يعدهم بالخير ويأمرهم بتقوى الله ولم يزل مدة ملكه يؤثر اللهو على ماسواه حتى طمع فيه من حوله من الملوك فى بلاده وكان أوّل من سبق الى قصده خاقان ملك الترك فانه غزاه فى مائتى ألف وخمسين ألفا من الترك فعظم ذلك على الفرس ودخل العظماء على بهرام وحذروه فتمادى فى لهوه ثم تجهز وسار الى أذربيجان ليتنسك فى بيت نارها ويتصيد بارمينيه فى سبعة رهط من العظماء وثلثمائة من ذوى الباس والنجدة واستخلف اخاه نرسى فشك الناس فى انه هرب من عدوّه فاتفق رأى جمهورهم على الانقياد الى خاقان وبذل الخراج له خوفا على نفوسهم وبلادهم فبلغ ذلك خاقان فأمن ناحيتهم وسار بهرام من اذربيجان الى خاقان فى تلك العدة فثبت للقتال وقتل خاقان بيده وقتل جنده وانهزم من سلم من القتل وامعن بهرام فى طلبهم يقتل ويأسر ويغنم ويسبى وعاد وجنده سالمون وظفر بتاج خاقان واكليله وغلب على طرف من بلاده واستعمل عليها مرزبانا وأتاه رسل الترك خاضعين مطيعين وجعلوا بينهم حدا لا يعدونه وارسل الى ماوراء النهر قائدا من قوّاده فقتل وسبى وغنم وعاد بهرام الى العراق وولى أخاه نرسى خراسان وأمره ان ينزل مدينة بلخ واتصل به ان بعض رؤساء الديلم جمع جمعا كثيرا واغار على الرىّ واعمالها فغنم وسبى وخرب البلاد وقد عجز أصحابه فى الثغر عن دفعه وقد قرروا عليهم اتاوة يدفعونها اليه فعظم ذلك عليه وسير مرزبانا الى الرى فى عسكر كثيف وأمره ان يضع على الديلمى من يطمعه فى البلاد ويغريه بقصدها ففعل ذلك فجمع الديلمى جموعه وسار الى الرى فارسل المرزبان الى بهرام جور يعلمه خبره فكتب اليه يأمره بالمسير نحو الديلمى والمقام بموضع سماه له ثم سار جريدة فى نفر من خواصه فادرك عسكره بذلك المكان والديلمى لا يعلم بوصوله وهو قد قوى طمعه لذلك فعبى بهرام أصحابه وسار نحو الديلم فلقيهم وباشر القتال بنفسه فاخذ رئيسهم أسيرا وانهزم عسكره فامر بهرام بالنداء فيهم بالامان لمن عاد اليه فعاد الديلم جميعهم فأمنهم ولم يقتل منهم أحدا وأحسن اليهم وعاد الى أحسن طاعة وأبقى على رئيسهم وصار من خواصه وقيل كانت هذه الحادثة قبل حرب الترك والله أعلم ولما ظفر بالديلم أمر ببناء مدينة سماها فيروز بهرام فبنيت له هى ورستاقها واستوزر نرسى فاعلمه انه ماض الى الهند متخفيا فسار الى الهند وهو لا يعرفه أحد غير ان الهند يرون شجاعته وقتله السباع ثم ان فيلا ظهر وقطع السبيل وقتل خلقا كثيرا فاستدل عليه فسمع الملك خبره فارسل معه من يأتيه بخبره فانتهى بهرام والهندى معه الى الاجمة فصعد الهندى شجرة ومضى بهرام فاستخرج الفيل وخرج وله صوت شديد فلما قرب منه رماه بسهم بين عينيه كاد يغيب وقذه بالنشاب وأخذ مشفره ولم يزل يطعنه حتى أمكن من نفسه فاحتز رأسه وأخرجه واعلم الهندى ملكهم بما رأى فاكرمه وأحسن اليه وسأله عن حاله فذكر ان ملك فارس سخط عليه فهرب الى جواره وكان لهذا الملك عدوّ فقصده فاستسلم الملك واراد أن يطيع ويبذل الخراج فنهاه بهرام وأشار بمحاربته فلما التقوا قال لاساورة الهندى احفظوا الى ظهرى ثم حمل عليهم فجعل يضرب فى اعراضهم ويرميهم

العمران بحيرة أكبر منها لان طولها مسيرة شهر فى نحو ذلك من العرض تجرى فيها السفن واليها يصب نهر فرغانة والشاش يمر ببلاد العادات وبمدينة حيسه وتجرى فيه السفن الى هذه البحيرة وعليها مدينة للترك يقال لها المدينة الجديدة وفيها المسلمون والاغلب من الاتراك على هذا الموضع النزيه وهم بوادى الترك وحضرهم أيضا وهذا الجنس من الاتراك هم أصناف ثلاثة الاسافل والاعالى والاواسط وهم أشد الترك بأسا وأقصرهم وأصغرهم عينا وفى الترك أصغر من هؤلاء على ماذكر صاحب المنطق فى كتاب الحيوان فى المقالة الرابعة عشرة والثامنة عشرة حين ذكر الطير المعروف بالغرانيق وسنذكر مبلغا من اخبار اجناس الترك فيما يرد من هذا الكتاب مجتمعا ومفترقا وبمدينة بلخ رباط يقال له الاحسان على نحو من عشرين يوما منها وهو فى آخر اعمالها وبازائهم أنواع من الكفار من الترك يقال لهم اوحار ويت وعلى اليمين من هؤلاء جنس آخر يقال لهم العراكم ويخرج من هناك نهر عظيم يعرف بنهر انقار زعم قوم من أهل الخبرة انه مبتدأ

بالنشاب حتى انهزموا وغنم أصحاب بهرام ما كان فى عسكر عدوّه فاعطى بهرام الديبل ومكران وأنكحه ابنته فامر بتلك البلاد فضمت الى مملكة الفرس وعاد بهرام مسرورا وأغزى نرسى بلاد الروم فى أربعين ألفا وأمره ان يطلب ملك الروم بالاتاوة فسار الى القسطنطينية فهادنه ملك الروم فانصرف بكل ما أراد الى بهرام وقيل انه لما فرغ من خاقان والروم سار بنفسه الى بلاد اليمن ودخل بلاد السودان فقتل مقاتلتهم وسبى منهم خلقا كثيرا وعاد الى مملكته ثم انه فى آخر مملكته خرج الى الصيد فشد على عير فامعن فى طلبه فارتطم فى جب فغرق فبلغ والدته ذلك فسارت الى ذلك الموضع وأمرت باخراجه فنقلوا من الجب طينا كثيرا حتى صار آكاما عظاما ولم يقدروا عليه وكان ملكه ثمانى عشرة سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما وقيل ثلاثا وعشرين سنة هكذا ذكر أبو جعفر فى اسم بهرام جور ان أباه أسلمه الى المنذر بن النعمان كما تقدم وذكر غيره ان يزدجرد الاثيم انه سلم ابنه بهرام الى النعمان بن امرئ القيس ولاشك ان بعض العلماء قال هذا وبعضهم قال ذلك الا انه لم ينسب كل قول الى قائله

(ذكر ملك ابنه يزدجرد بن بهرام جور)

لما لبس التاج جلس للناس وعدهم وذكر أباه ومناقبه وأعلمهم انهم ان فقدوا منه طول جلوسه لهم فان خلوته فى مصالحهم وكيد أعدائهم وانه قد استوزر نرسى صاحب أبيه وعدل فى رعيته وقمع أعداءه وأحسن الى جنده وكان له ابنان يقال لاحدهما هرمز وللآخر فيروز وكان لهرمز سجستان فغلب على الملك بعد هلاك أبيه يزدجرد فهرب فيروز ولحق ببلاد الهياطلة واستنجد ملكهم فأمده بعد ان دفع اليه الطالقان فاقبل بهم فقتل أخاه بالرى وكانا من أم واحدة وقيل لم يقتله وانما أسره وأخذ الملك منه وكان الروم منعوا الخراج عن يزدجرد فوجه اليهم نرسى فى العدة التى أنفذه أبوه فيها فبلغ ارادته وكان ملك يزدجرد ثمانى عشرة سنة وأربعة أشهر وقيل تسع عشرة سنة

(ذكر ملك فيروز بن يزدجرد بن بهرام بعد ان قتل أخاه هرمز وثلاثة من أهل بيته)

ولما ظفر فيروز باخيه وملك أظهر العدل وأحسن السيرة وكان يتدين الا انه كان محدودا مشؤما على رعيته وقحطت البلاد فى زمانه سبع سنين متوالية وغارت الانهار والقنى وقل ماء دجلة ومحلت الاشجار وهاجت عامة الزروع فى السهل والجبل من بلاده وماتت الطيور والوحوش وعم أهل البلاد الجوع والجهد الشديد فكتب الى جميع رعيته انه لاخراج عليهم ولاجزية ولامؤنة وتقدم اليهم بان كل من عنده طعام مذخور يواسى به الناس وان يكون حال الغنى والفقير واحدا وأخبرهم انه ان بلغه ان انسانا مات جوعا بمدينة أو قرية عاقبهم ونكل بهم وساس الناس سياسة لم يعطب أحد جوعا ما خلا رجلا واحدا من رستاق أردشير خرة وابتهل فيروز الى الله بالدعاء فازال ذلك القحط وعادت بلاده الى ما كانت عليه فلما حيى الناس والبلاد وأثخن فى أعدائه سار مريدا حرب الهياطلة فلما سمع أخشنوار ملكهم خافه فقال له بعض أصحابه اقطع يدى ورجلى وألقنى على الطريق وأحسن الى عيالى لاحتال على فيروز ففعل ذلك واجتاز به فيروز فسأله عن حاله فقال له انى قلت لاخشنوار لاطاقة لك بفيروز ففعل بى هذا وانى أدلك على طريق لم يسلكها ملك وهى أقرب فاغتر فيروز بذلك وتبعه فسار به وبجنده حتى قطع بهم مفازة بعد مفازة حتى اذا علم انهم لايقدرون على الخلاص أعلمهم حاله فقال أصحاب فيروز لفيروز حذرناك فلم تحذر فليس الا التقدم على كل حال فتقدموا امامهم فوصلوا الى عدوهم وهم هلكى عطشى وقتل العطش

منهم

نهر جيحون وهو نهر بلخ ومقدار جريانه على وجه الارض نحو من خمسين ومائة فرسخ من مبدا نهر الترك وهو الغار وقيل أربعمائة فرسخ وقد غلط قوم من مصنفى الكتب فى هذا المعنى وزعموا أن جيحون ينصب الى نهر مهران السند ولم يذكروا نهر رست الاسود ولا نهر رست الابيض الذى يكون عليه مملكة كيمان وهم جنس من الترك وراء نهر بلخ وهو جيحون وعلى هذين النهرين الغدرية من الترك ولهذين أخبار لم نحط بها لمسافتهما على وجه الارض فنذكر ذلك (وكذلك حيص) نهر الهند فبدؤه فى جبل من أقاصى أرض الهند مما يلى الصين من بحر بلاد الطغرغز من الترك ومقدار جريانه الى ان ينصب فى البحر الحبشى مما يلى جبل الهند أربعمائة فرسخ (وأما الفرات) فبدؤه من بلاد قاليقلا من ثغور ارمينية من جبل هناك يدعى افردحس على نحو يوم من قاليقلا ومقدار جريانه من بلاد الروم الى أن يأتى بلاد ملطية وأخبرنى بعض اخواننا من المسلمين ممن كان أسيرا فى أرض بلاد النصرانية ان الفرات

منهم كثيرا فلما أشرفوا على تلك الحال صالحوا أخشنوار على ان يخلى سبيلهم الى بلادهم على أن يحلف له فيروز انه لا يغزو بلاده فاصطلحا وكتب فيروز كتابا بالصلح وعاد فلما استقر فى مملكته حملته الانفة على معاودة أخشنوار فنهاه وزراؤه عن نقض العهد فلم يقبل وسار نحوه فلما تقارب أمر أخشنوار فحفر خلف عسكره خندقا عرضه عشرة أذرع وعمقه عشرون ذراعا وغطاه بخشب ضعيف وتراب ثم عاد وراءه فلما سمع فيروز بذلك اعتقده هزيمة فتبعه ولا يعلم عسكر فيروز بالخندق فسقط هو وأصحابه فيه فهلكوا وعاد أخشنوار الى عسكر فيروز وأخذ كل مافيه وأسر نساءه وموبذان موبذ ثم استخرج جثة فيروز ومن سقط معه فجعلها فى النواويس وقيل ان فيروز لما انتهى الى الخندق الذى حفره أخشنوار ولم يكن مغطى عقد عليه قناطر وجعل عليها أعلاما له ولاصحابه يقصدونها فى عودهم وجاز الى القوم فلما التقى العسكران احتج عليه أخشنوار بالعهود التى بينهما وحذره عاقبة الغدر فلم يرجع فنهاه أصحابه فلم ينته فضعفت نياتهم فى القتال فلما أبى الا القتال رفع أخشنوار نسخة العهد على رمح وقال اللهم خذ بما فى هذا الكتاب وقاتله بغيه فقاتله فانهزم فيروز وعسكره فضلوا عن مواضع القناطر فسقطوا فى الخندق فهلك فيروز وأكثر عسكره وغنم أخشنوار أموالهم ودوابهم وجميع مامعهم وغلب أخشنوار على عامة خراسان فسار اليهم رجل من أهل فارس يقال له سوخرا وكان فيهم عظيما وخرج كالمحتسب وقيل بل كان فيروز استخلفه على ملكه لما سار وكان له سجستان فاتى صاحب الهياطلة فاخرجه من خراسان واستعاد منه كل ما أخذ من عسكر فيروز مما هو فى عسكره موجودا من السبى وغيره وعاد الى بلاده فعظمته الفرس الى غاية لم يكن فوقه الا الملك وكانت مملكة الهياطلة طخارستان فكان فيروز قد أعطى ملكهم لما ساعده على حرب أخيه الطالقان وكان ملك فيروز ستا وعشرين سنة وقيل احدى وعشرين سنة

❁(ذكر الاحداث فى العرب أيام يزدجرد وفيروز)❁

كان يخدم ملوك حمير أبناء الاشراف من حمير وغيرهم وكان ممن يخدم حسان بن تبع عمرو بن حجر الكندى سيد كندة فلما قتل عمرو بن تبع أخاه حسان بن تبع اصطنع عمرو بن حجر وزوجه ابنة أخيه حسان ولم يطمع فى التزوج الى ذلك البيت أحد من العرب فولدت الحرث بن عمرو وملك بعد عمرو بن تبع عبد كلال بن مثوب وانما ملكوه لان أولاد عمرو كانوا صغارا وكان الجن قبل ذلك قد استهامت تبع بن حسان وكان عبد كلال على دين النصرانية الاولى ويكتم ذلك ورجع تبع بن حسان من استهامته وهو أعلم الناس بما كان قبله فملك اليمن وهابته حمير فبعث ابن أخته الحرث ابن عمرو بن حجر فى جيش الى الحيرة فسار الى النعمان بن امرئ القيس وهو ابن الشقيقة فقاتله فقتل النعمان وعدة من أهل بيته وأفلت المنذر بن النعمان الاكبر وأمه ماء السماء امرأة من النمر بن قاسط فذهب ملك آل النعمان وملك الحرث بن عمرو الكندى ما كانوا يملكون قاله بعضهم وقال ابن الكلبى ملك بعد النعمان المنذر بن النعمان بن المنذر بن النعمان أربعا وأربعين سنة من ذلك فى زمن بهرام جور ثمانى سنين وفى زمن يزدجرد بن بهرام ثمانى عشرة سنة وفى زمن فيروز بن يزدجرد سبع عشرة سنة ثم ملك بعده الاسود بن المنذر عشرين سنة منها فى زمن فيروز بن يزدجرد عشر سنين وفى زمن بلاش بن فيروز أربع سنين وفى زمن قباذ بن فيروز ست سنين وهكذا ذكر أبو جعفر ههنا ان الحرث بن عمرو قتل النعمان بن امرئ القيس وأخذ بلاده وانقرض ملك أهل بيته وذكر فيما تقدم ان المنذر بن النعمان أو النعمان على الاختلاف المذكور هو الذى جمع العساكر وملك بهرام جور على الفرس ثم ساق فيما بعد ملوك الحيرة من

اذا توسط أرض الروم تحلبت اليه مياه كثيرة منها نهر يخرج مما يلى بحيرة الماذرمون وليس فى أرض الروم بحيرة أكبر منها وهى نحو من شهر وقيل أكثر من ذلك طولا وعرضا تجرى فيها السفن وتنتهى الى الفرات الى جسر منبج وقد اجتاز تحت قلعة سميساط وهى قلعة الطين ثم ينتهى الى ماليس وهى نصفان موضع حرب أهل العراق وأهل الشام ثم ينتهى الى الرقة والى الرحبة وهيت والانبار ويأخذ منه أنهار مثل نهر عيسى وغيره مما ينتهى الى مدينة السلام فيصب فى دجلة وينتهى الفرات الى بلاد سوار وقصر ابن هبيرة والكوفة والجامعين وأحمداباد والفرس والطفوف ثم تنتهى غايته الى البطيحة التى بين البصرة وواسط فيكون مقدار جريانه على وجه الارض نحوا من خمسمائة فرسخ وقد قيل أكثر من ذلك وقد كان الفرات الاكثر من مائه ينتهى الى بلاد الحيرة ونهرها بين الى هذا الوقت فيصب فى البحر الحبشى حينئذ فى الموضع المعروف بالنجف فى هذا الوقت

أولاد النعمان هذا الى آخرهم ولم يقطع ملكهم بالحرث بن عمرو وسبب هذا ان أخبار العرب لم تكن مضبوطة على الحقيقة فقال كل واحد مانقل اليه من غير تحقيق وقيل غير ذلك وسنذكره فى قتل حجر بن عمرو والد امرئ القيس فى أيام العرب ان شاء الله والصحيح ان ملوك كندة عمرو والحرث كانوا بنجد على العرب وأما اللخميون ملوك الحيرة المناذرة فلم يزالوا عليها الى ان ملك قباذ الفرس وأزالهم واستعمل الحرث بن عمرو الكندى على الحيرة ثم أعاد انوشروان الحيرة الى اللخميين على مانذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر ملك بلاش بن فيروز بن يزدجرد﴾

ثم ملك بعد فيروز ابنه بلاش وجرى بينه وبين أخيه قباذ منازعة استظهر فيها قباذ وملك فلما ملك بلاش أكرم سوخرا وأحسن اليه لما كان منه ولم يزل حسن السيرة حريصا على العمارة وكان لا يبلغه ان بيتا خرب وجلا أهله الا عاقب صاحب تلك القرية على تركه سد فاقتهم حتى لا يضطروا الى مفارقة اوطانهم وبنى مدينة ساباط بقرب المدائن وكان ملكه أربع سنين

﴿ذكر ملك قباذ بن فيروز بن يزدجرد﴾

وكان قباذ قبل ان يصير الملك اليه قد سار الى خاقان مستنصرا به على أخيه بلاش فمر فى طريقه بحدود نيسابور ومعه جماعة من أصحابه متنكرين وفيهم زرمهر بن سوخرا فتاقت نفسه الى النكاح فشكا ذلك الى زرمهر وطلب منه امرأة فسار الى امرأة صاحب المنزل وكان من الاساورة وكان له بنت حسناء فخطبها منها وأطمعها وزوجها فزوجها فدخل بها قباذ من ليلته فحملت بانوشروان وأمر لها بجائزة سنية وردها وسألتها أمها عن قباذ وحاله فذكرت أنها لا تعرف من حاله شيأ غير ان سراويله منسوجة بالذهب فعلمت انه من أبناء الملوك ومضى قباذ الى خاقان واستنصره على أخيه فاقام عنده اربع سنين وهو يعده ثم أرسل معه جيشا فلما صار بالقرب من الناحية التى بها زوجته سأل عنها فاحضرت ومعها أنوشروان وأعلمته أنه ابنه وورد الخبر اليه بذلك المكان ان أخاه بلاش قد هلك فتيمن بالمولود وحمله وأمه على مراكب نساء الملوك واستوثق له الملك وخص سوخرا وشكر لولده خدمته وتولى سوخرا الامر فمال الناس اليه وتهاونوا بقباذ فلم يحتمل ذلك فكتب الى سابور الدارى وهو اصبهبذ بلاد الجبل ويقال للبيت الذى هو منه مهران فاستقدمه ومعه جنده فتقدم اليه فاعلمه عزمه على قتل سوخرا وأمره بكتمان ذلك فاتاه يوما سابور وسوخرا عند قباذ فالقى فى عنقه وهقا واخذه وحبسه ثم خنقه قباذ وأرسله الى أهله وقدم عوضه سابور الدارى وفى أيامه ظهر مزدك وابتدع ووافق زرادشت فى بعض ماجاء به وزاد ونقص وزعم انه يدعو الى شريعة ابراهيم الخليل حسبما دعا اليه زرادشت واستحل المحارم والمنكرات وسوى بين الناس فى الاموال والاملاك والنساء والعبيد والاماء حتى لا يكون لاحد على أحد فضل فى شئ البتة فكثر اتباعه من السفلة والاغتام فصاروا عشرات ألوف فكان مزدك يأخذ امرأة هذا فيسلمها الى الآخر وكذا فى الاموال والعبيد والاماء وغيرها من الضياع والعقار فاستولى وعظم شأنه وتبعه الملك قباذ فقال يوما لقباذ اليوم نوبتى من امرأتك أم أنوشروان فاجابه الى ذلك فقام أنوشروان اليه ونزع خفيه بيده وقبل رجليه وشفع اليه حتى لا يتعرض لامه وله حكمه فى سائر ملكه فتركها وحرم ذباحة الحيوان وقال يكفى فى طعام الانسان ماتنبته الارض وما يتولد من الحيوان كالبيض واللبن والسمن والجبن فعظمت البلية به على الناس فصار الرجل لا يعرف ولده والولد لا يعرف أباه فلما مضى عشر سنين من ملك قباذ اجتمع

وكانت تتقدم هنالك سفن الصين والهند ترد الى ملوك الحيرة وقد ذكرنا ما قلنا عبد المسيح بن عمرو بن نفيلة الغسانى حين خاطب خالد بن الوليد فى أيام أبى بكر ابن أبى قحافة رضى الله عنه حين قال له ماتذكر قال اذكر سفن الصين وراء هذه الحصون فلما انقطع الماء عن ذلك الموضع انتقل البحر بر افصار من البحر فى هذا الوقت على مسيرة أيام كثيرة ومن رأى النجف وأشرف عليه تبين له ماوصفنا وكثر رمل دجلة العوراء فصار بينها وبين الدجلة فى هذا الوقت مسافة بعيدة وصارت تدعى ببطن جوخى وذلك من جهة مدينة فارس من أعمال واسط الى دوقاه الى نحو بلاد السوس وكذلك ما حدث فى الجانب الشرقى ببغداد من الموضع المعروف برقة الشماسية وما نقل الماء بتياره من الجانب الغربى من الضياع التى كانت بقطربل ومدينة السلام كالقرية المعروفة باليسرى والموضع المعروف بالعمر وغير ذلك من ضياع قطربل وقد كان لاهلها مطالبات مع أهل الجانب الشرقى ممن ملك رقة الشماسية فى أيام المقتدر بحضرة الوزير أبى الحسن

موبذان موبذ والعظماء وخلعوه وملكوا عليهم أخاه جاماسب وقالوا له انك قد أثمت باتباعك مزدك وعاملت أصحابه بالناس وليس ينجيك الا اباحة نفسك ونسائك وارادوه على ان يسلم نفسه اليهم ليذبحوه ويقربوه الى النار فامتنع من ذلك فحبسوه وتركوه لا يصل اليه أحد فخرج زرمهر ابن سوخرا فقتل من المزدكية خلقا واعاد قباذ الى ملكه وأزال أخاه جاماسب ثم ان قباذ قتل بعد ذلك زرمهر وقيل لما حبس قباذ وتولى أخوه دخلت اخت لقباذ عليه كانها تزوره ثم لفته في بساط وحمله غلام فلما خرج من السجن سأله السجان عما معه فقالت هو رحل كنت أحيض فيه فلم يمس البساط فمضى الغلام بقباذ وهرب قباذ فلحق بملك الهياطلة يستجيشه فلما صار بايران شهر وهي نيسابور نزل برجل من أهلها له ابنة بكر حسنة جميلة فنكحها وهي أم كسرى أنوشروان فكان نكاحه اياها في هذه السفرة لا في تلك في قول بعضهم وعاد ومعه أنوشروان فغلب أخاه جاماسب على الملك وكان ملك جاماسب ست سنين وغزا قباذ بعد ذلك الروم ففتح مدينة آمد وبنى مدينة ارجان ومدينة حلوان ومات فملك ابنه كسرى أنوشروان بعده فكان ملك قباذ مع سني أخيه جاماسب ثلاثا وأربعين سنة فتولى أنوشروان ما كان أبوه أمر له به وفي أيامه خرجت الخزر فاغارت على بلاده فبلغت الدينور فوجه قباذ قائدا من عظمائه فواده في اثني عشر ألفا فوطئ بلاد اران وفتح ما بين النهر المعروف بالرس الى شروان ثم ان قباذ لحق به فبنى باران مدينة البيلقان ومدينة البرذعة وهي مدينة الثغر كله وغيرهما وبني الخزر ثم بني سد اللان فيما بين أرض شروان وباب اللان وبنى على السد مدنا كثيرة خربت بعد بناء باب الابواب

(ذكر حوادث العرب أيام قباذ)

لما ملك الحرث بن عمرو بن حجر الكندي العرب وقتل النعمان بن المنذر بن امرئ القيس كما ذكرناه بعث اليه قباذ انه قد كان بيننا وبين الملك الذي كان قبلك عهد وأحب لقاءك وكان قباذ زنديقا يظهر الخير ويكره الدماء ويداري أعداءه فخرج اليه الحرث والتقيا واصطلحا على ان لا يجوز الفرات أحد من العرب فطمع الحرث الكندي فأمر أصحابه ان يقطعوا الفرات ويغيروا على السواد فسمع قباذ فعلم انه من تحت يد الحرث فاستدعاه فحضر فقال له ان لصوصا من العرب صنعت كذا وكذا فقال ما علمت ولا أستطيع ضبط العرب الا بالمال والجنود وطلب منه شيأ من السواد فاعطاه ستة طساسيج وأرسل الحرث بن عمرو الى تبع وهو باليمن يطمعه في بلاد العجم فسار تبع حتى نزل الحيرة وأرسل ابن أخيه شمر اذا الجناح الى قباذ فحاربه فهزمه شمر حتى لحق بالري ثم أدركه بها فقتله ثم وجه تبع شمرا الى خراسان ووجه ابنه حسان الى السغد وقال أيكما سبق الى الصين فهو عليها وكان كل واحد منهما في جيش عظيم يقال كانا في ستمائة ألف وأربعين ألفا وأرسل ابن أخيه يعفر الى الروم فنزل على القسطنطينية فاعطوه الطاعة والاتاوة ومضى الى رومية فحاصرها فاصاب من معه طاعون فوثب الروم عليهم فقتلوهم ولم يفلت منهم أحد وسار شمر ذو الجناح الى سمرقند فحاصرها فلم يظفر بها وسمع ان ملكها أحمق وان له ابنة وهي التي تقضي الامور فارسل اليها هدية عظيمة وقال لها انني انما قدمت لاتزوج بك ومعي أربعة آلاف تابوت مملوءة ذهبا وفضة أنا أدفعها اليك وأمضي الى الصين فان ملكت كنت امرأتي وان هلكت كان المال لك فلما بلغتها الرسالة قالت قد أجبته فليبعث المال فارسل أربعة آلاف تابوت في كل تابوت رجلان ولسمرقند أربعة أبواب ولكل باب ألف راجل وجعل العلامة بينهم ان يضرب بالجرس فلما دخلوا البلد صاح شمر في الناس وضرب بالجرس فخرجوا وملكوا الابواب

علي بن عيسى وما أجاب به أهل العلم في ذلك وما ذكرناه مشهور بمدينة السلام فاذا كان الماء في نحو من ثلاثين سنة قد ذهب بنحو من تسعمائة ميل فانه يسير ميلا في قدره في سنة فاذا سار اليهم أربعة آلاف ذراع من عرضه الاول خربت بذلك السير مواضع وعمرت مواضع واذا وجد الماء سبيلا منخفضا وانصبابا وسع بالحركة وشدة الجرية لنفسه فاقتلع المواضع من الارض من أبعد غاياتها وكلما وجد موضعا متسعا من الوهاد ملأه في طريقه من شدة جريته حتى يعمل بحيرات وبطائح ومستنقعات وتخرب بذلك بلاد وتعمر بذلك بلاد ولا يغيب فهم ما وصفناه عن مرام ذي فكر ولنبدأ بذكر (دجلة ومبدا جريانها ومصبها) فنقول دجلة تخرج من بلاد آمد من ديار بكر من أعين بلاد خلاط من أرمينية ويصب اليها نهر سربط وسائر ما يخرج من بلاد أردن وميافارقين وغير ذلك من الانهار كنهر دوشا والخابور الخارج من بلاد أرمينية ومصبه في دجلة من بلاد ماسور بن وسياون من بلاد قردي وبازندي وباهدا من بلاد الموصل وهذه الديار ديار بني

ودخـل المدينة فقتـل أهلها وحوى مافيها وسار الى الصين فهزم الترك ودخـل بلادهم ولقى
حسان بن تبع قد سبقه اليها بثلاث سنين فأقاما بها حتى ماتا وكان مقامهما فيما قيل احدى
وعشرين سنة وقيل عادا في طريقهما حتى قدما على تبع بالغنائم والسبي والجواهر ثم انصرفوا الى
بلادهـم ومات تبع باليمن فلم يخرج أحـد من اليمن غازيا بعده وكان ملكه مائة واحدى وعشرين
سنة وقيل تهود قال ابن اسحق كان تبع الآخر وهو تبان اسعد أبو كرب حين أقبل من المشرق
بعد ان ملك البلاد جعـل طريقه على المدينة وكان حين مر بها في بدايتـه لم يهج أهلها وخلف
عندهم ابناله فقتل غيلة فقدمها عازما على تخريبها واستئصال أهلها فجمع له الانصار حين سمعوا
ذلك ورئيسهم عمرو بن الطلة أحـد بني عمرو بن مبـذول من بني النجار وخرجوا لقتاله وكانوا
يقاتلونه نهارا ويقرونه ليلا فبينماهو على ذلك اذ جاءه حـبران من بني قريظة عالمان فقالاله قد
سمعنا ماتريد ان تفعل وانك ان ابيت الا ذلك حيـل بينك وبينه ولم نأمن عليك عاجـل العقوبة
فقال ولم ذلك فقالا انها مهاجر نبي من قريش تكون داره فانتهى عما كان يريد وأعجبه ما سمع منهما
فاتبعهما على دينهما واسمهما كعب وأسد وكان تبع وقومه أصحاب أوثان وسار من المدينـة الى
مكة وهي طريقه فكسا الكعبـة الوصائل والملاء وكان أوّل من كساها وجعـل لها بابا ومفتاحا
وخرج متوجها الى اليمن فدعا قومه الى اليهودية فأبوا عليـه حتى حاكموه الى النار وكانت لهـم نار
تحكم بينهـم فيما يزعمون تأكل الظالم ولا تضر المظلـوم فقال لقومه أنصفتم فخرج قومه بأوثانهـم
وخرج الحبران بمصاحفهـما في أعناقهما حتى قعـدوا عند مخرج النار فخرجت النار فغشيتهـم
وأكلت الاوثان وماقربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران تعرق جباههما لم
يضرهما فأطبقت حمير على دينه وكان قدم على تبع قبل ذلك شافع بن كليب الصدفي وكان كاهنا فقال
له تبع هـل تجد لقوم ملكا يوازي ملكي قال لا الا لملك غسان قال فهل تجـد ملكا يزيد عليـه قال
أجده لبار مبرور وأيد بالقهور ووصف في الزبور وفضلت أمته في السفور يفرج الظلم
بالنور أحمد النبي طوبى لامته حين يجيء أحد بني لؤي ثم أحد بني قصي فنظر تبع في الزبور فاذا
هو يجد صفة النبي صلى الله عليه وسلم ثم ملك بعد تبع هـذا وهو تبان أسـعد أبو كرب بن ملكيكرب
ربيعة بن نصر اللخمي فلما هلك ربيعة رجع الملك باليمن الى حسان بن تبان اسعد فلما ملك ربيعـة
رأى رؤيا هالته فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا عائفا الا أحضره قال لهـم رأيت رؤيا هالتني
فأخبروني بتأويلها فقالوا اقصصها علينا فقال ان أخبرتكم بها لم اطمئن الى خبركم بتأويلها فلما قال
ذلك قال له رجل منهم ان كان الملك يريد ذلك فليبعث الى سطيح وشق فهما يخبرانك عما سألت واسم
سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن غسان وكان يقـال له الذئبي نسبة الى
ذئب بن عدي وشق بن مصعب بن يشكر بن انمار فبعث اليهما فقدم عليه سطيح قبل شق فلما قدم
عليـه سطيح سأله عن رؤياه وتأويلها فقـال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض بهـمة
فأكلت منها كل ذات جمجمة قال له الملك ما اخطأت منها شيأ فما عندك في تأويلها فقال أحلف بما
بين الحرتين من حنش ليهبطن أرضكم الحبش فليملكن مابين ابين الى جرش قال الملك وأبيـك
ياسطيح ان هذا لغائظ موجع فمتى يكون أفي زماني أم بعده قال بل بعده بحين ستين سنة اوسبعين
يمضين من السنين قال هل يدوم ذلك من ملكهم أو ينقطع قال بل ينقطع لبضع وسبعين يمضين
من السنين ثم يقتلون بها أجمعون ويخرجون منها هاربين قال الملك ومن الذي يلي ذلك قال يليه
ارم ذي يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحدا منهم باليمن قال فيـدوم ذلك من سلطانه أو

ينقطع

يقول الشاعر
بقردى وبازندى مصيف
ومربع
وعذب يحاكي السلسل
برود
وبغداد ما بغداد أما ترابها
فخمى وأما حرها فشديد
وليس هـذا الخابور خابور
النهر الذي يخرج من مدينة
رأس العين مـن أعينها
ويصب في الفرات أسفل
مدينة قرقيسياء ثم تمر دجلة
بمدينة بلاد الموصل ويصب
اليها نهر الزاب وهو من بلاد
أرمينيـة (وهـو زاب
الاكبر) بعد الموصل وفوق
حديثـة ثم يصب فيها زاب
آخر فوق مدينـة السن
يأتي من بلاد أرمينيـة
وأذربيجان ثم ينتهي الى
مدينة تكريت وسر
من رأى ومدينة السلام
فيصب اليها الخنـدق
والصراة ونهر عيسى
وهي الانهار التي ذكرناها
تأخذ من الفرات وتصب
في دجلة ثم تخرج دجلة عن
مدينة السلام فينصب فيها
أنهار كثيرة مثـل النهر
المعروف بدالى ونهر بين
والنهـروان مما يلي بلاد
جرجرايا والسيب ونيـل
النعمانيـة فاذا خرجت
دجلة من مدينة واسط
تفرقت في أنهار هنالك
أخر الى بطيحة البصرة مثل

ينقطع قال بل ينقطع بقطاعه نبي زكي يأتيه الوحي من العلي وهو رجل من ولد غالب بن فهر بن
مالك بن النضر يكون الملك في قومه الى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه
الاولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون قال أحق ما تخبرنا يا سطيح
قال نعم والشفق والغسق والفلق اذا انشق ان ما انبأتك به لحق ثم قدم عليه شق فقال يا شق اني
رأيت رؤيا هالتني فاخبرني عنها وعن تأويلها وكتمه ما قال سطيح لينظر هل يتفقان أم يختلفان قال
نعم رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة واكمة فأكلت منها كل ذات نسمة فلما
سمع الملك ذلك قال ما أخطأت شيأ فما تأويلها قال احلف بما بين الحرتين من انسان لينزلن
ارضكم السودان وليملكن ما بين ابين الى نجران قال الملك وأبيك يا شق ان هذا الغائظ فمتى هو
كائن قال بعدك بزمان ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ويذيقهم أشد الهوان وهو غلام
ليس بدني ولا مزن يخرج من بيت ذي يزن قال فهل يدوم سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع
برسول مرسل يأتي بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه الى يوم الفصل
قال وما يوم الفصل قال يوم تجزى فيه الولاة ويدعى من السماء بدعوات ويسمع منها الاحياء
والاموات ويجتمع فيه الناس للميقات فلما فرغ من مسئلتهما جهز بنيه وأهل بيته الى
العراق بما يصلحهم فمن بقية ربيعة بن نصر كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة وهو النعمان بن
المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر ذلك
الملك فلما هلك ربيعة بن نصر واجتمع ملك اليمن الى حسان بن تبان بن أبي كرب بن ملكيكرب بن
زيد بن عمرو ذي الاذعار كان مما هيج أمر الحبشة وتحول الملك عن حمير ان حسان سار باهل
اليمن يريد ان يطأ بهم أرض العرب والعجم كما كانت التبابعة تفعل فلما كان بالعراق كرهت قبائل
العرب من اليمن المسير معه فكلموا أخاه عمرا في قتل حسان وتمليكه فاجابهم الى ذلك الا ما كان
من ذي رعين الحميري فانه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه فعمد ذو رعين الى صحيفة فكتب فيها

ألا من يشتري سهرا بنوم * سعيد من يبيت قرير عين
واما حمير غدرت وخانت * فمعذرة الاله لذي رعين

ثم ختمها وأتى بها عمرا فقال ضع هذه عندك ففعل فلما بلغ حسان ما أجمع عليه أخوه وقبائل اليمن
قال لعمرو

يا عمرو لا تعجل على منيتي * فالملك تاخذه بغير حشود

فابى الا قتله فقتله بموضع رحبة مالك فكانت تسمى فرضة نعم فيما قيل ثم عاد الى اليمن فمنع النوم
منه فسأل الاطباء وغيرهم عما به وشكا اليهم السهر فقال له قائل منهم ما قتل أحد أخاه أو ذا رحم
بغيا الا منع منه النوم فلما سمع ذلك قتل كل من أشار عليه بقتل أخيه حتى خلص الى ذي رعين
فلما أراد قتله قال ان لي عندك براءة قال وما هي قال أخرج الكتاب الذي استودعتك فاخرجه
فاذا فيه البيتان فكف عن قتله ولم يلبث عمرو أن هلك فتفرقت حمير عند ذلك قلت هذا الذي
ذكره أبو جعفر من قتل قباذ بالري وملك تبع البلاد من بعد قتله من النقل القبيح والغلط الفاحش
وفساده أشهر من ان يذكر فلولا أنا شرطنا ان لا نترك ترجمة من تاريخه الا ونأتي بمعناها من غير
اخلال بشئ لكان الاعراض عنه أولى ووجه الغلط فيه أنه ذكر ان قباذ قتل بالري ولا خلاف بين
أهل النقل من الفرس وغيرهم ان قباذ مات حتف أنفه في زمان معلوم وكان ملكه مدة معلومة
كما ذكرناه قبل ولم ينقل أحد انه قتل الا في هذه الرواية ولما مات ملك ابنه كسرى أنوشروان بعده
وهذا أشهر من قفا نبك ولو كان ملك الفرس انتقل بعد قباذ الى حمير كيف كان يملك ابنه بعده ويمكن

خوفا على المراكب الواردة
من عمان وسيراف وغيرهما
ان تقع في تلك الجدارة فلا
يكون لها خلاص وقد
ذكرنا ذلك فيما سلف من
كتبنا وهذه الديار عجيبة في
مصبات مياهها واتصال
البحر بها والله أعلم

﴿ذكر جمل من الاخبار عن البحر الحبشي وما قيل في ذلك من مقداره وسعة خلجانه﴾

قد ذكرنا البحر الهندي وهو
الحبشي حتى امتد طوله
من المغرب الى المشرق
من أقصى الحبش الى أقصى
الهند والصين وصار ثمانية
آلاف ميل وعرضه ألفان
وتسعمائة ميل وعرضه
في مواضع آخر الف
وتسعمائة ميل وقد يتقارب
في قلة العرض في موضع
دون موضع ويكثر كذلك
وقد قيل في طوله وعرضه
غير ما وصفنا من الكثرة
وأعرضنا عن ذكره لعدم
قيام الدلالة على صحته عند
أهل هذه الصناعة وليس
في المعمور أعظم من هذا
البحر وله خليج متصل
بأرض الحبشة يمتد الى
ناحية بربرى من بلاد الزنج
والحبشة ويسمى الخليج
البربري طوله خمسمائة
ميل وعرض طرفيه مائة
ميل وليست هذه بربرى

في الملك حتى أطاعه ملوك الامم وجلبت الروم اليه الخراج ثم ذكر أيضا ان تبعا وجه ابنه حسان الى الصين وشمرا الى سمرقند وابن أخيه الى الروم وانه ملك القسطنطينية وسار الى رومية فحاصرها فيا ليت شعري ماهو اليمن وحضرموت حتى يكون بهما من الجنود وما يكون بعضهم في بلادهم لحفظها وجيش مع تبع وجيش مع حسان يسير بهم الى مثل الصين في كثرة عساكره ومقاتلته وجيش مع ابن أخيه تبع يلقى به مثل كسرى ويهزمه ويملك بلاده ويحاصر به مثل سمرقند في كبرها وعظمها وكثرة أهلها وجيش مع يعفر يسير بهم الى ملك الروم ويملك القسطنطينية والمسلمون مع كثرة ممالكهم واتساعها وكثرة عددهم قد اجتهدوا ليأخذوا القسطنطينية أو ما يجاورها واليمن من أقل بلادهم عددا وجنودا فلم يقدروا على ذلك فكيف يقدر عليه بعض عساكر اليمن مع تبع هذا مما تأباه العقول وتمجه الاسماع ثم انه قال ان ملك تبع بلاد الفرس والروم والصين وغيرها كان بعد قتل قباذ يعني أيام ابنه أنوشروان ولا خلاف ان مولد النبي صلى الله عليه وسلم كان في زمن أنوشروان وكان ملكه سبعا وأربعين سنة ولا خلاف أيضا ان الحبشة لما ملكت اليمن انقرضت ملوك حمير منه وكان آخر ملوكهم ذانواس وكان ملك حمير قد اختل قبل ذي نواس وانقطع نظامه حتى طمعت الحبشة فيه وملكته وكان ملكهم اليمن أيام قباذ وكيف يمكن ان يكون ملك الحبشة الذي هو مقطوع به أيام قباذ ويكون تبع هو الذي ملك اليمن قد قتل قباذ وملك بلاده قبل ان تملك الحبشة اليمن هذا أمر مردود ومحال وقوعه وكان ملك الحبشة اليمن سبعين سنة وقيل أكثر من ذلك وكان انقراض ملكهم في آخر ملك أنوشروان والخبر في ذلك مشهور وحديث سيف ذي يزن في ذلك ظاهر ولم تزل اليمن بعد الحبشة في يد الفرس الى أن ملكه المسلمون وكيف يستقيم ان ينقضي ملك تبع الذي هو ملك بلاد فارس ومن بعده من ملوك حمير وملك الحبشة وهو سبعون سنة في ملك أنوشروان وكان ملكه نيفا وأربعين سنة وهذا أعجب ان مدة بعضها سبعون سنة تنقضي قبل مضي نيف وأربعين سنة ولو أفكر أبو جعفر في ذلك لاستحيا من نقله وأعجب من هذا أنه قال ثم ملك بعد تبع هذا ربيعة بن نصر اللخمي وهذا ربيعة هو جد عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة وكان ملك عمرو الحيرة بعد خاله جذيمة أيام ملوك الطوائف قبل ملك أردشير بن بابك بخمس وتسعين سنة وملك أيضا أيام أردشير وبين أردشير وقباذ ما يقارب عشرين ملكا وكيف يكون جد عمرو وقد ملك بعد قباذ وهو قبله بهذا الدهر الطويل ولو لم يترجم أبو جعفر على هذه الحادثة بقوله ذكر الحوادث أيام قباذ لكان يحتمل تأويلا فيه ثم ما قنع بذلك حتى قال بعد ان قص مسير تبع وقتل قباذ وملك البلاد وأما ابن اسحق فانه قال ان الذي سار الى المشرق من التبابعة هو تبع الاخير ويعني بقوله تبع الاخير انه آخر من سار الى المشرق وملك البلاد فان ابن اسحق وغيره يقولون ان الذي ملك البلاد المشرقية لما توفي ملك بعده عدة تبابعة ثم اختل أمرهم زمانا طويلا حتى طمعت الحبشة فيهم وخرجت الى اليمن فليت شعري اذا كان هذا تبع في أيام قباذ فلا شك ان تبعا الاخير الذي أخذ منه اليمن يكون في زمن بني أمية ويكون ملك الحبشة اليمن بعد مدة من ملك بني العباس ويكون أول الاسلام من ثلثمائة سنة من ملكهم أيضا مما بعدها حتى يستقيم هذا القول ثم انه قال ان عمر بن طلحة الانصاري خرج الى تبع وعمر هذا قيل انه أدرك النبي صلى الله عليه وسلم شيخا كبيرا ومات عند مرجعه من غزوة بدر ومن الدليل على بطلانه أيضا ان المسلمين لما قصدوا بلاد الفرس مازالت الفرس تقول لهم عند مراسلاتهم ومحاوراتهم في حروبهم كنتم أقل الأمم وأذلها وأحقرها والعرب تقر لهم بذلك فلو كان ملك تبع قريب العهد لقالت العرب اننا بالامس

قتلنا

برد ودالهودي ومسامي والمصب الذي ينتهي الى القطر وفيه تجري أكثر سفن البصرة وبغداد وواسط فمقدار مسافة جريان دجلة على وجه الارض نحو من ثلثمائة فرسخ وقيل أربعمائة وقد أعرضنا عن كثير من ذكر الانهار الا ما كبر واشتهر اذ كنا قد أتينا على ذكر ذلك على الاتساع في الكتاب المترجم باخبار الزمان وكذلك في الكتاب الاوسط ونذكر في هذا الكتاب لمعا مما سمينا من الانهار ومما لم نسمه وللبصرة انهار كبار مثل نهر سيرين ونهر الرس ونهر ابن عمر وكذلك ببلاد الاهواز فيما بينها وبين بلاد البصرة أعرضنا عن ذكر ذلك اذ كنا قد تقصينا الاخبار عنها واخبار منتهى بحر فارس الى بلاد البصرة والابلة وخبر الموضع المعروف بالجدارة وهي دخلة من البحر الى البر تقرب من نحو بلاد الابلة ومن أجلها ملح الاكثر من بلاد البصرة ولهذه الجدارة انحدرت الاخشاب في فم البحر مما يلي الابلة وعبادان عليها أناس يوقدون النار بالليل على خشبات ثلاث كالكرسي في جوف الليل

قتلنا ملككم وملكنا بلادكم واستبحنا حريمكم وأموالكم فسكوت العرب عن ذلك واقرارها للفرس دليل على بعد عهده أو عدمه على ان الفرس لا تقر بذلك لا في قديم الزمان ولا في حديثه فانهم يزعمون ان ملكهم لم ينقطع من عهد جيومرث الذي هو آدم في قول بعضهم الى ان جاء الاسلام الا أيام ملوك الطوائف وكان لملوك الفرس طرف من البلاد في ذلك الزمان لم ينقطع انقطاعا كليا على ان أصحاب السير قد اختلفوا في تبع الذي سار وملك البلاد اختلافا كثيرا فقيل شمر بن افريقش وقيل تبع أسعد وانه بعث الى سمرقند شمرا ذا الجناح الى غير ذلك من الاختلافات التي لا طائل فيها وهذا القدر كاف في كشف الخطا فيه

﴿ ذكر ملك لخنيعة ﴾

فلما هلك عمرو وتفرقت حمير وثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له لخنيعة ينوف ذو شناتر فملكهم في قول ابن اسحق فقتل خيارهم وعاث ببيوت أهل المملكة منهم وكان امرأ فاسقا يزعمون انه كان يعمل عمل قوم لوط فكان اذا سمع بغلام من أبناء الملوك انه قد بلغ أرسل اليه فوقع عليه في مشربة له لا يملك بعد ذلك ثم يطلع الى حرسه وجنده قد أخذ سواكا في فيه يعلمهم انه قد فرغ منه ثم يخلي سبيله فيفضحه

﴿ ذكر ملك ذي نواس وقصة أصحاب الاخدود ﴾

كان من أبناء الملوك ذرعة ذو نواس بن تبان أسعد بن كرب وكان صغيرا حين أصيب أخوه حسان فشب غلاما جميلا ذا هيئة فبعث اليه لخنيعة ليفعل به ما كان يفعل بغيره فاخذ سكينا لطيفا فجعله بين نعله وقدمه ثم انطلق اليه مع رسوله فلما خلا به في المشربة قتله ذو نواس بالسكين ثم احتز رأسه فجعله في كوة مشربته التي يطلع منها ثم أخذ سواكه فجعله في فيه ثم خرج فقالوا له ذو نواس رطب أم يابس فقال سل نحماس استرطبان ذو نواس لا باس فذهبوا ينظرون حين قال لهم ما قال فاذا رأس لخنيعة مقطوع فخرجت حمير والحرس في أثر ذي نواس حتى أدركوه فملكوه حيث أراحهم من لخنيعة واجتمعوا عليه وكان يهوديا وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم على استقامة لهم رئيس يقال له عبد الله بن الثامر وكان أصل النصرانية بنجران قال وهب بن منبه ان رجلا من بقايا أهل دين عيسى يقال له فيميون وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا مجاب الدعوة وكان سائحا لا يعرف بقرية الا خرج منها الى غيرها وكان لا يأكل الا من كسب يده وكان يعمل الطين ويعظم الاحد لا يعمل فيه شيأ ويخرج الى الصحراء يصلي جميع نهاره فنزل قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا ففطن به رجل اسمه صالح فاحبه حبا شديدا وكان يتبعه حيث ذهب لا يفطن به فيميون حتى خرج مرة يوم الاحد الى الصحراء واتبعه صالح وفيميون لا يعلم فجلس صالح منه منظر العين مستخفيا وقام فيميون يصلي فبينما هو يصلي اذ أقبل نحوه تنين فلما رآه فيميون دعا عليه فمات ورآه صالح ولم يدر ما أصابه فخاف على فيميون فصاح يا فيميون التنين قد أقبل نحوك فلم يلتفت اليه وأقبل على صلاته حتى أمسى وعرف ان صالحا عرفه فكلمه صالح وقال له يعلم الله اني ما أحببت شيأ حبك قط وقد أردت صحبتك حيثما كنت قال افعل فلزمه صالح وكان اذا ما جاءه العبد به ضر شفي اذا دعا له واذا دعي الى أحد به ضر لم يأته وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير فجعل ابنه في حجرة ألقى عليه ثوبا ثم قال لفيميون قد أردت ان تعمل في بيتي عملا فانطلق اليه لاشارطك عليه فانطلق معه فلما دخل الحجرة ألقى الرجل الثوب عن ابنه وطلب اليه ان يدعو له فدعا له فابصر وعرف فيميون انه قد عرف بالقرية فخرج هو وصالح ومر بشجرة عظيمة بالشام فناداه رجل وقال

التي ينسب اليها البرابرة الذين ببلاد المغرب من أرض أفريقية لان هذا موضع آخر يدعى بهذا الاسم وأهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج الى جزيرة قنبلو من بحر الزنج وفي هذه الجزيرة مسلمون من الا كابر من الزنج والعمانيون الذين ذكرنا من أرباب المراكب يزعمون ان هذا الخليج المعروف بالبربري وهم يعرفونه ببحر بربري وبلاد جفوني أكثر مسافة مما ذكرنا وموجه عظيم كالجبال الشواهق فانه موج أعمى يريدون بذلك انه مرتفع كارتفاع الجبال وينخفض كانخفاض ما يكون من الاودية لا ينكسر موجه ولا يظهر من ذلك زبد كتكسر أمواج سائر البحار ويزعمون انه موج مجنون وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عرب من الازد فاذا توسطوا هذا البحر ودخلوا بين ما ذكرنا من الامواج ترفعهم وتخفضهم فيرتجزون ويقولون

بربري وجفوني
وموجك المجنون
جفوني وبربري
وموجها كما ترى

وينتهي هؤلاء في بحر الزنج الى جزيرة قنبلو على ما ذكرنا والى بلاد سفالة الواق واق

مازلت انتظرك لا تبرح حتى تقوم على فانى ميت قال قتادة فواراه فيميون وانصرف ومعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب وأخذهما بعض العرب فباعوهما بنجران وأهل نجران على دين العرب تعبد نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد كل سنة تعلق عليها كل ثوب حسن وحلى جميل فعلقوا عليها وما فابتاع رجل من أشرافهم فيميون وابتاع رجل صالحا فكان فيميون اذا قام من الليل يصلى فى بيته استسرج له البيت حتى يصبح من غير مصباح فلما رأى سيده ذلك أعجبه فسأله عن دينه فأخبره وعاب دين سيده وقال له لو دعوت الهى الذى أعبد لاهلك النخلة فقال افعل فانك ان فعلت دخلنا فى دينك وتركنا ما نحن عليه فصلى فيميون ودعا الله تعالى فارسل الله عليها ريحا فجففتها وألقتها فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه فحملهم على شريعة من دين عيسى ودخل عليهم بعد ذلك الاحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران وقال محمد بن كعب القرظى كان أهل نجران يعبدون الاوثان وكان فى قرية من قراها ساحر كان أهل نجران يرسلون أولادهم اليه يعلمهم السحر فلما نزلها فيميون وهو رجل كان يعبد الله على دين عيسى ابن مريم عليه السلام فاذا عرف فى قرية خرج منها الى غيرها وكان مجاب الدعوة يبرئ المرضى وله كرامات فوصل نجران فسكن خيمة بين نجران وبين الساحر فارسل التامر ابنه عبد الله مع الغلمان الى الساحر فاجتاز بفيميون فرأى ما أعجبه من صلاته فجعل يجلس اليه ويستمع منه وأسلم معه ووحد الله تعالى وعبده وجعل يسأله عن الاسم الاعظم وكان يعلمه فكتمه اياه وقال ان تحتمله والتامر يعتقد أن ابنه يختلف الى الساحر مع الغلمان فلما رأى عبد الله ان صاحبه قد ضن عليه بالاسم الاعظم عمد الى قداح فكتب عليها أسماء الله جميعها ثم ألقاها فى النار واحدا واحدا حتى ألقى القدح الذى عليه الاسم الاعظم فوثب منها فلم تضره شيأ فأخذه وعاد الى صاحبه فاخبره الخبر فقال له أمسك على نفسك وما أظن ان تفعل فكان عبد الله لا يلقى أحدا اذا أتى نجران به ضر الا قال يا عبد الله أتدخل فى دينى حتى أدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء فيقول نعم فيوحد الله ويسلم ويدعو له عبد الله فيشفى حتى لم يبق أحد من أهل نجران ممن به ضر الا أتاه واتبعه ودعا له فعوفى فرفع شأنه الى ملك نجران فدعاه فقال له أفسدت على أهل قريتى وخالفت دينى لامثلن بك فقال لا تقدر على ذلك فجعل يرسله الى الجبل الطويل فيلقى من رأسه فيقع على الارض ليس به باس فأرسله الى مياه نجران وهى بحور لا يقع فيها شئ الا هلك فيلقى فيها فيخرج ليس به بأس فلما غلبه قال عبد الله بن التامر انك لا تقدر على قتلى حتى توحد الله وتؤمن كما آمنت فانك اذا فعلت قتلتنى فوحد الله الملك ثم ضربه بعصا بيده فشجه شجة غير كبيرة فقتله فهلك الملك مكانه واجتمع أهل نجران على دين عبد الله بن التامر قال فسار اليهم ذو نواس بجنوده فجمعهم ثم دعاهم الى اليهودية وخيرهم بينها وبين القتل فاختاروا القتل فخد لهم الاخدود فحرق بالنار وقتل بالسيف حتى قتل قريبا من عشرين ألفا وهم الذين أنزل الله فيهم قتل أصحاب الاخدود وقال ابن عباس كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له ذو نواس واسمه يوسف بن شرحبيل وكان قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما كبر قال للملك انى كبرت فابعث الى غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما اسمه عبد الله بن التامر ليعلمه فجعل يختلف الى الساحر وكان فى طريقه راهب حسن القراءة فقعد اليه الغلام فاعجبه أمره فكان اذا جاء الى المعلم يدخل الى الراهب فيقعد عنده فاذا جاء من عنده الى المعلم ضربه وقال له ما الذى حبسك واذا انقلب الى أبيه دخل الى الراهب فيضربه أبوه ويقول ما الذى ابطأ بك فشكا الغلام ذلك الى

الراهب

والاسافل من نحوهم ويقطع هذا البحر السيرافيون وقد ركبت أنا هذا البحر من مدينة سنجار ومن بلاد عمان (وسنجار قصبة بلاد عمان) مع جماعة من نواخذة السيرافيين وهم أرباب المراكب مثل محمد ابن الزيدبوذ السيرافى وجوهر بن أحمد وهو المعروف بابن سيرة وفى هذا البحر تلف ومن كان معه فى مركبه وآخر مرة ركبت فيه فى سنة أربع وثلثمائة من جزيرة قنبلو الى مدينة عمان وذلك فى مركب أحمد وعبد الصمد أخوى عبد الرحيم بن جعفر السيرافى بمكان وفيه غرقا فى مركبهما وجميع من كان معهما وكان ركوبى فيه أخيرا والامير على عمان أحمد بن هلال ابن أخت القتال وقد ركبت عدة من البحار كبحر الصين والروم والخزر والقلزم واليمن وأصابنى فيها من الاهوال ما لا أحصيه كثرة فلم أشاهد أهول من بحر الزنج الذى قدمنا ذكره وفيه السمك المعروف بالفال طول السمكة نحو من أربعمائة ذراع بالذراع العمرية وهى ذراع ذلك البحر والاغلب من هذا

الراهب فقال له اذا أتيت المعلم فقل حبسني أبي واذا أتيت اباك فقل حبسني المعلم وكان في ذلك البلد حية عظيمة قطعت طريق الناس فمر بها الغلام فرماها بحجر وقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتلها فلما رماها قتلها وأتى الراهب فاخبره فقال له الراهب ان لك لشأنا وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدلن علي وصار الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويشفي الناس وكان للملك ابن عم أعمى فسمع بالغلام وقتل الحية فقال ادع الله ان يرد علي بصري فقال الغلام ان رد الله عليك بصرك تؤمن به قال نعم قال اللهم ان كان صادقا فاردد عليه بصره فعاد بصره ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه وسأله فلم يخبره وألح عليه فدله على الغلام فجيء به فقال له لقد بلغ من سحرك ما أرى فقال أنا لا أشفي أحدا انما يشفي الله من يشاء فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجيء به فقيل ارجع عن دينك فابى فامر به فوضع المنشار على رأسه فشق نصفين ثم جيء بابن عم الملك فقال ارجع عن دينك فابى فشقه قطعتين ثم قال للغلام ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به الى جبل كذا فان رجع والا فاطرحوه من رأسه فذهبوا به الى الجبل فقال اللهم اكفنيهم فرجف بهم الجبل وهلكوا ورجع الغلام الى الملك فسأله عن أصحابه فقال كفانيهم الله فغاظه ذلك وارسله في سفينة الى البحر ليلقوه فيه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم فغرقوا ونجا وجاء الى الملك فقال اقتلوه بالسيف فضربوه فنبا عنه وفشا خبره في اليمن فاعظمه الناس وعلموا أنه على الحق فقال الغلام للملك انك لن تقدر على قتلي الا ان تجمع أهل مملكتك وترميني بسهم وتقول بسم الله رب الغلام ففعل ذلك فقتله فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك قد نزل بك ما تحذر فاغلق أبواب المدينة وخد اخدودا وملأه نارا وعرض الناس فمن رجع عن دينه تركه ومن لم يرجع ألقاه في الاخدود فاحرقه وكانت امرأة مؤمنة وكان لها ثلاثة بنين أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي والا قتلتك أنت وأولادك فابت فألقى ابنيها الكبيرين فأبت ثم أخذ الصغير ليلقيه فهمت بالرجوع قال لها الصغير يا أماه لا ترجعي عن دينك لا بأس عليك فالقاه وألقاها في اثره وهذا الطفل احد من تكلم صغيرا وقيل حفر رجل خربة بنجران في زمن عمر بن الخطاب فرأى عبد الله بن التامر واضعا يده على ضربة في رأسه فاذا رفعت عنها يده جرت دما واذا أرسلت يده ردها اليها وهو قاعد فكتب فيه الى عمر فأمر بتركه على حاله

۞ (ذكر ملك الحبشة اليمن) ۞

قيل لما قتل ذو نواس من قتل من أهل اليمن في الاخدود لاجل العود عن النصرانية أفلت منهم رجل يقال له دوس ذو ثعلبان حتى أعجز القوم فقدم على قيصر فاستنصره على ذي نواس وجنوده وأخبره بما فعل بهم فقال له قيصر بعدت بلادك عنا ولكن سأكتب الى النجاشي ملك الحبشة وهو على هذا الدين وقريب منكم فكتب قيصر الى ملك الحبشة يأمره بنصره فأرسل معه ملك الحبشة سبعين ألفا وأمر عليهم رجلا يقال له ارياط وفي جنوده ابرهة الاشرم فساروا في البحر حتى نزلوا بساحل اليمن وجمع ذو نواس جنوده فاجتمعوا ولم يكن حرب غير انه ناوش شيأ من قتال ثم انهزموا ودخلها ارياط فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه اقتحم البحر بفرسه فغرق ووطئ ارياط اليمن فقتل ثلث رجالها وبعث الى النجاشي بثلث سباياهم ثم اقام بها وأذل أهلها وقيل ان الحبشة لما خرجوا الى المندب من أرض اليمن كتب ذو نواس الى أقيال اليمن يدعوهم الى الاجتماع على عدوهم فلم يجيبوه وقالوا يقاتل كل رجل عن بلاده فصنع مفاتيح وحملها على عدة من الابل ولقي الحبشة وقال هذه مفاتيح خزائن اموال باليمن فهي لكم ولا تقتلوا الرجال والذرية فأجابوه الى

السمك طوله مائة باع وربما يهز البحر فيظهر شيأ من جناحه فيكون كالقلع العظيم وهو الشراع وربما يظهر رأسه وينفخ الصعداء بالماء فيذهب الماء في الجو أكثر من ممر السهم والمراكب تفزع منه في الليل والنهار وتضرب له بالدبادب والخشب لينفر من ذلك ويحشر باجنحته وذنبه السمك الى فمه وقد تقذفاه وذلك السمك يهوي الى جوفه جرمه فاذا بغت هذه السمكة بعث الله عليها سمكة نحو الذراع تدعى السل فتلصق بأصل اذنها فلا يكون لها منها خلاص فتطلب قعر البحر وتضرب بنفسها حتى تموت فتطفو فوق الماء فتكون كالجبل العظيم وربما تلتصق هذه السمكة المعروفة بالسل بالمراكب فلا يدنوا لا قال مع عظمه من المركب ويهرب اذا رأى السمكة الصغيرة اذ كانت آفة له وقاتلته وكذلك التمساح يموت من دويبة تكون في ساحل النيل وجزائره وذلك ان التمساح لا دبر له وما يأكله يكون في بطنه دودا واذا آذاه ذلك الدود خرج الى البر فاستلقى على قفاه فاغرا فاه فينقض اليه طير الماء كالطيطوي والحصاني وغير ذلك من أنواع الطيور

ذلك وسار وا معه الى صنعاء فقال لكبيرهم وجه أصحابك لقبض الخزائن فتفرق أصحابه ودفع اليهم المفاتيح وكتب الى الاقيال بقتل كل ثور أسود فقتلت الحبشة ولم ينج منهم الا الشريد فلما سمع النجاشي جهز اليهم سبعين ألفا مع ارياط والاشرم فملك البلاد وأقام بها سنين ونازعه ابرهة الاشرم وكان فى جنده فمال اليه طائفة منهم وبقى ارياط فى طائفة وسار أحدهما الى الآخر وأرسل ابرهة انك لن تصنع بان تلقى الحبشة بعضها على بعض شيأ فيهلكوا ولكن ابرز الى فأينا قهر صاحبه استولى على جنده فتبارزا فرفع ارياط الحربة فضرب ابرهة يريد يافوخه فوقعت على رأسه فشرمت أنفه وعينه فسمى الاشرم وحمل غلام لابرهة يقال له عتودة كان قد تركه كمينا من خلف ارياط على ارياط فقتله واستولى ابرهة على الجند والبلاد وقال لعتودة احتكم فقال لا تدخل عروس على زوجها من اليمن حتى أصيبها قبله فاجابه الى ذلك فبقى يفعل بهم هذا الفعل حينا ثم عدا عليه انسان من اليمن فقتله فسر ابرهة بقتله وقال لو علمت انه يحتكم هذا لم أحكمه ولما بلغ النجاشي قتل ارياط غضب غضبا شديدا وحلف لا يدع ابرهة حتى يطأ أرضه ويجز ناصيته فبلغ ذلك ابرهة فأرسل الى النجاشي من تراب اليمن وجز ناصيته وأرسلها أيضا وكتب اليه بالطاعة وارسال شعره وترابه ليبر قسمه بوضع التراب تحت قدميه فرضى عنه وأقره على عمله فلما استقر باليمن بعث الى أبى مرة ذى يزن فأخذ زوجته ريحانة بنت ذى جدن ونكحها فولدت له مسروقا وكانت قد ولدت لذى يزن ولدا اسمه معديكرب وهو سيف فخرج ذو يزن من اليمن فقدم الحيرة على عمرو ابن هند وسأله ان يكتب له الى كسرى كتابا يعلمه محله وشرفه وحاجته فقال انى أفد الى الملك كل سنة وهذا وقتها فاقام عنده حتى وفد معه ودخل الى كسرى معه فاكرمه وعظمه وذكر حاجته وشكا ما يلقون من الحبشة واستنصره عليهم وأطمعه فى اليمن وكثرة مالها فقال له كسرى انوشروان انى لاحب ان أسعفك بحاجتك ولكن المسالك اليها صعبة وسأنظر وأمر بانزاله فأقام عنده حتى هلك ونشأ ابنه معديكرب بن ذى يزن فى حجرة ابرهة وهو يحسب أنه أبوه فسبه ابن لابرهة وسب أباه فسأل أمه عن أبيه فصدقته وأقام حتى مات ابرهة وابنه يكسوم وسار عن اليمن ففعل ما نذكره ان شاء الله

﴿ذكر ملك كسرى انوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد الاثيم﴾

لما لبس التاج خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وذكر ما ابتلوا به من فساد أمورهم ودينهم واولادهم وأعلمهم انه يصلح ذلك ثم أمر برؤس المزدكية فقتلوا وقسمت أموالهم فى أهل الحاجة وكان سبب قتلهم ان قباذ كان كما ذكرنا قد اتبع مزدك على دينه ما دعاه اليه وأطاعه فى كل ما يأمر به من الزندقة وغيرها مما ذكرنا أيام قباذ وكان المنذر بن ماء السماء يومئذ عاملا على الحيرة ونواحيها فدعاه قباذ الى ذلك فابى فدعا الحرث بن عمرو الكندى فاجابه فسدد له ملكه وطرد المنذر عن مملكته وكانت أم انوشروان يوما بين يدى قباذ فدخل عليه مزدك فلما رأى أم انوشروان قال لقباذ ادفعها الى لاقضى حاجتى منها فقال دونكها فوثب اليه انوشروان ولم يزل يسأله ويتضرع اليه ان يهب له أمه حتى قبل رجله فتركها فكان ذلك فى نفسه فهلك قباذ على تلك الحالة وملك أنوشروان فجلس للملك ولما بلغ المنذر هلاك قباذ أقبل الى أنوشروان وقد علم خلافه على أبيه فى مذهبه واتباع مزدك فان أنوشروان كان منكرا لهذا المذهب كارها له ثم ان أنوشروان أذن للناس اذنا عاما ودخل عليه مزدك ثم دخل عليه المنذر فقال أنوشروان انى كنت تمنيت أمنيتين ارجو أن يكون الله عز وجل قد جمعهما الى فقال مزدك وما هما أيها الملك قال تمنيت ان املك

واستعمل

قد اعتاد ذلك منه فيأكل ما ظهر فى جوفه من ذلك الدود وتكون تلك الدويبة قد كمنت فى الرمل تراعيه فتدب الى حلقه وتصير فى جوفه فيخبط بنفسه فى الارض فيطلب قعر النيل حتى تأتى الدويبة على حشوة جوفه ثم تخرق جوفه وتخرج وربما يقتل نفسه قبل ان تخرج فتخرج بعد موته وهذه الدويبة تكون نحوا من ذراع على صورة ابن عرس ولها قوائم ومخالب وفى بحر الزنج أنواع من السمك بصور شتى ولولا ان النفوس تنكر ما لم تعرفه وتدفع ما لم تألفه لاخبرنا عن عجائب هذه البحار وما فيها من الحيات والدواب وغير ذلك من عجائب المياه والجماد فلنرجع الآن الى ذكر تشعب مياه هذا البحر وخلجانه ودخوله فى البر ودخول البر فيه فنقول ان خليجا آخر يمتد من هذا البحر الحبشى فينتهى الى مدينة القلزم من اعمال مصر وبينها وبين فسطاط مصر ثلاثة أيام وعليه مدينة ايلة والجار وجدة واليمن طوله ألف وأربعمائة ميل وعرض طرفيه ما تتسامت وهو أقرب المواضع من عرضه وعرضه فى الاصل سبعمائة ميل وهو أكثر العرض فيه ويلاقى

وأستعمل هذا الرجل الشريف يعني المنذر وأن أقتل هذه الزنادقة فقال من ذلك أو تستطيع ان تقتل الناس كلهم فقال وانك ههنا يا ابن الزانية والله ماذهب نتن ريح جوربك من أنفي منذ قبلت رجلك الى يومي هذا وأمر به فقتل وصلب وقتل منهم مابين جازر الى النهروان الى المدائن في ضحوة واحدة مائة ألف زنديق وصلبهم وسمي يومئذ أنوشروان وطلب أنوشروان الحرث بن عمرو فبلغه ذلك وهو بالانبار فخرج هاربا في صحابته وماله وولده فمر بالثوية فتبعه المنذر بالخيل من تغلب واياد وبهرا فلحق بارض كلب ونجا وانتهبوا ماله وهجائنه وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفسا من بني آكل المرار فقدموا بهم على المنذر فضرب رقابهم بحفر الاميال في ديار بني مرين العباديين بين دير بني هند والكوفة فذلك قول عمرو بن كلثوم

فآبوا بالنهاب وبالسبايا * وأبنا بالملوك مصفدينا

وفيهم يقول امرؤ القيس

ملوك من بني حجر بن عمرو * يساقون العشية يقتلونا
فلو في يوم معركة أصيبوا * ولكن في ديار بني مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل * ولكن في الدماء مرملينا
تظل الطير عاكفة عليهم * وتنتزع الحواجب والعيونا

ولما قتل أنوشروان من ذلك وأصحابه أمر بقتل جماعة ممن دخل على الناس في أموالهم ورد الاموال الى أهلها وأمر بكل مولود اختلفوا فيه ان يلحق بمن هو منهم اذا لم يعرف أبوه وان يعطى نصيبا من ملك الرجل الذي يسند اليه اذا قبله الرجل وبكل امرأة غلبت على نفسها ان يؤخذ مهرها من الغالب ثم تخير المرأة بين الاقامة عنده وبين فراقه الا ان يكون لها زوج فترد اليه وأمر بعيال ذوي الاحساب الذين مات قيمهم فانكح بناتهم الاكفاء وجهزهن من بيت المال وانكح نساءهم من الاشراف واستعان بابنائهم في اعماله وعمر الجسور والقناطر وأصلح الخراب وتفقد الاساورة وأعطاهم وبنى في الطرق القصور والحصون وتخير الولاة والعمال والحكام واقتدى بسيرة اردشير وارتجع بلادا كانت مملكة الفرس منها السند وسندوست والرخج وزابلستان وطخارستان وأعظم القتل في البارز وأجلى بقيتهم عن بلاده واجتمع الخزر وبنجر وبلنجر واللان على قصد بلاده فقصدوا ارمينية للغارة على أهلها وكان الطريق سهلا فأمهلهم كسرى حتى توغلوا في البلاد وأرسل اليهم جنودا فقاتلوهم فأهلكوهم ماخلا عشرة آلاف رجل أسروا فاسكنوا اذربيجان وكان لكسرى أنوشروان ولد هو أكبر أولاده اسمه أنوشزاد فبلغه عنه انه زنديق فسيره الى جنديسابور وجعل معه جماعة يثق بدينهم ليصلحوا دينه وأدبه فبينما هم عنده اذ بلغه خبر مرض والده لما دخل بلاد الروم فوثب بمن عنده فقتلهم وأخرج أهل السجون فاستعان بهم وجمع عنده جموعا من الاشرار فأرسل اليه نائب أبيه بالمدائن عسكرا فحاصروه بجنديسابور وأرسل الخبر الى كسرى فكتب اليه يأمره بالجد في أمره وأخذه أسيرا فاشتد الحصار حينئذ عليه ودخل العساكر المدينة عنوة فقتلوا بها خلقا كثيرا وأسروا أنوشزاد فبلغه خبر جده لامه الداور الرازي فوثب بعامل سجستان وقاتله فهزمه العامل فالتجأ الى مدينة الرخج وامتنع بها ثم كتب الى كسرى يعتذر ويسأله ان ينفذ اليه من يسلم له البلد ففعل وآمنه وكان الملك فيروز قد بنى بناحية صول واللان بناء يحصن به بلاده وبنى عليه ابنه قباذ زيادة فلما ملك كسرى أنوشروان بنى في ناحية صول وجرجان بناء كثيرا وحصونا حصن بها بلاده جميعها

ماذكرناه من الخلجان وبلاد ايلة من غربية الساحل الآخر من هذا الخليج بلاد العلاقي وبلاد العيذاب من أرض مصر وأرض البجة ثم أرض الحبشة والاحابش والسودان الى ان يتصل ذلك باقاصي أرض الزنج واسافلها فيتصل الى بلاد سفالة من أرض الزنج ويتشعب من هذا البحر خليج آخر وهو بحر فارس وينتهي الى بلاد الابلة والخشبات وعبادان من أرض البصرة وعرضه في الاصل خمسمائة ميل وطول هذا الخليج ألف وأربعمائة ميل وربما يصير عرض طرفيه مائة وخمسين ميلا وهذا الخليج مثلث الشكل ينتهي أحد زواياه الى بلاد الابلة وعليه مما يلي المشرق ساحل فارس من بلاد دورق الفرس ومهربان ومدينة حسان واليها تضاف الثياب الحسانية ومدينة احرة بلاد سيراف ثم بلاد ابن عمارة ثم ساحل كرمان ويتصل به على ساحله هذا بلاد مكران وهي أرض الخوارج الشراة وهذه كلها أرض نخل ثم ساحل السند وفيه مصب نهر مهران وهنالك مدينة الديبل ثم يكون مارا متصلا بساحل

وان سيجبور خاقان قصد بلاده وكان أعظم الترك واستمال الخزر وابخز وبلنجر فاطاعوه فاقبل في
عدد كثير وكتب الى كسرى يطلب منه الاتاوة ويتهدده ان لم يفعل فلم يجبه كسرى الى شئ مما
طلب لتحصينه بلاده وان ثغر ارمينية قد حصنه فصار يكتفي بالعدد اليسير فقصد خاقان بلاده فلم
يقدر على شئ منها وعاد خائبا وهذا خاقان هو الذي قتل وزر ملك الهياطلة وأخذ كثيرا من
بلادهم

(ذكر ملك كسرى بلاد الروم)

كان بين كسرى أنوشروان وبين غطيانوس ملك الروم هدنة فوقع بين رجل من العرب كان ملكه غطيانوس على عرب الشام يقال له خالد بن جبلة وبين رجل من لخم كان ملكه كسرى على عمان والبحرين واليمامة الى الطائف وسائر الحجاز يقال له المنذر بن النعمان فتنة فاغار خالد على ابن النعمان فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وغنم أمواله فكتب كسرى الى غطيانوس يذكره مابينهما من العهد والصلح ويعلمه مالقي المنذر من خالد وسأله ان يأمر خالدا برد ماغنم الى المنذر ويدفع له دية من قتل من اصحابه وينصفه من خالد وانه ان لم يفعل انتقض الصلح ووالى الكتب الى غطيانوس في انصاف المنذر فلم يحفل به فاستعد كسرى وغزا بلاد غطيانوس في بضعة وسبعين ألفا وكان طريقه على الجزيرة فاخذ مدينة دارا ومدينة الرها وعبر الى الشام فملك منبج وحلب وانطاكية وكانت أفضل مدائن الشام وفامية وحمص ومدنا كثيرة متاخمة لهذه المدائن عنوة واحتوى على مافيها من الاموال والعروض وسبى أهل مدينة انطاكية ونقلهم الى أرض السواد وأمر فبنيت لهم مدينة الى جانب مدينة طيسفون على بناء مدينة انطاكية واسكنهم اياها وهي التي تسمى الرومية وكور لها خمسة طساسيج طسوج النهروان الاعلى وطسوج النهروان الاوسط وطسوج النهروان الاسفل وطسوج بادرايا وطسوج باكسايا وأجرى على السبي الذين نقلهم اليها من انطاكية الارزاق وولى القيام بأمرهم رجلا من نصارى الاهواز ليستأنسوا به لموافقته في الدين وأما سائر مدن الشام ومصر فان غطيانوس ابتاعها من كسرى بأموال عظيمة حملها اليه وضمن له فدية يحملها اليه كل سنة على ان لا يغزو بلاده فكانوا يحملونها كل عام وسار أنوشروان من الروم الى الخزر فقتل منهم وغنم وأخذ منهم بثار رعيته ثم قصد اليمن فقتل فيها وغنم وعاد الى المدائن وقد ملك مادون هرقلة ومابينه وبين البحرين وعمان وملك النعمان بن المنذر على الحيرة وأكرمه وسار نحو الهياطلة ليأخذ بثار جده فيروز وكان أنوشروان قد صاهر خاقان قبل ذلك ودخل كسرى بلادهم فقتل ملكهم واستأصل أهل بيته وتجاوز بلخ وماوراء النهر وانزل جنوده فرغانة ثم عاد الى المدائن وغزا البرجان ثم رجع وأرسل جنده الى اليمن فقتلوا الحبشة وملكوا البلاد وكان ملكه ثمانيا وأربعين سنة وقيل سبعا وأربعين سنة وكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر ملكه وقيل ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله لاربع وعشرين سنة مضت من ملك أنوشروان وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة اثنتين وأربعين من ملكه قال هشام بن الكلبي ملك العرب من قبل ملوك الفرس بعد الاسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر ابن النعمان سبع سنين ثم ملك بعده النعمان بن الاسود أربع سنين ثم استخلف أبو يعفر بن علقمة ابن مالك بن عدي اللخمي ثلاث سنين ثم ملك المنذر بن امرئ القيس الكندي ولقب ذا القرنين لضفيرتين كانتا له وأمه ماء السماء وهي ماوية ابنة عمرو بن جشم بن النمر بن قاسط تسعا وأربعين سنة ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر ست عشرة سنة قال ولثماني سنين وثمانية أشهر من ولايته ولد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أيام أنوشروان عام الفيل فلما دانت لكسرى بلاد اليمن وجه الى

الهند الى بلاد بروص واليها يضاف القنا البروصي برا متصلا الى أرض الصين ساحلا واحدا ويقابل ماذكرنا من مبدا ساحل كرمان والسند بلاد البحرين وجزائر قطن وسطنى خزيمة وبلاد عمان وأرض مهرة الى رأس الجمجمة الى أرض الشحر والاحقاف وفيه جزائر كثيرة مثل جزيرة خارك وهي بلاد جنابة لان خارك مضافة الى جنابة وبينها وبين البر فراسخ فيها مغاص اللؤلؤ المعروف بالخاركي وجزيرة أوال فيها بنو معن وابن مسمار وخلائق كثيرة من العرب بينها وبين مدن ساحل البحر نحو يوم بل أقل من ذلك وفي ذلك الساحل مدينة الزارة والعقير والقطيف من ساحل هجر ثم بعد جزيرة أوال جزائر كثيرة منها جزيرة لافت وتدعى جزيرة بني كاوان وقد كان افتتحها عمرو بن العاص وفيها مسجده الى هذه الغاية وفيها خلق من الناس وقرى وعمارة متصلة وتقرب هذه الجزيرة الى جزيرة هجان ومنها يستسقي أرباب المراكب الماء ثم الجبال المعروفة بكسير وعوير وثالث ليس فيه طمع ثم الدردور المعروف

سرنديب من بلاد الهند وهي أرض الجوهر قائداً من قواده في جند كثيف فقاتل ملكها فقتله واستولى عليها وحمل الى كسرى منها أموالاً عظيمة وجواهر كثيرة ولم يكن ببلاد الفرس بنات آوى فجاءت اليها من بلاد الترك في ملك كسرى أنوشروان فشق عليه ذلك وأحضر موبذان موبذ وقال له قد بلغنا تساقط هذه السباع الى بلادنا وقد تعاظمنا ذلك فاخبرنا برأيك فيها فقال سمعت فقهاءنا يقولون متى لم يغلب العدل الجور في البلاد بل جار أهلها غزاهم أعداؤهم وأتاهم ما يكرهون فلم يلبث كسرى ان أتاه ان فتياناً من الترك قد غزوا أقصى بلاده فأمر وزراءه وعماله ان لا يتعدوا فيما هم بسبيله العدل ولا يعملوا في شيء منها الا به ففعلوا ما أمرهم فصرف الله ذلك العدو عنهم من غير حرب

(ذكر ما فعله أنوشروان بارمينية واذربيجان)

كانت أرمينية واذربيجان بعضها للروم وبعضها للخزر فبنى قباذ سوراً مما يلي بعض تلك الناحية فلما توفي وملك ابنه أنوشروان وقوي أمره وغزا فرغانة والبرجان وعاد بنى مدينة الشابران ومدينة مسقط ومدينة الباب والابواب وانما سميت أبواباً لانها بنيت على طريق في الجبل وأسكن المدن قوماً سماهم السياسجين وبنى غير هذه المدن وبنى لكل باب قصراً من حجارة وبنى بارض جرزان مدينة سغدبيل وانزلها السغد وابناء فارس وبنى باب اللان وفتح جميع ما كان بايدي الروم من ارمينية وعمر مدينة اردبيل وعدة حصون وكتب الى ملك الترك يسأله الموادعة والاتفاق ويخطب اليه ابنته ورغب في صهره وتزوج كل واحد بابنة الآخر فاما كسرى فانه أرسل الى خاقان ملك الترك بنتاً كانت قد تبنتها بعض نسائه وذكر أنها ابنته وأرسل ملك الترك ابنته واجتمعا فأمر أنوشروان جماعة من ثقاته ان يكبسوا طرفاً من عسكر الترك ويحرقوا فيه ففعلوا فلما أصبحوا اشتكاه ملك الترك ذلك فانكر ان يكون له علم به ثم أمر بمثل ذلك بعد ليال فضج التركي فرفق به أنوشروان فاعتذر اليه ثم أمر أنوشروان ان تلقى النار في ناحية من عسكره فيها اكواخ من حشيش فلما أصبح شكا الى التركي وقال كافأتني بالتهمة فحلف التركي انه لم يعلم بشيء من ذلك فقال أنوشروان له ان جندنا قد كرهوا صلحنا لانقطاع العطاء والغارات ولا آمن ان يحدثوا حدثاً يفسد قلوبنا فنعود الى العداوة والرأي ان تأذن لي في بناء سور يكون بيني وبينك نجعل عليه أبواباً فلا يدخل اليك الا من تريده ولا يدخل الينا الا من نريده فأجابه الى ذلك وبنى أنوشروان السور من البحر وألحقه برؤس الجبال وعمل عليه أبواب الحديد ووكل به من يحرسه فقيل لملك الترك انه خدعك وزوجك غير ابنته وتحصن منك فلم تقدر له على حيلة وملك أنوشروان ملوكاً رتبهم على النواحي فمنهم صاحب السرير وفيلان شاه واللكز ومسقط وغيرها ولم تزل ارمينية بأيدي الفرس حتى ظهر الاسلام فرفض كثير من السياسجين حصونهم ومدائنهم حتى خربت واستولى عليها الخزر والروم وجاء الاسلام وهي كذلك

(ذكر أمر الفيل)

لما دام ملك ابرهة باليمن وتمكن به بنى القليس بصنعاء وهي كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشيء من الارض ثم كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك كنيسة لم ير مثلها ولست بمنته حتى اصرف اليها حاج العرب فلما تحدثت العرب بذلك غضب رجل من النسأة من بني فقيم فخرج حتى أتاها فقعد فيها وتغوط ثم لحق بأهله فأخبر بذلك ابرهة وقيل له انه فعل رجل من أهل البيت الذي تحجه العرب بمكة غضب لما سمع انك تريد صرف الحجاج عنه ففعل هذا فغضب ابرهة وحلف ليسيرن الى

بدرد ورمسدم ونكنيه البحر يونباني جهرة وهذه مواضع من البحر وجبال سود ذاهبة في الهواء لا نبات عليها ولا حيوان تحيط بها مياه من البحر عظيمة قعرة وأمواج متلاطمة تجزع منها النفوس اذا أشرفت عليها وهذه المواضع من بلاد عمان وسيراف لابد للراكب من الجواز عليها والدخول في وسطها تخطئ وتصيب وهذا البحر وهو خليج فارس ويعرف بالبحر الفارسي عليه ما وصفنا من البحرين وفارس والبصرة وعمان الى رأس الجمجمة وما بين هذا الخليج وخليج القلزم ايلة والحجاز واليمن ويكون بين الخليجين من المسافة ألف وخمسمائة ميل وهي داخلة من البر في البحر والبحر يطيف بها من أكثر جهاتها على ما وصفنا فهذا بحر الصين والهند وفارس وعمان والبصرة والبحرين واليمن والحجاز والقلزم والزنج والسند ومن في جزائره ومن قد أحاط به من الامم الكثيرة التي لا يعلم وصفهم ولا عددهم الا من خالقهم سبحانه وتعالى ولكل قطعة منه اسم يفردها من غيرها والماء واحد متصل غير منفصل وفي هذا البحر مغاصات

البيت فيهدمه وأمر الحبشة فتجهزت وخرج معه بالفيل واسمه محمود وقيل كان معه ثلاثة عشر فيلا وهى تتبع محمودا وانما وحد الله سبحانه الفيل لانه عنى كبيرها محمودا وقيل فى عددهم غير ذلك فلما سار سمعت العرب به فاعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج عليه رجل من أشراف اليمن يقال له ذو نفر وقاتله فهزم ذو نفر وأخذ أسيرا فأراد قتله ثم تركه محبوسا عنده ثم مضى على وجهه فخرج عليه نفيل بن حبيب الخثعمى فقاتله فانهزم نفيل وأخذ أسيرا فضمن لابرهة ان يدله على الطريق فتركه وسار حتى اذا مر على الطائف بعثت معه ثقيف أبا رغال يدله على الطريق حتى أنزله بالمغمس فلما أنزله مات أبو رغال فرجمت العرب قبره فهو القبر الذى يرجم وبعث ابرهة الاسود بن مقصود الى مكة فساق أموال أهلها وأصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم ثم أرسل ابرهة حناطة الحميرى الى مكة فقال سل عن سيد قريش وقل له انى لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تمنعوا عنه فلا حاجة لى بقتالكم فلما بلغ عبد المطلب ما أمره قال له والله ما نريد حربه هذا بيت الله وبيت خليله ابراهيم فان يمنعه فهو يمنع بيته وحرمه وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا من دفع فقال له انطلق معى الى الملك فانطلق معه عبد المطلب حتى أتى العسكر فسأله عن ذى نفر وكان له صديقا فدل عليه وهو فى محبسه فقال له هل عندك غناء فيما نزل بنا فقال وما غناء رجل أسير بيدى ملك ينتظر أن يقتله ولكن أنيس سائس الفيل صديق لى فأوصيه بك وأعظم حقك وأسأله ان يستأذن لك على الملك فيكلمه بما تريد ويشفع لك عنده ان قدر قال حسبى فبعث ذو نفر الى أنيس فحضره وأوصاه بعبد المطلب وأعلمه انه سيد قريش فكلم أنيس ابرهة وقال هذا سيد قريش يستأذن فأذن له وكان عبد المطلب رجلا عظيما جليلا وسيما فلما رآه ابرهة أجله وأكرمه ونزل عن سريره اليه وجلس معه على بساط وأجلسه الى جنبه وقال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له الترجمان ذلك فقال عبد المطلب حاجتى ان يرد على مائتى بعير أصابها الى فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم زهدت فيك حين كلمتنى أتكلمنى فى ابلك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه قال عبد المطلب أنا رب الابل وللبيت رب يمنعه قال ما كان ليمنع منى وأمر برد ابله فلما أخذها قلدها وجعلها هديا وبثها فى الحرم لكى يصاب منها شئ فيغضب الله وانصرف عبد المطلب الى قريش وأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج معه من مكة والتحرز فى رؤس الجبال خوفا من معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فاخذ بحلقة باب الكعبة وقام مع نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة

يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * امنعهم ان يخربوا فناكا

وقال أيضا

لاهم ان العبد يمنـع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
ولئن فعلت فانه * أمر تتم به فعالك
أنت الذى ان جاء باغ نرتجيك له فذالك
ولوا ولم يحووا سوى * خزى وتهلكهم هنالك
لم أستمع يوما بارجس منهم يبغوا قتالك
جروا جموع بلادهم * والفيل كى يسبوا عيالك

الدر والياقوت وفيه العقيق والباذبيج وهو نوع من البجادى وأنواع الياقوت والماس والسنباذج وفيه معادن ذهب وفضة نحو بلاد كالة وسريرة وحوله معادن حديد مما يلى بلاد كرمان ونحاس بأرض عمان وفيه أنواع الطيب والافاويه والعنبر والساج والخشب المعروف بالداسجى والقنا والخيزران وسنذكر بعد هذا الموضع تفصيل مواضع فيه أدركناها وكل ما ذكرنا من الجواهر والطيب والنبات ففيه وحوله وسائر ما ذكرنا من هذا البحر يدعى بالبحر الحبشى ورياح ما وصفنا من قطعه التى تدعى كل واحدة منها بحرا كقولنا بحر فارس وبحر اليمن وبحر القلزم وبحر الحبش وبحر الزنج وبحر النيل وبحر الهند وبحر كلاه وبحر الزانج وبحر الصين مختلفة فمنها ما ريحه من قعر البحر يظهر فيقلقه ويعظم موجه كالقدر تفور مما يلحقها من مواد حرارة النار ومنها ما ريحه واليه فيه من قعره والنسيم ومنها ما يكون مهبه من النسيم دون ما يظهر من قعره وما وصفناه مما يظهر من قعره من الرياح تنفسات من الارض تظهر الى قعره

عمدوا

عمدوا آلك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعـ * ـبتنا فأمر ما بدا لك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما يفعل ابرهة بمكة اذا دخل فلما أصبح ابرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وكان اسمه محمودا وابرهة مجمع لهدم البيت والعود الى اليمن فلما وجهوا الفيل أقبل نفيل بن حبيب الخثعمي فمسك باذنه وقال ابرك محمود او ارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فالقى الفيل نفسه الى الارض واشتد نفيل فصعد الجبل فضربوا الفيل فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فسقط الى الارض وأرسل الله عليهم طيرا ابابيل من البحر امثال الخطاطيف مع كل طير منها ثلاثة أحجار يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه فقذفتهم بها وهي مثل الحمص والعدس لا تصيب أحدا منهم الا هلك وليس كلهم أصابت وأرسل الله سيلا القاهم في البحر وخرج من سلم مع ابرهة هاربا يبتدرون الطريق الذي جاؤا منه ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته

اين المفر والاله الطالب * والاشرم المغلوب غير الغالب

وقال أيضا

ألا حييت عنا يا ردينا * نعمناكم مع الاصباح عينا
أتانا قابس منكم عشاء * فلم يقدر لقابسكم لدينا
ردينة لو رأيت ولا تريه * لدى جنب المحصب ما رأينا
اذا لعذرتني وحمدت رأيي * ولم تأسي لما قد فات بينا
حمدت الله اذ عاينت طيرا * وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل * كأن علي للحبشان دينا

فخرجوا يتساقطون بكل منهل وأصيب ابرهة في جسده فسقطت أعضاؤه عضوا عضوا حتى قدموا به صنعاء وهو مثل الفرخ فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فلما هلك ملك ابنه يكسوم بن ابرهة وبه كان يكنى وذلت حمير واليمن له ونكحت الحبشة نساءهم وقتلوا رجالهم واتخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب ولما أهلك الله الحبشة وعاد ملكهم ومعه من سلم منهم ونزل عبد المطلب من الغد اليهم لينظر ما يصنعون ومعه أبو مسعود الثقفي لم يسمعا حسا فدخلا معسكرهم فرأيا القوم هلكى فاحتفر عبد المطلب حفرتين ملأهما ذهبا وجوهرا له ولابي مسعود ونادى في الناس فتراجعوا فاصابوا من فضلهما شيأ كثيرا فبقي عبد المطلب في غنى من ذلك المال حتى مات وبعث الله السيل فالقى الحبشة في البحر وقال كثير من أهل السير ان الحصبة والجدري أول ما رؤيا في العرب بعد الفيل وكذلك قالوا ان العشر والحرمل والشيح لم تعرف بارض العرب الا بعد الفيل وهذا مما لا ينبغي ان يعرج عليه فان هذه الامراض والاشجار قبل الفيل مذ خلق الله العالم ولما رد الله الحبشة عن الكعبة وأصابهم ما أصابهم عظمت العرب قريشا وقالوا أهل الله قاتل عنهم ثم مات يكسوم وملك بعده أخوه مسروق

(ذكر عود اليمن الى حمير واخراج الحبشة عنه)

لما هلك يكسوم ملك اليمن أخوه مسروق بن ابرهة وهو الذي قتله وهرز فلما اشتد البلاء على

تظهر في سخطه والله عز وجل أعلم بكيفية ذلك ولكل من يركب هذه البحار من الناس ارياح يعرفونها في أوقات تكون فيها مهابها قد علم ذلك بالعادات وطول التجارب يتوارثون علم ذلك قولا وعملا ودلائل وعلامات يعلمون بها ابان هيجانه وأحوال ركوبه وثورانه والروم والمسافرون في البحر الرومي سبيلهم كذلك وكذلك من يركب بحر الخزر الى بلاد جرجان وطبرستان والديلم وسنأتي بعد هذا الموضع على جمل وفصول من علم معرفة هذه البحار وعجائب أوصافها وأخبارها ان شاء الله تعالى

(ذكر تنازع الناس في المد والجزر وجوامع مما قيل في ذلك)

والمد مضي الماء في فيحته وسجيته وسنن جريته والجزر رجوع الماء على ضد سنن مضيه وانكشاف ما مضى عليه في هيجه وذلك كبحر الحبش الذي هو الصيني والهندي وبحر البصرة وفارس المقدم ذكره قبل هذا الباب وذلك ان البحار على ثلاثة أنواع منها ما يتأتى فيه الجزر والمد ويظهر ظهورا بينا ومنها ما لا يتبين فيه الجزر والمد ويكون مستترا ومنها ما

اهل اليمن خرج سيف بن ذي يزن وكنيته أبو مرة وقيل كنية ذي يزن أبو مرة حتى قدم في قيصر وتنكب كسرى لابطائه عن نصر أبيه فانه كان قصد كسرى أنوشروان لما أخذت زوجته يستنصره على الحبشة فوعده فأقام ذو يزن عنده فمات على بابه وكان ابنه سيف مع أمه في حجر ابرهة وهو يحسب انه ابنه فسبه ولد لابرهة وسب أباه فسأل أمه عن أبيه فاعلمته خبره بعد مراجعة بينهما فاقام حتى مات ابرهة وابنه يكسوم ثم سار الى الروم فلم يجد عند ملكهم مايحب لموافقته الحبشة في الدين فعاد الى كسرى فاعترضه يوما وقد ركب فقال له ان لي عندك ميراثا فدعا به كسرى لما نزل فقال له من أنت وما ميراثك قال أنا ابن الشيخ اليماني الذي وعدته النصرة فمات ببابك فتلك العدة حق لي وميراث فرق كسرى له وقال له بعدت بلادك عنا وقل خيرها والمسالك اليها وعر ولست اغرر بجيشي وأمر له بمال فخرج وجعل ينثر الدراهم فانتهبها الناس فسمع كسرى فسأله ما حمله على ذلك فقال لم آتك للمال وانما جئتك للرجال ولتمنعني من الذل والهوان وان جبال بلادنا ذهب وفضة فاعجب كسرى بقوله وقال يظن المسكين انه أعرف ببلاده مني واستشار وزراءه في توجيه الجند معه فقال له موبذان موبذ أيها الملك ان لهذا الغلام حقا بنزوعه اليك وموت أبيه ببابك وما تقدم من عدته بالنصرة وفي سجونك رجال ذو ونجدة وبأس فلوان الملك وجههم معه فان أصابوا ظفرا كان للملك وان هلكوا فقد استراح وأراح أهل مملكته منهم فقال كسرى هذا الرأي فامر بمن في السجون فأحضروا فكانوا ثمانمائة فقود عليهم قائدا من أساورته يقال له وهرز وقيل بل كان من أهل السجون سخط عليه كسرى لحدث أحدثه فحبسه وكان يقيد بألف أسوار وأمر بحملهم في ثمان سفن فركبوا البحر فغرق سفينتان وخرجوا بساحل حضرموت ولحق بابن ذي يزن بشر كثير وسار اليهم مسروق في مائة ألف من الحبشة وحمير والاعراب وجعل وهرز البحر وراء ظهره وأحرق السفن لئلا يطمع أصحابه في النجاة وأحرق كل ما معهم من زاد وكسوة الا ما أكلوا وما على أبدانهم وقال لاصحابه انما أحرقت ذلك لئلا يأخذه الحبشة ان ظفروا بكم وان نحن ظفرنا بهم فسنأخذ أضعافه فان كنتم تقاتلون معي وتصبرون أعلموني ذلك وان كنتم لا تفعلون اعتمدت على سيفي حتى يخرج من ظهري فانظروا ما حالكم اذا فعل رئيسكم هذا بنفسه قالوا بل نقاتل معك حتى نموت أو نظفر وقال لسيف بن ذي يزن ما عندك قال ما شئت من رجل عربي وسيف عربي ثم اجعل رجلي مع رجلك حتى نموت جميعا أو نظفر جميعا قال أنصفت فجمع اليه سيف من استطاع من قومه فكان أول من لحقه السكاسك من كندة وسمع بهم مسروق بن ابرهة فجمع اليه جنده فعبى وهرز أصحابه وأمرهم أن يوتروا قسيهم وقال اذا أمرتكم بالرمي فارموا رشقا وأقبل مسروق في جمع لا يرى طرفاه وهو على فيل وعلى رأسه تاج وبين عينيه ياقوتة حمراء مثل البيضة لا يرى دون الظفر شيأ وكان وهرز كل بصره فقال أروني عظيمهم فقالوا هذا صاحب الفيل ثم ركب فرسا فقالوا ركب فرسا ثم انتقل الى بغلة فقالوا ركب بغلة فقال وهرز ذل ملكه وقال وهرز ارفعوا الى حاجبي وكانا قد سقطا على عينيه من الكبر فرفعوهما بعصابة ثم جعل نشابة في كبد قوسه وقال أشيروا الى مسروق فاشاروا اليه فقال لهم سارميه فان رأيتم أصحابه وقوفا فلم يتحركوا فاثبتوا حتى أوذنكم فاني قد اخطأت الرجل وان رأيتموهم قد استداروا ولاذوا به فقد أصبته فاحملوا عليهم ثم رماه فاصاب السهم بين عينيه ورمى أصحابه فقتل مسروق وجماعة من أصحابه فاستدارت الحبشة بمسروق وقد سقط عن دابته وحملت الفرس عليهم فلم يكن دون الهزيمة شئ وغنم الفرس من عسكرهم ما لا يحد ولا يحصى وقال وهرز كفوا عن

العرب

لايجزر ولا يمد كالبحار التي لا يكون فيها الجزر والمد امتنع منها الجزر والمد الى ثلاث وهي على ثلاثة أصناف فاولها ما يقف الماء فيه زمانا فيغلظ وتقوى ملوحته وتتكيف فيه الارياح لانه ربما صار الماء الى بعض المواضع من بعض فيصير كالبحيرة و ينقص في الصيف و يزيد في الشتاء و يتبين فيه زيادة ما ينصب فيه من الانهار والعيون والصنف الثاني الذي يبعد عن مدار القمر ومسافاته بعدا كثيرا فيمتنع منه المد والجزر والصنف الثالث المياه التي يكون الغالب على أرضها التخلخل لانه اذا كانت أرضها متخلخلة بعد الماء منها الى غيرها من البحار وتخلخل وأنشبت الرياح الكائنة في أرضها أولا وغلبت الرياح عليها وأكثر ما يكون هذا في ساحل البحار والجزائر وقد تنازع الناس في علة المد والجزر فمنهم من ذهب الى ان ذلك من القمر لانه مجالس للماء وهو يسخنه فينبسط وشبهوا ذلك بالنار اذا أسخنت ما في القدر وأغلته وأن الماء يكون فيها على قدر النصف أو الثلثين وكلما انبسط في القدر ارتفع وتدافع حتى يفور فيتضاعف عن كمينه

العرب واقتلوا السودان ولا تبقوا منهم أحدا وهرب رجل من الاعراب يوما وليلة ثم التفت فرأى في جعبته نشابة فقال لامك الويل أبعد طول مسير وسار وهرز حتى دخل صنعاء وغلب على بلاد اليمن وأرسل عماله في المخاليف وكان مدة ملك الحبشة اليمن اثنتين وسبعين سنة توارث ذلك منهم أربعة ملوك ارياط ثم أبرهة ثم ابنه يكسوم ثم مسروق بن ابرهة وقيل كان ملكهم نحو اثنتين وثلاثين سنة وقيل غير ذلك والاول أصح فلما ملك وهرز اليمن أرسل الى كسرى يعلمه بذلك وبعث اليه بأموال وكتب اليه كسرى يأمره ان يملك سيف بن ذي يزن وبعضهم يقول معديكرب بن سيف بن ذي يزن على اليمن وأرضها وفرض عليه كسرى جزية وخراجا معلوما في كل عام فملكه وهرز وانصرف الى كسرى وأقام سيف على اليمن ملكا يقتل الحبشة ويبقر بطون الحبالى عن الحمل ولم يترك منهم الا القليل جعلهم خولا فاتخذ منهم جمازين يسعون بين يديه بالحراب فمكث غير كثير ثم انه خرج يوما والحبشة يسعون بين يديه بحرابهم فضربوه بالحراب حتى قتلوه فكان ملكه خمس عشرة سنة ووثب بهم رجل من الحبشة فقتل باليمن وأفسد فلما بلغ ذلك كسرى بعث اليهم وهرز في أربعة آلاف فارس وأمره ان لا يترك باليمن اسود ولا ولد عربية من اسود ومن شرك فيه اسود قتله وأقبل حتى دخل اليمن ففعل ما أمره وكتب الى كسرى يخبره فأقره على ملك اليمن فكان يجبيها لكسرى حتى هلك وأمر بعده كسرى ابنه المرزبان بن وهرز حتى هلك ثم أمر بعده كسرى التينجان بن المرزبان ثم أمر بعده خرخرة بن التينجان بن المرزبان ثم ان كسرى ابرويز غضب عليه فأحضره من اليمن فلما قدم تلقاه رجل من عظماء الفرس فالقى عليه سيفا كان لابي كسرى فأجاره كسرى بذلك من القتل وعزله عن اليمن وبعث باذان الى اليمن فلم يزل عليها حتى بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل ان انوشروان استعمل بعد وهرز زرين وكان مسرفا اذا أراد ان يركب قتل قتيلا ثم سار بين أوصاله فمات انوشروان وهو على اليمن فعزله ابنه هرمز وقد اختلفوا في ولاة اليمن للاكاسرة اختلافا كثيرا لم أر لذكره فائدة

(ذكر ما أحدثه قريش بعد الفيل)

لما كان من أمر أصحاب الفيل ما ذكرناه عظمت قريش عند العرب فقالوا لهم أهل الله وقطنه يحامي عنهم فاجتمعت قريش بينها وقالوا نحن بنو ابراهيم عليه السلام وأهل الحرم وولاة البيت وقاطنو مكة فليس لاحد من العرب مثل منزلتنا ولا يعرف العرب لاحد مثل ما يعرف لنا فهلموا فلنتفق على ائتلاف اننا لا نعظم شيأ من الحل كما يعظم الحرم فانا اذا فعلنا ذلك استخفت العرب بنا وبحرمنا وقالوا قد عظمت قريش من الحل مثل ما عظمت من الحرم فتركوا الوقوف بعرفة والافاضة منها وهم يعرفون ويقرون انها من المشاعر والحج ودين ابراهيم ويرى سائر العرب ان يقفوا عليها وان يفيضوا منها وقالوا نحن أهل الحرم فلا نعظم غيره ونحن الحمس وأصل الحماسة الشدة انهم تشددوا في دينهم وجعلوا لمن ولد واحدة من نسائهم من العرب ساكني الحل مثل مالهم بولادتهم ودخل معهم في ذلك كنانة وخزاعة وعامر لولادة لهم ثم ابتدعوا فقالوا لا ينبغي للحمس ان يعملوا الاقط ولا يسلؤا السمن وهم حرم ولا يدخلوا بيتا من شعر ولا يستظلوا الا في بيوت الادم ما كانوا حرما وقالوا ولا ينبغي لاهل الحل ان يأكلوا من طعام جاؤا به معهم من الحل في الحرم اذا جاؤا حجاجا أو عمارا ولا يطوفوا بالبيت طوافهم اذا قدموا الا في ثياب الحمس فان لم يجدوا طافوا بالبيت عراة فان أنف أحد من عظمائهم ان يطوف عريانا اذا لم يجد ثياب الحمس فطاف في ثيابه ألقاها اذا فرغ من الطواف ولا يمسها هو ولا أحد غيره وكانوا يسمونها اللقى فدانت

في الحس وينقص في الوزن لان من شرط الحرارة ان تبسط الاجسام ومن شرط البرودة أن تضمها وذلك ان قعور البحار تحمى فيتولد في أرضها عذوبة وتستحيل وتحمى كما في البلاليع والآبار فاذا حمي ذلك الماء انبسط وزاد واذا ازداد ارتفع فدفع كل جزء منه فطفا على سطحه وبان عن قعره فاحتاج الى أكثر من حده وان القمر اذا امتلأ حمي الجو حميا شديدا فظهرت زيادة الماء فهي ذلك المد الشهري وان هذا البحر تحت معدل النهار آخذا من جهة المشرق الى المغرب ودور الكواكب المتحيرة عليه مع الشامية من الكواكب السامية اذا كانت المتحيرة في القدر مثل الميل على تجاوزه واذا زالت عنه كانت منه قريبة فاعلة فيه من أوله الى آخره في كل يوم وليلة وهي مع ذلك في الموضع المقابل الحمى فقليل ما يعرض فيه من الزيادة ويكون في النهر الذي يعرف فيه المد من أطرافه وما يصب اليه من سائر المياه وقالت طائفة أخرى لو كان الجزر والمد بمنزلة النار اذا أسخنت الماء الذي في القدر وبسطته فيطلب أوسع منها فيفيض حتى اذا خلا قعره من الماء

العرب لهم بذلك فكانوا يطوفون كما شرعوا لهم و يتركون أزوادهم التى جاؤا بها من الحل
و يشترون من طعام الحرم و يأكلونه هذا فى الرجال واما النساء فكانت المرأة تضع ثيابها كلها
الا درعها مفرجا ثم تطوف فيه وتقول

اليوم يبدو بعضه أوكله * وما بدا منه فلا أحله

فكانوا كذلك حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فنسخه فافاض من عرفات وطاف الحجاج
بالثياب التى معهم من الحل وأكلوا من طعام الحل فى الحرم أيام الحج وأنزل الله تعالى فى ذلك ثم
أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم أراد بالناس العرب أمر قريشا
ان يفيضوا من عرفات وأنزل الله تعالى فى اللباس والطعام الذى من الحل وتركهم اياه فى الحرم
يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا الى قوله لقوم يعلمون

(ذكر حلف المطيبين والاحلاف)

قد ذكرنا ما كان قصى أعطى ولده عبد الدار من الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء ثم ان
هاشما وعبد شمس والمطلب ونوفلا بنى عبد مناف بن قصى رأوا انهم أحق بذلك من بنى عبد الدار
لشرفهم عليه ولفضلهم فى قومهم وأرادوا أخذ ذلك منهم فتفرقت عند ذلك قريش كانت طائفة
مع بنى عبد مناف وطائفة مع بنى عبد الدار يرون انه لا يجوز ان يأخذ منهم ما كان قصى جعله
لهم اذ كان أمر قصى فيهم شرعا متبعا معرفة منهم لفضله وتيمنا بامره وكان صاحب أمر بنى عبد
مناف بن قصى عبد شمس لانه كان أكبرهم وكان صاحب بنى عبد الدار الذى قام فى المنع عنهم
عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار فاجتمع بنو أسد بن عبد العزى بن قصى وبنو زهرة بن
كلاب وبنو تيم بن مرة وبنو الحرث بن فهر بن مالك بن النضر مع بنى عبد مناف واجتمع بنو مخزوم
وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدى بن كعب مع بنى عبد الدار وخرجت عامر بن لؤى ومحارب بن فهر
من ذلك فلم يكونوا مع أحد الفريقين وعقد كل طائفة بينهم حلفا مؤكدا على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم
بعضهم بعضا ما بل بحر صوفة فاخرجت بنو عبد مناف بن قصى جفنة مملوءة طيبا قيل ان بعض
نساء بنى عبد مناف أخرجتها لهم فوضعوها فى المسجد وغمسوا أيديهم فيها وتعاهدوا وتعاقدوا
ومسحوا الكعبة بايديهم توكيدا على أنفسهم فسموا بذلك المطيبين وتعاقد بنو عبد الدار ومن معهم
من القبائل عند الكعبة على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا فسموا الاحلاف ثم تصافوا
للقتال وأجمعوا على الحرب فبينما هم على ذلك اذ تداعوا للصلح على ان يعطوا بنى عبد مناف السقاية
والرفادة وان تكون الحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار فاصطلحوا ورضى كل واحد من
الفريقين بذلك وتحاجزوا عن الحرب وثبت كل قوم مع من حالفوا حتى جاء الاسلام وهم على ذلك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان من حلف فى الجاهلية فان الاسلام لم يزده الا شدة
ولا حلف فى الاسلام فولى السقاية والرفادة هاشم بن عبد مناف لان عبد شمس كان كثير الاسفار
قليل المال كثير العيال وكان هاشم موسرا جوادا وكان ينبغى ان نذكر هذا قبل الفيل وما أحدثه
قريش وانما أخرناه للزوم تلك الحوادث بعضها ببعض

(ذكر ما فعله كسرى فى أمر الخراج والجند)

كان ملوك الفرس يأخذون من غلات كورهم قبل ملك كسرى انوشروان فى خراجها من
بعضها الثلث ومن بعضها الربع وكذلك الخمس والسدس على قدر شربها وعمارتها ومن الجزية
شيأ معلوما فامر الملك قباذ بمسح الارضين ليصح الخراج عليها فمات قبل الفراغ من ذلك فلما ملك

طلب الماء بعد خروجه
منها عمق الارض لطفيه
فيرجع اضطرارا بمنزلة
رجوع ما يغلى من الماء
فى المرجل والقمقم اذا
فاض وتتابعت أجزاء النار
عليه بالحمى لكان فى الشمس
أشد سخونة ولو كانت
الشمس علة مده لكان يمد
مع بدء طلوع الشمس ويجزر
مع غيبتها فزعم هؤلاء ان
علة الجزر والمد فى الابحر
تتولد من الابخرة التى
تتولد من بطن الارض
فانها لا تزال تتولد حتى
تكثف وتكثر فتدفع
حينئذ ماء هذا البحر
لكثافتها فلا تزال كذلك حتى
تنقص موادها من أسفل
فاذا انقطعت موادها
تراجع الماء حينئذ الى قعر
البحر وكان الجزر من أجل
ذلك والمد ليلا ونهارا وشتاء
وصيفا وفى غيبة القمر
وفى طلوعه وكذلك فى غيبة
الشمس وطلوعها قالوا وهذا
يدرك بالحس لانه ليس
يستكمل الجزر آخره
حتى يبدو أول المد ولا ينقضى
آخر المد حتى يبتدئ أول
الجزر لانه لا يتغير تولد تلك
البخارات حتى اذا خرجت
تولد غيرها مكانها وذلك ان
البحر اذا غارت مياهه
ورجعت الى قعره تولدت
تلك الابخرة لمكان ما يتصل
منها من الارض بمائه وكلما
غارت تولدت وكلما فاض

انوشروان أمر باستتمام ذلك ووضع الخراج على الحنطة والشعير والكرم والرطب والنخل والزيتون والارز على كل نوع من هذه الانواع شيأ معلوما ويؤخذ في السنة في ثلاث أنجم وهي الوضائع التي اقتدى بها عمر بن الخطاب وكتب كسرى الى القضاة في البلاد نسخة بالخراج ليمتنع العمال من الزيادة عليه وأمر ان يوضع عمن أصابت غلته جائحة بقدر جائحته والزموا الناس الجزية ما خلا العظماء وأهل البيوتات والجند والهرابذة والكتاب ومن في خدمة الملك كل انسان على قدره اثني عشر درهما وثمانية دراهم وستة دراهم وأربعة دراهم وأسقطها عمن لم يبلغ عشرين سنة أو جاوز خمسين سنة ثم ان كسرى ولى رجلا من الكتاب من الكفاة والنبلاء اسمه بابك عرض جيشه فطلب من كسرى التمكن من شغله الى ذلك فتقدم ببناء مصطبة موضع عرض الجيش وفرشها ثم نادى ان يحضر الجند بسلاحهم وكراعهم للعرض فحضروا والخيل لم ير معهم كسرى أمرهم بالانصراف ففعل ذلك يومين ثم أمر فنودي في اليوم الثالث أن لا يتخلف احد ولا من أكرم بتاج فسمع كسرى فحضر وقد لبس التاج والسلاح ثم أتى بابك ليعرض عليه فرأى سلاحه تاما ما عدا وترين للقوس كان عادتهم ان يستظهروا بهما فلم يرهما بابك معه فلم يجز على اسمه وقال له هلم كل ما يلزمك فذكر كسرى الوترين فعلقهما ثم نادى منادي بابك وقال للكمي السيد سيد الكماة أربعة آلاف درهم وأجاز على اسمه فلما قام عن مجلسه حضر عند كسرى يعتذر اليه من غلظته عليه وذكر له ان أمره لا يتم الا بما فعل فقال كسرى ما غلظ علينا أمر نريد به اصلاح دولتنا ومن كلام كسرى الشكر والنعمة عدلان ككفتي الميزان أيهما رجح بصاحبه احتاج الاخف الى ان يزاد فيه حتى يعادل صاحبه فاذا كانت النعم كثيرة والشكر قليلا انقطع الحمد فكثير النعم يحتاج الى كثير من الشكر وكلما زيد في الشكر ازدادت النعم وجاوزته ونظرت في الشكر فوجدت بعضه بالقول وبعضه بالفعل ونظرت أحب الاعمال الى الله فوجدته الشئ الذي أقام به السموات والارض وأرسى به الجبال وأجرى به الانهار وبرأ به البرية وهو الحق والعدل فلزمته ورأيت ثمرة الحق والعدل عمارة البلدان التي بها قوام الحياة للناس والدواب والطير وجميع الحيوانات ولما نظرت في ذلك وجدت المقاتلة اجراء لاهل العمارة وأهل العمارة اجراء للمقاتلة فاما المقاتلة فانهم يطلبون أجورهم من أهل الخراج وسكان البلدان لمدافعتهم عنهم ومجاهدتهم من ورائهم فحق على أهل العمارة أن يوفوهم أجورهم فان العمارة والامن والسلامة في النفس والمال لا يتم الا بهم ورأيت ان المقاتلة لا يتم لهم المقام والاكل والشرب وتثمير الاموال والاولاد الا بأهل الخراج والعمارة فأخذت للمقاتلة من أهل الخراج ما يقوم بأودهم وتركت على أهل الخراج من مستغلاتهم ما يقوم بمؤنتهم وعمارتهم ولم أجحف بواحد من الجانبين ورأيت المقاتلة وأهل الخراج كالعينين المبصرتين واليدين المتساعدتين والرجلين على أيهما دخل الضرر تعدى الى الاخرى ونظرنا في سير آبائنا فلم نترك منها شيأ يقترن بالثواب من الله والذكر الجميل بين الناس والصلحة الشاملة للجند والرعية الا اعتمدناه ولا فسادا الا أعرضنا عنه ولم يدعنا الى حب ما لا خير فيه حب الآباء ونظرت في سير أهل الهند والروم وأخذنا محمودها ولم تنازعنا أنفسنا الى ما تميل اليه أهواؤنا وكتبنا بذلك الى جميع أصحابنا ونوابنا في سائر البلدان فانظر الى هذا الكلام الذي يدل على زيادة العلم وتوفر العقل والقدرة على منع النفس ومن كان هذا حاله استحق ان يضرب به المثل في العدل الى ان تقوم الساعة وكان لكسرى أولاد متأدبون فجعل الملك من بعده لابنه هرمز وكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل وذلك لمضى

نقصت وذهب آخرون من أهل الديانات ان كل ما لم يعرف له من الطبيعة مجرى ولا يوجد له فيها قياس فهو فعل الاله يدل على توحيد الله عز وجل وحكمته فليس للمد والجزر علة في الطبيعة البتة ولا قياس وقال آخرون ما هيجان البحر الا كهيجان بعض الطبائع فانك ترى صاحب الدم وصاحب الصفراء وغيرهما يهتاج الى طبيعته ثم يسكن قليلا حتى يعود وذهبت طائفة أخرى الى ابطال سائر ما وصفنا من القول وزعموا ان الهواء المطل على البحر يستحيل دائما فاذا استحال عظم ماء البحر وفاض عند ذلك واذا فاض البحر فهو المد فعند ذلك يستحيل ماؤه ويتنفس فيستحيل هواء فيعود الى ما كان عليه وهو الجزر وهو دائم مترادف متعاقب لان الماء يستحيل هواء والهواء يستحيل ماء قالوا وقد يجوز ان يكون ذلك عند امتلاء القمر أكثر لان القمر اذا امتلأ استحال الهواء أكثر مما كان يستحيل وانما القمر علة لكثرة المد لا للمد نفسه لانه قد يكون في محاقه والمد والجزر في بحر فارس يكونان على مطالع الفجر والاغلب من الاوقات

اثنتين وأربعين سنة من ملكه وفى هذا العام كان يوم ذى جبلة وهو يوم من أيام العرب المذكورة

﴿ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

قال قيس بن مخرمة وقثاث بن اشيم وابن عباس وابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل قال ابن الكلبى ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم لاربع وعشرين سنة مضت من سلطان كسرى أنوشروان وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة اثنتين وأربعين من سلطانه وأرسله الله تعالى لمضى اثنتين وعشرين من ملك كسرى ابرويز بن كسرى هرمز ابن كسرى أنوشروان وهاجر لاثنتين وثلاثين سنة مضت من ملك ابرويز قال ابن اسحق ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الاول وكان مولده بالدار التى تعرف بدار ابن يوسف قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبها عقيل بن أبى طالب فلم تزل فى يده حتى توفى فباعها ولده من محمد بن يوسف أخى الحجاج فبنى داره التى يقال لها دار ابن يوسف وادخل ذلك البيت فى الدار حتى أخرجته الخيزران فجعلته مسجدا يصلى فيه وقيل ولد لعشر خلون منه وقيل لليلتين خلتا منه * قال ابن اسحق ان آمنة ابنة وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تحدث انها أتيت فى منامها لما حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع بالارض فقولى أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد ثم سميه محمدا ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام فلما وضعته أرسلت الى جده عبد المطلب انه قد ولد لك غلام فأته فانظر اليه فنظر اليه وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت أن تسميه * وقال عثمان بن أبى العاص حدثتنى أمى انها شهدت ولادة آمنة ابنة وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما شئ أنظر اليه من البيت الا نور وانى لانظر الى النجوم لتدنو حتى انى لاقول لتقعن على * وأول من أرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثويبة مولاة أبى لهب بلبن ابن له يقال له مسروح وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الاسد المخزومى فكانت ثويبة تأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل ان يهاجر فيكرمها وتكرمها خديجة فأرسلت الى أبى لهب ان يبيعها اياها لتعتقها فأبى فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أعتقها أبو لهب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث اليها بالصلة الى ان بلغه خبر وفاتها منصرفه من خيبر فسأل عن ابنها مسروح فقيل توفى قبلها فسأل هل لها من قرابة فقيل لم يبق لها أحد ثم أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ثويبة حليمة بنت أبى ذؤيب واسمه عبد الله بن الحرث بن شجنة من بنى سعد بن بكر بن هوازن واسم زوجها الذى أرضعته بلبنه الحرث بن عبد العزى واسم اخوته من الرضاعة عبد الله وأنيسة وجذامة وهى الشيماء عرفت بذلك وكانت الشيماء تحضنه مع أمها حليمة وقدمت حليمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن تزوج خديجة فأكرمها ووصلها وتوفيت قبل فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فلما فتح مكة قدمت عليه أخت لها فسألها عنها فأخبرته بموتها فذرفت عيناه فسألها عمن خلفت فأخبرته فسألته نحلة وحاجة فوصلها وقال عبد الله بن جعفر بن أبى طالب كانت حليمة السعدية تحدث أنها خرجت من بلدها مع نسوة يلتمسن الرضعاء وذلك فى سنة شهباء لم تبق شيأ قالت فخرجت على أتان لنا قمراء معنا شارف لنا والله ماتبض بقطرة وماننام ليلتنا أجمع من صبينا الذى معى من بكائه من الجوع ومافى ثديى مايغنيه ومافى شارفنا مايغذوه ولكنا نرجو الغيث والفرج فلقد أدمت أتانى بالركب حتى شق عليهم ضعفا وعجفا حتى قدمنا مكة فما منا امرأة

وقد ذهب كثير من نواخذة هذا البحر وهم أرباب المراكب من السيرافيين والعمانيين ممن يقطعون هذا البحر ويختلفون الى عمارة من الامم التى فى جزائره وحوله الى ان المد والجزر لايكون فى معظم هذا البحر الا مرتين فى السنة مرة مد فى شهور الصيف شرقا بالشمال ستة أشهر فاذا كان ذلك طغى الماء فى مشارق البحر والجمر بالصين وماوراء ذلك الصقع ومرة مد فى شهور الشتاء غربا بالجنوب ستة أشهر فاذا كان الصيف طغى الماء فى مغارب البحر والجمر بالصين وقد يتحرك البحر بتحرك الرياح وان الشمس اذا كانت فى الجهة الجنوبية فكذلك تكون البحار فى جهة الجنوب فى الصيف لهبوب الشمال طامية عالية وتقل المياه فى جهة البحار الشمالية وكذلك اذا كانت الشمس فى الجنوب وسال الهواء من الجنوب فى جهة الشمال سال معه ماء البحر من الجهة الجنوبية الى الجهة الشمالية فقلت المياه فى الجهة الجنوبية منه وينتقل ماء البحر فى هذين الميلين أعنى فى جهتى الشمال والجنوب فيسمى

الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها انه يتيم وذلك انا انما نرجو المعروف من أبي الصبي فكنا نقول يتيم فما عسى ان تصنع أمه وجده فما بقيت امرأة معي الا أخذت رضيعا غيري فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي وكان معي انى لأكره ان أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعا والله لأذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه قال افعل فعسى أن الله يجعل لنا فيه بركة قالت فذهبت فأخذته فلما أخذته ووضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي وشرب معه أخوه حتى روي ثم ناما وما كان ابني ينام قبل ذلك وقام زوجي الى شارفنا تلك فاذا انها حافل فحلب منها ثم شرب حتى روي ثم سقاني فشربت حتى شبعنا قالت يقول لي صاحبي تعلمين والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة فقلت والله لارجو ذلك قالت ثم خرجنا فركبت أتاني وحملته عليها فلم يلحقني شيء من حمرهم حتى ان صواحبي ليقلن لي يا ابنة أبي ذؤيب اربعي علينا أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها فاقول بلى والله لهي هي فيقلن ان لها شأنا ثم قدمنا منازلنا من بني سعد وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة ولا يجدها في ضرع حتى ان كان الحاضر من قومنا ليقولون لرعيانهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي ابنة أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة من لبن وتروح غنمي شباعا لبنا فلم نزل نتعرف البركة من الله والزيادة في الخير حتى مضت سنتان وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه عندنا لما كنا نرى من بركته فكلمنا أمه في تركه عندنا فاجابت قالت فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا به باشهر مع أخيه في بهم لنا خلف بيوتنا اذ أتانا أخوه يشتد فقال لي ولابيه ذلك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض فاضجعاه وشقا بطنه وهما يسوطانه قالت فخرجنا نشتد فوجدناه قائما منتقعا وجهه قالت فالتزمته أنا وأبوه وقلنا له مالك يا بني قال جاءني رجلان فاضجعاني فشقا بطني فالتمسا به شيأ لا أدري ما هو قالت فرجعنا الى خبائنا وقال لي أبوه والله لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد أصيب فالحقيه باهله قبل أن يظهر ذلك قالت فاحتملناه فقدمنا به على أمه فقالت ما أقدمك يا ظئر به وقد كنت حريصة على مكثه عندك قالت قلت قد بلغ الله يا بني وقضيت الذي علي وتخوفت عليه الاحداث فاديته اليك كما تحبين قالت ما هذا بشأنك فاصدقيني ولم تدعني حتى أخبرتها قالت فتخوفت عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وان لابني لشأنا أفلا أخبرك قلت بلى قالت رأيت حين حملت به انه خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى من الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف منه ولا أيسر ثم وقع حين وضعته وانه لواضع يديه بالارض رافع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلقي راشدة * وكانت مدة رضاع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين وردته حليمة الى أمه وجده عبد المطلب وهو ابن خمس سنين في قول وقال شداد بن أوس بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل شيخ من بني عامر وهو ملك قومه وسيدهم شيخ كبير متوكئا على عصا فمثل قائما وقال يا ابن عبد المطلب اني أنبئت انك تزعم انك رسول الله أرسلك بما أرسل به ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الانبياء الا وانك فهت بعظيم ألا وقد كانت الانبياء من بني اسرائيل وانت ممن يعبد هذه الحجارة والاوثان ومالك وللنبوة وان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولك وبدو شأنك فاعجب النبي صلى الله عليه وسلم بمسألته ثم قال يا أخا بني عامر اجلس فجلس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان حقيقة قولي وبدو شأني اني دعوة أبي

جزرا ومدا شتويا وذلك ان مد الجنوب جزره الشمال ومد الشمال جزره الجنوب فان وافق القمر بعض الكواكب السيارة في أحد الميلين زاد قوى الحمى واشتد لذلك سيلان الهواء فاشتد لذلك انقلاب ماء البحر الى الجهة المخالفة للجهة التي ليس فيها الشمس (قال المسعودي) فهذا رأي يعقوب بن اسحق الكندي وأحمد بن الطيب السرخسي فيما حكاه عنه ان البحر يتحرك بالرياح ورأيت مثل ذلك ببلاد كنباية من أرض الهند وهي المدينة التي تضاف اليها النعال الكنبايتية الصرارة وفيها تعمل وفيما يليها مثل مدينة سندارة وسرباره وكان دخولي اليها في سنة ثلاث وثلثمائة والملك بها وكان منهزما من قبل البلهرا صاحب البانكين وكان للبانكين هذا غاية المناظرة مع من يرد الى بلاده من المسلمين وغيرهم من أهل الملل وهذه المدينة على خور من أخوار البحر وهو الخليج أعرض من النيل أودجلة أو الفرات عليه المدن والضياع والعمائر والنخل والنارجيل والطواويس والببغاء وغير ذلك من أنواع

ابراهيم و بشرى أخي عيسى وكنت بكر أمي وحملتني كأثقل ماتحمل النساء ثم رأت في منامها ان
الذي في بطنها نور قالت فجعلت اتبع بصري النور وهو يسبق بصري حتى اضاءت لي مشارق
الارض ومغاربها ثم انها ولدتني فنشأت فلما نشأت بغضت الي الاوثان والشعر فكنت مسترضعا
في بني سعد بن بكر فبينا أنا ذات يوم منتبذا من أهلي مع أتراب من الصبيان اذ أتانا ثلاثة رهط معهم
طست من ذهب مملوء ثلجا فأخذوني من بين أصحابي فخرج أصحابي هرابا حتى انتهوا الى شفير
الوادي ثم أقبلوا على الرهط فقالوا ما أربكم الى هذا الغلام فانه ليس له أب وما يرد عليكم قتله فلما رأى
الصبيان الرهط لا يردون جوابا انطلقوا مسرعين الى الحي يؤذنونهم بي ويستصرخونهم على القوم
فعمد أحدهم فأضجعني على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدري الى منتهى عانتي فانا
أنظر اليه لم أجد لذلك مسا ثم أخرج احشاء بطني فغسلها بالثلج فانعم غسلها ثم اخرج قلبي فصدعه ثم
أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال بيده يمنة منه كأنه يتناول شيأ فاذا بخاتم في يده من نور يحار
الناظرون دونه فختم به قلبي فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك
الخاتم في قلبي دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فتنحى عني فامر يده ما بين مفرق صدري الى منتهى
عانتي فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم أخذ بيدي فانهضني انهاضا لطيفا ثم قال للاول الذي شق
بطني زنه بعشرة من أمته فوزنوني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنوني بهم فرجحتهم ثم قال
زنه بألف من أمته فوزنوني بهم فرجحتهم فقال دعوه فلو وزنته بامته كلهم لرجحهم ثم ضموني الى
صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت به
عينك قال فبينا نحن كذلك اذ أنا بالحي قد جاؤا بحذافيرهم واذا ظئري أمام الحي تهتف بأعلى صوتها
وهي تقول يا ضعيفاه قال فانكبوا علي يعني الرهط وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا حبذا أنت من
ضعيف ثم قالت ظئري يا وحيداه فانكبوا علي فضموني الى صدورهم وقبلوا ما بين عيني وقالوا حبذا
أنت من وحيد وما أنت بوحيد ان الله معك ثم قالت ظئري يا يتيماه استضعفت من بين أصحابك
فقتلت لضعفك فانكبوا علي وضموني الى صدورهم وقبلوا ما بين عيني وقالوا حبذا أنت من يتيم ما
أكرمك على الله لو تعلم ما يراد بك من الخير قال فوصلوا بي الى شفير الوادي فلما بصرت بي ظئري قالت
يا بني الا أراك حيا بعد فجاءت حتى انكبت علي وضمتني الى صدرها فوالذي نفسي بيده اني لفي
حجرها وقد ضمتني اليها وان يدي في يد بعضهم فجعلت التفت اليهم وظننت ان القوم يبصرونهم
يقول بعض القوم ان هذا الغلام أصابه لمم أو طائف من الجن انطلقوا به الى كاهننا حتى ينظر اليه
ويداويه فقلت ما هذا ليس بي شئ مما يذكر ان ارادتي سليمة وفؤادي صحيح ليس في قلبة فقال أبي
من الرضاع الا ترون كلامه صحيحا اني لارجو أن لا يكون بابني بأس فاتفقوا على ان يذهبوا بي الى
الكاهن فذهبوا بي اليه فلما قصوا عليه قصتي قال اسكتوا حتى اسمع من الغلام فانه أعلم بأمره
منكم فقصصت عليه أمري من أوله الى آخره فلما سمع قولي وثب الي وضمني الى صدره ثم نادى
بأعلى صوته يا للعرب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزى لئن تركتموه فادرك ليبدلن
دينكم وليخالفن أمركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله قط فانتزعتني ظئري منه وقالت لانت أجن
واعته من ابني هذا فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتليه ثم ردوني الى أهلي فأصبحت مفزعا مما
فعل بي وأثر الشق ما بين صدري الى عانتي كأنه الشراك فذلك حقيقة قولي وبدو شأني يا أخا بني
عامر فقال العامري أشهد بالله الذي لا اله الا هو ان أمرك حق فأنبئني بأشياء أسألك عنها قال سل
قال أخبرني ما يزيد في العلم قال التعلم قال فما يدل على العلم قال النبي صلى الله عليه وسلم السؤال قال

فاخبرني

طيور الهند بين تلك الجبال
والمياه وبين مدينة كنباية
وبين البحر الذي يأخذ منه
هذا الخليج يومان وأقل من
ذلك فيجزر الماء عن هذا
الخليج حتى يبدو الرمل
الذي ينصب عنه الماء وقعر
الخليج قد صار كالصحراء وقد
أقبل المد من نهاية الجزر
كالخيل في الحلبة فربما
أحس الكلاب بذلك
فاقبل يحضر ما استطاع
خوفا من الماء فيطلب البر
الذي لا يصل اليه الماء
فيلحقه الماء بسرعته فيغرقه
وكذلك المد يرد بين البصرة
والاهواز في الموضع
المعروف بالباسيان وبلاد
الهند ويسمع هنالك أزيب
له ضجيج ودوي وغليان
عظيم يفزع منه أصحاب
السفن وهذا الموضع يعرفه
من يسلك هنالك الى بلاد
مورق من أرض فارس
والله أعلم

(ذكر بحر الروم ووصف
ما قيل في طوله وابتدائه
وانتهائه)

أما بحر الروم وطرسوس
وأدرنة والمصيصة وانطاكية
واللاذقية وطرابلس
وصيداء وصور وغير ذلك
من ساحل الشام ومصر
والاسكندرية وساحل
المغرب فذكر جماعة من

فأخبرني ماذا يزيد في الشيء قال التمادي قال أخبرني هل ينفع البر مع الفجور قال نعم التوبة تغسل الحوبة والحسنات يذهبن السيئات واذا ذكر العبد الله عند الرخاء أعانه عند البلاء فقال العامري فكيف ذلك قال ذلك بان الله عز وجل يقول وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا أجمع له خوفين ان خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع عبادي في حظيرة القدس فيدوم له أمنه ولا أمحقه فيمن أمحق وان هو أمنني في الدنيا اخافني يوم أجمع فيه عبادي لميقات يوم معلوم فيدوم له خوفه قال يا ابن عبد المطلب أخبرني الى ما تدعو قال أدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تخلع الانداد وتكفر باللات والعزى وتقر بما جاء من عند الله من كتاب ورسول وتصلي الصلوات الخمس بحقائقهن وتصوم شهرا من السنة وتؤدي زكاة مالك يطهرك الله تعالى بها ويطيب لك مالك وتحج البيت اذا وجدت اليه سبيلا وتغتسل من الجنابة وتؤمن بالموت والبعث بعد الموت وبالجنة والنار قال يا ابن عبد المطلب فاذا فعلت ذلك فما لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى فقال هل مع هذا من الدنيا شيء فانه يعجبني الوطأة من العيش قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم النصر والتمكين في البلاد فاجاب وأناب قال ابن اسحق هلك عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة حامل به قال هشام بن محمد توفي عبد الله أبو رسول الله بعدما أتى على رسول الله ثمانية وعشرون يوما وقال الواقدي أثبت عندنا ان عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام في عير لقريش ونزل بالمدينة وهو مريض فأقام حتى توفي ودفن بدار النابغة الصغرى قال ابن اسحق وتوفيت أمه آمنة وله ست سنين بالابواء بين مكة والمدينة كانت قدمت به المدينة على أخواله من بني النجار تزيره اياهم فماتت وهي راجعة وقيل انها أتت المدينة تزور قبر زوجها عبد الله ومعها رسول الله وأم أيمن حاضنة رسول الله فلما عادت ماتت بالابواء وقيل ان عبد المطلب زار أخواله من بني النجار وحمل معه آمنة ورسول الله فلما رجع توفيت بمكة ودفنت في شعب ابي ذر والاول أصح ولما سارت قريش الى أحد هموا باستخراجها من قبرها فقال بعضهم ان النساء عورة وربما أصاب محمد من نسائكم فكفهم الله بهذا القول اكراما لام النبي صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وتوفي عبد المطلب ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثمان سنين وقيل ابن عشر سنين ولما مات عبد المطلب صار رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجر عمه أبي طالب بوصية من عبد المطلب اليه بذلك لما كان يرى من بره به وشفقته وحنوه عليه فيصبح ولد أبي طالب غمصا رمصا ويصبح رسول الله صقيلا دهينا

(ذكر قتل تميم بالمشقر)

قال هشام أرسل وهرز باموال وطرف من اليمن الى كسرى فلما كانت ببلاد تميم صعصعة بن ناجية دعا المجاشعي جد الفرزدق الشاعر بني تميم الى الوثوب عليها فابوا فقال كأني ببني بكر بن وائل وقد انتهبوها فاستعانوا بها على حربكم فلما سمعوا ذلك وثبوا عليها وأخذوها وأخذ رجل من بني سليط يقال له النطف خرجا فيه جوهر فكان يقال أصاب كنز النطف فصار مثلا وصار أصحاب العير الى هوذة بن علي الحنفي باليمامة فكساهم وحملهم وسار معهم حتى دخل على كسرى فاعجب به كسرى ودعا بعقد من درفعقد على رأسه فمن ثم سمي هوذة ذا التاج وساله كسرى عن تميم هل من قومه أو بينه وبينهم سلم فقال لا بيننا الا الموت قال قد أدركت ثأرك وأراد ارسال الجنود الى تميم فقيل له ان ماءهم قليل وبلادهم بلاد سوء وأشير عليه ان يرسل الى عامله بالبحرين وهو ازاذ

أصحاب الزيجات في كتبهم منهم محمد بن جابر النساني وغيره ان طوله خمسة آلاف ميل وعرضه مختلف فمنه ثمانمائة ميل ومنه سبعمائة ميل ومنه ستمائة ميل وأقل من ذلك على حسب مضايقة البر للبحر والبحر للبر ومبدأ هذا البحر من خليج يخرج جاريا من بحر اقيانوس وأضيق موضع من هذا الخليج بين ساحل طنجة من بلاد المغرب وبين ساحل الاندلس وهذا الموضع المعروف بنيطاء وعرضه فيما بين الساحلين نحو من عشرة أميال وهذا الموضع هو المعبر لمن أراد العبور من الغرب الى الاندلس ومن الاندلس الى الغرب وعلى الحد بين البحرين أعني بحر الروم وبحر أقيانوس المنارة النحاس والحجارة التي بناها هرقل الجبار على أعلاها الكتابة والتماثيل مشيرة بايديها ان لا طريق ورائي لجميع الداخلين الى ذلك البحر بحر الروم اذ كان بحرا لا تجري فيه جارية ولا عمارة فيه ولا حيوان ناطق يسكنه ولا يحاط بمقداره ولا تدرى غايته ولا يعلم منتهاه وهو بحر الظلمات والاخضر المحيط وقد ذهب قوم ان هذا البحر أصل ماء البحار وله أخبار عجيبة قد أتينا

فيروز بن جشيش الذي سمته العرب المكعبر وانما سمي بذلك لانه كان يقطع الايدي والارجل فامره بقتل بني تميم ففعل و وجه اليه رسولا ودعا هوذة وجدد له كرامة وصلة وأمره بالمسير مع رسوله فاقبلا الى المكعبر أيام اللقاط وكانت تميم تصير الى هجر للميرة واللقاط فامر المكعبر مناديا ينادي ليحضر من كان ههنا من بني تميم فان الملك قد أمر لهم بميرة وطعام فحضروا ودخلوا المشقر وهو حصن فلما دخلوا قتل المكعبر رجالهم واستبقى غلمانهم وقتل يومئذ قعنب الرياحي وكان فارس يربوع وحمل الغلمان في السفن وعبر بهم الى فارس قال هبيرة بن حدير العدوي رجع الينا بعدما فتحت اصطخر عدة منهم وشد رجل من بني تميم يقال له عبيد بن وهب على سلسلة الباب فقطعها وخرج واستوهب هوذة من المكعبر مائة أسير منهم فاطلقهم (حدير بضم الحاء المهملة وفتح الدال)

(ذكر ملك ابنه هرمز بن أنوشروان)

وكانت أمه ابنة خاقان الاكبر لما ملك كسرى أنوشروان كان ملكه ثمانية وأربعين سنة فملك بعده هرمز وكان هرمز بن كسرى أديبا ذا نية في الاحسان الى الضعفاء والحمل على الاشراف فعادوه وابغضوه وكان في نفسه مثل ذلك وكان عادلا بلغ من عدله أنه ركب ذات يوم الى ساباط المدائن فاجتاز بكروم فاطلع أسوار من أساورته في كرم وأخذ منه عناقيد حصرم فلزمه حافظ الكروم وصرخ فبلغ من خوف الاسوار من عقوبة كسرى هرمز أن دفع الى حافظ الكرم منطقة محلاة بذهب عوضا من الحصرم وتركه وقيل كان مظفرا منصورا لايمد يده الى شئ الا ناله وكان داهيا رديء النية قد نزع الى أخواله الترك وانه قتل من العلماء وأهل البيوتات والشرف ثلاثة عشر ألف رجل وستمائة رجل ولم يكن له رأي الا في تألف السفلة وحبس كثيرا من العظماء وأسقطهم وحط مراتبهم وحرم الجنود ففسد عليه كثير ممن كان حوله وخرج عليه شابه ملك الترك في ثلثمائة ألف مقاتل في سنة ست عشرة من ملكه فوصل هراة وباذغيس وأرسل الى هرمز والفرس يامرهم باصلاح الطرق ليجوز الى بلاد الروم ووصل ملك الروم في ثمانين ألفا الى الضواحي قاصدا له ووصل ملك الخزر الى الباب والابواب في جمع عظيم فان جمعا من العرب شنوا الغارة على السواد فارسل هرمز بهرام خشنش ويعرف بجوبين في اثني عشر ألفا من المقاتلة اختارهم من عسكره فسار مجدا واقع شابه ملك الترك فقتله برمية رماها واستباح عسكره ثم وافاها برموده بن شابه فهزمه أيضا وحصره في بعض الحصون حتى استسلم فارسله الى هرمز أسيرا وغنم ما في الحصن فكان عظيما ثم خاف بهرام ومن معه هرمز فخلعوه وساروا نحو المدائن وأظهروا ان ابنه ابرويز اصلح للملك منه وساعدهم على ذلك بعض من كان بحضرة هرمز وكان غرض بهرام ان يستوحش هرمز من ابنه ابرويز ويستوحش ابنه منه فيختلفا فان ظفر ابرويز بابيه كان أمره على بهرام سهلا وان ظفر أبوه نجا بهرام والكلمة مختلفة فينال من هرمز غرضه وكان يحدث نفسه بالاستقلال بالملك فلما علم ابرويز ذلك خاف أباه فهرب الى أذربيجان فاجتمع عليه عدة من المرازبة والاصبهبذين ووثب العظماء بالمدائن وفيهم بندويه وبسطام خالا ابرويز فخلعوا هرمز وسملوا عينيه وتركوه تحرجا من قتله وبلغ ابرويز الخبر فاقبل من أذربيجان الى دار الملك وكان مملكة هرمز احدى عشرة سنة وتسعة أشهر وقيل اثنتي عشرة سنة ولم يسمل من ملوك الفرس غيره لا قبله ولا بعده * ومن محاسن السير ما حكي عنه أنه لما فرغ من بناء داره التي تشرف على دجلة مقابل المدائن عمل وليمة عظيمة وأحضر الناس من الاطراف

فاكلوا

على ذكرها في كتابنا أخبار الزمان في أخبار من غرر وخاطر بنفسه في ركوبه ومن نجا منهم ومن تلف وما شاهدوا منه وما رأوا وبين هذه المنارة المنصوبة وبين موضع الاجتماع مسافة في طول مصب هذا الخليج وجريانه وذلك انما يجري في بحر الروم والشام ومصر وهو متصل بمدينة نحو من خمسمائة ميل تسمى بالرومية درس وعلى هذا الخليج من جانب المغرب قرية يقال لها سبتة وهي وطنجة من ساحل واحد ويقابل سبتة هذه من ناحية الاندلس الجبل المعروف بجبل طارق مولى موسى بن نصير ويعبر الناس من سبتة الى ساحل الاندلس من غدوة الى الظهر وفي هذا الخليج موج عظيم والماء من هنالك يخرج من بحر أقيانوس ويصب الى البحر الرومي وفي هذا الخليج مواضع تعلو أمواجها ويعلو الماء من غير ريح وهذا الخليج تسميه أهل المغرب وأهل الاندلس الزقاق اذ كان على هيئة ذلك وفي بحر الروم جزائر كثيرة منها جزيرة قبرس بين ساحل الشام والروم وجزيرة رودس في مقابلة الاسكندرية وجزيرة أقريطش وجزيرة صقلية

فأكلوا ثم قال لهم هل رأيتم فى هذه الدار عيبا فكلهم قال لا عيب فيها فقام رجل وقال فيها ثلاثة عيوب فاحشة أحدها ان الناس يجعلون دورهم فى الدنيا وأنت جعلت الدنيا فى دارك فقد أفرطت فى توسيع صحونها وبيوتها فتتمكن الشمس فى الصيف والسموم فيؤذى ذلك أهلها ويكثر فيها فى الشتاء البرد والثانى ان الملوك يتوصلون فى البناء على الانهار لتزول همومهم وأفكارهم بالنظر الى المياه ويترطب الهواء وتضىء أبصارهم وأنت قد تركت دجلة وبنيتها فى القفر والثالث أنك جعلت حجرة النساء مما يلى الشمال من مساكن الرجال وهو أدوم هبوبا فلا يزال الهواء يجىء بأصوات النساء وريح طيبهن وهذا ما تمنعه الغيرة والحمية فقال هرمز اما سعة الصحون والمجالس فخير المساكن ما سافر فيه البصر وشدة الحر والبرد يدفعان بالخيش والملابس والنيران وأما مجاورة الماء فكنت عند أبى وهو يشرف على دجلة فغرقت سفينة تحته فاستغاث من بها اليه وأبى يتأسف عليهم ويصيح بالسفن التى تحت داره ليلحقوهم فالى أن يلحقوهم غرق جميعهم فجعلت فى نفسى أنى لا أجاور سلطانا هو أقوى منى واما عمل حجرة النساء فى جهة الشمال فقصدنا به ان الشمال أرق هواء وأقل وخامة والنساء يلازمن البيوت فعمل لذلك وأما الغيرة فان الرجال لا يخلون بالنساء وكل من يدخل هذه الدار انما هو مملوك وعبد لقيم وأما أنت فما أخرج هذا منك الا بغض لى فاخبرنى عن سببه فقال الرجل لى قرية مملك كنت أنفق حاصلها على عيالى فغلبنى المرزبان فأخذها منى فقصدتك أتظلم منذ سنتين فلم أصل اليك فقصدت وزيرك وتظلمت اليه فلم ينصفنى وأنا أؤدى خراج القرية حتى لا يزول اسمى عنها وهذا غاية الظلم ان يكون غيرى يأخذ دخلها وأنا أؤدى خراجها فسأل هرمز وزيره فصدقه وقال خفت أعلمك فيؤذينى المرزبان فأمر هرمز أن يؤخذ من المرزبان ضعف ما أخذ وان يستخدمه صاحب القرية فى أى شغل شاء سنتين وعزل وزيره وقال فى نفسه اذا كان الوزير يراقب الظالم فالحرى ان غيره يراقبه فأمر باتخاذ صندوق وكان يقفله ويختمه بخاتم ويترك على باب داره وفيه خرق يلقى فيه رقاع المتظلمين وكان يفتحه كل أسبوع ويكشف المظالم فافكر وقال أريد أعرف ظلم الرعية ساعة فساعة فاتخذ سلسلة طرفها فى مجلسه فى السقف والطرف الآخر خارج الدار فى روزنة وفيها جرس وكان المتظلم يحرك السلسلة فيتحرك الجرس فيحضره ويكشف ظلامته

﴿ذكر مملكة كسرى ابرويز بن هرمز﴾

وكان من أشد ملوكهم بطشا وأنفذهم رأيا وبلغ من البأس والنجدة وجمع الاموال ومساعدة الاقدار ما لم يبلغه ملك قبله ولذلك لقب ابرويز ومعناه المظفر وكان فى حياة أبيه قد سعى به بهرام جوبين الى أبيه أنه يريد الملك لنفسه فلما علم ذلك سار الى أذربيجان سرا وقيل غير ذلك وقد تقدم فلما وصلها بايعه من كان بها من العظماء واجتمع من بالمدائن على خلع أبيه فلما سمع ابرويز بادر الوصول الى المدائن قبل بهرام جوبين فدخلها قبله ولبس التاج وجلس على السرير ثم دخل الى أبيه وكان قد سمل فاعلمه انه برىء مما فعل به وانما كان هربه للخوف منه فصدقه وسأله ان يرسل اليه كل يوم من يؤنسه وان ينتقم ممن خلعه وسمل عينيه فاعتذر بقرب بهرام منه فى العساكر وانه لا يقدر على ان ينتقم ممن فعل به ذلك الا بعد الظفر ببهرام وسار بهرام الى النهروان وسار ابرويز اليه فالتقيا هنالك ورأى ابرويز من أصحابه فتورا فى القتال فانهزم ودخل على أبيه وعرفه الحال فاستشاره فاشار عليه بقصد موريق ملك الروم وجهز ثانيا وسار فى عدة يسيرة فيهم خالاه بندويه وبسطام وكردى أخو بهرام فلما خرجوا من المدائن خاف من معه أن بهرام يرد هرمز الى الملك

وسنذكر صقلية بعد هذا الموضع عند ذكرنا الجبل البركان الذى تظهر منه النار فيها أجسام وجثث عظام وقد ذكر يعقوب بن اسحق الكندى وتلميذه أحمد بن الطيب السرخسى فى طول هذا البحر وعرضه غير ما ذكرنا وسنذكر بعد هذا الموضع فيما يرد من هذا الكتاب هذه البحار على نظم من التأليف وترتيب من التصنيف ان شاء الله تعالى

﴿ذكر بحر نيطش وبحر مانطش وخليج القسطنطينية﴾

فاما بحر نيطش فانه يمد من بلاد ملتزقة الى القسطنطينية بطول النهر العظيم المعروف بطناس وقد قدمنا ذكره ومبدأ هذا النهر من الشمال وعليه كثير من ولد يافث وخروجه من بحيرة عظيمة فى الشمال من أعين وجبال ويكون مقدار جريانه على وجه الارض نحو ثلثمائة فرسخ عمائر متصلة لولد يافث ويسير بحر مانطش فيما زعم قوم من اهل العناية بهذا الشأن حتى يصب فى بحر نيطش وهذا البحر عظيم فيه أنواع من الاحجار والحشائش والعقاقير قد ذكره جماعة ممن تقدم من الفلاسفة ومن الناسخين

و يرسل الى ملك الروم فى ردهم فيردهم اليه فاستاذنوا ابرويز فى قتل أبيه هرمز فلم يحوجوا ابا
فانصرف بندويه و بسطام و بعض من معهم الى هرمز فقتلوه خنقا ثم رجعوا الى ابرويز وساروا
مجدين الى ان جاوزوا الفرات ودخلوا ديرا يستريحون فيه فلما دخلوا غشيتهم خيل بهرام جوبين
ومقدمها رجل اسمه بهرام بن سياوش فقال بندويه لابرويز احتل لنفسك قال ما عندى حيلة قال
بندويه أنا أبذل نفسى دونك وطلب منه بزته فلبسها وخرج ابرويز ومن معه من الدير وتواروا
بالجبل و وافى بهرام الدير فرأى بندويه فوق الدير عليه بزة ابرويز فاعتقده هو وسأله ان ينظره
الى غد ليصير اليه سلما ففعل ثم ظهر من الغد على حيلته فحمله الى بهرام جوبين فحبسه ودخل
بهرام جوبين دار الملك وقعد على السرير ولبس التاج فانصرفت الوجوه عنه لكن الناس أطاعوه
خوفا و واطأ بهرام بن سياوش بندويه على الفتك ببهرام جوبين فعلم بهرام جوبين بذلك فقتل
بهرام وأفلت بندويه فلحق باذربيجان وسار ابرويز الى انطاكية وأرسل أصحابه الى الملك فوعده
النصرة وتزوج ابرويز بابنة الملك موريق واسمها مريم وجهز معه العساكر الكثيرة فبلغت
عدتهم سبعين ألفا فيهم رجل يعد بألف مقاتل فرتبهم ابرويز وسار بهم الى اذربيجان فوافاه
بندويه وغيره من المقدمين والاساورة فى أربعين ألف فارس من أصبهان وفارس وخراسان
وسار الى المدائن وخرج بهرام جوبين نحوه فجرى بينهما حرب شديدة فقتل فيها الفارس الرومى
الذى يعد بألف فارس ثم انهزم بهرام جوبين وسار الى الترك وسار ابرويز من المعركة ودخل المدائن
وفرق الاموال فى الروم فبلغت جملتها عشرين ألف ألف فاعادهم الى بلادهم وأقام بهرام جوبين
عند الترك مكرما فارسل ابرويز الى زوجة الملك وأجزل لها الهدية من الجواهر وغيرها وطلب منها
قتل بهرام فوضعت عليه من قتله فاشتد قتله على ملك الترك ثم علم ان زوجته قتلته فطلقها ثم ان
ابرويز قتل بندويه وأراد قتل بسطام فهرب منه الى طبرستان لحصانتها فوضع ابرويز عليه فقتله
وأما الروم فانهم خلعوا ملكهم موريق بعد أربع عشرة سنة من ملك ابرويز وقتلوه وملكوا عليهم
بطريقا اسمه فوقاس فأباد ذرية موريق سوى ابن له هرب الى كسرى ابرويز فارسل معه
العساكر وتوجه وملكه على الروم وجعل على عساكره ثلاثة نفر من قواده وأساورته أما أحدهم
فكان يقال له بوران وجهه فى جيش منها الى الشام فدخلها حتى انتهى الى البيت المقدس فاخذ
خشبة الصليب التى تزعم النصارى ان المسيح عليه السلام صلب عليها فارسلها الى كسرى
ابرويز وأما القائد الثانى فكان يقال له شاهين فسيره فى جيش آخر الى مصر فافتتحها وأرسل
مفاتيح الاسكندرية الى ابرويز واما القائد الثالث وهو أعظمهم فكان يقال له فرخان وتدعى
مرتبته شهربراز وجعل مرجع القائدين الاولين اليه وكانت والدته منجبة لا تلد الا نجيبا
فاحضرها ابرويز وقال لها انى أريد ان أوجه جيشا الى الروم أستعمل عليه بعض بنيك فاشيرى
على أيهم أستعمل فقالت اما فلان فاروغ من ثعلب وأحذر من صقر وأما فرخان فهو أنفذ من
سنان واما شهربراز فهو أحلم من كذى فقال قد استعملت الحليم فولاه أمر الجيش فسار الى الروم
فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع أشجارهم وسار فى بلادهم الى القسطنطينية حتى نزل على خليجها
القريب منها ينهب و يغير و يخرب فلم يخضع لابن موريق أحد ولا أطاعه غير ان الروم قتلوا
فوقاس لفساده وملكوا عليهم بعده هرقل وهو الذى أخذ المسلمون الشام منه فلما رأى هرقل
ما أهم الروم من النهب والقتل والبلاء تضرع الى الله تعالى ودعاه فرأى فى منامه رجلا كث
اللحية رفيع المجلس عليه بزة حسنة فدخل عليهما داخل فالقى ذلك الرجل من مجلسه وقال لهرقل

يسمى بحر مانطش بحيرة
ويجعل طوله ثلثمائة ميل
وعرضه مائة ميل ومنه
ينفجر خليج القسطنطينية
الذى يصب الى بحر الروم
وطوله ثلثمائة ميل وعرضه
نحو من خمسين ميلا وعليه
القسطنطينية والعمائر
من أوله الى آخره
والقسطنطينية فى الجانب
الغربى من هذا الخليج وهو
متصل برومية والاندلس
وغيرهما فيصب والله أعلم
على قول المنجمين من أصحاب
الزيجات وغيرهم ممن
تقدم فى بحر البلغر والروس
وهو بحر نيطش وسيأتى
ذكر هؤلاء الامم فيما يرد من
هذا الكتاب ان شاء الله
تعالى على حسب استحقاقهم
فى ذكرهم واتصال عمائرهم
ومن يركب هذا البحر ومن
لا يركبه والله أعلم

(ذكر بحر الباب والابواب والخزر وجرجان وجمل من الاخبار على ترتيب البحار)

وأما بحر الاعاجم الذى
عليه دورها ومساكنها
فهو معمور بالناس من
جميع جهاته وهو المعروف
ببحر الباب والابواب والخزر
والجبل وجرجان وطبرستان
وعليه أنواع من الترك
وينتهى فى احدى جهاته
نحو بلاد خوارزم وطوله

انى قد أسلمته فى يدك فاستيقظ فلم يقص رؤياه فرأى فى الليلة الثانية ذلك الرجل جالسا فى مجلسه وقد دخل الرجل الثالث وبيده سلسلة فالقاها فى عنق ذلك الرجل وسلمه الى هرقل وقال قد دفعت اليك كسرى برمته فاغزه فانك مدال عليه وبالغ أمنيتك فى أعدائك فقص حينئذ هذه الرؤيا على عظماء الروم فاشاروا عليه ان يغزوه فاستعد هرقل واستخلف ابناله على القسطنطينية وسلك غير الطريق الذى عليه شهربراز وسار حتى أوغل فى بلاد ارمينية وقصد الجزيرة فنزل نصيبين فارسل اليه كسرى جندا وأمرهم بالمقام بالموصل وأرسل الى شهربراز يستحثه على القدوم عليه ليتظافرا على قتال هرقل وقيل فى مسيره غير هذا وهو ان شهربراز سار الى بلاد الروم فوطئ الشام حتى وصل الى اذرعات ولقى جيوش الروم بها فهزمها وظفر بها وسبى وغنم وعظم شأنه ثم ان فرخان أخا شهربراز شرب الخمر يوما وقال لقد رأيت فى المنام كانى جالس على سرير كسرى فبلغ الخبر كسرى فكتب الى أخيه شهربراز يأمره بقتله فعاوده وأعلمه شجاعته ونكايته فى العدو فعاد كسرى وكتب اليه بقتله فراجعه فكتب اليه الثالثة فلم يفعل فكتب كسرى بعزل شهربراز وولاية فرخان العسكر فاطاع شهربراز فلما جلس على سرير الامارة ألقى اليه القاصد بولايته كتابا صغيرا من كسرى يأمر بقتل شهربراز فعزم على قتله فقال له شهربراز امهلنى حتى أكتب وصيتى فامهله فاحضر درجا وأخرج منه كتب كسرى الثلاثة واطلعه عليها وقال أنا راجعت فيك ثلاث مرات ولم أقتلك وأنت تقتلنى فى مرة واحدة فاعتذر أخوه اليه وأعاده الى الامارة واتفقا على موافقة ملك الروم على كسرى فارسل شهربراز الى هرقل ان لى اليك حاجة لا يبلغها البريد ولا تسعها الصحف فالقنى فى خمسين روميا فانى ألقاك فى خمسين فارسيا فاقبل قيصر فى جيوشه جميعها ووضع عيونه تأتيه بخبر شهربراز وخاف ان يكون مكيدة فاتته عيونه فاخبروه انه فى خمسين فارسيا فحضر عنده فى مثلها واجتمعا وبينهما ترجمان فقال له أنا وأخى خربنا بلادك وفعلنا ما علمت وقد حسدنا كسرى وأراد قتلنا وقد خلعناه ونحن نقاتل معك ففرح هرقل بذلك واتفقا عليه وقتلا الترجمان لئلا يفشى سرهما وسار هرقل فى جيشه الى نصيبين وبلغ كسرى ابرويز الخبر فارسل لمحاربة هرقل قائدا من قواده اسمه راهزار فى اثنى عشر ألفا وأمره ان يقيم بنينوى من أرض الموصل على دجلة يمنع هرقل من ان يجوزها وأقام هو بدسكرة الملك فارسل راهزار العيون فاخبروه ان هرقل فى سبعين ألف مقاتل فارسل الى كسرى يعرفه ذلك وانه يعجز عن قتال هذا الجمع الكثير فلم يعذره وأمره بقتاله فاطاع وعبى جنده وسار هرقل نحو جنود كسرى وقطع دجلة من غير الموضع الذى فيه راهزار فقصده راهزار ولقيه فاقتتلوا فقتل راهزار وستة آلاف من أصحابه وانهزم الباقون وبلغ الخبر ابرويز وهو بدسكرة الملك فهاله ذلك وعاد الى المدائن وتحصن بها لعجزه عن محاربة هرقل وكتب الى قواد الجند الذين انهزموا يتهددهم بالعقوبة فاحوجهم الى الخلاف عليه على ما نذكره ان شاء الله وسار هرقل حتى قارب المدائن ثم عاد الى بلاده وكان سبب عوده ان كسرى لما عجز عن هرقل أعمل الحيلة فكتب كتابا الى شهربراز يشكره ويثنى عليه ويقول له أحسنت فى فعل ما أمرتك به من مواصلة ملك الروم وتمكينه من البلاد والآن فقد أوغل وأمكن من نفسه فتجىء أنت من خلفه وأنا من بين يديه ويكون اجتماعنا عليه يوم كذا فلا يفلت منهم أحد ثم جعل الكتاب فى عكاز ابنوس وأحضر راهبا فى دير عند المدائن وقال له لى اليك حاجة فقال الراهب الملك أكبر من ان يكون له الى حاجة ولكنى عبده قال ان الروم قد نزلوا قريبا منا وقد حفظوا الطرق عنا ولى الى أصحابى الذين بالشام حاجة وأنت

ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل وهو مدور الشكل الى الطول وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من ذكر الامم المحيطة بهذه البحار المعمورة وهذا البحر الذى هو بحر الاعاجم كثير التنانين وكذلك بحر الروم فالتنانين فيهما كثيرة وكثيرا ما تكون مما يلى بلاد طرابلس واللاذقية والجبل الاقرع من أعمال انطاكية وتحت هذا الجبل معظم ماء البحر وأكثره ويسمى عجز البحر وغايته الى ساحل انطاكية ورشيد والاسكندرية وحصن المنصب وساحل المصيصة وفيه مصب نهر جيحان وساحل أذنة وفيه مصب سيحان وساحل طرسوس وفيه مصب نهر بردان وهو نهر طرسوس ثم البلد الخالى من العمارات الخراب من الروم والمسلمين مما يلى مدينة مكمنة الى قوريش وقراشيا ثم بلاد سلوقية ونهرها العظيم الذى يصب فى هذا البحر ثم حصون الروم الى خليج القسطنطينية وقد أعرضنا عن ذكر أنهار كثيرة بأرض الروم وما يصب الى هذا البحر كنهر الباردون والعسل وغيرهما من الانهار والعمارة على هذا البحر من المضيق الذى قدمنا ذكره وهو الخليج الذى عليه طنجة

نصراني اذا جزت على الروم لا ينكرونك وقد كتبت كتابا وهو في هذه العكازة فتوصله الى شهر براز وأعطاه مائتي دينار فاخذ الكتاب وفتحه وقرأه ثم أعاده وسار فلما صار بالعسكر ورأى الروم والرهبان والنواقيس رق قلبه وقال انا شر الناس ان أهلكت النصرانية فاقبل الى سرادق الملك وأنهى حاله وأوصل الكتاب اليه فقرأه ثم احضر أصحابه رجلا قد أخذوه من طريق الشام قد واطأه كسرى ومعه كتاب قد افتعله على لسان شهر براز الى كسرى يقول انني مازلت أخادع ملك الروم حتى اطمأن الى وجاز الى البلاد كما أمرتني فيعرفني الملك في أي يوم يكون لقاؤه حتى أهجم أنا عليه من ورائه والملك من بين يديه فلا يسلم هو ولا أصحابه وأمره ان يتعمد طريقا يؤخذ فيها فلما قرأ ملك الروم الكتاب الثاني تحقق الخبر فعاد شبه المنهزم مبادرا الى بلاده ووصل خبر عودة ملك الروم الى شهر براز فاراد ان يستدرك مافرط منه فعارض الروم فقتل منهم قتلا ذريعا وكتب الى كسرى انني عملت الحيلة على الروم حتى صاروا في العراق وأنفذ من رؤسهم شيأ كثيرا وفي هذه الحادثة أنزل الله تعالى الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون يعني بادنى الارض اذرعات وهي أدنى أرض الروم الى العرب وكانت الروم قد هزمت بها في بعض حروبها وكان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد ساءهم ظفر الفرس أولا بالروم لان الروم أهل كتاب وفرح الكفار لان المجوس أميون مثلهم فلما نزلت هذه الآيات راهن أبو بكر الصديق أبي بن خلف على ان الظفر يكون للروم الى تسع سنين والرهن مائة بعير فغلبه أبو بكر ولم يكن الرهن ذلك الوقت حراما فلما ظفرت الروم أتى الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية

﴿ذكر ما رأى كسرى من الآيات بسبب رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

فمن ذلك ان كسرى ابرويز سكر دجلة العوراء وأنفق عليها من الاموال مالا يحصى كثرة وكان طاق مجلسه قد بنى بنيانا لم ير مثله وكان عنده ثلثمائة وستون رجلا من الحزاة من بين كاهن وساحر ومنجم وكان فيهم رجل من العرب اسمه السائب بعث به باذان من اليمن وكان كسرى اذا أحزنه أمر جمعهم فقال انظروا في هذا الامر ماهو فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أصبح كسرى وقد انفصم طاق ملكه من غير ثقل وانخرقت دجلة العوراء فلما رأى ذلك أحزنه وقال انفصم طاق ملكي وانخرقت دجلة العوراء شاه بشكست يقول الملك انكسر ثم دعا كهانه وسحاره ومنجميه وفيهم السائب فقال لهم انظروا في هذا الامر فنظروا في أمره فاخذت عليهم اقطار السماء وأظلمت الارض فلم يمض لهم ما راموه وبات السائب في ليلة ظلماء على ربوة من الارض ينظر فرأى برقا من قبل الحجاز استطار فبلغ المشرق فلما أصبح رأى تحت قدميه روضة خضراء فقال فيما يعتاف ان صدق ما أرى ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ المشرق تخصب عليه الارض كافضل ما أخصبت على ملك فلما خلص الكهان والمنجمون والسحار بعضهم الى بعض ورأوا ما أصابهم ورأى السائب ما رأى قال بعضهم لبعض والله ماحال بينكم وبين علمكم الا أمر جاء من السماء وانه لنبي بعث أو هو مبعوث يسلب هذا الملك ويكسره ولئن نعيتم لكسرى ملكه ليقتلنكم فاتفقوا على ان يكتموه الامر وقالوا له قد نظرنا فوجدنا ان وضع دجلة العوراء وطاق الملك قد وضع على النحوس فلما اختلف الليل والنهار وقعت النحوس مواقعها فزال كل ما وضع عليها وانا نحسب لك حسابا تضع عليه بنيانك فلا يزول فحسبوا وأمروه بالبناء فبنى دجلة العوراء في ثمانية أشهر فانفق عليه أموالا جليلة حتى فرغ فقال لهم أجلس على سورها قالوا نعم فجلس في اساورته فبينما هو هنالك انتسفت دجلة البنيان من تحته فلم يخرج الا بآخر رمق فلما

اخرجوه

متصلة بساحل المغرب وبلاد أفريقية والسوس ورشيد والسويس ودمياط وساحل الشام وساحل الثغور الشامية ثم ساحل الروم مارا متصلا الى بلاد رومية الى ان يتصل بساحل الاندلس الى ان ينتهي الى ساحل الخليج الضيق المقابل لطنجة على ماذكرنا لا تنقطع من هذا البحر كله العمائر التي وصفناها من الاسلام والروم الى الانهار الجارية الى البحر وخليج القسطنطينية وعرضه نحو من ميل وخلجانات أخر داخلة في البر لا منفذ لها جميع ماذكرنا على شاطئ هذا البحر الرومي متصلة الديار غير منفصلين لا يقطعهم أو يمنعهم الا ماذكرنا من الانهار وخليج القسطنطينية ومثال هذا البحر الرومي ومثال ماذكرنا من العمائر عليه الى ان ينتهي الى مدى الخليج الضيق الآخذ من اقيانوس الذي عليه اعلام النحاس ويلي الاعلام طنجة فساحل الاندلس شمال الكرنيب فصيصة الخليج والكرنيب على صفة البحر الا انه ليس بمدور الشكل لما ذكرنا من طوله وليس تعرف المنافذ في البحر الحبشي ولا في شيء من خلجانه من

أخرجوه جمع كهانه وسحاره ومنجميه فقتل منهم قريبا من مائة وقال قربتكم وأجريت عليكم الارزاق ثم أنتم تلعبون بي فقالوا أيها الملك أخطأنا كما أخطأ من قبلنا ثم حسبوا له وبناه وفرغ منه وأمروه بالجلوس عليه فخاف فركب فرسا وسار على البناء فبينما هو يسير انتسفته دجلة فلم يدرك الا آخر رمق فدعاهم وقال لاقتلنكم أجمعين أو لتصدقونني فصدقوه الامر فقال ويحكم هلا بينتم لي فاري فيه رأيي فقالوا امنعنا الخوف فتركهم ولهي عن دجلة حين غلبته وكان ذلك سبب البطائح ولم تكن قبل ذلك وكانت الارض كلها عامرة فلما كانت سنة ست من الهجرة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى فزاد الفرات والدجلة زيادة عظيمة لم ير قبلها ولا بعدها مثلها فانبثقت البثوق وانتسفت ما كان بناه كسرى واجتهدا ان يسكرها فغلبه الماء كما بينا ومال الى موضع البطائح فطما الماء على الزروع وغرق عدة طساسيج ثم دخلت العرب أرض الفرس وشغلتهم عن عملها بالحروب واتسع الخرق فلما كان زمن الحجاج تفجرت بثوق أخر فلم يسدها مضارة للدهاقين لانه اتهمهم بمالأة ابن الاشعث فعظم الخطب فيها وعجز الناس عن عملها فبقيت على ذلك الى الآن وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بعث الله الى كسرى ملكا وهو في بيت ايوانه الذي لا يدخل عليه فيه فلم يرعه الا وهو قائما على رأسه في يده عصا بالهاجرة في ساعته التي يقيل فيها فقال يا كسرى أتسلم أو أكسر هذه العصا فقال بهل بهل وانصرف عنه فدعا بحراسه وحجابه فتغيظ عليهم وقال من ادخل هذا الرجل فقالوا ما دخل علينا أحد ولا رأيناه حتى اذا كان العام المقبل أتاه في تلك الساعة وقال له اتسلم او اكسر العصا فقال بهل بهل وتغيظ على حجابه وحراسه فلما كان العام الثالث أتاه فقال له اتسلم أو اكسر العصا فقال بهل بهل فكسر العصا ثم خرج فلم يكن الا تهور ملكه وانبعاث ابنه والفرس حتى قتلوه وقال الحسن البصري قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله ما حجة الله على كسرى فيك قال بعث اليه ملكا فاخرج يده من جدار بيته تلألأ نورا فلما رآها فزع فقال له لم ترع يا كسرى ان الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا فاتبعه تسلم دنياك وآخرتك قال سأنظر

(ذكر وقعة ذي قار وسببها)

ذكروا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لما بلغه ما كان من ظفر ربيعة بجيش كسرى هذا أول يوم انتصفت العرب من العجم وبي نصروا فحفظ ذلك منه وكان يوم الوقعة قال هشام بن محمد كان عدي بن زيد التميمي وأخوه عمار وهو أبي وعمرو وهو سمي يكونون مع الاكاسرة ولهم اليهم انقطاع وكان المنذر بن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان في حجر عدي بن زيد وكان له غير النعمان احد عشر ولدا وكانوا يسمون الاشاهب لجمالهم فلما مات المنذر بن المنذر وخلع أولاده أراد كسرى بن هرمز ان يملك على العرب من يختاره فاحضر عدي بن زيد وسأله عن اولاد المنذر فقال هم رجال فامره باحضارهم فكتب عدي فاحضرهم وأنزلهم وكان يفضل اخوة النعمان عليه ويريهم انه لا يرجو النعمان ويخلو بواحد واحد ويقول له اذا سألك الملك اتكفونني العرب فقولوا نكفيكهم الا النعمان وقال للنعمان اذا سألك الملك عن اخوتك فقل له اذا عجزت عن اخوتي فانا عن غيرهم أعجز وكان من بني مرينا رجل يقال له عدي ابن أوس بن مرينا وكان داهيا شاعرا وكان يقول للاسود بن المنذر قد عرفت اني أرجوك وعيني اليك واني اريد أن تخالف عدي بن زيد فانه والله لا ينصح لك أبدا فلم يلتفت الى قوله فلما أمر كسرى عدي بن زيد ان يحضرهم احضرهم رجلا رجلا وسألهم كسرى

حيث وصفنا في نهاياته وأكثرها بظهر مما يلي بحر اقيانوس وقد اختلف الناس في التنين فمنهم من رأى انه ريح سوداء تكون في قعر البحر فتظهر الى النسيم وهو الجو فتلحق السحب كالزوبعة فاذا ثارت من الارض واستدارت واثارت معها الغبار ثم استطالت في الهواء ذاهبة الصعداء توهم الناس أنها حيات سود ومنهم من رأى انها دواب تتكون في قعر البحر فتعظم وتؤذي دواب البحر فيبعث الله عليها السحاب والملائكة فيخرجونها من بينها وأنها على صورة الحية السوداء لها بريق وبصيص لا تمر بمدينة الا اتت على ما لا يقدر عليه من بناء عظيم أو شجر أو جبل وربما تنفس فحرق الشجر الكبير فيلقونها في سد يأجوج ومأجوج ويمطر السحاب عليهم فيقتل ذلك التنين فمنه يتغذى يأجوج ومأجوج وهذا القول يعزى الى ابن عباس وقد ذكر قوم في التنين غير ما ذكرنا وكذلك حكى قوم من أهل السير وأصحاب القصص أمورا فيما ذكرنا أعرضنا عن ذكرها منها خبر عمران الذي صعد في النيل فادرك غايته وعبر البحر على ظهر دابة تعلق بشعرها وهي

أتكفوني العرب فقالوا نعم الا النعمان فلما دخل عليه النعمان رأى رجلا دميما أحمر ابرش قصيرا فقال له اتكفيني اخوتك والعرب قال نعم وان عجزت عن اخوتي فانا عن غيرهم أعجز فملكه وكساه وألبسه تاجا قيمته ستون ألف درهم فقال عدي بن مرينا للاسود دونك فقد خالفت الرأي ثم صنع عدي بن زيد طعاما ودعا عدي بن مرينا اليه وقال اني عرفت ان صاحبك الاسود كان أحب اليك ان يلي من صاحبي النعمان فلا تلمني على شئ كنت على مثله واني أحب ان لا تحقد على وان نصيبي من هذا الامر ليس باوفر من نصيبك وحلف لابن مرينا ان لا يهجوه ولا يبغيه غائلة أبدا فقام ابن مرينا وحلف انه لا يزال يهجوه ويبغيه الغوائل وسار النعمان حتى نزل الحيرة وقال ابن مرينا للاسود اذا فاتك الملك فلا تعجز ان تطلب بثارك من عدي فان معدّا لا ينام مكرها وأمرتك بمعصيته فخالفتني وأريد ان لا يأتيك من مالك شئ الا عرضته على ففعل وكان ابن مرينا كثير المال وكان لا يخلي النعمان يوما من هدية وطرفة فصار من أكرم الناس عليه وكان اذا ذكر عدي بن زيد وصفه وقال الا انه فيه مكر وخديعة واستمال أصحاب النعمان فمالوا اليه ووضعهم على ان قالوا للنعمان ان عدي بن زيد يقول انك عامله ولم يزالوا بالنعمان حتى اضغنوه عليه فارسل الى عدي يستزيره فاستأذن عدي كسرى في ذلك فاذن له فلما أتاه لم ينظر اليه حتى حبسه ومنع من الدخول عليه فجعل عدي يقول الشعر وهو في السجن وبلغ النعمان قوله فندم على حبسه اياه وخاف منه اذا أطلقه فكتب عدي الى أخيه أبي ابياتا يعلمه بحاله فلما قرأ أبياته وكتابه كلم كسرى فيه فكتب الى النعمان وأرسل رجلا في اطلاق عدي وتقدم أخو عدي الى الرسول بالدخول الى عدي قبل النعمان ففعل ودخل على عدي وأعلمه انه أرسل لاطلاقه فقال له عدي لا تخرج من عندي وأعطني الكتاب حتى أرسله فانك ان خرجت من عندي قتلني فلم يفعل ودخل أعداء عدي على النعمان فاعلموه الحال وخوفوه من اطلاقه فارسلهم اليه فخنقوه ثم دفنوه وجاء الرسول فدخل على النعمان بالكتاب فقال نعم وكرامة وبعث اليه باربعة آلاف مثقال وجارية وقال اذا أصبحت ادخل اليه فخذه فلما أصبح الرسول غدا الى السجن فلم ير عديا وقال له الحرس انه مات منذ ايام فرجع الى النعمان وأخبره انه رآه بالامس ولم يره اليوم فقال كذبت وزاده رشوة واستوثق منه ان لا يخبر كسرى الا انه مات قبل وصوله الى النعمان قال وندم النعمان على قتله واجترأ أعداء عدي على النعمان وهابهم هيبة شديدة فخرج النعمان في بعض صيده فرأى ابنا لعدي يقال له زيد فكلمه وفرح به فرحا شديدا واعتذر اليه من أمر أبيه وسيره الى كسرى ووصفه له وطلب اليه ان يجعله مكان أبيه ففعل كسرى وكان يلي ما يكتب الى العرب خاصة وسأله كسرى عن النعمان فاحسن الثناء عليه وأقام عند الملك سنوات بمنزلة أبيه وكان يكثر الدخول على كسرى وكان للملوك الاعاجم صفة للنساء مكتوبة عندهم وكانوا يبعثون في طلب من يكون على هذه الصفة من النساء ولا يقصدون العرب فقال له زيد بن عدي اني أعرف عند عبدك النعمان من بناته وبنات عمه أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة قال فتكتب فيهن قال أيها الملك ان شر شئ في العرب وفي النعمان انهم يتكرمون بانفسهم عن العجم فانا أكره ان يعنتهن وان قدمت أنا عليه لم يقدر على ذلك فابعثني وابعث معي رجلا يفقه العربية فبعث معه رجلا جلدا فخرجا حتى بلغا الحيرة ودخلا على النعمان فقال له زيد ان الملك احتاج الى نساء لاهله وولده وأراد كرامتك فبعث اليك قال وما هؤلاء النسوة قال هذه صفتهن قد جئنا بها وكانت الصفة ان المنذر أهدى انوشروان جارية أصابها عند الغارة على الحرث بن أبي شمر الغساني وكتب يصفها أنها

معتدلة

دابة يضرمنها على الارض شبر من قوائها تعادى قرن الشمس من مبدا طلوعها الى حال غروبها فعبر على ما وصفنا من تعلقه بشعرها البحر ودار بدورانها طالبا لعين الشمس حتى صار الى ذلك الجانب فرأى النيل منحدرا من قصور الذهب من الجنة وأعطاه الملك العنقود العنب وأنه أتى الرجل الذي رآه في ذهابه ووصف له كيف يفعل في وصوله الى مبدا النيل فوجده ميتا وخبر ابليس معه والعنقود العنب وغير ذلك من خرافات حشوية عن أصحاب الحديث ومنها ما روى ان قبة من الذهب وأنواع الجوهر في وسط البحر الاخضر على أربعة أركان من الياقوت الاحمر يصدر من كل ركن من هذه الاركان ماء عظيم من رشحه فيقسم الى جهات أربع في ذلك البحر الاخضر غير مخالط له ولا مماس به ثم ينتهي الى جهات من البر من سواحل ذلك البحر أحدها النيل والثاني سيحان والثالث جيحان والرابع الفرات ومنها ان الملك الموكل بالبحار يضع عقبه في أقصى بحر الصين فيفور منه البحر فيكون منه المد ثم يرفع عقبه من البحر فيرجع الماء الى مركزه

معتدلة الخلق نقية اللون والثغر بيضاء وطفاء قرّاء دعجاء حوراء عيناء قنواء شماء زجاء برجاء اسيلة الخد شهية القد جثلة الشعر بعيدة مهوى القرط عيطاء عريضة الصدر كاعب الثدى ضخمة مشاشة المنكب والعضد حسنة المعصم لطيفة الكف سبطة البنان لطيفة طى البطن خميصة الخصر غرثى الوشاح رداح القبل رابية الكفل لفاء الفخذين ريا الروادف ضخمة المأكمتين عظيمة الركبة مفعمة الساق مشبعة الخلخال لطيفة الكعب والقدم قطوف المشى مكسال الضحى بضة المتجرد سموع للسيد ليست بخلساء ولا سفعاء ذليلة الانف عزيزة النفر لم تغذ فى بؤس حنينة رزينة زكية كريمة الخال تقتصر بنسب أبيها دون فصيلتها وبفصيلتها دون جماع قبيلتها قد أحكمتها الامور فى الادب فرأيها رأى أهل الشرف وعملها عمل أهل الحاجة صناع الكفين قطيعة اللسان رهوة الصوت تزين البيت وتشين العدوّ ان أردتها اشتهت وان تركتها انتهت تحملق عيناها وتحمر خداها وتذبذب شفتاها وتبادرك الوثب فقبلها كسرى وأمر باثبات هذه الصفة فبقيت الى أيام كسرى بن هرمز فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان فشق ذلك عليه وقال لزيد والرسول يسمع مافى عين السواد وفارس ماتبلغون حاجتكم فقال الرسول لزيد ما العين قال البقر وأنزلهما يومين وكتب الى كسرى ان الذى طلب الملك ليس عندى وقال لزيد اعذرنى عنده فلما عاد الى كسرى قال لزيد أين ما كنت أخبرتنى قال قد قلت للملك وعرفته بخلهم بنسائهم على غيرهم وان ذلك لشقائهم وسوء اختيارهم وسل هذا الرسول عن الذى قال فانى أكرم الملك عن ذلك فسأل الرسول قال انه قال مافى بقر السواد ما يكفيه حتى يطلب ماعندنا فعرف الغضب فى وجهه ووقع فى قلبه وقال رب عبد قد أراد ماهو أشد من هذا فصار أمره الى التباب وبلغ هذا الكلام النعمان وسكت كسرى على ذلك أشهرا والنعمان يستعد حتى أتاه كتاب كسرى يستدعيه فحين وصل الكتاب أخذ سلاحه وماقوى عليه ثم لحق بجبلى طىء وكان متزوجا اليهم وطلب منهم ان يمنعوه فأبوا عليه خوفا من كسرى فاقبل وليس أحد من العرب يقبله حتى نزل فى ذى قار فى بنى شيبان سرا فلقى هانئ بن مسعود بن عمرو الشيبانى وكان سيدا منيعا والبيت من ربيعة فى آل ذى الجدين لقيس ابن مسعود بن قيس بن خالد بن ذى الجدين وكان كسرى قد أطعمه الابلة فكره النعمان ان يدفع اليه أهله لذلك وعلم ان هانئا يمنعه مما يمنع منه أهله فأودعه أهله وماله وفيه أربعمائة درع وقيل ثمانمائة درع وتوجه النعمان الى كسرى فلقى زيد بن عدى على قنطرة ساباط فقال انج نعيم فقال أنت يازيد فعلت هذا أما والله لئن انفلت لافعلن بك مافعلت بابيك فقال زيد امض نعيم فقد والله وضعت لك أخية لا يقطعها المهر الارن فلما بلغ كسرى انه بالباب بعث اليه فقيده وبعث به الى خانقين حتى وقع الطاعون فمات فيه قال والناس يظنون انه مات بساباط ببيت الاعشى وهو يقول

فذاك وماينجى من الموت ربه * بساباط حتى مات وهو محرزق

وكان موته قبل الاسلام فلما مات استعمل كسرى اياس بن قبيصة الطائى على الحيرة وما كان عليه النعمان وكان كسرى اجتاز به لما سار الى ملك الروم فاهدى له هدية فشكر ذلك وأرسل اليه فبعث كسرى بان يجمع ماخلفه النعمان ويرسله اليه فبعث اياس الى هانئ بن مسعود الشيبانى يأمره بارسال مااستودعه النعمان فأبى هانئ ان يسلم ماعنده فلما أبى هانئ غضب كسرى وعنده النعمان بن زرعة التغلبى وهو يحب هلاك بكر بن وائل فقال لكسرى أمهلهم حتى يقيظوا ويتساقطوا على ذى قار تساقط الفراش فى النار فتأخذهم كيف شئت فصبر كسرى حتى جاؤا نحو ذى قار فارسل اليهم كسرى النعمان بن زرعة يخيرهم واحدة من ثلاث اما ان يعطوا بايديهم واما أن

ويطلب قعره فيكون الجزر ومثلوا ذلك باناء فيه ماء فى مقدار النصف منه فيضع الانسان يده أو رجله فيملأ الماء الاناء فاذا رفعها رجع الماء الى حقه وانتهى الى غايته ومنهم من رأى ان الملك يضع ابهامه من كفه اليمنى فى البحر فيكون منه المد ثم يرفعها فيكون الجزر وماذكرنا فغير ممتنع كونه ولا واجب وهو داخل فى حيز الممكن والجائز لان طريقه فى النقل طريق الافراد والآحاد ولم يرد مورد التواتر والاستفاضة كالاخبار الموجبة للعلم والعلل القاطعة للعذر فى النقل فان قارنها دلائل توجب صحتها وجب التسليم لها والانقياد الى ما أوجب الله عز وجل علينا من اخبار الشريعة والعمل بها لقوله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وان لم يصح ماذكرنا فقد وصفنا آنفا ماقال الناس فى ذلك ليعلم من قرأ هذا الكتاب أنا قد اجتهدنا فيما أوردنا فى هذا الكتاب وغيره من كتبنا ولم يعزب عنا فهم ما قاله الناس فى سائر ماذكرنا وبالله التوفيق فهذه جمل البحار وعند أكثر الناس انها أربعة فى المعمور من الارض ومنهم من يعدها

يتركوا ديارهم واما أن يحاربوا فولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة العجلي فاشار بالحرب فآذنوا الملك بالحرب فارسل كسرى اياس بن قبيصة الطائي أمير الجيش ومعه مرازبة الفرس والهامرز النسوي وغيره من العرب تغلب واياد وقيس بن مسعود بن قيس بن ذي الجدين وكان على طف سفوان فارسل الفيول وكان قد بعث النبي صلى الله عليه وسلم فقسم هاني بن مسعود دروع النعمان وسلاحه فلما دنت الفرس من بني شيبان قال هاني بن مسعود يا معشر بكر لا طاقة لكم في قتال كسرى فاركنوا الى الفلاة فسارع الناس الى ذلك فوثب حنظلة بن ثعلبة العجلي وقال يا هاني أردت نجاءنا فالقيتنا في الهلكة ورد الناس وقطع وضن الهوادج وهي الحزم للرحال فسمي مقطع الوضن وضرب على نفسه قبة وأقسم ان لا يفر حتى تفر القبة فرجع الناس واستقوا ماء لنصف شهر فاتتهم العجم فقاتلهم بالجنود فانهزمت العجم خوفا من العطش الى الجبابات فتبعتهم بكر وعجل وأبلت يومئذ بلاء حسنا اصطفت عليهم جنود العجم فقال الناس هلكت عجل ثم حملت بكر فوجدت عجلا تقاتل وامرأة منهم تقول

ان تظفروا وتحرزوا وافينا الغزل * أيها فداء لكم بني عجل

فقاتلوهم ذلك اليوم ومالت العجم الى بطحاء ذي قار خوفا من العطش فارسلت اياد الى بكر وكانوا مع الفرس وقالوا لهم ان شئتم هربنا الليلة وان شئتم أقمنا ونفر حين تلاقون الناس فقال بل تقيمون وتنهزمون اذا التقينا وقال زيد بن حسان السكوني وكان حليفا لبني شيبان أطيعوني وا كمنوا لهم ففعلوا ثم تقاتلوا وحرض بعضهم بعضا وقالت ابنة القرين الشيبانية

أيها بني شيبان صفا بعد صف * ان تهزموا تضيعوا فينا القلف

فقطع سبعمائة من بني شيبان أيدي أقبيتهم من مناكبهم لتخف أيديهم لضرب السيوف فجالدوهم وبارز الهامرز فبرز اليه برد بن حارثة اليشكري فقتله برد ثم حملت ميسرة بكر وميمنتها وخرج الكمين فشدوا على قلب الجيش وفيهم اياس بن قبيصة الطائي وولت اياد منهزمة كما وعدتهم فانهزمت الفرس واتبعتهم بكر تقتل ولا تلتفت الى سلب وغنيمة وقال الشعراء في وقعة ذي قار فاكثروا

﴿ ذكر ملوك الحيرة بعد عمرو بن هند ﴾

قد ذكرنا من ملك من آل نصر بن ربيعة الى هلاك عمرو بن هند فلما هلك عمرو ملك موضعه أخوه قابوس بن المنذر أربع سنين من ذلك أيام أنوشروان ثمانية أشهر وفي أيام هرمز ثلاث سنين وأربعة أشهر ثم ولي بعد قابوس السهراب ثم ملك بعده المنذر بن النعمان أربع سنين ثم ولي بعده النعمان ابن المنذر أبو قابوس اثنتين وعشرين سنة من ذلك في زمان هرمز سبع سنين وثمانية أشهر وفي زمان ابنه أبرويز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر ثم ولي اياس بن قبيصة الطائي ومعه النخيرخان في زمان كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر من ولاية اياس بعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم ولي أزادبه ابن ماىيان الهمذاني سبع عشرة سنة من ذلك في زمان كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر وفي زمان شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر وفي زمن أردشير بن شيرويه سنة وسبعة أشهر وفي زمن بوران دخت ابنة كسرى شهرا ثم ولي المنذر بن النعمان بن المنذر وهو الذي يسميه العرب المغرور والذي قتل بالبحرين يوم جواثي وكانت ولايته الى ان قدم عليه خالد بن الوليد الحيرة ثمانية أشهر وكان آخر من بقي من آل نصر وانقرض ملكهم مع انقراض ملك فارس فجميع ملوك آل نصر فيما زعم هشام عشرون ملكا ملكوا خمسمائة سنة

واثنتين

خمسة ومنهم من يجعلها ستة ومنهم من يرى أنها سبعة منفصلة غير متصلة وعلى انها ستة فاولها البحر الحبشي ثم الرومي ثم نيطش ثم مانطش ثم الخزري ثم اقيانوس الذي لا يعلم أكثر نهاياته وهو الاخضر المظلم المحيط وبحر نيطش متصل ببحر مانطش ومنه خليج القسطنطينية الذي يصب الى بحر الروم ويتصل به على حسب ما ذكرنا والرومي بدؤه من بحر اقيانوس الاخضر فيجب على هذا القياس ان يكون ما وصفنا بحرا واحدا لاتصال مياهها وليست هذه المياه ولا شئ منها والله أعلم متصلة بشئ من بحر الحبش فبحر نيطش وبحر مانطش يجب أن يكونا أيضا بحرا واحدا وان تضايق البحر في بعض المواضع بينهما أو صار بين الماءين كالخليج وليست تسمية ما اتسع منه وكثر ماؤه بمانطش وما ضاق منه وقل ماؤه بنيطش ينبغي ان تجمعهما في اسم مانطش أو نيطش فاذا اعبرنا بعد هذا الموضع في مبسوط هذا الكتاب فقلنا مانطش أو نيطش فانما نريد به هذا المعنى فيما اتسع من البحر وضاق (قال المسعودي)

واثنتين وعشرين سنة وثمانية أشهر

(ذكر المروزان وولايته اليمن من قبل هرمز)

قال هشام استعمل كسرى هرمز المروزان بعد عزل زرين عن اليمن وأقام باليمن حتى ولد له فبهاثم ان أهل جبل يقال له المصانع منعوه الخراج فقصدهم فرأى جبلهم لا يقدر عليه لحصانته وله طريق واحد يحميه رجل واحد وكان يحاذى ذلك الجبل جبل آخر وقد قارب هذا الجبل فاجرى فرسه فعبر به ذلك المضيق فلما رأته حمير قالوا هذا شيطان وملك حصنهم وأدوا الخراج وأرسل الى كسرى يعلمه فاستدعاه اليه فاستخلف ابنه خرخسره على اليمن وسار اليه فمات فى الطريق وعزل كسرى خرخسره عن اليمن وولى باذان وهو آخر من قدم اليمن من ولاة العجم

(ذكر قتل كسرى ابرويز)

كان كسرى قد طغى لكثرة ماله وما فتحه من بلاد العدو ومساعدة الاقدار وشره على أموال الناس ففسدت قلوبهم وقيل كانت له اثنا عشر ألف امرأة وقيل ثلاثة آلاف امرأة يطؤهن وألوف جوار وكان له خمسون ألف دابة وكان أرغب الناس فى الجوهر والاوانى وغير ذلك وقيل انه أمر ان يحصى ما جبى من خراج بلاده فى سنة ثمانى عشرة من ملكه فكان من الورق مائة ألف ألف مثقال وعشرون ألف ألف مثقال وانه احتقر الناس وأمر رجلا اسمه زاذان بقتل كل مقيد فى سجونه فبلغوا ستة وثلاثين ألفا فلم يقدم زاذان على قتلهم فصاروا أعداءه وكان أمر بقتل المنهزمين من الروم فصاروا أيضا أعداءه واستعمل رجلا على استخلاص بواقى الخراج فعسف الناس فظلمهم ففسدت نياتهم ومضى ناس من العظماء الى بابل فاحضروا ولده شيرويه بن ابرويز فان كسرى كان قد ترك أولاده بها ومنعهم من التصرف وجعل عندهم من يؤدبهم فوصل الى بهرشير فدخلها ليلا فاخرج من كان فى سجونها واجتمع اليه أيضا الذين كان كسرى أمر بقتلهم فنادوا بقباذ شاهنشاه وساروا حين أصبحوا الى رحبة كسرى فهرب حرسه وخرج كسرى الى بستان قريب من قصره هاربا فاخذ أسيرا وملكوا ابنه فارسل الى أبيه يقرعه بما كان منه ثم قتله النرس وساعدهم ابنه وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة ولمضى اثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة قيل وكان لكسرى ابرويز ثمانية عشر ولدا وكان أكبرهم شهريار وكانت شيرين قد تبنته فقال المنجمون لكسرى انه سيولد لبعض ولدك غلام يكون خراب هذا المجلس وذهاب الملك على يديه وعلامته نقص فى بعض بدنه فمنع ولده عن النساء لذلك حتى شكا شهريار الى شيرين الشبق فارسلت اليه جارية كانت تحجمها وكانت تظن انها لا تلد فلما وطئها علقت بيزدجرد فكتمته خمس سنين ثم انها رأت من كسرى رقة للصبيان حين كبر فقالت أيسرك ان ترى لبعض بنيك ولدا قال نعم فاتته بيزدجرد فاحبه وقربه فبيناهو يلعب ذات يوم ذكر ما قيل فأمر به فجرد من ثيابه فرأى النقص فى أحد وركيه فاراد قتله فمنعته شيرين وقالت ان كان الامر فى الملك قد حضر فلا مرد له فامرت به فحمل الى سجستان وقيل بل تركته فى السواد فى قرية يقال لها خمانية ولما قتل كسرى ابرويز بن هرمز ملك ابنه شيرويه

(ذكر ملك كسرى شيرويه بن ابرويز بن هرمز بن انوشروان)

لما ملك شيرويه بن ابرويز وأمه مريم ابنة موريق ملك الروم واسمه قباذ دخل عليه العظماء والاشراف فقالوا لا يستقيم أن يكون لنا ملكان فاما ان تقتل كسرى ونحن عبيدك واما ان نخلعك

وقد غلط قوم زعموا ان البحر الخزرى يتصل ببحر مانطش ولم أر فيمن دخل بلاد الخزر من اتصل اليها ببحر من هذه البحار أو بشئ من مائها أو من خلجانها الا من نهر الخزر وسنذكر ذلك عند ذكرنا الجبل القبخ ومدينة الباب والابواب ومملكة الخزر وكيف دخل الروس فى المراكب الى بحر الخزر وذلك بعد الثلثمائة ورأيت أكثر من تعرض لوصف البحار ممن تقدم وتأخر يذكرون فى كتبهم ان خليج القسطنطينية الآخذ من نيطش يتصل ببحر الخزر ولست أدرى كيف ذلك ومن أين قالوه أمن طريق الحس أم من طريق الاستدلال والقياس وقد ركبت فيه من اسكون وهو ساحل جرجان الى بلاد طبرستان وغيرها ولم أترك من شاهدت فى البحار ممن له أدب وفهم ومن لا فهم عنده من أرباب المراكب الا سألته عن ذلك وكل يخبر أن لا طريق له اليها الا من بحر الخزر حيث دخلت منه مراكب الروس ونفر من أهل اذربيجان والباب والابواب وبردعة والديلم والجبل وجرجان وطبرستان اليها الا انهم لم

ونطيعه فان كسرى شيرويه ونقل أباه من دار الملك الى موضع آخر حبسه فيه ثم جمع العظماء وقال قد رأينا الارسال الى كسرى بما كان من اساءته ونوقفه على أشياء منها فارسل اليه رجلا يقال له اسباذ خشنش كان يلي تدبير المملكة وقال له قل لابينا الملك عن رسالتنا ان سوء أعمالك فعل بك ماترى منها جرأتك على أبيك وسملك عينيه وقتلك اياه ومنها سوء صنيعك الينا معشر أبنائك في منعنا من مجالسة الناس وكل ماللنا فيه دعة ومنها اساءتك الى من خلدت في السجون ومنها اساءتك الى النساء تأخذهن لنفسك وتركك العطف عليهن ومنعهن ممن يعاشرهن ويرزقن منه الولد ومنها ما أتيت الى رعيتك عامة من العنف والغلظة والفظاظة ومنها جمع الاموال في شدة وعنف من أربابها ومنها تجميرك الجنود في ثغور الروم وغيرها وتفريقك بينهم وبين أهليهم ومنها غدرك بموريق ملك الروم مع احسانه اليك وحسن بلائه عندك وتزويجه اياك بابنته ومنعك اياه خشبة الصليب التي لم يكن بك ولا باهل بلادك اليها حاجة فان كان لك حجة تذكرها فافعل وان لم يكن لك حجة فتب الى الله تعالى حتى يأمر فيك بأمره قال فجاء الرسول الى كسرى ابرويز فادى اليه الرسالة فقال ابرويز قل عني لشيرويه القصير العمر لا ينبغي لاحد ان يتوب من أجل الصغير من الذنب الا بعد ان يتيقنه فضلا عن عظيمه ماذكرت وكثرت منا ولو كنا كما تقول لم يكن لك أيها الجاهل ان تنشر عنا مثل هذا العظيم الذي يوجب علينا القتل لما يلزمك في ذلك من العيوب فان قضاة أهل ملتك ينفون ولد المستوجب للقتل من أبيه وينفونه من مضامة الاخيار ومجالستهم فضلا عن أن يملك مع انه قد بلغ منا بحمد الله من اصلاحنا أنفسنا وأبناءنا ورعيتنا ماليس في شئ منه تقصير ونحن نشرح الحال فيما زعمت منا من الذنوب لتزداد علما بجهلك فمن جوابنا ان الاشرار أغروا كسرى هرمز والدنا بنا حتى اتهمنا فرأينا من سوء رأيه فينا مايخوفنا منه فاعتزلنا بابه الى أذربيجان وقد استفاض ذلك فلما انتهك منه ما انتهك تخصصنا الى بابه فهجم المنافق بهرام علينا فأجلانا عن المملكة فسرنا الى الروم وعدنا الى ملكنا واستحكم أمرنا فبدأنا بأخذ الثار ممن قتل أبانا أوشرك في دمه وأما ماذكرت في أبنائنا فانا وكلنا بكم من يكفكم عن الانتشار فيما لا يعنيكم فتتأذى بكم الرعية والبلاد وكنا أقمنا لكم النفقات الواسعة وجميع ماتحتاجون اليه واما أنت خاصة فان المنجمين قضوا في مولدك انك تثرب علينا وان يكون ذلك بسببك وان ملك الهند كتب اليك كتابا وأهدى لك هدية فقرأنا الكتاب فاذا هو يبشرك بالملك بعد ثمان وثلاثين سنة من ملكنا وقد ختمنا على الكتاب وعلى مولدك وهما عند شيرين فان أحببت ان تقرأهما فافعل فلم يمنعنا ذلك عن برك والاحسان اليك فضلا عن قتلك وأما ماذكرت عمن خلدناه في السجون فجوابنا انا لم نحبس الا من وجب عليه القتل أو قطع بعض الاطراف وقد كان الموكلون بهم والوزراء يأمروننا بقتل من وجب قتله قبل أن يحتالوا لانفسهم فكان يحبسنا الاستبقاء وكراهتنا لسفك الدماء نتأنى بهم ونكل أمرهم الى الله تعالى فان أخرجتهم من محبسهم عصيت ربك ولتجدن غب ذلك وأما قولك انا جمعنا الاموال وأنواع الجواهر والامتعة بأعنف جمع وأشد الحاح فاعلم أيها الجاهل انه انما يقيم الملك بعد الله تعالى الاموال والجنود وخاصة ملك فارس الذي قد اكتنفه الاعداء ولا يقدر على كفهم وردعهم عما يريدونه الا بالجنود والاسلحة والعدد ولا سبيل الى ذلك الا بالمال وقد كان أسلافنا جمعوا الاموال والسلاح وغير ذلك فأغار المنافق بهرام ومن معه على ذلك الا اليسير فلما ارتجعنا ملكنا واذعن لنا الرعية بالطاعة أرسلنا الى نواحي بلادنا أصبهبذين وقاهرين وساتين فكفوا الاعداء وأغاروا على بلادهم ووصل الينا غنائم

بلادهم

يتهددوا وأعدوا بطرأعليهم ولا عرف ذلك فيما سلف وماذكرنا فشهور فيما سمعنا من الامصار والامم والبلدان سالك مسالك الاستفاضة فيهم ورأيت في بعض الكتب المضافة للكندي وتلميذه وهو أحمد بن الطيب السرخسي صاحب المعتضد بالله ان في طرف البحيرة من الشمال بحيرة عظيمة بعضها تحت قطر الشمال وان بقربها مدينة ليس بعدها عمارة ويقال لها تولية ولقد رأيت لبني المنجم في بعض رسائلهم ذكر هذه البحيرة وقد ذكر أحمد بن الطيب في رسالته في البحار والمياه والجبال عن الكندي أن بحر الروم طوله ستة آلاف ميل من بلاد صور وطرابلس وانطاكية واللاذقية والمثقب وساحل المصيصة وطرسوس وقلمية الى منار هرقل وان أعرض موضع فيه أربعمائة ميل هذا قول الكندي وابن الطيب وقد أتينا على قول الفريقين جميعا ومابينهما من الخلاف في ذلك من أصحاب الزيجات وما وجدناه في كتبهم وسمعناه من أتباعهم ولم نذكر ماذكروه من البراهين المؤيدة لما وصفوا لاشتراطنا في هذا الكتاب على أنفسنا الاختصار والايجاز وأما

بلادهم من أصناف الاموال والامتعة مالا يعلمه الا الله تعالى وقد بلغنا انك هممت بتفريق هذه الاموال على رأى الاشرار المستوجبين للقتل ونحن نعلمك أن هذه الاموال لم تجتمع الا بعد الكد والتعب والمخاطرة بالنفوس فلا تفعل ذلك فانها كهف ملكك وبلادك وقوة على عدوك فلما انصرف اسباد خشنش الى شيرويه قص عليه جواب أبيه ثم ان عظماء الفرس عادوا الى شيرويه فقالوا امّا ان تأمر بقتل أبيك واما أن نطيعه ونخلعك فامر بقتله على كره منه وانتدب لقتله رجالا ممن وترهم كسرى ابرويز وكان الذى باشر قتله شاب يقال له مهرهرمز بن مردانشاه من ناحية نيمروز فلما قتل شق شيرويه ثيابه وبكى ولطم وجهه وحملت جنازته وتبعها العظماء واشراف الناس فلما دفن أمر شيرويه بقتل مهرهرمز قاتل أبيه وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة ثم ان شيرويه قتل اخوته فهلك منهم سبعة عشرة أخا ذوى شجاعة وأدب بمشورة وزيره فيروز وابتلى شيرويه بالامراض ولم يلتذ بشئ من الدنيا وكان هلاكه بدسكرة الملك وجزع بعد قتل اخوته جزعا شديدا ويقال انه لما كان اليوم الثانى من قتل اخوته دخلت عليه بوران وازرميدخت اختاه فاغلظتاله وقالتا حملك الحرص على الملك الذى لا يتم لك على قتل أبيك واخوتك فلما سمع ذلك بكى بكاء شديدا ورمى التاج عن رأسه ولم يزل مهموما مدنفا ويقال انه أباد من قدر عليه من أهل بيته وفشا الطاعون فى أيامه فهلك من الفرس أكثرهم ثم هلك هو وكان ملكه ثمانية أشهر

(ذكر ملك اردشير)

وكان عمره سبع سنين فلما توفى شيرويه ملك الفرس عليهم ابنه اردشير وحضنه رجل يقال له بهادرجسنس مرتبته رياسة أصحاب المائدة فاحسن سياسة الملك فبلغ من احكامه ذلك مالم يحس معه بحداثة سن اردشير وكان شهربراز بثغر الروم فى جند ضمهم اليه كسرى ابرويز وكان قد صلح له بعده مافعل بالروم مما ذكرناه وكان يبعث له الخلع والهدايا وكان ابرويز وشيرويه يكاتبانه ويستشيرانه فلما لم يشاوره عظماء الفرس فى تمليك اردشير اتخذ ذلك ذريعة الى التعنت وبسط يده فى القتل وجعله سببا للطمع فى الملك احتقارا لاردشير لصغر سنه فاقبل بجنده نحو المدائن فتحوّل اردشير وبهادرجسنس ومن بقى من نسل الملك الى مدينة طيسفون فحاصرهم شهربراز ونصب عليهم المجانيق فلم يظفر بشئ فاتاها من قبل المكيدة فلم يزل يخدع رئيس الحرس واصبهبد نيمروز حتى فتحاله باب المدينة فدخلها وقتل جماعة من الرؤساء وأخذ اموالهم وقتل بعض أصحابه اردشير فى ايوان خسرو شاه قباذ بأمر شهربراز وكان ملكه سنة وستة أشهر

(ذكر ملك شهربراز)

ولم يكن من بيت الملك لما قتل اردشير جلس شهربراز واسمه فرخان على تخت المملكة فحين جلس ضرب عليه بطنه فاشتد ذلك ثم عوفى وتعاهد ثلاثة اخوة من أهل اصطخر على قتله غضبا لقتل اردشير وكانوا فى حرسه وكان الحرس يقفون سماطين اذا ركب الملك عليهم السلاح وبأيديهم السيوف والرماح فاذا حاذى الملك بعضهم وضع جبهته على ترسه فوق الترس كهيئة السجود فركب شهربراز يوما فوقف الاخوة الثلاثة بعضهم قريب من بعض فلما حاذاهم طعنوه فسقط ميتا فشدّوا فى رجله حبلا وجروه وساعدهم بعض العظماء وتساعدوا على قتل جماعة قتلوا اردشير وكان جميع ملكه أربعين يوما

(ذكر ملك بوران ابنة ابرويز بن هرمز بن أنوشروان)

لما قتل شهربراز ملكت الفرس بوران لانهم لم يجدوا من بيت المملكة رجلا يملكونه فلما

ماتنازع فيه المتقدمون من أوائل اليونانيين والحكماء المتقدمين فى مبادئ كون البحار وعللها فقد أتينا على مبسوطه فى كتابنا أخبار الزمان فى الفن الثانى من جملة الثلاثين فنا وقد ذكرنا قول كل فريق منهم وعزونا كل قول من ذلك الى قائله ولم نخل هذا الكتاب من ايراد لمع من قولهم وذهبت طائفة منهم الى ان البحر بقية من الرطوبة الاولى التى جفف أكثرها جوهر النار ومابقى منها استحال لاحتراقه ومنهم من قال ان الرطوبة الاولى المجتمعة لما احترقت بدوران الشمس وانصرالصفو منها استحال الباقى الى ملوحة ومرارة ومنهم من رأى ان البحار عرق تعرقه الارض لماينالها من احتراق الشمس لاتصال دورها ومنهم من رأى ان البحر هو مابقى مما صفته الارض من الرطوبة الثانية لغلظ جسمها كما يعرض فى الماء العذب اذا امتزج بالزيادة فانه اذا صفا من الزيادة وجد ما لحا بعد ان كان عذبا وذهب آخرون ان الماء عذبه ومالحه كانا ممتزجين فالشمس ترفع لطيفه وعذبه لخفته وبعضهم قال ترفعه الشمس لتغتذى به وقال بعضهم بل

ملكت أحسنت السيرة فى رعيتها وعدلت فيهم فاصلحت القناطر ووضعت ما بقى من الخراج وردت خشبة الصليب على ملك الروم وكانت مملكتها سنة وأربعة أشهر ثم ملك بعدها رجل يقال له خشنشبنده من بنى عم ابرويز الا بعدين وكان ملكه أقل من شهر وقتله الجند لانهم أنكروا سيرته

﴿ذكر ملك ارزميدخت ابنة ابرويز﴾

لما قتل خشنشبنده ملكت الفرس ارزميدخت ابنة ابرويز وكانت من أجمل النساء وكان عظيم الفرس يومئذ فرخهرمز اصبهبذ خراسان فارسل اليها يخطبها فقالت ان التزوج للملكة غير جائز وغرضك قضاء حاجتك منى فصر الى وقت كذا ففعل وسار اليها تلك الليلة فتقدمت الى صاحب حرسها أن يقتله فقتله وطرح فى رحبة دار المملكة فلما أصبحوا رأوه قتيلا فغيبوه وكان ابنه رستم وهو الذى قاتل المسلمين بالقادسية خليفة أبيه بخراسان فسار فى عسكر حتى نزل بالمدائن وسمل عينى ارزميدخت وقتلها وقيل بل سمت وكان ملكها ستة أشهر قيل ثم أتى رجل يقال له كسرى ابن مهرجسنس من عقب اردشير بن بابك كان ينزل الاهواز فملكه العظماء ولبس التاج وقتل بعد أيام وقيل ان الذى ملك بعد ارزميدخت خرزاد خسرو من ولد ابرويز وأمه كردية أخت بسطام قيل وجد بحصن الحجارة بقرب نصيبين فمكث أياما يسيرة ثم خلعوه وقتلوه . وكان ملكه ستة أشهر وقال الذين قالوا ملك كسرى بن مهرجسنس انه لما قتل طلب عظماء الفرس من له نسب بيت المملكة ولو من النساء فأتوا برجل كان يسكن ميسان يقال له فيروز بن مهران جسنس ويسمى أيضا جسنسده أمه صهاربخت ابنة يزدانزان بن أنوشروان فملكوه وكان ضخم الرأس فلما توج قال ما أضيق هذا التاج فتطيروا من كلامه فقتلوه فى الحال وقيل كان قتله بعد أيام

﴿ذكر ملك يزدجرد بن شهريار بن ابرويز﴾

ثم ان الفرس اضطرب أمرهم ودخل المسلمون بلادهم فطلبوا أحدا من بيت المملكة ليملكوه ويقاتلوا بين يديه ويحفظوا بلادهم فظفروا بيزدجرد بن شهريار بن ابرويز باصطخر فاخذوه وساروا به الى المدائن فملكوه واستقر فى الملك غير ان ملكه كان كالخيال عند ملك أهل بيته وكان الوزراء والعظماء يدبرون ملكه لحداثة سنه وضعف أمر مملكة فارس واجترأ عليهم الاعداء وتطرقوا بلادهم وغزت العرب بلاده بعد ان مضى من ملكه سنتان وكان عمره كله الى أن قتل ثمانيا وعشرين سنة وبقى من أخباره ما نذكره ان شاء الله فى موضعه من فتوح المسلمين * هذا آخر ملوك الفرس ونذكر بعده التواريخ الاسلامية على سياقة سنى الهجرة ونقدم قبل ذلك الايام المشهورة للعرب فى الجاهلية ثم نأتى بعدها بالحوادث الاسلامية ان شاء الله تعالى

﴿ذكر أيام العرب فى الجاهلية﴾

لم يذكر أبو جعفر من أيامها غير يوم ذى قار وجذيمة الابرش والزباء وطسم وجديس وما ذكر ذلك الا حيث أنهم ملوك فاغفل ما سوى ذلك ونحن نذكر الايام المشهورة والوقائع المذكورة التى اشتملت على جمع كثير وقتال شديد ولم أعرج على ذكر غارات تشتمل على النفر اليسير لانه يكثر ويخرج عن الحصر فنقول وبالله التوفيق

﴿ذكر حرب زهير بن جناب الكلبى مع غطفان وبكر وتغلب وبنى القين﴾

كان زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة الكلبى أحد من اجتمعت عليه قضاعة وكان يدعى الكاهن لصحة رأيه وعاش مائتين وخمسين سنة أوقع فيها مائتى

يعود بالاستحالة ماء اذا صار بارتفاعه الى الموضع الذى يحصره البرد فيه ويكثفه ومنهم من ذكر ان الماء الذى هو اسطقس ما كان منه عن الهواء وما يعرض منه من البرد يكون حلوا وما كان منه فى الارض لما يناله من الاحتراق والحرارة يكون مرا ومن أهل البحث من قال ان جميع الماء الذى يفيض الى البحر من جميع ظهور الارض وبطونها اذا صار الى تلك الحفرة العظيمة فهو مضاض من مصاص والارض تقذف اليه ما فيها من الملوحة واللذان فى الماء من أجزاء النار التى تخرج اليه من بطون الارض ومن أجزاء النيران المختلطة يرفعان لطائف الماء بارتفاعهما وتبخرهما فاذا رفعا اللطائف صار منها ما يشبه المطر وكان ذلك دأبها وعادتها ثم يعود ذلك الماء مالحا الان الارض اذن كانت تعطيه الملوحة ولذلك يكون ماء البحر على كيل واحد ووزن واحد لان البحر يرفع اللطيف فيصير طلا وماء ثم تعود تلك الاندية سيولا وتطلب الحدور والقرار وتجرى فى أعماق الارض حتى تصير الى ذلك الهور فليس يضيع من ذلك الماء شئ ولا يبطل منه شئ والاعيان قائمة كمجنون

وقعة وقيل عاش اربعمائة وخمسين سنة وكان شجاعا مظفرا ميمون النقيبة وكان سبب غزاته غطفان ان بنى بغيض بن ريث بن غطفان حين خرجوا من تهامة ساروا باجمعهم فتعرضت لهم صداء وهى قبيلة من مذحج فقاتلوهم وبنو بغيض سائرون باهلهم واموالهم فقاتلوهم عن حريمهم فظهروا على صداء وفتكوا فيهم فعزت بغيض بذلك وأثرت وكثرت أموالها فلما رأوا ذلك قالوا والله لنتخذن حرما مثل مكة لا يقتل صيده ولا يهاج عائذه فبنوا حرما وليه بنو مرة بن عوف فلما بلغ ملاهم وما أجمعوا عليه زهير بن جناب قال والله لا يكون ذلك أبدا وأنا حى ولا أخلى غطفان تتخذ حرما أبدا فنادى فى قومه فاجتمعوا اليه فقام فيهم فذكر حال غطفان وما بلغه عنهم وقال ان أعظم مأثرة يدخرها هو وقومه ان يمنعوهم من ذلك فاجابوه فغزا بهم غطفان وقاتلهم ابرح قتال وأشده وظفر بهم زهير وأصاب حاجته منهم وأخذ فارسا منهم فى حرمهم فقتله وعطل ذلك الحرم ثم منّ على غطفان ورد النساء وأخذ الاموال وقال زهير فى ذلك

فلم تصبر انا غطفان لما * تلاقينا واحرزت النساء
فلولا الفضل منا مارجعتم * الى عذراء شيمتها الحياء
فدونكم ديونا فاطلبوها * وأوتارا ودونكم اللقاء
فانا حيث لا يخفى عليكم * ليوث حين يحتضر اللواء
فقد أضحى لحى بنى جناب * فضاء الارض والماء الرواء
نفينا نخوة الاعداء عنا * بارماح اسنتها ظماء
ولولا صبرنا يوم التقينا * لقينا مثل مالقيت صداء
غداة تضرعوا لبنى بغيض * وصدق الطعن للنوكى شفاء

واما حربه مع بكر وتغلب ابنى وائل فكان سببها أن ابرهة حين طلع الى نجد أتاه زهير فاكرمه وفضله على من أتاه من العرب ثم أمّره على بكر وتغلب ابنى وائل فوليهم حتى أصابتهم سنة فاشتد عليهم مايطلب منهم من الخراج فاقام بهم زهير فى الحرب ومنعهم من النجعة حتى يؤدوا ماعليهم فكادت مواشيهم تهلك فلما رأى ذلك ابن زيابة أحد بنى تيم الله بن ثعلبة وكان فاتكا أتى زهيرا وهو نائم فاعتمد التيمى بالسيف على بطن زهير فمرفيها حتى خرج من ظهره مارقا بين الصفاق وسلمت امعاؤه ومافى بطنه وظن التيمى انه قد قتله وعلم زهير انه قد سلم فلم يتحرك لئلا يجهز عليه فسكت فانصرف التيمى الى قومه فاعلمهم انه قتل زهيرا فسرهم ذلك ولم يكن مع زهير الا نفر من قومه فامرهم أن يظهروا أنه ميت وان يستأذنوا بكرا وتغلب فى دفنه فاذا أذنوا دفنوا ثيابا ملفوفة وساروا به مجدين الى قومه ففعلوا ذلك فاذنت لهم بكر وتغلب فى دفنه فحفروا وعمقوا ودفنوا ثيابا ملفوفة لم يشك من رآها ان فيها ميتا ثم ساروا مجدين الى قومهم فجمع لهم زهير الجموع وبلغهم الخبر فقال ابن زيابة

طعنة ماطعنت فى غلس الليـ * ـل زهيرا وقد توافى الخصوم
حين يحمى له المواسم بكر * أين بكر وأين منها الحلوم
خاننى السيف اذ طعنت زهيرا * وهو سيف مضلل مشؤم

وجمع زهير من قدر عليه من أهل اليمن وغزا بكرا وتغلب وكانوا علموا به فقاتلهم قتالا شديدا انهزمت به بكر وقاتلت تغلب بعدها فانهزمت أيضا واسر كليب ومهلهل ابنا ربيعة وأخذت الاموال وكثرت القتلى فى بنى تغلب وأسر جماعة من فرسانهم ووجوههم فقال زهير فى ذلك من قصيدة

غرف من نهر وصب الى حفرة تفيض الى ذلك النهر وقد شبه ذلك قوم باعضاء الحيوان اذا اغتذت وعملت الحرارة فى غذائها فاجتذبت منه ماء عذبا الى الاعضاء المغتذية به وخلفت ماثقل منه وهو المالح والمر فن ذلك البول والعرق وهذه فضول الاغذية فيها ولما كانت عن رطوبات عذبة أحالتها الحرارة الى المرارة والملوحة وان الحرارة لو زادت أكثر من مقدارها لصارت الفضول أمر ازائدا على مايوجد من العرق والبول لوجود مأكل محترق مر هذا قول جماعة ممن تقدم وأما مايوجد بالعيان وايقاع المحنة عند المباشرة فان كل الرطوبات ذوات الطعوم اذا صعدت بالقرع والانابيق بقيت روائحها وطعومها فيما يرتفع منها كالخل والنبيذ والورد والزعفران والقرنفل الا المالحة فانها تختلف طعومها وروائحها ولاسيما ان صعدت مرتين وأصعدت مرة بعد أخرى وقد ذكر صاحب المنطق فى هذا المعنى كلاما كثيرا من ذلك ان الماء المالح أثقل من الماء العذب وجعلت الدلالة على ذلك ان الماء المالح كدر غليظ والماء العذب صاف رقيق وانه

اين ابن الفرار من حذر المو * ت اذا يتقون بالاسلاب
اذ أسرنا مهلهلا واخاه * وابن عمرو في القيد وابن شهاب
وسبينا من تغلب كل بيضا * ء رقود الضحى برود الرضاب
حين تدعو مهلهلا لا يالبكر * هاء هذي حفيظة الاحساب
ويحكم ويحكم أبيح حماكم * يابني تغلب أنا ابن رضاب
وهم هاربون في كل فج * كشريد النعام فوق الروابي
واستدارت رحا المنايا عليهم * بليوث من عامر وجناب
فهم بين هارب ليس يألو * وقتيل معفر في التراب
فضل العز عزنا حين نسمو * مثل فضل السماء فوق السحاب

وأما حربه مع بني القين بن جسر فكان سببها ان أختا لزهير كانت متزوجة فيهم فجاء رسولها الى زهير ومعه صرة فيها رمل وصرة فيها شوك قتاد فقال زهير انها تخبركم انه يأتيكم عدو كثير ذو شوكة شديدة فاحتملوا فقال الجلاح بن عوف السحيمي لا نحتمل لقول امرأة فظعن زهير وأقام الجلاح وصبحه الجيش فقتلوا عامة قوم الجلاح وذهبوا بأموالهم وماله ومضى زهير فاجتمع مع عشيرته من بني جناب وبلغ الجيش خبره فقصدوه فقاتلهم وصبر لهم فهزمهم وقتل رئيسهم فانصرفوا عنه خائبين ولما طال عمر زهير وكبر سنه استخلف ابن أخيه عبد الله بن عليم فقال زهير يوما الا ان الحي ظاعن فقال عبد الله الا ان الحي مقيم فقال زهير من هذا المخالف علي فقالوا ابن أخيك عبد الله بن عليم فقال أعدى الناس للمرء ابن أخيه ثم شرب الخمر صرفا حتى مات وممن شرب الخمر صرفا حتى مات عمرو بن كلثوم التغلبي وأبو عامر ملاعب الاسنة العامري

(ذكر يوم البردان)

فكان من حديثه ان زياد بن الهبولة ملك الشام وكان من سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أغار على حجر بن عمرو بن معاوية بن الحرث الكندي ملك عرب نجد ونواحي العراق وهو يلقب آكل المرار وكان حجر قد أغار في كندة وربيعة على البحرين فبلغ زيادا خبرهم فسار الى أهل حجر وربيعة وأموالهم وهم خلوف ورجالهم في غزاتهم المذكورة فأخذ الحريم والاموال وسبى منهم هند بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية وسمع حجر وكندة وربيعة بغارة زياد فعادوا عن غزوهم في طلب ابن الهبولة ومع حجر أشراف ربيعة عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان وعمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان وغيرهما فادركوا عمرا بالبردان دون عين أباغ وقد أمن الطلب فنزل حجر في سفح جبل ونزلت بكر وتغلب وكندة مع حجر دون الجبل بالصحصحان على ماء يقال له حفير فتعجل عوف بن محلم وعمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان وقالا لحجر انا متعجلان الى زياد لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا فسارا اليه وكان بينه وبين عوف اخاء فدخل عليه وقال له ياخير الفتيان اردد علي امرأتي امامة فردها عليه وهي حامل فولدت له بنتا أراد عوف ان يئدها فاستوهبها منه عمرو بن أبي ربيعة وقال لعلها تلد أناسا فسميت ام أناس فتزوجها الحرث بن عمرو ابن حجر آكل المرار فولدت عمرا ويعرف بابن أم أناس ثم ان عمرو بن أبي ربيعة قال لزياد ياخير الفتيان اردد علي ما أخذت من ابلي فردها عليه وفيها فحلها فنازعه الفحل الى الابل فصرعه عمرو فقال له زياد يا عمرو لو صرعتم يابني شيبان الرجال كما تصرعون الابل لكنتم أنتم أنتم فقال له عمرو لقد أعطيت قليلا وسميت جليلا وجررت على نفسك ويلا طويلا ولتجدن منه ولا والله لا تبرح

حتى

اذا أخذ شيء من الشمع فعمل منه اناء ثم سد رأسه وصير في ماء مالح وجد ذلك الماء الذي وصل الى الاناء عذبا في الطعم خفيفا في الوزن ووجد الماء المالح المحيط به على خلاف ذلك وكلما يجري فهو نهر وحيث ينبع فهو عين وحيث يكون معظم الماء فهو بحر (قال المسعودي) وقد تكلم الناس في المياه واشباهها وأكثروا وقد ذكرنا في كتابنا اخبار الزمان في الفن الثاني من جملة الثلاثين فنا ما أوردوه من البراهين في مساحة البحار ومقاديرها والمنفعة في ملوحة مائها واتصال بعضها ببعض وانفصالها وعدم بيان الزيادة فيها والنقصان ولأية علة كان الجزر والمد في البحر الحبشي أظهر من دون سائر البحار ووجدت نواخذة بحر الصين والهند والسند والزنج واليمن والقلزم والحبشة من السيرافيين والعمانيين يخبرون عن البحر الحبشي في أغلب الامور على خلاف ما ذكرته الفلاسفة وغيرهم ممن حكينا عنهم المقادير والمساحة وان ذلك لاغاية له وفي مواضع منه شاهدت أرباب المراكب في البحر وهي من الحربية والعمالة وهم النواتي وأصحاب الرحل والرؤساء

حتى أروى سناني من دمك ثم ركض فرسه حتى صار الى حجر فلم يوضح له الخبر فارسل سدوس بن شيبان بن ذهل وصليع بن عبد غنم يتجسسان له الخبر ويعلمان علم العسكر فخرجا حتى هجما على عسكره ليلا وقد قسم الغنيمة وجيء بالشمع فاطعم الناس تمرا وسمنا فلما أكل الناس نادى من جاء بحزمة حطب فله قدرة تمر فجاء سدوس وصليع بحطب وأخذا قدرتين من تمر وجلسا قريبا من قبته ثم انصرف صليع الى حجر فاخبره بعسكر زياد وأراه التمر وأما سدوس فقال لا أبرح حتى آتيه بامر جلي وجلس مع القوم يتسمع ما يقولون وهند امرأة حجر خلف زياد فقالت لزياد ان هذا التمر أهدي الى حجر من هجر والسمن من دومة الجندل ثم تفرق أصحاب زياد عنه فضرب سدوس يده الى جليس له وقال له من أنت مخافة ان يستنكره الرجل فقال أنا فلان بن فلان ودنا سدوس من قبة زياد بحيث يسمع كلامه ودنا زياد من امرأة حجر فقبلها وداعبها وقال لها ماظنك الآن بحجر فقالت ماهو ظن ولكنه يقين انه والله لن يدع طلبك حتى تعاين القصور الحمر يعني قصور الشام وكاني به في فوارس من بني شيبان يذمرهم ويذمرونه وهو شديد الكلب تزبد شفتاه كانه بعير أكل مرارا فالنجاء فالنجاء فان وراءك طالبا حثيثا وجمعا كثيفا وكيدا متينا ورأيا صليبا فرفع يده فلطمها ثم قال لها ماقلت هذا الا من عجبك به وحبك له فقالت والله ما أبغضت أحدا بغضي له ولا رأيت رجلا أحزم منه نائما ومستيقظا ان كان لتنام عيناه فبعض أعضائه مستيقظ وكان اذا أراد النوم أمرني ان أجعل عنده عسا من لبن فبينا هو ذات ليلة نائم وأنا قريب منه انظر اليه اذ أقبل اسود سالخ الى رأسه فنحى رأسه فمال الى يده فقبضها فمال الى رجله فقبضها فمال الى العس فشرب به ثم مجه فقلت يستيقظ فيشرب به فيموت فاستيقظ فاستريع منه فانتبه من نومه فقال علي بالاناء فناولته فشمه ثم ألقاه فهريق فقال أين ذهب الاسود فقلت ما رأيته فقال كذبت والله وذلك كله يسمعه سدوس فسار حتى أتى حجرا فلما دخل عليه قال

أتاك المرجفون بأمر غيب * على دهش وجئتك باليقين

فمن يك قد أتاك بأمر لبس * فقد آتي بأمر مستبين

ثم قص عليه ما سمع فجعل حجر يعبث بالمرار ويأكل منه غضبا وأسفا ولا يشعر أنه يأكله من شدة الغضب فلما فرغ سدوس من حديثه وجد حجر المرار فسمي يومئذ آكل المرار والمرار نبت شديد المرارة لا تأكله دابة الا قتلها ثم أمر حجر فنودي في الناس وركب وسار الى زياد فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم زياد وأهل الشام وقتلوا قتلا ذريعا واستنقذت بكر وكندة ما كان بايديهم من الغنائم والسبي وعرف سدوس زيادا فحمل عليه فاعتنقه وصرعه وأخذه أسيرا فلما رآه عمرو بن ابي ربيعة حسده فطعن زيادا فقتله فغضب سدوس وقال قتلت أسيري وديته دية ملك فتحاكما الى حجر فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك وأعانهم من ماله وأخذ حجر زوجته هندا فربطها في فرسين ثم ركضهما حتى قطعاها ويقال بل أحرقها وقال فيها

ان من غره النساء بشيء * بعد هند لجاهل مغرور

حلوة العين والحديث ومر * كل شيء أجن منها الضمير

كل أنثى وان بدالك منها * آية الحب حبها خيتعور

ثم عاد الى الحيرة (قلت) هكذا قال بعض العلماء ان زياد بن هبولة السليحي ملك الشام غزا حجرا وهذا غير صحيح لان ملوك سليح كانوا باطراف الشام مما يلي البر من فلسطين الى قنسرين والبلاد للروم ومنهم أخذت غسان هذه البلاد وكلهم كانوا عمالا لملوك الروم كما كان ملوك الحيرة عمالا

ومن يلي تدبير المراكب والحرب فيهم مثل لاوى المكنى بابي الحرب غلام زرافة صاحب طرابلس الشام من ساحل دمشق وذلك بعد الثلثمائة يعظمون طول البحر الرومي وعرضه وكثرة خلجانه وتشعبه وعلى هذا وجدت عبد الله بن وزير صاحب مدينة جبلة من ساحل حمص ولم يبق في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة انظر منه في البحر الرومي ولا آنس منه وليس فيه بركته من أصحاب المراكب من الحربية والعمالة الا وهو منقاد الى قوله ويقر له بالنصر والحذق مع ماهو عليه من الديانة والجهاد القديم فيها وقد ذكرنا عجائب هذه البحار وما سمعناه ممن ذكرنا من اخبارها وآفاتها وماشاهدوا فيها فيما سلف من كتبنا وسنورد بعد هذا الموضع جملا من أخبارها وقد ذهب قوم ممن تكلم في علامات المياه ومستقرها من الارض الى انه يرى في المواضع التي فيها الماء نبت القصب والحلفاء والسل من الحشيش فذلك دلالة على قرب الماء لمن أراد الحفر وان ماعدا ذلك فعلى البعد ووجدت في كتاب الفلاحة ان من

ملوك الفرس على البر والعرب ولم يكن سليح ولا غسان مستقلين بملك الشام ولا بشبر واحد على سبيل التفرد والاستقلال وقولهم ملك الشام غير صحيح وزياد بن هبولة السليحي ملك مشارق الشام أقدم من حجر آكل المرار بزمان طويل لان حجراهو جد الحرث بن عمرو بن حجر الذى ملك الحيرة والعرب بالعراق أيام قباذ أبى أنوشروان وبين ملك قباذ والهجرة نحو مائة وثلاثين سنة وقد ملكت غسان أطراف الشام بعد سليح ثمانية سنة وقيل خمسمائة سنة وأقل ما سمعت فيه ثلثمائة سنة وست عشرة سنة وكانوا بعد سليح ولم يكن زياد آخر ملوك سليح فتزيد المدة زيادة أخرى وهذا تفاوت كثير فكيف يستقيم ان يكون ابن هبولة الملك أيام حجر حتى يغير عليه وحيث أطبقت رواة العرب على هذه الغزاة فلا بد من توجيهها وأصلح ماقيل فيه ان زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيسا على قوم أو متغلبا على بعض أطراف الشام حتى يستقيم هذا القول والله أعلم وقولهم أيضا ان حجرا عاد الى الحيرة لا يستقيم أيضا لان ملوك الحيرة من ولد عدى بن نصر اللخمى لم ينقطع ملكهم لها الا أيام قباذ فانه استعمل الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار كما ذكرناه قبل فلما ولى أنوشروان عزل الحرث وأعاد اللخميين ويشبه أن يكون بعض الكنديين قد ذكر هذا تعصبا والله أعلم ان أبا عبيدة ذكر هذا اليوم ولم يذكر ان ابن هبولة من سليح بل قال هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان ولم يذكر عوده الى الحيرة فزال هذا الوهم * وسليح بفتح السين المهملة وكسر اللام وآخر حاء مهملة

❁(ذكر مقتل حجر أبى امرئ القيس والحروب الحادثة بقتله الى أن مات امرؤ القيس)❁

نذكر أولا سبب ملكهم العرب بنجد ونسوق الحادثة الى قتله ومايتصل به فنقول كان سفهاء بكر قد غلبوا على عقلائها وغلبوهم على الامر وأكل القوى الضعيف فنظر العقلاء فى أمرهم فرأوا ان يملكوا عليهم ملكا يأخذ للضعيف من القوى فنهاهم العرب وعلموا أن هذا لا يستقيم بأن يكون الملك منهم لانه يطيعه قوم ويخالفه آخرون فساروا الى بعض تبابعة اليمن وكانوا للعرب بمنزلة الخلفاء للمسلمين وطلبوا منه ان يملك عليهم ملكا فملك عليهم حجر بن عمرو آكل المرار فقدم عليهم ونزل ببطن عاقل وأغار ببكر فانتزع عامة ما كان بايدى اللخميين من ارض بكر وبقى كذلك الى ان مات فدفن ببطن عاقل فلما مات صار عمرو بن حجر آكل المرار وهو المقصور ملكا بعد أبيه وانما قيل له المقصور لانه قصر على ملك أبيه وكان أخوه معاوية وهو الجون على اليمامة فلما مات عمرو ملك بعده ابنه الحرث وكان شديد الملك بعيد الصوت فلما ملك قباذ بن فيروز الفرس خرج فى أيامه مزدك فدعا الناس الى الزندقة كما ذكرناه فاجابه قباذ الى ذلك وكان المنذر بن ماء السماء عاملا للاكاسرة على الحيرة ونواحيها فدعاه قباذ الى الدخول معه فامتنع فدعا الحرث بن عمرو الى ذلك فاجابه فاستعمله على الحيرة وطرد المنذر عن مملكته وقيل فى تمليكه غير ذلك وقد ذكرناه أيام قباذ فبقوا كذلك الى ان ملك كسرى انوشروان بن قباذ بعد أبيه فقتل مزدك وأصحابه واعاد المنذر بن ماء السماء الى ولاية الحيرة وطلب الحرث بن عمرو وكان بالانبار وبها منزله فهرب باولاده وماله وهجانه وتبعه المنذر بالخيل من تغلب واياد وبهراء فلحق بارض كلب فنجا وانتهبوا ماله وهجانه وأخذت تغلب ثمانية وأربعين نفسا من بنى آكل المرار فيهم عمرو ومالك ابنا الحرث فقدموا بهم على المنذر فقتلهم فى ديار بنى مرينا وفيهم يقول عمرو بن كلثوم

فآبوا بالنهاب وبالسبايا * وأبنا بالملوك مصفدينا

وفيهم يقول امرؤ القيس

أراد ان يعلم قرب الماء وبعده فليحفر فى الارض ثلاثة أذرع أو أربعة ثم يأخذ قدرا من نحاس أو صفالة فيدهنها بالشحم من داخلها مستويا ولتكن القدر واسعة الفم فاذا غابت الشمس فخذ صوفة بيضاء منفوشة مغسولة وخذ حجرا قدر بيضة فالف ذلك الصوف عليه مثل الكرة ثم اطل جانب الكرة بموم مذاب والصقها فى أسفل ذلك القدر الذى قد دهنته بدهن أو بشحم ثم ألقها فى أسفل الحفيرة فان الصوف يصير معلقا والموم يمسكه ويصير الى مكان الحجر معلقا ثم احث على الاناء التراب قدر ذراعين أو ذراع ودعه ليلتك كلها فاذا كان الغد قبل طلوع الشمس فاكنس التراب عنه وارفع الاناء فان رأيت الماء ملتزقا بالاناء من داخل قطرا كثيرا بعضه قريب من بعض والصوفة ممتلئة فان فى ذلك المكان ماء وهو قريب وان كان القطر مفترقا لا بالمجتمع ولا بالمتقارب والصوفة ماؤها وسط فان الماء ليس بالبعيد ولا بالقريب وان كان القطر ملتزقا متباعدا بعضه من بعض والماء فى الصوفة قليل فان الماء بعيد وان لم

ملوك من بنى حجر بن عمرو * يساقون العشية يقتلونا
فلو فى يوم معركة أصيبوا * ولكن فى ديار بنى مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل * ولكن فى الدماء مرملينا
تظل الطير عاكفة عليهم * وتنتزع الحواجب والعيونا

وأقام الحرث بديار كلب فتزعم كلب انهم قتلوه وعلماء كندة تزعم انه خرج يتصيد فتبع تيسا من الظباء فاعجزه فاقسم ان لا يأكل شيأ الا من كبده فطلبته الخيل فاتى به بعد ثلاثة وقد كاد يهلك جوعا فشوى له بطنه فاكل فلذة من كبده حارة فمات ولما كان الحرث بالحيرة أتاه أشراف عدة قبائل من نزار فقالوا انا فى طاعتك وقد وقع بيننا من الشر بالقتل ما تعلم ونخاف الفناء فوجه معنا بنيك ينزلون فينا فيكفون بعضنا عن بعض ففرق أولاده فى قبائل العرب فملك ابنه حجرا على بنى أسد بن خزيمة وغطفان وملك ابنه شرحبيل وهو الذى قتل يوم الكلاب على بكر بن وائل باسرها وعلى غيرها وملك ابنه معديكرب وهو غلفاء وانما قيل له غلفاء لانه كان يغلف رأسه بالطيب على قيس عيلان وطوائف غيرهم وملك ابنه سلمة على تغلب والنمر بن قاسط وبنى سعد بن زيد مناة من تميم فبقى حجر فى بنى أسد وله عليهم جائزة واتاوة كل سنة لما يحتاج اليه فبقى كذلك دهرا ثم بعث اليهم من يجبى ذلك منهم وكانوا بتهامة وطردوا رسله وضربوهم فبلغ ذلك حجرا فسار اليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من قيس وكنانة فأتاهم فأخذ سراتهم وخيارهم وجعل يقتلهم بالعصا وأباح الاموال وسيرهم الى تهامة وحبس منهم جماعة من أشرافهم منهم عبيد بن الابرص الشاعر فقال شعرا يستعطفه لهم فرق لهم وأرسل من يردهم فلما صاروا على يوم منه تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة بن عامر الاسدى فقال لهم من الملك الصاهب الغلاب غير المغلب فى الابل كأنها الربرب هذا دمه يثعب وهو غدا أول من يستلب قالوا ومن هو قال لولا تجيش نفس جاشيه لاخبرتكم انه حجر ضاحيه فركبوا كل صعب وذلول حتى بلغوا الى عسكر حجر فهجموا عليه فى قبته فقتلوه طعنه علباء بن الحرث الكاهلى فقتله وكان حجر قتل أباه فلما قتل قالت بنو أسد يا معشر كنانة وقيس أنتم اخواننا وبنو عمنا والرجل بعيد النسب منا ومنكم وقد رأيتم سيرته وما كان يصنع بكم هو وقومه فانتهبوهم فشدوا على هجائنه فانتهبوها ولفوه فى ريطة بيضاء والقوه على الطريق فلما رأته قيس وكنانة انتهبوا أسلابه وأجار عمرو بن مسعود عياله وقيل ان حجرا لما رأى اجتماع بنى أسد عليه خافهم فاستجار عوير بن شجنة احد بنى عطارد بن كعب بن زيد مناة بن تميم لبنته هند بنت حجر وعياله وقال لبنى أسد ان كان هذا شأنكم فانى مرتحل عنكم ومخليكم وشأنكم فودعوه على ذلك وسار عنهم وأقام فى قومه مدة ثم جمع لهم جمعا عظيما وأقبل اليهم مدلا بمن معه فتآمرت بنو أسد وقالوا والله لئن قهركم ليحكمن عليكم حكم الصبى فما خير العيش حينئذ فموتوا كراما فاجتمعوا وساروا الى حجر فلقوه فاقتتلوا قتالا شديدا وكان صاحب أمرهم علباء بن الحرث فحمل على حجر فطعنه فقتله وانهزمت كندة ومن معهم وأسر بنو أسد من أهل بيت حجر وغنموا حتى ملؤا أيديهم من الغنائم وأخذوا جواريه ونساءه وما معهم فاقتسموه بينهم وقيل ان حجرا أخذ أسيرا فى المعركة وجعل فى قبة فوثب عليه ابن أخت علباء فضربه بحديدة كانت معه لان حجرا كان قتل أباه فلما جرحه لم يقض عليه فاوصى حجر ودفع كتابه الى رجل وقال له انطلق الى ابنى نافع وكان أكبر أولاده فان بكى وجزع فاتركه واستقرهم واحدا واحدا حتى تأتى امرأ القيس وكان اصغرهم فايهم لم يجزع فادفع اليه خيلى وسلاحى ووصيتى وقد كان بين فى وصيته من قتله

تر على الاناء قطرا قليلا ولا كثيرا ولا على الصوفة ماء فانه ليس فى ذلك الموضع ماء فلا تتعن فى حفره ووجدت فى بعض النسخ من كتب الفلاحة فى هذا المعنى أن من أراد علم ذلك فلينظر الى قرى النمل فان وجد النمل غلاظا سودا ثقيلة المشى فلينظر فعلى قدر ثقل مشيهن الماء قريب منهن وان وجد النمل سريع المشى لا يكاد يلحق فالماء منهن على أربعين ذراعا والماء الاول يكون عذبا طيبا والثانى ثقيلا مالحا فهذه جملة علامات لمن يريد استخراج الماء وقد أتينا على مبسوط ما ذكرنا فى كتابنا اخبار الزمان وانما نذكر فى هذا الكتاب ما تدعو الحاجة الى ذكره بالاشارة اليه دون بسطه وايضاحه وقد ذكرنا جملا من اخبار البحار وغيرها فلنقل فى اخبار ملوك الصين وغيرها وأهلها وغير ذلك مما لحق به ان شاء الله تعالى

﴿ذكر ملوك الصين والترك وتفرق ولد عابور واخبار الصين وغير ذلك مما لحق بهذا الباب﴾

قد تنازع الناس فى أنساب أهل الصين وبدئهم فذكر كثير منهم ان ولد عابور بن بتويل بن يافث بن نوح لما

وكيف كان خبره فانطلق الرجل بوصيته الى ابنه نافع فوضع التراب على رأسه ثم أتاهم كلهم ففعلوا مثله حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلاعبه بالنرد فقال قتل حجر فلم يلتفت الى قوله وأمسك نديمه فقال له امرؤ القيس اضرب فضرب حتى اذا فرغ قال ما كنت لافسد دستك ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله فأخبره فقال له الخمر والنساء على حرام حتى أقتل من بنى أسد مائة وأطلق مائة وكان حجر قد طرد امرأ القيس لقوله الشعر وكان يأنف منه * وكانت أم امرئ القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحرث أخت كليب بن وائل وكان يسير فى احياء العرب يشرب الخمر على الغدران ويتصيد فأتاه خبر قتل أبيه وهو بدمون من أرض اليمن فلما سمع الخبر قال

تطاول الليل علينا دمون * دمون انا معشر يمانون * واننا لقومنا محبون

ثم قال ضيعنى صغيرا وحملنى دمه كبيرا لا صحو اليوم ولا سكر غدا اليوم خمر وغدا أمر فذهبت مثلا ثم ارتحل حتى نزل ببكر وتغلب فسألهم النصر على بنى أسد فأجابوه فبعث العيون الى بنى أسد فنذروا به فلجؤا الى بنى كنانة وعيون امرئ القيس معهم فقال لهم علباء بن الحرث اعلموا ان عيون امرئ القيس قد عادوا اليه بخبركم وانكم عند بنى كنانة فارحلوا بليل ولا تعلموا بنى كنانة فارتحلوا وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب وغيرهم حتى انتهى الى بنى كنانة وهو يظنهم بنى أسد فوضع السلاح فيهم وقال يا لثارات الملك يا لثارات الهمام فقيل له أبيت اللعن لسنا لك بثار نحن بنو كنانة فدونك ثارك فاطلبهم فان القوم قد ساروا بالامس فتبع بنى أسد ففاتوه ليلتهم فقال فى ذلك

ألا يا لهف هند اثر قوم * هموا كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم ببنى أبيهم * وبالاشقين ما كان العقاب
وأفلتهن علباء جريضا * ولو أدركنه صفر الوطاب

يعنى ببنى أبيهم كنانة فان أسدا وكنانة ابنى خزيمة هما اخوان وقوله ولو أدركنه صفر الوطاب قيل كانوا قتلوه واستاقوا ابله فصفرت وطابه من اللبن أى خلت وقيل كانوا اقتلوه لخلا جلده وهو وطابه من دمه بقتله فسار امرؤ القيس فى آثار بنى أسد فادركهم ظهرا وقد تقطعت خيله وهلكوا عطشا وبنو أسد نازلون على الماء فقاتلهم حتى كثرت القتلى بينهم وهرب بنو أسد فلما أصبحت بكر وتغلب ابوا أن يتبعوهم وقالوا قد أصبت ثارك فقال لا والله فقالوا بلى ولكنك رجل مشؤم وكرهوا قتالهم بنى كنانة فانصرفوا عنه ومضى الى ازدشنوأة يستنصرهم فابوا أن ينصروه وقالوا اخواننا وجيراننا فسار عنهم ونزل بقيل يدعى مرثد الخير بن ذى جدن الحميرى وكان بينهما قرابة فاستنصره على بنى أسد فامده بخمسمائة رجل من حمير ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس وملك بعده رجل من حمير يقال له قرمل فزود امرأ القيس ثم سير معه ذلك الجيش وتبعه شذاذ من العرب واستأجر غيرهم من قبائل اليمن فسار بهم الى بنى أسد وظفر بهم ثم ان المنذر طلب امرأ القيس ولج فى طلبه ووجه الجيوش اليه فلم يكن لامرئ القيس بهم طاقة وتفرق عنه من كان معه من حمير وغيرهم فنجا فى جماعة من اهله ونزل بالحرث بن شهاب اليربوعى وهو أبو عتيبة ابن الحرث فارسل اليه المنذر يتوعده بالقتال ان لم يسلمهم اليه فسلمهم ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد ابن معاوية بن الحرث وابنته هند ابنة امرئ القيس وادراعه وسلاحه وماله فخرج ونزل على سعد ابن الضباب الايادى سيد قومه فأجاره ومدحه امرؤ القيس ثم تحول عنه ونزل على المعلى بن تيم الطائى فاقام عنده واتخذا بلا هنالك فعدا قوم من جديلة يقال لهم بنو زيد عليها فاخذوها فاعطاه

قسم فالغ بن عابور وارفخشذ ابن سام بن نوح الارض بين ولد نوح ساروا سيرة فى الشرق فسار قوم منهم من ولد عابور على سمت الشمال وانتشروا فى الارض فصاروا عدة ممالك منهم الديلم والجيل والطيلسان والتتر وفرغان فأهل جبل الفتح أنواع اللكريم واللان والخزر والانجار والسرير وكشك وسائر تلك الامم المنتشرة فى ذلك الصقع والارمن الى بلاد طوابردة الى بحر مانطش وبحر الخزر والبلغر ومن اتصل بهم من الامم وعبر ولد عابور نهر بلخ ويمم بلاد الصين الاكثر منهم وتفرقوا عدة ممالك فى تلك البلاد وانتشروا فى تلك الديار فنهم الجيل وهم سكان جيلان والاشروسنة والصغد وهم بين بخارى وسمرقند ثم الفراغنة والشاش واسبجار وأهل بلاد العبرات فبنوا المدن والضياع وانفرد منهم اناس غير هؤلاء فسكنوا البوادى فنهم الترك الخرخ والطغرغر ومنهم أصحاب مدينة كوسان وهى مملكة بين خراسان وبلاد الصين وليس فى أجناس الترك وأنواعهم فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة أشد منهم

بنونهم ان معزى يحلبها فقال

اذا مالم يكن ابل فمعزى * كأن قرون جلتها العصى

الابيات ثم رحل عنهم ونزل بعامر بن جوين فأراد ان يغلب امرأ القيس على ماله وأهله فعلم امرؤ القيس بذلك فانتقل الى رجل من بنى ثعل يقال له حارثة بن مر فاستجاره فاجاره فوقعت بين عامر ابن جوين والثعلى حرب وكانت أمور كبيرة فلما رأى امرؤ القيس ان الحرب قد وقعت بين طئ بسببه خرج من عندهم فقصد السموأل بن عادياء اليهودى فاكرمه وانزله فاقام عنده امرؤ القيس ماشاء الله ثم طلب منه ان يكتب له الى الحرث بن أبى شمر الغسانى ليوصله الى قيصر ففعل ذلك وسار الى الحرث وأودع أهله وادراعه عند السموأل فلما وصل الى قيصر اكرمه فبلغ ذلك بنى أسد فأرسلوا رجلا منهم يقال له الطماح كان امرؤ القيس قتل أخاله فوصل الاسدى وقد سير قيصر مع امرئ القيس جيشا كثيفا فيهم جماعة من أبناء الملوك فلما سار امرؤ القيس قال الطماح لقيصر ان امرأ القيس غوى عاهر وقد ذكر انه كان يراسل ابنتك ويواصلها وقال فيها اشعارا أشهرها بها فى العرب فبعث اليه قيصر بحلة وشى منسوجة بالذهب مسمومة وكتب اليه انى أرسلت اليك بحلتى التى كنت ألبسها تكرمة لك فالبسها واكتب الى بخبرك من منزل منزل فلبسها امرؤ القيس وسر بذلك فاسرع فيه السم وسقط جلده فلذلك سمى ذا القروح فقال امرؤ القيس فى ذلك

لقد طمح الطماح من نحو أرضه * ليلبسنى مما يلبس أبؤسا

فلو انها نفس تموت سوية * ولكنها نفس تساقط أنفسا

فلما وصل الى موضع من بلاد الروم يقال له أنقرة احتضر بها فقال رب خطبة مسحنفرة وطعنة مثعنجره وجفنة مستحيره حلت بأرض أنقره ورأى قبر امرأة من بنات ملوك الروم وقد دفنت بجنب عسيب وهو جبل فقال

اجارتنا ان الخطوب تنوب * وانى مقيم ما اقام عسيب

اجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

ثم مات فدفن الى جنب المرأة فقبره هناك ولما مات امرؤ القيس سار الحرث بن ابى شمر الغسانى الى السموأل بن عادياء وطالبه بادراع امرئ القيس وكانت مائة درع وبماله عنده فلم يعطه فأخذ الحرث ابنا للسموأل فقال اما ان تسلم الادراع واما قتلت ابنك فأبى السموأل ان يسلم اليه شيأ فقتل ابنه فقال السموأل فى ذلك

وفيت بأدرع الكندى انى * اذا ماذم اقوام وفيت

وأوصى عاديا يوما بأن لا * تهدم ياسموأل مابنيت

بنى لى عاديا حصنا حصينا * وماء كلما شئت استقيت

وقد ذكر الاعشى هذه الحادثة فقال

كن كالسموأل اذطاف الهمام به * فى جحفل كسواد الليل جرار

اذسامه خطتى خسف فقال له * قل ماتشاء فانى سامع حار

فقال غدر وثكل أنت بينهما * فاختر فمافيهما حظ لمختار

فشك غير طويل ثم قال له * اقتل أسيرك انى مانع جارى

وهى أكثر من هذا

(يوم خزاز)

بأساولا أكثر منهم شوكة ولا أضبط ملكا وكلهم ازجان ومذهبهم مذهب المانية وليس فى الترك من يعتقد هذا المذهب غيرهم ومن الترك الكيمالية والبرسخانية والبدية والجقوبية وأشدهم بأسا الجقوبية وأحسنهم صورة وأطولهم قامة وأصبحهم وجوها الخولجية وهم أهل بلاد فرغانة والشاش مما يلى ذلك الصقع وفيهم كان الملك ومنهم خاقان الخواقين وكان يجمع ملكه سائر ممالك الترك وتنقاد اليه ملوكها ومن هؤلاء الخواقين كان (فراسياب) التركى الغالب على بلاد فارس ومنهم (سانة) والخاقان الترك فى وقتنا هذا تنقاد ملوك الترك كلهم منذ خربت المدينة المعروفة بعمان وهى فى مفاوز سمرقند وقد ذكرنا انتقال الملك عن هذه المدينة والسبب فى ذلك فى كتابنا المترجم بالكتاب الاوسط ولحق فريق من ولد عابور بتخوم الهند فأثرت فيهم تلك البقاع فصارت ألوانهم بخلاف ألوان الترك ولحقوا بألوان الهند ولهم حضر وبادو سكن فريق منهم ببلاد التبت وملكوا عليهم ملكا وكان ينقاد الى ذلك الخاقان على ماقد بينا

وكان من حديثه ان ملكا من ملوك اليمن كان فى يده اسارى من مضر وربيعة وقضاعة فوفد عليه وفد من وجوه بنى معد منهم سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة وعوف بن محلم بن ذهل بن شيبان وعوف بن عمرو بن جشم بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان وجشم بن ذهل بن هلال ابن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان فلقيهم رجل من بهراء يقال له عبيد بن قراد وكان فى الاسارى وكان شاعرا فسألهم ان يدخلوه فى عدة من يسألون فيه فكلموا الملك فيه وفى الاسارى فوهبهم لهم فقال عبيد بن قراد البهراوى

نفسى الفداء لعوف الفعال * وعوف ولابن هلال جشم
تداركنى بعدما قد هوت * مستمسكا بمراقى الوذم
ولولا سدوس وقد شمرت * بى الحرب زلت بنعلى القدم
وناديت بهراء كى يسمعوا * وليس بآذانهم من صمم
ومن قبلها عصمت قاسط * معدا اذا ما عزيز أزم

فاحتبس الملك عنده بعض الوفد رهينة وقال للباقين ائتونى برؤساء قومكم لآخذ عليهم المواثيق بالطاعة لى والافتلت أصحابكم فرجعوا الى قومهم فاخبروهم الخبر فبعث كليب وائل الى ربيعة فجمعهم واجتمعت عليه معد وهو أحد النفر الذين اجتمعت عليهم معد على ما نذكره فى مقتل كليب فلما اجتمعوا عليه سار بهم وجعل على مقدمته السفاح التغلبى وهو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير ابن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن تغلب وأمرهم أن يوقدوا على خزاز نارا ليهتدوا بها وخزاز جبل بطخفة ما بين البصرة الى مكة وهو قريب من سالع وهو جبل أيضا وقال له ان غشيك العدو فاوقد نارين فبلغ مذحجا اجتماع ربيعة ومسيرها فاقبلوا بجموعهم واستنفروا من يليهم من قبائل اليمن وساروا اليهم فلما سمع أهل تهامة بمسير مذحج انضموا الى ربيعة ووصلت مذحج الى خزاز ليلا فرفع السفاح نارين فلما رأى كليب النارين أقبل اليهم بالجموع فصبحهم فالتقوا بخزاز فاقتتلوا قتالا شديدا أكثروا فيه القتل فانهزمت مذحج وانفضت جموعها فقال السفاح فى ذلك

وليلة بت أوقد فى خزاز * هديت كتائبا متحيرات
ضلال من السهاد وكن لولا * سهاد القوم احسب هاديات

وقال الفرزدق يخاطب جريرا ويهجوه

لولا فوارس تغلب ابنة وائل * دخل العدو عليك كل مكان
ضربوا الصنائع والملوك وأوقدوا * نارين أشرفتا على النيران

وقيل انه لم يعلم أحد من كان الرئيس يوم خزاز لان عمرو بن كلثوم وهو ابن ابنة كليب يقول

ونحن غداة أوقد فى خزاز * رفدنا فوق رفد الرافدينا

فلو كان جده الرئيس لذكره ولم يفتخر بانه رفد ثم جعل من شهد خزازا متساندين فقال

فكنا الايمنين اذا التقينا * وكان الايسرين بنو ابينا
فصالوا صولة فيمن يليهم * وصلنا صولة فيمن يلينا

فقالوا له استأثرت على اخوتك يعنى مضر ولما ذكر جده فى القصيدة قال

ومنا قبله الساعى كليب * فاى المجد الا قد ولينا

فلم يدع به الرياسة يوم خزاز وهى أشرف ما كان يفتخر به حبيب بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره باء أخرى موحدة

وسمى أهل التبت ملكهم بخاقان تشبيها بمن تقدم من الملوك وسار الجمهور من ولد عابور على ساحل البحر حتى انتهوا الى اقاصى من بلاد الصين فتفرقوا فى تلك البقاع والبلاد وقطنوا الديار وكوروا الكور ومصروا المدن واتخذوا لملكهم مدينة عظيمة وسموها انغوا وبينها وبين ساحل البحر الحبشى وهو بحر الصين مسافة ثلاثة أشهر مدن وعمائر متصلة وكان أول ملك تملك عليهم فى هذه الديار وهى انغوا (اسطرماس) بن فاعور بن بربع بن عابور بن يافث بن نوح فكان ملكه ثلثمائة سنة ونيفا وفرق أهله فى تلك الديار وشقق الانهار وقتل السباع وغرس الاشجار وأطعم الثمار وهلك فملك ولده يقال له (عرون) فجعل جسد أبيه فى تمثال من الذهب الاحمر جزعا عليه وتعظيما له وأجلسه على سرير من الذهب الاحمر مرصع بالجواهر وجعل مجلسه دونه وأقبل يسجد لابيه وهو فى جوف تلك الصورة هو وأهل مملكته فى طرفى النهار اجلالا له وعاش مائتى سنة وخمسين سنة وهلك فملك ولده يقال له (عبرور) فجعل جسد أبيه عرون فى

﴿ذكر مقتل كليب والايام بين بكر وتغلب﴾

وكان من حديث الحرب التي وقعت بين بكر وتغلب ابني وائل بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بسبب قتل كليب واسمه وائل بن ربيعة بن الحرث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب وانما لقب كليبا لانه كان اذا سار أخذ معه جرو كلب فاذا مر بروضة أو موضع يعجبه ضربه ثم ألقاه في ذلك المكان وهو يصيح و يعوى فلا يسمع عواءه أحد الا تجنبه ولم يقربه وكان يقال كليب وائل ثم اختصروا فقالوا كليب فغلب عليه وكان لواء ربيعة بن نزار للاكبر فالاكبر من ولده فكان اللواء في عنزة بن أسد بن ربيعة وكان سنتهم انهم يوفرون لحاهم و يقصون شواربهم فلا يفعل ذلك من ربيعة الا من يحالفهم و يريد حربهم ثم تحول اللواء في عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وكان سنتهم اذا شتموا لطموا من شتمهم واذا لطموا قتلوا من لطمهم ثم تحول اللواء في النمر بن قاسط بن هنب وكان لهم غير سنة من تقدمهم ثم تحول اللواء الى بكر بن وائل فساروا غيرهم في فرخ طائر كانوا يوثقون الفرخ بقارعة الطريق فاذا علم بمكانه لا يسلك أحد ذلك الطريق و يسلك من يريد الذهاب والمجيء عن يمينه ويساره ثم تحول اللواء الى تغلب فوليه وائل بن ربيعة وكانت سنته ما ذكرناه من جرو الكلب ولم تجتمع معد الا على ثلاثة نفر وهم عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر ابن يشكر بن الحرث وهو عدوان بن عمرو بن قيس عيلان وهو * الناس ابن مضر بالنون وهو أخو الياس بن مضر وكان قائد معد حين تمذحجت مذحج وسارت الى تهامة وهي أول وقعة كانت بين تهامة واليمن والثاني ربيعة بن الحرث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن كلب وكان قائد معد يوم السلان بين أهل اليمامة واليمن والثالث وائل بن ربيعة وكان قائد معد يوم خزاز ففض جموع اليمن وهزمهم وجعلت له معد قسم الملك وتاجه وطاعته و بقي زمانا من الدهر ثم دخله زهو شديد و بغى على قومه حتى بلغ من بغيه انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه وكان يقول وحش أرض كذا في جواري فلا يصاد ولا يورد أحد مع ابله ولا يوقد نارا مع ناره ولا يمر أحد بين بيوته ولا يحتبي في مجلسه وكانت بنو جشم و بنو شيبان اختلطا في دار واحدة ارادة الجماعة ومخافة الفرقة وتزوج كليب جليلة بنت مرة بن شيبان بن ثعلبة وهي أخت جساس بن مرة وحمى كليب أرضا من العالية في أول الربيع وكان لا يقربها الا محارب ثم ان رجلا يقال له سعد بن شميس بن طوق الجرمي نزل بالبسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرة وكان للجرمي ناقة اسمها سراب ترعى مع نوق جساس وهي التي ضربت العرب بها المثل فقالت اشأم من سراب واشأم من البسوس فخرج كليب يوما يتعهد الابل ومراعيها فأتاها وتردد فيها وكانت ابله وابل جساس مختلطة فنظر كليب الى سراب فانكرها فقال له جساس وهو معه هذه ناقة جارنا الجرمي فقال لا تعد هذه الناقة الى هذا الحمى فقال جساس لا ترعى ابلي مرعى الا وهذه معها فقال كليب لئن عادت لاضعن سهمي في ضرعها فقال جساس لئن وضعت سهمك في ضرعها لاضعن سنان رمحي في لبتك ثم تفرقا وقال كليب لامرأته أترين ان في العرب رجلا مانعا مني جاره قالت لا أعلم الا جساسا فحدثها الحديث وكان بعد ذلك اذا أراد الخروج الى الحمى منعته وناشدته الله ان يقطع رحمه وكانت تنهى أخاها جساسا ان يسرح ابله (٣) ثم ان كليبا خرج الى الحمى وجعل يتصفح الابل فرأى ناقة الجرمي فرمى ضرعها فانفذه فولت ولها عجيج حتى بركت بفناء صاحبها فلما رأى ما بها صرخ بالذل وسمعت البسوس صراخ جارها فخرجت اليه فلما رأت ما بناقته وضعت

تمثال من الذهب الاحمر وجعله دون مرتبة جده على سرير من الذهب ورصعه بأنواع الجواهر وكان يسجد له و يبدأ بالاول ثم بابيه وأهل مملكته يسجدون له وأحسن السياسة للرعية وسواهم في جميع أمورهم وشملهم بالعدل فكثر النسل وأخصبت الارض فكان ملكه الى ان هلك نحوا من مائتي سنة ثم ملك بعده ولده (عينيان) فجعل أباه في تمثال من الذهب الاحمر وجرى على ماسلف من أفعالهم في السجود والتعظيم وطال ملكه واتصلت بلاده ببلاد الترك من بني عمه فعاش أربعمائة سنة واتخذ في أيامه كثيرا من المهن مما لطف في الدور من الصنائع وملك بعده ولده (حرامان) فأحدث الفلك وحمل فيها الرجال وحمل لطائف بلاد الصين وصيرها نحو بلاد السند والهند الى اقليم بابل والى سائر الممالك مما قرب منها وأبعد في البحر وأهدى الهدايا العجيبة والرغائب النفيسة الى الملوك وأمرهم ان يجلبوا اليه ما في كل بلد من الطرائف والتحف من المآكل والمشارب والملابس وسائر الفرش وان يعرفوا سياسة كل ملك وكل أمة وشريعتها ونحيها التي هي عليه وان

بدهاء على رأسها ثم صاحت واذلاه وجساس يراها ويسمع فخرج اليها فقال لها اسكتي ولا تراعي ويكن الجرمي وقال لهما اني سأقتل جملا أعظم من هـذه الناقة سأقتل غلالا وكان غلال فحل ابل كليب لم ير في زمانه مثله وانما أراد جساس بمقالته كليبا وكان لكليب عين يسمع مايقولون فاعاد الكلام على كليب فقال لقد اقتصر من يمينه على غلال ولم يزل جساس يطلب غرة كليب فخرج كليب يوما آمنا فلما بعد عن البيوت ركب جساس فرسه وأخذ رمحه وأدرك كليبا فوقف كليب فقال له جساس يا كليب الرمح وراءك فقال ان كنت صادقا فاقبل الي من أمامي ولم يلتفت اليه فطعنه فأرداه عن فرسه فقال يا جساس أغثني بشربة من ماء فلم يأته بشئ وقضى كليب نحبه فأمر جساس رجلا كان معه اسمه عمرو بن الحرث بن ذهل بن شيبان فجعل عليه احجارا لئلا تأكله السباع وفي ذلك يقول مهلهل بن ربيعة أخو كليب

قتيل ما قتيل المرء عمرو * وجساس بن مرة ذي صريم
أصاب فؤاده بأصم لدن * فلم يعطف هناك على حميم
فان غدا وبعد غد لرهن * لامر مايقام له عظيم
جسيما ما بكيت به كليبا * اذا ذكر الفعال من الجسيم
سأشرب كاسها صرفا وأسقي * بكأس غير منطقة مليم

ولما قتل جساس كليبا انصرف على فرسه يركضه وقد بدت ركبتاه فلما نظر أبوه مرة الى ذلك قال لقد أتاكم جساس بداهية ما رأيته قط بادي الركبتين الى اليوم فلما وقف على أبيه قال مالك يا جساس قال طعنت طعنة يجتمع بنو وائل غدا لها رقصا قال ومن طعنت لامك الثكل قال قتلت كليبا قال أفعلت قال نعم قال بئس والله ما جئت به قومك فقال جساس

تأهب عنك أهبة ذي امتناع * فان الامر جل عن التلاحي
فاني قد جنيت عليك حربا * تغص الشيخ بالماء القراح

فلما سمع أبوه قوله خاف خذلان قومه لما كان من لائمته اياه فقال يجيبه

فان تك قد جنيت علي حربا * تغص الشيخ بالماء القراح
جمعت بها يديك على كليب * فلا وكل ولا رث السلاح
سألبس ثوبها وأذود عني * بها عار المذلة والفضاح

ثم ان مرة دعا قومه الى نصرته فأجابوه وجلوا الاسنة وشحذوا السيوف وقوموا الرماح وتهيؤا للرحلة الى جماعة قومهم وكان همام بن مرة أخو جساس ومهلهل أخو كليب في ذلك الوقت يشربان فبعث جساس الى همام جارية لهم تخبره الخبر فانتهت اليهما وأشارت الى همام فقام اليها فأخبرته فقال له مهلهل ما قالت لك الجارية وكان بينهما عهد أن لا يكتم أحدهما صاحبه شيئا فذكر له ما قالت الجارية وأحب ان يعلمه ذلك في مداعبة وهزل فقال له مهلهل است أخيك أضيق من ذلك فأقبلا على شربهما فقال له مهلهل اشرب فاليوم خمر وغدا أمر فشرب همام وهو حذر خائف فلما سكر مهلهل عاد همام الى أهله فساروا من ساعتهم الى جماعة قومهم وظهر أمر كليب فذهبوا اليه فدفنوه فلما دفن شقت الجيوب وخمشت الوجوه وخرجت الابكار وذات الخدور والعواتق اليه وقمن للمأتم فقال النساء لاخت كليب اخرجي جليلة أخت جساس عنا فان قيامها فيه شماتة وعار علينا وكانت امرأة كليب كما ذكرنا فقالت لها أخت كليب اخرجي عن مأتمنا فانت أخت قاتلنا وشقيقة واترنا فخرجت تجر عطافها فلقيها أبوها مرة فقال لها ما وراءك

يرغبوا الناس فيما في بلدانهم من الجواهر والطيب والآلات فتفرقت المراكب في البلاد ووردوا الممالك لما أمروا به فلم يردوا على أهل مملكة الا وأعجبوا بهم واستظرفوا ما أوردوه من أرضهم فبنت الملوك المطيفة بالبحار المراكب وجهزت نحوهم السفن وحملوا اليهم ما ليس عندهم وكاتبوا ملكهم وكافؤه على ما كان من هداياه اليهم فعمرت بلاد الصين واستقامت له الامور فكان عمره نحوا من مائتي سنة فهلك فجزع عليه أهل مملكته وأقاموا النياحة عليه شهرا ثم فزعوا الى الاكبر من أولاده فصيروه عليهم ملكا فجعل جسد أبيه في تمثال من الذهب وسلك طريقته ومن كان قبله في فعلهم مقتديا بمن مضى من آبائه وكان اسم هذا الملك (تومامان) واستقامت له الامور وأحدث من السنن المحمودة مالم يحدثه أحد من ملوكهم وزعم ان الملك لا يثبت الا بالعدل فان العدل ميزان الرب وان من العدل الزيادة في الاحسان مع الزيادة في العمل وحصن وشرف وتوج ورتب الناس في رتبهم على طرائقهم وخرج يرتاد موضعا للبنى فيه هيكلا فوافى موضعا عامرا

باجليلة فقالت ثكل العدد وحزن الابد وفقد خليل وقتل أخ عن قليل وبين هذين غرس الاحقاد وتفتت الاكباد فقال لها أو يكف ذلك كرم الصفح واغلاء الديات فقالت أمنية مخدوع ورب الكعبة أبالبدن تدع لك تغلب دم ربها ولما رحلت جليلة قالت أخت كليب رحلة المعتدى وفراق الشامت ويل غدا لآل مرة من الكرة بعد الكرة فبلغ قولها جليلة فقالت وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها أسعد الله أختى الا قالت نفرة الحياء وخوف الاعداء ثم أنشأت تقول

يا ابنة الاقوام ان شئت فلا * تعجلى باللوم حتى تسألى
فاذا ما أنت تبينت الذى * يوجب اللوم فلومى واعذلى
ان تكن أخت امرئ ليمت على * شفق منها عليه فافعلى
جل عندى فعل جساس فيا * حسرتا مما انجلت أو تنجلى
فعل جساس على وجدى به * قاطع ظهرى ومدن أجلى
لو بعين فديت عين سوى * أختها فانفقأت لم أحفل
تحمل العين قذى العين كما * تحمل الام أذى ما تفتلى
يا قتيلا قوّض الدهر به * سقف بيتى جميعا من عل
هدم البيت الذى استحدثته * وانثنى فى هدم بيتى الاوّل
ورمانى قتله من كثب * رمية المصمى به المستأصل
يا نسائى دونكن اليوم قد * خصنى الدهر برزء معضل
خصنى قتل كليب بلظى * من ورائى ولظى مستقبل
ليس من يبكى ليوميه كمن * انما يبكى ليوم مقبل
يشتفى المدرك بالثأر وفى * دركى ثأرى ثكل المثكل
ليته كان دما فاحتلبوا * دررا منه دمى من أكحل
اننى قاتلة مقتولة * ولعل الله ان يرتاح لى

وأما مهلهل واسمه عدى وقيل امرؤ القيس وهو خال امرئ القيس بن حجر الكندى وانما لقب مهلهلا لانه أوّل من هلهل الشعر وقصد القصائد وأوّل من كذب فى شعره فانه لما صاح لم يرعه الا النساء يصرخن ألا ان كليبا قتل فقال وهو أوّل شعر قيل فى هذه الحادثة

كنا نغار على العواتق أن ترى * بالامس خارجة عن الاوطان
فخرجن حين ثوى كليب حسرا * مستيقنات بعده بهوان
فترى الكواعب كالظباء عواطلا * اذ حان مصرعه من الاكفان
يخمشن من أدم الوجوه حواسرا * من بعده ويعدن بالازمان
متسلبات نكدهن وقد ورى * أجوافهن بحرقة وروانى
ويقلن من للمستضيق اذا دعا * أم من لخضب عوالى المران
أم لا تسار بالجزور اذا غدا * ريح يقطع معقد الاشطان
أم من لاسباق الديات وجمعها * ولفادحات نوائب الحدثان
كان الذخيرة للزمان فقد أتى * فقدانه وأخل ركن مكانى
يا لهف نفسى من زمان فاجع * ألقى على بكلكل وجران

بالنبات حسن الاغتمام بالنهر تخترقه المياه فخط الهيكل هناك وجلبت له أنواع الاحجار المختلفة الالوان لتشييد الهيكل وجعل على علوه قبة وجعل لها مخارج للهواء متساوية ونصب فيها بيوتا لمن أراد التفرد بالعبادة فلما فرغ منها نصب فى أعلاها تلك التماثيل التى فيها أجسام من سلف من آبائه وأمر بتعظيمها وجمع الخواص من أهل مملكته وأخبرهم ان من رأيه ضم الناس الى ديانة يرجعون اليها لجمع الشمل وتساوى النظام فانه متى عدم الملك الشريعة لم يؤمن عليه الخلل ودخول الفساد والزلل فرتب لهم سياسة شرعية وفرائض عقلية وجعلها لهم رباطا ورتب لهم قصاصا فى الانفس والاعضاء ومستحلات مناكح يستباح بها النسوان وتصح بها الانساب وجعلها مراتب فمنها لوازم موجبة يحرجون من تركها ومنها نوافل يتنفلون بها وأوجب عليهم صلوات لخالقهم تقربا للمعبود هم منها ايماء لا ركوع فيها ولا سجود فى أوقات من الليل والنهار معلومة ومنها ركوع وسجود فى أوقات من السنين فى شهور محدودة ورسم لهم أعيادا وجعل على الزناة

بمصيبة لا تستقال جليلة * غلبت عزاء القوم والنسوان

هدّت حصونا كن قبل ملاوذا * لذوي الكهول معا والشبان

أضحت وأضحى سورها من بعده * متهدم الاركان والبنيان

فابكين سيد قومه واندبنه * شدت عليه قباطي الاكفان

وابكين للايتام لما أقحطوا * وابكين عند تخاذل الجيران

وابكين مصرع جيده متزملا * بدمائه فلذا الذي أبكاني

فلأتركن به قبائل تغلب * قتلى بكل قرارة ومكان

قتلى تعاورها النسور أكفها * ينهشنها وحواجل الغربان

ثم انطلق الى المكان الذى قتل فيه كليب فرأى دمه وأتى قبره فوقف عليه ثم قال

ان تحت التراب حزما وعزما * وخصيما ألد ذا معلاق

حية في الوجار أربد لا ينـ * ـفع منه السليم نفث الراقي

ثم جز شعره وقصر ثوبه وهجر النساء وترك الغزل وحرم القمار والشراب وجمع اليه قومه وأرسل رجالا منهم الى بني شيبان فأتوا امرة بن ذهل بن شيبان وهو في نادي قومه فقالوا له انكم أتيتم عظيما بقتلكم كليبا بناقة وقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمة وانا نعرض عليك خلالا اربعا لكم فيها مخرج ولنا فيها مقنع اما ان تحيي لنا كليبا أو تدفع الينا قاتله جساسا فنقتله به او هماما فانه كفء له أو تمكننا من نفسك فان فيك وفاء لدمه فقال لهم اما احيائي كليبا فلست قادرا عليه واما دفعي جساسا اليكم فانه غلام طعن طعنة على عجل وركب فرسه فلا أدري أي بلاد قصد واما همام فانه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومهم فلن يسلموه بجريرة غيره وأما أنا فما هو الا أن تجول الخيل جولة فأكون أول قتيل فما أتعجل الموت ولكن لكم عندي خصلتان أما احداهما فهؤلاء أبنائي الباقون فخذوا أيهم شئتم فاقتلوه بصاحبكم وأما الاخرى فاني أدفع اليكم ألف ناقة سود الحدق حمر الوبر فغضب القوم وقالوا اذا اسأت ببذل هؤلاء وتسومنا اللبن من دم كليب ونشبت الحرب بينهم ولحقت جليلة زوجة كليب بابيها وقومها واعتزلت قبائل بكر الحرب وكرهوا مساعدة بني شيبان على القتال وأعظموا قتل كليب فتحولت لجيم ويشكر وكف الحرث بن عباد عن نصرهم ومعه أهل بيته وقال مهلهل عدة قصائد يرثي كليبا منها

كليب لا خير في الدنيا ومن فيها * اذ أنت خليتها فيمن يخليها

كليب أي فتى عز ومكرمة * تحت السقائف اذ يعلوك سافيها

نعى النعاة كليبا لي فقلت لهم * مالت بنا الارض أو زالت رواسيها

الحزم والعزم كانا من صنيعته * ما كل آلائه يا قوم أحصيها

القائد الخيل تردي في أعنتها * رهوا اذا الخيل لجت في تعاديها

من خيل تغلب ما تلقى اسنتها * الا وقد خضبوها من أعاديها

يهزهزون من الخطي مدمجة * صما أنابيبها زرقا عواليها

ليت السماء على من تحتها وقعت * وانشقت الارض فانجابت بمن فيها

لا أصلح الله منا من يصالحكم * ما لاحت الشمس في أعلى مجاريها

فالتقوا أول قتال كان بينهم في قول يوم عنيزة وهي عند فلج وكانا على السواء فقال مهلهل

كأنا غدوة وبني أبينا * بجنب عنيزة رحيا مدير

ولولا

منهم حدا وعلى من أراد من نسائهم البغاء جزية مفروضة وأن لا يستحسن النكاح في وقت من الاوقات وان أقامت عما كن عليه تكف الجزية عنهن وما يكون من أولادهن ذكورا يكون للملك عبيدا وجندا وما يكون من أولادهن اناثا فلامهاتهن ويلحقن بصنعتهن وأمرهم بقرابين للهياكل وذخر وأبخرة للكواكب وجعل لكل كوكب منها وقتا يتقرب اليه فيه بذخر معلوم من أنواع الطيب والعقاقير واحكم لهم جميع الامور واستقامت أيامه وكثر النسل فكانت حياته نحوا من مائة وخمسين سنة وهلك فجزعوا عليه جزعا شديدا فجعلوه في تمثال من الذهب الاحمر ورصعوه بأنواع الجواهر وبنوا له هيكلا عظيما وجعلوا اسقفه سبعة ألوان من الجوهر على أنواع الكواكب السبعة من النيرين والخمسة بألوانها واشكالها وجعلوا يوم وفاته صلوات وعيدا يجتمعون فيه عند ذلك الهيكل وصوروا صورته على أبواب المدينة وعلى الدنانير والفلوس وعلى الثياب وأكثر أموالهم الفلوس الصفر والنحاس فاستقرت هذه المدينة بدار ملك الصين وهي مدينة انغوا وبينها وبين البحر نحو من

ولولا الريح أسمع أهل حجر * صليل البيض تقرع بالذكور

فتفرقوا ثم تقوا زمانا ثم انهم التقوا بماء يقال له النهى كانت بنو شيبان نازلة عليه ويروى انها أول وقعة كانت بينهم وكان رئيس تغلب مهلهل ورئيس شيبان الحرث بن مرة وكانت الدائرة لبنى تغلب وكانت الشوكة فى بنى شيبان واستحر القتال فيهم الا انه لم يقتل ذلك اليوم أحد من بنى مرة ثم التقوا بالذنائب وهى أعظم وقعة كانت لهم فظفرت بنو تغلب وقتلت بكرا مقتلة عظيمة وقتل فيها شراحيل بن مرة بن همام بن ذهل بن شيبان وهو جد الحوفزان وجد معن بن زائدة وقتل الحرث بن مرة بن ذهل بن شيبان وقتل من بنى ذهل بن ثعلبة عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل وغيرهم من رؤساء بكر ثم التقوا يوم واردات فاقتتلوا قتالا شديدا فظفرت تغلب أيضا وكثر القتل فى بكر فقتل همام بن مرة بن ذهل بن شيبان أخو جساس لابيه وأمه فمر مهلهل فلما رآه قتيلا قال والله ماقتل بعد كليب أعز على منك وتالله لاتجتمع بكر بعدكما على خير أبدا وقيل انما قتل يوم القصيبات وقيل يوم قضة قتله ناشرة وكان همام قد التقطه ورباه وسماه ناشرة وكان عنده فلما شب علم انه تغلبى فلما كان هذا اليوم جعل همام يقاتل فاذا عطش جاء الى قربة له يشرب منها فتغفله ناشرة فقتله ولحق بقومه تغلب وكاد جساس يؤخذ فسلم فقال مهلهل

لو ان خيلى أدركتك وجدتهم * مثل الليوث بسترغب عرين

(ويقول فيها)

ولأوردن الخيل بطن اراكة * ولاقضين بفعل ذاك ديونى

ولاقتلن جحاجحا من بكركم * ولابكين بها جفون عيون

حتى تظل الحاملات مخافة * من وقعنا يقذفن كل جنين

وقيل فى ترتيب الايام غير ماذكرنا وسنذكره ان شاء الله تعالى وكان ابو نويرة التغلبى وغيره طلائع قومه وكان جساس وغيره طلائع قومهم والتقى بعض الليالى جساس وابو نويرة فقال له أبو نويرة اختر اما الصراع أو الطعان أو المسايفة فاختار جساس الصراع فاصطرعا وابطأ كل واحد منهما على أصحاب حيه وطلبوهما فأصابوهما وهما يصطرعان وقد كاد جساس يصرعه ففرقوا بينهما وجعلت تغلب تطلب جساسا أشد الطلب فقال له أبوه مرة الحق باخوالك بالشام فامتنع فألح عليه أبوه فسيره سرا فى خمسة نفر وبلغ الخبر الى مهلهل فندب أبا نويرة ومعه ثلاثون رجلا من شجعان أصحابه فسار واجدين فادركوا جساسا فقاتلهم فقتل أبو نويرة وأصحابه ولم يبق منهم غير رجلين وجرح جساس جرحا شديدا مات منه وقتل أصحابه فلم يسلم غير رجلين أيضا فعاد كل واحد من السالمين الى أصحابه فلما سمع مرة قتل ابنه جساس قال انما يحزننى ان كان لم يقتل منهم أحدا فقيل له انه قتل بيده أبا نويرة رئيس القوم وقتل معه خمسة عشر رجلا ماشركه منا أحد فى قتلهم وقتلنا نحن الباقين فقال ذلك مما يسكن قلبى عن جساس وقيل ان جساسا آخر من قتل فى حرب بكر وتغلب وكان سبب قتله ان أخته جليلة كانت تحت كليب وائل فلما قتل كليب عادت الى أبيها وهى حامل ووقعت الحرب وكان من الفريقين ما كان ثم عادوا الى الموادعة بعدما كادت العشيرتان تتفانى فولدت أخت جساس غلاما فسمته هجرسا ورباه جساس وكان لايعرف ابا غيره فزوجه ابنته فوقع بين هجرس وبين رجل من بكر كلام فقال له البكرى ما أنت بمنته حتى نلحقك بأبيك فامسك عنه ودخل الى أمه كئيبا حزينا فاخبرها الخبر فلما نام الى جنب امرأته رأت من همه وفكره ما انكرته فقصت على أبيها جساس قصته فقال ثائر ورب الكعبة وبات على مثل

ثلاثة أشهر وأكثر من ذلك على حسب ماقدمنا أيضا ولهم مدينة عظيمة بحرها يلى من أرضهم مغرب الشمس يقال لها مدو تلى بلاد التبت والحرب بين بلاد التبت وأهل المدحال فلم تزل الملوك من طرأ بعد هذا الملك أمورهم منتظمة وأحوالهم مستقيمة والخصب والعدل لهم شامل والجور فى بلادهم معدوم يقتدون بما نصبه لهم من الشرع من قدمنا ذكرهم وحروبهم على عدوهم قائمة وثغورهم مشحونة والرزق على الجنود دار والتجار يختلفون اليهم فى البر والبحر من كل بلد بانواع الجهاز ودينهم دين من سلف وهى ملة تدعى السمنية عباداتهم نحو من عبادات قريش قبل مجىء الاسلام يعبدون الصور ويتوجهون نحوها بالصلوات واللبيب منهم يقصد بصلاته الخالق ويقيم التماثيل من الاصنام والصور مقام قبلة والجاهل منهم ومن لاعلم له يشرك الاصنام بالهية الخالق ويعتقدهما جميعا وان عباداتهم الاصنام تقربهم الى الله زلفى وان منزلتهم فى العبادة تنقص عن عبادة البارئ لجلالته وعظمته وسلطانه وان عباداتهم لهذه الاصنام طاعة له ووسيلة اليه وهذا الدين

الرضف حتى أصبح فاحضر الهجرس فقال له انما أنت ولدى وأنت منى بالمكان الذى تعلم وزوجتك ابنتى وقد كانت الحرب فى أبيك زمانا طويلا وقد اصطلحنا وتحاجزنا وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح وان تنطلق معى حتى نأخذ عليك مثل ما أخذ علينا فقال الهجرس أنا فاعل فحمله جساس على فرس فركبه ولبس لامته وقال مثلى لا يأتى اهله بغير سلاحه فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس القصة وأعلمهم ان الهجرس يدخل فى الذى دخل فيه جماعتهم وقد حضر ليعقد ما عقدتم فلما قربوا الدم وقاموا الى العقد أخذ الهجرس بوسط رمحه ثم قال وفرسى وأذنيه ورمحى ونصليه وسيفى وغراريه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ولحق بقومه وكان آخر قتيل فى بكر والاول أكثر ونرجع الى سياقة الحديث فلما قتل جساس أرسل أبوه مرة الى مهلهل انك قد أدركت ثارك وقتلت جساسا فاكنف عن الحرب ودع اللجاج والاسراف وأصلح ذات البين فهو أصلح للحيين وانكا لعدوهم فلم يجب الى ذلك وكان الحرث بن عباد قد اعتزل الحرب فلم يشهدها فلما قتل جساس وهمام ابنا مرة حمل ابنه بجيرا وهو ابن عمرو بن عباد أخى الحرث بن عباد فلما حمله على الناقة كتب معه الى مهلهل انك قد أسرفت فى القتل وأدركت ثارك سوى ما قتلت من بكر وقد أرسلت ابنى اليك فاما قتلته باخيك وأصلحت بين الحيين وأما أطلقته وأصلحت ذات البين فقد مضى من الحيين فى هذه الحروب من كان بقاؤه خيرا لنا ولكم فلما وقف على كتابه أخذ بجيرا فقتله وقال بؤ بشسع نعل كليب فلما سمع ابوه بقتله ظن انه قد قتله باخيه ليصلح بين الحيين فقال نعم القتيل قتيلا أصلح من ابنى وائل فقيل انه قال بؤ بشسع نعل كليب فغضب عند ذلك الحرث بن عباد وقال

قربا مربط النعامة منى * لقحت حرب وائل عن حيال

قربا مربط النعامة منى * شاب رأسى وانكرتنى رجالى

لم أكن من جناتها علم الله وانى بحرها اليوم صالى

فاتوه بفرسه النعامة ولم يكن فى زمانها مثلها فركبها وولى أمر بكر وشهد حربهم وكان أول يوم شهده يوم قضة وهو يوم تحلاق اللمم وانما قيل له تحلاق اللمم لان بكرا حلقوا رؤسهم ليعرف بعضهم بعضا الا جحدر بن ضبيعة بن قيس ابو المسامعة فقال لهم انا قصير فلا تشينونى وانا اشترى لمتى منكم باول فارس يطلع عليكم فطلع ابن عناق فشد عليه فقتله وكان يرتجز ذلك اليوم ويقول

ردوا على الخيل ان ألمت * ان لم اقاتلهم فجزوا لمتى

وقاتل يومئذ الحرث بن عباد قتالا شديدا فقتل فى تغلب مقتلة عظيمة وفيه يقول طرفة

سائلوا عنا الذى يعرفنا * بقوانا يوم تحلاق اللمم

يوم تبدى البيض عن اسوقها * وتلف الخيل افواج النعم

وفى هذا اليوم أسر الحرث بن عباد مهلهلا واسمه عدى وهو لا يعرفه فقال له دلنى على عدى وأنا اخلى عنك فقال له المهلهل عليك عهد الله بذلك ان دللتك عليه قال نعم قال فانا عدى فجز ناصيته وتركه وقال فى ذلك

لهف نفسى على عدى ولم أعرف عديا اذا امكنتنى اليدان

وكانت الايام التى اشتدت فيها الحرب بين الطائفتين خمسة أيام يوم عنيزة تكافؤا فيه وتناصفوا ثم اليوم الثانى يوم واردات كان لتغلب على بكر ثم اليوم الثالث الحنو كان لبكر على تغلب ثم اليوم الرابع يوم القصيبات أصيب بكر حتى ظنوا أنهم لن يستقيلوا ثم اليوم الخامس يوم قضة وهو يوم

كان بدء ظهوره فى خواصهم من الهند لمجاورتهم اياهم وهو رأى الهند فى العالم والجاهل على حسب ما ذكرنا فى أهل الصين ولهم آراء ونحل حدثت عن مذاهب الثنوية وأهل الدهر فتغيرت أحوالهم وبحثوا وتناظروا الا انهم ينقادون فى جميع أحكامهم الى ما نصب لهم من الشرائع المتقدمة ومن حيث ان ملكهم متصل بملك الطغرغر على حسب ما تقدم صاروا على آرائهم من اعتقادهم مذاهب المانية والقول بالنور والظلمة وقد كانوا جاهلية سبيلهم فى الاعتقاد سبيل أنواع الترك الى ان وقع لهم شيطان من شياطين المانية فزخرف لهم كلاما يريهم فيه تضاد ما فى هذا العالم وتباينه من موت وحياة وصحة وسقم وضياء وظلام وغنى وفقر واجتماع وافتراق واتصال وانفصال وشروق وغروب ووجود وعدم وليل ونهار وغير ذلك من سائر المتضادات وذكر لهم أنواع الآلام المعترضة لاجناس الحيوان من الناطقين وغيرهم مما ليس بناطق من البهائم وما يعرض للاطفال والبله والمجانين وأن البارئ جل وعز غنى عن ايلامهم وأراهم ان هنالك ضدا شديدا

الثانى وشهده الحرث بن عباد ثم كان بعد ذلك أيام دون هذه منها يوم النقية ويوم الفصيل لبكر على تغلب ثم لم يكن بينهما مزاحفة انما كان مغاورات ودامت الحرب بينهما أربعين سنة ثم ان مهلهلا قال لقومه قد رأيت ان تبقوا على قومكم فانهم يحبون صلاحكم وقد أتت على حربكم أربعون سنة وما لمتكم على ما كان من طلبكم بوتركم فلو مرت هذه السنون في رفاهية عيش لكانت تمل من طولها فكيف وقد فنى الحيان وثكلت الامهات ويتم الاولاد ونائحة لا تزال تصرخ في النواحي ودموع لا ترقأ وأجساد لا تدفن وسيوف مشهورة ورماح مشرعة وان القوم سيرجعون اليكم غدا بودّتهم ومواصلتهم وتتعطف الارحام حتى تتواسوا في قتال القتل فكان كما قال ثم قال مهلهل اما أنا فما تطيب نفسي ان أقيم فيكم ولا أستطيع ان أنظر الى قاتل كليب وأخاف ان أحملكم على الاستئصال وأنا سائر الى اليمن وفارقهم وسار الى اليمن ونزل في جنب وهي حي من مذحج فخطبوا اليه ابنته فمنعهم فأجبروه على تزويجها وساقوا اليه صداقها جلودا من ادم فقال في ذلك

أعزز على تغلب بما لقيت * أخت بني الاكرمين من جشم
انكحها فقدها الاراقم في * جنب وكان الحباء من أدم
لو بأبانين جاء يخطبها * ضرج ما انف خاطب بدم

الاراقم بطن من جشم بن تغلب يعني حيث فقدت الاراقم وهم عشيرتها تزوجها رجل من جنب بادم ثم ان مهلهلا عاد الى ديار قومه فأخذه عمرو بن مالك بن ضبيعة البكري أسيرا بنواحي هجر فأحسن اساره فمر عليه تاجر يبيع الخمر قدم بها من هجر وكان صديقا لمهلهل فاهدى اليه وهو أسير زقا من خمر فاجتمع اليه بنو مالك فنحروا عنده بكرا وشربوا عند مهلهل في بيته الذي أفرد له عمرو فلما اخذ فيهم الشراب تغنى مهلهل بما كان يقوله من الشعر وينوح به على أخيه كليب فسمع ذلك عمرو فقال انه لريان والله لا يشرب عندي ماء حتى يرد زبيب وهو فحل كان له لا يرد الا خمسا في حمارة القيظ فطلب بنو مالك زبيبا وهم حراص على ان لا يهلك مهلهل فلم يقدروا عليه حتى مات مهلهل عطشا وقيل ان ابنة خال مهلهل وهي ابنة المجلل التغلبي كانت امرأة عمرو وأرادت ان تأتي مهلهلا وهو أسير فقال يذكرها

طفلة ما ابنة المجلل بيضا * ء لعوب لذيذة في العناق
فاذهبي ما اليك غير بعيد * لا يؤاتي العناق من في الوثاق
ضربت صدرها الي وقالت * يا عديا لقد وقتك الاواقي

وهي أبيات ذوات عدد فنقل شعره الى عمرو بن مالك فحلف عمرو أن لا يسقيه الماء حتى يرد زبيب فسأله الناس ان يورد زبيبا قبل وروده ففعل وأورده وسقاه حتى يتحلل من يمينه ثم انه سقى مهلهلا من ماء هناك هو أوخم المياه فمات مهلهل (عباد بضم العين وفتح الباء الموحدة وتخفيفها)

(ذكر الحرب بين الحرث الاعرج وبني تغلب)

قال أبو عبيدة ان بكرا وتغلب ابني وائل اجتمعت للمنذر بن ماء السماء وذلك بعد حربهم وكان الذي أصلح بينهم قيس بن شراحيل بن مرة بن همام فغزا بهم المنذر بني آكل المرار وجعل على بني بكر وتغلب ابنه عمرو بن هند وقال أغز أخوالك فغزاهم فاقتتلوا فانهزم بنو آكل المرار وأسروا وجاؤا بهم الى المنذر فقتلهم ثم انتقضت تغلب على المنذر ولحقت بالشام ونحن نذكر سبب ذلك في أخبار شيبان ان شاء الله وعادت الحرب بينهم وبين بكر فخرج ملك غسان بالشام وهو الحرث بن أبي شمر الغساني فمر بأفاريق من تغلب فلم يستقبلوه وركب عمرو بن كلثوم التغلبي فلقيه فقال له ما منع

دخل على الحبر الفاضل في فعله وهو الله عز وجل فاجتنب بما وصفنا وغيره من الشبه عقولهم فدانوا بما وصفنا فان كان ملك الصين ينتمي لمذهب ذبح الحيوان كانت الحرب بينه وبين صاحب الترك ابرخان سجالا واذا كان ملك الصين متمانيا في المذهب كان الامر بينهم بتنافي الملل مشاعا وملوك الصين ذو آراء ونحل الا انهم مع اختلاف أديانهم غير خارجين عن قضية العقل والحق في نصب القضاة والحكام وانقياد الخواص والعوام الى ذلك وأهل الصين شعوب وقبائل كقبائل العرب وأفخاذها وتشعبها في انسابها ولهم مراعاة لذلك وحفظ له وينسب الرجل الى خمسين أبا الى ان يتصل بعابور وأكثر من ذلك وأقل ولا يتزوج أهل كل فخذ الا من فخذهم مثال ذلك ان يكون الرجل من مضر فلا يتزوج في ربيعة أو من ربيعة فلا يتزوج في مضر أو من كهلان فلا يتزوج في حمير أو من حمير فلا يتزوج من كهلان ويزعمون ان في ذلك صحة النسل وقوام البنية وانه أصح للبقاء وأتم للعمر وأسبابا يذكرونها نحو ما ذكرنا فلم تزل أمور

قومك ان يتلقونى فقال لم يعلوا بعيرورك فقال لئن رجعت لاغزونهم غزوة تتركهم ايقاظا لقدومى فقال عمرو ما استيقظ قوم قط الا نبل رأيهم وعزت جماعتهم فلا توقظن نائمهم فقال كانك تتوعدنى بهم أما والله لتعلمن اذا نالت غطاريف غسان الخيل فى دياركم ان ايقاظ قومك سينامون نومة لا حلم فيها تجتث أصولهم وينفى فلهم الى اليابس الجدد والنازح الثمد ثم رجع عمرو بن كلثوم عنه وجمع قومه وقال

الا فاعلم ابيت اللعن أنا * ابيت اللعن ناد ما تريد
تعلم ان محملنا ثقيل * وان دبار كبتنا شديد
وانا ليس حى من معد * يقاومنا اذا لبس الحديد

فلما عاد الحرث الاعرج فغزا بنى تغلب فاقتتلوا واشتد القتال بينهم ثم انهزم الحرث وبنو غسان وقتل أخو الحرث فى عدد كثير فقال عمرو بن كلثوم

هلا عطفت على أخيك اذا دعا * بالثكل ويل أبيك يا ابن ابى شمر
فذق الذى جشمت نفسك واعترف * فيها أخاك وعامر بن أبى حجر

(يوم عين اباغ)

وهو بين المنذر بن ماء السماء وبين الحرث الاعرج بن أبى شمر جبلة وقيل أبو شمر عمرو بن جبلة بن الحرث بن حجر بن النعمان بن الحرث الايهم بن الحرث بن مارية الغسانى وقيل فى نسبه غير هذا وقيل هو آزدى تغلب على غسان والاول أكثر وأصح وهو الذى طلب أدراع امرئ القيس من السموأل بن عادياء وقتل ابنه وقيل غيره والله أعلم وسبب ذلك ان المنذر بن ماء السماء ملك العرب سار من الحيرة فى معد كلها حتى نزل بعين أباغ بذات الخيار وأرسل الى الحرث الاعرج بن جبلة ابن الحرث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو مزيقياء بن عامر الغسانى ملك العرب بالشام اما ان تعطينى الفدية فأنصرف عنك بجنودى واما ان تأذن بحرب فارسل اليه الحرث أنظرنا ننظر فى أمرنا فجمع عساكره وسار نحو المنذر وأرسل اليه يقول له انا شيخان فلا تهلك جنودى وجنودك ولكن يخرج رجل من ولدى ويخرج رجل من ولدك فمن قتل خرج عوضه آخر واذا فنى أولادنا خرجت أنا اليك فمن قتل صاحبه ذهب بالملك فتعاهدا على ذلك فعمد المنذر الى رجل من شجعان أصحابه فأمره ان يخرج فيقف بين الصفين ويظهر أنه ابن المنذر فلما خرج أخرج اليه الحرث ابنه أبا كرب فلما رآه رجع الى أبيه وقال ان هذا ليس بابن المنذر انما هو عبده أو بعض شجعان أصحابه فقال يا بنى أجزعت من الموت ما كان الشيخ ليغدر فعاد اليه وقاتله فقتله الفارس وألقى رأسه بين يدى المنذر وعاد فأمر الحرث ابنا له آخر بقتاله والطلب بثأر أخيه فخرج اليه فلما واقفه رجع الى أبيه وقال يا أبت هذا والله عبد المنذر فقال يا بنى ما كان الشيخ ليغدر فعاد اليه فشد عليه فقتله فلما رأى ذلك شمر بن عمرو الحنفى وكانت أمه غسانية وهو مع المنذر فقال أيها الملك ان الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام وقد غدرت بابن عمك دفعتين فغضب المنذر وأمر باخراجه فلحق بعسكر الحرث فاخبره فقال له سل حاجتك فقال له حلتك وخلتك فلما كان الغد عبى الحرث أصحابه وحرضهم وكان فى أربعين ألفا واصطفوا للقتال فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل المنذر وهزمت جيوشه فأمر الحرث بابنيه القتيلين فحملا على بعير بمنزلة العدلين وجعل المنذر فوقهما فردا وقال يالعلاوة دون العدلين فذهبت مثلا وسار الى الحيرة فانهبها وأحرقها ودفن ابنيه بها وبنى الغريين عليهما فى قول بعضهم وفى ذلك اليوم يقول ابن الرعلاء الضبابى

الصين مستقيمة فى العدل على حسب ما جرى به الامر فيما سلف من ملوكهم الى سنة أربع وستين ومائتين فانه حدث فى الملك أمر زال به النظام وانتقضت به الاحكام والشرائع ومنع من الجهاد الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وهو ان نابغا نبغ فيهم من غير بيت الملك كان فى بعض مدائن الصين يقال له (ياسر) وكان شريرا يطلب الفتوة ويجتمع اليه أهل الدعارة والشر فلحق الملك وأرباب التدبير غفلة عنه لخمول ذكره وكثر عتوه وقويت شوكته وقطع أهل الشر المسافات نحوه وعظم جيشه فسار من موضعه وشن الغارات على العمائر حتى نزل مدينة عاصور وهى مدينة عظيمة على نهر عظيم أكبر من دجلة يصب الى بحر الصين وبين هذه المدينة وبين البحر مسيرة ستة أيام أو سبعة يدخل هذا النهر سفن التجار الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الزابج والصنف وغيرها من الممالك بالامتعة والجهاز وتقرب الى مدينة خانقو وفيها خلائق من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس وغير ذلك

كم تركنا بالعين عين اباغ * من ملوك وسوقة أكفاء
امطرتهم سحائب الموت تترى * ان في الموت راحة الاشقياء
ليس من مات فاستراح بميت * انما الميت ميت الاحياء

﴿يوم مرج حليمة وقتل المنذر بن المنذر بن ماء السماء﴾

لما قتل المنذر بن ماء السماء على ماتقدم ملك بعده ابنه المنذر وتلقب الاسود فلما استقر وثبت قدمه جمع عساكره وسار الى الحرث الاعرج طالبا بثار أبيه عنده وبعث اليه انى قد أعددت لك الكهول على الفحول فاجابه الحرث قد أعددت لك المرد على الجرد فسار المنذر حتى نزل بمرج حليمة فتركه من به من غسان للاسود وانما سمى مرج حليمة بحليمة ابنة الحرث الغسانى وسنذكر خبرها عند الفراغ من هذا اليوم ثم ان الحرث سار فنزل بالمرج أيضا فامر أهل القرى التى فى المرج ان يصنعوا الطعام لعسكره ففعلوا ذلك وحملوه فى الجفان وتركوه فى العسكر فكان الرجل يقاتل فاذا أراد الطعام جاء الى تلك الجفان فأكل منها فاقامت الحرب بين الاسود والحرث أياما ينتصف بعضهم من بعض فلما رأى الحرث ذلك قعد فى قصره ودعا ابنته هندا وأمرها فاتخذت طيبا كثيرا فى الجفان وطيبت به أصحابه ثم نادى يافتيان غسان من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتى هندا فقال لبيد بن عمرو الغسانى لابيه ياأبت أنا قاتل ملك الحيرة اومقتول دونه لامحالة ولست أرضى فرسى فاعطنى فرسك الزيتية فاعطاه فرسه فلما زحف الناس واقتتلوا ساعة شد لبيد على الاسود فضربه ضربة فالقاه عن فرسه وانهزم أصحابه فى كل وجه ونزل فاحتز رأسه وأقبل به الى الحرث وهو على قصره ينظر اليهم فالقى الرأس بين يديه فقال له الحرث شأنك بابنة عمك فقد زوجتكها فقال بل أنصرف فاواسى أصحابى بنفسى فاذا انصرف الناس انصرفت فرجع فصادف أخا الاسود قد رجع اليه الناس وهو يقاتل وقد اشتدت نكايته فتقدم لبيد فقاتل فقتل ولم يقتل فى هذه الحروب بعد تلك الهزيمة غيره وانهزمت لخم هزيمة ثانية وقتلوا فى كل وجه وانصرفت غسان باحسن ظفر وذكر ان الغبار فى هذا اليوم اشتد وكثر حتى ستر الشمس وحتى ظهرت الكواكب المتباعدة عن مطالع الشمس لكثرة العساكر لان الاسود سار بعرب العراق أجمع وسار الحرث بعرب الشام أجمع وهذا اليوم من أشهر أيام العرب وقد فخر به بعض شعراء غسان فقال

يوم وادى حليمة وازدلفنا * بالعناجيج والرماح الظماء
اذ شحنا أكفنا من رقاق * رق من وقعها سنا السحناء
وأتت هند بالخلوق الى من * كان ذا نجدة وفضل غناء
ونصبنا الجفان فى ساحة المر * ج فلنا الى جفان ملاء

وقيل فى قتله غير ماتقدم ونحن نذكره قال بعض العلماء وكان سببه أن الحرث بن ابى شمر جبلة بن الحرث الاعرج الغسانى خطب الى المنذر بن المنذر اللخمى ابنته وقصد انقطاع الحرب بين لخم وغسان فزوجه المنذر ابنته هندا وكانت لاتريد الرجال فصنعت بجلدها اشبه بالبرص وقالت لابيها أنا على هذه الحالة وتهديني لملك غسان فندم على تزويجها فامسكها ثم ان الحرث أرسل يطلبها فمنعها ابوها واعتل عليه ثم ان المنذر خرج غازيا فبعث الحرث بن أبى شمر جيشا الى الحيرة فانتهبها وأحرقها فانصرف المنذر من غزاته لما بلغه من الخبر فسار يريد غسان وبلغ الخبر الحرث فجمع أصحابه وقومه فسار بهم فتوافقوا بعين أباغ فاصطفوا للقتال فاقتتلوا واشتد الامر بين الطائفتين فحملت ميمنة المنذر على ميسرة الحرث وفيها ابنه فقتلوه وانهزمت الميسرة وحملت ميمنة الحرث

من أهل الصين فقصد هذا العدو الى هذه المدينة فحاصرها وأتته جيوش الملك فهزمها واستباح مافيها فكثرت جنوده وافتتح مدينة خانقو عنوة وقتل من اهلها خلقا لايحصون كثرة وأحصى من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس من قتل وغرق خوف السيف فكان مائتى ألف وانما أحصى ماذكرناه من هذا العدد لان ملوك الصين تحصى من فى مملكتها من رعيتها وكذا من جاورها من الامم ليصير ذمة لها فى دواوين لها بكتاب قد وكلوا باحصاء ذلك لما يراعون من حياطة من شمله ملكهم وقطع هذا العدو ماكان حول مدينة خانقو من غابات شجر التوت اذ كان يحتفظ به لما يكون من ورقه وما يطعم منه لدود القز الذى يغزل به الحرير فكان ذهاب الشجر داعيا الى انقطاع الحرير الصينى وجهازه الى ديار الاسلام وسار (باسر) بجيوشه الى بلد بلد فافتتحه وانضاف اليه أمم من الناس ممن يطلب الشر والنهب وغيرهم ممن يخاف على نفسه وقصد نحو مدينة خزران وهى دار الملك فتحصن بها فى مائتى ألف ممن بقى معه من خواصه والتقى هو

على ميسرة المنذر فانهزم من بها وقتل مقدمها فروة بن مسعود بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان وجاءت غسان من القلب على المنذر فقتلوه وانهزم أصحابه في كل وجه فقتل منهم بشر كثير وأسر خلق كثير منهم من بني تميم ثم من بني حنظلة مائة أسير منهم شأس بن عبدة فوفد أخوه علقمة ابن عبدة الشاعر على الحرث يطلب اليه ان يطلق أخاه ومدحه بقصيدته المشهورة التي أولها

طحا بك قلب في الحسان طروب * بعيد الشباب عصر حان مشيب
تكلفني ليلى وقد شط أهلها * وعادت عواد بيننا وخطوب

(يقول فيها)

فان تسألوني بالنساء فانني * بصير بأدواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له في ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث وجدنه * وشرخ الشباب عندهن عجيب
وخالد من غسان أهل حفاظها * وهند وناس ماصنعت بشيب
تخشخش أبدان الحديد عليهم * كما خشخشت يبس الحصاد جنوب
فلم ينج الا شطبة بلجامها * والا طمر كالقناة نجيب
والا كمي ذو حفاظ كأنه * بما ابتل من حد الظبات خضيب
وفي كل حي قد خبطت بنعمة * فحق لشأس من نداك ذنوب
فلا تحرمني نائلا عن جناية * فاني امرؤ وسط القباب غريب

فلما بلغ الى قوله فحق لشأس من نداك ذنوب قال الملك اي والله وأذنبة ثم اطلق شأسا وقال له ان شئت الحباء وان شئت اسراء قومك وقال لجلسائه ان اختار الحباء على قومه فلا خير فيه فقال أيها الملك ما كنت لاختار على قومي شيأ فاطلق له الاسرى من تميم وكساه وحباه وفعل ذلك بالاسرى جميعهم وزودهم زادا كثيرا فلما بلغوا بلادهم اعطوا جميع ذلك لشأس وقالوا أنت كنت السبب في اطلاقنا فاستعن بهذا على دهرك فحصل له مال كثير من ابل وكسوة وغير ذلك (عبدة بفتح العين والباء الموحدة) وقيل في قتله انه جمع عسكرا ضخما وسار حتى نزل الشام وسار ملك الشام وهو عند الاكثر الحرث بن أبي شمر فنزل مرج حليمة وهو ينسب الى حليمة بنت الملك ونزل الملك اللخمي في مرج الصفر فسير الحرث فارسين طليعة أحدهما فارس خصاف وكانت فرسه تجري على ثلاث فلا تلحق فسارا حتى خالطا القوم وقربا من الملك وامامه شمعة فقتلا حاملها ففزع القوم فاضطربوا باسيافهم فقتل بعضهم بعضا حتى أصبحوا وأتاهم رسل الحرث ملك غسان يبذل الصلح والاتاوة وقال اني باعث رؤس القبائل لتقرير الحال وندب أصحابه فانتدب له مائة غلام وقيل ثمانون غلاما قلدهم السلاح وأمر ابنته حليمة ان تطيبهم وتلبسهم ففعلت فلما مر بها لبيد ابن عمرو فارس الزبتية قبلها فاتت أباها باكية فقال هو أسد القوم ولئن سلم لانكحنه اياك وأمره على القوم وساروا فلما قاربوا العسكر العراقي جمع الملك رؤس أصحابه وجاءت الغسانيون وعليهم السلاح قد لبسوا فوقها الثياب والبرانس فلما تتاموا عند الملك أبدوا السلاح فقتلوا من وجدوا وقتل لبيد بن عمرو ملك العراقيين وأحيط بالغسانيين فقتلوا الا لبيد بن عمرو فان فرسه لم تبرح فاستوى عليها وعاد فاخبر الملك فقال له قد انكحتك ابنتي حليمة فقال لا يتحدث الناس اني فل مائة ثم عاد الى القوم فقاتل فقتل وتفقد أهل العراق أشرافهم واذا بهم قد قتلوا فضعفت نفوسهم لذلك وزحفت اليهم غسان فانهزموا قلت قد اختلف النسابون وأهل السير في مدة الايام وتقديم بعضها

على

ويأسر وكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من شهر وصبر الفريقان جميعا ثم كانت على الملك فولى منهزما وأمعن الخارجي في طلبه فانحاز الملك الى مدينة في أطراف أرضه واستولى الخارجي على الحوزة واحتوى على ديار الملك وملك خزائن الملوك السالفة وما أعدوه للنوائب وشن الغارات في سائر العمارات وافتتح المدن وعلم ان لا قوام له بالملك اذ كان ليس من أهله فامعن في خراب البلاد واستباحة الاموال وسفك الدماء وكاتب ملك الصين من المدينة التي انحاز اليها المتاخمة لبلاد التبت وهي مدينة مد المتقدم ذكرها ملك الترك ابن خاقان فاستنجده وأعلمه ما نزل به وأعلمه ما يلزم الملوك من الواجبات اذا استنجدها اخوانها من الملوك وان ذلك من فرائض الملك وواجباته فانجده ابن خاقان بولده بنحو من أربعمائة ألف فارس وراجل وقد استفحل أمر ياسر فالتقى الفريقان جميعا فكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من سنة وتفانى من الفريقين خلق كثير ففقد ياسر فقيل انه قتل وقيل انه أحرق وأسر ولده والخواص من أصحابه وسار ملك الصين الى

على بعض واختلفوا أيضا في المقتول فيهما فنهم من يقول ان يوم حليمة هو الذي قتل فيه المنذر بن ماء السماء ويوم اباغ هو اليوم الذي قتل فيه المنذر بن المنذر ومنهم من يقول بضد ذلك ومنهم من يجعل اليومين واحدا فيقول لم يقتل الا المنذر بن ماء السماء واما ابنه المنذر فمات بالحيرة وقيل ان المقتول من ملوك الحيرة غيرهما فالصحيح ان المقتول هو المنذر بن ماء السماء لا شك فيه وأما ابنه ففيه خلاف كثير والاصح انه لم يقتل ومن أثبت قتله اختلفوا في سببه على ما ذكرناه وانما ذكرت اختلافهم والحادثة واحدة لان كل سبب منها قد ذكره بعض العلماء فتى تركنا أحدهما ظن من ليس له معرفة ان كل سبب منها حادث مستقل وقد أهملناه فأتينا بهما جميعا لذلك ونبهنا عليه

﴿ذكر قتل مضرط الحجارة﴾

وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء اللخمي صاحب الحيرة وكان يلقب مضرط الحجارة لشدة ملكه وقوة سياسته وأمه هند بنت الحرث بن عمرو المقصور بن آكل المرار وهي عمة امرئ القيس بن حجر بن الحرث وكان سبب قتله انه قال يوما لجلسائه هل تعلمون ان أحدا من العرب من أهل مملكتي يأنف ان تخدم أمه أمي قالوا ما نعرفه الا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبي فان أمه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل وزوجها كلثوم وابنها عمرو فسكت مضرط الحجارة على ما في نفسه وبعث الى عمرو بن كلثوم يستزيره ويأمره ان تزور أمه ليلى أم نفسه هند بنت الحرث فقدم عمرو بن كلثوم في فرسان من بني تغلب ومعه أمه ليلى فنزل على شاطئ الفرات وبلغ عمرو بن هند قدومه فأمر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات وأرسل الى وجوه أهل مملكته فصنع لهم طعاما ثم دعا الناس اليه فقرب اليهم الطعام على باب السرادق وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواص أصحابه في السرادق ولامه هند قبة في جانب السرادق وليلى أم عمرو بن كلثوم معها في القبة وقد قال مضرط الحجارة لامه اذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق الا الطرف فنحي خدمك عنك فاذا دنا الطرف فاستخدمي ليلى ومريها فلتناولك الشئ بعد الشئ ففعلت هند ما أمرها به ابنها فلما استدعى الطرف قالت هند لليلى ناوليني ذلك الطبق قالت لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها فألحت عليها فقالت ليلى واذلاه يا آل تغلب فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه والقوم يشربون فعرف عمرو بن هند الشر في وجهه وثار ابن كلثوم الى سيف ابن هند وهو معلق في السرادق وليس هناك سيف غيره فأخذه ثم ضرب به رأس مضرط الحجارة فقتله وخرج فنادى يا آل تغلب فانتهبوا ماله وخيله وسبوا النساء وساروا فلحقوا بالحيرة فقال أفنون التغلبي

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا * لتخدم ليلى أمه بموفق
فقام ابن كلثوم الى السيف مصلتا * وأمسك من ندمانه بالمخنق

﴿يوم الكلاب الاول﴾

قال ابن الكلبي أول من اشتد ملكه من كندة حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحرث الكندي فلما هلك ملك بعده ابنه عمرو ومثل ملك أبيه فسمي المقصور لانه قصر على ملك أبيه فتزوج عمرو أم اياس بنت عوف بن محلم الشيباني فولدت له الحرث فملك بعد أربعين سنة وقيل ستين سنة فخرج يتصيد فرأى عانة وهي حمر الوحش فشد عليها فانفرد منها حمار فتبعه واقسم ان لا يأكل شيأ قبل كبده وهو بمسحلان فطلبته الخيل ثلاثة أيام حتى أدركته فأتي به وقد كاد يموت من الجوع فشوى على النار وأطعم من كبده وهي حارة فمات وكان الحرث فرق بنيه في قبائل معد فجعل حجرا في بني اسد وكنانة وهو أكبر ولده وجعل شرحبيل في بكر بن وائل وبني حنظلة بن مالك بن زيد

دار المملكة وعاد الى ملكه والعامة تسميه (بعبور) وتفسير ذلك ابن ماء السماء تعظيما له وهو الاسم الاخص لملوك الصين والذي يخاطبون به جميعا (حجان) ولا يخاطبون بيعبور وتغلب كل صاحب ناحية من عمله على ناحيته كتغلب ملوك الطوائف حين قتل الاسكندر بن فيلقوس المقدوني لدارا بن دارا ملك فارس وكنحو ما نحن بسبيله في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فرضي ملك الصين منهم بالطاعة له ومكاتبته بالملك ولم يتوجه منه المسير الى سائر أعماله ولا محاربة من تغلب على بلاده وقنع بما وصفنا وامتنع من ذكرنا من حمل الاموال اليه فتاركهم مسالما لهم وعدا كل فريق منهم على ما يليه على حسب قوته وتمكنه فعدم انتظام الملك واستقامته على حسب ما سلف من ملوكهم وقد كان لمن سلف من ملوكهم سير وسياسات للملك وانقياد للعدل على حسب ما توجبه قضية العقل (وحكى) ان رجلا من التجار من أهل مدينة سمرقند من بلاد خراسان خرج من بلاده ومعه متاع كثير حتى أتى الى العراق فحمل من جهازه وانحدر الى البصرة وركب

مناة بن تميم وبني أسيد بن عمرو بن تميم والرباب وجعل سلمة وهو أصغرهم في بني تغلب والنمر بن
قاسط وبني سعد بن زيد مناة بن تميم وجعل ابنه معد يكرب ويعرف بغلفاء في قيس عيلان وقد تقدم
هذا في قتل حجر أبي امرئ القيس وانما أعدناه ههنا للحاجة اليه فلما هلك الحرث تشتت أمر
أولاده وتفرقت كلمتهم ومشى بينهم الرجال وكانت المغاورة بين الاحياء الذين معهم وتفاقم
أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف اليه بالجيوش فسار شرحبيل فيمن معه
من الجيوش فنزل الكلاب وهو ماء بين البصرة والكوفة وأقبل سلمة فيمن معه وفي الصنائع أيضا
وهم قوم كانوا مع الملوك من شذاذ العرب فاقبلوا الى الكلاب وعلى تغلب السفاح بن خالد بن كعب
ابن زهير فاقتتلوا قتالا شديدا وثبت بعضهم لبعض فلما كان آخر النهار من ذلك اليوم خذلت
بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل وانهزموا وثبتت بكر وانصرفت بنو سعد ومن
معها عن تغلب وصبرت تغلب ونادى منادى شرحبيل من أتاني برأس سلمة فله مائة من الابل
ونادى منادى سلمة من أتاني برأس شرحبيل فله مائة من الابل فاشتد القتال حينئذ كل يطلب
ان يظفر لعله يصل الى قتل أحد الرجلين ليأخذ مائة من الابل فكانت الغلبة آخر النهار لتغلب
وسلمة ومضى شرحبيل منهزما فاتبعه ذو السنينة التغلبي فالتفت اليه شرحبيل فضربه على ركبته
فأطن رجله وكان ذو السنينة أخا أبي حنش لامه فقال لاخيه قتلني الرجل وهلك ذو السنينة فقال
أبو حنش لشرحبيل قتلني الله ان لم اقتلك وحمل عليه فادركه فقال يا أبا حنش اللبن اللبن يعني الدية
فقال قد هرقت لبنا كثيرا فقال يا أبا حنش املكا بسوقة فقال ان أخي ملكي فطعنه فالقاه عن
فرسه ونزل اليه فاخذ رأسه وبعث به الى سلمة مع ابن عم له فاتاه به وألقاه بين يديه فقال سلمة لو كنت
ألقيته ارفق من هذا وعرفت الندامة في وجه سلمة والجزع عليه فهرب أبو حنش منه فقال سلمة

ألا ابلغ أبا حنش رسولا * فمالك لا تجيء الى الثواب
لتعلم ان خير الناس طرا * قتيل بين احجار الكلاب
تداعت حوله جشم بن بكر * وأسلمه جعاسيس الرباب

فاجابه أبو حنش فقال

أحاذر ان أجيئك ثم تحبو * حباء أبيك يوم صنيعات
وكانت غدرة شنعاء تهفو * تقلدها أبوك الى الممات

وكان سبب يوم صنيعات ان ابنا للحرث كان مسترضعا في تميم وبكر ولدغته حية فمات فاخذ خمسين
رجلا من تميم وخمسين رجلا من بكر فقتلهم به ولما قتل شرحبيل قام بنو زيد مناة بن تميم دون
أهله وعياله فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم حتى ألحقوهم بقومهم ومأمنهم ولما بلغ خبر قتله
أخاه معد يكرب وهو غلفاء قال يرثيه

ان جنبي عن الفراش لناب * كتجافي الاسر فوق الظراب
من حديث نمى الى فما تر * قأ عيني ولا أسيغ شرابي
مرة كالذعاف أكتمها النا * س على حر ملة كالشهاب
من شرحبيل اذ تعاوره الار * ماح من بعد لذة وشباب
يا ابن أمي ولو شهدتك اذ تد * عو تميما وأنت غير مجاب
ثم طاعنت من ورائك حتى * يبلغ الرحب أو تبز ثيابي
احسنت وائل وعادتها الاحـ * ـسان بالحنو يوم ضرب الرقاب

البحر حتى أتى الى بلاد عمان وركب الى بلاد كلة وهي النصف من طريق الصين أو نحو ذلك واليها تنتهي مراكب الاسلام من السيرافيين والعمانيين في هذا الوقت فيجتمعون مع من يرد من أرض الصين في مراكبهم وقد كانوا في بدء الزمان بخلاف ذلك وذلك ان مراكب الصين كانت تأتي بلاد عمان وسيراف من ساحل فارس وساحل البحرين والابلة والبصرة فلذلك كانت المراكب تختلف في المواضع التي ذكرنا الى ما هناك ولما عدم العدل وفسدت النيات وكان من أمر الصين ما وصفنا التقى الفريقان جميعا في هذا النصف ثم ركب هذا التاجر من مدينة كلة في مراكب الصينيين الى مدينة خانقو وهي مرسى المراكب على حسب ما ذكرنا آنفا وبلغ ملك الصين خبر المراكب وما فيها من الجهاز والامتعة فسرح خصيا من خواص خدمه ممن يثق به في أسبابه وذلك ان أهل الصين يستعملون الخصيان من الخدم في الخراج وغيره من العمالات والمهمات وفيهم من يخصي ولده طالبا للرياسة واعتقاد النعمة

يوم فسرت بنو تميم وولت * خيلهم يتقين بالاذناب

وهي طويلة ثم ان تغلب أخرجوا سلمة من بينهم فلجأ الى بكر بن وائل وانضم اليهم ولحقت تغلب بالمنذر بن امرئ القيس اللخمي (الكلاب بضم الكاف أسيد بن عمرو بضم الهمزة وفتح السين المهملة وتشديد الياء المثناة من تحت وذو السنينة بضم السين المهملة تصغير سن والرباب بكسر الراء وتخفيف الباء الاولى الموحدة)

(يوم أوارة الاول)

وهو يوم كان بين المنذر بن امرئ القيس وبين بكر بن وائل وكان سببه ان تغلب لما أخرجت سلمة ابن الحرث عنها التجأ الى بكر بن وائل كما ذكرناه آنفا فلما صار عند بكر أذعنت له وحشدت عليه وقالوا لا يملكنا غيرك فبعث اليهم المنذر يدعوهم الى طاعته فابوا ذلك فحلف المنذر ليسيرن اليهم فان ظفر بهم فليذبحنهم على قلة جبل أوارة حتى يبلغ الدم الحضيض وسار اليهم في جموعه فالتقوا باوارة فاقتتلوا قتالا شديدا واجلت الواقعة عن هزيمة بكر وأسر يزيد بن شرحبيل الكندي فامر المنذر بقتله فقتل وقتل في المعركة بشر كثير وأسر المنذر من بكر أسرى كثيرة فامر بهم فذبحوا على جبل أوارة فجعل الدم يجمد فقيل له أبيت اللعن لو ذبحت كل بكري على وجه الارض لم تبلغ دماؤهم الحضيض ولكن لو صببت عليه الماء ففعل فسال الدم الى الحضيض وأمر بالنساء أن يحرقن بالنار وكان رجل من قيس بن ثعلبة منقطعا الى المنذر فكلمه في سبي بكر بن وائل فاطلقهن المنذر فقال الاعشى يفتخر بشفاعة القيسي الى المنذر في بكر

ومنا الذي أعطاه بالجمع ربه * على فاقة وللملوك هباتها

سبايا بني شيبان يوم أوارة * على النار اذ تجلى به فتياتها

(يوم أوارة الثاني)

كان عمرو بن المنذر اللخمي قد ترك ابناله اسمه أسعد عند زرارة بن عدس التميمي فلما ترعرع مرت به ناقة سمينة فعبث بها فرمى ضرعها فشد عليه ربها سويد أحد بني عبد الله بن دارم التميمي فقتله وهرب فلحق بمكة فحالف قريشا وكان عمرو بن المنذر غزا قبل ذلك ومعه زرارة فأخفق فلما كان حيال جبلي طيئ قال له زرارة أي ملك اذا غزا لم يرجع ولم يصب فمل على طيئ فانك بحيالها فمال اليهم فاسر وقتل وغنم فكانت في صدور طيئ على زرارة فلما قتل سويد أسعد وزرارة يومئذ عند عمرو فقال له عمرو بن ملقط الطائي يحرض عمرا على زرارة

من مبلغ عمرا بان المرء لم يخلق صباره

ها ان عجزة أمه * بالسفح أسفل من أواره

فاقتل زرارة لا أرى * في القوم أوفى من زراره

فقال عمرو يا زرارة ما تقول قال كذبت قد علمت عداوتهم فيك قال صدقت فلما جن الليل سار زرارة مجدا الى قومه ولم يلبث ان مرض فلما حضرته الوفاة قال لابنه يا حاجب ضم اليك غلمتي في بني نهشل وقال لابن أخيه عمرو بن عمرو عليك بعمرو بن ملقط فانه حرض علي الملك فقال له يا عماه لقد أسندت الى أبعدهما شقة وأشدهما شوكة فلما مات زرارة نهد عمرو بن عمرو في جمع وغزا طيأ فاصاب الطريفين طريف بن مالك وطريف بن عمرو وقتل الملاقط فقال علقمة بن عبدة في ذلك

ونحن جلبنا من ضرية خيلنا * نجنبها حد الاكام قطاقطا

أصبنا الطريف والطريف بن مالك * وكان شفاء لو أصبن الملاقطا

فسار الخصي حتى أتى مدينة خانقو فاحضر التجار ومعهم التاجر الخراساني فعرضوا عليه ما احتاج اليه من المتاع وما يصلح له فسأل الخراساني ان يحضر متاعه فأحضره وجرت بينهم محادثة ودار الامر بينهم في التثمين للمتاع فامر الخصي بسحب الخراساني واكراهه وذلك انه راده ثقة منه بعدل الملك فمضى الخراساني من فوره حتى أتى الى مدينة انمواوهي دار الملك فوقف موقف المتظلم اذا أتى من البلد الشاسع قد تقمص نوعا من الحرير الاحمر ووقف موضعا قد رسم للظلامة وقد رتب بعض الملوك ملوك النواحي للقبض على من يرد من المتظلمين ويقف ذلك الموقف فيحمل مسيرة شهر من أرضهم على البريد ففعل ذلك بالتاجر الخراساني ووقف بين يدي صاحب تلك الناحية المرتب لما ذكرناه فاقبل عليه وقال أيها الرجل لقد تعرضت لامر عظيم وخاطرت بنفسك انظر ان كنت صادقا فيما تخبر والا فانا قتلك ونردك قتيلا من حيث جئت وكان هذا خطابه لمن تظلم فان رآه قد جزع وضرع في القول ضربه مائة خشبة ورده من حيث جاء وان هو صبر على ما هو عليه حمل

فلما بلغ عمرو بن المنذر وفاة زرارة غزا بني دارم وقد كان حلف ليقتلن منهم مائة فسار يطلبهم حتى بلغ أوارة وقد أنذروا به فتفرقوا فأقام مكانه وبث سراياه فيهم فأتوه بتسعة وتسعين رجلا سوى من قتلوه في غاراتهم فقتلهم فجاء رجل من البراجم شاعر ليمدحه فأخذه ليقتله ليتم مائة ثم قال ان الشقي وافد البراجم فذهبت مثلا وقيل انه نذر ان يحرقهم فلذلك سمي محرقا فأحرق منهم تسعة وتسعين رجلا واجتاز رجل من البراجم فشم قتار اللحم فظن ان الملك يتخذ طعاما فقصده فقال من أنت فقال أبيت اللعن أنا وافد البراجم فقال ان الشقي وافد البراجم ثم أمر به فقذف في النار فقال جرير للفرزدق

أين الذين بنار عمرو أحرقوا * أم أين أسعد فيكم المسترضع

وصارت تميم بعد ذلك يعيرون بحب الأكل لطمع البرجمي في الأكل فقال بعضهم

اذا ما مات ميت من تميم * فسرك أن يعيش فجئ بزاد
بخبز أو بلحم أو بتمر * أو الشيء الملفف في البجاد
تراه ينقب البطحاء حولا * ليأكل رأس لقمان بن عاد

قيل دخل الأحنف بن قيس على معاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية ما الشيء الملفف في البجاد يا أبا بحر قال السخينة يا أمير المؤمنين والسخينة طعام تعير به قريش كما كانت تعير تميم بالملفف في البجاد قال فلم ير متمازحان أوقر منهما

﴿ذكر قتل زهير بن جذيمة وخالد بن جعفر بن كلاب والحرث بن ظالم المري وذكر يوم الرحرحان﴾

كان زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحرث بن قطيعة بن عبس العبسي وهو والد قيس بن زهير صاحب حرب داحس والغبراء سيد قيس عيلان فتزوج اليه ملك الحيرة وهو النعمان بن امرئ القيس جد النعمان بن المنذر اشرفه وسودده فارسل النعمان الى زهير يستزيره بعض أولاده فارسل ابنه شأسا وكان أصغر ولده فأكرمه وحباه فلما انصرف الى أبيه كساه حللا وأعطاه مالا وطيبا فخرج شأس يريد قومه فبلغ ماء من مياه غني بن أعصر فقتله رياح ابن الأشل الغنوي وأخذ ما كان معه وهو لا يعرفه وقيل لزهير ان شأسا أقبل من عند الملك وكان آخر العهد به بماء من مياه غني فسار زهير الى ديار غني وهم حلفاء في بني عامر بن صعصعة فاجتمعوا عنده فسألهم عن ابنه فحلفوا انهم لم يعلموا خبره قال لكني أعلمه فقال له أبو عامر فما الذي يرضيك منا قال واحدة من ثلاث اما تحيون ولدي واما تسلمون الى غنيا حتى أقتلهم بولدي واما الحرب بيننا وبينكم ما بقينا وبقيتم فقالوا ما جعلت لنا في هذه مخرجا اما احياء ولدك فلا يقدر عليه الا الله واما تسليم غني اليك فهم يمتنعون مما يمتنع منه الأحرار واما الحرب بيننا فوالله اننا لنحب رضاك ونكره سخطك ولكن ان شئت الدية وان شئت نطلب قاتل ابنك فنسلمه اليك أو تهب دمه فانه لا يضيع في القرابة والجوار فقال ما أفعل الا ما ذكرت فلما رأى خالد بن جعفر بن كلاب تعدي زهير على أخواله من غني قال والله ما رأينا كاليوم تعدى رجل على قومه فقال له زهير فهل لك ان تكون طلبتي عندك وأترك غنيا قال نعم فانصرف زهير وهو يقول

فلولا كلاب قد أخذت قرينتي * بردغني أعبدا ومواليا
ولكن حمتهم عصبة عامرية * يهزون في الأرض القصار العواليا
مساعير في الهيجا مصاليت في الوغى * أخوهم عزيز لا يخاف الأعاديا

الى حضرة الملك وأوقف بين يديه وسمع كلامه فصمم الخراساني في المطالبة والظلامة فرآه محقا غير ضرع ولا متلجلج فحمل الى الملك فوقف بين يديه وقص حديثه على الملك فلما ان أدى الترجمان اليه ما قاله وفهم ظلامته أمر به الى بعض المواضع وأحسن اليه وأحضر الوزير وصاحب الميمنة وصاحب القلب وصاحب الميسرة وهم أناس قد رتبوا لذلك عند الملمات وحين الحروب قد عرف كل واحد منهم مرتبته والمراد منه فأمرهم الملك ان يكتب كل واحد منهم الى صاحبه بالناحية ولكل واحد منهم خليفة في كل ناحية فكتبوا الى أصحابهم بخانقو ان يكتبوا اليهم بما كان من خبر التاجر والخادم وكتب الملك الى خليفته بالناحية بمثل ذلك وقد كان خبر الخادم والتاجر اشتهر واستفاض فوردت الكتب على بغال البريد بتصحيح ما قاله التاجر وذلك ان ملوك الصين لها في سائر الطرق من أعمالها بغال للبريد مسرجة محذوة الآلات للاخبار والخرائط فبعث الملك فاستحضر الخادم فلما وقف بين يديه سلبه ما كان أنعم به عليه ثم قال

يقيمون فى دار الحفاظ تكرما * اذا ما فنى القوم أضحت خواليا

ثم انه أرسل امرأة وأمرها ان تكتم نسبها وأعطاها لحم جزور سمينة وسيرها الى غنى لتبيع اللحم بطيب وتسال عن حال ولده فانطلقت المرأة الى غنى وفعلت ما أمرها فانتهت الى امرأة رياح بن الاشل وقالت لها قد وجدت بنالى وأبغى الطيب بهذا اللحم فاعطتها طيبا وحدثتها بقتل زوجها شأسا فعادت المرأة الى زهير وأخبرته فجمع خيله وحمل بغيرة على غنى حتى قتل منهم مقتلة عظيمة ووقعت الحرب بين بنى عبس وبنى عامر وعظم الشر ثم ان زهيرا خرج فى بنيه وأهل بيته فى الشهر الحرام الى عكاظ فالتقى هو وخالد بن جعفر بن كلاب فقال له خالد لقد طال شرنا منك يازهير فقال زهير أما والله ما دامت لى قوة أدرك بها ثارا فلا انصرام له وكانت هوازن تؤدى زهير ابن جذيمة الاتاوة كل سنة بعكاظ وهو يسومها الخسف وفى أنفسها منه غيظ وحقد ثم عاد خالد وزهير الى قومهما فسبق خالد الى بلاد هوازن فجمع اليه قومه وندبهم الى قتال زهير فاجابوه وتأهبوا للحرب وخرجوا يريدون زهيرا وهم على طريقه وسار زهير حتى نزل على أطراف بلاد هوازن فقال له ابنه قيس انج بنا من هذه الارض فانا قريب من عدونا فقال له يا عاجز وما الذى تخوفنى به من هوازن وتتقى شرها فانا أعلم الناس بها فقال ابنه دع عنك اللجاج واطعنى وسر بنا فانى خائف عاديتهم وكانت تماضر بنت الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية السلمية أم ولد زهير وقد أصاب بعض اخوتها دما فلحق ببنى عامر وكان فيهم فأرسله خالد عينا ليأتيه بخبر زهير فخرج حتى أتاهم فى منزلهم فعلم قيس بن زهير حاله وأراد هو وأبوه ان يوثقوه ويأخذوه معهم الى ان يخرجوا من ارض هوازن فمنعت أخته فأخذوا عليه العهود ان لا يخبر بهم واطلقوه فسار الى خالد ووقف الى شجرة يخبرها الخبر فركب خالد ومن معه الى زهير وهو غير بعيد منهم فاقتتلوا قتالا شديدا والتقى خالد وزهير فاقتتلا وبلاثم تعانقا فسقطا على الارض وشد ورقاء بن زهير على خالد وضربه بسيفه فلم يصنع شيأ لانه قد ظاهر بين درعين وحمل جندح بن البكاء وهو ابن امرأة خالد على زهير فقتله وهو وخالد معتركان فثار خالد عنه وعادت هوازن الى منازلها وحمل بنو زهير أباهم الى بلادهم فقال ورقاء بن زهير فى ذلك

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد * فاقبلت أسعى كالعجول أبادر
الى بطلين يعتران كلاهما * يريد رياش السيف والسيف نادر
فشلت يمينى يوم أضرب خالدا * ويمنعه منى الحديد المظاهر
فياليت انى قبل أيام خالد * وقبل زهير لم تلدنى تماضر
لعمرى لقد بشرت بى اذ ولدتنى * فماذا الذى ردت عليك البشائر
فلا يدعنى قومى صريحا بحرة * لئن كنت مقتولا ويسلم عامر
فطر خالدا ان كنت تسطيع طيرة * ولا تقعا الا وقلبك حاذر
اتتك المنايا ان بقيت بضربة * تفارق منها العيش والموت حاضر

وقال خالد يمن على هوازن بقتله زهيرا

ابلغ هوازن كيف تكفر بعدما * اعتقتهم فتوالدوا أحرارا
وقتلت ربهم زهيرا بعدما * جدع الانوف وأكثر الاوتارا
وجعلت مهر نسائهم ودياتهم * عقل الملوك هجائنا وبكارا

وكان زهير سيد غطفان فعلم خالد ان غطفان ستطلبه بسيدها فسار الى النعمان بن امرئ القيس

له عمدت الى رجل تاجر قد خرج من بلد شاسع وقطع مسالك واجتاز ماوكا فى بر وبحر فلم يتعرض له بؤمل الوصول الى مملكتى ثقة منه بعدلى ففعلت به مافعلت وكان ينصرف عن ملكى ويقبح الاحدوثة عن سيرتى أما والله لولا قديم حرمتك بنا لقتلتك لكن أعاقبك بعقوبة ان عقلت فانها أكبر من القتل وهو ان أوليك مقابر الموتى من الملوك السالفة أن عجزت عن تدبير الاحياء والقيام بما اليه ندبت وأحسن الى التاجر وحمله الى خانقو وقال له ان سمحت نفسك ان تبيع منا ما اخترت من متاعك بالثمن الجزيل والا فانت المحكم فى مالك اقم اذا شئت وبع كيف شئت وانصرف راشدا حيث شئت وصرف الخادم الى مقابر الملوك (قال المسعودى) ومن طرائف اخبار ملوك الصين أن رجلا من قريش من ولد هبار بن الاسود لما كان من أمر صاحب الزنج بالبصرة ما كان واشتهر خرج هذا الرجل الى مدينة سيراف وكان من أرباب البصيرة وأرباب النعم بها وذوى الاحوال الحسنة ثم ركب منها فى بعض مراكب بلاد الهند ولم يزل من مركب

بالحيرة فاستجاره فاجاره فضرب له قبة وجمع بنو زهير لهوازن فقال الحرث بن ظالم المرى اكفونى حرب هوازن فانا أكفيكم خالد بن جعفر وسار الحرث حتى قدم على النعمان فدخل عليه وعنده خالد وهما يأكلان تمرا فاقبل النعمان يسائله فحسده خالد فقال للنعمان أبيت اللعن هذا رجل لى عنده يد عظيمة قتلت زهيرا وهو سيد غطفان فصار هو سيدها فقال الحرث سأجزيك على يدك عندى وجعل الحرث يتناول التمر ليأكله فيقع من بين أصابعه من الغضب فقال عروة لاخيه خالد ما أردت بكلامه وقد عرفته فتاكا فقال خالد وما يخوفنى منه فوالله لو رآنى نائما ما أيقظنى ثم خرج خالد وأخوه الى قبتهما فشرجاها عليهما ونام خالد وعروة عند رأسه يحرسه فلما أظلم الليل انطلق الحرث الى خالد فقطع شرج القبة ودخلها وقال لعروة لئن تكلمت قتلتك ثم أيقظ خالدا فلما استيقظ قال أتعرفنى قال أنت الحرث قال خذ جزاء يدك عندى وضربه بسيفه المعلوب فقتله ثم خرج من القبة وركب راحلته وسار وخرج عروة من القبة يستغيث وأتى باب النعمان فدخل عليه وأخبره الخبر فبث الرجال فى طلب الحرث قال الحرث فلما سرت قليلا خفت ان أكون لم أقتله فعدت متنكرا واختلطت بالناس ودخلت عليه فضربته بالسيف حتى تيقنت انه مقتول وعدت فلحقت بقومى فقال عبد الله بن جعدة الكلابى

يا جار لو نبهته لوجدته * لا طائشا رعشا ولا معزالا
شقت عليه الجعفرية جيبها * جزعا وما تبكى هناك ضلالا
فانموا أبا بحر بكل مجرب * حران يحسب فى القناة هلالا
فليقتلن بخالد سرواتكم * وليجعلن لظالم تمثالا

فاجابه الحرث تالله قد نبهته فوجدته * رخو اليدين مواكلا عسقالا
فعلوته بالسيف أضرب رأسه * حتى أضل بسلحه السربالا

فجعل النعمان يطلبه ليقتله بجاره وهوازن تطلبه لتقتله بسيدها خالد فلحق بتميم فاستجار بضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم فاجاره على النعمان وهوازن فلما علم النعمان ذلك جهز جيشا الى بنى دارم عليهم ابن الجمس التغلبى وكان يطلب الحرث بدم أبيه لانه كان قتله ثم ان الاحوص بن جعفر أخا خالد جمع بنى عامر وسار بهم فاجتمعوا هم وعسكر النعمان على بنى دارم وساروا فلما صاروا بادانى مياه بنى دارم رأوا امرأة تجنى الكمأة ومعها جمل لها فاخذها رجل من غنى وتركها عنده فلما كان الليل نام فقامت الى جملها فركبته وسارت حتى صبحت بنى دارم وقصدت سيدهم زرارة بن عدس فاخبرته الخبر قالت أخذنى أمس قوم لا يريدون غيرك ولا أعرفهم قال فصفيهم لى قالت رأيت رجلا قد سقط حاجباه فهو يرفعهما بخرقة صغير العينين وعن أمره يصدرون قال ذاك الاحوص وهو سيد القوم قالت ورأيت رجلا قليل المنطق اذا تكلم اجتمع القوم كما تجتمع الابل لفحلها أحسن الناس وجها ومعه ابنان له يلازمانه قال ذاك مالك ابن جعفر وابناه عامر وطفيل قالت ورأيت رجلا جسيما كأن لحيته محمرة معصفرة قال ذاك عوف بن الاحوص قالت ورأيت رجلا هلقاما جسيما قال ذاك ربيعة بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب قالت ورأيت رجلا أسود أخنس قصيرا قال ذاك ربيعة بن قرط بن عبد الله بن أبى بكر قالت ورأيت رجلا أقرن الحاجبين كثير شعر السبلة يسيل لعابه على لحيته اذا تكلم قال ذاك جندح بن البكاء قالت ورأيت رجلا صغير العينين ضيق الجبهة يقود فرسا له معه جفير لا يفارق يده قال ذاك ربيعة بن عقيل بن كعب قالت ورأيت رجلا معه ابنان اصهبان اذا أقبلا رماهما

الى مركب ومن بلد الى بلد يخترق ممالك الهند الى أن انتهى الى بلاد الصين الى مدينة خانقو ثم دعته همته الى ان سار الى دار ملك الصين وكان الملك يومئذ بمدينة حمدان وهى من كبار مدنهم ومن عظيم أمصارهم فأقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع ويذكر أنه من أهل بيت نبوة العرب فامر بعد هذه المدة الطويلة بانزاله فى بعض المساكن وازاحة العلة بما يحتاج اليه من جميع أموره وكتب الى الملك المقيم بخانقو يأمره بالبحث عنه ومسألة التجار عما يدعيه الرجل من قرابة نبى العرب صلى الله عليه وسلم فكتب صاحب خانقو بصحة نسبه فاذن له فى الوصول اليه ووصله بمال واسع وأعاده الى العراق وكان شيخا فهما فاخبرنا انه لما وصل اليه ورأى ما هو عليه من عبادة النيران والسجود للشمس والقمر من دون الله عز وجل فقال له لقد غلبت العرب على أجل الممالك وأنفسها وأوسعها ريعا وأكثرها أموالا وأعقلها رجالا وأهداها صوتا ثم قال له فما منزلة سائر الملوك عندكم فقال ما لى بهم علم فقال للترجمان قل له انا نعد الملوك

الناس بابصارهم فاذا أدبرا كانا كذلك قال ذلك الصعق بن عمرو بن خويلد بن نفيل وابناه يزيد وزرعة قالت ورأيت رجلا لا يقول كلمة الا وهي أحد من شفرة قال ذلك عبد الله بن جعدة بن كعب وأمرها زرارة فدخلت بيتها وأرسل زرارة الى الرعاء يأمرهم باحضار الابل ففعلوا وأمرهم فحملوا الاهل والاثقال وساروا نحو بلاد بغيض وفرق الرسل فى بنى مالك بن حنظلة فاتوه فاخبرهم الخبر وأمرهم فوجهوا اثقالهم الى بلاد بغيض وباتوا معدين وأصبح بنو عامر وأخبرهم الغنوى حال الظعينة وهربها فسقط فى أيديهم واجتمعوا يريدون الرأى فقال بعضهم كانى بالظعينة قد أتت قومها فاخبرتهم الخبر فحذروا وأرسلوا أهلهم وأموالهم الى بلاد بغيض وباتوا معدين لكم فى السلاح فاركبوا بنا فى طلب نعمهم وأموالهم فانهم لا يشعرون حتى نصيب حاجتنا وننصرف فركبوا يطلبون ظعن بنى دارم فلما أبطأ القوم عن زرارة قال لقومه ان القوم قد توجهوا الى ظعنكم وأموالكم فسيروا اليهم فسار واجدين فلحقوهم قبل ان يصلوا الى الظعن والنعم فاقتتلوا قتالا شديدا فقتلت بنو مالك بن حنظلة بن الحمس التغلبى رئيس جيش النعمان وأسرت بنو عامر معبد بن زرارة وصبر بنو دارم حتى انتصف النهار وأقبل قيس بن زهير فيمن معه من ناحية أخرى فانهزمت بنو عامر وجيش النعمان وعادوا الى بلادهم ومعبد أسير مع بنى عامر فبقى معهم حتى مات وفى تلك الايام أيضا مات زرارة بن عدس وقيل فى استجارة الحرث ببنى تميم غير ذلك وهو ان النعمان طلب شيأ يغيظ به الحرث بعد قتل خالد وهربه فقيل له كان قصد الحيرة ونزل على عياض بن وهب التميمى وهو صديق له فبعث اليه النعمان فاخذ ابلا له فركب الحرث وأتى الحيرة متخفيا واستنقذ ماله من الرعاء ورده عليه وطلب شيأ يغيظ به النعمان فرأى ابنه غضبان فضرب رأسه بالسيف فقتله وبلغ النعمان الخبر فبعث فى طلبه فلم يدركه فقال الحرث فى ذلك

أخصى حمار بات يكدم نجمة * أتؤكل جاراتى وجارك سالم
فان تك أذوادا أصبت ونسوة * فهذا ابن سلمى رأسه متفاقم
علوت بذى الحيات مفرق رأسه * ولا يركب المكروه الا الاكارم
فتكت به كما فتكت بخالد * وكان سلاحى تحتويه الجماجم
بدأت بتلك وانثنيت بهذه * وثالثة تبيض منها المقادم
حسبت أبا قابوس انك مخفرى * ولما تذق ثكلا وأنفك راغم

كذا قال بعضهم وقيل ان المقتول كان شرحبيل بن الاسود بن المنذر وكان الاسود قد ترك ابنه شرحبيل عند سنان بن ابى حارثة المرى ترضعه زوجته فى هنالك كان لسنان مال كثير وكان ابنه هرم يعطى منه فجاء الحرث متخفيا فاستعار سرج سنان ولا يعلم سنان ثم أتى امرأة سنان فقال يقول بعلك ابعثى بشرحبيل ابن الملك مع الحرث بن ظالم حتى يستأمن به ويتخفر به وهذا سرجه علامة فزينته ودفعته اليه فاخذه وقتله وهرب فغزا الاسود بنى ذبيان وبنى أسد بشط اربل وقتل فيهم قتلا ذريعا وسبى واستأصل الاموال وأقسم ليقتلن الحرث فسار الحرث متخفيا الى الحيرة ليفتك بالاسود فبينما هو فى منزله اذ سمع صارخة تقول أنا فى جوار الحرث بن ظالم وعرف حالها وكان الاسود قد أخذ لها صرمة من الابل فقال لها انطلقى غدا الى مكان كذا وآتاه الحرث ولما وردت ابل النعمان أخذ مالها فسلمه اليها وفيها ناقة تسمى اللقاع فقال الحرث فى ذلك

اذا سمعت حنة اللقاع * فادعى أبا ليلى فنعم الداعى
يمشى بعضب صارم قطاع * يفرى به مجامع الصداع

خمسة فاوسعهم ملكا الذى يملك العراق لانه فى وسط الدنيا والملوك محدقة به ونجد اسمه عندنا ملكا وبعده ملكا هذا ونجده عندنا ملك الناس لانه لا أحد من الملوك أسوس منا ولا أضبط لملكه من ضبطنا الملكا ولا رعية من الرعايا أطوع لملكها من رعيتنا فنحن ملوك الناس ومن بعده ملك السباع وهو ملك الترك الذى يلينا وهم سباع الانس ومن بعده ملك الفيلة وهو ملك الهند ونجده عندنا ملك الحكمة أيضا لان أصلها منهم ومن بعده ملك الروم وهو عندنا ملك الرجال لانه ليس فى الارض أتم خلقا من رجاله ولا أحسن وجوها منهم فهؤلاء أعيان الملوك والباقون دونهم ثم قال للترجمان قل له أتعرف صاحبك ان رأيته يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القرشى وكيف لى برؤيته وهو عند الله عز وجل فقال لم أرد هذا وانما اردت صورته فقلت أجل فامر بسفط فاخرج فوضع بين يديه فتناول منه درجا وقال للترجمان أره صاحبه فرأيت فى الدرج صور الانبياء فحركت شفتى بالصلاة عليهم ولم يكن عندهم أنا نعرفهم فقال

ثم أقبل يطلب مجيرا فلم يجره أحد من الناس وقالوا من يجيرك على هوازن والنعمان وقد قتلت ولده فاتى زرارة بن عدس وضمرة بن ضمرة فاجاراه على جميع الناس ثم ان عمرو بن الاطنابة الخزرجي لما بلغه قتل خالد بن جعفر وكان صديقا له قال والله لو وجده يقظان ما أقدم عليه ولوددت اني لقيته وبلغ الحرث قوله وقال والله لآتينه في رحله ولا ألقاه الا ومعه سلاحه فبلغ ذلك ابن الاطنابة فقال أبياتا منها

أبلغ الحرث بن ظالم المو * عدو الناذر النذور عليا
انما تقتل النيام ولا تقـ * ـتل يقظان ذا سلاح كميا

فبلغ الحرث شعره فسار الى المدينة وسال عن منزل ابن الاطنابة فلما دنا منه نادى يا ابن الاطنابة أغثني فاتاه عمرو فقال من أنت قال رجل من بني فلان خرجت أريد بني فلان فعرض لي قوم قريبا منك فاخذوا ما كان معي فاركب معي حتى تستنقذه فركب معه ولبس سلاحه ومضى معه فلما أبعد عن منزله عطف عليه وقال أنائم أنت أم يقظان فقال يقظان فقال أنا أبو ليلى وسيفي المعلوب فالقى ابن الاطنابة سيفه وقبل رمحه وقال قد أعجلتني فامهلني حتى آخذ سيفي فقال خذه قال أخاف ان تعجلني عن أخذه قال لك ذمة ظالم لا أعجلك عن أخذه قال وذمة الاطنابة لا آخذه فانصرف الحرث وهو يقول أبياتا منها

بلغتنا مقالة المرء عمرو * فالتقينا وكان ذاك بديا
فهممنا بقتله اذ برزنا * ووجدناه ذا سلاح كميا
غير ما نائم يروع بالفتـ * ـك ولكن مقلدا مشرفيا
فمننا عليه بعد علو * بوفاء وكنت قدما وفيا

ثم ان الحرث لما علم ان النعمان قد جد في طلبه وهوازن لا تقعد عن الطلب بثار خالد خرج متنكرا الى الشام واستجار بيزيد بن عمرو فاكرمه وأجاره وكان ليزيد ناقة محماة في عنقها مدية وزناد وملح ليمتحن بذلك رعيته فوحمت زوجة الحرث واشتهت شحما ولحما فاخذ الحرث الناقة فادخلها شعبا فنحرها وحمل الى امرأته من شحمها ولحمها ورفع منه وفقدت الناقة فطلبت فوجدت عقيرة بالوادي فارسل الملك الى كاهن فسأله عنها فذكر له ان الحرث نحرها فارسل امرأة بطيب تشتري من لحمها من امرأة الحرث فادركها الحرث وقد اشترت اللحم فقتلها ودفنها في البيت فسأل الملك الكاهن عن المرأة فقال قتلها من نحر الناقة واذا كرهت ان تفتش بيته فتأمر الرجل بالرحيل فاذا رحل فتشت بيته ففعل ذلك فلما رحل الحرث فتش الكاهن بيته فوجد المرأة وأحس الحرث بالشر فعاد الى الكاهن فقتله فاخذ الحرث وأحضر عند الملك فامر بقتله فقال انك قد أجرتني فلا تغدر بي فقال ان غدرت بك مرة واحدة فقد غدرت بي مرارا فقتله

(أيام داحس والغبراء وهي بين عبس وذبيان)

وكان سبب ذلك ان قيس بن زهير بن جذيمة العبسي سار الى المدينة ليتجهز لقتال عامر والاخذ بثار أبيه فاتى أحيحة بن الجلاح يشتري منه درعا موصوفة فقال له لا أبيعها ولولا أن تذمني بنو عامر لوهبتها منك ولكن اشترها بابن لبون ففعل ذلك وأخذ الدرع وتسمى ذات الحواشي ووهبه أحيحة أيضا ادراعا وعاد الى قومه وقد فرغ من جهازه فاجتاز بالربيع بن زياد العبسي فدعاه الى مساعدته على الاخذ بثاره فاجابه الى ذلك فلما أراد فراقه نظر الربيع الى عيبته فقال ما في حقيبتك قال متاع عجيب لو أبصرته لراعك وأناخ راحلته فاخرج الدرع من الحقيبة فابصرها

للترجمان سله عن تحركه لشفتيه فسألني فقلت أصلي على الانبياء فقال ومن أين عرفتهم فقلت بما صوّر من أمورهم هذا نوح عليه السلام في السفينة بمن معه لما أمر الله عزوجل الماء فعم الماء الارض كلها بمن فيها وسلمه ومن معه فقال أما نوح فصدقت في تسميته وأما غرق الارض كلها فلا نعرفه وانما أخذ الطوفان قطعة من الارض ولم يصل الى أرضنا ان كان خبركم صحيحا فنحن هذه القطعة ونحن معاشر أهل الصين والهند والسند وغيرنا من الطوائف والامم لا نعرف ما ذكرتم ولا نقل الينا أسلافنا ما وصفتم وما ذكرت من ركوب الماء الارض كلها فمن الكوائن العظام التي تفزع النفوس الى حفظه وتتداوله الامم ناقلة له قال القرشي فهبت الرد عليه واقامة الحجة لعلمي بدفعه ذلك ثم قلت وهذا موسى صلى الله عليه وسلم وبنو اسرائيل فقال نعم على قلة البلد الذي كان به وفساد قومه عليه ثم قلت هذا عيسى ابن مريم عليه السلام على حماره والحواريون معه فقال لقد كان قليل مدته انما كان أمده يزيد على ثلاثين شهرا شيئا يسيرا وعدد من ذكرنا من الانبياء مما اقتصرت على ذكر بعضه

الربيع فاعجبته ولبسها فكانت فى طوله فمنعها من قيس ولم يعطه اياها وترددت الرسل بينهما فى ذلك ولج قيس فى طلبها ولج الربيع فى منعها فلما طالت الايام على ذلك سير قيس أهله الى مكة وأقام ينتظر غرة الربيع ثم ان الربيع سير ابله وأمواله الى مرعى كثير الكلا وأمر أهله فظعنوا وركب فرسه وسار الى المنزل فبلغ الخبر قيسا فسار فى أهله واخوته فعارض ظعائن الربيع وأخذ زمام أمه فاطمة بنت الخرشب وزمام زوجته فقالت فاطمة أم الربيع ماتريد ياقيس قال أذهب بكن الى مكة فابيعكن بها بسبب درعى قالت وهى فى ضمانى وخل عنا ففعل فلما جاءت الى ابنها قالت له فى معنى الدرع فحلف انه لا يرد الدرع فارسلت الى قيس أعلمته بما قال الربيع فاغار على نعم الربيع فاستاق منها أربعمائة بعير وسار بها الى مكة فباعها واشترى بها خيلا وتبعه الربيع فلم يلحقه فكان فيما اشترى من الخيل داحس والغبراء وقيل ان داحسا كان من خيل بنى يربوع وان أباه كان فرسا لرجل من بنى ضبة يقال له أنيف بن جبلة وكان الفرس يسمى السبط وكانت أم داحس لليربوعى فطلب اليربوعى من الضبى ان ينزى فرسه على حجره فلم يفعل فلما كان الليل عمد اليربوعى الى فرس الضبى فاخذه فانزاه على فرسه فاستيقظ الضبى فلم ير فرسه فنادى فى قومه فجاءوه وقد تعلق باليربوعى فاخبرهم الخبر فغضبت ضبة من ذلك فقال لهم لا تعجلوا دونكم نطفة فرسكم فخذوها فقال القوم قد انصف فسطا عليها رجل من القوم فدس يده فى رحمها فاخذ ما فيها فلم تزد الفرس الا لقاحا فنتجت مهرا فسمى داحسا بهذا السبب فكان عند اليربوعى ابنان له وأغار قيس بن زهير على بنى يربوع فنهب وسبى ورأى الغلامين أحدهما على داحس والآخر على الغبراء فطلبهما فلم يلحقهما فرجع وفى السبى أم الغلامين وأختان لهما وقد وقع داحس والغبراء فى قلبه وكان ذلك قبل ان يقع بينه وبين الربيع ماوقع ثم جاء وفد بنى يربوع فى فداء الاسرى والسبى فاطلق الجميع الا أم الغلامين وأختيهما وقال ان أتانى الغلامان بالمهر والفرس الغبراء والا فلا فامتنع الغلامان من ذلك فقال شيخ من بنى يربوع كان أسيرا عند قيس أبياتا وبعث بها الى الغلامين وهى

ان مهرا فدا الرباب وجملا * وسعادا لخير مهر اناس
ادفعوا داحسا بسمراء انها * انها من فعالها الاكياس
دونها والذى يحج له النا * س سبايا يبعن بالافراس
ان قيسا يرى الجواد من الخيـ * ـل حياة فى متلف الانفاس
يشترى الطرف بالجراجرة الجلـ * ـة يعطى عفوا بغير مكاس

فلما انتهت الابيات الى بنى يربوع قادوا الفرسين الى قيس وأخذوا النساء وقيل ان قيسا أنزى داحسا على فرس له فجاءت بمهرة فسماها الغبراء ثم ان قيسا أقام بمكة فكان أهلها يفاخرونه وكان فخورا فقال لهم نحوا كعبتكم عنا وحرمكم وهاتوا ماشئتم فقال له عبد الله بن جدعان اذا لم نفاخرك بالبيت المعمور وبالحرم الآمن فبم نفاخرك فمل قيس مفاخرتهم وعزم على الرحلة عنهم وسر ذلك قريشا لانهم قد كانوا كرهوا مفاخرته فقال لاخوته ارحلوا بنا من عندهم أولا والانفاقم الشر بيننا وبينهم والحقوا ببنى بدر فانهم أكفاؤنا فى الحسب وبنو عمنا فى النسب وأشراف قومنا فى الكرم ومن لا يستطيع الربيع ان يتناولنا معهم فلحق قيس واخوته ببنى بدر وقال فى مسيره اليهم

أسير الى بنى بدر بامر * هم فيه علينا بالخيار
فان قبلوا الجوار فخير قوم * وان كرهوا الجوار فغير عار
أتينا الحرث الخير بن كعب * بنجران وأى الجار جار

ويزعم هذا القرشى وهو المعروف بابن وهبان انه رأى فوق كل صورة كتابة طويلة قد زيد فيها ذكر أسمائهم ومواضع بلدانهم ومقادير أعمارهم وأسباب نبوّاتهم وسيرهم قال ثم رأيت صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جمل وأصحابه محدقون به فى أرجلهم نعال عربية من جلود الابل وفى أوساطهم الحبال قد علقوا فيها المساويك فبكيت فقال الترجمان سله عن بكائه فقلت هذا نبينا وسيدنا وابن عمنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت لقد ملك قومه أجل الممالك الا أنه لم يعاين من الملك شيأ انما عاينه من بعده ومن تولى الامر على أمته من خلفائه ورأيت صور أنبياء كثيرة منهم من قد أشار بيده جامعا بين سبابته وابهامه كالحلقة كانه يصف ان الخليقة فى مقدار الحلقة ومنهم من قد أشار بسبابته نحو السماء كالمرهب للخليقة بما فوق وغير ذلك ثم سألنى عن الخلفاء وزيهم وكثير من الشرائع فاجبته على قدر ما أعلم منها ثم قال كم عمر الدنيا عندكم فقلت قد تنوزع فى ذلك فبعض يقول ستة آلاف وبعض يقول دونها وبعض يقول أكثر منها

فجاورنا الذين اذا أتاهم * غريب حل في سعة القرار
فيأمن فيهم ويكون منهم * بمنزلة الشعار من الدثار
وان نفرد بحرب بني أبينا * بلا جار فان الله جاري

ثم نزل ببني بدر فنزل بحذيفة فاجاره هو وأخوه حمل بن بدر وأقام فيهم وكان معه افراس له ولاخوته لم يكن في العرب مثلها وكان حذيفة يغدو ويروح الى قيس فينظر الى خيله فيحسده عليها ويكتم ذلك في نفسه وأقام قيس فيهم زمانا يكرمونه واخوته فغضب الربيع ونقم ذلك عليهم وبعث اليهم بهذه الابيات

ألا أبلغ بني بدر رسولا * على ما كان من شنا ووتر
بأني لم أزل لكم صديقا * ادافع عن فزارة كل أمر
أسالم سلمكم وأرد عنكم * فوارس أهل نجران وحجر
وكان أبي ابن عمكم زياد * صفي أبيكم بدر بن عمرو
فالجأتم أخا الغدرات قيسا * فقد أفعمتم ايغار صدري
فحسبي من حذيفة ضم قيس * وكان البدء من حمل بن بدر
فاما ترجعوا أرجع اليكم * وان تأبوا فقد أوسعت عذري

فلم يتغيروا عن جوار قيس فغضب الربيع وغضبت عبس لغضبه ثم ان حذيفة كره قيسا واراد اخراجه عنهم فلم يجد حجة وعزم قيس على العمرة فقال لاصحابه اني قد عزمت على العمرة فاياكم ان تلابسوا حذيفة بشيء واحتملوا كل ما يكون منه حتى ارجع فاني قد عرفت الشر في وجهه وليس يقدر على حاجته منكم الا أن تراهنوه على الخيل وكان ذا رأي لا يخطئ فيما يريده وسار الى مكة ثم ان فتى من عبس يقال له ورد بن مالك أتى حذيفة فجلس اليه فقال له ورد لو اتخذت من خيل قيس فحلا يكون أصلا لخيلك فقال حذيفة خيلي خير من خيل قيس ولجا في ذلك الى ان تراهنا على فرسين من خيل قيس وفرسين من خيل حذيفة والرهن عشرة اذواد وسار ورد فقدم على قيس بمكة فاعلمه الحال فقال له أراك قد أوقعتني في بني بدر ووقعت معي وحذيفة ظلوم لا تطيب نفسه بحق ونحن لا نقر له بضيم ورجع قيس من العمرة فجمع قومه وركب الى حذيفة وسأله ان يفك الرهن فلم يفعل فسأله جماعة فزارة وعبس فلم يجب الى ذلك وقال ان أقر قيس ان السبق لي والا فلا فقال أبو جعدة الفزاري

آل بدر دعوا الرهان فانا * قد ملانا اللجاج عند الرهان
ودعوا المسرف في فزارة جارا * ان ما غاب عنكم كالعيان
ليت شعري عن هاشم وحصين * وابن عوف وحارث وسنان
حين يأتيهم لجاجك قيسا * وأي صاح أتيت أم نشوان

وسأل حذيفة اخوته وسادات أصحابه في ترك الرهان ولج فيه وقال قيس علام تراهنني قال على فرسيك داحس والغبراء وفرسي الخطار والحنفاء وقيل كان الرهن على فرسي داحس والغبراء فقال قيس داحس اسرع وقال حذيفة الغبراء اسرع وقال لقيس اريد أن اعلمك ان بصري بالخيل أثقب من بصرك والاول أصح فقال له قيس نفس في الغاية وارفع في السبق فقال حذيفة الغاية من ابلي الى ذات الاصاد وهو قدر مائة وعشرين غلوة والسبق مائة بعير وضمروا الخيل فلما فرغوا قادوا الخيل الى الغاية وحشدوا ولبسوا السلاح وتركوا السبق على يد عقال بن مروان

فقال ذلك عن نبيكم فقلت نعم فضحك ضحكا كثيرا ووزيره أيضا وهو واقف على انكار ذلك وقال ما حسبت نبيكم قال هذا فذلك فقلت بلى هو قال ذلك فرأيت الانكار في وجهه ثم قال للترجمان قل له ميز كلامك فان الملوك لا تكلم الا عن تحصيل أما زعمت انكم تختلفون في ذلك فانكم انما اختلفتم في قول نبيكم وما قالت الانبياء لا يجب ان يختلف فيه بل هو مسلم فاحذر هذا وشبهه أن تحكيه وذكر أشياء كثيرة ذهبت عني لطول المدة ثم قال لي لم عدلت عن ملكك وهو أقرب اليك دارا ومنسبا قلت بما حدث على البصرة ووقوعي الى سيراف ونزعت بي همتي الى ملكك أيها الملك لما بلغني من استقامة ملكك وحسن سيرتك وكثرة جنودك فاحببت الوقوع الى هذه المملكة ومشاهدتها وأنا راجع عنها الى بلادي وملك ابن عمي ومخبر بما شاهدت من جلالة هذا الملك وسعة هذه البلاد وشمولك ايها الملك المحمود وسأقول بكل قول حسن واثني بكل جميل فسره ذلك وأمر لي بجائزة سنية وخلع شريفة وأمر بحملي على البريد الى مدينة

ابن

ابن الحكم القيسي وأعدّوا الامناء على ارسال الخيل وأقام حذيفة رجلا من بني أسد في الطريق وأمره ان يلقي داحسا في وادي ذات الاصاد ان مرّ به سابقا فيرمي به الى أسفل الوادي فلما أرسلت الخيل سبقهما داحس سبقا بينا والناس ينظرون اليه وقيس وحذيفة على رأس الغاية في جميع قومهما فلما هبط داحس في الوادي عارضه الاسدي فلطم وجهه فالقاه في الماء فكاد يغرق هو وراكبه ولم يخرج الا وقد فاتته الخيل واما راكب الغبراء فانه خالف طريق داحس لما رآه قد ابطأ وعاد الى الطريق واجتمع مع فرسي حذيفة ثم سقطت الحنفاء وبقي الغبراء والخطار فكانا اذا أحزنا سبق الخطار واذا أسهلا سبقت الغبراء فلما قربا من الناس وهما في وعث من الارض تقدم الخطار فقال حذيفة سبقتك يا قيس فقال رويدك يعلون الجدد فذهبت مثلا فلما استوت بهما الارض قال حذيفة خدع والله صاحبنا فقال قيس ترك الخداع من أجرى من مائة وعشرين فذهبت مثلا ثم ان الغبراء جاءت سابقة وتبعها الخطار فرس حذيفة ثم الحنفاء له أيضا ثم جاء داحس بعد ذلك والغلام يسير به على رسله فاخبر الغلام قيسا بما صنع بفرسه فانكر حذيفة ذلك وادعى السبق ظلما وقال جاء فرساي متتابعين ومضى قيس وأصحابه حتى نظروا الى القوم الذين حبسوا داحسا واختلفوا وبلغ الربيع بن زياد خبرهم فسره ذلك وقال لاصحابه هلك والله قيس وكاني به ان لم يقتله حذيفة وقد أتاكم يطلب منكم الجوار اما والله لئن فعل ما لنا من ضمه من بد ثم ان الاسدي ندم على حبس داحس فجاء الى قيس واعترف بما صنع فسبه حذيفة ثم ان بني بدر قصروا بقيس واخوته وآذوهم بالكلام فعاتبهم قيس فلم يزدادوا الا بغيا عليه وبذاءاه ثم ان قيسا وحذيفة تناكرا في السبق حتى هما بالمؤاخذة فمنعهما الناس وظهر لهم بغي حذيفة وظلمه ولج في طلب السبق فارسل ابنه ندبة الى قيس يطالبه به فلما ابلغه الرسالة طعنه فقتله وعادت فرسه الى أبيه ونادى قيس يا بني عبس الرحيل فرحلوا كلهم ولما اتت الفرس حذيفة علم ان ولده قتل فصاح في الناس وركب فيمن معه وأتى منازل بني عبس فرآها خالية ورأى ابنه قتيلا فنزل اليه وقبل بين عينيه ودفنوه وكان مالك بن زهير اخو قيس متزوجا في فزارة وهو نازل فيهم فارسل اليه قيس اني قد قتلت ندبة بن حذيفة ورحلت فالحق بنا والا قتلت فقال انما ذنب قيس عليه ولم يرحل فارسل قيس الى الربيع بن زياد يطلب منه العود اليه والمقام معه اذ هم عشيرة وأهل فلم يجبه ولم يمنعه وكان مفكرا في ذلك ثم ان بني بدر قتلوا مالك بن زهير أخا قيس وكان نازلا فيهم فبلغ مقتله بني عبس والربيع بن زياد فاشتد ذلك عليهم وارسل الربيع الى قيس عينا يأتيه بخبره فسمعه يقول

أينجو بنو بدر بمقتل مالك * ويخذلنا في النائبات ربيع
وكان زياد قبله يتقى به * من الدهر ان يوم ألم فظيع
فقل لربيع يحتذي فعل شيخه * وما الناس الا حافظ ومضيع
والا فما لي في البلاد اقامة * وأمر بني بدر علي جميع

فرجع الرجل الى الربيع فاخبره فبكى الربيع على مالك وقال

منع الرقاد فما اغمض ساعة * جزعا من الخبر العظيم الساري
أفبعد مقتل مالك لضيعة * يرجو النساء عواقب الاطهار
من كان محزونا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه * ويقمن قبل تبلج الاسحار
يضربن حر وجوههن على فتى * ضخم الدسيعة غير ما خوّار

خانقو وكتب الى ملكها باكرامي وقدومي على من في ناحيته من الامم واقامة النزل الى وقت خروجي عنه فكنت في أخصب عيش وأنعمه الى أن خرجت من بلاد الصين (قال المسعودي) وأخبرني أبو زيد الحسن بن يزيد السيرافي بالبصرة وكان قد قطنها وانتقل عن سيراف وذلك في سنة ثلاث وثلثمائة وأبو زيد هذا هو ابن عم ابن زيد ابن محمد بن مزد بن ساسياد السيرافي وكان الحسن بن يزيد من أهل التحصيل والتمييز انه سأل ابن وهبان القرشي عن مدينة حمدان التي بها الملك وصفتها فذكر سعتها وكثرة أهلها وأنها مقسومة على قسمين يفصل بينهما شارع عظيم طويل عريض فالملك ووزيره وقاضي القضاة وجنوده وخصيانه وجميع أسبابه في الشق الايمن منه مما يلي المشرق لا يخالطهم أحد من العامة وليس فيه شيء من الاسواق بل انهار في سككهم مطردة واشجار عليها منتظمة ومنازل فسيحة وفي الشق الايسر مما يلي المغرب الرعية والتجار والميرة والاسواق فاذا وضح النهار رأيت قهارمة الملك وغلمانه وغلمان وزرائه

قد كن يكنن الوجوه تسترا * فاليوم حين برزن للنظار

وهي طويلة فسمعها قيس فركب هو وأهله وقصدوا الربيع بن زياد وهو يصلح سلاحه فنزل إليه قيس وقام الربيع فاعتنقا وبكيا وأظهرا الجزع لمصاب مالك ولقي القوم بعضهم بعضا فنزلوا فقال قيس للربيع انه لم يهرب منك من لجأ اليك ولم يستغن عنك من استعان بك وقد كان لك شر يوميك فليكن لي خير يوميك وانما أنا بقومي وقومي بك وقد أصاب القوم مالكا ولست أهم بغدرهم ان حاربت بني بدر نصرتهم بنو ذبيان وان حاربتني خذلني بنو عبس الا أن تجمعهم علي والقوم في الدماء سواء قتلت ابنهم وقتلوا أخي فان نصرتني طمعت فيهم وان خذلتني طمعوا فيّ فقال الربيع يا قيس انه لا ينفعني ان أرى لك من الفضل ما لا أراه لي ولا ينفعك أن ترى لي ما لا أراه لك وقد مال على قتل مالك وأنت ظالم ومظلوم ظلموك في جوادك وظلمتهم في دمائهم وقتلوا أخاك بابنهم فان يبؤ الدم بالدم فعسى أن تلقح الحرب أقم معك وأحب الامرين الى مسالمتهم وتخلوا بحرب هوازن وبعث قيس الى أهله وأصحابه فجاؤا ونزلوا مع الربيع وأنشدهم عنترة بن شداد مرثيته في مالك

فلله عينا من رأى مثل مالك * عقيرة قوم أن جرى فرسان
فليتهما لم يطعما الدهر بعدها * وليتهما لم يجمعا لرهان
وليتهما ماتا جميعا ببلدة * وأخطاهما قيس فلا يريان
لقد جلبا جلبا لمصرع مالك * وكان كريما ماجدا لهجان
وكان اذا ما كان يوم كريهة * فقد علموا أني وهو فتيان
وكنا لدى الهيجاء نحمي نساءنا * ونضرب عند الكرب كل بنان
فسوف ترى ان كنت بعدك باقيا * وأمكنني دهري وطول زماني
فأقسم حقا لو بقيت لنظرة * لقرت بها العينان حين تراني

وبلغ حذيفة ان الربيع وقيسا اتفقا فشق ذلك عليه واستعد للبلاء وقيل ان بلاد عبس كانت قد أجدبت فانتجع أهلها بلاد فزارة وأخذ الربيع جوارا من حذيفة وأقام عندهم فلما بلغه مقتل مالك قال لحذيفة لي ذمتي ثلاثة أيام فقال حذيفة ذلك لك فانتقل الربيع من بني فزارة فبلغ ذلك حمل بن بدر فقال لحذيفة أخيه بئس الرأي رأيت قتلت مالكا وخليت سبيل الربيع والله ليضرمن عليك نارا فركبا في طلب الربيع ففاتهم فعلما انه قد اضمر الشر واتفق الربيع وقيس وجمع حذيفة قومه وتعاقدوا على عبس وجمع الربيع وقيس قومهما واستعدوا للحرب فاغارت فزارة على بني عبس فأصابوا نعما ورجالا فحميت عبس واجتمعت للغارة فنذرت بهم فزارة فخرجوا اليهم فالتقوا على ماء يقال له العذق وهي أول وقعة كانت بينهم فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل عوف بن زيد قتله جندب بن خلف العبسي وانهزمت فزارة وقتلوا قتلا ذريعا وأسر الربيع بن زياد حذيفة بن بدر وكان حر بن الحرث العبسي قد نذر ان قدر على حذيفة أن يضربه بالسيف وله سيف قاطع يسمى الاصرم فأراد ضربه بالسيف لما أسر وفاء بنذره فأرسل الربيع الى امرأته فغيبت سيفه ونهوه عن قتله وحذروه عاقبة ذلك فأبى الا ضربه فوضعوا عليه الرجال فضربه فلم يصنع السيف شيأ وبقي حذيفة أسيرا فاجتمعت غطفان وسعوا في الصلح فاصطلحوا على ان يهدر وادم بدر بن حذيفة بدم مالك بن زهير ويعقلوا عوف بن بدر ويعطوا حذيفة عن ضربته التي ضربه حر مائتين من الابل وان يجعلوها عشارا كلها وأربعة اعبد واهدر حذيفة دماء من قتل من فزارة في الوقعة وأطلق من الاسر فلما رجع الى قومه ندم على ذلك وساءت مقالته في بني عبس وركب قيس بن

وكلهم ما بين راكب وراجل قد دخلوا الى السوق الذي فيه العامة والتجار فأخذوا بضائعهم وحوائجهم ثم انصرفوا فلا يعود واحد منهم الى هذا السوق الا في اليوم الثاني وان هذه البلدان فيها كل نزهة وغيضة حسنة وأنهار مطردة الا النخل فانه معدوم عندهم وأهل الصين من أحذق خلق الله كفا بنقش وصنعة وكل عمل لا يتقدمهم فيه أحد من سائر الامم والرجل منهم يصنع بيده ما يقدر أن غيره يعجز عنه فيقصد به باب الملك يلتمس الجزاء على لطيف ما ابتدع فيأمر الملك بنصبه على بابه من وقته ذلك الى سنة فان لم يخرج أحد فيه عيبا أجاز صانعه وأدخله في جملة صناعه وان أخرج أحد فيه عيبا اطرحه ولم يجزه وأن رجلا منهم صور سنبلة سقط عليها عصفور في ثوب حرير فلم يشك الناظر الا أنها سنبلة سقط عليها عصفور فبقي الثوب مدة وأنه اجتاز به أحدب فعاب العمل فادخل الى الملك وأحضر صاحب العمل فسأل الاحدب عن العيب فقال المتعارف عند الناس جميعا انه لا يقع عصفور على سنبلة الا أمالها وصور هذا المصور السنبلة قائمة

هير وعمارة بن زياد فضيا الى حذيفة وتحدثا معه فاجابهما الى الاتفاق وان يرد عليهما الابل التي أخذ منهما وكانت توالدت عنده فبيناهم في ذلك اذ جاءهم سنان بن أبي حارثة المري فقبح رأي حذيفة في الصلح وقال ان كنت لابد فاعلا فاعطهم ابلا عجافا مكان ابلهم واحبس أولادها فوافق ابن حذيفة فابى قيس وعمارة ذلك وقيل ان الابل التي طلبوها منه هي ابل كان قد أخذها من قيس وقيل أيضا ان مالك بن زهير قتل بعد هذه الوقعة المذكورة قال حميد بن بدر في ذلك

قتلنا بعوف مالكا وهو ثارنا * ومن يتدع شيأ سوى الحق يظلم

بن سنان يحث حذيفة على الحرب فتيسر والهاشم أن الانصار بلغهم ما عزموا عليه فاتفق جماعة من رؤسائهم وهم عمرو بن الاطنابة ومالك بن عجلان وأحيحة بن الجلاح وقيس بن الخطيم وغيرهم وساروا ليصلحوا بينهم فوصلوا اليهم وترددوا في الاتفاق فلم يجب حذيفة الى ذلك وظهر لهم بغيه فحذروه عاقبته وعادوا عنه وأغار حذيفة على عبس وأغارت عبس على فزارة وتفاقم الشر وأرسل حذيفة أخاه حملا فاغار وأسر ريان بن الاسلع بن سفيان وشده وثاقا وحمله الى حذيفة فاطلقه ليرهنه ابنيه وجبيرا ابن أخيه عمرو بن الاسلع ففعل ريان ذلك ثم سار قيس الى فزارة فلقي منهم جمعا فيهم مالك بن بدر فقتله قيس وانهزم فزارة فاخذ حينئذ حذيفة ولدي ريان فقتلهما وهما يستغيثان يا أبتاه حتى ماتا وأما ابن اخيه فمنعه اخواله ولما قتل مالك والغلامان اشتدت الحرب بين الفريقين وأكثرها في فزارة ومن معها في بعض الايام التقوا واقتتلوا قتالا شديدا دامت الحرب بينهم الى آخر النهار وأبصر ريان بن الاسلع زيد بن حذيفة فحمل عليه فقتله وانهزمت فزارة وذبيان وأدرك الحرث بن بدر فقتل ورجعت عبس سالمة لم يصب منها أحد فلما قتل زيد والحرث جمع حذيفة جميع بني ذبيان وبعث الى أشجع وأسد بن خزيمة فجمعهم فبلغ ذلك بني عبس فضموا أطرافهم وأشار قيس بن زهير بالسبق الى ماء العقيقة ففعلوا ذلك وسار حذيفة في جموعه الى عبس ومشى السفراء بينهم فخاف حذيفة انه لا يصلح حتى يشرب من ماء العقيقة فارسل اليه قيس منه في سقاء وقال لا أترك حذيفة يخدعني واصطلحوا على ان تعطي بنو عبس حذيفة ديات من قتل له ووضعوا الرهائن عنده الى ان يجمعوا الديات وهي عشر وكانت الرهائن ابنا لقيس بن زهير وابنا للربيع بن زياد فوضعوا أحدهما عند قطبة بن سنان والآخر عند رجل من بكر بن وائل أعمى فعير بعض الناس حذيفة بقبول الدية فحضر هو وأخوه حمل عند قطبة بن سنان والبكري وقال ادفعا الينا الغلامين لنكسوهما ونسرحهما الى أهلهما فاما قطبة فدفع اليهما الغلام الذي عنده وهو ابن قيس واما البكري فامتنع من تسليم من عنده فلما أخذا ابن قيس عادا فلقيا في الطريق ابنا لعمارة بن زياد العبسي وابن عم له فاخذاهما وقتلاهما مع ابن قيس فلما بلغ ذلك بني عبس أخذوا ما كانوا جمعوا من الديات فحملوا عليه الرجال واشتروا السلاح ثم خرج قيس في جماعة فلقوا ابنا لحذيفة ومعه فوارس من ذبيان فقتلوهم فجمع حذيفة وسار الى عبس وهم على ماء يقال له عراعر فاقتتلوا فكان الظفر لفزارة ورجعت سالمة وجد حذيفة في الحرب وكرهها أخوه حمل وندم على ما كان وقال لاخيه في الصلح فلم يجب الى ذلك وجمع الجموع من أسد وذبيان وسائر بطون غطفان وسار نحو بني عبس فاجتمعت عبس وتشاوروا في أمرهم فقال لهم قيس بن زهير انه قد جاءكم ما لا قبل لكم به وليس لبني بدر الا دماؤكم والزيادة عليكم واما من سواهم فلا يريدون غير الاموال والغنيمة والرأي اننا نترك الاموال بمكانها ونترك معها فارسين على داحس وعلى فرس آخر جواد ونرحل نحن ونكون على مرحلة من المال فاذا جاء القوم الى

فوقها منتصبا فاخطأ فصدق الاحدب ولم يثب صاحبها بشئ وقصدهم بهذا وشبهه الرياضة لمن يعمل هذه الاشياء ليضطرهم ذلك الى شدة الاحتراز واعمال الفكر فيما يصنعه كل واحد منهم بيده ولاهل الصين أخبار عظيمة عجيبة ولبلادهم أخبار ظريفة سنوردها فيما يرد من هذا الكتاب جملا وان كنا قد أتينا على سائر الاخبار من ذلك في كتابنا أخبار الزمان في الامم الماضية والممالك الداثرة وذكرنا في الكتاب الاوسط جملا لم نتعرض لذكرها في كتاب أخبار الزمان وذكرنا في هذا الكتاب ما لم يتقدم ذكره في ذينك الكتابين والله أعلم

(ذكر جمل من الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك واخبار الاندلس وغير ذلك ومعادن الطيب وأصوله وعدد أنواعه)

قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب جملا من ترتيب البحار المتصلة والمنفصلة فلنذكر الآن في هذا الباب جملا من أخبار ما اتصل بنا من البحر الحبشي والممالك

الاموال سار الينا الفارسان فأعلمانا وصولهم فان القوم يشتغلون بالنهب وحيازة الاموال وان نهاهم ذوو الرأى عن ذلك فان العامة تخالفهم وتنتقض تعبيتهم ويشتغل كل انسان بحفظ ماغنم ويعلقون أسلحتهم على ظهور الابل ويأمنون فنعود نحن اليهم عند وصول الفارسين فندركهم وهم على حال تفرق وتشتت فلا يكون لاحدهم همة الا نفسه ففعلوا ذلك وجاء حذيفة ومن معه فاشتغلوا بالنهب فنهاهم حذيفة وغيره فلم يقبلوا منه وكانوا على الحال التى وصف قيس وعادت بنو عبس وقد تفرقت أسد وغيرهم وبقى بنو فزارة فى آخر الناس فحملوا عليهم من جوانبهم فقتل مالك بن سبيع التغلبى سيد غطفان وانهزمت فزارة وحذيفة معهم وانفرد فى خمسة فوارس وجدّ فى الهرب وبلغ خبره بنى عبس فتبعه قيس بن زهير والربيع بن زياد وقرواش ابن عمرو بن الاسلع وريان بن الاسلع الذى قتل حذيفة ابنيه وتبعوا أثرهم فى الليل وقال قيس كانى بالقوم وقد وردوا جفر الهباءة ونزلوا فيه فساروا ليلتهم كلها حتى أدركوهم مع طلوع الشمس فى جفر الهباءة فى الماء وقد أرسلوا خيولهم فاخذوا بجمعها فحال قيس وأصحابه بينهم وبينها وكان مع حذيفة فى الجفر أخوه حمل بن بدر وابنه حصن بن حذيفة وغيرهم فهجم عليهم قيس والربيع ومن معهما وهم ينادون لبيكم لبيكم يعنى انهم يجيبون نداء الصبيان لما قتلوا ينادون يا أبتاه فقال لهم قيس يابنى بكر كيف رأيتم عاقبة البغى فناشدوهم الله والرحم فلم يقبلوا منهم ودار قرواش بن عمرو حتى وقف خلف ظهر حذيفة فضربه فدق صلبه وكان قرواش قد رباه حذيفة حتى كبر عنده فى بيته وقتلوا حملا أخاه وقطعوا رأسيهما واستبقوا حصن بن حذيفة لصباه وكان عدد من قتل فى هذه الوقعة من فزارة وأسد وغطفان مايزيد على اربعمائة قتيل وقتل من عبس مايزيد على عشرين قتيلا وكانت فزارة تسمى هذه الوقعة البوار وقال قيس بن زهير

أقام على الهباءة خير ميت * واكرمه حذيفة لا يريم
لقد فجعت به قيس جميعا * موالى القوم والقوم الصميم
وعم به لمقتله بعيد * وخص به لمقتله حميم *

وهى طويلة وقال أيضا

ألم تر أن خير الناس امسى * على جفر الهباءة لا يريم
فلولا ظلمه مازلت ابكى * عليه الدهر ماطلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر * بغى والبغى مرتعه وخيم

واكثروا القول فى يوم الهباءة ثم ان عبسا ندمت على مافعلت يوم الهباءة ولام بعضهم بعضا فاجتمعت فزارة الى سنان بن ابى حارثة المرى وشكوا اليه مانزل بهم فاعظمه وذم عبسا وعزم على أن يجمع العرب ويأخذ بثار بنى بدر وفزارة وبث رسله فاجتمع من العرب خلق كثير لايحصون ونهى أصحابه عن التعرض الى الاموال والغنيمة وأمرهم بالصبر وساروا الى بنى عبس فلما بلغهم مسيرهم اليهم قال قيس الرأى اننا لانلقاهم فانا قد وترناهم فهم يطالبوننا بالذحول والطوائل وقد رأوا ما نالهم بالامس باشتغالهم بالنهب والمال فهم لا يتعرضون اليه الآن والذى ينبغى ان نفعله اننا نرسل الظعائن والاموال الى بنى عامر فان الدم لنا قبلهم فهم لا يتعرضون لكم ويبقى اولو القوة والجلد على ظهور الخيل ونماطلهم القتال فان أبوا الا القتال كنا قد أحرزنا أهلينا وأموالنا وقاتلناهم وصبرنا لهم فان ظفرنا فهو الذى نريد وان كانت الاخرى كنا قد احترزنا ولحقنا باموالنا ونحن على حامية ففعلوا ذلك وسارت ذبيان ومن معها فلحقوا بنى عبس على ذات الجراجر

فاقتتلوا

والملوك وجملا من ترتيبها وغير ذلك من أنواع العجائب فنقول ان بحر الصين والهند وفارس واليمن متصلة مياهها غير منفصلة على ماذكرنا الا ان هيجانها وركودها مختلف لاختلاف مهاب رياحها وآثار ثورانها وغير ذلك فبحر فارس تكثر أمواجه ويصعب ركوبه عند لين بحر الهند واستقامة ركوبه وقلة أمواجه ويلين بحر فارس وتقل أمواجه ويسهل ركوبه عند ارتجاج بحر الهند واضطراب أمواجه وظلمته وصعوبة مركبه فاول ماتبتدئ صعوبة بحر فارس عند دخول الشمس السنبلة وقرب الاستواء الخريفى ولا يزال فى كل يوم تكثر أمواجه الى ان تصير الشمس الى برج الحوت فاشد مايكون ذلك فى آخر الخريف عند كون الشمس فى القوس ثم يلين الى ان تعود الشمس الى السنبلة وآخر مايكون ذلك فى آخر الربيع عند كون الشمس فى الجوزاء وبحر الهند لايزال كذلك الى ان تصير الشمس الى السنبلة فيركب حينئذ وأهدأ مايكون عند كون الشمس فى القوس وبحر فارس يركب فى سائر السنة من عمان الى سيراف وهو ستون ومائة

فاقتتلوا قتالا شديدا يومهم ذلك وافترقوا فلما كان الغد عادوا الى اللقاء فاقتتلوا أشد من اليوم الاول وظهرت في هذه الايام شجاعة عنترة بن شداد فلما رأى الناس شدة القتال وكثرة القتلى لام واسنان بن أبي حارثة على منعه حذيفة عن الصلح وتطير وامنه وأشار واعليه بحقن الدماء ومراجعة السلم فلم يفعل وأراد مراجعة الحرب في اليوم الثالث فلما رأى فتور أصحابه وركونهم الى السلم رحل عائذا فلما عاد عنهم رحل قيس وبنو عبس الى بني شيبان بن بكر وجاوروهم وبقوا معهم مدة فرأى قيس من غلمان شيبان ما يكرهه من التعرض لاخذ أموالهم فرحلوا عنهم فتبعهم جمع من شيبان فلقيتهم بنو عبس واقتتلوا فانهزمت شيبان وسارت عبس الى هجر ليحالفوا ملكهم وهو معاوية بن الحرث الكندي فعزم معاوية على الغارة عليهم ليلا فبلغهم الخبر فساروا عنه مجدين وسار معاوية مجدا في أثرهم فتاه بهم الدليل على عمد لئلا يدركوا عبسا الا وهم قد لحقهم ودوابهم النصب فادركوهم بالفروق فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم معاوية وأهل هجر وتبعتهم عبس فاخذت من أموالهم وقتلوا منهم ما أرادوا ورجعوا وسار بن فنزلوا بماء يقال له عرعر عليه حي من كلاب فركبوا ليقاتلوا بني عبس فبرز الربيع وطلب رئيسهم فبرز اليه واسمه مسعود بن مصاد فاقتتلا حتى سقطا الى الارض وأراد مسعود قتل الربيع فانحسرت البيضة عن رقبته فرماه رجل من بني عبس بسهم فقتله فثار به الربيع فقطع رأسه وحملت عبس على كلاب والرأس على رمح فانهزمت كلاب وغنمت عبس أموالهم وذراريهم فساروا الى اليمامة ليحالفوا أهلها من بني حنيفة وأقاموا ثلاث سنين فلم يحسنوا جوارهم وضيقوا عليهم فساروا عنهم وقد تفرق كثير منهم وقتل منهم وهلكت دوابهم وتركهم العرب فراسلتهم بنو ضبة وعرضوا عليهم المقام عندهم ليستعينوا بهم على حرب تميم ففعلوا وجاوروهم فلما انقضى الامر بين ضبة وتميم تغيرت ضبة لعبس وأرادوا اقتطاعهم فحاربتهم عبس فظفرت وغنمت من أموال ضبة وسارت الى بني عامر وحالفوا الاحوص بن جعفر بن كلاب فسر بهم ليتقوى بهم على حرب بني تميم لانه كان بلغه ان لقيط بن زرارة يريد غزو بني عامر والاخذ بثار أخيه معبد فاقامت عبس عند بني عامر فقصدتهم تميم وكانت وقعة شعب جبلة وسنذكره ان شاء الله ثم ان ذبيان غزوا بني عامر بن صعصعة وفيهم بنو عبس فاقتتلوا فانهزمت عامر وأسر قرواش بن هني العبسي ولم يعرف فلما قدموا به الحي عرفته امرأة منهم فلما عرفوه سلموه الى حصن بن حذيفة فقتله ثم رحلت عبس عن عامر ونزلت بتيم الرباب فبغت تيم عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا وتكاثرت عليهم تيم فقتلوا من عبس مقتلة عظيمة ورحلت عبس وقد ملوا الحرب وقلت الرجال والاموال وهلكت المواشي فقال لهم قيس ما ترون قالوا نرجع الى اخواننا من ذبيان فالموت معهم خير من البقاء مع غيرهم فساروا حتى قدموا على الحرث بن عوف بن أبي حارثة المري وقيل على هرم بن سنان بن أبي حارثة ليلا وكان عند حصن بن حذيفة بن بدر فلما عاد ورآهم رحب بهم وقال من القوم قالوا اخوانك بنو عبس وذكروا حاجتهم فقال نعم وكرامة أعلم حصن بن حذيفة فعاد اليه وقال طرقت في حاجة قال أعطيتها قال بنو عبس وجدت وفودهم في منزلي قال حصن صالحوا قومكم أما أنا فلا أدي ولا اتدي قد قتل آبائي وعمومتي عشرين من عبس فعاد الى عبس وأخبرهم بقول حصن وأخذهم اليه فلما رآهم قال قيس والربيع بن زياد نحن ركبان الموت قال بل ركبان السلم ان تكونوا اختللتم الى قومكم فقد اختل قومكم اليكم ثم خرج معهم حتى أتوا سنانا فقال له قم بامر عشيرتك وأصلح بينهم فاني ساعينك ففعل ذلك وتم الصلح بينهم وعادت عبس وقيل ان قيس بن زهير لم يسر مع عبس الى ذبيان وقال لا تراني

فرسخ ومن سيراف الى البصرة وهو أربعون ومائة فرسخ ولا يتجاوز في ركوبه غير ما ذكرنا من هذين الموضعين ونحوهما وقد حكى أبو معشر المنجم في كتابه المترجم بالمدخل الكبير الى علوم النجوم ما ذكرناه من اضطراب هذه البحار وهدوها عند كون الشمس فيما ذكرنا من البروج وليس يكاد يقطع من عمان نحو الهند في انتهائه الا مركب معز زوجولته يسيرة سيما المراكب التي بعمان فانها اذا قطعت الى أرض الهند تحتاج الى النباهة بذلك بلاد الهند في هذا الوقت الذي تكون فيه السيارة وهو الشتاء ودوام الامطار وكانون وكانون وشباط عندهم صيف وعندهم الشتاء كما يكون عندنا الحر في حزيران وتموز وآب فشتاؤنا صيفهم وصيفهم شتاؤنا وكذلك سائر مدن السند والهند وما اتصل بذلك الى أقاصي هذا البحر ومن شتى في صيفنا بارض الهند قيل فلان شتى في أرض الهند أي شتى هنالك وذلك لقرب الشمس وبعدها والغوص على اللؤلؤ في بحر فارس وانما يكون في أول نيسان الى آخر ايلول وما عدا ذلك من

غط دانية أبدا وقد قتلت أخاها أو زوجها أو ولدها أو ابن عمها ولكني سأتوب الى ربي فتنصر وساح في الارض حتى انتهى الى عمان فترهب بها زمانا فلقيه حوح بن مالك العبدي فعرفه فقتله وقال لا رحمني الله ان رحمتك وقيل ان قيسا تزوج في النمر بن قاسط لما عادت عبس الى ذبيان وولد له ولد اسمه فضالة فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم وعقد له على من معه من قومه وكانوا تسعة وهو عاشرهم انقضى حرب داحس والغبراء والحمد لله

﴿يوم شعب جبلة﴾

كان لقيط بن زرارة قد عزم على غزو بني عامر بن صعصعة للاخذ بثأر أخيه معبد بن زرارة وقد ذكرنا موته عندهم أسيرا فبينما هو يتجهز أتاه الخبر بحلف بني عبس وبني عامر فلم يطمع في القوم وأرسل الى كل من كان بينه وبين عبس ذحل يسأله الحلف والتظافر على غزو عبس وعامر فاجتمعت اليه أسد وغطفان وعمرو بن الجون ومعاوية بن الجون واستوثقوا واستكثروا وساروا فعقد معاوية بن الجون الالوية فكان بنو أسد وبنو فزارة بلواء مع معاوية بن الجون وعقد لعمرو ابن تميم مع حاجب بن زرارة وعقد للرباب مع حسان بن همام وعقد لجماعة من بطون تميم مع عمرو ابن عدس وعقد لحنظلة بأسرها مع لقيط بن زرارة وكان مع لقيط ابنته دختنوس وكان يغزو بها معه ويرجع الى رأيها وسار في جمع عظيم لا يشكون في قتل عبس وعامر وادراك ثأرهم فلقي لقيط في طريقه كرب بن صفوان بن الحباب السعدي وكان شريفا فقال ما منعك ان تسير معنا في غزاتنا قال أنا مشغول في طلب ابل لي قال لا بل تريد ان تنذر بنا القوم ولا أتركك حتى تحلف انك لا تخبرهم فحلف له ثم سار عنه وهو مغضب فلما دنا من عامر أخذ خرقة فصر فيها حنظلة وشوكا وترابا وخرقتين يمانيتين وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود ثم رمى بها حيث يسقون ولم يتكلم فأخذها معاوية بن قشير فأتى بها الاحوص بن جعفر وأخبره ان رجلا ألقاها وهم يسقون فقال الاحوص لقيس بن زهير العبسي ما ترى في هذا الامر قال هذا من صنع الله لنا هذا رجل قد أخذ عليه عهد على ان لا يكلمكم فأخبركم ان أعداءكم قد غزوكم عدد التراب وان شوكتهم شديدة واما الحنظلة فهي رؤساء القوم واما الخرقتان اليمانيتان فهما حيان من اليمن معهم واما الخرقة الحمراء فهي حاجب بن زرارة واما الاحجار فهي عشر ليال يأتيكم القوم اليها قد أنذرتكم فكونوا أحرارا فاصبروا كما يصبر الاحرار الكرام قال الاحوص فانا فاعلون وآخذون برأيك فانه لم تنزل بك شدة الا رأيت المخرج منها قال فاذ قد رجعتم الى رأيي فادخلوا نعمكم شعب جبلة ثم أظمؤها هذه الايام ولا توردوها الماء فاذا جاء القوم أخرجوا عليهم الابل وانخسوها بالسيوف والرماح فتخرج مذاعير عطاشا فتشغلهم وتفرق جمعهم واخرجوا أنتم في آثارها واشفوا نفوسكم ففعلوا ما أشار به وعاد كرب بن صفوان فلقي لقيطا فقال له أنذرت القوم فأعاد الحلف له انه لم يكلم أحدا منهم فخلى عنه فقالت دختنوس ابنة لقيط لابيها ردني الى أهلي ولا تعرضني لعبس وعامر فقد أنذرهم لا محالة فاستحمقها وساءه كلامها وردها وسار حتى نزل على فم الشعب بعساكر جرارة كثيرة الصواهل وليس لهم هم الا الماء فقصدوه فقال لهم قيس أخرجوا عليهم الآن الابل ففعلوا ذلك فخرجت الابل مذاعير عطاشا وهم في أعراضها وادبارها فخبطت تميما ومن معها وقطعتهم وكانوا في الشعب وأبرزتهم الى الصحراء على غير تعبئة وشغلوا عن الاجتماع الى ألويتهم وحملت عليهم عبس وعامر فاقتتلوا قتالا شديدا وكثرت القتلى في تميم وكان أول من قتل من رؤسائهم عمرو

ابن

شهور السنة فلا غوص فيه وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على سائر مواضع الغوص في هذا البحر اذ كان ما عداه من البحار لا لؤلؤ فيه وهو خاص بالبحر الحبشي من بلاد خارك وقطن وعمان وسرنديب وغير ذلك من هذا البحر وقد ذكرنا كيفية تكون اللؤلؤ وتنازع الناس في تكونه ومن ذهب منهم الى ان ذلك من المطر ومن ذهب منهم الى ان ذلك من غير المطر وصفة صدف اللؤلؤ العتيق منه والحديث الذي يسمى بالمحار والمعروف بالبلبل واللحم في الصدف والشحم وهو حيوان يفرغ ما فيه من اللؤلؤ والدر خوفا من الغاصة كخوف المرأة على ولدها وقد أتينا على ذكر كيفية الغوص وأن الغاصة لا يكادون يتناولون شيأ الا السمك من اللعمان والتمر لا غيرهما من الاقوات وما يلحقهم وذكر شق أصول آذانهم لخروج النفس من هنالك بدلا عن المنخرين يجعل عليهم ماشيء من الذبل أو من القرن يضمهما كالشقاص لا من الخشب وما يجعل في آذانهم من القطن فيه شيء من الدهن فيعصر من ذلك الدهن اليسير في الماء في قعره

ابن الجون وأسر معاوية بن الجون وعمرو بن عمرو بن عدس زوج دختنوس بنت لقيط وأسر حاجب بن زرارة وانحاز لقيط بن زرارة فدعا قومه وقد تفرقوا عنه فاجتمع اليه نفر يسير فتحرز برايته فوق جرف ثم حمل فقتل فيهم ورجع وصاح أنا لقيط وحمل ثانية فقتل وجرح وعاد فكثر جمعه فانحط الجرف بفرسه وحمل عليه عنترة فطعنه طعنة قصم بها صلبه وضربه قيس بالسيف فالقاه متشحطا فى دمه فذكر ابنته دختنوس فقال

يا ليت شعرى عنك دختنوس * اذا أتاها الخبر المرموس
أتحلق القرون ام تميس * لا بل تميس انها عروس

ثم مات وتمت الهزيمة على تميم وغطفان ثم فدوا حاجبا بخمسمائة من الابل وفدوا عمرو بن عمرو بمائتين من الابل وعاد من سلم الى أهله وقالت دختنوس ترثى أباها قصائد منها

عثر الأغر بخير خنـ * ـدف كهلها وشبابها
وأضرها لعدوها * وأفكها لرقابها
وقريعها ونجيبها * فى المطبقات ونابها
ورئيسها عند الملو * ك وزين يوم خطابها
وأتمها نسبا اذا * رجعت الى أنسابها
فرعى عمودا للعشيـ * ـرة رافعا لنصابها
ويعولها ويحوطها * ويذب عن احسابها
ويطا مواطن للعد * و وكان لا يمشى بها
فعل المدل من الاسو * د لحينها وتبابها
كالكوكب الدرى فى * سمياء لا يخفى بها
عبث الاغر به وكل * منية لكتابها
فرت بنو أسد فرا * ر الطير عن اربابها
وهوازن أصحابهم * كالفار فى أذنابها

وذكر محمد بن اسحق فى يوم جبلة غير ما ذكرنا قال كان سببه ان بنى خندف كان لهم على قيس أكل تاكله القمدد من خندف فكان ينتقل فيهم حتى انتهى الى تميم ثم من تميم الى بنى عمرو بن تميم وهم أقل بطنا منهم وأذله فابت قيس ان تعطى الاكل وامتنعت منه فجمعت تميم وحالفت غيرها من العرب وسار والى قيس فذكر القصة نحو ما تقدم وخالف فى البعض فلا حاجة الى ذكره وفى هذا اليوم ولد عامر بن الطفيل العامرى وقد قال بعض العلماء ان المجوسية كان يدين بها بعض العرب بالبحرين وكان زرارة بن عدس وابناه حاجب ولقيط والاقرع بن حابس وغيرهم مجوسا وان لقيطا تزوج ابنته دختنوس وسماها بهذا الاسم الفارسى وانه قتل وهى تحته فقال فى ذلك

يا ليت شعرى عنك دختنوس الابيات والاول أصح والله أعلم

(يوم ذات نكيف)

كان بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة مبغضين لقريش مضطغنين عليهم ما كان من قصى حين أخرجهم من مكة مع من اخرج من خزاعة حين قسمها رباعا وخططا بين قريش فلما كانوا على عهد عبد المطلب هموا باخراج قريش من الحرم وان يقاتلوهم حتى يغلبوهم عليه وعدت بنو بكر على نعم لبنى الهون بن خزيمة فاطردوها ثم جمعوا جموعهم وجمعت قريش جموعها واستعدت وعقد عبد

تيمنا منهم بذلك فى البحر ضياء بينا وما يطلون به أقدامهم وشفاههم من السواد خوفا من بلع دواب البحر اياهم ولنفورها من السواد وصياح الغاصة فى البحر كالكلاب وخرق الصوت الماء فيسمع بعضهم صياح بعض وللغواص واللؤلؤ وحيوانه أخبار عجيبة وقد أتينا على جميع أوصاف ذلك وصفات اللؤلؤ وعلاماته وأثمانه ومقادير أوقاته فيما سلف من كتبنا فاول هذا البحر مما يلى البصرة والابلة والبحرين من خشبات البصرة ثم بحر لاروى وعليه بلاد صيمور وسوبارة وتانه وسندان وكنباية وغيرها من السند والهند ثم بحر هركند ثم بحر كلاه بار وهو بحر كله والجزائر ثم بحر كردنج ثم بحر الصنف واليه يضاف العود الصنفى الى بلاده ثم بحر الصين وهو بحر صنجى وليس بعده بحر فاول بحار فارس على ما ذكرنا خشبات البصرة والموضع المعروف بالكنكلاه وهى علامات منصوبة من خشب فى البحر مغروسة علامات للمراكب الى عمان مسافة ثلاثمائة فرسخ وعلى ذلك ساحل فارس وبلاد البحرين ومن عمان وقصبتها تسمى سنجار والفرس يسمونها مزون

المطلب الحالف بين قريش والاحابيش وهم بنو الحرث بن عبد مناة وبنو الهون بن خزيمة ابن مدركة وبنو المصطلق من خزاعة فالتقوا بني بكر ومن انضم اليهم وعلى الناس عبد المطلب فاقتتلوا بذات نكيف فانهزم بنو بكر وقتلوا قتلا ذريعا فلم يعودوا لحرب قريش قال ابن شملة الفهري

فلله عينا من رأى من عصابة * غوت غي بكر يوم ذات نكيف
اناخوا الى ابنائنا ونسائنا * فكانوا الناضيفا بشر مضيف

فقتل يومئذ عبد بن السفاح القاري من القارة قتادة بن قيس أخا بلعاء بن قيس واسم بلعاء مساحق ويومئذ قيل قد أنصف القارة من راماها والقارة من ولد الهون بن خزيمة وهو من ولد عضل بن الديش قال رجل منهم

دعونا قارة لا تنفرونا * فنجفل مثل اجفال الظليم

وقيل بهذا البيت سموا قارة وكان يقال للقارة رماة الحدق

﴿ذكر الفجار الاول والثاني﴾

أما الفجار الاول فلم يكن فيه كثير أمر ليذكر وانما ذكرناه لئلا يرى ذكر الفجار الثاني وما كان فيه من الامور العظيمة فيظن ان الاول مثله وقد اهملناه فلهذا ذكرناه قال ابن اسحق كان الفجار الاول بين قريش ومن معها من كنانة كلها وبين قيس عيلان وسببه ان رجلا من كنانة كان عليه دين لرجل من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن فاعدم الكناني فوافى النصري سوق عكاظ بقرد وقال من يبيعني مثل هذا بمالي على فلان الكناني فعل ذلك تعييرا للكناني وقومه فمر به رجل من كنانة فضرب القرد بالسيف فقتله انفة مما قال النصري فصرخ النصري في قيس وصرخ الكناني في كنانة فاجتمع الناس وتحاوروا حتى كاد يكون بينهم القتال ثم اصطلحوا وقيل كان سببه ان فتية من قريش قعدوا الى امرأة من بني عامر وهي وضيئة عليها برقع فقالوا لها اسفري لننظر الى وجهك فلم تفعل فقام غلام منهم فشق ذيل درعها الى ظهرها ولم تشعر فلما قامت انكشفت دبرها فضحكوا وقالوا منعتينا النظر الى وجهك فقد نظرنا الى دبرك فصاحت المرأة يا بني عامر فضحت فاتاها الناس واشتجروا حتى كاد يكون قتال ثم رأوا ان الامر يسير فاصطلحوا وقيل بل قعد رجل من بني غفار يقال له أبو معشر بن مكرز وكان غازيا منيعا في نفسه وكان بسوق عكاظ فمد رجله ثم قال

نحن بنو مدركة بن خندف * من يطعنوا في عينه لا يطرف
ومن يكونوا قومه يغطرف * كأنه لجة بحر مسرف

أنا والله أعز العرب فمن زعم انه أعز مني فليضربها بالسيف فقام رجل من قيس يقال له أحمر بن مازن فضربها بالسيف فخدشها خدشا غير كثير فاختصم الناس ثم اصطلحوا (بنو نصر بالنون)

وأما الفجار الثاني وكان بعد الفيل بعشرين سنة وبعد موت عبد المطلب باثنتي عشرة سنة ولم يكن في أيام العرب أشهر منه ولا أعظم وانما سمي الفجار لما استحل الحيان كنانة وقيس فيه من المحارم وكان قبله يوم جبلة وهو مذكور من أيام العرب والفجار أعظم منه وكان سببه ان البراض بن قيس بن رافع الكناني ثم الضمري وكان رجلا فاتكا خليعا قد خلعه قومه لكثرة شره وكان يضرب المثل بفتكه فيقال أفتك من البراض قال بعضهم

والفتى من تعرفته الليالي * فهو فيها كالحية النضناض

الى المسقط وهي قرية منها يستقي أرباب المراكب الماء من آبار هناك عذبة خمسون فرسخا ومن المسقط الى رأس الجمجمة خمسون فرسخا وهذا آخر بحر فارس وطوله أربعمائة فرسخ هذا تحديد النواتي وأرباب المراكب ورأس الجمجمة جبل متصل ببلاد اليمن من أرض الشحر والاحقاف والرمل منه تحت البحر لا يدري أين تنتهي غايته في الماء فمن هنالك تنطلق المراكب الى البحر الثاني وهو المعروف بلاوري لا يدري عمقه ولا يحصر طوله وعرضه عند البحريين وربما يقطع في الشهرين والثلاثة وفي الشهر على قدر مهاب الريح والسلامة وليس في هذه البحار أعني ما تحتوي عليه البحر الحبشي أكبر من هذا البحر بحر لاوري ولا أشد وفي عرضه بحر الزنج وبلادهم وعنبر هذا البحر قليل وذلك ان العنبر أكثره يقع على بلاد الزنج وساحل الشحر من أرض العرب وأهل الشحر اناس من قضاعة وغيرهم من العرب وهم مهرة ولغتهم بخلاف لغة العرب وذلك انهم يجعلون الشين بدلا من الكاف مثال ذلك ان يقولوا هل لش فيما قلت

كل يوم له بصرف الليالي * فتكة مثل فتكة البراض

خرج حتى قدم على النعمان بن المنذر وكان النعمان يبعث كل عام بلطيمة للتجارة الى عكاظ تباع له هناك وكان عكاظ وذو المجاز ومجنة اسواقا تجتمع بها العرب كل عام اذا حضر الموسم فيؤمن بعضهم بعضا حتى تنقضي أيامها وكانت مجنة بالظهران وكانت عكاظ بين نخلة والطائف وكان ذو المجاز بالجانب الايسر اذا وقفت على الموقف فقال النعمان وعنده البراض وعروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب المعروف بالرحال وانما قيل له ذلك لكثرة رحلته الى الملوك من يجيز لي لطيمتي هذه حتى يبلغها عكاظ فقال البراض أبيت اللعن انا أجيزها على كنانة فقال النعمان انما أريد من يجيزها على كنانة وقيس فقال عروة أكلب خليع يجيزها لك أبيت اللعن أنا أجيزها على أهل الشيح والقيصوم من أهل تهامة وأهل نجد فقال البراض وغضب وعلى كنانة تجيزها يا عروة قال عروة وعلى الناس كلهم فدفع النعمان اللطيمة الى عروة الرحال وأمره بالمسير بها وخرج البراض يتبع أثره وعروة يرى مكانه ولا يخشى منه حتى اذا كان عروة بين ظهري قومه بواد يقال له تيمن بنواحي فدك أدركه البراض بن قيس فأخرج قداحه يستقسم بها في قتل عروة فمر به عروة فقال ما تصنع يا براض فقال استقسم في قتلك أيؤذن لي أم لا فقال عروة استك أضيق من ذلك فوثب اليه البراض بالسيف فقتله فلما رآه الذين يقومون على العير والاجمال قتيلا انهزموا فاستاق البراض العير وسار على وجهه الى خيبر وتبعه رجلان من قيس ليأخذاه أحدهما غنوي والآخر غطفاني اسم الغنوي أسد بن جوين واسم الغطفاني مساور بن مالك فلقيهما البراض بخيبر أول الناس فقال لهما من الرجلان قالا من قيس قدمنا لنقتل البراض فأنزلهما وعقل راحلتيهما ثم قال ايكما أجرأ عليه وأجود سيفا قال الغطفاني أنا فأخذه ومشى معه ليدله بزعمه على البراض فقال للغنوي احفظ راحلتيكما ففعل وانطلق البراض بالغطفاني حتى أخرجه الى خربة في جانب خيبر خارجا من البيوت فقال للغطفاني هو في هذه الخربة اليها يأوي فأمهلني حتى انظر أهو فيها فوقف ودخل البراض ثم خرج فقال هو فيها وهو نائم فأرني سيفك حتى انظر اليه أضارب هو أم لا فأعطاه سيفه فضربه به حتى قتله ثم اخفى السيف وعاد الى الغنوي فقال له لم أر رجلا أجبن من صاحبك تركته في البيت الذي فيه البراض وهو نائم فلم يقدم عليه فقال انظر لي من يحفظ الراحلتين حتى أمضي اليه فأقتله فقال دعهما وهما علي ثم انطلقا الى الخربة فقتله وسار بالعير الى مكة فلقي رجلا من بني أسد بن خزيمة فقال له البراض هل لك الى أن أجعل لك جعلا على أن تنطلق الى حرب بن امية وقومي وقومك فانهم قومي وقومك لان أسد بن خزيمة من خندف أيضا فتخبرهم أن البراض بن قيس قتل عروة الرحال فليحذروا قيسا وجعل له عشرا من الابل فخرج الاسدي حتى أتى عكاظ وبها جماعة الناس فأتى حرب بن أمية فأخبره الخبر فبعث الى عبد الله بن جدعان التيمي والى هشام بن المغيرة المخزومي وهو والد أبي جهل وهما من اشراف قريش وذوي السن منهم والى كل قبيلة من قريش احضر منها رجلا والى الحليس بن يزيد الحرثي وهو سيد الاحابيش فأخبرهم أيضا فتشاوروا وقالوا نخشى من قيس ان يطلبوا ثار صاحبهم منا فانهم لا يرضون ان يقتلوا به خليعا من بني ضمرة فاتفق رأيهم على ان يأتوا أبا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ملاعب الاسنة وهو يومئذ سيد قيس وشريفها فيقولوا له انه قد كان حدث بين نجد وتهامة وانه لم يأتنا علمه فأجز بين الناس حتى تعلم ونعلم فأتوه وقالوا له ذلك فأجاز بين الناس وأعلم قومه ما قيل له ثم قام نفر من قريش فقالوا يا أهل عكاظ انه قد حدث في قومنا بمكة حدث أتانا خبره ونخشى ان

لش وقلت لي أن تجعل لي الذي معي في الذي معك يريد هل لك فيما قلت لي وقلت لك أن تجعل لي الذي معي في الذي معك وغير ذلك من خطابهم ونوادر كلامهم وهم ذوو فقر وفاقة ولهم نجب يركبونها سابا بالليل تعرف بالنجب المهرية تشبه في السرعة بالنجب البجاوية بل عند جماعة انها أسرع منها يسيرون عليها على ساحل بحرهم فاذا أحست هذه النجب بالعنبر قد قذفه البحر بركت عليه قد ريضت لذلك واعتادته فيتناوله الراكب وأجود العنبر ما وقع في هذه الناحية والى جزائر الزنج وساحله وهو المدور والازرق البازر كبيض النعام أو دون ذلك ومنه ما يبلعه الحوت المعروف بالاوال المقدم ذكره وذلك ان البحر اذا اشتد قذف من قعره العنبر كقطع الجبال واصغر على ما وصفنا فاذا ابتلع هذا الحوت العنبر قتله فيطفو فوق الماء ولذلك أناس يرصدونه في القوارب من الزنج وغيرهم فيطرحون فيه الكلاليب والحبال فيشقون عن بطنه ويستخرجون العنبر منه فما يخرج من بطنه يكون سهكا ويعرفه العطارون بالعراق وفارس والهند وما يلي على ظهر الحوت منه

بحفاظنا عنهم تفاقم الشر فلا يروعنكم تحملنا ثم ركبوا على الصعب والذلول الى مكة فلما كان آخر
اليوم أتى عامر بن مالك ملاعب الاسنة الخبر فقال غدرت قريش وخدعني حرب بن أمية والله
لا تنزل كنانة عكاظ أبدا ثم ركبوا في طلبهم حتى أدركوهم بنخلة فاقتتل القوم فاشتعلت قيس
فكادت قريش تنهزم الا انها على حاميتها تبادر دخول الحرم ليأمنوا به فلم يزالوا كذلك حتى دخلوا
الحرم مع الليل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم وعمره عشرون سنة وقال الزهري لم يكن
معهم ولو كان معهم لم ينهزموا وهذه العلة ليست بشئ لانه قد كان بعد الوحي والرسالة ينهزم أصحابه
ويقتلون واذا كان في جمع قبل الرسالة وانهزموا فغير بعيد ولما دخلت قريش الحرم عادت عنهم
قيس وقالوا لهم يا معشر قريش انا لا نترك دم عروة وميعادنا عكاظ في العام المقبل وانصرفت
الى بلادها يحرض بعضها بعضا ويبكون عروة الرحال ثم ان قيسا جمعت جموعها ومعها ثقيف
وغيرها وجمعت قريش جموعها منهم كنانة جميعها والاحابيش وأسد بن خزيمة وفرقت قريش
السلاح في الناس فاعطى عبد الله بن جدعان مائة رجل سلاحا تاما وفعل الباقون مثله وخرجت
قريش للموعد على كل بطن منها رئيس فكان على بني هاشم الزبير بن عبد المطلب ومعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخوته أبو طالب وحمزة والعباس بنو عبد المطلب وعلى بني أمية واحلافها حرب
ابن أمية وعلى بني عبد الدار عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وعلى بني أسد بن عبد العزى
خويلد بن أسد وعلى بني مخزوم هشام بن المغيرة أبو أبي جهل وعلى بني تيم عبد الله بن جدعان وعلى
بني جمح معمر بن حبيب بن وهب وعلى بني سهم العاص بن وائل وعلى بني عدي زيد بن عمرو بن نفيل
والد سعيد بن زيد وعلى بني عامر بن لؤي عمرو بن عبد شمس والد سهيل بن عمرو وعلى بني فهر
عبد الله بن الجراح والد أبي عبيدة وعلى الاحابيش الحليس بن يزيد وسفيان بن عويف هما قائداهم
والاحابيش بنو الحرث بن عبد مناة بن كنانة وعضل والقارة والديش من بني الهون بن خزيمة
والمصطلق بن خزاعة سموا بذلك لحلفهم بني الحرث والتحبش التجمع وعلى بني بكر بلعاء بن قيس
وعلى بني فراس بن غنم من كنانة عمير بن قيس جذل الطعان وعلى بني أسد بن خزيمة بشر بن أبي حازم
وكان على جماعة الناس حرب بن أمية لمكانه من عبد مناف سنا ومنزلة وكانت قيس قد تقدمت
الى عكاظ قبل قريش فعلى بني عامر ملاعب الاسنة أبو براء وعلى بني نصر وسعد وثقيف سبيع
ابن ربيع بن معاوية وعلى بني جشم الصمة والد دريد وعلى غطفان عوف بن أبي حارثة المري وعلى
بني سليم عباس بن زعل بن هني بن أنس وعلى فهم وعدوان كدام بن عمرو وسارت قريش حتى
نزلت عكاظ وبها قيس وكان مع حرب بن أمية اخوته سفيان وأبو سفيان والعاص وأبو العاص بنو
أمية فعقل حرب نفسه وقيد سفيان وأبو العاص نفسيهما وقالوا لن يبرح رجل منا من مكانه حتى
نموت أو نظفر فيومئذ سموا العنابس والعنبس الاسد واقتتل الناس قتالا شديدا فكان الظفر أول
النهار لقيس وانهزم كثير من بني كنانة وقريش فانهزم بنو زهرة وبنو عدي وقتل معمر بن
حبيب الجمحي وانهزمت طائفة من بني فراس وثبت حرب بن أمية وبنو عبد مناف وسائر قبائل
قريش ولم يزل الظفر لقيس على قريش وكنانة الى ان انتصف النهار ثم عاد الظفر لقريش وكنانة
فقتلوا من قيس فاكثروا وحمي القتال واشتد الامر فقتل يومئذ تحت راية بني الحرث بن
عبد مناة بن كنانة مائة رجل وهم صابرون فانهزمت قيس وقتل من اشرافهم عباس بن زعل
السلمي وغيره فلما رأى أبو السيد عم مالك بن عوف النصري ما تصنع كنانة من القتل نادى
يا معشر بني كنانة اسرفتم في القتل فقال ابن جدعان انا معشر يسرف ولما رأى سبيع بن ربيع بن

كان نقيا جيدا على حسب
لبثه في بطن الحوت وبين
البحر الثالث وهو هركند
والبحر الثاني وهو لاروي
على ما ذكرنا جزائر كثيرة
وهي فرق بين هذين
البحرين ويقال انها نحو من
ألفي جزيرة وفي قول المحق
ألف وتسعمائة جزيرة كلها
عامرة بالناس ومملكة هذه
الجزائر كلها امرأة وبذلك
جرت عادتهم في قديم الزمان
لا يملكهم رجل والعنبر
يوجد في هذه الجزائر أيضا
يقذفه البحر ويوجد في
بحرها كاكبر ما يكون من
قطع الصخر وأخبرني غير
واحد من نواخذة السيرافيين
والعمانيين بعمان وسيراف
وغيرهما من التجار ممن كان
يختلف الى هذه الجزائر ان
العنبر ينبت في قعر هذا
البحر ويتكون كتكون
أنواع الفطر من الابيض
والاسود والكمأة والمغاريد
وبنات أوبر ونحوها فاذا
هاج البحر واشتد قذف
من قعره الصخور والاحجار
وقطع العنبر وأهل هذه
الجزائر متفقون وكلمتهم
واحدة لا يحصرهم العدد
لكثرتهم ولا تحصى جيوش
هذه الملكة عليهم وبين
الجزيرة والجزيرة نحو الميل
والفرسخ والفرسخين
والثلاثة ونخلهم شجر
النارجيل لا يفقد من

معاوية هزيمة قبائل قيس عقل نفسه واضطجع وقال يامعشر بني نصر قاتلوا عني أو ذروا فعطفت عليه بنو نصر وجشم وسعد بن بكر وفهم وعدوان وانهزم باقي قبائل قيس فقاتل هؤلاء أشد قتال رآه الناس ثم انهم تداعوا الى الصلح فاصطلحوا على ان يعدوا القتلى فأي الفريقين فضل له قتلى أخذ ديتهم من الفريق الآخر وتعاذوا القتلى فوجدوا قريشا وبني كنانة قد أفضلوا على قيس عشرين رجلا فرهن حرب بن أمية يومئذ ابنه أباسفيان في ديات القوم حتى يؤديها ورهن غيره من الرؤساء وانصرف الناس بعضهم عن بعض ووضعوا الحرب وهدموا ما بينهم من العداوة والشر وتعاهدوا على ان لا يؤذي بعضهم بعضا فيما كان من أمر البراض وعروة

(يوم ذي نجب)

وكان من حديث يوم ذي نجب ان بني عامر لما أصابوا من تميم ما أصابوا يوم جبلة رجوا أن يستأصلوهم فكاتبوا حسان بن كبشة الكندي وكان ملكا من ملوك كندة وهو حسان بن معاوية بن حجر فدعوه الى ان يغزو معهم بني حنظلة من تميم فأخبروه انهم قد قتلوا فرسانهم ورؤساءهم فأقبل معهم بصنائعه ومن كان معه فلما أتى بني حنظلة خبر مسيرهم قال لهم عمرو بن عمرو يا بني مالك انه لا طاقة لكم بهذا الملك وما معه من العدد فانتقلوا من مكانكم وكانوا في أعالي الوادي مما يلي مجيء القوم وكانت بنو يربوع بأسفله فتحولت بنو مالك حتى نزلت خلف بني يربوع وصارت بنو يربوع تلي الملك فلما رأوا ما صنع بنو مالك استعدوا وتقدموا الى طريق الملك فلما كان وجه الصبح وصل ابن كبشة فيمن معه وقد استعد القوم فاقتتلوا فلما رآهم بنو مالك وصبرهم في القتال ساروا اليهم وشهدوا معهم القتال فاقتتلوا مليا فضرب جشيش بن نمران الرياحي ابن كبشة الملك على رأسه فصرعه فمات وقتل عبيدة بن مالك بن جعفر وانهزم طفيل بن مالك على فرسه قرزل وقتل عمرو بن الاحوص بن جعفر وكان رئيس عامر وانهزمت بنو عامر وصنائع ابن كبشة قال جرير في الاسلام يذكر اليوم بذي نجب

بذي نجب ذدنا وواكل مالك ✱ أخا لم يكن عند الطعان بواكل

وكان يوم ذي نجب بعد يوم جبلة بسنة وبقي الاحوص بعد ابنه عمرو يسيرا وهلك أسفا عليه

(يوم نعف قشاوة)

وهو يوم لشيبان على تميم قال أبو عبيدة أغار بسطام بن قيس على بني يربوع من تميم وهم بنعف قشاوة فأتاهم ضحى وهو يوم ريح ومطر فوافق النعم حين سرح فأخذه كله ثم كر راجعا وتداعت عليه بنو يربوع فلحقوه وفيهم عمارة بن عتيبة بن الحرث بن شهاب فكر عليه بسطام فقتله ولحقهم مالك بن حطان اليربوعي فقتله وأتاهم أيضا بجير بن أبي مليل فقتله بسطام وقتلوا من يربوع جمعا وأسروا آخرين منهم مليل بن أبي مليل وسلموا وعادوا غانمين فقال بعض الاسرى لبسطام أيسرك ان أبا مليل مكاني قال نعم قال فان دللتك عليه أتطلقني الآن قال نعم قال فان ابنه بجيرا كان أحب خلق الله اليه وستجده الآن مكبا عليه يقبله فخذه أسيرا فعاد بسطام فرآه كما قال فأخذه أسيرا وأطلق اليربوعي فقال له أبو مليل قتلت بجيرا وأسرتني وابني مليلا والله لا أطعم الطعام أبدا وأنا موثق فخشي بسطام أن يموت فأطلقه بغير فداء على أن يفادي مليلا وعلى أن لا يتبعه بدم ابنه بجير ولا يبغيه غائلة ولا يدل له على عورة ولا يغير عليه ولا على قومه أبدا وعاهده على ذلك فأطلقه وجز ناصيته فرجع الى قومه وأراد الغدر ببسطام والنكث به فأرسل بعض بني يربوع الى بسطام بخبره يحذره وقال متمم بن نويرة

النخلة الا التمر وقد زعم أناس ممن عني بتولدات الحيوان وتطعيم الاشجار ان النارجيل هو نخل المقل وانما أثرت فيه تربة الهند حين غرس فيها فصار نارجيلا وانما هو نخل المقل وقد ذكرنا في كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب ما تؤثره كل بقعة من بقاع الارض وهوائها في حيوانها من الناطقين وغيرهم وما تؤثر البقاع في النامي من النبات وفيما ليس بنام كتأثير أرض الترك في وجوههم وصغر أعينهم حتى أثر ذلك في جمالهم فتقصرت قوائمها وغلظت رقابها وأبيض وبرها وأرض يأجوج ومأجوج في صورهم وغير ذلك مما اذا تبينه ذوو المعرفة في سكان الارض من المشرق والمغرب وجدوه على ما ذكرنا وليس يوجد في جزائر البحر ألطف صنعة من هذه الجزائر في سائر المهن والصنائع في الثياب والآلات وغير ذلك وبيوت أموال هذه الملكة الودع وذلك ان هذا الودع فيه نوع من الحيوان واذا قل مالها أمرت أهل هذه الجزائر ان يقطعوا من سعف نخل النارجيل بخوصه ويطرحونه على وجه الماء فيتراكب عليه ذلك الحيوان فيجمع

أبلغ شهاب بني بكر وسيدها * عني بذلك أبا الصهباء بسطاما
أروى الأسنة من قومي فأنهلها * فأصبحوا في بقيع الأرض نواما
لا يطيقون اذا هب النيام ولا * في مرقد يحلمون الدهر أحلاما
أشجى تميم بن مر لا مكايدة * حتى استعادوا له أسرى وأنعاما
هلا أسيرا فدت تلك النفس تطعمه * مما أراد وقدما كنت مطعاما

وهي أبيات عدة

﴿يوم الغبيط﴾

وهو يوم كانت الحرب فيه بين بني شيبان وتميم أسر فيه بسطام بن قيس الشيباني وسبب ذلك ان بسطام بن قيس والحوفزان بن شريك ومفروق بن عمرو ساروا في جمع من بني شيبان الى بلاد تميم فأغاروا على ثعلبة بن يربوع وثعلبة بن سعد بن ضبة وثعلبة بن عدي بن فزارة وثعلبة بن سعد بن ذبيان وكانوا متجاورين بصحراء فلج فاقتتلوا فانهزمت الثعالبة وقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم بنو شيبان أموالهم ومروا على بني مالك بن حنظلة من تميم وهم بين صحراء فلج وغبيط المدرة فاستاقوا ابلهم فركبت اليهم بنو مالك يقدمهم عتيبة بن الحرث بن شهاب اليربوعي وفرسان بني يربوع وساروا في أثر بني شيبان ومعهم من رؤساء تميم الاحيمر بن عبد الله وأسيد بن جباء وحري بن سعد ومالك بن نويرة فادركوهم بغبيط المدرة فقاتلوهم وصبر الفريقان ثم انهزمت شيبان واستعادت تميم ما كانوا غنموه من أموالهم وقتلت بنو شيبان أبا مرحب ربيعة بن حصبة وألح عتيبة بن الحرث على بسطام بن قيس فادركه فقال له استأسر أبا الصهباء فانا خير لك من الفلاة والعطش فاستأسر له بسطام بن قيس فقال بنو ثعلبة لعتيبة ان أبا مرحب قد قتل وقد أسرت بسطاما وهو قاتل مليل وبجير ابني أبي مليل ومالك بن حطان وغيرهم فاقتله قال اني معيل وأنا أحب اللبن قالوا انك تفاديه فيعود فيحربنا فأبى عليهم وسار به الى بني عامر بن صعصعة لئلا يؤخذ فيقتل وانما قصد عامرا لان عمته خولة بنت شهاب كانت ناكحا فيهم فقال مالك بن نويرة في ذلك

لله عتاب بن ميــة اذ رأى * الى ثارنا في كفه يتلدد
أنجى امرأ أردى بجيرا ومالكا * وأتوى حريثا بعد ما كان يقصد
ونحن ثأرنا قبل ذاك ابن أمه * غداة الكلابيين والجمع يشهد

فلما توسط عتيبة بيوت بني عامر صاح بسطام واشيباناه ولا شيبان لي اليوم فبعث اليه عامر بن الطفيل ان استطعت أن تلجأ الى قبتي فافعل فاني سأمنعك وان لم تستطع فاقذف نفسك في الركا فأتى عتيبة تابعه من الجن فاخبره بذلك فأمر بيته فقوض فركب فرسه وأخذ سلاحه ثم أتى مجلس بني جعفر وفيه عامر بن الطفيل الغنوي فحياهم وقال يا عامر قد بلغني الذي أرسلت به الى بسطام فانا مخبرك فيه خصالا ثلاثا فقال عامر وما هي قال ان شئت فاعطني خلعتك وخلعة أهل بيتك حتى أطلقه لك فليست خلعتك وخلعة أهل بيتك بشر من خلعته وخلعة أهل بيته فقال عامر هذا لا سبيل اليه قال عتيبة ضع رجلك مكان رجله فليست عندي بشر منه فقال ما كنت لأفعل قال عتيبة تتبعني اذا جاوزت هذه الرابية فتقارعني عنه على الموت فقال عامر هذه أبغضهن الي فانصرف به عتيبة الى بني عبيد بن ثعلبة فرأى بسطام مركب أم عتيبة رثا فقال يا عتيبة هذا رحل أمك قال نعم قال ما رأيت رحل أم سيد قط مثل هذا فقال عتيبة واللات والعزى لا أطلقك حتى تأتيني أمك بهودج جها وكان كبيرا ذا ثمن كثير وهذا الذي أراد بسطام ليرغب فيه فلا يقتله

ويطرح على رمل الساحل فتحرق الشمس ما فيه من الحيوان ويبقى الودع خاليا مما كان فيه فيملأ من ذلك بيوت الأموال وهذه الجزائر تعرف جميعها بالديبجات ومنها يحمل أكثر الرانج وهو النارجيل وآخر هذه الجزائر جزيرة سرنديب ويلي جزيرة سرنديب جزائر أخر نحو من ألف فرسخ تعرف بالرامين معمورة بها ملوك وفيها معادن من ذهب كثيرة ويليها بلاد قيصور واليها يضاف الكافور القيصوري والسنة التي تكون كثيرة الصواعق والبروق والرجف والقذف والزلازل يكثر فيها الكافور واذا قل ذلك كان نقصانا في وجوده وأكثر ما ذكرنا من الجزائر غذاؤهم النارجيل ويحمل من هذه الجزائر خشب البقم والخيزران والذهب وفيلتها كثيرة ومنها ما يأكل لحوم الناس وتتصل هذه الجزائر بالجالوس وهي أمم عجيبة الصور عراة يخرجون في القوارب عند اجتياز المراكب بهم معهم العنبر والنارجيل فيتعاوضون بالحديد وشيء من الثياب ولا يبيعون ذلك بالدراهم ولا بالدنانير وتليهم جزائر يقال لها أبرامان فيها أناس سود عجيبو الصورة

فارسل بسطام فاحضر هودج أمه وفادى نفسه باربعمائة بعير وقيل بألف بعير وثلاثين فرسا وهودج أمه وحدجها وخلص من الاسر فلما خلص من الاسر أذكى العيون على عتيبة وابله فعادت اليه عيونه فاخبروه انها على اراب فاغار عليها وأخذ الابل كلها وما لهم معها (عتيبة بالتاء فوقها نقطتان والياء تحتها نقطتان ساكنة وفى آخرها باء موحدة)

(يوم الشيبان على بنى تميم)

قال أبو عبيدة خرج الاقرع بن حابس وأخوه فراس التميميان وهما الاقرعان فى بنى مجاشع من تميم وهما يريدان الغارة على بكر بن وائل ومعهما البروك أبو جعل فلقيهم بسطام بن قيس الشيبانى وعمران بن مرة فى بنى بكر بن وائل بزبالة فاقتتلوا قتالا شديدا فظفرت فيه بكر وانهزمت تميم وأسر الاقرعان وأبو جعل وناس كثير وافتدى الاقرعان نفسهما من بسطام وعاهداه على ارسال الفداء فاطلقهما فبعدا ولم يرسلا شيأ وكان فى الاسرى انسان من يربوع فسمعه بسطام بن قيس فى الليل يقول

قدى بوالدة على شفيقة * فكانها حرض على الاسقام
لو أنها علمت فيسكن جاشها * أنى سقطت على الفتى المنعام
ان الذى ترجين ثم ايابه * سقط العشاء به على بسطام
سقط العشاء به على متنعم * سمح اليدين معاود الاقدام

فلما سمع بسطام ذلك منه قال له وأبيك لا يخبر أمك عنك غيرك وأطلقه وقال ابن رميض العنزى

جاءت هدايا من الرحمن مرسلة * حتى أنيخت لدى أبيات بسطام
جيش الهذيل وجيش الاقرعين معا * وكبة الخيل والاذواد فى عام
مسوم خيله تعدو مقانبه * على الذوائب من أولاد همام

وقال أوس بن حجر

وصحنا عارطويل بناؤه * نسب به مالاح فى الافق كوكب
فلم أر يوما كان أكثر باكيا * ووجها ترى فيه الكآبة تجنب
أصابوا البروك وابن حابس عنوة * فظل لهم بالقاع يوم عصبصب
وان أبا الصهباء فى حومة الوغى * اذا ازورت الابطال ليث مجرب

وأبو الصهباء هو بسطام بن قيس وأكثر الشعراء فى هذا اليوم وفى مدح بسطام بن قيس تركنا ذكره اختصارا (حجر بفتح الحاء والجيم)

(يوم مبايض)

وهو لشيبان على بنى تميم قال أبو عبيدة خرج طريف بن تميم العنبرى التميمى وكان رجلا جسيما يلقب مجدعا وهو فارس قومه ولقيه حميصة بن جندل الشيبانى من بنى أبى ربيعة وهو شاب قوى شجاع وهو يطوف بالبيت فأطال النظر اليه فقال له طريف لم تشد نظرك الى قال حميصة أريد أن أثبتك لعلى أن ألقاك فى جيش فاقتلك فقال طريف اللهم لا تحول الحول حتى ألقاه ودعا حميصة مثله فقال طريف

أو كلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم
لا تنكرونى اننى داء لكم * شاكى السلاح فى الحوادث معلم
حولى فوارس من أسيد جمة * وبنى الهجيم وحول بيتى خضم
تحتى الاغر وفوق جلدى نثرة * زغف ترد السيف وهو مثلم

فى أبيات ثم ان بنى أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان وبنى مرة بن ذهل بن شيبان كان بينهم شر

والمنظر قدم الواحد منهم أكبر من الذراع لا مراكب لهم فاذا وقع الغريق اليهم مما قد انكسر فى البحر أكلوه وكذلك فعلهم بالمراكب اذا وقعت اليهم وذكر لى جماعة من النواخذة انهم ربما رأوا فى هذا البحر سحابا أبيض قطعا صغارا يخرج منه لسان أبيض طويل حتى يتصل بماء البحر فاذا اتصل به غلا ماء البحر وارتفعت منه زوابع عظيمة لا تمر زوبعة منها بشئ الا أتلفته ويمطرون عقيب ذلك مطرا سهكا فيه أنواع من قذى البحر (وأما البحر الرابع) فهو كلاهار على حسب ما ذكرنا وتفسير ذلك بحر كله وهو بحر قليل الماء واذا قل ماء البحر كان أكثر آفات وأشد خبثا وهو كثير الجزائر والصراوى واحدها صرو وذلك ان أهل المراكب يسمون بحر الخليجين اذا كان طريقهم فيه الصرو وبهذا البحر أنواع من الجزائر والجبال عجيبة وانما غرضنا التلويح بلمع من الاخبار عنها لا البسط وكذلك (البحر الخامس) المعروف بكردنج فانه كثير الجبال والجزائر وفيه الكافور وهو قليل الماء كثير المطر لا يكاد يخلو منه وفيه أجناس من

وخصام فاقتتلوا شيأ من قتال ولم يكن بينهم دم فقال هانئ بن مسعود رئيس بني أبي ربيعة لقومه اني أكره أن يتفاقم الشر بيننا فارتحل بهم فنزل على ماء يقال له مبايض وهو قريب من مياه بني تميم فأقاموا عليه أشهرا وبلغ خبرهم بني تميم فأرسل بعضهم الى بعض وقالوا هذا حي منفردون ان اصطلمتموهم أوهنتم بكر بن وائل واجتمعوا وساروا وعلى ثلاثة رؤساء أبو الجدعاء الطهوي على بني حنظلة وابن فدكي المنقري على بني سعد وطريف بن تميم على بني عمرو بن تميم فلما قاربوا بني أبي ربيعة بلغهم الخبر فاستعدوا للقتال فخطبهم هانئ بن مسعود وحثهم على القتال فقال اذا أتوكم فقاتلوهم شيأ من قتال ثم انحازوا عنهم فاذا اشتغلوا بالنهب فعودوا اليهم فانكم تصيبون منهم حاجتكم وصبحهم بنو تميم والقوم حذرون فاقتتلوا قتالا شديدا وفعلت بنو شيبان ما أمرهم هانئ فاشتغلت تميم بالغنيمة ومر رجل منهم بابن لهانئ بن مسعود صبي فاخذه وقال حسبي هذا من الغنيمة وساربه وبقيت تميم مع الغنيمة والسبي فعادت شيبان عليهم فهزموهم وقتلوهم وأسروهم كيف شاؤا ولم تصب تميم بمثلها لم يفلت منهم الا القليل ولم يلوا أحد على أحد وانهزم طريف فاتبعه جمیصة فقتله واستردت شيبان الاهل والمال وأخذوا مع ذلك ما كان معهم وفادى هانئ بن مسعود ابنه بمائة بعير وقال بعض شيبان في هذا اليوم

ولقد دعوت طريف دعوة جاهل * غمر وأنت بمنظر لا تعلم
وأتيت حيا في الحروب محلهم * والجيش باسم أبيهم يستهزم
فوجدتم يرعون حول ديارهم * بسلا اذا حام الفوارس أقدموا
واذا اعتزوا بأبي ربيعة أقبلوا * بكتيبة مثل النجوم تلملم
ساموك درعك والاغر كليهما * وبنو أسيد أسلموك وخضم

وقال عمرو بن سواد يرثي طريفا

لا تبعدن يا خير عمرو بن جندب * لعمري لمن زار القبور ليبعدا
عظيم رماد النار لا متعبس * ولا مؤيس منها اذا هو أوقدا
وما كان وقافا اذا الخيل أحجمت * وما كان عيطانا اذا ما تجردا

(يوم الزويرين)

قال أبو عبيدة كانت بكر بن وائل قد أجدبت بلادهم فانتجعوا بلاد تميم بين اليمامة وهجر فلما تدانوا جعلوا لا يلقى بكري تميميا الا قتله ولا يلقى تميمي بكريا الا قتله اذا أصاب أحدهما مال الآخر أخذه حتى تفاقم الشر وعظم فخرج الحوفزان بن شريك والوادك بن الحرث الشيبانيان ليغيرا على بني دارم فاتفق ان تميما في تلك الحال اجتمعت في جمع كثير من عمرو بن حنظلة والرباب وسعد وغيرها وسارت الى بكر بن وائل وعلى تميم أبو الرئيس الحنظلي فبلغ خبرهم بكر بن وائل فتقدموا وعليهم الاصم عمرو بن قيس بن مسعود أبو مفروق وحنظلة بن سيار العجلي وحمران بن عبد عمرو العبدي فلما التقوا جعلت تميم والرباب بعيرين وجللوهما وجعلوا عندهما من يحفظهما وتركوهما بين الصفين معقولين وسموهما زويرين يعني الهين وقالوا لا نفر حتى يفر هذان البعيران فلما رأى أبو مفروق البعيرين سأل عنهما فأعلم حالهما فقال أنا زويركم وبرك بين الصفين وقال قاتلوا عني ولا تفروا وأحمى أفر فاقتتل الناس قتالا شديدا فوصلت شيبان الى البعيرين فأخذوهما فذبحوهما واشتد القتال عليهما فانهزمت تميم وقتل أبو الرئيس مقدمهم ومعه بشر كثير واحترفت بكر أموالهم ونساءهم وأسروا أسرى كثيرة ووصل الحوفزان الى النساء والاموال وقد سار الرجال

الامم منهم جنس يقال له الفخت شعورهم مفلفلة وصورهم ومناظرهم عجيبة يتعرضون في قوارب لهم لطاف للمراكب اذا اجتازت بهم ويرمون بنوع من السهام عجيبة قد سقيت السم وبين هذه الامة وبين بلاد كله جبال معادن الرصاص الابيض وجبال من الفضة وفيها أيضا معادن من الذهب ورصاص لا يكاد يتميز منه ثم يليه (بحر الصنف) على ما ترتبناه آنفا وفيه مملكة المهراج ملك الجزائر ومملكته لا يضبط كثرة ولا تحصى جنوده ولا يستطيع أحد من الناس في أسرع ما يكون من المراكب أن يمر بجزائره في سنين وقد حاز هذا الملك أنواع الافاويه والطيب وليس لاحد من الملوك ماله ومما يحمل من بلاده ويجهز من أرضه الكافور والعود والقرنفل والصندل والجوز والبسباسة والقاقلة والكبابة وغير ذلك مما لم نذكره وجزائره تتصل ببحر لا تدرك غايته ولا يعرف منتهاه مما يلي بحر الصين وفي أطراف جزائره جبال فيها أمم كثيرة بيض آذانهم مخرمة ووجوههم كقطع التراس مطرقة يجزون شعورهم كما يجز الشعر من الزق مدرجا بدرج تظهر من جبالهم النار بالليل والنهار فنهارها حمراء وبالليل

عنها للقتال فاخذ جميع ما خلفوه من النساء والاموال وعاد الى أصحابه سالما وقال الاعشى فى ذلك اليوم

يا سلم لا تسألى عنا فلا كشف * عند اللقاء ولا سود مقاريف
نحن الذين هزمنا يوم صبحنا * يوم الزويرين فى جمع الاحاليف
ظلوا وظلت تكر الخيل وسطهم * بالشيب منا وبالمرد الغطاريف
تستأنس الشرف الاعلى بأعينها * لمح الصقور علت فوق الاظاليف
انسل عنها نسيل الصيف فانجردت * تحت اللبود متون كالزحاليف

وقد أكثر الشعراء فى هذا اليوم لاسيما الاغلب العجلى فن ذلك أرجوزته التى أولها

* ان سرك العز فجعجع بجشم * يقول فيها

جاؤا بزوريهم وجئنا بالاصم * شيخ لنا كالليث من باقى ارم
شيخ لنا معاود ضرب البهم * يضرب بالسيف اذا الرمح انقصم

* هل غير غار صك غارا فانهزم *

الغاران بكر وتميم وله الارجوزة التى أولها * يارب حرب ثرة الاخلاف * يذكر فيها هذا اليوم

(ذكر أسر حاتم طى)

قال أبو عبيدة أغار حاتم طى بجيش من قومه على بكر بن وائل فقاتلوهم وانهزمت طى وقتل منهم وأسر جماعة كثيرة فكان فى الاسرى حاتم بن عبد الله الطائى فبقى موثقا عند رجل من عنيزة وأتته امرأة منهم اسمها عالية بناقة فقالت له افصد هذه فنحرها فلما رأتها منحورة صرخت فقال حاتم

عالى لا تلتدمن عاليه * ان الذى أهلكت من ماليه
ان ابن أسماء لكم ضامن * حتى يؤدى أنس ناويه
لا أفصد الناقة فى أنفها * لكننى أوجرها العاليه
انى عن الفصد لفى مفخر * يكره منى المفصد الآليه
والخيل ان شمص فرسانها * تذكر عند الموت أمثاليه

وقال رميض العنزى يفتخر

نحن أسرنا حاتما وابن ظالم * فكل ثوى فى قيدنا وهو يخشع
وكعب ابادقد أسرنا وبعده * أسرنا أبا حسان والخيل تطمع
وريان غادرنا بوج كأنه * واشياعه فيها صريم مصرع

وقال يحيى بن منصور الذهلى قصيدة يفتخر بأيام قومه وهى طويلة وفيها آداب حسنة تركناها كراهية التطويل وأولها

أمن عرفان منزلة ودار * تعاورها البوارح والسوارى

وقال أبو عبيدة جاء الاسلام وليس فى العرب أحد أعز دارا ولا أمنع جارا ولا أكثر حليفا من شيبان كانت عنينة من لخم فى الاحلاف وكانت درمكة بن كندة فى بنى هند وكانت عكرمة من طى وحوتكة من عذرة وبنانة كل هؤلاء فى بنى الحرث بن همام وكانت عائذة من قريش وضبة وحواس من كندة هؤلاء فى بنى أبى ربيعة وكانت سليمة من بنى عبد القيس فى بنى أسعد بن همام وكانت وثيلة من ثعلبة وبنو خيبرى من طى فى بنى تيم بن شيبان وكانت عوف بن حارث من كندة فى بنى محلم كل هذه قبائل وبطون جاورت شيبان فعزت بها وكثرت

(يوم مسلان)

لما لوها وذهابها فى الجو تقذف بأشد ما يكون من صوت الرعد والصواعق وربما يظهر منها صوت عجيب مفزع ينذر بموت ملكهم وربما يكون أخفض من ذلك فينذر بموت بعض رؤسائهم قد عرف ما ينذر من ذلك بطول العادات والتجارب على قديم الزمان وان ذلك غير مخلف وهذه أحد آطام الارض الكبار وتليها الجزيرة التى يسمع منها على دوام الاوقات أصوات الطبول والسرنايات والعيدان وسائر أنواع الملاهى المطربة المستلذة ويسمع ايقاع الرقص والتصفيق ومن يسمع ذلك يميزه بين كل نوع من أصوات الملاهى وغيره والبحريون ممن اجتاز بتلك الديار يزعمون ان الدجال بتلك الجزيرة وفى مملكة المهراج جزيرة سريرة ومسافتها فى البحر نحو من أربعمائة فرسخ عمائر متصلة وبه جزيرة الرانج والرامى وغير ذلك مما لا يؤتى على ذكره من جزائره وملكه وهو صاحب (البحر السادس) وهو بحر الصنف ثم (البحر السابع) وهو بحر الصين على ما رتبناه آنفا ويعرف ببحر صنجى وهو بحر خبيث كثير الموج والخب وتفسير الخب الشدة العظيمة فى

قال أبو عبيدة غزا ربيعة بن زياد الكلبي في جيش من قومه فلقي حيشا لبني شيبان عامتهم بنو أبي ربيعة فاقتتلوا اقتتالا شديدا فظفرت بهم بنو شيبان وهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وذلك يوم مسحلان وأسروا أناسا كثيرا وأخذوا ما كان معهم وكان رئيس شيبان يومئذ حيان بن عبد الله بن قيس المحلمي وقيل كان رئيسهم زياد بن مرثد من بني أبي ربيعة فقال شاعرهم

ربيعة سائل حيث حل بجيشه * مع الحي كلب حيث نبت فوارسه
عشية ولى جمعهم فتتابعوا * فصار إلينا نهبه وعوانسه

ثم ان الربيع بن زياد الكلبي نافر قومه وحاربهم فهزموه فاعتزلهم وسار حتى حل ببني شيبان فاستجار برجل اسمه زياد من بني أبي ربيعة فقتله بنو أسعد بن همام ثم ان شيبان حملوا ديته الى كلب مائتي بعير فرضوا

(حرب لسليم وشيبان)

قال أبو عبيدة خرج جيش لبني سليم عليهم النصيب السلمي وهم يريدون الغارة على بكر بن وائل فلقيهم رجل من بني شيبان اسمه صليع بن عبد غنم وهو محرم على فرس له يسمى البحراء فقال لهم أين تذهبون قالوا نريد الغارة على بني شيبان فقال لهم مهلا فاني لكم ناصح اياكم و بني شيبان فاني أقسم لكم بالله لتأتينكم على ثلثمائة فرس خصي سوى الفحول والاناث وأبوا الا الغارة عليهم فدفع صليع فرسه ركضا حتى أتى قومه فأنذرهم فركبت شيبان واستعدوا فأتاهم بنو سليم وهم معدون فاقتتلوا اقتتالا شديدا فظفرت شيبان وانهزمت سليم وقتل منهم مقتلة كثيرة وأسر منهم ناس كثير ولم ينج الا القليل وأسر النصيب رئيسهم أسره عمران بن مرة الشيباني فضرب رقبته فقال صليع

نهيت بني زعل غداة لقيتهم * وجيش نصيب والظنون تطاع
وقلت لهم ان الحريب وراءكما * به نعم ترعى المرار رتاع
ولكن فيه الموت يرتع سربه * وحق لهم ان يقبلوا ويطاعوا
صبحت له تلقى على الماء حارثا * وجيشا له يوفي بكل بقاع

(يوم جدود)

وهو يوم بين بكر بن وائل وبني منقر من تميم وكان من حديثه ان الحوفزان واسمه الحرث بن شريك الشيباني كانت بينه وبين بني سليط بن يربوع موادعة فهم بالغدر بهم وجمع بني شيبان وذهلا واللهازم وعليهم حمران بن عبد عمرو بن بشر بن عمرو ثم غزا وهو يرجو أن يصيب غرة من بني يربوع فلما انتهى الى بني يربوع نذر به عتيبة بن الحرث بن شهاب فنادى في قومه فحالوا بين الحوفزان وبين الماء وقال لعتيبة اني لا أرى معك الا رهطك وأنا في طوائف من بني بكر ولئن ظفرت بكم قل عددكم وطمع فيكم عدوكم ولئن ظفرتم بي ما تقتلون الا الأقاصي عشيرتي وما اياكم أردت فهل لكم أن تسالمونا وتأخذوا اماء منا من التمر والله لا نروع يربوعا أبدا فأخذ ما معهم من التمر وخلى سبيلهم فسارت بكر حتى أغاروا على بني ربيع بن الحرث وهو بمقاعس بجدود وانما سمي مقاعسا لأنه تقاعس عن حلف بني سعد فأغار عليهم وهم خلوف فأصاب سبيا ونعما فبعث بنو ربيع صريخهم الى بني كليب فلم يجيبوهم فأتى الصريخ بني منقر بن عبيد فركبوا في الطلب فلحقوا بكر بن وائل وهم مقاتلون فما شعر الحوفزان وهو في ظل شجرة الا بالاهتم بن سمي بن سنان المنقري واقفا على رأسه فركب فرسه فنادى الاهتم يا آل سعد ونادى الحوفزان يا آل وائل ولحق بنو منقر فقاتلوا اقتتالا شديدا فانهزمت بكر وخلوا السبي والاموال وتبعتهم منقر فمن قتيل وأسير وأسر

الاهتم

البحر وانما نخبر عن عبارة أهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم وفيه جبال كثيرة لابد للمراكب من النفوذ بينها ثم ان ذلك البحر اذا عظم خبه وكثر موجه ظهرت فيه أشخاص سود طول الواحد منهم نحو الخمسة أشبار أو الاربعة كأنهم أولاد الاحابش الصغار شكلا واحدا وقدا واحدا فيصعدون على المراكب ويكثر منهم الصعود من غير ضرر فاذا شاهد الناس ذلك تيقنوا الشدة وظهورهم علامة للخب فيستعدون لذلك فمعافى ومبتلى فاذا كان كذلك ربما شاهد المعافى منهم في أعلى الدقل (وتسميه أرباب المراكب في بحر الصين وغيره في البحر الحبشي الدولي وتسميه الرجال في البحر الرومي الصاري) شيئا على صورة الطائر يتوقد نورا لا يستطيع الناظر منهم على مل بصره منه ولا ادراكه كيف هو فاذا استقل على أعلى الدقل يرون البحر يهدأ والامواج تصغر والخب يسكن ثم ان ذلك النور يفقد فلا يرى كيف أقبل ولا كيف ذهب فذلك علامة الخلاص ودليل النجاة وما ذكر فلاتناكر فيه عند أهل

الاهتم حمران بن عبد عمرو ولم يكن لقيس بن عاصم المنقري همة الا الحوفزان فتبعه على مهر والحوفزان على فرس فارح فلم يلحقه وقد قاربه فلما خاف أن يفوته حفزه بالرمح في ظهره فاحتفز بالطعنة ونجا فسمي يومئذ الحوفزان وقيل غير هذا وقال الاهتم في أسره حمران

نبطت بحمران المنية بعدما * حشاه سنان من شراعة أزرق
دعا بال قيس واعتزيت لمنقر * وكنت اذا لاقيت في الخيل أصدق

وقال سوار بن حيان المنقري يفتخر على رجل من بكر

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة * كسته نجيعا من دم البطن أشكلا
وحمران قسرا أنزلته رماحنا * فعالج غلا في ذراعيه مثقلا
فيالك من أيام صدق نعدها * كيوم جواثي والنباج وثيتلا
قضى الله أنا يوم تقتسم العلا * أحق بها منكم فاعطى فاجزلا
فلست بمسطيع السماء ولم تجد * لعز بناه الله فوقك منقلا

(منقر بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف وربيع بضم الراء وفتح الباء الموحدة)

(يوم الاياد وهو يوم أعشاش ويوم العظالى)

وانما سمي يوم العظالى لان بسطام بن قيس وهانئ بن قبيصة ومفروق بن عمرو تعاظلوا على الرياسة وكانت بكر تحت يد كسرى وفارس وكانوا يقرونهم ويجهزونهم فاقبلوا من عند عامل عين التمر في ثلثمائة متساندين وهم يتوقعون انحدار بني يربوع في الحزن فاجتمع بنو عتيبة وبنو عبيد وبنو زبيد في الحزن فحلت بنو زبيد الحديقة وحلت بنو عتيبة وبنو عبيد روضة الثمد فاقبل جيش بكر حتى نزلوا هضبة الحصى فرأى بسطام السواد بالحديقة وثم غلام عرفه بسطام وكان قد عرف غلمان بني ثعلبة حين أسره عتيبة فسأله بسطام عن السواد الذي بالحديقة فقال هم بنو زبيد قال كم هم من بيت قال خمسون بيتا قال فاين بنو عتيبة وبنو عبيد قال هم بروضة الثمد وسائر الناس بخفاف وهو موضع فقال بسطام أتطيعونني يا بني بكر قالوا نعم قال أرى لكم ان تغنموا هذا الحي المنفرد بني زبيد وتعودوا سالمين قالوا وما يغني بنو زبيد عنا قال ان في السلامة احدى الغنيمتين قالوا ان عتيبة بن الحرث قد مات وقال مفروق قد انتفخ سحرك يا أبا الصهباء وقال هانئ احبنا فقال ان أسيد بن حناءة لا يفارق فرسه الشقراء ليلا ونهارا فاذا أحس بكم ركبها حتى يشرف على مليحة فينادي يا آل ثعلبة فيلقاكم طعن ينسيكم الغنيمة ولم يبصر أحد منكم مصرع صاحبه وقد عصيتموني وأنا تابعكم وستعلمون فأغاروا على بني زبيد وأقبلوا نحو بني عتيبة وبني عبيد فاحست الشقراء فرس أسيد بوقع الحوافر فبحثت بحافرها فركبها أسيد وتوجه نحو بني يربوع عليها ونادى ياسوء صباحاه يا آل ثعلبة بن يربوع فما ارتفع الضحى حتى تلاحقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت شيبان بعد ان قتلت من تميم جماعة من فرسانهم وقتل من شيبان أيضا وأسر جماعة منهم هانئ بن قبيصة ففدى نفسه ونجا فقال متمم بن نويرة في هذا اليوم

لعمري لنعم الحي أسمع غدوة * أسيد وقد جد الصراخ المصدق
وأسمع فتيانا كجنة عبقر * لهم ريق عند الطعان ومصدق
أخذن بهم جنبي أفاق وبطنها * فما رجعوا حتى ارقوا وأعتقوا

وقال العوام في هذا اليوم

البصرة وسيراف وعمان وغيرهم ممن قطع هذا البحر وما ذكرناه عنهم فممكن غير ممتنع ولا واجب اذ كان جائزا في مقدور الباري جل وعز خلاص عباده من الهلاك واستنقاذهم من البلاء وفي هذا البحر نوع من السراطين يخرج من البحر كالذراع والشبر وأصغر من ذلك وأكبر فاذا بان عن الماء بسرعة حركة وصار الى البر صار حجارة وزالت عنه الحيوانية وتدخل تلك الحجارة في اكحال العين وادويتها وأمره مستفيض أيضا والبحر الصيني أيضا وهو السابع المعروف بصنجي اخبار عجيبة وقد أتينا على جمل من أخباره واخبار ما اتصل به من البحار فيما سمينا من كتبنا واسلفنا من تصنيفنا في هذا المعنى ونحن ذاكرون فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار الملوك جوامع وجملا من ذلك وليس بعد بلاد الصين مما يلي البحر ممالك تعرف ولا توصف الا بلاد السيلى وجزائرها ولم يصل اليها من الغرباء أحد من العراق ولا غيره فخرج منها لصحة هوائها ورقة مائها وجودة تربتها وكثرة خيرها وصفاء جوهرها الا النادر من الناس وأهلها مهادنون

قبح الاله عصابة من وائـــل * يوم الافاقة أسلموا بسطاما
ورأى أبو الصهباء دون سواهم * طعنا يسلي نفسه و زحاما
كنتم أسودا في الوغا فوجدتم * يوم الافاقة في الغبيط نعاما

وأكثر العوام الشعر في هذا اليوم فلما ألح فيه أخذ بسطام ابله فقالت أمه

أرى كل ذي شعر أصاب بشعره * خلا أن عوّاما عاقال عيـلا
فلا ينطقن شعرا يكون جوازه * كاشعر عوّام أعام وأرجـلا

(يوم الشقيقة وقتل بسطام بن قيس)

هذا يوم بين بني شيبان وضبة بن أد قتل فيه بسطام بن قيس سيد شيبان وكان سببه ان بسطام بن قيس بن مسعود بن خالد بن عبد الله ذي الجدين غزا بني ضبة ومعه أخوه السليل بن قيس ومعه رجل يزجر الطير من بني أسد بن خزيمة يسمى نقيدا فلما كان بسطام في بعض الطريق رأى في منامه كأن آتيا أتاه فقال له * الدلو تاتي الغرب المزله * فقص رؤياه على نقيد فتطير وقال الا قلت ثم تعود بادياً مبتله فتفرط عنك النحوس ومضى بسطام على وجهه فلما دنا من نقا يقال له الحسن في بلاد ضبة صعده ليراه فاذا هو بنعم قد ملأ الارض فيه ألف ناقة لمالك بن المنتفق الضبي من بني ثعلبة بن سعد بن ضبة قد فقأ عين فحلها وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية اذا بلغت ابل أحدهم ألف بعير فقؤا عين فحلها لترد عنها العين وهي ابل مرتبعة ومالك بن المنتفق فيها على فرس له جواد فلما أشرف بسطام على النقا تخوف ان يروه فينذروا به فاضطجع وتدهدى حتى بلغ الارض وقال يا بني شيبان لم أر كاليوم قط في الغرة وكثرة النعم ونظر نقيد الى لحية بسطام معفرة بالتراب لما تدهدى فتطير له أيضا وقال ان صدقت الطير فهو أول من يقتل وعزم الاسدى على فراقه فاخذته رعدة تهيبا لفراقه والانصراف عنه وقال له ارجع يا أبا الصهباء فاني أتخوف عليك ان تقتل فعصاه ففارقه نقيد وركب بسطام وأصحابه وأغاروا على الابل واطردوها وفيها فحل لمالك يقال له أبو شاعر وكان أعور فنجا مالك على فرسه الى قومه من ضبة حتى اذا أشرف على تعشار نادى يا صباحاه وعاد راجعا وادرك الفوارس القوم وهم يطرون النعم فجعل فحله أبو شاعر يشذ من النعم ليرجع وتتبعه الابل فكلما تبعته ناقة عقرها بسطام فلما رأى مالك ما يصنع بسطام وأصحابه قال ماذا السفه يا بسطام لا تعقرها فاما لنا واما لك فأبى بسطام وكان في آخريات الناس على فرس ادهم يقال له الزعفران يحمي أصحابه فلما لحقت خيل ضبة قال لهم مالك ارموا اروايا القوم فجعلوا يرمونها فيشقونها فلحقت بنو ثعلبة وفي أوائلهم عاصم بن خليفة الصباحي وكان ضعيف العقل وكان قبل ذلك يعقب قناة له فيقال له ما تصنع بها يا عاصم فيقول أقتل عليها بسطاما فهرعون منه فلما جاء الصريخ ركب فرس أبيه بغير أمره ولحق الخيل فقال لرجل من ضبة أيهم الرئيس قال صاحب الفرس الادهم فعارضه عاصم حتى حاذاه ثم حمل عليه فطعنه بالرمح في صماخ أذنه أنفذ الطعنة الى الجانب الآخر وخر بسطام على شجرة يقال لها الالاءة فلما رأت ذلك شيبان خلوا سبيل النعم وولوا الادبار فين قتيل وأسير وأسر بنو ثعلبة نجاد بن قيس أخا بسطام في سبعين من بني شيبان وكان عبد الله بن عنمة الضبي مجاورا في شيبان فخاف ان يقتل فقال يرثي بسطاما

لام الارض ويل ما أجنت * غداة أضر بالحسن السبيل
يقسم ماله فينا وندعو * أبا الصهباء اذ جنح الاصيل

لاهل الصين وملوكها والهدايا بينهم لا تكاد تنقطع وقد قيل انهم تشعبوا من ولد عابور وسكنوا هنالك على حسب ما ذكرنا من سكنى أهل الصين في بلادهم وللصين أنهار كبار مثل الدجلة والفرات تجري من بلاد الترك والتبت والصغد وهي بين بخارى وسمرقند وهنالك جبال النوشادر فاذا كان في الصيف رؤيت في الليل نيران قد ارتفعت من تلك الجبال من نحو مائة فرسخ بالنهار يظهر منها الدخان عليه شعاع الشمس وضوء النهار ومن هنالك يحمل النوشادر فاذا كان في أول الشتاء من أراد من بلاد خراسان ان يسلك الى بلاد الصين صار الى ما هنالك وهنالك واد بين تلك الجبال طوله أربعون ميلا أو خمسون فيأتي الى أناس هنالك على فم الوادي فيرغبهم في الاجرة النفيسة فيحملون ما معه على اكتافهم وبأيديهم العصي يضربون جنبيه خوفا ان يلج أو يقف فيموت من كرب الوادي وهوله حتى يخرجون الى ذلك الرأس من الوادي وهنالك غابات ومستنقعات للماء فيطرحون أنفسهم في ذلك الماء لما قد نالهم من شدة الكرب وحر

اجدك لن تريه ولن تراه * تخب به عذافرة ذمول
حقيبة بطنها بدن وسرج * تعارضها مربية دؤل
الى ميعاد أرعن مكفهر * تضمر في جوانبه الخيول
لك المرباع منها والصفايا * وحكمك والنشيطة والفضول
لقد ضمت بنو زيد بن عمرو * ولا يوفي ببسطام قتيل
تخر على الالاءة لم يوسد * كأن جبينه سيف صقيل
فان يجزع عليه بنو ابيه * فقد فجعوا وفاتهم جليل
بطعام اذا الاشوال راحت * الى الحجرات ليس لها فصيل

فلم يبق في بكر بن وائل بيت الا وألقي لقتله لما ومحله وقال شمعلة بن الاخضر بن هبيرة الضبي يذكره

ويوم شقيقة الحسنين لاقت * بنو شيبان آجالا قصارا
شككنا بالرماح وهن زور * صماخي كبشهم حتى استدارا
وأوجرناه أسمر ذا كعوب * يشبه طوله مسدا مغارا

(الشقيقة أرض صلبة بين جبلي رمل والحسنان نقوا رمل كانت الوقعة عندهما) وقالت أم بسطام بن قيس ترثيه

ليبك ابن ذي الجدين بكر بن وائل * فقد بان منها زينها وجمالها
اذا ما غدا فيهم غدوا وكأنهم * نجوم سماء بينهن هلالها
فلله عينا من رأى مثله فتى * اذا الخيل يوم الروع هب نزالها
عزيز المكر لا يهد جناحه * وليث اذا الفتيان زلت نعالها
وحمال أثقال وعائذ محجر * تحل اليه كل ذاك رحالها
سيبكيك عان لم يجد من يفكه * ويبكيك فرسان الوغى ورجالها
وتبكيك اسرى طالما قد فككتهم * وأرملة ضاعت وضاع عيالها
مفرج حومات الخطوب ومدرك الـ * ـحروب اذا صالت وعز صيالها
تغشى بها حينا كذاك ففجعت * تميم به ارماحها ونبالها
فقد ظفرت منا تميم بعثرة * وتلك لعمري عثرة لا تقالها
أصيبت به شيبان والحي يشكر * وطير يرى ارسالها وحمالها

(عنمة بفتح العين المهملة والنون)

﴿يوم النسار﴾

النسار أجبل متجاورة وعندها كانت الوقعة وهو موضع معروف عندهم وكان سبب ذلك اليوم ان بني تميم بن مر بن أد كانوا ياكلون عمومتهم ضبة بن أد وبني عبد مناة بن أد فاصابت ضبة رهطا من تميم فطلبتهم تميم فانزاحت جماعة الرباب وهم تيم وعدي وثور أطحل وعكل بنو عبد مناة بن أد وضبة بن أد وانما سموا الرباب لانهم غمسوا أيديهم في الرب حين تحالفوا فلحقت ببني أسد وهم يومئذ حلفاء لبني ذبيان بن بغيض فنادى صارخ بني ضبة يا آل خندف فاصرختهم بنو أسد وهو أول يوم تخندفت فيه ضبة واستمدوا حليفهم طيئا وغطفان فكان رئيس أسد يوم النسار عوف بن عبد الله بن عامر بن جذيمة بن نصر بن قعين وقيل خالد بن نضلة وكان رئيس الرباب الاسود بن المنذر أخو النعمان وليس بصحيح وكان على الجماعة كلهم حصن بن حذيفة بن بدر وفيه يقول زهير بن

النوشادر ولا يسلك ذلك الطريق شيء من البهائم لان النوشادر يلتهب نارا في الصيف فلا يسلك ذلك الوادي داع ولا مجيب فاذا كان الشتاء وكثرت الثلوج والانداء وقع في ذلك الموضع فأطفأ حر النوشادر ولهبه فسلك الناس حينئذ ذلك الوادي والبهائم لا صبر لها على ما ذكرناه من حره وكذلك من ورد من بلاد الصين فعل به كذلك من الضرب ما فعل بالماضي والمسافة من بلاد خراسان على الموضع الذي ذكرناه الى بلاد الصين نحو من أربعين يوما عامر وغير عامر ودهاس ورمل وفي غير هذه الطريق مما يسلكه البهائم نحو من أربعة أشهر الا ان ذلك في خفارات أنواع من الترك وقد رأيت بمدينة بلخ شيخا جميلا ذا رأي وفهم وقد دخل الصين مرارا كثيرة ولم يركب البحر قط ورأيت عدة من الناس ممن سلك على جبال النوشادر الى أرض التبت والصين ببلاد خراسان والسند مما يلي بلاد المنصورة والمولتان والقوافل متصلة من السند الى خراسان وكذلك الى الهند الى ان تتصل هذه الديار ببلاد زابلستان وهي بلاد واسعة تعرف بمملكة فيروز

أبي سلمى — ومن مثل حصن في الحروب ومثله * لانداد ضيم أولامر يحاوله

اذا حـل احياء الاحاليف حوله * بذي نجب هدّ انه وصواهله

فلما بلغ بني تميم ذلك استمدوا بني عامر بن صعصعة فأمدوهم وكان حاجب بن زرارة على بني تميم وكان عامر بن صـعصعة جوابا وهو لقب مالك بن كعب من بني أبي بكر بن كلاب لان بني جعفر كانوا جوابين قد أخرجهم الى بني الحرث بن كعب لخالفوهم وقيل كان رئيس عامر شريح بن مالك القشيري وسار الجمعان فالتقوا بالنسار واقتتلوا فاصبرت عامر واستحر بهم القتل وانفضت تميم فنجت ولم يصب منهم كثير وقتل شريح القشيري رأس بني عامر وقتل عبيد بن معاوية بن عبد الله ابن كلاب وغيرهما وأخذ عدة من اشراف نساء بني عامر منهن سلمى بنت المخلف والعنقاء بنت همام وغيرهما فقالت سلمى تعير جوابا والطفيل

لحى الاله أبا ليـلى بفرته * يوم النسار وقنب العير جوابا

كيف الفخار وقد كانت بمعترك * يوم النسار بنو ذبيان أربابا

لم تمنعوا القوم اذ أشلوا سوامكم * ولا النساء وكان القوم احزابا

وقال رجل يعير جوابا والطفيل بفراره عن امرأته

وفر عن ضرتيه وجه خارثة * ومالك فر قنب العير جواب

القنب غلاف الذكر وجواب لقب لانه كان يجوب الآثار واسمه مالك وقال بشر بن أبي خازم في هزيمة حاجب

وأفلت حاجب جوب العوالي * على شقراء تلمع في السراب

ولو أدركن رأس بني تميم * عفرن الوجه منه بالتراب

وكان يوم النسار بعد يوم جبلة وقتل لقيط بن زرارة (جواب بفتح الجيم وتشديد الواو وآخره باء موحدة وخازم بالخاء المعجمة والزاي)

﴿يوم الجفار﴾

لما كان على رأس الحول من يوم النسار اجتمع من العرب من كان شهد النسار وكان رؤساؤهم بالجفار الرؤساء الذين كانوا يوم النسار الا ان بني عامر قيل كان رئيسهم بالجفار عبد الله بن جعدة ابن كعب بن ربيعة فالتقوا بالجفار واقتتلوا وصبرت تميم فعظم فيها القتل وخاصة في بني عمرو بن تميم وكان يوم الجفار يسمى الصيلم لكثرة من قتل به وقال بشر بن أبي خازم في عصبة تميم لبني عامر

عصبت تميم ان يقتل عامر * يوم النسار فاعقبوا بالصيلم

كنا اذا نفروا لحرب نفرة * نشفي صداعهم برأس صلدم

نعلو الفوارس بالسيوف ونعتزي * والخيل مشعلة النحور من الدم

يخرجن من خلل الغبار عوابسا * خبب السباع بكل ليث ضيغم

وهي عدة أبيات وقال أيضا

يوم الجفار ويوم النسا * ر كانا عذابا وكانا غراما

فاما تميم تميم بن مر * فالفاهم القوم روبى نياما

وأما بنو عامر بالجفار * ويوم النسار فكانوا نعاما

فلما أكثر بشر على بني تميم قيل له مالك ولتميم وهم أقرب الناس منك أرحاما فقال اذا فرغت منهم فرغت من الناس لم يبق أحد

ابن كبك وفيها قلاع عجيبة ممتنعة وآفات مختلفة وأمم كثيرة وقد تنازع الناس في أنسابهم فمنهم من ألحقهم بولد يافث بن نوح ومنهم من ألحقهم بالفرس الاولى في نسل طوبل وبلاد التبت مملكة متميزة من بلاد الصين والغالب عليهم حمير وفيهم بعض التبابعة على حسب ماذكرنا من أخبار ملوك اليمن فيما يرد من هـذا الكتاب وذلك موجود في أخبار التبابعة ولهم حضر وبدو وبواديهم ترك لا تدرك كثرة ولا يقاومهم أحد من بوادي الاتراك وهم معظمون في سائر أجناس الترك لان الملك كان منهم في قديم الزمان وعند سائر أجناس الترك ان الملك سيعود اليهم ويرجع فيهم ولبلاد التبت خواص عجيبة في هوائها وسهلها ومائها وجبلها ولا يزال الانسان أبدا بها ضاحكا فرحا مسرورا لا تعرض له الاحزان ولا الغموم ولا الافكار ولا تحصى عجائب ثمارها وزهرها ومروجها وهوائها وأنهارها وهي بلاد تقوى فيها طبيعة الدم على الحيوان الناطق وغيره ولا يكاد يرى في هذا البلد شيخ حزين ولا عجوز بل الطرب في الشيوخ والكهول

﴿يوم الصفقة والكلاب الثاني﴾

أما يوم الصفقة وسببه فان باذان نائب كسرى ابرويز بن هرمز باليمن أرسل اليه حملا من اليمن فلما بلغ الحمل الى نطاع من أرض نجد اغارت تميم عليه وانتهبوه وسلبوا رسل كسرى وأساورته فقدموا على هوذة بن على الحنفي صاحب اليمامة مسلوبين فاحسن اليهم وكساهم وقد كان قبل هذا اذا أرسل كسرى لطيمة تباع باليمن يجهز رسله ويخفرهم ويحسن جوارهم وكان كسرى يشتهي ان يراه ليجازيه على فعله فلما أحسن أخيرا الى هؤلاء الرسل الذين أخذتهم تميم قالوا له ان الملك لا يزال يذكرك ويؤثر ان تقدم عليه فسار معهم اليه فلما قدم عليه أكرمه وأحسن اليه وجعل يحادثه لينظر عقله فرأى ما سره فامر له بمال كثير وتوجه بتاج من تيجانه وأقطعه أموالا بهجر وكان هوذة نصرانيا وأمره كسرى ان يغزو هو والمكعبر مع عساكر كسرى بني تميم فساروا الى هجر ونزلوا بالمشقر وخاف المكعبر وهوذة ان يدخلا بلاد تميم لانها لا تحتملها العجم وأهلها بها يمتنعون فبعثا رجالا من بني تميم يدعونهم الى الميرة وكانت شديدة فاقبلوا على كل صعب وذلول فجعل المكعبر يدخلهم الحصن خمسة خمسة وعشرة عشرة وأقل وأكثر يدخلهم من باب على انه يخرجهم من آخر فكل من دخل ضرب عنقه فلما طال ذلك عليهم ورأوا ان الناس يدخلون ولا يخرجون بعثوا رجالا يستعلمون الخبر فشد رجل من عبس فضرب السلسلة فقطعها وخرج من كان بالباب فامر المكعبر بغلق الباب وقتل كل من كان بالمدينة وكان يوم الفصح فاستوهب هوذة منه مائة رجل فكساهم وأطلقهم يوم الفصح فقال الاعشى من قصيدة يمدح هوذة

بهم يقرب يوم الفصح ضاحية * يرجو الاله بما أسدى وما صنعا

فصار يوم المشقر مثلا وهو يوم الصفقة لاصفاق الباب وهو اغلاقه وكان يوم الصفقة وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة بعد لم يهاجر * وأما يوم الكلاب الثاني فان رجلا من بني قيس ابن ثعلبة قدم أرض نجران على بني الحرث بن كعب وهم أخواله فسألوه عن الناس خلفه فحدثهم انه أصفق على بني تميم باب المشقر وقتلت المقاتلة وبقيت أموالهم وذراريهم في مساكنهم لا مانع لها فاجتمعت بنو الحرث من مذحج واحلافها من نهد وجرم بن ربان فاجتمعوا في عسكر عظيم بلغوا ثمانية آلاف ولا يعلم في الجاهلية جيش أكثر منه ومن جيش كسرى بذي قار ومن يوم جبلة وساروا يريدون بني تميم فحذرهم كاهن كان مع بني الحرث واسمه سلمة بن المغفل وقال انكم تسيرون اعيانا وتغزون احيانا سعدا وربابا وتردون مياهها جبابا فتلقون عليها ضرابا وتكون غنيمتكم ترابا فاطيعوا أمري ولا تغزوا تميما فعصوه وساروا الى عروة فبلغ الخبر تميما فاجتمع ذوو الرأي منهم الى أكثم بن صيفي وله يومئذ مائة وتسعون سنة فقالوا له يا أبا حيدة حقق هذا الامر فانا قد رضيناك رئيسا فقال لهم

وان امرأ قد عاش تسعين حجة * الى مائة لم يسأم العيش جاهل

مضت مائتان غير عشر وفاؤها * وذلك من عد الليالي قلائل

ثم قال لهم لا حاجة لي في الرياسة ولكني أشير عليكم لينزل حنظلة بن مالك بالدهناء ولينزل سعد بن زيد مناة والرباب وهم ضبة بن أد وثور وعكل وعدي بنو عبد مناة بن أد الكلاب فأي الطريقين أخذ القوم كفى أحدهما صاحبه ثم قال لهم احفظوا وصيتي لا تحضروا النساء الصفوف فان نجاة اللئيم في نفسه ترك الحريم وأقلوا الخلاف على أمرائكم ودعوا كثرة الصياح في الحرب فانه من الفشل والمرء يعجز لا محالة فان أحمق الحمق الفجور وأكيس الكيس التقى كونوا جميعا في

والشباب والاحداث عام وفي أهلها رقة طبع وبشاشة وأريحية تبعث على كثرة استعمال الملاهي وانواع ايقاع الرقص حتى ان الميت اذا مات لا يكاد يداخل أهله عليه كثير من الحزن مما يلحق غيرهم من سائر الناس عند فقد محبوب أوفوت مطلوب ولهم تحنن كثير من بعضهم على بعض والتبسم فيهم عام وكذلك يظهر في سائر بلادهم وهذه البلاد تسمى بمن ثبت فيها ورتب من رجال حمير وقيل ثبت لثبوتهم فيها وقيل لمعان غير ذلك والاشهر ما وصفنا وقد افتخر دعبل ابن على الخزاعي بذلك في قصيدته التي يناقض فيها الكميت ويفخر بقحطان على نزار فقال

وهم كتبوا الكتاب بباب مرو * وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم سموا السهام بسمرقند * وهم غرسوا هناك التبتينا

وسنذكر في باب أخبار ملوك اليمن طرفا من اخبار ملوكهم ومن طاف منهم البلاد وبلاد التبت متاخمة لبلاد الصين وأرضها من احدى جهاته ولارض الهند وخراسان ولمفاوز الترك ولهم مدن وعمائر كثيرة ذوات منعة وقوة وقد كانوا في قديم الزمان يسمون ملوكهم تبعا الاتباع

الرأى فان الجميع معز للجميع واياكم والخلاف فانه لاجماعة لمن اختلف ولا تلبثوا ولا تسرعوا فان أحزم الفريقين الركين ورب عجلة تهب ريثا واذا عز أخوك فهن البسوا جلود النمور وابرزوا للحرب وادرعوا الليل واتخذوه جملا فان الليل أخفى للويل والثبات أفضل من القوة وأهنأ الظفر كثرة الاسرى وخير الغنيمة المال ولا ترهبوا الموت عند الحرب فان الموت من ورائكم وحب الحياة لدى الحرب زلل ومن خير أمرائكم النعمان بن مالك بن حارث بن جساس وهو من بنى تيم بن عبد مناة بن أد فقبلوا مشورته ونزلت عمرو بن حنظلة الدهناء ونزلت سعد والرباب الكلاب وأقبلت مذحج ومن معها من قضاعة فقصدوا الكلاب وبلغ سعدا والرباب الخبر فلما دنت مذحج نذرهم شميت بن زنباع اليربوعى فركب جمله وقصد سعدا ونادى يا آل تميم يا صباحاه فثار الناس وانتهت مذحج الى النعم فانتهبها الناس وراجزهم يقول

فى كل عام نعم ننتابه * على الكلاب غيب أصحابه * يسقط فى آثاره غلابه

فلحق قيس بن عاصم المنقرى والنعمان بن جساس ومالك بن المنتفق فى سرعان الناس فاجابه قيس يقول

عما قليل تلحق أربابه * مثل النجوم حسرا صحابه
ليمنعن النعم اغتصابه * سعد وفرسان الوغى اربابه

ثم حمل عليهم قيس وهو يقول

فى كل عام نعم تحوونه * يلحقه قوم وينتجونه
أربابه نوكى فلا يحمونه * ولا يلاقون طعانا دونه
أنعم الابناء تحسبونه * هيهات هيهات لما ترجونه

فاقتتل القوم قتالا شديدا يومهم أجمع فحمل يزيد بن شداد بن قنان الحرثى على النعمان بن مالك ابن جساس فرماه بسهم فقتله وصارت الرياسة لقيس بن عاصم واقتتلوا حتى حجز بينهم الليل وباتوا يتحارسون فلما أصبحوا غدوا على القتال وركب قيس بن عاصم وركبت مذحج واقتتلوا أشد من القتال الاول فكان أول من انهزم من مذحج مدرج الرياح وهو عامر بن الجون بن عبد الله الجرمى وكان صاحب لوائهم فالقى اللواء وهرب فلحقه رجل من بنى سعد فعقر به دابته فنزل يهرب ماشيا ونادى قيس بن عاصم يا آل تميم عليكم الفرسان ودعوا الرجالة فانها لكم وجعل يلتقط الاسارى وأسر عبد يغوث بن الحرث بن وقاص الحارثى رئيس مذحج فقتل بالنعمان بن مالك بن جساس وكان عبد يغوث شاعرا فشدوا لسانه قبل قتله لئلا يهجوهم فاشار اليهم أن حلوا لسانه ولا يهجوهم فحلوه فقال شعرا

ألا لا تلومانى كفى اللوم مابيا * فما لكما فى اللوم نفع ولا ليا
ألم تعلما ان الملامة نفعها * قليل وما لومى أخى من شماليا
فيا راكبا اما عرضت فبلغن * نداماى من نجران أن لا تلاقيا
ابا كرب والايهمين كليهما * وقيسا باعلى حضرموت اليمانيا
أقول وقد شدوا لسانى بنسعة * معاشر تيم أطلقوا من لسانيا
كأنى لم اركب جوادا ولم أقل * لخيلى كرى كرة من ورائيا
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل * لايسار صدق عظموا ضوء ناريا
وقد علمت عرسى مليكة اننى * انا الليث معدوا عليه وعاديا
لحى الله قوما بالكلاب شهدتهم * صميمهم والتابعين المواليا

اسم تبع ملك اليمن ثم ان الدهر ضرب ضرباته فتغيرت لغاتهم عن الحميرية وحالت الى لغة تلك البلاد ممن جاورهم من الامم فسموا ملوكهم بخاقان وفى بلادهم الارض التى بها ظباء المسك التبتى الذى يفضل على الصينى بجهتين احداهما ان ظباء التبت ترعى سنبل الطيب وأنواع الافاويه وظباء الصين ترعى الحشيش دون ما ذكرنا من أنواع حشائش الطيب التى ترعاه التبتية والجهة الاخرى ان أهل التبت لا يتعرضون الى اخراج المسك من نوافجه ويتركونه على ما هو به وأهل الصين يخرجونه من النوافج ويلحقه الغش بالدم وغيره من أنواع الغش وان الصينى أيضا يقطع به ما وصفنا من مسافة البحار وكثرة الانداء واختلاف الاهوية وان عدم من أهل الصين الغش فى مسكهم وأودع برانى الزجاج وأحكم وأورد الى بلاد الاسلام من عمان وفارس والعراق وغيرها من الامصار كان كالتبتى وأجود المسك واطيبه ما خرج من الظباء بعد بلوغه النهاية فى النضج وذلك أنه لا فرق بين غزلاننا هذه وبين غزلان المسك فى

ولوشئت نجتني من القوم شطبة * ترى خلفها الكمت العتاق تواليا
وكنت اذا ما الخيل شمصها القنا * لتبق بتصريف القناة بنانيا
فيا عاص فك القيد عني فانني * صبور على مر الحوادث نا كيا
فان تقتلوني تقتلوا بي سيدا * وان تطلقوني تحربوني ماليا

أبو كرب بشر بن علقمة بن الحرث والايهمان الاسود بن علقمة بن الحرث والعاقب وهو عبد المسيح ابن الابيض وقيس بن معديكرب فزعموا أن قيسا قال لو جعلني أوّل القوم لافتديته بكل ما املك ثم قتل ولم يقبل له فدية (رباب بالراء والباء الموحدة)

(يوم ظهر الدهناء)

وهو يوم بين طيء وأسد بن خزيمة وسبب ذلك ان أوس بن حارثة بن لأم الطائي كان سيدا مطاعا في قومه وجوادا مقداما فوفد هو وحاتم الطائي على عمرو بن هند فدعا عمرو أوسا فقال له أنت أفضل أم حاتم فقال أبيت اللعن ان حاتما أوحدها وأنا احدها ولو ملكني حاتم وولدي ولحمي لوهبنا في غداة واحدة ثم دعا عمرو حاتما فقال له أنت أفضل أم أوس فقال أبيت اللعن انما ذكرت أوسا ولأحد ولده أفضل مني فاستحسن ذلك منهما وحباهما واكرمهما ثم ان وفود العرب من كل حي اجتمعت عند النعمان بن المنذر وفيهم أوس فدعا بحلة من حلل الملوك وقال للوفود احضروا في غد فاني ملبس هذه الحلة اكرمكم فلما كان الغد حضر القوم جميعا الا أوسا فقيل له لم تتخلف فقال ان كان المراد غيري فاجمل الاشياء بي أن لا اكون حاضرا وان كنت المراد فسأطلب فلما جلس النعمان ولم ير أوسا قال اذهبوا الى أوس فقولوا له احضر آمنا مما خفت فحضر فالبس الحلة فحسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة اهجه ولك ثلثمائة ناقة فقال كيف أهجو رجلا لا أرى في بيتي أثاثا ولا مالا الا منه ثم قال

كيف الهجاء وما تنفك صالحة * من أهل لأم بظهر الغيب تاتيني

فقال لهم بشر بن أبي خازم أنا اهجوه لكم فاعطوه النوق وهجاه فافحش في هجائه وذكر أمه سعدى فلما عرف أوس ذلك أغار على النوق فاكتسحها وطلبه فهرب منه والتجأ الى بني أسد عشيرته فمنعوه منه ورأوا تسليمه اليه عارا فجمع أوس جديلة طيء وسار بهم الى أسد فالتقوا بظهر الدهناء تلقاء تيم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت بنو أسد وقتلوا قتلا ذريعا وهرب بشر فجعل لا يأتي حيا يطلب جوارهم الا امتنع من اجارته على أوس ثم نزل على جندب بن حصن الكلابي باعلى الصمان فارسل اليه أوس يطلب منه بشرا فارسله اليه فلما قدم به على أوس أشار عليه قومه بقتله فدخل على أمه سعدى فاستشارها فاشارت ان يرد عليه ماله ويعفو عنه ويحبوه فانه لا يغسل هجاءه الا مدحه فقبل ما أشارت به وخرج اليه وقال يا بشر ما ترى اني اصنع بك فقال

اني لارجو منك يا أوس نعمة * واني لاخرى منك يا أوس راهب
واني لأمحو بالذي انا صادق * به كل ما قد قلت اذ أنا كاذب
فهل نافعي في اليوم عندك انني * سأشكر ان انعمت والشكر واجب
فدى لابن سعدى اليوم كل عشيرتي * بني أسد اقصاهم والاقارب
تداركني أوس بن سعدى بنعمة * وقد أمكنته من يدي العواقب

فمنّ عليه أوس وحمله على فرس جواد ورد عليه ما كان أخذ منه واعطاه من ماله مائة من الابل فقال بشر لا جرم لا مدحت أحدا حتى أموت غيرك ومدحه بقصيدته المشهورة التي أوّلها

الصورة والشكل واللون والقرن وانما تتبين تلك بانياب لها كانياب الفيلة لكل ظبي نابان خارجان من الحنكين قائمان منتصبان نحو الشبر وأقل وأكثر فتنصب لها في بلاد التبت والصين الحبائل والاشراك والشباك فيصطادونها او يرمونها بالسهام فيصرعونها فيقطعون عنها نوافجها والدم في سررها خام لم ينضج وطري لم يدرك فيكون لرائحته سهوكة فيبقى زمانا حتى تزول منه تلك الرائحة الكريهة ويستحيل بموادّ من الهواء فيصير مسكا وسبيل ذلك سبيل الثمار اذا أبينت عن الاشجار وقطعت قبل استحكام نضجها في شجرها واستحكام موادها فيه وخير المسك ما نضج في وعائه وأدرك في سرة واستحكم في حيوانه وتمام مواده في ذلك ان الطبيعة تدفع مواد الدم الى السرة فاذا استحكم كون الدم فيه ونضج آذاه ذلك وحكه فيفزع حينئذ الى أحد الصخور والاحجار الحارة من حر الشمس فيحتك بها مستلذا بذلك فينفجر حينئذ ويسيل على تلك الاحجار كانفجار الخراج والدمل ونضج ما فيه عند

اتعرف من هنيدة رسم دار * بخرجي ذروة فالى لواها
ومنها منزل ببراق خبت * عفت حقبا وغيرها بلاها

وهي طويلة

(يوم الوقيط)

وكان من حديثه ان اللهازم تجمعت وهي قيس وتيم اللات ابنا ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ومعها عجل بن لجيم وعنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار لتغير على بني تميم وهم غارون فرأى ذلك الاعور وهو ناشب بن بشامة العنبري وكان أسيرا في قيس بن ثعلبة فقال لهم اعطوني رجلا أرسله الى أهلي أوصيهم ببعض حاجتي فقالوا له ترسله ونحن حضور قال نعم فاتوه بغلام مولد فقال أتيتموني باحمق فقال الغلام والله ما أنا باحمق فقال اني أراك مجنونا قال والله مابي جنون قال اتعقل قال نعم اني لعاقل قال فالنيران اكثر ام الكواكب قال الكواكب وكل كثيرة فملأ كفه رملا وقال كم في كفي قال لا ادري فانه لكثير فاومأ الى الشمس بيده وقال ماتلك قال الشمس قال ما أراك الا عاقلا اذهب الى قومي فابلغهم السلام وقل لهم ليحسنوا الى أسيرهم فاني عند قوم يحسنون الي ويكرموني وقل لهم فليعروا جملي الاحمر ويركبوا ناقتي العيساء وليرعوا حاجتي في بني مالك وأخبرهم ان العوسج قد أورق وان النساء قد اشتكت وليعصوا همام بن بشامة فانه مشؤم محدود وليطيعوا هذيل بن الاخنس فانه حازم ميمون واسالوا الحرث عن خبري وسار الرسول فأتى قومه فابلغهم فلم يدروا ما أراد فاحضروا الحرث وقصوا عليه خبر الرسول فقال للرسول اقصص علي أول قصتك فقص عليه أول ما كلمه حتى أتى على آخره فقال أبلغه التحية والسلام واخبره انا نستوصي بما أوصى به فعاد الرسول ثم قال لبني العنبر ان صاحبكم قد بين لكم أما الرمل الذي جعل في كفه فانه يخبركم أنه قد أتاكم عدد لا يحصى واما الشمس التي أوما اليها فانه يقول ذلك أوضح من الشمس وأما جمله الاحمر فالصمان فانه يامركم ان تعروه يعني ترتحلوا عنه وأما ناقته العيساء فانه يأمركم ان تحترزوا في الدهناء وأما بنو مالك فانه يأمركم أن تنذروهم معكم وأما ايراق العوسج فان القوم قد لبسوا السلاح وأما اشتكاء النساء فانه يريد ان النساء قد خرزن الشكاء وهي أسقية الماء للغزو فحذر بنو العنبر وركبوا الدهناء وانذروا بني مالك فلم يقبلوا منهم ثم ان اللهازم وعجلا وعنزة أتوا بني حنظلة فوجدوا عمرا قد أجلت فاوقعوا ببني دارم بالوقيط فاقتتلوا قتالا شديدا وعظمت الحرب بينهم فاسرت ربيعة جماعة من رؤساء بني تميم منهم ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة فجزوا ناصيته واطلقوه وأسروا عثجل بن المأمون بن زرارة وجويرة بن بدر بن عبد الله بن دارم ولم يزل في الوثاق حتى رآهم يوما يشربون فأنشأ يتغنى يسمعهم مايقول

وقائلة ماغاله ان يزورنا * وقد كنت عن تلك الزيارة في شغل
وقد ادركتني والحوادث جمة * مخالب قوم لا ضعاف ولا عزل
سراع الى الجلى بطاء عن الخنى * رزان لدى الباذين في غير ماجهل
لعلهم ان يمطروني بنعمة * كما صاب ماء المزن في البلد المحل
فقد ينعش الله الفتى بعد ذلة * وقد تبتني الحسنى سراة بني عجل

فلما سمعوا الابيات اطلقوه وأسر أيضا نعيم وعوف ابنا القعقاع بن معبد بن زرارة وغيرهما من سادات بني تميم وقتل حكيم بن النهشلي ولم يشهدها من نهشل غيره وعادت بكر فمرت بطريقها بعد الوقعة بثلاثة بجذيمة بن الاصيلع نفر من بني العنبر لم يكونوا ارتحلوا مع قومهم فلما رأوهم طردوا

اليهم

ترادف المواد عليه فيجد لخروجه لذة فاذا فرغ مافي نافجته اندمل حينئذ ثم اندفعت اليه مواد من الدم ويجتمع ثانية ككونها بدأ فتخرج رجال التبت يتقصدون مراعيها بين تلك الاحجار والجبال فيجدون الدم قد جف على تلك الصخور والاحجار وقد أحكمته المواد وانضجته الطبيعة في حيوانه وجففته الشمس وأثر فيه الهواء فيأخذونه فذلك أفضل المسك فيودعونه نوافج معهم قد أخذوها من غزلان قد اصطادوها مستعدة معهم فذلك الذي تستعمله ملوكهم ويتهادونه بينهم ويحمله التجار في النادر من بلادهم والتبت ذو مدن كثيرة فيضاف مسك كل ناحية اليها وقد انقادت الى ملكه ملوك الصين والترك والهند والزنج وسائر ملوك العالم وان منزلته فيها كمنزلة القمر في الكواكب لان اقليمه أشرف الاقاليم ولانه أكثر الملوك مالا وأحسنهم طبعا وأكثرهم سياسة وأتمهم قدما وهذا وصف ملوك هذا الاقليم فيما مضى الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكانوا يلقبون هذا الملك شاه وتفسيره ملك

ابلهم فاحرزوها من بكر واكثر الشعراء في هذا اليوم فمن ذلك قول أبي مهوش الفقعسي يعير تميما بيوم الوقيط

فما قاتلت يوم الوقيطين نهشل * ولا الانكد الشؤمى فقيم بن دارم
ولا فضبت عوف رجال مجاشع * ولا قنبر الاستاه غير البراجم

وقال أبو الطفيل عمرو بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد

حكت تميم بركها لما التقت * راياتنا ككواسر العقبان
دهموا الوقيط بجحفل جم الوغى * ورماحها كنوازع الاشطان

﴿يوم المروت﴾

وهو يوم بني تميم وعامر بن صعصعة وكان سببه أنه التقى قعنب بن عتاب الرياحي وبحير بن عبد الله بن سلمة العامري بعكاظ فقال بحير لقعنب ما فعلت فرسك البيضاء قال هي عندي وما سؤالك عنها قال لانها نجتك مني يوم كذا وكذا فانكر قعنب ذلك وتلاعنا وتداعيا ان يجعل الله منية الكاذب بيد الصادق فمكثا ماشاء الله وجمع بحير بني عامر وسار بهم فاغار على بني العنبر بن عمرو بن تميم بأرم الكابه وهم خلوف فاستاق السبي والنعم ولم يلق قتالا شديدا وأتى الصريخ بني العنبر بن عمرو بن تميم وبني مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وبني يربوع بن حنظلة فركبوا في الطلب فتقدمت عمرو بن تميم فلما انتهى بحير الى المروت قال يا بني عامر انظروا هل ترون شيأ قالوا نرى خيلا عارضة رماحها على كواهل خيلها قال هذه عمرو بن تميم وليست بشئ فلحق بهم بنو عمرو فقاتلوهم شيأ من قتال ثم صدروا عنهم ومضى بحير ثم قال يا بني عامر انظروا هل ترون شيأ قالوا نرى خيلا ناصبة رماحها قال هذه مالك بن حنظلة وليست بشئ فلحقوا فقاتلوا شيأ من قتال ثم صدروا عنهم ومضى بحير وقال يا بني عامر انظروا هل ترون شيأ قالوا نرى خيلا ليست معها رماح وكأنما عليها الصبيان قال هذه يربوع رماحها بين آذان خيلها اياكم والموت الزؤام فاصبروا ولا أرى أن تنجوا فكان أول من لحق من بني يربوع الواقعة وهو نعيم بن عتاب وكان يسمى الواقعة لبليته فحمل على المثلم القشيري فاسره وحملت قشير على ذوكسر بن واقد بن حوط فقتلوه وأسر نعيم المصفى القشيري فقتله وحمل كدام بن بجيلة المازني على بحير فعانقه ولم يكن لقعنب همة الا بحير فطار اليه والى كدام قد تعانقا فاقبل نحوهما فقال كدام يا قعنب اسيري فقال قعنب مازرأسك والسيف بيديه فخلي عنه كدام وشد عليه قعنب فضربه فقتله وحمل قعنب أيضا على صهبان وأم صهبان مازنية فاسره فقالت بنو مازن يا قعنب قتلت أسيرنا فاعطنا ابن أختنا مكانه فدفع اليهم صهبان ففي بحير فرضوا بذلك واستنقذت بنو يربوع أموال بني العنبر وسبيهم من بني عامر وعادوا (بحير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة)

﴿يوم فيف الريح﴾

وهو بين عامر بن صعصعة والحرث بن كعب وكان خبره ان بني عامر كانت تطلب بني الحرث بن كعب بأوتار كثيرة فجمع لهم الحصين بن يزيد بن شداد بن قنان الحارثي وهو ذو الغصة واستعان بجعفة وزبيد وقبائل سعد العشيرة ومراد وصداء ونهد وخثعم وشهران وناهس ثم أقبلوا يريدون بني عامر وهم منتجعون مكانا يقال له فيف الريح ومع مذحج النساء والذراري حتى لا يفروا فاجتمعت بنو عامر فقال لهم عامر بن الطفيل أغيروا بنا على القوم فاني أرجو أن ناخذ غنائمهم ونسبي نساءهم ولا تدعوهم يدخلون عليكم فاجابوه الى ذلك وساروا اليهم فلما دنوا من بني الحرث ومذحج

الملوك ومنزلته في العالم منزلة القلب من جسد الانسان والواسطة من القلادة ثم يتلوه ملك الهند وهو ملك الحكمة وملك الفيلة لان عند ملوك الاكابر أن الحكمة من الهند بدؤها ثم يتلوه في المرتبة ملك الصين وهو ملك الرعاية والسياسة واتقان الصنعة وليس في ملوك العالم أكثر رعاية وتفقدا من ملك الصين لرعيته من جنده وعوامه وهو ذو بأس شديد وقوة ومنعة له الجنود المستعدة والكراع والسلاح ويرزق جنده كفعل ملوك بابل ثم يتلو ملك الصين ملك من ملوك الترك صاحب مدينة كوسان وهو ملك الطغرغر من الترك ويدعى ملك السباع وملك الخيل اذ ليس في ملوك العالم أشد بأسا من رجاله ولا أشد استئسادا منه على سفك الدماء ولا أكثر خيلا منه ومملكته فرز بين بلاد الصين ومفاوز خراسان ويدعى بالاسم الاعم ايرخان وللترك ملوك كثيرة واجناس مختلفة ولا تنقاد الى ملكه الا أنه ليس فيها من يداني ملكه ثم ملك الروم ويدعى ملك الرجال وليس في ملوك العالم أصبح وجوها من رجاله ثم ان ملوك العالم تتفاوت

ومن معهم أخبرتهم عيونهم وعادت اليهم مشايخهم بخذر وافالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا ثلاثة أيام يغادونهم القتال بفيف الريح فالتقى الصميل بن الاعور الكلابي وعمرو بن صبيح النهدي فطعنه عمرو فاعتنق الصميل فرسه وعاد فلقيه رجل من خثعم فقتله وأخذ درعه وفرسه وشهدت بنو نمير يومئذ مع عامر بن الطفيل فابلوا بلاء حسنا وسموا ذلك اليوم حريجة الطعان لانهم اجتمعوا برماحهم فصاروا بمنزلة الحرجة وهي شجر مجتمع وسبب اجتماعهم ان بني عامر جالوا جولة الى موضع يقال له العرقوب والتفت عامر بن الطفيل فسأل عن بني نمير فوجدهم قد تخلفوا في المعركة فرجع وهو يصيح ياصباحاه يانميراه ولا نمير لي بعد اليوم حتى اقتحم فرسه وسط القوم فقويت نفوسهم وعادت بنو عامر وقد طعن عامر بن الطفيل ما بين ثغرة نحره الى سرته عشرين طعنة وكان عامر في ذلك اليوم يتعهد الناس فيقول يافلان ما رأيتك فعلت شيأ فمن أبلى فليرني سيفه أو رمحه ومن لم يبل شيأ تقدم فأبلى فكان كل من أبلى بلاء حسنا أتاه فاراه الدم على سنان رمحه أو سيفه فأتاه رجل من الحارثيين اسمه مسهر فقال له يا أبا علي انظر ما صنعت بالقوم انظر الى رمحي فلما أقبل عليه عامر لينظر وجاه بالرمح في وجنته فغلقها وفقأ عينه وترك رمحه وعاد الى قومه وانما دعاه الى ذلك ما رآه يفعل بقومه فقال هذا والله مبير قومي فقال عامر بن الطفيل

أتونا بشهران العريضة كلها * وأكلب طرا في جياد السنور
لعمري وما عمري علي بهين * لقد شان حر الوجه طعنة مسهر
فبئس الفتى ان كنت أعور عاقرا * جبانا وما أغنى لدى كل محضر

وأسرت بنو عامر يومئذ سيد مراد جريحا فلما برأ من جراحته أطلق وممن أبلى يومئذ أربد بن قيس ابن جزء بن خالد بن جعفر وعبيدة بن شريح بن الاحوص بن جعفر وقال لبيد بن ربيعة ويقال انها لعامر بن الطفيل

أتونا بشهران العريضة كلها * وأكلبها في مثل بكر بن وائل
فبتنا ومن ينزل به مثل ضيفنا * يبت عن قرى أضيافه غير غافل
أعاذل لو كان البداد لقوتلوا * ولكن أتانا كل جن وخابل
وخثعم حي يعدلون بمذحج * فهل نحن الا مثل احدى القبائل

وأسرع القتل في الفريقين جميعا ثم انهم افترقوا ولم يشتغل بعضهم عن بعض بغنيمة وكان الصبر فيها والشرف لبني عامر

﴿يوم الجماجم ويعرف أيضا بقارات حوق﴾

وهو بين قبائل طيء بعضها في بعض وكان سبب ذلك ان الحرث بن جبلة الغساني كان قد أصلح بين طيء فلما هلك عادت الى حربها فالتقت جديلة والغوث بموضع يقال له غرثان فقتل قائد بني جديلة وهو أسبع بن عمرو بن لام عم أوس بن خالد بن حارثة بن لام وأخذ رجل من سنبس يقال له مصعب أذنيه فخصف بهما نعليه وفي ذلك يقول أبو مروة السنبسي

نخصف بالآذان منكم نعالنا * ونشرب كرها منكم في الجماجم

وتناقل الحيان في ذلك اشعارا كثيرة وعظم ما صنعت الغوث على أوس بن خالد بن لام وعزم على لقاء الحرب بنفسه وكان لم يشهد الحروب المتقدمة هو ولا أحد من رؤساء طيء كحاتم بن عبد الله وزيد الخيل وغيرهم من الرؤساء فلما تجهز أوس للحرب وأخذ في جمع جديلة ولقيها قال أبو جابر

أقيموا علينا القصد يا آل طيء * والا فان الحلم عند التحاسب

مراتبها ولا تتساوى وقد قال ذو عناية باخبار العالم وملوكهم في شعر له يصف جملا من مراتب ملوك العالم وممالكهم وأسمائهم

الدار داران ايوان وغمدان
والملك ملكان ساسان وقحطان
والارض فارس والاقليم بابل والا
سلام مكة والدنيا خراسان
والجانبان العليان اللذا حسنا
منها بخارى وبلخ الشاهد آران
والبيلقان وطبرستان مادرها
والصين سروانها والجيل جيلان
قد رتب الناس فيها في مراتبهم
فمرزبان وبطريق وطرخان
للفرس كسرى وللروم القياصر
والحبش النجاشي والاتراك خاقان

وصاحب صقلية وافريقية من بلاد المغرب قبل ظهور الاسلام كان يدعى جرجير وصاحب الاندلس كان يدعى لزريق هذا كان اسم ملوك الاندلس وقد قيل انهم كانوا من الاسنان وهم أمة من ولد يافث بن نوح واتصلت هنالك والاشهر عند من سكن الاندلس من المسلمين أن

فمن مثلنا يوما اذا الحرب شمرت * ومن مثلنا يوما اذا لم نحاسب
فان تقطعيني أو تريدي مساءتي * فقد قطع الخوف المخوف ركائبي

و بلغ الغوث جمع أوس لها و أوقدت النار على مناع وهي ذروة اجا وذلك أول يوم توقد فيه النار فأقبلت قبائل الغوث كل قبيلة وعلها رئيسها منهم زيد الخيل وحاتم وأقبلت جديلة مجتمعة على أوس بن حارثة بن لأم وحلف أوس أن لا يرجع عن طي حتى ينزل معها جبليها أجا وسلمى وتجلي له أهلها وتزاحفوا والتقوا بغارات حوق على راياتهم فاقتتلوا قتالا شديدا ودارت الحرب على بني كباد بن جندب فأبيروا قال عدي بن حاتم اني لواقف يوم اليحاميم والناس يقتتلون اذ نظرت الى زيد الخيل قد حضر ابنيه مكتنفا وحرشاني شعب لا منفذ له وهو يقول أي ابني أبقيا على قومكما فان اليوم يوم التفاني فان يكن هؤلاء أعماما فهؤلاء أخوال فقلت كأنك قد كرهت قتال أخوالك قال فاحمرت عيناه غضبا وتطاول الي حتى نظرت الى ما تحته من سرجه فخفته فضربت فرسي وتنحيت عنه واشتغل بنظره الى عن ابنيه فخرجا كالصقرين وحمل قيس بن عازب على بجير ابن زيد الخيل بن حارثة بن لأم فضربه على رأسه ضربة عنق لها بجير فرسه و ولى فانهزمت جديلة عند ذلك وقتل فيها قتل ذريع فقال زيد الخيل

تجيء بنى لأم جيادا كأنها * عصائب طير يوم طل وحاصب
فان تنج منها لا يزل بك شامة * اناه حيا بين الشحا و الترائب
وفر ابن لأم واتقانا بظهره * يرذعه بالرمح قيس بن عازب
وجاءت بنو معن كأن سيوفهم * مصابيح من سقف فليس بآيب
وما فرحتى أسلم ابن حمارس * لوقعة مصقول من البيض قاضب

فلم تبق لجديلة بقية للحرب بعد يوم اليحاميم فدخلوا بلاد كلب فحالفوهم وأقاموا معهم

(يوم ذي طلوح)

وهو يوم الصمد و يوم أود أيضا وهو بين بكر وتميم وكان من حديثه ان عميرة بن طارق بن ارقم اليربوعي التميمي تزوج مرية بنت جابر العجلي أخت أبجر وسار الى عجل ليبتني بأهله وكان له في بني تميم امرأة أخرى تعرف بابنة النطف من بني تميم فأتى أبجر أخته يزورها وزوجها عندها فقال لها أبجر اني لارجو أن آتيك بابنة النطف امرأة عميرة فقال له ما أراك تبقى علي حتى تسلبني أهلي فندم أبجر وقال له ما كنت لاغزو قومك ولكنني متأسر في هذا الحي من تميم و جمع أبجر والحوفزان بن شريك الشيباني الحوفزان على شيبان وأبجر على اللهازم و وكلا بعميرة من يحرسه لئلا يأتي قومه فينذرهم فسار الجيش فاحتال عميرة على الموكل بحفظه وهرب منه وجد السير الى ان وصل الى بني يربوع فقال لهم قد غزاكم الجيش من بكر بن وائل فأعلموا بني ثعلبة بطنا منهم وأرسلوا طليعة منهم فمقوا ثلاثة أيام ووصلت بكر فركبت يربوع والتقوا بذي طلوح فركب عميرة ولقي أبجر فعرفه نفسه والتقى القوم واقتتلوا فكان الظفر ليربوع وانهزمت بكر وأسر الحوفزان وابنه شريك وابن عنمة الشاعر وكان مع بني شيبان فافتكه متمم بن نويرة وأسر أكثر الجيش البكري وقال ابن عنمة يشكر متمما

جزى الله رب الناس عني متمما * بخير الجزاء ما أعف وأجودا
اجيرت به ابناؤنا ودماؤنا * وشارك في اطلاقنا وتفردا
أبا نهشل اني لكم غير كافر * ولا جاعل من دونك المال سرمدا

لزريق كان من ملوك الاندلس الجلالقة وهم نوع من الافرنجة وأخو لزريق الذي كان بالاندلس قتله طارق مولى موسى ابن نصير حين افتتح بلاد الاندلس ودخل الى مدينة طليطلة وكانت قصبة الاندلس ودار مملكتهم و يشقها نهر عظيم يدعى ناحية يخرج من بلاد الجلالقة والوسكيد وهي أمة عظيمة لهم ملوك وهم حرب لاهل الاندلس كالجلالقة والافرنجة ويصب هذا النهر في البحر الرومي وهو موصوف بأنه من أنهار العالم وعليه على بعد من طليطلة قنطرة عظيمة تدعى قنطرة السيف بنتها الملوك السالفة وهي من البنيان المذكور الموصوف أعجب من قنطرة سنجة من الثغر الجزري مما يلي سميساط من بلاد سرحة ومدينة طليطلة ذات منعة وعليها اسوار منيعة وأهلها بعد أن فتحت وصارت لبني أمية قد كانوا عصوا على الامويين فأقامت مدة سنين ممتنعة لا سبيل للامويين اليها فلما كان بعد الخمس عشرة وثلثمائة فتحها عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن هشام بن عبد الرحمن بن

﴿يوم أقرن﴾

قال أبو عبيدة غزا عمرو بن عمرو بن عدس التميمي بني عبس فأخذ ابلهم واستاق سبيهم وعاد حتى اذا كان أسفل ثنية أقرن نزل وابتنى بجارية من السبي ولحقه الطلب فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل أنس الفوارس بن زياد العبسي عمرا وابنه حنظلة واستردوا الغنيمة والسبي فنعى جرير على بني دارم ذلك فقال أتنسون عمرا يوم برقة أقرن * وحنظلة المقتول اذ هو يافعا

وكان عمرو أسلع أبرص وكان هو ومن معه قد أخطؤا ثنية الطريق في عودهم وسلكوا غير الطريق فسقطوا من الجبل الذي سلكوه فلقوا شدة ففي ذلك يقول عنترة

كأن السرايا يوم نيق وصارة * عصائب طير ينتحين لمشرب
شفى النفس مني أودنا لشفائها * تهورهم من حالق متصوب
وقد كنت أخشى أن أموت ولم تقم * مراتب عمرو وسط نوح مسلب

وكانت أم سماعة بن عمرو بن عمرو من عبس فزاره خاله فقتله بابيه فقال في ذلك مسكين الدارمي

وقاتل خاله بأبيه منا * سماعة لم يبع نسبا بخال

﴿يوم السلان﴾

قال أبو عبيدة كان بنو عامر بن صعصعة حمسا والحمس قريش ومن له فيهم ولادة والحمس متشددون في دينهم وكانت عامر أيضا لقاحا لا يدينون للملوك فلما ملك النعمان بن المنذر ملكه كسرى ابرويز وكان يجهز كل عام لطيمة وهي التجارة لتباع بعكاظ عرضت بنو عامر لبعض ما جهزه فأخذوه فغضب لذلك النعمان وبعث الى أخيه لامه وهو وبرة بن رومانس الكلبي وبعث الى صنائعه ووضائعه والصنائع من كان يصطنعه من العرب ليغزيه والوضائع هم الذين كانوا يشبه المشايخ وأرسل الى بني ضبة بن أد وغيرهم من الرباب وتميم فجمعهم فجاؤه فأتاه ضرار ابن عمرو والضبي في تسعة من بنيه كلهم فوارس ومعه حبيش بن دلف وكان فارسا شجاعا فاجتمعوا في جيش عظيم فجهز النعمان معهم عيرا وأمرهم بتسييرها وقال لهم اذا فرغتم من عكاظ وانسلخت الحرم ورجع كل قوم الى بلادهم فاقصدوا بني عامر فانهم قريب بنواحي السلان فخرجوا وكتموا أمرهم وقالوا اخرجنا لئلا يعرض أحد للطيمة الملك فلما فرغ الناس من عكاظ علمت قريش بحالهم فأرسل عبد الله بن جدعان قاصدا الى بني عامر يعلمهم الخبر فسار اليهم وأخبرهم خبرهم فحذروا وتهيؤا للحرب وتحرزوا ووضعوا العيون وعاد عامر عليهم عامر بن مالك ملاعب الاسنة وأقبل الجيش فالتقوا بالسلان فاقتتلوا قتالا شديدا فبيناهم يقتتلون اذ نظر يزيد بن عمرو بن خويلد الصعق الى وبرة بن رومانس أخي النعمان فأعجبه هيئته فحمل عليه فأسره فلما صار في أيديهم هم الجيش بالهزيمة فنهاهم ضرار بن عمرو والضبي وقام بأمر الناس فقاتل هو وبنوه قتالا شديدا فلما رآه أبو براء عامر بن مالك ما يصنع ببني عامر هو وبنوه حمل عليه وكان أبو براء رجلا شديد الساعد فلما حمل على ضرار اقتتلا فسقط ضرار الى الارض وقاتل عليه بنوه حتى خلصوه وركب وكان شيخا فلما ركب قال من سره بنوه ساءته نفسه فذهبت مثلا يعني من سره بنوه اذا صاروا رجالا كبر وضعف فساءه ذلك وجعل أبو براء يلح على ضرار طمعا في فدائه وجعل بنوه يحمونه فلما رأى ذلك أبو براء قال له لتموتن أو لاموتن دونك فاحلني على رجل له فداء فاومأ ضرار الى حبيش بن دلف وكان سيدا فحمل عليه أبو براء فأسره وكان حبيش أسود نحيفا دميما فلما رآه كذلك ظنه عبدا وان ضرارا خدعه فقال انا لله أعز سائر القوم ألا في الشوم وقعت

معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وعبد الرحمن هذا هو صاحب الاندلس في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وقد كان غير كثير من بنيان هذه المدينة حين افتتحها وصارت دار مملكة الاندلس قرطبة الى هذا الوقت ومن قرطبة الى مدينة طليطلة نحو من سبع مراحل ومن قرطبة الى البحر مسيرة نحو من ثلاثة أيام ولهم على بحر تونس من الساحل مدينة يقال لها الاشبيلية وبلاد الاندلس مسيرة عمائرها ومدنها نحو من شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة وتدعى بنو أمية الخلائف ولا يخاطبون بالخلفاء لان الخلافة لا يستحقها عندهم الا من كان مالكا للحرمين غير أنه يخاطب بأمير المؤمنين وقد كان عبد الرحمن بن معاوية أو هشام بن عبد الملك بن مروان سار الى الاندلس في سنة تسع وثلاثين ومائة فملكها ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ثم هلك فملكها ابنه هشام بن عبد الرحمن سبع سنين ثم ملكها ابنه الحكم بن هشام نحوا من عشرين سنة وولده ولاتها الى اليوم

فلما سمعها حبيش منه خاف أن يقتله فقال أيها الرجل ان كنت تريد اللبن يعنى الابل فقد أصبته فافتدى نفسه بأربعمائة بعير وهزم جيش النعمان فلما رجع الفل اليه أخبروه بأسر أخيه وبقيام ضرار بأمر الناس وما جرى له مع أبى براء وافتدى وبرة بن رومانس نفسه بألف بعير وفرس من يزيد بن الصعق فاستغنى يزيد وكان قبله خفيف الحال وقال لبيد يذكر أيام قومه

انى امرؤ منعت أرومة عامر * ضيمى وقد حنقت على خصوم

يقول فيها

وغداة قاع القريتين أتاهم * رهوا يلوح خلالها التسويم

بكتائب رجح تعود كبشها * نطح الكباش كانهن نجوم

قوله قاع القريتين يعنى يوم السلان (حبيش بن دلف بضم الحاء المهملة وبالباء الموحدة وبالياء المثناة من تحتها نقطتان وآخره شين معجمة)

❁(يوم ذى علق)❁

وهو يوم التقى فيه بنو عامر بن صعصعة وبنو أسد بذى علق فاقتتلوا قتالا عظيما فقتل فى المعركة ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرى أبو لبيد الشاعر وانهزمت عامر فتبعهم خالد بن نضلة الاسدى وابنه حبيب والحرث بن خالد بن المضلل وأمعنوا فى الطلب فلم يشعروا الا وقد خرج عليهم أبو براء عامر بن مالك من وراء ظهورهم فى نفر من أصحابه فقال لخالد يا أبا معقل ان شئت أجزتنا وأجزناك حتى نحمل جرحانا وندفن قتلانا قال قد فعلت فتواقفوا فقال له أبو براء هل علمت ما فعل ربيعة قال نعم تركته قتيلا قال ومن قتله قال ضربته أنا وأجهز عليه صامت بن الافقم فلما سمع أبو براء بقتل ربيعة حمل على خالد هو ومن معه فانهزم خالد وصاحباه وأخذوا سلاح حبيب بن خالد ولحقهم بنو أسد فمنعوا أصحابهم وحموهم فقال الجميح

سائل معدا عن الفوارس لا * أوفوا بجيرانهم ولا سلموا

يسعى بهم قرزل ويستمع الناس اليهم وتخفق اللمم

ركضا وقد غادروا ربيعة فى الآثار لما تقارب النسم

فى صدره صعدة ويخلجه * بالرمح حران باسلا أضم

قرزل فرس الطفيل والد عامر بن الطفيل وقال لبيد من قصيدة يذكر أباه

ولا من ربيعة المقترين رزيته * بذى علق فاقنى حياءك واصبرى

❁(يوم الرقم)❁

قال أبو عبيدة غزت عامر بن صعصعة غطفان ومع بنى عامر يومئذ عامر بن الطفيل شابا لم يرأس بعد فبلغوا وادى الرقم وبه بنو مرة بن عوف بن سعد ومعهم قوم من أشجع بن ذئب بن غطفان وناس من فزارة بن ذبيان فنذروا ببنى عامر وهجمت عليهم بنو عامر بالرقم وهو واد بقرب تضرع فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فاقبل عامر بن الطفيل فرأى امرأة من فزارة فسألها فقالت أنا أسماء بنت نوفل الفزارى وقيل كانت أسماء بنت حصن بن حذيفة فبينا عامر يسألها خرج عليه المنهزمون من قومه وبنو مرة فى أعقابهم فلما رأى ذلك عامر ألقى درعه الى أسماء وولى منهزما فأدتها اليه بعد ذلك وتبعتهم مرة وعليهم سنان بن حارثة بن أبى حارثة المرى وجعل الاشجعيون يذبحون كل من أسروه من بنى عامر لوقعة كانت أوقعتها بهم بنو عامر فذلك البطن من بنى أشجع يسمون بنى مذبح فذبحوا سبعين رجلا منهم فقال عامر بن الطفيل يذكر غطفان ويعرض بأسماء

قد سالت أسماء وهى خفية * لضحائها أطردت أم لم أطرد

على ماذكرنا أن صاحبها عبد الرحمن بن محمد وولى عبد الرحمن فى هذا الوقت فتاه الحكم وكان أحسن الناس سيرة وأجملهم عدلا وقد كان عبد الرحمن صاحب الاندلس فى هذا الوقت المقدم ذكره غزا سنة سبع وعشرين وثلثمائة فى أزيد من مائة ألف فارس من الناس فنزل على دار مملكة الجلالقة وهى مدينة يقال لها سمورة عليها سبعة أسوار من عجيب البنيان قد أحكمتها الملوك السالفة بين الاسوار فصلان وخنادق ومياه واسعة فافتتح منها سورين ثم ان أهلها ثاروا على المسلمين فقتلوا منهم ممن أدرك الاحصاء وممن عرف أربعين ألفا وقيل خمسين ألفا وكانت للجلالقة والوسكيد على المسلمين وآخر ما كان بأيدى المسلمين من مدن الاندلس وثغورها مما يلى الافرنجة مدينة أربونة خرجت عن أيدى المسلمين من مدائن الاندلس وثغورها سنة ثلاثين وثلثمائة مع غيرها مما كان فى أيديهم من المدائن والحصون وبقى ثغر المسلمين فى هذا الوقت وهو سنة ست وثلاثين وثلثمائة من شرقى الاندلس طرطوشة وعلى ساحل

فلا تبغينكم القنا وعوارضا * ولا أقبلن الخيل لابة ضرغد
ولا برزرن عالك وعالك * وأخي المرورات الذي لم يسند

في أبيات عدة فلما بلغ شعره غطفان هجاه منهم جماعة وكان نابغة بن ذبيان حينئذ غائبا عند ملوك غسان قد هرب من النعمان فلما آمنه النعمان وعاد سأل قومه عما هجوا به عامر بن الطفيل فانشدوه ماقالوا فيه وما قال فيهم فقال لقد أفحشتم وليس مثل عامر يهجى بمثل هذا ثم قال يخطئ عامرا في ذكره امرأة من عقائلهم

فان يك عامر قد قال جهلا * فان مطية الجهل الشباب
فانك سوف تحلم أو تناهى * اذا ما شبت أو شاب الغراب
فكن كأبيك أو كأبي براء * توافقك الحكومة والصواب
فلا تذهب بحلمك طامئات * من الخيلاء ليس لهن باب

الى آخرها فلما سمعها عامر قال ما هجيت قبلها

(يوم ساحوق)

قال أبو عبيدة غزت بنو ذبيان بني عامر وهم بساحوق وعلى ذبيان سنان بن أبي حارثة المري وقد جهزهم وأعطاهم الخيل والابل وزودهم فاصابوا نعما كثيرة وعادوا فلحقتهم بنو عامر واقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزمت بنو عامر وأصيب منهم رجال وركبوا الفلاة فهلك أكثرهم عطشا وكان الحر شديدا وجعلت ذبيان تدرك الرجل منهم فيقولون له ضع ولك نفسك وضع سلاحك فيفعل وكان يوما عظيما على عامر وانهزم عامر بن الطفيل وأخوه الحكم ثم ان الحكم ضعف وخاف ان يؤسر فجعل في عنقه حبلا وصعد الى شجرة وشده ودلى نفسه فاختنق وفعل مثله رجل من بني غني فلما ألقى نفسه ندم فاضطرب فادركوه وخلصوه وعيروه بجزعه وقال عروة بن الورد العبسي في ذلك

ونحن صبحنا عامرا في ديارها * علالة ارماح وضربا مذكرا
بكل رقاق الشفرتين مهند * ولدن من الخطي قد طر اسمرا
عجبت لهم اذ يخنقون نفوسهم * ومقتلهم اذ يلتقى كان اعذرا

(يوم أعيار ويوم النقيعة)

كان المثلم بن المشمر العائذي ثم الضبي مجاور البني عبس فتقامر هو وعمارة بن زياد وهو أحد الكملة فقمره عمارة حتى اجتمع عليه عشرة أبكر فطلب منه المثلم ان يخلي عنه حتى يأتي أهله ويرسل اليه بالذي له فأبى ذلك فرهنه ابنه شرحاف بن المثلم وخرج المثلم فأتى قومه فأخذ البكارة فأتى بها عمارة وافتك ابنه فلما انطلق بابنه قال له في الطريق يا أبتاه من معضال قال ذلك رجل من بني عمك ذهب فلم يوجد الى الساعة قال شرحاف فاني قد عرفت قاتله قال أبوه ومن هو قال عمارة بن زياد سمعته يقول للقوم يوما وقد اخذ فيه الشراب انه قتله ولم يلق له طالبا ولبثوا بعد ذلك حينا وشب شرحاف ثم ان عمارة جمع جمعا عظيما من عبس وأغار بهم على بني ضبة فاخذوا ابلهم وركبت بنو ضبة فادركوهم في المرعى فلما نظر شرحاف الى عمارة قال يا عمارة اتعرفني قال من انت قال انا شرحاف أد الى ابن عمي معضالا لا مثله يوم قتلته وحمل عليه فقتله واقتتلت ضبة وعبس قتالا شديدا واستنقذت ضبة الابل وقال شرحاف

ألا أبلغ سراة بني بغيض * بما لاقت سراة بني زياد

وما

آخذا في الشمال أفراغة على نهر عظيم ثم لاردة ثم بلغني عن هذه الثغور أنها تلاقي الافرنجة وهي أضيق مواضع الاندلس وقد كان قبل الثلثمائة ورد الى الاندلس مراكب في البحر فيها ألوف من الناس أغارت على سواحلهم زعم اهل الاندلس أنهم ناس من المجوس تطرأ اليهم في هذا البحر في كل مائتين من السنين وأن وصولهم الى بلادهم من خليج يعترض من بحر أوقيانوس وليس بالخليج الذي عليه المنارة النحاس وأرى والله أعلم أن هذا الخليج متصل ببحر مانطش ونيطش وان هذه الامة هم الروس الذين قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب اذ كان لا يقطع هذه البحار المتصلة ببحر أوقيانوس غيرهم وقد أصيب في البحر الرومي فيما بين جزيرة أقريطش الواح المراكب الساج المنقبة المخيطة بليف النارجيل من مراكب قد عطبت تقاذفت بها الامواج في مياه البحار وهذا لا يكون الا في البحر الحبشي لان مراكب البحر الرومي والغربي كلها بالمسامير ومراكب الحبش لا يثبت فيها الحديد لان ماء

وما لاقت جذيمة اذ تحامى * وما لاقى الفوارس من بجاد
تركنا بالنقيعة آل عبس * شعاعا يقتلون بكل واد
وما ان فاتنا الا شريد * يوم القفر في تيه البلاد
فسل عنا عمارة آل عبس * وسل وردا وما كل بداد
تركتهم بوادي البطن رهنا * لسيدان القرارة والجلاد

(يوم النباة)

قال أبو عبيدة خرجت بنو عامر تريد غطفان لتدرك بثارها يوم الرقم ويوم ساحوق فصادفت بني عبس وليس معهم أحد من غطفان وكانت عبس لم تشهد يوم الرقم ولا يوم ساحوق مع غطفان ولم يعينوهم على بني عامر وقيل بل شهدها أشجع وفزارة وغيرهما من بني غطفان على ما نذكره قال وأغارت بنو عامر على نعم بني عبس وذبيان وأشجع فأخذوها وعادوا متوجهين الى بلادهم فضلوا في الطريق فسلكوا وادي النباة فامتنعوا فيه ولا طريق لهم ولا مطلع حتى قاربوا آخره وكاد الجبلان يلتقيان اذا هم بامرأة من بني عبس تخبط الشجر لهم في قلة الجبل فسألوها عن المطلع فقالت لهم الفوارس المطلع وكانت قد رأت الخيل قد أقبلت وهي على الجبل ولم يرها بنو عامر لانهم في الوادي فارسلوا رجلا الى قلة الجبل ينظر فقال لهم أرى قوما كأنهم الصبيان على متون الخيل أسنة رماحهم عند آذان خيلهم قالوا تلك فزارة قال وأرى قوما بيضا جعادا كأن عليهم ثيابا حمرا قالوا تلك أشجع قال وأرى قوما سودا قد قلعوا خيولهم بسدادهم كأنما يحملونها حملا بأفخاذهم آخذين بعوامل رماحهم يجرونها قالوا تلك عبس أتاكم الموت الزؤام ولحقهم الطلب بالوادي فكان عامر بن الطفيل أول من سبق على فرسه الورد ففات القوم وأعيا فرسه الورد وهو المربوق أيضا فعقره لئلا تفتحله فزارة واقتتل الناس ودام القتال بينهم وانهزمت عامر فقتل منهم مقتلة كبيرة قتل فيها من أشرافهم البراء بن عامر بن مالك وبه يكنى أبوه وقتل نهشل وأنس وهزار بنو مرة بن أنس بن خالد بن جعفر وقتلوا عبد الله بن الطفيل أخا عامر قتله الربيع بن زياد العبسي وغيرهم كثير وتمت الهزيمة على بني عامر

(يوم الفرات)

قال أبو عبيدة أغار المثنى بن حارثة الشيباني وهو ابن أخت عمران بن مرة على بني تغلب وهم عند الفرات وذلك قبيل الاسلام فظفر بهم فقتل من أخذ من مقاتلهم وغرق منهم ناس كثير في الفرات وأخذ أموالهم وقسمها بين أصحابه فقال شاعرهم في ذلك

ومنا الذي غشى الدليكة سيفه * على حين ان أعيا الفرات كتائبه
ومنا الذي شد الركي ليستقي * ويسقي محضا غير ضاف جوانبه
ومنا غريب الشام لم ير مثله * أفك لعان قد تناءى أقاربه

الدليكة فرس المثنى بن حارثة والذي شد الركي مرة بن همام وغريب الشام ابن القلوص بن النعمان بن ثعلبة

(يوم بارق)

قال المفضل الضبي ان بني تغلب والنمر بن قاسط وناسا من تميم اقتتلوا حتى نزلوا ناحية بارق وهي من أرض السواد وأرسلوا وفدا منهم الى بكر بن وائل يطلبون اليهم الصلح فاجتمعت شيبان ومن معهم وأرادوا قصد تغلب ومن معهم فقال زيد بن شريك الشيباني اني قد أجرت اخوالي وهم النمر

البحر يذيب الحديد فتدق المسامير في الالواح وتضعف فاتخذ أهلها الخياطة بالليف بدلا منها وطليت بالشحوم والنورة فهذا يدل والله أعلم على اتصال البحار وان البحر مما يلي الصين وبلاد السلي يدور على بلاد الترك ويفضي الى بحار المغرب من بعض خلجان أوقيانوس المحيط وقد كان وجد بساحل بلاد الشام عنبر قذف به البحر وهذا من المستنكر في البحر الرومي الذي لم يعهد فيه في قديم الزمان مثل ذلك ويمكن ان يكون سبيل وقوع العنبر الى هذا البحر سبيل ماذكرناه من ألواح مراكب البحر الصيني والله أعلم بكيفية ذلك وعلمه ولبحر المغرب وما قرب منه من عمائر السودان وأقاصي أرض المغرب أخبار عجيبة وقد ذكر ذوو العناية بأخبار العالم أن أرض الحبشة وسائر السودان كلها مسيرة سبع سنين وان أرض مصر جزء واحد من ستين جزأ من أرض السودان وأن أرض السودان جزء واحد من الارض كلها وان الارض كلها مسيرة خمسمائة سنة ثلث عمران مسكون مأهول وثلث براري غير مسكون

ابن قاسط فأمضوا جواره وساروا وأوقعوا ببني تغلب وتميم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم تصب تغلب بمثلهـا واقتسموا الاسرى والاموال وكان من أعظـم الأيام عليهـم قتل الرجال ونهب الاموال وسبي الحريم فقال أبو كلبة الشيباني

وليلة بسعادي لم تدع سندا * لتغلبي ولا انفا ولا حسـبا
والغربون لولا سرمن ولدوا * من آل مرة شاع الحي منتهبا

(يوم طخفة)

وهو لبني يربوع على عساكر النعمان بن المنذر قال أبو عبيـدة وكان سبب هذه الحرب ان الردافة وهي بمنزلة الوزارة وكان الرديف يجلس عن يمين الملك كانت لبني يربوع من تمـيم يتوارثونها صغيرا عن كبير فلما كان أيام النعمان وقيـل أيام ابنه المنـذر سألها حاجب بن زرارة الدارمي التميمي النعمان ان يجعلها للحرث بن بيبة بن قرط بن سفيان بن مجاشع الدارمي التميمي فقال النعمان لبني يربوع في هذا وطلب منهم أن يجيبوا الى ذلك فامتنعوا وكان منزلهـم أسفل طخفة فحيث امتنعوا من ذلك بعث اليهم النعمان قابوس ابنـه وحسانا أخاه ابني المنـذر قابوس على الناس وحسان على المقدمة وضم اليهما جيشا كثيفا منهم الصنائع والوضائع وناس من تميم وغيرهـم فساروا حتى أتوا طخفة فالتقوا هم ويربوع واقتتلوا وصبرت يربوع وانهزم قابوس ومن معه وضرب طارق أبو عميرة فرس قابوس فعقره وأسره وأراد ان يجز ناصيته فقال ان الملوك لا تجز نواصيها فأرسلـه وأما حسان فأسره بشر بن عمرو بن جوين فمن عليه وأرسله فعاد المنهزمون الى النعمان وكان شهاب بن قيس ابن كياس اليربوعي عند الملك فقال له يا شـهاب أدرك ابني وأخي فان أدركتهما حيين فلبني يربوع حكمهم وأرد عليهم ردافتهم وأترك لهم من قتلوا وما غنموا وأعطيهم الفي بعير فسار شهاب فوجدهمـا حيين فأطلقهـما ووفى الملك لبني يربوع بما قال ولم يعرض لهـم في ردافتهـم وقال مالك بن نويرة

ونحن عقـرنا مهر قابوس بعدما * رأى القوم منه الموت والخيل تلحب
عليه دلاص ذات نسج وسـيفه * جراز من الهنـدي أبيض مقضب
طلبنا بها انا مـــداريك نيلها * اذا طلب الشأو البعيـــد المغرب

(يوم النباج وثيتل)

قال أبو عبيدة غزا قيس بن عاصم المنقري ثم التميمي مقاعس وهم بطون من تميم وهم صريم وربيع وعبيد بنو الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد وغزا معه سلامة بن ظرب الحماني في الاحارث وهـم بطون من تميم أيضا وهم حمان وربيعـة ومالك والاعرج بنو كعب بن سـعد فغزوا بكر بن وائل فوجدوا اللهازم وهـم بنو قيس وتيم اللات ابناء ثعلبة بن عكابـة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ومعهم بنو ذهل بن ثعلبة وعجل بن لجيم وعنزة بن أسد بن ربيعة بالنباج وثيتل وبينهما روحة فاغار قيس على النباج ومضى سلامة الى ثيتل ليغير على من بها فلما بلغ قيس الى النباج سقى خيله ثم أراق ما معهم من الماء وقال لمن معه قاتلوا فالموت بين أيديكم والفـلاة من ورائكم فاغار على من به من بكر صبحا فقاتلوهم قتالا شديدا وانهزمت بكر وأصيب من غنائمهم ما لا يحد كثرة فلما فرغ قيس من النهب عاد مسرعا الى سلامة ومن معه نحو ثيتل فادركهـم ولم يغر سلامة على من به فاغار عليهـم قيس أيضا فقاتلوه وانهزموا وأصاب من الغنـائم نحو ما أصاب بالنباج وجاء سلامة فقال أغرتم على من كان لي فتنازعوا حـتى كاد الشر يقع بينهـم ثم اتفقوا على تسليم الغنائم اليـه ففي ذلك يقول ربيعة بن طريف

وثلث بحار وتتصل أقاصي السودان العراة بآخر بلاد ولد ادريس بن ادريس ابن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهـم السلام من أرض المغرب وهي بلاد تنيس وتاهرت وبلاد فاس ثم السوس الادنى وبينه وبين بلاد القيروان نحو ألفي ميل وثلثمائة ميـل وبين السوس الادنى والسوس الاقصى من المسافة نحو من عشرين يوما عمائر متصلة الى ان تتصل بوادي الرمل والقصر الاسود ثم يتصل ذلك بمفاوز الرمل التي فيها المدينة المعروفة بمدينـة النحاس وقباب الرصاص التي سار اليها موسى بن نصير في أيام عبد الملك بن مروان ورأى فيها ما رأى من العجائب وقد ذكر ذلك في كتاب يتداوله النـاس وقد قيل ان ذلك في مفاوز تتصل ببلاد الاندلس وهي الارض الكبيرة وقد كان ميمون ابن عبد الرحمن بن رستم الفارسي وهو أباضي المذهب وهو الذي أنشأ في ذلك البلد مذهب الخـوارج وقد قيـل انهـم من بقـايا الاسـنان عمر تلك الديار وكانت له حروب مع الطالبيين وقد ذكرنا فيما يرد من هذا الكتاب تنـازع النـاس

فلا يبعدنك الله قيس بن عاصم * فانت لنا عز عزيز ومعقل
وأنت الذي حويت بكر بن وائل * وقد عضلت بها النباح ونيثل

وقال قرة بن زيد بن عاصم

أنا ابن الذي شق المرار وقد رأى * بثيثل احياء اللهازم حضرا
فصبحهم بالجيش قيس بن عاصم * فلم يجدوا الا الاسنة مصدرا
سقاهم بها الذيفان قيس بن عاصم * وكان اذا ما أورد الامر اصدرا
على الجرد يعلكن الشكيم عوابسا * اذا الماء من اعطافهن تحدرا
فلم يرها الراؤن الا فجاءة * تثرن عجاجا كالدواخن اكدرا
وحمران أدته الينا رماحنا * فنازع غلا في ذراعيه أسمرا

ثيثل بالثاء المثلثة المفتوحة والياء المسكنة المثناة من تحتها والثاء المثناة من فوقها

﴿يوم فلج﴾

قال أبو عبيدة هذا يوم لبكر بن وائل على تميم وسببه ان جماعة من بكر ساروا الى الصعاب فشتوا بها فلما انقضى الربيع انصرفوا فمروا ببلد قفلة وانا سامن بني تميم من بني عمرو وحنظلة فاغاروا على نعم كثير لهم ومضوا وأتى بني عمرو وحنظلة الصريخ فاستجاشوا القوم فاقبلوا في آثار بكر بن وائل فساروا يومين وليلتين حتى جهدهم السير وانحدروا في بطن فلج وكانوا قد خلفوا رجلين على فرسين سابقين ربيئة ليخبراهم بخبرهم ان ساروا اليهم فلما وصلت تميم الى الرجلين أجريا فرسيهما وسار الجحدين فانذراقومهما فاتاهم الصريخ بمسير تميم عند وصولهم الى فلج فضرب حنظلة بن يسار العجلي قبته ونزل فنزل الناس معه وتهيؤا للقتال معه ولحقت بنو تميم فقاتلتهم بكر بن وائل قتالا شديدا وحمل عرفجة بن بحير العجلي على خالد بن مالك بن سلمة التميمي فطعنه وأخذه أسيرا وقتل في المعركة ربعي بن مالك بن سلمة فانهزمت تميم وبلغت بكر بن وائل منها ما أرادت ثم ان عرفجة اطلق خالد بن مالك وجز ناصيته فقال خالد

وجدنا الرفد رفد بني لجيم * اذا ماقلت الارفاد زادا
هم ضربوا القباب ببطن فلج * وذادوا عن محارمهم ذيادا
وهم منوا علي واطلقوني * وقد طاوعت في الجنب القيادا
أليسوا خير من ركب المطايا * واعظمهم اذا اجتمعوا رمادا
أليس هم عماد الحي بكرا * اذا نزلت مجللة شدادا

وقال قيس بن عاصم يعير خالدا

لو كنت حرا يا ابن سلمى بن جندل * نهضت ولم تقصد لسلمى بن جندل
فيا بال أصداء بفلج غريبة * تنادي مع الاطلال يا لابن حنظل
صوادي لا مولى عزيز يجيبها * ولا اسرة تسقي صداها فتنهل
وغادرت ربعيا بفلج ملحبا * وأقبلت في اولى الرعيل المعجل
تؤامل من خوف الردى لا وقيته * كما نالت الكدراء من حين اجدل

يعيره حيث لم يأخذ بثار أخيه ربعي ومن قتل معه يوم فلج ويقول ان أصداءهم تنادي ولا يسقيها أحد على مذهب الجاهلية ولولا التطويل لشرحناه أبين من هذا

﴿يوم الشيطين﴾

في الاسنان ومن قال انهم من الفرس نازلة من بلاد أصبهان وفي هذا الصقع من بلاد المغرب خلق من الصفرية الخوارج لهم مدن ممدودة مثل مدينة بدعية وفيها معدن كبير من الفضة وهو مما يلي الجنوب ويتصل ببلاد الحبشة والحرب بينهم سجال وقد ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان خبر المغرب ومدنه ومن سكنها من الخوارج الاباضية والصفرية ومن سكن المغرب من المعتزلة وما بينهم وبين الخوارج من الحروب وذكرنا خبر الاغلب التميمي وتولية المنصور له على المغرب ومقامه ببلاد افريقية وغيرها من أرض المغرب وما كان من أمره في أيام الرشيد وتداول ولده ببلاد افريقية وغيرها الى أن انتهى الامر الى أبي منصور زيادة الله ابن عبد الله بن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الاغلب ابن ابراهيم بن محمد بن الاغلب ابن سالم بن سوادة فاخرجه عنها أبو عبد الله المحتسب الصوفي الداعية لصاحب المهدية حين ظهر من كتامة وغيرها من أجيال البربر وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين في أيام المقتدر ومسيره الى الرافقة والرقة

قال أبو عبيدة كان الشيطان لبكر بن وائل فلما ظهر الاسلام في نجد سارت بكر قبل السواد وبقي مقاعس بن عمرو العائذي بن عائذة من قريش حليف بني شيبان بالشيطين فلما أقامت بكر في السواد لحقهم الوباء والطاعون الذي كان أيام كسرى شيرويه فعادوا هاربين فنزلوا لعلع وهي مجدبة وقد أخصب الشيطان فسارت تميم فنزلوها وبلغت اخبار خصب الشيطين الى بكر فاجتمعوا وقالوا نغير على تميم فان في دين ابن عبد المطلب يعنون النبي ان من قتل نفسا قتل بها فنغير هذه الغارة ثم نسلم عليها فارتحلوا من لعلع بالذراري والاموال ورئيسهم بشر بن مسعود بن قيس ابن خالد فأتوا الشيطين في أربع ليال والذي بينهما مسيرة ثمان ليال فسبقوا كل خبر حتى صبحوهم وهم لا يشعرون فقاتلوهم قتالا شديدا وصبرت تميم ثم انهزمت فقال رشيد بن رميض العنبري يفخر بذلك

وما كان بين الشيطين ولعلع * لنسوتنا الا مناقل أربع
فجئنا بجمع لم ير الناس مثله * يكاد له ظهر الوديعة يظلع
بأرعن دهم تنسل البلق وسطه * له عارض فيه المنية تلمع
صبحنا به سعدا وعمرا ومالكا * فظل لهم يوم من الشر أشنع
وذا حسب من آل ضبة غادروا * يجري كما يجري الفصيل المقرع
تقصع يربوع بسرة أرضنا * وليس ليربوع بها متقصع

ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى بكر بن وائل على ما بايديهم (الشيطين بالشين المعجمة والياء المشددة المثناة من تحتها والطاء المهملة آخره نون)

﴿أيام الانصار وهم الاوس والخزرج التي جرت بينهم﴾

الانصار لقب قبيلتي الاوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان لقبهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر اليهم ومنعوه ونصروه وام الاوس والخزرج قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد ولذلك يقال لهم ابناء قيلة وانما لقب ثعلبة العنقاء لطول عنقه ولقب عمرو مزيقياء لانه كان يمزق عنه كل يوم حلة لئلا يلبسها أحد بعده ولقب عامر ماء السماء لسماحته وبذله كانه ناب مناب المطر وقيل لشرفه ولقب امرؤ القيس البطريق لانه اول من استعان به بنو اسرائيل من العرب بعد بلقيس فبطرقه رحبعم بن سليمان بن داود عليه السلام فقيل له البطريق وكانت مساكن الازد بمأرب من اليمن الى ان أخبر الكهان عمرو بن عامر مزيقياء ان سيل العرم يخرب بلادهم ويغرق أكثر أهلها عقوبة لهم بتكذيبهم رسل الله تعالى اليهم فلما علم ذلك عمرو باع ماله من مال وعقار وسار عن مأرب هو ومن تبعه ثم تفرقوا في البلاد فسكن كل بطن ناحية اختاروها فسكنت خزاعة الحجاز وسكنت غسان الشام ولما سار ثعلبة بن عمرو بن عامر فيمن معه اجتازوا بالمدينة وكانت تسمى يثرب فتخلف بها الاوس والخزرج ابنا حارثة فيمن معهما وكان فيها قرى وأسواق وبها قبائل من اليهود من بني اسرائيل وغيرهم منهم قريظة والنضير وبنو قينقاع وبنو ماسلة وزعورا وغيرهم وقد بنوا لهم حصونا يجتمعون بها اذا خافوا فنزل عليهم الاوس والخزرج فابتنوا المساكن والحصون الا ان الغلبة والحكم لليهود الى ان كان من الفطيون ومالك بن العجلان ما نذكره ان شاء الله تعالى فعادت الغلبة للاوس والخزرج ولم يزالوا على حال اتفاق واجتماع الى ان حدث بينهم حرب سمير على ما نذكره ان شاء الله تعالى

وكان هذا المحتسب من مدينة رامهرمز من كور الاهواز ونعود الى ذكر مراتب الملوك ونسق ما بقي من الممالك على البحر الحبشي الذي شرعنا في وصف من عليه فنقول ملك الزنج وقليمان ملك اللان كركنداخ ملك الحيرة من بني نصير النعمانية والمنازرة ملك جبال طبرستان كان يدعى قارن والجبل معروف به وبولده في هذا الوقت ملك الهند البلهرا ملك القنوج من ملوك السند فوروه وهو اسم بالمدبا اسم ملوكهم وقد صارت اليوم في حيز الاسلام وهي من أعمال المولتان ومن هذه المدينة يخرج أحد الانهار التي اذا اجتمعت كان نهر (مهران السند) الذي زعم الجاحظ أنه من النيل وزعم غيره انه من جيحون خراسان وفوروه هذا الذي هو ملك القنوج هو ضد البلهرا ملك القندهار من ملوك السند وجبالها ويدعى جج وهذا اسمه الاعم ومن بلاده يخرج النهر المعروف (برايد) وهو أحد الانهار الخمسة التي منها مهران السند والقندهار بلاد الدهبوط ونهر من الخمسة يخرج من بلاد السند وجبالها يعرف (بنهاطل)

(ذكر غلبة الانصار على المدينة وضعف أمر اليهود بها وقتل الفطيون)

قد ذكرنا ان الاستيلاء كان لليهود على المدينة لما نزلها الانصار ولم يزل الامر كذلك الى ان ملك عليهم الفطيون اليهودي وهو من بني اسرائيل ثم من بني ثعلبة وكان رجل سوء فاجرا وكانت اليهود تدين بأن لا تزوج امرأة منهم الا دخلت عليه قبل زوجها وقيل انه كان يفعل ذلك بالاوس والخزرج أيضا ثم ان أختا لمالك بن العجلان السالمي الخزرجي تزوجت فلما كان زفافها خرجت عن مجلس قومها وفيه أخوها مالك وقد كشفت عن ساقيها فقال لها مالك لقد جئت بسوء قالت الذي يراد بي الليلة أشد من هذا ادخل على غير زوجي ثم عادت فدخل عليها أخوها فقال لها هل عندك من خير قالت نعم فما عندك قال أدخل مع النساء فاذا خرجن ودخل عليك قتلته قالت افعل فلما ذهب بها النساء الى الفطيون انطلق مالك معهن في زي امرأة ومعه سيفه فلما خرج النساء من عندها ودخل عليها الفطيون قتله مالك وخرج هاربا فقال بعضهم في ذلك من أبيات

هل كان للفطيون عقر نسائكم * حكم النصيب فبئس حكم الحاكم

حتى حباه مالك بمرشة * حمراء تضحك عن نجيع قاتم

ثم خرج مالك بن العجلان هاربا حتى دخل الشام فدخل على ملك من ملوك غسان يقال له أبو جبيلة واسمه عبيد بن سالم بن مالك بن سالم وهو أحد بني غضب بن جشم بن الخزرج وكان قد ملكهم وشرف فيهم وقيل انه لم يكن ملكا وانما كان عظيما عند ملك غسان وهو الصحيح لان ملوك غسان لم يعرف فيهم هذا وهو أيضا من الخزرج على ما ذكر فلما دخل عليه مالك شكا اليه ما كان من الفطيون وأخبره بقتله وانه لا يقدر على الرجوع فعاهد الله أبو جبيلة أن لا يمس طيبا ولا يأتي النساء حتى يذل اليهود ويكون بكر والاوس والخزرج أعز أهلها ثم سار من الشام في جمع كثير وأظهر انه يريد اليمن حتى قدم المدينة فنزل بذي حرض وأعلم الاوس والخزرج ما عزم عليه ثم أرسل الى وجوه اليهود يستدعيهم اليه وأظهر لهم انه يريد الاحسان اليهم فأتاه أشرافهم في حشمهم وخاصتهم فلما اجتمعوا بيابه أمر بهم فأدخلوا رجلا رجلا وقتلهم عن آخرهم فلما فعل بهم ذلك صارت الاوس والخزرج أعز أهل المدينة فشاركوا اليهود في النخل والدور ومدح الرمق بن زيد الخزرجي أبا جبيلة بقصيدة منها

وأبو جبيلة خير من * يمشي وأوفاه يمينا

وأبرهم برا وأعـ * ـلمهم بهدى الصالحينا

أبقت لنا الايام والـ * ـحرب المهمة تعترينا

كبشا له قرن يعض * حسامه الذكر السنينا

فقال له أبو جبيلة عسل طيب في وعاء سوء وكان الرمق رجلا ضئيلا فقال الرمق انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ورجع أبو جبيلة الى الشام (حرض بضم الحاء والراء المهملتين وآخره ضاد معجمة)

(حرب سمير)

ولم يزل الانصار على حال اتفاق واجتماع وكان أول اختلاف وقع بينهم وحرب كانت لهم حرب سمير وكان سببها ان رجلا من بني ثعلبة من سعد بن ذبيان يقال له كعب بن العجلان نزل على مالك بن العجلان السالمي فحالفه وأقام معه فخرج كعب يوما الى سوق بني قينقاع فرأى رجلا من غطفان معه فرس وهو يقول ليأخذ هذا الفرس أعز أهل يثرب فقال رجل فلان وقال رجل آخر احيحة

ويجتاز ببلاد الدهبوط وهي بلاد القندهار والنهر الرابع يخرج من بلاد كابل وجبالها وهي تخوم الهند مما يلي بلاد بسيط وعرس ونفس والرخج وبلاد الدوار مما يلي بلاد سجستان ونهر من الخمسة يخرج من بلاد قشمير وملك قشمير يعرف بالراني هذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم وقشمير هذه من ممالك الهند وجبالها مملكة عظيمة حصينة يحتوي ملكها من مدن وضياع على نحو من ستين ألفا الى سبعين ألفا لا سبيل لاحد من الناس على بلده الا من وجه واحد ويغلق على جميع ما ذكرناه من ملكه باب واحد لان ذلك في جبال شوامخ منيعة لا سبيل للرجال أن يتسلقوا عليها ولا للوحش أن يلحق بعلوها ولا يلحقها الا الطير وما لا جبل فيه فأودية وعرة وأشجار وغياض وأنهار ذات منعة من شدة الانصباب والجريان وما ذكرنا من منعة ذلك البلد فمشهور في أرض خراسان وغيرها من البلاد وذلك أحد عجائب الدنيا فأما ملك فوروه وهو ملك القنوج فان مسافة مملكته تكون نحوا من عشرين ومائة فرسخ في مثلها فراسخ سندية الفرسخ ثمانية أميال

ابن الجلاح الاوسى وقال غيرهما فلان بن فلان اليهودى أفضل أهلها فدفع الغطفانى الفرس الى مالك بن العجلان فقال كعب ألم أقل لكم ان حليفى مالكا أفضلكم فغضب من ذلك رجل من الاوس من بنى عمرو بن عوف يقال له سمير وشتمه وافترقا وبقى كعب ماشاء الله ثم قصد سوقا لهم بقباء فقصده سمير ولازمه حتى خلا السوق فقتله وأخبر مالك بن العجلان بقتله فارسل الى بنى عمرو بن عوف يطلب قاتله فارسلوا انا لاندرى من قتله وترددت الرسل بينهم هو يطلب سميرا وهم ينكرون قتله ثم عرضوا عليه الدية فقبلها وكانت دية الحليف فيهم نصف دية النسيب منهم فابى مالك الا أخذ دية كاملة وامتنعوا من ذلك وقالوا نعطى دية الحليف وهى النصف ولج الامر بينهم حتى أتى الى المحاربة فاجتمعوا والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا وافترقوا ودخل فيها سائر بطون الانصار ثم التقوا مرة أخرى واقتتلوا حتى حجز بينهم الليل وكان الظفر يومئذ للاوس فلما افترقوا أرسلت الاوس الى مالك يدعونه الى ان يحكم بينهم المنذر بن حرام النجارى الخزرجى جد حسان ابن ثابت بن المنذر فاجابهم الى ذلك فاتوا المنذر فحكم بينهم المنذر بان يدوا كعبا حليف مالك دية الصريح ثم يعودون الى سنتهم القديمة فرضوا بذلك وحملوا الدية وافترقوا وقد شبت البغضاء فى نفوسهم وتمكنت العداوة بينهم

﴿ذكر حرب كعب بن عمرو المازنى﴾

ثم ان بنى جحجبا من الاوس وبنى مازن بن النجار من الخزرج وقع بينهم حرب كان سببها ان كعب ابن عمرو المازنى تزوج امرأة من بنى سالم فكان يختلف اليها فامر أحيحة بن الجلاح سيد بنى جحجبا جماعة فرصدوه حتى ظفروا به فقتلوه فبلغ ذلك أخاه عاصم بن عمرو فامر قومه فاستعدوا للقتال وارسل الى بنى جحجبا يؤذنهم بالحرب فالتقوا بالرحابة فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت بنو جحجبا ومن معهم وانهزم منهم أحيحة فطلبه عاصم بن عمرو فادركه وقد دخل حصنه فرماه بسهم فوقع فى باب الحصن فقتل عاصم أخا لاحيحة فمكثوا بعد ذلك ليالى فبلغ احيحة ان عاصما يتطلبه ليجد له غرة فيقتله فقال أحيحة

نبئت انك جئت تسـ * ـرى بين دارى والقبابه
فلقد وجدت بجانب الضـ * ـحيان شبانا مهابه
فتيان حرب فى الحديـ * ـد وشامرين كاسد غابه
هم نكبوك عن الطريـ * ـق فبت تركب كل لابه
أعصـيم لاتجزع فان الحـ * ـرب ليست بالدعابه
فانا الذى صبحتكم * بالقوم اذ دخلوا الرحابه
وقتلت كعبا قبلها * وعلوت بالسيف الذؤابه

﴿جوابه عاصم﴾

ابلغ أحيحة ان عرضـ * ـت بداره عنى جوابه
وانا الذى أعجلته * عن مقعد ألهى كلابه
ورميته سهما فاخـ * ـطأه واغلـق ثم بابه

فى أبيات ثم ان أحيحة اجمع ان يبيت بنى النجار وعنده سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية وهى أم عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم فارضيت فلماجنها الليل وقد سهر معها أحيحة فنام فلما

بهذا الميل وهو الملك الذى قدمنا فى ذكره فيما سلف أن له من الجيوش أربعة على مهاب الرياح الاربع كل جيش منها سبعمائة ألف وقيل تسعمائة ألف وقيل تسعة آلاف ألف فيحارب بجيش الشمال صاحب المولتان ومن معه فى تلك الثغور من المسلمين ويحارب بجيش الجنوب البلهرا ملك المانكير وبالجيوش الباقية من يلقاه فى كل وجه من الملوك ويقال ان ملكه يحيط فى مقدار ماذكرناه من المسافة من المدن والقرى والضياع مما يدركه الاحصاء والعدد بألف ألف وثمانمائة ألف قرية بين أنهار وشجر وجبال ومروج وهو قليل الفيلة من بين الملوك ورسمه الفافيل حربية تقاتل وذلك أن الفيل اذا كان فارسها فارسا شجاعا وكان راكبه فارسا وفى خرطومه القرطل وهو نوع من السيوف وخرطومه مغشى بالزرد والحديد وعليه تجافيف قد أحاطت سائر جسده من الفرق والحديد وكان حوله خمسمائة رجل يمنعونه ويحرزونه من ورائه حارب ستة آلاف فارس وقام بها وأدناها اذا كان معه خمسمائة رجل كر فى خمسة آلاف فارس ودخل وخرج

ثم سارت الى بنى النجار فاعلمتهم ثم رجعت تحذر واوغدا احيحة بقومه مع الفجر فلقيهم بنوا النجار فى السلاح فكان بينهم شيء من قتال وانحاز احيحة وبلغه ان سلمى أخبرتهم فضربها حتى كسر يدها وأطلقها وقال أبياتا منها

لعمر أبيك ما يغني مكاني * من الحلفاء آكلة غفول
تنوّم لا تقلص مشمعلا * مع الفتيان مضجعه ثقيل
تنزع للحليلة حيث كانت * كما يعتاد امه الفصيل
وقد أعددت للحدثان حصنا * لو ان المرء ينفعه العقول
جلاه القين ثم لم تخنه * مضاربه ولا طنته فلول
فهل من كاهن آوى اليه * اذا ماحان من آل نزول
يراهنني ويرهنني بنيه * وارهنه بنيّ بما أقول
فما يدري الفقير متى غناه * وما يدري الغني متى يعيل
وما تدري وان اجمعت أمرا * بأي الارض يدركك المقيل
وما تدري وان انتجت سقبا * لغيرك أم يكون لك الفصيل
وما ان اخوة كثروا وطابوا * بباقية وأمهم هبول
ستثكل أو يفارقها بنوها * بموت أو يجيء لهم قتول

﴿ذكر الحرب بين بنى عمرو بن عوف وبنى الحرث وهو يوم السرارة﴾

ثم ان بنى عمرو بن عوف من الاوس وبنى الحرث من الخزرج كان بينهما حرب شديدة وكان سببها ان رجلا من بنى عمرو قتله رجل من بنى الحرث فعدا بنو عمرو على القاتل فقتلوه غيلة فاستكشف أهله فعلموا كيف قتل فتهيؤا للقتال وأرسلوا الى بنى عمرو بن عوف يؤذنونهم بالحرب فالتقوا بالسرارة وعلى الاوس حضير بن سماك والد أسيد بن حضير وعلى الخزرج عبد الله بن سلول أبو الحباب الذى كان رأس المنافقين فاقتتلوا قتالا شديدا اصبر بعضهم لبعض أربعة أيام ثم انصرفت الاوس الى دورها ففخرت الخزرج بذلك وقال حسان بن ثابت فى ذلك

فدى لبني النجار أمي وخالتي * غداة لقوهم بالمثقفة السمر
وصرم من الاحياء عمرو بن مالك * اذا ما دعوا كانت لهم دعوة النصر
فوالله لا أنسى حياتي بلاءهم * غداة رموا عمرا بقاصمة الظهر

﴿وقال حسان أيضا﴾

لعمر أبيك الخير بالحق مانبا * على لساني فى الخطوب ولا يدي
لساني وسيفي صارمان كلاهما * ويبلغ مالا يبلغ السيف مذودي
فلا الجهد ينسيني حياتي وحفظتي * ولا وقعات الدهر يفللن مبردي
أكثر أهلي من عيال سواهم * واطوي على الماء القراح المبرد

(ومنها)

وانى لمزجاء المطى على الوجى * وانى لتزال لما لم أعود
وانى لقوّال لذى اللوث مرحبا * وأهلا اذا ما ريع من كل مرصد
وانى ليدعوني الندى فاجيبه * واضرب بيض العارض المتوقد

وصال عليها كالرجل على الفرس وهذا رسم قبلتها فى سائر حروبها فأما صاحب المولتان فقد قلنا انه من ولد سامة بن لؤي بن غالب وهو ذو جيوش ومنعة وهو ثغر من ثغور المسلمين الكبار وحول ثغر المسلمين المولتان من ضياعه وقراه عشرون ومائة ألف قرية مما يقع عليه الاحصاء والعد وفيه على ما ذكرنا الصنم المعروف بالمولتان يقصده السند والهند من أقاصي بلادهم بالنذور والاموال والجواهر والعود وأنواع الطيب ويحج اليه الالوف من الناس وأكثر أموال صاحب المولتان مما يحمل الى هذا الصنم من العود القماري الخالص الذى يبلغ ثمن الاوقية منه مائة دينار واذا ختم بالخاتم أثر فيه كما يؤثر فى الشمع وغير ذلك من العجائب التى تحمل اليه واذا نزلت الملوك من الكفار على المولتان وعجز المسلمون عن حربهم هددوهم بكسر هذا الصنم وتعويره فترحل الجيوش عنهم عند ذلك وكان دخولى الى بلاد المولتان بعد الثلثمائة والملك بها أبو الدلهاث المنبه بن أسد القرشي وكذلك كان دخولى الى بلاد المنصورة فى هذا الوقت والملك عليها

فلا تعجلن ياقيس واربع فانما * قصاراك ان تلقى بكل مهند
حسام وارماح بايدى أعزة * متى ترهم ياابن الخطيم تلبد
أسود لدى الاشبال يحمى عرينها * مداعيس بالخطى فى كل مشهد

وهى ابيات كثيرة فاجابه قيس بن الخطيم

تروح عن الحسناء أم أنت مغتدى * وكيف انطلاق عاشق لم يزود
تراءت لنا يوم الرحيل بمقلتى * شريد بملتف من السدر مفرد
وجيد كجيد الريم حال يزينه * على النحر ياقوت وفص زبرجد
كأن الثريا فوق ثغرة نحرها * توقد فى الظلماء أى توقد
ألا ان بين الشرع بين ورانج * ضرابا كتحذيم السيال المعضد
لنا حائطان الموت أسفل منهما * وجمع متى تصرخ بيثرب يصعد
ترى اللابة السوداء يحمر لونها * ويسهل منها كل ربع وفدفد
فانى لأغنى الناس عن متكلف * يرى الناس ضلالا وليس بمهتد
فما عمر وإنورا شقيامرهطا * ألذ كأن رأسه رأس أصيد
كثير المنى بالزاد لا صبر عنده * اذا جاع يوما يشتكيه ضحى الغد
وذى شيمة عسراء خالف شيمتى * فقلت له دعنى ونفسك أرشد
فما المال والاخلاق الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود
متى ما تقد بالباطل الحق يأبه * فان قدت بالحق الرواسى تنقد
اذا ما أتيت الامر من غير بابه * ضللت وان تدخل من الباب تهتد

وهى طويلة (وقال عبيد بن ناقد)

لمن الديار كأنهن المذهب * بليت وغيرها الدهور تقلب

يقول فيها فى ذكر الوقعة

لكن فرار أبى الحباب بنفسه * يوم السرارة سى منه الاقرب
ولى وألقى يوم ذلك درعه * اذ قيل جاء الموت خلفك يطلب
نجاك منا بعد ما قد أشرعت * فيك الرماح هناك شد المذهب

وهى طويلة أيضا وأبو الحباب هو عبد الله بن سلول

(حرب الحصين بن الاسلت)

ثم كانت حرب بين بنى وائل بن زيد الاوسيين وبين بنى مازن بن النجار الخزرجيين وكان سببها ان الحصين بن الاسلت الاوسى الوائلى نازع رجلا من بنى مازن فقتله الوائلى ثم انصرف الى أهله فتبعه نفر من بنى مازن فقتلوه فبلغ ذلك أخاه أباقيس بن الاسلت فجمع قومه وأرسل الى بنى مازن يعلمهم انه على حربهم فتهيؤا للقتال ولم يتخلف من الاوس والخزرج أحد فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى فى الفريقين جميعا وقتل أبوقيس بن الاسلت الذين قتلوا أخاه ثم انهزمت الاوس فلام وحوح بن الاسلت أخاه أباقيس وقال لا يزال منهزم من الخزرج فقال أبوقيس لاخيه ويكنى أبا حصين

أبلغ أبا حصن وبعض القول عندى ذو كباره
ان ابن أم المرء ليس من الحديد ولا الحجاره

أبو المنذر عمر بن عبد الله ورأيت بها وزيره زيادا وابنيه محمدا وعليا ورأيت بها رجلا سيدا من العرب وملكا من ملوكهم وهو المعروف بحمزة وبها خلق من ولد على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم من ولد عمر بن على ولد محمد بن على وبين ملوك المنصورة وبين أبى الشوارب القاضى قرابة وصلة نسب وذلك أن ملوك المنصورة الذين الملك فيهم فى وقتنا هذا من ولد هبار بن الاسود ويعرفون بنى عمر بن عبد العزيز القرشى وليس هو عمر بن عبد العزيز الاموى فاذا اجتاز جميع ما ذكرنا من الانهار ببلاد مرج بيت الذهب وهو المولتان فاجتمع بعد المولتان بثلاثة أيام فيما بين المولتان والمنصورة فى الموضع المعروف بدوسات ثم انتهى جميع ذلك الى مدينة الرود من غربها وهى من أعمال المنصورة تسمى ماهنالك مهران ثم ينقسم قسمين ويصب كل من القسمين من هذا الماء العظيم المعروف بمهران السند فى مدينة شاكرة من أعمال المنصورة فى البحر الهندى وذلك على مقدار يومين من مدينة الديبل والمسافة من المولتان الى

ماذا عليكم ان يكو * ن لكم بهار جلا عماره
يحمى ذماركم وبعـ * ـض القوم لا يحمى ذماره
يبنى لكم خيرا ويبنيـ * ـان الكريم له اثاره

﴿حرب ربيع الظفرى﴾

ثم كانت حرب بين بنى ظفر من الاوس وبين بنى مالك بن النجار من الخزرج وكان سببها ان ربيعا الظفرى كان يمر فى مال لرجل من بنى النجار الى مال له فمنعه النجارى فتنازعا فقتله ربيع فجمع قومهما فاقتتلوا قتالا شديدا كان أشد قتال بينهم فانهزمت بنو مالك بن النجار فقال قيس بن الخطيم الاوسى فى ذلك فى أبيات

أجد بعمرة غنيانها * فتهجر أم شاننا شانها
فان تمس شطت بها دارها * وباحلك اليوم هجرانها
فما روضة من رياض القطا * كأن المصابيح حوذانها
بأحسن منها ولا نزهة * ولوج تكشف ادجانها
وعمرة من سروات النسا * ء ينفح بالمسك أردانها

(منها)

ونحن الفوارس يوم الربيـ * ـع قد علموا كيف أبدانها
جنونا لحرب وراء الصريـ * ـخ حتى تقصد مرانها
تراهن يخلجن خلج الدلا * ء يبادر بالنزع اشطانها

وهى طويلة فاجابه حسان بن ثابت الخزرجى بقصيدة أولها

لقد هاج نفسك أشجانها * وغادرها اليوم أديانها

(ومنها)

ويثرب تعلم انا بها * اذا التبس الحق ميزانها
ويثرب تعلم انا بها * اذا أقحط القطر نوآنها
ويثرب تعلم اذ حاربت * بانا الذى الحرب فرسانها
ويثرب تعلم أن النبيـ * ـت عند الهزاهز ذلانها

(ومنها)

متى ترنا الاوس فى بيضنا * نهز القنا تخب نيرانها
وتعط المقادة لى رغمها * وتنزل ملهام عصيانها
فلا تفخرن والتمس ملجأ * فقد عاود الاوس أديانها

﴿حرب فارع بسبب الغلام القضاعى﴾

ومن أيامهم يوم فارع وسببه ان رجلا من بنى النجار اصاب غلاما من قضاعة ثم من بلى وكان عم الغلام جارا لمعاذ بن النعمان بن امرئ القيس الاوسى والد سعد بن معاذ فاتى الغلام عمه يزوره فقتله النجارى فأرسل معاذ الى بنى النجار ان ادفعوا الى دية جارى أو ابعثوا الى بقاتله أرى فيه رأيى فأبوا ان يفعلوا فقال رجل من بنى عبد الاشهل والله ان لم تفعلوا لا نقتل به الا عامر بن الاطنابة وعامر من اشراف الخزرج فبلغ ذلك عامرا فقال

المنصورة خمسة وسبعون فرسخا سندية على ماذكرنا والفرسخ ثمانية أميال وجميع ما للمنصورة من الضياع والقرى مما يضاف اليها ثلثمائة ألف قرية ذات زروع واشجار وعمائر متصلة وفيها حروب كثيرة من جنس يقال لهم المسند وهم نوع من السند وغيرهم من الاحابش ثم ثغر السند وكذلك المولتان من ثغور السند وما أضيف اليها من العمائر والمدن وسميت المنصورة باسم منصور بن جمهور عامل بنى أمية وللملك المنصورة فيلة حربية وهى ثمانون فيلا رسم كل فيل أن يكون حوله على ماذكرنا خمسمائة راجل وأنه يحارب ألوفا من الخيل على ماذكرنا ورأيت له فيلين عظيمين كانا موصوفين عند ملوك السند والهند لما كانا عليه من البأس والنجدة والاقدام على قتل الجيوش كان اسم أحدهما (منغرفلس) وآخر (حيدرة) وللمنغرفلس هذا اخبار عجيبة وأفعال حسنة وهى مشهورة فى تلك البلاد وغيرها (منها) انه مات بعض سواسه فمكث أياما لا يطعم ولا يشرب بيدى الحنين ويظهر الانين كالرجل الحزين ودموعه تجرى من عينيه لا تنقطع

ألا من بلغ الاكفاء عنى * وقد تهدى النصيحة للنصيح
فانكم وما ترجون شطرى * من القول المزجى والصريح
سيندم بعضكم عجلا عليه * وما أثر اللسان الى الجروح
أبت لى عزتى وأبى بلائى * وأخذى الحمد بالثمن الربيح
واعطائى على المكروه مالى * وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى
لادفع عن ماثر صالحات * واحمى بعد عن عرض صحيح
بذى شطب كلون الملح صاف * ونفس لا تقر على القبيح

فقال الربيع بن أبى الحقيق اليهودى فى عراض قول عامر بن الاطنابة

ألا من مبلغ الاكفاء عنى * فلا ظلم لدى ولا افتراء
فلست بغائظ الاكفاء ظلما * وعندى للملامات اجتزاء
فلم أر مثل من يدنو لخسف * له فى الارض سير واستواء
وما بعض الاقامة فى ديار * يهان بها الفتى الا عناء
وبعض القول ليس له علاج * كمحض الماء ليس له اناه
وبعض خلائق الاقوام داء * كداء الشح ليس له دواء
وبعض الداء ملتمس شفاء * وداء النوك ليس له شفاء
يحب المرء ان يلقى نعيما * ويأبى الله الا ما يشاء
ومن يك عاقلا لم يلق بؤسا * ينخ يوما بساحته القضاء
تعاوره بنات الدهر حتى * تثلمه كما ثلم الاناء
وكل شدائد نزلت بحى * سيأتى بعد شدتها رخاء
فقل للمتقى عرض المنايا * توق فليس ينفعك اتقاء
فما يعطى الحريص غنى بحرص * وقد ينمى لدى الجود الثراء
وليس بنافع ذا البخل مال * ولا مزر بصاحبه الحياء
غنى النفس ما استغنى بشئ * وفقر النفس ما عمرت شقاء
يود المرء ما تفقد الليالى * وكان فناؤهن له فناء

فلما رأى معاذ بن النعمان امتناع بنى النجار من الدية أو تسليم القاتل اليه تهيأ للحرب وتجهز هو وقومه واقتتلوا عند فارع وهو اطم حسان بن ثابت واشتد القتال بينهم ولم تزل الحرب بينهم حتى حمل دية عامر بن الاطنابة فلما فعل صلح الذى كان بينهم وعادوا الى أحسن ما كانوا عليه فقال عامر بن الاطنابة فى ذلك

صرمت ظليمة خلتى ومراسلى * وتباعدت عنا بزاد الراحل
جهلا وما تدرى ظليمة اننى * قد أستقل بصرم غير الواصل
ذلل ركابى حيث شئت مشيعى * انى أروع قطا المكان العاقل
اظليم ما يدريك رب خلة * حسن مرغمها كظبى الحائل
قد بت مالكها وشارب قهوة * دريافة رويت منها واغلى

(ومنها) انه خرج ذات يوم من حائزة وهى دار الفيلة وحيدرة وراءه وباقى الثمانين تبع لهما فانتهى منعرفاس فى سيره الى شارع قليل العرض من شوارع المنصورة ففاجأ فى مسيره امرأة على حين غفلة فلما بصرت به دهشت واستلقت على قفاها من الجزع وانكشفت عنها أطمارها فى وسط الطريق فلما رآى ذلك منعرفاس وقف بعرض الشارع مستقبلا بجنبه الايمن من وراءه من الفيلة مانعا لهم من النفوذ من أجل المرأة وأقبل يشير اليها بخرطومه بالقيام ويجمع عليها أثوابها ويستر منها ما بدا الى ان انتقلت المرأة وتزحزحت عن الطريق بعد ان عاد اليها روحها فاستقام الفيل فى طريقه وأتبعه الفيلة وللفيلة اخبار عجيبة الحربية منها والعمالة لان منها ما لايحارب فيجر العجل وتحمل عليه الاثقال ويستعمل فى دياس الارز وغيره من الاقوات كدوس البقر فى البيدر وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار الزنج والفيلة وكونها فى بلادها وليس فى سائر الممالك أكثر منها فى بلاد الزنج وهى وحشية هنالك فهذه جمل من أخبار ملوك السند والهند ولغة

بيضاء صافية يرى من دونها * قعر الاناء يضيء وجه الناهل
وسراب هاجرة قطعت اذا جرى * فوق الا كام بذات لون بازل
أجد مراحلها كأن عفاءها * سقطان من كنفي ظليم جافل
فلنأكلن بناجز من مالنا * ولنشربن بدين عام قابل
انى من القوم الذين اذا انتدوا * بدؤا ببر الله ثم النائل
المانعين من الخنى جيرانهم * والحاشدين على طعام النازل
والخالطين غنيهم بفقيرهم * والباذلين عطاءهم للسائل
والضاربين الكبش يبرق بيضه * ضرب المهند عن حياض الناهل
والعاطفين على المصاف خيولهم * والملحقين رماحهم بالقاتل
والمدركين عدوهم بذحولهم * والنازلين لضرب كل منازل
والقائلين معا خذوا أقرانكم * ان المنية من وراء الوائل
خزر عيونهم الى أعدائهم * يمشون مشي الاسد تحت الوابل
ليسوا بأنكاس ولا ميل اذا * ما الحرب شبت اشعلوا بالشاعل
لا يطبعون وهم على احسابهم * يشفون بالاحلام داء الجاهل
والقائلين فلا يعاب خطيبهم * يوم المقالة بالكلام الفاصل

وانما أثبتنا هذه الابيات وليس فيها ذكر الوقعة لجودتها وحسنها

(حرب حاطب)

ثم كانت الوقعة المعروفة بحاطب وهو حاطب بن قيس من بني أمية بن زيد بن مالك بن عوف الاوسي وبينها وبين حرب سمير نحو مائة سنة وكان بينهما أيام ذكرنا المشهور منها وتركنا ما ليس بمشهور وحرب حاطب آخر وقعة كانت بينهم الا يوم بعاث حتى جاء الله بالاسلام وكان سبب هذه الحرب ان حاطبا كان رجلا شريفا سيدا فأتاه رجل من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فنزل عليه ثم انه غدا يوما الى سوق بني قينقاع فرآه يزيد بن الحرث المعروف بابن فسحم وهي أمه وهو من بني الحرث بن الخزرج فقال يزيد لرجل يهودي لك ردائي ان كسعت هذا الثعلبي فأخذ رداءه وكسعه كسعة سمعها من بالسوق فنادى الثعلبي يا لحاطب كسع ضيفك وفضح وأخبر حاطب بذلك فجاء اليه فسأله من كسعه فأشار الى اليهودي فضربه حاطب بالسيف فلق هامته فأخبر ابن فسحم الخبر وقيل له قتل اليهودي قتله حاطب فأسرع خلف حاطب فأدركه وقد دخل بيوت أهله فلقى رجلا من بني معاوية فقتله فثارت الحرب بين الاوس والخزرج واحتشدوا واجتمعوا والتقوا على جسر ردم بني الحرث بن الخزرج وكان على الخزرج يومئذ عمرو بن النعمان البياضي وعلى الاوس حضير بن سماك الاشهلي وقد كان ذهب ذكر ما وقع بينهم من الحروب فيمن حولهم من العرب فسار اليهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري وخيار بن مالك بن حماد الفزاري فقدما المدينة وتحدثا مع الاوس والخزرج في الصلح وضمنا ان يتحملا كل ما يدعي بعضهم على بعض فأبوا ووقعت الحرب عند الجسر وشهدها عيينة وخيار فشاهدا من قتالهم وشدتهما ما أيسا معه من الاصلاح بينهم فكان الظفر يومئذ للخزرج وهذا اليوم من أشهر أيامهم وكان بعده عدة وقائع كلها من حرب حاطب فمنها

السند خلاف لغة الهند والسند مما يلي الاسلام ثم الهند ولغة أهل المانكير وهي دار مملكة البلهرا أكثرها مضافة الى الصقع وهي كبيرة ولغة ساحله مثل صيمور وسوماره ومايه وغير ذلك من مدن الساحل مثل لاروي وبلدهم مضافة الى البحر الذي هم عليه وهو لاروي وقد تقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب وبهذا الساحل أنهار عظيمة تجري من الجنوب بالضد من أنهار العالم وليس في أنهار العالم ما يجري من الجنوب الى الشمال الا نيل مصر ومهران السند ويسير من الانهار وما عدا ذلك من أنهار العالم يجري من الشمال الى الجنوب وقد ذكرنا وجه العلة في ذلك وما قاله الناس في هذا المعنى في كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا ما انخفض من الانهار وما ارتفع وليس في ملوك السند والهند من يعز المسلمين في ملكه الا البلهرا فالاسلام في ملكه عزيز مصون ولهم مساجد مبنية وجوامع معمورة بالصلوات للمسلمين ويملك الملك منهم الاربعين سنة والخمسين سنة فصاعدا وأهل مملكته يزعمون انه انما طالت أعمار ملوكهم لسنة العدل واكرام المسلمين وهو ملك يرزق الجنود من

﴿يوم الربيع﴾

ثم التقت الانصار بعد يوم الجسر بالربيع وهو حائط فى ناحية السفح فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كاد يفنى بعضهم بعضا فانهزمت الاوس وتبعها الخزرج حتى بلغوا دورهم وكانوا قبل ذلك اذا انهزمت احدى الطائفتين فدخلت دورهم كفت الاخرى عن اتباعهم فلما تبع الخزرج الاوس الى دورهم طلبت الاوس الصلح فامتنعت بنو النجار من الخزرج عن اجابتهم فحصنت الاوس النساء والذرارى فى الآطام وهى الحصون ثم كفت عنهم الخزرج فقال صخر بن سليمان البياضى

ألا أبلغا عنى سويد بن صامت * ورهط سويد بلغا وابن آلاسلت
بانا قتلنا بالربيع سراتكم * وافلت مجروحا به كل مفلت
فلولا حقوق فى العشيرة انها * ادات بحق واجب ان ادلت
لنالهم منا كما كان نالهم * مقانب خيل اهلكت حين حلت

فاجابه سويد بن الصامت

ألا ابلغا عنى صخيرا برسالة * فقد ذقت حرب الاوس فيها ابن آلاسلت
قتلنا سرايا كم بقتلى سراتنا * وليس الذى ينجو اليكم بمفلت

﴿ومنها يوم البقيع﴾

ثم التقت الاوس والخزرج ببقيع الغرقد فاقتتلوا قتالا شديدا فكان الظفر يومئذ للاوس فقال عبيد بن ناقد الاوسى

لما رأيت بنى عوف وجمعهم * جاؤا وجمع بنى النجار قد حفلوا
دعوت قومى وسهلت الطريق لهم * الى المكان الذى أصحابه حللوا
جادت بانفسها من مالك عصب * يوم اللقاء فما خافوا ولا فشلوا
وعاوروكم كؤس الموت اذ برزوا * شطر النهار وحتى أدبر الاصل
حتى استقاموا وقد طال المراس بهم * فكلهم من دماء القوم قد نهلوا
تكشف البيض عن قتلى أولى رحم * لولا المسالم والارحام ماقتلوا
تقول كل فتاة غاب قيمها * أكل من خلفنا من قومنا قتلوا
لقد قتلتم كريما ذا محافظة * قد كان حالفه القينات والحلل
جزل نوافله حلو شمائله * ريان واغله تشقى به لابل

الواغل الذى يدخل على القوم وهم يشربون فأجابه عبد الله بن رواحة الحارثى الخزرجى

لما رأيت بنى عوف واخوتهم * كعبا وجمع بنى النجار قد حفلوا (٣)
قدما أباحوا حماكم بالسيوف ولم * يفعل بكم أحد مثل الذى فعلوا

وكان رئيس الاوس يومئذ فى حرب حاطب أبو قيس بن الاسلت الوائلى فقام فى حربهم وهجر الراحة فشحب وتغير وجاء يوما الى امرأته فأنكرته حتى عرفته بكلامه فقالت له لقد أنكرتك حتى تكلمت فقال

قالت ولم تقصد لقيل الخنى * مهلا فقد أبلغت اسماعى
واستنكرت لونا له شاحبا * والحرب غول ذات أوجاع
من يذق الحرب يجد طعمها * مرا وتتركه بجعجاع
قد حصت البيضة رأسى فما * أطعم نوما غير تهجاع

أسعى

بيت ماله كف عمل المسلمين بجنودهم وله دراهم طاطرية وزن الدرهم منها وزن درهم ونصف سكته بدء تاريخ ملكهم وفيلته الحربية لاتحصى كثرة وتدعى بلاده أيضا بلاد الكنكر ويحاربهم ملك الخزر من احدى جهات مملكته وهو ملك كثير الخيول والابل والجنود ويزعم انه ليس فى ملوك العالم أجل منه الا صاحب أقليم بابل وهو الاقليم الرابع وذلك أن هذا الملك ذو نخوة وصولة على سائر الملوك وهو مع ذلك مبغض للمسلمين وهو كثير الفيلة وملكه على لسان من الارض وفى أرضه معادن الذهب والفضة ومبايعاتهم بهما ثم يلى هذا الملك ملك الطافى موادع لمن حوله من الملوك وهو مكرم للمسلمين وليست جيوشه كجيوش من ذكرنا من الملوك وليس فى نساء الهند أحسن من نسائهم ولا أكثر منهن جمالا وبياضا وهن موصوفات الخلوات مذكورات فى كتب الباه وأهل البحر يتنافسون فى شرائهن يعرفن بالطافيات ثم يلى هذا الملك مملكة رهمى وهذه سمة لملوكهم وهو الاعم من أسمائهم ويقاتلهم ملك الخزر وملكه متاخم لملكهم ورهمى يحارب البلهرا

أسعى على جل بني مالك * كل امرئ في شأنه ساعي
أعددت للأعداء موضونة * فضفاضة كالنهي بالقاع
أحفزها عني بذي رونق * مهند كاللمع قطاع
صدق حسام وادق حده * ومجنأ أسمر قراع

وهي طويلة ثم ان أباقيس بن أسلت جمع الاوس وقال لهم ما كنت رئيس قوم قط الا هزموا فرئسوا عليكم من أحببتم فرأسوا عليهم حضير الكتائب بن سماك الاشهلي وهو والد أسيد بن حضير لولده صحبة وهو بدري فصار حضير يلي أمورهم في حروبهم فالتقى الاوس والخزرج بمكان يقال له الغرس فكان الظفر للاوس ثم تراسلوا في الصلح فاصطلحوا على ان يحسبوا القتلى الذين كان عليه الفضل أعطى الدية فافضلت الاوس على الخزرج ثلاثة نفر فدفعت الخزرج ثلاثة غلمة منهم رهنا بالديات فغدرت الاوس فقتلت الغلمان

(حرب الفجار الاول للانصار)

وليس بفجار كنانة وقيس فلما قتلت الاوس الغلمان جمعت الخزرج وحشدوا والتقوا بالحدائق وعلى الخزرج عبد الله بن أبي ابن سلول وعلى الاوس أبو قيس بن الاسلت فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كاد بعضهم يفني بعضا وسمي ذلك اليوم يوم الفجار لغدرهم بالغلمان وهو الفجار الاول فكان قيس بن الخطيم في حائط له فانصرف فوافق قومه قد برزوا للقتال فعجز عن أخذ سلاحه الا السيف ثم خرج معهم فعظم مقامه يومئذ وابلى بلاء حسنا وجرح جراحة شديدة فمكث حينا يتداوى منها وامر ان يحتمي عن الماء فذلك يقول عبد الله بن رواحة

رميناك أيام الفجار فلم تزل * حميا فمن يشرب فلست بشارب

(يوم معبس ومضرس)

ثم التقوا عند معبس ومضرس وهما جداران فكانت الخزرج وراء مضرس وكانت الاوس وراء معبس فأقاموا أياما يقتتلون قتالا شديدا ثم انهزمت الاوس حتى دخلت البيوت والآطام وكانت هزيمة قبيحة لم ينهزموا مثلها ثم ان بني عمرو بن عوف وبني أوس مناة من الاوس وادعوا الخزرج فامتنع من الموادعة بنو عبد الاشهل وبنو ظفر وغيرهم من الاوس وقالوا لا نصالح حتى ندرك ثأرنا من الخزرج فألحت الخزرج عليهم بالاذى والغارة حين وادعهم بنو عمرو بن عوف وأوس مناة فعزمت الاوس الا من ذكرنا على الانتقال من المدينة فاغارت بنو سلمة على مال لبني عبد الاشهل يقال له الرعل فقاتلوهم عليه فجرح سعد بن معاذ الاشهلي جراحة شديدة واحتمله بنو سلمة الى عمرو بن الجموح الخزرجي فاجاره وأجار الرعل من الحريق وقطع الاشجار فلما كان يوم بعاث جازاه سعد على ما نذكره ان شاء الله ثم سارت الاوس الى مكة لتحالف قريش على الخزرج وأظهروا انهم يريدون العمرة وكانت عادتهم انه اذا أراد أحدهم العمرة أو الحج لم يعرض اليه خصمه ويعلق المعتمر على بيته كرانيف النخل ففعلوا ذلك وساروا الى مكة فقدموها وحالفوا قريشا وأبو جهل غائب فلما قدم أنكر ذلك وقال لقريش اما سمعتم قول الاول ويل للاهل من النازل انهم لاهل عدد وجلد ولقلما نزل قوم على قوم الا أخرجوهم من بلادهم وغلبوهم عليه قالوا فما المخرج من حلفهم قال أنا أكفيكموهم ثم خرج حتى جاء الاوس فقال انكم حالفتم قومي وأنا غائب فجئت لاحالفكم واذكر لكم من أمرنا ما تكونون بعده على رأس أمركم انا قوم تخرج اماؤنا الى

أيضا من احدى جهات مملكته وهو أكثر جيوشا وفيلة وخيولا من البلهرا ومن ملك الخزر ومن ملك الطافي واذا خرج في حروبه فزعمه أن يكون في خمسين ألف فيل ولا يكون حربه الا في الشتاء لقلة صبر الفيلة على العطش وقلة لبثها والمكثر من الناس يغلو بالقول في كثرة جنوده فيزعمون أن عدد القصارين والغسالين في عسكره من عشرة آلاف الى خمسة عشر ألفا وحرب من ذكرنا من الملوك كراديس كل كردوس عشرون ألفا أربعة أوجه كل وجه من الكردوس خمسة آلاف ومملكة رهمى تعاملهم بالودع وهو مال البلد وفي بلده العود والذهب والفضة والثياب التي ليست لغيره رقة ودقة ومن بلده يحمل الشعر المعروف بالصمر الذي تتخذ منه المذاب بنصب العاج والفضة يقوم بها الخدم على رؤس الملوك في مجالسها وفي بلده الحيوان المعروف بالنسيان ٢ المعلم وهو الذي تسميه العوام الكركدن وله في مقدم جبهته قرن واحد وهو دون الفيل في الخلقة وأكبر من الجاموس الى السواد ما هو يجتر كما تجتر البقر وغيرها مما يجتر من الحيوان والفيلة تهرب منه وليس في أنواع الحيوان والله أعلم أشد منه وذلك ان أكثر عظامه أصم ولا مفصل في قوائمه ولا يبرك في نيام انما يكون بين الشجر والآجام يستند اليها عند نومه والهند تأكل لحمه وكذلك من في بلادهم من

أسواقنا ولايزال الرجل منا يدرك الامة فيضرب عجيزتها فان طابت أنفسكم ان تفعل نساؤكم مثل ماتفعل نساؤنا حالفناكم وان كرهتم ذلك فردّوا الينا حلفنا فقالوا لانقر بهذا وكانت الانصار بأسرها فيهم غيرة شديدة فردّوا اليهم حلفهم وساروا الى بلادهم فقال حسان بن ثابت يفتخر بما أصاب قومه من الاوس

الا أبلغ أباقيس رسولا * اذا ألقى له سمع مبين
فلست بحاضر ان لم يزركم * خلال الدار مسبلة طحون
يدين لها العزيز اذا رآها * ويسقط من مخافتها الجنين
تشيب الناهد العذراء منها * ويهرب من مخافتها القطين
يطوف بها من النجار أسد * كأسد الغيل مسكنها العرين
يظل الليث فيها مستكينا * له فى كل ملتفت أنين
كأن بهاءها للناظريها * من الاسلات والبيض الفتين
كأنهم من الماذى عليهم * جمال حين يجتلدون جون
فقد لاقاك قبل بعاث قتل * وبعد بعاث ذل مستكين

وهى طويلة أيضا

﴿يوم الفجار الثانى للانصار﴾

كانت الاوس قد طلبت من قريظة والنضير ان يحالفوهم على الخزرج فبلغ ذلك الخزرج فارسلوا اليهم يؤذنونهم بالحرب فقالت اليهود انا لانريد ذلك فاخذت الخزرج رهنهم على الوفاء وهم أربعون غلاما من قريظة والنضير ثم ان يزيد بن فسحم شرب يوما فسكر فتغنى بشعر يذكر فيه ذلك

هلم الى الاحلاف اذرق عظمهم * واذ أصلحوا أما لا لجذمان ضائعا
اذا ما امرؤ منهم اساء عمارة * بعثنا عليهم من بنى العير جادعا
فأما الصريح منهم فتحملوا * وأما اليهود فاتخذنا بضائعا
أخذنا من الاولى اليهود عصابة * لغدرهم كانوا الدينا ودائعا
فذلوا ورهن عندنا فى حبالنا * مصانعة يخشون منا القوارعا
وذاك بانا حين نلقى عدوّنا * نصول بضرب يترك العز خاشعا

فبلغ قوله قريظة والنضير فغضبوا وقال كعب بن أسد نحن كما قال ان لم نغر فخالف الاوس على الخزرج فلما سمعت الخزرج بذلك قتلوا كل من عندهم من الرهن من أولاد قريظة والنضير فاطلقوا نفرا منهم سليم بن أسد القرظى جد محمد بن كعب بن سليم واجتمعت الاوس وقريظة والنضير على حرب الخزرج فاقتتلوا قتالا شديدا وسمى ذلك الفجار الثانى لقتل الغلمان من اليهود وقد قيل فى قتل الغلمان غير هذا وهو ان عمرو بن النعمان البياضى الخزرجى قال لقومه بنى بياضة ان أباكم أنزلكم منزلة سوء والله لايمس رأسى ماء حتى أنزلكم منازل قريظة والنضير أو أقتل رهنهم وكانت منازل قريظة والنضير خير البقاع فأرسل الى قريظة والنضير اما ان تخلوا بيننا وبين دياركم واما أن نقتل الرهن فهموا بأن يخرجوا من ديارهم فقال لهم كعب بن أسيد القرظى ياقوم امنعوا دياركم وخلوه يقتل الغلمان ماهى الا ليلة يصيب فيها أحدكم امرأة حتى يولد له مثل أحدهم فارسلوا اليهم انا لاننتقل عن ديارنا فانظروا فى رهننا فعوا الينا فعدا عمرو بن النعمان

المسلمين لانه نوع من البقر والجواميس بأرض السند والهند كثيرة وهذا النوع من النسيان يكون فى أكثر غابات الهند الا أنه فى مملكة رهمى أكثر وقرونه أصفى وأحسن وذلك أن قرنه أبيض وفى وسطه صورة سوداء فى ذلك البياض اما صورة انسان أو صورة طاوس بتخطيطه وشكله أو صورة سمكة أو صورته فى نفسه أو صورة نوع من الحيوان مما يوجد فى تلك الديار فينشر هذا القرن وتتخذ منه المناطق والسيور على صورة الحلية من الذهب والفضة فتلبسها ملوك الصين وخواصها تتنافس فى لبسها وتبالغ فى أثمانها فتبلغ المنطقة الفى دينار الى أربعة آلاف فيها معاليق الذهب وذلك فى نهاية الحسن والاتقان وربما ترصع بأنواع من الجواهر على قضبان الذهب ووجوه تلك الصور مكتتبة بسواد فى بياض وربما يوجد فى قرونه بياض فى سواد وليس فى كل بلد يوجد فى قرون النسيان ماذكرنا من الصور وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ أن الكركدن يحمل فى بطن أمه سبع سنين وأنه يخرج رأسه من بطن أمه فيرعى ثم يدخل رأسه فى بطنها وهذا القول أورده فى كتاب حياة الحيوان على طريق الحكاية والتعجب فبعثنى هذا الوصف على مسألة من سلك تلك الديار من أهل سيراف وعمان وممن رأيت بأرض الهند من التجار فكل تعجب

على

على رهنهم فقتلهم وخالفه عبد الله بن أبي ابن سلول فقال هذا بغي وإثم * ونهاه عن قتلهم وقتال قومه من الاوس وقال له كأني بك وقد حملت قتيلا في عباءة يحملك أربعة رجال فلم يقتل هو ومن أطاعه أحدا من الغلمان وأطلقوهم ومنهم سليم بن أسد جد محمد بن كعب وحالفت حينئذ قريظة والنضير الاوس على الخزرج وجرى بينهم قتال سمي ذلك اليوم يوم الفجار الثاني وهذا القول أشبه بأن يسمى اليوم فجارا وأما على القول الاول فانما قتلوا الرهن جزاء للغدر من اليهود وليس بفجار من الخزرج الا أن يسمى فجارا لغدر اليهود

(يوم بعاث)

ثم ان قريظة والنضير جددوا العهود مع الاوس على الموازرة والتناصر واستحكم أمرهم وجدوا في حربهم ودخل معهم قبائل من اليهود غير من ذكرنا فلما سمعت بذلك الخزرج جمعت وحشدت وراسلت حلفاءها من أشجع وجهينة وراسلت الاوس حلفاءها من مزينة ومكثوا أربعين يوما يتجهزون للحرب والتقوا ببعاث وهي من أعمال قريظة وعلى الاوس حضير الكتائب ابن سماك والد أسيد بن حضير وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي وتخلف عبد الله بن أبي ابن سلول فيمن تبعه عن الخزرج وتخلف بنو حارثة بن الحرث عن الاوس فلما التقوا اقتتلوا قتالا شديدا وصبروا جميعا ثم ان الاوس وجدت مس السلاح فولوا منهزمين نحو العريض فلما رأى حضير هزيمتهم برك وطعن قدمه بسنان رمحه وصاح واعقراه كعقر الجمل والله لا أعود حتى أقتل فان شئتم يا معشر الاوس ان تسلموني فافعلوا فعطفوا عليه وقاتل عنه غلامان من بني عبد الاشهل يقال لهما محمود ويزيد ابنا خليفة حتى قتلا وأقبل سهم لا يدرى من رمى به فأصاب عمرو بن النعمان البياضي رئيس الخزرج فقتله * فبينا عبد الله بن أبي ابن سلول يتردد راكبا قريبا من بعاث يتجسس الاخبار اذ طلع عليه بعمرو بن النعمان قتيلا في عباءة يحمله أربعة رجال كما كان قال له فلما رآه قال ذق وبال البغي وانهزمت الخزرج ووضعت فيهم الاوس السلاح فصاح صائح يا معشر الاوس أحسنوا ولا تهلكوا اخوانكم لجوارهم خير من جوار الثعالب فانتهوا عنهم ولم يسلبوهم وانما سلبهم قريظة والنضير وحملت الاوس حضيرا مجروحا فمات وأحرقت الاوس دور الخزرج ونخيلهم فأجار سعد بن معاذ الاشهلي أموال بني سلمة ونخيلهم ودورهم جزاء بما فعلوا له في الرعل وقد تقدم ذكره ونجى يومئذ الزبير بن اياس بن باطا ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي أخذه فجز ناصيته وأطلقه وهي اليد التي جازاه بها ثابت في الاسلام يوم بني قريظة وسنذكره وكان يوم بعاث آخر الحروب المشهورة بين الاوس والخزرج ثم جاء الاسلام واتفقت الكلمة واجتمعوا على نصر الاسلام وأهله وكفى الله المؤمنين القتال وأكثرت الانصار الاشعار في يوم بعاث فمن ذلك قول قيس بن الخطيم الظفري الاوسي

أتعرف رسما كالطراز المذهب * لعمرة ركبا غير موقف راكب

ديار التي كانت ونحن على منى * تحل بنا لولا رجال الركائب

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة * بدا حاجب منها وضنت بحاجب

(ومنها)

وكنت امرأ لا أبعث الحرب ظالما * فلما أبوا أشعلتها كل جانب

أذنت بدفع الحرب حتى رأيتها * عن الدفع لا تزداد غير تقارب

من هذا وسألته عنه ويخبروني أن جمله وفصاله كالبقر والجواميس ولست أدري كيف وقعت هذه الحكاية للجاحظ أمن كتاب نقلها أو مخبر أخبره بها ولرهمي في ملكه برو بحر ويلي ملكه ملك آخر يقال له ملك الكاسين وأهل مملكته بيض مخرومو الآذان لهم فيلة وابل وخيول وحسن وجمال للرجال والنساء ثم بعد هؤلاء ملك القرنج ٢ وله بر وبحر وهو على لسان من البر في البحر يقع له عنبر كثير وفي بلاده فلفل يسير وهو ذو فيلة كثيرة وهو ذو بأس بين الملوك وزهو وفخر وفخره أكثر من بأسه ثم يلي هذا الملك ملك الموجه أهله بيض ذو حسن وجمال غير مخرمي الآذان لهم خيل كثيرة وعدد منيعة والمسك في بلادهم كثير على ما قدمنا من غزلانهم ووصف ظبائهم فيما سلف من هذا الكتاب وهذه الامة تشبه بأهل الصين في لباسهم وبلادهم منيعة شواهق بيض لا يعلم بأرض السند والهند ولا فيما ذكرنا من هذه الممالك جبال أطول منها ولا أمنع ومسكهم موصوف مضاف الى بلدهم يتعارفه البحريون ممن عني بحمل ذلك وتجهيزه وهو المسك المعروف بالموجهي ثم يلي ملك الموجه مملكة المابد ولهم مدن كثيرة وعمائر واسعة وجنود عظيمة وملوكهم تستعمل الخصيان في عمالات

فلما رأيت الحرب حربا تجردت * لبست مع البردين ثوب المحارب
مضعفة يغشى الانامل ريعها * كأن قتيريها عيون الجنادب
ترى قصد المران تلقى كأنها * تذرع خرصان بايدى الشواطب
وساحني ملكا هنين ومالك * وثعلبة الاخيار رهط المصائب
رجال متى يدعوا الى الحرب يسرعوا * كمشى الجمال المشعلات المصاعب
اذا ما فررنا كان أسوا فرارنا * صدود الخدود وازورار المناكب
صدود الخدود والقنا متشاجر * ولا تبرح الاقدام عند التضارب
ظأرنا كم بالبيض حتى لأنتم * أذل من السقبان بين الحلائب
يجردن بيضا كل يوم كريهة * ويرجعن حمرا جارحات المضارب
لقيتكم يوم الحدائق حاسرا * كأن يدى بالسيف مخراق لاعب
ويوم بعاث أسلمتنا سيوفنا * الى حسب فى جذم غسان ثاقب
قتلناكم يوم الفجار وقبله * ويوم بعاث كان يوم التغالب
أتت عصب للاوس تخطر بالقنا * كمشى الاسود فى رشاش الاهاضب

فأجابه عبد الله بن رواحة

اشاقتك ليلى فى الخليط المجانب * نعم فرشاش الدمع فى الصدر غالب
بكى اثر من شطت نواه ولم يقم * لحاجة محزون شكا الحب ناعب
لدن غدوة حتى اذا الشمس عارضت * أراحت له من لبه كل غارب
نحامى على احسابنا بتلادنا * لمفتقر أو سائل الحق واجب
واعمى هدته للسبيل سيوفنا * وخصم أقمنا بعد ما نخ ناعب
ومعترك ضنك يرى الموت وسطه * مشينا له مشى الجمال المصاعب
برجل ترى الماذى فوق جلودهم * وبيضا نقيا مثل لون الكواكب
وهم حسر لا فى الدروع تخالهم * أسودا متى تنشا الرماح تضارب
معاقلهم فى كل يوم كريهة * مع الصدق منسوب السيوف القواضب

وهى طويلة وليلى التى شبب بها ابن رواحة هى أخت قيس بن الخطيم وعمرة التى شبب بها ابن الخطيم هى أخت عبد الله بن رواحة وهى أم النعمان بن بشير الانصارى بعاث بضم الباء الموحدة وبالعين المهملة وقال صاحب كتاب العين وحده وهو بالغين المعجمة

﴿ذكر غلبة ثقيف على الطائف والحرب بين الاحلاف وبنى مالك﴾

كانت أرض الطائف قديما لعدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر فلما كثر بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان غلبوهم على الطائف بعد قتال شديد وكان بنو عامر يصيفون بالطائف ويشتون بأرضهم من نجد وكانت مساكن ثقيف حول الطائف وقد اختلف الناس فيهم فمنهم من جعلهم من اياد فقال ثقيف اسمه قسى بن نبت بن منبه بن منصور بن مقدم بن افصى بن دعمى بن اياد من معد ومنهم من جعلهم من هوازن فقال هو قيس بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان فرأت ثقيف البلاد فاعجبهم نباتها وطيب ثمرها فقالوا لبنى عامر ان هذه الارض لا تصلح

بلدانهم من المعادن وجبايات الاموال والولايات وغيرها كفعل ملوك الصين على حسب ما وصفنا من أخبارهم والمابد مجاورون لمملكة الصين والرسل تختلف بينهم بالهدايا وبينهم جبال منيعة وعقبات صعبة والمابد ناس عظماء البطش والقوة واذا دخل رسل ملك المابد مملكة الصين وكل ملك الصين بهم ولم يتركهم ينتشرون فى بلادهم خوفا أن يقفوا على طرقهم وعورات بلادهم لكبر المابد فى نفوسهم ولمن ذكرنا من الهند والصين فى بلادهم ولغيرهم من الامم أخلاق وشيم فى المآكل والمشارب والمناكح والملابس والعلاج والادوية والكى بالنار وغيره وقد ذكر بن جماعة من ملوكهم انهم لا يرون حبس الريح فى أجوافهم لانه داء يؤذى ولا يحتشمون فى اظهارها فى سائر أحوالهم وكذلك فعل حكمائهم ورأيهم ان حبسها داء يؤذى وأن ارسالها شفاء ينجى وأن فى ذلك العلاج الاكبر وأن فيه راحة لصاحب القولنج والمحصور وأن فيه دواء للسقيم المطحول ولا يحتشمون من الضرطة ولا يحصرون الفسوة ولا يرون ذلك عيبا وللهند التقدم فى صناعة الطب ولهم فيه اللطافة والحذق وذكر هذا المخبر عن الهند أن السعال عندهم أقبح من الضراط وان الجشاء فى وزن الفساء وأن صوت الضرطة دباغها والمذهب بنارعيها واستشهد هذا المخبر

الزرع وانما هي أرض ضرع وزرع ورأيناكم على ان آثرتم الماشية على الغراس ونحن اناس ليست لنا مواش فهل لكم ان تجمعوا الزرع والضرع بغير مؤنة تدفعون الينا بلادكم هذه فنثيرها ونغرسها ونحفر فيها الاطواء ولا نكلفكم مؤنة نحن نكفيكم المؤنة والعمل فاذا كان وقت ادراك الثمر كان لكم النصف كاملا ولنا النصف بما عملنا فرغب بنو عامر في ذلك وسلموا اليهم الارض فنزلت ثقيف الطائف واقتسموا البلاد وعملوا الارض وزرعوها من الاعناب والثمار ووفوا بما شرطوا لبني عامر حينا من الدهر وكان بنو عامر يمنعون ثقيفا ممن أرادهم من العرب فلما كثرت ثقيف وشرفت حصنت بلادها وبنوا سورا على الطائف وحصنوه ومنعوا عامرا ما كانوا يحملونه اليهم عن نصف الثمار وأراد بنو عامر أخذه منهم فلم يقدروا عليه فقاتلوهم فلم يظفروا وكانت ثقيف بطنين الاحلاف وبني مالك وكان للاحلاف في هذا أثر عظيم ولم يزل تعتد بذلك على بني مالك فأقاموا كذلك ثم ان الاحلاف أثروا وكثرت خيلهم فحموا الحاجي من أرض بني نصر بن معاوية ابن بكر بن هوازن يقال له حلذان فغضب من ذلك بنو نصر وقاتلوهم عليه ولجت الحرب بينهم وكان رأس بني نصر عفيف بن عوف بن عباد النصري ثم اليربوعي ورأس الاحلاف مسعود بن معتب فلما لجت الحرب بين بني نصر والاحلاف اغتنم ذلك بنو مالك ورئيسهم جندب بن عوف ابن الحرث بن مالك بن حطيط بن جشم من ثقيف لضغائن كانت بينهم وبين الاحلاف فحالفوا بني يربوع على الاحلاف فلما سمعت الاحلاف بذلك اجتمعوا وكان أول قتال كان بين الاحلاف وبين بني مالك وحلفائهم من بني نصر يوم الطائف واقتتلوا قتالا شديدا فانتصر الاحلاف وأخرجوهم منه الى واد من وراء الطائف يقال له لحب (١) وقتل من بني مالك وبني يربوع مقتلة عظيمة في شعب من شعاب ذلك الجبل يقال له الاباء ثم اقتتلوا بعد ذلك أياما مسميات منهن يوم عمر ذي كندة من نحو نخلة ومنهن يوم كروبا (٢) من نحو حلوان وصاح عفيف بن عوف اليربوعي في ذلك اليوم صيحة يزعمون ان سبعين حبلى منهم ألقت ما في بطنها فاقتتلوا أشد قتال ثم افترقوا فسارت بنو مالك تبتغي الحلف من دوس وخثعم وغيرهما على الاحلاف وخرجت الاحلاف الى المدينة تبتغي الحلف من الانصار على بني مالك فقدم مسعود بن معتب على أحيحة بن الجلاح أحد بني عمرو بن عوف من الاوس وكان أشرف الانصار في زمانه فطلب منه الحلف فقال له أحيحة والله ماخرج رجل من قومه الى قوم قط بحلف أو غيره الا أقر لأولئك القوم بشر مما أنف منه من قومه فقال له مسعود اني أخوك وكان صديقا له فقال أخوك الذي تركته وراءك فارجع اليه وصالحه ولو بجدع انفك وأذنك فان أحدا لن يبر لك في قومك اذ خالفته فانصرف عنه وزوده بسلاح وزاد وأعطاه غلاما كان يبني الآطام يعني الحصون بالمدينة فبنى لمسعود بن معتب أطما فكان أول اطم بني بالطائف ثم بنيت الآطام بعده بالطائف ولم يكن بعد ذلك بينهم حرب تذكر وقالوا في حربهم اشعارا كثيرة فمن ذلك قول محبر وهو ربيعة بن سفيان أحد بني عوف بن عقدة من الاحلاف

وما كنت ممن أرث الشر بينهم * ولكن مسعودا جناها وجندبا
قريعي ثقيف انشبا الشر بينهم * فلم يك عنها منزع حين أنشبا
عناقا ضروسا بين عوف ومالك * شديدا لظاها تترك الطفل أشيبا
مضرمة شبا أشبا وقودها * بأيديهما ما أورياها وأثقبا

على صحة ما حكاه عن الهند باستفاضة القول في ذلك في كثير من الناس عنهم حتى ذكر ذلك عنهم في السير والاخبار والنوادر والاشعار فمن ذلك ما ذكر في الارجوزة المعروفة بذات الحلل وهي

قد قال ذو العلم الفصيح الهندي
مقالة يفلج فيها عندي
لا تحبس الضرطة اما حضرت
وخلها وافتح لها ما استقصت
فان أدوا الداء في امساكها
والروح والراحة في اخراجها
والقبح في السعال والمخاط
والشؤم في السعال لا الضراط
اما الجشاء فنساء صاعد
ونتنه على الفساء زائد

وان الريح واحدة في الجوف وانما تختلف أسماؤها باختلاف مخارجها فما يذهب الصعداء يسمى جشاء وما يذهب سفلا يسمى فساء ولا فرق بين الريحين الا باختلاف المخرجين كما يقال الصفعة واللطمة الا ان اللطمة في الوجه والصفعة في مؤخر الرأس والقفا والمعنى واحد وانما اختلفت أسماؤها لاختلاف الموضعين وتباين المكانين وأن الحيوان الناطق انما كثرت علله وترادفت أدواؤه واتصلت أمراضه كالقولنج وأوجاع المعدة وغيرهما من العوارض بحبس الداء في جوفه وتركه اظهاره في حال هيجانه وتفرغ الطبيعة لدفعه واخراجه وأن سائر الحيوان غير الناطق انما بعد عما ذكرنا من الآفات والمعترضات من العاهات لسرعة خروج ما يعرض ويثور

أصابت براه من طوائف مالك * وعوف بما جراعلها وأجلبا
بجمهورة جاؤا تخطوا ما بنا * اليهم وتدعو في اللقاء معتبا
وتدعو بني عوف بن عقدة في الوغى * وتدعو سلاجا والحليف المطيبا
حبيبا وحيا من رباب كتائبا * وسعدا اذا الداعي الى الموت ثوبا
وقوما بعكر وناه شنت معتب * بغارتها فكان يوما عصبصبا
فأسقط احبال النساء بصوته * عفيف اذا نادى بنصر فطربا
عفيف هذا بضم العين وفتح الفاء

﴿تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني أوله نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

من الادواء في أجوافها وعدم احتباسها في وعائها وأن الفلاسفة والمتقدمين والحكماء اليونانيين كديمقراطيس وفيثاغورس وسقراط وروحانس وغيرهم من حكماء الامم لم يكونوا يروا حبس شئ من ذلك لعلمهم بما يتولد من آفاته ويؤل اليه من متعقباته وان ذلك يجده في نفسه كل ذي حس وان ذلك يعلم بالطبيعة ويدرك بضرورة العقل وانما استقبح ذلك أناس من أصحاب الشرائع لما وردت به الشرائع ومنعت منه الملل ولم يجر ذلك في عاداتهم قال المسعودي وقد أتينا على أخبارهم وما أحكمنا من ذكر شيمهم وعجائب سيرهم ومتصرفاتهم في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وكذلك أتينا على ذكر أخبار المهراج ملك الجزائر والطيب والافاويه مع ملك قمار وما جرى الملك قمار مع المهراج وأخبار ملوك الصين وملك سرنديب مع ملك مندرى وهي بلاد مقابلة لجزيرة سرنديب كمقابلة بلاد قمار لجزائر المهراج من الرانج وغيرها وكل ملك يملك بلاد مندرى يسمى القابدى وسنأتي بجمل من أخبار ملوك الشرق والغرب واليمن والحيرة فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار ملوك اليمن والفرس واليونانيين والمغرب وأنواع الاحابش والسودان وملوك الصين ولدبافت وغير ذلك من أخبار العالم وعجائب الامم

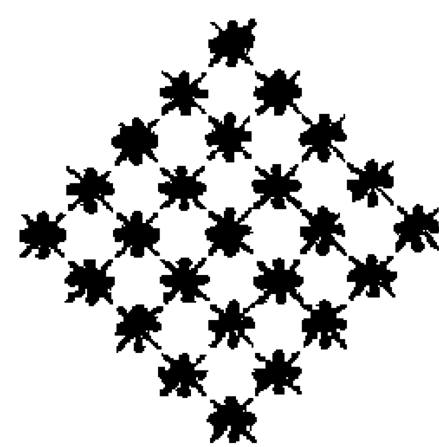
(فهرست الجزء الثانى من تاريخ الكامل للعلامة ابن الاثير الجزرى)

﴿فهرسة ما على هامش هذا الجزء من تاريخ مروج الذهب للمسعودي﴾

﴿ الجزء الثاني ﴾

من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي بن
أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الاثير الجزري الملقب بعز
الدين رحمه الله
آمين

﴿ وبهامشه تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر ﴾
﴿ للامام أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي رحمه الله ﴾



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض أخبار آبائه وأجداده﴾

واسم رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد وقد تقدم ذكر ولادته في ملك كسرى انوشروان وهو محمد بن عبد الله ويكنى عبد الله أبا قثم وقيل أبا محمد وقيل أبا أحمد بن عبد المطلب وكان عبد الله اصغر ولد ابيه فكان عبد الله وأبو طالب واسمه عبد مناف والزبير وعبد الكعبة وعاتكة وأميمة وبرة ولد عبد المطلب امهم جميعهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم بن يقظة وكان عبد المطلب نذر حين لقي من قريش العنت في حفر زمزم كما ذكرناه لئن ولد عشرة نفر وبلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم عند الكعبة لله تعالى فلما بلغوا عشرة وعرف انهم سيمنعونه أخبرهم بنذره فاطاعوه وقالوا كيف نصنع قال يأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه ففعلوا وأتوه بالقداح فدخلوا على هبل في جوف الكعبة وكان أعظم اصنامهم وهو على بئر يجمع فيه ما يهدى الى الكعبة وكان عند هبل سبعة قداح في كل قدح كتاب فقدح فيه العقل اذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة وقدح فيه نعم للامر اذا أرادوه يضرب به فان خرج نعم عملوا به وقدح فيه لا فاذا أرادوا أمرا ضربوا به فاذا خرج لا لم يعملوا ذلك الامر وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق وقدح فيه من غيركم وقدح فيه المياه اذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح فحيثما خرج عملوا به وكانوا اذا أرادوا أن يختنوا غلاما أو ينكحوا جارية أو يدفنوا ميتا أو شكوا في نسب أحد منهم ذهبوا به الى هبل وبمائة درهم وجزور فأعطوه صاحب القداح الذي يضرب بها ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون ثم قالوا يا الهنا هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه ثم يقولون لصاحب القداح اضرب فيضرب فان خرج عليه منكم كان وسيطا وان خرج عليه من غيركم كان حليفا وان خرج عليه ملصق كان على منزلته منهم لا نسب له ولا حلف وان خرج عليه شيء سوى هذا مما يعملون به فان خرج نعم عملوا به وان خرج لا أخروه عامهم ذلك حتى يأتوه به مرة أخرى ينتهون في أمورهم الى ذلك مما خرجت به القداح وقال عبد المطلب لصاحب القداح اضرب على بني هؤلاء بقداحهم

﴿ذكر جبل الفتح وأخبار الامم من اللان والسرير والخزر وأنواع من الترك وغيرهم وأخبار الباب والابواب ومن حولهم من الامم﴾

أما جبل الفتح فهو جبل عظيم وصقعه صقع جليل قد اشتمل على كثير من الممالك والامم وفي هذا الجبل اثنتان وسبعون أمة كل أمة لها ملك ولسان بخلاف لغة غيرها وهذا الجبل ذو شعاب وأودية ومدينة الباب والابواب والسور على شعب من شعابه بناها كسرى أنوشروان وجعلها بينه وبين الخزر وجعل هذا السور من جوف البحر على مقدار ميل منه مادا الى البحر ثم على جبل الفتح مادا في أعاليه ومنخفضاته وشعابه نحوا من أربعين فرسخا الى أن ينتهي ذلك الى قلعة يقال لها طبرستان وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور أو أقل أو أكثر على حسب الطريق الذي جعل الباب من أجله بابا من حديد وأسكن من داخله على كل باب أمة تراعي ذلك الباب وما يليه من السور كل ذلك ليدفع أذى الامم المتصلة بذلك الجبل من الخزر واللان

هذه وأخبره بنذره الذى نذر وكان عبد الله اصغر بنى أبيه واحبهم اليه فلما أخذ صاحب القداح يضرب قام عبد المطلب يدعو الله تعالى ثم ضرب صاحب القداح فخرج قدح على عبد الله فاخذ عبد المطلب بيده ثم اقبل الى اساف ونائلة وهما الصنمان اللذان ينحر الناس عندهما فقامت قريش من أنديتها فقالوا ماتريد قال أذبحه فقالت قريش وبنوه والله لاتذبحه أبدا حتى تعذر فيه لئن فعلت هذا لايزال الرجل منا يأتى بابنه حتى يذبحه فقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم والله لاتذبحه حتى تعذر فيه فان كان فداؤه بأموالنا فديناه وقالت له قريش وبنوه لاتفعل وانطلق الى كاهنة بالحجر فسلها فان أمرتك بذبحه ذبحته فان أمرتك بمالك وله فيه فرج قبلته فانطلقوا اليها وهى بخيبر فقص عليها عبد المطلب خبره فقالت ارجعوا اليوم حتى يأتينى تابعى فأسأله فرجعوا عنها ثم غدوا عليها فقالت نعم قد جاءنى الخبر فكم الدية فيكم قالوا عشر من الابل وكانت كذلك قالت ارجعوا الى بلادكم وقربوا عشرا من الابل واضربوا عليها وعليه بالقداح فان خرج على صاحبكم فزيدوا عشرا حتى يرضى ربكم وان خرجت على الابل فانحروها فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم فخرجوا حتى أتوا مكة فلما أجمعوا لذلك قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشرا من الابل فخرجت القداح على عبد الله فزادوا عشرا فخرجت القداح على عبد الله فمازالوا يزيدون عشرا وتخرج القداح على عبد الله حتى بلغت الابل مائة ثم ضربوا فخرجت القداح على الابل فقال من حضر قد رضى ربك ياعبد المطلب فقال عبد المطلب لا والله حتى أضرب ثلاث مرات فضربوا ثلاثا فخرجت القداح على الابل فنحرت ثم تركت لايصد عنها انسان ولا سبع

* واما تزويج عبد الله بن عبد المطلب بآمنة ابنة وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما فرغ عبد المطلب من الابل انصرف بابنه عبد الله وهو آخذ بيده فمر على أم قتال ابنة نوفل بن أسد أخت ورقة بن نوفل وهى عند البيت فقالت له حين نظرت اليه والى وجهه أين تذهب ياعبد الله فقال مع أبى قالت لك عندى مثل الذى نحر عنك أبوك من الابل وقع على الآن قال ان معى أبى لاأستطيع خلافه ولا فراقه فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو سيد بنى زهرة فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهى لبرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى وبرة لام حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى وأم حبيب لبرة بنت عوف بن عبيد بن عويج ابن عدى بن كعب فدخل عبد الله عليها حين ملكها مكانه فوقع عليها فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها حتى أتى المرأة التى عرضت عليه نفسها بالامس فقال لها مالك لاتعرضين على اليوم ما كنت عرضت بالامس فقالت فارقك النور الذى كان معك بالامس فليس لى بك اليوم حاجة وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل انه كائن لهذه الامة نبى من بنى اسمعيل وقيل ان عبد المطلب خرج بابنه عبد الله ليزوجه فمر به على كاهنة من خثعم يقال لها فاطمة بنت مر مشهورة من أهل قبائله فرأت فى وجهه نورا وقالت له يافتى هل لك ان تقع على الآن وأعطيك مائة من الابل فقال لها

أما الحرام فالممات دونه * والحل لاحل فأستبينه
فكيف بالامر الذى تبغينه * يحمى الكريم عرضه ودينه

ثم قال لها أنا مع أبى ولا أقدر أن أفارقه فمضى فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فاقام عندها ثلاثا ثم انصرف فمر بالخثعمية فدعته نفسه الى مادعته اليه فقال لها هل لك فيما كنت أردت فقالت يافتى ما انا بصاحبة ريبة ولكنى رأيت فى وجهك نورا فاردت ان يكون لى فأبى الله الا

والسرير وغيرهم من أنواع الكفار وجبل القبخ يكون فى المسافة علوا وطولا وعرضا نحوا من شهرين بل وأكثر وحوله أمم لايحصيهم الا الخالق عز وجل أحد شعابه يلى بحر الخزر ممايلى الباب والابواب على ماذكرنا ومن شعابه مايلى بحر مانطش المقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب الذى ينتهى اليه خليج القسطنطينية وعلى هذا البحر طرابزنده وهى مدينة على شاطئ هذا البحر لها أسواق فى السنة يأتى اليها كثير من الامم للتجارة من المسلمين والروم والارمن وغيرهم وبلاد كسكر ولما بنى انوشروان هذه المدينة المعروفة بالباب والابواب والسور فى البر والبحر والجبل أسكن هنالك أمما من الناس وملوكا وجعل لهم مراتب رتبهم عليها ووسم كل أمة منهم بسمة معلومة وحد لها حدا معلوما على حسب فعل أزدشير بن بابك حين رتب ملوك خراسان فممن رتب انوشروان من الملوك فى بعض هذه البقاع والمواضع ممايلى الاسلام من بلاد بردعة ملك يقال له شروان ومملكته مضافة الى اسمه فيقال لها شروان شاه وكل

ان يجعله حيث أراد فاصنعت بعدى قال زوجنى أبى آمنة بنت وهب قالت فاطمة بنت مر

انى رأيت مخيلة لمعت * فتلألأت بحناتم القطر
فلمأتها نورا يضيء به * ماحوله كاضاءة البدر
ورأيت سقياها حيا بلد * وقعت به وعمارة القفر
فرجوته فخرا أبوء به * ما كل قادح زنده يورى
لله ما زهرية سلبت * منك الذى سلبت وما تدرى

وقالت أيضا فى ذلك

بنى هاشم قد غادرت من أخيكم * أمينة اذ للباه يعتركان
كما غادر المصباح عند خموده * فتائل قد بلت له بدهان
فما كل ما يحوى الفتى من ملاذه * لعزم ولا ما فاته لتوان
فأجمل اذا طالبت أمرا فانه * سيكفيكه جدان يعتلجان
سيكفيكه اما يد مقفعلة * واما يد مبسوطة ببنان
ولما حوت منه أمينة ما حوت * حوت منه فخرا ما لذلك شانى

وقيل ان الذى اجتاز بها غير هذا والله أعلم قال الزهرى أرسل عبد المطلب ابنه عبد الله الى المدينة يمتار لهم تمرا فمات بالمدينة وقيل بل كان فى الشام فاقبل فى عير قريش فنزل بالمدينة وهو مريض فتوفى بها ودفن فى دار النابغة الجعدى وله خمس وعشرون سنة وقيل ثمان وعشرون سنة وتوفى قبل ان يولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عائذ بن عمرو بالذال المعجمة والياء تحتها نقطتان وعبيد بفتح العين وكسر الباء الموحدة وعويج بفتح العين وكسر الواو وآخره جيم (ابن عبد المطلب) واسمه شيبة سمى بذلك لانه كان فى رأسه لما ولد شيبة وأمه سلمى بنت عمرو بن زيد الخزرجية النجارية ويكنى أبا الحرث وانما قيل له عبد المطلب لان أباه هاشما شخص فى تجارة الى الشام فلما قدم المدينة نزل على عمرو بن لبيد الخزرجى من بنى النجار فرأى ابنته سلمى فاعجبته فتزوجها وشرط أبوها ان لا تلد ولدا الا فى أهلها ثم مضى هاشم لوجهه وعاد من الشام فبنى بها فى أهلها ثم حملها الى مكة فحملت فلما أثقلت ردها الى أهلها ومضى الى الشام فمات بغزة فولدت له سلمى عبد المطلب فمكث بالمدينة سبع سنين ثم ان رجلا من بنى الحرث بن عبد مناف مر بالمدينة فاذا غلمان ينتضلون فجعل شيبة اذا أصاب قال انا ابن هاشم أنا ابن سيد البطحاء فقال له الحارثى من أنت قال أنا ابن هاشم بن عبد مناف فلما أتى الحارثى مكة قال للمطلب وهو بالحجر يا أبا الحرث تعلم انى وجدت غلمانا بيثرب وفيهم ابن أخيك ولا يحسن ترك مثله فقال المطلب لا ارجع الى أهلى حتى آتى به فاعطاه الحارثى ناقة فركبها وقدم المدينة عشاء فرأى غلمانا يضربون كرة فعرف ابن أخيه فسأل عنه فاخبر به فاخذه وأركبه على عجز الناقة وقيل بل أخذه باذن أمه وسار الى مكة فقدمها ضحوة والناس فى مجالسهم فجعلوا يقولون له من هذا وراءك فيقول هذا عبدى حتى أدخله منزله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم فقالت من هذا معك قال عبدلى واشترى له حلة فلبسها ثم خرج به العشى فجلس الى مجالس بنى عبد مناف فاعلمهم انه ابن أخيه فكان بعد ذلك يطوف بمكة فيقال هذا عبد المطلب لقوله هذا عبدى ثم أوقفه المطلب على ملك أبيه فسلمه اليه فعرض له نوفل بن عبد مناف وهو عمه الآخر بعد موت المطلب فى ركح له وهو الفناء فاخذه فمشى عبد المطلب الى رجالات قريش وسألهم النصرة على عمه فقالوا والله ماندخل بينك وبين عمك فكتب الى أخواله من بنى النجار

بصف

ملك يلى هذا الصقع يقال له شروان وتكون مملكته فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة نحو شهر لانه كان تغلب على مواضع لم يكن رسمها له أنوشروان فانضافت الى ملكه والملك فى هذا الوقت المؤرخ والله أعلم مسلم يقال له محمد ابن يزيد وهو من ولد بهرام جور لا خلف فى نسبه وكذلك ملك السرير من ولد بهرام جور وكذلك صاحب خراسان فى هذا الوقت المؤرخ من ولد اسمعيل بن أحمد واسمعيل من ولد بهرام جور لا خلاف فيما ذكرنا من شهرة انساب من ذكرنا وقد تملك محمد هذا وهو شروان على مدينة الباب والابواب وذلك بعد موت صهر له يقال له عبد الملك بن هشام وكان رجلا من الانصار وكان قيد بامرة الباب والابواب وقد كانوا قطنوا تلك الديار منذ دخلها مسلمة بن عبد الملك وغيره من أمراء الاسلام فى صدر الزمان وتلى مملكة شروان مملكة أخرى من جبل القبخ يقال لها الارّان وملكها يدعى الارّانشاه وقد غلب على هذه المملكة فى هذا الوقت شروان أيضا وعلى مملكة أخرى يقال لها مملكة

يصف لهم حاله فخرج أبو سعيد بن عدس النجاري فى ثمانين راكبا حتى أتى الابطح فخرج عبد المطلب يتلقاه فقال له المنزل ياخال قال حتى ألقى نوفلا وأقبل حتى وقف على رأسه فى الحجر مع مشايخ قريش فسل سيفه ثم قال ورب هذه البنية لتردن على ابن أختنا ركحه أو لأملأن منك السيف قال فانى ورب هذه البنية أرد عليه ركحه فاشهد عليه من حضر ثم قال لعبد المطلب المنزل يا ابن أختى فاقام عنده ثلاثا فاعتمروا وانصرفوا فدعا ذلك عبد المطلب الى الحلف فدعا بشر بن عمرو وورقاء بن فلان ورجالا من رجالات خزاعة فحالفهم فى الكعبة وكتبوا كتابا وكان الى عبد المطلب السقاية والرفادة وشرف فى قومه وعظم شأنه ثم انه حفر زمزم وهى بئر اسمعيل بن ابراهيم عليه السلام التى أسقاه الله تعالى منها فدفنتها جرهم وقد تقدم ذكر ذلك وكان سبب حفره اياها انه قال بينا أنا نائم بالحجر اذ أتانى آت فقال احفر طيبة قال قلت وما طيبة قال ثم ذهب فرجعت الغد الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر برة قال قلت وما برة قال ثم ذهب عنى قال فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر المضنونة قال قلت وما المضنونة قال فذهب عنى فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر زمزم انك ان حفرتها لا تندم فقلت وما زمزم قال تراث من أبيك الاعظم لا تنزف أبدا ولا تذم تسقى الحجيج الاعظم مثل نعام جافل لم يقسم ينذر فيها ناذر لمنعم يكون ميراثا وعقد محكم ليس كبعض ما قد تعلم وهى بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل فلما بين له شأنها ودل على موضعها وعرف انه قد صدق غدا بمعوله ومعه ابنه الحرث ليس له ولد غيره فحفر بين اساف ونائلة فى الموضع الذى تنحر قريش لاصنامها وقد رأى الغراب ينقر هنالك فلما بدا له الطوى كبر فعرفت قريش انه قد أدرك حاجته فقاموا اليه فقالوا انها بئر ابينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا معك قال ما أنا بفاعل هذا أمر خصصت به دونكم قالوا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها قال فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم قالوا كاهنة بنى سعد بن هذيم وكانت بمشارف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر حتى اذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فنى ماء عبد المطلب وأصحابه فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة فطلبوا الماء ممن معهم من قريش فلم يسقوهم فقال لاصحابه ماذا ترون فقالوا رأينا تبع لرأيك فمرنا بما شئت قال فانى أرى ان يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة فكلما مات واحد واراه أصحابه حتى يكون آخركم موتا فقد وارى الجميع فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب قالوا نعم ما رأيت ففعلوا ما أمرهم به ثم ان عبد المطلب قال لاصحابه والله ان القاءنا بايدينا هكذا للموت لا نضرب فى الارض ونبتغى لانفسنا العجز فارتحلوا ومن معه من قبائل قريش ينظرون اليهم ثم ركب عبد المطلب فلما انبعثت به راحلته انفجرت من تحت خفها عين عذبة من ماء فكبر وكبر أصحابه وشربوا وملؤا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلموا الى الماء فقد سقانا الله فقال أصحابه لا نسقيهم لانهم لم يسقونا فلم يسمع منهم وقال فنحن اذا مثلهم فجاء أولئك القرشيون فشربوا وملؤا أسقيتهم وقالوا قد والله قضى الله لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك فى زمزم أبدا ان الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذى سقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجعوا اليه ولم يصلوا الى الكاهنة وخلوا بينه وبينها فلما فرغ من حفرها وجد الغزالين اللذين دفنتهما جرهم فيها وهما من ذهب ووجد فيها اسيافا قلعية وأدراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك فى هذا شرك وحق فقال لا ولكن هلم الى أمر نصف بينى وبينكم نضرب

الموقانية والمعول فى مملكته على مملكة اللكز وهى أمة لا تحصى كثرة ساكنة فى أعالى هذا الجبل ومنهم كفار لا ينقادون الى ملك شروان يقال لهم الدودانية جاهلية لا يرجعون الى قبلة ولهم أخبار ظريفة فى المناكح والمعاملات وهذا الجبل ذو أودية وشعاب وفجاج فيه امم لا يعرف بعضهم بعضا لخشونة هذا الجبل وامتناعه وذهابه فى الجو وكثرة غياضه واشجاره وتسلسل المياه من أعلاه وعظم صخوره وأحجاره وغلب هذا الرجل المعروف بشروان على ممالك كثيرة من هذا الجبل كان رسمها كسرى أنوشروان لغيره ممارتب هنالك فاضافها محمد بن يزيد الى ملكه منها خراسان شاه وزادان شاه وسنذكر بعد هذا الموضع تغلبه على مملكة شروان وقد كان قبل ذلك على الازان هو وأبوه من قبل ثم على سائر الممالك وتلى مملكة شروان فى جبل الفتح مملكة طبرستان وملكها فى هذا الوقت مسلم وهو ابن أخت عبد الملك الذى كان أمير الباب وهى أول الامم المتصلة بالباب والابواب ويادى

علىها بالقداح فقالوا كيف نصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولكم قدحين ولي قدحين فمن خرج قدحه على شئ أخذه ومن تخلف قداحه فلا شئ له قالوا أنصفت ففعلوا ذلك وضربت القداح عند هبل فخرج قدحا الكعبة على الغزالين وخرج قدحا عبد المطلب على الاسياف والادراع ولم يخرج لقريش شئ من القداح فضرب عبد المطلب الاسياف بابا للكعبة وجعل فيه الغزالين صفائح من ذهب فكان أول ذهب حليت به الكعبة وقيل بل بقيا في الكعبة وسرقا على ما نذكره وأقبل الناس والحجاج على بئر زمزم تبركا بها ورغبة فيها وأعرضوا عما سواها من الابيار ولما رأى عبد المطلب تظاهر قريش عليه نذر لله تعالى ان رزقه عشرة من الولدان يبلغون أن يمنعوه ويذبوا عنه نحر أحدهم قربانا لله تعالى وقد ذكر النذر في اسم عبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم وعبد المطلب أول من خضب بالوسمة وهو السواد لان الشيب أسرع اليه وكان لعبد المطلب جار يهودي يقال له اذينة يتجر وله مال كثير فغاظ ذلك حرب بن أمية وكان نديم عبد المطلب فاغرى به فتيانا من قريش ليقتلوه ويأخذوا ماله فقتله عامر بن عبد مناف بن عبد الدار وصخر بن عمرو بن كعب التيمي جد أبي بكر رضي الله عنه فلم يعرف عبد المطلب قاتله فلم يزل يبحث حتى عرفهما واذا هما قد استجارا بحرب بن أمية فاتى حربا ولامه وطلبهما منه فاخفاهما فتغالظا في القول حتى تنافرا الى النجاشي ملك الحبشة فلم يدخل بينهما فجعلا بينهما نفيل بن عبد العزى العدوي جد عمر ابن الخطاب فقال لحرب يا أبا عمرو أتنافر رجلا هو أطول منك قامة وأوسم وسامة وأعظم منك هامة وأقل منك ملامة وأكثر منك ولدا وأجزل منك صفدا وأطول منك مددا واني لاقول هذا وانك لبعيد الغضب رفيع الصوت في العرب جلد المريرة لحبل العشيرة ولكنك نافرت منفرا فغضب حرب وقال من انتكاس الزمان أن جعلت حكما فترك عبد المطلب منادمة حرب ونادم عبد الله بن جدعان التيمي وأخذ من حرب مائة ناقة فدفعها الى ابن عم اليهودي وارتجع ماله الا شيأ هلك فغرمه من ماله وهو أول من تحنث بحراء فكان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين جميع الشهر وتوفي وله مائة وعشرون سنة وكان قد عمي وقيل غير ذلك

(ابن هاشم) واسم هاشم عمرو وكنيته أبو نضلة وانما قيل له هاشم لانه أول من هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه قال ابن الكلبي كان هاشم أكبر ولد عبد مناف والمطلب أصغرهم أمه عاتكة بنت مرة السلمية ونوفل وأمه واقدة وعبد شمس فسادوا كلهم وكان يقال لهم المجيرون وهم أول من أخذ لقريش العصم فانتشروا من الحرم أخذ لهم هاشم خيلا من الروم وغسان بالشام وأخذ لهم عبد شمس خيلا من النجاشي بالحبشة وأخذ لهم نوفل خيلا من الاكاسرة بالعراق وأخذ لهم المطلب خيلا من حمير باليمن فاختلفت قريش بهذا السبب الى هذه النواحي فجبر الله بهم قريشا وقيل ان عبد شمس وهاشما توأمان وان أحدهما ولد قبل الآخر واصبع له ملتصقة بجبهة صاحبه فنحيت فسال الدم فقيل يكون بينهما دم وولي هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان اليه من السقاية والرفادة فحسده أمية بن عبد شمس على رياسته واطعامه فتكلف ان يصنع صنيع هاشم فعجز عنه فشمت به ناس من قريش فغضب ونال من هاشم ودعاه الى المنافرة فكره هاشم ذلك لسنه وقدره فلم تدعه قريش حتى نافره على خمسين ناقة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي أمية وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وهو جد عمرو بن الحمق ومنزله بعسفان وكان مع أمية همهمة بن عبد العزى الفهري وكانت ابنته عند أمية فقال الكاهن والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق

هاشم

أهل الباب والابواب مملكة يقال لها حيدان وهذه الامة داخلة في جملة ملوك الخزر وقد كانت دار مملكتها مدينة على ثمانية أيام من مدينة الباب يقال لها سمندر وهي اليوم يسكنها خلق من الخزر وذلك انها افتتحت في بدء الزمان افتتحها سليمان بن ربيعة الباهلي رضي الله تعالى عنه فانتقل الملك عنها الى مدينة آمل وبينها وبين الاولى سبعة أيام وآمل التي يسكنها ملك الخزر في هذا الوقت ثلاث قطع يقسمها نهر عظيم يرد من أعالي بلاد الترك يتشعب منه شعبة نحو بلاد البلغر وتصب في بحر مانطش وهذه المدينة جانبان وفي وسط النهر جزيرة فيها دار الملك وقصر الملك في وسط هذه الجزيرة وبها جسر الى أحد الجانبين من سفن وفي هذه المدينة خلق من المسلمين والنصارى واليهود والجاهلية فأما اليهود فالملك وحاشيته والخزر من جنسه وكان تهود ملك الخزر في خلافة هرون الرشيد وقد انضاف اليه خلق من اليهود وردوا عليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم وذلك أن ملك الروم نقل من كان في ملكه من اليهود الى دين

هاشم أمية الى المنافر أوّل منه وآخر وأبو همهمة بذلك خابر فقضى لهاشم بالغلبة وأخذ هاشم الابل فنحرها وأطعمها وغاب أمية عن مكة بالشام عشر سنين فكانت هذه أوّل عداوة وقعت بين هاشم وأمية وكان يقال لهاشم والمطلب البدران لجمالهما ومات هاشم بغزة وله عشرون سنة وقيل خمس وعشرون سنة وهو أوّل من مات من بنى عبد مناف ثم مات عبد شمس بمكة فقبر باجياد ثم مات نوفل بسلمان من طريق العراق ثم مات عبد المطلب بردمان من أرض العراق وكانت الرفادة والسقاية بعد هاشم الى أخيه المطلب لصغر ابنه عبد المطلب بن هاشم ﴿ابن عبد مناف﴾ واسمه المغيرة وكنيته أبو عبد شمس وكان يقال له القمر لجماله وكانت أمه حين ولدته دفعته الى مناف صنم بمكة تدينا بذلك فغلب عليه عبد مناف وكان عبد مناف وعبد العزى وعبد الدار بنو قصى اخوة أمهم حبى ابنة حليل ابن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة وهو الذى عقد الحلف بين قريش والاحابيش والاحابيش بنو الحرث بن عبد مناف بن كنانة وبنو المصطلق من خزاعة وبنو الهون من خزيمة وكان قصى يقول ولد لى أربعة بنين فسميت ابنين بالهى وهما عبد مناف وعبد العزى وواحد بدارى وهو عبد الدار وواحد بى وهو عبد بن قصى حليل بضم الحاء المهملة وفتح اللام الاولى وحبشية بضم الحاء ﴿ابن قصى﴾ واسمه زيد وكنيته أبو المغيرة وانما قيل له قصى لان ربيعة بن حرام بن ضبة بن عبد بن كثير بن عذرة بن سعد بن زيد تزوج أمه فاطمة ابنة سعد بن سيل واسمه جبر بن جمالة بن عوف وهى أيضا أم اخيه زهرة ونقلها الى بلاد عذرة من مشارف الشام وحملت معها قصيا لصغره وتخلف زهرة فى قومه لكبره فولدت أمه فاطمة لربيعة ابن حرام رزاح بن ربيعة فهو أخو قصى لامه وكان لربيعة ثلاثة نفر من امرأة أخرى وهم حن بن ربيعة ومحمود وجلهمة وقيل ان حنا كان أخا قصى لامه فشب زيد فى حجر ربيعة فسمى قصيا لبعده عن دار قومه وكان قصى ينتمى الى ربيعة الى ان كبر وكان بينه وبين رجل من قضاعة شئ فعيره القضاعى بالغربة فرجع قصى الى أمه وسألها عما قال فقالت له يا بنى أنت أكرم منه نفسا وأبا انت ابن كلاب بن مرة وقومك بمكة عند البيت الحرام فصبر حتى دخل الشهر الحرام وخرج مع حاج قضاعة حتى قدم مكة وأقام مع اخيه زهرة ثم خطب الى حليل بن حبشية الخزاعى ابنته حبى فزوجه وحليل يومئذ يلى الكعبة فولدت أولاده عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد بن قصى وكثر ماله وعظم شرفه وهلك حليل وأوصى بولاية البيت لابنته حبى فقالت انى لا اقدر على فتح الباب واغلاقه فجعل فتح الباب واغلاقه الى ابنه المحترش وهو أبو غبشان فاشترى قصى منه ولاية البيت بزق خمر وبعود فضربت به العرب المثل فقالت اخسر صفقة من أبى غبشان فلما رأت ذلك خزاعة كثروا على قصى فاستنصر اخاه رزاحا فحضر هو واخوته الثلاثة فيمن تبعه من قضاعة الى نصرته ومع قصى قومه بنو النضر وتهيأ للحرب خزاعة وبنى بكر وخرجت اليهم خزاعة فاقتتلوا قتالا شديدا وكثرت القتلى فى الفريقين والجراح ثم تداعوا الى الصلح على ان يحكموا بينهم عمرو بن عوف بن كعب بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة فقضى بينهم بان قصيا أولى بالبيت ومكة من خزاعة وان كل دم أصابه من خزاعة وبنى بكر موضوع فيشدخه تحت قدميه وان كل دم أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وبنى كنانة ففى ذلك الدية مؤداة فسمى يعمر والشداخ بما شدخ من الدماء وما وضع منها فولى قصى البيت وأمر مكة وقيل ان حليل بن حبشية أوصى قصيا بذلك وقال انت أحق بولاية البيت من خزاعة فجمع قومه وأرسل الى أخيه يستنصره فحضر فى قضاعة فى الموسم وخرجوا الى عرفات وفرغوا من الحج ونزلوا منى وقصى مجمع على حربهم وانما ينتظر فراغ الناس

النصرانية وأكرههم وهو أرميوس ملك الروم فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كيفية أخبار ملك الروم وأعدادهم وأخبار هذا الملك ومن قد شاركه فى ملكه فى هذا الوقت المؤرخ فنهار بخلق من اليهود من أرض الروم الى أرضه على ما وصفنا وكان لليهود مع ملك الخزر خبر ليس هذا موضع ذكره وقد ذكرناه فيما سلف من كتبنا وأما من فى بلاده من الجاهلية فأجناس منهم الصقالبة والروس وهم فى احد جانبى هذه المدينة ويحرقون موتاهم ودوابهم وآلاته والحلى واذا مات الرجل أحرقت معه امرأته وهى فى الحياة وان ماتت المرأة لم يحرق الرجل وان مات أعزب زوج بعد وفاته والنساء يرغبن فى تحريق أنفسهن لدخولهن عند أنفسهن الجنة وهذا فعل من أفعال الهند على حسب ما ذكرنا آنفا الا أن الهند ليس من شأنها ان تحرق المرأة مع زوجها الا أن ترى ذلك المرأة والغالب فى هذا البلد المسلمون لانهم جند الملك وهم يعرفون فى هذا

من جمهم فلما نزلوا منى ولم يبق الا الصدر وكانت صوفة تدفع بالناس من عرفات وتجيزهم اذا تفرقوا من منى اذ كان يوم النفر أتوا لرمى الجمار ورجل من صوفة يرمى للناس لا يرمون حتى يرمى فاذا فرغوا من منى أخذت صوفة بناحيتى العقبة وحبسوا الناس فقالوا أجيزى صوفة فاذا نفرت صوفة ومضت خلى سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فلما كان ذلك العام فعلت صوفة كما كانت تفعل قد عرفت لها العرب ذلك فهو دين فى أنفسهم فاتاهم قصى ومن معه من قومه ومن قضاعة فمنعهم وقال نحن أولى بهذا منكم فقاتلوه وقاتلهم قتالا شديدا فانهزمت صوفة وغلبهم قصى على ما كان بايديهم وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر وعرفوا انه سيمنعهم كما منع صوفة فلما انحاز واعنه بادأهم فقاتلهم فكثر القتل فى الفريقين وأجلى خزاعة عن البيت وجمع قصى قومه الى مكة من الشعاب والاودية والجبال فسمى مجمعا ونزل بنى بغيض بن عامر ابن لؤى وبنى تيم الادرم بن غالب بن فهر وبنى محارب بن فهر وبنى الحرث بن فهر الابنى هلال بن أهيب رهط أبى عبيدة بن الجراح والارهط عياض بن غنم بظواهر مكة فسموا قريش الظواهر وتسمى سائر بطون قريش البطاح وكانت قريش الظواهر تغير وتغزو وتسمى قريش البطاح الضب للزومها الحرم فلما نزل قصى قريشا بمكة وماحولها ملكوه عليهم فكان أول ولد كعب بن لؤى أصاب ملكا أطاعه به قومه وكان اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف قريش كله وقسم مكة ارباعا بين قومه فبنوا المساكن واستأذنوه فى قطع الشجر فمنعهم فبنوا والشجر فى منازلهم ثم انهم قطعوه بعد موته وتيمنت قريش بامره فما تنكح امرأة ولا رجل الا فى داره ولا يتشاورون فى أمر ينزل بهم الا فى داره ولا يعقدون لواء للحرب الا فى داره يعقده بعض ولده وما تدرع جارية اذا بلغت ان تدرع الا فى داره وكان أمره فى قومه كالدين المتبع فى حياته وبعد موته فاتخذ دار الندوة وبابها فى المسجد وفيها كانت قريش تقضى أمورها فلما كبر قصى ورق وكان ولده عبد الدار أكبر ولده وكان ضعيفا وكان عبد مناف قد ساد فى حياة أبيه وكذلك اخوته فقال قصى لعبد الدار والله لألحقنك بهم فأعطاه دار الندوة والحجابة وهى حجابة الكعبة واللواء فهو كان يعقد لقريش ألويتهم والسقاية كان يسقى الحاج والرفادة وهى خرج تخرجه قريش فى كل موسم من أموالها الى قصى بن كلاب فيصنع منه طعاما للحاج يا كله الفقراء وكان قصى قد قال لقومه انكم جيران الله وأهل بيته وان الحاج ضيف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج ففعلوا فكانوا يخرجون من أموالهم فيصنع به الطعام أيام منى فجرى الامر على ذلك فى الجاهلية والاسلام الى الآن فهو الطعام الذى يصنعه الخلفاء كل عام بمنى فأما الحجابة فهى فى ولده الى الآن وهم بنو شيبة بن عثمان بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان ابن عبد الدار وأما اللواء فلم يزل فى ولده الى أن جاء الاسلام فقال بنو عبد الدار يارسول الله اجعل اللواء فينا فقال الاسلام أوسع من ذلك فبطل وأما الرفادة والسقاية فان بنى عبد مناف ابن قصى عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفل أجمعوا أن يأخذوها من بنى عبد الدار لشرفهم عليهم وفضلهم فتفرقت عند ذلك قريش فكانت طائفة مع بنى عبد مناف وطائفة مع بنى عبد الدار لا يرون تغيير ما فعله قصى وكان صاحب أمر بنى عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار فكان بنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة وبنو الحرث بن فهر مع بنى عبد مناف وكان بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدى مع بنى عبد الدار فتحالف كل قوم حلفا مؤكدا وأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوأة طيبا فوضعوها عند الكعبة وتحالفوا وجعلوا أيديهم فى الطيب

البلد بالالورشية وهم ناقلة من نحو بلاد خوارزم وكان فى قديم الزمان بعد ظهور الاسلام وقع فى بلادهم جدب ووباء فانتقلوا الى ملك الخزر وهم ذوو بأس وشدة وعليهم يعول ملك الخزر فى حروبه وأقاموا فى بلده على شروط بينهم أحدها اظهار الدين والمساجد والاذان وثانيها أن تكون وزارة الملك فيهم والوزير فى وقتنا هذا منهم هو أحمد بن كويه وثالثها أنه متى كان للملك الخزر حرب مع المسلمين وقفوا فى عسكره منفردين عن غيرهم لا يحاربون أهل ملتهم ويحاربون معه سائر الناس من الكفار ويركب منهم مع الملك فى هذا الوقت نحو من سبعة آلاف ناشب بالجواشن والدروع والخود ومنهم رامحة أيضا على حسب ما فى المسلمين من آلات السلاح ولهم قضاة مسلمون ورسم دار مملكة الخزر أن يكون فيها قضاة سبعة اثنان منهم للمسلمين واثنان للخزر يحكمون بحكم التوراة واثنان لمن بها من النصرانية يحكمون بحكم النصرانية وواحد منهم للصقالبة والروس وسائر الجاهلية يحكم باحكام الجاهلية

فسموا المطيبين وتعاقد بنو عبد الدار ومن معهم وتحالفوا فسموا الاحلاف وتعبوا للقتال ثم تداعوا الى الصلح على ان يعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة فرضوا بذلك وتحاجز الناس عن الحرب واقترعوا عليها فصارت لهاشم بن عبد مناف ثم بعده للمطلب بن عبد مناف ثم لابى طالب ابن عبد المطلب ولم يكن له مال فادّان من أخيه العباس بن عبد المطلب بن عبد مناف مالا فأنفقه ثم عجز عن الاداء فاعطى العباس السقاية والرفادة عوضا عن دينه فوليها ثم ابنه عبد الله ثم على بن عبد الله ثم محمد بن على ثم داود بن على ثم سليمان بن على ثم وليها المنصور وصار يليها الخلفاء وأما دار الندوة فلم تزل لعبد الدار ثم لولده حتى باعها عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار من معاوية فجعلها دار الامارة بمكة وهى الآن فى الحرم معروفة مشهورة ثم هلك قصى فاقام أمره فى قومه من بعده ولده وكان قصى لا يخالف سيرته وأمره ولما مات دفن بالحجون فكانوا يزورون قبره ويعظمونه وحفر بمكة بئرا سماها العجول وهى أول بئر حفرتها قريش بمكة (سهيل بفتح السين المهملة والياء المثناة التحتية وحرام بفتح الحاء والراء المهملتين ورزاح بكسر الراء وفتح الزاى و بعد الالف حاء مهملة وحبى بضم الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة وملكان بكسر الميم وسكون اللام وأما ملكان بن حزم بن ريان وملكان بن عباد بن عياض فهما بفتح الميم واللام) (ابن كلاب) ويكنى أبا زهرة وأم كلاب هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحرث بن فهر بن مالك وله اخوان لابيه من غير أمه وهما تيم و يقظة أمهما أسماء بنت جارية البارقية وقيل يقظة لهند بنت سرير أم كلاب (يقظة بالياء تحتها نقطتان و بفتح القاف والظاء المعجمة) (ابن مرة) ويكنى أبا يقظة وأم مرة محشية ابنة شيبان بن محارب بن فهر وأخواه لابيه وامه هصيص وعدى وقيل أم عدى رقاش بنت ركبة بن نائلة بن كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان (هصيص بضم الهاء وفتح الصاد المهملة بعدها ياء تحتها نقطتان وصاد ثانية) (ابن كعب) و يكنى أبا هصيص وأم كعب مارية ابنة كعب بن القين بن جسر القضاعية وله اخوان لابيه وامه أحدهما عامر والآخر سامة ولهم من أبيهم اخ كان يقال له عوف أمه الباردة ابنة عوف بن غنم ابن عبد الله بن غطفان وانتمى ولده الى غطفان وكان خرج مع امه الباردة الى غطفان فتزوجها سعد بن ذبيان فتبناه سعد ولكعب أيضا اخوان من غير أمه أحدهما خزيمة وهى عائذة قريش وعائذة أمه وهى ابنة الخمس بن قحافة من خثعم والآخر سعد و يقال له بنانة و بنانة أمه فأهل البادية منهم فى بنى سعد بن همام فى بنى شيبان بن ثعلبة والحاضرة ينتمون الى قريش وكان كعب عظيم القدر عند العرب فلهذا أرخوا لموته الى عام الفيل ثم ارخوا بالفيل وكان يخطب الناس أيام الحج وخطبته مشهورة يخبر فيها بالنبى صلى الله عليه وسلم (جسر بفتح الجيم وسكون السين المهملة وآخره راء) (ابن لؤى) ويكنى أبا كعب وأم لؤى عاتكة ابنة يخلد بن النضر بن كنانة وهى أول العواتك اللاتى ولدن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وله اخوان احدهما تيم الادرم والادرم نقصان فى الذقن قيل انه كان ناقص اللحى والآخر قيس ولم يبق منهم أحد وآخر من مات منهم فى زمن خالد بن عبد الله القسرى فبقى ميراثه لا يدرى من يستحقه وقيل ان أمهم سلمى بنت عمرو بن ربيعة وهو يحيى بن حارثة الخزاعى (يخلد بفتح الياء تحتها نقطتان وسكون الخاء المعجمة و بعد اللام دال مهملة) (ابن غالب) ويكنى أبا تيم وام غالب ليلى ابنة الحرث بن تيم ابن سعد بن هذيل واخوته من أبيه وامه الحرث ومحارب وأسد وعوف وجون وذئب وكانت محارب والحرث من قريش الظواهر فدخلت الحرث الابطح (ابن فهر) ويكنى أبا غالب وفهر

وهى قضايا عقلية فاذا ورد عليهم مالا علم لهم به من النوازل العظام اجتمعوا الى قضاة المسلمين فتحاكموا اليهم وانقادوا الى ماتوجبه شريعة الاسلام وليس فى ملوك الشرق فى هذا الصقع من له جند مرتزقة غير ملك الخزر وكل مسلم من تلك الديار يعرف باسماء هؤلاء القوم اللارسية والروس والصقالبة الذين ذكرنا انهم جاهلية من جند الملك وعبيده وفى بلاده خلق من المسلمين تجار وصناع غير اللارسية فى طرف بلده لعدله وأمنه ولهم مسجد جامع والمنارة تشرف على قصر الملك ولهم مساجد أخر فيها المكاتب لتعليم الصبيان القرآن فاذا اتفق المسلمون ومن بها من النصارى لم يكن للملك بهم طاقة (قال المسعودى) وليس اخبارنا عن ملك الخزر نريد به خاقان وذلك ان للخزر ملكا يقال له خاقان وسمعه ان يكون فى يدى ملك آخر هو وغيره فخاقان فى جوف قصر لا يعرف الركوب ولا الظهور للخاصة ولا للعامة ولا الخروج من مسكنه معه حرمه لا يأمر ولا ينهى ولا يدبر من أمر المملكة شيأ ولا تستقيم

هو جماع قريش فى قول هشام وامه جندلة بنت عامر بن الحرث بن مضاض الجرهمى وقيل غير ذلك وكان فهر رئيس الناس بمكة وكان حسان فيما قيل اقبل من اليمن مع حمير وغيرهم يريد أن ينقل احجار الكعبة الى اليمن فنزل بنخلة فاجتمع قريش وكنانة وخزيمة وأسد وجذام وغيرهم ورئيسهم فهر بن مالك فاقتتلوا قتالا شديدا واسر حسان وانهزمت حمير وبقى حسان بمكة ثلاث سنين وافتدى نفسه وخرج فمات بين مكة واليمن (ابن مالك) وكنيته أبو الحرث وامه عاتكة بنت عدوان وهو الحرث بن قيس عيلان ولقبه عكرشة وقيل غير ذلك (ابن النضر) ويكنى أبا يخلد كنى بابنه يخلد واسم النضر قيس وقيل ان النضر بن كنانة كان اسمه قريشا وقيل لما جمعهم قصى قيل لهم قريش والتقرش التجمع وقيل لما ملك قصى الحرم وفعل افعالا جميلة قيل له القرشى وهو أول من سمى به وهو من الاجتماع أيضا أى لاجتماع خصال الخير فيه وقد قيل فى تسمية قريش قريشا أقوال كثيرة لا حاجة الى ذكرها وقصى أول من احدث وقود النار بالمزدلفة وكانت توقد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده وانما قيل له النضر لجماله وامه برة ابنة مر بن أد بن طابخة اخت تميم بن مر واخوته لابيه وأمه نصير ومالك وملكان وعامر والحرث وعمرو وسعد وعوف وغنم ومخرمة وجرول وغزوان وجدال وأخوهم لابيهم عبد مناة وأمه فكيهة وهى الذفراء ابنة هنى بن بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وأخو عبد مناة لامه على بن مسعود بن مازن الغسانى وكان قد حضن أولاد أخيه عبد مناة فنسبوا اليه فقيل لبنى عبد مناة بنو على واياهم عنى الشاعر بقوله

لله در بنى على ... أيم منهم وناكح

وقيل تزوج امرأة عبد مناة فولدت له وحضن بنى عبد مناة فغلب على نسبهم ثم وثب مالك بن كنانة على على بن مسعود فقتله فواراه أسد بن خزيمة (ابن كنانة) ويكنى ابا النضر وام كنانة عوانة بنت سعد بن قيس عيلان وقيل هند ابنة عمرو بن قيس واخوته لابيه أسد وأسدة ويقال انه أبو جذام والهون وأمهم برة بنت مر وهى أم النضر خلف عليها بعد أبيه (ابن خزيمة) ويكنى ابا أسد وامه سلمى ابنة أسلم بن الحاف بن قضاعة وأخوه لامه تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف وأخوه خزيمة لابيه وأمه هذيل وقيل أمهما سلمى بنت أسد بن ربيعة وخزيمة هو الذى نصب هبل على الكعبة فكان يقال هبل خزيمة (اسلم بضم اللام) (ابن مدركة) واسمه عمرو ويكنى اباهذيل وقيل أبا خزيمة وأمه خندف وهى ليلى ابنة حلوان بن عمران وأمها ضرية ابنة ربيعة بن نزار وبها سمى حمى ضرية واخوه مدركة لابيه وأمه عامر وهو طابخة وعمير وهو قمعة يقال انه أبو خزاعة قال هشام خرج الياس فى نجعة له فنفرت ابله من أرنب فخرج اليها عمرو فادركها فسمى مدركة وأخذها عامر فطبخها فسمى طابخة وانقمع عمير فى الخباء فسمى قمعة وخرجت أمهم ليلى تمشى فقال لها الياس أين تخندفين فسميت خندف والخندفة ضرب من المشى (ابن الياس) وكان يكنى أبا عمرو وامه الرباب ابنة جندة بن معد وأخوه لابيه وامه الناس بالنون وهو عيلان وسمى عيلان لفرس له كان يدعى عيلان وقيل لانه ولد فى أصل جبل يسمى عيلان وقيل غير ذلك ولما توفى حزنت عليه خندف حزنا شديدا فلم تقم حيث مات ولم يظلها سقف حتى هلكت فضرب بها المثل وتوفى يوم الخميس فكانت تبكى كل خميس من غدوته الى الليل (ابن مضر) وأمه سودة بنت عك وأخوه لابيه وأمه اياد ولهما اخوان من أبيهما ربيعة وانمار أمهما جدالة ابنة وعلان من جرهم وذكر ان نزار بن معد لما حضرته الوفاة أوصى بنيه وقسم ماله بينهم فقال يا بنى هذه القبة وهى من أدم حمراء وما اشبهها من مالى لمضر فسمى مضر الحمراء وهذا الخباء الاسود وما اشبهه من مالى

مملكة الخزر وللحكم الا بخاقان يكون عنده فى دار مملكته ومعه فى حيزه فاذا أجدبت أرض الخزر أو نابت بلدهم نائبة أو توجهت عليهم حرب لغيرهم من الامم أو فاجأهم أمر من الامور نفرت الخاصة والعامة الى ملك الخزر فقالوا له قد تطيرنا بهذا الخاقان وأيامه وقد تشاءمنا به فاقتله أو سلمه الينا نقتله فربما سلمه اليهم فقتلوه وربما تولى هو قتله وربما رق له فدافع عنه لان قتله بلا جرم استحقه ولا ذنب أتاه هذا رسم الخزر فى هذا الوقت فلست أدرى فى قديم الزمان كان ذلك أم حدث وانما ينسب خاقان هذا الى أهل بيت وأعيانهم أرى ان الملك كان فيهم قديما والله أعلم وللخزر زوارق يركب فيها الركاب التجار فى نهر فوق المدينة يصب الى نهرها من أعاليها يقال له برطاس عليه أمم من الترك حاضرة داخلة فى جملة ممالك الخزر وعمائرهم متصلة بين ملك الخزر والبلغر يرد هذا النهر من حد بلاد البلغر والسفن تختلف فيه من البلغر والخزر وبرطاس أمة من الترك على ماذكرنا على هذا النهر المعروف

ربيعة وهذه الخادم وما اشبهها من مالى لاياد وكانت شمطاء فاخذ البلق والنقد من غنمه وهذه البردة والمجلس لانمار يجلس عليه فاخذ انمار ما أصابه فان أشكل فى ذلك عليكم شئ واختلفتم فى القسمة فعليكم بالافعى الجرهمى فاختلفوا فتوجهوا الى الافعى الجرهمى فبينما هم يسيرون فى مسيرهم اذ رأى مضر كلأ قد رعى فقال ان البعير الذى قد رعى هذا الكلأ لاعور وقال ربيعة هو أزور وقال اياد هو أبتر وقال انمار هو شرود فلم يسيروا الا قليلا حتى لقيهم رجل توضع به راحلته فسألهم عن البعير فقال مضر هو أعور قال نعم قال ربيعة هو أزور قال نعم وقال اياد هو أبتر قال نعم وقال انمار هو شرود قال نعم هذه صفة بعيرى دلونى عليه فحلفوا له ما رأوه فلزمهم وقال كيف اصدقكم وهذه صفة بعيرى فصاروا جميعا حتى قدموا نجران فنزلوا على الافعى الجرهمى فقص عليه صاحب البعير حديثه فقال لهم الجرهمى كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته يرعى جانبا ويدع جانبا فعرفت أنه أعور وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة والاخرى فاسدة الاثر فعرفت انه ازور وقال اياد عرفت انه أبتر باجتماع بعره ولو كان اذنب لمصع به وقال انمار عرفت انه شرود لانه يرعى المكان الملتف نبته ثم يجوزه الى مكان أرق منه نبتا وأخبث فقال الجرهمى ليسوا باصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم من هم فاخبروه فرحب بهم وقال اتحتاجون أنتم الىّ وأنتم كما أرى ودعا لهم بطعام فاكلوا وشربوا فقال مضر لم أر كاليوم خمرا أجود لولا انها انبتت على قبر وقال ربيعة لم أر كاليوم لحما اطيب لولا أنه ربى بابن كلبة وقال اياد لم أر كاليوم رجلا أسرى لولا أنه لغير أبيه الذى ينتمى اليه وقال انمار لم أر كاليوم كلاما أنفع لحاجتنا وسمع الجرهمى الكلام فعجب واتى أمه وسألها فاخبرته انها كانت تحت ملك لا يولد له فكرهت ان يذهب الملك فامكنت رجلا من نفسها فحملت به وسأل القهرمان عن الخمر فقال من حبلة غرستها على قبر أبيك وسأل الراعى عن اللحم فقال شاة أرضعتها ابن كلبة فقيل لمضر من أين عرفت الخمر فقال لانى أصابنى عطش شديد وقيل لربيعة فيما قال فذكر كلاما واتاهم الجرهمى وقال صفوا لى صفتكم فقصوا عليه قصتهم فقضى بالقبة الحمراء والدنانير والابل وهى حمر لمضر وقضى بالخباء الاسود والخيل الدهم لربيعة وقضى بالخادم وكانت شمطاء والماشية البلق لاياد وقضى بالارض والدراهم لانمار ومضر أول من حدا وكان سبب ذلك أنه سقط من بعيره فانكسرت يده فجعل يقول يايداه يايداه فاتته الابل من المرعى فلما صلح وركب حدا وكان من أحسن الناس صوتا وقيل بل انكسرت يد مولى له فصاح فاجتمعت الابل فوضع مضر الحداء وزاد الناس فيه وهو أول من قال حينئذ بصبصن اذ حدين بالاذناب فذهب مثلا وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا مضر وربيعة فانهما مسلمان (ابن نزار) وقيل كان يكنى ابا اياد وقيل أبا ربيعة أمه معانة ابنة جوشم بن جلهمة بن عمرو بن جرهم واخوته لابيه وأمه قنص وقناصة وسالم وجندة وجناد وجنادة والقحم وعبيد الرباح والعرف والعوف وشك وقضاعة وبه كان يكنى معد وعدة درجوا (ابن معد) وأمه مهدة ابنة اللهم ويقال اللهم بن حلجب بن جديس وقيل ابن طسم واخوته من أبيه الريث وقيل الريث عك وقيل عك بن الريث وعدن بن عدنان قيل هو صاحب عدن ابين واليه تنسب ابين ودرج نسله ونسل عدن وأد وأبى بن عدنان ودرج والضحاك والعنى فلحق ولد عدنان باليمن عند حرب بختنصر وحمل ارمياء وبرخيا معدا الى حران فاسكناه بها فلما سكنت الحرب رداه الى مكة فرأى اخوته قد لحقوا باليمن (ابن عدنان) ولعدنان أخوان يدعى أحدهما نبتا والآخر عامرا فنسب النبى صلى الله عليه وسلم لا يختلف الناس فيه الى معد بن عدنان على ماذكرت

بهم ومن بلادهم تحمل جلود الثعالب السود والحمر التى تعرف بالبرطاسية يبلغ الجلد منها مائة دينار وأكثر ذلك من السود والحمر أخفض ثمنا منها وتلبس السود منها ملوك العرب والعجم وتتنافس فى لبسه وهو أغلى عندهم من السمور والفنك وما شاكل ذلك وتتخذ الملوك منه القلانس والخفاف ويتعذر فى الملوك من ليس له خفان ودواج مبطن من هذه الثعالب البرطاسية السود وفى أعالى نهر الخزر مصب متصل بخليج من بحر اقريطش وهو بحر (الروس) لا يسلكه غيرهم وهو على ساحل من سواحلهم وهى أمة عظيمة جاهلية لا تنقاد الى ملك ولا شريعة وفيهم تجار يختلفون الى مدينة بحر البلغر والروس فى أرضهم معدن الفضة كثير نحو معدن الفضة الذى بجبل مهجير من أرض خراسان ومدينة البلغر على ساحل بحر مانطش وأرى انهم فى الاقليم السابع وهم نوع من الترك والقوافل متصلة بهم من بلاد خوارزم من أرض خراسان ومن خوارزم اليهم الا أن ذلك بين بوادى غيرهم من

و يختلفون فيما بعد ذلك اختلافا عظيما لا يحصل منه على غرض فتارة يجعل بعضهم بين عدنان وبين اسمعيل عليه السلام أربعة آباء ويجعل آخر بينهما أربعين أبا ويختلفون أيضا فى الاسماء أشد من اختلافهم فى العدد فحيث رأيت الامر كذلك لم أعرج على ذكر شئ منه ومنهم من روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى نسبه حديثا يصله باسمعيل ولا يصح فى ذلك الحديث

﴿ذكر الفواطم والعواتك﴾

وأما الفواطم اللاتى ولدن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمس قرشية وقيسيتان ويمانيتان أما القرشية فام أبيه عبد الله بن عبد المطلب فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم المخزومية وأما القيسيتان فام عمرو بن عايذ بن فاطمة ابنة عبد الله بن رزاح بن ربيعة بن حجوس بن معاوية ابن بكر بن هوازن وأمها فاطمة بنت الحرث بن بهثة بن سليم بن منصور واما اليمانيتان فام قصى ابن كلاب فاطمة بنت سعد بن سيل بن ازدشنوأة وأم حبي بنت حليل بن حبشية بن كعب بن سلول وهى أم ولد قصى فاطمة بنت نصر بن عوف بن عمرو بن ربيعة بن حارثة الخزاعية وأما العواتك فانهما عشرة اثنتان من قريش وواحدة من بنى يخلد بن النضر وثلاث من سليم وعدويتان وهذلية وقضاعية وأسدية فاما القرشيتان فام امه آمنة بنت وهب برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وأم برة أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى وأم أسد ريطة بنت كعب بن سعد بن تيم وأمه اميمة بنت عامر الخزاعية وأمها عاتكة بنت هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث بن فهم وأم هلال هند بنت هلال بن عامر بن صعصعة وأم أهيب بن ضبة عاتكة بنت غالب بن فهر وأمها عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة وأما السلميات فام هاشم بن عبد مناف عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن بهثة بن سليم بن منصور وأم عبد مناف عاتكة بنت هلال بن فالج والثالثة أم جده لامه وهب وهى عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال (قلت) هكذا ذكر بعض العلماء عواتك سليم وجعل أم عبد مناف عاتكة بنت مرة وليس بشئ فان أم عبد مناف حبي بنت حليل الخزاعية وقال غيره أم هاشم عاتكة بنت مرة وأم مرة بن هلال عاتكة بنت جابر بن قنفذ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم وأم هلال بن فالج عاتكة بنت عصية بن خفاف بن امرئ القيس وأما العدويتان فمن جهة أبيه عبد الله فان أم عبد الله فاطمة بنت عمرو وأم فاطمة تخمر بنت عبد قصى وأمها هند بنت عبد الله بن الحرث بن وايلة بن الظرب وأمها زينب بنت مالك بن ناصرة بن كعب الفهمية وأمها عاتكة بنت عامر بن الظرب بن عمرو بن عباد بن بكر بن الحرث وهو عدوان بن عمرو بن قيس عيلان وأم مالك بن النضر عاتكة وهى عكرشة وهى الحصان بنت عدوان وأما الازدية فام النضر بن كنانة بنت مرة بن أد أخت تميم وأمها مارية من بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار وأمها عاتكة بنت الازد بن الغوث وقد ولدته هذه الازدية مرة أخرى من قبل غالب بن فهر فان أم غالب ليلى بنت الحرث بن تميم بن سعد ابن هذيل وأمها سلمى بنت طابخة بن الياس بن مضر وأمها عاتكة بنت الازد هذه وأما الهذلية فعاتكة بنت سعد بن سيل هى أم عبد الله بن رزام جد عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم لامه وعمرو جد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو أمه وأما القضاعية فام كعب بن لؤى مارية بنت القين بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة وأمها وحشية بنت ربيعة بن حرام بن ضنة العذرية وأمها عاتكة بنت رشدان بن قيس بن جهينة وأما الاسدية فام كلاب بن مرة هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كلاب وأمها عاتكة بنت دودان بن أسد بن خزيمة (وعايذ بن عمران

الترك والقوافل محفرة منهم وملك البلغر فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مسلم اسلم فى أيام المقتدر وذلك بعد العشر والثلثمائة وذلك لرؤيا رآها وقد كان له ولد حج وورد مدينة السلام وحمل معه المقتدر لواء وبنودا ولهم جامع وهذا الملك غزا بلاد القسطنطينية فى نحو ألف فارس فصاعدا فشن الغارات حولها الى بلاد رومية والاندلس وأرض أرجان والجلالقة والافرنجة ومنهم الى القسطنطينية فى خليج آخر من البحر الرومى لا منفذ له الى غيره وانتهوا الى بلاد حرفيدية وأتاهم فى البحر جماعة من البلغر يحدونهم وأخبروهم ان ملكهم بالقرب وهذا يدل على ما وصفنا أن البلغر تتصل سراياها الى ساحل بحر الروم وكان نفر منهم ركبوا فى مراكب الترسوسيين فأتوا بهم الى بلاد ترسوس والبلغر أمة عظيمة منيعة شديدة البأس ينقاد الهم من جاورها من الامم والفارس ممن قد أسلم مع ذلك يقاتل المائة من الفرسان والمائتين من الكفار ولا يمنع أهل القسطنطينية منهم فى هذا

بالياء المثناة من تحتها والذال المعجمة وسعد بن سيل بفتح السين المهملة والياء المثناة من تحتها المفتوحة وحي بضم الحاء المهملة وبالياء المثناة من تحتها وتشديد الياء المهملة وحليل بضم الحاء المهملة وبالياء المثناة من تحتها وجسر بفتح الجيم وتسكين السين المهملة وحارثة بالحاء المهملة والثاء المثلثة وابلة بن الظرب بالياء المثناة من تحتها وضبة بن الحرث بالضاد المعجمة المفتوحة والباء المشددة الموحدة وشيع الله بالشين المعجمة المفتوحة والياء المثناة من تحتها الساكنة وحرام بفتح الحاء المهملة والراء المهملة وضنة العذرية بكسر الضاد المعجمة والنون المشددة وعصية بالعين المهملة المضمومة وفتح الصاد والياء المثناة من تحتها) ﴿عدنا الى ذكر النبي﴾ توفي عبد المطلب بعد الفيل بثمان سنين وأوصى أبا طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبو طالب هو الذي قام بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد جده ثم ان أبا طالب خرج الى الشام فلما أراد المسير لزمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له وأخذه معه ولرسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له وكان ذا علم في النصرانية ولم يزل بتلك الصومعة راهب يصير اليه علمهم وبها كتاب يتوارثونه فلما رآهم بحيرا صنع لهم طعاما كثيرا وذلك لانه رأى على رأس رسول الله غمامة تظله من بين القوم ثم أقبلوا حتى نزلوا في ظل شجرة قريبا منه فنظر الى الشجرة وقد هصرت أغصانها حتى استظل بها فنزل اليهم من صومعته ودعاهم فلما رأى بحيرا رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى أشياء من جسده كان يجدها من صفته فلما فرغ القوم من الطعام وتفرقوا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء من حاله في يقظته ونومه فوجدها بحيرا موافقة لما عنده من صفته ثم نظر الى خاتم النبوة بين كتفيه ثم قال بحيرا لعمه أبي طالب ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما ينبغي أن يكون أبوه حيا قال فانه ابن أخي مات أبوه وأمه حبلى به قال صدقت ارجع به الى بلدك واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فانه كائن له شأن عظيم فخرج به عمه حتى أقدمه مكة وقيل بينما هو يقول لعمه في اعادته الى مكة وتخوفهم عليه من الروم اذ أقبل سبعة نفر من الروم فقال لهم بحيرا ما جاء بكم قالوا جئنا لان هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث اليها ناس وانا بعثنا الى طريقك قال أرأيتم أمرا أراده الله هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا وتابعوا بحيرا وأقاموا عنده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هممت بشئ مما كان الجاهلية يعملونه غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبينه ثم ما هممت به حتى أكرمني برسالته قلت ليلة للغلام يرعى معي بأعلى مكة لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب فقال افعل فخرجت حتى اذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفا فقلت ما هذا فقالوا عرس فلان بفلانة فجلست أسمع فضرب الله على أذني فنمت فما أيقظني الا حر الشمس فعدت الى صاحبي فسألني فأخبرته ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ودخلت مكة فأصابني مثل أول ليلة ثم ما هممت بعده بسوء

﴿ذكر نكاح النبي صلى الله عليه وسلم خديجة﴾

ونكح رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد وهو ابن خمس وعشرين سنة وخديجة يومئذ ابنة أربعين سنة وسبب ذلك ان خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم اياه بشئ تجعله لهم منه وكانت قريش تجارا فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الحديث وعظم الامانة وكرم

الوقت الا سورها وكذلك من في هذا الصقع لا يعتصم منهم الا بالحصون والجدران والليل في بلاد البلغر في نهاية من القصر في بعض السنة ومنهم من زعم ان أحدهم لا يستطيع ان يفرغ من طبخ قدره حتى يأتي الصباح وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا علة ذلك الوجه من الفلك وعلة الموضع الذي يكون الليل فيه ستة أشهر لا نهار فيه والنهار ستة أشهر متصلة لا ليل فيه وذلك نحو الجدي وقد ذكر أصحاب الزيجات في النجوم علة ذلك من الوجه الفلكي والروس أمم كثيرة وأنواع شتى ومنهم من يقال لهم اللودعانة وهم الاكثرون يختلفون بالتجارة الى بلاد الاندلس ورومية وقسطنطينية والخزر وقد كان بعد الثلاثمائة ورد عليهم نحو من خمسمائة مركب في كل مركب مائة نفس فدخلوا خليج نيطش المتصل ببحر الخزر وهنالك رجال ملك الخزر مرتبين بالعدد القوية يصدون من يرد من ذلك البحر ومن يرد من ذلك الوجه من البر الذي سفنه في نهر الخزر تتصل ببحر

الاخلاق أرسلت اليه ليخرج في مالها الى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره مع غلامها ميسرة فاجابها وخرج معه ميسرة حتى قدم الشام فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب فأطلع الراهب رأسه الى ميسرة فقال من هذا فقال ميسرة هذا رجل من قريش فقال الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة الانبي ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم واشترى وعاد فكان ميسرة اذا كانت الهاجرة يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو على بعيره فلما قدم مكة ربحت خديجة ربحا كثيرا وحدثها ميسرة عن قول الراهب وما رأى من اظلال الملكين اياه وكانت خديجة امرأة حازمة عاقلة شريفة مع ما أراده الله من كرامتها فارسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرضت عليه نفسها وكانت أوسط نساء قريش نسبا وأكثرهن مالا وشرفا وكل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه فلما أرسلت الى النبي صلى الله عليه وسلم قال لاعمامه وخرج ومعه حمزة بن عبد المطلب وأبو طالب وغيرهما من عمومته حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه فتزوجها فولدت له أولاده كلهم الا ابراهيم زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة والقاسم وبه كان يكنى وعبد الله والطاهر والطيب وقيل ان عبد الله ولد في الاسلام هو والطاهر والطيب فاما القاسم والطاهر والطيب فهلكوا في الجاهلية وأما بناته فكلهن أدركن الاسلام فاسلمن وهاجرن معه وقيل ان الذي زوجها عمها عمرو بن أسد وان اباها مات قبل التجارة قال الواقدي وهو الصحيح لان أباها توفي قبل الفجار وكان منزل خديجة يومئذ المنزل الذي يعرف بها اليوم فيقال ان معاوية اشتراه وجعله مسجدا يصلى فيه وكان الرسول بين خديجة وبين النبي صلى الله عليه وسلم نفيسة بنت منية أخت يعلى بن منية وأسلمت يوم الفتح فبرّها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكرمها (منية بالنون الساكنة والياء المثناة من تحتها)

﴿ذكر حلف الفضول﴾

قال ابن اسحق وكان نفر من جرهم وقطوراء يقال لهم الفضيل بن الحرث الجرهمي والفضيل بن وداعة القطوري والمفضل بن فضالة الجرهمي اجتمعوا فتحالفوا أن لا يقروا ببطن مكة ظالما وقالوا لا ينبغي الا ذلك لما عظم الله من حقها فقال عمرو بن عوف الجرهمي

ان الفضول تحالفوا وتعاقدوا * أن لا يقر ببطن مكة ظالم
أمر عليه تعاهدوا وتواثقوا * فالجار والمعتر فيهم سالم

ثم درس ذلك فلم يبق الا ذكره في قريش ثم ان قبائل من قريش تداعت الى ذلك الحلف فتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان لشرفه وسنه وكانوا بني هاشم وبني المطلب وبني أسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة فتحالفوا وتعاقدوا أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس الا قاموا معه وكانوا على ظلمه حتى ترد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول وشهده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حين أرسله الله تعالى لقد شهدت مع عمومتي حلفا في دار عبد الله بن جدعان ما أحب ان لي به حمر النعم ولو دعيت به في الاسلام لاجبت قال وقال محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمي كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان منازعة في مال كان بينهما والوليد يومئذ أمير على المدينة لعمه معاوية فتحامل الوليد لسلطانه فقال له الحسين أقسم بالله لتنصفني أو لآخذن سيفي ثم لاقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون بحلف الفضول فقال عبد الله بن الزبير وكان حاضرا وانا احلف بالله لو دعا به لاجبته حتى ينصف من حقه او نموت وبلغ المسور بن مخرمة

نبطاش وذلك أن وادى الغزاة ترد الى ذلك أكثر وتشتى هنالك فربما يجمد هذا الماء المتصل من نهر الخزر الى خليج نبطاش فتعبر الغزاة عليه بخيولها وهو ماء عظيم بخسف من تحتهم لشدة استحجاره فتغير على بلاد الخزر وربما يخرج اليهم ملك الخزر اذا عجز من هنالك من رجاله المرتبين عن دفعهم ومنعهم العبور على ذلك الجمد وأما في الصيف فلا سبيل للترك الى العبور فلما وردت مراكب الروس الى رجال الخزر المرتبين على فم الخليج راسلوا ملك الخزر على ان يجتازوا البلاد وينحدروا في نهره فيدخلوا بحر الخزر الذي هو بحر جرجان وطبرستان وغيرهما من بلاد الاعاجم على ما ذكرنا ويجعلوا لملك الخزر النصف مما يغنمون ممن هنالك من الامم على ذلك البحر فاباحهم ذلك فدخلوا الخليج واتصلوا بمصب النهر فيه وساروا مصعدين في تلك الشعبة من الماء حتى وصلوا الى نهر الخزر وانحدروا فيه الى مدينة آمل وهو نهر عظيم وماء كثير فانتشرت مراكب الروس في هذا البحر وطرحت سراياها

الزهري فقال مثل ذلك وبلغ عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التيمي فقال مثل ذلك فلما بلغ الوليد ذلك انصف الحسين من نفسه حتى رضي

﴿ذكر هدم قريش الكعبة وبنائها﴾

وفي سنة خمس وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم هدمت قريش الكعبة وكان سبب هدمهم اياها انها كانت رضيمة فوق القامة فأرادوا رفعها وتسقيفها وذلك ان نفرا من قريش وغيرهم سرقوا كنزها وفيه غزالان من ذهب وكانا في بئر في جوف الكعبة وكان امر غزالي الكعبة ان الله لما أمر ابراهيم واسمعيل ببناء الكعبة ففعلا ذلك وقد تقدم ذكره وأقام اسمعيل بمكة وكان يلي البيت حياته وبعده وليه ابنه نبت فلما مات نبت ولم يكثر ولد اسمعيل غلبت جرهم على ولاية البيت فكان أول من وليه منهم مضاض ثم ولده من بعده حتى بغت جرهم واستحلوا حرمة البيت فظلموا من دخل مكة حتى قيل ان اسافا ونائلة زنيا في البيت فمسخا حجرين وكانت خزاعة قد اقامت بتهامة بعد تفرق أولاد عمرو بن عامر من اليمن فارسل الله على جرهم الرعاف فأفناهم فاجتمعت خزاعة على اجلاء من بقي منهم ورئيس خزاعة عمرو بن ربيعة بن حارثة فاقتتلوا فلما احس عامر بن الحرث الجرهمي بالهزيمة خرج بغزالي الكعبة والحجر الاسود يلتمس التوبة وهو يقول لاهم ان جرهما عبادكا * والناس طرف وهم تلادكا * وهم قديما عمروا بلادكا فلم تقبل توبته فدفن غزالي الكعبة ببئر زمزم وطمها وخرج من بقي من جرهم الى أرض جهينة فجاءهم سيل فذهب بهم أجمعين وقال عمرو بن الحرث

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالي والجدود العواثر

وولي البيت بعد جرهم عمرو بن ربيعة وقيل وليه عمرو بن الحرث الغساني ثم خزاعة بعده غير انه كان في قبائل مضر ثلاث خلال الاجازة بالحج من عرفة وكان ذلك الى الغوث بن مر بن أد وهو صوفة والثانية الافاضة من جمع الى منى وكانت الى بني زيد بن عدوان وآخر من ولي ذلك منهم أبو سيارة عميلة بن الاعزل بن خالد والثالثة النسيء للشهور الحرم فكان ذلك الى القلمس وهو حذيفة بن فقيم بن كنانة ثم الى بنيه من بعده ثم صار ذلك الى أبي ثمامة وهو جنادة بن عوف بن قلع ابن حذيفة وقام الاسلام وقد عادت الاشهر الحرم الى أصلها فابطل الله عز وجل النسيء ثم وليت البيت بعد خزاعة قريش وقد ذكرنا ذلك عند ذكرنا قصي بن كلاب ثم حفر عبد المطلب زمزم فاخرج الغزالين كما تقدم وكان الذي وجد الغزالان عنده دويك مولى لبني مليح بن خزاعة فقطعت قريش يده وكان فيمن اتهم في ذلك عامر بن الحرث بن نوفل وأبو هارب بن عزيز وأبو لهب ابن عبد المطلب وكان البحر قد ألقى سفينة الى جدة لتاجر رومي فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لسقفها فتهيأ لهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكان لا يدنو منها احد الا كشت وفتحت فاها فكانوا يهابونها فبينما هي يوما على جدار الكعبة اختطفها طائر فذهب بها فقالت قريش انا لنرجو أن يكون الله عز وجل قد رضي ما أردناه وكان ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة وبعد الفجار بخمس عشرة سنة فلما أرادوا هدمها قام ابو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم فتناول حجرا من الكعبة فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها الا طيبا ولا تدخلوا فيه مهر بغي ولا زنا ولا مظلمة احد وقيل ان الوليد بن المغيرة قال هذا

الى الجيل والديلم وبلاد طبرستان وآبسكون وهي بلاد ساحل جرجان وبلاد النفاطة ونحو بلاد اذربيجان وذلك أن مدينة أردبيل من بلاد أذربيجان الى هذا البحر نحو من ثلاثة أيام فسفكت الروس الدماء واستباحت النسوان والولدان وغنمت الاموال وشنت الغارات وأخربت وأحرقت فضج من حول هذا البحر من الامم لانهم لم يكونوا يعهدون في قديم الزمان عدوا يطرقهم فيه وانما يختلف فيه مراكب التجار والصيد وكان لهم حروب كثيرة مع الجيل والديلم وساحل جرجان ونفر أهل بردعة وأران والبيلقان وأذربيجان مع قائد لابن أبي الساج فانتهوا الى ساحل نفاطة من مملكة شروان المعروفة بباكوه وكانت الروس تأوي عند رجوعها من غاراتها الى جزائر بقرب النفاطة على أميال منها وكان ملك شروان يومئذ علي بن الهيثم فاستعد الناس وركبوا في القوارب ومراكب التجار وساروا نحو تلك الجزائر فمالت عليهم الروس فقتل من المسلمين وغرق ألوف وأقام الروس شهورا كثيرة في البحر على ما وصفنا

ثم ان الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن المغيرة أنا ابدؤكم به فأخذ المعول فهدم فتربص الناس به تلك الليلة وقالوا ننظر فان أصيب لم نهدم منها شيأ فأصبح الوليد سالما وغدا الى عمله فهدم والناس معه حتى انتهى الهدم الى الاساس ثم افضوا الى حجارة خضر أخذ بعضها ببعض فادخل رجل من قريش عتلة بين حجرين منها ليقلع بها احدهما فلما تحرك الحجر تحركت مكة بأسرها ثم جمعوا الحجارة لبنائها ثم بنوا حتى بلغ البنيان موضع الركن فأراد كل قبيلة رفعه الى موضعه حتى تحالفوا وتواعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدى على الموت وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فسموا لعقة الدم بذلك فمكثوا على ذلك أربع ليال ثم تشاوروا فقال أبو أمية بن المغيرة وكان أسن قريش اجعلوا بينكم حكما أول من يدخل من باب المسجد يقضى بينكم فكان أول من دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الامين قد رضينا به وأخبروه الخبر فقال هلموا الى ثوبا فاتى به فأخذ الحجر الاسود فوضعه فيه ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا فلما بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه

﴿ذكر الوقت الذى أرسل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لعشرين سنة مضت من ملك كسرى ابرويز بن هرمز بن انوشروان وكان على الحيرة اياس بن قبيصة الطائى عاملا للفرس على العرب قال ابن عباس من رواية حمزة وعكرمة عنه وانس بن مالك وعروة بن الزبير ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث وأنزل عليه الوحى وهو ابن أربعين سنة وقال ابن عباس من رواية عكرمة أيضا عنه وسعيد بن المسيب انه أنزل عليه صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وكان نزول الوحى عليه يوم الاثنين بلا خلاف واختلفوا فى أى الاثانين كان ذلك فقال أبو قلابة الجرمى أنزل الفرقان على النبى صلى الله عليه وسلم لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان وقال آخرون كان ذلك لتسع عشرة مضت من رمضان وكان صلى الله عليه وسلم قبل ان يظهر له جبريل يرى ويعاين آثارا من يريد الله اكرامه بفضله وكان من ذلك ما ذكرت من شق الملكين بطنه واستخراجهما ما فى قلبه من الغل والدنس ومن ذلك انه كان لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه فكان يلتفت يمينا وشمالا فلا يرى أحدا وكانت الامم تتحدث بمبعثه وتخبر علماء كل أمة قومها بذلك قال عامر بن ربيعة سمعت زيد بن عمرو ابن نفيل يقول انا لننتظر نبيا من ولد اسمعيل ثم من بنى عبد المطلب ولا أرانى ادركه وأنا أومن به وأصدقه واشهد انه نبى فان طالت بك حياة ورأيته فاقرئه منى السلام وسأخبرك ما نعته حتى لا يخفى عليك قلت هلم قال هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بكثير الشعر ولا بقليله ولا تفارق عينيه حمرة وخاتم النبوة بين كتفيه واسمه أحمد وهذا البلد مولده ومبعثه ثم يخرجه قومه ويكرهون ما جاء به ويهاجر الى يثرب فيظهر بها أمره فاياك ان تخدع عنه فانى طفت البلاد كلها اطلب دين ابراهيم فكل من اسأله من اليهود والنصارى والمجوس يقول هذا الدين وراءك وينعتونه مثل ما نعتته لك ويقولون لم يبق نبى غيره قال عامر فلما اسلمت أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول زيد واقرأته السلام فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترحم عليه وقال قد رأيته فى الجنة يسحب ذيولا وقال جبير بن مطعم كنا جلوسا عند صنم سوانة ٢ قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر نحرنا جزورا فاذا صائح يصيح من جوف الصنم اسمعوا الى العجب (٣) ذهب استراق الوحى ونرمى بالشهب لنبى بمكة اسمه أحمد مهاجره الى يثرب قال فامسكنا وعجبنا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخبار عن دلائل نبوته كثيرة وقد صنف العلماء فى ذلك

لا سبيل لاحد ممن جاور هذا البحر من الامم اليهم والناس مهتابون لهم حذرون منهم لانهم بحر غامر لمن حوله من الامم فلما غنموا وسئموا ما هم فيه ساروا الى فم نهر الخزر ومصبه فراسلوا ملك الخزر وحملوا اليه الاموال والغنائم وملك الخزر بلا مراكب وليس لهم بها عادة ولولا ذلك لكان على المسلمين منهم آمة عظيمة وعلمت الارسية ومن فى بلاد الخزر من المسلمين فقالوا لملك الخزر خلنا وهؤلاء القوم فقد أغاروا على بلاد المسلمين وسفكوا الدماء وسبوا النساء والذرارى فلم يمكن الملك منعهم وبعث الى الروس فاعلمهم بما قد عزم عليه المسلمون من حربهم وعسكروا وخرجوا يطلبونهم منحدرين مع الماء فلما وقعت العين على العين خرجت الروس عن مراكبها وصافوا المسلمين وكان مع المسلمين خلق من النصارى من المقيمين بمدينة آمل وكان المسلمون فى نحو خمسة عشر ألفا بالخيل والعدد فاقام الحرب بينهم ثلاثة أيام ونصر الله المسلمين عليهم وأخذهم السيف فمن قتيل وغريق ونجا

كتبا كثيرة ذكروا فيها كل عجيبة ليس هذا موضع ذكرها

﴿ذكر ابتداء الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم﴾

قالت عائشة رضي الله عنها كان أول ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة كانت تجيء مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان بغار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد ثم يرجع الى أهله فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق فاتاه جبريل فقال يا محمد أنت رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثوت لركبتي ثم رجعت ترجف بوادري فدخلت على خديجة فقلت زملوني زملوني ثم ذهب عني الروع ثم أتاني فقال يا محمد أنت رسول الله قال فلقد هممت ان أطرح نفسي من حالق فتبدى لي حين هممت بذلك فقال يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله قال اقرأ قلت وما اقرأ قال فأخذني فغتني ثلاث مرات حتى بلغ مني الجهد ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق فقرأت فاتيت خديجة فقلت لقد اشفقت على نفسي وأخبرتها خبري فقالت ابشر فوالله لا يخزيك الله أبدا فوالله انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الامانة وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت بي الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والانجيل فقالت اسمع من ابن أخيك فسألني فاخبرته خبري فقال هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران ليتني كنت حيا حين يخرجك قومك قلت أمخرجي هم قال نعم انه لم يجئ أحد بمثل ما جئت به الا عودي ولئن ادركني يومك لانصرنك نصرا مؤزرا ثم ان أول ما نزل عليه من القرآن بعد اقرأ ن والقلم وما يسطرون ويا أيها المدثر والضحى وقالت خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما تثبته فيما اكرمه الله به من نبوته يا ابن عم أتستطيع ان تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك اذا جاءك قال نعم فجاءه جبريل فاعلمها فقالت قم فاجلس على فخذي اليسرى فقام صلى الله عليه وسلم فجلس عليها فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاقعد على فخذي اليمنى فجلس عليها فقالت هل تراه قال نعم فتحسرت فالقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله انه ملك وما هو بشيطان وقال يحيى بن ابي كثير سألت ابا سلمة عن أول ما نزل من القرآن قال نزلت يا أيها المدثر أول قال قلت انهم يقولون اقرأ باسم ربك قال سألت جابر بن عبد الله قال لا احدثك الا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فسمعت صوتا فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ونظرت عن يساري فلم أر شيئا ونظرت خلفي وأمامي فلم أر شيئا فرفعت رأسي فاذا هو يعني الملك جالس على عرش بين السماء والارض فخشيت منه فأتيت خديجة فقلت دثروني دثروني وصبوا علي ماء ففعلوا فنزلت يا أيها المدثر هذا حديث صحيح قال هشام بن الكلبي أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم أول ما أتاه ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر له برسالة الله يوم الاثنين فعلمه الوضوء والصلاة وعلمه اقرأ باسم ربك الذي خلق وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربعون سنة قال الزهري فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة فحزن حزنا شديدا وجعل يغدو الى رؤس الجبال ليتردى منها فكلما أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فيقول انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وترجع نفسه فلما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينذر قومه عذاب الله على ما هم عليه من عبادة الاصنام دون الله الذي خلقهم ورزقهم وان يحدث بنعمة ربه عليه وهي النبوة في قول ابن اسحق فكان يذكر ذلك سرا الى من يطمئن اليه من أهله فكان أول من آمن به وصدقه من خلق الله تعالى خديجة بنت خويلد زوجته قال

منهم نحو خمسة آلاف وركبوا في المراكب الى ذلك الجانب مما يلي بلاد برطاس وتركوا مراكبهم وتعلقوا بالبر فمنهم من قتله أهل برطاس ومنهم من وقع الى بلاد البلغر المسلمين فقتلوهم وكان من وقع عليه الاحصاء ممن قتله المسلمون على شاطئ نهر الخزر نحوا من ثلاثين ألفا ولم يكن للروس من تلك السنة عودة الى ما ذكرنا ﴿قال المسعودي﴾ وانما ذكرنا هذه القصة دفعا لقول من زعم ان بحر الخزر متصل ببحر مانطش وخليج القسطنطينية ولو كان لهذا البحر اتصال بخليج القسطنطينية من جهة بحر مانطش أو نيطش لكانت الروس قد خرجت فيه اذ كان ذلك بحرها على ما ذكرنا ولا خلاف بين من ذكرنا ممن جاور هذا البحر من الامم في أن بحر الاعاجم لا خليج له متصل بغيره من البحار لانه بحر صغير يحاط بعلمه وما ذكرنا من مراكب الروس مستفاض في تلك البلاد عند سائر الامم والسنة معروفة وكانت بعد الثلثمائة وقد غاب عني تاريخها ولعل من ذكر أن بحر الخزر

الواقدى أجمع أصحابنا على ان أوّل أهل القبلة استجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة ثم كان أول شئ فرض الله من شرائع الاسلام عليه بعد الاقرار بالتوحيد والبراءة من الاوثان الصلاة وان الصلاة لما فرضت عليه صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه فى ناحية الوادى فانفجرت فيه عين فتوضأ جبريل وهو ينظر اليه ليريه كيف الطهور للصلاة ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله ثم قام جبريل فصلى به وصلى النبى صلى الله عليه وسلم بصلاته ثم انصرف وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خديجة فعلمها الوضوء ثم صلى بها فصلت بصلاته

﴿ ذكر المعراج برسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

اختلف الناس فى وقت المعراج فقيل كان قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل بسنة واحدة واختلفوا فى الموضع الذى أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم منه فقيل كان نائما بالمسجد فى الحجر فأسرى به منه وقيل كان نائما فى بيت أم هانئ بنت أبى طالب وقائل هذا يقول الحرم كله مسجد وقد روى حديث المعراج جماعة من الصحابة باسانيد صحيحة قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل وميكائيل فقالا بأيهم أمرنا فقالا امرنا بسيدهم ثم ذهبا ثم جاآ من القابلة وهم ثلاثة فألفوه وهو نائم فقلبوه لظهره وشقوا بطنه وجاؤا بماء زمزم فغسلوا ما كان فى بطنه من غل وغيره وجاؤا بطست مملوء ايمانا وحكمة فملئ قلبه وبطنه ايمانا وحكمة قال واخرجنى جبريل من المسجد واذا أنا بدابة وهى البراق وهى فوق الحمار ودون البغل ثم مثل البراق خطوه عند منتهى طرفه فقال اركب فلما وضعت يدى عليه تشامس واستصعب فقال جبريل يا براق ما ركبك نبى أكرم على الله من محمد فانصب عرقا وانخفض لى حتى ركبته وسار بى جبريل نحو المسجد الاقصى فاتيت باناءين احدهما اللبن والآخر خمر فقيل لى اختر احدهما فأخذت اللبن فشربته فقيل لى أصبت الفطرة اما انك لو شربت الخمر لغوت أمتك بعدك ثم سرنا فقال لى انزل فصل فنزلت فصليت فقال هذه طيبة واليها المهاجر ثم سرنا فقال لى انزل فصل فنزلت فصليت فقال هذا طور سيناء حيث كلم الله موسى ثم سرنا فقال انزل فصل فنزلت فصليت فقال هذا بيت لحم حيث ولد عيسى ثم سرنا حتى أتينا بيت المقدس فلما انتهينا الى باب المسجد أنزلنى جبريل وربط البراق بالحلقة التى كان يربط بها الانبياء فلما دخلت المسجد اذا أنا بالانبياء حوالى وقيل بارواح الانبياء الذين بعثهم الله قبلى فسلموا على فقلت يا جبريل من هؤلاء قال اخوانك من الانبياء زعمت قريش ان لله شريكا وزعمت النصارى ان لله ولدا سل هؤلاء النبيين هل كان لله عز وجل شريك أو ولد فذلك قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون فاقروا بالوحدانية لله عز وجل ثم جمعهم جبريل وقدمنى فصليت بهم ركعتين ثم انطلق بى جبريل الى الصخرة فصعد بى عليها فاذا معراج الى السماء لا ينظر الناظرون الى شئ أحسن منه ومنه تعرج الملائكة أصله فى صخرة بيت المقدس ورأسه ملتصق بالسماء فاحتملنى جبريل ووضعنى على جناحه وصعد بى الى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل قد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجئ مجاؤه ففتح فدخلنا فاذا أنا برجل تام الخلقة عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة فاذا نظر الى الباب الذى عن يمينه ضحك واذا نظر الى الباب الذى عن يساره بكى فقلت من هذا وما هذان البابان فقال هذا أبوك آدم والباب الذى عن يمينه باب الجنة فاذا نظر الى من يدخله من ذريته ضحك والباب الذى عن يساره باب جهنم اذا نظر الى من يدخلها من ذريته بكى وحزن ثم صعد بى الى السماء الثانية فاستفتح

يريد أن بحر الخزر هو بحر مانطس ونيطس الذى هو بحر البلغر والروس والله أعلم بكيفية ذلك وساحل طبرستان على هذا البحر وهنالك مدينة يقال لها الهمرجى مرسى للساحل وبينها وبين مدينة آمل ساعة من النهار وعلى ساحل جرجان مما يلى هذا البحر مدينة يقال لها آبسكون على نحو من ثلاثة أيام من جرجان وعلى هذا البحر الجيل والديلم وتختلف المراكب بالتجارات فيه الى مدينة آمل فيدخل فى نهر الخزر اليها وتختلف المراكب فيه بالتجارات مع المواضع التى سمينا من ساحله الى باكوى وهى معدن النفط الابيض وغيره وليس فى الدنيا والله أعلم نفط أبيض الا فى هذا الموضع وهى على ساحل مملكة شروان وفى هذه النفاطة أطمة وهى عين من عيون النار لا تهدأ على سائر الاوقات تتضرم الصعداء ويقابل هذا الساحل فى البحر جزائر منها جزيرة على نحو ثلاثة أيام من الساحل فيها أطمة عظيمة تزفر فى أوقات من فصول السنة فيظهر منها نار تذهب فى الهواء كأشمخ ما يكون من الجبال العالية

فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قيل حياه الله مرحبا به
ونعم المجىء جاء ففتح لنا فدخلنا فاذا ابنا بين فقلت يا جبريل من هذان فقال هذان عيسى بن مريم
ويحيى بن زكريا ثم صعد بى الى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجىء جاء فدخلنا فاذا أنا برجل قد فضل
الناس بالحسن قلت من هذا يا جبريل قال هذا أخوك يوسف ثم صعد بى الى السماء الرابعة
فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به
ونعم المجىء جاء فدخلنا فاذا أنا برجل فقلت من هذا قال ادريس رفعه الله مكانا عليا ثم صعد بى الى
السماء الخامسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال
نعم قيل مرحبا به ونعم المجىء جاء فدخلنا فاذا رجل جالس وحوله قوم يقص عليهم قلت من هذا
قال هذا هرون والذين حوله بنو اسرائيل ثم صعد بى الى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجىء جاء فدخلنا
فاذا أنا برجل جالس فجاوزناه فبكى الرجل فقلت يا جبريل من هذا قال هذا موسى قلت فما باله
يبكى قال يزعم بنو اسرائيل انى اكرم على الله من بنى آدم وهذا الرجل من بنى آدم قد خلفنى وراءه
قال ثم صعد بى الى السماء السابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به ونعم المجىء جاء فدخلنا فاذا رجل أشمط جالس على كرسى على
باب الجنة وحوله قوم بيض الوجوه امثال القراطيس وقوم فى الوانهم شئ فقام الذين فى
ألوانهم شئ فاغتسلوا فى نهر وخرجوا وقد صارت وجوههم مثل وجوه أصحابهم فقلت من هذا
قال أبوك ابراهيم وهؤلاء البيض الوجوه قوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم وأما الذين فى ألوانهم شئ
فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ فتابوا فتاب الله عليهم واذا ابراهيم مستند الى بيت فقال هذا
البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون اليه قال واخذنى جبريل
فانتهينا الى سدرة المنتهى واذا ثمرها مثل قلال هجر يخرج من أصلها أربعة انهار نهران باطنان
ونهران ظاهران فاما الباطنان ففى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات قال وغشيها من نور الله
ما غشيها وغشيها الملائكة كانهم جراد من ذهب من خشية الله وتحولت حتى ما يستطيع أحد
ان ينعتها وقام جبريل فى وسطها فقال جبريل تقدم يا محمد فتقدمت وجبريل معى الى حجاب
فاخذنى ملك وتخلف عنى جبريل فقلت الى أين فقال وما منا الا له مقام معلوم وهذا منتهى
الخلائق فلم أزل كذلك حتى وصلت الى العرش فاتضع كل شئ عند العرش وكل لسانى من هيبة
الرحمن ثم أنطق الله لسانى فقلت التحيات المباركات والصلوات الطيبات لله وفرض الله على
وعلى أمتى فى كل يوم وليلة خمسين صلاة ورجعت الى جبريل فأخذ بيدى وأدخلنى الجنة
فرأيت القصور من الدرر والياقوت والزبرجد ورأيت نهرا يخرج من أصله ماء أشد بياضا من
اللبن وأحلى من العسل يجرى على رضراض من الدر والياقوت والمسك فقال هذا الكوثر
الذى أعطاك ربك ثم عرض على النار فنظرت الى اغلالها وسلاسلها وحياتها وعقاربها وما فيها
من العذاب ثم اخرجنى فانحدرنا حتى أتينا موسى فقال ماذا فرض عليك وعلى أمتك قلت خمسين
صلاة قال فانى قد بلوت بنى اسرائيل قبلك وعالجتهم أشد المعالجة على أقل من هذا فلم يفعلوا
فارجع الى ربك فاسأله التخفيف فرجعت الى ربى وسألته فخفف عنى عشرا فرجعت الى موسى
فاخبرته فقال ارجع واسأله التخفيف فرجعت فخفف عنى عشرا فلم أزل بين ربى وموسى حتى

نفى الاكثر من هذا البحر ويرى ذلك من نحو مائة فرسخ من البر وهذه الاطمة تشبه أطمة جبل البركان من بلاد صقلية من أرض الافرنجة ومن بلاد افريقية من أرض المغرب وليس فى آطام الارض أشد صوتا ولا أسود دخانا ولا أكثر لهبا من الاطمة التى فى أعمال المهراج وبعدها أطمة وادى برهوت وهى نحو بلاد سبأ وحضرموت من بلاد الشحر وذلك من بلاد اليمن وبلاد عمان وصوتها يسمع كالرعد من أميال كثيرة ثم ينعكس سفلا يهوى الى قعرها وحولها والجمر الذى يظهر منها حجارة وقد احمرت مما قد أحالها من سواد حرارة النار وقد أتينا على علة تكون عيون النيران فى الارض وما سبب موادها فى كتابنا أخبار الزمان وفى هذا البحر جزائر أخر مقابلة لساحل جرجان يصاد منها نوع من البزاة البيض أسرع اجابة وأقلها معاشرة الا أن فى هذا النوع من البزاة شيأ من الضعف لان الصائد يصطادها من هذه الجزائر فيغذيها بالسمك فاذا اختلف عليها الغذاء عرض لها الضعف وقد قال

جعلها خمسا فقال ارجع فاسأله التخفيف فقلت انى قد استحييت من ربى وما أنا براجع فنوديت انى قد فرضت عليك وعلى أمتك خمس صلاة والخمس بخمسين وقد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى ثم انحدرت أنا وجبريل الى مضجعى وكان كل ذلك فى ليلة واحدة فلما رجع الى مكة علم ان الناس لا يصدقونه فقعد فى المسجد مغموما فمر به أبو جهل فقال له كالمستهزئ هل استفدت الليلة شيأ قال نعم أسرى بى الليلة الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم فخاف ان يخبر بذلك عنه فيجحده النبى فقال أتخبر قومك بذلك فقال نعم فقال أبو جهل يا معشر بنى كعب بن لؤى هلموا فاقبلوا اليه فحدثهم النبى صلى الله عليه وسلم فمن بين مصدق ومكذب ومصفق وواضع يده على رأسه وارتد الناس ممن كان آمن به وصدقه وسعى رجال من المشركين الى أبى بكر فقالوا ان صاحبك يزعم كذا وكذا فقال ان كان قال ذلك فقد صدق انى لا صدقه بما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء فى غدوة أو روحة فسمى أبو بكر الصديق من يومئذ قالوا فانعت لنا المسجد الاقصى قال فذهبت أنعت حتى التبس على قال فجئ بالمسجد وانى أنظر اليه فجعلت أنعته قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال قد مررت على عير بنى فلان بالروحاء وقد أضلوا بعيرا لهم وهم فى طلبه فاخذت قدحا فيه ماء فشربته فسلوهم عن ذلك ومررت بعير بنى فلان وفلان وفلان فرأيت راكبا وقعودا بذى مر فنفر بكرهما منى فسقط فلان فانكسرت يده فسلوهما قال ومررت بعيركم بالتنعيم يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم من طلوع الشمس فخرجوا الى الثنية فجلسوا ينظرون طلوع الشمس ليكذبوه اذ قال قائل هذه الشمس قد طلعت فقال آخر والله هذه العير قد طلعت يقدمها بعير أورق كما قال فلم يفلحوا وقالوا ان هذا سحر مبين

﴿ ذكر الاختلاف فى أوّل من أسلم ﴾

اختلف العلماء فى أول من أسلم مع الاتفاق على ان خديجة أول خلق الله اسلاما فقال قوم أوّل ذكر آمن علىّ روى عن على عليه السلام انه قال أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الاكبر لا يقولها بعدى الا كاذب مفتر صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الناس بسبع سنين وقال ابن عباس أول من صلى علىّ وقال جابر بن عبد الله بعث النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وصلى على يوم الثلاثاء وقال زيد بن أرقم أول من أسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم علىّ وقال عفيف الكندى كنت امرأ تاجرا فقدمت مكة أيام الحج فاتيت العباس فبينما نحن عنده اذ خرج رجل فقام تجاه الكعبة يصلى ثم خرجت امرأة تصلى معه ثم خرج غلام فقام يصلى معه فقلت يا عباس ما هذا الدين فقال هذا محمد بن عبد الله ابن أخى زعم ان الله أرسله وان كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه وهذه امرأته خديجة آمنت به وهذا الغلام على بن أبى طالب آمن به وايم الله ما أعلم على ظهر الارض أحدا على هذا الدين الا هؤلاء الثلاثة قال عفيف ليتنى كنت رابعا وقال محمد بن المنذر وربيعة بن أبى عبد الرحمن وأبو حازم المدنى والكلبى أول من أسلم علىّ قال الكلبى كان عمره تسع سنين وقيل احدى عشرة سنة وقال ابن اسحق أول من أسلم علىّ وعمره احدى عشرة سنة وكان من نعمة الله عليه ان قريشا أصابتهم ازمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثير فقال يوما رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس يا عم ان أبا طالب كثير العيال فانطلق بنا نخفف من عيال أبى طالب فانطلقا اليه وأعلماه ما أرادا فقال أبو طالب اتركا لى عقيلا واصنعا ما شئتما فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وأخذ العباس جعفرا فلم يزل على عند النبى صلى الله عليه وسلم حتى أرسله الله فاتبعه وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد الصلاة انطلق هو وعلى الى بعض الشعاب بمكة

الجمهور من أهل المعرفة بالضوارى وأنواع الجوارح من الفرس والترك والروم والهند والعرب ان البازى اذا كان الى البياض فى اللون فانه أسرع البزاة وأحسنها وأنبلها أجساما واجرؤها قلوبا وأسهلها رياضة فانها أقوى جميع البزاة على السموّ فى الجو وأذهبها الصعداء وأبعدها غاية فى الهواء لان فيها من حرف الحرارة وجراءة القلب ما ليس فى غيرها من جميع أنواع البزاة وان اختلاف ألوانها الاختلاف مواضعها وان من أجل ذلك خلصت البيض لكثرة الثلج فى أرمينية وأرض الخزر وجرجان وما والاها من بلاد الترك وقد حكى عن حكيم من خواقين الترك وهم الملوك المنقادة الى ملكهم جميع ملوك الترك أنه قال ان بزاة أرضنا اذا أسقطت أنفس فراخها من الوعاء الى الفضاء سمت فى الجو الى الهواء البارد الكثيف فأنزلت دواب تسكن هنالك فتغذيها فى أوكارها من تلك الدواب أطرأها وقد قال جالينوس ان الهواء فيه نشأ وساكن وعن بليناس انه قال واجب اذا كان لهذين الاستقصين يعنى الارض والماء خلق وساكن أن

فيصليان ويعودان فعثر عليهما أبو طالب فقال يا ابن أخي ما هذا الدين قال دين الله وملائكته ورسله ودين أبينا ابراهيم بعثني الله تعالى به الى العباد وأنت أحق من دعوته الى الهدى وأحق من أجابني قال لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي ولكن والله لا تخلص قريش اليك بشئ تكرهه ما حييت فلم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه قال وقال أبو طالب لعلي ما هذا الدين الذي أنت عليه قال يا أبت آمنت بالله وبرسوله وصليت معه فقال أما انه لا يدعونا الا الى الخير فالزمه وقيل أول من أسلم أبو بكر رضي الله عنه قال الشعبي سألت ابن عباس عن أول من أسلم فقال اما سمعت قول حسان بن ثابت

اذا تذكرت شجوا من أخي ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها وأعدلها * بعد النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده * وأول الناس قد صدق الرسلا

وقال عمرو بن عبسة أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعكاظ فقلت يا رسول الله من تبعك على هذا الامر قال تبعني عليه حر وعبد أبو بكر وبلال فأسلمت عند ذلك فلقد رأيتني ربع الاسلام وكان أبو ذر يقول لقد رأيتني ربع الاسلام لم يسلم قبلي الا النبي وأبو بكر وبلال وقال ابراهيم النخعي أبو بكر أول من أسلم وقيل أول من أسلم زيد بن حارثة قال الزهري وسليمان بن يسار وعمران بن أبي أنس وعروة بن الزبير أول من أسلم زيد بن حارثة وكان هو وعلي يلزمان النبي صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يخرج الى الكعبة أول النهار ويصلي صلاة الضحى وكانت قريش لا تنكرها وكان اذا صلى غيرها قعد علي وزيد بن حارثة يرصدانه وقال ابن اسحق أول ذكر أسلم بعد النبي علي وزيد بن حارثة ثم أسلم أبو بكر وأظهر اسلامه وكان مألفا لقومه محببا فيهم وكان أعلمهم بانساب قريش وما كان فيها وكان تاجرا يجتمع اليه قومه فجعل يدعو من يثق به من قومه فاسلم على يديه عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فاسلموا وصلوا وكان هؤلاء النفر هم الذين سبقوا الى الاسلام ثم تتابع الناس في الاسلام حتى فشا ذكر الاسلام بمكة وتحدث به الناس قال الواقدي وأسلم أبو ذر قالوا رابعا أو خامسا وأسلم عمرو بن عبسة السلمي رابعا أو خامسا وقيل ان الزبير أسلم رابعا أو خامسا وأسلم خالد بن سعيد بن العاص خامسا وقال ابن اسحق أسلم هو وزوجته همينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة من خزاعة بعد جماعة كثيرة

﴿ذكر أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم باظهار دعوته﴾

ثم ان الله تعالى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه بثلاث سنين ان يصدع بما يؤمر وكان قبل ذلك في السنين الثلاث مستترا بدعوته لا يظهرها الا لمن يثق به فكان أصحابه اذا أرادوا الصلاة ذهبوا الى الشعاب فاستخفوا فبينما سعد بن أبي وقاص وعمار وابن مسعود وخباب وسعيد بن زيد يصلون في شعب اطلع عليهم نفر من المشركين منهم أبو سفيان بن حرب والاخنس بن شريق وغيرهما فسبوهم وعابوهم حتى قاتلوهم فضرب سعد رجلا من المشركين بلحي جمل فشجه فكان أول دم أريق في الاسلام في قول ابن عباس لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد على الصفا فهتف يا صباحاه فاجتمعوا اليه فقال يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف فاجتمعوا اليه فقال أرأيتكم لو أخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح الجبل أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال

يكون للاستقصين يعني الهواء والنار خلق وساكن ووجدت في بعض أخبار هرون الرشيد أن الرشيد خرج ذات يوم الى الصيد ببلاد الموصل وعلى يده باز أبيض فاضطرب على يده فارسله فلم يزل يحلق حتى غاب في الهواء ثم طلع بعد الاياس منه وقد علق شيأ فهوى به يشبه الحية والسمكة وله ريش كأجنحة السمك فأمر الرشيد فوضع في طست فلما عاد من قنصه أحضر العلماء فسألهم هل تعلمون للهواء ساكنا فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك عبد الله ابن عباس أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق سكان أقربها منا دواب بيض في الهواء تفرخ فيه يرفعها الهواء الغليظ ويربيها حتى تنشأ في هيئة الحيات والسمك لها أجنحة ليست بذات ريش تأخذها بازاة بيض تكون بارمينية فأخرج الطست اليهم فأراهم الدابة وأجاز مقاتلا يومئذ وقد أخبرني غير واحد من أهل التحصيل بمصر وغيرها من البلاد أنهم شاهدوا في الجو حيات تسعى كأسرع ما يكون من البرق وأنها ربما تقع على الحيوان فتقتله

أبولهب تبالك أما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت تبت يدا أبي لهب السورة وقال جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم لما أنزل الله على رسوله وأنذر عشيرتك الاقربين اشتد ذلك عليه وضاق به ذرعا فجلس في بيته كالمريض فأتته عماته يعدنه فقال ما اشتكيت شيأ ولكن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الاقربين فقلن له فادعهم ولا تدع ابالهب فيهم فانه غير مجيبك فدعاهم صلى الله عليه وسلم فحضروا ومعهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف فكانوا خمسة وأربعين رجلا فبادره أبولهب وقال هؤلاء هم عمومتك وبنو عمك فتكلم ودع الصباة واعلم انه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة وان أحق من اخذك فحبسك بنو أبيك وان اقمت على ما انت عليه فهو ايسر عليهم من ان يثب بك بطون قريش وتمدهم العرب فما رأيت أحدا جاء على بني أبيه بشر مما جئتهم به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم في ذلك المجلس ثم دعاهم ثانية وقال الحمد لله احمده واستعينه وأومن به واتوكل عليه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ثم قال ان الرائد لا يكذب أهله والله الذي لا اله الا هو اني رسول الله اليكم خاصة والى الناس عامة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون وانها الجنة أبدا والنار أبدا فقال أبوطالب ما احب الينا معاونتك واقبلنا النصيحتك وأشد تصديقنا الحديثك وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وانما أنا احدهم غير اني أسرعهم الى ما تحب فامض لما أمرت به فوالله لا ازال احوطك وامنعك غير ان نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب فقال أبولهب هذه والله السوء خذوا على يديه قبل ان يأخذ غيركم فقال أبوطالب والله لنمنعنه ما بقينا وقال علي بن أبي طالب لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين دعاني النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا علي ان الله أمرني أن أنذر عشيرتي الاقربين فضقت ذرعا وعلمت اني متى أبادرهم بهذا الامر أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاءني جبريل فقال يا محمد الا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن واجمع لي بني عبد المطلب حتى اكلمهم وابلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه فيهم اعمامه أبوطالب وحمزة والعباس وأبولهب فلما اجتمعوا اليه دعاني بالطعام الذي صنعته لهم فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حزة من اللحم فنتفها باسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال خذوا باسم الله فاكل القوم حتى مالهم بشئ من حاجة وما أرى الا مواضع أيديهم وايم الله الذي نفس علي بيده ان كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا منه حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره أبولهب الى الكلام فقال لهما سحركم به صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد قال يا علي ان هذا الرجل سبقني الى ما سمعت من القول فتفرقوا وقبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم الي ففعل مثل ما فعل بالامس فاكلوا وسقيتهم ذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا وشبعوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني والله ما اعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى ان أدعوكم اليه فايكم يوازرني على هذا الامر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاحجم القوم عنها جميعا وقلت واني لاحدثهم سنا وأرمصهم عينا واعظمهم بطنا واحمشهم ساقا انا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال ان هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا قال فقام القوم يضحكون فيقولون لابي طالب قد أمرك

ان

وربما يسمع لطيرانها في الليل وحركتها في الهواء صوت كنشر ثوب جديد وربما يقول من لا علم له وغيره من النسوان هذا صوت ساحرة تطير بذات أجنحة من قصب وللناس كلام كثير فيما ذكر واستدلالهم على هذا انما هو بما يحدث في استنقص الماء من الحيوان وانه يجب على هذه القصة ان يحدث ذلك بين الاستقصين الآخرين وهما الارض والماء (قال المسعودي) وقد وصفت الحكماء والملوك البزاة وأغربت في الوصف وأطنبت في المدح فقال خاقان ملك الترك البازي شجاع مريد وقال كسرى أنوشروان البازي رفيق يحسن الاشارة لا يؤخر الفرص اذا أمكنت وقال قيصر البازي ملك كريم ان احتاج أخذ وان استغنى ترك وقالت الفلاسفة حسبك من البازي نزعه في المطالب والرزق في السمو اذا طالت قوادمه وبعد ما بين منكبيه فذلك أبعد لغايته وأحب لمرعته ألا ترى الى الفهود لا تزداد في غاياتها الا بعدا وسرعة وقوة على التكرار وذلك لطول قوائمها مع كثافة أجسامها وانما قصرت غاية

ان تسمع لابنك وتطيع وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصدع بما جاءه من عند الله وان يبادئ الناس بأمره و يدعوهم الى الله فكان يدعو فى اوّل ما نزلت عليه النبوة ثلاث سنين مستخفيا الى أن امر بالظهور للدعاء ثم صدع بامر الله وبادى قومه بالاسلام فلم يبعدوا منه ولم يردوا عليه الا بعض الرد حتى ذكر آلهتهم وعابها فلما فعل ذلك أجمعوا على خلافه الا من عصمه الله منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون وحدب عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله مظهرا الامره لا يرده شئ فلما رأت قريش انه صلى الله عليه وسلم لا يعتبهم من شئ يكرهونه وأن أبا طالب قد قام دونه ولم يسلمه لهم مشى رجال من أشرافهم الى أبى طالب عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو البخترى بن هشام والاسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ومن مشى منهم فقالوا يا ابا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه احلامنا وضلل آباءنا فاما أن تكفه عنا واما ان تخلى بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فقال لهم ابو طالب قولا جميلا وردهم ردا رفيقا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو عليه ثم شرى الامر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال فتضاغنوا وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتذامروا فيه فمشوا الى أبى طالب مرة أخرى فقالوا يا ابا طالب ان لك سنا وشرفا وانا قد استنهيناك أن تنهى ابن أخيك فلم تفعل وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آلهتنا وآبائنا وتسفيه احلامنا حتى تكفه عنا أو ننازله واياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين أو كما قالوا ثم انصرفوا عنه فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم له ولم تطب نفسه باسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخذلانه و بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمه ما قالت قريش وقال له أبق على نفسك وعلىّ ولا تحملنى من الامر ما لا أطيق فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه وأنه خاذله وقد ضعف عن نصرته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عماه لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على ان أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام فلما ولى ناداه أبو طالب فأقبل عليه وقال اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشئ أبدا فلما علمت قريش ان أبا طالب لا يخذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه يجمع لعداوتهم مشوا بعمارة بن الوليد فقالوا يا ابا طالب هذا عمارة بن الوليد فتى قريش واشعرهم واجملهم فخذه فلك عقله ونصرته فاتخذه ولدا وأسلم لنا ابن أخيك هذا الذى سفه احلامنا وخالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك نقتله فانما رجل برجل فقال والله لبئس ما تسوموننى اتعطوننى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه هذا والله لا يكون أبدا فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف والله لقد انصفك قومك وما أراك تريد أن تقبل منهم فقال أبو طالب والله ما انصفونى ولكنك قد اجمعت خذلانى ومظاهرة القوم علىّ فاصنع ما بدا لك فاشتد الامر عند ذلك وتنابذ القوم واشتدت قريش على من فى القبائل من الصحابة الذين اسلموا فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم و يفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله بعمه ابى طالب وقام أبو طالب فى بنى هاشم فدعاهم الى منع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابوا الى ذلك واجتمعوا اليه الا ما كان من أبى لهب فلما رأى ابو طالب من قومه ما سره أقبل يمدحهم ويذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وقد مشت قريش الى أبى طالب عند موته وقالوا له أنت كبيرنا وسيدنا فأنصفنا من ابن اخيك فمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه والهه فبعث اليه أبو طالب فلما دخل عليه قال له هؤلاء سروات قومك يسألونك ان تكف عن شتم

البازى اقصر جناحيه ورقة جسمه فاذا طالت به الغاية أخره ذلك حتى تشتد نفسه ولا تؤتى الجوارح الا من قصر القوادم ألا ترى الدرّاج والسمان والحجل واشباهها حين قصرت قوادمها قصرت غاياتها وقال أرسيجانس البازى طير عارى الجناب وما يقويه فى كسوره يزيد فى أخمصه ورجليه وهو أضعف الطير جسما وأقواها قلبا وأشجعها وذلك لفضله على سائر الطير فى الجزء الذى فيه من الحرارة التى ليست فى شئ منها ووجدنا صدورها منسوجة بالعصب لا لحم عليها وقال جالينوس مؤيدا لما ذهب اليه أرسيجانس ان البازى لا يتخذ وكرا الا فى شجرة لفاء مشتبكة بالشوك مختلفة الجون بين شجر عسىّ طلبا للكنّ ودفعا لالم الحرّ والبرد فاذا أراد ان يفرّخ بنى لنفسه بيتا وسقفه تسقيفا لا يصل اليه منه مضرة ولا ثلج اشفاقا على نفسه وفراخه من البرد وذكر الادهم بن محرز أن أول من لعب بالصقور الحرث بن معاوية ابن ثور بن كندى وهو ابن كندة وانه وقف يوما يقانص وقد نصب حبالة للعصافير

آلهتهم ويدعوك والهك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عم أولا أدعوهم الى ما هو خير لهم منها كلمة يقولونها تدين لهم بها العرب ويملكون رقاب العجم فقال أبو جهل ما هي وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها قال تقولون لا اله الا الله فنفروا وتفرقوا وقالوا سل غيرها فقال لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها قال فغضبوا وقاموا من عنده غضابى وقالوا والله لنشتمنك والهك الذي يأمرك بهذا وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم الى قوله الا اختلاق وأقبل على عمه فقال قل كلمة أشهد لك بها يوم القيامة قال لولا أن تعيبكم بها العرب وتقول جزع من الموت لأعطيتكها ولكن على ملة الأشياخ فنزلت انك لا تهدي من أحببت

(ذكر تعذيب المستضعفين من المسلمين)

وهم الذين سبقوا الى الاسلام ولا عشائر لهم تمنعهم ولا قوة لهم يمتنعون بها فأما من كانت له عشيرة تمنعه فلم يصل الكفار اليه فلما رأوا امتناع من له عشيرة فوثب كل قبيلة على من فيها من مستضعفي المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ورمضاء مكة والنار ليفتنوهم عن دينهم فمنهم من يفتتن من شدة البلاء وقلبه مطمئن بالايمان ومنهم من تصلب في دينه ويعصمه الله منهم * فمنهم بلال بن رباح الحبشي مولى أبي بكر وكان أبوه من سبي الحبشة وأمه حمامة سبية أيضا وهو من مولدي السراة وكنيته أبو عبد الله فصار بلال لأمية بن خلف الجمحي فكان اذا حميت الشمس وقت الظهيرة يلقيه في الرمضاء على وجهه وظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره ويقول لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب وهو يقول احد أحد فيقول أحد احد والله يا بلال ثم يقول لأمية أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنانا فرآه أبو بكر يعذب فقال لأمية بن خلف الجمحي ألا تتقي الله في هذا المسكين فقال أنت أفسدته فأبعدنه فقال عندي غلام على دينك اسود أجلد من هذا أعطيكه به قال قبلت فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلالا فاعتقه فهاجر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * ومنهم عمار بن ياسر أبو اليقظان العنسي وهو بطن من مراد وعنس هذا بالنون أسلم هو وأبوه وأمه وأسلم قديما ورسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الارقم بن أبي الارقم بعد بضعة وثلاثين رجلا أسلم هو وصهيب في يوم واحد وكان ياسر حليفا لبني مخزوم فكانوا يخرجون عمارا وأباه وأمه الى الأبطح اذا حميت الرمضاء يعذبونهم بحر الرمضاء فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة فمات ياسر في العذاب وأغلظت امرأته سمية القول لأبي جهل فطعنها في قبلها بحربة في يده فماتت وهي أول شهيد في الاسلام وشددوا العذاب على عمار بالحر تارة وبوضع الصخر أحمر على صدره أخرى وبالتغريق أخرى فقالوا لا نتركك حتى تسب محمدا وتقول في اللات والعزى خيرا ففعل فتركوه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقال ما وراءك قال شر يا رسول الله كان الأمر كذا وكذا قال فكيف تجد قلبك قال أجده مطمئنا بالايمان فقال يا عمار ان عادوا فعد فأنزل الله تعالى الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان فشهد المشاهد كلها مع رسول الله وقتل بصفين مع علي وقد جاوز التسعين قيل بثلاث وقيل بأربع سنين * ومنهم خباب بن الارت كان أبوه سواديا من كسكر فسباه قوم من ربيعة وحملوه الى مكة فباعوه من سباع بن عبد العزى الخزاعي حليف بني زهرة وسباع هو الذي بارزه حمزة يوم أحد وخباب تميمي وكان اسلامه قديما قيل سادس ستة قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم فأخذه الكفار وعذبوه عذابا شديدا فكانوا يعرونه ويلصقون ظهره بالرمضاء

فانقض أكدر على عصفور منها قد علق فعلقه الأكدر وهو الصقر ومن أسمائه أيضا الأجدل فحمل العصفور وقد علق فجل الملك فأتى به وهو يأكل العصفور فرمى به في كسر البيت فرآه قد دجن ولم يبرح مكانه ولم ينفر واذا رمى اليه طعاما أكله واذا رأى لحما نض الى يد صاحبه ثم دعي فأجاب فطعم على اليد وكانوا يتباهون بحمله اذ رأى يوما حمامة فطار اليها من يد حامله فعلقها فأمر الملك باتخاذها والتصيد بها فبينما الملك يسير يوما اذ نفجت أرنب فطار الصقر اليها فأخذها فطلب بها الطير فقتلها واتخذها العرب بعده ثم استفاضت في أيدي الناس فأما الشواهين فان أرسطاس الحكيم ذكر في كتاب كان وجه به الى المهدي حمل اليه من أرض الروم أهداه اليه الملك أن ملكا من ملوك الروم يقال له سنان نظر يوما الى شاهين يهوي منحدرا على طير الماء فيضربه ثم يسمو مرتفعا في الهواء حتى فعل ذلك مرارا فقال هذا طير ضار وله قوة انحداره على الطير في الماء انه لضار ويدلنا سرعة انحداره وارتفاعه

ثم بالرضف وهي الحجارة المحماة بالنار ولووا رأسه فلم يجبهم الى شيء مما أرادوا منه وهاجر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل الكوفة ومات سنة ست وثلاثين * ومنهم صهيب ابن سنان الرومي ولم يكن روميا وانما نسب اليهم لانهم سبوه وباعوه وقيل لانه كان احمر اللون وهو من النمر بن قاسط كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا يحيى قبل ان يولد له وكان ممن يعذب في الله فعذب عذابا شديدا ولما أراد الهجرة منعته قريش فافتدى نفسه منهم بماله اجمع وجعله عمر ابن الخطاب عند موته يصلي بالناس الى ان يستخلف بعض أهل الشورى وتوفي بالمدينة في شوال من سنة ثمان وثلاثين وعمره سبعون سنة * وأما عامر بن فهيرة فهو مولى الطفيل بن عبد الله الازدي وكان الطفيل أخا عائشة لامها أم رومان أسلم قديما قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم وكان من المستضعفين يعذب في الله فلم يرجع عن دينه واشتراه أبو بكر واعتقه فكان يرعى غنما له وكان يروح بغنم أبي بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم والى ابي بكر لما كانا في الغار وهاجر معهما الى المدينة يخدمهما وشهد بدرا واحدا واستشهد يوم بئر معونة وله اربعون سنة ولما طعن قال فزت ورب الكعبة ولم توجد جثته لتدفن مع القتلى فقيل ان الملائكة دفنته * ومنهم أبو فكيهة واسمه افلح وقيل يسار وكان عبد الصفوان بن أمية بن خلف الجمحي أسلم مع بلال فاخذه امية بن خلف وربط في رجله حبلا وأمر به فجر ثم القاه في الرمضاء ومر به جعل فقال له أمية أليس هذا ربك فقال الله ربي وربك ورب هذا فخنقه خنقا شديدا ومعه أخوه أبي بن خلف يقول زده عذابا حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره ولم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه قد مات ثم افاق فمر به أبو بكر فاشتراه واعتقه وقيل ان بني عبد الدار كانوا يعذبونه وانما كان مولى لهم وكانوا يضعون الصخرة على صدره حتى دلع لسانه فلم يرجع عن دينه وهاجر ومات قبل بدر * ومنهم لبينة جارية بني مؤمل بن حبيب بن عدي بن كعب أسلمت قبل اسلام عمر بن الخطاب وكان عمر يعذبها حتى تفتر ثم يدعها ويقول اني لم ادعك الا سآمة فتقول كذلك يفعل الله بك ان لم تسلم فاشتراها ابو بكر فأعتقها * ومنهم زنيرة وكانت لبني عدي وكان عمر يعذبها وقيل كانت لبني مخزوم وكان ابو جهل يعذبها حتى عميت فقال لها ان اللات والعزى فعلا بك فقالت وما يدري اللات والعزى من يعبدهما ولكن هذا أمر من السماء وربي قادر على رد بصري فاصبحت من الغد وقد رد الله بصرها فقالت قريش هذا من سحر محمد فاشتراها أبو بكر فاعتقها (زنيرة بكسر الزاي وتشديد النون وتسكين الياء المثناة من تحتها وفتح الراء) ومنهم النهدية مولاة لبني نهد فصارت لامرأة من بني عبد الدار فاسلمت وكانت تعذبها وتقول والله لا اقلعت عنك او يبتاعك بعض اصحاب محمد فابتاعها أبو بكر فأعتقها * ومنهم أم عبيس بالباء الموحدة وقيل عنيس بالنون وهي أمة لبني زهرة فكان الاسود بن عبد يغوث يعذبها فابتاعها أبو بكر فأعتقها وكان أبو جهل يأتي الرجل الشريف ويقول له اتترك دينك ودين أبيك وهو خير منك ويقبح رأيه وفعله ويسفه حلمه ويضع شرفه وان كان تاجرا يقول ستكسد تجارتك ويهلك مالك وان كان ضعيفا اغرى به حتى يعذب

﴿ذكر المستهزئين ومن كان اشد الاذى للنبي صلى الله عليه وسلم﴾

وهم جماعة من قريش فمنهم عمه ابو لهب عبد العزى بن عبد المطلب كان شديدا عليه وعلى المسلمين عظيم التكذيب له دائم الاذى فكان يطرح العذرة والنتن على باب النبي صلى الله عليه وسلم وكان جاره فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أي جوار هذا يا بني عبد المطلب فرآه يوما حمزة فاخذ العذرة وطرحها على رأس ابي لهب فجعل ينفضها عن رأسه ويقول صابي أحمق وأقصر عما

في جو السماء على أنه طير أبي الوف فلما رأى الى حسن تكراره أعجبه فكان أول من اتخذ الشواهين وقد ذكر سعيد ابن عفير عن هشام بن خديج قال خرج قسطنطين ملك عمورية متصيدا بالبزاة حتى انتهى الى خليج نيطش الجاري الى بحر الروم فعبر الى مرج بين الخليج والبحر فسنح مديد فنظر الى شاهين يتكفأ على طير الماء فاعجبه ما رأى من سرعته وضراوته ولم يدر الحيلة في صيده وأمر أن يصطاد له فضراه وكان قسطنطين أول من لعب بالشواهين ونظر ذلك المرج طويل البساط مفروشا بالوان الزهر فقال هذا موضع حصين من نهر وبحر وسعة وامتداد يصلح أن يكون فيه مدينة فبنى فيه مدينة القسطنطينية وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا الملوك الروم قسطنطين بن هلاني هذا وما كان من خبره وهو المظهر لدين النصرانية فهذا وجه ما ذكر من السبب الداعي لبناء القسطنطينية وقد ذكر ابن عمر عن أبي زيد الفهري أنه كان من رتبة ملوك الاندلس الأزارقة أنه اذا

كان يفعله لكنه يضع من يفعل ذلك ومات أبو لهب بمكة عنـد وصول الخبر بانهزام المشركين ببدر بمرض يعرف بالعدسة * ومنهم الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو ابن خال النبي صلى الله عليه وسلم وكان من المستهزئين وكان اذا رأى فقراء المسلمين قال لاصحابه هؤلاء ملوك الارض الذين يرثون ملك كسرى وكان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم اما كلمت اليوم من السماء يا محمد وما اشبه ذلك فخرج من أهله فأصابه السموم فاسود وجهه فلما عاد اليهم لم يعرفوه واغلقوا الباب دونه فرجع متحيرا حتى مات عطشا وقيل ان جبريل أومأ الى السماء فأصابته الاكلة فامتلأ قيحا فمات * ومنهم الحرث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم السهمى كان أحد المستهزئين الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن الغيطلة وهى أمه وكان يأخذ حجرا يعبده فاذا رأى أحسن منه ترك الاول وعبد الثانى وكان يقول قد غر محمد اصحابه ووعدهم ان يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر وفيه نزلت أفرأيت من اتخذ الهه هواه واكل حوتا مملوحا فلم يزل يشرب الماء حتى مات وقيل أخذته الذبحة وقيل امتلأ رأسه قيحا فمات * ومنهم الوليد بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر و بن مخزوم وكان الوليد يكنى ابا عبد شمس وهو العدل لانه كان عدل قريش كلها لان قريشا كانت تكسو البيت جميعها وكان الوليد يكسوها وحده وهو الذى جمع قريشا وقال ان الناس يأتونكم أيام الحج فيسألونكم عن محمد فتختلف أقوالكم فيه فيقول هذا ساحر ويقول هذا كاهن ويقول هذا شاعر ويقول هذا مجنون وليس يشبه واحدا مما يقولون ولكن اصلح ما قيل فيه ساحر لانه يفرق بين المرء واخيه وزوجته (٢) وقال ابو جهل لئن سب محمد آلهتنا سببنا الهه فأنزل الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ومات بعد الهجرة بعد ثلاثة اشهر وهو ابن خمس وتسعين سنة ودفن بالحجون وكان مر برجل من خزاعة يريش نبلاله فوطئ على سهم منها فخدشه ثم أومأ جبريل الى ذلك الخدش بيده فانتقض ومات منه فأوصى الى بنيه ان يأخذوا ديته من خزاعة فأعطت خزاعة ديته * ومنهم أمية وأبى ابنا خلف وكانا على شر ما عليه احد من أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكذيبه جاء أبى اليه صلى الله عليه وسلم بعظم نخر ففتته فى يده وقال زعمت ان ربك يحيى هذا العظم فنزلت قال من يحيى العظام وهى رميم وصنع عقبة بن أبى معيط طعاما ودعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا أحضره حتى تشهد ان لا اله الا الله ففعل فقام معه فقال له أمية بن خلف أقلت كذا وكذا فقال انما قلت ذلك لطعامنا فنزلت ويوم يعض الظالم على يديه وقتل أمية يوم بدر كافرا قتله خبيب وبلال وقيل قتله رفاعة بن رافع الانصارى واما اخوه أبى فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد رماه بحربة فقتله * ومنهم أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين ابا جهل على اذاه قتله حمزة يوم بدر * ومنهم العاص بن وائل السهمى والد عمرو بن العاص وكان من المستهزئين وهو القائل لما مات ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم ان محمدا أبتر لا يعيش له ولد ذكر فانزل ان شانئك هو الابتر فركب حمارا له فلما كان بشعب من شعاب مكة ربض به حماره فلدغ فى رجله فانتفخت حتى صارت كعنق البعير فمات منها بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ثانى شهر دخل المدينة وهو ابن خمس وثمانين سنة * ومنهم النضر ابن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار يكنى ابا قائد وكان أشد قريش فى تكذيب النبى صلى الله عليه وسلم والاذى له ولاصحابه وكان ينظر فى كتب الفرس ويخالط اليهود والنصارى وسمع بذكر النبى صلى الله عليه وسلم وقرب مبعثه فقال ان جاءنا نذير لنكونن أهدى من

ركب الملك منهم صارت الشواهين فى الهواء مظلة لعسكره مخيمة على مركبه تنحدر عليه مرة وترفع أخرى معلمة لذلك فلا تزال على ماوصفنا فى حال مسيره حتى ينزل فتقع حوله الى ان ركب يوما ملك منهم وصارت الشواهين معه على ماوصفنا فاستثارت طائرا فانقض عليه شاهين فاخذه فاعجب بذلك الملك وضراها على الصيد فكان أول من تصيد بها بالمغرب وبلاد الاندلس (قال المسعودى) وكذلك ذكر جماعة من أهل العلم بهذا الشان أنه كان أول من لعب بالعقبان أهل المغرب فلما نظر الروم الى شدة شرها وافراط سلاحها قال حكماؤهم هذه التى لا يقوم خيرها بشرها وذكر أن قيصر أهدى الى كسرى عقابا وكتب اليه يعلمه انها تعمل اكثر من عمل الصقر الذى أعجبه صيده فأمر بها كسرى فارسلت على ظبى عرض فدقته فأعجبه ما رأى منها فانصرف مسرورا فجوعها ليصيد بها فوثبت على صبى له فقتلته فقال كسرى وترنا قيصر فى أولادنا بغير جيش ثم ان كسرى أهدى الى قيصر نمرا وكتب أنه يقتل الظباء

(٢) قوله وقال أبو جهل الى قوله بغير علم لامحل لذكره هنا وحقه ان يذكر بعد قوله فيما سيأتى ومنهم أبو جهل الخ اه احدى

احدى الامم فنزلت وأقسموا بالله جهد أيمانهم الآية وكان يقول انما يأتيكم محمد بأساطير الاولين فنزل فيه عدة آيات أسره المقداد يوم بدر وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه فقتله على بن أبى طالب صبرا بالاثيل ومنهم ابوجهل بن هشام المخزومى كان أشد الناس عداوة للنبى صلى الله عليه وسلم وأكثرهم اذى له ولاصحابه واسمه عمرو وكنيته ابو الحكم واما ابوجهل فالمسلمون كنوه به وهو الذى قتل سمية أم عمار بن ياسر وافعاله مشهورة وقتل ببدر قتله ابنا عفراء واجهز عليه عبد الله بن مسعود ومنهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان وكانا على ما كان عليه أصحابهما من اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والطعن عليه وكانا يلقيانه فيقولان له اما وجد الله من يبعثه غيرك ان ههنا من هو أسن منك وايسر فقتل منبه قتله على بن أبى طالب ببدر وقتل أيضا العاص ابن منبه بن الحجاج قتله أيضا على ببدر وهو صاحب ذى الفقار وقيل منبه بن الحجاج صاحبه وقيل نبيه (نبيه بضم النون وفتح الباء الموحدة) ومنهم زهير بن أبى أمية اخو أم سلمة لابيها وأمها عاتكة بنت عبد المطلب وكان ممن يظهر تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرد ما جاء به ويطعن عليه الا انه ممن اعان على نقض الصحيفة واختلف فى موته فقيل سار الى بدر فمرض فمات وقيل اسر ببدر فأطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما عاد مات بمكة وقيل حضر وقعة أحد فاصابه سهم فمات منه وقيل سار الى اليمن بعد الفتح فمات هنالك كافرا * ومنهم عقبة بن ابى معيط واسم أبى معيط ابان بن ابى عمرو بن أمية بن عبد شمس ويكنى أبا الوليد وكان من أشد الناس اذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعداوة له وللمسلمين عمد الى مكتل فجعل فيه عذرة وجعله على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به طليب بن عمير بن وهب بن عبد مناف بن قصى وأمه اروى بنت عبد المطلب فاخذ المكتل منه وضرب به رأسه واخذ باذنيه فشكاه عقبة الى أمه فقال قد صار ابنك ينصر محمدا فقالت ومن أولى به منا أموالنا وأنفسنا دون محمد وأسر عقبة ببدر فقتل صبرا قتله عاصم بن ثابت الانصارى فلما أراد قتله قال يا محمد من للصبية قال النار قتل بالصفراء وقيل بعرق الظبية وصلب وهو أول مصلوب فى الاسلام ومنهم الاسود بن المطلب بن اسد بن عبد العزى ابن قصى وكان من المستهزئين ويكنى أبا زمعة وكان هو وأصحابه يتغامزون بالنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه ويقولون قد جاءكم ملوك الارض ومن يغلب على كنوز كسرى وقيصر ويصفرون به ويصفقون فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعمى ويثكل ولده فجلس فى ظل شجرة فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها وبشوكها حتى عمى وقيل أومأ الى عينيه فعمى فشغل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل ابنه معه ببدر كافرا قتله أبو دجانة وقتل ابن ابنه عتيب قتله حمزة وعلى اشتركا فى قتله وقتل ابن ابنه الحرث بن زمعة بن الاسود قتله على وقيل هو الحرث بن الاسود والاول أصح وهو القائل

اتبكى أن يضل لها بعير * ويمنعها من النوم السهود

ومات والناس يتجهزون الى أحد وهو يحرض الكفار وهو مريض * ومنهم مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف يكنى أبا الريان وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشتمه ويسمعه ويكذبه وأسر ببدر وقتل كافرا صبرا قتله حمزة * ومنهم مالك بن الطلاطلة بن عمرو بن غبشان من المستهزئين وكان سفيها فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار جبريل الى رأسه فامتلأ قيحا فمات * ومنهم ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب كان شديد العداوة لقى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى بلغنى عنك أمر ولست بكذاب فان صرعتنى علمت انك صادق ولم يكن

وأمثالها من الوحش وكتب ما صنعت العقاب فاعجب قيصر حسن النمر وطابق صفته بوصف من الفهد وغفل عنه فافترس بعض فتيانه فقال صادنا كسرى فان كنا قد صدناه فلا بأس هذا وقد تغلغل بنا الكلام عند ذكرنا بحر جرجان وجزائره الى الكلام فى أنواع الجوارح وأشكالها عند ذكرنا لملوك اليونانيين فلنرجع الآن الى ذكر الباب والابواب ومن يلى السور من الامم وجبل الفتح وقد قلنا ان شر الملوك ممن جاورها من الامم مملكة جيزان وملكهم رجل مسلم يزعم أنه من العرب من قحطان ويعرف بسلفان فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وليس فى مملكته مسلم غيره وولده وأهله وأرى أن هذه السمة يسمى بها كل ملك لهذا الصقع وبين مملكة جيزان وبين الباب والابواب أناس من المسلمين عرب لا يحسنون شيأ من اللغات غير العربية فى آجام هنالك وغياض وأودية وأنهار كبار من قرى قد سكنوها قطنوا ذلك الصقع منذ الوقت الذى افتتحت فيه تلك الديار ممن طرأ من وادى العرب اليها فهم مجاورون لمملكة

يصرعه أحد فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقال لا اسلم حتى تدعو هذه الشجرة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلي فاقبلت تخد الارض فقال ركانة ما رأيت سحرا أعظم من هذا امرها فلترجع فامرها فعادت فقال هذا سحر عظيم هؤلاء أشد عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عداهم من رؤساء قريش كانوا أقل عداوة من هؤلاء كعتبة وشيبة وغيرهما وكان جماعة من قريش من أشد الناس عليه فاسلموا تركنا ذكرهم لذلك منهم أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة لابيها وكانت امه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن حرب والحكم بن أبي العاص والد مروان وغيرهم اسلموا يوم الفتح

﴿ذكر الهجرة الى أرض الحبشة﴾

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله عز وجل وعمه أبي طالب وانه لا يقدر على ان يمنعهم قال لو خرجتم الى أرض الحبشة فان فيها ملكا لا يظلم أحد عنده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه فخرج المسلمون الى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم فكانت أول هجرة في الاسلام فخرج عثمان بن عفان وزوجته رقية ابنة النبي صلى الله عليه وسلم معه وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وامرأته معه سهلة بنت سهيل والزبير بن العوام وغيرهم تمام عشرة رجال وقيل احد عشر رجلا وأربع نسوة وكان مسيرهم في رجب سنة خمس من النبوة وهي السنة الثانية من اظهار الدعوة فاقاموا شعبان وشهر رمضان وقدموا في شوال سنة خمس من النبوة وكان سبب قدومهم الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما رأى مباعدة قومه له شق عليه وتمنى ان يأتيه الله بشئ يقاربهم به وحدث نفسه بذلك فأنزل الله والنجم اذا هوى فلما وصل الى قوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان على لسانه لما كان تحدث به نفسه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما سمعت ذلك قريش سرهم والمسلمون مصدقون بذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتهمونه ولا يظنون به سهوا ولا خطأ فلما انتهى الى سجدة سجد معه المسلمون والمشركون الا الوليد بن المغيرة فانه لم يطق السجود لكبره فأخذ كفا من البطحاء فسجد عليها ثم تفرق الناس وبلغ الخبر من بالحبشة من المسلمين ان قريشا أسلمت فعاد منهم قوم وتخلف قوم وأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما قرأ فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاف فأنزل الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فذهب عنه الحزن والخوف واشتدت قريش على المسلمين فلما قرب المسلمون الذين كانوا بالحبشة من مكة بلغهم ان اسلام أهل مكة باطل فلم يدخل أحد منهم الا بجوار أو مستخفيا فدخل عثمان في جوار أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية فامن بذلك ودخل أبو حذيفة بن عتبة بجوار أبيه ودخل عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المغيرة ثم قال أكون في ذمة مشرك جوار الله أعز فرد عليه جواره وكان لبيد بن ربيعة ينشد قريشا قوله

* الا كل شئ ما خلا الله باطل * فقال عثمان بن مظعون صدقت فلما قال
* وكل نعيم لا محالة زائل * قال كذبت نعيم الجنة لا يزول فقال لبيد يا معشر قريش ما كانت مجالسكم هكذا ولا كان السفه من شأنكم فاخبروه خبره وخبر ذمته فقام بعض بني المغيرة فلطم عين عثمان فضحك الوليد شماتة به حيث رد جواره وقال لعثمان ما كان أغناك عن هذا فقال ان عيني الاخرى لمحتاجة الى ما نال لمثل هذا فقال له هل لك ان تعود الى جواري قال لا أعود الى

جوار

حيزان الانهم ممتنعون بتلك الاشجار والانهار وهم على نحو ثلاثة أميال من مدينة الباب والابواب وأهل الباب يحذرونهم وأهل مملكة حيزان مما يلي جبل الفتح والسور لهم ملك يقال له مدرمان مسلم ويعرف بلده بالكرخ وهم أصحاب الاعمدة وكل ملك يلي هذه المملكة يدعى مدرمان ثم يلي مملكة مدرمان مملكة يقال لها غميق وأهلها أناس نصارى لا ينقادون الى ملك ولهم رؤساء وهم مهادنون لمملكة اللان ثم يليهم مما يلي السور والجبل مملكة يقال لها دادرلكران وتفسير ذلك عمال الزرد لان أكثرهم يعمل الزرد واليلب واللجم والسيوف وغير ذلك من أنواع الحديد وهم ذوو ديانات مختلفة مسلمون ويهود ونصارى وبلدهم بلد خشن قد امتنعوا بالخشونته على من جاورهم من الامم ثم يلي هؤلاء مملكة السرير وملكها يدعى فيلان شاه يدين بدين النصرانية وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب انه من ولد بهرام جور وسمي صاحب السرير لان يزدجرد وهو الآخر من ملوك ساسان

جوار غير الله فقام سعد بن أبي وقاص الى الذي لطم عين عثمان فكسر أنفه فكان أول دم أريق في الاسلام في قول وأقام المسلمون بمكة يؤذون فلما رأوا ذلك رجعوا مهاجرين الى الحبشة ثانيا فخرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون الى الحبشة فكمل بها تمام اثنين وثمانين رجلا والنبي صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة يدعو الى الله سرا وجهرا فلما رأت قريش انه لا سبيل لها اليه رموه بالسحر والكهانة والجنون وانه شاعر وجعلوا يصدون عنه من خافوا أن يسمع قوله وكان أشد ما بلغوا منه ما ذكره عبد الله بن عمرو بن العاص قال حضرت قريش يوما بالحجر فذكروا النبي صلى الله عليه وسلم وما نال منهم وصبرهم عليه فبينما هم كذلك اذ طلع النبي صلى الله عليه وسلم ومشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا فغمزوه ببعض القول فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه مثلها ثم الثالثة فقال أتسمعون يا معشر قريش والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح قال فكأنما على رؤسهم الطير واقع حتى ان أشدهم فيه ليرفؤه بأحسن ما يجد وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان الغد اجتمعوا في الحجر فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم حتى اذا أتاكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم كذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد يقولون له أنت الذي تقول كذا وكذا فيقول أنا الذي أقول ذلك فأخذ عقبة ابن أبي معيط بردائه وقام أبو بكر الصديق دونه يقول وهو يبكي ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ثم انصرفوا عنه هذا اشد ما بلغت عنه

(ذكر ارسال قريش الى النجاشي في طلب المهاجرين)

لما رأت قريش ان المهاجرين قد اطمأنوا بالحبشة وأمنوا وأن النجاشي قد أحسن صحبتهم ائتمروا بينهم فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي أمية ومعهما هدية اليه والى اعيان اصحابه فسارا حتى وصلا الحبشة فحملا الى النجاشي هديته والى أصحابه هداياهم وقالا لهم ان ناسا من سفهائنا فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دين الملك وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم وقد أرسلنا اشراف قومهم الى الملك ليردهم اليه فاذا كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بان يرسلهم معنا من غير ان يكلمهم وخافا ان يسمع النجاشي كلام المسلمين أن لا يسلمهم فوعدهما اصحاب النجاشي المساعدة على ما يريدان ثم انهما حضرا عند النجاشي فأعلماه ما قد قالاه فاشار اصحابه بتسليم المسلمين اليهما فغضب من ذلك وقال لا والله لا أسلم قوما جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان فان كانا صادقين سلمتهم اليهما وان كانوا على غير ما يذكر هذان منعتهم وأحسنت جوارهم ثم أرسل النجاشي الى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فدعاهم فحضروا وقد اجمعوا على صدقه فيما ساءه وسره وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبي طالب فقال لهم النجاشي ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من الملل فقال جعفر أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الى توحيد الله وأن لا نشرك به شيأ ونخلع ما كنا نعبد من الاصنام وأمر بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وأمرنا بالصلاة والصيام وعدد عليه أمور الاسلام قال فآمنا به وصدقناه وحرمنا ما حرم علينا وحللنا ما أحل لنا فتعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على

حين ولى منهزما قدم سرير الذهب وخزائنه وأمواله مع رجل من ولد بهرام ليسير بها الى هذه المملكة فحرزها هنالك الى وقت موافاته ومضى يزدجرد الى خراسان فقتل هنالك وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه على ما ذكرنا في هذا الكتاب وغيره من كتبنا فقطن ذلك الرجل في هذه المملكة واستولى عليها وصار الملك في عقبه فسمي صاحب السرير ودار مملكته تعرف بخمرج وله اثنا عشر ألف قرية يستعبد منهم من شاء وله بلد خشن منيع لخشونته وهو شعب من جبل القبخ وهو يغير على الخزر مستظهرا عليهم لانهم في سهل وهو في جبل ثم تلي هذه المملكة مملكة اللان وملكها يقال له كركنداج وهذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم وكذلك فيلان شاه فهو الاسم الاعم لسائر ملوك السرير ودار مملكة ملك اللان يقال لها معص وتفسير ذلك الدمانة وله قصور ومتنزهات في غير هذه المدينة ينتقل في السكنى اليها وبينه وبين صاحب السرير مصاهرة في هذا الوقت وقد تزوج كل واحد منهما بأخت

من سواك ورجونا ان لا نظلم عندك أيها الملك فقال النجاشي هل معك مما جاء به عن الله شيء قال نعم فقرأ عليه سطرا من كهيعص فبكى النجاشي وأساقفته وقال النجاشي ان هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة انطلقا والله لا أسلمهم اليكما أبدا فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص والله لآتينه غدا بما يبيد خضراءهم فقال له عبد الله بن أبي أمية وكان أتقى الرجلين لا تفعل فان لهم ارحاما فلما كان الغد قال للنجاشي ان هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما فارسل النجاشي فسألهم عن قولهم في المسيح فقال جعفر نقول فيه الذي جاءنا به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول فأخذ النجاشي عودا من الارض وقال ما عدا عيسى ما قلت هذا العود فنخرت بطارقته فقال وان نخرتم وقال للمسلمين اذهبوا فانتم آمنون ما احب ان لي جبلا من ذهب واني آذيت رجلا منكم ورد هدية قريش وقال ما اخذ الله الرشوة مني حتى آخذها منكم ولا اطاع الناس فيّ حتى أطيعهم فيه وأقام المسلمون بخير دار وظهر ملك من الحبشة فنازع النجاشي في ملكه فعظم ذلك على المسلمين وسار النجاشي اليه ليقاتله وأرسل المسلمون الزبير بن العوام ليأتيهم بخبره وهم يدعون له فاقتتلوا فظفر النجاشي فاسر المسلمون بشئ سرورهم بظفره قيل ان معنى قوله ان الله لم يأخذ الرشوة مني ان أبا النجاشي لم يكن له ولد غيره وكان له عم قد أولد اثني عشر ولدا فقالت الحبشة لو قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فانه لا ولد له غير هذا الغلام وكان أخوه وأولاده يتوارثون الملك دهرا فقتلوا أباه وملكوا عمه ومكثوا على ذلك حينا وبقي النجاشي عند عمه وكان عاقلا فغلب على أمر عمه فخافت الحبشة ان يقتلهم جزاء لقتل أبيه فقالوا لعمه اما ان تقتل النجاشي واما ان تخرجه من بين أظهرنا فقد خفناه فاجابهم الى اخراجه من بلادهم على كره منه فخرجوا الى السوق فباعوه من تاجر بستمائة درهم فسار به التاجر في سفينته فلما جاء العشاء هاجت سحابة فاصابت عمه بصاعقة ففزعت الحبشة الى أولاده فاذا هم لا خير فيهم فهرج على الحبشة أمرهم فقال بعضهم والله لا يقيم أمركم الا النجاشي فان كان لكم بالحبشة رأي فادركوه فخرجوا في طلبه حتى أدركوه وملكوه وجاء التاجر وقال لهم اما ان تعطوني مالي واما ان أكلمه فقالوا كلمه فقال أيها الملك ابتعت غلاما بستمائة درهم ثم أخذوا الغلام والمال فقال النجاشي اما ان تعطوه دراهمه واما ان يضع الغلام يده في يده فليذهبن به حيث شاء فاعطوه دراهمه فهذا معنى قوله فكان ذلك أول ما علم من عدله ودينه قال ولما مات النجاشي كانوا لا يزالون يرون على قبره نورا

﴿ذكر اسلام حمزة بن عبد المطلب﴾

ثم ان أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه وعاب دينه ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك ثم انصرف عنه فجلس في نادي قريش عند الكعبة فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب ان أقبل من قنصه متوشحا قوسه وكان اذا رجع لم يصل الى أهله حتى يطوف بالكعبة وكان يقف على أندية قريش ويسلم عليهم ويتحدث معهم وكان أعز قريش وأشدهم شكيمة فلما مر بالمولاة وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع الى بيته فقالت له يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد من أبي الحكم بن هشام فانه سبه وآذاه ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد قال فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته فخرج سريعا لا يقف على أحد كما كان يصنع يريد الطواف بالكعبة معدا لابي جهل اذا لقيه ان يقع به حتى دخل المسجد فرآه جالسا في القوم فاقبل نحوه وضرب رأسه بالقوس فشجه شجة منكرة وقال أتشتمه وأنا على دينه

اقول

الآخر وقد كانت ملوك اللان بعد ظهور الاسلام في الدولة العباسية اعتقدوا دين النصرانية وكانوا قبل ذلك جاهلية فلما كان بعد العشرين والثلثمائة رجعوا عما كانوا عليه من النصرانية وطردوا من كان قبلهم من الاساقفة والقسيسين وقد كان أنفذهم اليهم ملك الروم وبين ملك اللان وجبل الفتح قلعة وقنطرة على واد عظيم يقال لهذه القلعة قلعة باب اللان بنى هذه القلعة ملك في قديم الزمان من الفرس الاوائل يقال له اسفنديار بن كشتاسب ابن بهراسب ورتب في هذه القلعة رجالا يمنعون اللان عن الوصول الى جبل الفتح ولا طريق لهم الا على هذه القنطرة من تحت هذه القلعة والقلعة على صخرة صماء لا سبيل الى فتحها والوصول اليها الا باذن من فيها ولهذه القلعة المبنية على أعلى هذه الصخرة عين من الماء عذبة تظهر في وسطها من أعلى هذه الصخرة وهذه القلعة احدى قلاع العالم الموصوفة بالمنعة وقد ذكرتها الفرس في أشعارها وما كان لاسفنديار بن كشتاسب في بنائها ولاسفنديار في

أقول مايقول فاردد على ان استطعت وقامت رجال بنى مخزوم الى حمزة لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل دعوا أبا عمارة فانى سببت ابن أخيه سبا قبيحا وتم حمزة على اسلامه فلما أسلم حمزة عرفت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وان حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه واجتمع يوما أصحابه فقالوا ما سمعت قريش القرآن يجهر لها به فمن رجل يسمعهموه فقال ابن مسعود انا فقالوا انخشى عليك انما نريد من له عشيرة يمنعونه قال ان الله سيمنعنى فغدا عليهم فى الضحى حتى أتى المقام وقريش فى انديتها ثم رفع صوته وقرأ سورة الرحمن فلما علمت قريش انه يقرأ القرآن قاموا اليه يضربونه وهو يقرأ ثم انصرف الى أصحابه وقد أثروا بوجهه فقالوا هذا الذى خشينا عليك فقال ما كان أعداء الله اهون على منهم اليوم ولئن شئتم لاغادينهم قالوا حسبك قد اسمعتهم ما يكرهون

﴿ذكر اسلام عمر بن الخطاب﴾

ثم اسلم عمر بعد تسعة وثلاثين رجلا وثلاث وعشرين امرأة وقيل اسلم بعد أربعين رجلا واحدى عشرة امرأة وقيل اسلم بعد خمسة واربعين رجلا واحدى وعشرين امرأة وكان رجلا جلدا منيعا وأسلم بعد هجرة المسلمين الى الحبشة وكان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لا يقدرون يصلون عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عندها وصلى معه اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وكان قد اسلم قبله حمزة بن عبد المطلب فقوى المسلمون بهما وعلموا انهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين قالت أم عبد الله بنت أبى حثمة وكانت زوج عامر بن ربيعة انا لنرحل الى أرض الحبشة وقد ذهب عامر لبعض حاجته اذ أقبل عمر وهو على شركه حتى وقف على وكنا نلقى منه البلاء اذى وشدة فقال انتطلقون يا أم عبد الله قالت قلت نعم والله لنخرجن فى أرض الله فقد آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجا قالت فقال صحبكم الله ورأيت له رقة وحزنا قالت فلما عاد عامر أخبرته وقلت له لو رأيت عمر ورقته وحزنه علينا قال أطمعت فى اسلامه قلت نعم فقال لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب لما كان يرى من غلظته وشدته على المسلمين فهداه الله تعالى فاسلم فصار على الكفار أشد منه على المسلمين وكان سبب اسلامه ان أخته فاطمة بنت الخطاب كانت تحت سعيد ابن زيد بن عمرو العدوى وكانا مسلمين يخفيان اسلامهما من عمر وكان نعيم بن عبد الله النحام العدوى قد اسلم ايضا وهو يخفى اسلامه فرقا من قومه وكان خباب بن الارت يختلف الى فاطمة يقرئها القرآن فخرج عمر يوما ومعه سيفه يريد النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين وهم مجتمعون فى دار الارقم عند الصفا وعنده من لم يهاجر من المسلمين فى نحو أربعين رجلا فلقيه نعيم بن عبد الله فقال أين تريد يا عمر فقال أريد محمدا الذى فرق أمر قريش وعاب دينها فاقتله فقال نعيم والله لقد غرتك نفسك أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الارض وقد قتلت محمدا أفلا ترجع الى أهلك فتقيم أمرهم قال واى اهلى قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد واختك فاطمة فقد والله أسلما فرجع عمر اليهما وعندهما خباب بن الارت يقرئهما القرآن فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب وأخذت فاطمة الصحيفة فالقتها تحت فخذها وقد سمع عمر قراءة خباب فلما دخل قال ما هذه الهينمة قالا ما سمعت شيأ قال بلى قد أخبرت انكما تابعتما محمدا وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت اليه أخته لتكفه فضربها فشجها فلما فعل ذلك قالت له أخته قد اسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما شئت ولما رأى عمر ما باخته من الدم ندم وقال لها أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرؤن فيها الآن حتى أنظر الى ما جاء به محمد قالت انا نخشاك عليها فحلف انه يعيدها قالت وقد طمعت فى اسلامه

الشرق حروب كثيرة مع أصناف من الامم وهو السائر الى بلاد الترك فخرب مدينة الصعر وكانت من المنعة بالموضع العظيم الذى لا يرام وبها ضرب الفرس الامثال وما كان من افعال اسفنديار وما وصفنا فمذكور فى الكتاب المعروف بكتاب السيكس نقله ابن المقفع الى لسان العرب وقد كان مسلمة بن عبد الملك بن مروان حين وصل الى هذا الصقع ووطئ أهله أسكن فى هذه القلعة أناسا من العرب الى هذه الغاية يحرسون هذا الموضع وربما يحمل اليهم الرزق وأقوات من البر من ثغر تفليس وبين تفليس وهذه القلعة مسيرة خمسة أيام كبار ولو كان رجل واحد فى هذه القلعة لمنع سائر الملوك الكبار أن يجتازوا بهذا الموضع لتعلقها بالجو واشرافها على الطريق والقنطرة والوادى وصاحب اللان يركب فى ثلاثين ألف فارس وهو ذو منعة وبأس شديد وذو سياسة بين الملوك ومملكته عمائرها متصلة غير منفصلة اذا تصايحت الديوك تجاوبت فى سائر مملكته لاشتباك العمائر واتصالها ثم يلى

انك نجس على شركك ولا يمسها الا المطهرون فقام فاغتسل فاعطته الصحيفة وقرأها وفيها طه وكان كاتبا فلما قرأ بعضها قال ما أحسن هذا الكلام وأكرمه فلما سمع خباب خرج اليه وقال يا عمر اني والله لارجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فاني سمعته امس وهو يقول اللهم أيد الاسلام بعمر بن الخطاب او بابي الحكم بن هشام فالله الله يا عمر فقال عمر عند ذلك فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فاسلم فدله خباب فاخذ سيفه وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فضرب عليهم الباب فقام رجل منهم فنظر من الباب فرآه متوشحا سيفه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال حمزة ائذن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له وان أراد شرا قتلناه بسيفه فاذن له فنهض اليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى لقيه فاخذ بمجامع ردائه ثم جذبه جذبة شديدة وقال ما جاء بك ما أراك تنتهي حتى ينزل الله عليك قارعة فقال عمر يا رسول الله جئت لأومن بالله وبرسوله فكبر صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف من في البيت ان عمر اسلم فلما اسلم قال اي قريش انقل للحديث قيل جميل ابن معمر الجمحي فجاءه فاخبره باسلامه فمشى الى المسجد وعمر وراءه وصرخ يا معشر قريش ألا ان ابن الخطاب قد صبأ فيقول عمر من خلفه كذب ولكني اسلمت فقاموا فلم يزل يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس وأعيا فقعد وهم على رأسه فقال افعلوا ما بدا لكم فلو كنا ثلثمائة نفر تركناها لكم أو تركتموها لنا يعني مكة فبينما هم كذلك اذ أقبل شيخ عليه حلة فقال ما شأنكم قالوا صبأ عمر قال فه رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبهم هكذا خلوا عن الرجل وكان الرجل العاص بن وائل السهمي قال عمر لما اسلمت أتيت باب ابي جهل بن هشام فضربت عليه بابه فخرج الي وقال مرحبا يا ابن أخي ما جاء بك قلت جئت لاخبرك اني قد أسلمت وآمنت بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقت ما جاء به قال فضرب الباب في وجهي وقال قبحك الله وقبح ما جئت به وقيل في اسلامه غير هذا

﴿ ذكر أمر الصحيفة ﴾

ولما رأت قريش الاسلام يفشو ويزيد وان المسلمين قووا باسلام حمزة وعمر وعاد اليهم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي أمية من النجاشي بما يكرهون من منع المسلمين عنهم وأمنهم عنده ائتمروا في ان يكتبوا بينهم كتابا يتعاقدون فيه على أن لا ينكحوا بني هاشم وبني المطلب ولا ينكحوا اليهم ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم شيأ فكتبوا بذلك صحيفة وتعاهدوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا لذلك الامر على أنفسهم فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب الى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا وخرج من بني هاشم أبو لهب بن عبد المطلب الى قريش فلقي هندا ابنة عتبة فقال كيف رأيت نصري اللات والعزى قالت لقد أحسنت فاقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا لا يصل الى أحد منهم شئ الا سرا وذكروا ان أبا جهل لقي حكيم بن حزام بن خويلد ومعه قمح يريد به عمته خديجة وهي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فتعلق به وقال والله لا تبرح حتى أفضحك فجاء أبو البختري بن هشام فقال ما لك وله عنده طعام لعمته افتمنعه ان يحمله اليها خل سبيله فابى أبو جهل فنال منه فضربه أبو البختري بلحي جمل فشجه ووطئه وطئا شديدا وحمزة ينظر اليهم وهم يكرهون ان يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فيشمت بهم هو والمسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس سرا وجهرا والوحي متتابع اليه فبقوا كذلك ثلاث سنين وقام في نقض الصحيفة نفر من قريش وكان أحسنهم بلاء فيه هشام بن عمرو بن الحرث بن عمرو بن لؤي وهو ابن أخي نضلة بن هشام بن عبد مناف لامه وكان

مملكة اللان أمة يقال لها كشك وهم بين جبل الفتح وبحر الروم وهي أمة مطيعة منقادة الى دين المجوسية وليس فيمن ذكرنا من الامم في هذا الصقع أنقى أبشارا ولا أصفى ألوانا ولا أصبح نساء ولا أقوم قدودا ولا أدق أخصارا ولا أظهر أكفالا وأردافا ولا أحسن شكلا من هذه الامة ونساؤهم موصوفات بلذة الخلوات ولباسهم البياض والديباج الرومي والسقلاطوني وغير ذلك من أنواع الديباج المذهب وبياضهم أنواع من الثياب يصنع من القنب فيها نوع يقال له الطلي أرق من الدبيقي وأبقى على الكد يبلغ الثوب عشرة دنانير يحمل الى ما بينهم من الاسلام وقد تحمل هذه الثياب ممن جاورهم من الامم الا أن الموصوف منها ما يحمل من قبل هؤلاء واللان مستظهرة على هذه الامة لا تنتصف هذه الامة من اللان الا انها تمتنع من اللان بقلاع لها على ساحل البحر وقد تنوزع في البحر الذي هم عليه فمن الناس من يرى انه بحر الروم ومنهم من يرى انه بحر نيطش الا أنهم يقربون في البحر من بلاد طرابزندة

يأتى بالبعير قد أوقره طعاما ليلا ويستقبل به الشعب ويخلع خطامه فيدخل الشعب فلما رأى ماهم فيه وطول المدة عليهم مشى الى زهير بن أبى أمية بن المغيرة المخزومى أخى ام سلمة وكان شديد الغيرة على النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب فقال يازهير أرضيت ان تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت أما انى أحلف بالله لو كان أخوال ابى الحكم يعنى اباجهل ثم دعونه الى مثل مادعاك اليه ما اجابك ابدا فقال فماذا أصنع وانما انا رجل واحد والله لو كان معى رجل آخر لنقضتها فقال قد وجدت رجلا قال ومن هو قال انا قال زهير ابغنا ثالثا فذهب الى المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف فقال له أرضيت أن يهلك بطنان من بنى عدى بن عبد مناف وأنت شاهد ذلك موافق فيه اما والله لئن امكنتموهم من هذه لتجدنهم اليها منكم أسرع قال ما اصنع انما انا رجل واحد قال قد وجدت ثانيا قال من هو قال انا قال ابغنى ثالثا قال قد فعلت قال من هو قال زهير بن أبى أمية قال ابغنا رابعا فذهب الى أبى البخترى بن هشام وقال له نحوا مما قال للمطعم قال وهل من أحد يعين على هذا قال نعم قال من هو قال انا وزهير والمطعم قال ابغنى خامسا فذهب الى زمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد فكلمه وذكر له قرابتهم قال وهل على هذا الامر معين قال نعم وسمى له القوم فاتعدوا خطم الحجون الذى باعلى مكة فاجتمعوا هنالك وتعاهدوا على القيام فى نقض الصحيفة فقال زهير انا أبدؤكم فلما أصبحوا غدوا الى انديتهم وغدا زهير فطاف بالبيت ثم اقبل على الناس فقال يااهل مكة انأكل الطعام ونلبس الثياب وبنوهاشم هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة قال أبوجهل كذبت والله لا تشق قال زمعة بن الاسود أنت والله اكذب مارضينا بها حين كتبت قال أبو البخترى صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها قال المطعم بن عدى صدقتما وكذب من قال غير ذلك وقال هشام بن عمرو نحوا من ذلك قال أبوجهل هذا أمر قضى بليل وأبوطالب فى ناحية المسجد فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد اكلتها الا ما كان باسمك اللهم كانت تفتتح بها كتبهم وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده وقيل كان سبب خروجهم من الشعب ان الصحيفة لما كتبت وعلقت بالكعبة اعتزل الناس بنى هاشم وبنى المطلب وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوطالب ومن معهما بالشعب ثلاث سنين فارسل الله الارضة وأكلت مافيها من ظلم وقطيعة رحم وتركت مافيها من أسماء الله تعالى فجاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فاعلمه بذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب وكان أبوطالب لا يشك فى قوله فخرج من الشعب الى الحرم فاجتمع الملأ من قريش وقال ان ابن أخى أخبرنى ان الله أرسل على صحيفتكم الارضة فاكلت مافيها من قطيعة رحم وظلم وتركت اسم الله تعالى فاحضروها فان كان صادقا علمتم انكم ظالمون لنا قاطعون لارحامنا وان كان كاذبا علمنا انكم على حق وانا على باطل فقاموا سراعا وأحضروها فوجدوا الامر كما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقويت نفس أبى طالب واشتد صوته وقال قد تبين لكم انكم أولى بالظلم والقطيعة فنكسوا رؤسهم ثم قالوا انما تأتوننا بالسحر والبهتان وقام أولئك النفر فى نقضها كما ذكرنا وقال أبوطالب فى أمر الصحيفة واكل الارضة مافيها من ظلم وقطيعة رحم أبياتا منها

وقد كان فى أمر الصحيفة عبرة * متى مايخبر غائب القوم يعجب
محى الله منهم كفرهم وعقوقهم * وما نقموا من ناطق الحق معرب
فاصبح ماقالوا من الامر باطلا * ومن يختلق ماليس بالحق يكذب

والتجارة تتصل بهم منها فى المراكب وتجهز من قبلهم أيضا والعلة فى ضعفهم عن اللان تركهم أن يملكوا عليهم ملكا يجمع كلمتهم ولو اجتمعت كلمتهم لم يطقهم اللان ولا غيرها من الامم وتفسير هذا الاسم وهو فارسى الى العربية الصاف وذلك أن الفرس اذا كان الانسان ثابتا صافا قالوا كشك وتلى هذه الامة التى على هذا البحر أمة أخرى يقال لبلادهم السبع بلدان وهى أمة كثيرة ممتنعة بعيدة الدار لا أعلم ملتها ولا انتهى الى خبرها فى دينها وتليها أمة عظيمة بينها وبين بلاد كشك نهر عظيم كالفرات يصب الى بحر الروم وقيل الى بحر مانطش ويقال لدار مملكة هذه الامة ارم ذات العماد وهم ذو خلق عجيب وآراؤها جاهلية ولهذا البلد على هذا البحر خبر ظريف وذلك أن سمكة عظيمة تأتيهم فى كل سنة فيتناولون منها ثم توجد نحوهم من الشق الآخر فيتناولون منها وقد عاد اللحم على الموضع الذى أخذ منه أولا وخبر هذه الامة مستفيض فى تلك الديار من الكفار ويلى هذه الامة أمة بين جبال

(ذكر وفاة أبي طالب وخديجة وعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على العرب)

توفي أبو طالب وخديجة قبل الهجرة بثلاث سنين وبعد خروجهم من الشعب فتوفي أبو طالب في شوّال أو في ذي القعدة وعمره بضع وثمانون سنة وكانت خديجة ماتت قبله بخمسة وثلاثين يوما وقيل كان بينهما خمسة وخمسون يوما وقيل ثلاثة أيام فعظمت المصيبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نالت قريش مني شيأ أكرهه حتى مات أبو طالب وذلك أن قريشا وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب الى ما لم يكونوا يصلوا اليه في حياته حتى ينثر بعضهم التراب على رأسه وحتى ان بعضهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ذلك على العود ويقول اى جوار هذا يابني عبد مناف ثم يلقيه بالطريق فلما اشتد عليه الامر بعد موت أبي طالب خرج ومعه زيد بن حارثة الى ثقيف يلتمس منهم النصر فلما انتهى اليهم عمد الى ثلاثة نفر منهم وهم يومئذ سادة ثقيف وهم اخوة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير فدعاهم الى الله وكلمهم في نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه فقال أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك وقال آخر أما وجد الله من يرسله غيرك وقال الثالث والله لا أكلمك كلمة أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت أعظم خطرا من ان أردّ عليك ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي ان اكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يئس من خير ثقيف وقال لهم اذ أبيتم فاكتموا عليّ ذلك وكره ان يبلغ قومه فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم فاجتمعوا اليه وألجؤه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهو البستان وهما فيه ورجع السفهاء عنه وجلس الى ظل حبلة وقال اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس اللهم يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني أو الى عدوّ ملكته أمري ان لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من ان تنزل بي غضبك أو تحل بي سخطك فلما رأى ابنا ربيعة ما لحقه تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا اسمه عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب واذهب به الى ذلك الرجل ففعل فلما وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده فيه وقال بسم الله ثم أكل فقال عداس والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من أي البلاد أنت وما دينك قال أنا نصراني من أهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى قال له وما يدريك ما يونس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أخي كان نبيا وانا نبي فأكب عداس على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجليه يقبلهما فعاد فيقول ابنا ربيعة أحدهما للآخر اما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاء عداس قالا له ويحك مالك تقبل يديه ورجليه قال ما في الارض خير من هذا الرجل قالا ويحك ان دينك خير من دينه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى مكة حتى اذا كان في جوف الليل قام قائما يصلي فمر به نفر من الجن وهم سبعة نفر من جن نصيبين رائحين الى اليمن فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا وذكر بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاد من ثقيف أرسل الى المطعم ابن عدي ليجيره حتى يبلغ رسالة ربه فاجاره وأصبح المطعم قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه فدخلوا المسجد فقال له أبو جهل أمجير أم متابع قال بل مجير قال قد أجرنا من أجرت فدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وأقام بها فلما رآه أبو جهل قال هذا نبيكم يا عبد مناف فقال عتبة بن ربيعة وما ينكر

أربعة كل جبل منها ممتنع ذاهب في الهواء وبين هذه الجبال الاربعة من المسافة نحو من مائة ميل صحراء في وسط تلك الصحراء دارة مقوّرة كأنها قد خطت ببيكار وشكل دائرتها خسفة مجوّفة في حجر صلد مخسف كما تدور الدائرة استدارة تلك الخسفة نحو خمسين ميلا قطع قديم يهوي سفلا كحائط مبني من سفل الى علو يكون قعره على نحو ميل طريق لاسبيل الى الوصول الى مستوى تلك الدائرة ويرى فيها بالليل نيران كثيرة في مواضع مختلفة وبالنهار يرى فيها قرى وعمائر وأنهار تجري من تلك القرى وناس وبهائم الا أنهم يرون لطاف الاجسام لبعد قعر الموضع لا يدرى من أي الامم هم ولاسبيل لهم الى الصعود من جهة من الجهات ولاسبيل لمن فوق الى النزول اليهم بوجه من الوجوه ووراء تلك الجبال الاربعة على ساحل البحر خسفة أخرى قريبة القعر فيها آجام وغياض فيها نوع من القرود منتصبة القامات مستديرة الوجوه الاغلب عليها صور الناس واشكالهم الا أنهم ذوو شعر وربما وقع في النادر القرد

ان

ان يكون منا نبي وملك فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فاتاهم فقال اما أنت يا عتبة فما حميت لله وانما حميت لنفسك واما أنت يا أبا جهل فوالله لا يأتى عليك غير بعيد حتى تضحك قليلا وتبكى كثيرا واما أنتم يامعشر قريش فوالله لا يأتى عليكم غير كثير حتى تدخلوا فيما تنكرون وأنتم كارهون فكان الامر كذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه فى المواسم على قبائل العرب فاتى كندة فى منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليح فدعاهم الى الله وعرض نفسه عليهم فابوا عليه فاتى كلبا الى بطن منهم يقال لهم عبد الله فدعاهم الى الله وعرض نفسه عليهم فلم يقبلوا ما عرض عليهم ثم انه أتى بنى حنيفة وعرض عليهم نفسه فلم يكن أحد من العرب أقبح ردا عليه منهم ثم أتى بنى عامر فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فقال له رجل منهم أرأيت ان نحن تابعناك فاظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الامر من بعدك قال الامر الى الله يضعه حيث يشاء قال له افنهدف نحورنا للعرب دونك فاذا ظهرت كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا بامرك فلما رجعت بنو عامر الى شيخ لهم كبير فاخبروه خبر النبى صلى الله عليه وسلم ونسبه فوضع يده على رأسه ثم قال يابنى عامر هل من تلاف والذى نفسى بيده ما تقولها اسمعيلى قط وانها الحق وأين كان رأيكم عنه ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على كل قادم له اسم وشرف ويدعوه الى الله وكان كلما أتى قبيلة يدعوهم الى الاسلام تبعه عمه أبو لهب فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه يقول لهم أبو لهب يابنى فلان انما يدعوكم هذا الى ان تستحلوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفاءكم من الجن الى ما جاء به من الضلالة والبدعة فلا تطيعوه ولا تسمعوا له

﴿ذكر أول عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على الانصار واسلامهم﴾

وقدم سويد بن الصامت أخو بنى عمرو بن عوف بطن من الاوس مكة حاجا ومعتمرا وكان يسمى الكامل لجلده وشعره ونسبه وهو القائل

الا رب من تدعو صديقا ولو ترى * مقالته بالغيب ساءك ما يفرى
مقالته كالشهد ما كان شاهدا * وبالغيب مأثور على ثغرة النحر
يسرك باديه وتحت أديمه * نميمة غش تبترى عقب الظهر
تبين لك العينان ما هو كاتم * وما جن بالبغضاء والنظرة الشزر
فرشنى بخير طالما قد بريتنى * فخير الموالى من يريش ولا يبرى

فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه الى الاسلام وقرأ عليه القرآن فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف وقدم المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج قتل يوم بعاث فكان قومه يقولون قتل وهو مسلم (بعاث بالباء الموحدة المضمومة والعين المهملة وهو الصحيح) وقدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة مع فتية من بنى عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فأتاهم النبى صلى الله عليه وسلم وقال لهم هل لكم فيما هو خير لكم مما جئتم له ودعاهم الى الاسلام وقرأ عليهم القرآن فقال اياس وكان غلاما حدثا هذا والله خير مما جئنا له فضرب وجهه أبو الحيسر بحفنة من البطحاء وقال دعنا منك فلقد جئنا لغير هذا فسكت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلبث اياس ان هلك فسمعه قومه يهلل الله ويكبره حتى مات فما يشكون انه مات مسلما

﴿ذكر بيعة العقبة الاولى واسلام سعد بن معاذ﴾

منهم اذا احتيل فى اصطياده فيكون فى نهاية الفهم والدراية الا انه لا لسان له فيعبر بالنطق ويفهم كل ما يخاطب به بالاشارة وربما حمل الواحد منهم الى ملوك الامم من هنالك فتعلمه القيام على رؤسها بالمذاب على موائدها ويلقى الملك له من طعامه فان أكله أكل الملك منه وان اجتنبه علم أنه مسموم فحذر منه وكذلك الاكثر من ملوك السند والهند فى القردة وقد ذكرنا فى هذا الكتاب خبر وفد الصين حين وفدوا على المهدى وما ذكروا له من القرد فى منافع ملوكهم به عند الطعام وذكرنا خبر القرود باليمن واللوح الحديد الذى كتبه سليمان بن داود عهدا للقرود بالسير وما كان من أمرهم مع عامل معاوية وما كتب به فى أمرهم ووصف القرد العظيم الذى كان فى رقبته اللوح الحديد وليس فى قرود العالم أفطن من هذا النوع ولا أخبث وذلك ان القردة تكون فى بقاع الارض الحارة فمنها بارض النوبة وأعلى بلاد الاحابش مما يلى أعالى مصب النيل القرود المعروفة بالنوبية وهى صغيرة القد صغيرة

فلما أراد الله اظهار دينه وانجاز وعده خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقى فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على القبائل كما كان يفعله فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج فدعاهم الى الله وعرض عليهم الاسلام وقد كانت يهود معهم ببلادهم وكان هؤلاء أهل أوثان فكانوا اذا كان بينهم شر تقول اليهود ان نبيا يبعث الآن نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وثمود فقال أولئك النفر بعضهم لبعض هذا والله النبى الذى توعدكم به اليهود فأجابوه وصدقوه وقالوا له ان بين قومنا شرا وعسى الله ان يجمعهم بك فان اجتمعوا عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عنه وكانوا ستة نفر من الخزرج اسعد بن زرارة بن عدس أبو امامة وعوف بن الحرث بن رفاعة وهو ابن عفراء كلاهما من بنى النجار ورافع بن مالك بن عجلان وعامر بن عبد حارثة بن ثعلبة بن غنم كلاهما من بنى زريق وقطبة بن عامر بن حديدة بن سواد من بنى سلمة (سلمة هذا بكسر اللام) وعقبة بن عامر بن نابى من بنى غنم وجابر بن عبد الله بن رياب من بنى عبيدة (رياب بكسر الراء والياء المعجمة باثنتين من تحت وبالباء الموحدة) فلما قدموا المدينة ذكروا لهم النبى صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا فلقوه بالعقبة وهى العقبة الأولى فبايعوه بيعة النساء وهم أسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا الحرث وهما ابنا عفراء ورافع بن مالك بن عجلان وذكوان بن عبد قيس من بنى زريق وعبادة بن الصامت من بنى عوف بن الخزرج ويزيد بن ثعلبة بن خزمة أبو عبد الرحمن من بلى حليف لهم وعباس بن عبادة بن نضلة من بنى سالم وعقبة بن عامر بن نابى وقطبة بن عامر بن حديدة وهؤلاء من الخزرج وشهدها من الاوس أبو الهيثم بن التيهان حليف لبنى عبد الاشهل وعويم بن ساعدة حليف لهم فانصرفوا عنه وبعث صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار وأمره ان يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام فنزل بالمدينة على اسعد بن زرارة فخرج به اسعد بن زرارة فجلس فى دار بنى ظفر واجتمع عليهما رجال ممن أسلم فسمع به سعد بن معاذ وأسيد ابن حضير وهما سيدا بنى عبد الاشهل وكلاهما مشرك فقال سعد لاسيد انطلق الى هذين اللذين أتيا دارنا فانههما فانه لولا أسعد بن زرارة وهو ابن خالتى كفيتك ذلك فاخذ أسيد حربته ثم أقبل عليهما فقال ماجاء بكما تسفهان ضعفاءنا اعتزلا عنا فقال مصعب أوتجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كف عنك ماتكرهه فقال أنصفت ثم جلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام فقال ماأحسن هذا وأجمله كيف تصنعون اذا دخلتم فى هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثيابك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين ففعل ذلك وأسلم ثم قال لهما ان ورائى رجلا ان تبعكما لم يتخلف عنكما أحد من قومه وسأرسله اليكما سعد بن معاذ ثم انصرف الى سعد وقومه فلما نظر اليه سعد قال احلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فقال له سعد مافعلت قال كلمت الرجلين والله مارأيت بهما بأسا وقد حدثت ان بنى حارثة قد خرجوا الى سعد بن زرارة ليقتلوه فقام سعد مغضبا مبادرا لخوفه مماذكر له ثم خرج اليهما فلما رآهما مطمئنين عرف ماأراد أسيد فوقف عليهما وقال لاسعد بن زرارة لولا مابينى وبينك من القرابة مارمت هذا منى فقال له مصعب أوتقعد فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته عزلنا عنك ماتكره فجلس فعرض عليه مصعب الاسلام وقرأ عليه القرآن فقال لهما كيف تصنعون اذا دخلتم فى هذا الدين فقالا له ماقالا لاسيد فأسلم وتطهر ثم عاد الى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير فلما وقف عليهم قال يابنى عبد الاشهل كيف تعلمون أمرى فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله

الوجوه ذات سواد غير حالك كأنه نوبى وهو الذى يكون مع القرادين ويصعد على رمح فيصير على أعلاه ومنها ما يكون فى ناحية الشام فى آجام وغياض نحو أرض الصقالبة وغيرها ممن هنالك من الامم كنحو ماوصفنا من هذا النوع من القرود وقرب شكله من صورة الانسان ومنها بخلجانات بلاد الواصح وبحر الصين فى مملكة المهراج ملك الجزائر وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب أن ملكه يوازى ملك الصين وهو بين مملكة البلهرا وملك الصين وهذه القرود مشهورة فى الصقع معروفة بالكثرة فى هذه الخلجانات وهى ذات صور تامة وقد كان حمل الى المقتدر منها وجاءت فى سلاسل عظام وكان فى القرود ذو لحى وسبال كبار مع أنواع من الهدايا من عجائب البحر حمل ذلك أحمد بن أبى هلال أمير عمان يومئذ وهذه القرود أمرها مشتهر عند البحريين من أهل سيراف وعمان ممن يختلف الى بلاد كلة والزابج وكيف تلقى بالحيلة لصيد التماسيح من جوف الماء على أن الحافظ قد ذكر أن التماسيح

قال فوالله ما أمسى فى دار عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما أو مسلمة ورجع مصعب الى منزل أسعد ولم يزل يدعو الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من بنى أمية بن زيد ووائل وواقف فانهم اطاعوا أبا قيس بن الاسلت فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر النبى صلى الله عليه وسلم ومضت بدر وأحد والخندق وعاد مصعب الى مكة (أسيد بضم الهمزة وفتح السين وحضير بضم الحاء المهملة وفتح الضاد المعجمة وتسكين الياء تحتها نقطتان وفى آخره راء)

﴿ذكر بيعة العقبة الثانية﴾

لما فشا الاسلام فى الانصار اتفق جماعة منهم على المسير الى النبى صلى الله عليه وسلم مستخفين لا يشعر بهم احد فساروا الى مكة فى الموسم فى ذى الحجة مع كفار قومهم واجتمعوا به وواعدوه أوسط أيام التشريق بالعقبة فلما كان الليل خرجوا بعد مضى ثلثه مستخفين يتسللون حتى اجتمعوا بالعقبة وهم سبعون رجلا معهم امرأتان نسيبة بنت كعب أم عمارة واسماء أم عمرو بن عدى من بنى سلمة وجاءهم رسول الله ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو كافر أحب ان يتوثق لابن أخيه فكان العباس أول من تكلم فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب تسمى الخزرج والاوس به ان محمدا منا حيث قد علمتم فى عز ومنعة وانه قد أبى الا الانقطاع اليكم فان كنتم ترون انكم تفون له بما دعوتموه اليه ومانعوه فانتم وذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه فمن الآن فدعوه فانه فى عز ومنعة فقال الانصار قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك وربك ما أحببت فتكلم وتلا القرآن ورغب فى الاسلام ثم قال تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم ثم أخذ البراء ابن معرور بيده ثم قال والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه ذرارينا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب فاعترض الكلام أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا وانا قاطعوها يعنى اليهود فهل عسيت ان أظهرك الله عز وجل أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بل الدم الدم والهدم الهدم أنتم منى وأنا منكم اسالم من سالمتم واحارب من حاربتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا الى اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم فاخرجوهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس وقال لهم العباس بن عبادة بن نضلة الانصارى يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا انهكت أموالكم مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتموه فمن الآن فهو والله خزى الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يا رسول الله قال الجنة قالوا ابسط يدك فبايعوه وما قال العباس بن عبادة ذلك الا ليشد العقد له عليهم وقيل بل قاله ليؤخر الامر ليحضر عبد الله بن أبى ابن سلول فيكون أقوى لامر القوم فكان أول من بايعه أبو امامة اسعد بن زرارة وقيل أبو الهيثم بن التيهان وقيل البراء بن معرور ثم بايع القوم فبايعوا فلما بايعوه صرخ الشيطان من رأس العقبة يا أهل الجباجب هل لكم فى مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله لافرغن لك اى عدو الله ثم قال ارفضوا الى رحالكم فقال له العباس بن عبادة والذى بعثك بالحق نبيا لئن شئت لنميلن غدا على أهل منى باسيافنا فقال لم نؤمر بذلك فرجعوا فلما أصبحوا جاءهم جلة قريش فقالوا قد بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا تستخرجونه وتبايعونه على حربنا وانه والله ما من حى من احياء العرب أبغض الينا ان تنشب بيننا

لا تكون الا بنيل مصر ونهر مهران السند وقد أخبرنا فيما سلف من هذا الكتاب عن ابطال ذلك وأخبرنا عن مواضع التماسيح فاما اليمن فلا تناكر بين من دخله فى أن القرود منه فى مواضع كثيرة لا يحصرها عدد لكثرتها فى وادى نخلة وهى بين بلاد الجند وبلاد زبيد التى أميرها فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ابراهيم بن زياد صاحب الحرملى وبين هذا الوادى وبين زبيد يوم وبين الجند يوم أو أكثر من ذلك وهذا الوادى كثير العمائر ومصاب المياه اليه كثيرة وشجر الموز فيه كثير والقرود فيه كثيرة وهو بين جبلين والقرود قطيعان كل قطيع منها يسوقه هدر والهدر الذكر العظيم كالفحل العظيم المقدم فيها وقد تلد القردة فى بطن واحد عدة من القرود نحو العشرة والاثنى عشر كما تلد الخنزيرة خنانيص كثيرة وتحمل القردة البعض من أولادها كحمل المرأة ولدها ويحمل الذكر باقيهن ولهن مجالس يجتمع فيها خلق منهن فيسمع لهن

و بينهم الحرب منكم فخاف من هناك من مشركي الانصار ما كان من هذا شئ فلما سار الانصار من مكة قال البراء بن معرور يا معشر الخزرج قد رأيت ان لا أستدبر الكعبة في صلاتي فقالوا له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبل الشام فنحن لا نخالفه فكان يصلي الى الكعبة فلما قدم مكة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال لقد كنت على قبلة لو صبرت عليها فرجع الى قبلة رسول الله فلما بايعوه ورجعوا الى المدينة فكان قدومهم في ذي الحجة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر وهاجر الى المدينة في شهر ربيع الاول وقدمها لاثنتي عشرة ليلة خلت منه وقد كانت قريش لما بلغهم اسلام من اسلم من الانصار اشتدوا على من بمكة من المسلمين وحرصوا على ان يفتنوهم فاصابهم جهد شديد وهي الفتنة الآخرة وأما الاولى فكانت قبل هجرة الحبشة وكانت البيعة في هذه العقبة على غير الشروط في العقبة الاولى فان الاولى كانت على بيعة النساء وهذه البيعة كانت على حرب الاحمر والاسود * ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة الى المدينة فكان أول من قدمها أبو سلمة بن عبد الاسد وكانت هجرته قبل البيعة بسنة ثم هاجر بعده عامر بن ربيعة حليف بني عدي مع امرأته ليلى ابنة أبي حثمة ثم عبد الله بن جحش ومعه أخوه أبو أحمد وجميع أهله فاغلقت دارهم وتتابع الصحابة ثم هاجر عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة فنزلا في بني عمرو بن عوف وخرج أبو جهل بن هشام والحرث بن هشام الى عياش بن أبي ربيعة بالمدينة وكان أخاهما لامهما فقالا له ان امك قد نذرت انها لا تستظل ولا تمتشط فرق لها وعاد وتتابع الصحابة بالهجرة الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ذكر هجرة النبي صلى الله عليه وسلم﴾

لما تتابع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة أقام هو بمكة ينتظر ما يؤمر به من ذلك وتخلف معه علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق فلما رأت قريش ذلك حذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب وتشاوروا فيها فدخل معهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من اهل نجد سمعت بخبركم فحضرت وعسى أن لا تعدموا مني رأيا وكانوا عتبة وشيبة وأبا سفيان وطعيمة بن عدي وجبير بن مطعم والحرث بن عامر والنضر بن الحرث وأبا البختري بن هشام وربيعة بن الاسود وحكيم بن حزام وأبا جهل ونبيها ومنبها ابني الحجاج وأمية بن خلف وغيرهم فقال بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد كان من أمره ما كان وما نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه فأجمعوا فيه رأيا فقال بعضهم احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب الشعراء قبله فقال النجدي ما هذا لكم برأي لو حبستموه يخرج أمره من وراء الباب الى أصحابه فلا وشكوا أن يثبوا عليكم فينزعوه من أيديكم فقال آخر نخرجه وننفيه من بلدنا ولا نبالي أين وقع اذا غاب عنا فقال النجدي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه لو فعلتم ذلك لحل على حي من أحياء العرب فيغلب عليهم بحلاوة منطقه ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم ويأخذ أمركم من أيديكم فقال أبو جهل أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى نسيبا ونعطي كل فتى منهم سيفا ثم يضربونه ضربة رجل واحد فيقتلوه فاذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل كلها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ورضوا منا بالعقل فقال النجدي القول ما قال الرجل هذا الرأي فتفرقوا على ذلك فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت الليلة على فراشك فلما كان العتمة اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب نم على فراشي واتشح ببردي الاخضر فنم فيه فانه لا يخلص اليك شئ تكرهه

حديث ومخاطبات وهمهمة والاناث متميزات عن الذكور فاذا سمع السامع محادثتهن وهو لا يرى أشخاصهن بين تلك الجبال والاشجار الموز وذلك بالليل لم يشك أنهم أناس لكثرتهن بالليل والنهار وليس في جميع البقاع التي تكون فيها القرود أحسن ولا أخبث ولا أسرع قبولا للتعليم من قردة اليمن وأهل اليمن يسمون القرود الرباح ولهم جمم للذكور والاناث قد سرحت سود كاسود ما يكون من الشعر واذا طلبوا يجلسون مراتب دون مرتبة الرئيس ويتشبهون في سائر أعمالهم بالناس ومن القردة باليمن ببلاد مأرب من بلاد صنعاء وقلعة كهلان ما يكون في براري وجبال هنالك كأنها النصب في تلك البراري والجبال لكثرتها وكهلان هذه قلعة من مخاليف اليمن فيها أسعد بن يعفر ملك اليمن في هذا الوقت محتجب عن الناس الا خواصه وهو بقية من ملوك حمير حوله من الجنود من الخيل والرجال نحو خمسين ألف امرتزقة يقبضون الرزق في كل شهر ويدعى وقت القبض البركة فيجتمعون هنالك

وأمره ان يؤدى ما عنده من وديعة وامانة وغير ذلك وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ حفنة من تراب فجعله على رؤسهم وهو يتلو هذه الآيات من يس والقرآن الحكيم الى قوله فهم لا يبصرون ثم انصرف فلم يروه فاتاهم آت فقال ما تنتظرون قالوا محمدا قال خيبكم الله خرج عليكم ولم يترك أحدا منكم الا جعل على رأسه التراب وانطلق لحاجته فوضعوا أيديهم على رؤسهم فرأوا التراب وجعلوا ينظرون فيرون عليا نائما وعليه برد النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون ان محمدا النائم فلم يبرحوا كذلك حتى اصبحوا فقام على عن الفراش فعرفوه وأنزل الله فى ذلك واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية وسأل اولئك الرهط عليا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ادرى أمرتموه بالخروج فخرج فضربوه وأخرجوه الى المسجد فحبسوه ساعة ثم تركوه ونجى الله رسوله من مكرهم وأمره بالهجرة وقام على يؤدى امانة النبي صلى الله عليه وسلم ويفعل ما امره * وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئه أحد طرفى النهار ان يأتى بيت أبى بكر اما بكرة أو عشية حتى كان اليوم الذى اذن الله فيه لرسوله بالهجرة اتانا بالهاجرة فلما رآه أبو بكر قال ما جاء هذه الساعة الا لامر حدث فلما دخل جلس على السرير وقال أخرج من عندك قال يارسول الله انما هما ابنتاى وماذاك قال ان الله قد اذن لى فى الخروج فقال أبو بكر الصحبة يارسول الله قال الصحبة فبكى أبو بكر من الفرح فاستأجرا عبد الله بن اريقط من بنى الديل بن بكر وكان مشركا يدلهما على الطريق ولم يعلم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أبى بكر وعلى وآل أبى بكر فاما على فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخلف عنه حتى يؤدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده ثم يلحقه وخرجا من خوخة فى بيت أبى بكر فى ظهر بيته ثم عمدا الى غار بثور فدخلاه وامر ابو بكر ابنه عبد الله ان يستمع لهما بمكة نهاره ثم يأتيهما ليلا وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثم يأتيهما بها ليلا وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما بطعامهما مساء فاقاما فى الغار ثلاثا وجعلت قريش مائة ناقة لمن رده عليهم وكان عبد الله بن أبى بكر اذا غدا من عندهما اتبع اثره بالغنم حتى يعفى أثره فلما مضت الثلاث وسكن الناس أتاهما دليلهما ببعيريهما فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما بالثمن فركبه وأتتهما اسماء بنت أبى بكر بسفرتهما ونسيت ان تجعل لهما عصاما فحلت نطاقها فجعلته عصاما وعلقت السفرة به وكان يقال لاسماء ذات النطاقين لذلك ثم ركبا وسارا واردف أبو بكر مولاه عامر بن فهيرة يخدمهما فى الطريق فساروا ليلتهم ومن الغد الى الظهر ورأوا صخرة طويلة فسوى أبو بكر عندها مكانا ليقيل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليستظل بظلها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرسه أبو بكر حتى رحلوا بعد ما زالت الشمس وكانت قريش قد جعلت لمن يأتى بالنبي صلى الله عليه وسلم دية فتبعهم سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى فلحقهم وهم فى أرض صلبة فقال أبو بكر يارسول الله ادركنا الطلب فقال لا تحزن ان الله معنا ودعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتطمت فرسه الى بطنها وثار من تحتها مثل الدخان فقال ادع لى يا محمد ليخلصنى الله ولك على ان أرد عنك الطلب فدعا له فتخلص فعاد يتبعهم فدعا عليه الثانية فساخت قوائم فرسه فى الارض أشد من الاولى فقال يا محمد قد علمت ان هذا من دعائك على فادع لى ولك عهد الله ان أرد عنك الطلب فدعا له فخلص وقرب من النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يارسول الله خذ سهما من كنانتى وان ابلى بمكان كذا فخذ منها ما أحببت فقال لا حاجة لى فى ابلك فلما أراد ان يعود عنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بك يا سراقة اذا سورت بسوارى كسرى قال كسرى بن هرمز قال نعم فعاد سراقة فكان

ويتحذرون ويتحدرون من تلك المخاليف والمخاليف القلاع وقد كانت لهذا الرجل حروب باليمن مع القرامطة وصاحب المذيخرة وهو على بن الفضل وذلك بعد السبعين والمائتين وقد كان لعلى باليمن شأن عظيم حين قتل ووطئات اليمن بهذا الرجل وباليمن للقرود مواضع كثيرة وكذلك فى سائر بقاع الارض أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على علة تكونها فى بعض البقاع دون بعض من الارض واخبار النسناس فى كتابنا أخبار الزمان وكذلك الاخبار عن العرابد وهو نوع كالحيات يكون ببلاد حجر اليمامة فيما زعموا واحدها عربد وقد كان المتوكل فى بدء خلافته سأل جبير بن اسحق أن يتأتى له فى حمل أشخاص من النسناس والعربد فلم يسلم منهم الى سر من رأى الا اثنان من النسناس ولم يتأت له الحيلة فى حمل العربد من اليمامة وذلك ان العربد هذا اذا خرج عن اليمامة وصار الى موضع منها معروف المسافة عدم من الوعاء الذى حمل فيه وأهل اليمامة ينتفعون به لمنع

لا يلقاه أحد يريد الطلب الا قال كفيتم ما ههنا ولا يلقى أحدا الا رده قالت اسماء بنت أبي بكر لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل فوقفوا على باب أبي بكر فقالوا أين أبوك قلت لا أدري فرفع ابو جهل يده فلطم خدي لطمة طرح قرطي وكان فاحشا خبيثا ومكثنا مليا لا ندري أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى رجل من الجن من أسفل مكة والناس يتبعونه يسمعون صوته ولا يرون شخصه وهو يقول

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالهدى واغتديا به * فافلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم * به من فعال لا تجازى وسودد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد

قالت فلما سمعنا قوله عرفنا ان وجهه كان الى المدينة وقدم بهما دليلهما قباء فنزل على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول يوم الاثنين حين كادت الشمس تعتدل فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو بن عوف وقيل نزل على سعد بن خيثمة وكان عزبا وكان ينزل عنده العزاب من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقال لبيته بيت العزاب والله أعلم ونزل أبو بكر على خبيب بن اساف بالسنح وقيل نزل على خارجة بن زيد أخي بني الحرث بن الخزرج وأما علي فانه لما فرغ من الذي أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر الى المدينة فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى قدم المدينة وقد تفطرت قدماه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا الى عليا قيل لا يقدر ان يمشي فاتاه النبي صلى الله عليه وسلم واعتنقه وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه وامرهما على قدميه فلم يشتكهما بعد حتى قتل ونزل بالمدينة على امرأة لا زوج لها فرأى انسانا يأتيها كل ليلة ويعطيها شيأ فاستراب بها فسألها عنه فقالت هو سهل بن حنيف قد علم انى امرأة لا زوج لى فهو يكسر اصنام قومه يحملها الى ويقول احتطبي بهذه فكان علي يذكر ذلك عن سهل بن حنيف بعد موته وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة وقيل أقام عندهم أكثر من ذلك والله أعلم وادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي ببطن الوادي فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة قال ابن عباس ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين ورفع الحجر الاسود يوم الاثنين وهاجر يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين واختلف العلماء في مقامه بمكة بعد أن أوحي اليه فقال أنس وابن عباس رضي الله عنه من رواية أبي سلمة عنه وعائشة انه أقام بمكة عشر سنين ومثلهم قال من التابعين ابن المسيب والحسن وعمرو بن دينار وقيل اقام ثلاث عشرة سنة قاله ابن عباس من رواية أبي جمرة وعكرمة أيضا عنه ولعل الذي قال أقام عشر سنين أراد بعد اظهار الدعوة فانه بقي سنين يسيرة ومما يقوى هذا القول قول صرمة بن أبي أنس الانصاري

ثوى في قريش بضع عشرة حجة * يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

فهذا يدل على مقامه ثلاث عشرة سنة لانه قد زاد على عشر سنين فلو كان خمس عشرة لصح الوزن وكذلك ست عشرة وسبع عشرة وحيث لم يستقم الوزن بان يقول ثلاث عشرة قال بضع عشرة ولم ينقل في مقامه زيادة على عشر سنين الا ثلاث عشرة وخمس عشرة وقد روي عن قتادة قول غريب جدا وذلك انه قال نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثماني سنين ولم يوافقه غيره

ذكر

الحيات والعقارب وسائر الهوام كمنفعة أهل سجستان بالقنافذ ولذلك كان في عهد سجستان القديم لا يقتل قنفذ ببلدهم لانه بلد كثير الرمال بناه ذو القرنين في مطافه وحوله جبال كثيرة من الرمل قد سكرت بالخشب والقصب والبلد كثير الافاعي والحيات جدا فلولا كثرة القنافذ لتلف من هنالك من الناس وكذلك أهل مصر في صعيدها وغيره لهم دويبة يقال لها العرانس أكبر من الجرذ وأصغر من ابن عرس حمراء بيضاء البطن لولا هذه الدويبة لغلب على أهل مصر الثعابين وهي نوع من الحيات عظيمة فينطوي الثعبان على الدويبة وينتفخ بها فترخي عليه الريح فينقطع الثعبان من ريحها هذه خاصية هذه الدابة وفي الشرق أنواع من الخواص في بره وبحره وحيوانه ونباته وجماده وكذلك في الغرب واليمن وهو الجنوب والحرمي وهو الشمال وقد ذكرنا طبع كل واحد من هذه الاربع ففي ذكرها في هذا الباب خروج عن الغرض الذي عمدنا نحوه فلنرجع الآن الى ما كنا فيه آنفا من الام

﴿ذكر ما كان من الامور أول سنة من الهجرة﴾

فن ذلك تجميعه باصحابه الجمعة فى اليوم الذى نزل فيه من قباء فى بنى سالم فى بطن وادلهم وهى أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاسلام وخطبهم وهى اول خطبة وكان رجل من قباء يريد المدينة فركب ناقته وأرخى زمامها فكان لايمر بدار من دور الانصار الا قالوا هلم يارسول الله الى العدد والعدة والمنعة فيقول خلوا سبيلها فانها مأمورة حتى انتهى الى موضع مسجده اليوم فبركت على باب مسجده وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين فى حجر معاذ بن عفراء وهما سهل وسهيل ابنا عمرو من بنى النجار فلما بركت لم ينزل عنها ثم وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يثنيها به فالتفتت خلفها ثم رجعت الى مبركها أول مرة فبركت فيه ووضعت جرانها فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل أبو ايوب الانصارى رحله وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المربد فقال معاذ بن عفراء هو ليتيمين لى وسأرضيهما من ثمنه فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبنى مسجدا وقام عند أبى ايوب حتى بنى مسجده ومساكنه وقيل ان موضع المسجد كان لبنى النجار فيه نخل وحرث وقبور المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثامنونى به فقالوا لا نبتغى به الا ما عند الله فامر به فبنى مسجده وكان قبله يصلى حيث أدركته الصلاة وبناه هو والمهاجرون والانصار وهو الصحيح وفيها بنى مسجد قباء وفيها أيضا توفى كلثوم بن الهدم وتوفى بعده أسعد بن زرارة وكان نقيب بنى النجار فاجتمع بنو النجار وطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم لهم نقيبا فقال لهم أنتم اخوانى وأنا نقيبكم فكان فضيلة لهم وفيها مات أبو أحيحة بالطائف والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمى بمكة مشركين وفيها بنى النبى صلى الله عليه وسلم بعائشة بعد مقدمه المدينة بثمانية أشهر وقيل بسبعة أشهر فى ذى القعدة وقيل فى شوال وكان تزوجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة خديجة وهى ابنة ست سنين وقيل ابنة سبع سنين وفيها هاجرت سودة بنت زمعة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وبناته ماعدا زينب وهاجر أيضا عيال أبى بكر ومعهم ابنه عبد الله وطلحة بن عبيد الله وفيها زيد فى صلاة العصر ركعتين بعد مقدمه المدينة بشهر وفيها ولد عبد الله بن الزبير وقيل فى السنة الثانية فى شوال وكان أول مولود للمهاجرين بالمدينة وكان النعمان بن بشير أول مولود للانصار بعد الهجرة وقيل ان المختار بن أبى عبيد وزياد بن أبيه ولدا فيها وفيها على رأس سبعة أشهر عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه حمزة لواء أبيض فى ثلاثين رجلا من المهاجرين ليتعرضوا لعير قريش فلقى أبا جهل فى ثلثمائة رجل فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى وكان يحمل اللواء أبو مرثد وهو أول لواء عقده وفيها أيضا عقد لواء لعبيدة بن الحرث بن المطلب وكان أبيض يحمله مسطح بن أثاثة فالتقى هو والمشركون فكان بينهم الرمى دون المسايفة وكان سعد بن أبى وقاص أول من رمى بسهم فى سبيل الله وكان المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان مسلمين وهما بمكة فخرجا مع المشركين يتوصلان بذلك فلما لقيهم المسلمون انحازا اليهم وقال بعضهم كان لواء أبى عبيدة أول لواء عقده وانما اشتبه ذلك لقرب بعضها ببعض وكان على المشركين أبو سفيان بن حرب وقيل مكرز ابن حفص بن الاخيف وقيل عكرمة بن ابى جهل ﴿والاخيف بالخاء المعجمة والياء المثناة من تحتها﴾ وفيها عقد لواء لسعد بن أبى وقاص وسيره الى الابواء وكان يحمل اللواء المقداد بن الاسود وكان مسيره فى ذى القعدة وجميع من معه من المهاجرين فلم يلق حربا جعل الواقدى هذه السرايا جميعها فى السنة الاولى من الهجرة وجعلها ابن اسحق فى السنة الثانية فقال على رأس

المحيطة بالباب والابواب والسور وجبل الفتح وبلاد الخزر واللان فنقول انه يلى بلاد الخزر فيما بينهم وبين المغرب أمم ترك ترجع الى أب واحد وبدء أنسابهم حضر وبدو ذو ومنعة وبأس شديد لكل أمة منها ملك مسافة ممالكته أيام متصلة ممالكهم بعضها ببحر نيطش وتتصل عمارتها بمدينة رومية وعمايلى بلاد الاندلس مستظهرة على سائر ماهنالك من الامم وبينهم وبين ملك الخزر مهادنة وكذلك مع صاحب اللان وديارهم تتصل ببلاد الخزر فالجيل الواحد منهم يقال له بجنى ثم تليها أمة ثانية يقال لها جعرد ثم تليها أمة يقال لها بجناك وهى أشد هذه الامم الاربعة بأسا ثم تليها أمة ثانية يقال لها البوكرده وملوكهم بدو وكان لهم حروب مع الروم بعد العشرين والثلاثمائة أو فيها وقد كان للروم فى تخوم أرضهم فيما يلى من ذكرنا من هذه الاجناس الاربعة مدينة عظيمة يونانية يقال لها وليدر فيها خلق من الناس ومنعة بين الجبال والبحر فكل من فيها مانع لمن ذكرنا من الامم ولم يكن لهؤلاء الترك سبيل الى أرض الروم لمنع الجبال

اثنى عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة خرج غازيا واستخلف على المدينة سعد ابن عبادة فبلغ ودان يريد قريشا وبنى ضمرة من كنانة وهى غزاة الابواء بينهما ستة أميال فوادعته فيها بنو ضمرة ورئيسهم مخشى بن عمرو ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا وذكر ابن اسحق بعد هذه الغزوة غزوة عبيدة بن الحرث ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب وفيها كان غزاة بواط خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مائتين من أصحابه فى شهر ربيع الآخر يعنى سنة اثنتين يريد قريشا حتى بلغ بواط من ناحية رضوى وكان فى عير قريش أمية بن خلف الجمحى فى مائة رجل ومعهم ألفان وخمسمائة بعير فرجع ولم يلق كيدا وكان يحمل لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن أبى وقاص واستخلف على المدينة سعد بن معاذ ﴿بواط بفتح الباء الموحدة وبالطاء المهملة﴾ وفيها غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة العشيرة من ينبع فى جمادى الاولى يريد قريشا حين ساروا الى الشام فلما وصل العشيرة وادع بنى مدلج وحلفاءهم من ضمرة ورجع ولم يلق كيدا واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد وكان يحمل لواءه حمزة وفى هذه الغزوة كنى النبى صلى الله عليه عليه وسلم عليا أبا تراب فى قول بعضهم وفيها أغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر وفاته كرز وكان لواؤه مع على واستخلف على المدينة زيد بن حارثة وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن أبى وقاص فى سرية ثمانية رهط فرجع ولم يلق كيدا وفيها جاء أبو قيس بن الاسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الاسلام فقال ما أحسن ما تدعو اليه سأنظر فى أمرى ثم أعود فلقيه عبد الله بن أبى المنافق فقال كرهت قتال الخزرج فقال أبو قيس لا أسلم الى سنة فمات فى ذى القعدة ثم دخلت السنة الثانية من الهجرة فى هذه السنة غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول بعض أهل السير غزوة الابواء وقيل ودان وبينهما ستة أميال واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة سعد بن عبادة وكان لواؤه أبيض مع حمزة بن عبد المطلب وقد تقدم ذكرها وفيها زوج على بن أبى طالب فاطمة فى صفر

﴿ذكر سرية عبد الله بن جحش﴾

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح أن يتجهز للغزو فتجهز فلما أراد المسير بكى صبابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث مكانه عبد الله بن جحش فى جمادى الآخرة معه ثمانية رهط من المهاجرين وقيل اثنا عشر رجلا وكتب له كتابا وأمره ان لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضى لما أمره به ولا يكره أحدا من أصحابه ففعل ذلك ثم قرأ الكتاب وفيه يأمره بنزول نخلة بين مكة والطائف فيرصد قريشا ويعلم أخبارهم فأعلم أصحابه فساروا معه وأضل سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما يعتقبانه فتخلفا فى طلبه ومضى عبد الله ونزل بنخلة فمرت عير لقريش تحمل زبيبا وغيره فيها عمرو بن الحضرمى وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان فأشرف لهم عكاشة بن محصن وقد حلق رأسه فلما رأوه قالوا عمار لا بأس عليكم وذلك آخر يوم من رجب فرمى واقد بن عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله واستأسر عثمان والحكم وهرب نوفل وغنم المسلمون ما معهم فقال عبد الله بن جحش ان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمس ما غنمتم وذلك قبل ان يفرض الخمس وكانت أول غنيمة غنمها المسلمون وأول خمس فى الاسلام وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والاسرى الى المدينة فلما قدموا قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام فوقف العير والاسيرين فسقط فى

ايديهم

والتجر اباهم ومن فى هذه المدينة وكان بين هؤلاء الاجناس حروب بخلاف وقع بينهم على رأس رجل مسلم تاجر من أرض أردبيل كان نازلا على أرض بعضهم فاستضافه ناس من الجبل الآخر فاختلفت الكلمة وأغار من فى وليدر من الروم على ديارهم وهم عنها خلوف فسبوا كثيرا من الذرية وساقوا كثيرا من الاموال وبلغ ذلك اليهم وهم مشاغيل فى حربهم فاجتمعت كلمتهم وتواهبوا ما كان بينهم من الدماء وعمد القوم جميعا نحو مدينة وليدر فساروا اليها فى نحو ستين ألف فارس وذلك على غير احتفال منهم ولا تجمع ولو كان ذلك لكانوا فى نحو مائة ألف فارس فلما نمى خبرهم الى أرميوس ملك الروم فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة سير اليهم اثنى عشر ألف فارس من المتنصرة على الخيول بالرماح فى زى العرب وأضاف اليهم خمسين ألفا من الروم فوصلوا الى مدينة وليدر فى ثمانية أيام وعسكروا وراءها ونازلوا القوم وقد كانت الترك قتلت من أهل وليدر خلقا من الناس وامتنع أهلها بسورهم الى أن أتاهم

أيديهم وعنفهم المسلمون وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وقالت اليهود تفاءل بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله عمر وعمرت الحرب والحضرمي حضرت الحرب وواقد وقدت الحرب فانزل الله يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه الآية فلما نزل القرآن وفرج الله عن المسلمين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وكانت أول غنيمة أصابوها وفدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسيرين فاما الحكم فاقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة وقيل كان قتلهم عمرو بن الحضرمي وأخذ العير آخر يوم من الجمادى وأول ليلة من رجب وفيها صرفت القبلة من الشام الى الكعبة وكان أول ما فرضت القبلة الى بيت المقدس والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة وكان يحب استقبال الكعبة وكان يصلي بمكة ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس فلما هاجر الى المدينة لم يمكنه ذلك وكان يؤثر ان يصرف الى الكعبة فامره الله ان يستقبل الكعبة يوم الثلاثاء للنصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من قدومه المدينة وقيل على رأس ستة عشر شهرا في صلاة الظهر وفيها أيضا في شعبان فرض صوم شهر رمضان وكان لما قدم المدينة رأى اليهود تصوم عاشوراء فصامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان لم يأمرهم بصوم عاشوراء ولم ينههم وفيها أمر الناس باخراج زكاة الفطر قبل الفطر بيوم أو يومين وفيها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المصلى فصلى بهم صلاة العيد وكان ذلك أول خرجة خرجها وحملت بين يديه العنزة وكانت للزبير وهبها له النجاشي وهي اليوم للمؤذنين في المدينة

﴿ ذكر غزوة بدر الكبرى ﴾

وفي السنة الثانية كانت وقعة بدر الكبرى في شهر رمضان في سابع عشره وقيل تاسع عشره وكانت يوم الجمعة وكان سببها قتل عمرو بن الحضرمي واقبال أبي سفيان بن حرب في عير لقريش عظيمة من الشام وفيها أموال كثيرة ومعها ثلاثون رجلا أو اربعون وقيل قريبا من سبعين رجلا من قريش منهم مخرمة بن نوفل الزهري وعمرو بن العاص فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب المسلمين اليهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فانتدب الناس نخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك لانهم لن يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا وكان أبو سفيان قد سمع ان النبي صلى الله عليه وسلم يريده فحذر واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة يستنفر قريشا ويخبرهم الخبر فخرج ضمضم الى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا افزعتها فقصتها على أخيه العباس واستكتمته خبرها قالت رأيت راكبا على بعير له واقفا بالابطح ثم صرخ بأعلى صوته ان انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث قالت فارى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد فمثل بعيره على الكعبة ثم صرخ مثلها ثم مثل بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ مثلها ثم أخذ صخرة عظيمة وارسلها فلما كانت بأسفل الوادي ارفضت فما بقي بيت من مكة الا دخله فلقة منها فخرج العباس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان صديقه فذكرها له واستكتمه ذلك فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الخبر فلقي أبو جهل العباس فقال له يا أبا الفضل اقبل الينا قال فلما فرغت من طوافي اقبلت اليه فقال لي متى حدثت فيكم هذه النبية وذكر رؤيا عاتكة ثم قال ما رضيتم ان تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يكن حقا والا كتبنا عليكم أنكم أكذب أهل بيت في العرب قال العباس فما كان مني اليه الا اني جحدت ذلك وانكرته فلما أمسيت أتاني نساء بني عبد

هذا المدد ولما صح عند الملوك الاربعة من سار اليهم من المتنصرة والروم بعثوا الى بلادهم فجمعوا من كان قبلهم من تجار المسلمين ممن يطرأ الى بلادهم من نحو بلاد الخزر والباب واللان وغيرهم وفي هؤلاء الاجناس الاربعة من قد أسلم وهم غير مخالطين لهم الا عند حروب الكفار فلما تصاف القوم وبرزت المتنصرة أمام الروم خرج اليهم من كان قبل الترك من التجار المسلمين فدعوهم الى ملة الاسلام وانهم ان دخلوا في أمان الترك أخرجوهم من بلادهم الى أرض الاسلام فابوا ذلك وتوافق الفريقان في ذلك الوقت فكانت للمتنصرة والروم على الترك لانهم كانوا في الكثرة أضعاف الترك وباتوا على مصافهم ونشاور ملوك الترك الاربعة فقال لهم ملك بجناك قلدوني التدبير في غداة غد فأنعموا له بذلك فلما أصبح جعل في جناح الميمنة كراديس كثيرة كل كردوس منها ألف وكذلك في جناح الميسرة فلما تصاف القوم خرجت الكراديس من ناحية الميمنة فرشقت في قلب الروم فصارت الى موضع من خرج من جناح

المطلب وقلن لي اقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم وقد تناول نساءكم ولم تنكر عليه ذلك قال قلت والله كان ذلك ولا تعرض له فان عاد كفيتكموه قال فغدوت اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وانا مغضب احب ان أدركه فرأيته في المسجد فمشيت نحوه أتعرض له ليعود فاوقع به فخرج نحو باب المسجد يشتد قال قلت ماباله قاتله الله أكل هذا فرقا من ان أشاتمه واذا هو قد سمع مالم أسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره قد جدّعه وحوّل رحله وشق قميصه وهو يقول يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أدري ان تدركوها الغوث الغوث فشغلني عنه وشغله عني قال فتجهز الناس سراعا ولم يتخلف من اشرافهم أحد الا أبو لهب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وعزم أمية بن خلف الجمحي على القعود فانه كان شيخا ثقيلا بطيأ فاتاه عقبة بن أبي معيط بجمرة فيها نار وما يتبخر به وقال ياأباعلي استجمر فانما أنت من النساء فقال قبحك الله وقبح ما جئت به وتجهز وخرج معهم وعزم عتبة بن ربيعة أيضا على القعود فقال له أخوه شيبة ان فارقنا قومنا كان ذلك سبة علينا فامض مع قومك فمشى معهم فلما اجمعوا على المسير ذكروا ما بينهم وبين بكر بن عبد مناة بن كنانة بن الحرث فخافوا ان يؤتوا من خلفهم فجاءهم ابليس في صورة سراقة بن جعشم المدلجي وكان من اشراف كنانة وقال انا جار لكم فاخرجوا سراعا وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا وقيل كانوا ألف رجل وكان خيلهم مائة فرس فنجا منها سبعون فرسا وغنم المسلمون ثلاثين فرسا وكان مع المشركين سبعمائة بعير وكان مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم لثلاث ليال خلون من شهر رمضان في ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل أربعة عشر وقيل بضعة عشر رجلا وقيل ثمانية عشر وقيل كانوا سبعة وسبعين من المهاجرين وقيل ثلاثة وثمانون والباقون من الانصار فقيل جميع من ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلا ومن الاوس احد وسبعون رجلا ومن الخزرج مائة وسبعون رجلا ولم يكن فيهم غير فارسين أحدهما المقداد بن عمرو الكندي ولا خلاف فيه والثاني قيل كان الزبير بن العوّام وقيل كان مرثد بن أبي مرثد وقيل المقداد وحده وكانت الابل سبعين بعيرا فكانوا يتعاقبون عليها البعير بين الرجلين والثلاثة والاربعة فكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وزيد بن حارثة بعير وبين أبي بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف بعير وعلى مثل هذا وكان فرس المقداد اسمه سبحة وفرس الزبير اسمه السيل وكان لواؤه مع مصعب بن عمير بن عبد الدار ورايته مع علي بن أبي طالب وعلى الساقة قيس بن أبي صعصعة الانصاري فلما كان قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء الجهنيين يتحسسان الاخبار عن أبي سفيان ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك الصفراء يسارا وعاد اليه بسبس بن عمرو يخبره ان العير قد قاربت بدرا ولم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين علم بمسير قريش لمنع عيرهم وكان قد بعث عليا والزبير وسعدا يلتمسون له الخبر ببدر فاصابوا راوية لقريش فيهم أسلم غلام بني الحجاج وأبو يسار غلام بني العاص فاتوا بهما النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي فسألوهما فقالا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء فكره القوم خبرهما وضربوهما ليخبروهما عن أبي سفيان فقالا نحن لابي سفيان فتركوهما وفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة وقال اذا صدقا كم ضربتموهما واذا كذبا كم تركتموهما صدقا انهما لقريش أخبراني أين قريش قالا هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير قال كم عدتهم قالا لا ندري قال كم ينحرون قالا يوما

الميمنة واتصل الرمي واتصلت الكراديس كالرحا والقلب والميمنة والميسرة للترك ثابتة والكراديس تعمل عليها في ألف ألف وذلك ان من خرج من كراديس الترك من جناح ميمنتهم كان يبتدئ فيرمي في جناح ميسرة الروم ويمر بميمنتهم فيرمي وينتهي الى القلب وما يخرج من كراديسهم من جناح الميسرة يرمي في جناح ميمنة الروم وينتهي الى الميسرة فيرمي وينتهي الى القلب فيرمي فيكون ملتقى الكراديس في القلب دائرا على ما وصفنا فلما انظرت المتنصرة والروم الى ما لحقهم من تشويش صفوفهم وتواتر الرمي عليهم حملوا على القوم مشوشين في مصافهم فصادفوا صفوف الترك ثابتة فاخرجت لهم الكراديس فرشقتهم الترك كلها رشقا واحدا فكان ذلك الرشق سبب هزيمة الروم وعقبهم الترك بعد الرشق بالحملة على صفوفهم غير متشوفين ما كانوا عليه من التعبية وركضت الكراديس من اليمين والشمال وأخذ القوم السيف واسودّ الافق وكثر صياح الخيل فقتل من الروم والمتنصرة نحو من ستين ألفا حتى كان بصعد

تسعا ويوما عشرا قال القوم بين تسعمائة الى الالف ثم قال لهما فمن فيهم من اشراف قريش قالا عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد وابو البختري بن هشام وحكيم بن حزام والحرث بن عامر وطعيمة بن عدي والنضر بن الحرث وزمعة بن الاسود وأبو جهل وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ود فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وقال هذه مكة قد ألقت اليكم افلاذ كبدها ثم استشار أصحابه فقال أبو بكر فاحسن ثم قال عمر فاحسن ثم قام المقداد ابن عمرو فقال يارسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لانقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فدعا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس وانما يريد الانصار لانهم كانوا عدته للناس وخاف أن لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة وليس عليهم ان يسير بهم فقال له سعد بن معاذ لكأنك تريدنا يارسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك عهودنا فامض يارسول الله لما أمرت فو الذي بعثك بالحق ان استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما نكره ان تكون تلقى العدو بنا غدا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني أنظر الى مصارع القوم ثم انحط على بدر فنزل قريبا منها وكان أبو سفيان قد ساحل وترك بدرا يسارا ثم أسرع فنجا فلما رأى انه قد أحرز عيره أرسل الى قريش وهم بالجحفة ان الله قد نجى عيركم وأموالكم فارجعوا فقال أبو جهل بن هشام والله لانرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب تجتمع لهم بها سوق كل عام فنقيم بها ثلاثا فننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا فقال الاخنس بن شريق الثقفي وكان حليفا لبني زهرة وهم بالجحفة يابني زهرة قد نجى الله أموالكم وصاحبكم فارجعوا فرجعوا فلم يشهدها زهري ولا عدوي وشهدها سائر بطون قريش ولما كانت قريش بالجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف رؤيا فقال اني رأيت فيما يرى النائم رجلا أقبل على فرس ومعه بعير له فقال قتل عتبة وشيبة وأبو جهل وغيرهم ممن قتل يومئذ ورأيته ضرب لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء الا أصابه من دمه فقال أبو جهل وهذا أيضا نبي من بني المطلب سيعلم غدا من المقتول وكان بين طالب بن أبي طالب وهو في القوم وبين بعض قريش محاورة فقالوا والله قد عرفنا ان هواكم مع محمد فرجع طالب الى مكة فيمن رجع وقيل انما كان خرج كرها فلم يوجد في الاسرى ولا في القتلى ولا فيمن رجع الى مكة وهو الذي يقول

يارب اما يغزون طالب * في مقنب من هذه المقانب

فليكن المسلوب غير السالب * وليكن المغلوب غير الغالب

ومضت قريش حتى نزلت بالعدوة القصوى من الوادي وبعث الله السماء وكان الوادي دهسا فاصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منه مالبد لهم الارض ولم يمنعهم المسير وأصاب قريشا منه مالم يقدروا على ان يرحلوا معه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم الى الماء حتى اذا جاء أدنى ماء من بدر نزله فقال الحباب بن المنذر بن الجموح يارسول الله أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخره أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال يارسول الله فان هذا ليس لك بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء سواه من

الى سور المدينة على جنتهم فافتتحت المدينة وأقام السيف يعمل فيها أياما وسبى أهلها وخرج عنها الترك بعد ثلاث يؤمون القسطنطينية ثم توسطوا العمائر والمروج والضياع قتلا وأسرا وسبيا حتى نزلوا على سور القسطنطينية فاقاموا عليها نحوا من أربعين يوما يبيعون المرأة والصبي منهم بالخرقة والثوب من الديباج والحرير وبذلوا السيف فلم يبقوا على أحد منهم وربما قتلوا النساء والولدان وشنوا الغارات في تلك الديار فاتصلت غاراتهم بارض الصقالبة ورومية ثم اتصلت غاراتهم الى نحو بلاد الاندلس والافرنجة والجلالقة فغارات من ذكرنا من الترك متصلة الى أرض القسطنطينية وما ذكرنا من الممالك الى هذه الغاية فلنرجع الآن الى ذكر جبل الفتح والسور والباب والابواب اذ كنا قد ذكرنا جملا من أخبار الامم القاطنة في هذا الصقع فمن ذلك أن أمة تلي بلاد اللان يقال لها الابخاز منقادة الى دين النصرانية ولها ملك في هذا الوقت يقال له الطبيعي ومملكة هذا الطبيعي موضع يعرف

القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبني له حوضا ونملأه ماء فنشرب ماء ولا يشربون ثم نقاتلهم ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فلما نزل جاءه سعد بن معاذ فقال يا رسول الله نبني لك عريشا من جريد فتكون فيه ونترك عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا الله عليهم كان ذلك مما أحببناه وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حبا لك منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويحاربون معك فأثنى عليه خيرا ثم بني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش وأقبلت قريش بخيلائها وفخرها فلما رآها قال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم أحنهم الغداة ورأى عتبة بن ربيعة على جمل أحمر فقال ان يكن عند أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا وكان خفاف بن أيماء بن رحضة الغفاري أو أبوه أيماء بعث الى قريش حين مروا به ابناله بجزائر أهداها لهم وعرض عليهم المدد بالرجال والسلاح فقالت قريش ان كنا انما نقاتل الناس فما بنا من ضعف وان كنا نقاتل الله كما زعم محمد فما لاحد بالله طاقة فلما نزلت قريش أقبل جماعة منهم حكيم بن حزام حتى وردوا حوض النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتركوهم فما شرب منه رجل الا قتل يومئذ الا حكيم نجا على فرس له يقال له الوجيه وأسلم بعد ذلك فحسن اسلامه وكان يقول اذا اجتهد في يمينه لا والذي نجاني يوم بدر ولما اطمأنت قريش بعثوا عمرو بن وهب الجمحي ليحزر المسلمين فجال بفرسه حولهم ثم عاد فقال هم ثلثمائة يزيدون قليلا أو ينقصونه ولقد رأيت الولايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ليس لهم منعة الا سيوفهم والله لا يقتل رجل منهم الا يقتل رجلا منكم فاذا أصابوا أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في القوم فأتى عتبة بن ربيعة فقال يا أبا الوليد انك كبير قريش وسيدها هل لك أن لا تزال تذكر فيها بخير الى آخر الدهر قال وما ذاك قال ترجع بالناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي قال قد فعلت على دمه وما أصيب من ماله فائت ابن الحنظلية يعني أبا جهل فلا أخشى ان يفسد أمر الناس غيره فقام عتبة في الناس فقال انكم ما تصنعون بان تلقوا محمدا وأصحابه شيأ والله لئن أصبتموهم لا يزال رجل ينظر في وجه رجل يكره النظر اليه قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته قال حكيم بن حزام فانطلقت الى أبي جهل فوجدته قد نثل درعا وهو يهيئها فأعلمته ما قال عتبة فقال انتفخ والله سحره حين رأى محمدا وأصحابه والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وما بعتبة ما قال ولكن رأى ابنه أبا حذيفة فيهم وقد خافكم عليه ثم بعث الى عامر بن الحضرمي فقال له هذا حليفك يريد ان يرجع الى مكة بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك فانشد خفرتك ومقتل أخيك فقام عامر وصرخ واعمراه واعمراه فحميت الحرب واستوثق الناس على الشر فلما بلغ عتبة قول أبي جهل انتفخ سحره قال سيعلم المصفر استه من انتفخ سحره انا أم هو ثم التمس بيضة يدخلها رأسه فما وجد من عظم هامته فاعتجر ببرد له وخرج الاسود بن عبد الاسد المخزومي وكان سيء الخلق فقال أعاهد الله لاشربن من حوضهم ولاهدمنه أو لاموتن دونه فخرج اليه حمزة فضربه فاطن قدمه بنصف ساقه فوقع على الارض ثم حبا الى الحوض فاقتحم فيه ليبر يمينه وتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض ثم خرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ودعوا الى المبارزة فخرج اليهم عوف ومعوذ ابنا عفراء وعبد الله بن رواحة كلهم من الانصار فقالوا من أنتم قالوا من الانصار فقالوا اكفاء كرام وما لنا بكم من حاجة ليخرج

الينا

بمسجد ذي القرنين وكانت الابخاز والخزرية تؤدي الجزية الى صاحب ثغر تفليس منذ فتحت تفليس وسكنها المسلمون في أيام المتوكل فانه كان بها رجل يقال له اسحق بن اسمعيل وكان مستظهرا بمن معه من المسلمين على من حوله من الامم وهم منقادون الى طاعته وأداء الجزية اليه وعلا أمر من هنالك من الامم حتى بعث المتوكل بغا فنزل على ثغر تفليس وأقام عليها محاربا حتى افتتحها بالسيف وقتل اسحق بن اسمعيل لان اسحق بن اسمعيل كان متغلبا على الناحية وكان له أخبار يطول ذكرها وهي مشهورة في أهل ذلك الصقع وغيرهم ممن عني بأخبار العالم وأراه رجلا من قريش من بني أمية أو مولى لاحقا فانخرقت هيبة المسلمين من ثغر تفليس من ذلك الوقت الى هذه الغاية فامتنع من جاورهم من الممالك من الاذعان لهم بالطاعة واقتطعوا الا كثر من ضياع تفليس وانقطع الوصول من بلاد الاسلام الى ثغر تفليس بين هؤلاء الامم من الكفار اذ كانت محيطة بذلك الثغر وأهلها ذوو قوة وباس شديد وان

الينا اكفاؤنا من قومنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم يا حمزة قم يا عبيدة بن الحرث قم يا على فقاموا ودنا بعضهم من بعض فبارز عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وكان أمير القوم عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز على الوليد فاما حمزة فلم يمهل شيبة ان قتله واما على فلم يمهل الوليد ان قتله واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما قد أثبت صاحبه وكر حمزة وعلى على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة الى أصحابه وقد قطعت رجله فلما أتوا به النبي صلى الله عليه وسلم قال ألست شهيدا يا رسول الله قال نعم قال لو رآني أبو طالب لعلم انا أحق منه بقوله

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم مات وتزاحف القوم ودنا بعضهم من بعض وابو جهل يقول اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لم نعرف فأحنه الغداة فكان هو المستفتح على نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم وقال ان اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل ونزل فى العريش ومعه أبو بكر وهو يدعو ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد فى الارض اللهم انجز لى ما وعدتنى ولم يزل حتى سقط رداؤه فوضعه عليه أبو بكر ثم قال له كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك وأغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش اغفاءة وانتبه ثم قال يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع وأنزل الله اذ تستغيثون ربكم الآية وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وحرض المسلمين وقال والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام الانصارى وبيده تمرات يأكلهن بخ بخ ما بينى وبين أن أدخل الجنة الا ان يقتلنى هؤلاء ثم ألقى التمرات من يده وقاتل حتى قتل ورمى مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل فكان أول قتيل ثم رمى حارثة بن سراقة الانصارى فقتل وقاتل عوف ابن عفراء حتى قتل واقتتل الناس قتالا شديدا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من التراب ورمى بها قريشا وقال شاهت الوجوه وقال لاصحابه شدوا عليهم فكانت الهزيمة فقتل الله من قتل من المشركين وأسر من أسر منهم ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش وسعد بن معاذ قائم على باب العريش متوشحا بالسيف فى نفر من الانصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافون عليه كرة العدو فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس من الاسر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنك تكره ذلك يا سعد قال أجل يا رسول الله أول وقعة أوقعها الله بالمشركين كان الاثخان أحب الى من استبقاء الرجال وكان أول من لقى أبا جهل معاذ بن عمرو بن الجموح وقريش محيطة به يقولون لا يخلص الى أبى الحكم قال معاذ فجعلته من شانى فلما أمكننى حملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه وضربنى ابنه عكرمة فطرح يدى من عاتقى فتعلقت بجلدة من جنبى وقاتلت عامة يومى وانى لاسحبها خلفى فلما آذتنى جعلت عليها رجلى ثم تمطيت حتى طرحتها وعاش معاذ الى زمان عثمان رضى الله عنه ثم مر بابى جهل معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته وتركه وبه رمق ثم مر به ابن مسعود وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلتمس فى القتلى فوجده بآخر رمق قال فوضعت رجلى على عنقه ثم قلت هل أخزاك الله يا عدو الله قال وبما أخزانى أأعمد من رجل قتلتموه أخبرنى لمن الدائرة قلت لله ولرسوله فقال له أبو جهل لقد ارتقيت يا رويعى الغنم مرتقى صعبا قال فقلت انى قاتلك قال ما أنت باول عبد قتل سيده أما ان أشد شئ لقيته اليوم قتلك اياى وألا قتلنى

كان ماذكرنا من الممالك محيطا بهم ثم تلى مملكة خزران مملكة يقال لها الصمصمية نصارى وفيهم جاهلية لا ملك لهم ثم تلى مملكة هؤلاء الصمصمية بين ثغر تفليس وقلعة باب اللان المقدم ذكرها مملكة يقال لها الصنبارية وملكهم يقال له كرسكوس هذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم وينقادون الى دين النصرانية وهؤلاء الصنبارية يزعمون أنهم من العرب من نزار بن معد ابن مضر وانهم فخذ من عقيل سكنوا هنالك فى قديم الزمان وهم هنالك مستظهرون على كثير من الامم ورأيت ببلاد مأرب من أرض اليمن أناسا من عقيل محالفة لمذحج لا فرق بينهم وبين أحلافهم لاستقامة كلمتهم فيهم خيل كثيرة ومنعة وليس فى اليمن كلها أخيل من نزار بن معد غير هذا الفخذ من عقيل الا ماذكر من ولد أنمار بن نزار ابن معد ودخولهم فى اليمن حسب ما ورد به الخبر وهو ما كان من خبر جرير ابن عبد الله البجلى مع النبى صلى الله عليه وسلم وما كان من خبر بجيلة والصنبارية يزعمون أنهم

(قوله خزران) هى تفليس كما فى أبى الفدا اهـ

رجل من المطيبين الاحلاف فضربه عبد الله فوقع رأسه بين رجليه فحمله الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحمد شكر الله وكان عبد الرحمن بن عوف قد غنم ادراعا فر بامية بن خلف وابنه على
فقالا له نحن خير لك من هذه الادراع فطرح الادراع وأخذ بيده وبيد ابنه ومشى بهما فقال له
أمية من الرجل المعلم بريشة نعامة فى صدره قال حمزة بن عبد المطلب قال أمية هو الذى فعل بنا
الافاعيل ورأى بلال أمية وكان يعذبه بمكة فيخرج به الى رمضاء مكة فيضجعه على ظهره ثم يأمر
بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ويقول لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد فيقول بلال أحد
أحد فلما رآه بلال قال أمية رأس الكفر لا نجوت ان نجا ثم صرخ يا أنصار الله رأس الكفر رأس
الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا فاحاط بهم المسلمون وقتل أمية وابنه على وكان عبد الرحمن
يقول رحم الله بلالا ذهبت ادراعى وفجعنى باسيرى وقتل حنظلة بن أبى سفيان بن حرب قتله على
ابن أبى طالب ولما انهزم المشركون أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يقتل أبو البخترى بن هشام
لانه كان أخف القوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وكان ممن اهتم فى نقض الصحيفة
فلقيه المجذر بن زياد البلوى حليف الانصار ومعه زميل له فقال له ان رسول الله قد نهى عن
قتلك فقال وزميلى فقال المجذر لا والله قال اذا والله لاموتن انا وهو ولا تحدث نساء قريش انى
تركت زميلى حرصا على الحياة فقتل ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبره وجىء بالعباس
أسره أبو اليسر وكان مجموعا وكان العباس جسيما فقيل لابى اليسر كيف أسرته قال أعاننى عليه
رجل ما رأيته قبل ذلك بهيئة كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعانك عليه ملك
كريم ولما أمسى العباس مأسورا بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساهرا أول ليلة فقال له أصحابه
يا رسول الله مالك لا تنام فقال سمعت تضور العباس فى وثاقه فمنعنى النوم فقاموا اليه فاطلقوه
فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يومئذ قد عرفت
رجالا من بنى هاشم وغيرهم أخرجوا كرها فمن لقى منكم أحدا من بنى هاشم فلا يقتله ومن لقى
العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فانه أخرج كرها فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة انقتل أبناءنا
وآباءنا واخواننا ونترك العباس والله لئن لقيته لالجمنه بالسيف فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقال
لعمر يا أبا حفص أما تسمع قول أبى حذيفة أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف فقال أبو حذيفة
لا أزال خائفا من تلك الكلمة ولا يكفرها عنى الا الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا وقد كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه قد رأيت جبريل وعلى ثناياه النقع فقال رجل من بنى غفار
أقبلت أنا وابن عم لى فصعدنا جبلا يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننظر لمن تكون الدائرة
فننتهب فدنت منا سحابة فسمعت فيها حمحمة الخيل وسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم قال فاما ابن
عمى فمات مكانه وأما أنا فكدت أهلك فتماسكت وقال أبو داود المازنى انى لاتبع رجلا من
المشركين لاضربه اذ وقع رأسه قبل ان يصل سيفى اليه فعرفت انه قتله غيرى وقال سهل بن
حنيف كان أحدنا يشير بسيفه الى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف فلما
هزم الله المشركين وقتل منهم من قتل وأسر من أسر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تطرح
القتلى فى القليب فطرحوا فيه الا أمية بن خلف فانه انتفخ فى درعه فملأها فذهبوا به ليخرجوه
فتقطع وطرحوا عليه من التراب والحجارة ما غيبه ولما ألقوا فى القليب وقف عليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال يا أهل القليب بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم كذبتمونى وصدقنى الناس ثم قال
يا عتبة يا شيبة يا أمية بن خلف يا أبا جهل بن هشام وعدد من كان فى القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم

حقا

افترقوا فى قديم الزمان وهم
من يمينا من عقيل ببلاد
مأرب فى خبر طويل ثم تلى
مملكة الصنبارية مملكة
سكين وهم نصارى وفيهم
خلق من المسلمين من
التجار وغير ذلك ويقال
لملكهم فى هذا الوقت
المؤرخ به كتابنا آزر بن
نبيه بن مهاجر ثم تليهم
مملكة قبله وما حوت
المدينة منها مسلمون وما
حولها من العمائر والضياع
نصارى ويقال لملكهم فى
هذا الوقت المؤرخ به
كتابنا هذا عنبسة الاعور
وهو مأوى اللصوص
والصعاليك والدعار ثم تلى
هذه المملكة مملكة
الموقان وهى التى قدمنا
ذكرها وانها متغلبة عليها
وانها مضافة الى مملكة
شروان شاه وليس هذا
البلد المعروف بالموقانية
هو الذى على ساحل بحر
الخزر وقد كان محمد بن
يزيد المعروف بشروان
شاه فى هذا الوقت ملك
الارآن هو ومن سلف
من آبائه وكان ملك شروان
شاه على بن الهيثم فلما هلك
على تغلب محمد بن شروان
شاه على حسب ما ذكرنا
أيضا بعد ان قتل عمومة له
واحتوى على ما ذكرنا من
الممالك وله قلعة لا يذكر
فى قلاع العالم أحسن

حقا فانى وجدت ما وعدنى ربى حقا فقال له أصحابه أتكلم قوما موتى فقال ما أنتم باسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون ان يجيبونى ولما قال صلى الله عليه وسلم لاهل القليب ما قال رأى فى وجه أبى حذيفة بن عتبة الكراهية وقد تغير فقال لعلك قد دخلك من شأن أبيك شئ قال لا والله يارسول الله ما شككت فى أبى وفى مصرعه ولكنه كان له عقل وحلم وفضل فكنت أرجو له الاسلام فلما رأيت ما مات عليه من الكفر احزننى ذلك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بجمع ما فى العسكر فاختلف المسلمون فقال من جمعه هو لنا وقال الذين كانوا يقاتلون العدو لولا نحن ما اصبتموه نحن شغلنا القوم عنكم وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى العريش والله ما أنتم باحق به منا لقد رأينا ان نأخذ المتاع حين لم يكن له من يمنعه ولكن خفنا كرة العدو على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمنا دونه فنزع الله الانفال من أيديهم وجعلها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها بين المسلمين على سواء وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة بشيرا الى أهل العالية وزيد بن حارثة بشيرا الى أهل السافلة من المدينة فوصل زيد وقد سووا التراب على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت زوجة عثمان بن عفان خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقسم له فلما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيه الناس يهنئونه بما فتح الله عليه فقال سلمة بن سلامة بن وقش الانصارى ان لقينا الا عجائز صلعا كالبدن المعقلة فنحرناها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخى أولئك الملأ من قريش وكان فى الاسرى النضر بن الحرث وعقبة بن أبى معيط فامر على بن أبى طالب بقتل النضر فقتله بالصفراء وأمر عاصم بن ثابت بقتل عقبة بن أبى معيط فلما أرادوا قتله جزع من القتل وقال مالى أسوة بهؤلاء يعنى الاسرى ثم قال يا محمد من للصبية قال النار فقتله بعرق الظبية صبرا وكان فى الاسرى سهيل بن عمرو واسره مالك بن الدخشم الانصارى فلما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم قال عمر بن الخطاب دعنى أنزع ثنيتيه يارسول الله فلا يقوم عليك خطيبا أبدا وكان سهيل أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه يا عمر فسيقوم مقاما تحمده عليه فكان مقامه ذلك عند موت النبى صلى الله عليه وسلم وسنذكره عند خبر الردة ان شاء الله ولما قدم به المدينة قالت له سودة بنت زمعة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أعطيتم بايديكم كما تفعل النساء ألا متم كراما فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قولها فقال لها ياسودة على الله وعلى رسوله فقالت يارسول الله ما ملكت نفسى حين رأيته أن قلت ما قلت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالاسرى خيرا وكان أحدهم يؤثر اسيره بطعامه فكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن اياس الخزاعى فقالوا ما وراءك قال قتل عتبة وشيبة وأبو الحكم ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وعدد اشراف قريش فقال صفوان بن أمية والله ان يعقل فاسألوه عنى فقالوا ما فعل صفوان قال هو ذاك جالس فى الحجر وقد رأيت اباه واخاه حين قتلا ومات أبو لهب بمكة بعد وصول خبر مقتل قريش بتسعة أيام وناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا لا تفعلوا فيشمت محمد واصحابه ولا تبعثوا فى فداء اسراكم لا يشتط عليكم محمد وكان الاسود بن عبد يغوث قد أصيب له ثلاثة من ولده زمعة وعقيل والحرث وكان يحب ان يبكى على بنيه فبينما هو كذلك اذ سمع نائحة فقال لغلامه وقد ذهب بصره انظر هل احل البكاء لعلى أبكى على زمعة فان جوفى قد احترق فرجع اليه وقال له انما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته فقال

أتبكى ان يضل لها بعير * ويمنعها من النوم السهود

منها فى جبل الفتح يقال انها فى الموضع المعروف بالسقط من المدينة وأما الحجارة والحيطان التى بناها ببلاد شروان المعروفة بسور الطين وسور الحجارة المعروف بالبرمكى وما يتصل ببلاد بردعة فقد أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على ذلك فيما سلف من كتبنا وأما نهر الكر فيبتدئ من بلاد خزران من مملكة جرجير ويمر ببلاد الخان حتى يأتى ثغر تفليس ويشق فى وسطه ويجرى فى بلاد السناورية حتى ينتهى على ثمانية أميال من بردعة ويجرى الى وداح ثم يصب فيه من ماء الصنارة نهر الرس ويظهر من أقاصى بلاد الروم من نحو مدينة طرابزنده حتى يجيء الى الكر وقد صار فيه نهر الرس فيصب فى بحر الخزر ويجرى الرس بين بلاد البذ وهى بلاد بابك الخرمى من أرض أذربيجان وجبل أبى موسى من بلاد الاران ويمر ببلاد ورثان وينتهى الى حيث وصفنا وقد أتينا على وصف هذه الانهار أيضا ونهر اسبيد رود وجريانه فى ارض الديلم نحو قلعة سلام وهو ابن سوار

ولا تبكي على بكر ولكن * على بدر تقاصرت الجدود
على بدر سراة بني هصيص * ومخزوم ورهط أبي الوليد
فبكي ان بكيت على عقيل * وبكي حارثا أسد الاسود
وبكيهم ولا تسمي جميعا * فمالابي حكيمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم اناس * ولولا يوم بدر لم يسودوا

يعني أباسفيان ثم ان قريشا ارسلت في فداء الاسارى فأول من فدى أبو وداعة السهمي فداه ابنه المطلب وفدى العباس نفسه وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وحليفه عتبة ابن عمرو بن جحدم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا مال لي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أين المال الذي وضعته عند أم الفضل وقلت لها ان أصبت فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولعبيد الله كذا قال والذي بعثك بالحق ما علم به أحد غيري وغيرها واني لاعلم انك رسول الله وفدى نفسه وابني أخويه وحليفه وكان قد أخذ مع العباس عشرون أوقية من ذهب فقال احسبها في فدائي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ذاك شيء أعطاناه الله عز وجل وكان في الاسارى عمرو بن أبي سفيان اسره علي فقيل لابيه افد عمرا فقال لا أجمع على دمي ومالي بقتل ابني حنظلة وأفدي عمرا فتركه ولم يفكه ثم ان سعد بن النعمان الانصاري خرج الى مكة معتمرا فأخذه أبو سفيان وكانت قريش لا تعرض لحاج ولا معتمر فحبسه أبو سفيان ليفدي به عمرا ابنه وقال

ارهط ابن اكال اجيبوا دعاءه * تفاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا
فان بني عمرو لئام اذلة * لئن لم يفكوا عن اسيرهم الكبلا

فمشى بنو عمرو بن عوف الى النبي صلى الله عليه وسلم فطلبوا منه عمرو بن أبي سفيان ففادوا به سعدا وكان في الاسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أكثر رجال مكة مالا وامانة وتجارة وكانت أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته ان يزوجه زينب ففعل قبل ان يوحى اليه فلما أوحي اليه آمنت به زينب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مغلوبا بمكة لم يقدر ان يفرق بينهما فلما خرجت قريش الى بدر خرج معهم فأسر فلما بعثت قريش في فداء الاسارى بعثت زينب في فداء أبي العاص زوجها بقلادة لها كانت خديجة ادخلتها معها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال ان رأيتم ان تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا فاطلقوا لها أسيرها وردوا القلادة وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ان يرسل زينب اليه بالمدينة وسار الى مكة وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة مولاه ورجلا من الانصار ليصحبا زينب من مكة فلما قدم أبو العاص امرها باللحاق بالنبي صلى الله عليه وسلم فتجهزت سرا واركبها كنانة بن الربيع أخو أبي العاص بعيرا وأخذ قوسه وخرج بها نهارا فسمعت بها قريش فخرجوا في طلبها فلحقوها بذي طوى وكانت حاملا فطرحت حملها لما رجعت لخوفها ونثر كنانة أسهمه ثم قال والله لا يدنو مني أحد الا وضعت فيه سهما فأتاه أبو سفيان بن حرب وقال خرجت بها علانية فيظن الناس ان ذلك عن ذل وضعف منا ولعمري ما لنا في حبسها حاجة فارجع بالمرأة ليتحدث الناس أنا رددناها ثم أخرجها ليلا وسلمها الى زيد بن حارثة وصاحبه فقدما بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقامت عنده فلما كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجرا الى الشام بامواله وأموال رجال من قريش فلما عاد لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا ما معه وهرب

منهم

بعض ملوك الديلم ومرور هذا النهر من الديلم الى الجبل ويصب فيه نهر آخر في بلاد الديلم يقال له شاهان رود فينتهي مصب الجميع الى بحر الجيل وهو بحر الديلم والخزر وغيرهم على ما ذكرنا وعلى هذا النهر كثير من دور الاعاجم ومن هنالك من ملوكهم في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة منهم أحوم داوان صاحب مدينة الري وطبرستان وغيرهما من الجبل فلنذكر الآن ملوك السريانيين وهم أول من يعد في كتب الزيجات والنجوم والتواريخ القديمة من ملوك العالم ثم ملوك الموصل ونينوى ثم ملوك بابل وهم الذين عمروا الارض وشقوا الانهار وغرسوا الاشجار وطعموا الثمار ومهدوا الوعر وسهلوا الطرق ثم نتبع ذلك بالفرس الاولى وهم المعروفون بالحدان الى أفريدون ثم الاسكان الى دارا بن دارا وهم السكون ثم ملوك الطوائف ثم الفرس الثانية ثم اليونانيين ثم الروم ونذكر من يتلوهم من ملوك العرب والامم والسودان ومصر والاسكندرية وغير

منهم فلما كان الليل أتى الى المدينة فدخل على زينب فلما كان الصبح خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة فكبر وكبر الناس فنادت زينب من صفة النساء أيها الناس انى قد اجرت أبا العاص فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ما علمت بشئ من ذلك وانه ليجير على المسلمين أدناهم وقال لزينب لا يخلصن اليك فلا يحل لك وقال للسرية الذين أصابوه ان رأيتم ان تردوا عليه الذى له فانا نحب ذلك وان أبيتم فهو فئ الله الذى افاءه عليكم وأنتم أحق به فقالوا يارسول الله بل نرده عليه فردوا عليه ماله كله حتى الشطاط ثم عاد الى مكة فرد على الناس مالهم وقال لهم أشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله والله ما منعنى من الاسلام عنده الا تخوف ان تظنوا انما أردت ا كل أموالكم ثم خرج فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه أهله بالنكاح الاول وقيل بنكاح جديد وجلس عمير بن وهب الجمحى مع صفوان بن أمية بعد بدر وكان شيطانا ممن كان يؤذى النبي وأصحابه وكان ابن وهب فى الاسارى فقال صفوان لا خير فى العيش بعد من أصيب ببدر فقال عمير صدقت ولولا دين على وعيال اخشى ضيعتهم لركبت الى محمد حتى أقتله فقال صفوان دينك على وعيالك مع عيالى أسوتهم فسار الى المدينة فقدمها فامر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب بادخاله عليه فأخذ عمر بحمالة سيفه وقال لرجال معه من الانصار ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واحذروا هذا الخبيث فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر اتركه ثم قال ادن ياعمير ما جاء بك قال جئت لهذا الاسير قال اصدقنى قال ما جئت الا لذلك قال بل قعدت أنت وصفوان وجرى بينكما كذا وكذا فقال عمير اشهد انك رسول الله هذا الامر لم يحضره الا أنا وصفوان فالحمد لله الذى هدانى للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهوا أخاكم فى دينه وعلموه القرآن وأطلقوا له اسيره ففعلوا فقال يارسول الله كنت شديد الاذى للمسلمين فاحب ان تأذن لى فاقدم مكة فادعو الى الله وأوذى الكفار فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فاذن له فكان صفوان يقول أبشروا الآن بوقعة تأتيكم تنسيكم وقعة بدر فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو الى الله فأسلم معه ناس كثير وكان يؤذى من خالفه وقدم مكرز بن حفص بن الاخيف فى فداء سهيل بن عمرو وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أبا بكر وعمر وعليا فى الاسارى فأشار أبو بكر بالفداء وأشار عمر بالقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القتل فأنزل الله تعالى ما كان لنبى ان تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض الى قوله لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وكان الاسرى سبعين فقتل من المسلمين عقوبة بالمفاداة يوم أحد سبعون وكسرت رباعية رسول الله وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه وانهزم أصحابه فانزل الله تعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها وكان جميع من قتل من المسلمين ببدر أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة استصغرهم منهم عبد الله بن عمر ورافع بن خديج والبراء بن عازب وزيد بن ثابت وأسيد بن حضير وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لثمانية نفر بسهم فى الانفال لم يحضروا الوقعة منهم عثمان بن عفان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه على زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لمرضها وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد كان أرسلهما يتجسسان خبر العير وابولبابة خلفه على المدينة وعاصم بن عدى خلفه على العالية والحرث بن حاطب رده الى بنى عمرو بن عوف لشئ بلغه عنهم والحرث بن الصمة كسر بالروحاء وخوات بن جبير كسر فى بدر أسفل سيفه ذى الفقار وكان لمنبه ابن الحجاج وقيل كان للعاص بن منبه قتله على صبرا وأخذ سيفه ذا الفقار فكان للنبي صلى الله عليه

ذلك من بقاع الارض ان شاء الله تعالى

(ذكر ملوك السريانيين ولمع من أخبارهم)

ذكر أهل العناية بأخبار ملوك العالم ان أول الملوك ملوك السريانيين بعد الطوفان وقد تنوزع فيهم وفى النبط فمن الناس من رأى ان السريانيين هم النبط ومنهم من رأى انهم اخوة لولد ماس بن نبيط ومنهم من رأى غير ذلك وكان أول من ملك منهم رجل يقال له سوسان وكان أول من وضع التاج على رأسه وانقادت له ملوك الارض وكان ملكه ست عشرة سنة باغيا فى الارض مفسد للبلاد سفاكا للدماء ثم ملك ولد له يقال له برندس وكان ملكه الى أن هلك عشرين سنة ثم ملك سماسيربن أول سبع سنين ثم ملك بعده أهريبور عشر سنين فخط الخطط وكور الكور وجد فى أمره واتقان ملكه وعمارة أرضه فلما استقامت له الاحوال وانتظم له الملك بلغ بعض ملوك الهند ما عليه ملوك السريانيين من القوة وشدة العمارة وانهم يحاولون الممالك وقد كان هذا الملك من ملوك الهند

وسلم فوهبه لعلى (رحضة بفتح الراء المهملة والحاء المهملة والضاد المعجمة والجبار بضم الحاء المهملة والباء الموحدة أسيد بن حضير بضم الهمزة والضاد المعجمة وخديج بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة)

﴿ذكر غزوة بنى قينقاع﴾

لما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر أظهرت يهود له الحسد بما فتح الله عليه وبغوا ونقضوا العهد وكان قد وادعهم حين قدم المدينة مهاجرا فلما بلغه حسدهم جمعهم بسوق بنى قينقاع فقال لهم احذروا ما نزل بقريش وأسلموا فانكم قد عرفتم انى نبى مرسل فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة فكانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبينه فبينما هم على مجاهرتهم وكفرهم اذ جاءت امرأة مسلمة الى سوق بنى قينقاع فجلست عند صائغ لاجل حلى لها فجاء رجل منهم فخل درعها الى ظهرها وهى لا تشعر فلما قامت بدت عورتها فضحكوا منها فقام اليه رجل من المسلمين فقتله ونبذوا العهد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحصنوا فى حصونهم فغزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمس عشرة ليلة فنزلوا على حكمه فكتفوا وهو يريد قتلهم وكانوا احلفاء الخزرج فقام اليه عبد الله بن أبى ابن سلول فكلمه فيهم فلم يجبه فادخل يده فى جيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى الغضب فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك أرسلنى فقال لا أرسلك حتى تحسن الى موالى أربعمائة حاسر وثلثمائة دارع قد منعونى من الاحمر والاسود وانى والله لاأخشى الدوائر فقال النبى صلى الله عليه وسلم هم لك خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم وغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ما كان لهم من مال ولم يكن لهم ارضون انما كانوا صاغة وكان الذى أخرجهم عبادة بن الصامت الانصارى فبلغ بهم ذباب ثم ساروا الى أذرعات من أرض الشام فلم يلبثوا الا قليلا حتى هلكوا وكان قد استخلف على المدينة أبا لبابة وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم مع حمزة وقسم الغنيمة بين أصحابه وخمسها وكان أول خمس أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر الاضحى وخرج الى المصلى فصلى بالمسلمين وهو أول صلاة عيد صلاها وضحى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاتين وقيل بشاة وكان أول أضحى رآه المسلمون وضحى معه ذوو اليسار وكانت الغزاة فى شوال بعد بدر وقيل كانت فى صفر سنة ثلاث وجعلها بعضهم بعد غزوة الكدر (ذباب بكسر الذال المعجمة وباءين موحدتين)

﴿ذكر غزوة الكدر﴾

قال ابن اسحق كانت فى شوال سنة اثنتين وقال الواقدى كانت فى المحرم سنة ثلاث وكان قد بلغ النبى صلى الله عليه وسلم اجتماع بنى سليم على ماء لهم يقال له الكدر فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكدر فلم يلق كيدا وكان لواؤه مع على بن أبى طالب واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وعاد ومعه النعم والرعاء وكان قدومه فى قول لعشر ليال مضين من شوال وبعد قدومه أرسل غالب ابن عبد الله الليثى فى سرية الى بنى سليم وغطفان فقتلوا فيهم وغنموا النعم واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر وعادوا منتصف شوال (الكدر بضم الكاف وسكون الدال المهملة)

﴿ذكر غزوة السويق﴾

كان أبو سفيان قد نذر بعد بدر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا فخرج فى مائتى

غالبا على ما حوله من ممالك الهند وانقادت الى سلطانه ودخلت فى أحكامه وقيل ان ملكه كان مما يلى السند والهند فسار نحو بلاد بسط وعرين ونمير وبلاد الداور على النهر المعروف بنهر ميد وهو نهر سجستان ينتهى جريانه على أربع فراسخ منها وهذا النهر عليه أهل سجستان وضياعهم ونخلهم وجبالهم ومنتزهاتهم وهذا النهر يعرف بنهر بسط وتجرى فيه السفن من هناك الى سجستان فيها الاقوات وغير ذلك ومن بسط الى سجستان نحو من مائة فرسخ وبلاد سجستان هى بلاد الرياح والرمال وهو البلد الموصوف بان الريح بهتدير الارحية وتسقى الماء من الآبار وتسقى الجنان وليس فى الدنيا بلد والله أعلم أكثر منه استعمالا للرياح وقد تنوزع فى مبدا هذا النهر المعروف بنهر ميد فمن الناس من رأى ان مبدأه من مبدا نهر الكنك وهو نهر الهند ويمر بكثير من جبال السند وهو نهر حاد الانصباب والجريان عليه يعذب أكثر الهند أنفسها بالحديد وتغرقها زهدا فى هذا العالم

راكب من قريش ليبر يمينه حتى جاء المدينة ليلا واجتمع بسلام بن مشكم سيد النضير فعلم منه خبر الناس ثم خرج فى ليلته فبعث رجالا من قريش الى المدينة فأتوا العريض فحرقوا فى نخلها وقتلوا رجلا من الانصار وحليفا له واسم الانصارى معبد بن عمرو وعادوا ورأى ان قد بر فى يمينه وجاء الصريخ فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأعجزهم وكان أبو سفيان واصحابه يلقون جرب السويق يتخففون بها وكان ذلك عامة زادهم فلذلك سميت غزوة السويق ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قالوا يارسول الله أنطمع ان تكون لنا غزوة قال نعم وقال أبو سفيان بمكة وهو يتجهز

كروا على يثرب وجمعهم * فانما جمعوا لكم نفل
ان يك يوم القليب كان لهم * فانما بعده لكم دول
آليت لا اقرب النساء ولا * يمس رأسى وجلدى الغسل
حتى تبيروا قبائل الاوس والخزرج ان الفؤاد يشتعل

فاجابه كعب بن مالك بقوله

يالهف أم المسبحين على * جيش ابن حرب بالحرة الفشل
اذ يطرحون الرجال من شيم الطير و يرقى لقنة الجبل
جاؤا بجمع لو قيس مبركه * ما كان الا كمفحص الدول
عار من النصر والثراء ومن * أبطال أهل البطحاء والاسل

وفى ذى الحجة منها مات عثمان بن مظعون فدفن بالبقيع وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس القبر حجرا علامة لقبره وقيل ان الحسن بن على ولد فيها وقيل ان على بن أبى طالب بنى بفاطمة على رأس اثنين وعشرين شهرا فان كان هذا صحيحا فالاول باطل وفى هذه السنة (٣) كتب المعاقلة وقربه بسيفه (سلام بتشديد اللام ومشكم بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الكاف والعريض بضم العين المهملة وفتح الراء وآخره ضاد معجمة واد بالمدينة)

(ودخلت السنة الثالثة من الهجرة)

فى المحرم سنة ثلاث سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جمعا من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان و بنى محارب بن حفص تجمعوا ليصيبوا من المسلمين فسار اليهم فى أربعمائة وخمسين رجلا فلما صار بذى القصة لقى رجلا من ثعلبة فدعاه الى الاسلام فاسلم وأخبره ان المشركين أتاهم خبره فهربوا الى رؤس الجبال فعاد ولم يلق كيدا وكان مقامه اثنتى عشرة ليلة وفيها فى جمادى الاولى غزا بنى سليم بنجران وسبب هذه الغزوة ان جمعا من بنى سليم تجمعوا بنجران من ناحية الفرع فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فسار اليهم فى ثلثمائة فلما بلغ نجران وجدهم قد تفرقوا فانصرف ولم يلق كيدا وكانت غيبته عشر ليال واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم (القصة بفتح القاف والصاد المهملة و بحران بالباء الموحدة والحاء المهملة الساكنة)

(ذكر قتل كعب بن الاشرف اليهودى)

وفى هذه السنة قتل كعب بن الاشرف وهو أحد بنى نبهان من طىء وكانت امه من بنى النضير وكان قد كبر عليه قتل من قتل ببدر من قريش فسار الى مكة وحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى اصحاب بدر وكان يشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم فلما عاد الى المدينة قال رسول الله

ورغبة فى النقلة عنه وذلك انهم يقصدون موضعا فى أعالى هذا النهر المعروف بالكنك وهنالك جبال عالية واشجار عادية ورجال جلوس وحدائد وسيوف منصوبة على ذلك الشجر وقطع من الخشب فتأتيهم الهند من الممالك النائية والبلدان القاصية فيسمعون كلام أولئك الرجال المرتبين على هذا النهر وما يقولون فى تزهيدهم فى هذا العالم والترغيب فيما سواه فيطرحون أنفسهم من أعالى تلك الجبال العالية على تلك الاشجار العادية والسيوف والحدائد المنصوبة فيتقطعون قطعا ويصيرون الى هذا النهر أجزاء وما ذكرنا فوصوف عنهم وما يفعلون على هذا النهر كذلك وهنالك شجر من احدى عجائب العالم ونوادره و الغرائب مما به فيظهر من الارض أغصان مشتبكة من أحسن ما يكون من الشجر والورق فتستقيم فى الجو كأبعد ما يكون من طوال النخل ثم ينحنى جميع ذلك منعكسا فيعود فى الارض مندسا ويهوى فى قعرها سفلا على المقدار الذى ارتفع به فى الهواء حتى يغيب عن الابصار ثم

(٣) قوله كتب الخ هذه العبارة غير ظاهرة فليحرر اه

صلى الله عليه وسلم من لي بابن الاشرف فقال محمد بن مسلمة الانصاري أنا لك به انا أقتله قال فافعل ان قدرت على ذلك قال يارسول الله لابد لنا مانقول قال قولوا مابدا لكم فانتم في حل من ذلك فاجتمع محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة بن وقش وهو أبونائلة والحرث بن أوس بن معاذ وكان أخا كعب من الرضاعة وعباد بن بشر وأبوعبس بن جبر ثم قدموا الى ابن الاشرف أبانائلة فتحدث معه ثم قال له يا ابن الاشرف اني قد جئتك لحاجة فاكتمها علي قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل شؤما على العرب قطع عنا السبل حتى ضاعت العيال وجهدت البهائم فقال كعب قد كنت أخبرتك بهذا قال أبونائلة وأريد ان تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك قال ترهنوني ابناءكم قال أردت ان تفضحنا ان معي أصحابي على مثل رأيي تبيعهم وتحسن وتجعل عندك رهنا من الحلقة مافيه وفاء وأراد أبونائلة بذكر الحلقة وهي السلاح ان لاينكر السلاح اذا جاء مع أصحابه فقال ان في الحلقة لوفاء فرجع أبونائلة الى أصحابه فأخبرهم فاخذوا السلاح وساروا اليه وشيعهم النبي صلى الله عليه وسلم الى بقيع الغرقد ودعا لهم فلما انتهوا الى حصن كعب هتف به أبونائلة وكان كعب قريب عهد بعرس فوثب اليه وتحدثوا ساعة وساروا معهم الى شعب العجوز ثم ان أبانائلة أخذ برأس كعب وشم يده وقال مارأيت كالليلة طيبا اعرف قط ثم مشى ساعة وعاد لمثلها حتى اطمأن كعب ثم مشى ساعة وأخذ بفودي رأسه ثم قال اضربوا عدو الله فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيأ قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولا في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا أوقدت عليه نار قال فوضعته في ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله وقد أصيب الحرث بن أوس بن معاذ أصابه بعض أسيافنا قال فخرجنا على بعاث وقد ابطأ علينا صاحبنا فوقفنا له ساعة وقد نزفه الدم ثم أتانا فاحتملناه وجئنا به للنبي صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدو الله وتفل على جرح صاحبنا وعدنا الى أهلينا فاصبحنا وقد خافت يهود ليس بها يهودي الا وهو يخاف على نفسه قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فوثب محيصة بن مسعود على ابن سنينة اليهودي وهو من تجار يهود فقتله وكان يبايعهم فقال له أخوه حويصة وهو مشرك ياعدو الله قتلته أما والله لرب شحم في بطنك من ماله وضربه فقال محيصة لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك قال فوالله ان كان لاول اسلام حويصة فقال ان دينا بلغ بك ماأرى لعجب ثم أسلم (عبس بن جبر بفتح العين المهملة وسكون الباء الموحدة وجبر بالجيم والباء الموحدة وسنينة تصغير سن) وفي ربيع الاول منها تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم وبنى بها في جمادى الآخرة وفيها ولد السائب بن زيد ابن أخت نمر * وقال الواقدي وفيها غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة أنمار يقال لها ذوامر وقد ذكرنا قول ابن اسحق قبل ذلك وفيها كان غزوة الفردة وكان أميرها زيد بن حارثة وهي أول سرية يخرج فيها زيد أميرا وكان من حديثها ان قريشا خافت من طريقها التي كانت تسلك الى الشام بعد بدر فسلكوا طريق العراق فخرج منهم جماعة فيهم صفوان بن أمية وأبو سفيان وكان عظم تجارتهم الفضة وكان دليلهم فرات بن حيان بن بكر بن وائل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فلقيهم على ماء يقال له الفردة فأصاب العير ومافيها وأعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الخمس عشرين ألفا وقسم الاربعة اخماس على السرية وأتى بفرات بن حيان أسيرا فاسلم فاطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم (الفردة ماء بنجد وقد اختلف العلماء في ضبطه فقيل فردة بالفاء المفتوحة والراء الساكنة وبه مات زيد الخيل ويرد

تظهر أغصان بادئة على حسب ماوصفنا في الاول فتذهب الصعداء ثم تنفطر منعكسة ولافرق بين المقدار الذي يذهب منها في الهواء ويتسع في الفضاء وبين مايغيب منها تحت الارض ويتوارى تحت الثرى فلولا أن الهند قد كانت بقطعه من يراعيه في أمره لامر يذكرونه وخطر في المستقبل يصفونه لطبق على تلك البلاد ولغشي تلك الارض ولهذا النوع من الشجر أخبار يطول ذكرها يعرفها من طرأ الى تلك البلاد ورآها أو نمى اليه خبرها والهند تعذب أنفسها على ماوصفنا بانواع العذاب من دون الامم وقد تيقنت أن ماينالها من النعيم في المستقبل مؤجلا لايكون بغير ما أسلفته من تعذيب انفسها في هذه الدار معجلا ومنهم من يصير الى باب الملك يستأذن في احراقه نفسه فيدور في الاسواق وقد أججت له النار العظيمة عليها من قد وكل بايقادها ثم يسير في الاسواق وقدامه الطبول والصنوج وعلى بدنه أنواع من خرق الحرير قد

ذكره وضبطه ابن الفرات في غير موضع قردة بالقاف وقال ابن اسحق وسير زيد بن حارثة الى القردة ماء من مياه نجد ضبطه ابن الفرات أيضا بفتح الفاء والراء فان كانا مكانين والا فقد ضبط ابن الفرات أحدهما خطأ)

(ذكر قتل أبي رافع)

في هذه السنة في جمادى الآخرة قتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي وكان يظاهر كعب ابن الاشرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قتل كعب بن الاشرف وكان قتلته من الاوس قالت الخزرج والله لا يذهبون بها علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا يتصاولان تصاول الفحلين فتذاكر الخزرج من يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم كابن الاشرف فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخيبر فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله فاذن لهم فخرج اليه من الخزرج عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة وخزاعي بن الاسود حليف لهم وأمر عليهم عبد الله بن عتيك فخرجوا حتى قدموا خيبر فاتوا دار أبي رافع ليلا فلم يدعوا بابا في الدار الا أغلقوه على أهله وكان في علية فاستأذنوا عليه فخرجت امرأته فقالت من أنتم قالوا نفر من العرب يلتمسون الميرة قالت ذاك صاحبكم فادخلوا عليه فدخلوا فلما دخلوا أغلقوا باب العلية ووجدوه على فراشه وابتدروه فصاحت المرأة فجعل الرجل منهم يريد قتلها فذكر نهي النبي صلى الله عليه وسلم اياهم عن قتل النساء والصبيان فأمسكوا عنها وضربوه باسيافهم وتحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى انفذه ثم خرجوا من عنده وكان عبد الله بن عتيك سيء البصر فوقع من الدرجة فوثئت رجله وثأ شديدا فاحتملوه واختفوا وطلبتهم يهود في كل وجه فلم يروهم فرجعوا الى صاحبهم فقال المسلمون كيف نعلم ان عدو الله قد مات فعاد بعضهم ودخل في الناس فرأى الناس حوله وهو يقول لقد عرفت صوت ابن عتيك ثم قلت أين ابن عتيك ثم صاحت امرأته وقالت مات والله قال فما سمعت كلمة ألذ الى نفسي منها ثم عاد الى أصحابه وأخبرهم الخبر وسمع صوت الناعي يقول أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز وساروا حتى قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم واختلفوا في قتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتوا أسيافكم فجاؤا بها فنظر اليها فقال لسيف عبد الله بن انيس هذا قتله أرى فيه اثر الطعام * وقيل في قتله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى أبي رافع اليهودي وكان بارض الحجاز رجالا من الانصار وأمر عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنوا منه غربت الشمس وراح الناس بسرحهم فقال عبد الله بن عتيك لاصحابه أقيموا امكانكم فاني أنطلق واتلطف للبواب لعلي أدخل فانطلق فاقبل حتى دنا من الباب فتقنع بثوبه كانه يقضي حاجته فهتف به البواب ان كنت تريد ان تدخل فادخل فاني أريد ان أغلق الباب فدخل واغلق الباب وعلق المفاتيح على وتد قال فقمت فأخذتها ففتحت بها الباب وكان أبو رافع يسمر عنده في علالي له فلما أراد النوم ذهب عنه السمار فصعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا اغلقته علي من داخل فقلت ان علموا بي لم يخلصوا الي حتى أقتله قال فانتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو فقلت أبا رافع قال من هذا فأهويت نحو الصوت فضربته ضربة بالسيف وانا دهش فما أغنى عني شيئا وصاح فخرجت من البيت غير بعيد ثم دخلت عليه فقلت ما هذا الصوت قال لامك الويل ان رجلا في البيت ضربني بالسيف قال فضربته فاثخنته فلم اقتله ثم وضعت حد السيف في بطنه حتى أخرجته من ظهره فعرفت أني قتلته فجعلت افتح الابواب وأخرج حتى انتهيت الى درجة فوضعت رجلي وانا أظن اني انتهيت الى

مضغها على نفسه وحوله أهله وقرابته وعلى رأسه اكليل من الريحان وقد قشر جلده عن رأسه وعليها الجمر وعليها الكبريت والسندروس فيسير وهامته وروائح دماغه تفوح وهو يمضغ ورق التنبول وحب الفوفل والتنبول في بلادهم ورق ينبت كاصغر ما يكون من ورق الاترج يمضغ هذا الورق بالنورة المبلولة مع الفوفل وهو الذي غلب على أهل مكة وغيرهم من بقية أهل الحجاز واليمن في هذا الوقت مضغه بدلا من الطيب ويكون عند الصنادلة للورم وغير ذلك فمنهم من يسميه الفوفل وهذا اذا مضغ على ما ذكرنا بالورق والنورة شد اللثة وقوى عمور الاسنان وطيب النكهة وأزال الرطوبة المؤذية وشهى الطعام وبعث على الباه وحمر الاسنان حتى تكون كاحمر ما يكون من حب الرمان وأحدث في النفس طربا وأريحية وقوى البدن وأثار من النكهة روائح طيبة والهند خواصها وعوامها تستقبح من أسنانه بيض وتجتنب

الارض فوقعت في ليلة مقمرة وانكسرت ساقي فعصبتها بعمامتي وجلست عند الباب فقلت
والله لا أبرح حتى أعلم اقتلته أم لا فلما صاح الديك قام الناعي فقال أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز
فانطلقت الى أصحابي فقلت النجاة قد قتل الله أبا رافع فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته
فقال ابسط رجلك فبسطتها فمسحها فكأني لم اشتكها قط قيل كان قتل أبي رافع في ذي الحجة سنة
أربع من الهجرة والله أعلم (سلام بتشديد اللام وحقيق بضم الحاء المهملة وفتح القاف الاولى
تصغير حق) وفيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب في شعبان
وكانت قبله تحت خنيس (بضم الخاء المعجمة وبالنون المفتوحة وبالياء المعجمة باثنتين من تحت
وبالسين المهملة) وهو ابن حذافة السهمي فتوفي فيها

(ذكر غزوة أحد)

وفيها في شوال لسبع ليال خلون منه كانت وقعة أحد وقيل للنصف منه وكان الذي أهاجها وقعة
بدر فانه لما أصيب من المشركين من أصيب ببدر مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل
وصفوان بن أمية وغيرهم ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم واخوانهم بها فكلموا أبا سفيان ومن
كان له في تلك العير تجارة وسألوهم ان يعينوهم بذلك المال على حرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم لعلهم يدركوا ثأرهم منهم ففعلوا وتجهز الناس وأرسلوا أربعة نفر وهم عمرو بن العاص وهبيرة بن
أبي وهب وابن الزبعرى وأبو عزة الجمحي فساروا في العرب ليستنفروهم فجمعوا جمعا من ثقيف
وكنانة وغيرهم واجتمعت قريش بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وتهامة ودعا جبير بن
مطعم غلامه وحشي بن حرب وكان حبشيا يقذف بالحربة قلما يخطئ فقال له اخرج مع الناس فان
قتلت عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فانت عتيق وخرجوا معهم بالظعن لئلا يفروا وكان أبو سفيان
قائد الناس فخرج بزوجته هند بنت عتبة وغيره من رؤساء قريش خرجوا بنسائهم خرج عكرمة
ابن أبي جهل بزوجته أم حكيم بنت الحرث بن هشام وخرج الحرث بن هشام بفاطمة بنت الوليد
ابن المغيرة أخت خالد وخرج صفوان بن أمية ببريرة وقيل برزة بنت مسعود الثقفية أخت عروة
ابن مسعود وهي أم ابنه عبد الله بن صفوان وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج
وهي أم ولده عبد الله بن عمرو وخرج طلحة بن أبي طلحة بسلافة بنت سعد وهي أم بنيه مسافع
والجلاس وكلاب وغيرهم وكان مع النساء الدفوف يبكين على قتلى بدر يحرضن بذلك المشركين
وكان مع المشركين أبو عامر الراهب الانصاري وكان خرج الى مكة مباعدا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ومعه خمسون غلاما من الاوس وقيل كانوا خمسة عشر وكان يعد قريشا أنه لو لقي محمدا
لم يتخلف عنه من الاوس رجلان فلما التقى الناس باحد كان أبو عامر أول من لقي في الاحابيش
وعبدان أهل مكة فنادى يا معشر الاوس أنا أبو عامر فقالوا فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق فقال لقد
أصاب قومي بعدي شر ثم قاتلهم قتالا شديدا حتى راضخهم بالحجارة وكانت هند كلما مرت بوحشي
أو مر بها قالت له يا أبا دسمة اشف واستشف وكان يكنى أبا دسمة فاقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل ببطن
السبخة من قناة على شفير الوادي مما يلي المدينة فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون قال اني رأيت بقرا فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما ورأيت اني أدخلت يدي في
درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فان أقاموا أقاموا بشر وان
دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأي عبد الله بن أبي ابن سلول مع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكره الخروج وأشار بالخروج جماعة ممن استشهد يومئذ وأقامت قريش يوم الاربعاء والخميس

من لا يعضغ ما وصفنا فاذا
طاف هذا المعذب لنفسه
بالنار في الاسواق انتهى
الى تلك النار وهو غير
مكترث ولا متغير في مشيته
ولا متهيب في خطوته فهم
من اذا أشرف على النار
وقد صارت جمرا كالنخل
العظيم يتناول خنجرا
ويدعى الجرمي عندهم
فيضعه في لبته ولقد
حضرت ببلاد صيمور من
بلاد الهند من اللارمن
مملكة البلهرا وذلك في
سنة أربع وثلثمائة والملك
يومئذ على صيمور المعروف
بجاج وبها يومئذ من المسلمين
نحو من عشرة آلاف
قاطنين بياسرة وسيرافيين
وبصريين وبغداديين
وغيرهم من سائر الامصار
ممن قد تأهل وقطن في
تلك البلاد وفيهم خلق
من وجوه التجار مثل
موسى واسحق الصيدابوري
وعلى الهيرمة يومئذ
أبو سعيد معروف بن
زكريا وتفسير الهيرمة يراد
به رآسة المسلمين يتولاها
رجل منهم عظيم من
رؤسائهم تكون أحكامهم
مصروفة اليه ومعنى قولنا
البياسرة يراد به من ولدوا
من المسلمين بارض الهند
يدعون بهذا الاسم

والجمعة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الجمعة فالتقوا يوم السبت نصف شوّال فلما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه وخرج ندم الذين كانوا أشاروا بالخروج الى قريش وقالوا استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشير عليه فالوحي يأتيه فيه فاعتذروا اليه وقالوا اصنع ماشئت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج في ألف رجل واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم فلما كان بين المدينة وأحد عاد عبد الله بن أبيّ بثلث الناس وقال أطاعهم وعصاني وكان من تبعه أهل النفاق والريب واتبعهم عبد الله بن حرام أخو بني سلمة يذكرهم الله ان يخذلوا نبيهم فقالوا لو نعلم انكم تقاتلون ما اسلمناكم وانصرفوا فقال ابعدكم الله اعداء الله فسيغني الله عنكم وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة فسار في حرة بني حارثة وبين أموالهم فمر بمال رجل من المنافقين يقال له مربع بن قيظي وكان ضرير البصر فلما سمع حس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه قام يحثي التراب في وجوههم ويقول ان كنت رسول الله فاني لا أحل لك ان تدخل حائطي واخذ حفنة من تراب في يده وقال لو اعلم اني لا أصيب غيرك لضربت به وجهك فابتدروه ليقتلوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تفعلوا فهذا الاعمى اعمى البصر والقلب فضربه سعد بن زيد بقوس فشجه وذب فرس بذنبه فاصاب كلاب سيف صاحبه فاستله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم شيموا سيوفكم فاني أرى السيوف ستسل اليوم وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بعدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى أحد وكان المشركون ثلاثة آلاف منهم سبعمائة دارع والخيل مائتي فرس والظعن خمس عشرة امرأة وكان المسلمون مائة دارع ولم يكن من الخيل غير فرسين فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرس لابي بردة بن نيار وعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم المقاتلة فرد زيد بن ثابت وابن عمر واسيد بن حضير والبراء بن عازب وعرابة بن اوس وابا سعيد الخدري وغيرهم واجاز جابر بن سمرة ورافع بن خديج وارسل أبو سفيان الى الانصار يقول خلوا بيننا وبين ابن عمنا فننصرف عنكم ولا حاجة لنا الى قتالكم فردوا عليه ما يكره وتعبى المشركون فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل وكان لواؤهم مع بني عبد الدار فقال لهم ابو سفيان انما يؤتى الناس من قبل راياتهم فاما ان تكفونا واما ان تخلوا بيننا وبين اللواء يحرضهم بذلك فقالوا ستعلم اذا التقينا كيف نصنع وذلك اراد واستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وترك أحدا خلف ظهره وجعل وراءه الرماة وهم خمسون رجلا وأمّر عليهم عبد الله بن جبير اخا خوات بن جبير وقال له انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا واثبت مكانك ان كانت لنا أو علينا وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين وأعطى اللواء مصعب بن عمير وأمّر الزبير على الخيل ومعه المقداد وخرج حمزة بالجيش بين يديه وأقبل خالد وعكرمة فلقيهما الزبير والمقداد فهزما المشركين وحمل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فهزموا أبا سفيان وخرج طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين وقال يامعشر أصحاب محمد انكم تزعمون ان الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل أحد منكم يعجله سيفي الى الجنة أو يعجلني سيفه الى النار فبرز اليه علي بن ابي طالب فضربه عليّ فقطع رجله فسقط وانكشفت عورته فناشده الله فتركه فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعلي ما منعك ان تجهز عليه قال انه ناشدني الله والرحم فاستحييت منه وكان بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف فقال من يأخذه بحقه فقام اليه رجال فامسكه عنهم حتى قام أبو دجانة فقال وما حقه يارسول الله قال تضرب به العدوّ حتى ينحني قال انا آخذه فاعطاه اياه وكان شجاعا وكان اذا أعلم بعصابة له حمراء

واحدهم بيسر وجمعهم بياسرة فرأيت بعض فتيانهم وقد طاف على ماوصفنا في أسواقهم فلما دنا من النار أخذ الخنجر فوضعه على فؤاده فشقه ثم أدخل يده الشمال فقبض على كبده فجذب منها قطعة وهو يتكلم فقطعها بالخنجر فدفعها الى بعض اخوانه تهاونا بالموت ولذة بالنقلة ثم هوى بنفسه في النار واذا مات الملك من ملوكهم وقتل نفسه حرق خلق من الناس أنفسهم لموته يدعون هؤلاء البلاحرية واحدهم بلاحري وتفسير ذلك المصادق لمن يموت فيموت بموته ويحيا بحياته وللهند أخبار عجيبة تجزع من سماعها النفس من أنواع الآلام والمقاتل التي تألم عند ذكرها الابدان ويصفر من ذكرها الانسان وقد أتينا على كثير من عجائب أخبارهم في كتابنا اخبار الزمان فلنرجع الآن الى خبر ملك الهند ومسيره الى بلاد سجستان وقصده مملكة السريانيين ونعدل عما احتذينا من أخبار الهند فنقول كان هذا الملك من ملوك الهند يقال له زنبيل وكل ملك يلي هذا البلد من أرض الهند

علم الناس انه يقاتل فعصب رأسه بها وأخذ السيف وجعل يتبختر بين الصفين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها مشية يبغضها الله الا فى هذا الموطن فجعل لا يرتفع له شئ الا حطمه حتى انتهى الى نسوة فى سفح الجبل فيهن امرأة تقول

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق * مشى القطا البوارق
والمسك فى المفارق * والدر فى المخانق * ان تقبلوا نعانق
ونفرش النمارق * اوتدبروا نفارق * فراق غير وامق

وتقول أيضا ويها بنى عبد الدار * ويها حماة الديار * ضربا بكل بتار

فرفع السيف ليضربها ثم اكرم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضرب به امرأة وكانت المرأة هند والنساء معها يضربن بالدفوف خلف الرجال يحرضن واقتتل الناس قتالا شديدا وامعن فى الناس حمزة وعلى وأبو دجانة فى رجال من المسلمين وأنزل الله نصره على المسلمين وكانت الهزيمة على المشركين وهرب النساء مصعدات فى الجبل ودخل المسلمون عسكرهم ينهبون فلما نظر بعض الرماة الى العسكر حين انكشف الكفار عنه أقبلوا يريدون النهب وثبتت طائفة وقال نطيع رسول الله ونثبت مكاننا فانزل الله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة يعنى اتباع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مسعود وما علمت ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزلت الآية فلما فارق بعض الرماة مكانهم رأى خالد بن الوليد قلة من بقى من الرماة فحمل عليهم فقتلهم وحمل على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من خلفهم فلما رأى المشركون خيلهم تقاتل تبادروا وافشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم وقد كان المسلمون قتلوا أصحاب اللواء فبقى مطروحا لا يدنو منه أحد فاخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته فاجتمعت قريش حوله وأخذه صواب فقتل عليه وكان الذى قتل أصحاب اللواء على قاله أبو رافع قال فلما قتلهم أبصر النبى صلى الله عليه وسلم جماعة من المشركين فقال لعلى احمل عليهم ففرقهم وقتل فيهم ثم ابصر جماعة أخرى فقال له احمل عليهم وفرقهم وقتل فيهم فقال جبريل يا رسول الله هذه المواساة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه منى وأنا منه فقال جبريل وانا منكما قال فسمعوا صوتا لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا على وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم السفلى وشقت شفته وكلم فى وجنته وجبهته فى أصول شعره وعلاه ابن قمئة بالسيف وكان هو الذى اصابه وقيل أصابه عتبة بن أبى وقاص وقيل عبد الله بن شهاب الزهرى جد محمد بن مسلم وقيل ان عتبة بن أبى وقاص وابن قمئة الليثى الادرمى من بنى تميم بن غالب وكان تميم أدرم ناقص الذقن وأبى بن خلف الجمحى وعبد الله بن حميد الاسدى أسد قريش تعاقدوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما ابن شهاب فاصاب جبهته واما عتبة فرماه بأربعة أحجار فكسر رباعيته اليمنى وشق شفته واما ابن قمئة فكلم وجنته ودخل من حلق المغفر فيها وعلاه بالسيف فلم يطق أن يقطع فسقط رسول الله صلى الله عليه وسلم فجحشت ركبته واما أبى بن خلف فشد عليه بحربة فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وقتله بها وقيل بل كانت حربة الزبير أخذها منه وقيل أخذها من الحرث ابن الصمة واما عبد الله بن حميد فقتله أبو دجانة الانصارى ولما جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول كيف يفلح القوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى الله وقاتل دونه نفر خمسة من الانصار فقتلوا وترس أبو دجانة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فكان يقع النبل فى ظهره وهو منحن عليه ورمى سعد بن أبى وقاص دون رسول الله

يسمى بهذا الاسم زنبيل الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكان بين الهند وبين ملوك السريانيين حروب عظام نحو من سنة فقتل ملك السريانيين واحتوى ملك الهند على الصقع وملك جميع ما فيه فسار اليه بعض ملوك العرب فأتى عليه وملك العراق وردّ ملك السريانيين فملكوا عليهم رجلا منهم يقال له «سيرا» وكان ولد المقتول فكان ملكه الى أن هلك ثمان سنين ثم ملك بعده «أهريون» وكان ملكه اثنتى عشرة سنة ثم ملك بعده ابن يقال له «هوريا» فزاد فى العمارة وأحسن فى الرعاية وغرس الاشجار وكان ملكه الى أن هلك اثنتين وعشرين سنة ثم ملك بعده «مارث» واستولى على الملك وكان ملكه مدة خمس عشرة سنة وقيل ثلاثا وعشرين سنة ثم ملك بعده «أزور» و«خلنجاس» يقال انهما كانا أخوين فأحسنا السيرة وتماضدا على الملك ويقال ان أحد هذين الملكين كان جالسا ذات يوم اذ نظر فى أعلى قصره الى طائر قد أفرخ هناك واذا هو

صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يناوله السهم ويقول ارم فداك أبي وأمي
واصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فكانت احسن
عينيه وقاتل مصعب بن عمير ومعه لواء المسلمين فقتل قتله ابن قمئة الليثي وهو يظن انه النبي صلى الله
عليه وسلم فرجع الى قريش وقال قتلت محمدا فجعل الناس يقولون قتل محمد قتل محمد ولما قتل
مصعب أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء على بن أبي طالب وقاتل حمزة حتى مر به سباع
ابن عبد العزى الغبشانى فقال له حمزة هلم الى يا ابن مقطعة البظور وكانت أمه أم انمار ختانة بمكة
فلما التقيا ضربه حمزة فقتله قال وحشي انى والله لانظر الى حمزة وهو يهذ الناس بسيفه ما يلقى
شيأ يمر به الا قتله وقتل سباع بن عبد العزى قال فهززت حربتي ودفعتها عليه فوقعت في ثنته حتى
خرجت من بين رجليه وأقبل نحوى فغلب فوقع فامهلته حتى مات فاخذت حربتي ثم تنحيت الى
العسكر فرضي الله عن حمزة وارضاه وقتل عاصم بن ثابت مسافع بن طلحة وأخاه كلاب بن طلحة
بسهمين فحملا الى امهما سلافة واخبراها ان عاصما قتلهما فنذرت ان امكنها الله من رأسه ان
تشرب فيه الخمر وبرز عبد الرحمن بن أبي بكر وكان مع المشركين وطلب المبارزة فاراد أبو بكر أن
يبرز اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شم سيفك وأمتعنا بك وانتهى انس بن النضر عم انس
ابن مالك الى عمر وطلحة في رجال من المهاجرين قد القوا بايديهم فقال ما يحبسكم قالوا قد قتل النبي
صلى الله عليه وسلم قال فما تصنعون بالحياة بعده موتوا على ما مات عليه ثم استقبل القوم فقاتل
حتى قتل فوجد به سبعون ضربة وطعنة وما عرفه الا اخته عرفته بحسن بنانه وقيل ان انس بن
النضر سمع نفرا من المسلمين يقولون لما سمعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل ليت لنا من يأتي
عبد الله بن أبي ابن سلول ليأخذ لنا امانا من أبي سفيان قبل ان يقتلونا فقال لهم انس يا قوم ان كان
محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد اللهم انى اعتذر اليك مما يقول هؤلاء
وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم قاتل حتى قتل وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
كعب بن مالك قال فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله حي لم يقتل فاشار
اليه انصت فلما عرفه المسلمون نهضوا نحو الشعب ومعه علي وأبو بكر وعمر وطلحة والزبير والحرث
ابن الصمة وغيرهم فلما استند الى الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول يا محمد لا نجوت ان نجوت
فعطف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فطعنه بالحربة في عنقه وكان أبي يقول بمكة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان عندي العود أعلفه كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليه فيقول له النبي صلى الله
عليه وسلم بل أنا اقتلك ان شاء الله تعالى فلما رجع الى قريش وقد خدشه رسول الله صلى الله عليه
وسلم خدشا غير كبير قال قتلني محمد قالوا والله ما بك بأس قال انه قد كان قال لي أنا أقتلك فوالله لو
بصق على لقتلني فمات بسرف وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد قتالا شديدا
فرمى بالنبل حتى فنى نبله وانكسرت سية قوسه وانقطع وتره ولما جرح رسول الله صلى الله عليه
وسلم جعل علي ينقل له الماء في درقته من المهراس ويغسله فلم ينقطع الدم فاتت فاطمة وجعلت
تعانقه وتبكي واحرقت حصيرا وجعلت على الجرح من رماده فانقطع الدم ورمى مالك بن زهير
الجشمي النبي صلى الله عليه وسلم فاتقاه طلحة بيده فاصاب السهم خنصره وقيل رماه حبان بن
العرقة فقال حس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال باسم الله لدخل الجنة والناس ينظرون
اليه وقيل ان يده شلت الا السبابة والوسطى والاول أثبت وصعد أبو سفيان ومعه جماعة من
المشركين في الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لهم ان يعلونا فقاتلهم عمر وجماعة من

يضرب بجناحه ويصيح
فتأمل الملك ذلك فنظر الى
حية تنساب الى الوكر
صاعدة لاكل فراخ الطائر
فدعا الملك بقوس فرمى
الحية فصرعها وسلمت
فراخ الطائر فجاء الطائر بعد
هنيهة يصفق بجناحه في
منقاره حبة وفي مخلابيه
حبتان وجاء الى الملك وألقى
ما كان في منقاره ومخالبيه
والملك يرمقه فوقع الحب
بين يدي الملك فتأمله وقال
ما ألقى هذا الطائر ما ألقى
الا انه أراد بلا شك مكافأتنا
على فعلنا به فاخذ الحب
وجعل يتأمله فلم يعرف
مثله في اقليمه فقال جليس
من جلسائه حكيم وقد نظر
الى حيرة الملك في الحب
أيها الملك ينبغي أن يودع
النبات أرحام الارض فانها
تخرج كنه ما فيه فتقف
على الغاية منه وأداء ما في
مخزونه ومكنونه فدعا
بالاكرة وأمرهم بزرع
الحب ومراعاته وما يكون
منه فزرع فنبت وأقبل
يلتف بالشجر ثم حصرم
وأعنب وهم يرمقونه
والملك يراعيه الى أن انتهى
في البلوغ وهم لا يقدمون
على ذوقه خوفا أن يكون
متلفا فامر الملك بعصر مائه
وأن يودع في أواني وافراد
حب منه وتركه على حالته

المهاجر بن حتى أهبطوهم ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصخرة ليعلوها وكان عليه درعان فلم يستطع فجلس تحته طلحة حتى صعد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة وانتهت الهزيمة بجماعة المسلمين فيهم عثمان بن عفان وغيره الى الاعوص فاقاموا به ثلاثا ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم حين رآهم لقد ذهبتم فيها عريضة والتقى حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة وأبو سفيان بن حرب فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الاسود وهو ابن شعوب فدعاه أبو سفيان فاتاه فضرب حنظلة فقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لتغسله الملائكة فسألوا أهله فسئلت صاحبته فقالت خرج وهو جنب سمع الهائعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك غسلته الملائكة وقال أبو سفيان يذكر صبره ومعاونة ابن شعوب اياه على قتل حنظلة

ولو شئت نجتني كميت طمرة * ولم أحمل النعماء لابن شعوب
فما زال مهري مزجر الكلب منهم * لدن غدوة حتى دنت لغروب
أقاتلهم وأدعي يال غالب * وأدفعهم عني بركن صليب
فبكي ولا ترعي مقالة عاذل * ولا تسأمي من عبرة ونحيب
أباك واخوانا لنا قد تتابعوا * وحق لهم من عبرة بنصيب
وسلى الذي قد كان في النفس أنني * قتلت من النجار كل نجيب
ومن هاشم قرنا نجيبا ومصعبا * وكان لدى الهيجاء غير هيوب
ولو انني لم أشف منهم قرونه * لكانت شجى في القلب ذات ندوب

فأجابه حسان بقوله

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم * ولست لزور قلته بمصيب
أتعجب ان أقصدت حمزة منهم * عشاء وقد سميته بنجيب
ألم يقتلوا عمرا وعتبة وابنه * وشيبة والحجاج وابن حبيب
غداة دعا العاصي عليا فراعه * بضربة عضب بله بخضيب

ووقعت هند وصواحباتها على القتلى يمثلن بهم واتخذت هند من آذان الرجال وآنافهم خدما وقلائد وأعطت خدمها وقلائدها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها ثم أشرف أبو سفيان على المسلمين فقال أفي القوم محمد ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاثا ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب ثلاثا ثم التفت الى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فقال عمر كذبت أي عدو الله قد أبقى الله لك ما يخزيك وقال اعل هبل اعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله أعلى وأجل فقال أبو سفيان ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم فقال أبو سفيان أنشدك يا عمر أقتلنا محمدا قال عمر اللهم لا وانه ليسمع كلامك فقال أنت أصدق من ابن قمئة ثم قال هذا بيوم بدر والحرب سجال أما انكم ستجدون في قتلاكم مثلة والله ما رضيت ولا سخطت ولا نهيت ولا أمرت واجتاز به الحليس بن زبان سيد الاحابيش وهو يضرب في شدق حمزة بزج الرمح ويقول ذق عقق فقال الحليس يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه كما ترون فقال أبو سفيان اكتمها فانها زلة وكانت أم أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونساء من الانصار يسقين الماء فرماها حبان بن العرقة بسهم فاصاب ذيلها فضحك فدفع النبي صلى الله عليه وسلم الى سعد بن أبي وقاص سهما وقال ارمه فرماه فاصابه فضحك النبي صلى الله عليه وسلم

وقال

فلما صار في الآنية عصيرا اهدر وقذف بالزبد وفاحت له روائح عبقة فقال الملك علي بشيخ فاتي به فلد له من ذلك في اناء فرآه لونا عجيبا ومنظرا كاملا ولونا ياقوتيا أحمر وشعاعا نيرا ثم سقوا الشيخ فاشرب ثلاثا حتى مال وأرخى من مآزره الفضول وحرك رأسه ووقع برجليه على الارض فطرب ورفع عقيرته يتغنى فقال الملك هذا شراب يذهب بالعقل وأخاف أن يكون قاتلا ألا ترى الى الشيخ كيف عاد في حال الصبي وسلطان الدم وقوة الشباب ثم أمر الملك به فزيد فسكر الشيخ فنام فقال الملك هلك ثم ان الشيخ أفاق وطلب الزيادة من الشراب وقال لقد شربته فكشف عني الغموم وأزال عن ساحتي الاحزان والهموم وما أراد الطائر الا مكافأتكم بهذا الشراب الشريف فقال الملك هذا أشرف شراب أهل الارض وذلك انه رأى شيخا قد حسن وقوى حيله وانبسط في نفسه وطرب في حال طبيعة الحزن وسلطان البلغم وجاد هضمه وجاءه النوم وصفا لونه واعترته أريحية فأمر الملك أن يمنع العامة من ذلك وقال هذا شراب الملوك

وقال اسـتقادها سـعد أجاب الله دعوتك وسدد رميتك ثم انصرف أبو سـفيان ومن معه وقال
ان موعدكم العـام المقبل ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فى اثرهم وقال انظر فان جنبوا
الخيـل وامتطوا الابل فانهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل فانهم يريدون المدينة فوالذى نفسى
بيده لئن أرادوها لاناجزنهم قال على فخرجت فى اثرهم فامتطوا الابل وجنبوا الخيل يريدون مكة
فاقبلت أصيح ما أستطيع ان اكتم وكان رسول الله صـلى الله عليه وسـلم أمره بالكتمـان وأمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ان ينظر فى القتلى فرأى سعد بن الربيع الانصارى وبه رمق
فقال للذى رآه ابلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام وقل له جزاك الله خير ما جزى نبيا عن
أمته وأبلغ قومى السـلام وقل لهم لاعذر لكم عند الله ان خلص الى رسول الله صلى الله عليه وسـلم
أذى وفيكم عين تطرف ثم مات ووجـد حمزة ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده ومثـل به فحين
رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لولا ان تحزن صفية أو تكون سنة بعدى لتركته حتى يكون
فى أجواف السـباع وحواصـل الطير ولئن أظهرنى الله على قريش لامثلن بثلاثين رجلا منهم
وقال المسلمون لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب فانزل الله فى ذلك وان عاقبتم فعاقبوا بمثـل
ما عوقبتم به الآية فعفا رسول الله صلى الله عليه وسـلم وصبر ونهـى عن المثلة وأقبلت صفية بنت
عبد المطلب فقال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم لابنها الزبير اتردها لاترى ما باخيها حمزة فلقيها
الزبير فاعلمها بامر النبى صـلى الله عليه وسـلم فقالت انه بلغنى انه مثل باخى وذلك فى الله قليل فما
أرضانا بما كان من ذلك لاحتسبن ولاصبرن فاعلم الزبير النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقـال خل
سبيلها فاتته وصلت عليه واسترجعت وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به فدفن وكان فى المسلمين
رجل اسمه قزمان وكان رسول الله صلى الله عليه وسـلم يقول انه من أهل النار فقاتل يوم أحد قتالا
شديدا فقتـل من المشركين ثمـانية أو تسعة ثم جرح فحمل الى داره وقال له المسلمون ابشر قزمان
قال بم أبشر وانما قاتلت الا عن احساب قومى ثم اشـتد عليه جرحه فاخـذ سهما فقطع رواهشه
فنزف الدم فـمات فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسـلم فقال أشهد انى رسول الله وكان ممن قتل يوم
أحد مخيريق اليهودى قال ذلك اليوم ليهود يا معشر يهود لقد علمتم ان نصر محمد عليكم حق فقـالوا
ان اليوم السبت فقال لاسبت وأخذ سيفه وعدته وقال ان قتلت فـمالى لمحمد يصنع به ما يشاء ثم غدا
فقاتل حتى قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم مخيريق خير يهود وقتل اليمـان أبو حـذيفة
قتله المسلمون وكان رسول الله صـلى الله عليه وسـلم رفعه وثابت بن قيس بن وقش مع النساء فقال
أحدهمـا لصاحبه وهمـا شـيخان ما ننتظر أولا نأخذ أسيافنا فنلحق برسول الله صلى الله عليه وسـلم
لعل الله ان يرزقنا الشهادة ففعلا ودخلا فى الناس ولا يعلم بهـما فاما ثابت فقتله المشركون وأما
اليمان فاختلفت عليه سيوف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه فقال حذيفة أبى أبى فقالوا والله ما عرفناه
فقال يغفر الله لكم وأراد رسول الله صلى الله عليه وسـلم ان يديه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين
واحتمل بعض النـاس قتلاهم الى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدفنهم حيث صرعوا
وأمر ان يدفن الاثنان والثلاثة فى القبر الواحد وان يقدم الى القبلة أكثرهم قرآنا وصـلى عليهم
فكان كلمـا أتى بشهيد جعل حمزة معه وصـلى عليهما وقيـل كان يجمع تسعة من الشهداء وحمزة
عاشرهم فيصلى عليهم ونزل فى قبره على وأبو بكر وعمر والزبير وجلس رسول الله صـلى الله عليه
وسلم على حفرته وأمر ان يدفن عمرو بن الجموح وعبد الله بن حرام فى قبر واحد وقال كانا متصافيين
فى الدنيـا فلمـا دفن الشهداء انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيته حمنة بنت جحش فنعى لهـا

وأنا السبب فيـه فان كان فلا يشعر به غيرى فاستعمله الملك بقية أيامـه ثم غـا فى أيدى النـاس واستعملوه وقد قيـل ان نوحا أول من زرعها وقد ذكر الخبر حين سرقها ابليس منـه حين خرج من السفينة واستوى على الجودى فى كتاب المبدا وغيره من الكتب

﴿ ذكر ملوك الموصـل ونينوى ولمع من أخبارهم ﴾

نينوى هى مقابلة الموصل وبينهما دجـلة وهى بين قردى ومازندى من كور الموصـل ونينوى فى وقتنا هـذا وهو سـنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مدينـة خراب فيهـا قرى ومزارع لاهلهـا والى أهلها أرسل يونس بن متى وآثار الصور فيهـا من أصنام فى حجارة مكتوبة على وجوهها وظاهر المدينـة تل عليه مسجد وهناك عين تعرف بعـين يونس النبى عليـه السلام ويأوى الى هـذا المسجد النسـاك والعباد والزهاد وكان أول ملك بنى هذه المدينة وسور سورها ملك عظيم قـد دانت له الملوك ودانت له البـلاد ويقال له سينوس بن بالوس فـكانت مدة ملكه اثنتين وخمسـين سـنة وكان بالموصل رجل آخر محارب

أخاها عبد الله فاسترجعت له ثم نعى لها أخاها حمزة فاستغفرت له ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فولولت وصاحت فقال ان زوج المرأة منها لبمكان ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الانصار فسمع البكاء والنوائح فذرفت عيناه بالبكاء وقال لكن حمزة لا بواكى له فرجع سعد بن معاذ الى دار بنى عبد الاشهل فامر نساءهم ان يذهبن فيبكين على حمزة ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من الانصار قد أصيب أبوها وزوجها فلما نعيا لها قالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو بحمد الله كما تحبين قالت أرونيه فلما نظرت اليه قالت كل مصيبة بعدك جلل وكان رجوعه الى المدينة يوم السبت يوم الوقعة (نيار بالنون المكسورة والياء تحتها نقطتان وآخره راء وجبير بضم الجيم تصغير جبر وخوّات بالخاء المعجمة والواو المشددة وبعد الالف تاء فوقها نقطتان وحبان بكسر الحاء المهملة وبالباء الموحدة وآخره نون والحليس بضم الحاء المهملة تصغير حلس وزبان بالزاى والباء الموحدة وآخره نون)

﴿ذكر غزوة حمراء الاسد﴾

لما كان الغد من يوم الاحد أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغزو وقال لا يخرج معنا الا من حضر بالامس فخرج ليظن الكفار به قوة وخرج معه جماعة جرحى يحملون نفوسهم وساروا حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على سبعة اميال فاقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء ومر به معبد الخزاعى وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة وكان معبد مشركا فقال لقد عز علينا ما أصابك ثم خرج من عند النبى صلى الله عليه وسلم فلقى أبا سفيان ومن معه بالروحاء قد أجمعوا الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستأصلوا المسلمين بزعمهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال ما وراءك قال محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قد جمع معه من تخلف عنه وندموا على ما صنعوا وما ترحل حتى ترى نواصى الخيل قال فوالله قد أجمعنا الرجعة لنستأصل بقيتهم قال انى أنهاك عن هذا فثنى أبا سفيان ومن معه ومر بابى سفيان ركب من عبد القيس فقال لهم بلغوا عنى محمدا رسالة وأحمل لكم ابلكم هذه زبيبا بعكاظ قالوا نعم قال أخبروه انا قد أجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصلهم فمروا بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فأخبروه فقال صلى الله عليه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل ثم عاد الى المدينة وظفر فى طريقه بمعاوية بن المغيرة بن أبى العاص وبابى عزة عمرو بن عبد الله الجمحى وكان قد تخلف عن المشركين بحمراء الاسد ساروا وتركوه نائما وكان أبو عزة قد اسر يوم بدر فاطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء لانه شكا اليه فقرا وكثرة عيال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه العهود أن لا يقاتله ولا يعين على قتاله فخرج معهم يوم أحد وحرض على المسلمين فلما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا محمد امنن علىّ قال المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين وأمر به فقتل وأما معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية وهو الذى جدع أنف حمزة ومثل به مع من مثل به وكان قد أخطأ الطريق فلما أصبح أتى دار عثمان بن عفان فلما رآه قال له عثمان أهلكتنى وأهلكت نفسك فقال أنت أقربهم منى رحما وقد جئتك تجيرنى وأدخله عثمان داره وقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع فيه فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان معاوية بالمدينة فاطلبوه فاخرجوه من منزل عثمان وانطلقوا به الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال عثمان والذى بعثك بالحق ما جئت الا لاطلب له أمانا فهبه لى فوهبه له وأجله ثلاثة أيام وأقسم لئن أقام بعدها ليقتلنه فجهزه عثمان وقال له ارتحل وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد وأقام

هذا الملك وكانت بينهما حروب ووقائع ويقال ان ملك الموصل كان فى ذلك العصر سابق بن مالك رجل من اليمن ثم ملك أهل نينوى عليهم بعده امرأة يقال لها سميون فاقامت عليهم أربعين سنة تحارب ملوك الموصل وملكها من شاطئ دجلة الى بلاد أرمينية ومن بلاد اذربيجان الى حد الجزيرة والجودى وجبل النيل الى بلاد الزوزان وغيرها من أرمينية وكان أهل نينوى ممن سميناه نبطا وسريانيين والجنس واحد واللغة واحدة وانما بان النبط عنها باحرف يسيرة فى لغتهم والمقالة واحدة ثم ملك بعد هذه المرأة (رسيس) ويقال انه كان ابنها وكان ملكه نحوا من أربعين سنة ورجعت اليه الارمن وقد كانت الحروب بينهم سجالا فى ملكه ثم غلبوا على أهل نينوى فكانت الحروب بين أهل أرمينية وبين ملوك الموصل ويقال ان هذا الملك آخر ملوك نينوى وكان يؤدى الضريبة الى ملك أرمينية ولهؤلاء الملوك أخبار وسير وحروب قد أتينا على جميعها فى كتابنا أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط

معاوية ليعرف أخبار النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان اليوم الرابع قال النبي صلى الله عليه وسلم ان معاوية أصبح قريبا ولم يبعد فاطلبوه فطلبه زيد بن حارثة وعمار فادركاه بالحماة فقتلاه وهذا معاوية جد عبد الملك بن مروان بن الحكم لامه * وفيها قيل ولد الحسن بن علي في النصف من شهر رمضان وفيها علقت فاطمة بالحسين وكان بين ولادتها وحملها خمسون يوما وفيها حملت جميلة بنت عبد الله (٣) بن أبي عامر غسيل الملائكة في شوّال (ودخلت السنة الرابعة من الهجرة)

﴿ذكر غزوة الرجيع﴾

في هذه السنة في صفر كانت غزوة الرجيع وكان سببها ان رهطا من عضل والقارة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ان فينا اسلاما فابعث لنا نفرا يفقهوننا في الدين ويقرؤننا القرآن فبعث معهم ستة نفر وأمّر عليهم عاصم بن ثابت وقيل مرثد بن أبي مرثد فلما كانوا بالهدأة غدروا واستصرخوا عليهم حيا من هذيل يقال لهم بنو لحيان فبعثوا لهم مائة رجل فالتجأ المسلمون الى جبل فاستنزلوهم وأعطوهم العهد فقال عاصم والله لا أنزل على عهد كافر اللهم خبر نبيك عنا وقاتلهم هو ومرثد وخالد بن البكير ونزل اليهم ابن الدثنة وخبيب بن عدي ورجل آخر فاوثقوهم فقال الرجل الثالث هذا أوّل الغدر والله لا اتبعكم فقتلوه وانطلقوا بخبيب وابن الدثنة فباعوهما بمكة فأخذ خبيبا بنو الحرث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذي قتل الحرث بأحد فأخذوه ليقتلوه بالحرث فبينما خبيب عند بنات الحرث استعار من بعضهن موسى يستحد بها للقتل فدب صبي لها فجلس على فخذ خبيب والموسى في يده فصاحت المرأة فقال خبيب اتخشين ان أقتله ان الغدر ليس من شأننا فكانت المرأة تقول ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب لقد رأيته وما بمكة ثمرة وان في يده لقطفا من عنب يأكله ما كان الا رزقا رزقه الله خبيبا فلما خرجوا من الحرم بخبيب ليقتلوه قال ردوني أصلي ركعتين فتركوه فصلاهما فجرت سنة لمن قتل صبرا ثم قال خبيب لولا ان تقولوا جزع لزدت وقال ابياتا منها

واست أبالي حين أقتل مسلما * على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ثم صلبوه وأما عاصم بن ثابت فانهم أرادوا رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد وكانت نذرت أن تشرب الخمر في رأس عاصم لانه قتل ابنها بأحد فجاءت النحل فمنعته فقالوا دعوه حتى يمسي فنأخذه فبعث الله الوادي فاحتمل عاصما وكان عاهد الله ان لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك فمنعه الله في مماته كما منع في حياته وأما ابن الدثنة فان صفوان بن أمية بعث به مع غلامه نسطاس الى التنعيم ليقتله بابيه فقال له نسطاس أنشدك الله اتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في أهلك قال ما احب ان محمدا الآن مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في اهلي فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس (خبيب بضم الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة بعدها ياء تحتها نقطتان وآخره باء موحدة أيضا والبكير بضم الباء الموحدة تصغير بكر)

﴿ذكر ارسال عمرو بن أمية لقتل أبي سفيان﴾

ولما قتل عاصم وأصحابه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري الى مكة مع رجل من الانصار وأمرهما بقتل أبي سفيان بن حرب قال عمرو فخرجت انا ومعي بعير لي وبرجل

﴿ذكر ملوك بابل وهم ملوك النبط وغيرهم﴾

ذكر جماعة من أهل التبصر والبحث ومن ذوي العناية باخبار ملوك العالم ان ملوك بابل هم أوّل ملوك العالم الذين مهدوا الارض بالعمارة وأن الفرس الاولى انما أخذت الملك من هؤلاء كما أخذت الروم الملك من اليونانيين وكان أوّلهم (غروذ) الجبار وكان ملكه نحوا من ستين سنة وهو الذي احتفر أنهارا بالعراق أخذه من الفرات فيقال ان من ذلك نهر كوثى بطريق من طرق الكوفة وهو بين قصر ابن هبيرة وبغداد لا خفاء لخبره وشهرته وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كثيرا من أنهار العراق عند ذكرنا الملوك الفرس الاولى والثانية وغيرهم من ملوك الطوائف وانما الغرض في هذا الكتاب التلويح بتاريخ ملوك العالم والتنبيه على ما سلف من كتبنا وملك بعده (أندلس) نحوا من سبعين سنة وكان عظيم البطش متجبرا في الارض وكانت في ايامه حروب ثم ملك بعده (مرمنوس) نحوا من مائة سنة باغيافي

صاحبي علة فكنت أحمله على بعيري حتى جئنا بطن يأجج فعقلنا بعيرنا في الشعب وقلت لصاحبي انطلق بنا الى أبي سفيان لنقتله فان خشيت شيأ فالحق بالبعير فاركبه والحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر وخل عني فاني عالم بالبلد فدخلنا مكة ومعي خنجران عاقني انسان ضربته به فقال لي صاحبي هل لك ان نبدأ فنطوف ونصلي ركعتين فقلت ان اهل مكة يجلسون بافنيتهم وانا أعرف بها فلم يزل حتى أتينا البيت فطفنا وصلينا ثم خرجنا فررنا بمجلس لهم فعرفني بعضهم فصرخ بأعلى صوته هذا عمرو بن أمية فثار أهل مكة الينا وقالوا ما جاء الا لشر وكان فاتكا متشيطنا في الجاهلية فقلت لصاحبي النجاء هذا الذي كنت أحذر اما أبو سفيان فليس اليه سبيل فانج بنفسك فخرجنا حتى صعدنا الجبل فدخلنا غارا فبتنا فيه ليلتنا ننتظر ان يسكن الطلب قال فوالله اني لفيه اذ أقبل عثمان بن مالك التيمي بفرس له فقام على باب الغار فخرجت اليه فضربته بالخنجر فصاح صيحة أسمع اهل مكة فاقبلوا اليه ورجعت الى مكاني فوجدوه وبه رمق فقالوا من ضربك قال عمرو بن أمية ثم مات ولم يقدر يخبرهم بمكاني وشغلهم قتل صاحبهم عن طلبي فاحتملوه ومكثنا في الغار يومين حتى سكن الطلب ثم خرجنا الى التنعيم فاذا بخشبة خبيب وحوله حرس فصعدت خشبته واحتملته على ظهري فما مشيت به الا نحو أربعين خطوة حتى نذروا بي فطرحته فاشتدوا في أثري فأخذت الطريق فأعيوا ورجعوا وانطلق صاحبي فركب البعير وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وأما خبيب فلم ير بعد ذلك وكأن الارض ابتلعته قال وسرت حتى دخلت غارا بضجنان ومعي قوسي واسهمي فبينا أنا فيه اذ دخل علي رجل من بني الدئل أعور طويل يسوق غنما فقال من الرجل قلت من بني الدئل فاضطجع معي ورفع عقيرته يتغنى ويقول

ولست بمسلم مادمت حيا * ولست أدين دين المسلمينا

ثم نام فقتلته ثم سرت فاذا رجلان بعثتهما قريش يتجسسان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرميت احدهما بسهم فقتلته واستأسرت الآخر فقدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرته الخبر فضحك ودعا لي بخير * وفي هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة أم المساكين من بني هلال في شهر رمضان وكانت قبله عند الطفيل بن الحرث فطلقها وولى المشركون الحج في هذه السنة

(ذكر بئر معونة)

في هذه السنة في صفر قتل جمع من المسلمين ببئر معونة وكان سبب ذلك ان أبا براء بن عازب بن عامر ابن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة سيد بني عامر بن صعصعة قدم المدينة وأهدى للنبي صلى الله عليه وسلم هدية فلم يقبلها وقال يا أبا براء لا أقبل هدية مشرك ثم عرض عليه الاسلام فلم يبعد عنه ولم يسلم وقال ان أمرك هذا حسن فلو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد يدعوهم الى أمرك لرجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخشى عليهم أهل نجد فقال أبو براء انا لهم جار فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا فيهم المنذر بن عمرو الانصاري والحرث بن الصمة وحرام بن ملحان وعامر بن فهيرة وغيرهم وقيل كانوا أربعين فساروا حتى نزلوا ببئر معونة من أرض بني عامر وحرة بني سليم فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل فلما أتاه لم ينظر الى الكتاب وعدا على حرام فقتله فلما طعنه قال الله أكبر فزت ورب الكعبة واستصرخ بني عامر فلم يجيبوه وقالوا لن نخفر أبا براء فقد أجارهم فاستصرخ بني سليم عصية ورعل وذكوان فأجابوه وخرجوا حتى أحاطوا بالمسلمين فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم

الا

الارض على أهلها ثم ملك بعده (سوسيوس) نحوا من تسعين سنة ثم ملك بعده (كورش) نحوا من خمسين سنة ثم ملك بعده (أغر) نحوا من عشرين سنة ثم ملك بعده (شبرم) نحوا من أربعين سنة وقيل أكثر من ذلك ثم ملك بعده (فرعميس) نحوا من سبعين سنة ثم ملك بعده (اينوس) نحوا من ثلاثين سنة ثم ملك بعده (ايلاوس) خمس عشرة سنة ثم ملك بعده (الحاوس) نحوا من أربعين سنة ثم ملك بعده (اومونوس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (بمتكاوس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (سفروس) نحو أربعين سنة وقد قيل دون ذلك وهلك ثم ملك بعده (مارنوس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (رسطالبن) أربعين سنة ثم ملك بعده (أميرطوس) نحو خمسين سنة ثم ملك بعده (ألعداس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (اطيرنوس) نحو ستين سنة ثم ملك بعده (ساوشاش) نحو عشرين سنة ثم ملك بعده (فارينوس) نحو خمسين سنة وقيل خمسة وأربعين سنة ثم ملك بعده (سوسادريوس) نحو

الا كعب بن زيد الانصارى فانهم تركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية ورجل من الانصار فرأيا الطير تحوم على العسكر فقالا ان لها لشأنا فاقبلا ينظران فاذا القوم صرعى واذا الخيل واقفة فقال عمرو نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فقال الانصارى لا أرغب بنفسى عن موطن فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل فأخذوا عمرو بن أمية أسيرا فلما علم عامر انه من مضر أطلقه وخرج عمرو حتى اذا كان بالقرقرة لقى رجلين من بنى عامر فنزلا معه ومعهما عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلم به عمرو فقتلهما ثم أخبر النبى صلى الله عليه وسلم الخبر فقال له لقد قتلت قتيلين لأديهما ثم قال رسول الله هذا عمل أبى براء فشق عليه ذلك وكان فيمن قتل عامر بن فهيرة فكان عامر بن الطفيل يقول من الرجل منهم لما قتل رفع بين السماء والارض قالوا هو عامر بن فهيرة وقال حسان بن ثابت يحرض بنى أبى براء على عامر بن الطفيل

بنى أم البنين ألم يرعكم ✱ وأنتم من ذوائب أهل نجد

تهكم عامر بابى براء ✱ ليخفره وما خطأ كعمد

فى أبيات له فقال كعب بن مالك

لقد طارت شعاعا كل وجه ✱ خفارة ما أجار أبو براء

فى أبيات أخرى فلما بلغ ربيعة بن أبى براء ذلك حمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه فقال ان مت فدمى لعمى وأنزل الله عز وجل فى أهل بئر معونة قرآنا بلغوا قومنا عنا انا قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه ثم نسخت (معونة بفتح الميم وضم العين المهملة وبعد الواو نون وحرام بالحاء المهملة والراء وملحان بكسر الميم وبالحاء المهملة)

﴿ذكر اجلاء بنى النضير﴾

كان سبب ذلك ان عامر بن الطفيل أرسل الى النبى صلى الله عليه وسلم يطلب دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أمية وقد ذكرنا ذلك فخرج النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى النضير يستعينهم فيها ومعه جماعة من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى فقالوا نعم نعينك على ما أحببت ثم خلا بعضهم ببعض وتآمروا على قتله وهو جالس الى جنب جدار فقالوا من يعلو هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيقتله ويريحنا منه فانتدب له عمرو بن جحاش فنهاهم عن ذلك سلام بن مشكم وقال هو يعلم فلم يقبلوا منه وصعد عمرو بن جحاش فأتى الخبر من السماء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عزموا عليه فقام وقال لاصحابه لا تبرحوا حتى آتيكم وخرج راجعا الى المدينة فلما ابطأ قام أصحابه فى طلبه فاخبرهم الخبر وأمر المسلمين بحربهم ونزل بهم فتحصنوا منه فى الحصون فقطع النخل وأحرق وارسل اليهم عبد الله بن أبى وجماعة معه أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم وان قوتلتم قاتلنا معكم وان خرجتم خرجنا معكم وقذف الله فى قلوبهم الرعب فسألوا النبى صلى الله عليه وسلم ان يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الابل من الاموال الا السلاح فاجابهم الى ذلك فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام فكان ممن سار الى خيبر كنانة بن الربيع وحيى بن اخطب وكان فيهم يومئذ أم عمرو صاحبة عروة بن الورد التى ابتاعوا منه وكانت غفارية فكانت أموال النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده يضعها حيث شاء فقسمها على المهاجرين الاولين دون الانصار الا ان سهل بن حنيف وأبا دجانة ذكرا فقرا فاعطاهما ولم يسلم من بنى النضير الا يامين بن عمير بن كعب وهو ابن عم عمرو بن جحاش وأبو سعيد بن وهب واحرزا أموالهما واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وكانت رايته مع على بن أبى طالب (سلام بتشديد اللام ومشكم بكسر الميم وسكون

أربعين سنة فنزاهم ملك من ملوك فارس من عقب دارى ثم ملك بعده (مسروق) نحو خمسين سنة ثم ملك بعده (نطابوس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (طاطاوس) نحو أربعين سنة ثم ملك بعده (أفروس) نحو أربعين سنة ثم ملك بعده (لاريسيس) نحو خمسين سنة وقيل خمسا وأربعين سنة ثم ملك بعده (افريطوس) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (مروطاوس) نحو عشرين سنة ثم ملك بعده (افريفريس) نحو خمسين سنة ثم ملك بعده (منطوروس) نحو عشرين سنة ثم ملك بعده (قولاميا) نحو ستين سنة ثم ملك بعده (سعلس) خمسا وثلاثين سنة وقيل خمسين سنة وكانت له حروب مع ملك من ملوك الصابئة كذلك ذكر فى كتاب التاريخ القديم ثم ملك بعده (سيموجد) نحو ثلاثين سنة ثم ملك بعده (مردوح) أربعين سنة وقيل أقل من ذلك ثم ملك بعده (سنحاريب) ثلاثين سنة وهو الذى أتى بيت المقدس ثم ملك بعده (سوسا) ثلاثين سنة وقيل أقل من ذلك ثم ملك بعده (بختنصر)

الشين المعجمة والكاف)

﴿غزوة ذات الرقاع﴾

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد بني النضير شهري ربيع ثم غزا نجدا يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان حتى نزل نخلا وهي غزوة الرقاع سميت بذلك لأجل جبل كانت الوقعة به فيه سواد وبياض وحمرة فاستخلف على المدينة عثمان بن عفان فلقي المشركين ولم يكن قتال وخاف الناس بعضهم بعضا فنزلت صلاة الخوف وقد اختلف الرواة في صلاة الخوف وهو مستقصى في كتب الفقه وجاء رجل من محارب الى النبي صلى الله عليه وسلم فطلب منه ان ينظر الى سيفه فاعطاه السيف فلما أخذه وهزه قال يا محمد أما تخافني قال لا قال أما تخافني وفي يدي السيف قال لا يمنعني الله منك فرد السيف اليه وأصاب المسلمون امرأة منهم وكان زوجها غائبا فلما أتى أهله أخبر الخبر فحلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم دما وخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يحرسنا الليلة فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الانصار فقاما بفم شعب نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم واضطجع المهاجري وحرس الانصاري أول الليل وقام يصلي وجاء زوج المرأة فرأى شخصه فعرف أنه ربيئة القوم فرماه بسهم فوضعه فيه فانتزعه وثبت قائما يصلي ثم رماه بسهم آخر فاصابه فنزعه وثبت يصلي ثم رماه بالثالث فوضعه فيه فانتزعه ثم ركع وسجد ثم أيقظ صاحبه وأعلمه فوثب فلما رآهما الرجل علم أنهما علما به فلما رأى المهاجري ما بالانصاري قال سبحان الله الا أيقظتني أول ما رماك قال كنت في سورة أقرؤها فلم أحب ان أقطعها فلما تابع علي الرمي أعلمتك وايم الله لولا خوفي ان أضيع ثغرا أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل ان أقطعها وقيل ان هذه الغزوة كانت في المحرم سنة خمس من الهجرة

﴿ذكر غزوة بدر الثانية﴾

وسميت أيضا غزوة السويق وفي شعبان منها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر لميعاد أبي سفيان بن حرب حتى نزل بدرا فاقام عليها ثماني ليال ينتظر ابا سفيان وخرج أبو سفيان في أهل مكة الى مر الظهران وقيل الى عسفان ثم رجع ورجعت قريش معه فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عبد الله بن رواحة وفيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة وفيها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت ان يتعلم كتاب يهود وفيها في جمادى الاولى مات عبد الله بن عثمان بن عفان وأمه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمره ست سنين * وفيها ولد الحسين بن علي بن أبي طالب في قول وولي الحج فيها المشركون

﴿الاحداث في السنة الخامسة من الهجرة﴾ فيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وهي ابنة عمته كان زوجها مولاه زيد بن حارثة وكان يقال له زيد بن محمد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريده وعلى الباب ستر من شعر فرفعته الريح فرآها وهي حاسرة فاعجبته وكرهت الى زيد فلم يستطع يقربها فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال أرابك فيها شئ قال لا والله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله ففارقها زيد وحلت وأنزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يبشر زينب ان الله قد زوجنيها وقرأ عليهم قوله تعالى

الجبار خمسا وأربعين سنة ثم ملك بعده (قرمودوح) نحو سنة ثم ملك بعده (نبطسعر) نحو ستين سنة وقيل أقل من ذلك ثم ملك بعده (مسنون) نحو ثمان سنين وقيل عشرا ثم ملك بعده (معوسا) سنة وقيل أقل من ذلك ثم ملك بعده (دارنوس) احدى واثنين سنة وقيل أكثر من ذلك ثم ملك بعده (كسرحوس) عشرين سنة ثم ملك بعده (فحشمت) احدى وأربعين سنة ثم ملك بعده (أحرست) ثلاث سنين وقيل سنتين وشهرين ثم ملك بعده (شعيا) سنة وقيل تسعة أشهر ثم ملك بعده (أربوس) عشرين سنة وقيل تسع عشرة سنة ثم ملك بعده (أطعست) تسعا وعشرين سنة ثم ملك بعده (دار التسع) خمس عشرة سنة وقيل عشر سنين (قال المسعودي) فهؤلاء الملوك الذين أتينا على ذكرهم وأسمائهم ومدة ممالكهم وقد سمت أسماؤهم هكذا في كتب التواريخ السالفة وهم الذين شيدوا البنيان ومدنوا المدن وكوروا الكور وحفروا الانهار وغرسوا الاشجار واستنبطوا المياه وأثاروا الارضين واستخرجوا

واذ تقول للذى أنعم الله عليه الآية فكانت زينب تفخر على نسائه وتقول زوجكن أهلوكن وزوجنى الله من السماء وفيها كانت غزوة دومة الجندل فى ربيع الاول وسببها انه بلغ النبى صلى الله عليه وسلم ان بها جمعا من المشركين فغزاهم فلم يلق كيدا وخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى وغنم المسلمون ابلا وغنما وجدت لهم وماتت أم سعد بن عبادة وسعد مع النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزاة وفيها وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزارى (عيينة بضم العين تصغير عين)

ذكر غزوة الخندق وهى غزوة الاحزاب

وكانت فى شوال وكان سببها ان نفرا من يهود من بنى النضير منهم سلام بن أبى الحقيق وحيى بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق وغيرهم حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا على قريش بمكة فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا نكون معكم حتى نستأصله فاجابوهم الى ذلك ثم أتوا على غطفان فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروهم ان قريشا معهم على ذلك فاجابوهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن فى بنى فزارة والحرث بن عوف بن أبى حارثة المرى فى مرة ومسعر بن رخيلة الاشجعى فى الاشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بحفر الخندق واشار به سلمان الفارسى وكان أول مشهد شهده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رغبة فى الاجر وحثا للمسلمين وتسلل عنه جماعة من المنافقين بغير علم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله فى ذلك قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا الآية وكان الرجل من المسلمين اذا نابته نائبة لحاجة لا بد منها يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقضى حاجته ثم يعود فانزل الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله الآية وقسم الخندق بين المسلمين فاختلف المهاجرون والانصار فى سلمان كل يدعيه أنه منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا سلمان من اهل البيت وجعل لكل عشرة أربعين ذراعا فكان سلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن وعمرو بن عوف وستة من الانصار يعملون فخرج عليهم صخرة كسرت المعول فأعلموا النبى صلى الله عليه وسلم فهبط اليها ومعه سلمان فاخذ المعول وضرب الصخرة ضربة صدعها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتى المدينة فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ثم الثانية كذلك ثم الثالثة كذلك ثم خرج وقد صدعها فسأله سلمان عما رأى من البرق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اضاءت الحيرة وقصور كسرى فى البرقة الاولى وأخبرنى جبريل ان أمتى ظاهرة عليها واضاءلى فى الثانية القصور الحمر من أرض الشام والروم وأخبرنى ان أمتى ظاهرة عليها واضاءلى فى الثالثة قصور صنعاء وأخبرنى أن أمتى ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون وقال المنافقون ألا تعجبون يعدكم الباطل ويخبركم انه ينظر من يثرب الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم لا تستطيعون أن تبرزوا فأنزل الله واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا فاقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة بين الجرف وزغابة فى عشرة آلاف من احابيشهم ومن تابعهم من كنانة وتهامة واقبلت غطفان ومن تابعهم حتى نزلوا الى جنب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فجعلوا ظهورهم الى سلع فى ثلاثة آلاف فنزل هنالك ورفع الذرارى والنساء فى الآطام وخرج حيى بن أخطب حتى اتى كعب بن أسد سيد قريظة وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه

المعادن من الحديد والرصاص والنحاس وغير ذلك وطبعوا السيوف واتخذوا عدة الحرب وغير ذلك من الحيل والمكايد ونصبوا قوانين للحرب بالقلب والميمنة والميسرة والاجنحة وجعلوا ذلك مثالا لاعضاء جسد الانسان ورتبوا لكل جزء نوعا من الامة لا يوازيها غيرها فجعلوا أعلام القلب على صورة الفيل وما عظم من أجناس الحيوان وجعلوا أعلام الميمنة والميسرة على صورة السباع على حسب عظمها واختلافها فى أنواعها وجعلوا فى الاجنحة صور ما لطف من السباع كالنمر والذئب وجعلوا صور أعلام الكمين على صور الحيات والعقبان وما خفى فعله من هوام الارض وجعلوا ألوان كل نوع منها من السواد والبياض والصفرة والخضرة ولون السماء وقد ذكر قوم أن الالوان ثمانية على حسب الموضع المستحق لها ومنعوا أن تكون الحمرة تشرب شيأ من ذلك الا ما لطف من أجزائها داخلا فى جملة الاكثر من أشباه الحيوان من تلك الاعلام وزعموا أن قضية القياس توجب أن تكون سائر

وسلم على قومه فاغلق كعب حصنه ولم يأذن له وقال انك امرؤ مشؤم وقد عاهدت محمدا ولم أر منه الا الوفاء قال حيي يا كعب قد جئتك بعز الدهر و ببحر طام جئتك بقريش وقادتها وسادتها وغطفان بقادتها وقد عاهدونى أنهم لا يبرحون حتى يستأصلوا محمدا وأصحابه قال كعب جئتنى بذل الدهر و بجهام قد هراق ماءه يرعد و يبرق وليس فيه شئ ويحك يا حيي دعنى ولم يزل به يفتله فى الذروة والغارب حتى حمله على الغدر بالنبي صلى الله عليه وسلم ففعل ونكث العهد وعاهده حيي ان عادت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك فعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ونجم النفاق من بعض المنافقين وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون عليه بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب الا الرمى فلما اشتد البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة ابن حصن والحرث بن عوف المرى قائدى غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعوا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابا الى ذلك فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد ابن معاذ وسعد بن عبادة فقالا يارسول الله شئ تحب ان تصنعه أم شئ أمرك الله به أو شئ تصنعه لنا قال بل رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة فاردت ان أكسر عنكم شوكتهم فقال سعد بن معاذ قد كنا نحن وهم على الشرك ولا يطمعون ان يأكلوا منا تمرة الا قرى أو بيعا فحين أكرمنا الله بالاسلام نعطيهم أموالنا امانعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا و بينهم فترك ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود أحد بنى عامر بن لؤى وعكرمة بن أبى جهل وهبيرة بن أبى وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب الفهرى خرجوا على خيولهم واجتاز وا ببنى كنانة وقالوا تجهزوا للحرب وستعلمون من الفرسان وكان عمرو ابن عبدود قد شهد بدرا كافرا وقاتل حتى كثرت الجراح فيه ولم يشهد أحدا وشهد الخندق معلما حتى يعرف مكانه فأقبل هو وأصحابه حتى وقفوا على الخندق ثم تيمموا مكانا ضيقا فاقتحموه فجالت بهم خيولهم فى السبخة بين الخندق وسلع وخرج على بن أبى طالب فى نفر من المسلمين فاخذوا عليهم الثغرة وكان عمرو قد خرج معلما فقال له على يا عمرو انك عاهدت أن لا يدعوك رجل من قريش الى خصلتين الا أخذت احداهما قال أجل قال له على فانى أدعوك الى الله والاسلام قال لا حاجة لى بذلك قال فانى أدعوك الى النزال قال والله ما أحب ان أقتلك قال على ولكنى أحب ان اقتلك فحمى عمرو عند ذلك فنزل عن فرسه وعقره ثم أقبل على على فتجاولا وقتله على وخرجت خيلهم منهزمة وقتل مع عمرو رجلان قتل على أحدهما وأصاب آخر سهم فمات منه بمكة ورمى سعد بن معاذ بسهم قطع أكحله رماه حبان بن قيس بن العرقة بن عبد مناف من بنى هصيص بن عامر بن لؤى والعرقة أمه وانما قيل لها العرقة لطيب ريح عرقها وهى قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم وهى جدة خديجة أم أبيها أو هى أم عبد مناف بن الحرث جد أبيه فلما رمى سعد قال خذها وأنا ابن العرقة فقال النبى صلى الله عليه وسلم عرق الله وجهك فى النار ولم يقطع الاكحل من أحد الا مات فقال سعد اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيأ فأبقنى لها فانه لا قوم أحب الى ان اقاتلهم من قوم آذوا نبيك وكذبوه اللهم وان كنت وضعت الحرب بيننا فاجعلها لى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه فى الجاهلية وقيل ان الذى رمى سعدا هو ابو أسامة الجشمى حليف بنى مخزوم فلما قال سعد ما قال انقطع الدم وكانت صفية عمة النبى صلى الله عليه وسلم فى فارع حصن حسان بن ثابت وكان حسان فيه مع النساء لانه كان جبانا قالت

أعلام الحرب حمراء اذ كانت أليق وأشكل بلون الدم وأكثر ملاءمة اذ كان لونها واحدا لكن منع من ذلك استعمالها فى حال الزينة والطرب وأوقات السرور واستعمال النساء والصبيان لها وفرح النفوس بها وأوجب ترك ذلك وان حس البصر مشاكل للون الحمرة اذ كان من شأنه أنه اذا أدركها انبسط نوره فى ادراكها واذا وقع البصر على اللون الاسود اجتمع نوره ولم ينبسط فى ادراكه انبساطه فى الحمرة وأن النسبة الواقعة بين بصر الناظر و بين لون الحمرة الاشتراك والمباينة بالضدية بين نور البصر ولون السواد وتكلم هؤلاء القوم فى مراتب الالوان من الحمرة والسواد والبياض وغيرها ومراتب الانوار وما وجه ذلك من أسرار الطبيعة والحد المشترك بين نورية حس البصر و بين لون الحمرة والبياض والضد المباين بين السواد و بين نور البصر دون سائر الالوان من الحمرة والخضرة والصفرة والبياض وتغلغل القوم فى هذه المعانى الى ما علا من الاجسام السماوية من النيرين

فاتانا آت من اليهود فقلت لحسان هذا اليهودي يطوف بنا ولا نأمنه ان يدل على عوراتنا فانزل اليه فاقتله فقال والله ما أنا بصاحب هذا قالت فاخذت عمودا ونزلت اليه فقتلته ثم رجعت فقلت لحسان انزل اليه فخذ سلبه فانى يمنعني منه انه رجل فقال والله مالى بسلبه من حاجة ثم ان نعيم بن مسعود الاشجعي أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى قد أسلمت ولم يعلم قومى فرنى بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة فخرج حتى أتى بنى قريظة وكان نديما لهم فى الجاهلية فقال لهم قد عرفتم ودّى اياكم فقالوا لست عندنا بمتهم قال قد ظاهرتم قريشا وغطفان على حرب محمد وليسوا كانتم البلد بلدكم به أموالكم وابناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تتحولوا منه وان قريشا وغطفان ان رأوا نهزة وغنيمة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين محمد ولا طاقة لكم به فلا تقاتلوا حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم ثقة لكم حتى تناجزوا محمدا قالوا أشرت بالنصح ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لابى سفيان ومن معه قد عرفتم ودى اياكم وفراقى محمدا وقد بلغنى أن قريظة ندموا وقد أرسلوا الى محمد هل يرضيك عنا ان نأخذ من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم فاجابهم ان نعم فان طلبت قريظة منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال أنتم أهلى وعشيرتى وقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كان ليلة السبت من شوال كان من صنع الله لرسوله أن أرسل ابوسفيان ورؤس غطفان الى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان وقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاعدوا للقتال فارسلوا اليهم ان اليوم السبت لا نعمل فيه شيأ ولسنا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا ثقة لنا فانا نخشى ان ترجعوا الى بلادكم وتتركونا والرجل ونحن ببلاده فلما أبلغتهم الرسل هذا الكلام قالت قريش وغطفان والله لقد صدق نعيم بن مسعود فارسلوا الى قريظة والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا فقالت قريظة عند ذلك ان الذى ذكر نعيم بن مسعود لحق وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم ريحا فى ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم اختلاف أمرهم دعا حذيفة بن اليمان ليلا فقال انطلق اليهم وانظر حالهم ولا تحدثن شيأ حتى تأتينا قال حذيفة فذهبت فدخلت فيهم والريح وجنود الله تفعل فيهم ما تفعل لا يقر لهم قدر ولا بناء ولا نار فقام أبو سفيان فقال يامعشر قريش ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه قال فاخذت بيد الرجل الذى بجانبى فقلت من أنت قال أنا فلان ثم قال أبوسفيان والله لقد هلك الخف والحافر واخلفتنا قريظة ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فانى مرتحل ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث قوائم ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدث شيأ لقتلته قال حذيفة فرجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى فى مرط لبعض نسائه فادخلنى بين رجليه وطرح على طرف المرط فلما سلم خبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فعادوا راجعين الى بلادهم فلما عادوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآن نغزوهم ولا يغزونا فكان كذلك حتى فتح الله مكة

﴿ذكر غزوة بنى قريظة﴾

لما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد الى المدينة ووضع المسلمون السلاح وضرب على سعد بن معاذ قبة فى المسجد ليعوده من قريب فلما كان الظهر أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال

والجسة واختلافها فى ألوانها الى غير ذلك من الاشخاص العلوية وقد أتينا على ما قالوه من ذلك فيما سلف من كتبنا وأتينا على سير هؤلاء الملوك وأخبارهم واختلافهم فى كتابنا أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وقد ذهبت طائفة من الناس الى أن هؤلاء الملوك كانت من النبط وغيرهم من الامم وانه كان يرؤس بعضهم غيره من ملوك الفرس ممن كان مقيما ببلخ والاشهر ما قدمنا وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب لمعا من أخبار النبط وأنسابهم

﴿ذكر ملوك الفرس الاولى وجمل من أخبارهم﴾

الفرس تخبر مع اختلاف آرائها وبعد أوطانها وتباينها فى ديارها وما ألزمته أنفسها من حفظ أنسابها ينقل ذلك باق عن ماض وصغير عن كبير أن أول ملوكهم (كيومرث) ثم تنازعوا فيه فنهم من زعم انه ابن آدم والاكبر من ولده ومنهم من زعم وهم الاقلون عددا أنه أصل النسل وينبوع الذرء وقد ذهبت طائفة منهم الى أن كيومرث هو أميم بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح لان أميم أول من حل بفارس من

أو قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل ما وضعت الملائكة السلاح ان الله يأمرك بالمسير الى بني
قريظة وأنا عامد اليهم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا فنادى من كان سامعا مطيعا فلا
يصلين العصر الا في بني قريظة وقدم عليا اليهم برايته وتلاحق الناس ونزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم واتاه رجال بعد العشاء الاخيرة فصلوا العصر بها وما عابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحاصر بني قريظة شهرا أو خمسا وعشرين ليلة فلما اشتد عليهم الحصار أرسلوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان تبعث الينا أبا لبابة بن عبد المنذر وهو انصاري من الاوس نستشيره فارسله فلما
رأوه قام اليه الرجال وبكى النساء والصبيان فرق لهم فقالوا ننزل على حكم رسول الله فقال نعم وأشار
بيده الى حلقه انه الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى عرفت اني خنت الله ورسوله وقلت
والله لا أقف بمكان عصيت الله فيه وانطلق على وجهه حتى ارتبط في المسجد وقال لا أبرح حتى
يتوب الله علي فتاب الله عليه واطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نزلوا على حكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال الاوس يارسول الله افعل في موالينا مثل مافعلت في موالي الخزرج يعني بني
قينقاع وقد تقدم ذكرهم فقال ألا ترضون ان يحكم فيهم سعد بن معاذ قالوا بلى فاتاه قومه فاحتملوه
على حمار ثم أقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون ياأبا عمرو احسن الى مواليك
فلما كثروا عليه قال قد آن لسعد ان لا تأخذه في الله لومة لائم فعلم كثير منهم انه يقتلهم فلما
انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم أو قال خيركم فقاموا اليه وأنزلوه
وقالوا ياأبا عمرو أحسن الى مواليك فقد رد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم فيهم اليك فقال
سعد عليكم عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم الي قالوا نعم فالتفت الى الناحية الاخرى التي فيها النبي
صلى الله عليه وسلم وغض بصره عن رسول الله اجلالا وقال وعلى من ههنا العهد أيضا فقالوا نعم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال فاني أحكم ان تقتل المقاتلة وتسبى الذرية والنساء
وتقسم الاموال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق
سبعة أرقعة ثم استنزلوا فحبسوا في دار بنت الحرث امرأة من بني النجار ثم خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى سوق المدينة فخندق بها خنادق ثم بعث اليهم فضرب أعناقهم فيها وفيهم حيي
ابن أخطب وكعب بن أسد سيدهم وكانوا ستمائة أو سبعمائة وقيل مابين سبعمائة وثمانمائة وأتى
بحيي بن أخطب وهو مكتوف فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال والله مالمت نفسي في عداوتك
ولكن من يخذل الله يخذل ثم قال للناس انه لا بأس بامر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني
اسرائيل فأجلس وضربت عنقه ولم تقتل منهم الا امرأة واحدة قتلت بحدث أحدثته وقتلت
ارفة بنت عارضة منهم وأسلم منهم ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسيد بن عبيد ثم قسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم أموالهم فكان للفارس ثلاثة أسهم للفرس سهمان ولفارسه سهم وللراجل ممن
ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا وأخرج منها الخمس وكان أول فيء وقع فيه
السهمان والخمس واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه ريحانة بنت عمرو بن خنافة من
بني قريظة فاراد أن يتزوجها فقالت اتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك فلما انقضى أمر
قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ واستجاب الله دعاءه وكان في خيمته التي في المسجد فحضره
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وقالت عائشة سمعت بكاء أبي بكر وعمر عليه وانا في
حجرتي واما النبي صلى الله عليه وسلم فكان لا يبكي على أحد كان اذا اشتد وجده أخذ بلحيته وكان
فتح قريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجة وقتل من المسلمين في الخندق ستة نفر وفي قريظة ثلاثة

ولد نوح وكان كيومرث
ينزل بفارس والفرس
لا تعرف طوفان نوح
والقوم الذين كانوا بين آدم
ونوح عليهما السلام كان
لسانهم سريانيا ولم يكن
عليهم ملك بل كانوا في
مسكن واحد والله أعلم
بذلك وكان كيومرث
أكبر أهل عصره والمقدم
فيهم وكان أول ملك نصب
في الارض فيما يزعمون
وكان السبب الذي دعا أهل
ذلك العصر الى اقامة ملك
ونصب رئيس أنهم رأوا
أكثر الناس قد جبلوا على
التباغض والتحاسد والظلم
والعدوان ورأوا أن الشرير
منهم لا يصلحه الا الرهبة
ثم تأملوا أحوال الخليقة
وتصرف شأن الجسم
وصورة الانسان الحساس
الدراك فرأوا الجسم في
بنيته وكونه قد رتب
بحواس تؤدي الى معنى
هو غيرها يوردها ويصدرها
ويميزها عما توردده اليه من
أخلاقها في مداركها وهو
معنى في القلب فرأوا اصلاح
الجسم بتدبيره وأنه متى
فسد تدبيره فسد سائره ولم
تظهر أفعاله المتقنة
المحكمة فلما رأوا هذا
العالم الصغير الذي هو
جسد الانسان المرئي
لا تستقيم اموره ولا

نفر ودخلت سنة ست من الهجرة

ذكر غزوة بني لحيان

في جمادى الاولى منها خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه وأظهر انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة وأغذ السير حتى نزل على غران منازل بني لحيان وهي بين أمج وعسفان فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤس الجبال فلما أخطأه ما أراد منهم خرج في مائتي راكب حتى نزل بعسفان تخويفا لاهل مكة وأرسل فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم عاد قافلا (غران بضم الغين المعجمة وفتح الراء وبعد الالف نون وأمج بفتح الهمزة والميم وآخره جيم)

ذكر غزوة ذي قرد

ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يقم الا أياما قلائل حتى أغار عيينة بن حصن الفزاري في خيل غطفان على لقاح النبي صلى الله عليه وسلم وأول من نذر بهم سلمة بن الاكوع الاسلمي هكذا ذكرها أبو جعفر بعد غزوة بني لحيان عن ابن اسحق والرواية الصحيحة عن سلمة انها كانت بعد مقدمه المدينة منصرفا من الحديبية وبين الوقعتين تفاوت قال سلمة بن الاكوع أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد صلح الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهره مع رباح غلامه وخرجت معه بفرس طلحة بن عبيد الله فلما أصبحنا اذا عبد الرحمن بن عيينة بن حصن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاقه أجمع وقتل راعيه فقلت يا رباح هذه الفرس فابلغها طلحة وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان المشركين قد أغاروا على سرحه ثم استقبلت الاكمة فناديت ثلاث أصوات يا صباحاه ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز وأقول

خذها وانا ابن الاكوع * واليوم يوم الرضع

قال فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم فاذا خرج الي فارس قعدت في أصل شجرة فرميته فعقرت به واذا دخلوا في مضايق الجبل رميتهم بالحجارة من فوقهم فما زلت كذلك حتى ما تركت من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيرا الا جعلته وراء ظهري وخلوا بيني وبينه والقوا أكثر من ثلاثين رمحا وثلاثين بردة يستخفون بها لا يلقون شيأ الا جعلت عليه امارة أي علامة حتى تعرفه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا انتهوا الى مضايق من ثنية أتاهم عيينة بن حصن بن حذيفة ابن بدر ممدا فقعدوا يتضحون فلما رآني قال من هذا قالوا لقينا منه البرح وقد استنقذ كل ما بايدينا فبرحت مكاني حتى أبصرت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخللون الشجر أولهم الاخرم الاسدي واسمه محرز بن نضلة من أسد بن خزيمة وعلى اثره أبو قتادة وعلى أثره المقداد بن الاسود الكندي فاخذت بعنان الاخرم وقلت احذر القوم لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال يا سلمة ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فلا تحل بيني وبين الشهادة قال فخليته فالتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة فعقر الاخرم بعبد الرحمن فرسه وطعنه عبد الرحمن فقتله وتحول عبد الرحمن على فرس الاخرم ولحق أبو قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبد الرحمن فطعنه فانطلقوا هاربين قال سلمة فوالذي كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لتبعتهم أعدو على رجلي حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا غبارهم شيأ وعدلوا قبل غروب الشمس الى غار فيه ماء يقال له ذو قرد ليشربوا منه وهم عطاش فنظروا الي أعدو في

تنتظم أحواله الا باستقامة الرئيس الذي قدمنا ذكره علما وأن الناس لا يستقيمون الا بملك ينصفهم ويوجه العدل عليهم وينفذ الاحكام على ما يوجبه العقل بينهم فساروا الى كيومرث بن آدم وعرفوه حاجتهم الى ملك وقيم وقالوا أنت أفضلنا وأشرفنا وأكبرنا وبقية أبينا وليس في العصر من يوازيك فرد أمرنا اليك وكن القائم فينا فانا تحت سمعك وطاعتك والقائلون بما تراه فاجابهم الى ما دعوه اليه واستوثق منهم بأكيد العهود والمواثيق على السمع والطاعة وترك الخلاف عليه فلما وضع التاج على رأسه وكان أول من ركب التاج على رأسه من أهل الارض قال ان النعم لا تدوم الا بالشكر وانا نحمد الله ونشكره على نعمه ونرغب اليه في مزيده ونسأله المعونة على ما دفعنا اليه وحسن الهداية الى العدل الذي به يجتمع الشمل ويصفو العيش فثقوا بالعدل منا وانصفونا من أنفسكم نوردكم الى أفضل ما في هممكم والسلام فلم يزل كيومرث قائما بالامر حسن السيرة في الناس والحال آمنة والامة

آثارهـم فاجليتهم عنه فـاذا قوامنه قطرة قال واشـتدوا في بيت ذي أبهر فارشقي بعضهم بسهم فيقع في نغض كتفه فقلت

خذها وأنا ابن الاكوع * واليوم يوم الرضع

وأردوا فرسـين على ثنية فجئت بهـما أقودهمـا الى النبي صـلى الله عليه وسـلم ولقيني عمي عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن وسطيحة فيهـا ماء فتوضأت وصليت وشربت ثم جئت الى النبي صـلى الله عليه وسـلم وهو على الماء الذي أجليتهم عنه بذي قرد واذا رسول الله صلى الله عليه وسـلم قد أخـذ تلك الابل التي استنقذت من العدو وكل رمح وكل بردة واذا بلال قد نحر لهم ناقة من الابل وهو يشوي منهـا فقلت يارسول الله خلني أنتخب مائة رجـل فلا تبقى منهـم عين تطرف فضحك وقال انهم ليقرون بارض غطفان فجاء رجل من غطفان فقـال نحر لهم فلان جزورا فلما كشطوا عنها جلدها رأوا غبارا فقالوا أتيتم فخرجوا هاربين فلما أصبحنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خير فرسـاننا اليوم أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة بن الاكوع ثم أعطاني رسول الله صـلى الله عليه وسلم سهمين سهم الفـارس وسهم الراجل ثم أردفني وراءه على العضبـاء راجعين الى المدينة فبينمـا نحن نسير وكان رجل من الانصار لا يسبق شدا فقال ألا من مسابق مرارا فقلت يارسول الله بابي أنت وأمي ائذن لي فلأسابق الرجل قال ان شئت قال فطفرت فعـدوت فربطت عليـه شرفا أو شرفين استبقي نفسي ثم عـدوت في اثره فربطت عليـه شرفا أو شرفين ثم اني رفعت حتى ألحقه فأصكه بين كتفيه فقلت سـبقتك والله قال أنا أظن فسبقته الى المدينة فلم نلبث بها الاثلاثا حتى خرجنا الى خيـبر وفي هـذه الغزوة نودي ياخيل الله اركبي ولم يكن يقال قبلها (قرد بفتح القاف والراء)

﴿ ذكر غزوة بني المصطلق من خزاعة ﴾

ذكرت هذه الغزوة بعد غزوة ذي قرد وكانت في شعبان من السنة سنة ست وكان بلغ رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ان بني المصطلق تجمعوا له وكان قائدهـم الحرث بن أبي ضرار أبو جويرية زوج النبي صـلى الله عليه وسلم فلمـا سمع بهم خرج اليهم فلقيهم بماء لهم يقال له المريسيع بناحية قديد فاقتتلوا فانهزم المشركـون وقتل من قتل منهم وأصيب رجل من المسلمين من بني ليث بن بكر اسمه هشام بن صـبابة أخو مقيس بن صبابة أصابه رجل من الانصار بسهم من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى انه من العدو فقتله خطأ وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم سـبايا كثيرة فقسمهـا في المسلمين وفيهـم جويرية بنت الحرث بن أبي ضرار فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن شماس أولابن عم له فكاتبته عن نفسها فاتت رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم فاستعانته في كتابتها فقال لها هل أدلك على خير من ذلك قالت وما هو يارسول الله قال اقضي كتابتك وأتزوجك قالت نعم يارسول الله ففعـل وسمع الناس الخبر فقالوا اصهار رسول الله فاعتقوا أكثر من مائة بيت من أهـل بني المصطلق فمـا كانت امرأة أعظم بركة على قومها منهـا وبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومـع عمر بن الخطاب أجـير له من بني غفار يقـال له جهجاه فازدحـم هو وسـنان الجهني حليف بني عوف من الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهـني يامعشر الانصار وصرخ جهجاه يامعشر المهاجرين فغضب عبـد الله بن أبي ابن سـلول وعنـده رهط من قومـه فيهـم زيد بن أرقم غـلام حـدث السن فقال أقد فعـلوها قد كـاثرونا في بلادنا اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم أقبـل على من حضره من قومه فقـال هذا ما فعلتم

بانفسـكم

ساكنة الى أن مات ولهم في وضع التاج على الرأس أسرار يذكرونها أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على ذلك في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الاوسـط وذكروا أن كيومرث أول مـن أمر بالسكوت عنـد الطعـام لتأخذ الطبيعة بقسطها فيصلح البدن بمـا يرد اليـه من الغذاء وتسكن النفس عند ذلك فتدبر كل عضو من الاعضاء تدبيرا يؤدي الى ما فيه صلاحه من أخذ صفو الطعام فيكون الذي يرد الى الكبد وغيره من الاعضاء القابلة للغذاء ما يناسبها وما فيه صلاحهـا فان الانسان متى شـغل عن طعـامه بضرب مـن الضروب انصرف قسط من التدبير وجزء من التقدير الى حيث انصباب الهمة ووقوع الاشـتراك فأضر ذلك بالانفس الحيوانية والقوى الانسانية واذا كان ذلك أدى الى مفارقة النفس الناطقـة لهـذا الجسـد المرئي وفي ذلك ترك للحكمة وخروج عن الصواب ولهـم في هـذا البـاب سر لطيف مـن أسرار السبب الذي بـين النفس والجسم ليس هذا موضعه وقد أتينـا عـلى

بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم والله لو أمسكتم عنهم ما بايديكم لتحولوا الى غير بلادكم فسمع ذلك زيد فمشى به الى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله مر به عباد بن بشر فليقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه ولكن أذن بالرحيل فارتحل في ساعة لم يكن يرتحل فيها ليقطع ما الناس فيه فلقيه أسيد بن حضير فسلم عليه وقال يا رسول الله لقد رحت في ساعة لم تكن تروح فيها فقال أو ما بلغك ما قال عبد الله بن أبي قال وماذا قال قال زعم ان رجع الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال أسيد فانت والله تخرجه ان شئت فانك العزيز وهو الذليل ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد من الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قد استلبته ملكا وسمع عبد الله بن أبي أن زيدا أعلم النبي صلى الله عليه وسلم قوله فمشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به وكان عبد الله في قومه شريفا فقالوا يا رسول الله عسى ان يكون الغلام قد أخطأ وانزل الله اذا جاءك المنافقون تصديقا لزيد فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد وقال هذا الذي أوفى الله باذنه وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول ما كان من أمر أبيه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بلغني انك تريد قتل أبي فان كنت فاعلا فمرني به فانا احمل اليك رأسه واخشى ان تأمر غيري بقتله فلا تدعني نفسي أنظر الى قاتل أبي يمشي في الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا فكان بعد ذلك اذا أحدث حدثا عاتبه قومه وعنفوه وتوعدوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم كيف ترى ذلك يا عمر أما والله لو قتلته يوم أمرتني بقتله لارعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته فقال عمر أمر رسول الله أعظم بركة من أمري وفيها قدم مقيس بن صبابة مسلما فيما يظهر فقال يا رسول الله جئت مسلما وجئت أطلب دية أخي وكان قتل خطأ فامر له بدية أخيه هشام بن صبابة وقد تقدم ذكر قتله آنفا فاقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج الى مكة مرتدا فقال

شفى النفس أن قد بات في القاع مسندا * تضرج ثوبيه دماء الاخادع
وكانت هموم النفس من قبل قتله * تلم فتحميني وطاء المضاجع
حللت به نذري وأدركت ثأرتي * وكنت الى الاصنام أول راجع

(مقيس بكسر الميم وسكون القاف وفتح الياء تحتها نقطتان وصبابة بصاد مهملة وباءين موحدتين بينهما الف وأسيد بهمزة مضمومة وحضير بضم الحاء المهملة وفتح الضاد)

(حديث الافك)

وكان حديث الافك في غزوة بني المصطلق لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ببعض الطريق قال أهل الافك ما قالوا وكان من حديثه ما روي عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه فخرج سهمي فخرج بي معه وكان النساء اذ ذاك انما يأكلن العلقة لم يهيجهن اللحم وكنت اذا رحل بعيري جلست في هودجي ثم يأتي القوم الذين يرحلون بعيري فيحملون الهودج وأنا فيه فيضعونه على ظهر البعير ثم يأخذون برأس البعير ويسيرون قالت فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وكان قريبا من المدينة بات بمنزل بعض الليل

ذكره في الكتاب المترجم بسر الحياة وفي كتاب الزلف عند ذكرنا النفس الناطقة والنفس العلامة والنفس الحسية والمخيلة والنزاعية وما قال الناس في ذلك ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة وغيرهم (وقد تنوزع في مقدار عمر كيومرث هذا) فمن الناس من رأى أن عمره ألف سنة وقيل دون ذلك وللمجوس في كيومرث هذا خطب طويل في أنه مبدأ النسل وانه نبت من نبات الارض وهو الريباس هو وزوجته وهما شانة ومشانة وغير ذلك مما يفحش ايراده وما كان من خبره مع ابليس وقتله اياه وكان ينزل اصطخر فارس وكانت مدة ملكه أربعين سنة وقيل أقل من ذلك (ثم ملك بعده هوشنج) بن فروال بن سيامك بن ميشا ابن كيومرث الملك وكان هوشنج ينزل الهند وكان ملكه أربعين سنة وقيل أكثر من ذلك وقد تنوزع فيه فمنهم من رأى انه أخ لكيومرث بن آدم ومنهم من رأى أنه ولد الملك الماضي (ثم ملك بعده طهمورث) ابن أنوجهان بن اسقد بن هوشنج وكان ينزل نيسابور وظهر في سنة من ملكه

ثم ارتحل هو والناس وكنت قد خرجت لبعض حاجتي وفى عنقى عقد لى من جزع أظفار انسل من
عنقى ولا أدرى فلما رجعت التمست العقد فلم أجده فرجعت الى المكان الذى كنت فيه ألتمسه
فوجدته وجاء القوم الذين يرحلون بعيرى فاخذوا الهودج وهم يظنون انى فيه فاحتملوه على
عاتقهم وانطلقوا ورجعت الى المعسكر ومافيه داع ولا مجيب فتلففت بجلبابى واضطجعت مكانى
وعرفت أنهم يرجعون الى اذا افتقدونى قالت فوالله انى لمضطجعة اذ مر بى صفوان بن المعطل
السلمى وكان تخلف عن العسكر لحاجته فلم يبت مع الناس فلما رأى سوادى أقبل حتى وقف على
فعرفنى وكان رآنى قبل أن يضرب الحجاب فلما رآنى استرجع وقال ماخلفك قالت فما كلمته ثم
قرب البعير وقال اركبى فركبت وأخذ برأس البعير مسرعا فلما نزل الناس واطمأنوا طلع الرجل
يقودنى فقال أهل الافك ماقالوا فارتج العسكر ولم أعلم بشئ من ذلك ثم قدمنا المدينة فاشتكيت
شكوى شديدة وقد انتهى الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أبوى ولا يذكران لى منه
شيأ الا أنى أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه فكان اذا دخل على وأمى تمرضنى
قال كيف تيكم لا يزيد على ذلك فوجدت فى نفسى مما رأيت من جفائه فاستأذنته فى الانتقال الى
أمى لتمرضنى فاذن لى وانتقلت ولا اعلم بشئ مما كان حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة
قالت وكنا قوما عربا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف نعافها ونكرهها انما كان النساء يخرجن كل
ليلة فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أم مسطح ابنة أبى رهم بن المطلب وكانت أمها خالة ابى بكر
الصديق قالت فوالله انها لتمشى اذ عثرت فى مرطها فقالت تعس مسطح قالت قلت لعمر الله بئسما
قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرا قالت أوما بلغك الخبر قلت وما الخبر فاخبرتنى بالذى كان
قالت فوالله ماقدرت على ان اقضى حاجتى فرجعت فمازلت ابكى حتى ظننت ان البكاء سيصدع
كبدى وقلت لامى تحدث الناس بما تحدثوا ولا تذكرين لى من ذلك شيأ قالت اى بنية خفضى
عليك فوالله قلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر الا كثرن وكثر الناس عليها قالت
وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فخطبهم ولا أعلم بذلك ثم قال أيها الناس ما بال رجال
يؤذونى فى أهلى ويقولون عليهن غير الحق ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت عليه الا خيرا
وما دخل بيتا من بيوتى الا معى وكان كبر ذلك عند عبد الله بن أبى ابن سلول فى رجال من الخزرج
مع الذى قال مسطح وحمنة بنت جحش وذلك ان زينب أختها كانت عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاشاعت من ذلك ما اشاعت تضارنى لاختها فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة
قال أسيد بن حضير يا رسول الله ان يكونوا من الاوس نكفهم وان يكونوا من اخواننا الخزرج
فمرنا بامرك فقال سعد بن عبادة والله ماقلت هذه المقالة الا وقد عرفت انهم من الخزرج ولو كانوا
من قومك ماقلت هذا فقال أسيد كذبت ولكنك منافق تجادل عن المنافقين وتثاور الناس حتى
كاد يكون بينهم شر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا على بن أبى طالب وأسامة بن زيد
فاستشارهما فاما اسامة فأثنى خيرا وأما على فقال ان النساء لكثير وسل الخادم تصدقك فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة يسألها فقام اليها على فضربها ضربا شديدا وهو يقول اصدقى
رسول الله فقالت والله ما أعلم الا خيرا وما كنت أعيب عليها الا أنها كانت تنام عن عجينها فتأتى
الداجن فتأكله ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى ابواى وامرأة من الانصار
وانا أبكى وهى تبكى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ياعائشة انه قد كان مابلغك من قول الناس فان
كنت قارفت سوأ فتوبى الى الله قالت فوالله لقد تقلص دمعى حتى ما أحس منه شيأ وانتظرت

ابوى

رجل يقال له (أبوداسف)
أحدث مذاهب الصابئة
وقال ان معالى الشرف
الكامل والبلاغ الشامل
ومعدن الحياة فى هذا
السقف المرفوع وان
الكواكب هى المدبرات
والواردات والصادرات
وهى التى بمرورها فى
أفلاكها وقطعها مسافاتها
واتصالها بنقطة وانفصالها
عن نقطة يتم مايكون فى
العالم من الآثار من امتداد
الاعمار وقصرها وتركب
البسائط وانبساط المركبات
وتتميم الصور وظهور المياه
وغيضها وفى النجوم السيارة
فى أفلاكها التدبير الاكبر
وغير ذلك مما يخرج وصفه
عن حد الاختصار
والايجاز واحتذى به
جماعة من ذوى الضعف
فى الآراء فيقال ان هذا
الرجل أول من أظهر آراء
الصابئة من الحرانيين
والكيماريين وهذا النوع
من الصابئة مباينون
للحرانيين فى نحلتهم وديارهم
فى بلاد واسط والبصرة من
أرض العراق نحو البطائح
والآجام فكان ملك
طهمورث الى أن هلك
ثلاثين سنة وقيل غير ذلك
(ثم ملك بعده أخوه جمشيد)
ابن أنوجهان وكان ينزل
بفارس وقيل انه كان فى زمانه

أبوى ان يجيباه فلم يفعلا فقلت ألا تجيبانه فقالا والله ماندرى بم نجيبه وما أعلم اهل بيت دخل عليهم مادخل على أبي بكر تلك الايام فلما استعجما بكيت ثم قلت والله لا أتوب الى الله مما ذكرت أبدا والله لئن اقررت والله يعلم أنى منه بريئة لتصدقنى ولئن انكرت لا تصدقونى ثم التمست اسم يعقوب فلم أجده فقلت ولكنى أقول كما قال ابو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون ولشأنى كان أصغر فى نفسى ان ينزل الله فىّ قرآنا يتلى ولكنى كنت أرجو ان يرى رؤيا يكذب الله بها عنى قالت فوالله مابرح رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه حتى جاءه الوحى فسجى بثوبه فاما انا فوالله مافزعت ولا باليت قد عرفت انى بريئة وأن الله غير ظالمى وأما أبواى فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن انفسهما فرقا ان يحقق الله ماقال الناس قالت ثم سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه ليتحدر عنه مثل الجمان فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول أبشرى ياعائشة فقد أنزل الله براءتك فقلت بحمد الله ثم خرج الى الناس فخطبهم وذكر لهم ماأنزل الله فىّ من القرآن ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضرب واحدتهم وحلف أبو بكر لا ينفق على مسطح أبدا فانزل الله ولا يأتل أولو الفضل منكم الآية فقال أبو بكر انى أحب ان يغفر الله لى ورجع الى مسطح نفقته ثم ان صفوان ابن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف فضربه ثم قال

تلق ذباب السيف عنى فاننى * غلام اذا هوجيت لست بشاعر

فوثب ثابت بن قيس بن شماس فجمع يديه الى عنقه وانطلق به الى الحرث بن الخزرج فلقيه عبد الله بن رواحة فقال ماهذا فقال ضرب حسان وما أراه الا قتله فقال عبد الله هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ مما صنعت قال لا قال لقد اجترأت أطلق الرجل فاطلقه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا حسانا وصفوان بن المعطل فقال صفوان هجانى يارسول الله وآذانى فضربته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان أحسن ياحسان قال هى لك يارسول الله فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضا منها بيرحاء وهى قصر بنى حديلة (بالحاء المهملة) وأعطاه سيرين أمة قبطية وهى أخت مارية أم ابراهيم ابن رسول الله فولدت له ابنه عبد الرحمن وكان صفوان حصورا لاياتى النساء ثم قتل بعد ذلك شهيدا (مسطح بكسر الميم وسكون السين المهملة وبالطاء والحاء المهملتين)

(ذكر عمرة الحديبية)

فى هذه السنة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا فى ذى القعدة لا يريد حربا ومعه جماعة من المهاجرين والانصار ومن تبعه من الاعراب ألف وأربعمائة وقيل ألف وخمسمائة وقيل ثلثمائة وساق الهدى معه سبعين بدنة ليعلم الناس انه انما جاء زائرا للبيت فلما بلغ عسفان لقيه بسر بن سفيان الكعبى فقال يارسول الله هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فاجتمعوا بذى طوى يحلفون بالله لا تدخلها عليهم أبدا وقد قدموا خالد بن الوليد الى كراع الغميم وقيل ان خالدا كان مع النبى صلى الله عليه وسلم مسلما وأنه ارسله فلقى عكرمة بن أبى جهل فهزمه والاول أصح ولما بلغه بسر مافعلت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياويح قريش قد اكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر الناس فان أصابونى كان الذى أرادوا وان أظهرنى الله دخلوا فى الاسلام وافرين والله لا أزال أجاهدهم على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ثم خرج على غير الطريق التى هم بها وسلك ذات اليمين حتى سلك ثنية المرار

طوفان وذهب كثير من الناس الى أن النيروز فى أيامه أحدث وفى ملكه سمى على حسب مانورده فيما يرد من هذا الكتاب كذلك ذكر أبو عبيدة معمر ابن المثنى عن عمر المعروف بكسرى وكان هذا الرجل ممن اشتهر بعلم فارس وأخبار ملوكها حتى لقب بعمر كسرى وكان ملك جمشيد الى أن هلك سبعمائة سنة وقيل تسعمائة سنة وستة أشهر وأحدث فى الارض أنواعا من الصناعات والابنية وادعى الالهية (ثم ملك بعده بيوراسب) بن اروادسب بن رستوان بن نياداس بن طاح بن فروال ابن ساهر فرس بن كيومرث وهو الدهاك وقد عرب اسماه جميعا فسماه قوم من العرب الضحاك وسماه قوم بهراسب وليس هو كذلك وانما اسمه على ماوصفنا بيوراسب وقتل جمشيد الملك وقد تنوزع فيه أمن الفرس كان أم من العرب فزعمت الفرس أنه منها وانه كان ساحرا وأنه ملك الاقاليم السبعة وأن ملكه كان ألف سنة وبقى فى الارض وللفرس فيه خطب طويل وأنه مقيد مغلل فى جبل دباوند بين الرى وطبرستان وقد

على مهبط الحديبية فبركت به ناقته فقال الناس خلأت فقال ماخلأت ولكن حبسها حابس الفيل لا يدعونى قريش اليوم الى خطة يسألونى فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها ثم قال للناس انزلوا فقالوا ما بالوادى ماء فاخرج سهما من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه فنزل فى قليب من تلك القلب فغرزه فى جوفه فجاش الماء بالرى حتى ضرب الناس عنه بعطن وكان اسم الذى أخذ السهم ناجية بن عمير سائق بدن النبى صلى الله عليه وسلم فبينما هم كذلك أتاهم بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه خزاعة وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من تهامة فقال تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى أعداد مياه الحديبية وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا لم نأت لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وان شاءت قريش ماددناهم مدة ويخلوا بينى وبين الناس وان أبوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى فانطلق بديل الى قريش فأعلمهم ما قال النبى صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفى فقال ان هذا الرجل عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعونى آتيه فقالوا أئته فأتاه وكلمه فقال له يا محمد جمعت أوباش الناس ثم جئت بهم لبعض فعل بهم انها قريش خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر يعاهدون الله انك لا تدخلها عليهم عنوة أبدا وايم الله لكأنى بهؤلاء قد تكشفوا عنك غدا فقال أبو بكر امصص بظر اللات أنحن ننكشف عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم هذا ابن أبى قحافة فقال أما والله لولا يد لك عندى لكافأتك بها ثم جعل يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكلمه والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديد فجعل يقرع يده اذا تناولها ويقول له أكفف يدك قبل أن لا تصل اليك فقال من هذا قال النبى صلى الله عليه وسلم هذا ابن أخيك المغيرة فقال أى غدر وهل غسلت سوأتك بالأمس وكان المغيرة قد قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك وهرب فتهايج الحيان بنو مالك رهط المقتولين والاحلاف رهط المغيرة فودى عروة للمقتولين ثلاث عشرة دية وأصلح ذلك الامر وطال الكلام بينهما فقال له النبى صلى الله عليه وسلم نحو مقالته لبديل فقال له عروة يا محمد أرأيت ان استأصلت قومك فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك وجعل يرمق أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فوالله لا يتنخم النبى نخامة الا وقعت فى كف أحدهم فدلك بها وجهه وجلده وان أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى أصحابه وقال أى قوم قد وفدت على كسرى وقيصر والنجاشى فوالله ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا وحدثهم ما رأى وما قال النبى صلى الله عليه وسلم فقال رجل هذا فلان وهو من كنانة اسمه الحليس بن علقمة وهو سيد الاحابيش دعونى آتيه فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم قال من قوم يعظمون البدن فابعثوا الهدى فى وجهه فلما رأى الهدى رجع الى قريش ولم يصل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا قوم قد رأيت ما لا يحل صده الهدى فى قلائده فقالوا اجلس فانما أنت اعرابى لا علم لك فقال والله ما على هذا حالفناكم ان تصدوا عن البيت من جاء معظما له والذى نفسى بيده لتخلن بين محمد وبين البيت أو لأنفرن الاحابيش نفرة رجل واحد قال فقالوا له كف عنا يا حليس حتى نأخذ لانفسنا قام رجل منهم يقال له مكرز ابن حفص فقال دعونى آتيه فقالوا افعل فلما أشرف على النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه هذا رجل فاجر فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو فلما جاء قال النبى سهل أمركم وقال ابن اسحق ان قريشا انما بعثت سهيلا بعد رسالة رسول الله صلى الله عليه

وسلم

ذكر فيه شعراء العرب ممن تقدم وتأخر وقد افتخر أبو نواس به وزعم أنه من اليمن لان أبا نواس مولى لسعد العشيرة من اليمن فقال

وكان منا الضحاك تعبده الـ ... ـجامل والوحش فى مساربها

ثم ملك بعده افريدون ابن اثفيان بن جمشيد المالك لاقاليم الارض فاخذ بيوراسب فقيده فى جبل دباوند على حسب ماذكرنا وقد ذكر كثير من الفرس ومن عنى باخبارهم مثل عمر كسرى وغيره أن افريدون جعل هذا اليوم الذى قيد فيه الضحاك عيدا له وسماه المهرجان على حسب ما نورده بعد هذا الموضع من هذا الكتاب وما قيل فى ذلك وكانت دار مملكة افريدون بابل وهذا الاقليم يسمى باسم قرية من قراه يقال لها بابل على شاطئ نهر من أنهار الفرات بأرض العراق على ساعة من المدينة المعروفة بجسر بابل ونهر النرس قرية بالعراق واليها تضاف الثياب النرسية وفى هذه القرية جب يعرف بجب دانيال النبى عليه السلام تقصده النصارى واليهود فى أوقات من السنة فى

وسلم مع عثمان بن عفان قال لما رجع عروة بن مسعود الى قريش بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم خراش بن أمية الخزاعي الى قريش على جمل له يقال له الثعلب ليبلغ عنه فعقروا به جمل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعته الاحابيش وخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر ليرسله فقال ليس بمكة من بني عدي من يمنعني
وقد علمت قريش عداوتي لها وأخافها على نفسي فارسل عثمان فهو أعز بها مني فارسله ليبلغ عنه
فانطلق فلقيه أبان بن سعيد بن العاص فاجاره فاتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لعثمان حين فرغ من أداء الرسالة ان شئت أن تطوف بالبيت فطف به
فقال ما كنت لافعل حتى يطوف به النبي صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ النبي
صلى الله عليه وسلم انه قد قتل فقال لا نبرح حتى نناجز القوم ثم دعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت
الشجرة وهي سمرة لم يتخلف منهم أحد الا الجد بن قيس وكان أول من بايعه رجل من بني أسد
يقال له أبو سنان ثم أتى الخبر ان عثمان لم يقتل ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو وأخا بني عامر بن لؤي
الى النبي صلى الله عليه وسلم ليصالحه على ان يرجع عنهم عامه ذلك فاقبل سهيل الى النبي صلى الله
عليه وسلم وأطال معه الكلام وتراجعا ثم جرى بينهم الصلح فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي
ابن أبي طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل لا نعرف هذا ولكن اكتب
باسمك اللهم فكتبها ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل
لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال لعلي امح رسول الله فقال
لا أمحوك أبدا فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يحسن ان يكتب فكتب موضع رسول
الله محمد بن عبد الله وقال لعلي لتبلين بمثلها اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين وأنه
من أتى منهم رسول الله بغير اذن وليه رده اليهم ومن جاء قريشا ممن مع رسول الله لم يردوه ومن
أحب أن يدخل في عهد رسول الله دخل ومن أحب أن يدخل في عهد قريش دخل فدخلت معه
خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت بنو بكر في عهد قريش وان يرجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنهم عامه ذلك فاذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها باصحابك فاقمت بها ثلاثا
وسلاح الراكب السيوف في القرب فبينا النبي صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب اذ جاء أبو جندل
ابن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد قد انفلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصحاب النبي
لا يشكون في الفتح لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا الصلح دخلهم من ذلك أمر عظيم
حتى كادوا يهلكون فلما رأى سهيل ابنه أبا جندل أخذه وقال يا محمد قد تمت القضية بيني وبينك
قبل أن يأتيك هذا قال صدقت وأخذه ليرده الى قريش فصاح أبو جندل يا معشر المسلمين أرد الى
المشركين ليفتنوني عن ديني فزاد الناس شرا الى ما بهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد أعطينا القوم عهودنا
على ذلك فلا نغدر بهم قال فوثب عمر بن الخطاب يمشي مع أبي جندل ويقول له اصبر واحتسب
فانما هم المشركون وانما دم أحدهم دم كلب وأدنى قائم السيف منه رجاء ان يأخذه فيضرب به
أباه قال فضن الرجل بابيه وشهد جماعة على الصلح من المسلمين فيهم أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن
عوف وغيرهم وجماعة من المشركين فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من قضيته قال قوموا
فانحروا ثم احلقوا فما قام احد حتى قال ذلك مرارا فلما لم يقم أحد منهم دخل على أم سلمة فذكر
لها ذلك فقالت يا نبي الله اخرج ولا تكلم أحدا منهم حتى تنحر بدنك وتحلق شعرك ففعل فلما رأوا

أعيادهم واذا أشرف الانسان على هذه القرية تبين فيها آثارا عظيمة من ردم وهدم وبنيان قد صارت كالروابي وذهب كثير من الناس الى أن بها هاروت وماروت وهما الملكان المذكوران في القرآن على حسب ما قص الله تعالى من تسمية هذه القرية ببابل وكان ملك افريدون خمسمائة سنة وقيل أقل من ذلك وقيل اكثر وقسم الارض بين ولده وقد قال في ذلك بعض الشعراء ممن سلف من أبناء الفرس بعد الاسلام يذكر ولد افريدون الثلاثة

وقسمنا ملكنا في دهرنا
قسمة اللحم على ظهر وضم
وجعلنا الشام والروم الى
مغرب الشمس الى الغطريف سلم
وأطوج جعل الترك له
فبلاد الترك يحويها ابن عم
ولايران جعلنا عنوة
فارس الملك وفزنا بالنعم

وللناس فيما ذكرنا خطب طويل وأن بلاد بابل أضيفت الى ولد افريدون وهو ايراج وقتله اخواه في حياة افريدون وهلك فلم يخلص له الملك فيعد في الملوك وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب كيفية

ذلك قاموا فنحروا وحلقوا حتى كاد بعضهم يقتل بعضهم للازدحام فما فتح فى الاسلام قبله فتح كان أعظم منه حيث أمن الناس كلهم فدخل فى الاسلام تينك السنتين مثل ما دخل فيه قبل ذلك وأكثر فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جاءه أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية الثقفى وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه الازهر بن عبد عوف والاخنس بن شريق وبعثا فيه رجلا من بنى عامر بن لؤى ومعه مولى لهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علمت انا قد أعطينا هؤلاء القوم عهدا ولا يصلح الغدر فى ديننا فانطلق معهما الى ذى الحليفة فجلسوا وأخذ أبو بصير سيف أحدهما فقتله به وخرج المولى سريعا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بقتل صاحبه ثم أقبل أبو بصير فقال يارسول الله قد وفت ذمتك وأنجانى الله منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل أمه مسعر حرب لو كان له رجال فلما سمع ذلك عرف انه سيرده اليهم فخرج أبو بصير حتى نزل بناحية ذى المروة على ساحل البحر على طريق قريش الى الشام وبلغ المسلمين الذين كانوا بمكة ذلك فخرجوا الى أبى بصير منهم أبو جندل فاجتمع اليه قريب من سبعين رجلا فضيقوا على قريش يعترضون العير تكون لهم فارسلت قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم يناشدونه الله والرحم لما أرسل اليهم فمن أتاه فهو آمن فآواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها نزلت سورة الفتح وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسوة مؤمنات فيهن أم كلثوم ابنة عقبة بن أبى معيط فجاء أخواها عمارة والوليد يطلبانها فانزل الله فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار الآية فلم يرسل امرأة مؤمنة الى مكة وأنزل الله ولا تمسكوا بعصم الكوافر فطلق عمر ابن الخطاب امرأتين له احداهما قريبة بنت أبى أمية والثانية أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعى وهما مشركتان فتزوج أم كلثوم أبو جهم بن حذيفة بن غانم (بسر بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وآخره راء بصير بالباء الموحدة المفتوحة والصاد المهملة المكسورة والياء الساكنة تحتها نقطتان وآخره راء أيضا وأسيد بفتح الهمزة وكسر السين وجارية بالجيم وآخره راء أيضا والحليس بضم الحاء المهملة وفتح اللام وبعده ياء تحتها نقطتان وآخره سين مهملة ﴾ وفيها كانت عدة من سرايا وغزوات ﴿ منها سرية عكاشة بن محصن ﴾ فى أربعين رجلا الى الغمر فنذر بهم القوم فهربوا فسعت الطلائع فوجدوا مائتى بعير فاخذوها الى المدينة وكانت فى ربيع الآخر ﴿ ومنها سرية محمد بن مسلمة ﴾ أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عشرة فوارس فى ربيع الاول الى بنى ثعلبة بن سعد فكمن القوم له حتى نام هو وأصحابه وظهروا عليهم فقتل أصحابه ونجا هو وحده جريحا ﴿ ومنها سرية أبى عبيدة بن الجراح ﴾ الى ذى القصة فى ربيع الآخر فى أربعين رجلا فهرب أهله منهم وأصابوا نعما ورجلا أسلم فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ومنها سرية زيد بن حارثة ﴾ بالجموم فاصاب امرأة من مزينة اسمها حليمة فدلتهم على محلة من محال بنى سليم فاصابوا نعما وشاء وأسرى فيهم زوجها فاطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها معها ﴿ ومنها سرية زيد أيضا الى العيص ﴾ فى جمادى الاولى وفيها أخذت الاموال كانت مع أبى العاص بن الربيع واستجار بزينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم فاجارته وقد تقدم ذكره فى غزوة بدر ﴿ ومنها سرية زيد أيضا الى الطرف ﴾ فى جمادى الآخرة الى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلا فهربوا منه وأصاب من نعمهم عشرين بعيرا ﴿ ومنها سرية زيد بن حارثة الى حسمى ﴾ فى جمادى الآخرة وسببها ان رفاعة بن زيد الجذامى ثم الضبى قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى هدنة الحديبية وأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما وأسلم فحسن اسلامه وكتب له رسول

الله

أضافة هذا الاقليم الى ايراج واسقاطهم الجيم وجعلهم النون بدلا منها فقالوا ايران شهر والشهر الملك ﴿ ثم ملك بعده افريدون منوجهر ﴾ ابن ايران بن افريدون على حسب ما ذكرنا من التنازع فى نسبه والحاقه بايران بن افريدون وكان ملكه عشرين سنة وكان ينزل بابل وقد قيل انه فى زمانه كان موسى بن عمران ويوشع بن نون عليهما السلام وكان لمنوجهر حروب مع عميه اللذين قتلا أباه وهما أطوج وسلم وقد أتينا على ذكر حروبهم فيما سلف من كتبنا ﴿ ثم ملك بعد منوجهر سهم بن ابان ﴾ ابن أثقبان بن يودبن منوجهر فنزل بابل وملك ستين سنة وقيل أكثر من ذلك وكانت له حروب كثيرة وسير وسياسات كثيرة قد أتينا على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان ﴿ ثم ملك بعده فراسياب ﴾ ابن أطوج بن ياسر بن رامى ابن آرس بن بورك بن ساسلسب بن زسست بن نوح بن دوم بن سرور بن أطوج بن افريدون الملك وكان مولد فراسياب ببلد الترك فلذلك غلط من غلط

الله صلى الله عليه وسلم كتابا الى قومه يدعوهم الى الاسلام فاسلموا ثم ساروا الى حرة الرجلاء ثم ان دحية بن خليفة الكلبي أقبل من الشام من عند قيصر حتى اذا كان بارض جذام اغار عليه الهنيد بن عوض وابنه عوض بن الهنيد الضليعيان وهو بطن من جذام فأخذا كل شئ معه فبلغ ذلك نفرا من بني الضبيب قوم رفاعة ممن كان اسلم فنفروا الى الهنيد وابنه فلقوهم واقتتلوا فظفر بنو الضبيب واستنقذوا كل شئ أخذ من دحية وردوه عليه فخرج دحية حتى قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم زيد بن حارثة في جيش فاغار وابا الفضافض وجمعوا ما وجدوا من مال وقتلوا الهنيد وابنه فلما سمع بذلك بنو الضبيب رهط رفاعة بن زيد سار بعضهم الى زيد بن حارثة فقالوا انا قوم مسلمون فقال زيد فاقرؤا أم الكتاب فقرأها حسان بن ملة فقال زيد نادوا في الجيش ان الله حرم علينا ما أخذ من طريق القوم التي جاؤا منها وأراد ان يسلم اليهم سباياهم فأخبره بعض أصحابه عنهم بما أوجب ان يحتاط فتوقف في تسليم السبايا فقال هم في حكم الله ونهى الجيش ان يهبطوا واديهم وعاد أولئك الركب الجذاميون الى رفاعة بن زيد وهو بكراع ربة لم يشعر بشئ من أمرهم فقال له بعضهم انك لجالس تحلب المعزى ونساء جذام أسارى قد غرهن كتابك الذي جئت به فسار رفاعة والقوم معه الى المدينة وعرض كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف أصنع بالقتلى فقالوا يا رسول الله أطلق لنا من كان حيا ومن قتل فهو تحت اقدامنا يعنون تركوا الطلب به فاجابهم الى ذلك وأرسل معهم علي بن أبي طالب الى زيد بن حارثة فرد على القوم مالهم حتى كانوا ينتزعون لبد المرأة تحت الرحل وأطلق الاسارى (ربة بالراء والباء الموحدة والضبيب بضم الضاد المعجمة تصغير ضب وقيل هو بفتح الضاد وكسر الباء وآخره نون نسبة الى ضبينة) ﴿ ومنها سرية زيد أيضا الى وادي القرى ﴾ في رجب ﴿ ومنها سرية عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل ﴾ في شعبان فأسلموا فتزوج عبد الرحمن تماضر بنت الاصبغ رئيسهم وهي أم ابي سلمة ﴿ ومنها سرية علي بن أبي طالب الى فدك ﴾ في شعبان في مائة رجل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان حيا من بني سعد قد تجمعوا له يريدون أن يمدوا أهل خيبر فسار اليهم علي فأصاب عينا لهم فاخبره انه سار الى أهل خيبر يعرض عليهم نصرهم على ان يجعلوا لهم تمر خيبر ﴿ ومنها سرية زيد بن حارثة الى أم قرفة ﴾ في رمضان وكانت عجوزا كبيرة فلقي زيد بني فزارة بوادي القرى فاصيب أصحابه وارتث زيد من بين القتلى فنذر ان لا يمس ماء من جنابة حتى يغزو فزارة فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلقيهم بوادي القرى فاصاب منهم وقتل وأسر أم قرفة وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر عجوزا كبيرة وبنتها فربط أم قرفة بين بعيرين فشقاها نصفين وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم بابنتها وكانت لسلمة بن الاكوع فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه هبة وأرسلها الى حزن بن أبي وهب فولدت له عبد الله بن حزن وأما سلمة بن الاكوع فانه جعل أمير هذه السرية أبا بكر فروى عنه انه قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا أبا بكر فغزونا ناسا من بني فزارة فشننا عليهم الغارة صلاة الصبح فاخذت منهم جماعة وسقتهم الى أبي بكر وفيها امرأة من بني فزارة معها بنت لها من أحسن العرب فنفلني أبو بكر بنتها فقدمت المدينة فلقيت النبي صلى الله عليه وسلم بالسوق فقال لي يا سلمة لله أبوك هب لي المرأة فقلت والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبا فسكت ثم عاد من الغد فوهبتها له فبعث بها الى مكة ففادى بها أسارى من المسلمين ﴿ ومنها سرية كرز بن جابر الفهري الى العرنيين الذين قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الابل ﴾ في شوال في عشرين فارسا * وفيها تزوج عمر

من أصحاب الكتب والتصنيفات في التاريخ وغيره فزعم انه تركي وكان تملكه على ما غلب عليه من البلاد اثنتي عشرة سنة وعمره عند كثير من الناس أربعمائة سنة ولاثنتي عشرة سنة خلت من ملكه ظهر عليه زو بن بهاست بن كجهور بن عداست بن وايرج بن راع ابن ماسر بن يود بن منوجهر الملك فهزمه وقتل أصحابه بعد حروب كثيرة وعمر ماخربه فراسياب وقد تنوزع في المقدار الذي ملك فيه فقيل ثلاث سنين وقيل أكثر من ذلك وكان مسكنه ببابل وللفرس كلام طويل في قتل فراسياب وكيفية قتله وحروبه وما كان بين الفرس والترك من الحروب والغارات وما كان من قتل سياوخش وخبر رستم ابن دستان هذا كله مشروح في الكتاب المترجم بكتاب الكيكين ترجمة ابن المقفع من الفارسية الاولى الى العربية وخبر اسفنديار ابن كشتاسب بن بهراسب وقتل رستم بن دستان وما كان من قتل بهمن بن اسفنديار لرستم وغير ذلك من عجائب الفرس الاولى

ابن الخطاب جميلة بنت ثابت بن افلح أخت عاصم فولدت له عاصما فطلقها وتزوجها بعده يزيد
ابن حارثة فولدت له عبد الرحمن بن يزيد فهو أخو عاصم لامه (جارية بالجيم وبعد الراء ياء فوقها
نقطتان) وفيها اجدب الناس جدبا شديدا فاستسقى رسول الله بالناس في رمضان

(ذكر مكاتبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الملوك)

وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسل الى كسرى وقيصر والنجاشي وغيرهم وأرسل حاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس بمصر وأرسل شجاع بن وهب الاسدي الى الحرث بن أبي شمر الغساني وأرسل دحية الى قيصر وأرسل سليط بن عمرو العامري الى هوذة بن علي الحنفي وبعث عبد الله بن حذافة الى كسرى وأرسل عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي وأرسل العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوي أخي عبد القيس وقيل ان ارساله كان سنة ثمان والله أعلم * فأما المقوقس فانه قبل كتاب النبي صلى الله عليه وسلم واهدى اليه أربع جوار منهن مارية أم ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأما قيصر وهو هرقل فانه قبل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله بين فخذيه وخاصرته وكتب الى رجل برومية كان يقرأ الكتب يخبره شأنه فكتب اليه صاحب رومية انه النبي الذي كنا ننتظره لا شك فيه فاتبعه وصدقه فجمع هرقل بطارقة الروم في الدسكرة وغلقت أبوابها ثم اطلع عليهم من علية وخافهم على نفسه وقال لهم قد أتاني كتاب هذا الرجل يدعوني الى دينه وانه والله النبي الذي نجده في كتابنا فهلم فلنتبعه ونصدقه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا فنخروا نخرة رجل واحد ثم ابتدروا الابواب ليخرجوا فقال ردوهم علي وخافهم على نفسه وقال لهم انما قلت لكم ما قلت لانظر كيف صلابتكم في دينكم وقد رأيت منكم ما سرني فسجدوا له وانطلق وقال لدحية اني لاعلم ان صاحبك نبي مرسل ولكني أخاف الروم على نفسي ولولا ذلك لاتبعته فاذهب الى ضغاطر الاسقف الاعظم في الروم واذكر له أمر صاحبك وانظر ما يقول لك فجاء دحية وأخبره بما جاء به من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ضغاطر والله ان صاحبك نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتابنا ثم أخذ عصاه وخرج على الروم وهم في الكنيسة فقال يا معشر الروم قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا الى الله واني أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال فوثبوا عليه فقتلوه فرجع دحية الى هرقل وأخبره الخبر فقال قد قلت انا نخافهم على أنفسنا وقال قيصر للروم هلموا نعطيه الجزية فأبوا فقال نعطيه أرض سورية وهي الشام ونصالحه فأبوا واستدعى هرقل أبا سفيان وكان تاجرا الى الشام في الهدنة فحضر عنده ومعه جماعة من قريش أجلسهم هرقل خلفه وقال اني سائله فان كذب فكذبوه فقال أبو سفيان لولا ان يؤثر على الكذب لكذبت فسأله عن النبي قال فصغرت له شأنه فلم يلتفت الى قولي وقال كيف نسبه فيكم قلت هو أوسطنا نسبا قال هل كان من أهل بيته من يقول مثل قوله قلت لا قال فهل له فيكم ملك سلبتموه اياه قلت لا قال فمن اتبعه منكم قلت الضعفاء والمساكين والاحداث قال فهل يحبه من يتبعه ويلزمه أو يقليه ويفارقه قلت ما تبعه رجل ففارقه قال فكيف الحرب بينكم وبينه قلت يدال علينا وندال عليه قال هل يغدر قال فلم أجد شيئا أغمز به غيرها قلت لا ونحن منه في هدنة لا نأمن غدره قال فما التفت اليها قال أبو سفيان فقال لي هرقل سألتك عن نسبه فزعمت انه من أوسط الناس وكذلك الانبياء وسألتك هل قال أحد من أهل بيته مثل قوله فهو متشبه به فزعمت ان لا وسألتك هل سلبتموه ملكه فجاء بهذا لتردوا عليه ملكه فزعمت ان لا وسألتك عن أتباعه فزعمت انهم الضعفاء والمساكين وكذلك اتباع الرسل وسألتك عمن يتبعه يحبه أم يفارقه

فزعمت

وأخبارها وهذا الكتاب تعظمه الفرس لما قد تضمن من خبر أسلافهم وسير ملوكهم وقد أتينا بحمد الله على كثير من أخبارهم فيما سلف من كتبنا وقد قيل ان أول من نزل من الملوك بلخ وانتقل عن العراق كيكاوس وقد كان سار نحو اليمن بعد ان كان له بالعراق تمرد على الله وبنيان بناه لحرب السماء وكان ملك اليمن الذي سار اليه كيكاوس في ذلك الوقت شمر بن فريقس فخرج اليه شمر فأسره وحبسه في أضيق محبس فهويته ابنة لشمر يقال لها سعدى كانت تحسن اليه في خفية من أبيها والى من معه من أصحابه ومكث في محبسه أربع سنين حتى أسر رستم ابن دستان من بلاد سجستان سرية فيها أربعة آلاف فقتل ملك اليمن شمر بن فريقس واستنقذ كيكاوس ورده الى ملكه وسعدى معه فاعتلت عليه وأغرته بولده سياوخش حتى كان من أمره مع فراسياب التركي واستئمانه اليه وتزوجه بابنته حتى حملت منه بكيخسرو وما كان من قتل فراسياب بسياوخش بن

فزعمت انهم يحبونه ولا يفارقونه وكذلك حلاوة الايمان لاتدخل قلبا فتخرج منه وسألتك هل يغدر فزعمت ان لا ولئن صدقتني ليغلبن على ماتحت قدمي هاتين ولوددت أني عنده فاغسل قدميه انطلق لشأنك قال فخرجت وأنا اضرب احدى يدي بالاخرى وأقول اى عباد الله لقد أمر امر ابن ابي كبشة أصبح ملوك الروم يهابونه في سلطانهم قال وقدم عليه دحية بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم والسلام على من اتبع الهدى أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان توليت فان اثم الاكارين عليك * وأما الحرث ابن أبي شمر الغساني فاتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شجاع بن وهب فلما قرأه قال انا سائر اليه فلما بلغ قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال باد ملكه * وأما النجاشي فانه لما جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم آمن به واتبعه واسلم على يد جعفر بن أبي طالب وأرسل اليه ابنه في ستين من الحبشة فغرقوا في البحر وأرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت مهاجرة بالحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصر وتوفي بالحبشة فخطبها النجاشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابت وزوجها وأصدقها النجاشي اربعمائة دينار فلما سمع أبو سفيان تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة قال ذاك الفحل لا يقدع انفه * وأما كسرى فجاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الله بن حذافة فمزق الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مزق ملكه وكان كتابه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واني أدعوك بدعاء الله واني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فاسلم تسلم وان توليت فان اثم المجوس عليك فلما قرأه شقه قال يكتب الى بهذا وهو عبدي ثم كتب الى باذان وهو باليمن أن ابعث الى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به فبعث باذان بانوه وكان كاتبا حاسبا ورجلا آخر من الفرس يقال له خرخسره وكتب معهما يأمره بالمسير معهما الى كسرى وتقدم الى بانوه ان يأتيه بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت قريش بذلك ففرحوا وقالوا أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك كفيتم الرجل فخرجا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلقا لحاهما وشواربهما فاكره النظر اليهما وقال ويلكما من أمركما بهذا قالا ربنا يعنون الملك فقال لكن ربي أمرني ان أعفي لحيتي وأقص شاربي فاعلماه بما قدما له وقالا ان فعلت كتب باذان فيك الى كسرى وان أبيت فهو مهلكك ومهلك قومك فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجعا حتى تأتياني غدا وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء ان الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرهما بقتل كسرى وقال لهما ان ديني وسلطاني سيبلغ ملك كسرى وينتهي منتهى الخف والحافر وأمرهما ان يقولا لباذان أسلم فان أسلم أقره على ماتحت يده وأملكه على قومه ثم أعطى خرخسره منطقة ذهب وفضة اهداها له بعض الملوك وخرجا فقدما على باذان وأخبراه الخبر فقال والله ماهذا كلام ملك واني لأراه نبيا ولننظرن فان كان ماقال حقا فانه لنبي مرسل وان لم يكن فنرى فيه رأينا فلم يلبث باذان ان قدم عليه كتاب شيرويه يخبره بقتل كسرى وانه قتله غضبا للفرس لما استحل من قتل أشرافهم ويأمره باخذ الطاعة له باليمن وبالكف عن النبي صلى الله عليه وسلم فلما أتاه كتاب شيرويه اسلم وأسلم معه ابناء من فارس وكانت حمير تسمي خرخسره صاحب المعجزة والمعجزة بلغة حمير المنطقة وأماهوذة بن علي فكان ملك

كيكاووس وقتل رستم بن دستان لسعدى وأخذه بطائلة سياوخش فقتل من قتله من وجوه الترك وعند الفرس على مافي كتاب السكيكين ان كيخسرو كان قبله على الملك جده لابيه وهو كيكاووس ولم يعلم ممن هو ولم يكن لكيخسرو عقب فجعل الملك في لهراسب وهؤلاء القوم كانوا يسكنون بلخ وكانت دار مملكتهم وكان يدعى نهر بلخ وهو جيحون بلغتهم كالف وكذلك يسميه كثير من أعاجم خراسان في هذا الوقت بهذا الاسم فلم يزالوا كذلك الى أن (صار الملك الى حماى ابنة بهمن) بن اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب فانتقلت الى العراق وسكنت نحو المدائن (ثم كان بعد كيخسرو بن سياوخش بن كيكاووس الملك الى لهراسب) بن قنوج ابن كيمس بن كيناسس بن كيناسه بن كيقباذ الملك فعمر البلاد وأحسن السيرة لرعيته وشملهم عدله ولسنين خلت من ملكه نال بني اسرائيل منه محن وشتتهم في البلاد وكانت له معهم أقاصيص يطول ذكرها وذكر في بعض الروايات من أخبار الفرس

اليمامة فلما أتاه سليط بن عمرو يدعوه الى الاسلام وكان نصرانيا أرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم وفدا فيهم مجاعة بن مرارة والرجال بن عنفوة يقول له ان جعل الامر له من بعده أسلم وسار اليه ونصره والا قصد حربه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولا كرامة اللهم اكفنيه فمات بعد قليل وأما مجاعة والرجال فاسلما واقام الرجال عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قرأ سورة البقرة وغيرها وتفقه وعاد الى اليمامة فارتد وشهد ان رسول الله أشرك مسيلمة معه فكانت فتنته أشد من فتنة مسيلمة (مجاعة بضم الميم وتشديد الجيم والرجال بالجيم المشددة وقيل بالحاء المهملة المشددة وعنفوة بضم العين وسكون النون وضم الفاء وفتح الواو) واما المنذر بن ساوى والى البحرين فلما أتاه العلاء بن الحضرمي يدعوه ومن معه بالبحرين الى الاسلام أو الجزية وكانت ولاية البحرين للفرس فاسلم المنذر بن ساوى واسلم جميع العرب بالبحرين فاما أهل البلاد من اليهود والنصارى والمجوس فانهم صالحوا العلاء والمنذر على الجزية من كل حالم دينار ولم يكن بالبحرين قتال انما بعضهم أسلم وبعضهم صالح وولى الحج في هذه السنة المشركون وفي هذه السنة ماتت أم رومان وهي أم عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم *(ودخلت سنة سبع)*

(ذكر غزوة خيبر)

لما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية اقام بالمدينة ذا الحجة وبعض المحرم وسار الى خيبر في ألف وار بعمائة رجل معهم مائتا فارس وكان مسيره الى خيبر في المحرم سنة سبع واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري فمضى حتى نزل بجيشه بالرجيع ليحول بين أهل خيبر وغطفان لانهم كانوا مظاهرين لهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصدت غطفان خيبر ليظاهروا يهود ثم خافوا المسلمين ان يخلفوهم في أهليهم وأموالهم فرجعوا ودخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهود فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال في مسيره لعامر بن الاكوع عم سلمة بن عمرو بن الاكوع احد لنا فنزل وحداهم يقول

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمك الله فقال له عمر هلا أمتعتنا به يا رسول الله وكان اذا قالها لرجل قتل فلما نازلوا خيبر بارز عامر فعاد عليه سيفه فجرحه جرحا شديدا فمات منه فقال الناس انه قتل نفسه فقال سلمة ابن أخيه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال كذبوا بل له أجره مرتين فلما أشرف عليها قال لاصحابه قفوا ثم قال اللهم رب السموات وما أظللن ورب الارضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها اقدموا بسم الله وكان يقول ذلك لكل قرية يقدمها ونزل على خيبر ليلا ولم يعلم أهلها فخرجوا عند الصباح الى عملهم بمساحيهم فلما رأوه عادوا وقالوا محمد والله محمد والخميس يعنون الجيش فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ثلاثا ثم حصرهم وضيق عليهم وبدأ بالاموال يأخذها مالا مالا ويفتحها حصنا حصنا فكان أول حصن افتتحه حصن ناعم وعنده قتل محمود بن سلمة ألقيت عليه رحى فقتلته ثم القموص حصن بني أبي الحقيق وأصاب منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا منهم صفية بنت حيي بن أخطب وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق فاصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه وفشت السبايا في المسلمين وأكلوا لحوم الحمر الانسية فنهاهم رسول الله صلى الله عليه

وسلم

انه بني بلخ الحسناء لما فيها من المياه والشجر والمروج وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقد ذكر خبر مقتله مع الترك وما كان منهم في حصاره وقد أخذ بثاره بعد قتله في كتب قدماء الفرس وقد ذكر كثير ممن عني بأخبار الفرس أن بختنصر مرزبان العراق والمغرب كان من قبل هذا الملك وهو الذي وطأ الشام وفتح بيت المقدس وسبى بني اسرائيل وكان من أمره بالشام والمغرب ما قد اشتهر والعامة تسميه البخت ناصر وأكثر الاخباريين والقصاص يقولون في أخباره ويبالغون في وصفه والمنجمون في زيجاتهم وأهل التواريخ في كتبهم يجعلونه ملكا وانما كان مرزبانا على ما وصفنا للملوك ممن ذكرنا وتفسير مرزبان يراد به صاحب ربع من المملكة وصاحب ناحية والها وقد كان حمل سبايا بني اسرائيل الى الشرق وتزوج منهن امرأة يقال لها دينارد فكانت سبب ردبني اسرائيل الى بيت المقدس وقيل ان دينارد أولدها لهراسب بن كشتاسب وقيل غير ذلك من الوجوه وان حناى من نسل بني

وسلم عنها وكان الزبير بن باطا القرظي قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث فاطلقه فلما كان الآن أتاه ثابت فقال له اتعرفني قال وهل يجهل مثلي مثلك قال أريد ان أجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان للزبير عندي يد أريد ان أجزيه بها فهبه لي فوهبه له فاتاه فقال له ان النبي صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك فهو لك قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فاستوهب ثابت أهله وولده من رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبهم له فقال الزبير أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فاستوهب ثابت ماله من رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبه له فمن عليه بالجميع فقال الزبير أي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صقيلة يتراءى فيها عذارى الحي كعب بن أسد قال قتل قال فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا كررنا عزال بن سموال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة قال ذهبوا قال فاني أسألك يا ثابت بيدي عندك الا ما الحقتني بهم فوالله ما في العيش بعدهم خير فقتله ثم افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم حصن الصعب وهو أكثرها طعاما وودكا ثم قصد حصنهم الوطيح والسلالم وكان آخر ما افتتح فخرج منه مرحب اليهودي وهو يقول

قد علمت خيبر اني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن احيانا وحينا أضرب * اذا الليوث أقبلت تلتهب
* كان حماي كالحمى لا يقرب *

وسأل المبارزة فخرج اليه محمد بن مسلمة وقال أنا والله الموتور الثائر قتلوا أخي بالامس فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بمبارزته وقال اللهم أعنه عليه فخرج اليه فتقاتلا طويلا ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة فضربه فاتقاه بالدرقة فوقع سيفه فيها فعضت عليه وأمسكت فضربه محمد بن مسلمة حتى قتله ثم خرج بعده أخوه ياسر وهو يقول

قد علمت خيبر اني ياسر * شاكي السلاح بطل مغاور

وطلب المبارزة فخرج اليه الزبير بن العوام فقتله الزبير وقيل ان الذي قتل مرحبا وأخذ الحصن علي بن أبي طالب وهو الاشهر والاصح قال بريدة الاسلمي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أخذته الشقيقة فيلبث اليوم واليومين لا يخرج فلما نزل خيبر أخذته فلم يخرج الى الناس فاخذ أبو بكر الراية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فاخذها عمر فقاتل قتالا شديدا أشد من القتال الاول ثم رجع فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أم والله لأعطينها غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة وليس ثم علي كان قد تخلف بالمدينة لرمد لحقه فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته هذه تطاولت لها قريش فاصبح فجاء علي على بعير له حتى اناخ قريبا من خباء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أرمد قد عصب عينيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك قال رمدت بعدك فقال له ادن مني فدنا منه فتفل في عينيه فما شكا وجعا حتى مضى لسبيله ثم أعطاه الراية فنهض بها وعليه حلة حمراء فاتى خيبر فاشرف عليه رجل من يهود فقال من أنت قال انا علي بن أبي طالب فقال اليهودي غلبتم يا معشر يهود وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر يماني قد نقبه مثل البيضة على رأسه وهو يقول

قد علمت خيبر اني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب

اسرائيل من أمها وقيل ان لهراسب قد كان أنفذ سنحاريب وكان خليفته على العراق الى حرب بني اسرائيل فلم يصنع شيأ فعقب بعده بالبخت نصر وقيل في البخت نصر غير ماذكرنا مما سنورده بعد هذا الموضع في ذكر ملوك بهمن بن اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب وقد أرخ بطليموس صاحب كتاب المجسطي تاريخ كتاب من عهد بخت نصر مرزبان المغرب وأرخ بابون صاحب كتاب القانون في النجوم من مملكة الاسكندر بن فليبش المقدوني (ثم ملك بعده زرادشت) بن استيمان وقيل انه زرادست بن بورسمت بن قيدارست بن اربكردشت بن هجندست ابن حجيس بن ماميرين أرحدس بن هزران بن استيمان بن داندست بن هايرم بن آرح بن دوسرين منوجهر الملك وكان من أهل اذربيجان والاشهر من نسبه انه زرادشت بن استيمان وهو نبي المجوس الذي أتاهم بالكتاب المعروف بالزمزمة عند عوام الناس واسمه عند المجوس نسياه وأتى زرادشت عندهم بالمعجزات الباهرات

فقال علي

انا الذي سمتن أمي حيدره * كليث غابات كريه المنظره
* أكيلهم بالسيف كيل السندره *

فاختلفا ضربتين فبدره علي فضربه فقدّ الجحفة والمغفر ورأسه حتى وقع في الارض وأخذ المدينة قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجنا مع علي حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر فلما دنا من الحصن خرج اليه أهله فقاتلهم فضربه يهودي فطرح ترسه من يده فتناول علي بابا كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله على يديه ثم ألقاه من يده فلقد رأيتني في نفر سبعة انا ثامنهم نجهد على ان نقلب ذلك الباب فما نقلبه وكان فتحها في صفر فلما فتحت خيبر جاء بلال بصفية وأخرى معها على قتلى يهود فلما رأتهم التي مع صفية صرخت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فاصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية وأبعد الاخرى وقال انها شيطانة لاجل فعلها وقال لبلال أنزعت منك الرحمة جئت بهما على قتلاهما وكانت صفية قد رأت في منامها وهي عروس لكنانة بن أبي الحقيق ان قمرا وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا الا أنك تتمنين محمدا ولطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها فاتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منه وسألها فاخبرته ودفع كنانة بن أبي الحقيق الى محمد بن مسلمة فقتله باخيه محمود وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حصني أهل خيبر الوطيح والسلالم فلما أيقنوا بالهلكة سألوه ان يسيرهم ويحقن دماءهم فاجابهم الى ذلك وكان قد حاز الاموال كلها الشق ونطاة والكتيبة وجميع حصونهم فلما سمع بذلك أهل فدك بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه ان يسيرهم ويخلون له الاموال ففعل ذلك ولما نزل أهل خيبر سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاملهم في الاموال على النصف وان يخرجهم اذا شاء فساقاهم على الاموال على الشرط الذي طلبوا وفعل مثل ذلك أهل فدك وكانت خيبر فيأ للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب ولما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية مسمومة فوضعتها بين يديه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فاكل بشر منها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه الشاة تخبرني انها مسمومة ثم دعا المرأة فاعترفت فقال ما حملك على ذلك قالت بلغت من قومي مالم يخف عليك فقلت ان كان نبيا فسيخبر وان كان ملكا استرحنا منه فتجاوز عنها ومات بشر من تلك الاكلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه هذا اوان وجدت انقطاع أبهري من أكلة خيبر فكان المسلمون يرون انه مات شهيدا مع كرامة النبوة ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف الى وادي القرى فحاصر أهله ليالي فافتتحه عنوة وفي حصاره قتل مدعم مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أهداه له رفاعة بن زيد الجذامي فقال المسلمون هنيئا له الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفس محمد بيده ان شملته الآن لتشتعل عليه نارا وكان غلها من فيء المسلمين يوم خيبر فسمعه رجل فقال أصبت شراكين لنعلين كنت أخذتهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقد لك مثلهما من النار وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل والارض في أيدي أهل الوادي وعاملهم نحو ما عامل أهل خيبر فبقوا كذلك الى ان ولي عمر الخلافة فاجلاهم وقيل انه لم يجلهم لانها خارجة عن الحجاز وفي هذه السفرة أعني خيبر نام رسول الله صلى

للمعقول وأخبر عن الكائنات من المغيبات قبل حدوثها من الكليات والجزئيات والكليات هي الاشياء العامة والجزئيات هي الاشياء الخاصة مثل زيد يموت يوم كذا ويمرض فلان في وقت كذا ويولد لفلان في وقت كذا واشباه ذلك ومعجم هذا الكتاب يدور على ستين حرفا من أحرف المعجم وليس في سائر اللغات أكثر حروفا من هذا ولهم خطب طويل قد أتينا على ذكره في كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وأتى زرادشت بكتابهم هذا بلغة يعجزون عن ايراد مثلها ولا يدركون كنه مرادها وسنذكر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب ما أتى به زرادشت وما جعل له من التفسير وتفسير التفسير وكتب هذا الكتاب في اثني عشر ألف مجلد بالذهب فيه وعد ووعيد وأمر ونهي وغير ذلك من الشرائع والعبادات فلم تزل الملوك تعمل بما في هذا الكتاب الى عهد الاسكندر وما كان من قتله لدارا بن دارا فاحرق الاسكندر بعض هذا الكتاب ثم صار الملك بعد الطوائف الى أردشير بن بابك فجمع

الله عليه وسلم عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس والقصة مشهورة وشهد معه نساء من نساء
المسلمين فرضخ لهن وفي هذه السفرة قال الحجاج بن علاط السلمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان
لي بمكة مالا عند صاحبتي أم شيبة ابنة أبي طلحة وهي أم ابنه معرض بن الحجاج ومال متفرق بمكة
فأذن لي يا رسول الله فأذن له فقال انه لا بد من ان أقول قال قل فقدم الحجاج مكة فسأله أهل مكة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنع بخيبر ولم يكونوا علموا باسلامه فقال لهم ان يهود هزمته
وأصحابه وقتل أصحابه قتلا ذريعا وأسر محمد وقالت يهود لن نقتله حتى نبعث به الى مكة فيقتلوه
فصاحوا بمكة بذلك فقال أعينوني في جمع مالي حتى أقدم خيبر فاصيب من فل محمد وأصحابه قبل
التجار فجمعوه كله كأحث شئ فأتاه العباس وسأله عن الخبر فأخبره بعد ان جمع ماله بفتح خيبر
وان النبي صلى الله عليه وسلم أخذ صفية بنت حيي لنفسه وانه قدم لجمع ماله وسأله ان يكتم عنه
ثلاثا خوف الطلب فكتم العباس الخبر ثلاثا بعد مسيره ثم لبس حلة له وخرج فطاف بالكعبة
فلما رآه قريش قالوا ايا أبا الفضل هذا والله التجلد قال كلا والله لقد افتتح محمد خيبر وأخذ ابنة
ملكهم وأموالهم وأخبرهم بخبر الحجاج فقالوا لو علمنا لكان له ولنا شأن وقسم من أموال خيبر
الشق ونطاة بين المسلمين وكانت الكتيبة خمس الله والرسول وسهم ذوي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل فطعم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وطعم رجال مشوا بين رسول الله
وأهل فدك وقسمت خيبر على أهل الحديبية فاعطى الفرس سهمين والرجل سهما وأقر النبي
صلى الله عليه وسلم أهل خيبر بخيبر وأبو بكر بعده وعمر صدرا من امارته حتى بلغه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال في مرضه الذي مات فيه لا يجتمع بجزيرة العرب دينان فاجلى عمر من يهود من لم
يكن معه عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم (سلام بن مشكم بتشديد اللام ومشكم بكسر الميم
وسكون الشين المعجمة والحقيق بضم الحاء المهملة وبقافين وأخطب بالخاء المعجمة وآخره باء
موحدة ومعرور بالعين المهملة وبعده راآن مهملتان وعلاط بكسر العين المهملة وطاء مهملة)

(ذكر فدك)

لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر بعث محيصة بن مسعود الى أهل فدك يدعوهم
الى الاسلام ورئيسهم يومئذ يوشع بن نون اليهودي فصالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
نصف الارض فقبل منهم ذلك وكان نصف فدك خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يوجف
المسلمون عليه بخيل ولا ركاب يصرف ما يأتيه منها على ابناء السبيل ولم يزل أهلها بها حتى
استخلف عمر بن الخطاب وأجلى يهود عن الحجاز فبعث أبا الهيثم بن التيهان وسهل بن أبي حثمة وزيد
ابن ثابت فقوموا نصف تربتها بقيمة عدل فدفعها الى يهود وأجلاهم الى الشام ولم يزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي يصنعون صنيع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته
فلما ولي معاوية الخلافة أقطعها مروان بن الحكم فوهبها مروان لابنيه عبد الملك وعبد العزيز ثم
صارت لعمر بن عبد العزيز وللوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فلما ولي الوليد الخلافة
وهب نصيبه عمر بن عبد العزيز ثم ولي سليمان الخلافة فوهب نصيبه منها أيضا عمر بن عبد العزيز
فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب الناس وأعلمهم أمر فدك وانه قد ردها الى ما كانت
عليه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي فوليها أولاد فاطمة بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذت منهم فلما كانت سنة عشر ومائتين ردها المأمون اليهم (محيصة
بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد الياء المثناة من تحت وكسرها وآخره صاد مهملة والتيهان

الفرس على قراءة سورة
منه يقال لها اسناد
فالفرس في هذا الوقت
لا يقرؤن غيرها من الكتاب
الاول نسياه ثم عمل
زرادشت تفسيرا عند عجزهم
عن فهمه وسموا التفسير
زيدا ثم عمل للتفسير
تفسيرا فسماه بازيد ثم عمل
علماؤهم بعد وفاة زرادشت
تفسيرا لتفسير التفسير
وشرحا لسائر ما ذكرنا وسموا
هذا التفسير بارده فالمجوس
الى هذا الوقت يعجزون
عن حفظ كتابهم المنزل
فصار علماؤهم وموابذتهم
يأخذون كثيرا من يحفظ
أسباعا من هذا الكتاب
وارباعا واثلاثا فيبتدئ كل
واحد بما حفظ من جزئه
فيتلوه ويبتدئ الثاني
منهم فيتلو جزأ آخر
والثالث كذلك الى أن
يأتي الجميع على قراءة سائر
الكتاب لعجز الواحد منهم
عن حفظه على الكمال
وقد كانوا يقولون ان رجلا
بسجستان بعد الثلاثمائة
سيظهر بحفظ هذا
الكتاب على الكمال وكان
ملك كشتاسب الى أن
تمجس ثم هلك عشرين ومائة
سنة وكانت مدة نبوة
زرادشت فيهم خمسة
وثلاثين سنة وهلك وهو
ابن سبع وسبعين سنة

بفتح التاء فوقها نقطتان وتشديد الياء تحتها نقطتان وكسرها) وفي هذه السنة رد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته زينب على أبي العاص بن الربيع زوجها في المحرم * وفيها قدم حاطب من عند المقوقس بمارية أم ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأختها شيرين وبغلته دلدل وحماره يعفور وكسوة فاسلمت مارية وأختها قبل قدومهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ مارية لنفسه ووهب شيرين حسان بن ثابت الانصاري فهي أم ابنه عبد الرحمن فهو وابراهيم ابنا خالة وفيها اتخذ منبره وقيل انه عمل سنة ثمان وهو الثبت * وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر ابن الخطاب في ثلاثين رجلا الى عجز هوازن فهربوا منه ولم يلق كيدا * وفيها كانت سرية بشير بن سعد والد النعمان بن بشير الانصاري الى بني مرة بفدك في شعبان في ثلاثين رجلا أصيب أصحابه وارتث في القتلى ثم رجع الى المدينة * وفيها كانت سرية غالب بن عبد الله الليثي الى أرض بني مرة فاصاب مرداس بن نهيك حليفا لهم من جهينة قتله أسامة ورجل من الانصار قال أسامة لما غشيناه قال أشهد أن لا اله الا الله فلم ننزع عنه حتى قتلناه فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبرناه الخبر فقال كيف تصنع بلا اله الا الله * وفيها كانت سرية غالب بن عبد الله أيضا في مائة وثلاثين راكبا الى بني عبد بن ثعلبة فأغار عليهم واستاق النعم الى المدينة * وفيها كانت سرية بشير ابن سعد الى اليمن والجناب في شوّال وكان سببها ان جبيل بن نويرة الاشجعي كان دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان جمعا من غطفان بالجناب قد أمدهم عيينة بن حصن وأمرهم بالمسير الى المدينة فبعث النبي صلى الله عليه وسلم بشيرا فاصابوا نعما وقتلوا مولى لعيينة ثم لقوا جمع عيينة فهزمهم المسلمون وانهزم عيينة فلقيه الحرث بن عوف منهزما فقال له قد آن لك ان تقصر عما مضى (حاطب بالحاء المهملة وآخره باء موحدة و بشير بفتح الباء الموحدة وكسر الشين المعجمة وآخره راء والد النعمان بن بشير عيينة بضم العين وفتح الياء المثناة تحتها نقطتان وسكون الياء الثانية و بعدها نون تصغير عين)

(ذكر عمرة القضاء)

لما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر أقام بالمدينة جمادين ورجبا وشعبان ورمضان وشوالا يبعث السرايا ثم خرج في ذي الحجة معتمرا عمرة القضاء وساق معه سبعين بدنة وخرج معه المسلمون ممن كان معه في عمرته الاولى فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في عسر وجهد فاصطفوا له عند دار الندوة فلما دخلها اضطبع بردائه فاخرج عضده اليمنى ثم قال رحم الله امرأ أراهم اليوم قوة ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه وكان بين يديه لما دخل مكة عبد الله بن رواحة آخذا بخطام ناقته وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله * خلوا فكل الخير في رسوله
يارب اني مؤمن بقيله * أعرف حق الله في قبوله
نحن قتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله

وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم في سفره هذا بميمونة بنت الحرث وأقام بمكة ثلاثا فارسل المشركون اليه مع علي بن أبي طالب ليخرج عنهم فقال ما عليهم لو اعرست بين أظهرهم وصنعنا لهم طعاما فحضروه معنا فقالوا لا حاجة لنا في طعامه فخرج عنهم وبنى بميمونة بسرف ثم انصرف الى المدينة فاقام بها بقية ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع وبعث جيشه الذي أصيب بمؤتة وولي تلك الحجة

المشركون

ولما هلك زرادشت (ولي مكانه جاماس العالم) وكان من أهل أذربيجان وهذا أول موبذ قام فيهم بعد زرادشت نصبه لهم كشتاسب الملك ثم ملك بعده بهمن بن اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب وكان له حروب كثيرة مع رستم صاحب سجستان الى أن قتل رستم ووالده دستان وقيل ان أم بهمن كانت من بني اسرائيل من ولد طالوت الملك وانه هو الذي بعث بالبختنصر مرزبان العراق الى بني اسرائيل فكان من أمرهم ما وصفنا وكان ملك بهمن الى أن هلك مائة واثنتي عشرة سنة وقيل انه في ملكه رد بقايا بني اسرائيل الى بيت المقدس فكان مقامهم ببابل الى أن رجعوا الى بيت المقدس سبعين سنة وذلك في أيام كورس الفارسي المملك على العراق من قبل بهمن وبهمن يومئذ ببلخ وقد قيل ان أم كورس كانت من بني اسرائيل وكان دانيال الاصغر خاله وكانت مدة ملك كورس ثلاثا وعشرين سنة وفي وجه آخر من الروايات أن كورس كان ملكا برأسه لا من قبل بهمن وذلك

المشركون * وفيها كانت غزوة ابن أبي العوجاء السلمي الى بني سليم فلقوه فأصيب هو وأصحابه وقيل بل نجا وأصيب أصحابه ﴿ودخلت سنة ثمان﴾ فيها توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله الواقدي * وفيها كانت سرية غالب بن عبد الله الليثي الكلبي الى كلب الليث الى بني الملوح فلقيه الحرث بن البرصاء الليثي فأخذه أسيرا فقال انما جئت لاسلم فقال له غالب ان كنت صادقا فلن يضرك رباط ليلة وان كنت كاذبا استوثقنا منك ووكل به بعض أصحابه وقال له ان نازعك فخذ رأسه وأمره بالمقام الى ان يعود ثم ساروا حتى أتوا بطن الكديد فنزلوا بعد العصر وارسلوا جندب بن مكيث الجهني ربيئة لهم قال فقصدت تلا هناك يطلعني على الحاضر فانبطحت عليه فخرج لي منهم رجل فرآني منبطحا فأخذ قوسه وسهمين فرماني بأحدهما فوضعه في جنبي قال فنزعته ولم اتحرك ثم رماني بالثاني فوضعه في رأس منكبي قال فنزعته ولم أتحرك قال أم والله لقد خالطه سهماي ولو كان ربيئة لتحرك قال فامهلناهم حتى راحت مواشيهم واحتلبوا وشننا عليهم الغارة فقتلنا منهم واستقنا منهم النعم ورجعنا سراعا وأتى الصريخ القوم فجاءنا ما لا قبل لنا به حتى اذا لم يكن بيننا الا بطن الوادي من قديد بعث الله من حيث شاء سحابا ما رأينا قبل ذلك مطرا مثله فجاء الوادي بما لا يقدر أحد يجوزه فلقد رأيتهم ينظرون الينا ما يقدر أحد يتقدم وقدمنا المدينة وكان شعار المسلمين امت امت وكان عدتهم بضعة عشر رجلا * وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي الى البحرين وبها المنذر بن ساوى فصالح المنذر على ان على المجوس الجزية ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم وقيل ان ارساله كان سنة ست من الهجرة مع الرسل الذين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملوك وقد تقدم ذلك * وفيها كانت سرية شجاع بن وهب الى بني عامر في ربيع الاول في أربعة عشر رجلا فاصابوا نعما فكان سهم كل رجل منهم خمسة عشر بعيرا * وفيها كانت سرية كعب بن عمير الغفاري الى ذات الاطلاح في خمسة عشر رجلا فوجدوا جمعا كثيرا فدعاهم الى الاسلام فابوا ان يجيبوا وقتلوا أصحاب كعب ونجا حتى قدم المدينة وذات الاطلاح من ناحية الشام وكان قضاعة ورئيسهم رجل يقال له سدوس

﴿ذكر اسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة﴾

في هذه السنة في صفر قدم عمرو بن العاص مسلما على النبي صلى الله عليه وسلم وقدم معه خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة العبدري وكان سبب اسلام عمرو أنه قال لما انصرفنا من الاحزاب قلت لاصحابي اني أرى أمر محمد يعلو علوا منكرا واني قد رأيت ان نلحق بالنجاشي فان ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي وان ظهر قومنا على محمد فنحن من قد عرفوا قالوا ان هذا الرأي قال فجمعنا له ادما كثيرا وخرجنا الى النجاشي فانا لعنده اذ وصل عمرو بن أمية الضمري رسولا من النبي صلى الله عليه وسلم في أمر جعفر وأصحابه قال فدخلت على النجاشي وطلبت منه أن يسلم الي عمرو بن أمية الضمري لاقتله تقربا الى قريش بمكة فلما سمع كلامي غضب وضرب انفه ضربة ظننت انه قد كسره يعني النجاشي فخفته ثم قلت والله لو ظننت انك تكره هذا ما سألتكه قال اتسألني ان أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله قال قلت أيها الملك اكذلك هو قال ويحك يا عمرو أطعني واتبعه فانه والله على الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون قال فقلت فبايعني له على الاسلام فبسط يده فبايعته ثم خرجت الى أصحابي وكتمتهم اسلامي وخرجت عائدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقيني خالد بن الوليد وذلك قبل

بعد انقضاء ملك بهمن وان كورش من ملوك الفرس الاولى وليس هذا عاما في كتب التواريخ القديمة ودانيال الاكبر كان بين نوح وابراهيم الخليل عليهما السلام وهو الذي استخرج العلم وما يحدث في الازمان الى أن تنقضي الارض ومن عليها وعلوم ملوك العالم وما يحدث في السنين والشهور من من الحوادث ودلائل ذلك في الافلاك ولما رجعت بنو اسرائيل الى بيت المقدس استخرجوا التوراة وغيرها من المواضع التي خبئت فيها من الارض على ما قدمنا (ثم ملكت حماي) بنت بهمن بن اسفنديار بن كشتاسب بن بهراسب وكانت تعرف بامها شهرزاد ولهذه الملكة سير وحروب مع الروم وغيرهم من ملوك الارض وكانت حسنة السياسة لاهل مملكتها وكان ملكها بعد أبيها بهمن ثلاثين سنة وقيل غير ذلك (ثم ملك بعدها أخ لها يقال له دارا) ابن بهمن بن اسفنديار وكان ملكه اثنتي عشرة سنة وكان ينزل ببابل (ثم ملك دارا) بن دارا بن بهمن بن اسفنديار بن

الفتح وهو مقبل فقلت أين يا أبا سليمان قال والله لقد استقام الميسم ان الرجل لنبي اذهب والله أسلم حتى متى فقلت ما جئت الا للاسلام فقدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم فتقدم خالد بن الوليد فاسلم ثم دنوت فاسلمت وتقدم عثمان بن طلحة فاسلم

﴿ذكر غزوة ذات السلاسل﴾

وفيها أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص الى أرض بلي وعذرة يدعو الناس الى الاسلام وكانت أمه من بلي فتألفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسار حتى اذا كان على ماء بارض جذام يقال له السلاسل وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل فلما كان به خاف فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الاولين فيهم أبو بكر وعمر وقال لابي عبيدة حين وجهه لا تختلفا فلما قدم عليه قال عمرو انما جئت مددا الي فقال له أبو عبيدة يا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تختلفا فان عصيتني أطعتك قال فانا أمير عليك قال فدونك فصلى عمرو بالناس * وفيها أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص الى جيفر وعياذ ابني الجلندي بعمان فآمنا وصدقا وأخذ الجزية من المجوس

﴿ذكر غزوة الخبط وغيرها﴾

وفيها كانت غزوة الخبط وأميرهم أبو عبيدة بن الجراح في ثلثمائة من المهاجرين والانصار وكانت في رجب وزودهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابا من تمر فكان أبو عبيدة يقبض لهم قبضة ثم تمرة تمرة فكان أحدهم يلوكها ويشرب عليها الماء فنفد ما في الجراب فاكلوا الخبط وجاعوا جوعا شديدا فنحر لهم قيس بن سعد بن عبادة تسع جزائر فاكلوها فنهاه أبو عبيدة فانتهى ثم ان البحر ألقى اليهم حوتا ميتا فاكلوا منه حتى شبعوا ونصب أبو عبيدة ضلعا من اضلاعه فيمر الراكب تحته فلما قدموا المدينة ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال كلوا رزقا أخرجه الله لكم وأكل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا صنيع قيس بن سعد فقال ان الجود من شيمة أهل ذلك البيت * وفيها كانت سرية وجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان أميرها أبو قتادة ومعه عبد الله بن أبي حدرد الاسلمي وكان سببها ان رفاعة بن قيس أو قيس بن رفاعة في بطن عظيم من جشم نزل بالغابة يجمع لحرب النبي صلى الله عليه وسلم فبعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا قتادة ومن معه ليأتوا منه بخبر فوصلوا قريبا من الحاضر مع غروب الشمس فكمن كل واحد منهم في ناحية وكانوا ثلاثة وقيل كانوا ستة عشر رجلا قال عبد الله بن أبي حدرد فكان لهم راع ابطأ عليهم فخرج رفاعة بن قيس في طلبه ومعه سلاحه فرميته بسهم في فؤاده فما تكلم قال فاخذت رأسه ثم شددت في ناحية العسكر وكبرت وكبر صاحباي فوالله ما كان الا النجاء فاخذوا نساءهم وأبناءهم وما خف عليهم واستقنا الابل الكثيرة والغنم فجئنا بها رسول الله وبرأسه معي فاعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الابل ثلاثة عشر بعيرا وكنت قد تزوجت وأخذت أهلي وعدل البعير بعشر من الغنم * وفيها أغزى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة أيضا الى اضم ومعه محلم بن جثامة الليثي قبل الفتح فلقيهم عامر بن الاضبط الاشجعي على بعير له ومعه متاعه فسلم عليهم بتحية الاسلام فامسكوا عنه وحمل عليه محلم بن جثامة لشئ كان بينهما فقتله وأخذ بعيره فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره الخبر فنزل يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الآية وقيل كانت هذه السرية حين خرج الى مكة في رمضان

(ذكر

كشتاسب بن بهراسب والفرس تسمي دارا هذا باللغة الاولى من لغاتهم دارا بنوس وهو الذي قتله الاسكندر بن فليبش المقدوني وكان ملكه الى أن قتل ثلاثين سنة وقد ذكر ان منوجهر حين انهزم من حرب فراسياب التركي سار الى جبل طبرستان فتحصن به ثم ثاب بعد ذلك ومعه خيل فحارب فراسياب التركي وقد وطئ العراق وغلب على الاقاليم فهرب الى أرض الترك (وان الملك صار بعد منوجهر الى آخرين) وقيل بل كانا شريكين في الملك متظافرين متعاونين على عمارة الارض وما خربه فراسياب أحدهما (بهماست) بن كيجهر بن دوزدف بن هوسست بن دايدسك بن دوس بن منوجهر والآخر (كرساسب) بن غمار بن طهماسب بن آسك بن آبرنس بن آدج بن دوس ابن منوجهر وكان كرساسب محاربا لفراسياب ومنازلا له والآخر وهو بهماست لازم بالعراق يعمر ما خربه فراسياب من الارض واحتفر النهرين المعروفين بالزابين

﴿ذكر غزوة مؤتة﴾

كان ينبغي ان تقدم هذه الغزوة على ما تقدم وانما أخرناها لتتصل الغزوات العظيمة فيتلو بعضها بعضا وكانت في جمادى الاولى من سنة ثمان واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم زيد بن حارثة وقال ان أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة فقال جعفر ما كنت أرهب ان تستعمل عليّ زيدا فقال امض فانك لا تدري أي ذلك خير فبكى الناس وقالوا هلا متعتنا بهم يا رسول الله فامسك وكان اذا قال فان أصيب فلان فالامير فلان أصيب كل من ذكره فتجهز الناس وهم ثلاثة آلاف وودعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس فلما ودع عبد الله بن رواحة بكى عبد الله فقال له الناس ما يبكيك فقال ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية وهي وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود فقال المسلمون صحبكم الله وردكم الينا سالمين فقال عبد الله

لكنني أسأل الرحمن مغفرة * وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة * بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقولوا اذا مروا على جدثي * يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

فلما ودعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاد قال عبد الله

خلف السلام على امرئ ودعته * في النخل خير مشيع وخليل

ثم ساروا حتى نزلوا معان فبلغهم ان هرقل سار اليهم في مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة من لخم وجذام وبلقين وبلي عليهم رجل من بلي يقال له مالك بن رافلة ونزلوا مآب من أرض البلقاء فاقام المسلمون بمعان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نخبره الخبر وننتظر أمره فشجعهم عبد الله بن رواحة على المضي وقال يا قوم والله ان التي تكرهون للتي خرجتم اياها تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هي الا احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة فقال الناس صدق والله وساروا ومعه زيد بن أرقم وكان يتيما في حجره وقد اردفه في مسيره ذلك على حقيبته وهو يقول

اذا ادنيتني وحملت رحلي * مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخلاك ذم * ولا أرجع الى أهلي ورائي
وجاء المسلمون وغادروني * بارض الشام مشهور الثواء
وردك كل ذي نسب قريب * من الرحمن منقطع الاخاء
هنالك لا أبالي طلع بعل * ولا نخل اسافلها رواء

فلما سمعها زيد بكى فخفقه بالدرة وقال ما عليك يا لكع يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبتي الرحل ثم ساروا فالتقتهم جموع الروم والعرب بقرية من البلقاء يقال لها مشارف وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها وكان على ميمنة المسلمين قطبة بن قتادة العذري وعلى ميسرتهم عباية بن مالك الانصاري فاقتتلوا قتالا شديدا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم ثم أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل وهو يقول

يا حبذا الجنة واقترابها * طيبة وباردا شرابها * والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابها * عليّ اذ لاقيتها ضرابها

فلما اشتد القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم قاتل القوم حتى قتل وكان جعفر أول من عقر

الصغير والكبير على حسب ما قدمنا من ذكرها في هذا الكتاب الخارجين من بلد أرمينية الصابين في دجلة الاكبر بين الموصل والحديثة والآخر ببلاد الصين وسماه باسمه وحفر بسواد العراق نهرا آخر وسماه بالزاب وجعل على هذا النهر بالعراق ثلاث طساسيم من الضياع والعمائر وأسماها الزوابي وما ذكرناه هو باق الى هذه الغاية وان ملكهما كانت ثلاث سنين وان كيخسرو ابن سياخوش بن كيكاوس ابن كتيفة بن كيقباد لما قتل جده ببلاد السن والران من بلاد أذربيجان وهو فراسياب بن سيمك بن تبت ابن ديشهر بن ترك وترك هذا جد سام والترك عند طائفة من الناس من ولد است بن ريب بن أطوج ابن افريدون وقد قدمنا وجها من الرواية في نسبه فيما سلف من هذا الكتاب سار كيخسرو في البلاد ووطئ الممالك وانتهى الى بلاد الصين فبنى هنالك مدينة عظيمة وسماها كنكدر وقد نزلها خلق من ملوك الصين كنزولهم انموي وغيرها من مدنهم وقد قيل ان كنكدر هي

فرسه في الاسلام فوجدوا به بضعا وثمانين بين رمية وضربة وطعنة فلما قتل أخذ الراية عبد الله بن رواحة ثم تقدم فتردد بعض التردد ثم قال يخاطب نفسه

أقسمت يا نفس لتنزلنه * طائعة أو لا لتكرهنه
ان أجلب الناس وشدوا الرنه * مالى أراك تكرهين الجنه
قد طالما قد كنت مطمئنه * هل أنت الا نطفة فى شنه

وقال أيضا

يا نفس ان لم تقتلى تموتى * هذا حمام الموت قد صليتى
وما تمنيت فقد أعطيتى * ان تفعلى فعلهما هديتى

ثم نزل عن فرسه وأتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال له شد بهذا صلبك فقد لقيت ما لقيت فأخذه فانتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة فى ناحية العسكر فقال لنفسه وأنت فى الدنيا ثم ألقاه وأخذ سيفه وتقدم فقاتل حتى قتل واشتد الامر على المسلمين وكلب عليهم العدو وقد كان قطبة بن قتادة قتل قبل ذلك مالك بن رافلة قائد المستعربة ثم ان الخبر جاء من السماء فى ساعته الى النبى صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر وأمر فنودى الصلاة جامعة فاجتمع الناس فقال ثار خبر ثلاثا عن جيشكم هذا الغازى انهم لقوا العدو فقتل زيد شهيدا فاستغفر له ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا فاستغفر له ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة وصمت حتى تغيرت وجوه الانصار وظنوا انه قد كان من عبد الله ما يكرهون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل القوم حتى قتل شهيدا ثم قال لقد رفعوا الى الجنة على سرر من ذهب فرأيت فى سرير ابن رواحة ازورارا عن سريرى صاحبيه فقلت عم هذا فقيل مضيا وتردد بعض التردد ثم مضى ولما قتل ابن رواحة أخذ الراية ثابت بن أرقم الانصارى وقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم فقالوا ارضينا بك فقال ما انا بفاعل فاصطلحوا على خالد بن الوليد فأخذ الراية ودافع القوم وانحاز واعنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد فعاد بالناس فمن يومئذ سمى خالد سيف الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بى جعفر البارحة فى نفر من الملائكة له جناحان مخضب القوادم بالدم قالت اسماء أتانى النبى صلى الله عليه وسلم وقد فرغت من اشتغالى وغسلت أولاد جعفر ودهنتهم فأخذهم وشمهم ودمعت عيناه فقلت يا رسول الله أبلغك عن جعفر شئ قال نعم أصيب هذا اليوم ثم عاد الى أهله فأمرهم ان يصنعوا لآل جعفر طعاما فهو أول ما عمل فى دين الاسلام قالت اسماء بنت عميس فقمت أصنع واجتمع الى النساء فلما رجع الجيش لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فأخذ عبد الله بن جعفر فحمله بين يديه فجعل الناس يحثون التراب على الجيش ويقولون يا فرار يا فرار ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار ان شاء الله تعالى

﴿ذكر فتح مكة﴾

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة مونة جمادى الآخرة ورجبا ثم ان بنى بكر بن عبد مناة عدت على خزاعة وهم على ماء لهم باسفل مكة يقال له الوتير وكانت خزاعة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكر فى عهد قريش فى صلح الحديبية وكان سبب ذلك ان رجلا من بنى الحضرمى اسمه مالك بن عباد كان حليفا للاسود بن رزن الديلى ثم البكرى فى الجاهلية خرج تاجرا فلما كان بأرض خزاعة قتلوه وأخذوا ماله فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه فعدت خزاعة على بنى الاسود بن رزن وهم سلمى وكلثوم وذؤيب فقتلوهم بعرفة وكانوا من اشراف بنى بكر فبينما خزاعة

الغوى بعينها وقد قيل ان كيكاووس بنى مدينة قشمير المقدم ذكرها بأرض السندوان سياخوش بنى فى حياة ابيه كيكاووس مدينة القندهار من أرض السند المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب (قال المسعودى) وان ذكرنا من هؤلاء الملوك أخبارا وسيرا قد أتينا على شرحها فيما سلف من كتبنا وانما نذكر فى هذا الكتاب جوامع نبنى بها على ما سلف من مبسوطها وما نذكره من الوجوه فلاختلاف الروايات وتباين الناس فى المصنفات من كتبهم فيما ذكرناه من أخبارهم ليعلم من قرأ كتابنا هذا أنا قد بذلنا المجهود من أنفسنا وذكرنا سائر ما قالوه فيما وصفناه وبالله التوفيق ومنه الاعانة

﴿ذكر ملوك الطوائف﴾

وهم بين الفرس الاولى والثانية (قال المسعودى) وقد تنازع الناس فى ملوك الطوائف أمن الفرس كانوا أم من النبيط أم من العرب فحكى جماعة من الاخباريين ممن عنى باخبار الماضين انه لما قتل الاسكندر بن فليبش دارا ابن دارا غلب كل رئيس ناحية على ناحيته وكاتبهم

وبكر على ذلك جاء الاسلام واشتغل الناس به فلما كان صلح الحديبية ودخلت خزاعة فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ودخلت بكر فى عهد قريش فاغتنمت بكر تلك الهدنة وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأرهم بقتل بنى الاسود فخرج نوفل بن معاوية الديلى عن تبعه من بكر حتى بيت خزاعة على ماء الوتير وقيل كان سبب ذلك ان رجلا من خزاعة سمع رجلا من بكر ينشد هجاء النبى صلى الله عليه وسلم فشجه فهاج الشر بينهم وثارت بكر بخزاعة حتى بيتوهم بالوتير وأعانت قريش بنى بكر على خزاعة بسلاح ودواب وقاتل معهم جماعة من قريش مختفين منهم صفوان بن أمية وعكرمة ابن أبى جهل وسهل بن عمرو فانحازت خزاعة الى الحرم وقتل منهم نفر فلما دخلت خزاعة الحرم قالت بكر يانوفل انا قد دخلنا الحرم الهك الهك فقال لا اله له اليوم يابنى بكر أصيبوا ثأركم فلعمرى انكم لتسرقون فى الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه فلما انقضت بكر وقريش العهد الذى بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم خرج عمرو بن سالم الخزاعى ثم الكعبى حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوقف عليه ثم قال

يارب انى ناشد محمدا * حلف ابينا وأبيه الاتلدا * فوالدا كنا وكنت ولدا
ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا * فانصر رسول الله نصرا أعتدا * وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا * أبيض مثل البدر تنمى صعدا * ان سيم خسفا وجهه تربدا
فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا * ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا الى فى كداء رصدا * وزعموا أن لست أدعو أحدا * وهم أذل واقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نصرت ياعمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان من السماء فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب وكان بين عبد المطلب وخزاعة حلف قديم فلهذا قال عمرو بن سالم حلف أبينا وأبيه الاتلدا ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم فنادوه وهو يغتسل فقال يالبيكم وخرج اليهم فأخبروه الخبر ثم انصرفوا راجعين الى مكة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال كانكم بأبى سفيان قد جاء ليجدد العهد خوفا ويزيد فى المدة ومضى بديل فلقى أبا سفيان بعسفان يريد النبى صلى الله عليه وسلم ليجدد العهد خوفا منه فقال لبديل من أين أقبلت قال من خزاعة فى الساحل وبطن هذا الوادى قال وما أتيت محمدا قال لا فقال أبو سفيان لاصحابه انظروا بعر ناقته فان جاء المدينة لقد علف النوى فنظروا بعر الناقة فرأوا فيه النوى ثم خرج أبو سفيان حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فدخل على ابنته أم حبيبة زوج النبى فلما أراد أن يجلس على فراش رسول الله طوته عنه فقال أرغبت به عنى أم بى عنه فقالت هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت مشرك نجس فلم أحب ان تجلس عليه فقال لقد أصابك بعدى شر فقالت بل هدانى الله للاسلام ثم خرج حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيأ ثم أتى أبا بكر فكلمه ليكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل ثم أتى عمر فكلمه فقال انا أشفع لكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به ثم خرج حتى أتى عليا وعنده فاطمة والحسن غلام فكلمه فى ذلك فقال له والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر لا نستطيع أن نكلمه فيه فقال لفاطمة يابنت محمد هل لك أن تامرى ابنك هذا ان يجير بين الناس فيكون سيد العرب فقالت ما بلغ ابنى ان يجير بين الناس وما يجير على رسول الله أحد فالتفت الى على فقال له

الاسكندر فهم فرس ونبيط عرب وكان مراد الاسكندر من ذلك تشتيت كلمتهم وتحزبهم وغلبة كل رئيس منهم على الصقع الذى هو به فينعدم نظام الملك والانقياد الى ملك واحد يجمع كلمتهم الا أن أكثرهم كانوا ينقادون الى الاشغانيين وهم ملوك الجبال من بلاد الدينور ونهاوند وهمذان وماسبذان وأذربيجان وكان كل ملك منهم يلى هذا الصقع يسمى بالاسم الاعم اشغان فقيل لسائر ملوك الطوائف الاشغانيون اضافة لهم الى ملك هذا الصقع لانقيادهم اليه وقد حكى محمد بن هشام الكلبى عن أبيه وغيره من علماء العرب انهم قالوا أول ملوك الدنيا الكينان وهم من سميناهم ملوك من سلف من الفرس الاولى الى دارا ابن دارا ثم الاردوان وهم ملوك النبط وكانوا من ملوك الطوائف وكانوا بأرض العراق مما يلى قصر ابن هبيرة وسقى الفرات والجامعين وسورا وأحمد آباد والنرس الى جبلا وتل فاخر والطفوف وسائر ذلك الصقع وكانت ملوك العرب من مضر بن نزار ابن معد وربيعة بن نزار وانمار بن نزار والنضرية

أرى الامور قد اشتدت علي فاجرني قال انت سيد كنانة فقم فأجر بين الناس والحق بأرضك فقام أبو سفيان في المسجد فقال أيها الناس قد أجرت بين الناس ثم ركب وقدم مكة وأخبر قريشا ماجرى له وما أشار به علي عليه فقالوا له والله مازاد على ان يسخر بك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تجهز وأمر الناس بالتجهز الى مكة وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها فكتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا الى قريش يعلمهم الخبر وسيره مع امرأة من مزينة اسمها كنود وقيل مع سارة مولاة لبني المطلب تعلمهم الخبر وسيره معها فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والزبير فادركاها وأخذا منها الكتاب وجاآبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحضر حاطبا وقال له ماحملك على هذا فقال والله اني مؤمن مابدلت ولا غيرت ولكن لي بين أظهرهم أهل وولد وليس لي عشيرة فصانعتهم عليهم فقال عمر دعني أضرب عنقه فانه قد نافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومايدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم وأنزل الله ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء الى آخر الآية ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على المدينة ابارهم كلثوم بن حصين الغفاري وخرج لعشر مضين من رمضان وفتح مكة لعشر بقين منه فصام حتى بلغ مابين عسفان وأمج فافطروا واستوعب معه المهاجرون والانصار فسبعت سليم وألفت مزينة وفي كل القبائل عدد وأدركه عيينة بن حصن الفزاري والاقرع بن حابس ولقيه العباس بن عبد المطلب بالجحفة وقيل بذي الحليفة مهاجرا فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرسل رحله الى المدينة ويعود معه وقال له أنت آخر المهاجرين وانا آخر الانبياء ولقيه أيضا مخرمة بن نوفل وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بنقب العقاب فالتمسا الدخول على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته أم سلمة فيهما وقالت له ابن عمك وابن عمتك قال لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي وأما ابن عمتي فهو الذي قال بمكة ما قال فلما سمعا ذلك وكان مع أبي سفيان ابن له اسمه جعفر قال والله ليأذنن لي أو لآخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبن في الارض حتى نموت عطشا وجوعا فرق لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فادخلهما اليه فاسلما وقيل ان عليا قال لابي سفيان بن الحرث ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ماقال اخوة يوسف ليوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه لا يرضى أن يكون احد أحسن منه فعلا ولا قولا ففعل ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وقربهما فاسلما وأنشده أبو سفيان قوله في اسلامه واعتذارا عما مضى

لعمرك اني يوم أحمل راية * لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله * فهذا أواني حين اهدى وأهتدي
وهادهداني غير نفسي ونالني * مع الله من طردته كل مطرد

الابيات فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال انت طردتني كل مطرد وقيل ان أبا سفيان لم يرفع رأسه الى النبي صلى الله عليه وسلم حياء منه وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران في عشرة آلاف فارس من بني غفار اربعمائة ومن مزينة ألف وثلاثة نفر ومن بني سليم سبعمائة ومن جهينة ألف وأربعمائة وسائرهم من قريش والانصار وحلفائهم وطوائف من العرب من تميم وأسد وقيس فلما نزل مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب ياهلاك قريش والله لئن بغتها رسول الله صلى الله عليه وسلم في بلادها فدخل عنوة انه لهلاك

قريش

من بني نصر من اليمن وغيرهم من قحطان لهم ملوك وقد نصبت كل طائفة لها ملكا لعدم ملك يجمع كلهم وذلك ان الاسكندر أشار عليه معلمه وهو ارسطاطاليس في بعض رسائله اليه بذلك وكاتب الاسكندر ملك كل ناحية وملكه على ناحيته وتوجه وحياه فاستبد كل واحد منهم بناحية فصار ملكه من بعده في عقبه ممانعا عما في يده وطالبا للازدياد من غيره وكان ملك الطوائف عند كثير من الناس ممن عني باخبار الماضين ومعرفة سنيهم خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة وذلك من ملك الاسكندر الى أن ظهر اردشير بن بابك بن ساسان فغلب على ملوك الطوائف وقتل اردوان الملك بالعراق ووضع تاج أردوان على رأسه وكان قد قتله مبارزة على شاطئ دجلة فهذا أول يوم بعد منه ملك أردشير لاستيلائه على سائر ملوك الطوائف وتمهدت له البلاد واستقامت دعائم ملكه فمن ملوك الطوائف من قتله أردشير بن بابك ومنهم من قاده الى ملكه وأجاب دعوته وملوك الطوائف بين الفرس الاولى ممن سمينا وبين

قريش الى آخر الدهر فجلس على بغلة النبي صلى الله عليه وسلم وقال أخرج لعلي أرى حطابا أو رجلا
يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتونه ويستأمنونه قال فخرجت أطوف
في الاراك اذ سمعت صوت أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الخزاعي قد خرجوا
يتجسسون فقال أبو سفيان ما رأيت نيرانا أكثر من هذه فقال بديل هذه نيران خزاعة فقال أبو
سفيان خزاعة اذل من ذلك فقلت يا أبا حنظلة يعني أبا سفيان كان يكنى بذلك فقال أبو الفضل
قلت نعم قال لبيك فداك أبي وأمي ما وراءك فقلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين
أتاكم في عشرة آلاف قال ما تأمرني قلت تركب معي فاستأمن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوالله ان ظفر بك ليضربن عنقك فردفني فخرجت اركض به نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكلما مررت بنار من نيران المسلمين يقولون عم رسول الله على بغلة رسول الله حتى مررنا بنار عمر
ابن الخطاب فقال أبو سفيان الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم اشتد نحو النبي صلى الله
عليه وسلم وركضت البغلة فسبقت عمر ودخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره وقال
دعني أضرب عنقه فقلت يا رسول الله اني قد أجرته ثم أخذت برأس رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقلت لا يناجيه أحد دوني فلما أكثر فيه عمر قلت مهلا يا عمر ما تصنع هذا الا انه من بني عبد مناف
ولو كان من بني عدي ما قلت هذه المقالة فقال مهلا يا عباس فوالله اسلامك يوم أسلمت كان أحب
الي من اسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمناه حتى تغدو علي به بالغداة
فرجعت به الى منزلي وغدوت به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان
ألم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله قال بلى بأبي انت وأمي يا رسول الله لو كان مع الله غيره لقد أغنى
شيأ فقال ويحك ألم يأن لك اني رسول الله فقال بابي انت وأمي أما هذه ففي النفس منها شيء قال
العباس فقلت له ويحك اشهد شهادة الحق قبل أن تضرب عنقك قال فتشهد وأسلم معه حكيم بن
حزام وبديل بن ورقاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس اذهب فاحبس أبا سفيان عند
خطم الجبل بمضيق الوادي حتى تمر عليه جنود الله فقلت يا رسول الله انه يحب الفخر فاجعل له شيأ
يكون في قومه فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ومن
دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن قال فخرجت به فحبسته عند خطم الجبل فمرت عليه
القبائل فيقول من هؤلاء فاقول أسلم فيقول مالي ولاسلم ويقول من هؤلاء فاقول جهينة فيقول
مالي ولجهينة حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء مع المهاجرين والانصار
لا يرى منهم الا الحدق فقال من هؤلاء فقلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين
والانصار فقال لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيم . فقلت ويحك انه النبوة فقال نعم اذن فقلت الحق
بقومك سريعا فحذرهم فخرج حتى أتى مكة ومعه حكيم بن حزام فصرخ في المسجد يا معشر قريش
هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به فقالوا فما قال قال من دخل داري فهو آمن ومن دخل المسجد
فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ثم قال يا معشر قريش اسلموا تسلموا فاقبلت امرأته هند فاخذت
بلحيته وقالت يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الاحمق فقال ارسلي لحيتي واقسم لئن لم تسلمي انت
لتضربن عنقك ادخلي بيتك فتركته وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثرهما الزبير وأمره
ان يدخل ببعض الناس من كداء وكان على الجنبة اليسرى وأمر سعد بن عبادة ان يدخل ببعض
الناس من كدى فقال سعد حين وجهه اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فسمعها رجل من
المهاجرين فاعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعلي بن أبي طالب ادركه فخذ الراية منه وكن أنت

الفرس الثانية وهي الساسانية وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي عن عمر كسرى في كتاب له في أخبار الفرس يصف فيه طبقات ملوكهم ممن سلف وخلف وأخبارهم وخطبهم وتشعب أنسابهم وما بنوه من المدن وكوروه من الكور واحتفروه من الانهار وأهل البيوتات منهم وما وسم به كل فريق منهم من الشهارجة وغيرهم أن أول من ملك من ملوك الطوائف (أسك) بن أسك بن أردان ابن أشغان بن أغر الجبار بن ساوس بن كيكاووس الملك عشرين سنة ثم ملك بعد أسك (سابور) بن أسك ستين سنة وفي احدى وأربعين من مملكته كان ظهور السيد المسيح عليه السلام ببلاد فلسطين بايليا ثم ملك (حود) بن ابراهيم بن ادراو بن أشغان عشر سنين ثم ملك (نيرو) بن سابور الملك بن أسك الملك احدى وعشرين سنة وقيل انه في أيامه سار نطوس بن اشغانوس ملك رومية الى ايليا وذلك بعد ارتفاع المسيح باربعين سنة فقتل وأسر وسبى وخرب ثم ملك بعد نيرو بن سابور (ابنه جودر)

الذى تدخل بها وأمر خالد بن الوليد ان يدخل من أسفل مكة من الليط فى بعض الناس وكان معه أسلم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من العرب وهو أوّل يوم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذى طوى وقف على راحلته وهو معتجر بشقة برد حبرة أحمر وقد وضع رأسه تواضعا لله تعالى حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى ان أسفل لحيته لتمس واسطة الرحل ثم تقدم ودخل من أذاخر بأعلاها وضربت قبته هنالك وكان عكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو قد جمعوا اناسا بالخندمة ليقاتلوا ومعهم الاحابيش وبنو بكر وبنو الحرث بن عبد مناة فلقيهم خالد بن الوليد فقاتلهم فقتل من المسلمين جابر بن جبيل الفهرى وحبيش بن خالد وهو الاشعر الكعبى ومسلمة بن الميلاء وقتل من المشركين ثلاثة عشر رجلا ثم انهزم المشركون وكان مع عكرمة جماش بن قيس وكان قد قال لامرأته لا تبينك بخادم من أصحاب محمد فلما عاد اليها منهزما قالت له تستهزئ به أين الخادم فقال

انك لو شهدت يوم الخندمه * اذ فر صفوان وفر عكرمه

وأبو يزيد قائم كالمؤتمه * واستقبلتهم بالسيوف المسلمه

يقطعن كل ساعد وجمجمه * ضربا فلا تسمع الا غمغمه

لهم نهيت خلفنا وهمهمه * لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه

أبو يزيد هذا هو سهيل بن عمرو وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى أمرائه ان لا يقتلوا أحدا الا من قاتلهم فلما انهزم المشركون وأراد المسلمون دخول مكة قام فى وجوههم نساء مشركات يلطمن وجوه الخيل بالخمر وقد نشرن شعورهن فرآهن رسول الله صلى الله عليه وسلم والى جنبه أبو بكر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أبا بكر كيف قال حسان فانشده

تكاد جيادنا مستمطرات * يلطمهن بالخمر النساء

(وكان رسول الله) صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل ثمانية رجال وأربع نسوة * فاما الرجال فنهم عكرمة بن أبى جهل كان يشبه اباه فى ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعداوته والانفاق على محاربته فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة خافه على نفسه فهرب الى اليمن واسلمت امرأته ام حكيم بنت الحرث بن هشام فاستأمنت له وخرجت فى طلبه ومعها غلام لها رومى فراودها عن نفسها فاطمعته ولم تمكنه حتى أتت حيا من العرب فاستعانتهم عليه فأوثقوه وادركت عكرمة وهو يريد ركوب البحر فقالت جئتك من عند أوصل الناس واحلمهم وأكرمهم وقد امنك فرجع واخبرته خبر الرومى فقتله قبل أن يسلم فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سر به فأسلم وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر له فاستغفر ومنهم صفوان بن امية بن خلف وكان أيضا شديدا على النبى صلى الله عليه وسلم فهرب خوفا منه الى جدة فقال عمير بن وهب الجمحى يا رسول الله ان صفوان سيد قومى وقد خرج هاربا منك فامنه قال هو آمن وأعطاه عمامته التى دخل بها مكة ليعرف بها امانه فخرج بها عمير فادركه بجدة فأعلمه بامانه وقال انه أحلم الناس واوصلهم وانه ابن عمك وعزه عزك وشرفه شرفك قال انى أخافه على نفسى قال هو أحلم من ذلك فرجع صفوان وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا يزعم انك امنتنى قال صدق قال اجعلنى بالخيار شهرين قال أنت فيه أربعة أشهر فأقام معه كافرا وشهد معه حنينا والطائف ثم أسلم وحسن اسلامه وتوفى بمكة عند خروج الناس الى البصرة ليوم الجمل ومنهم عبد الله بن سعد بن أبى سرح من بنى عامر بن لؤى وكان قد أسلم وكتب الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا أملى عليه عزيز حكيم

ابن نبرو تسع عشرة سنة ثم ملك بعده أخوه (هرمز) ابن نبرو عشرين سنة ثم ملك (أردوان) بن هردوان أربعين سنة ثم ملك بعده (كسرى) ابن ايلاووس ابن كسرى اربعا وعشرين سنة ثم ملك بعده (ايلاووس) بن اردوان ابن ايلاووس ثلاث عشرة سنة (قال المسعودى) فهذا وجه آخر غير ما قدمنا وقد قيل فى تاريخ سنى ملوك الطوائف غير ما وصفنا وان مدتهم كانت أقل مما وصفنا والاول اشهر واصح فى مقدار ما ملكوا من السنين مع تباين التواريخ وتضاد ما فيها غير أن الذى حكيناه هو ما أخذناه عن علماء الفرس وهم يراعون من تواريخ من سلف ما لا يراعيه غيرهم لان الفرس تدين بما وصفنا قولا وعملا وغيرهم من الناس يقول ذلك ولا ينقاد اليه عملا لتباين أهل الشرائع وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على الغرر من أخبار الطوائف وسيرهم وبالله التوفيق

(ذكر انساب فارس وما قاله الناس فى ذلك)

تنازع الناس فى الفرس وانسابهم فمنهم من رأى أن فارس بن ناسور بن

بكتب عليم حكيم وأشباه ذلك ثم ارتد وقال لقريش انى كنت أصرّف محمدا فى قرآنه حيث شئت ودينكم خير من دينه فلما كان يوم الفتح فر الى عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه عثمان حتى اطمأن الناس ثم أحضره عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب له الامان فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا ثم أمنه فأسلم وعاد فلما انصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه لقد صمت ليقتله أحدكم فقالوا هلا أومأت الينا فقال ما كان للنبى ان يقتل بالاشارة ان الانبياء لا يكون لهم خائنة الاعين ومنهم عبد الله بن خطل وكان قد أسلم فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا ومعه رجل من الانصار وغلام له رومى قد أسلم فكان الرومى يخدمه ويصنع الطعام فنسى يوما ان يصنع له طعاما فقتله وارتد وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله سعيد بن حريث المخزومى أخو عمرو بن حريث وأبو برزة الاسلمى ومنهم الحويرث بن نقيد بن وهب بن عبد بن قصى وكان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وينشد الهجاء فيه فلما كان يوم الفتح هرب من بيته فلقيه على بن أبى طالب فقتله ومنهم مقيس بن صبابة وانما أمر بقتله لانه قتل الانصارى الذى قتل أخاه هشاما خطأ وارتد فلما انهزم أهل مكة يوم الفتح اختفى بمكان هو وجماعة وشربوا الخمر فعلم به غيلة بن عبد الله الكلبى فأتاه فضربه بالسيف حتى قتله ومنهم عبد الله بن الزبعرى السهمى وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ويعظم القول فيه فهرب يوم الفتح هو وهبيرة بن أبى وهب المخزومى زوج أم هانئ بنت أبى طالب الى نجران فاما هبيرة فأقام بها مشركا حتى هلك وأما ابن الزبعرى فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتذر فقبل عذره فقال حين أسلم

يارسول المليك ان لسانى * راتق ما فتقت اذ أنا بور
اذ أبارى الشيطان فى سنن الغى ومن مال ميله مثبور
آمن اللحم والعظام بربى * ثم نفسى الشهيد أنت النذير

فى اشعار له كثيرة يعتذر فيها ومنهم وحشى بن حرب قاتل حمزة فهرب يوم الفتح الى الطائف ثم قدم فى وفد أهله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم أوحشى قال نعم قال اخبرنى كيف قتلت عمى فاخبره فبكى وقال غيب وجهك عنى وهو أول من جلد فى الخمر وأول من لبس المعصفر المصقول فى الشام وهرب حويطب بن عبد العزى فرآه أبوذر فى حائط فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بمكانه فقال أوليس قد أمنا الناس الا من قد أمرنا بقتله فاخبره بذلك فجاء الى النبى فأسلم قيل انه دخل يوما على مروان بن الحكم وهو على المدينة فقال له مروان يا شيخ تأخر اسلامك فقال لقد هممت به غير مرة فكان يصدنى عنه أبوك * وأما النساء فمنهن هند بنت عتبة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتلها لما فعلت بحمزة ولما كانت تؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فجاءت اليه مع النساء متخفية فاسلمت وكسرت كل صنم فى بيتها وقالت لقد كنا منكم فى غرور وأهدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جديين واعتذرت من قلة ولادة غنمها فدعا لها بالبركة فى غنمها فكثرت فكانت تهب وتقول هذا من بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالحمد لله الذى هدانا للاسلام ومنهن سارة وهى مولاة عمرو بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وهى التى حملت كتاب حاطب بن أبى بلتعة فى قول بعضهم وكانت قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمة فوصلها فعادت الى مكة مرتدة فأمر بقتلها فقتلها على بن أبى طالب ومنهن قينتا عبد الله بن خطل وكانتا

سام بن نوح وكذلك النبط ولد نبيط بن ناسور بن سام ابن نوح وهذا قول هشام ابن محمد فيما حكاه عن أبيه وغيره من علماء العرب ففارس ونبيط أخوان ابنا ناسور ومنهم من زعم انه من ولد يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل صلوات الله عليهم ومنهم من ذكر أنه من ولد ارم بن ارفخشذ بن سام ابن نوح وانه ولد بضع عشرة رجلا كلهم كان فارسا شجاعا فسموا الفرس بالفروسية وفى ذلك يقول حطان بن المعلى الفارسى

وبنا سمى الفوارس فرسا * نا ومنا مناجب الفرسان
وكهول طواهم الركض والكر * كمثل الكرات يوم الطعان

وقد زعم قوم ان الفرس من ولد لوط من ابنته وهى دعوى ولاصحاب التواريخ فى هذا خبر طويل وذكر آخرون انهم ولد بوان بن الاسود بن سام بن نوح وبوان هذا هو الذى ينسب اليه شعب بوان من بلاد فارس وهو أحد المواضع المشهورة فى العالم بالحسن وكثيرة الاشجار وتدفق المياه وكثرة أنواع الاشجار وقد ذكره بعض الشعراء فقال

شعيب بوان فدار الراهب * فثم تلقى راحة النوائب

تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتلهما فقتلت احداهما واسمها قريبة وفرتنى الاخرى وتنكرت وجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت وبقيت الى خلافة عمر بن الخطاب فأوطأها رجل فرسه خطأ فماتت وقيل بقيت الى خلافة عثمان فكسر رجل ضلعا من اضلاعها خطأ فماتت فاغرمه عثمان ديتها ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كانت عليه عمامة سوداء فوقف على باب الكعبة وقال لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ألا كل دم أو مأثرة أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية ثم قال يا معشر قريش ما ترون انى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فعفا عنهم وكان الله قد أمكنه منهم وكانوا له فيأ فلذلك سمى أهل مكة الطلقاء وطاف بالكعبة سبعا ودخلها وصلى فيها ورأى فيها صور الانبياء فأمر بها فمحيت وكان على الكعبة ثلثمائة وستون صنما وكان بيده قضيب فكان يشير به الى الاصنام وهو يقرأ جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فلا يشير الى صنم منها الا سقط لوجهه وقيل بل أمر بها فأخرجت وكسرت ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم للبيعة على الصفا وعمر بن الخطاب تحته واجتمع الناس لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا فكانت هذه بيعة الرجال واما بيعة النساء فانه لما فرغ من الرجال بايع النساء فاتاه منهن نساء من نساء قريش منهن أم هانئ بنت أبي طالب وأم حبيبة بنت العاص ابن أمية وكانت عند عمرو بن عبدود العامري وأروى بنت أبي العيص عمة عتاب بن أسيد وأختها عاتكة بنت أبي العيص وكانت عند المطلب بن أبي وداعة السهمي وآمنة بنت عفان بن أبي العاص أخت عثمان وكانت عند سعد حليف بني مخزوم وهند بنت عتبة وكانت عند أبي سفيان وبسيرة بنت صفوان بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى وأم حكيم بنت الحرث بن هشام وكانت عند عكرمة بن أبي جهل وفاختة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد وكانت عند صفوان بن أمية بن خلف وريطة بنت الحجاج وكانت عند عمرو بن العاص في غيرهن وكانت هند متنكرة لصنيعها بحمزة فهي تخاف ان تؤخذ به وقال لهن تبايعنني على أن لا تشركن بالله شيأ قالت هند انك والله لتأخذ علينا مالا تأخذه على الرجال فسنؤتيكه قال ولا تسرقن قالت والله ان كنت لاصبت من مال أبي سفيان الهنة والهنة فقال سفيان وكان حاضرا أما ما مضى فانت منه في حل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهند قالت أنا هند فاعف عما سلف عفا الله عنك قال ولا تزنين قالت وهل تزني الحرة قال ولا تقتلن أولادكن قالت ربيناهم صغارا وقتلتهم يوم بدر كبارا فانت وهم أعلم فضحك عمر قال ولا تأتين ببهتان تفترينه بين ايديكن وارجلكن قالت والله ان اتيان البهتان لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق قال ولا تعصينني في معروف قالت ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد ان نعصيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بايعهن واستغفر لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمس النساء ولا يصافح امرأة ولا تمسه امرأة الا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم ولما جاء وقت الظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا ان يؤذن على ظهر الكعبة وقريش فوق الجبال فمنهم من يطلب الامان ومنهم من قد أمن فلما اذن وقال اشهد ان محمدا رسول الله قالت جويرية بنت أبي جهل لقد أكرم الله أبي حين لم يشهد نهيق بلال فوق الكعبة وقيل انها قالت لقد رفع الله ذكر محمد واما نحن فسنصلي ولكنا لا نحب من قتل الاحبة وقال خالد بن أسيد اخو عثمان بن اسيد لقد اكرم الله ابي فلم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام ليتني مت قبل هذا اليوم وقال جماعة

ومنهم من رأى أن الفرس من ولد ايران بن أفريدون وقد قدمنا في صدر هذا الكتاب أخبار ولد أفريدون حين قسم الارض بينهم وما قاله الشاعر في ذلك من قوله

ولايران جعلنا عنوة
فارس الروم وفزنا بالنعم

فأضيف الفرس الى ذلك وايران تسميه الفرس ايراج اذا عربوا اسمه ولا تناكر بين الفرس جميعا في أنها من ولد ايراج جميعا وأيراج هو ايران بن أفريدون هذا هو المستفيض بينهم والاغلب عليهم أنهم من آل ايراج ومن الناس من ذهب الى ان سائر أجناس الفرس وأهل كور الاهواز من ولد عيلام ولا خلاف بين الفرس في ان الجميع منهم من ولد كيومرث وهذا هو الاشهر وكيومرث هو قبل ايراج بن أفريدون وايراج ابن أفريدون وهو الذى ترجع اليه فارس من ولد كيومرث ومن الناس من ذهب الى ان الفرس الثانية وهم الساسانية دون من سلف من الفرس الاولى هم من ولد منوجهر بن أفريدون ومنهم من ذهب الى أن منوجهر هو ابن مسحرين أفريرس وترك وو ترك هو اسحق بن

نحو هذا القول ثم أسلموا وحسن اسلامهم رضي الله عنهم (وأما الاسماء المشكلة فحاطب بن أبي بلتعة بالحاء والطاء المهملتين والباء الموحدة وبلتعة بالباء الموحدة وبعد اللام تاء مثناة من فوقها وعيينة بن حصن بضم العين المهملة وياءين مثناتين من تحت ثم نون تصغير عين وبديل بن ورقاء بضم الباء الموحدة وعتاب بالتاء فوقها نقطتان وآخره باء موحدة وأسيد بضم الهمزة وكسر السين) وقول أم سلمة ابن عمك وابن عمتك فتعني بابن عمه أبا سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وابن عمته عبد الله بن أبي أمية وهو أخوها لابيها وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب وقوله قال في مكة قال فانه قال بمكة لن نؤمن لك حتى ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقد غلط هنا بعض العلماء الكبار فقال معنى قول أم سلمة ابن عمتك ان جدة النبي أم عبد الله كانت مخزومية وعبد الله بن أبي امية مخزومي فعلى هذا يكون ابن خالته لا ابن عمته والصواب ما ذكرناه (وحبيش بن خالد بضم الحاء المهملة وبالباء الموحدة ثم بالياء المثناة من تحت وآخره شين معجمة ومقيس بن صبابة بكسر الميم وسكون القاف وبالياء المثناة من تحت المفتوحة وآخره سين مهملة وصبابة بضم الصاد المهملة وباءين موحدتين بينهما ألف حطم الجبل روي بالخاء المعجمة وبالحاء المهملة فاما بالمعجمة فهو الانف الخارج من الجبل وأما بالحاء المهملة فهو الموضع الذي ثلم منه وقطع فبقي منقطعا وقد روي حطم الخيل بالحاء المهملة والخيل هذه هي التي تركب يعني انه يحبسه في الموضع الضيق الذي يحطم الخيل فيه بعضها بعضا لمضيقها)

(ذكر غزوة خالد بن الوليد بني جذيمة)

وفي هذه السنة كانت غزوة خالد بن الوليد بني جذيمة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث السرايا بعد الفتح فيما حول مكة يدعون الناس الى الاسلام ولم يأمرهم بقتال وكان ممن بعث خالد بن الوليد بعثه داعيا ولم يبعثه مقاتلا فنزل على الغميصاء ماء من مياه جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة وكانت جذيمة أصابت في الجاهلية عوف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة عم خالد كانا أقبلا من اليمن فاخذت ما معهما فلما نزل خالد ذلك الماء أخذ بنو جذيمة السلاح فقال خالد ضعوا السلاح فان الناس قد أسلموا فوضعوا السلاح فامر خالد بهم فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل منهم من قتل فلما انتهى الخبر الى النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه الى السماء ثم قال اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد ثم أرسل عليا ومعه مال وأمره ان ينظر في أمرهم فودى لهم الدماء والاموال حتى انه ليدي ميلغة الكلب وبقي معه من المال فضلة فقال لهم على هل بقي لكم مال أو دم لم يود قالوا لا قال فاني أعطيكم هذه البقية احتياطا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال أصبت واحسنت وقيل ان خالدا اعتذر وقال ان عبد الله بن حذافة السهمي أمرني بذلك عن رسول الله وكان بين عبد الرحمن بن عوف وخالد كلام في ذلك فقال له عملت بأمر الجاهلية في الاسلام فقال خالد انما ثأرت بابيك فقال عبد الرحمن كذبت قد قتلت أنا قاتل أبي ولكنك انما ثأرت بعمك الفاكه حتى كان بينهما شر فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مهلا يا خالد دع عنك أصحابي فوالله لو كان لك أحد ذهبا ثم انفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة أحدهم ولا روحته قال عبد الله بن أبي حدرد الاسلمي كنت يومئذ في جند خالد فاثرنا في آثر ظعن مصعدة يسوق بهن فتية فقال أدركوا أولئك قال فخرجنا في أثرهم حتى أدركناهم مضوا ووقف لنا غلام شاب على الطريق فلما انتهينا اليه جعل يقاتلنا ويقول

ابراهيم الخليل وسار منوشهر الى أرض فارس وكان بها امرأة متملكة يقال لها كورك ابنة ايراج فتزوجها فولدت له منوجهر الملك وكثر ولده فملكوا الارض وغلبوا عليها وهابتهم الملوك لما هم عليه من الشجاعة والفروسية ودثرت الفرس الاولى كدثور الامم الماضية والعرب العادية (قال المسعودي) واكثر حكماء العرب من نزار بن معد يقول هذا ويعمل عليه في بدء النسب وينقاد اليه كثير من الفرس ولا ينكرونه وقد ذكرته شعراء العرب من نزار بن معد وافتخرت على اليمن من قحطان بالفرس وانهم من ولد اسحق بن ابراهيم الخليل عليهما السلام فقال في ذلك اسحق ابن سويد العدوي عدي قريش

اذا افتخرت قحطان يوما بسودد
أتى فخرنا أعلى عليها وأسودا
ملكناهم بدأ باسحق عمنا
وصاروا لنا غرما على الدهر أعبدا
فان كان منهم تبع وابن تبع
فاملاكهم كانوا الاملاك كنا يدا
ويجمعنا والغر أبناء سارة
أب لا يبالي بعده من تفردا

ارفعن أطراف الذيول وارتعن * مشي حييات كأن لم تفزعن * ان تمنع اليوم النساء تمنعن
فقاتلناه طويلا فقتلناه ومضينا حتى لحقنا الظعن فخرج الينا غلام كأنه الاول فجعل يقاتلنا

ويقول اقسم ما ان خادر ذو لبده * يروم بين اثلة و وهده

يفرس شبان الرجال وحده * باصدق الغداة مني نجده

فقاتلناه حتى قتلناه وأدركنا الظعن فأخذناهن فاذا فيهن غلام وضيء الوجه به صفرة كالمنهوك
فربطناه بحبل وقدمناه لنقتله فقال لنا هل لكم في خير قلنا ما هو قال تدركون بي الظعن في أسفل
الوادي ثم تقتلوني قلنا نفعل فعارضنا الظعن فلما كان بحيث يسمعن الصوت نادى باعلى صوته
اسلمي حبيش وقد فقد العيش فاقبلت اليه جارية بيضاء حسانة وقالت وأنت فاسلم على كثرة
الاعداء وشدة البلاء قال سلام عليك دهرا وان بقيت عصرا قالت وأنت سلام عليك عشرا
وشفعا تترى وثلاثا وترا فقال

ان يقتلوني يا حبيش فلم يدع * هواك لهم مني سوى غلة الصدر

فانت التي أخليت لحمي من دمي * وعظمي وأسبلت الدموع على نحري

﴿ فقالت له ﴾

ونحن بكينا من فراقك مرة * واخرى وواسيناك في العسر واليسر

وأنت فلم تبعد فنعم فتى الهوى * جميل العفاف والمودة في ستر

﴿ فقال لها ﴾

أريتك ان طالبتكم فوجدتكم * بحلية أو ألفيتكم بالخوانق

ألم يك حقا ان ينول عاشق * تكلف ادلاج السرى في الودائق

فلا ذنب لي قد قلت اذ نحن جيرة * أثيبي بود قبل احدى الصفائق

أثيبي بود قبل ان يشحط النوى * وينأى لامر بالحبيب المفارق

فاني لا سراً لديّ اضعته * ولا منظر مذ غبت عني برائق

على ان ما نابت العشيرة شاغل * ولا ذكر الا ذكرهم ان وامق

فقدموه فضربوا عنقه هذا الشعر لعبد الله بن علقمة الكناني وكان من جذيمة مع حبيشة بنت
حبيش الكنانية انه خرج مع أمه وهو غلام نحو المحتلم لتزور جارة لها وكان لها ابنة اسمها حبيشة
بنت حبيش فلما رآها عبد الله هويها ووقعت في نفسه وأقامت أمه عند جارتها وعاد عبد الله الى
أهله ثم عاد ليأخذ أمه بعد يومين فوجد حبيشة قد تزينت لامر كان في الحي فازداد بها عجبا
وانصرفت أمه فمشى معها وهو يقول

وما أدري بلى اني لادري * أصوب القطر احسن ام حبيش

حبيشة والذي خلق البرايا * وما ان عندنا للصب عيش

فسمعت أمه فتغافلت عنه ثم انه رأى ظبيا على ربوة فقال

يا امنا خبريني غير كاذبة * وما يريد رسول الحق بالكذب

أتلك أحسن ام ظبي برابية * لا بل حبيشة في عيني وفي ارب

فزجرته أمه وقالت ما انت وهذا وانا قد زوجتك ابنة عمك فهي من أجمل تلك النساء وانت امرأة
غير فاخبرتها الخبر وقالت زيني ابنتك له ففعلت وادخلتها عليه فاطرق فقالت أمه أيهما الآن
أحسن فقال اذا غبت عن حبيشة مرة * من الدهر لا أملك عزاء ولا صبرا

هم ملكوا شرقا وغربا ملوكهم
وهم منحوهم بعد ذلك سوددا
وفي ذلك أيضا يقول جرير ابن الخطفي التميمي يفخر على قحطان بان الفرس والروم من أولاد اسحق والانبياء من ولد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام من كلمة طويلة يقول فيها
وأبناء اسحق الليوث اذا ارتدوا
حمائل موت لابسين السنورا
اذا افتخروا عدوا الصبهبذ منهم
وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا
وكان كتاب الله فيهم ونوره
وكانوا باصطخر الملوك وتسترا
ومنهم سليمان النبي الذي دعا
فاعطي بنيانا وملكا مقدرا
ابونا أبو اسحق يجمع بيننا
أب كان مهديا وملكا معمرا
وموسى وعيسى والذي خر ساجدا
وأنبت زرعا دمع عينيه أخضرا
ويعقوب منهم زاده الله حكمة
وكان ابو يعقوب نبيا مطهرا
ويجمعنا والغر ابناء فارس
أب لا يبالي بعده من تأخرا

كان

كان الحشا حر السعير تحته * وقود الغضى والقلب مضطرم الجمرا
وجعل يراسل الجارية وتراسله فعلقته كما علقها وأكثر قول الشعر فيها فمن ذلك

حبيشة جدى وجدك جامع * بشملكم شملى وأهلكم أهلى
وهل أنا ملتف بثوبك مرة * بصحرا بين الالبتين الى النحل

فلما علم أهلها ما اخبرها حجبوها عنه فازداد غرامه فقالوا الها عديه السرحة فاذا أتاك فقولى له نشدتك الله ان أحببتنى فوالله ما على الارض أبغض الى منك ونحن قريب نسمع ما تقولين فوعدته وجلسوا قريبا فاقبل لموعدها فلما دنا منها دمعت عيناها والتفتت الى جنب أهلها وهم جلوس فعرف انهم قريب وبلغه الحال فقال

فان قلت ما قالوا لقد زدتنى جوى * على انه لم يبق ستر ولا ستر
ولم يك حى عن نوالك بذلته * فيسلبنى عنك التجنب والهجر
وما انس للاشيا ولا انس ومقها * ونظرتها حتى يغيبنى القبر

وبعث النبى صلى الله عليه وسلم اثر ذلك خالد بن الوليد فكان منه ما تقدم ذكره وفى هذه السنة تزوج النبى صلى الله عليه وسلم مليكة ابنة داود الليثية وكان ابوها قتل يوم فتح مكة فجاء اليها بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فقلن لها ألا تستحين تزوجين رجلا قتل أباك فاستعاذت منه ففارقها وفيها هدم خالد بن الوليد العزى ببطن نخلة لخمس ليال بقين من رمضان وكان هذا البيت تعظمه قريش وكنانة ومضر كلها وكان سدنتها بنو شيبان بن سليم حلفاء بنى هاشم فلما سمع صاحبها بمسير خالد بن الوليد اليها علق عليها سيفه وقال

أياعز شدى شدة لا سوى لها * على خالد ألقى القناع وشمرى

فلما انتهى خالد اليها جعل السادن يقول أعزى بعض غضباتك فخرجت امرأة سوداء حبشية عريانة مولولة فقتلها وكسر الصنم وهدم البيت ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال تلك العزى لا تعبد أبدا وفيها هدم عمرو بن العاص سواع وكان برهاط لهذيل فلما كسر الصنم أسلم سادنه ولم يجد فى خزانته شيأ وفيها هدم سعد بن زيد الاشهلى مناة بالمشلل

﴿ذكر غزوة هوازن بحنين﴾

وكانت فى شوال وسببها انه لما سمعت هوازن بما فتح الله على رسوله من مكة جمعها مالك بن عوف النصرى من بنى نصر بن معاوية بن بكر وكانوا مشفقين من ان يغزوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة وقالوا لا مانع له من غزونا والرأى ان نغزوه قبل ان يغزونا واجتمع اليه ثقيف يقودها قارب بن الاسود بن مسعود سيد الاحلاف وذو الخمار سبيع بن الحرث وأخوه الاحمر بن الحرث سيد بنى مالك ولم يحضرها من قيس عيلان الا نصر وجشم وسعد بن بكر وناس من بنى هلال ولم يحضرها كعب ولا كلاب وفى جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فى شئ الا التيمن برأيه وكان شجاعا مجربا فلما أجمع مالك بن عوف المسير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حط مع الناس أموالهم ونساءهم فلما نزلوا أوطاس جمع الناس وفيهم دريد بن الصمة فقال دريد باى واد أنتم فقالوا باوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهس مالى أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير ويعار الشاء وبكاء الصغير قالوا ساق مالك مع الناس ذلك فقال يا مالك ان هذا يوم له ما بعده ما حملك على ما صنعت قال سقتهم مع الناس ليقاتل كل انسان عن حريمه وماله قال دريد راعى ضأن والله هل يرد المنهزم شئ ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه

ابونا خليل الله والله ربنا رضينا بما أعطى الاله وقدرا
وفى ذلك يقول بشار بن برد

تغنى الكرام بنو فارس * قريش وقومى قريش العجم

وقال أحد شعراء الفرس يذكر أنه من ولد اسحق وأن اسحق هو المسمى ويرك على حسب ما قدمنا قبل من كلمة له

ابونا ويرك وبه أحاجى * اذا فخر المفاخر بالولاده
ابونا ويرك عبد رسول * له شرف الرسالة والزهاده
فمن مثلى اذا افتخرت قرون * وبيتى مثل واسطة القلاده

ومن الفرس من يزعم أن ويرك هو ابن أبريك وابن أبريك ابن سبع نسوة تولدن من غير ذكر الى أن يلحقن نسبهن بايراج بن أفريدون وهذا مما يدفعه العقل ويأباه الحس ويخرج عن العادة وتنبو عنه المشاهدة الا ما خص الله تعالى به السيد المسيح بن مريم عليه السلام ليؤدى آياته ودلائله الخارجة عن العادة وعما ذكرنا من المشاهدات وللفرس ههنا منازعات فى نسب منوجهر واضطراب فى كيفية الحاقه بافريدون وفى وطء افريدون لبنت ايراج ووطئه بنت البنت الى

وان كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك وقال مافعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها أحد منهم
قال غاب الجد والحد لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب وودت انكم فعلتم مافعلا
ثم قال يامالك ارفع من معك الى عليا بلادهم ثم الق القوم على متون الخيل فان كانت لك لحق بك
من وراءك وان كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك قال مالك والله لا أفعل ذلك انك قد
كبرت وكبر علمك والله لتطيعنني يامعشر هوازن أو لا تكئن على هذا السيف حتى يخرج من
ظهرى وكره ان يكون لدريد فيها ذكر فقال دريد هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى ثم قال مالك أيها الناس
اذا رأيتم القوم فاكسروا جفون سيوفكم وشدوا عليهم شدة رجل واحد وبعث مالك عيونه
ليأتوه بالخبر فرجعوا اليه وقد تفرقت أوصالهم فقال ماشأنكم قالوا رأينا رجالا بيضا على خيل بلق
فوالله ماتماسكنا ان حل بنا ماترى فلم ينهه ذلك ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر هوازن
أجمع المسير اليهم وبلغه ان عند صفوان بن أمية أدراعا وسلاحا فارسل اليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يومئذ مشرك أعرنا سلاحك نلق فيه عدونا فقال له صفوان اغصبا يامحمد فقال بل
عارية مضمونة نؤديها اليك قال ليس بهذا بأس فاعطاه مائة درع بما يصلحها من السلاح ثم سار
النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ألفان من مسلمة الفتح مع عشرة آلاف من أصحابه فكانوا اثنى عشر
ألفا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة من معه قال لن نغلب اليوم من قلة وذلك قوله
تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وقيل انما قالها رجل من بكر واستعمل
رسول الله صلى الله عليه وسلم على من بمكة عتاب بن أسيد قال جابر فلما استقبلنا وادى حنين انحدرنا
فى واد أجوف حطوط انما ننحدر فيه انحدارا فى عماية الصبح وكان القوم قد سبقونا الى الوادى
فكمنوا النا فى شعابه ومضايقه قد تهيؤا وأعدوا فوالله ماراعنا ونحن منحطون الا الكتائب قد
شدت علينا شدة رجل واحد فانهزم الناس أجمعون لا يلوى أحد على أحد وانحاز رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذات اليمين ثم قال أيها الناس هلموا الى انا رسول الله أنا محمد بن عبد الله قال فلاشئ
احتملت الابل بعضها بعضا الا انه قد بقى مع النبى صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين والانصار
وأهل بيته منهم أبو بكر وعمر وعلى والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحرث وربيعة بن
الحرث وأيمن بن أم أيمن وأسامة بن زيد قال وكان رجل من هوازن على جمل أحمر بيده راية سوداء
امام الناس فاذا أدرك رجلا طعنه ثم رفع رايته لمن وراءه فاتبعوه فحمل عليه على فقتله ولما انهزم
الناس تكلم رجال من أهل مكة بما فى أنفسهم من الضغن فقال أبو سفيان بن حرب لا تنتهى
هزيمتهم دون البحر والازلام معه وقال كلدة بن الحنبل وهو أخو صفوان بن أمية لامه وكان
صفوان بن أمية يومئذ مشركا الآن بطل السحر فقال صفوان اسكت فض الله فاك فوالله لأن
يربنى رجل من قريش أحب الى من ان يربنى رجل من هوازن وقال شيبة بن عثمان اليوم أدرك
ثارى من محمد وكان أبوه قتل باحد قال فادرت به لاقتله فاقبل شئ حتى تغشى فؤادى فلم أطق ذلك
وكان العباس مع النبى صلى الله عليه وسلم آخذ ابلجام بغلته دلدل وهو عليها وكان العباس جسيما
شديد الصوت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعباس اصرخ يامعشر الانصار ياأصحاب
السمرة ففعل فاجابوه لبيك لبيك فكان الرجل يريد ان يثنى بعيره فلا يقدر فيأخذ سلاحه ثم ينزل
عنه ويؤم الصوت فاجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة رجل فاستقبل بهم القوم وقاتلهم
فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم شدة القتال قال أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب الآن
حمى الوطيس وهو أول من قالها واقتتل الناس قتالا شديدا وقال النبى صلى الله عليه وسلم لبغلته

السبع منهن وقد كان بين
ملك منوجهر بن مسعر
ابن أفريس بن وترك على
ماذكرنا وبين ملك
أفريدون مدة خلت من
الدهر وعدة من الملوك
لتحرب كان باقليم بابل
وعدم ذى همة تنقاد اليه
المملكة ويستقيم له الملك
وتجتمع عليه الكلمة
وانتقل الملك من ولد
أفريدون الى ولد اسحق
فان كان ماذكرناه والمعول
عليه من قول هذه الطائفة
يجب على ماتوجبه الحساب
أن من كيومرث الى انتقال
الملك الى ولد اسحق ألفا
وتسعمائة واثنين وعشرين
سنة كذلك وجدت فى
كتب تواريخ هذه الطائفة
بارض فارس وبلاد كرمان
(قال المسعودى) وقد
افتخر بعض ابناء الفرس
بعد التسعين والمائتين
بجده اسحق بن ابراهيم
الخليل على ولد اسمعيل
بان الذبيح كان اسحق
دون اسمعيل فقال من كلمة
له

قل لبنى هاجر مابنت لكم
ماهذه الكبرياء والعظمه
ألم تكن فى القديم أمكم
لامنا سارة الجمال أمه *
والملك فينا والانبياء لنا *
ان تنكروا ذاك توجدوا
ظلمه

دلدل البدى دلدل فوضعت بطنها على الارض فاخذ حفنة من تراب فرمى به فى وجوههم فكانت الهزيمة فارجع الناس الا والاسارى فى الحبال عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بل أقبل شىء اسود من السماء مثل البجاد حتى سقط بين القوم فاذا نمل اسود مبثوث فكانت الهزيمة ولما انهزمت هوازن قتل من ثقيف وبنى مالك سبعون رجلا فاما الاحلاف من ثقيف فلم يقتل منهم غير رجلين لانهم انهزموا سريعا وقصد بعض المشركين الطائف ومعهم مالك بن عوف واتبعت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين فقتلتهم فادرك ربيعة بن رفيع السلمى دريد بن الصمة ولم يعرفه لانه كان فى شجار لكبره واناخ بعيره فاذا هو شيخ كبير فقال له دريد ماذا تريد قال أقتلك قال ومن أنت فانتسب له ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيأ فقال دريد بئس ما سلحتك أمك خذ سيفى فاضرب به ثم ارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فانى كذلك كنت أقتل الرجال واذا أتيت أمك فاخبرها انك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك فقتله فلما أخبر أمه قالت والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا واستلب أبو طلحة الانصارى يوم حنين عشرين رجلا وحده وهو قتلهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وقتل أبو قتادة الانصارى قتيلا واجهضه القتال عن أخذ سلبه فاخذه غيره فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قام أبو قتادة فقال قتلت قتيلا وأخذ غيرى سلبه فقال الذى أخذ السلب هو عندى فارضه منى يا رسول الله فقال أبو بكر لا والله لا تعمد الى أسد من أسد الله يقاتل عن الله تعطيه فرد عليه السلب وكان لبعض ثقيف غلام نصرانى فقتل فبينما رجل من الانصار يستلب قتلى ثقيف اذ كشف العبد فرآه اغرل فصرخ باعلى صوته يا معشر العرب ان ثقيفا لا تختتن فقال له المغيرة بن شعبة لا تقل هذا انما هو غلام نصرانى واراه قتلى ثقيف مختتنين ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطريق بامرأة مقتولة فقال من قتلها قالوا خالد بن الوليد فقال لبعض من معه ادرك خالدا فقل له ان رسول الله ينهاك ان تقتل امرأة أو وليدا أو عسيفا والعسيف الاجير وكان بعض المشركين باوطاس فارسل اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عامر الاشعرى عم أبى موسى فرمى أبو عامر بسهم قيل رماه سلمة بن دريد بن الصمة وقتل أبو موسى سلمة هذا بعمه أبى عامر وانهزم المشركون باوطاس وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا فساقوا فى السبى الشيماء ابنة الحرث بن عبد العزى فقالت لهم انى والله أخت صاحبكم من الرضاعة فلم يصدقوها حتى اتوا بها النبى صلى الله عليه وسلم فقالت له انى أختك قال وما علامة ذلك قالت عضة عضضتنيها فى ظهرى وأنا متوركتك فعرفها وبسط لها رداءه واجلسها عليه وخيرها فقال ان أحببت فعندى مكرمة محببة وان أحببت ان أمتعك وترجعى الى قومك قالت بل تمتعنى وتردنى الى قومى ففعل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبايا والاموال فجمعت الى الجعرانة وجعل عليها بديل بن ورقاء الخزاعى واستشهد من المسلمين بحنين أيمن بن أم أيمن ويزيد بن زمعة بن الاسود بن المطلب بن عبد العزى وغيرهما

(ذكر حصار الطائف)

لما قدم المنهزمون من ثقيف ومن انضم اليهم من غيرهم الى الطائف أغلقوا عليهم مدينتهم واستحصروا وجمعوا ما يحتاجون اليه فسار اليهم النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان بحرة الرغاء قبل وصوله الى الطائف قتل بها رجلا من بنى ليث قصاصا كان قد قتل رجلا من هذيل فامر بقتله وهو أول دم اقيد به فى الاسلام وسار الى ثقيف فحصرهم بالطائف نيفا وعشرين يوما ونصب عليهم منجنيقا أشار به سلمان الفارسى وقاتلهم قتالا شديدا حتى كان يوم الشدخة عند جدار

اسحق كان الذبيح قد اجمع الناس عليه الا ادعاءه له حتى اذا ما محمد أظهر الدين وجلى بنوره الظلمه قلتم قريش الاحساب مفخرة * أصل لنا ان كنتم بنوه فه

اما بنو يعرب فليسوا كمن * أسكنه الله آمنا حرمه

ولا كابناء فارس وهم * فى الارض مثل الاسود فى الاجمه

وهى قصيدة طويلة ذكر فيها كلاما كثيرا لم يسعنا ذكره وقد أجابه عبد الله بن المعتز وكان قائل هذه القصيدة فى عصره وعمر الى أن مضت الثلاثمائة يناقضه فى أبيات منها فمن ذلك قوله

أسمع صوتا ولا أرى أحدا * من ذا الشقى الذى أباح دمه

حاش لاسحق أن يكون لكم * أبا وان كنتم بنوه فمه

قولا لكلب يرى لبطشته * قد فغر الليث للفراس فمه

والفرس لا تنقاد الى القول بان الملك يكون فيها لاحد غير ولد أفريدون فى عصر من الاعصار فيما سلف وخلف الى أن زال عنهم الملك الا أن يكون دخل عليهم داخل على طريق التعصب بغير حق وقد كانت أسلاف الفرس تقصد

الطائف دخل نفر من المسلمين تحت دبابة عملوها ثم زحفوا بها الى جدار الطائف فارسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المحماة فخرجوا من تحتها فرماهم من بالطائف بالنبل فقتلوا رجالا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف فقطعت ونزل الى رسول الله نفر من رقيق أهل الطائف فاعتقهم منهم أبو بكرة نفيع بن الحرث عند الحرث بن كلدة وانما قيل له أبو بكرة ببكرة نزل فيها وغيره فلما أسلم أهل الطائف تكلمت سادات أولئك العبيد فى ان يردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرق فقال لا افعل أولئك عتقاء الله ثم ان خويلة بنت حكيم السلمية وهى امرأة عثمان بن مظعون قالت يارسول الله اعطنى ان فتح الله عليك الطائف حلى بادية بنت غيلان أو حلى الفارعة بنت عقيل وكانتا من أكثر النساء حليا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت ان كان لم يؤذن لى فى ثقيف ياخويلة فخرجت فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب فدخل عليه عمر وقال يارسول الله ما حديث حدثتنيه خويلة انك قد قلته قال قد قلته قال افلا أؤذن بالرحيل يارسول الله قال بلى فاذن بالرحيل وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار نوفل بن معاوية الديلى فى المقام عليهم فقال يارسول الله ثعلب فى جحر ان اقمت عليه أخذته وان تركته لم يضرك فاذن بالرحيل فلما رجع الناس قال رجل يارسول الله ادع على ثقيف قال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم فلما رأت ثقيف الناس قد رحلوا عنهم نادى سعيد بن عبيد الثقفى ألا ان الحى مقيم فقال عيينة بن حصن اجل والله مجدة كراما فقال رجل من المسلمين قاتلك الله ياعيينة أتمدحهم بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى والله ماجئت لاقاتل معكم ثقيفا ولكنى أردت ان أصيب من ثقيف جارية اطأها لتلد لى رجلا فان ثقيفا قوم مناكير واستشهد بالطائف اثنا عشر رجلا منهم عبد الله بن أبى أمية المخزومى وامه عاتكة بنت عبد المطلب وعبد الله بن أبى بكر الصديق رمى بسهم فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والسائب بن الحرث بن عدى وغيرهم وأخذت بادية بنت غيلان التى قال فيها هيت المخنث لعبد الله بن أبى أمية ان فتح الله عليكم الطائف فسل رسول الله ان ينفلك بادية بنت غيلان فانها هيفاء شموع نجلاء ان تكلمت تغنت وان قامت تثنت وان مشت ارتجت وان قعدت تبنت تقبل بأربع وتدبر بثمان بثغر كالاقحوان بين رجليها كالقعب المكفأ فقال النبى صلى الله عليه وسلم لقد غلغلت النظر ومنعه من الدخول الى نسائه

(ذكر قسمة غنائم حنين)

لما رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف سار حتى نزل الجعرانة وأتته وفود هوازن بالجعرانة وقد أسلموا فقالوا يارسول الله انا أصل وعشيرة وقد أصابنا مالم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك وقام زهير أبو صرد من بنى سعد بن بكر وهم الذين ارضعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انما فى الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك ولو انا أرضعنا الحرث بن أبى شمر الغسانى أو النعمان بن المنذر لرجونا عطفه وأنت خير المكفولين ثم قال

امنن علينا رسول الله فى كرم * فانك المرء نرجوه وندخر
امنن على نسوة قد عاقها قدر * ممزق شملها فى دهرها غير

فى أبيات فخيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبنائهم ونسائهم وبين أموالهم فاختاروا أبناءهم ونساءهم فقال اما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم فاذا انا صليت بالناس فقولوا انا نستشفع برسول الله الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا فساعطيكم واسأل فيكم فلما صلى الظهر فعلوا ما أمرهم به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان لى ولبنى عبد المطلب

البيت الحرام وتطوف به تعظيما له ولجدها ابراهيم عليه السلام وتمسكا بهديه وحفظا لانسابها وكان آخر من حج منهم ساسان ابن بابك جد أردشير بن بابك وهو أول ملوك ساسان وأبوهم الذى يرجعون اليه كرجوع ملوك المروانية الى مروان بن الحكم وخلفاء العباسيين الى العباس بن عبد المطلب ولم يل الفرس الثانية أحد الا من ولد أردشير بن بابك هذا فكان ساسان اذا أتى البيت طاف به وزمزم على بئر اسمعيل فقيل انما سميت زمزم لزمزمته عليها هو وغيره من فارس وهذا يدل على ترادف كثرة هذا الفعل منهم على هذا البئر وفى ذلك يقول الشاعر فى قديم الزمان

زمزمت الفرس على زمزم
وذاك من سالفها الاقدم

وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الاسلام بذلك فقال من كلمة

وما زلنا نحج البيت قدما
ونلقى بالاباطح آمنينا
وساسان بن بابك سار حتى
أتى البيت العتيق يطوف دينا
فطاف به وزمزم عند بئر
لاسمعيل تروى الشاربينا

وكانت الفرس تهدى الى

فهو لكم وقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله وقال الاقرع بن حابس ما كان لى ولبنى تميم فلا وقال عيينة بن حصن ما كان لى ولفزارة فلا وقال عباس بن مرداس ما كان لى ولسليم فلا فقالت بنو سليم ما كان لنا فهو لرسول الله فقال وهنتمونى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمسك بحقه من السبى فله بكل انسان ست فرائض من أول شئ نصيبه فردوا على الناس أبناءهم ونساءهم وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مالك بن عوف فقيل انه بالطائف فقال أخبروه ان أتانى مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة بعير فأخبر مالك بذلك فخرج من الطائف سرا ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وحسن اسلامه واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل التى حول الطائف فاعطاه أهله وماله ومائة بعير وكان يقاتل بمن أسلم معه من ثمالة وفهم وسلمة ثقيفا لا يخرج لهم سرح الا أغار عليه حتى ضيق عليهم ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد سبايا هوازن ركب واتبعه الناس يقولون يارسول الله اقسم علينا فيأنا حتى ألفوه الى شجرة فاختطفت رداءه فقال ردوا على ردائى أيها الناس فوالله لو كان لى عدد شجر تهامة نعم لقسمتها عليكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا جبانا ولا كذابا ثم رفع وبرة من سنام بعير وقال ليس لى من فيئكم ولا هذه الوبرة الا الخمس وهو مردود عليكم ثم اعطى المؤلفة قلوبهم وكانوا من اشراف الناس يتألفهم على الاسلام فاعطى أباسفيان وابنه معاوية وحكيم بن حزام والعلاء بن جارية الثقفى والحرث بن هشام وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس ومالك بن عوف النصرى كل واحد منهم مائة بعير وأعطى دون المائة رجالا منهم مخرمة بن نوفل الزهرى وعمير بن وهب وهشام بن عمرو وسعيد بن يربوع واعطى العباس بن مرداس أباعر فسخطها وقال

كانت نهابا تلافيتها * بكرى على المهر فى الاجرع
وايقاظى القوم ان يرقدوا * اذا هجع الناس لم اهجع
فأصبح نهبى ونهب العبيـد * بين عيينة والاقرع
وقد كنت فى الحرب ذا تدرأ * فلم أعط شيأ ولم أمنع
الا أفائل أعطيتها * عديد قوائمه الاربع
وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس فى المجمع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

فأعطاه حتى رضى وقال رجل من الصحابة يارسول الله أعطيت عيينة والاقرع وتركت جعيل بن سراقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لجعيل خير من طلاع الارض رجالا كلهم مثل عيينة والاقرع ولكنى تألفتهما ووكلت جعيلا الى اسلامه وقيل ان ذا الخويصرة التميمى فى هذه القسمة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لم تعدل اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يعدل اذا لم أعدل فقال عمر بن الخطاب ألا نقتله فقال دعوه ستكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية وقيل ان هذا القول انما كان فى مال بعث به على من اليمن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين جماعة منهم عيينة والاقرع وزيد الخيل قال أبو سعيد الخدرى لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك الغنائم فى قريش وقبائل العرب ولم يعط الانصار شيأ وجدوا فى أنفسهم حتى قال قائلهم لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه فأخبر سعد بن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له فاين أنت

الكعبة أموالا فى صدر الزمان وجواهر وقد كان ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب وجوهرا وسيوفا وذهبا كثيرا فقذفه فى زمزم وقد ذهب قوم من مصنفى الكتب فى التواريخ وغيرها من السير ان ذلك كان لجرهم حين كانت بمكة وجرهم لم تكن ذات مال فيضاف ذلك اليها ويحتمل أن يكون لغيرها والله أعلم وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب ما كان من فعل عبد المطلب بهذه الاسياف وغيرها مما أودع فى زمزم وللناس فى الانساب تنازع فى بدئها وتشعبها وقد ذكرنا من ذلك جملا وأوردنا منه جوامع يكتفى ذو المعرفة بالاشراف عليها عن كثير من مبسوطها

(ذكر ملوك الساسانية وهم الفرس الثانية وأخبارهم)

كان أول من نسب اليه ملوكهم على حسب ما قدمنا فى الباب الذى قبل هذا أردشير بن بابك شاه بن ساسان بن بهافريد ابن دارا بن ساسان بن بهمن ابن اسفنديار بن كشتاسب ابن بهراسب ولا خلاف بينهم فى أن أردشير من ولد منوجهر وكان مما حفظ من قوله يوم ملك وقتل

من ذلك ياسعد قال ما أنا الا من قومى قال فاجمع قومك لى فجمعهم فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث بلغنى عنكم ألم آتكم ضلالا فهداكم الله بى وفقراء فأغناكم الله بى وأعداء فألف الله بين قلوبكم بى قالوا بلى والله يارسول الله ولله ورسوله المن والفضل فقال ألا تجيبونى قالوا بما ذا نجيبك فقال والله لو شئتم لقلتم فصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فواسيناك أوجدتم يامعشر الانصار فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم أفلا ترضون ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم والذى نفسى بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعبا وسلكت الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وأبناء أبناء الانصار قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا وتفرقوا ثم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة وعاد الى المدينة واستخلف على مكة عتاب بن أسيد وترك معه معاذ بن جبل يفقه الناس وحج عتاب بن أسيد بالناس وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فى ذى القعدة أو ذى الحجة * وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص الى جيفر وعباد ابنى الجلندى من الازد بعمان مصدقا فأخذ الصدقة من أغنيائهم وردها على فقرائهم وأخذ الجزية من المجوس وهم كانوا أهل البلد وكان العرب حولها وقيل سنة سبع * وفيها تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلابية واسمها فاطمة بنت الضحاك ابن سفيان فاختارت الدنيا وقيل انها استعاذت منه ففارقها * وفيها ولدت مارية ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذى الحجة فدفعه الى أم بردة بنت المنذر الانصارية وزوجها البراء بن أوس الانصارى وكانت قابلتها سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلت أبا رافع الى النبى صلى الله عليه وسلم يبشره بابراهيم فوهب له مملوكا وغار نساء النبى صلى الله عليه وسلم وعظم عليهن حين رزقت مارية منه ولدا * وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الى ذات اطلاح من الشام الى نفر من قضاعة يدعوهم الى الاسلام ومعه خمسة عشر رجلا فوصل اليهم فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه وكان رئيس قضاعة رجلا يقال له سدوس فقتلوا المسلمين ونجا عمير فتقدم الى المدينة * وفيها بعث أيضا عيينة بن حصن الفزارى الى بنى العنبر من تميم فأغار عليهم وسبى منهم نساء وكان على عائشة عتق رقبة من بنى اسمعيل فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا سبى بنى العنبر يقدم علينا فنعطيك انسانا فتعتقيه *(ثم دخلت سنة تسع)*

﴿ذكر اسلام كعب بن زهير﴾

قيل خرج كعب بن زهير بن أبى سلمى وأبو سلمى ربيعة المزنى ومعه أخوه بجير حتى أتيا أبرق العزاف فقال له بجير اثبت فى غنمنا حتى آتى هذا الرجل يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسمع منه فأقام كعب وسار بجير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وبلغ ذلك كعبا فقال

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة * فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
سقاك بها المأمون كأسا روية * فأنهلك المأمون منها وعلكا
ففارقت أسباب الهدى واتبعته * على أى شئ ويب غيرك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا * عليه ولم تدرك عليه أخا لكا
فان أنت لم تفعل فلست بآسف * ولا قائل اما عثرت لعا لكا

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله غضب وأهدر دمه فكتب بذلك بجير الى أخيه بعد عود

رسول

اردوان وفرغ من ملوك الطوائف ووضع التاج على رأسه أن قال الحمد لله الذى خصنا بنعمه وشملنا بفوائده وقسمه ومهد لنا البلاد وقاد الى طاعتنا العباد نحمده حمد من عرف فضل ما آتاه ونشكره شكر الدارى بما منحه واصطفاه ألا وانا ساعون فى اقامة منازل العدل وادرار الفضل وتشييد المآثر وعمارة البلاد والرأفة بالعباد ورم أقطار المملكة ورد ما انخرم فى سائر الايام منها فليسكن طائركم أيها الناس فانى أعم بالعدل القوى والضعيف والدنى والشريف وأجعل العدل سنة محمودة وشريعة مقصودة وسترون فى سيرتنا الى ما تحمدوننا عليه وتصدق افعالنا أقوالنا ان شاء الله تعالى والسلام (قال المسعودى) وأردشير ابن بابك المتقدم فى ترتيب طبقات الندماء وبه اقتدى المتأخرون من الملوك والخلفاء وكان يرى أن ذلك من السياسة ومما يدعم عمود الرياسة فكانت طبقات خاصته ثلاثا الاولى الاساورة وأبناء الملوك وكان مجلس هذه الطبقة عن يمين الملك على نحو من عشرة أذرع وهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف وقال النجاء النجاء وما أرى ان تتفلت ثم كتب اليه اذا أتاك كتابي هذا فأسلم وأقبل اليه فانه لا يأخذ مع الاسلام بما كان قبله فأسلم كعب وجاء حتى اناخ راحلته بباب المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه قال كعب فعرفته بالصفة فتخطيت الناس اليه فاسلمت وقلت الأمان يارسول الله هذا مقام العائذ بك قال من انت فقلت كعب بن زهير قال الذي يقول ثم التفت الى أبي بكر فقال كيف قال فانشده أبو بكر الابيات التي أولها * الا أبلغا عني بجيرا رسالة * فقال كعب ما هكذا قلت يارسول الله انما قلت

سقاك أبو بكر بكاس روية * فانهلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمون والله فتجهمته الانصار وأغلظت له ولانت له قريش وأحبت اسلامه فأنشده قصيدته التي أولها

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * متيم عندها لم يفد مكبول

فلما انتهى الى قوله

وقال كل خليل كنت آمله * لا ألهينك اني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا ابالكم * فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن انثى وان طالت سلامته * يوما على آلة حدباء محمول
نبئت ان رسول الله أوعدني * والعفو عند رسول الله مأمول

ثم قال

في فتية من قريش قال قائلهم * ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا كشف * عند اللقاء ولا ميل معازيل

فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قريش فاومأ اليهم أن اسمعوا حتى قال

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم * ضرب اذا عرد السود التنابيل
لا يقع الطعن الا في نحورهم * وما لهم عن حياض الموت تهليل

يعرض بالانصار لغلظتهم التي كانت عليه فانكرت قريش قوله وقالوا لم تمدحنا اذ هجوتهم ولم يقبلوا ذلك منه وعظم على الانصار هجوه فشكوه فقال يمدحهم

من سره كرم الحياة فلا يزل * في مقنب من صالحي الانصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر * ان الخيار هم بنو الاخيار
الناظرون بأعين محمرة * كالجمر غير كليلة الابصار
الباذلون نفوسهم ودماءهم * يوم الهياج وسطوة الجبار
يتطهرون يرونه نسكا لهم * بدماء من قتلوا من الكفار

في ابيات فكساه النبي صلى الله عليه وسلم بردة كانت عليه فلما كان زمن معاوية أرسل الى كعب أن بعنا بردة رسول الله فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله أحدا فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم وهي البردة التي عند الخلفاء الآن وقيل انما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله وقطع لسانه لانه كان تشبب بام هاني بنت أبي طالب (أبو سلمى بضم السين والامالة والمأمور بالراء قال بعض العلماء انما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لان العرب كانت تقول لكل من يتكلم بالشئ من تلقاء نفسه مأمور بالراء يريدون ان الذي يقول تامره به الجن وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمورا من الله تعالى ولكنه كرهه لعادتهم فلما قال المأمون بالنون رضي به لانه مأمون على الوحي وبجير بالباء الموحدة المضمومة و بالجيم

بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم * وكانت الطبقة الثانية على مقدار عشرة أذرع من الاولى وهم وجوه المرازبة وملوك الكون والمقيمون بباب أردشير والمرازبة وهم الاصبهبذية ممن كانت مملكة الكون في أيامه والطبقة الثالثة كانت رتبتها على قدر عشرة أذرع من حد مرتبة الطبقة الثانية وأهل هذه الطبقة المضحكون وأهل البطالة والهزل غير أنه لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الاصل ولا وضيع القدر ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول أو القصر ولا مؤوف ولا مرمي بأبنة ولا ابن ذي صناعة دنيئة كابن حائك أو حجام ولو كان يعلم الغيب أو حوى كل العلوم مثلا * وكان أردشير يقول ما شئ أضر على نفس ملك أو رئيس أو ذي معرفة صحيحة من معاشرة سخيف أو مخالطة وضيع لانه كما أن النفس تصلح على مخالطة الشريف الاريب الحسيب كذلك تفسد بمعاشرة الخسيس حتى يقدح ذلك فيها ويزيلها عن فضيلتها

﴿ذكر غزوة تبوك﴾

لما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بالمدينة بعد عوده من الطائف ما بين ذى الحجة الى رجب ثم أمر الناس بالتجهز لغزو الروم وأعلم الناس مقصدهم لبعد الطريق وشدة الحر وقوة العدو وكان قبل ذلك اذا أراد غزوة ورّى بغيرها وكان سببها ان النبى صلى الله عليه وسلم بلغه ان هرقل ملك الروم ومن عنده من متنصرة العرب قد عزموا على قصده فتجهز هو والمسلمون وساروا الى الروم وكان الحر شديدا والبلاد مجدبة والناس فى عسرة وكانت الثمار قد طابت فأحب الناس المقام فى ثمارهم فتجهزوا على كره فكان ذلك الجيش يسمى جيش العسرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجد بن قيس وكان من رؤساء المنافقين هل لك فى جلاد بنى الاصفر فقال والله لقد عرف قومى حبى للنساء وأخشى ان لا أصبر على نساء بنى الاصفر فان رأيت ان تاذن لى ولا تفتنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذنت لك فأنزل الله تعالى ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الآية وقال قائل من المنافقين لا تنفروا فى الحر فنزل قوله تعالى وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم تجهز وأمر بالنفقة فى سبيل الله وأنفق أهل الغنى وأنفق أبو بكر جميع ما بقى عنده من ماله وأنفق عثمان نفقة عظيمة لم ينفق أحد اعظم منها قيل كانت ثلثمائة بعير وألف دينار ثم ان رجالا من المسلمين أتوا النبى صلى الله عليه وسلم وهم البكاؤن وكانوا سبعة نفر من الانصار وغيرهم وكانوا أهل حاجة فاستحملوه فقال لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا يبكون فلقيهم يامين بن عمير بن كعب النضرى فسألهم عما يبكيهم فأعلموه فأعطى أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل المزنى بعيرا فكانا يعتقبانه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء المعذرون من الاعراب فاعتذروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يعذرهم الله وكان عدة من المسلمين تخلفوا من غير شك منهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وأبو خيثمة فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبى المنافق فيمن تبعه من أهل النفاق واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة سباع بن عرفطة وعلى أهله على بن أبى طالب فأرجف به المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالا له فلما سمع على ذلك أخذ سلاحه ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ما قال المنافقون فقال كذبوا وانما خلفتك لما ورائى فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك أما ترضى ان تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى فرجع فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان أبا خيثمة أقام اياما فجاء يوما الى أهله وكانت له امرأتان وقد رشت كل امرأة منهما عريشها وبردت له ماء وصنعت طعاما فلما رآه قال يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحر والريح وأبو خيثمة فى الظل البارد والماء البارد مقيم ما هذا بالنصف والله ما احل عريشا منهما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيأ زاده وخرج الى ناضحه فركبه وطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فادركه بتبوك فقال الناس يا رسول الله هذا راكب مقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فقالوا هو والله أبو خيثمة وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بخبره فدعا له وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر وهو بطريقه وهو منزل ثمود قال لاصحابه لا تشربوا من هذا الماء شيأ ولا تتوضؤا منه وما كان من عجين فالقوه واعلفوه الابل ولا تأكلوا منه شيأ ولا يخرج الليلة أحد الا مع صاحب له ففعل ذلك الناس ولم يخرج أحد الا رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجته فأصابه جنون وأما الذى طلب بعيره فاحتمله الريح الى جبلى طي فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال

ويشبها عن محمود شريف أخلاقها وكما أن الريح اذا مرت بالطيب حملت طيبا تحيى به النفوس وتتقوى به جوارحها كذلك اذا مرت بالنتن فحملته ألمت به النفس وأضر باخلاقها اضرارا تاما والفساد أسرع اليها من الصلاح اذ كان الهدم أسرع من البناء وقد يجد ذو المعرفة فى نفسه عند معاشرة السفلة الوضعاء شهرا فساد عقله دهرا ❀ وكان أردشير يقول يجب على الملك أن يكون فائض العدل فان العدل جماع الخير وهو الحصن الحصين من زوال الملك وتخرمه وان أوّل مخايل الادبار فى الملك ذهاب العدل منه وانه متى خفقت رايات الجور فى ديار قوم كافحتها عقاب العدل فردّتها على العقب وليس أحد ممن يصحب الملوك ويخالطهم أولى باستجماع محاسن الاخلاق وفضائل الآداب وظرائف الملح وغرائب النتف من النديم حتى انه يحتاج أن يكون له مع شرف الملوك تواضع العبيد ومع عفاف النساك مجون الفتاك ومع وقار الشيوخ مزاح

فقال ألم انهكم ان لايخرج أحد الامع صاحب له فاما الذى خنق فدعا له فشفى وأما الذى حملته الريح فاهدته طيء الى رسول الله بعد عوده الى المدينة وأصبح الناس بالحجر ولا ماء معهم فشكوا ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فدعا الله فارسل سحابة فامطرت حتى روى الناس وكان بعض المنافقين يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء المطر قال له بعض المسلمين هل بعد هذا شئ قال سحابة مارة وضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطريق فقال لاصحابه وفيهم عمارة ابن حزم وهو عقبى بدرى ان رجلا قال ان محمدا يخبركم الخبر من السماء وهو لا يدرى أين ناقته وانى والله لا أعلم الا ما علمنى الله عز وجل وهى فى الوادى فى شعب كذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا فاتوه بها فرجع عمارة الى أصحابه فخبرهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الناقة تعجبا مما رأى وكان زيد بن اصيت القينقاعى منافقا وهو فى رحل عمارة قد قال هذه المقالة فاخبر عمارة بان زيدا قد قالها فقام عمارة يطأ عنقه وهو يقول فى رحلى داهية ولا أدرى اخرج عنى يا عدو الله فزعم بعض الناس ان زيدا تاب وحسن اسلامه وقيل لم يزل متهما حتى هلك ووقف بأبى ذر جمله فتخلف عليه فقيل يا رسول الله تخلف أبو ذر فقال ذروه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم فكان يقولها لكل من تخلف عنه فوقف أبو ذر على جمله فلما أبطأ عليه أخذ رحله عنه وحمله على ظهره وتبع النبى صلى الله عليه وسلم ماشيا فنظر الناس فقالوا يا رسول الله هذا رجل على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا ذر فلما تأمله الناس قالوا هو أبو ذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أبا ذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده ويشهده عصابة من المؤمنين فلما نفى عثمان أبا ذر الى الربذة فاصابه بها أجله ولم يكن معه الا امرأته وغلامه فاوصاهما ان يغسلاه ويكفناه ثم يضعاه على الطريق فاول ركب يمر بهما يستعينان بهم على دفنه ففعلا ذلك فاجتاز بهما عبد الله بن مسعود فى رهط من أهل العراق فاعلمته امرأة أبى ذر بموته فبكى ابن مسعود وقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم تمشى وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم واروه وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فاتى يوحنا بن رؤبة صاحب أيلة فصالحه على الجزية وكتب له كتابا فبلغت جزيتهم ثلثمائة دينار ثم زاد فيها الخلفاء من بنى أمية فلما كان عمر بن عبد العزيز لم يأخذ منهم غير ثلثمائة وصالح أهل أذرح على مائة دينار فى كل رجب وصالح أهل جرباء على الجزية وصالح أهل مقنا على ربع ثمارهم وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل وكان نصرانيا من كندة فقال لخالد انك تجده يصيد البقر فخرج خالد بن الوليد حتى اذا كان من حصنه على منظر العين وأكيدر على سطح داره فباتت البقر تحك بقرونها باب الحصن فقالت امرأته هل رأيت مثل هذا قط قال لا والله ثم نزل وركب فرسه ومعه نفر من أهل بيته ثم خرج يطلب البقر فتلقتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته وقتلوا أخاه حسانا وأخذ خالد من اكيدر قباء ديباج مخوص بالذهب فارسله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل المسلمون يلمسونه ويتعجبون منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعجبون من هذا لمناديل سعد بن عبادة فى الجنة أحسن من هذا وقدم خالد بأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحقن دمه وصالحه على الجزية وخلى سبيله وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها ولم يقدم عليه الروم والعرب المتنصرة فعاد الى المدينة وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل لا يروى الا الراكب والراكبين بواد يقال له وادى المشقق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبقنا فلا يستقين منه

الاحداث وكل واحدة من هذه الخلال هو مضطر اليها فى حال لا يحسن أن يجلب غيرها والى أن يجتمع له مع قوة الخاطر ما يفهم به ضمير الرئيس الذى ينادمه على حسب ما يأتيه من خلائقه ويعلم من معانى لحظه واشاراته ما يعينه على شهوته ولا يكون نديما حتى يكون له جمال ومروءة فأما جماله فنظافة ثوبه وطيب رائحته وفصاحة لسانه وأما مروءته فكثرة حيائه فى انبساطه الى الجميل ووقاره فى مجلسه مع طلاقة وجهه فى غير سخف ولا يستكمل المروءة حتى يسلو عن اللذة * ورتب أردشير المراتب فجعلها سبعة أرواح فأولها الوزراء ثم الموبذان وهو القائم بأمور الدين وهو قاضى القضاة وهو رئيس الموابذة ومعناها القوام بأمور الدين فى سائر المملكة والقضاة المنصوبون للاحكام وجعل الاصبهيذين أربعة الاول بخراسان والثانى بالمغرب والثالث ببلاد الجنوب والرابع ببلاد الشام فهؤلاء الاربعة هم

شيأحتى نأتيه فسبقه نفر من المنافقين فاستقوا مافيه فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه بفعلهم فلعنهم ودعا عليهم ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فوضع يده تحته وهو يصب اليها يسيرا من الماء قد عافيه ونضحه فى الوشل فانخرق الماء جريا شديدا فشرب الناس واستقوا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قارب المدينة فأتاه خبر مسجد الضرار فارسل مالك بن الدخشم فحرقه وهدمه وأنزل الله فيه والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين الآيات وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا وكان قد أخرج من دار خذام بن خالد من بنى عمرو بن عوف وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد تخلف عنه رهط من المنافقين فأتوه يحلفون له ويعتذرون فصفح عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعذرهم الله ورسوله وتخلف أولئك النفر الثلاثة وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع تخلفوا من غير شك ولا نفاق فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامهم فاعتزلهم الناس فبقوا كذلك خمسين ليلة ثم أنزل الله توبتهم وعلى الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم الآيات الى قوله الصادقين وكان قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان (يامين النضرى بالنون والضاد المعجمة وعبد الله بن مغفل بالغين المعجمة والفاء المشددة المفتوحة وزيد بن لصيت باللام المضمومة والصاد المهملة وآخره تاء مثناة من فوقها وخذام بن خالد بالخاء المكسورة والذال المعجمتين وأكيدر بالهمزة المضمومة والكاف المفتوحة والدال المهملة المكسورة وآخره راء مهملة)

﴿ ذكر قدوم عروة بن مسعود الثقفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

وفيها قدم عروة بن مسعود الثقفى على النبى صلى الله عليه وسلم مسلما وقيل بل أدركه فى الطريق مرجعه من الطائف وسأله ان يرجع الى قومه بالاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوك فقال انا أحب اليهم من أبكارهم ورجا أن يوافقوه لمنزلته فيهم فلما رجع الى الطائف صعد الى علية له وأشرف منها عليهم وأظهر الاسلام ودعاهم اليه فرموه بالنبل فاصابه سهم فقتله فقيل له ماترى فى دمك فقال كرامة أكرمنى الله بها وشهادة ساقها الى ليس فى الا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله فادفنونى معهم فلما مات دفنوه معهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ان مثله فى قومه كمثل صاحب يس فى قومه

﴿ ذكر قدوم وفد ثقيف ﴾

وفى هذه السنة فى رمضان قدم وفد ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك انهم رأوا ان من يحيط بهم من العرب قد نصبوا لهم القتال وشنوا الغارات عليهم وكان أشدهم فى ذلك مالك بن عوف النضرى فلا يخرج منهم مال الا نهب ولا انسان الا أخذ فلما رأوا عجزهم اجتمعوا وأرسلوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير والحكم بن عمرو بن وهب وشرحبيل بن غيلان وهؤلاء من الاحلاف وأرسلوا من بنى مالك عثمان بن أبى العاص وأوس بن عوف ونمير بن خرشة فخرجوا حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزلهم فى قبة فى المسجد فكان خالد بن سعيد بن العاص يمشى بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل اليهم ما يأكلونه مع خالد وكانوا لا يأكلون طعاما حتى يأكل خالد منه حتى أسلموا وكان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدع الطاغية وهى اللات لا يهدمها ثلاث سنين فابى عليهم وكان قصدهم بذلك

أصحاب تدبير الملك كل واحد منهم قد أفرد بتدبير جزء من أجزاء المملكة فكل واحد منهم صاحب ربع منها ولكل واحد من هؤلاء مرزبان وهم خلفاء هؤلاء الاربعة ورتب أردشير الطبقات الاربعة من أصحاب التدبير ومن اليهم ازمة الملك وحضور المشورة فى ايراد الامور واصدارها ثم رتب طبقات المغنين وسائر المطربين وذوى الصنعة بالموسيقى فلم يزل على ذلك من طرأ بعده من ملوك آل ساسان الى بهرام جور فانه قرر مراتب الاشراف وأبناء الملوك وسدنة بيوت النيران والنساك والزهاد وطبقات العلماء بالديانة وأنواع المهن الفلسفية على حالها وغير طبقات المغنين فرفع من كان بالطبقة الوسطى الى الطبقة العليا والطبقة الدنيئة الى الوسطى وغير المراتب على حسب اعجابه بالمطرب له منهم وأفسد مارتبه أردشير بن بابك فى طبقات الملهين فسلك من ورد بعده من ملوكهم هذا المسلك حتى ورد كسرى انوشروان

ان يتسلموا من سفهائهم ونسائهم فنزلوا الى شهر فلم يجبهم وسألوه ان يعفيهم من الصلاة فقال لاخير فى دين لاصلاة فيه فاجابوا وأسلموا وأمّر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن أبى العاص وكان أصغرهم لما رأى من حرصه على الاسلام والتفقه فى الدين ثم رجعوا الى بلادهم وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم المغيرة بن شعبة وأباسفيان بن حرب ليهدما الطاغية فتقدم المغيرة فهدمها وقام قومه من بنى شعيب دونه خوفا ان يرمى بسهم وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها وأخذ حليها ومالها وكان أبو مليح بن عروة بن مسعود وقارب بن الاسود بن مسعود قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قتل عروة والاسود فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقضيا منه دين عروة والاسود ابنى مسعود ففعلا وكان الاسود مات كافرا فسأل ابنه قارب بن الاسود رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقضى دين أبيه فقال انه كافر فقال يصل مسلم ذا قرابته يعنى انه أسلم فيصل اباه وان كان مشركا

﴿ذكر غزوة طيّ واسلام عدى بن حاتم﴾

فى هذه السنة فى شهر ربيع الآخر أرسل النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فى سرية الى طيّ وأمره أن يهدم صنمهم الفلس فسار اليهم وأغار عليهم فغنم وسبى وكسر الصنم وكان متقلدا سيفين يقال لاحدهما مخذم وللآخر رسوب فاخذهما على وحملهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الحرث بن أبى شمر أهدى السيفين للصنم فعلقا عليه واسر بنت الحاتم الطائى وحملت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فاطلقها وأما اسلام عدى بن حاتم فقال عدى جاءت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا أختى وناسا فاتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أختى يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن على منّ الله عليك فقال ومن وافدك قالت عدى ابن حاتم قال الذى فرّ من الله ورسوله فمنّ عليها والى جانبه رجل قائم وهو على بن أبى طالب قال سليه حملانا فسألته فامر لها به وكساها وأعطاها نفقة قال عدى وكنت ملك طيّ آخذ منهم المرباع وانا نصرانى فلما قدمت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هربت الى الشام من الاسلام وقلت أكون عند أهل دينى فبينا انا بالشام اذ جاءت أختى وأخذت تلومنى على تركها وهربى باهلى دونها ثم قالت لى أرى ان تلحق به سريعا فان كان نبيا كان للسابق فضله وان كان ملكا كنت فى عز وانت انت قال فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وعرّفته نفسى فانطلق بى الى بيته فلقيته امرأة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها فقلت ماهذا بملك ثم دخلت بيته فاجلسنى على وسادة وجلس على الارض فقلت فى نفسى ماهذا املك فقال لى ياعدى انك تأخذ المرباع وهو لا يحل فى دينك ولعلك انما يمنعك من الاسلام ماترى من حاجتنا وكثرة عدوّنا والله ليفيضن المال فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ووالله لتسمعن بالمرأة تسير من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لاتخاف الا الله ووالله لتسمعن بالقصور البيض من بابل وقد فتحت قال فاسلمت فقد رأيت القصور البيض وقد فتحت ورأيت المرأة تخرج الى البيت لاتخاف الا الله ووالله لتكونن الثالثة ليفيضن المال حتى لا يقبله أحد

﴿ذكر قدوم الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلمت ثقيف وفرغ من تبوك ضربت اليه وفود العرب من كل وجه وانما كانت العرب تنتظر باسلامها قريشا اذ كانوا امام الناس وأهل الحرم

فرد مراتب المغنين الى ما كانت عليه فى عهد أردشير بن بابك * وقد كانت ملوك الاعاجم كلها من عهد أردشير تحتجب عن الندماء وكان بين الملك و بين أول الطبقات عشرون ذراعا الان الستارة التى على الملك تكون منه على عشرة أذرع ومن الطبقة الاولى على عشرة أذرع وكان الموكل بالستارة رجلا من أبناء الاساورة يقال له خرم باش فاذا غاب هذا الرجل وكل بها آخر من أبناء الاساورة وذوى التحصيل وسمى بهذا الاسم وهذا الاسم عام لمن رتب فى هذه المرتبة ووقف هذا الموقف وتفسير ذلك كن فرحا مسرورا وكان خرم باش هذا اذا جلس الملك لندمائه ومعاقريه أمر رجلا أن يرتفع على أرفع مكان فى دار الملك فيرفع عقيرته ويمد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر فيقول باللسان احفظ رأسك فانك تجالس فى هذا اليوم الملك ثم ينزل وكان ذلك فعلهم فى يوم جلوس الملك للهوه وطربه فيأخذ الندماء مراتبهم خافتة أصواتها غير مشيرة بشئ

وصريح ولد اسمعيل بن ابراهيم عليه السلام لاتنكر العرب بذلك وكانت قريش هي التي نصبت الحرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه فلما فتحت مكة واسلمت قريش عرفت العرب انها لا طاقة لها بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته فدخلوا في الدين أفواجا كما قال الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وقدمت وفودهم في هذه السنة قدم وفد بني أسد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا أتيناك قبل ان ترسل الينا فانزل الله تعالى يمنون عليك ان أسلموا الآية * وفيها قدم وفد بلي في شهر ربيع الاول * وفيها قدم وفد الزرابين وهم عشرة نفر * وفيها قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني تميم مع حاجب بن زرارة بن عدس وفيهم الاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم وقيس بن عاصم والحتات ومعتمر بن زيد في وفد عظيم ومعهم عيينة بن حصن الفزاري فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخرج الينا يا محمد فآذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج اليهم فقالوا جئنا نفاخرك فاذن لشاعرنا وخطيبنا فأذن لهم فقام عطارد فقال الحمد لله الذي له علينا الفضل الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز اهل المشرق واكثرهم عددا فمن يفاخرنا فليعدد مثل عددنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس أجب الرجل فقام ثابت فقال الحمد لله الذي له السموات والارض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شئ قط الا من فضله ثم كان من قدرته ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسبا واصدقهم حديثا وأفضلهم حسبا فانزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله تعالى من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان فآمن به المهاجرون من قومه وذوي رحمه أكرم الناس نسبا وأحسن الناس وجوها وخير الناس فعالا ثم كان أول الخلق استجابة لله حين دعاه نحن فنحن انصار الله ووزراء رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه في الله أبدا وكان قتله علينا يسيرا والسلام عليكم فقالوا يا رسول الله ائذن لشاعرنا فاذن له فقام الزبرقان بن بدر فقال

نحن الكرام فلا حي يعادلنا * منا الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الاحياء كلهم * عند النهاب وفضل العرب يتبع
ونحن يطعم عند القحط مطعمنا * من الشواء اذا لم يؤنس القزع
بما ترى الناس تأتينا سراتهم * من كل أرض هويا ثم نصطنع
فننحر الكوم عبطا في أرومتنا * للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا
فلا ترانا الى حي نفاخرهم * الا استقادوا وكان الرأس يقتطع
انا أبينا ولم يأب لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع
فمن يفاخرنا في ذاك يعرفنا * فيرجع القول والاخبار تستمع

قال وكان حسان بن ثابت غائبا فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجيب شاعرهم قال حسان فلما سمعت قوله قلت على نحوه

ان الذوائب من فهر واخوتهم * قد بينوا سنة للناس تتبع
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
يرضى بها كل من كانت سريرته * تقوى الاله وكل البر يصطنع

من جوارحها حتى يطلع الموكل بالستارة فيقول غن أنت يا فلان كذا وكذا واضرب أنت يا فلان كذا وكذا من طريقة كذا وكذا من طرائق الموسيقى * وقد كانت الاوائل من بني أمية لا تظهر للندماء وكذلك الاوائل من خلفاء بني العباس * وكور أردشير ابن بابك كورا ومدن مدنا وله عهد في أيدي الناس ولما خلا من ملكه أربع عشرة سنة وقيل خمس عشرة سنة واستقامت له الارض ومهدها وصال على الملوك فانقادت الى طاعته زهد في الدنيا وتبين عوارها وما هي عليه من الغرور والعناء وقلة المكث وسرعة الغيلة منها الى من أمنها ووثق بها واطمأن اليها وبان له أنها غرارة ضرارة خائلة زائلة بائدة ما اعذوذب منها جانب لامرئ وحلا الا تمرر منها عليه جانب ورأى أن من بني قبله المدائن وحصن الحصون وساق الجموع وكان أعظم جيشا وأشد جنودا وأتم عديدا قد صار رميما هشيما وتحت التراب مقيما فآثر التفرد عن المملكة والترك لها واللحاق ببيوت

معية تلاث منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع
ان كان فى الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لادنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
ان سابقوا الناس يوما فاز سبقهم * أو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا
أعفة ذكرت فى الحى عفتهم * لا يطمعون ولا يزرى بهم طمع
لا يبخلون على جار بفضلهم * ولا يمسهم من مطمع طبع
اذا نصبنا لحى لم ندب لهم * كما يدب الى الوحشية الذرع
كأنهم فى الوغى والموت مكتنع * أسد بحلية فى ارساغها فدع
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم * اذا تفرقت الاهواء والشيع
فانهم أفضل الاحياء كلهم * ان جد بالناس جد القول أو سمعوا

فلما فرغ حسان قال الاقرع بن حابس ان هذا الرجل لمؤتى له خطيبهم أخطب من خطيبنا وشاعرهم أشعر من شاعرنا ثم أسلموا وأجارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أنزل الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون الآيات (الحتات بالحاء المعجمة وتاءين كل واحدة منهما معجمة باثنتين من فوق وعيينة بضم العين المهملة وياءين كل واحدة منهما مثناة من تحت ونون) وفيها قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب ملوك حمير مقرين بالاسلام مع رسولهم الحرث بن عبد كلال والنعمان قيل ذى رعين وهمدان فأرسل اليه زرعة ذو يزن مالك بن مرة الرهاوى باسلامهم وكتب اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم بما عليهم فى الاسلام وينهاهم عما حرم عليهم وفيها قدم وفد بهراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا على المقداد بن عمرو وفيها قدم وفد بنى البكاء وفيها قدم وفد بنى فزارة فيهم خارجة بن حصن وفيها قدم وفد ثعلبة بن منقذ وفيها قدم وفد سعد بن بكر وكان وافدهم ضمام بن ثعلبة فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرائع الاسلام وأسلم فلما رجع الى قومه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن صدق ليدخلن الجنة فلما قدم على قومه اجتمعوا اليه فكان أول ما تكلم به أن قال بئست اللات والعزى فقالوا اتق البرص والجذام والجنون فقال ويحكم انهما لا يضران ولا ينفعان وان الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا وقد استنقذكم به مما كنتم فيه واظهر اسلامه فما أمسى ذلك اليوم فى حاضره رجل مشرك ولا امرأة مشركة فما سمع بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة

(ذكر حج أبى بكر رضى الله عنه)

وفيها حج أبو بكر بالناس ومعه عشرون بدنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولنفسه خمس بدنات وكان فى ثلثمائة رجل فلما كان بذى الحليفة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اثره عليا وأمره بقراءة سورة براءة على المشركين فعاد أبو بكر وقال يا رسول الله أنزل فى شئ قال لا ولكن لا يبلغ عنى الا أنا أو رجل منى ألا ترضى يا أبا بكر أنك كنت معى فى الغار وصاحبى على الحوض قال بلى فسار أبو بكر أميرا على الموسم فأقام الناس الحج وحجت العرب الكفار على عادتهم فى الجاهلية وعلى يؤذن ببراءة فنادى يوم الاضحى لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فأجله الى مدته ورجع المشركون فلام بعضهم بعضا وقالوا ما تصنعون وقد أسلمت قريش فأسلموا وفى هذه السنة فرضت الصدقات وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها عماله وفيها فى شعبان توفيت أم كلثوم بنت النبى صلى الله عليه وسلم وهى

النيران والانفراد بعبادة الرحمن والانس بالوحدة (فنصب ابنه سابور) لملكه وتوجه بتاجه وذلك أنه رآه أرجح ولده حلما وأكملهم علما وأشدهم بأسا وأجزلهم مراسا فعاش بعد ذلك فى حال تزهده وخلوه بربه وكونه فى بيوت النيران سنة وقيل شهرا وقيل أكثر مما ذكرنا وأقام أردشير اثنتى عشرة سنة يحارب ملوك الطوائف * فمنهم من يكاتبه فينقاد الى ملكه رهبة من صولته ومنهم من يمتنع عليه فيسير الى داره ويأتى عليه وكان آخر من قتل منهم ملكا للنبط بناحية سواد العراق اسمه بابان بن بنيا صاحب قصر ابن هبيرة ثم أردوان الملك وفى هذا اليوم يسمى شاهنشاه وهو ملك الملوك * وأم ساسان الاكبر من سبايا بنى اسرائيل وهى بنت سامان * ولاردشير بن بابك أخبار فى بدء ملكه مع زاهد من زهادهم وأبناء ملوكهم يقال له تيس وكان أفلاطونى المذهب على رأى سقراط وافلاطون أعرضنا عن ذكرها اذ كنا قد أتينا على جميع ذلك فى كتابنا أخبار الزمان وفى

زوج عثمان بن عفان وغسلتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب وقيل غسلتها نسوة من الانصار منهن أم عطية وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل فى حفرتها أبو طلحة وفيها مات عبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين وكان ابتداء مرضه فى شوّال فلما توفى جاء ابنه عبد الله الى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله قميصه فأعطاه فكفنه فيه وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه فقام عمر فى صدره وقال يارسول الله أتصلى عليه وقد قال يوم كذا كذا وكذا يعدّد أيامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ثم قال أخر عنى عمر قد خيرت فاخترت قد قيل لى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فان يغفر الله لهم ولو علمت ان لو زدت على السبعين غفر لهم لزدت ثم صلى عليه وقام على قبره حتى فرغ منه فأنزل الله تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية وفيها نعى النبى صلى الله عليه وسلم النجاشى للمسلمين وكان موته فى رجب سنة تسع وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها توفى أبو عامر الراهب عند النجاشى

﴿ذكر الاحداث فى سنة عشر﴾

﴿ذكر وفد نجران مع العاقب والسيد﴾

وفيها أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى بنى الحرث بن كعب بنجران وأمره ان يدعوهم الى الاسلام ثلاثا فان أجابوا أقام فيهم وعلمهم شرائع الاسلام وان لم يفعلوا قاتلهم فخرج اليهم ودعاهم الى الاسلام فاجابوا وأسلموا فاقام فيهم وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه اسلامهم وعاد خالد ومعه وفدهم فيهم قيس بن الحصين بن يزيد بن قينان ذى الغصة ويزيد بن عبد المدان وغيرهما فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا عنه فى بقية شوّال أو فى ذى الحجة وأرسل اليهم عمرو بن حزم يعلمهم شرائع الاسلام ويأخذ صدقاتهم وكتب معه كتابا وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرو بن حزم على نجران وأما نصارى نجران فانهم أرسلوا العاقب والسيد فى نفر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا مباهلته فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه على وفاطمة والحسن والحسين فلما رأوهم قالوا هذه وجوه لو اقسمت على الله ان يزيل الجبال لازالها ولم يباهلوه وصالحوه على ألفى حلة ثمن كل حلة أربعون درهما وعلى ان يضيفوا رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل لهم ذمة الله تعالى وعهده أن لا يفتنوا عن دينهم ولا يعشروا وشرط عليهم أن لا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به فلما استخلف أبو بكر عاملهم بذلك فلما استخلف عمر أجلى أهل الكتاب عن الحجاز وأجلى أهل نجران فخرج بعضهم الى الشأم وبعضهم الى نجرانية الكوفة واشترى منهم عقارهم وأموالهم وقيل انهم كانوا قد كثروا فبلغوا أربعين ألفا فتحاسدوا بينهم فأتوا عمر بن الخطاب وقالوا أجلنا وكان عمر بن الخطاب قد خافهم على المسلمين فاغتنمها فاجلاهم فندموا بعد ذلك ثم استقالوه فأبى فبقوا كذلك الى خلافة عثمان فلما ولى على أتوه وقالوا ننشدك الله خطك بيمينك فقال ان عمر كان رشيد الامر وانا أكره خلافه وكان عثمان قد اسقط عنهم مائتى حلة وكان صاحب النجرانية بالكوفة يبعث الى من بالشأم والنواحى من أهل نجران يجبونهم الحلل فلما ولى معاوية ويزيد بن معاوية شكوا اليه تفرقهم وموت من مات منهم واسلام من أسلم منهم وكانوا قد قلوا وأروه كتاب عثمان فوضع عنهم مائتى حلة تكملة أربعمائة حلة فلما ولى الحجاج العراق وخرج عليه عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث اتهم الدهاقين بموالاته واتهمهم معهم فردهم الى ألف وثلثمائة حلة وأخذهم بحلل وشى فلما ولى عمر بن عبد العزيز شكوا اليه فناءهم ونقصهم والحاح العرب عليهم بالغارة وظلم الحجاج فامر بهم فاحصوا فوجدوا على العشر من

عنهم

الكتاب الاوسط مع ذكر سيره وفتوحه وما كان من أمره * ولاردشير بن بابك كتاب يعرف بكتاب الكرنامج فيه ذكر أخباره وحروبه ومسيره فى الارض وسيره * وكان مما حفظ من وصية أردشير لابنه سابور عند نصبه اياه للملك أن قال له يابنى ان الدين والملك اخوان ولا غنى لواحد منهما عن صاحبه فالدين أس الملك والملك حارسه ومالم يكن له أس فمهدوم ومالم يكن له حارس فضائع * وكان مما حفظ من مكاتباته أعنى أردشير الى خواص من أنواع رعيته وعماله من أردشير بن بهمن ملك الملوك الى الكتاب الذين بهم تدبير المملكة والفقهاء الذين هم عماد الدين والاساورة الذين هم حماة الحرب والى الحراث الذين هم عمرة البلاد سلام عليكم نحن بحمد الله صالحون وقد رفعنا اتاوتنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا ورحمتنا ونحن كاتبون اليكم بوصية فاحفظوها لا تستشعروا الحقد فيكم فيدهمكم العدو ولا تحبوا الاحتكار فيشملكم

عدتهم الاولى فقال أرى هذا الصلح جزية وليس على أرضهم شيء وجزية المسلم والميت ساقطة فالزمهم مائتى حلة فلما تولى يوسف بن عمر الثقفى ردهم الى أمرهم الاول عصبية للحجاج فلما استخلف السفاح عمدوا الى طريقه يوم ظهوره من الكوفة فالقوا فيها الريحان ونثروا عليه فاعجبه ذلك من فعلهم ثم رفعوا اليه أمرهم وتقربوا اليه باخواله بنى الحرث بن كعب فكلمه فيهم عبد الله بن الحرث فردهم الى مائتى حلة فلما ولى الرشيد شكوا اليه العمال فامر ان يعفوا من العمال وان يكون مؤداهم بيت المال وفيها قدم وفد سلامان فى شوال وهم سبعة نفر رأسهم حبيب السلامانى وفيها قدم وفد غسان فى رمضان و وفد عامر فى شهر رمضان أيضا وفيها قدم وفد الازد رأسهم صرد بن عبد الله فى بضعة عشر رجلا فاسلم وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وأمره ان يجاهد المشركين فسار الى مدينة جرش وفيها قبائل من اليمن فيهم خثعم فحاصرهم قريبا من شهر فامتنعوا منه فرجع حتى كان بجبل يقال له كشر فظن أهل جرش انه منهزم فخرجوا فى طلبه فادركوه فعطف عليهم فقاتلهم قتالا شديدا وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظران حاله فبينماهما عنده اذ قال بأى بلاد الله شكر فقالا ببلادنا جبل يقال له كشر فقال انه ليس بكشر ولكنه شكر وان بدن الله لتنحر عنده الآن فقال لهما أبو بكر أو عثمان ويحكما انه ينعى لكما قومكما فاسألاه ان يدعو الله ان يرفع عنهم ففعلا فقال اللهم ارفع عنهم فخرجا من عنده الى قومهما فوجداهم قد أصيبوا ذلك اليوم فى تلك الساعة التى ذكر فيها النبى صلى الله عليه وسلم حالهم وخرج وفد جرش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلموا * وفيها قدم وفد مراد مع فروة بن مسيك المرادى على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا لملوك كندة وقد كان قبيل الاسلام بين مراد وهمدان وقعة ظفرت فيها همدان وأكثروا القتل فى مراد وكان يقال لذلك اليوم يوم الردم وكان رئيس همدان الاجدع بن مالك والد مسروق وفى ذلك يقول فروة

فان نغلب فغلابون قدما * وان نهزم فغير مهزمينا
وما ان طبنا جبن ولكن * منايانا ودولة آخرينا
كذاك الدهر دولته سجال * تكر صروفه حينا وحينا
فبينا ما نسر به ونرضى * ولو لبست غضارته سنينا
اذا انقلبت به كرات دهر * فالفى للاولى غبطوا طحينا
ومن يغبط بريب الدهر منهم * يجد ريب الزمان لهم خؤونا
فلو خلد الملوك اذن خلدنا * ولو بقى الكرام اذن بقينا
فأفنى ذلكم سروات قومى * كما أفنى القرون الاولينا

ولما توجه فروة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا لقومه قال

لما رأيت ملوك كندة أعرضت * كالرجل خان الرجل عرق نسائها
يممت راحلتى أؤم محمدا * أرجو فضائلها وحسن ثرائها

فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم فقال يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومى ولم يسؤه ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك لا يزيد قومك فى الاسلام الا خيرا فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيدا ومذحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص فكان على الصدقات الى أن توفى رسول الله صلى

القحط وكونوا لابناء السبيل مأوى تروواغدا فى المعاد وتزوجوا فى الاقارب فانه أمس للرحم وأقرب للنسب ولا تركنوا للدنيا فانها لا تدوم لاحد ولا تمتوا لها فلم يكن الا ما شاء الله ولا ترفضوها مع ذلك فان الآخرة لا تنال الا بها وكتب أردشير الى بعض عماله بلغنى أنك تؤثر اللين على الغلظة والمودة على الهيبة والجبن على الجراءة فليشتد أولك وليلن آخرك ولا تخلين قلبا من هيبة ولا تعطلنه من مودة ولا يبعد عليك ما أقول فانهما يتجاوران (ثم ملك بعد أردشير ابنه سابور) وكان ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وكانت له حروب مع كثير من ملوك العالم وبنى كورا ومصر مدنا نسبت اليه كما نسب من الكور والمدن الى آبائه والعرب تلقبه سابور الجنود * وفى أيامه ظهر مانى وقال بالاثنين فرجع سابور عن المجوسية الى مذهب مانى والقول بالنور والبراءة من الظلمة ثم عاد بعد ذلك الى دين المجوسية ولحق مانى بأرض الهند لاسباب أوجبت ذلك قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وكتب ملك الروم الى

الله عليه وسلم وفيها أرسل فروة بن عمرو الجذامي ثم النفاثي رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامه وأهدى له بغلة بيضاء وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب وكان منزله معان في أرض الشام فلما بلغ الروم اسلامه طلبوه حتى أسروه فحبسوه فقال في محبسه ذلك

طرقت سليمى موهنا فشجاني * والروم بين الباب والقربان
صد الخيال وساءه ما قد رأى * وهممت أن أغفي وقد أبكاني
لا تكحلن العين بعدي إثمدا * سلمى ولا تدنن للانسان

فلما اجتمعت الروم لصلبه على ماء لهم يقال له عفرى بفلسطين قال

الا هل أتى سلمى بان خليلها * على ماء عفرى فوق احدى الرواحل
على ناقة لم يلقح الفحل أمها * مشذبة أطرافها بالمناجل

وهذا من أبيات المعاني فلما قدموه ليصلبوه قال

بلغ سراة المسلمين بانني * سلم لربي أعظمي ومقامي

ثم ضربوا عنقه وصلبوه * وفيها قدم وفد زبيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمرو بن معديكرب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل على زبيد ومراد فروة بن مسيك في هذه السنة قبل قدوم عمرو فلما عاد عمرو من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام في قومه بني زبيد وعليهم فروة فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو * وفيها قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم الجارود بن عمرو وكان نصرانيا فاسلم وأسلم من معه وكان الجارود حسن الاسلام نهى قومه عن الردة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لما ارتدوا مع الغرور وهو المنذر بن النعمان وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمي قبل الفتح الى المنذر بن ساوى العبدي فاسلم وحسن اسلامه ثم هلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ردة أهل البحرين والعلاء أمير لرسول الله على البحرين وفيها قدم وفد بني حنيفة وفيهم مسيلمة وكان منزله في دار ابنة الحرث امرأة من الانصار واجتمع مسيلمة برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاد الى اليمامة وتنبأ وتكذب وادعى انه شريك رسول الله في النبوة فاتبعه بنو حنيفة وفيها قدم وفد كندة مع الاشعث بن قيس وكانوا ستين راكبا فقال الاشعث نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا وفيها قدم وفد محارب وفيها قدم وفد الرهاويين وهم بطن من مذحج (ورهاء بفتح الراء قاله عبد الغني بن سعيد) وفيها قدم وفد عبس وفيها قدم وفد صدف وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وفيها قدم وفد خولان وكانوا عشرة وفيها قدم وفد بني عامر بن صعصعة فيهم عامر بن الطفيل واربد بن قيس وجبار بن سلمى (بضم السين وبالامالة) ابن مالك بن جعفر وكان عامر يريد الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قومه ان الناس قد أسلموا فاسلم فقال لا أتبع عقب هذا الفتى ثم قال لاربد اذا قدمنا عليه فاني شاغله عنك فاعله بالسيف من خلفه فلما قدموا جعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم يشغله ليقتله به اربد فلم يفعل اربد شيأ فقال عامر للنبي صلى الله عليه وسلم لاملأنها عليك خيلا ورجالا فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني عامرا فلما خرجوا قال عامر لاربد لم لا قتلته قال كلما هممت بقتله دخلت بيني وبينه حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف ورجعوا فلما كانوا ببعض الطريق أرسل الله على عامر بن الطفيل الطاعون فقتله وانه لفي بيت امرأة سلولية فمات وجعل يقول يابني عامر أغدة كغدة البعير وموت في بيت

سابور بن أردشير أما بعد فقد بلغني من سياستك لجندك وضبطك ما تحت يدك وسلامة أهل مملكتك بتدبيرك ما أحببت أن أسلك فيه طريقتك وأركب منهاجك فكتب اليه سابور ان ذلك بثمان خصال لم أهزل في أمر ولا نهي قط ولم أخلف وعدا ولا وعيدا قط وحاربت للغنى لا للهوى واجتلبت قلوب الناس مقة بلا كره وخوفا بلا مقت وعاقبت للذنب لا للغضب وعممت بالقوت وحسمت الفضول ويقال ان سابور كتب الى بعض عماله اذا استكتبت رجلا فأسن رزقه وشد بصالح الاعوان عضده وأطلق بالتدبير يده ففي اسناء رزقه حسم طمعه وفي تقويته بالاعوان ثقل وطأته على أهل العدوان وفي اطلاقه بالتدبير ما أخافه عواقب الامور ثم قفه من أمره على ماله قدمته ليمثله اماما ويحفظه كلاما فان وقع أمره بما رسمت فأوله عرضك وأوجب زيارته عليك وان حاص عن امرك علقته حتفك وأطلقت بالعقوبة عليه يدك والسلام وعهد سابور الى ولده هرمز ومن تلاه بالملك بعده فقال

سلوابمة وارسل الله على اربد صاعقة فاحرقته وكان اربد بن قيس اخا لبيد بن ربيعة لامه * وفيها اقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيئ فيهم زيد الخيل وهو سيدهم فاسلموا وحسن اسلامهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذكر لى رجل من العرب ثم جاءنى الا رأيته دون ما يقال فيه الا ما كان من زيد الخيل ثم سماه زيد الخير واقطع له فيد وارضين معها فلما رجع أصابته الحمى بقرية من نجد فمات بها وفيها كتب مسيلمة الكذاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أنه شريكه فى النبوة وأرسل الكتاب مع رسولين فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فصدقاه فقال لهما لولا ان الرسل لا تقتل لقتلتكما وكان كتاب مسيلمة من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فانى قد أشركت معك فى الامر وان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فالسلام على من اتبع الهدى فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقيل ان دعوى مسيلمة وغيره النبوة كانت بعد حجة الوداع ومرضته التى مات فيها فلما سمع الناس بمرضه وثب الاسود العنسى باليمن ومسيلمة باليمامة وطليحة فى بنى أسد

﴿ذكر ارسال على الى اليمن واسلام همدان﴾

فى هذه السنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا الى اليمن وقد كان أرسل قبله خالد بن الوليد اليهم يدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوه فارسل عليا وأمره ان يقفل خالدا ومن شاء من أصحابه فقفل وقرأ على كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل اليمن فاسلمت همدان كلها فى يوم واحد فكتب بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام على همدان يقوله ثلاثا ثم تتابع أهل اليمن على الاسلام وكتب بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجد شكرا لله تعالى

﴿ذكر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراءه على الصدقات﴾

وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراءه وعماله على الصدقات فبعث المهاجر بن أبى امية بن المغيرة الى صنعاء فخرج عليه العنسى وهو بها وبعث زياد بن لبيد الانصارى الى حضرموت على صدقاتهم وبعث عدى بن حاتم الطائى على صدقات طيئ وأسد وبعث مالك بن نويرة على صدقات حنظلة وجعل الزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم على صدقات سعد بن زيد مناة بن تميم وبعث العلاء ابن الحضرمى الى البحرين وبعث على بن أبى طالب الى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ويعود ففعل وعاد ولقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فى حجة الوداع واستخلف على الجيش الذين معه رجلا من أصحابه وسبقهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فلقيه بمكة فعمد الرجل الى الجيش فكساهم كل رجل حلة من البز الذى مع على فلما دنا الجيش خرج على ليتلقاهم فرأى عليهم الحلل فنزعها عنهم فشكاه الجيش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام النبى صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال أيها الناس لا تشكوا عليا فهو الاخشن فى ذات الله وفى سبيل الله

﴿ذكر حجة الوداع﴾

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحج لخمس بقين من ذى القعدة لا يذكر الناس الا الحج فلما كان بسرف امر الناس ان يحلوا بعمرة الا من ساق الهدى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ساق الهدى وناس معه وكان على بن أبى طالب قد لقيه محرما فقال له النبى صلى الله عليه وسلم حل كما حل أصحابك فقال انى قد أهللت بما أهل به رسول الله فبقى على احرامه ونحر رسول الله صلى الله

اجملوا علو أخلاقكم كعلو أخطاركم وارتفاع كرمكم كارتفاع هممكم وفضل سعيكم كفضل جدكم وقيل ان ملك سابور كان احدى وثلاثين سنة ونصفا وثمانية عشر يوما (ثم ملك بعده سابور ابنه هرمز) ابن سابور الملقب بالبطل وكان ملكه سنة وقيل اثنين وعشرين شهرا وبنى مدينة رام هرمز من كور الاهواز * وكتب الى بعض عماله لا يصلح لسد الثغور وقود الجيوش وابرام الامور وتدبير الاقاليم الا رجل تكاملت فيه خمس خصال حزم يتيقن به عند موارد الامور حقائق مصادرها وعلم يحجبه عن التهور فى المشكلات الا عند تجلى فرصتها وشجاعة لا تنقصها الملمات بتواتر جوائحها وصدق فى الوعد والوعيد يوثق بوفائه بهما وجود يهون عليه تدبير الاموال فى حقها (ثم ملك بعده بهرام بن هرمز) ثلاث سنين وكانت له حروب مع ملوك الشرق وقد ذكرنا ان بهرام أتاه مانى بن فديك تلميذ ماردون فعرض عليه مذاهب الثنوية فقتله وقتل الرؤساء من أصحابه * وفى أيام مانى هذا ظهر اسم الزندقة الذى اليه اضيف

عليه وسلم الهدى عنه وعن علي وحج بالناس فاراهم مناسكهم وعلمهم سنن حجهم وخطب خطبته التي بين فيها للناس ما بين وكان الذي يبلغ عنه بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف لكثرة الناس فقال بعد حمد الله أيها الناس اسمعوا قولي فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا أيها الناس ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا وكل ربا موضوع لكم رؤس أموالكم وان ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله وكل دم كان في الجاهلية موضوع وأول دم أضع دم ابن ربيعة ابن الحرث بن عبد المطلب وكان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل أيها الناس ان الشيطان قد يئس ان يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه يطاع فيما سوى ذلك وقد رضي بما تحقرون من أعمالكم أيها الناس انما النسيء زيادة في الكفر وان الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا أيها الناس استوصوا بالنساء خيرا وهي خطبة طويلة وقال حين وقف بعرفة هذا الموقف للجبل الذي هو عليه وكل عرفة موقف وقال بالمزدلفة هذا الموقف وكل مزدلفة موقف ولما نحر بمنى قال هذا المنحر وكل منى منحر فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج وكانت حجة الوداع وحجة البلاغ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحج بعدها وارى الناس مناسكهم وعلمهم حجهم

﴿ذكر عدد غزواته صلى الله عليه وسلم وسراياه﴾

كان آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه غزوة تبوك وجميع غزواته بنفسه تسع عشرة غزوة قال الواقدي هكذا يرويه أهل العراق عن زيد بن أرقم وهو خطأ لان زيدا غزا مؤتة مع عبد الله بن رواحة وهو رديفه على رحله ولم يغز مع النبي صلى الله عليه وسلم غير ثلاث غزوات أو أربع وقيل غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ستا وعشرين غزوة وقيل سبعا وعشرين فمن قال ستا وعشرين جعل غزوة خيبر ووادي القرى واحدة لانه لم يرجع من خيبر الى منزله ومن فرق بينهما جعل غزواته سبعا وعشرين جعل خيبر غزوة ووادي القرى غزوة وأول غزوة غزاها ودان وهي الابواء ثم بواط بناحية رضوى ثم العشيرة ثم بدر الاولى لطلب كرز بن جابر ثم بدر التي قتل فيها قريشا ثم غزوة بني سليم ثم غزوة السويق ثم غزوة غطفان وهي غزوة ذي أمر ثم غزوة بحران بالحجاز ثم غزوة أحد ثم غزوة حمراء الاسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع ثم غزوة بدر الآخرة ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة الخندق ثم غزوة بني قريظة ثم غزوة بني لحيان من هذيل ثم غزوة ذي قرد ثم غزوة بني المصطلق ثم غزوة الحديبية ثم غزوة خيبر ثم عمرة القضاء ثم غزوة فتح مكة ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك قاتل منها في تسع غزوات بدر واحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف واختلف في عدد سراياه فقيل كانت خمسا وثلاثين ما بين سرية وبعث وقيل ثمانية وأربعين وفي هذه السنة قدم جرير بن عبد الله البجلي في رمضان مسلما فبعثه الى ذي الخلصة فهدمها وكان من حجر أبيض بتبالة وهو صنم بجيلة وخثعم وازد السراة فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر هدمه سجد شكرا لله تعالى وفيها أسلم باذان باليمن وبعث باسلامه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ذكر عدد حج النبي صلى الله عليه وسلم وعمره﴾

قال جابر حج النبي صلى الله عليه وسلم حجتين حجة قبل ان يهاجر وحجة بعد ما هاجر معها عمرة وقال عمر اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عمر وقالت عائشة أربع عمر وروى مثل ذلك عن ابن عمر

حين أتاهم زرادشت بن اسبيمان على حسب ما قدمنا من نسبه فيما سلف من هذا الكتاب بكتابهم المعروف بالنسناه باللغة الاولى من الفارسية وعمل له التفسير وهو الزند وعمل لهذا التفسير شرحا سماه البازند على حسب ما قدمنا وكان الزند بالتأويل غير المقدم المنزل وكان من أورد في شريعتهم شيأ بخلاف المنزل الذي هو النسناه وعدل الى التأويل الذي هو الزند قالوا هذا زندي فاضافوه الى التأويل وانه منحرف عن الظواهر من المنزل الى تأويل هو بخلاف التنزيل فلما أن جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس وقالوا زنديق وعربوه والثنوية هم الزنادقة ولحق بهؤلاء سائر من اعتقد القدم وأبى حدوث العالم (ثم ملك بعده بهرام بن بهرام) وكان ملكه سبع عشرة سنة وقيل غير ذلك وأقبل في أول ملكه على القصف واللذات والصيد والنزهة لا يفكر في ملكه ولا ينظر في امور رعيته وأقطع الضياع لخواصه ومن لاذ به من خدمه وحاشيته فخربت الضياع وخلت من عمارها

﴿ذكر صفة النبي صلى الله عليه وسلم وأسمائه وخاتم النبوة﴾

قال علي بن أبي طالب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل ولا بالقصير ضخم الرأس واللحية شثن الكفين والقدمين ضخم الكراديس مشربا وجهه حمرة طويل المسربة اذا مشى تكفأ تكفأ كأنما ينحط من صبب لم أر قبله ولا بعده مثله وكان ادعج العينين سبط الشعر سهل الخدين ذا وفرة كان عنقه أبريق فضة واذا التفت التفت جميعا كأن العرق في وجهه اللؤلؤ الرطب لطيب عرقه وريحه * قال أبو عبيدة وغيره شثن الكفين والقدمين يعني انهما الى الغلظ أقرب وقوله ضخم الكراديس يعني ألواح الاكتاف والمسربة الشعر ما بين السرة واللبة والصبب الانحدار والدعج في العين السواد والسبط من الشعر ضد الجعد وكان بين كتفيه صلى الله عليه وسلم خاتم النبوة وهي بضعة ناشزة حولها شعر (وأما أسماؤه) فانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا محمد وأنا أحمد والمقفى والحاشر ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة والعاقب والماحي الذي يمحو الله به الكفر والحاشر الذي يحشر الناس على قدمه والعاقب آخر الانبياء (وأما شعره وشيبه) فقال أنس لم يشنه الله بالشيب وقيل كان في مقدم لحيته عشرون شعرة بيضاء ولم يخضب قال جابر بن سمرة وكان في مفرق رأسه شعرات بيض اذا دهنه غطاهن الدهن وأخرجت أم سلمة شعره مخضوبا بالحناء والكتم وقال أبو رمثة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضب وكان شعره يبلغ كتفيه أو منكبيه وقالت أم هانئ كان له ضفائر أربع

﴿ذكر شجاعته صلى الله عليه وسلم وجوده﴾

قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وأسمح الناس وأحسن الناس وقع في المدينة فزع فركب فرسا عريا فسبق الناس اليه فجعل يقول أيها الناس لم تراعوا لم تراعوا وقال علي ابن أبي طالب كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أقربنا الى العدو وكفى بهذا شجاعة ان مثل علي الذي هو هو في شجاعته يقول هذا وقد تقدم في غزواته ما يستدل به على تمكنه من الشجاعة وانه لم يقاربه فيها أحد

﴿ذكر عدد ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وسراريه وأولاده﴾

قال ابن الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج خمس عشرة امرأة ودخل بثلاث عشرة وجمع بين احدى عشرة وتوفي عن تسع وأول امرأة تزوجها خديجة بنت خويلد وكان تزوجها قبله عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ومات عنها وتزوجها بعد عتيق أبو هالة بن زرارة بن نباش بن عدي التميمي فولدت له هند بن أبي هالة ثم مات عنها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له ثمانية القاسم والطيب والطاهر وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة فاما الذكور فماتوا وهم صغار وأما الاناث فبلغن ونكحن وولدن ولم يتزوج على خديجة في حياتها أحدا وكان موتها قبل الهجرة بثلاث سنين ولم يولد له ولد من غيرها الا ابراهيم فلما توفيت خديجة نكح بعدها سودة بنت زمعة وقيل عائشة فاما عائشة فكانت يوم تزوجها صغيرة بنت ست سنين وأما سودة فكانت امرأة ثيبا وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس اخي سهيل بن عمرو وكان من مهاجرة الحبشة فتنصر بها ومات فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وكان الذي خطبها عليه خولة بنت حكيم زوجة عثمان بن مظعون فدخل بسودة بمكة زوجها منه أبوها زمعة ابن قيس فلما تزوجها كان أخوها عبد بن زمعة غائبا فلما قدم جعل يحثي التراب على رأسه فلما اسلم قال اني لسفيه حيث فعلت ذلك وندم على ما كان منه وأما عائشة فدخل بها بالمدينة وهي

وسكنوا الضياع المعمورة فقلت العمارة الا ما أقطع من الضياع وسقطت عنهم المطالبة والخراج عما يليه الوزراء وخواص الملك وكان تدبير الملك مفوضا الى وزرائه فخربت البلاد وقلت العمارة وقل ما في بيوت الاموال فضعف القوي من الجنود وهلك الضعيف منهم فلما كان في بعض الايام ركب الملك الى بعض متنزهاته وصيده فجنه الليل وهو يسير نحو المدائن وكانت ليلة قمراء فدعا بالموبذان لامر خطر بباله فلحق به وسايره وأقبل على محادثته مستخبرا له عن سير أسلافه فتوسطوا في مسيرهم خرابات كانت من أمهات الضياع قد خربت في مملكته ولا أنيس بها الا البوم واذا بوم يصيح وآخر يجاوبه من بعض تلك الخرابات فقال الملك للموبذان أترى أحدا من الناس أعطي فهم منطق هذا الطير المصوت في هذا الليل الهادي فقال له الموبذان انا أيها الملك ممن قد خصه الله بفهم ذلك فاستفهمه الملك عما قال فاعلمه أن قوله صحيح فقال له فما يقول هذا الطائر وما الذي يقول الآخر قال الموبذان هذا بوم ذكر يخاطب بومة ويقول

ابنة تسع سنين ومات عنها وهى ابنة ثمان عشرة سنة ولم يتزوج بكرا غيرها وماتت سنة ثمان وخمسين ثم تزوج بعدها حفصة بنت عمر بن الخطاب وكانت قبله عند خنيس بن حذافة السهمى (خنيس بالخاء المعجمة والنون والسين المهملة) وكان بدريا ولم يشهد من بنى سهم بدرا غيره ولم تلد له شيأ وماتت بالمدينة فى خلافة عثمان ثم تزوج بعدها أم سلمة ابنة أبى امية زاد الركب المخزومية وكانت قبله عند أبى سلمة بن عبد الاسد المخزومى شهد بدرا وأصابته جراحة يوم أحد فمات منها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الاحزاب وماتت سنة تسع وخمسين وقيل بعد قتل الحسين رضى الله عنه ثم تزوج زينب بنت خزيمة من بنى عامر بن صعصعة ويقال لها أم المساكين وتوفيت فى حياته ولم يمت فى حياته غيرها وغير خديجة بنت خويلد وكانت زينب قبله عند الطفيل ابن الحرث بن المطلب ثم تزوج عام المريسيع جويرية ابنة الحرث بن أبى ضرار الخزاعية من بنى المصطلق وكانت قبله عند مسافع بن صفوان المصطلقى لم تلد له شيأ * ثم تزوج أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب وكانت عند عبيد الله بن جحش وكان من مهاجرة الحبشة فتنصر ومات بها فارسل النبى صلى الله عليه وسلم الى النجاشى فخطبها عليه وتزوجها وهى بالحبشة وزوجها منه خالد بن سعيد بن العاص وقيل بل خطبها الى عثمان بن عفان فزوجها منه وبعث فيها الى النجاشى فساق منه المهر أربعمائة دينار وأرسلها اليه وتوفيت فى خلافة اخيها معاوية فلم تلد له شيأ * ثم تزوج زينب بنت جحش وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه فلم تلد له شيأ فزوجها الله اياه وبعث فى ذلك جبريل وكانت تفخر على نساء النبى صلى الله عليه وسلم وتقول أنا اكرمهن وليا وسفيرا وهى أول أزواجه توفيت بعده فى خلافة عمر * ثم تزوج عام خيبر صفية بنت حيى بن أخطب وكانت قبله تحت سلام بن مشكم فتوفى عنها وخلف عليها كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق فقتله محمد ابن مسلمة صبرا بأمر النبى صلى الله عليه وسلم ثم أعتقها النبى صلى الله عليه وسلم وتزوجها سنة ست وماتت سنة ست وثلاثين * ثم تزوج ميمونة ابنة الحرث الهلالية وكانت قبله عند مسعود بن عمرو ابن عمير الثقفى ولم تلد له شيأ ثم خلف عليها أبو رهم بن عبد العزى بعد مسعود ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده وهى خالة ابن عباس وخالد بن الوليد وتزوجها فى عمرة القضاء بسرف * ثم تزوج امرأة من بنى كلاب يقال لها شاه بنت رفاعة وقيل هى سنى ابنة أسماء بن الصلت وقيل ابنة الصلت بن حبيب توفيت قبل ان يدخل بها * ثم تزوج الشنباء ابنة عمرو الغفارية وقيل الكنانية فمات ابراهيم ابنه قبل ان يدخل بها فقالت لو كان نبيا مامات ابنه فطلقها * ثم تزوج عمرية ابنة جابر الكلابية خطبها عليه أبو أسيد (بضم الهمزة) الساعدى فلما قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم استعاذت بالله منه ففارقها * ثم تزوج أسماء ابنة النعمان بن الاسود بن شراحيل الكندى فلما دخل بها وجد بها بياضا فمتعها وردها الى أهلها وقيل بل استعاذت منه أيضا فردها * والعالية ابنة ظبيان فجمعها ثم فارقها * وقتيلة بنت قيس أخت الاشعث فتوفى عنها قبل ان يدخل بها فارتدت وفاطمة ابنة سرع وقال ابن الكلبى عربة هى أم شريك قال وقيل انه تزوج خولة ابنة الهذيل بن هبيرة وليلى ابنة الخطيم الانصارية عرضت نفسها عليه فتزوجها فاخبرت قومها فقالوا أنت غيور وله نساء فاستقيليه فاستقالته فأقالها ففارقها * وأما من خطب النبى صلى الله عليه وسلم من النساء ولم ينكحها فمنهن أم هانئ بنت أبى طالب خطبها ولم يتزوجها * ومنهن ضباعة بنت عامر من بنى قشير * ومنهن صفية بنت بشامة أخت الاعور العنبرى * ومنهن أم حبيبة ابنة عمه العباس فوجد العباس أخاه من الرضاعة فتركها * ومنهن جمرة ابنة الحرث بن أبى حارثة خطبها فقال أبوها

بها

لها أمتعينى من نفسك حتى يخرج منا أولاد يسبحون الله ويبقى لنا فى هذا العالم عقب يكثرون ذكرنا والترحم علينا فاجابته البومة ان الذى دعوتنى اليه هو الحظ الاكبر والنصيب الاوفر فى العاجل والآجل الا انى أشترط عليك خصالا ان أنت أعطيتنيها أجبتك الى ما دعوتنى اليه فقال لها الذكر وما تلك الخصال قالت أولها ان أنا ابحتك نفسى وصرت الى ما اليه دعوتنى تضمن لى أن تعطينى من خرابات امهات الضياع عشرين قرية مما قد خرب فى أيام هذا الملك السعيد فقال له الملك فما الذى قال لها الذكر قال الموبذان كان من قوله لها ان دامت أيام هذا الملك السعيد جده أعطيتك مما يخرب من الضياع ألف قرية فما تصنعين بها قالت فى اجتماعها ظهور النسل وكثرة الولد فنقطع كل واحد من أولادنا قرية من هذه الخرابات قال لها الذكر هذا أسهل أمر أردتيه وأيسر أمر طلبتيه منى وقد منحتك الوعد وأنا ملىء بذلك فهاتى ما بعد ذلك فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبذان

بها سوولم يكن بها فرجع اليها فوجدها قد برصت* وأما سراريه فهي مارية ابنة شمعون القبطية و ولدت له ابراهيم وريحانة ابنة زيد القرظية وقيل هي من بني النضير

(ذكر موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم)

فنهم زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زيد* وثوبان ويكنى أباعبد الله أصله من السراة وسكن حمص بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ومات سنة سبع وخمسين وقيل سكن الرملة ولا عقب له وشقران وكان من الحبشة وقيل من الفرس واسمه صالح فقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثه من أبيه وقيل كان لعبد الرحمن بن عوف فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم وأعقب* وأبو رافع واسمه ابراهيم وقيل أو يقع فقيل كان للعباس فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم فاعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان لابي أحيحة بن سعيد بن العاص فاعتق ثلاثة من بنيه أنصبهم منه وشهد معهم بدرا وهم كفار وقتلوا يومئذ ووهب خالد بن سعيد نصيبه منه للنبي صلى الله عليه وسلم فاعتقه وابنه البهي واسمه رافع وأخوه عبيد الله بن أبي رافع كان يكتب لعلي بن أبي طالب* وسلمان الفارسي وكنيته أبو عبد الله من أهل اصبهان وقيل من أهل رامهرمز اصابه سبيا بعض من كاب وبيع من يهودي بوادي القرى فكاتب اليهودي وأعانه النبي صلى الله عليه وسلم حتى عتق* وسفينة كان لام سلمة فاعتقته وشرطت عليه خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل اسمه مهران وقيل رباح وقيل كان من عجم الفرس وابنه يكنى أبا مسروح وهو من مولدي السراة وكان يأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد معه بدرا وأحدا والمشاهد كلها وقيل كان من الفرس* وأبو كبشة واسمه سليم قيل كان من موالي مكة وقيل كان من مولدي أرض دوس اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه وشهد بدرا والمشاهد كلها وتوفي في يوم استخلاف عمر بن الخطاب سنة ثلاث عشرة ورويقع أبو مويهبة كان من مولدي مزينة فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه ورباح الاسود كان يأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم* وفضالة نزل الشام* ومدعم قتل بوادي القرى وأبو ضميرة قيل كان من الفرس من ولد بشتاسب الملك فاصابه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض وقائعه فاعتقه وهو جد أبي حسين* ويسار وكان نوبيا أصابه في بعض غزواته فاعتقه وهو الذي قتله العرنيون الذين أغاروا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم* ومهران مولاه حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم* وكان له خصي يقال له مابور أهداه له المقوقس مع مارية وسيرين قيل أنه الذي قذفت مارية به فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ليقتله فرآه خصيا فتركه وخرج اليه من الطائف وهو محاصرهم أربعة اعبد فاعتقهم منهم ابو بكرة

(ذكر من كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم)

ذكر ان عثمان بن عفان كان يكتب له احيانا وعلي بن أبي طالب احيانا وخالد بن سعيد وأبان بن سعيد والعلاء بن الحضرمي وأول من كتب له أبي بن كعب وكتب له زيد بن ثابت وكتب له عبد الله ابن سعد بن أبي سرح ثم ارتد ورجع الى الاسلام يوم الفتح وكتب له معاوية بن أبي سفيان وحنظلة الاسيدي (بضم الهمزة وتشديد الياء كذلك يقوله المحدثون وهو منسوب الى أسيد بن عمرو بن تميم بالتشديد اجماعا)

(ذكر أسماء خيله صلى الله عليه وسلم)

قيل أول فرس ملكه صلى الله عليه وسلم فرس اشتراه بالمدينة من اعرابي من فزارة بعشرة أواق وسماه السكب وأول غزوة غزاها عليه أحد* وفرس لابي بردة بن أبي نيار اسمه ملاوح وكان له

عمل في نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما خوطب به فنزل من ساعته وترجل للناس وخلا بالموبذان فقال له أيها القيم بالدين والناصح للملك المنبه على ما أغفله من أمور ملكه وأضاعه من أمر بلاده ورعيته ما هذا الذي خاطبتني به فقد حركت مني ما كان ساكنا وبعثتني على علم ما كنت عنه غائبا قال الموبذان فصادفت من الملك السعيد جده وقت سعد للعباد والبلاد فجعلت الكلام مثلا وموقظا على لسان الطائر عند طلب الملك مني جواب ماسأل ثم قال له الملك أيها الناصح اكشف لي عن هذا الغرض الذي اليه رميت والمعنى الذي له قصدت ما المراد منه والى ماذا يؤول قال الموبذان أيها الملك السعيد جده ان الملك لا يتم عزه الا بالشريعة والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره ونهيه ولا قوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب

فرس يدعى المرتجز وهو الفرس الذى شهد به خزيمة بن ثابت وكان صاحبه من بنى مرة * وكان له ثلاثة افراس لزاز والظرب واللحيف فاما لزاز فأهداه له المقوقس وأما اللحيف فأهداه له ربيعة ابن أبى البراء وأما الظرب فاهداه له فروة بن عمرو الجذامى وكان له فرس يقال له الورد أهداه له تميم الدارى فوهبه النبى صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب فحمل عليه فى سبيل الله فوجده يباع وقيل كان له فرس اسمه اليعسوب * تفسير هذه الاسماء السكب الكثير الجرى كأنما يصب جريه صبا واللحيف سمى به لطول ذنبه كأنه يلحف الارض بذنبه أى يغطيها ولزاز سمى به لشدة تلززه والظرب سمى به لشدة خلقه سمى بالجبل الصغير والمرتجز سمى به لحسن صهيله واليعسوب سمى به لانه أجود خيله لان اليعسوب الرئيس

(ذكر بغاله وحميره وابله صلى الله عليه وسلم)

كانت له دلدل وهى أول بغلة ركبت فى الاسلام أهداها له المقوقس ومعها حمار اسمه عفير وبقيت البغلة الى زمن معاوية * وأهدى له فروة بن عمرو بغلة يقال لها فضة فوهبها لابى بكر وحماره يعفور نفق بعد منصرفه من حجة الوداع * وأما ابله فكانت له القصواء وهى التى أخذها من أبى بكر بأربعمائة درهم وهاجر عليها وكانت من نعم بنى الحريش وبقيت مدة وهى العضباء والجدعاء أيضا قال ابن المسيب كان فى طرف أذنها جدع وقيل لم يكن بها جدع * وأما لقاحه فكان له عشرون لقحة بالغابة وهى التى أغار عليها القوم يأتى لبنها أهله كل ليلة وكان له لقاح غزر منهن الحناء والسمراء والعريس والسعدية والبغوم واليسيرة والرياء ومهرة والشقراء * وأما منائحه فكانت له سبع منائح من الغنم عجرة وزمزم وسقيا وبركة وورشة واطلال واطراف * وسبعة اعنز برعاهن أيمن بن أم أيمن تفسير هذه الاسماء عفير تصغير ترخيم الاعفر وهو الابيض بياضا غير خالص ومنه أيضا اسم حماره يعفور كاخضر ويخضور البغام صوت الابل ومنه البغوم والباقى لا يحتاج الى شرح

(ذكر أسماء سلاحه صلى الله عليه وسلم)

كان له ذو الفقار غنمه يوم بدر وكان لمنبه بن الحجاج وقيل لغيره وغنم من بنى قينقاع ثلاثة أسياف سيفا قلعيا وسيفا يدعى بتارا وسيفا يدعى الحتف وكان له المخذم ورسوب وقدم معه المدينة سيفان شهد باحدهما بدرا يسمى العضب وكان له ثلاثة ارماح وثلاثة قسى قوس اسمها الروحاء وقوس يدعى البيضاء وقوس نبع يدعى الصفراء * وكان له درع يقال لها السعدية وكان له درع يقال لها فضة غنمهما من بنى قينقاع وكان له درع تسمى ذات الفضول كانت عليه يوم أحد هى وفضة وكان له ترس فيه تمثال رأس كبش فكرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبح وقد أذهبه الله عز وجل * تفسير هذه الاسماء سمى السيف ذو الفقار لحفر فيه والسيف المخذم القاطع والرسوب الذى يمضى فى الضربة ويثبت فيها

(ذكر احداث سنة احدى عشرة)

فى المحرم من هذه السنة بعث النبى صلى الله عليه وسلم بعثا الى الشام وأميرهم اسامة بن زيد مولاه وأمره ان يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين فتكلم المنافقون فى امارته وقالوا أمّر غلاما على جلة المهاجرين والانصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تطعنوا فى امارته فقد طعنتم فى امارة أبيه من قبل وانه لخليق للامارة وكان أبوه خليقا لها وأوعب مع اسامة المهاجرون الاولون منهم أبو بكر وعمر فبينما الناس على ذلك ابتدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه

*(ذكر

وجعله قديما وهو الملك قال الملك أماما وصفت فحق فأبن لى عما تقصد وأوضح لى فى البيان قال الموبذان نعم أيها الملك عمدت الى الضياع فانتزعتها من أربابها وعمارها وهم أرباب الخراج ومن يؤخذ منهم الاموال فاقطعتها الحاشية والخدم وأهل البطالة وغيرهم فعمدوا الى ما تعجل من غلاتها واستعجلوا المنفعة وتركوا العمارة والنظر فى العواقب وما يصلح الضياع وسومحوا فى الخراج لقربهم من الملك ووقع الحيف على من بقى من أرباب الخراج وعمار الضياع فانجلوا عن ضياعهم ورحلوا عن ديارهم وأووا الى ما تعزز من الضياع باربابه فسكنوه فقلت العمارة وخربت الضياع وقلت الاموال فهلكت الجنود والرعية وطمع فى ملك فارس من أطاف بها من الملوك والامم لعلمهم بانقطاع المواد التى بها تستقيم دعائم الملك فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبذان أقام فى موضعه ذلك ثلاثا وأحضر الوزراء والكتاب وأرباب الدواوين وأحضرت الجرائد فانتزعت الضياع من أيدى الخاصة والحاشية وردت الى أربابها وجروا على رسومهم السالفة

(ذكر مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاته)

ابتدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه أواخر صفر في بيت زينب بنت جحش وكان يدور على نسائه حتى اشتد مرضه في بيت ميمونة فجمع نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيت عائشة ووصلت اخبار بظهور الاسود العنسي باليمن ومسيلمة باليمامة وطليحة في بني أسد وعسكر بسميراء وسيجيء ذكر أخبارهم ان شاء الله تعالى فتأخر مسير أسامة لمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولخبر الاسود العنسي ومسيلمة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه من الصداع فقال اني رأيت في عضدي سوارين من ذهب فنفختهما فطارا فأولتهما بكذاب اليمامة وكذاب صنعاء وأمر بانفاذ جيش أسامة وقال لعن الله الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وخرج اسامة فضرب بالجرف العسكر وتمهل الناس وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشغله شدة مرضه عن انفاذ أمر الله فأرسل الى نفر من الانصار في أمر الاسود فأصيب الاسود في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بيوم فأرسل الى جماعة من الناس يحثهم على جهاد من عندهم من المرتدين * وقال أبو مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيقظني رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وقال اني قد أمرت ان أستغفر لاهل البقيع فانطلقت معه فسلم عليهم ثم قال ليهنئكم ما أصبحتم فيه قد أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ثم قال قد أوتيت مفاتيح خزائن الارض والخلد بها ثم الجنة وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي فاخترت لقاء ربي ثم استغفر لاهل البقيع ثم انصرف فبدئ بمرضه الذي قبض فيه قالت عائشة فلما رجع من البقيع وجدني وأنا أجد صداعا وأنا أقول وارأساه قال بل أنا والله ياعائشة وارأساه ثم قال ماضرك لو مت قبلي فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك فقلت كأني بك والله لو فعلت ذلك فرجعت الى بيتي فعرست ببعض نسائك فتبسم وتمادى به وجعه وتمرض في بيتي فخرج منه يوما بين رجلين أحدهما الفضل بن العباس والآخر علي قال الفضل فأخرجته حتى جلس على المنبر فحمد الله وكان أول ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم أن صلى على أصحاب احد فأكثر واستغفر لهم ثم قال أيها الناس ان قد دنا مني حقوق[٣] من بين أظهركم فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه ومن أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه ولا يخش الشحناء من قبلي فانها ليست من شأني ألا وان أحبكم الي من أخذ مني حقا ان كان له أو حللني فلقيت ربي وانا طيب النفس ثم نزل فصلى الظهر ثم رجع الى المنبر فعاد لمقالته الاولى فادعى عليه رجل بثلاثة دراهم فأعطاه عوضها ثم قال أيها الناس من كان عنده شيء فليؤده ولا يقل فضوح الدنيا ألا وان فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ثم صلى على أصحاب احد واستغفر لهم ثم قال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر وقال فديناك بأنفسنا وآبائنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبقين في المسجد باب الا باب أبي بكر فاني لا أعلم أحدا أفضل في الصحبة عندي منه ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام ثم أوصى بالانصار فقال يامعشر المهاجرين أصبحتم تزيدون وأصبحت الانصار لا تزيد والانصار عيبتي التي أويت اليها فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم قال ابن مسعود نعى الينا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة فنظر الينا فشدد ودمعت عيناه وقال مرحبا بكم حياكم الله رحمكم الله آواكم الله حفظكم الله رفعكم الله وفقكم الله سلمكم الله قبلكم الله أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم وأستخلفه عليكم وأؤديكم اليه اني لكم منه نذير وبشير أن لا تعلوا على الله في عباده وبلاده فانه قال لي ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين

وأخذوا في العمارة وقوي من ضعف منهم فعمرت الارض وأخصبت البلاد وكثرت الاموال عند جباية الخراج وقويت الجنود وقطعت مواد الاعداء وشحنت الثغور وأقبل الملك يباشر الامر بنفسه في كل وقت من الزمان وينظر في أمر خواصه وعوامه فحسنت ايامه وانتظم ملكه حتى كانت تدعى أيامه أعيادا لما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل (ثم ملك بعده بهرام) بن الملك بن بهرام اربع سنين واربعة أشهر (ثم ملك بعده نرسي بن بهرام) على ماذكرنا من النسب وكان الملك يدعى البطل وكان ملكه سبع سنين ونصفا (ثم ملك بعده هرمز) ابن نرسي بن بهرام على ما ذكرنا من النسب وكان ملكه سبع سنين وخمسة أشهر وذكر ابو عبيدة معمر بن المثنى عن عمر كسرى أن كل من ذكرنا من ملوك ساسان الى هذا الملك وهو هرمز بن نرسي كانوا ينزلون جنديسابور من بلاد خوزستان وقد كان يعقوب بن الليث الصفار سكن جنديسابور متشبها بمن مضى من ملوك ساسان الى أن مات بها

---

٣ قوله ان قد دنا الخ تركيب غير ظاهر فليحرر لفظ الحديث اه

لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين قلنا فتى أجلك قال دنا الفراق والمنقلب الى الله وسدرة المنتهى والرفيق الاعلى وجنة المأوى فقلنا من يغسلك قال أهلى قال فيم نكفنك قال فى ثيابى أو فى بياض قلنا فمن يصلى عليك قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا فبكينا وبكى ثم قال ضعونى على سريرى على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة ليصلى على جبريل واسرافيل وميكائيل وملك الموت مع الملائكة ثم ادخلوا على فوجا فوجا فصلوا على ولا تؤذونى بتزكية ولا رنة أقرؤا أنفسكم منى السلام ومن غاب من أصحابى فاقرؤه منى السلام ومن تابعكم على دينى فاقرؤه السلام قال ابن عباس يوم الخميس وما يوم الخميس ثم جرت دموعه على خديه اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه ووجعه فقال ائتونى بدواة وبيضاء اكتب لكم كتابا لا تضلون بعدى أبدا فتنازعوا ولا ينبغى عند نبى تنازع فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهجر فجعلوا يعيدون عليه فقال دعونى فما أنا فيه خير مما تدعونى اليه فأوصى ان يخرج المشركون من جزيرة العرب وان يجاز الوفد بنحو مما كان يجيزهم وسكت عن الثالثة عمدا أو قال نسيتها وخرج على بن أبى طالب من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه فقال الناس كيف أصبح رسول الله فقال أصبح بحمد الله بارئا فأخذ بيده العباس فقال أنت بعد ثلاث عبد العصا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيتوفى فى مرضه هذا وانى لاعرف الموت فى وجوه بنى عبد المطلب فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأله فيمن يكون هذا الامر فان كان فينا علمناه وان كان فى غيرنا أمره فأوصى بنا فقال على لئن سألناها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس أبدا والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما اشتد الضحى حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة قالت أسماء بنت عميس ما وجعه الا ذات الجنب فلولدوه ففعلوا فلما أفاق قال لم فعلتم هذا قالوا ظننا ان بك ذات الجنب قال لم يكن الله ليسلطها على ثم قال لا يبقى أحد فى البيت الا لد وانا انظر الا عمى وكان العباس حاضرا ففعلوا قال اسامة لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطت أنا ومن معى فدخلنا عليه وقد صمت فلا يتكلم فجعل يرفع يده الى السماء ثم يضعها على فعلمت انه يدعولى قالت عائشة وكنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كثيرا ان الله لم يقبض نبيا حتى يخيره قالت فلما احتضر كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول بل الرفيق الاعلى قالت قلت اذا والله لا يختارنا وعلمت انه تخير ولما اشتد مرضه آذنه بلال بالصلاة فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت عائشة فقلت انه رجل رقيق وانه متى يقم مقامك لا يطيق ذلك فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقلت مثل ذلك فغضب وقال انكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس فتقدم أبو بكر فلما دخل فى الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة فخرج بين رجلين فلما دنا من أبى بكر تأخر أبو بكر فأشار اليه ان قم مقامك فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الى جنب أبى بكر جالسا فكان أبو بكر يصلى بصلاة النبى والناس يصلون بصلاة أبى بكر وصلى أبو بكر بالناس سبع عشرة صلاة وقيل ثلاثة أيام ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فى اليوم الذى توفى فيه الى الناس فى صلاة الصبح فكاد الناس يفتتنون فى صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا لما رأى من هيئتهم فى الصلاة ثم رجع وانصرف الناس وهم يظنون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفاق من وجعه ورجع أبو بكر الى منزله بالسنح قالت عائشة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت وعنده قدح فيه ماء يدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول اللهم أعنى على سكرات الموت قال ثم دخل بعض آل أبى بكر

وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار المعتمد حين سكناه أياها ووفاته فيها (ثم ملك بعد هرمز بن نرسى ابنه سابور بن هرمز) وهو سابور ذو الاكتاف وكان ملكه الى أن هلك اثنتين وسبعين سنة وخلفه والده حملا فغلبت العرب على سواد العراق وقام الوزراء بأمر التدبير وكانت جمرة العرب ممن غلب على العراق ولد اياد بن نزار وكان يقال لها طبق لاطباقها على البلاد وملكها يومئذ الحرث بن الاغر الايادى فلما بلغ سابور من السن ست عشرة سنة أعد اساورته بالخروج اليهم والايقاع بهم وكانت اياد تصيف بالجزيرة وتشتو بالعراق وكان فى حبس سابور رجل منهم يقال له لقيط فكتب الى اياد شعرا ينذرهم به ويعلمهم خبر من يقصدهم وهو

سلام فى الصحيفة من لقيط
على من فى الجزيرة من اياد
بان الليث يأتيكم دلاقا
فلا يحسبكم شوك القتاد
أتاكم منهم سبعون ألفا
يجرون الكتائب كالجراد
على خيل ستأتيكم فهذا
أوان هلاككم كهلاك عاد

فلم يعبؤا بكتابه وسراياه تكر نحو العراق وتغير على

وفي يده سواك فنظر اليه فأخذته فلينته ثم ناولته اياه فاستن به ثم وضعه ثم ثقل في حجري قالت فذهبت أنظر في وجهه واذا ابصره قد شخص وهو يقول بل الرفيق الاعلى فقبض قالت توفي وهو بين سحري ونحري فمن سفهي وحداثة سني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض في حجري فوضعت رأسه على وسادة وقمت التدم مع النساء وأضرب وجهي ولما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه ونزل به الموت جعل يأخذ الماء بيده ويجعله على وجهه ويقول واكرباه فتقول فاطمة واكربي لكربك يا أبتي فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا كرب على أبيك بعد اليوم فلما رأى شدة جزعها استدناها وسارها فبكت ثم سارها الثانية فضحكت فلما توفي رسول الله سألتها عائشة عن ذلك قالت اخبرني انه ميت فبكيت ثم اخبرني اني أول أهله لحوقا به فضحكت وروى عنها انها قالت ثم سارني الثانية وأخبرني اني سيدة نساء أهل الجنة فضحكت وكان موته يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول ودفن من الغد نصف النهار وقيل مات نصف النهار يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ربيع الاول ولما توفي كان أبو بكر بمنزله بالسنح وعمر حاضر فلما توفي قام عمر فقال ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وانه والله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا انه مات وأقبل أبو بكر وعمر يكلم الناس فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى في ناحية البيت فكشف عن وجهه ثم قبله وقال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا اما الموتة التي كتب الله عليك فقد متها ثم رد الثوب على وجهه ثم خرج وعمر يكلم الناس فأمره بالسكوت فأبى فاقبل أبو بكر على الناس فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا هذه الآية وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزي الله الشاكرين قال فوالله لكأن الناس ما سمعوها الا منه قال عمر فوالله ما هو الا ان سمعتها فعقرت حتى وقعت على الارض ما تحملني رجلاي وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصل خبره الى مكة وعاملها عليها عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية استخفى عتاب وارتجت مكة وكاد أهلها يرتدون فقام سهيل بن عمرو على باب الكعبة وصاح بهم فاجتمعوا اليه فقال يا أهل مكة لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد والله ليتمن الله هذا الامر كما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد رأيته قائما مقامي هذا وحده وهو يقول قولوا معي لا اله الا الله تدن لكم العرب وتؤدي اليكم العجم الجزية والله لتنفقن كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله فمن بين مستهزئ ومصدق فكان ما رأيتم والله ليكونن الباقي فامتنع الناس من الردة وهذا المقام الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسر سهيل بن عمرو في بدر لعمر بن الخطاب وقد ذكرناه

(حديث السقيفة وخلافة أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه)

لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع الانصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وابو عبيدة بن الجراح فقال ما هذا فقالوا منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر منا الامراء ومنكم الوزراء ثم قال ابو بكر قد رضيت لكم احد هذين الرجلين عمر وابا عبيدة أمين هذه الامة فقال عمر أيكم يطيب نفسا ان يخلف قدمين قدمهما النبي صلى الله عليه وسلم فبايعه عمر وبايعه الناس فقالت الانصار أو بعض الانصار لا نبايع الا عليا قال وتخلف علي وبنو

السواد فلما تجهز القوم نحوهم اعاد اليهم كتابا يخبرهم أن القوم قد عسكروا وتحشدوا والهم وأنهم سائرون اليهم وكتب اليهم شعرا أوله

يا دار عبلة من تذكارها الجزعا
هيجت لي الهم والاحزان والوجعا
ابلغ ايادا وحالل في سراتهم
أني أرى الرأي ان لم أعص قد نصعا
ألا تخافون قوما لا أبا لكم
مشوا اليكم كأمثال الدبى سرعا
لو ان جمعهم راموا بهدته
شم الشماريخ من ثهلان لانصدعا
فقلدوا أمركم لله دركم
رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

فاوقع بهم فعمهم القتل فما أفلت منهم الا نفر لحقوا بارض الروم وخلع بعد ذلك أكتاف العرب فسمي بعد ذلك سابور ذا الاكتاف وقد كان معاوية بن أبي سفيان راسل من بالعراق من تميم لينبئوا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فبلغ ذلك عليا رضوان الله عليه فقال في بعض مقاماته في كلام له طويل

ان خياري الصلاح فسادا

هاشم والزبير وطلحة عن البيعة وقال الزبير لا أغمد سيفا حتى يبايع على فقال عمر خذوا سيفه واضربوا به الحجر ثم أتاهم عمر فأخذهم للبيعة وقيل لما سمع على ببيعة أبى بكر خرج فى قميص ما عليه ازار ولا رداء عجلا حتى بايعه ثم استدعى ازاره ورداءه فتجلله والصحيح ان أمير المؤمنين ما بايع الا بعد ستة أشهر والله أعلم وقيل لما اجتمع الناس على بيعة أبى بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول انى لارى عجاجة لا يطفئها الا الدم يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم أين المستضعفان أين الاذلان على والعباس ما بال هذا الامر فى أقل حى من قريش ثم قال لعلى ابسط يدك أبايعك فوالله لئن شئت لاملأنها عليه خيلا ورجلا فأبى على عليه السلام عليه فتمثل بشعر المتلمس

ولن يقيم على خسف يراد به * الا الاذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يبكى له أحد

فزجره على وقال والله انك ما أردت بهذا الا الفتنة وانك والله طالما بغيت للاسلام شرا لا حاجة لنا فى نصيحتك وقال ابن عباس كنت اقرئ عبد الرحمن بن عوف القرآن فحج عمر وحججنا معه فقال لى عبد الرحمن شهدت أمير المؤمنين اليوم بمنى وقال له رجل سمعت فلانا يقول لو مات عمر لبايعت فلانا فقال عمر انى لقائم العشية فى الناس أحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون ان يغتصبوا الناس أمرهم قال فقلت يا أمير المؤمنين ان الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم وهم الذين يغلبون على مجلسك وأخاف أن تقول مقالة لا يعوها ولا يحفظوها ويطيروا بها ولكن امهل حتى تقدم المدينة وتخلص بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول ما قلت فيعوا مقالتك فقال والله لاقومن بها أول مقام أقومه بالمدينة قال فلما قدمت المدينة هجرت يوم الجمعة لحديث عبد الرحمن فلما جلس عمر على المنبر حمد الله واثنى عليه ثم قال بعد ان ذكر الرجم وما نسخ من القرآن فيه انه بلغنى ان قائلا منكم يقول لو مات أمير المؤمنين بايعت فلانا فلا يغرن امرأ ان يقول ان بيعة أبى بكر كانت فتنة فقد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها وليس منكم من تقطع اليه الاعناق مثل أبى بكر وانه كان خيرنا حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان عليا والزبير ومن معهما تخلفوا عنا فى بيت فاطمة وتخلف عنا الانصار واجتمع المهاجرون الى أبى بكر فقلت له انطلق بنا الى اخواننا من الانصار فانطلقنا نحوهم فلقينا رجلان صالحان من الانصار احدهما عويم بن ساعدة والثانى معن بن عدى فقالا لنا ارجعوا اقضوا أمركم بينكم قال فاتينا الانصار وهم مجتمعون فى سقيفة بنى ساعدة وبين أظهرهم رجل مزمل قلت من هذا قالوا سعد بن عبادة وجع فقام رجل منهم فحمد الله وأثنى عليه وقال اما بعد فنحن الانصار وكتيبة الاسلام وأنتم يا معشر قريش رهط بيننا وقد دفت الينا دافة من قومكم فاذا هم يريدون ان يغصبونا الامر فلما سكت وكنت قد زورت فى نفسى مقالة أقولها بين يدى أبى بكر فلما أردت ان أتكلم قال أبو بكر على رسلك فقام فحمد الله وما ترك شيأ كنت زورت فى نفسى الا جاء به أو باحسن منه وقال يا معشر الانصار انكم لا تذكرون فضلا الا وأنتم له أهل وان العرب لا تعرف هذا الامر الا لقريش هم اوسط العرب دارا ونسبا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين وأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح وانى والله ما كرهت من كلامه كلمة غيرها ان كنت أقدم فتضرب عنقى فيما لا يقربنى الى اثم أحب الى من ان أومر على قوم فيهم أبو بكر فلما قضى أبو بكر كلامه قام منهم رجل فقال أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير وارتفعت الاصوات واللغط فلما خفت الاختلاف قلت لابى بكر ابسط يدك أبايعك فبسط يده فبايعته وبايعه الناس ثم نزونا على سعد بن عبادة فقال قائلهم قتلتم سعدا فقلت

قتل

أو يرى الغى فى الامور رشادا
لقريب من الهلاك كما أهـ*ـلك سابور بالسواد ايادا

وقد كان سابور فى مسيره فى البلاد أتى على بلاد البحرين وفيها يومئذ بنو تميم فامعن فى قتلهم وفرت بنو تميم وشيخها يومئذ عمرو ابن تميم بن مر وله يومئذ ثلثمائة سنة وكان يعلق فى عمود البيت فى قفة قد اتخذت له فارادوا حمله فابى عليهم الا أن يتركوه فى ديارهم وقال أنا هالك اليوم أو غدا وماذا بقى لى من فسحة العمر ولعل الله ينجيكم من صولة هذا الملك المسلط على العرب فخلوا عنه وتركوه على ما كان عليه فصبحت خيل سابور الديار فنظروا الى أهلها وقد ارتحلوا ونظروا الى قفة معلقة فى شجرة وسمع عمرو صهيل الخيل ووقعها وهمهمة الرجال فاقبل يصيح بصوت ضعيف فاخذوه وجاءوا به الى سابور فلما وضع بين يديه نظر الى دلائل الهرم ومرور الايام عليه ظاهرة فقال له سابور من أنت أيها الشيخ الفانى قال انا عمرو بن تميم بن مر وقد بلغت من العمر ما ترى وقد هرب الناس منك لاسرافك فى القتل وشدة

قتل الله سعدا وانا والله ما وجدنا أمرا هو أقوى من بيعة أبي بكر خشيت ان فارقت القوم ولم تكن بيعة ان يحدثوا بعدنا بيعة فاما ان نتابعهم على ما لا نرضى به واما ان نخالفهم فيكون فسادا وقال أبو عمرة الانصارى لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة وأخرجوا سعد بن عبادة ليولوه الامر وكان مريضا فقال بعد ان حمد الله يا معشر الانصار لكم سابقة وفضيلة ليست لاحد من العرب ان محمدا صلى الله عليه وسلم لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم فما آمن به الا القليل ما كانوا يقدرون على منعه ولا على اعزاز دينه ولا على دفع ضيم حتى اذا أراد الله بكم الفضيلة ساق اليكم الكرامة ورزقكم الايمان به وبرسوله والمنع له ولاصحابه والاعزاز له ولدينه والجهاد لاعدائه فكنتم أشد الناس على عدوه حتى استقامت العرب لامر الله طوعا وكرها وأعطى البعيد المقادة صاغرا فدانت لرسوله باسيافكم العرب وتوفاه الله وهو عنكم راض قرير العين استبدوا بهذا الامر دون الناس فانه لكم دونهم فاجابوه باجمعهم ان قد وفقت وأصبت الرأى ونحن نوليك هذا الامر فانك مقنع ورضا للمؤمنين ثم انهم ترادوا الكلام وأبى المهاجرون من قريش وقالوا نحن المهاجرون وأصحابه الاولون وعشيرته وأولياؤه فقالت طائفة منهم فانا نقول منا أمير ومنكم أمير ولن نرضى بدون هذا أبدا فقال سعد هذا أول الوهن وسمع عمر الخبر فاتى منزل النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فيه فارسل اليه ان اخرج الى فارسل اليه انى مشتغل فقال عمر قد حدث أمر لا بد لك من حضوره فخرج اليه فاعلمه الخبر فمضيا مسرعين نحوهم ومعهما أبو عبيدة قال عمر فأتيناهم وقد كنت زورت كلاما أقوله لهم فلما دنوت أقول أسكتني أبو بكر وتكلم بكل ما اردت ان أقول فحمد الله وقال ان الله قد بعث فينا رسولا شهيدا على أمته ليعبدوه ويوحدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى من حجر وخشب فعظم على العرب ان يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه والمواساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم وتكذيبهم اياه وكل الناس لهم مخالف زار عليهم فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم فهم أول من عبد الله في هذه الارض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الامر من بعده لا ينازعهم الا ظالم وأنتم يا معشر الانصار من لا ينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم في الاسلام رضيكم الله انصارا لدينه ورسوله وجعل اليكم هجرته فليس بعد المهاجرين الاولين عندنا بمنزلتكم فنحن الامراء وأنتم الوزراء لا تفاوتون بمشورة ولا تقضى دونكم الامور فقام حباب بن المنذر بن الجموح فقال يا معشر الانصار املكوا عليكم أمركم فان الناس في ظلكم ولن يجترئ مجترئ على خلافكم ولا يصدروا الا عن رأيكم أنتم أهل العز وأولو العدد والمنعة وذوو البأس وانما ينظر الناس ما تصنعون ولا تختلفوا فيفسد عليكم أمركم أبى هؤلاء الا ما سمعتم فمنا أمير ومنكم أمير فقال عمر هيهات لا يجتمع اثنان والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبينا من غيركم ولا تمتنع العرب ان تولى أمرها من كانت النبوة فيهم ولنا بذلك الحجة الظاهرة من ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته فقال الحباب بن المنذر يا معشر الانصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر فان أبوا عليكم فاجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الامور فانتم والله أحق بهذا الامر منهم فانه باسيافكم دان الناس لهذا الدين انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب انا أبو شبل في عرينة الاسد والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة فقال عمر اذا يقتلك الله فقال بل اياك يقتل فقال أبو عبيدة يا معشر الانصار انكم أول من نصر فلا تكونوا أول من بدل وغير فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال يا معشر الانصار انا والله

عقوبتك اياهم وآثرت الفناء على يديك لتبقى من مضى من قومي ولعل الله ملك السموات والارض يجرى على يديك فرجهم ويصرفك عما أنت بسبيله من قتلهم وأنا سائلك عن أمر ان أنت أذنت لى فيه فقال له سابور قل يسمع منك فقال له عمرو وما الذى يحملك على قتل رعيتك ورجال العرب فقال سابور أقتلهم لما ارتكبوا من أخذ بلادى وأهل مملكتي فقال عمرو فعلوا ذلك ولست عليهم بقيم فلما بلغت بقوا على ما كانوا عليه من الفساد هيبة قال سابور أقتلهم لانا معاشر الفرس نجد في مخزون علمنا وما سلف من أخبار أوائلنا أن العرب ستدال علينا وتكون لهم الغلبة على ملكنا فقال عمرو وهذا أمر تستحقه أو تظنه قال بل أستحقه لا بد يكون ذلك قال له عمرو فان كنت تعلم ذلك فلم تسيء الى العرب والله لئن تبق على العرب جميعا وتحسن اليهم ليكافئونك عند اداله الدولة لهم على قومك باحسانك وان انت طالت بك المدة كافؤك عند مصير الملك اليهم فيبقون عليك وعلى قومك ان

وان كنا أولى فضيلة فى جهاد المشركين وسابقة فى الدين ما أردنا به الا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لانفسنا فما ينبغى ان نستطيل على الناس بذلك ولا نبتغى به الدنيا الا ان محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش وقومه اولى به وايم الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الامر فاتقوا الله ولا تخالفوهم فقال أبو بكر هذا عمر و أبو عبيدة فان شئتم فبايعوا فقالا والله لا نتولى هذا الامر عليك وأنت أفضل المهاجرين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وهى أفضل دين المسلمين ابسط يدك نبايعك فلما ذهبا يبايعانه سبقهما بشير بن سعد فبايعه فناداه الحباب بن المنذر عققت عقاق أنفست على ابن عمك الامارة فقال لا والله ولكنى كرهت ان انازع القوم حقهم ولما رأت الاوس ماصنع بشير وماتطلب الخزرج من تأمير سعد قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير وكان نقيبا والله لئن وليتها الخزرج مرة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم فيها نصيبا أبدا فقوموا فبايعوا أبا بكر فبايعوه فانكسر على سعد والخزرج ما أجمعوا عليه وأقبل الناس يبايعون أبا بكر من كل جانب ثم تحول سعد بن عبادة الى داره فبقى أياما وأرسل اليه ليبايع فان الناس قد بايعوا فقال لا والله حتى أرميكم بما فى كنانتى وأخضب سنان رمحى وأضرب بسيفى وأقاتلكم باهل بيتى ومن أطاعنى ولو اجتمع معكم الجن والانس ما بايعتكم حتى أعرض على ربى فقال عمر لا ندعه حتى يبايع فقال بشير بن سعد انه قد لج وأبى ولا يبايعكم حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه أهله وطائفة من عشيرته ولا يضركم تركه وانما هو رجل واحد فتركوه وجاءت أسلم فبايعت فقوى أبو بكر بهم وبايع الناس بعد قيل ان عمرو بن حريث قال لسعيد بن زيد متى بويع أبو بكر قال يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهوا ان يبقوا بعض يوم وليسوا فى جماعة قال الزهرى بقى على و بنو هاشم والزبير ستة أشهر لم يبايعوا أبا بكر حتى ماتت فاطمة رضى الله عنها فبايعوه فلما كان الغد من بيعة أبى بكر جلس على المنبر وبايعه الناس بيعة عامة ثم تكلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فاعينونى وان أسأت فقوّمونى الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه والقوى ضعيف عندى حتى آخذ منه الحق ان شاء الله تعالى لا يدع أحد منكم الجهاد فانه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا الى صلاتكم رحمكم الله (أسيد بن حضير بضم الهمزة وبالحاء المهملة المضمومة وبالضاد المعجمة وآخره راء)

﴿ ذكر تجهيز النبى صلى الله عليه وسلم ودفنه ﴾

فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن يوم الثلاثاء وقيل بقى ثلاثة أيام لم يدفن والاول أصح وكان الذى ولى غسله على والعباس والفضل وقثم ابنا العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضرهم أوس بن خولى الانصارى وكان بدريا وكان العباس وابناه يقلبونه وأسامة وشقران يصبون الماء وعلى يغسله وعليه قميصه وهو يقول بابى انت وأمى ما أطيبك حيا وميتا ولم ير من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يرى من ميت واختلفوا فى غسله فى ثيابه أو مجردا فالقى الله عليهم النوم ثم كلمهم مكلم لا يدرى من هو أن غسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه ففعلوا ذلك وكفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين و بردحبرة أدرج فيها ادراجا واختلفوا فى موضع دفنه فقال أبو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما قبض نبى الا دفن حيث

كان الامر حقا كما تقول فهو احزم فى الرأى وأنفع فى العاقبة وان كان باطلا فلم تستعجل الاثم وتسفك دماء رعيتك فقال سابور الامر صحيح وهو كائن لكم والرأى ما قلت ولقد صدقت فى القول ونصحت فى الخطاب فنادى منادى سابور بأمان الناس ورفع السيف والكف عن قتلهم ويقال ان عمر ابقى فى هذا العالم بعد هذا الوقت ثمانين سنة وقيل أقل من ذلك والله أعلم وسار سابور نحو بلاد الشام فافتتح المدن وقتل خلائق من الروم ثم طالبته نفسه بالدخول الى أرض الروم مستنكرا ليعرف أخبارهم وسيرهم فتنكر وسار الى القسطنطينية فصادف وليمة لقيصر قد اجتمع فيها الخاص والعام منهم فدخل فى جملتهم وجلس على موائدهم وقد كان قيصر امر مصورا أتى عسكر سابور فصورت له فلما جاء قيصر بالصورة أمر بها فصوره على آنية الشراب من الذهب والفضة واتاه من كان على المائدة التى عليها سابور بكأس فنظر بعض الخدم الى الصورة التى على الكأس وسابور مقابل على المائدة فعجب من

قبض فرفع فراشه ودفن موضعه وحفر له أبو طلحة الانصاري لحدا ودخل الناس يصلون عليه ارسالا الرجال ثم النساء ثم الصبيان ثم العبيد ودفن ليلة الاربعاء وكان الذي نزل قبره علي بن أبي طالب والفضل وقثم ابنا العباس وشقران وقال أوس بن خولي الانصاري لعلي أنشدك الله وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره بالنزول فنزل وكان المغيرة بن شعبة يدعي أنه أحدث الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول ألقيت خاتمي في قبره عمدا فنزلت لآخذه وسأل ناس من أهل العراق عليا عن ذلك فقال كذب المغيرة أحدثنا عهدا به قثم بن العباس واختلفوا في عمره يوم مات فقال ابن عباس وعائشة ومعاوية وابن المسيب كان عمره ثلاثا وستين سنة وقال ابن عباس أيضا ودغفل بن حنظلة كان عمره خمسا وستين سنة وقال عروة بن الزبير كان عمره ستين سنة

﴿ذكر انفاذ جيش أسامة بن زيد﴾

قد ذكرنا استعمال النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد على جيش وأمره بالتوجه الى الشام وكان قد ضرب البعث على أهل المدينة ومن حولها وفيهم عمر بن الخطاب فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسر الجيش وارتدت العرب اما عامة أو خاصة من كل قبيلة وظهر النفاق واشرأبت يهود والنصرانية وبقي المسلمون كالغنم في الليلة المطيرة لفقد نبيهم وقلتهم وكثرة عدوهم فقال الناس لابي بكر ان هؤلاء يعنون جيش اسامة جند المسلمين والعرب على ما ترى فقد انتقضت بك فلا ينبغي ان تفرق جماعة المسلمين عنك فقال أبو بكر والذي نفسي بيده لو ظننت ان السباع تختطفني لانفذت جيش اسامة كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم فخاطب الناس وأمرهم بالتجهز للغزو وان يخرج كل من هو من جيش أسامة الى معسكره بالجرف فخرجوا كما أمرهم وحبس أبو بكر من بقي من تلك القبائل التي كانت لهم الهجرة في ديارهم فصاروا مسالح حول قبائلهم وهم قليل فلما خرج الجيش الى معسكرهم بالجرف وتكاملوا أرسل اسامة عمر بن الخطاب وكان معه في جيشه الى أبي بكر يستأذنه ان يرجع بالناس وقال ان معي وجوه الناس وجلتهم ولا آمن على خليفة رسول الله وحرم رسول الله والمسلمين ان يتخطفهم المشركون وقال من مع أسامة من الانصار لعمر ابن الخطاب ان أبا بكر خليفة رسول الله ألا فامض فابلغه عنا واطلب اليه ان يولي أمرنا اقدم سنا من اسامة فخرج عمر بأمر اسامة الى أبي بكر فاخبره بما قال اسامة فقال لو خطفتني الكلاب والذئاب لانفذته كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يبق في القرى غيري لانفذته قال عمر فان الانصار تطلب رجلا اقدم سنا من اسامة فوثب أبو بكر وكان جالسا وأخذ بلحية عمر وقال ثكلتك أمك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني ان أعزله ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم واشخصهم وشيعهم وهو ماش واسامة راكب فقال له اسامة يا خليفة رسول الله لتركبن أو لانزلن فقال والله لا نزلت ولا اركب وما علي ان اغبر قدمي ساعة في سبيل الله فان للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له وسبعمائة سيئة تمحى عنه فلما أراد ان يرجع قال لاسامة ان رأيت ان تعينني بعمر فافعل فاذن له ثم وصاهم فقال لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له وسوف تقدمون على قوم قد فحصوا اوساط رؤسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم

اتفاق الصورتين وتقارب الشكلين فقام الى الملك فاخبره فأمر به فمثل بين يديه فسأله عن خبره فقال أنا من اساورة سابور استحققت العقوبة لامر كان مني فدعاني ذلك الى الدخول الى أرضكم فلم يقبل ذلك منه وقدم الى السيف فاقر فجعله في جلد بقرة وسار قيصر في جنوده حتى توسط العراق وافتتح المدائن وشن الغارات وعضد النخل وانتهى الى مدينة جنديسابور وقد تحصن بها وجوه فارس فنزل عليها وحضر عيد لهم في تلك الليلة التي أشرفوا على فتح المدينة في صبحتها فاغفل الموكلون أمر سابور وأخذ الشراب منهم وكان بالقرب من سابور جماعة من اسارى الفرس فخاطبهم ان يحل بعضهم بعضا وشجعهم وأمرهم ان يصبوا عليه زقاقا من الزيت كانت هنالك ففعلوا فلان عليه الجلد وتخلص وأتى المدينة وهم يتحارسون على سورها فخاطبهم فعرفوه ورفعوه بالحبال ففتح أبواب خزائن السلاح وخرج بهم ففرقهم حول مواضع من الجيش والروم غارون مطمئنون فكبس الجيش عند ضرب

بالسيف خفقا اندفعوا باسم الله وأوصى اسامة ان يفعل ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار وأوقع بقبائل من ناس قضاعة التي ارتدت وغنم وعاد وكانت غيبته أربعين يوما وقيل سبعين يوما وكان انفاذ جيش اسامة أعظم الامور نفعا للمسلمين فان العرب قالوا لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون ان يفعلوه

(ذكر أخبار الاسود العنسي باليمن)

واسمه عبهلة بن كعب بن عوف العنسي بالنون وعنس بطن من مذحج وكان يلقب ذا الحمار لانه كان معتما متخمرا أبدا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جمع لباذان حين اسلم واسلم أهل اليمن عمل اليمن جميعه وأمره على جميع مخاليفه فلم يزل عاملا عليه حتى مات فلما مات باذان فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم امراءه في اليمن فاستعمل عمرو بن حزم على نجران وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران وزبيد وعامر بن شهر على همدان وعلى صنعاء شهر بن باذان وعلى عك والاشعريين الطاهر بن أبي هالة وعلى مأرب أبا موسى وعلى الجند يعلى بن أمية وكان معاذ معلما يتنقل في عمالة كل عامل باليمن وحضرموت واستعمل على اعمال حضرموت زياد بن لبيد الانصاري وعلى السكاسك والسكون عكاشة بن ثور وعلى بني معاوية بن كندة عبد الله أو المهاجر فاشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يذهب حتى وجهه أبو بكر فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء عماله على اليمن وحضرموت وكان أول من اعترض الاسود الكذاب شهر وفيروز وداذويه وكان الاسود العنسي لما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع وتمرض من السفر غير مرض موته بلغه ذلك فادعى النبوة وكان مشعبذا يريهم الاعاجيب فاتبعه مذحج وكانت ردة الاسود أول ردة في الاسلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزا نجران وأخرج عنها عمرو بن حزم وخالد ابن سعيد ووثب قيس بن عبد يغوث بن مكشوح على فروة بن مسيك وهو على مراد فاجلاه ونزل منزله وسار الاسود عن نجران الى صنعاء وخرج اليه شهر بن باذان فلقيه فقتل شهر لخمس وعشرين ليلة من خروج الاسود وخرج معاذ هاربا حتى لحق بأبي موسى وهو بمأرب فلحقا بحضرموت ولحق بفروة من تم على اسلامه من مذحج واستتب للاسود ملك اليمن ولحق امراء اليمن الى الطاهر بن أبي هالة الا عمرا وخالدا فانهما رجعا الى المدينة والطاهر بجبال عك وجبال صنعاء وغلب الاسود على ما بين مفازة حضرموت الى الطائف الى البحرين والاحساء الى عدن واستطار أمره كالحريق وكان معه سبعمائة فارس يوم لقي شهرا سوى الركبان واستغلظ أمره وكان خليفته في مذحج عمرو بن معديكرب وكان خليفته على جنده قيس بن عبد يغوث وأمر الابناء الى فيروز وداذويه وكان الاسود تزوج امرأة شهر بن باذان بعد قتله وهي ابنة عم فيروز وخاف من بحضرموت من المسلمين ان يبعث اليهم جيشا أو يظهر بها كذاب مثل الاسود فتزوج معاذ الى السكون فعطفوا عليه وجاء اليهم والى من باليمن من المسلمين كتاب النبي صلى الله عليه وسلم يأمرهم بقتال الاسود فقام معاذ في ذلك وقويت نفوس المسلمين وكان الذي قدم بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم وبر بن يحنس الازدي قال جشنس الديلمي فجاءتنا كتب النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا بقتاله اما مصادمة أو غيلة يعني اليه والى فيروز وداذويه وان نكاتب من عنده دين فعملنا في ذلك فرأينا أمرا كثيفا وكان قد تغير لقيس بن عبد يغوث فقلنا ان قيسا يخاف على دمه فهو لأول دعوة فدعوناه وابلغناه عن النبي صلى الله عليه وسلم فكأنما نزلنا عليه من السماء فأجابنا وكاتبنا الناس فاخبره الشيطان شيئا من ذلك فدعا قيسا فاخبره ان شيطانه يأمره بقتله

النواقيس فاتوه بقيصر أسيرا فاستحياه وأبقى عليه وضم اليه من أفلت من القتل من رجاله فغرس قيصر بالعراق الزيتون بدلا مما عضده من النخل فيها ولم يكن يعهد بالعراق الزيتون قبل ذلك وبنى شاذروان مدينة تستر لنهرها والشاذروان هو المسناة العظيمة والسكر من الحجر والحديد والرصاص وعمر ما أخرب في أخبار يطول ذكرها وانصرف قيصر نحو الروم وقد ذكر في بعض الاخبار ان سابور ربق قيصر وقطع أعصاب عقبيه أو رقها وان الروم تربق دوابها ولا تلبس الخفاف المعقبة وفي ذلك يقول الحرث بن جندة المعروف بالهرمزان شعرا

هم ملكوا جميع الناس طرا
وهم ربقوا هرقلا بالسواد
وهم قتلوا اباقابوس عصبا
وهم اخذوا البسيطة من اياد

وفي فعل سابور وتغريره بنفسه في دخوله الى أرض عدوه متجسسا يقول بعض المتقدمين من شعراء ابناء فارس

وكان سابور يصفو اليه ومنه
احيد عنها فاضحى غير مختار
اذ كان بالروم جاسوسا يجول به

ليله لي عدوه فخاف قيس لانت أعظم في نفسي من ان أحدث نفسي بذلك ثم أتانا فقال يا جشنس
و... روز ويا داذويه فاخبرنا بقول الاسود فبينا نحن معه يحدثنا اذ أرسل الينا الاسود فتهددنا
فاعتذرنا اليه ونجونا منه ولم نكد وهو مرتاب بنا ونحن نحذره فبينا نحن على ذلك اذ جاءتنا كتب
... بن شهر وذي زود وذي مران وذي الكلاع وذي ظليم يبذلون لنا النصر فكاتبناهم
وأمرناهم أن لا يفعلوا شيأ حتى نبرم أمرنا وانما اهتاجوا لذلك حين كاتبهم النبي صلى الله عليه
وسلم وكتب أيضا الى أهل نجران فاجابوه وبلغ ذلك الاسود وأحس بالهلاك قال فدخلت على
آزاد وهي امرأته التي تزوجها بعد قتل زوجها شهر بن باذان فدعوتها الى ما نحن عليه وذكرتها
قتل زوجها شهر واهلاك عشيرتها وفضيحة النساء فاجابت وقالت والله ما خلق الله شخصا أبغض
الي منه ما يقوم لله على حق ولا ينتهي عن محرم فاعلموني امركم اخبركم بوجه الامر قال فخرجت
وأخبرت فيروز وداذويه وقيسا قال واذ قد جاء رجل فدعا قيسا الى الاسود فدخل في عشرة من
مذحج وهمدان فلم يقدر على قتله معهم وقال له ألم اخبرك الحق وتخبرني الكذب أنه يعني شيطانه
يقول لي ان لا تقطع من قيس يده يقطع رقبتك فقال قيس انه ليس من الحق ان أهلك وأنت
رسول الله فمرني بما احببت أو اقتلني فموتة اهون من موتات فرق له وتركه وخرج قيس فمر بنا وقال
اعملوا عملكم ولم يقعد عندنا فخرج علينا الاسود في جمع فقمنا له وبالباب مائة ما بين بقرة وبعير
فنحرها ثم خلاها ثم قال أحق ما بلغني عنك يا فيروز وبوّأله الحربة لقد هممت ان انحرك فقال
اخترتنا لصهرك وفضلتنا فلو لم تكن نبيا لما بعنا نصيبنا منك بشيء فكيف وقد اجتمع لنا بك أمر
الدنيا والآخرة فقال له اقسم هذه فقسمها ولحق به وهو يسمع سعاية رجل بفيروز وهو يقول له
انا قاتله غدا وأصحابه ثم التفت فاذا فيروز فاخبره بقسمها ودخل الاسود ورجع فيروز فاخبرنا
الخبر فارسلنا الى قيس فجاءنا فاجتمعنا على ان اعود الى المرأة فاخبرها بعزيمتنا وناخذ رأيها فاتيتها
فاخبرتها فقالت هو متحرز وليس من القصر شيء الا والحرس محيطون به غير هذا البيت فان
ظهره الى مكان كذا وكذا فاذا أمسيتم فانقبوا عليه فانكم من دون الحرس وليس دون قتله شيء
وستجدون فيه سراجا وسلاحا فتلقاني الاسود خارجا من بعض منازله فقال ما أدخلك علي ووجأ
رأسي حتى سقطت وكان شديدا فصاحت المرأة فادهشته وقالت جاءني ابن عمي زائرا فعلت به
هذا فتركني فاتيت أصحابي فقلت النجاء الهرب وأخبرتهم الخبر فانا على ذلك حيارى اذ جاءنا
رسولها يقول لا تدعن ما فارقتك عليه فلم ازل به حتى اطمأن فقلنا لفيروز ائتها فتثبت منها فقعل
فلما أخبرته قال ننقب على بيوت مبطنة فدخل فاقتلع البطانة وجلس عندها كالزائر فدخل عليها
الاسود فاخذته غيرة فاخبرته برضاع وقرابة منها محرم فاخرجه فلما أمسينا عملنا في أمرنا واعلمنا
اشياعنا وعجلنا عن مراسلة الهمدانيين والحميريين فنقبنا البيت ودخلنا وفيه سراج تحت جفنة
واتقينا بفيروز وكان أشدنا فقلنا انظر ماذا ترى فخرج ونحن بينه وبين الحرس فلما دنا من باب
البيت سمع غطيطا شديدا والمرأة قاعدة فلما قام على باب البيت أجلسه الشيطان وتكلم على
لسانه وقال مالي ولك يا فيروز فخشي ان رجع ان يهلك وتهلك المرأة فعاجله وخالطه وهو مثل
الجمل فاخذ برأسه فقتله ودق عنقه ووضع ركبته في ظهره فدقه ثم قام ليخرج فاخذت المرأة بثوبه
وهي ترى انه لم يقتله فقال قد قتلته واراحتك منه وخرج فاخبرنا فدخلنا معه فخار كما يخور الثور
فقطعت رأسه بالشفرة وابتدر الحرس المقصورة يقولون ما هذا فقالت المرأة النبي يوحى اليه
فخمدوا وقعدنا نأتمر بيننا فيروز وداذويه وقيس كيف نخبر اشياعنا فاجتمعنا على النداء فلما طلع

حوررم المنية من ذي كيد مكار
فاستأسر وهو كانت كبوة عجبا
وزلة سبقت من غير عثار
فاصبح الملك الرومي معترضا
ارض العراق على هول واخطار
فراطن الفرس بالابواب فافترقوا
كما تحارب اسد الغاب في الغار
فجذ بالسيف امر الروم فاصحفوا
لله درك من طلاب اوتار
اذ يغرسون من الزيتون ما عضدوا
من النخيل وما حذوا باعشار

وغزا سابور بعد ذلك بلاد الجزيرة وآمد وغيرها من بلاد الروم ونقل خلقا من اهلها واسكنهم بلاد السوس وتستر وغيرها من مدن كور الاهواز فتناسلوا وقطنوا تلك الديار فمن ذلك الوقت صار الديباج التستري وغيره من انواع الحرير يعمل بتستر والخز بالسوس والستور والفرش ببلاد نصيبين ومكث الى هذه الغاية وقد كان من قبله من ملوك الساسانية وكثير ممن سلف من فارس الاولى يسكن بطيسبون وذلك بغربي المدائن من أرض العراق فسكن سابور في الجانب الشرقي من

الفجر نادينا بشعارنا الذى بيننا و بين اصحابنا ففزع المسلمون والكافرون ثم نادينا بالاذان فقلت
اشهد ان محمدا رسول الله وان عبهلة كذاب والقينا اليهم رأسه وأحاط بنا اصحابه وحرسه وشنوا
الغارة واخذوا صبيانا كثيرة وانتهبوا فنادينا اهل صنعاء من عنده منهم فامسكه ففعلوا فلما خرج
اصحابه فقدوا سبعين رجلا فراسلونا و راسلناهم على ان يتركوا النا ما فى أيديهم ونترك ما فى أيدينا
ففعلنا ولم يظفروا منا بشئ وترددوا فيما بين صنعاء ونجران وتراجع أصحاب النبى صلى الله عليه
وسلم الى أعمالهم وكان يصلى بنا معاذ بن جبل وكتبنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبره وذلك
فى حياته وأتاه الخبر من ليلته وقدمت رسلنا وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابنا أبو بكر
قال ابن عمر أتى الخبر من السماء الى النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلته التى قتل فيها فقال قتل
العنسى قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين قيل من قتله قال قتله فيروز وقيل كان أول امر
العنسى الى آخره ثلاثة أشهر وقيل قريب من أربعة أشهر وكان قدوم البشير بقتله فى آخر ربيع
الاوّل بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم فكان أول بشارة أتت ابابكر وهو بالمدينة قال فيروز ولما
قتلنا الاسود عاد امرنا كما كان وارسلنا الى معاذ بن جبل فصلى بنا ونحن راجون مؤملون لم يبق
شئ نكرهه الا تلك الخيول من أصحاب الاسود فاتى موت النبى صلى الله عليه وسلم فانتقضت
الامور واضطربت الارض (العنسى بالعين والنون) وفى هذه السنة ماتت فاطمة بنت النبى
صلى الله عليه وسلم لثلاث خلون من رمضان وهى ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها وقيل توفيت
بعد النبى صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر وقيل بستة أشهر وغسلها على وأسماء بنت عميس وصلى
عليها العباس بن عبد المطلب ودخل قبرها العباس وعلى والفضل بن العباس * وفيها توفى عبد الله
ابن أبى بكر الصديق وكان أصابه سهم بالطائف وهو مع النبى صلى الله عليه وسلم رماه به ابو محجن ثم
انتقض عليه فمات فى شوّال * وفى هذا العام الذى بويع فيه أبو بكر ملك يزدجرد بلاد فارس
وفيه اعنى سنة احدى عشرة اشترى عمر بن الخطاب مولاه أسلم بمكة من ناس من الاشعريين

﴿ذكر اخبار الردة﴾

قال عبد الله بن مسعود لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه لولا ان الله
منّ علينا بأبى بكر أجمعنا على ان لا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون وان نأكل قرى عربية
ونعبد الله حتى يأتينا اليقين فعزم الله لابى بكر على قتالهم فوالله ما رضى منهم الا بالخطة المخزية
أو الحرب المجلية فاما الخطة المخزية فان يقروا بان من قتل منهم فى النار ومن قتل منا فى الجنة
وان يدوا قتلانا ونغنم ما أخذنا منهم وان ما أخذوا منا مردود علينا وأما الحرب المجلية فان
يخرجوا من ديارهم * وأما اخبار الردة فانه لما مات النبى صلى الله عليه وسلم وسير أبو بكر جيش
أسامة ارتدت العرب وتضرمت الارض نارا وارتدت كل قبيلة عامة أو خاصة الا قريشا وثقيفا
واستغلظ أمر مسيلمة وطليحة واجتمع على طليحة عوام طئ واسد وارتدت غطفان تبعا لعيينة بن
حصن فانه قال نبى من الحليفين يعنى اسدا وغطفان أحب الينا من نبى من قريش وقد مات محمد
وطليحة حى فاتبعه وتبعته غطفان وقدمت رسل النبى صلى الله عليه وسلم من اليمامة واسد
وغيرهما وقد مات فدفعوا كتبهم لابى بكر وأخبروه الخبر عن مسيلمة وطليحة فقال لا تبرحوا حتى
تجىء رسل أمرائكم وغيرهم بأدهى مما وصفتم فكان كذلك وقدمت كتب أمراء النبى صلى
الله عليه وسلم من كل مكان بانتقاض العرب عامة أو خاصة وتسلطهم على المسلمين فحاربهم ابو بكر
بما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاربهم بالرسل فرد رسلهم بامره وأتبع رسلهم رسلا

المدائن وبنى هناك الايوان المعروف بايوان كسرى الى هذه الغاية وقد كان أبرويز بن هرمز أتم مواضع من بناء هذا الايوان وقد كان الرشيد نازلا على دجلة بالقرب من الايوان فسمع بعض الخدم من وراء السرادق يقول لآخر هذا الذى بنى هذا البناء ابن كذا وكذا أراد أن يصعد عليه الى السماء فامر الرشيد بعض الاستاذين من الخدم أن يضربه مائة عصا وقال لمن حضره ان الملك نسبة والملوك به اخوة وان الغيرة بعثتنى عليه وعلى أدبه لصيانة الملك وما يلحق الملوك للملوك (وذكر) عن الرشيد بعد القبض على البرامكة انه بعث الى يحيى ابن خالد بن برمك وهو فى اعتقاله يشاوره فى هدم الايوان فبعث اليه لا تفعل فقال الرشيد لمن حضره فى نفسه المجوسية والحنوّ عليها والمنع من ازالة آثارها فشرع فى هدمه ثم نظر فاذا يلزمه فى هدمه أموال عظيمة لا تنضبط كثرة فامسك عن ذلك وكتب الى يحيى يعلمه ذلك فأجابه بان ينفق فى هدمه ما بلغ من الاموال ويحرص على فعله فعجب الرشيد من تنافى كلامه فى أوّله وآخره فبعث

وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامة فكان عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم على قضاعة وكلب امرؤ القيس بن الاصبغ الكلبي وعلى القين عمرو بن الحكم وعلى سعد هذيم معاوية الوالبي فارتد وديعة الكلبي فيمن تبعه وبقي امرؤ القيس على دينه وارتد زميل بن قطبة القيني وبقي عمرو وارتد معاوية فيمن اتبعه من سعد هذيم فكتب أبو بكر الى امرئ القيس وهو جد سكينة بنت الحسين فسار لوديعة الى عمرو فاقام لزميل والى معاوية العذري وتوسطت خيل اسامة بلاد قضاعة فشن الغارة فيهم فغنموا وعادوا سالمين

﴿ذكر خبر طليحة الاسدي﴾

وكان طليحة بن خويلد الاسدي من بني أسد بن خزيمة قد تنبأ في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجه اليه النبي صلى الله عليه وسلم ضرار بن الازور عاملا على بني اسد وأمرهم بالقيام على من ارتد فضعف أمر طليحة حتى لم يبق الا اخذه فضربه بسيف فلم يصنع فيه شيأ فظهر بين الناس ان السلاح لا يعمل فيه فكثر جمعه ومات النبي صلى الله عليه وسلم وهم على ذلك فكان طليحة يقول ان جبريل يأتيني ويسجع للناس الاكاذيب وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة ويقول ان الله لا يصنع بتعفر وجوهكم وتقبح أدباركم شيأ اذكروا الله اعبدوه قياما الى غير ذلك وتبعه كثير من العرب عصبية فلهذا كان أكثر اتباعه من أسد وغطفان وطيء فسارت فزارة وغطفان الى جنوب طيبة وأقامت طيء على حدود أراضيهم واسد بسميراء واجتمعت عبس وثعلبة بن سعد ومرة بالابرق من الربذة واجتمع اليهم ناس من بني كنانة فلم تحملهم البلاد فافترقوا فرقتين اقامت فرقة بالابرق وسارت فرقة الى ذي القصة وأمدهم طليحة باخيه حبال فكان عليهم وعلى من معهم من الدئل وليث ومدلج وأرسلوا الى المدينة يبذلون الصلاة ويمنعون الزكاة فقال أبو بكر والله لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه وكان عقل الصدقة على أهل الصدقة وردهم فرجع وفدهم فاخبروهم بقلة من في المدينة وأطمعوهم فيها وجعل أبو بكر بعد مسير الوفد على أنصار المدينة عليا وطلحة والزبير وابن مسعود والزم أهل المدينة بحضور المسجد خوف الغارة من العدو لقربهم فما لبثوا الا ثلاثا حتى طرقوا المدينة غارة مع الليل وخلفوا بعضهم بذي حسي ليكونوا لهم ردأ فوافوا ليلا الانقاب وعليها المقاتلة فمنعوهم وأرسلوا الى أبي بكر بالخبر فخرج الى أهل المسجد على النواضح فردوا العدو واتبعوهم حتى بلغوا ذا حسي فخرج عليهم الردء بأنحاء قد نفخوها وفيها الحبال ثم دهدهوها على الارض فنفرت ابل المسلمين وهم عليها ورجعت بهم الى المدينة ولم يصرع مسلم وظن الكفار بالمسلمين الوهن وبعثوا الى أهل ذي القصة بالخبر فقدموا عليهم وبات أبو بكر يعبي الناس وخرج على تعبية يمشي وعلى ميمنته النعمان بن مقرن وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن وعلى اهل الساقة سويد بن مقرن فطلع الفجر الا وهم والعدو على صعيد واحد فما شعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف فما ذر قرن الشمس حتى ولوهم الادبار وغلبوهم على عامة ظهرهم وقتل رجال واتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القصة وكان أول الفتح ووضع بها النعمان بن مقرن في عدد ورجع الى المدينة فذل له المشركون فوثب بنو عبس وذبيان على من فيهم من المسلمين وقتلوهم فحلف أبو بكر ليقتلن في المشركين بمن قتلوا من المسلمين وزيادة وازداد المسلمون قوة وثباتا وطرقت المدينة صدقات نفر كانوا على صدقة الناس بهم صفوان والزبرقان بن بدر وعدي ابن حاتم وذلك لتمام ستين يوما من مخرج اسامة وقدم اسامة بعد ذلك بايام وقيل كانت غزوته وعوده في أربعين يوما فلما قدم اسامة استخلفه أبو بكر على المدينة وجنده معه ليستريحوا ويريحوا

اليه ليسأله عن ذلك فقال نعم اما ما أشرت به في الاول فاني أردت بقاء الذكر لامة الاسلام وبعد الصيت وأن يكون من يرد في الاعصار ويطرأ من الامم في الازمان يرى مثل هذا البنيان العظيم فيقول ان أمة قهرت أمة هذا بنيانها فازالت رسومها واحتوت على ملكها لامة عظيمة شديدة منيعة واما جوابي الثاني فاخبرت انه قد شرع في هدمه ثم عجز عنه فاردت نفي العجز عن أمة الاسلام لئلا يقول من وصفت ممن يرد في الاعصار ان هذه الامة عجزت عن هدم ما بنتها فارس فلما بلغ الرشيد ذلك من كلامه قال قاتله الله تعالى فما سمعته قال شيأ قط الا صدق فيه واعرض عن هدمه وسابور هو الذي بنى نيسابور ببلاد خراسان وغيرها بفارس والعراق (ثم ملك بعده أخوه ازدشير ابن هرمز) وكان ملكه الى ان خلع أربعين سنة (ثم ملك بعده سابور) بن سابور خمس سنين وكانت له حروب كثيرة مع اياد بن نزار وغيرها من العرب فيقول فيه شاعر اياد

على رغم سابور بن سابور أصبحت
قباب اياد حولها الخيل والنعم

ظهرهم ثم خرج فيمن كان معه فناشده المسلمون ليقيم فأبى وقال لا واسينكم بنفسي وسار الى ذى حسى وذى القصة حتى نزل بالابرق فقاتل من به فهزم الله المشركين وأخذ الحطيئة أسيرا فطارت عبس وبنو بكر واقام أبو بكر بالابرق اياما وغلب على بنى ذبيان وبلادهم وحماها لدواب المسلمين وصدقاتهم ولما انهزمت عبس وذبيان رجعوا الى طليحة وهو ببزاخة وكان رحل من سميراء اليها فاقام عليها وعاد أبو بكر الى المدينة فلما استراح أسامة وجنده وكان قد جاءهم صدقات كثيرة تفضل عليهم قطع أبو بكر البعوث وعقد الالوية فعقد احد عشر لواء عقد لواء لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد فاذا فرغ سار الى مالك بن نويرة بالبطاح ان أقام له وعقد لعكرمة بن أبى جهل وأمره بمسيلمة وعقد للمهاجر بن أبى أمية وأمره بجنود العنسى ومعونة الابناء على قيس بن مكشوح ثم يمضى الى كندة بحضرموت وعقد لخالد بن سعيد وبعثه الى مشارف الشام وعقد لعمرو بن العاص وأرسله الى قضاعة وعقد لحذيفة بن محصن الغلفانى وأمره باهل دبا وعقد لعرفجة بن هرثمة وأمره بمهرة وأمرهما ان يجتمعا وكل واحد منهما على صاحبه فى عمله وبعث شرحبيل ابن حسنة فى أثر عكرمة بن أبى جهل وقال اذا فرغ من اليمامة فالحق بقضاعة وأنت على خيلك تقاتل اهل الردة وعقد لمعن بن حاجز وأمره ببنى سليم ومن معهم من هوازن وعقد لسويد بن مقرن وأمره بتهامة باليمن وعقد للعلاء بن الحضرمى وأمره بالبحرين ففصلت الامراء من ذى القصة ولحق بكل أمير جنده وعهد الى كل أمير وكتب الى جميع المرتدين نسخة واحدة يأمرهم بمراجعة الاسلام ويحذرهم وسير الكتب اليهم مع رسله ولما انهزمت عبس وذبيان ورجعوا الى طليحة ببزاخة أرسل الى جديلة والغوث من طىء يأمرهم باللحاق به فتعجل اليه بعضهم وأمروا قومهم باللحاق بهم فقدموا على طليحة وكان أبو بكر بعث عدى بن حاتم قبل خالد الى طىء وأتبعه خالدا وأمره ان يبدأ بطىء ومنهم يسير الى بزاخة ثم يثلث بالبطاح ولا يبرح اذا فرغ من قوم حتى يأذن له وأظهر أبو بكر للناس انه خارج الى خيبر بجيش حتى يلاقى خالدا يرهب العدو بذلك وقدم عدى على طىء فدعاهم وخوفهم فاجابوه وقالوا له استقبل الجيش فاخره عنا حتى نستخرج من عند طليحة منا لئلا يقتلهم فاستقبل عدى خالدا وأخبره بالخبر فتأخر خالد وأرسلت طىء الى اخوانهم عند طليحة فلحقوا بهم فعادت طىء الى خالد باسلامهم ورحل خالد يريد جديلة فاستمهله عدى عنهم ولحق بهم عدى يدعوهم الى الاسلام فاجابوه فعاد الى خالد باسلامهم ولحق بالمسلمين ألف راكب منهم وكان خير مولود فى أرض طىء وأعظمه بركة عليهم وأرسل خالد بن الوليد عكاشة ابن محصن وثابت بن أقرم الانصارى طليعة فلقيهما حبال أخو طليحة فقتلاه فبلغ خبره طليحة فخرج هو وأخوه سلمة فقتل طليحة عكاشة وقتل أخوه ثابتا ورجعا وأقبل خالد بالناس فرأوا عكاشة وثابتا قتيلين فجزع لذلك المسلمون وانصرف بهم خالد نحو طىء فقالت له طىء نحن نكفيك قيسا فان بنى أسد حلفاؤنا فقال قاتلوا أى الطائفتين شئتم فقال عدى بن حاتم لو نزل هذا على الذين هم أسرتى الادنى فالادنى لجاهدتهم عليه والله لا امتنع عن جهاد بنى أسد لحلفهم فقال له خالد ان جهاد الفريقين جهاد لا تخالف رأى أصحابك وامض بهم الى القوم الذين هم لقتالهم انشط ثم تعبى لقتالهم ثم سار حتى التقيا على بزاخة وبنو عامر قريبا يتربصون على من تكون الدائرة قال فاقتتل الناس على بزاخة وكان عيينة بن حصن مع طليحة فى سبعمائة من بنى فزارة فقاتلوا قتالا شديدا وطليحة متلفف فى كسائه يتنبأ لهم فلما اشتدت الحرب كر عيينة على طليحة وقال له هل جاءك جبريل بعد قال لا فرجع فقاتل ثم كر على طليحة فقال له لا ابالك اجاءك جبريل قال لا فقال عيينة

ويقال ان هذا الشعر قاله نفر قد لحقوا بارض الروم حين أوقع بهم سابور ذو الاكتاف على ما ذكرنا ثم تراجعوا الى ديارهم وانضافوا الى ربيعة من ولد بكر بن وائل وان ربيعة كانت قد غلبت على السواد وشنت الغارات فى ملك سابور بن سابور فقال شاعر اياد فى ذلك ما وصفناه وهم داخلون فى جملة ربيعة وقيل غير ذلك والله أعلم بالصحيح منه (ثم ملك بعده بهرام) بن سابور وكان ملكه عشرين سنة وقيل احدى عشرة سنة (ثم ملك بعده يزدجرد) بن سابور المعروف بالاثيم وكان ملكه الى ان هلك احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوما وقيل اثنتين وعشرين سنة غير شهرين (ثم ملك بعده بهرام بن يزدجرد) فكان ملكه ثلاثا وعشرين سنة وقيل تسع عشرة سنة وملك وهو ابن عشرين سنة وغاص هو وفرسه فى حومة ماء فى بعض أيام صيده فجزعت عليه فارس لما عمها من عدله وشملها من احسانه ورأفته برعيته واستقامة الامور فى أيامه وقد كان خرج فى أيامه خاقان ملك الترك الى الصغد وشن الغارات

حتى منى قدوالله بلغ منا ثم رجع فقاتل قتالا شديدا ثم كر على طليحة فقال هل جاءك جبريل قال نعم قال فماذا قال لك قال قال لي ان لك رحى كرحاه وحديثا لا تنساه فقال عيينة قد علم الله انه سيكون حديث لا تنساه انصرفوا يا بني فزارة فانه كذاب فانصرفوا وانهزم الناس وكان طليحة قد أعد فرسه وراحلته لامرأته النوار فلما غشوه ركب فرسه وحمل امرأته ثم نجا بها وقال يا معشر فزارة من استطاع ان يفعل هكذا وينجو بامرأته فليفعل ثم انهزم فلحق بالشام ثم نزل على كلب فاسلم حين بلغه ان أسدا وغطفان قد أسلموا ولم يزل مقيما في كلب حتى مات أبو بكر وكان خرج معتمرا ومر بجنبات المدينة فقيل لابي بكر هذا طليحة فقال ما أصنع به قد أسلم ثم أتى عمر فبايعه حين استخلف فقال له أنت قاتل عكاشة وثابت والله لا أحبك أبدا فقال يا أمير المؤمنين ما يهمك من رجلين أكرمهما الله بيدي ولم يهني بايديهما فبايعه عمر وقال له ما بقي من كهانتك فقال نفخة أو نفختان ثم رجع الى قومه فاقام عندهم حتى خرج الى العراق ولما انهزم الناس عن طليحة أسر عيينة ابن حصن فقدم به على أبي بكر فكان صبيان المدينة يقولون له وهو مكتوف يا عدو الله أكفرت بعد ايمانك فيقول والله ما آمنت بالله طرفة عين فتجاوز عنه أبو بكر وحقن دمه وأخذ من أصحاب طليحة رجل كان عالما به فسأله خالد عما كان يقول فقال ان مما أتى به والحمام واليمام والصرد الصوام قد صمن قبلكم باعوام ليبلغن ملكنا العراق والشام قال ولم يؤخذ منهم سبي لانهم كانوا قد أحرزوا حريمهم فلما انهزموا أقروا بالاسلام خشية على عيالاتهم فأمنهم (حبال بكسر الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وبعد الالف لام وذو القصة بفتح القاف والصاد المهملة وذو حسى بضم الحاء المهملة والسين المهملة المفتوحة ودابا بفتح الدال المهملة وبالباء الموحدة وبزاخة بضم الباء الموحدة وبالزاء والخاء المعجمة)

﴿ذكر ردة بني عامر وهوازن وسليم﴾

وكانت بنو عامر تقدم الى الردة رجلا وتؤخر اخرى وتنظر ما تصنع أسد وغطفان فلما أحيط بهم وبنو عامر على قادتهم وسادتهم كان قرة بن هبيرة في كعب ومن لافها وعلقمة بن علاثة في كلاب ومن لافها وكان أسلم ثم ارتد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولحق بالشام بعد فتح الطائف فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم أقبل مسرعا حتى عسكر في بني كعب فبلغ ذلك أبا بكر فبعث اليه سرية عليها القعقاع بن عمرو وقيل بل قعقاع بن سور وقال له لتغير على علقمة لعلك تقتله أو تستأسره فخرج حتى أغار على الماء الذي عليه علقمة وكان لا يبرح الا مستعدا فسابقهم على فرسه فسبقهم وأسلم أهله وولده وأخذهم القعقاع وقدم بهم على أبي بكر فجحدوا ان يكونوا على حال علقمة ولم يبلغ ابا بكر عنهم انهم فارقوا دارهم وقالوا له ماذنبنا فيما صنع علقمة فارسلهم ثم أسلم فقبل ذلك منه وأقبلت بنو عامر بعد هزيمة أهل بزاخة يقولون ندخل فيما خرجنا منه ونؤمن بالله ورسوله وأتوا خالدا فبايعهم على ما بايع اهل بزاخة وأعطوه بايديهم على الاسلام وكانت بيعته عليكم عهد الله وميثاقه لتؤمنن بالله ورسوله ولتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة وتبايعون على ذلك أبناءكم ونساءكم فيقولون نعم ولم يقبل من أحد من أسد وغطفان وطيء وسليم وعامر الا ان يأتوه بالذين حرقوا ومثلوا وعدوا على الاسلام في حال ردتهم فاتوه بهم فقبل بهم وحرقهم ورضخهم بالحجارة ورمى بهم من الجبال ونكسهم في الآبار وأرسل الى أبي بكر يعلمه ما فعل وأرسل اليه قرة بن هبيرة ونفرا معه موثقين وزهيرا أيضا وأما أم زمل فاجتمع فلال غطفان وطيء وسليم وهوازن وغيرها الى أم زمل سلمى بنت مالك بن حذيفة بن بدر وكانت أمها أم قرفة بنت ربيعة بن بدر وكانت أم زمل قد

في بلاده وقيل أنه أتى الى بلاد الري وان بهرام كتب اجناده وتنكب الطريق في اليسرى من جريدة أصحابه حتى أتى على خاقان في جنوده وسار نحو العراق برأسه فهابته ملوك الارض وهادنه قيصر وحمل اليه الاموال وقد كان بهرام قبل ذلك دخل الى أرض الهند متنكرا ولاخبارهم متعرفا واتصل بشبرمة ملك من ملوك الهند فأبلى بين يديه في حرب من حروبه وأمكنه من عدوه فزوجه ابنته على انه بعض أساورة فارس وكان نشوؤه مع العرب بالحيرة وكان يقول الشعر بالعربية ويتكلم بسائر اللغات وكان على خاتمه مكتوب بالافعال تعظم الاخبار وله اخبار في أخذه الملك بعد أبيه وتناوله التاج والراية وقد وضعا بين يديه واخبار غير ذلك وسير يطول ذكرها ولاية علة سمي بهرام جور وما أحدث من الرمي بالنشاب في أيامه ومن النظم في داخل القوس وخارجها وقد أتينا على جميع ذلك في كتابنا أخبار الزمان والكتاب الاوسط وما قالت الفرس والترك في بنية القوس وانها مركبة على الطبائع الاربع كطبائع

سبيت أيام أمها ام قرفة وقد تقدمت الغزوة فوقعت لعائشة فاعتقتها ورجعت الى قومها وارتدت واجتمع اليها الفل فامرتهم بالقتال وكثف جمعها وعظمت شوكتها فلما بلغ خالدا أمرها سار اليها فاقتتلوا قتالا شديدا أول يوم وهي واقفة على جمل كان لامها وهي في مثل عزها فاجتمع على الجمل فوارس فعقروه وقتلوها وقتل حول جملها مائة رجل وبعث بالفتح الى أبي بكر *(وأما خبر الفجاءة السلمي)* واسمه اياس بن عبد ياليل فانه جاء الى أبي بكر فقال له أعني بالسلاح أقاتل به أهل الردة فأعطاه سلاحا وأمره امرة فخالف الى المسلمين وخرج حتى نزل بالجواء وبعث نخبة بن أبي الميثاء من بني الشريد وأمره بالمسلمين فشن الغارة على كل مسلم في سليم وعامر وهوازن فبلغ ذلك أبا بكر فأرسل الى طريفة بن حاجز فأمره ان يجمع له ويسير اليه وبعث اليه عبد الله بن قيس الحاشي عونا فنهضا اليه وطلباه فلاذ منهما ثم لقياه على الجواء فاقتتلوا وقتل نخبة وهرب الفجاءة فلحقه طريفة فاسره ثم بعث به الى أبي بكر فلما قدم امر أبو بكر ان توقد له نار في مصلى المدينة ثم رمى به فيها مقموطا *(واما خبر أبي شجرة بن عبد العزى السلمي)* وهو ابن الخنساء فانه كان قد ارتد فيمن ارتد من سليم وثبت بعضهم على الاسلام مع معن بن حاجز وكان أميرا لابي بكر فلما سار خالد الى طليحة كتب الى معن أن يلحقه فيمن معه على الاسلام من بني سليم فساروا واستخلف على عمله أخاه طريفة بن حاجز فقال أبو شجرة حين ارتد

صحا القلب عمن هو هواه واقصرا * وطاوع فيها العاذلون فابصرا
ألا أيها المدلي بكثرة قومه * وحظك منهم ان تضام وتقهرا
سل الناس عنا كل يوم كريهة * اذا ما التقينا دارعين وحسرا
ألسنا نعاطي ذا الطماح لجامه * ونطعن في الهيجا اذا الموت أقفرا
فروّيت رمحي من كتيبة خالد * واني لارجو بعدها ان أعمرا

ثم ان أبا شجرة أسلم فلما كان زمن عمر قدم المدينة فرأى عمر وهو يقسم في المساكين فقال أعطني فاني ذو حاجة فقال ومن أنت فقال أنا أبو شجرة بن عبد العزى السلمي قال اي عدو الله لا والله ألست الذي تقول فروّيت رمحي من كتيبة خالد * واني لارجو بعدها ان أعمرا وجعل يعلوه بالدرة في رأسه حتى سبقه عدوا الى ناقته فركبها ولحق بقومه وقال

ضن علينا أبو حفص بنائله * وكل مختبط يوما له ورق

في ابيات

(ذكر قدوم عمرو بن العاص من عمان)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل عمرو بن العاص الى جيفر عند منصرفه من حجة الوداع فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرو بعمان فأقبل حتى انتهى الى البحرين فوجد المنذر ابن ساوى في الموت ثم خرج عنه الى بلاد بني عامر فنزل بقرة بن هبيرة وقرة يقدم رجلا ويؤخر أخرى ومعه عسكر من بني عامر فذبح له وأكرم مثواه فلما أراد الرحلة خلا به قرة وقال يا هذا ان العرب لا تطيب لكم نفسا بالاتاوة فان أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع لكم وتطيع وان أبيتم فلا تجتمع عليكم فقال له عمرو أكفرت يا قرة أتخوفنا بالعرب فوالله لاوطئن عليك الخيل في حفش أمك واحفاش بيت ينفرد فيه النفساء وقدم على المسلمين بالمدينة فأخبرهم فطافوا به يسألونه فاخبرهم ان العساكر معسكرة من دبا الى المدينة فتفرقوا وتحلقوا احلقا وأقبل عمر يريد التسليم على عمرو فمر على حلقة فيها علي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد فلما دنا عمر منهم سكتوا

فقال

الانسان وماذهبوا اليه من أنواع الرمي وكيفيته ومما حفظ من شعر بهرام جور قوله يوم ظفره بخاقان وقتله له

أقول له لما فضضت جموعه
كأنك لم تسمع بصولات بهرام
فاني حامي ملك فارس كلها
وماخير ملك لايكون له حام

(وقوله أيضا)

لقد علم الانام بكل أرض
بانهم قد اضحوا الى عبيدا
ملكت ملوكهم وقهرت منهم
عزيزهم المسود والمسودا
فتلك اسود هم تتقي حذاري
وترهب من مخافتي الورودا
وكنت اذا تشاوس ملك أرض
عبأت له الكتائب والجنودا
فيعطيني المقادة اوأوافى
به يشكو السلاسل والقيودا

وله اشعار كثيرة بالعربية والفارسية أعرضنا عن ذكرها في هذا الموضع طلبا للايجاز (ثم ملك بعده يزدجرد) بن بهرام وكان ملكه تسع عشرة سنة وقيل ثمان عشرة سنة وار بعة أشهر وثمانية عشر يوما وقد كان بني حائطا باللبن والطين بناحية الباب والابواب على حسب ماقدمنا فيما سلف من هذا الكتاب

فقال فيم أنتم فلم يجيبوه فقال لهم انكم تقولون ما أخوفنا على قريش من العرب قالوا صدقت قال فلا تخافوهم أنا والله منكم على العرب أخوف مني من العرب عليكم والله لو تدخلون معاشر قريش جحرا لدخلته العرب في آثاركم فاتقوا الله فيهم ومضى عمر فلما قدم بقرة بن هبيرة على أبي بكر أسيرا استشهد بعمرو على اسلامه فاحضر أبو بكر عمرا فسأله فأخبره بقول قرة الى ان وصل الى ذكر الزكاة فقال قرة مهلا يا عمرو فقال كلا والله لأخبرنه بجميعه فعفا عنه أبو بكر وقبل اسلامه

(ذكر بني تميم وسجاح)

وأما بنو تميم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق فيهم عماله فكان الزبرقان منهم وسهل بن منجاب وقيس بن عاصم وصفوان بن صفوان وسبرة بن عمرو ووكيع بن مالك ومالك بن نويرة فلما وقع الخبر بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم سار صفوان بن صفوان الى أبي بكر بصدقات بني عمرو وأقام قيس بن عاصم ينظر ما الزبرقان صانع ليخالفه فقال حين ابطأ عليه الزبرقان في عمله واويلتاه من ابن العكلية والله ما أدري ما أصنع لئن انا بعثت بالصدقة الى أبي بكر وبايعته لينحرن ما معه في بني سعد فيسودني فيهم ولئن نحرتها في بني سعد ليأتين أبا بكر فليسودني عنده فقسمها على المقاعس والبطون ووافى الزبرقان فاتبع صفوان بن صفوان بصدقات الرباب وهي ضبة بنت أد بن طابخة وعدي وتيم وعكل وثور بنو عبد مناة بن أد وبصدقات عوف والأبناء وهذه بطون من تميم ثم ندم قيس فلما أظله العلاء بن الحضرمي اخرج الصدقة فتلقاه بها ثم خرج معه وتشاغلت تميم بعضها ببعض وكان ثمامة بن أثال الحنفي يأتيه امداد تميم فلما حدث هذا الحديث اضر ذلك بثمامة وكان مقاتلا لمسيلمة الكذاب حتى قدم عليه عكرمة بن أبي جهل فبينما الناس ببلاد تميم مسلمهم بازاء من أراد الردة وارتاب اذ جاءتهم سجاح بنت الحرث بن سويد بن عقفان التميمية قد أقبلت من الجزيرة وادعت النبوة وكانت ورهطها في اخوالها من تغلب تقود افناء ربيعة معها الهذيل بن عمران في بني تغلب وكان نصرانيا فترك دينه وتبعها وعقة بن هلال في النمر وزياد بن فلان في اياد والسليل بن قيس في شيبان فأتاهم أمر أعظم مما هم فيه لاختلافهم وكانت سجاح تريد غزو أبي بكر فارسلت الى مالك بن نويرة تطلب الموادعة فاجابها وردها عن غزوها وحملها على احياء من بني تميم فاجابته وقالت انا امرأة من بني يربوع فان كان ملك فهو لكم وهرب منها عطارد بن حاجب وسادة بني مالك وحنظلة الى بني العنبر وكرهوا ما صنع وكيع وكان قد وادعها وهرب منها أشباههم من بني يربوع وكرهوا ما صنع مالك بن نويرة واجتمع مالك ووكيع وسجاح فسجعت لهم سجاح وقالت أعدوا الركاب واستعدوا للنهاب ثم اغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب فساروا اليهم فلقيهم ضبة وعبد مناة فقتل بينهم قتلى كثيرة وأسر بعضهم من بعض ثم تصالحوا وقال قيس بن عاصم شعرا اظهر فيه ندمه على تخلفه عن أبي بكر بصدقته ثم سارت سجاح في جنود الجزيرة حتى بلغت النباج فاغار عليهم أوس بن خزيمة الهجيمي في بني عمرو فاسر الهذيل وعقة ثم اتفقوا على ان يطلق أسرى سجاح ولا يطأ أرض أوس ومن معه ثم خرجت سجاح في الجنود وقصدت اليمامة وقالت عليكم باليمامة ودفوا دفيف الحمامة فانها غزوة صرامة لا يلحقكم بعدها ملامة فقصدت بني حنيفة فبلغ ذلك مسيلمة فخاف ان هو شغل بها ان يغلب ثمامة وشرحبيل بن حسنة والقبائل التي حولهم على حجر وهي اليمامة فاهدى لها ثم أرسل اليها يستأمنها على نفسه حتى يأتيها فامنته فجاءها في أربعين من بني حنيفة فقال مسيلمة لنا نصف الارض وكان لقريش نصفها لو عدلت وقد رد الله عليك النصف الذي ردت قريش وكان مما

في ذكر الباب والابواب وجبل الفتح واحضر يزدجرد بن بهرام رجلا من حكماء عصره كان في اقاصي مملكته آخذا من اخلاقهم ومقتبس الرأي منهم يسوس به رعيته فقال له يزدجرد وقد مثل بين يديه أيها الحكيم الفاضل ما صلاح الملك فقال الرفق بالرعية واخذ الحق منهم من غير مشقة والتودد اليهم بالعدل وامن السبل وانصاف المظلوم من الظالم قال فما صلاح أمر الملك فقال وزراؤه واعوانه فانهم ان صلحوا صلح وان فسدوا فسد قال له يزدجرد ان الناس قد أكثروا في اسباب الفتن فصف لي ما الذي يشبها وينشئها وما الذي يسكنها ويدفنها قال يشبها ضغائن يحرشها جرأة عامة ولدها استخفاف بخاصة واكدها انبساط الالسن بضمائر القلوب واشفاق موسر وامل معسر وغفلة ملتذ ويقظة محروم والذي يسكنها أخذ العدة لما يخاف قبل حلوله وايثار الجد حين يلتذ الهزل والعمل بالحزم في الغضب والرضى (ثم ملك بعده هرمز) بن يزدجرد فنازعه أخوه

شرع لهم ان من أصاب ولدا واحدا ذكرا لا يأتي النساء حتى يموت ذلك الولد فيطلب الولد حتى يصيب ابنا ثم يمسك وقيل بل تحصن منها فقالت له انزل فقال لها ابعدي أصحابك ففعلت وقد ضرب لها قبة وجمرها فتذكر بطيب الريح الجماع واجتمع بها فقالت له ما أوحى اليك ربك فقال ألم تر الى ربك كيف فعل بالحبلى اخرج منها نسمة تسعى بين صفاق وحشى قالت وماذا أيضا قال ان الله خلق للنساء أفراجا وجعل الرجال لهن ازواجا فنولج فيهن ايلاجا ثم نخرجها اذا نشاء اخراجا فينتجن لنا سخالا انتاجا قالت اشهد انك نبي قال هل لك ان أتزوّجك وآكل بقومي وقومك العرب قالت نعم قال

ألا قومي الى المخدع * فقد هيّي لك المضجع
فان شئت ففي البيت * وان شئت ففي المخدع
وان شئت سلقناك * وان شئت على أربع
وان شئت بثلثيه * وان شئت به اجمع

قالت بل به اجمع فانه اجمع للشمل قال بذلك أوحي الي فاقامت عنده ثلاثا ثم انصرفت الى قومها فقالوا لها ما عندك قالت كان على الحق فتبعته وتزوجته فقالوا هل أصدقك شيأ قالت لا قالوا فارجعي فاطلبي الصداق فرجعت فلما رآها أغلق باب الحصن وقال مالك قالت اصدقني قال من مؤذنك قالت شبث بن ربعي الرياحي فدعاه وقال له نادِ في أصحابك ان مسيلمة رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما جاءكم به محمد صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة فانصرفت ومعها أصحابها منهم عطارد بن حاجب وعمرو بن الاهتم وغيلان بن خرشة وشبث بن ربعي فقال عطارد بن حاجب

أمست نبيتنا أنثى نطوف بها * وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

وصالحها مسيلمة على غلات اليمامة سنة تأخذ النصف وتترك عنده من يأخذ النصف فاخذت النصف وانصرفت الى الجزيرة وخلفت الهذيل وعقة وزياد الاخذ النصف الباقي فلم يفاجئهم الا دنو خالد اليهم فارفضوا فلم تزل سجاح في تغلب حتى نقلهم معاوية عام المجاعة وجاءت معهم وحسن اسلامهم واسلامها وانتقلت الى البصرة وماتت بها وصلى عليها سمرة بن جندب وهو على البصرة لمعاوية قبل قدوم عبيد الله بن زياد من خراسان وولايته البصرة وقيل انها لما قتل مسيلمة سارت الى أخوالها تغلب بالجزيرة فماتت عندهم ولم يسمع لها بذكر

(ذكر مالك بن نويرة)

لما رجعت سجاح الى الجزيرة ارعوى مالك بن نويرة وندم وتحير في أمره وعرف وكيع وسماعة قبح ما اتيا فراجعا رجوعا حسنا ولم يتجبرا واخرجا الصدقات فاستقبلا بها خالدا وسار خالد بعد ان فرغ من فزارة وغطفان واسد وطيّ يريد البطاح وبها مالك بن نويرة قد تردد عليه امره وتخلفت الانصار عن خالد وقالوا ما هذا بعهد الخليفة الينا ان نحن فرغنا من بزاخة ان نقيم حتى يكتب الينا وقال خالد قد عهد الي ان أمضي وانا الامير ولو لم يأت كتاب بما رأيته فرصة وكنت ان أعلمته فاتتني لم اعلمه وكذلك لو ابتلينا بأمر ليس فيه منه عهد لم ندع ان نرى أفضل ما بحضرنا ثم نعمل به فانا قاصد الى مالك ومن معي ولست أكرههم ومضى خالد وندمت الانصار وقالوا ان أصاب القوم خيرا حرمتموه وان أصيبوا ليجتنبنكم الناس فلحقوه ثم سار حتى قدم البطاح فلم يجد بها احدا وكان مالك بن نويرة قد فرقهم ونهاهم عن الاجتماع وقال يا بني يربوع انا دعينا الى هذا الامر فابطأنا عنه فلم نفلح وقد نظرت فيه فرأيت الامر يتأتى لهم بغير سياسة واذا الامر لا يسوسه الناس فاياكم ومناواة قوم صنع لهم فتفرقوا وادخلوا في هذا الامر فتفرقوا على ذلك ولما قدم خالد البطاح بث

فيروز فقتله وولي الملك وهو فيروز بن يزدجرد بن بهرام وكان ملك فيروز الى ان هلك على يدي ملك الهياطلة باخمران بمرو الروذ من بلاد خراسان سبعا وعشرين سنة والهياطلة هم الصغد وهم بين بخارى وسمرقند (ثم ملك بلاس) بن فيروز الملك وكان ملكه اربع سنين (ثم ملك قباذ) بن فيروز وفي أيامه ظهر مزدق الزنديق واليه تضاف المزدقية وله اخبار مع قباذ وما أحدثه في العامة من النواميس والحيل الى ان قتله انوشروان في ملكه وكان ملك قباذ الى ان هلك ثلاثا واربعين سنة (ثم ملك بعده ولده انوشروان) بن قباذ بن فيروز ثمانيا وأربعين سنة وقيل سبعا واربعين سنة وثمانية أشهر وقد كان قباذ خلع من ملكه وأجلس أخ له يقال له جاماسب نحوا من سنتين لامر كان من مزدق واصحابه فظافر انوشروان بزرجمهر بن سرحو حتى اعيد قباذ الى ملكه في خبر طويل ولما ملك انوشروان وقتل مزدق وأتبعه بثمانين ألفا من أصحابه وذلك بين

السرايا وأمرهم بداعية الاسلام وان يأتوه بكل من لم يجب وان امتنع ان يقتلوه وكان قد أوصاهم ابو بكر ان يؤذنوا اذا نزلوا منزلا فان أذن القوم فكفوا عنهم وان لم يؤذنوا فاقتلوا وانهبوا وان أجابوكم الى داعية الاسلام فسائلوهم عن الزكاة فان أقروا فاقبلوا منهم وان أبوا فقاتلوهم قال فجاءته الخيل بمالك بن نويرة فى نفر من بنى ثعلبة بن يربوع فاختلفت السرية فيهم وكان فيهم أبو قتادة فكان فيمن شهد انهم قد أذنوا واقاموا وصلوا فلما اختلفوا أمر بهم فحبسوا فى ليلة باردة لا يقوم لها شئ فأمر خالد مناديا فنادى ادفئوا اسراكم وهى فى لغة كنانة القتل فظن القوم انه أراد القتل ولم يرد الا الدفء فقتلوهم فقتل ضرار بن الازور مالكا وسمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم فقال اذا أراد الله أمرا اصابه وتزوج خالد ام تميم امرأة مالك فقال عمر لابى بكر ان سيف خالد فيه رهق وأكثر عليه فى ذلك فقال يا عمر تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فانى لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين وودى مالكا وكتب الى خالد ان يقدم عليه ففعل ودخل المسجد وعليه قباء وقد غرز فى عمامته أسهما فقام اليه عمر فنزعها وحطمها وقال له قتلت امرأ مسلما ثم نزوت على امرأته والله لارجمنك بأحجارك وخالد لا يكلمه يظن ان رأى ابى بكر مثله ودخل على أبى بكر فأخبره الخبر واعتذر اليه فعذره وتجاوز عنه وعنفه فى التزويج الذى كانت عليه العرب من كراهة أيام الحرب فخرج خالد وعمر جالس فقال هلم الى يا ابن ام سلمة فعرف عمر ان أبا بكر قد رضى عنه فلم يكلمه وقيل ان المسلمين لما غشوا مالكا وأصحابه ليلا اخذوا السلاح فقالوا نحن المسلمون فقال أصحاب مالك ونحن المسلمون قالوا لهم ضعوا السلاح فوضعوه ثم صلوا وكان يعتذر فى قتله انه قال ما اخال صاحبكم الا قال كذا وكذا فقال له اوما تعده لك صاحبا ثم ضرب عنقه وقدم متمم بن نويرة على أبى بكر يطلب بدم أخيه ويسأله ان يرد عليهم سبيهم فأمر أبو بكر برد السبى وودى مالكا من بيت المال ولما قدم على عمر قال له ما بلغ بك لوجدك على أخيك قال بكيته حولا حتى أسعدت عينى الذاهبة عينى الصحيحة ومارأيت نارا قط الا كدت انقطع أسفا عليه لانه كان يوقد ناره الى الصبح مخافة ان يأتيه ضيف ولا يعرف مكانه قال فصفه لى قال كان يركب الفرس الحرون ويقود الجمل الثقال وهو بين المزادتين النضوختين فى الليلة القرة وعليه شملة فلوت معتقلا رمحا خطلا فيسرى ليلته ثم يصبح وكان وجهه فلقة قمر قال انشدنى بعض ما قلت فيه فأنشده مرثيته التى يقول فيها

وكنا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فقال عمر لو كنت أقول الشعر لرثيت أخى زيدا فقال متمم ولا سواء يا أمير المؤمنين لو كان أخى صرع مصرع أخيك لما بكيته فقال عمر ما عزانى أحد بأحسن مما عزيتنى به وفى هذه الوقعة قتل الوليد وأبو عبيدة ابنا عمارة بن الوليد وهما ابنا أخى خالد لهما صحبة

(ذكر مسيلمة وأهل اليمامة)

قد ذكرنا فيما تقدم مجىء مسيلمة الى النبى صلى الله عليه وسلم فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم وبعث أبو بكر السرايا الى المرتدين أرسل عكرمة بن أبى جهل فى عسكر الى مسيلمة واتبعه شرحبيل ابن حسنة فعجل عكرمة ليذهب بصوتها فواقعهم فنكبوه وأقام شرحبيل بالطريق حين أدركه الخبر وكتب عكرمة الى أبى بكر بالخبر فكتب اليه أبو بكر لا أرينك ولا ترانى لا ترجعن فتوهن الناس امض الى حذيفة وعرفجة فقاتل أهل عمان ومهرة ثم تسير أنت وجندك تستبرئون الناس حتى تلاقى مهاجر بن ابى امية باليمن وحضرموت فكتب الى شرحبيل بالمقام الى ان يأتى

حادر والنهر وان من أرض العراق فسمى من ذلك اليوم انوشروان وتفسير ذلك جديد الملك وجمع أهل مملكته على دين المجوسية ومنعهم النظر والخلاف والحجاج فى الملل وسار نحو الباب والابواب وجبل الفتح لما كان من غارات من هنالك من الملوك على بلاده فبنى السور على ازقاق البقر المنفوخة بالصخر والحديد والرصاص فكلما ارتفع البناء نزلت تلك الازقاق الى ان استقرت فى قرار البحر وقد ارتفع السور على الماء وغاصت الرجال حينئذ بالخناجر والسكاكين الى تلك الازقاق فشقتها وتمكن السور على وجه الماء فى قرار البحر وهو باق الى وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة ويسمى هذا الموضع من السور فى البحر السد مانعا للمراكب فى البحر ان وردت من بعض الاعداء ثم مد السور فى البحر ما بين جبل الفتح والبحر وجعل فيه الابواب مما يلى الكفار ثم مد السور على جبل الفتح على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الاخبار جبل الفتح والباب وكان

خالد فاذا فرغوا من مسيلمة تلحق بعمرو بن العاص تعينه على قضاعة فلما رجع خالد من البطاح الى أبي بكر واعتذر اليه فقبل عذره ورضي عنه ووجهه الى مسيلمة واوعب معه المهاجرين والانصار وعلى الانصار ثابت بن قيس بن شماس وعلى المهاجرين أبو حذيفة وزيد بن الخطاب واقام خالد بالبطاح ينتظر وصول البعث اليه فلما وصلوا اليه سار الى اليمامة وبنو حنيفة يومئذ كثيرون كانت عدتهم أربعين ألف مقاتل وعجل شرحبيل بن حسنة وبادر خالدا بقتال مسيلمة فنكب فلامه خالد وامد أبو بكر خالدا بسليط ليكون ردأ له لئلا يؤتى من خلفه وكان ابو بكر يقول لا استعمل اهل بدر أدعهم حتى يلقوا الله بصالح اعمالهم فان الله يدفع بهم وبالصالحين اكثر مما ينتصر بهم وكان عمر يرى استعمالهم على الجند وغيره وكان مع مسيلمة نهار الرجال بن عنفوة وكان قد هاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ القرآن وفقه في الدين وبعثه معلما لاهل اليمامة وليشغب على مسيلمة فكان اعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة شهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم يقول ان مسيلمة قد اشرك معه فصدقوه واستجابوا له وكان مسيلمة ينتهي الى امره وكان يؤذن له عبد الله ابن النواحة والذي يقيم له حجير بن عمير فكان حجير يقول أشهد ان مسيلمة يزعم انه رسول الله فقال له مسيلمة افصح حجير فليس في المجمجة خير وهو اول من قالها وكان مما جاء به وذكر انه وحي ياضفدع بنت ضفدع نقي ماتنقين اعلاك في الماء واسفلك في الطين لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين وقال ايضا والمبذرات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما اهالة وسمنا لقد فضلتم على اهل الوبر وماسبقكم اهل المدر ريفكم فامنعوه والمعتر فآووه والباغي فناوؤه واتته امرأة فقالت ان نخلنا لسحيق وان آبارنا لجرز فادع الله لمائنا ولنخلنا كما دعا محمد صلى الله عليه وسلم لاهل هزمان فسأل نهارا عن ذلك فذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهم واخذ من ماء آبارهم فتمضمض منه ومجه في الآبار ففاضت ماء وأنجبت كل نخلة وأطلعت فسيلا قصيرا مكمما ففعل مسيلمة ذلك فغار ماء الآبار ويبس النخل وانما ظهر ذلك بعد مهلكه وقال له نهار أمرر يدك على اولاد بني حنيفة مثل محمد ففعل وأمر يده على رؤسهم وحنكهم فقرع كل صبي مسح رأسه ولثغ كل صبي حنكه وانما استبان ذلك بعد مهلكه وقيل جاءه طلحة النمري فسأله عن حاله فاخبره انه يأتيه رجل في ظلمة فقال أشهد انك الكاذب وان محمدا صادق ولكن كذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر فقتل معه يوم عقرباء كافرا ولما بلغ مسيلمة دنو خالد ضرب عسكره بعقرباء وخرج اليه الناس وخرج مجاعة بن مرارة في سرية يطلب ثأرا لهم في بني عامر فاخذه المسلمون وأصحابه فقتلهم خالد واستبقاه لشرفه في بني حنيفة وكانوا ما بين أربعين الى ستين وترك مسيلمة الاموال وراء ظهره فقال شرحبيل ابن مسيلمة يابني حنيفة قاتلوا فان اليوم يوم الغيرة فان انهزمتم تستردف النساء سبيات وينكحن غير خطيبات فقاتلوا عن احسابكم وامنعوا نساءكم فاقتتلوا بعقرباء وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة وكانت قبله مع عبد الله بن حفص بن غانم فقتل فقالوا نخشى عليك من نفسك فقال بئس حامل القرآن انا اذا وكانت راية الانصار مع ثابت بن قيس بن شماس وكانت العرب على راياتهم والتقى الناس وكان أول من لقي المسلمين نهار الرجال بن عنفوة فقتل قتله زيد بن الخطاب واشتد القتال ولم يلق المسلمون حربا مثلها قط وانهزم المسلمون وخلص بنو حنيفة الى مجاعة والى خالد فزال خالد عن الفسطاط ودخلوا الى مجاعة وهو عند امرأة خالد وكان سلمه اليها فارادوا قتلها فنهاهم مجاعة عن قتلها وقال أنا لها جار فتركوها وقال لهم عليكم بالرجال فقطعوا

لانوشروان خبر مع ملوك الخزر الى ان تأتى له هذا البناء وقيل انه بنى ذلك بالرهبة واذعان من هنالك من الامم وانصرف انوشروان الى العراق ووفدت عليه رسل الملوك وهداياها والوفود من الممالك وكان فيمن وفد اليه رسول ملك الروم قيصر بهدايا والطاف فنظر الرسول الى ايوانه وحسن بنيانه واعوجاج في ميدانه فقال كان يحتاج هذا الصحن أن يكون مربعا فقيل له ان عجوزا لها منزل من جانب الاعوجاج منه وان الملك ارادها على بيعه وارغبها فأبت فلم يكرهها الملك وبقي الاعوجاج من ذلك على ما ترى فقال الرومي هذا الاعوجاج الآن أحسن من الاستواء وسار انوشروان في بلاده ودار في مملكته فاحكم البنيان وشيد القلاع والحصون ورتب الرجال فعبر الى الشام فافتتح بها المدن وكان مما افتتح بلاد حلب وقنسرين وحمص وفامية وهي بين انطاكية وحمص وسار الى انطاكية وحاصرها وفيها اخت لقيصر فافتتحها وافتتح مدينة عظيمة كبيرة العمران عجيبة البنيان كانت في ساحل انطاكية رسومها

الفسطاط ثم ان المسلمين تداعوا فقال ثابت بن قيس بئس ما عودتم انفسكم يا معشر المسلمين اللهم انى ابرأ اليك مما يصنع هؤلاء يعنى أهل اليمامة واعتذر اليك مما يصنع هؤلاء يعنى المسلمين ثم قاتل حتى قتل وقال زيد بن الخطاب لا نحور بعد الرجال والله لا اتكلم اليوم حتى نهزمهم أو اقتل فاكلمه بحجتى غضوا أبصاركم وعضوا على أضراسكم أيها الناس واضربوا فى عدوكم وامضوا قدما وقال أبو حذيفة يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال وحمل خالد فى الناس حتى ردوهم الى أبعد مما كانوا واشتد القتال وتذامرت بنو حنيفة وقاتلت قتالا شديدا وكانت الحرب يومئذ تارة للمسلمين وتارة للكافرين وقتل سالم وأبو حذيفة وزيد بن الخطاب وغيرهم من أولى البصائر فلما رأى خالد ما الناس فيه قال امتازوا أيها الناس لنعلم بلاء كل حى ولنعلم من أين نؤتى فامتازوا وكان أهل البوادى قد جنبوا المهاجرين والانصار وجنبهم المهاجرون والانصار فلما امتازوا قال بعضهم لبعض اليوم يستحى من الفرار فما روى يوم كان أعظم نكاية من ذلك اليوم ولم يدر أى الفريقين كان أعظم نكاية غير ان القتل كان فى المهاجرين والانصار وأهل القرى أكثرهم منهم فى أهل البوادى وثبت مسيلمة فدارت رحاهم عليه فعرف خالد انها لا تركد الا بقتل مسيلمة ولم تحفل بنو حنيفة بمن قتل منهم ثم برز خالد ودعا الى البراز ونادى بشعارهم وكان شعارهم يا محمداه فلم يبرز اليه أحد الا قتله ودارت رحى المسلمين ودعا خالد مسيلمة فاجابه فعرض عليه أشياء مما يشتهى مسيلمة فكان اذا هم بجوابه اعرض بوجهه ليستشير شيطانه فينهاه ان يقبل فاعرض بوجهه مرة وركبه خالد وأرهقه فادبر وزال أصحابه وصاح خالد فى الناس فركبوهم فكانت هزيمتهم وقالوا لمسيلمة أينما كنت تعدنا فقال قاتلوا عن احسابكم ونادى المحكم يا بنى حنيفة الحديقة الحديقة فدخلوها وأغلقوا عليهم بابها وكان البراء بن مالك وهو أخو أنس بن مالك اذا حضر الحرب أخذته رعدة حتى يقعد عليه الرجال ثم يبول فاذا بال ثار كما يثور الاسد فاصابه ذلك فلما بال وثب وقال الى أيها الناس أنا البراء بن مالك الى الى وقاتل قتالا شديدا فلما دخلت بنو حنيفة الحديقة قال البراء يا معشر المسلمين القونى عليهم فى الحديقة فقالوا لا نفعل فقال والله لتطرحننى عليهم بها فاحتمل حتى أشرف على الجدار فاقتحمها عليهم وقاتل على الباب وفتحه للمسلمين ودخلوها عليهم فاقتتلوا اشد قتال وكثر القتلى فى الفريقين لا سيما فى بنى حنيفة فلم يزالوا كذلك حتى قتل مسيلمة واشترك فى قتله وحشى مولى جبير بن مطعم ورجل من الانصار اما وحشى فدفع عليه حربته وضربه الانصارى بسيفه قال ابن عمر فصرخ رجل قتله العبد الاسود فولت بنو حنيفة عند قتله منهزمة واخذهم السيف من كل جانب واخبر خالد بقتل مسيلمة فخرج بمجاعة يرسف فى الحديد ليدله على مسيلمة فجعل يكشف له القتلى حتى مر بمحكم اليمامة وكان وسيما فقال هذا صاحبكم فقال مجاعة لا هذا والله خير منه وأكرم هذا محكم اليمامة ثم دخل الحديقة فاذا رويجل أصيفر اخينس فقال مجاعة هذا صاحبكم قد فرغتم منه وقال خالد هذا الذى فعل بكم ما فعل وكان الذى قتل محكم اليمامة عبد الرحمن بن أبى بكر رماه بسهم فى نحره وهو يخطب ويحرض الناس فقتله وقال مجاعة لخالد ما جاءك الا سرعان الناس وان الحصون مملوأة فهلم الى الصلح على ما ورائى فصالحه على كل شئ دون النفوس وقال أنطلق اليهم فاشاورهم فانطلق اليهم وليس فى الحصون الا النساء والصبيان ومشيخة فانية ورجال ضعفى فالبسهم الحديد وامر النساء ان ينشرن شعورهن ويشرفن على الحصون حتى يرجع اليهم فرجع الى خالد فقال قد أبوا ان يجيزوا ما صنعت فرأى خالد الحصون مملوأة وقد نهكت المسلمين الحرب وطال اللقاء واحبوا ان يرجعوا على الظفر

بينة الى هذه الغاية وأثرها قائم تدعى سلوقية وأقبل بفتح المدائن بالشام وأرض الروم ويغنم الغنائم والجواهر والاموال ويذل السيف ويبث عساكره وسراياه فهادنه قيصر وحمل اليه الخراج والجزية فقبل ذلك منه ونقل من الشام المرمر والرخام وانواع الفسيفسا والاحجار والفسيفسا هى شئ يطبخ من الزجاج والاحجار ذو بهجة والوان يدخل فيما فرش من الارض والبنيان كالفصوص ومنه على هيئة الجامات شاف وحمل ذلك الى العراق فبنى مدينة نحو المدائن وسماها رومية وجعل بنيانها وما داخل سورها بما ذكرنا من أنواع الاحجار يحكى بذلك انطاكية وغيرها من المدن فى الشام وهذه المدينة سورها من طين قائم الى هذا الوقت خراب وباب يعرف بما ذكرنا وزوجه خاقان ملك الترك بابنته وابنة أخيه وهادنته ملوك السند والهند والشمال والجنوب وسائر الممالك وحملت اليه الهدايا ووفدت اليه الوفود خوفا من صولته وكثرة جنوده وعظيم مملكته ولما يظهر من فعله بالممالك وقتله الملوك

ولم يدروا ما هو كائن وقد قتل من المهاجرين والانصار من المدينة ثلثمائة وستون ومن المهاجرين
من غير المدينة ثلثمائة رجل وقتل ثابت بن قيس قطع رجل من المشركين رجله فاخذها ثابت
وضربه بها فقتله وقتل من بني حنيفة بعقرباء سبعة آلاف وبالحديقة مثلها وفي الطلب نحو منها
وصالحه خالد على الذهب والفضة والسلاح ونصف السبي وقيل ربعه فلما فتحت الحصون لم يكن
فيها الا النساء والصبيان والضعفاء فقال خالد لمجاعة ويحك خدعتني فقال هم قومي ولم أستطع الا
ما صنعت ووصل كتاب أبي بكر الى خالد ان يقتل كل محتلم وكان قد صالحهم فوفى لهم ولم يغدر ولما
رجع الناس قال عمر لابنه عبد الله وكان معهم ألا هلكت قبل زيد هلك زيد وأنت حي ألا واريت
وجهك عني فقال عبد الله سألت الله الشهادة فاعطيها وجهدت ان تساق الي فلم أعطها وفي هذه
السنة بعد وقعة اليمامة أمر ابو بكر بجمع القرآن لما رأى من كثرة من قتل من الصحابة لئلا يذهب
القرآن وسيرد مبينا سنة ثلاثين * وممن قتل باليمامة شهيدا من الصحابة عباد بن بشر
الانصاري شهد بدرا وغيرها وقتل عباد بن الحرث الانصاري وكان شهد أحدا وقتل بها
عمير بن أوس بن عتيك الانصاري وكان شهد أحدا * وفيها قتل عامر بن ثابت بن سلمة الانصاري
وفيها قتل عمارة بن حزم الانصاري أخو عمرو وكان بدريا وفيها قتل علي بن عبيد الله بن الحرث
من بني عامر بن لؤي وكان له صحبة وقتل بها عائذ بن ماعص الانصاري وقيل قتل يوم بئر معونة
وقتل فيها فروة بن النعمان وقيل ابن الحرث بن النعمان الانصاري وكان قد شهد أحدا وما
بعدها وفيها قتل قيس بن الحرث بن عدي الانصاري عم البراء بن عازب وقيل بل قتل باحد وقتل
بها سعد بن جماز الانصاري وكان قد شهد أحدا وقتل بها أبو دجانة الانصاري وهو بدري وقيل بل
عاش بعد ذلك وشهد صفين مع علي عليه السلام والله أعلم وقتل باليمامة سلمة بن مسعود بن سنان
الانصاري وقتل فيها السائب بن عثمان بن مظعون الجمحي وهو من مهاجرة الحبشة وشهد بدرا
وقتل أيضا السائب بن العوام أخو الزبير لابويه وقتل بها الطفيل بن عمرو الدوسي شهد خيبر وقتل
بها زرارة بن قيس الانصاري له صحبة وقتل فيها مالك بن عمرو السلمي حليف بني عبد شمس وهو
بدري وقتل مالك بن أمية السلمي وهو بدري ومالك بن عوس بن عتيك الانصاري وهو ممن شهد أحدا
وقتل بها معن بن عدي بن الجد البلوي حليف الانصار شهد العقبة وبدرا وغيرها ومسعود بن سنان
الاسود حليف بني غانم وشهد احدا وفيها قتل النعمان بن عصر بن الربيع البلوي وهو بدري (وقيل
هو بكسر العين وسكون الصاد وقيل بفتحها) وفيها قتل صفوان ومالك ابنا عمرو السلمي وهما بدريان
وضرار بن الازور الاسدي وهو الذي قتل مالك بن نويرة بأمر خالد وفيها قتل عبد الله بن الحرث بن
قيس بن عدي السهمي وقيل قتل عبد الله بالطائف هو وأخوه السائب وفيها قتل عبد الله بن مخرمة
ابن عبد العزى العامري عامر قيس وشهد بدرا وغيرها وفيها قتل عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن
سلول وهو بدري وعبد الله بن عتيك الانصاري وهو قاتل ابن أبي الحقيق وهو بدري وفيها قتل
شجاع بن أبي وهب الاسدي أسد خزيمة شهد بدرا وهريم بن عبد الله المطلبي القرشي وأخوه
جنادة والوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزومي ابن عم خالد وقتل ورقة بن اياس بن عمرو الانصاري
وهو بدري ويزيد بن أوس حليف بني عبد الدار أسلم يوم الفتح وأبو حبة بن غزية الانصاري شهد
أحدا وأبو عقيل البلوي حليف الانصار وهو بدري وأبو قيس بن الحرث بن قيس بن عدي السهمي
من مهاجرة الحبشة شهد أحدا ويزيد بن ثابت أخو زيد بن ثابت (الرجال بن عنفوة بالراء المفتوحة
وبالجيم المشددة وقيل بالحاء المهملة والاول أكثر ومجاعة بتشديد الجيم ومحكم اليمامة بالحاء

المهملة

وانقياده الى العدل وكتب
اليه ملك الصين من بغبور
ملك الصين صاحب قصر
الدر والجوهر الذي يجري
في قصره نهران يسقيان
العود والكافور الذي
توجد رائحته على فرسخين
والذي تخدمه بنات ألف
ملك والذي في مربطه ألف
فيل أبيض الى أخيه كسرى
أنوشروان واهدى اليه
فرسا من در منضد اعينا
الفارس والفرس من
ياقوت أحمر وقائم سيفه من
ثابت منضدا بالجوهر وثوب
حرير صينيا عشريا فيه
صورة الملك جالسا في ايوانه
وعليه حليته وتاجه وعلى
رأسه الخدم وبايديهم
المذاب صورة منسوجة
بالذهب وارض الثوب
لازورد في سفط من ذهب
تحمله جارية تغيب في
شعرها تتلألأ جمالا وغير
ما ذكرنا من عجائب
ما يحمل من أرض الصين
وتهديه الملوك الى اكفائها
وكتب اليه ملك الهند من
ملك الهند وعظيم اراكنة
المشرق وصاحب قصر
الذهب وأبواب الياقوت
والدر الى أخيه ملك فارس
صاحب التاج والراية
كسرى انوشروان واهدى
اليه ألف من من عود
هندي يذوب في النار

المهملة والكاف المشددة وسعد بن جماز بالجيم والميم المشددة وآخره زاى)

﴿ذكر ردة أهل البحرين﴾

لما قدم الجارود بن المعلى العبدى على النبى صلى الله عليه وسلم وتفقه رده الى قومه عبد القيس فكان فيهم فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم وكان المنذر بن ساوى العبدى مريضا فمات بعد النبى صلى الله عليه وسلم بقليل فلما مات المنذر بن ساوى ارتد بعده أهل البحرين فاما بكر فتمت على ردتها وأما عبد القيس فانهم جمعهم الجارود وكان بلغه انهم قالوا لو كان محمد نبيا لم يمت فلما اجتمعوا اليه قال لهم أتعلمون انه كان لله أنبياء فيما مضى قالوا نعم قال فما فعلوا قالوا ماتوا قال فان محمدا صلى الله عليه وسلم قد مات كما ماتوا وانا أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاسلموا وثبتوا على اسلامهم وحصر أصحاب المنذر بعده حتى استنقذهم العلاء بن الحضرمى واجتمعت ربيعة بالبحرين على الردة الا الجارود ومن تبعه وقالوا نرد الملك فى المنذر بن النعمان بن المنذر وكان يسمى الغرور فلما أسلم كان يقول أنا المغرور ولست بالغرور وخرج الحطم بن ضبيعة أخو بنى قيس بن ثعلبة فى بكر بن وائل فاجتمع اليه من غير المرتدين ممن لم يزل مشركا حتى نزل القطيف وهجر واستغوى الخط ومن بها من الزط والسيابجة وبعث بعثا الى دارين وبعث الى جوانا فحصر المسلمين فاشتد الحصر على من بها فقال عبد الله بن حذف وقد قتلهم الجوع

الا أبلغ أبا بكر رسولا * وفتيان المدينة اجمعينا
فهل لكم الى قوم كرام * قعود فى جوانا محصرينا
كأن دماءهم فى كل فج * شعاع الشمس تغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن انا * وجدنا النصر للمتوكلينا

وكان سبب استنقاذ العلاء بن الحضرمى اياهم ان أبا بكر كان قد بعثه على قتال أهل الردة بالبحرين فلما كان بحيال اليمامة لحق به ثمامة بن أثال الحنفى فى مسلمة بنى حنيفة ولحق به أيضا قيس بن عاصم المنقرى وأعطاه بدل ما كان قسم من الصدقة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم وانضم اليه عمرو والابناء وسعد بن تميم والرباب أيضا لحقته فى مثل عدته فسلك بهم الدهناء حتى كانوا فى بحبوحتها نزل وأمر الناس بالنزول فى الليل فنفرت ابلهم باحمالها فما بقى عندهم بعير ولا زاد ولا ماء فلحقهم من الغم ما لا يعلمه الا الله ووصى بعضهم بعضا فدعاهم العلاء فاجتمعوا اليه فقال ما هذا الذى غلب عليكم من الغم فقالوا كيف نلام ونحن ان بلغنا غدا لم تحم الشمس حتى نهلك فقال لن تراعوا أنتم المسلمون وفى سبيل الله وأنصار الله فأبشروا فوالله لن تخذلوا فلما صلوا الصبح دعا العلاء ودعوا معه فلمع لهم الماء فمشوا اليه وشربوا واغتسلوا فما تعالى النهار حتى أقبلت الابل تجمع من كل وجه فأناخت اليهم فسقوها وكان أبو هريرة فيهم فلما ساروا عن ذلك المكان قال لمنجاب بن راشد كيف علمك بموضع الماء قال عارف به فقال له كن معى حتى تقيمنى عليه قال فرجعت به الى ذلك المكان فلم نجد الا غدير الماء فقلت له والله لولا الغدير لاخبرتك ان هذا هو المكان وما رأيت بهذا المكان ماء قبل اليوم واذا اداوة مملوءة ماء فقال أبو هريرة هذا والله المكان وما رأيت ولهذا رجعت بك وملأت اداوتى ثم وضعتها على شفير الغدير وقلت ان كان منا من المن عرفته وان كان عينا عرفته فاذا من من المن فحمد الله ثم ساروا فنزلوا بهجر وأرسل العلاء الى الجارود يأمره ان ينزل بعبد القيس على الحطم مما يليه وسار هو فيمن معه حتى نزل عليه مما يلى هجر فاجتمع المشركون كلهم الى الحطم الا أهل دارين واجتمع المسلمون الى العلاء وخندق

كالشمع ويختم عليه كما يختم على الشمع فتبين فيه الكتابة وجاما من الياقوت الاحمر فتحه شبر مملوأ درا وعشرة امنان كافور كالفستق وأكبر من ذلك وجارية طولها سبعة اشبار تضرب اشفار عينيها خدها وكأن بين اجفانها لمعان البرق من بياض مقلتيها مع صفاء لونها ودقة تخطيطها واتقان تشكيلها مقرونة الحاجبين لها اضفائر تجرها وفرشا من جلود الحيات ألين من الحرير واحسن من الموشى وكان كتابه فى لحاء الشجر المعروف بالكاذى مكتوب بالذهب الاحمر وهذا الشجر يكون بارض الهند والصين وهو نوع من النبات عجيب ذو لون حسن وريح طيب لحاؤه ارق من الورق الصينى تتكاتب فيه ملوك الصين والهند وورد عليه وهو فى عسكره محاربا لبعض اعدائه كتاب ملك التبت من خاقان ملك تبتان ومشارق الارض المتاخمة للصين والهند الى أخيه المحمود فى السيرة والقدر ملك المملكة المتوسطة للاقاليم السبعة واهدى اليه أنواعا من العجائب التى تحمل من أرض تبت منها مائة جوشن تبتية

المسلمون على أنفسهم والمشركون وكانوا يتراوحون القتال ويرجعون الى خندقهم فكانوا كذلك شهرا فبيناهم كذلك سمع المسلمون ضوضاء هزيمة أو قتال فقال العلاء من يأتينا بخبر القوم فقال عبد الله بن حذف انا أخرج حتى دنا من خندقهم فأخذوه وكانت أمه عجلية فجعل ينادي يا أبجراه فجاء أبجر بن بجير فعرفه فقال ما شأنك فقال علام أقتل وحولى عساكر من عجل وتيم اللات وغيرها فخلصه فقال له والله انى لأظنك بئس ابن أخت أتيت الليلة أخوالك فقال دعنى من هذا واطعمنى فقد مت جوعا فقرب له طعاما فأكل ثم قال زودنى واحملنى يقول هذا الرجل قد غلب عليه السكر فحمله على بعير وزوده وجوزه فدخل عسكر المسلمين فأخبرهم ان القوم سكارى فخرج المسلمون عليهم فوضعوا فيهم السيف كيف شاؤا وهرب الكفار فمن بين متردد وناج ومقتول ومأسور واستولى المسلمون على العسكر ولم يفلت رجل الا بما عليه فاما أبجر فافلت وأما الحطم فقتل قتله قيس بن عاصم بعد ان قطع عفيف بن المنذر التميمي رجله وطلبهم المسلمون فأسر عفيف المنذر بن النعمان بن المنذر الغرور وأسلم وأصبح العلاء فقسم الانفال ونفل رجالا من أهل البلاء ثيابا فأعطى ثمامة بن أثال الحنفي خميصة ذات اعلام كانت للحطم يباهى بها فلما رجع ثمامة بعد فتح دارين رآها بنو قيس بن ثعلبة فقالوا له أنت قتلت الحطم فقال لم أقتله ولكنى اشتريتها من المغنم فوثبوا عليه فقتلوه وقصد عظم الفلال الى دارين فركبوا اليها السفن ولحق الباقون ببلاد قومهم فكتب العلاء الى من ثبت على الاسلام من بكر بن وائل منهم عتيبة بن النهاس والمثنى بن حارثة وغيرهما يأمرهم بالقعود للمنهزمين والمرتدين بكل طريق ففعلوا وجاءت رسلهم الى العلاء بذلك فأمر ان يؤتى من وراء ظهره فندب حينئذ الناس الى دارين وقال لهم قد أراكم الله من آياته فى البر لتعتبروا بها فى البحر فانهضوا الى عدوكم واستعرضوا البحر وارتحل وارتحلوا حتى اقتحم البحر على الخيل والابل والحمير وغير ذلك وفيهم الراجل ودعا ودعوا وكان من دعائهم يا أرحم الراحمين يا كريم يا حليم يا أحد يا صمد يا حى يا محيى الموتى يا حى يا قيوم لا اله الا أنت يا ربنا فاجتازوا ذلك الخليج باذن الله يمشون على مثل رملة فوقها ماء يغمر أخفاف الابل وبين الساحل ودارين يوم وليلة بسفن البحر فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا فظفر المسلمون وانهزم المشركون وأكثر المسلمون القتل فيهم فما تركوا بها مخبرا وغنموا وسبوا فلما فرغوا رجعوا حتى عبروا وضرب الاسلام فيها بجرانه وكتب العلاء الى أبى بكر يعرفه هزيمة المرتدين وقتل الحطم وكان مع المسلمين راهب من أهل هجر فأسلم فقيل له ما حملك على الاسلام قال ثلاثة أشياء خشيت ان يمسخنى الله بعدها فيض فى الرمال وتمهيد أثباج البحر ودعاء سمعته فى عسكرهم فى الهواء سحرا اللهم أنت الرحمن الرحيم لا اله غيرك والبديع فليس قبلك شئ والدائم غير الغافل الحى الذى لا يموت وخالق ما يرى وما لا يرى وكل يوم أنت فى شان علمت كل شئ بغير تعلم فعلمت أن القوم لم يعانوا بالملائكة الا وهم على حق فكان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يسمعون هذا منه بعد (عتيبة بعد العين تاء معجمة باثنتين من فوقها وياء تحتها نقطتان ثم باء موحدة وحارثة بحاء مهملة وثاء مثلثة)

﴿ذكر ردة أهل عمان ومهرة﴾

قد اختلف فى تاريخ حرب المسلمين هؤلاء المرتدين فقال ابن اسحق كان فتح اليمامة واليمن والبحرين وبعث الجنود الى الشام سنة اثنتى عشرة وقال أبو معشر ويزيد بن عياض وجعدبة وأبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ان فتوح الردة كلها لخالد وغيره سنة احدى عشرة الا أمر ربيعة بن بجير فانه كان سنة ثلاث عشرة وقصته انه بلغ خالد بن الوليد ان ربيعة بالمضيح والحصيد فى جمع من المرتدين

فقاتله

ومائة قطعة تصافيف ومائة برس تبتية وأربعة آلاف من من المسك فى نوافج غزلانه وقد كان انوشروان سار الى ما وراء النهر بلخ وانتهى الى جيلان وقتل احسوان ملك الهياطلة بجده فيروز وملك مملكته فاضافها الى ملكه وقد كان نقل اليه من الهند كتاب كليلة ودمنة والشطرنج والخضاب الاسود المعروف بالهندى وهو الخضاب الذى يلمع سواده فيما يظهر من أصول الشعر سنة كاملة بصبغة سودا ولا ينصل منه شئ (ويحكى) ان هشام ابن عبد الملك بن مروان كان يختضب بهذا الخضاب وكان لانوشروان مائدة من الذهب عظيمة عليها انواع من الجواهر مكتوب عليها من جوانبها الهنيء طعامه من أكله من حله * وعاد على ذوى الحاجة من فضله * ما أكلته وأنت تشتهيه فقد أكلته وما أكلته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك وكان له خواتيم اربعة خاتم للخراج فصه من العقيق ونقشه العدل وخاتم للضياع فصه فيروزج نقشه العمارة وخاتم للمعونة فصه ياقوت كحلى نقشه التأنى وخاتم للبريد فصه ياقوت احمر كالنار نقشه

فقاتله وغنم وسبى وأصاب ابنة لربيعة فبعث بها الى أبى بكر فصارت الى على بن أبى طالب وأما عمان فانه نبغ بها ذو التاج لقيط بن مالك الازدى وكان يسمى فى الجاهلية الجلندى وادعى بمثل ما ادعى من تنبأ وغلب على عمان مرتدا والتجأ جيفر وعباذ الى الجبال وبعث جيفر الى أبى بكر يخبره ويستمده عليه وبعث أبو بكر حذيفة بن محصن الغلفانى من حمير وعرفجة البارقى من الازد حذيفة الى عمان وعرفجة الى مهرة وكل منهما أمير على صاحبه فى وجهه فاذا قربا من عمان يكاتبان جيفرا فسارا الى عمان وأرسل أبو بكر الى عكرمة بن أبى جهل وكان بعثه الى اليمامة فأصيب فارسل اليه ان يلحق بحذيفة وعرفجة بمن معه يساعدهما على أهل عمان ومهرة فاذا فرغوا منهم سار الى اليمن فلحقهما عكرمة قبل عمان فلما وصلوا رجاما وهى قريب من عمان كاتبوا جيفرا وعباذا وجمع لقيط جموعه وعسكر بدبا وخرج جيفر وعباذ وعسكرا بصحار وارسلا الى حذيفة وعكرمة وعرفجة فقدموا عليهما وكاتبوا رؤساء من لقيط وارفضوا عنه ثم التقوا على دبا فاقتتلوا قتالا شديدا واستعلى لقيط ورأى المسلمون الخلل ورأى المشركون الظفر فبينما هم كذلك جاءت المسلمين موادهم العظمى من بنى ناجية وعليهم الخريت بن راشد ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان وغيرهم فقوى الله المسلمين فولى المشركون الادبار فقتل منهم فى المعركة عشرة آلاف وركبوهم حتى أثخنوا فيهم وسبوا الذرارى وقسموا الاموال وبعثوا بالخمس الى أبى بكر مع عرفجة وأقام حذيفة بعمان يسكن الناس وأما مهرة فان عكرمة بن أبى جهل سار اليهم لما فرغ من عمان ومعه من استنصر من ناجية وعبد القيس وراسب وسعد فقحم عليهم بلادهم فوافق بها جمعين من مهرة احدهما مع سخريت رجل منهم والثانى مع المصبح أحد بنى محارب ومعظم الناس معه وكانا مختلفين فكاتب عكرمة سخريتا فأجابه وأسلم وكاتب المصبح يدعوه فلم يجب فقاتله قتالا شديدا فانهزم المرتدون وقتل رئيسهم وركبهم المسلمون فقتلوا من شاؤا منهم وأصابوا ما شاؤا من الغنائم وبعث الاخماس الى أبى بكر مع سخريت وازداد عكرمة وجنده قوة بالظهر والمتاع وأقام عكرمة حتى اجتمع الناس على الذى يحب وبايعوا على الاسلام (دبا بفتح الباء الموحدة المخففة وفتح الدال المهملة والخريت بكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء المهملة المكسورة ثم ياء مثناة من تحتها وآخره تاء وسيحان بفتح السين المهملة وبالياء المثناة من تحت وبالحاء المهملة وآخره نون)

(ذكر خبر ردة اليمن)

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى مكة وأرضها عتاب بن أسيد وعلى عك والاشعريين الطاهر بن أبى هالة وعلى الطائف عثمان بن أبى العاص ومالك بن عوف النصرى عثمان على المدن ومالك على أهل الوبر وبصنعاء فيروز وداذويه يسانده وقيس بن مكشوح وعلى الجند يعلى ابن أمية وعلى مارب أبو موسى وكان منهم مع الاسود الكذاب ما ذكرناه فلما أهلك الله الاسود العنسى بقى طائفة من أصحابه يترددون بين صنعاء ونجران لا تأوى الى أحد وماتت النبى صلى الله عليه وسلم على أثر ذلك فارتد الناس فكتب عتاب بن أسيد الى أبى بكر يعرفه خبر من ارتد فى عمله وبعث عتاب أخاه خالدا الى أهل تهامة وبها جماعة من مدلج وخزاعة وأبناء كنانة وأما كنانة عليهم جندب بن سلمى فالتقوا بالابارق فقتلهم خالد وفرقهم وأفلت جندب وعاد وبعث عثمان بن أبى العاص بعثا الى شنوءة وبها جماعة من الازد وبجيلة وخثعم وعليهم حميضة بن النعمان واستعمل عثمان على السرية عثمان بن أبى ربيعة فالتقوا بشنوءة فانهزم الكفار وتفرقوا وهرب حميضة فى البلاد وأما الاخابث من العك فكانوا أول منتقض بتهامة بعد النبى صلى الله عليه وسلم عك

الربا ووضع انوشروان على العراق وضائع الخراج فالزم كل جريب من السواد من مزارع الحنطة والشعير درهما والارز نصفا وثلثا ولكل أربع نخلات فارسية درهما وكل ست نخلات دقل درهما وكل ست أصول زيتون درهما والكرم ثمانية دراهم والرطب سبعة دراهم فهذه سبعة أنواع من الغلات وترك ما عداها اذ كانت لقضم الناس والبهائم وكان انوشروان يدعى كسرى الخير وقد ذكرته الشعراء فى اشعارها ففى ذلك يقول عدى بن زيد العبادى من كلمة

اين كسرى خير الملوك انوشر
وان أم اين قبله سابور
لم يهبه ريب المنون فولى الـ
ـملك عنه فبابه مهجور
حين ولوا كأنهم ورق جف
تذرى به الصبا والدبور

وجلس انوشروان يوما للحكماء ليأخذ من آدابهم فقال لهم وقد أخذوا مراتبهم فى مجلسه دلونى على حكمة فيها منفعة لخاصة نفسى وعامة رعيتى فتكلم كل واحد بما حضره من الرأى وانوشروان مطرق يتفكر فى أقاويلهم فانتهى القول الى بزرجمهر بن البختكان فقال أيها الملك أنا جامع

والاشعريون تجمعوا وأقاموا على الاعلاب فسار اليهم الطاهر بن أبى هالة ومعه مسروق وقومه من عك ممن لم يرتد فالتقوا على الاعلاب فانهزمت عك ومن معهم وقتلوا قتلا ذريعا وكان ذلك فتحا عظيما وورد كتاب أبى بكر على الطاهر يأمره بقتالهم وسماهم الاخابث وسمى طريقهم طريق الاخابث فبقى الاسم عليهم الى الآن وأما أهل نجران فلما بلغهم موت النبى صلى الله عليه وسلم ارسلوا وفدا ليجددوا عهدهم مع أبى بكر فكتب بذلك كتابا وأما بجيلة فان أبا بكر رد جرير بن عبد الله وأمره ان يستنفر من قومه من ثبت على الاسلام ويقاتل بهم من ارتد عن الاسلام وان يأتى خثعم فيقاتل من خرج غضبا للذى الخلصة فخرج جرير وفعل ما أمره فلم يقم له أحد الا نفر يسير فقتلهم وتتبعهم (حميضة بالحاء المهملة المضمومة والضاد المعجمة)

﴿ذكر خبر ردة اليمن ثانية﴾

وكان ممن ارتد ثانية قيس بن عبد يغوث بن مكشوح وذلك انه لما بلغه موت النبى صلى الله عليه وسلم عمل فى قتل فيروز وجشنس وكتب أبو بكر الى عمير ذى مران والى سعيد ذى زود والى ذى الكلاع والى حوشب ذى ظليم والى شهر ذى نياف يأمرهم بالتمسك بدينهم والقيام بأمر الله ويأمرهم باعانة الابناء على من ناواهم والسمع لفيروز وكان فيروز وداذويه وقيس قبل ذلك متساندين فلما سمع قيس بذلك كتب الى ذى الكلاع وأصحابه يدعوهم الى قتل الابناء واخراج أهلهم من اليمن فلم يجيبوه ولم ينصروا الابناء فاستعد لهم قيس وكاتب أصحاب الاسود المترددين فى البلاد سرا يدعوهم ليجتمعوا معه فجاؤا اليه فسمع بهم أهل صنعاء فقصد قيس فيروز وداذويه فاستشارهما فى أمره خديعة منه ليلبس عليهما فاطمأنا اليه ثم ان قيسا صنع من الغد طعاما ودعا داذويه وفيروز وجشنس فخرج داذويه فدخل عليه فقتله وجاء اليه فيروز فلما دنا منه سمع امرأتين تتحدثان فقالت احداهما هذا مقتول كما قتل داذويه فخرج فطلبه أصحاب قيس فخرج يركض ولقيه جشنس فرجع معه فتوجها نحو جبل خولان وهم أخوال فيروز فصعدا الجبل ورجعت خيول قيس فأخبروه فثار بصنعاء وما حولها وأتته خيول الاسود واجتمع الى فيروز جماعة من الناس وكتب الى أبى بكر يخبره واجتمع الى قيس عوام قبائل من كتب أبو بكر الى رؤسائهم واعتزل الرؤساء وعمد قيس الى الابناء ففرقهم ثلاث فرق من أقام أقر عياله والذين ساروا مع فيروز فرق عيالهم فرقتين فوجه احداهما الى عدن ليحملوا فى البحر وحمل الاخرى فى البر وقال لهم جميعهم الحقوا بأرضكم فلما علم فيروز ذلك جد فى حربه وتجرد لها وأرسل الى بنى عقيل بن ربيعة بن عامر يستمدهم والى عك ليستمدهم فركبت عقيل فلقوا خيل قيس بن عامر ومعهم عيالات الابناء الذين كان قد سيرهم قيس فاستنقذوهم وقتلوا خيل قيس وسارت عك فاستنقذوا طائفة أخرى من عيالات الابناء وقتلوا من معهم من أصحاب قيس وأمدت عقيل وعك فيروز بالرجال فلما أتته امدادهم خرج بهم وبمن اجتمع عنده فلقوا قيسا دون صنعاء فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم قيس وأصحابه وتذبذب أصحاب العنسى وقيس معهم فيما بين صنعاء ونجران قيل وكان فروة بن مسيك قدم على النبى صلى الله عليه وسلم مسلما فاستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على صدقات مراد ومن نازلهم ونزل دارهم وكان عمرو بن معديكرب الزبيدى قد فارق قومه سعد العشيرة وانحاز اليهم وأسلم معهم فلما ارتد العنسى ومعه مذحج ارتد عمرو فيمن ارتد وكان عمرو مع خالد بن سعيد بن العاص فلما ارتد سار اليه خالد فلقيه فضربه خالد على عاتقه فهرب منه وأخذ خالد سيفه الصمصامة وفرسه فلما ارتد عمرو جعله العنسى بازاء فروة فامتنع كل واحد منهما من البراح

لك ذلك فى اثنتى عشرة كلمة فقال هات فقال أولهن تقوى الله فى الشهوة والرغبة والرهبة والغضب فاجعل ما عرض من ذلك كله لله لا للناس والثانية الصدق فى القول والعمل والوفاء بالعدات والشروط والعهود والمواثيق والثالثة مشورة العلماء فيما يحدث من الامور والرابعة اكرام العلماء والاشراف وأهل الثغور والقواد والكتاب والخول بقدر منازلهم والخامسة التعهد للقضاة والفحص عن العمال ومحاسبة عادلة ومجازاة المحسن منهم باحسانه والمسىء على اساءته والسادسة تعهد أهل السجون بالعرض لهم بالايام تستوثق منهم بالمسىء وتطلق البرىء والسابعة تعهد سبيل الناس وأسواقهم وأسعارهم وتجاراتهم والثامنة حسن تأديب الرعية فى الجرائم واقامة الحدود والتاسعة اعداد السلاح وجميع آلات الحرب والعاشرة اكرام الولد والاهل والاقارب وتفقد ما يصلحهم والحادية عشر اذكاء العيون فى الثغور ليعلم ما يتخوف فيؤخذ أهبته قبل هجومه والثانية

المكان صاحبه فبينما هم كذلك قدم عكرمة بن أبي جهل أبين من مهرة وقد تقدم ذكر قتال مهرة ومعه بشر كثير من مهرة وغيرهم فاستبرأ النخع وحمير وقدم أيضا المهاجر بن أبي أمية في جمع من مكة والطائف وبجيلة مع جرير الى نجران فانضم اليه فروة بن مسيك المرادى فأقبل عمرو بن معد يكرب مستخفيا حتى دخل على المهاجر من غير أمان فأوثقه المهاجر وأخذ قيسا أيضا فأوثقه وسيرهما الى أبي بكر فقال يا قيس قتلت عباد الله واتخذت المرتدين وليجة من دون المؤمنين فانتفى قيس من أن يكون قارف من أمر داذويه شيأ وكان قتله سرا فتجافى له عن دمه وقال لعمرو أما تستحي أنك كل يوم مهزوم أو مأسور لو نصرت هذا الدين لرفعك الله فقال لا جرم لأقبلن ولا أعود ورجعا الى عشائرهما فسار المهاجر من نجران والتقت الخيول على أصحاب العنسى فاستأمنوا فلم يؤمنهم وقتلهم بكل سبيل ثم سار الى صنعاء فدخلها وكتب الى أبي بكر بذلك

(ذكر ردة حضرموت وكندة)

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعماله على بلاد حضرموت زياد بن لبيد الانصارى على حضرموت وعكاشة بن أبي أمية على السكاسك والسكون والمهاجر بن أبي أمية على كندة استعمله النبي صلى الله عليه وسلم ولم يخرج اليها حتى توفى النبي صلى الله عليه وسلم فبعثه أبو بكر الى قتال من باليمن ثم المسير بعد الى عمله وكان قد تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عاتب عليه فبينما أم سلمة تغسل رأس النبي صلى الله عليه وسلم قالت كيف ينفعني عيش وأنت عاتب على أخي فرأت منه رقة فأومأت الى خادمها فدعته فلم يزل بالنبي صلى الله عليه وسلم يذكر عذره حتى رضي عنه واستعمله على كندة فتوفى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسر الى عمله ثم سار بعده وكان سبب ردة كندة واجابتهم الاسود الكذاب حتى لعن النبي صلى الله عليه وسلم الملوك الاربعة منهم أنهم لما أسلموا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوضع بعض صدقة حضرموت في كندة وبعض صدقة كندة في حضرموت وبعض صدقة حضرموت في السكون وبعض صدقة السكون في حضرموت فقال بعض بني وليعة من كندة لحضرموت ليس لنا ظهر فان رأيتم ان تبعثوا الينا بذلك على ظهر فقالوا فانا ننظر فان لم يكن لكم ظهر فعلنا فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت بنو وليعة أبلغونا كما وعدتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان لكم ظهرا فاحتملوا فقالوا لزياد أنت معهم علينا فأبى الحضرميون ولج الكنديون ورجعوا الى دارهم وترددوا في أمرهم وامسك عنهم زياد انتظارا للمهاجر وكان المهاجر لما تأخر بالمدينة قد استخلف زيادا على عمله وسار المهاجر من صنعاء الى عمله وعكرمة بن أبي جهل أيضا فنزل أحدهما على الاسود والآخر على وائل وكان زياد بن لبيد قد ولى صدقات بني عمرو بن معاوية من كندة بنفسه فقدم عليهم فكان أول من انتهى اليه منهم شيطان بن حجر فأخذ منهم بكرة ووسمها فاذا الناقة للعذاء بن حجر أخي شيطان وكان أخوه قد أوهم حين أخرجها وكان اسمها شذرة وظنها غيرها فقال العذاء هذه ناقتي فقال شيطان صدق فاطلقها وخذ غيرها فاتهمه زياد بالكفر ومباعدة الاسلام فمنعهما عنها وقال صارت في حق الله فلجا في أخذها فقال لهما لا تكونن شذرة عليكم كالبسوس فنادى العذاء يا آل عمرو أضام واضطهد ان الذليل من أكل في داره ونادى حارثة بن سراقة بن معد يكرب فأقبل الى زياد وهو واقف فقال أطلق بكرة الرجل وخذ غيرها فقال زياد مالى الى ذلك سبيل فقال حارثة ذاك اذا كنت يهوديا وأطلق عقالها وبعثها وقام دونها فأمر زياد شبابا من حضرموت والسكون فمنعوه وكتفوه وكتفوا أصحابه وأخذوا البكرة وتصايحت

عشر تفقد الوزراء والخول والاستبدال بذي الغش والفجور منهم فامر انوشروان أن يكتب هذا الكلام بالذهب وقال هذا كلام فيه جوامع انواع السياسات الملوكية وكان مما حفظ من كلام انوشروان وحكمته أنه سئل ما اعظم الكنوز قدرا وأنفعها عند الاحتياج اليها فقال معروف أودعته الاحرار وعلم تورثه الاعقاب وقيل لانوشروان من أطول الناس عمرا فقال من كثر علمه فتأدب به من بعده أو معروف يشرف به عقبه وانوشروان الذي يقول الانعام لقاح والشكر ولادة والمنعم هو الجاعل الى شكره سبيلا وهو الذي يقول لا تعدن الحرصاء في الامناء ولا الكذابين في الاحرار وقال انوشروان يوما لبزرجمهر من يصلح من ولدي للملك فاظهر ترشحه والايماء اليه فقال لا أعرف ذلك ولكني أصف لك من يصلح للملك أسماهم للمعالي وأطلبهم للأدب واجزعهم من العامة وأرأفهم بالرعية وأوصلهم للرحم وأبعدهم من الظلم فمن كانت هذه صفته فهو حقيق بالملك (قال المسعودي) وقد ذكرنا في كتاب الزلف

كندة وغضبت بنو معاوية لحارثة وأظهروا أمرهم وغضبت حضرموت والسكون لزياد وتوافى عسكران عظيمان من هؤلاء ولم يحدث بنو معاوية شيئاً لمكان أسراهم ولم يجد أصحاب زياد سبيلا يتعلقون به عليهم وأمرهم زياد بوضع السلاح فلم يفعلوا وطلبوا أسراهم فلم يطلقهم ونهد اليهم ليلا فقتل منهم وتفرقوا فلما تفرقوا أطلق حارثة ومن معه فلما رجع الاسرى الى أصحابهم حرضوهم على زياد ومن معه واجتمع منهم عسكر كثير ونادوا بمنع الصدقة فأرسل الحصين بن نمير وسكن بعضهم عن بعض فاقاموا بعد ذلك يسيرا ثم ان بني عمرو بن معاوية من كندة نزلوا المحاجر وهي أحماء حموها فنزل جمد محجرا ومخوص محجرا ومشرح محجرا وابضعة محجرا وأختهم العمردة محجرا وهم الملوك الاربعة رؤساء عمرو الذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكروا قبل ونزلت بنو الحرث بن معاوية محاجرها فنزل الاشعث بن قيس محجرا والسمط بن الاسود محجرا واطبقت بنو معاوية كلها على منع الصدقة الا شرحبيل بن السمط وابنه فانهما قالا لبني معاوية انه لقبيح بالاحرار التنقل ان الكرام ليلزمون الشبهة فيتكرمون أن ينتقلوا الى أوضح منها مخافة العار فكيف الانتقال من الامر الحسن الجميل والحق الى الباطل والقبيح اللهم انا لانمالئ قومنا على ذلك وانتقل ونزل مع زياد ومعهما امرؤ القيس بن عابس وقالا له بيت القوم فان أقواما من السكاسك والسكون قد انضموا اليهم وكذلك شذاذ من حضرموت فان لم تفعل خشينا ان تتفرق الناس عنا اليهم فاجابهم الى تبييت القوم فاجتمعوا وطرقوهم في محاجرهم فوجدوهم جلوسا حول نيرانهم فاكبوا على بني عمرو بن معاوية وفيهم العدد والشوكة من خمسة أوجه فأصابوا مشرحا ومخوصا وجمدا وأبضعة وأختهم العمردة وادركتهم لعنة النبي صلى الله عليه وسلم وقتلوا فاكثروا وهرب من أطاق الهرب وعاد زياد بن لبيد بالاموال والسبي واجتازوا بالاشعث فثار في قومه واستنقذهم وجمع الجموع وكتب زياد الى المهاجر يستحثه فلقيه الكتاب بالطريق فاستخلف على الجند عكرمة بن أبي جهل وتعجل في سرعان الناس وقدم على زياد وسار الى كندة فالتقوا بمحجر الزرقان فاقتتلوا فانهزمت كندة وقتلت وخرجوا هرابا فالتجؤا الى النجير وقد رموه وأصلحوه وسار المهاجر فنزل عليهم واجتمعت كندة في النجير فتحصنوا به فحصرهم المسلمون وقدم اليهم عكرمة فاشتد الحصر على كندة وتفرقت السرايا في طلبهم فقتلوا منهم وخرج من بالنجير من كندة وغيرهم فقاتلوا المسلمين فكثر فيهم القتل فرجعوا الى حصنهم وخشعت نفوسهم وخافوا القتل وخاف الرؤساء على نفوسهم فخرج الاشعث ومعه تسعة نفر فطلبوا من زياد أن يؤمنهم وأهليهم على ان يفتحوا له الباب فأجابهم الى ذلك وقال اكتبوا ماشئتم ثم هلموا الكتاب حتى أختمه ففعلوا ونسي الاشعث ان يكتب نفسه لان جحدما وثب عليه بسكين فقال تكتبني أو أقتلك فكتبه ونسي نفسه ففتحوا الباب فدخل المسلمون فلم يدعوا مقاتلا الا قتلوه وضربوا أعناقهم صبرا وأخذوا الاموال والسبي فلما فرغوا منهم دعا الاشعث أولئك النفر والكتاب معهم فعرضهم فأجاز من في الكتاب فاذا الاشعث ليس منهم فقال المهاجر الحمد لله الذي خطأك فاك يا أشعث ياعدو الله قد كنت أشتهي ان يخزيك الله وشده كتافا فقيل له أخره وسيره الى أبي بكر فهو أعلم بالحكم فيه فسيره الى أبي بكر مع السبي وقيل ان الحصار لما اشتد على من بالنجير نزل الاشعث الى المهاجر وزياد والمسلمين فسألهم الامان على دمه وماله حتى يقدموا به على أبي بكر فيرى فيه رأيه على أن يفتح لهم النجير ويسلم اليهم من فيه وغدر بأصحابه فقبلوا ذلك منه ففتح لهم الحصن فاستنزلوا من فيه من الملوك فقتلوهم وأوثقوا الاشعث وأرسلوه مع السبي الى أبي بكر فكان المسلمون

الخصال التي يستحق بها الملك من وجدت فيه وما ذكرنا عن حكماء الفرس وأسلافها في ذلك وغيرها من حكماء اليونانيين كافلاطون وما ذكره في كتاب السياسة المدنية وغيره ممن تأخر عن عصره وذكر عن بزرجمهر أنه قال رأيت من انوشروان خصلتين متباينتين لم أر مثلهما منه جلس يوما للناس فدخل رجل من خاصة أهله فحباه وزيره فامر به ان يقام ويحجب عنه سنة لتعديه المرتبة التي رسمت له وازدياده فيها عن مرتبة غيره في المجلس ثم رأيته يوما ونحن عنده في سر من تدبير شيء من المملكة وخدمه خلف فرشه وسرير ملكه يتحدثون فارتفعت أصواتهم حتى شغلونا عن بعض ما كنا فيه فقلت له وأخبرته بتفاوت ما بين الحالتين فقال لي لاتعجل فنحن ملوك على رعيتنا وخدمنا ملوك على ارواحنا يسألون منا في خلواتنا مالا حيلة لنا معه في التحرز منهم وكان انوشروان يقول الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل باصلاح العمال واصلاح العمال

بلمنونه وبامنه سبابا قومه وسماه نساء قومه عرف النار وهو اسم الغادر عندهم فلما قدم المدينة قال له أبو بكر ماترانى أصنع بك قال لا أعلم قال فانى أقتلك قال فأنا الذى راوضت القوم فى عشرة فما عدل دمى قال انما وجب الصلح بعد ختم الصحيفة على من فيها وانما كنت قبل ذلك مراوضا فلما خشى القتل قال أو تحتسب فى خيرا فتطلق اسارى وتقيلنى عثرتى وتفعل بى مثل مافعلت بأمثالى وترد على زوجتى وقد كان خطب أم فروة أخت أبى بكر فلما قدم على النبى صلى الله عليه وسلم أخرها الى ان يقدم الثانية فمات النبى صلى الله عليه وسلم وارتد فان فعلت ذلك تجدنى خير أهل بلادى لدين الله فحقن دمه ورد عليه أهله وأقام بالمدينة حتى فتح العراق وقسم الغنائم بين الناس وقيل ان عكرمة قدم بعد الفتح فقال زياد والمهاجر لمن معهما ان اخوانكم قدموا مددا لكم فأشركوهم فى الغنيمة ففعلوا وأشركوهم ولما ولى عمر بن الخطاب قال انه لقبيح بالعرب أن يملك بعضهم بعضا وقد وسع الله عز وجل وفتح الاعاجم واستشار فى فداء سبايا العرب فى الجاهلية والاسلام الا امرأة ولدت لسيدها وجعل فداء لكل انسان ستة أبعرة أو سبعة الا حنيفة وكندة فانه خفف عليهم لقتل رجالهم فتتبع النساء بكل مكان ففدوهن * وفيها انصرف معاذ بن جبل من اليمن * وفيها استقضى أبو بكر عمر بن الخطاب وكان يقضى بين الناس خلافته كلها وحج بالناس فى هذه السنة عتاب بن أسيد وقيل عبد الرحمن بن عوف (النجير بضم النون وفتح الجيم وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره راء حصن باليمن منيع)

﴿ثم دخلت سنة اثنتى عشرة﴾

﴿ذكر مسير خالد بن الوليد الى العراق وصلح الحيرة﴾

فى هذه السنة فى المحرم منها أرسل أبو بكر الى خالد بن الوليد وهو باليمامة يأمره بالمسير الى العراق وقيل بل قدم المدينة من اليمامة فسيره أبو بكر الى العراق فسار حتى نزل ببانقيا وباروسما والليس وصالحه أهلها وكان الذى صالحه عليها ابن صلوبا على عشرة آلاف دينار سوى حرزة كسرى وكانت على كل رأس أربعة دراهم وأخذ منهم الجزية ثم سار حتى نزل الحيرة فخرج اليه أشرافها مع اياس بن قبيصة الطائى وكان أميرا عليها بعد النعمان بن المنذر فدعاهم خالد الى الاسلام أو الجزية أو المحاربة فاختاروا الجزية فصالحهم على تسعين ألف درهم فكانت أول جزية أخذت من الفرس فى الاسلام هى والقريات التى صالح عليها وقيل انما أمره أبو بكر ان يبدأ بالابلة وكتب الى عياض بن غنم ان يقصد العراق ويبدأ بالمضيح ويدخل العراق من أعلاه ويسير حتى يلقى خالدا وكان المثنى بن حارثة الشيبانى قد استأذن أبا بكر ان يغزو بالعراق فاذن له فكان يغزوهم قبل قدوم خالد وأمر أبو بكر خالدا وعياضا ان يستنفرا من قاتل أهل الردة وان لا يغزون معهما مرتد ففعلا وكتبا اليه يستمدانه فامد خالدا بالقعقاع بن عمرو التميمى فقيل له أتمده برجل واحد فقال لا يهزم جيش فيهم مثل هذا وأمد عياضا بعبد بن غوث الحميرى وكتب أبو بكر الى المثنى وحرملة ومعذور وسلمى ان يلحقوا بخالد بالابلة فقدم خالد ومعه عشرة آلاف مقاتل وكان مع المثنى وأصحابه ثمانية آلاف ولما قدم خالد فرق جنده ثلاث فرق ولم يحملهم على طريق واحد على مقدمته المثنى وبعده عدى بن حاتم وجاء خالد بعدهما وعدهما الحفير ليصادموا عدوهم وكان ذلك الفرج أعظم فروج فارس وأشدها شوكة فكان صاحبه اسوارا اسمه هرمز فكان يحارب العرب فى البر والهند فى البحر فلما سمع هرمز بهم كتب الى أردشير الملك بالخبر وتعجل هو الى

باستقامة الوزراء ورأس الكل تفقد الملك أمور نفسه واقتداره على تأديبها حتى يملكها ولا تملكه وكان يقول صلاح الرعية أنصر من الجنود وعدل الملك أخصب من عدل الزمان وكان يقول أيام السرور كلمح البصر وأيام الحزن تكاد تكون شهورا (قال المسعودى) ولانوشروان سير حسان قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وما كان منه فى مسيره فى سائر أسفاره وما بنى من المدن والحصون ورتب من المقاتلة فى الثغور (ثم ملك بعده هرمز) بن انوشروان بن قباذ وأمه فاقم بنت خاقان ملك الترك وقيل بل ملك من ملوك الخزر مما يلى الباب والابواب فكان ملكه اثنتى عشرة سنة وكان متحاملا على خواص الناس مائلا الى عوامهم مقويا لهم مؤثرا للروبصية ونوابع العوام مغريا بهم بخواص الناس وقيل انه قتل فى مدة ملكه من خواص فارس ثلاثة عشر ألف رجل منذ كورو لاثنتى عشرة سنة من ملكه تغرم عليه الملك وتداعت أركانه وزحفت اليه الاعداء وكثرت عليه الخوارج وقد

الكواظم في سرعان أصحابه فسمع انهم تواعدوا الحفير فسبقهم اليه ونزل به وحمل على مقدمته قباذ وانوشجان وكانامن أولاد أردشير الاكبر واقترنوا في السلاسل لئلا يفروا فسمع بهم خالد فمال بالناس الى كاظمة فسبقه هرمز اليها وكان سيئ المجاورة للعرب فكلهم عليه حنق وكانوا يضربونه مثلا فيقولون أكفر من هرمز وقدم خالد فنزل على غير ماء فقال له أصحابه في ذلك ما تفعل فقال لهم لعمري ليصيرن الماء لاصبر الفريقين فحطوا أثقالهم وتقدم خالد الى الفرس فلاقاهم وأرسل الله سحابة فاغدرت وراء صف المسلمين فقويت قلوبهم وخرج هرمز ودعا خالدا الى البراز وأوطأ أصحابه على الغدر بخالد فبرز اليه خالد ومشى نحوه راجلا ونزل هرمز أيضا وتضاربا فاحتضنه خالد وحمل أصحاب هرمز فما شغله ذلك عن قتله وحمل القعقاع بن عمرو فازاحهم وانهزم أهل فارس وركبهم المسلمون وسميت الوقعة ذات السلاسل ونجا قباذ وانوشجان وأخذ خالد سلب هرمز وكانت قلنسوته بمائة ألف لانه كان قد تم شرفه في الفرس وكانت هذه عادتهم اذا تم شرف الانسان تكون قلنسوته بمائة ألف وبعث خالد بالفتح والاخماس الى أبي بكر وسار حتى نزل بموضع الجسر الاعظم بالبصرة وبعث المثنى بن حارثة في آثارهم وأرسل معقل بن مقرن الى الابلة ففتحها فجمع الاموال بها والسبي وهذا القول خلاف ما يعرفه أهل النقل لان فتح الابلة كان على يد عتبة بن غزوان أيام عمر بن الخطاب سنة أربع عشرة وحاصر المثنى بن حارثة حصن المرأة ففتحه وأسلمت ولم يعرض خالد وأصحابه الى الفلاحين لان أبا بكر أمرهم بذلك

(ذكر وقعة الثنى)

لما وصل كتاب هرمز الى أردشير بخبر خالد أمده بقارن بن قريانس فلما انتهى الى المذار لقيته المنهزمون فاجتمعوا ورجعوا ومعهم قباذ وانوشجان ونزلوا الثنى وهو النهر وسار اليهم خالد فلقيهم واقتتلوا فبرز قارن فقتله معقل بن الاعشى بن النباش وقتل عاصم أنوشجان وقتل عدي بن حاتم قباذ وكان شرف قارن قد انتهى ولم يقاتل المسلمون بعده أحدا انتهى شرفه وقتل من الفرس مقتلة عظيمة يبلغون ثلاثين ألفا سوى من غرق ومنعت المياه المسلمين من طلبهم وقسم الفيء وأنفذ الاخماس الى المدينة وأعطى الاسلاب من سلبها وكانت الغنيمة عظيمة وسبى عيالات المقاتلة وأخذ الجزية من الفلاحين وصاروا ذمة وكان في السبي أبو الحسن البصري وكان نصرانيا وأمر على الجند سعيد بن النعمان وعلى الجزية سويد بن مقرن المزني وأمره بنزول الحفير وأقام يتجسس الاخبار

(ذكر وقعة الولجة)

ولما فرغ خالد من الثنى وأتى الخبر أردشير بعث الاندرزغر وكان فارسيا من مولدي السواد وأرسل بهمن جاذويه في أثره في جيش وحشر الى الاندرزغر من بين الحيرة وكسكر ومن عرب الضاحية والدهاقين وعسكروا بالولجة وسمع بهم خالد فسار اليهم من الثنى فلقيهم بالولجة وكمن له فقاتلهم قتالا شديدا أشد من الاول حتى ظن الفريقان ان الصبر قد أفرغ واستبطأ خالد كمينه فخرجوا من ناحيتين فانهزمت الاعاجم وأخذ خالد من بين أيديهم والكمين من خلفهم فقتل منهم خلقا كثيرا ومضى الاندرزغر منهزما فمات عطشا وأصاب خالد ابنا لجابر بن بجير وابنا للعبد الاسود من بكر بن وائل وكانت وقعة الولجة في صفر وبذل الامان للفلاحين فعادوا وصاروا ذمة وسبى ذراري المقاتلة ومن أعانهم

(ذكر وقعة الليس وهو على الفرات)

كان أزال أحكام الموبذان فخربت بذلك السنة المحمودة والشريعة المعهودة وغير الاحكام وأزال الرسوم وكان ممن سار اليه شابة بن شب عظيم من ملوك الترك في أربعمائة ألف فنزل نحو بلاد هراة وبلاد عيسى وبوشنج من أرض خراسان وسار اليه من أطراف أرضه طراخنة من الخزر في جيش عظيم فشنوا الغارات فيما بين ذلك الصقع بخيل أوقفت وملوك تهادنت وتواهبت ما كان بينها من الدماء مما يلي جبل الفتح وسار بطريق لقيصر في ثمانين ألفا مما يلي الجزيرة وسار مما يلي اليمن جيش عظيم للعرب من قحطان ومعد وعليهم العباس المعروف بالاحول وعمرو الافوه فاضطرب على هرمز أمره وأحضر الموابذة وذوي الرأي منهم من بعد احتماله بهم وشاورهم فكان من نتيجة رأيهم موادعة الوجوه الثلاثة وارضاؤهم والاقبال على شابة بن شب فانتدب لحربه بهرام جور ابن مرزبان الري وكان بهرام هذا من ولد جرجير ابن ميلاد من نسل انوس المعروف بالران فسار في اثني عشر ألفا وشابة في

لما أصاب خالد يوم الولجة ما أصاب من نصارى بكر بن وائل الذين أعانوا الفرس غضب لهم نصارى قومهم فكاتبوا الفرس واجتمعوا على أليس وعليهم عبد الاسود العجلي وكان مسلمو بني عجل منهم عتيبة بن النهاس وسعيد بن مرة وفرات بن حيان ومذعور بن عدي والمثنى بن لاحق أشد الناس على أولئك النصارى وكتب أردشير الى بهمن جاذويه وهو بقسينيانا يأمره بالقدوم على نصارى العرب بأليس فقدم بهمن جاذويه جابان اليهم وأمره بالتوقف عن المحاربة الى ان يقدم عليه ورجع بهمن جاذويه الى أردشير ليشاوره فيما يفعل فوجده مريضا فتوقف عليه فاجتمع على جابان نصارى عجل وتيم اللات وضبيعة وجابر بن بجير وعرب الضاحية من أهل الحيرة وكان خالد لما بلغه تجمع نصارى بكر وغيرهم سار اليهم ولا يشعر بدنو جابان فلما اطلع جابان بأليس قالت العجم له انعاجلهم ام نغدي الناس ولا نريهم انا نحفل بهم ثم نقاتلهم فقال جابان ان تركوكم فتهاونوا بهم فعصوه و بسطوا الطعام وانتهى خالد اليهم وحط الاثقال فلما وضعت توجه اليهم وطلب مبارزة عبد الاسود وابن أبجر ومالك بن قيس فبرز اليه مالك من بينهم فقتله خالد وأعجل الاعاجم عن طعامهم فقال لهم جابان ألم أقل لكم والله ما دخلتني من مقدم جيش وحشة الا هذا وقال لهم حيث لم تقدروا على الاكل فسموا الطعام فان ظفرتم فأيسر هالك وان كانت لهم هلكوا باكله فلم يفعلوا واقتتلوا قتالا شديدا والمشركون يزيدهم ثبوتا توقعهم قدوم بهمن جاذويه فصابروا المسلمين فقال خالد اللهم ان هزمتهم فعلي ان لا أستبقي منهم من أقدر عليه حتى أجري من دمائهم نهرهم فانهزمت فارس فنادى منادي خالد الاسراء الاسراء الا من امتنع فاقتلوه فاقبل بهم المسلمون اسراء ووكل بهم من يضرب أعناقهم يوما وليلة فقال له القعقاع وغيره لو قتلت أهل الارض لم تجرد ماؤهم فارسل عليها الماء تبر يمينك ففعل وسمي نهر الدم ووقف خالد على الطعام وقال للمسلمين قد نفلتكموه فتعشى به المسلمون وجعل من لم ير الرقاق يقول ما هذه الرقاع البيض و بلغ عدد القتلى سبعين ألفا وكانت الوقعة في صفر فلما فرغ من أليس سار الى أمغيشيا وقيل اسمها منيشيا فاصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله لان أهلها أعجلهم المسلمون ان ينقلوا أموالهم وأثاثهم وكراعهم وغير ذلك وأرسل الى أبي بكر بالفتح ومبلغ الغنائم والسبي وأخرب امغيشيا فلما بلغ ذلك أبا بكر قال عجزت النساء أن يلدن مثل خالد

﴿ذكر وقعة يوم فرات بادقلى وفتح الحيرة﴾

ثم سار خالد من أمغيشيا الى الحيرة وحمل الرجال والاثقال في السفن فخرج مرزبان الحيرة وهو الازاذبه فعسكر عند الغريين وأرسل ابنه فقطع الماء عن السفن فبقيت على الارض فسار خالد في خيل نحو ابن الازاذبه فلقيه على فرات بادقلى فضربه وقتله وقتل أصحابه وسار نحو الحيرة فهرب منه الازاذبه وكان قد بلغه موت أردشير وقتل ابنه فهرب بغير قتال ونزل المسلمون عند الغريين وتحصن أهل الحيرة فحصرهم في قصورهم وكان ضرار بن الازور محاصر القصر الابيض وفيه اياس بن قبيصة الطائي وكان ضرار بن الخطاب محاصر اقصر الغريين وفيه عدي بن عدي المقتول وكان ضرار بن مقرن المزني عاشر عشرة اخوة محاصرا قصر ابن مازن وفيه ابن اكال وكان المثنى محاصرا قصر ابن بقيلة وفيه عمرو بن عبد المسيح بن بقيلة فدعوهم جميعا وأجلوهم يوما وليلة فأبى أهل الحيرة وقاتلهم المسلمون فافتتحوا الدور والديرات وأكثروا القتل فنادى القسيسون والرهبان يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم فنادى أهل القصور المسلمين قد قبلنا واحدة من ثلاث وهي اما الاسلام أو الجزية أو المحاربة فكفوا عنهم وخرج اليهم اياس بن قبيصة وعمرو بن عبد

أربعمائة ألف فكانت لبهرام معه خطوب ومراسلات من ترغيب وترهيب وحيل في الحرب الى أن قتله بهرام واستباح عسكره واستولى على خزائنه وأمواله وبعث الى هرمز برأسه وقد كان برمودة بن شابة ولده تحصن في بعض القلاع من بهرام فنزل عليه بهرام فنزل برمودة على حكم هرمز وسار اليه وحمل بهرام جملا من الغنائم وما كان أخذه من شابة مما كان معه من تركات الملوك مثل ما كان في خزائن افراسياب من الاموال والجواهر التي كان أخذها من سياوخش وما كان بايدي الترك من تركات هوجاسف ملك الترك مما أخذه من خزائن بشتاسف من مدينة بلخ وغيرها من ذخائر ملوك الترك السالفة فلما انتهى ما وصفنا من الاموال والجواهر وغير ذلك من الغنائم من قبل بهرام حسده وزير هرمز ازتحسيس وقد نظر الى اعجاب هرمز بما حمل اليه بهرام وسروره به فقال أعظم هذه لمنزلته وعرض لهرمز بخيانة بهرام واستبداده باكثر الجواهر والاموال والغنائم وأغراه بفصاله بهرام ثم احتال

المسيح بن قيس بن حيان بن الحرث وهو بقيلة وانما سمي بقيلة لانه خرج على قومه في بردين أخضرين فقالوا ما أنت الا بقيلة خضراء فارسلوهم الى خالد فكان الذي يتكلم عنهم عمرو بن عبد المسيح فقال له خالد كم أتى عليك قال مئو سنين قال فما أعجب ما رأيت قال رأيت القرى منظومة ما بين دمشق والحيرة تخرج المرأة فلا تتزود الا رغيفا فتبسم خالد وقال لاهل الحيرة ألم يبلغني انكم خبثة خدعة فما بالكم تتناولون حوائجكم بخرف لا يدري من أين جاء فاحب عمرو أن يريه من نفسه ما يعرف به عقله وصحة ما حدثه به قال وحقك اني لاعرف من أين جئت قال فمن أين خرجت قال من بطن أمي قال فاين تريد قال امامي قال وما هو قال الآخرة قال فمن أين أقصى أثرك قال من صلب أبي قال ففيم أنت قال في ثيابي قال أتعقل قال اي والله وأقيد فقال خالد انما أسألك قال فانا أجيبك قال أسلم انت أم حرب قال بل سلم قال فما هذه الحصون قال بنيناها للسفيه نحبسه حتى ينهاه الحليم قال خالد قتلت أرض جاهلها وقتل أرضا عالمها القوم اعلم بما فيهم وكان مع ابن بقيلة خادم معه كيس فيه سم فاخذه خالد ونثره في يده وقال لم تستصحب هذا قال خشيت ان تكونوا على غير ما رأيت فكان الموت أحب الي من مكروه ادخله على قومي فقال خالد انها لن تموت نفس حتى تاتي على أجلها وقال باسم الله خير الاسماء رب الارض والسماء الذي لا يضر مع اسمه داء الرحمن الرحيم وابتلع السم فقال ابن بقيلة والله لتبلغن ما أردتم ما دام أحد منكم هكذا وأبى خالد ان يصالحهم الا على تسليم كرامة بنت عبد المسيح الى شويل فابوا فقالت لهم هونوا عليكم واسلموني فاني سأفتدي ففعلوا فاخذها شويل فافتدت منه بالف درهم فلامه الناس فقال ما كنت أظن ان عددا أكثر من هذا وكان سبب تسليمها اليه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر استيلاء أمته على ملك فارس والحيرة سأله شويل ان يعطي كرامة ابنة عبد المسيح وكان رآها شابة فمال اليها فوعده النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فلما فتحت الحيرة طلبها وشهد له شهود بوعد النبي صلى الله عليه وسلم أن يسلمها اليه فسلمها اليه خالد وصالحهم على مائة ألف وتسعين ألفا وقيل على مائتي ألف وتسعين ألفا وأهدوا له هدايا فبعث بالفتح والهدايا الى أبي بكر فقبلها أبو بكر من الجزى وكتب الى خالد ان يأخذ منهم بقية الجزية ويحسب لهم الهدية وكان فتح الحيرة في شهر ربيع الاول سنة اثنتي عشرة وكتب لهم خالد كتابا فلما كفر أهل السواد ضيعوا الكتاب فلما افتتحه المثنى ثانية عاد بشرط آخر فلما عادوا كفروا وافتتحها سعد بن أبي وقاص ووضع عليهم أربعمائة ألف قال خالد ما لقيت قوما كاهل فارس وما لقيت من أهل فارس كاهل الليس

﴿ذكر ما بعد الحيرة﴾

قيل كان الدهاقين يتربصون بخالد ما يصنع أهل الحيرة فلما صالحهم واستقاموا له أتته الدهاقين من تلك النواحي أتاه دهقان فرات سريا وصلوبا بن نسطونا ونسطونا فصالحوه على ما بين الفلاليج الى هرمزجرد على ألفي ألف وقيل ألف ألف سوى ما كان لآل كسرى وبعث خالد عماله ومسالحه وبعث ضرار بن الازور وضرار بن الخطاب والقعقاع بن عمرو والمثنى بن حارثة وعتيبة بن النهاس فنزلوا على السيب وهم كانوا أمراء الثغور مع خالد وأمرهم بالغارة فمخروا ما وراء ذلك الى شاطئ دجلة وكتب خالد الى أهل فارس يدعوهم الى الاسلام أو الجزية فان أجابوا والا حاربهم فكان العجم مختلفين بموت أردشير الا انهم قد أنزلوا بهمن جاذويه بهرسير ومعه غيره كانه مقدمة لهم وجبي خالد الخراج في خمسين ليلة وأعطاه المسلمين ولم يبق لاهل فارس فيما بين الحيرة ودجلة أمر لاختلافهم بموت أردشير الا انهم مجمعون على حرب خالد وخالد مقيم بالحيرة

بهرام بدراهم ضرب عليها اسم كسرى ابرويز ودس أناسا من التجار فانفقوها بباب هرمز فتعامل بها الناس وكثرت في أيديهم وعمل بها هرمز فلم يشك ان ابنه ابرويز ضربها طالبا للملك فهم به هرمز وهو لا يشك أن ذلك من فعله ولم يعلم أن الحيلة في ذلك من بهرام فهرب ابرويز من أبيه لتغيره عليه ولحق ببلاد اذربيجان وارمينية واران والبيلقان وحبس هرمز خالي ابرويز بسطام ونفدويه فأعملا الحيلة في محبسهما وخرجا فانضاف اليهما خلق من الجيش فدخلا على هرمز فسملا عينيه وأعمياه فلما نمي ذلك الى أبرويز سار الى أبيه فدخل عليه وأخبره انه لا ذنب له في ذلك وانما هرب خوفا على نفسه منه فتوجه هرمز وسلم الملك اليه ونمي ذلك الى بهرام جور فسار في عساكره يوم الباب ودار الملك فخرج اليه ابرويز فالتقيا على شاطئ النهروان والنهر بينهما فتواقعا وكان لهما خطب طويل من تقاذف وتشاتم ثم كانت بينهما حروب انكشف فيها ابرويز لتخلف أصحابه عنه

بالحيرة يصعدو يصوّب سنة قبل خروجه الى الشام والفرس يخلعون ويملكون ليس الا الدفع عن بهرسير وذلك ان شيرى بن كسرى قتل كل من كان يناسبه الى انوشروان وقتل أهل فارس بعده وبعد اردشير ابنه من كان بين انوشروان وبين بهرام جور رقبة والم يقدروا على من يملكونه ممن يجتمعون عليه فلما وصلهم كتب خالد تكلم نساء آل كسرى فولى الفرخزاد بن البندوان الى ان يجتمع آل كسرى على من يملكونه ان وجدوه ووصل جرير بن عبد الله البجلي الى خالد بعد فتح الحيرة وكان سبب وصوله اليه انه كان مع خالد بن سعيد بن العاص بالشام فاستأذنه في المسير الى أبي بكر ليكلمه في قومه ليجمعهم له وكانوا أوزاعا متفرقين في العرب فاذن له فقدم على أبي بكر فذكر له ذلك وان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعده به وشهد له شهود فغضب ابو بكر وقال ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث المسلمين ممن بازائهم من فارس والروم ثم أنت تكلفني ما لا يغني وأمره بالمسير الى خالد بن الوليد فسار حتى قدم عليه بعد فتح الحيرة ولم يشهد شيأ مما قبلها بالعراق ولا شيأ مما كان خالد فيه من قتل أهل الردة (عتيبة بالتاء المثناة من فوقها وبالياء المثناة من تحتها وبالباء الموحدة)

﴿ذكر فتح الانبار﴾

ثم سار خالد على تعبيته الى الانبار وانما سمي الانبار لان اهراء الطعام كانت بها أنابير وعلى مقدمته الاقرع بن حابس فلما بلغها أطاف بها وأنشب القتال وكان قليل الصبر عنه وتقدم الى رماته ان يقصدوا عيونهم فرموا رشقا واحدا ثم تابعوا فأصابوا ألف عين فسميت تلك الوقعة ذات العيون وكان على من بها من الجند شيرزاد صاحب ساباط فلما رأى ذلك أرسل يطلب الصلح على أمر لم يرضه خالد فرد رسله ونحر من ابل العسكر كل ضعيف وألقاه في خندقهم ثم عبره فاجتمع المسلمون والكفار في الخندق فارسل شيرزاد الى خالد وبذل له ما أراد فصالحه على ان يلحقه بأمنه في جريده ليس معهم من متاع شئ وخرج شيرزاد الى بهمن جاذويه ثم صالح خالد من حول الانبار وأهل كلواذى

﴿ذكر فتح عين التمر﴾

ولما فرغ خالد من الانبار استخلف عليها الزبرقان بن بدر وسار الى عين التمر وبها مهران بن بهرام جوبين في جمع عظيم من العجم وعقة بن أبي عقة في جمع عظيم من العرب من النمر وتغلب واياد وغيرهم فلما سمعوا بخالد قال عقة لمهران ان العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالدا قال صدقت فانتم أعلم بقتال العرب وانكم لمثلنا في قتال العجم فخدعه واتقى به وقال ان احتجتم الينا أعناكم فلامه أصحابه من الفرس على هذا القول فقال لهم أنه قد جاءكم من قتل ملوككم وفل حدكم فاتقيته بهم فان كانت لكم على خالد فهي لكم وان كانت الاخرى لم تبلغوا منهم حتى يهنوا فنقاتلهم ونحن أقوياء فاعترفوا له وسار عقة الى خالد فالتقوا فحمل خالد بنفسه على عقة وهو يقيم صفوفه فاحتضنه وأخذه أسيرا وانهزم عسكره من غير قتال فاسر أكثرهم فلما بلغ الخبر مهران هرب في جنده وتركوا الحصن فلما انتهى المنهزمون اليه تحصنوا به فنازلهم خالد فطلبوا منه الامان فأبى فنزلوا على حكمه فاخذهم أسرى وقتل عقة ثم قتلهم أجمعين وسبى كل من في الحصن وغنم ما فيه ووجد في بيعتهم أربعين غلاما يتعلمون الانجيل فأخذهم فقسمهم في أهل البلاء منهم سيرين أبو محمد ونصير أبو موسى وحمران مولى عثمان وأرسل الى أبي بكر بالخبر والخمس وفي عين التمر قتل عمير بن رئاب السهمي وكان من مهاجرة الحبشة ومات بها بشير بن سعد الانصاري والد النعمان فدفن

ومبادهم الى بهرام فقام تحته فرسه المعروف بشبداد وهو المصور في الجبل وهو ببلاد قرماسين من اعمال الدينور هو وابرويز وغير ذلك من الصور وهذا الموضع من أحد أي عجائب العالم وغرائب ما فيه من الصور العجيبة المنقورة في الصخر والفرس تذكر في أشعارها وغيرها من العرب هذا الفرس المعروف بشبداد وقد كان ابرويز على شبداد في بعض الايام فانقطع عنانه فدعا بصاحب سروجه ولجمه فاراد ضرب عنقه لما لم يتعهد العنان فقال أيها الملك ما بقي سير يجيد به ملك الانس وملك الخيل فاطلقه وأجازه ولما نجا هذا الفرس تحت ابرويز وقصر طلب الى النعمان في المعركة أن يعين عليه بفرسه المعروف باليحموم فابى عليه ونجا عليه بنفسه ونظر حسان بن حنظلة بن حية الطائي الى أبرويز وقد خانته الرجال وأشرف على الهلاك فاعطاه فرسه المعروف بالضبيب وقال له أيها الملك انج على فرسي فان حياتك للناس خير من حياتي وأعطاه ابرويز فرسه شبداد فضاع عليه في

بها الى جانب عمير

﴿ذكر خبر دومة الجندل﴾

ولما فرغ خالد من عين التمر أتاه كتاب عياض بن غنم يستمده على من بازائه من المشركين فسار خالد اليه فكان بازائه بهرا وكلب وغسان وتنوخ والضجاعم وكانت دومة على رئيسين أكيدر بن عبد الملك والجودى بن ربيعة فأما اكيدر فلم ير قتال خالد وأشار بصلحه خوفا فلم يقبلوا منه فخرج عنهم وسمع خالد بمسيره فارسل الى طريقه فأخذه أسيرا فقتله وأخذ ما كان معه وسار حتى نزل على أهل دومة الجندل فجعلها بينه و بين عياض فلما اطمأن خالد خرج اليه الجودى فى جمع ممن عنده من العرب لقتاله وأخرج طائفة أخرى الى عياض فقاتلهم عياض فهزمهم فهزم خالد من يليه وأخذ الجودى أسيرا وانهزموا الى الحصن فلما امتلأ غلقوا الباب دون أصحابهم فبقوا حوله فاخذهم خالد فقتلهم حتى سد باب الحصن وقتل الجودى وقتل الاسرى الا أسرى كلب فان بنى تميم قالوا لخالد قد أمناهم وكانوا حلفاءهم فتركهم ثم أخذ الحصن قهرا فقتل المقاتلة وسبى الذرية والسرح فباعهم واشترى خالد ابنة الجودى وكانت موصوفة وأقام خالد بدومة الجندل فطمع الاعاجم وكاتبهم عرب الجزيرة غضبا لعقة فخرج زرمهر و روزبه يريدان الانبار واتعدا حصيدا والخنافس فسمع القعقاع بن عمرو وهو خليفة خالد على الحيرة فأرسل أعبد بن فدكى وأمره بالحصيد وأرسل عروة بن الجعد البارقى الى الخنافس فخرجا فحالا بينهما و بين الريف ورجع خالد الى الحيرة فبلغه ذلك وكان عازما على مصادمة أهل المدائن فمنعه من ذلك كراهية مخالفة أبى بكر فعجل القعقاع بن عمرو وأبا ليلى بن فدكى الى روزبه وزرمهر ووصل الى خالد أن الهذيل بن عمران قد عسكر بالمصيخ ونزل ربيعة بن بجير بالثنى و بالبشر غضبا لعقة يريدان زرمهر وروزبه فخرج خالد وسار الى القعقاع وأبى ليلى فاجتمع بهما بالعين فبعث القعقاع الى حصيد وبعث ابا ليلى الى الخنافس

﴿ذكر وقعة حصيد والخنافس﴾

فسار القعقاع نحو حصيد وقد اجتمع بها روزبه وزرمهر فالتقوا بحصيد فقتل من العجم مقتلة عظيمة فقتل القعقاع زرمهر وقتل عصمة بن عبد الله أحد بنى الحرث بن طريف الضبى روزبه وكان عصمة من البررة وهم كل فخذ هاجرت بأسرها والخيرة كل قوم هاجر وا من بطن وغنم المسلمون ما فى حصيد وانهزمت الاعاجم الى الخنافس وسار أبو ليلى بمن معه الى الخنافس وبها المهبوذان على العسكر فلما أحس المهبوذان بهم هرب الى المصيخ الى الهذيل بن عمران

﴿ذكر وقعة مصيخ بنى البرشاء﴾

ولما انتهى الخبر الى خالد بمصاب أهل الحصيد وهرب أهل الخنافس كتب الى القعقاع وأبى ليلى وأعبد وعروة ووعدهم ليلة وساعة يجتمعون فيها الى المصيخ وخرج خالد من العين قاصدا اليهم فلما كانت تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعا بالمصيخ فأغاروا على الهذيل ومن معه وهم نائمون من ثلاثة أوجه فقتلوهم وافلت الهذيل فى ناس قليل وكثر فيهم القتل وكان مع الهذيل عبد العزى بن أبى رهم أخو أوس مناة ولبيد بن جرير وكانا قد أسلما ومعهما كتاب أبى بكر باسلامهما فقتلا فى المعركة فبلغ ذلك ابا بكر وقول عبد العزى

اقول اذ طرق الصباح بغارة * سبحانك اللهم رب محمد
سبحان ربى لا اله غيره * رب البلاد ورب من يتورد

جملة الناس ومضى ابرويز الى أبيه ففى ذلك يقول حسان بن حنظلة الطائى

أعطيت كسرى ما أراد ولم اكن
لاتركه فى الخيل يعثر راجلا
بذلت له ظهر الصبيب وقد بدت
مسومة من خيل ترك وائلا

فكافاه ابرويز بعد ذلك وعرف له ما صنع ولما سار ابرويز من الهزيمة الى أبيه هرمز اشار عليه ان يلحق بقيصر ويستنجده فان الملوك اذا استنجدت فى مثل هذه الحالة انجدت فى خطب جرى بينه وبين أبيه فمضى ابرويز وتبعه غيره من الخواص وخالاه بسطام ونفدويه وعبر دجلة وقطع الجسر خوفا من خيل بهرام ونظر فى مسيره ذلك اليوم الى خاليه وقد تأخرا عنه فاستراب بهما وبمن انضاف اليهما ممن كان معهم فسألهما عن السبب فقالا لسنا بآمنين أن يدخل بهرام الى أبيك هرمز فيضع تاج المملكة على رأسه وان كان أعمى وبصيره هو الهرمزان وتفسير ذلك أمير الامر والروم تسمى صاحب هذه المرتبة الدمستق فيكتب بهرام عن أبيك هرمز

فوداهما وأوصى بأولادهما فكان عمر يعتد بقتله ما وقتل مالك بن نويرة على خالد فيقول أبو بكر كذلك يلقى من نازل أهل الشرك وقد كان حرقوص بن النعمان بن النمر قد نصحهم فلم يقبلوا منه فجلس مع زوجته وأولاده يشربون فقال لهم اشربوا شراب مودع هذا خالد بالعين وجنوده بالحصيد ثم قال

الا فاسقياني قبل خيل أبي بكر * لعل منايانا قريب وماندري

فضرب رأسه فاذا هو في جفنة فيها الخمر وقتلوا أولاده فأخذوا بناته وقيل ان قتل حرقوص وهذه الوقعة ووقعة الثني كان في مسير خالد بن الوليد من العراق الى الشام وسيذكر ان شاء الله تعالى

(ذكر وقعة الثني والزميل)

وكان ربيعة بن بجير التغلبي بالثني والبشر وهو الزميل وهما شرقي الرصافة قد خرج غضبا لعقة وواعد روزبه وزرمهر والهذيل ولما أصاب خالد أهل المضيح واعد القعقاع وأبا ليلى ليلة وأمرهما بالمسير ليغيروا عليهم فسار خالد من المضيح فاجتمع هو وأصحابه بالثني فبيتهم من ثلاثة أوجه وجردوا فيهم السيوف فلم يفلت منهم مخبر وغنم وسبى وبعث بالخبر والخمس الى أبي بكر فاشترى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بنت ربيعة بن بجير التغلبي فولدت له عمر ورقية ولما انهزم الهذيل بالمضيح لحق بعتاب بن فلان وهو بالبشر في عسكر ضخم فبيتهم خالد بغارة شعواء من ثلاثة أوجه قبل ان يصل اليهم خبر ربيعة فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها وقسم الغنائم وبعث الخمس الى أبي بكر وسار خالد من البشر الى الرضاب وبها هلال بن عقة فتفرق عنه أصحابه وسار هلال عنها فلم يلق خالد بها كيدا

(ذكر وقعة الفراض)

ثم سار خالد من الرضاب الى الفراض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة وأفطر بها رمضان لاتصال الغزوات وحميت الروم واستعانوا بمن يليهم من مسالح الفرس فأعانوهم واجتمع معهم تغلب واياد والنمر وساروا الى خالد فلما بلغوا الفرات قالوا له اما ان تعبروا الينا واما أن نعبر اليكم قال خالد اعبروا قالوا له تنح عن طريقنا حتى نعبر قال لا أفعل ولكن اعبروا أسفل منا فعبروا أسفل من خالد وعظم في أعينهم وقالت الروم امتازوا حتى نعرف اليوم من يثبت ممن يولي ففعلوا فاقتتلوا قتالا عظيما وانهزمت الروم ومن معهم وأمر خالد المسلمين أن لا يرفعوا عنهم فقتل في المعركة وفي الطلب مائة ألف وأقام خالد على الفراض عشرا ثم أذن بالرجوع الى الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة وجعل شجرة بن الأعز على الساقة وأظهر خالد انه في الساقة

(ذكر حجة خالد)

ثم خرج خالد حاجا من الفراض سرا ومعه عدة من أصحابه يعتسف البلاد فأتى مكة وحج ورجع فوافى جنده بالحيرة حتى وافاهم مع صاحب الساقة فقدما معا وخالد وأصحابه محلقون ولم يعلم بحجه الا من أعلمه به ولم يعلم أبو بكر بذلك الا بعد رجوعه فعتب عليه وكانت عقوبته اياه ان صرفه الى الشام من العراق ممدا لجموع المسلمين باليرموك وكان أهل العراق أيام علي اذا بلغهم عن معاوية شيء يقولون نحن أصحاب ذات السلاسل ويسمون ما بينها وبين الفراض ولا يذكرون ما بعد الفراض احتقارا لما كان بعدها وأغار خالد بن الوليد على سوق بغداد ووجه المثنى فأغار على سوق فيها جمع لقضاعة وبكر وأغار أيضا على مسكن وقطربل وتل عقرقوف وبادوريا قال الشاعر

وللمثنى بالعال معركة * شاهدها من قبيلة بشر

كتيبة أفزعت بوقعتها * كسرى وكاد الايوان ينفطر

الى قيصر أن ابني ابرويز وجماعة انضافوا اليه وثبوا بي وعملوا عيني فاحمله الى فيحملها فاقصر عليه فياتي علينا بهرام ولا بد لنا من الرجوع الى أبيك وقتله فناشدهما الله أن لا يفعلا ذلك وأظهر فيما ذكر عنه البراءة من فعلهما فرجعا من فورهما ومن يسرع معهما الى المدائن وقد صاروا على أميال منها فدخل على هرمز فخنقاه ولحقا بابرويز ولحقهم خيل بهرام وكانت منهم حيلة في بعض الديارات الى أن تخلصوا من تلك الخيل وسار ابرويز في هرمز يقول ورقة بن نوفل

لم يغن هرمز من شيء خزائنه
والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجري الرياح له
والجن والانس تجري بينها البرد

وأسرع بهرام جور الى المدائن من النهروان حين بلغه قتل هرمز فاحتوى على الملك ولحق ابرويز بالرها فنزلها وكاتب ملك الروم وهو موريقس مع خاله بسطام وجماعة ممن كانوا معه يسأله النصرة على عدوه ويضمن له الوفاء بما ينفقه من أمواله والاحسان الى جنده وانه يؤدي اليه ديات من يقتل من رجاله وغير ذلك من الشروط وأهدى اليه هدايا كثيرة منها مائة غلام من أبناء أراكنة الترك في نهاية الحسن والجمال واستقامة الصور في آذانهم أقراط الذهب فيها الدر

وشجع المسلمين اذ حذروا * وفي صروف التجارب العبر
سهل نهج السبيل فاقتفروا * آثاره والامور تقتفر

يعني بالعال الانبار ومسكن وقطربل وبادوريا * وفيها تزوج عمر عاتكة بنت زيد وفيها مات أبو العاص بن الربيع في ذي الحجة وأوصى الى الزبير وتزوج علي عليه السلام ابنته امامة وأمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفيها اشترى عمر أسلم مولاه في قول وحج بالناس هذه السنة أبو بكر واستخلف على المدينة عثمان بن عفان وقيل حج بالناس عمر بن الخطاب أو عبد الرحمن بن عوف * وفيها مات أبو مرثد الغنوي وهو بدري وكان ابنه مرثد بن أبي مرثد قد قتل بالرجيع وهو بدري أيضا

﴿ثم دخلت سنة ثلاث عشرة﴾

﴿ذكر فتوح الشام﴾

قيل في سنة ثلاث عشرة وجه أبو بكر الجنود الى الشام بعد عوده من الحج فبعث خالد بن سعيد بن العاص وقيل انما سيره لما سير خالد بن الوليد الى العراق وكان أول لواء عقده الى الشام لواء خالد ثم عزله قبل ان يسير وكان سبب عزله انه تربص ببيعة أبي بكر شهرين ولقي علي بن أبي طالب وعثمان ابن عفان فقال يا أبا الحسن يا بني عبد مناف أغلبتم عليها فقال علي أمغالبة ترى أم خلافة فاما أبو بكر فلم يحقدها عليه وأما عمر فاضطغنها عليه فلما ولاه أبو بكر لم يزل به عمر حتى عزله عن الامارة وجعله ردأ للمسلمين بتيماء وأمره أن لا يفارقها الا بأمره وأن يدعو من حوله من العرب الا من ارتد وان لا يقاتل الا من قاتله فاجتمع اليه جموع كثيرة وبلغ خبره الروم فضربوا البعث على العرب الضاحية بالشام من بهراء وسليح وغسان وكلب ولخم وجذام فكتب خالد بن سعيد الى أبي بكر بذلك فكتب اليه أبو بكر اقدم ولا تقتحمن فسار اليهم فلما دنا منهم تفرقوا فنزل منزلهم وكتب الى أبي بكر بذلك فامره بالاقدام بحيث لا يؤتى من خلفه فسار حتى جازه قليلا ونزل فسار اليه بطريق للروم يدعى باهان فقاتله فهزمه وقتل من جنده فكتب خالد الى أبي بكر يستمده وكان قد قدم على أبي بكر أوائل مستنفري اليمن وفيهم ذو الكلاع وقدم عكرمة بن أبي جهل فيمن معه من تهامة وعمان والبحرين والسرو فكتب لهم أبو بكر الى أمراء الصدقات ان يبدلوا من استبدل فكلهم استبدل فسمي جيش البدال وقدموا على خالد بن سعيد وعندها اهتم أبو بكر بالشام وعناه أمره وكان أبو بكر قد رد عمرو بن العاص الى عمله الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاه اياه من صدقات سعد هذيم وعذرة وغيرهم قبل ذهابه الى عمان ووعده ان يعيده الى عمله بعد عوده من عمان فانجز له أبو بكر عدة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما عزم على قصد الشام كتب له اني كنت قد رددتك على العمل الذي ولاك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة ووعدك به أخرى انجازا لمواعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وليته وقد احببت ان أفرغك لما هو خير لك في الدنيا والآخرة الا ان يكون الذي أنت فيه أحب اليك فكتب اليه عمرو اني سهم من سهام الاسلام وأنت بعد الله الرامي بها والجامع لها فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارم به فامره وأمر الوليد بن عقبة وكان على بعض صدقات قضاعة أن يجمعا العرب ففعلا وأرسل أبو بكر الى عمرو بعض من اجتمع اليه وأمره بطريق سماها له الى فلسطين وأمر الوليد بالاردن وامده ببعضهم وأمر يزيد بن أبي سفيان على جيش عظيم هو جمهور من انتدب اليه فيهم سهيل بن عمرو في أمثاله من أهل مكة وشيعه ماشيا وأوصاه وغيره من الامراء فكان مما قال ليزيد اني قد وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك فان أحسنت رددتك الى

عملك

واللؤلؤ ومائدة من العنبر فتحها ثلاثة اذرع على ثلاث قوائم من الذهب مفصلة بانواع الجواهر أحد الارجل ساعد وكف أسد والآخر ساق وعل بظلافه والثالث كف عقاب بمخلبه في وسطها جام جزع يماني فاخر فتحه شبر مملوءة حجارة ياقوت أحمر وسفط ذهب فيه مائة درة وزن كل درة مثقال أرفع مايكون فحمل اليه موريقس ملك الروم ألفي ألف دينار ومائة ألف فارس بعث بهم مع هديته وألف ثوب من الديباج الخزائني المنسوج بالذهب الاحمر وغيره من الالوان وعشرين جارية من بنات ملوك برجان والجلالقة والصقالبة والوشكنس وغيرهم من الاجناس المجاورة لملك الروم على رؤسهن أكاليل الجوهر وزوجه بابنته مارية وحملها اليه مع أخيه سدوس واشترط ملك الروم على ابرويز شروطا كثيرة منها النزول عن الشام ومصر مما كان غلب عليه انوشروان وترك التعرض لذلك فاجابه الى ذلك وقد كانت ملوك الفرس تتزوج الى سائر من جاورها من ملوك الامم ولا تزوجها لانهم أحرار وانجاد وللفرس في هذا خطب طويل كفعل قريش وتركها السبق وتحمسها فكانوا يقفون بمزدلفة وهو يوم الحج الاكبر ويقولون نحن الحمس وقد قال النبي صلى

عملك وزدتك وان أسأت عزلتك فعليك بتقوى الله فانه يرى من باطنك مثل الذى من ظاهرك وان أولى الناس بالله أشدهم توليا له وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا اليه بعمله وقد وليتك عمل خالد فاياك وعبية الجاهلية فان الله يبغضها ويبغض أهلها واذا اقدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم اياه واذا وعظتهم فاوجز فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا وأصلح نفسك يصلح لك الناس وصل الصلوات لاوقاتها باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها واذا قدم عليك رسل عدوك فاكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ولا ترينهم فيروا خللك ويعلموا علمك وأنزلهم فى ثروة عسكرك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت المتولى لكلامهم ولا تجعل سرك لعلانيتك فيختلط أمرك واذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك واسمر بالليل فى أصحابك تأتك الاخبار وتنكشف عندك الاستار وأكثر حرسك وبددهم فى عسكرك وأكثر مفاجأتهم فى محارسهم بغير علم منهم بك فمن وجدته غفل عن محرسه فاحسن أدبه وعاقبه فى غير افراط واعقب بينهم بالليل واجعل النوبة الاولى أطول من الاخيرة فانها أيسرهما لقربها من النهار ولا تخف من عقوبة المستحق ولا تلجن فيها ولا تسرع اليها ولا تخذلها مدفعا ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده ولا تجسس عليهم فتفضحهم ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتف بعلانيتهم ولا تجالس العباثين وجالس أهل الصدق والوفاء واصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس واجتنب الغلول فانه يقرب الفقر ويدفع النصر وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له وهذه من أحسن الوصايا وأكثرها نفعا لولاة الامر ثم ان أبا بكر استعمل أبا عبيدة بن الجراح على من اجتمع وأمره بحمص وسار أبو عبيدة على باب من البلقاء فقاتله أهله ثم صالحوه فكان أول صلح فى الشام واجتمع للروم جمع بالعربة من أرض فلسطين فوجه اليهم يزيد بن أبى سفيان ابا أمامة الباهلى فهزمهم فكان أول قتال بالشام بعد سرية أسامة بن زيد ثم أتوا الداثن فهزمهم أبو أمامة أيضا ثم مرج الصفر استشهد فيها ابن لخالد بن سعيد وقيل استشهد فيها خالد أيضا وقيل بل سلم وانهزم على ما نذكره وذلك انه لما سمع توجيه الامراء بالجنود بادر لقتال الروم فاستطرد له باهان فاتبعه خالد ومعه ذو الكلاع وعكرمة والوليد فنزل مرج الصفر فاجتمعت عليه مسالح باهان وأخذوا الطرق وخرج باهان فرأى ابن خالد بن سعيد فقتله ومن معه فسمع خالد فانهزم فوصل فى هزيمته الى ذى المروة قريب المدينة فامره أبو بكر بالمقام بها وبقى عكرمة فى الناس ردأ للمسلمين يمنع من يطلبهم وكان قد قدم شرحبيل بن حسنة من عند خالد بن الوليد الى أبى بكر وافدا فامره أبو بكر بالشام وندب معه الناس واستعمله على عمل الوليد بن عقبة فاتى شرحبيل على خالد بن سعيد ففصل عنه بعض أصحابه واجتمع الى أبى بكر ناس فارسلهم مع معاوية بن أبى سفيان وأمره باللحاق باخيه يزيد فلما مر بخالد فصل عنه بباقى أصحابه فاذن أبو بكر لخالد بدخول المدينة فلما وصل الامراء الى الشام نزل أبو عبيدة الجابية ونزل يزيد البلقاء ونزل شرحبيل الاردن وقيل بصرى ونزل عمرو بن العاص العربة فبلغ الروم ذلك فكتبوا الى هرقل وكان بالقدس فقال أرى ان تصالحوا المسلمين فوالله لأن تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفه مع بلاد الروم أحب اليكم من ان يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم فتفرقوا عنه وعصوه فجمعهم وسار بهم الى حمص فنزلها وأعد الجنود والعساكر وأراد اشغال كل طائفة من المسلمين بطائفة من عسكره لكثرة جنده لتضعف كل فرقة من المسلمين عمن بازائه فارسل تذارق أخاه لابيه وأمه فى

الله عليه وسلم للانصار أنا رجل أحمسى ولما اجتمع لابرويز ماوصفنا سار الى بلاد أذربيجان فاجتمع اليه هنالك من كان من العساكر وانضاف اليه كثير من الجنود والامم وبلغ بهرام جور ماقد عزم عليه فسار اليه فيمن كان معه من عساكره فالتقى الجيشان جميعا فتوجهت على بهرام فانكشف فى نفر من أصحابه وانتهى الى اطراف خراسان وكاتب خاقان ملك الترك فأمنه وسار الى ملكه هو ومن خف معه من أصحابه وأخته كردية وكانت فى الشجاعة والفروسية نحوه وعليها كان يعول فى كثير من حربه ومضى كسرى ابرويز الى دار مملكته وأمر لجنود موريقش بالاموال والمراكب والكساوى وكافأهم على ما كان منهم فى معونته وحمل اليه ألفى ألف دينار وقرن ذلك بهدايا كثيرة وأموال عظيمة من آلات الذهب والفضة ووفى له بكل ما وعده وخرج من كل ما أوجبه على نفسه واحتال ابرويز فى قتل بهرام فى أرض الترك فقتل هنالك غيلة وذكر ان رأسه حمل بعد ان احتيل عليه وأخرجه من الناوس الذى كان خاقان ملك الترك دفنه فيه وحمله اليه رجل تاجر فارسى فنصب على باب ابرويز فى رحبة قصره وخرجت كردية فيمن كان معها

تسعين ألفا الى عمرو وأرسل جرجة بن توذر الى يزيد بن أبى سفيان وبعث القيقار بن نسطوس فى ستين ألفا الى أبى عبيدة بن الجراح وبعث الدراقص نحو شرحبيل فهابهم المسلمون وكاتبوا عمرا ما الرأى فاجابهم ان الرأى لمثلنا الاجتماع فان مثلنا اذا اجتمع الا نغلب من قلة فان تفرقنا لا تقوم كل فرقة له بمن استقبلها الكثرة عدونا وكتبوا الى أبى بكر فاجابهم مثل جواب عمرو وقال ان مثلكم لا يؤتى من قلة وانما يؤتى العشرة آلاف من الذنوب فاحترسوا منها فاجتمعوا باليرموك متساندين وليصل كل واحد منكم باصحابه فاجتمع المسلمون باليرموك والروم أيضا وعليهم التذارق وعلى المقدمة جرجة وعلى المجنبة باهان ولم يكن وصل بعد اليهم والدراقص على الاخرى وعلى الحرب القيقار فنزل الروم وصار الوادى خندقا لهم وانما أرادوا أن يتأنس الروم بالمسلمين لترجع اليهم قلوبهم ونزل المسلمون على طريقهم ليس للروم طريق الا عليهم فقال عمرو أبشروا حصرت الروم وقلما جاء محصور بخير وأقاموا صفرا عليهم وشهرى ربيع لا يقدرون منهم على شئ من الوادى والخندق ولا يخرج الروم خرجة الا أديل عليهم المسلمون

﴿ ذكر مسير خالد بن الوليد من العراق الى الشام ﴾

لما رأى المسلمون مطاولة الروم استمدوا أبا بكر فكتب الى خالد بن الوليد يأمره بالمسير اليهم والحث وان يأخذ نصف الناس ويستخلف على النصف الآخر المثنى بن حارثة الشيبانى ولا يأخذن من فيه نجدة الا ويترك عند المثنى مثله واذا فتح الله عليهم رجع خالد وأصحابه الى العراق فاستأثر خالد باصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على المثنى وترك للمثنى عدادهم من أهل القناعة من ليس له صحبة ثم قسم الجند نصفين فقال المثنى والله لا أقيم الا على انفاذ أبى بكر وبالله ما أرجو النصر الا باصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأى خالد ذلك أرضاه وقيل سار من العراق فى ثمانمائة وقيل فى ستمائة وقيل فى خمسمائة وقيل فى تسعة آلاف وقيل فى ستة آلاف وقيل انما أمره أبو بكر ان يأخذ أهل القوة والنجدة فاتى حدوداء فقاتله أهلها فظفر بهم وأتى المصيخ وبه جمع من تغلب فقاتلهم وظفر بهم وسبى وغنم وكان من السبى الصهباء بنت حبيب بن بجير وهى أم عمر بن على بن أبى طالب وقيل فى أمرها ما تقدم وقيل سار خالد فلما وصل الى قراقر وهو ماء لكلب أغار على أهلها وأراد ان يسير عنهم مفوزا الى سوى وهو ماء لبهراء بينهما خمس ليال فالتمس دليلا فدل على رافع بن عميرة الطائى فقال له فى ذلك فقال له رافع انك لن تطيق ذلك بالخيل والاثقال فوالله ان الراكب المفرد يخافه على نفسه فقال انه لا بد لى من ذلك لاخرج من وراء جموع الروم لئلا تحبسنى عن غياث المسلمين فامر صاحب كل جماعة ان يأخذ الماء للشفة لخمس وان يعطش من الابل الشرف ما يكتفى به ثم يسقوها علا بعد نهل والعلل الشربة الثانية والنهل الاولى ثم يصروا آذان الابل ويشدوا مشافرها لئلا تجتر ثم ركبوا من قراقر فلما ساروا يوما وليلة شقوا لعدة من الخيل بطون عشرة من الابل فمزجوا ما فى كروشها بما كان من الالبان وسقوا الخيل ففعلوا ذلك أربعة أيام فلما دنا من العلمين قال للناس انظروا هل ترون شجرة عوسج كقعدة الرجل فقالوا ما نراها فقال انا لله وانا اليه راجعون هلكتم والله وهلكت معكم وكان أرمد فقال لهم انظروا ويحكم فنظروا فرأوها قد قطعت وبقى منها بقية فلما رأوها كبروا فقال رافع احفروا فى أصلها فحفروا واستخرجوا عينا فشربوا حتى روى الناس فقال رافع والله ما وردت هذا الماء قط الا مرة واحدة مع أبى وأنا غلام فقال شاعر من المسلمين

لله عينا رافع أنى اهتدى * فوز من قراقر الى سوى

من أصحاب بهرام من أرض الترك وقد كان لها أخبار فى الطريق مع ابن خاقان وكاتبها ابرويز فى قتل خاله بسطام وكان هرزبان الديلم بخراسان فقتلته وقتلت خاله الآخر بابيه هرمز ثم صارت كردية اليه فتزوجها وللفرس كتاب مفرد فى أخبار بهرام جور وما كان من مكايده ببلاد الترك حين صارت اليه واستنقاذه لابنة ملك الترك من حيوان اسمه السمع نحو العير الكبير كان قد احتملها من بين جواريها وعلا بها وقد خرجت لبعض متنزهاتها وما كان من بدء حاله الى مقتله ونسبه وكان وزير ابرويز والغالب عليه والمدبر لامره حكيم من حكماء الفرس وهو بزرجمهر بن البختكان فلما خلا من ملكه ثلاث عشرة سنة اتهمه بالميل الى بعض الزنادقة من الثنوية فامر بحبسه وكتب اليه كان من ثمرة علمك ونتيجة ما اداك اليه عقلك أن صرت أهلا للقتل وموضعا للعقوبة فكتب اليه بزرجمهر أما اذ كان معى الجد فكنت أنتفع بثمرة عقلى فلآن اذ لا جد معى فقد أنتفع بثمرة الصبر واذ قد فقدت كثير الخير فقد استرحت من كثير من الشر وأغرى ابرويز ببزرجمهر فدعا به وأمر بكسر انفه وفمه فقال بزرجمهر فى لاهل لما هو شر من هذا فقال ابرويز ولم يا عدو الله المخالف فقال لانى

خمسا اذا ماساره الجيش بكى * ماسارها قبلك انسي يرى

فلما انتهى خالد الى سوى أغار على أهلها وهم بهراء وهم يشربون الخمر ومغنيهم يقول

ألا عللاني قبل جيش أبي بكر * لعل منايانا قريب ولا ندري

ألا عللاني بالزجاج وكررا * على كميت اللون صافية تجري

ألا عللاني من سلافة قهوة * تسلي هموم النفس من جيد الخمر

أظن خيول المسلمين وخالدا * ستطرقكم قبل الصباح مع النسر

فهل لكم في السير قبل قتالكم * وقبل خروج المعصرات من الخدر

فقتل المسلمون مغنيهم وسال دمه في تلك الجفنة وأخذوا أموالهم وقتل حرقوص بن النعمان البهراني ثم أتى أرك فصالحوه ثم أتى تدمر فتحصن أهله ثم صالحوه ثم أتى القريتين فقاتلهم فظفر بهم وغنم وأتى حوارين فقاتل أهلها فهزمهم وقتل وسبى وأتى قصم فصالحه بنو مشجعة من قضاعة وسار فوصل الى ثنية العقاب عند دمشق ناشرا رايته وهي راية سوداء وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب وقيل كانت رايته تسمى العقاب فسميت الثنية بها وقيل سميت بعقاب من الطير سقطت عليها والاول أصح ثم سار فاتى مرج راهط فاغار على غسان في يوم فصحهم فقتل وسبى وأرسل سرية الى كنيسة بالغوطة فقتلوا الرجال وسبوا النساء وساقوا العيال الى خالد ثم سار حتى وصل الى بصرى فقاتل من بها فظفر بهم وصالحهم فكانت بصرى أول مدينة فتحت بالشام على يد خالد وأهل العراق وبعث بالاخماس الى أبي بكر ثم سار فطلع على المسلمين في ربيع الآخر وطلع باهان على الروم ومعه الشمامسة والقسيسون والرهبان يحرضون الروم على القتال وخرج باهان كالمعتذر فولي خالد قتاله وقاتل الامراء من بازائهم ورجع باهان والروم الى خنادقهم وقد نال منهم المسلمون (عميرة بفتح العين المهملة وكسر الميم)

ذكر وقعة اليرموك

فلما تكامل جمع المسلمين باليرموك وكانوا سبعة وعشرين ألفا وقدم خالد في تسعة آلاف فصاروا ستة وثلاثين ألفا سوى عكرمة فانه كان ردأ لهم وقيل بل كانوا سبعة وعشرين ألفا وثلاثة آلاف من فلال خالد بن سعيد وعشرة آلاف مع خالد بن الوليد فصاروا أربعين ألفا سوى ستة آلاف مع عكرمة بن أبي جهل وقيل في عددهم غير ذلك والله أعلم وكان فيهم ألف صحابي منهم نحو مائة ممن شهد بدرا وكان الروم في مائتي ألف وأربعين ألف مقاتل منهم ثمانون ألف مقيد وأربعون ألف مسلسل للموت وأربعون ألفا مربوطون بالعمائم لئلا يفروا وثمانون ألف راجل وقيل كانوا مائة ألف وكان قتال المسلمين لهم على تساند كل أمير على أصحابه لا يجمعهم أحد حتى قدم خالد بن الوليد من العراق وكان القسيسون والرهبان يحرضون الروم شهرا ثم خرجوا الى القتال الذي لم يكن بعده قتال في جمادى الآخرة فلما أحس المسلمون بخروجهم أرادوا الخروج متساندين فسار فيهم خالد بن الوليد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي أخلصوا جهادكم وأرضوا الله بعملكم فان هذا يوم له ما بعده ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبية وأنتم متساندون فان ذلك لا يحل ولا ينبغي وان من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون انه رأي من واليكم ومحبته قالوا هات فما الرأي قال ان أبا بكر لم يبعثنا الا وهو يرى انا سنتياسر ولو علم بالذي كان ويكون لما جمعكم ان الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيهم وأنفع للمشركين من امدادهم ولقد علمت ان الدنيا فرقت بينكم فالله الله فقد أفرد كل رجل منكم ببلد

كنت أصفك لخواص الناس وعوامهم بما ليس فيك وأقربك من قلوبهم وارفع من محاسن أمورك ما لم تكن عليه اسمع مني يا شر الملوك نفسا وأخبثهم فعلا وأسوأهم عشرة لا تقتلني بالشك وترفع به اليقين الذي قد علمته مني بالتمسك بالشريعة من ذا الذي يرجو عدلك ويثق بقولك ويطمئن اليك فغضب ابرويز وأمر به فضرب عنقه ولبزرجمهر في أيدي الناس قضايا وحكم ومواعظ وكلام كثير في الزهد وغيره وندم ابرويز على قتله وتأسف ودعا بجبرانوس الوزير الثاني وكانت مرتبته دون مرتبة بزرجمهر فلما رأى بزرجمهر قتيلا أسف عليه وعلم انه لا ينجو فأغلظ لابرويز في الكلام فامر به فقتل وأغرق في دجلة فلما عدم هذين الرجلين وما كانا عليه من الكفالة وتدبير الملك استوحش من شريعة العدل وواضحة الحق فعدل الى الجور والعسف بخواص رعيته وعوامها وحملها على ما لم تكن تعهده وأوردهم الى ما لم يكونوا يعرفونه من الظلم ووثب بطريق من بطارقة الروم يقال له فانوس فيمن اتبعه على موريقش ملك الروم حمو ابرويز وجده فقتلوه وملكوا موداس ونمى ذلك الى ابرويز فغضب لحموه وسير الى الروم الجيوش وكانت له في ذلك اخبار يطول ذكرها وسير شهريار مرزبان

لا ينتقصه منه ان دان من الامراء ولا يزيده عليه ان دانوا له ان تامير بعضكم لا ينتقصكم عند
ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا فان هؤلاء قد تهيؤا وان هذا يوم له ما بعده ان
رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم وان هزمونا لم نفلح بعدها فهلموا فلنتعاور الامارة فليكن
بعضنا اليوم والآخر غدا والآخر بعد غد حتى تتأمروا كلكم ودعونى أتأمر اليوم فامروه وهم
يرون أنها كخرجاتهم وان الامر لا يطول فخرجت الروم فى تعبية لم ير الراؤن مثلها قط و
خالد فى تعبية لم تعبها العرب قبل ذلك فخرج فى ستة وثلاثين كردوسا الى الاربعين وقال
عدوكم كثير وليس تعبية أكثر فى رأى العين من الكراديس فجعل القلب كراديس وأقام فيه
عبيدة وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة وجعل الميسرة
كراديس وعليها يزيد بن أبى سفيان وكان على كردوس القعقاع بن عمرو وجعل على كل كردوس
رجلا من الشجعان وكان القاضى أبو الدرداء وكان القاص أبو سفيان بن حرب وعلى الطلائع
قباث بن أشيم وعلى الاقباض عبد الله بن مسعود وقال رجل لخالد ما أكثر الروم وأقل المسلمين
فقال خالد ما أكثر المسلمين وأقل الروم انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان والله لوددت ان
الاشقر يعنى فرسه براء من توجيه وأنهم أضعفوا فى العدد وكان قد حفى فى مسيره فامر خالد
عكرمة بن أبى جهل والقعقاع بن عمرو فأنشبا القتال والتحم الناس وتطارد الفرسان وتقاتلوا
فاذاهم على ذلك قدم البريد من المدينة واسمه محمية بن زنيم فسألوه الخبر فاخبرهم بسلامة
وامداد وانما جاء بموت أبى بكر وتأمير أبى عبيدة فبلغوه خالدا فاخبره خبر أبى بكر سرا وخرج جرجة
الى بين الصفين وطلب خالدا فخرج اليه فامن كل واحد منهما صاحبه فقال جرجة يا خالد أصدقنى
ولا تكذبنى فان الحر لا يكذب ولا تخادعنى فان الكريم لا يخادع المسترسل هل أنزل الله على نبيكم
سيفا من السماء فاعطاكه فلا تسله على قوم الا هزمتهم قال لا قال ففيم سميت سيف الله فقال له
ان الله بعث فينا نبيه صلى الله عليه وسلم فكنت فيمن كذبه وقاتله ثم ان الله هدانى فتابعته فقال
أنت سيف الله سله الله على المشركين ودعالى بالنصر قال فاخبرنى الام تدعونى قال خالد الى
الاسلام أو الجزية أو الحرب قال فما منزلة الذى يجيبكم ويدخل فيكم قال منزلتنا واحدة قال فهل
له مثلكم من الاجر والذخر قال نعم وأفضل لاننا اتبعنا نبينا وهو حى يخبرنا بالغيب ونرى منه
العجائب والآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم وانتم لم تروا امثالنا ولم تسمعوا امثالنا
فمن دخل بنية وصدق كان أفضل منا فقلب جرجة ترسه ومال مع خالد وأسلم وعلمه الاسلام
واغتسل وصلى ركعتين ثم خرج مع خالد فقاتل الروم وحملت الروم حملة أزالوا المسلمين عن
مواقفهم الى المحامية وعليهم عكرمة وعمه الحرث بن هشام فقال عكرمة قاتلت مع النبى صلى الله
عليه وسلم فى كل موطن ثم أفر اليوم ثم نادى من يبايع على الموت فبايعه الحرث بن هشام وضرار
ابن الازور فى أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى اثبتوا جميعا
جراحا فمنهم من برأ ومنهم من قتل وقاتل خالد وجرجة قتالا شديدا فقتل جرجة عند آخر النهار
وصلى الناس الظهر والعصر ايماء وتضعضع الروم ونهد خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم
فانهزم الفرسان وتركوا الرجالة ولما رأى المسلمون خيل الروم قد توجهت للهرب أفرجوا
لها فتفرقت وقتل الرجالة واقتحموا فى خندقهم فاقتحمه عليهم وهوى فيها المقترنون وغيرهم
ثمانون ألفا من المقترنين وأربعون ألف مطلق سوى من قتل فى المعركة وتجلل الفيقار وجماعة
من أشراف الروم برانسهم وجلسوا فقتلوا متزملين ودخل خالد الخندق ونزل فى رواق تذارق

فلما

المغرب الى حرب الروم فنزل
انطاكية فكانت له مع الروم
وابرويز أخبار ومكاتبات
وحيل الى ان خرج ملك الروم
الى حرب شهريار وقدم
خزائنه فى البحر فى ألف
مركب فألقتها الريح الى
ساحل انطاكية فغنمها
شهريار وحملها الى ابرويز
فسميت خزائن الريح ثم
فسدت الحال بين ابرويز
وشهريار ومايل شهريار ملك
الروم وسير شهريار نحو
العراق الى ان انتهى الى
النهروان فاحتال ابرويز فى
كتب كتبها مع بعض اساقفة
النصرانية ممن كان فى ذمته
حتى رده الى القسطنطينية
وأفسد الحال بينه وبين
شهريار وغير ذلك مما قد أتينا
على ذكره فى الكتاب الاوسط
وفى ملك ابرويز كانت حروب
ذى قار وهو اليوم الذى قال
فيه النبى صلى الله عليه وسلم
هذا أول يوم انتصفت فيه
العرب من العجم ونصرت
عليهم بى وكانت وقعة ذى قار
لتمام أربعين من مولد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو
بمكة بعد ان بعث وقيل بعد ان
هاجر وفى رواية أخرى انها
كانت بعد وقعة بدر بأشهر
ورسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة وكانت هذه الوقعة
بين بكر بن وائل والهامرز
صاحب كسرى ابرويز وقد

لما أصبحوا أتى خالد بعكرمة بن أبي جهل جريحا فوضع رأسه على فخذه و بعمرو بن عكرمة فجعل رأسه على ساقه ومسح وجوههما وقطر فى حلوقهما الماء وقال زعم ابن حنتمة يعنى عمرانا لا نستشهد وقاتل النساء ذلك اليوم وابلوا قال عبد الله بن الزبير كنت مع أبي باليرموك وأنا صبى لا أقاتل فلما اقتتل الناس نظرت الى ناس على تل لا يقاتلون فركبت وذهبت اليهم واذا أبو سفيان بن حرب مشيخة من قريش من مهاجرة الفتح فرأونى حدثا فلم يتقونى قال فجعلوا والله اذا مالت المسلمون وركبتهم الروم يقولون ايه بنى الاصفر فاذا مالت الروم وركبتهم المسلمون قالوا ويح بنى الاصفر فلما هزم الله الروم أخبرت أبي فضحك فقال قاتلهم الله أبوا الاضغنا لنحن خير لهم من الروم وفى اليرموك أصيبت عين أبي سفيان بن حرب ولما انهزمت الروم كان هرقل بحمص فنادى بالرحيل عنها قريبا وجعلها بينه و بين المسلمين وأمّر عليها أميرا كما أمّر على دمشق وكان من أصيب من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة وابنه عمرو وسلمة بن هشام وعمرو بن سعيد وابان بن سعيد وجندب بن عمرو والطفيل بن عمرو وطليب بن عمير وهشام بن العاص وعياش بن أبي ربيعة فى قول بعضهم (عياش بالياء المثناة والشين المعجمة) وفيها قتل سعيد بن الحرث بن قيس بن عدى السهمى وهو من مهاجرة الحبشة وفيها قتل نعيم بن عبد الله النحام العدوى عدى قريش وكان اسلامه قبل عمر وفيها قتل النضير بن الحرث بن علقمة وهو قديم الاسلام والهجرة وهو أخو النضر الذى قتل ببدر كافرا وقتل فيها أبو الروم بن عمير بن هاشم العبدرى أخو مصعب بن عمير وهو من مهاجرة الحبشة شهد أحدا وقيل قتلوا يوم اجنادين والله أعلم

﴿ذكر حال المثنى بن حارثة بالعراق﴾

وأما المثنى بن حارثة الشيبانى فانه لما ودّع خالد بن الوليد وسار خالد الى الشام فيمن معه بالجند أقام بالحيرة ووضع المسلحة واذكى العيون واستقام أمر فارس بعد مسير خالد من الحيرة بقليل وذلك سنة ثلاث عشرة على شهريران بن اردشير بن شهريار سابور فوجه الى المثنى جندا عظيما عليهم هرمز جاذويه فى عشرة آلاف فخرج المثنى من الحيرة نحوه وعلى مجنبتيه المعنى ومسعود أخواه فاقام ببابل وأقبل هرمز نحوه وكتب كسرى شهريران الى المثنى كتابا انى قد بعثت اليكم جندا من وحش أهل فارس انما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست أقاتلك الا بهم فكتب اليه المثنى انما أنت أحد رجلين اما باغ فذلك شر لك وخير لنا واما كاذب فاعظم الكاذبين فضيحة عند الله وعند الناس الملوك وأما الذى يدلنا عليه الرأى فانكم انما أضررتم بهم فالحمد لله الذى ردّ كيدكم الى رعاة الدجاج والخنازير فجزع الفرس من كتابه فالتقى المثنى وهرمز ببابل فاقتتلوا قتالا شديدا وكان فيلهم يفرق المسلمين فانتدب له المثنى ومعه ناس فقتلوه وانهزم الفرس وتبعهم المسلمون الى المدائن يقتلونهم ومات شهريران لما انهزم هرمز جاذويه واختلف أهل فارس وبقى مادون دجلة بيد المثنى ثم اجتمعت الفرس على دخت زنان ابنة كسرى فلم ينفذ لها أمر وخلعت وملك سابور بن شهريران فلما ملك قام بأمره الفرخزاد بن البنذوان وسأله ان يزوجه آزرميدخت بنت كسرى فاجابه فغضبت آزرميدخت فأرسلت الى سياوخش الرازى فشكت اليه فقال لها الا تعاوديه وأرسلى اليه فليأتك فأرسلت اليه واستعدّ سياوخش فلما كان ليلة العرس أقبل الفرخزاد حتى دخل فثار به سياوخش فقتله وقصدت آزرميدخت ومعها سياوخش سابور فحصروه ثم قتلوه وملكت آزرميدخت ثم تشاغلوا بذلك وأبطأ خبر أبي بكر على المثنى فاستخلف على المسلمين بشير بن الخصاصية وسار الى

أتينا على هذه الاخبار على الشرح والايضاح فى الكتاب الاوسط فأغنى ذلك عن ايراده فى هذا الموضع وفى أيام ابرويز كانت حوادث تنذر بالنبوة وتبشر بالرسالة وأنفذ ابرويز عبد المسيح بن بقيلة الغسانى الى سطيح الكاهن فاخبره برؤيا الموبذان وارتجاج الايوان وغير ذلك من اخبار فيض وادى السماوة وما كان من بحيرة ساوة وكان لابرويز تسعة خواتم تدور فى أمر الملك منها خاتم فصه ياقوت أحمر نقشه صورة الملك وحوله مكتوب صفة الملك وحلقته ماس ذكر يختم به الرسائل والسجلات والخاتم الثانى فصه عقيق نقشه خراسان خره وحلقته ذهب يختم به التذكرات والخاتم الثالث فصه جزع نقشه فارس وحلقته ذهب منقوش فيه الوحا يختم به أجوبة البريد والخاتم الرابع فصه ياقوت مورد نقشه بالمال ينال الفرح وحلقته ذهب يختم به الترايك والكتب فى التجاوز عن العصاة والمذنبين والخاتم الخامس فصه ياقوت بهرمان وهو أحسن ما يكون من الحمرة وأصفاها وأشرفها نقشه خره وخزم أى بهجة وسعادة حافتاه لؤلؤ وماس يختم به خزائن الجوهر وبيت مال الخاصة وخزانة الكسوة

المدينة الى أبي بكر ليخبره خبر المشركين ويستأذنه في الاستعانة بمن حسنت توبته من المرتدين فانهم أنشط الى القتال من غيرهم فقدم المدينة وأبو بكر مريض قد أشفى فأخبره الخبر فاستدعى عمر وقال له اني لارجو أن أموت يومي هذا فاذا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ولا تشغلنكم مصيبة عن أمر دينكم ووصية ربكم فقد رأيتني متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنعت وما أصيب الخلق بمثله واذا فتح الله على أهل الشام فاردد أهل العراق الى العراق فانهم اهله وولاة أمره وأهل الجراءة عليهم ومات أبو بكر ليلا فدفنه عمر وندب الناس مع المثنى وقال عمر قد علم أبو بكر أنه يسوءني ان أؤمر خالدا فلهذا أمرني ان أرد أصحاب خالد وترك ذكره معهم والى آ زرميدخت انتهى شأن أبي بكر فهذا حديث العراق الى آخر أيام أبي بكر رضي الله عنه

(ذكر وقعة أجنادين)

قد ذكرها أبو جعفر عقيب وقعة اليرموك وروى خبرها عن ابن اسحق من اجتماع الامراء ومسير خالد بن الوليد من العراق الى الشام نحو ما تقدم وقال فسار خالد من مرج راهط الى بصرى وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان فصالحهم أهلها على الجزية فكانت أول مدينة فتحت بالشام في خلافة أبي بكر ثم ساروا جميعا الى فلسطين مددا لعمرو بن العاص وهو مقيم بالعربات واجتمعت الروم باجنادين وعليهم تذارق أخو هرقل لابويه وقيل كان على الروم القيقلار واجنادين بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين وسار عمرو بن العاص حين سمع بالمسلمين فلقيهم ونزلوا باجنادين وعسكروا عليهم فبعث القبقلار عربيا الى المسلمين يأتيه بخبرهم فدخل فيهم وأقام يوما وليلة ثم عاد اليه فقال ما وراءك فقال بالليل رهبان وبالنهار فرسان ولو سرق ابن ملكهم قطعوه ولو زنى رجم لاقامة الحق فيهم فقال ان كنت صدقتني لبطن الارض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها واتفقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة فظهر المسلمون وهزم المشركون وقتل القبقلار وتذارق واستشهد رجال من المسلمين منهم سلمة بن هشام بن المغيرة وهبار بن الاسود ونعيم بن عبد الله النحام وهشام بن العاص بن وائل وقيل بل قتل باليرموك وجماعة غيرهم قال ثم جمع هرقل للمسلمين فالتقوا باليرموك وجاءهم خبر وفاة أبي بكر وهم مصافون وولاية أبي عبيدة وكانت هذه الوقعة في رجب هذه سياقة الخبر وكان فيمن قتل ضرار بن الخطاب الفهري وله صحبة وعمرو بن سعيد بن العاص وهو من مهاجرة الحبشة وقيل قتل باليرموك وممن قتل الفضل بن العباس وقيل قتل بمرج الصفر وقيل مات في طاعون عمواس * وفيها قتل طليب بن عمير بن وهب القرشي وقيل قتل باليرموك شهد بدرا وهو من المهاجرين الاولين * وفيها قتل عبد الله بن أبي جهم القرشي العدوي وكان اسلامه يوم الفتح * وفيها قتل عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بعد ان قتل جماعة من الروم في المعركة وكان عمره يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم نحو ثلاثين سنة * وفيها قتل عبد الله بن الطفيل الدوسي وهو الملقب بذي النور وكان من فضلاء الصحابة قديم الاسلام هاجر الى الحبشة (اجنادين بعد الجيم نون ودال مهملة مفتوحة ومنهم من يكسرها ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة وآخره نون) وقد قيل ان وقعة اجنادين كانت سنة خمس عشرة وسيرد ذكرها ان شاء الله

(ذكر وفاة أبي بكر)

كانت وفاة أبي بكر رضي الله عنه لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة ليلة الثلاثاء وهو ابن ثلاث وستين

وخزانة الحلي والخاتم السادس نقشه عقاب يختم به كتب الملوك الى الآفاق وفصه حديد حبشي والخاتم السابع نقشه ذباب يختم به الادوية والاطعمة والطيب فصه بادزهر والخاتم الثامن فصه جمشاهن نقشه رأس خنزير يختم به أعناق من يؤمر بقتله وما ينفذ من الكتب في الدماء والخاتم التاسع حديد لبسه عند دخول الحمام وفصه الابزن وكان على مربطه خمسون ألف دابة وسروج ذهب مكللة بالدر والجوهر على عدد ما ركابه من الخيل وكان على مربطه ألف فيل منها اشهب أشد بياضا من الثلج ومنها ما ارتفاعه اثنا عشر ذراعا وفي النادر ما يوجد من الفيلة الحربية ما ارتفاعه هذا القدر وأكثر ما يوجد من ارتفاع الفيلة من التسعة اذرع الى العشرة وملوك الهند تبالغ في اثمان ما عظم من الفيلة وارتفع من الارض وقد يكون من الوحشية في أرض الزنج ما هو أعظم سمكا كما وصفنا باذرع كثيرة على حسب ما تحمل من قرونها المسماة بالانياب ما وزن الناب خمسون ومائة من الى المائتين والمن رطلان بالبغدادي وعلى قدر عظم الناب عظم جسد الفيل وقد كان ابرويز خرج في بعض الاعياد وقد صفت له

وستين سنة وهو الصحيح وقيل غير ذلك وكان قد سمه اليهودي في ارز وقيل في حريرة وهي الحسو فاكل هو والحرث بن كلدة فكف الحرث وقال لابي بكر أكلنا طعاما مسموما سم سنة فماتا بعد سنة وقيل انه اغتسل وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لا يخرج الى صلاة فامر عمر انه يصلي بالناس ولما مرض قال له الناس ألا ندعو الطبيب قال قد أتاني وقال لي أنا فاعل ما أريد فعلموا مراده وسكتوا عنه ثم مات وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال وقيل كانت سنتين وأربعة أشهر الا أربع ليال وكان مولده بعد الفيل بثلاث سنين وأوصى ان تغسله زوجته أسماء بنت عميس وابنه عبد الرحمن وان يكفن في ثوبيه ويشترى معهما ثوب ثالث وقال الحي أحوج الى الجديد من الميت انما هو للمهنة والصديد ودفن ليلا وصلى عليه عمر بن الخطاب في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر عليه أربعا وحمل على السرير الذي حمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل قبره ابنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وطلحة وجعل رأسه عند كتفي النبي صلى الله عليه وسلم وألصقوا لحده بلحد النبي صلى الله عليه وسلم وجعل قبره مثل قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسطحا وأقامت عائشة عليه النوح فنهاهن عن البكاء عمر فابين فقال لهشام بن الوليد ادخل فاخرج الى ابنة أبي قحافة فاخرج اليه أم فروة ابنة أبي قحافة فعلاها بالدرة ضربات فتفرق النوح حين سمعن ذلك وكان آخر ما تكلم به توفني مسلما وألحقني بالصالحين وكان أبيض خفيف العارضين أحنى لا يتمسك ازاره معروق الوجه نحيفا أقنى غائر العينين يخضب بالحناء والكتم وكان أبوه حيا كما لما توفي وهو أبو بكر عبد الله وقيل عتيق بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن النضر بن مالك يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أنت عتيق من النار فلزمه وقيل انما قيل له عتيق لرقة حسنه وجماله وأسلمت أمه قديما بعد اسلام أبي بكر وتزوج في الجاهلية قتيلة بنت عبد العزى بن عامر ابن لؤي فولدت له عبد الله وأسماء وتزوج أيضا في الجاهلية أم رومان واسمها دعد بنت عامر بن عميرة الكنانية فولدت له عبد الرحمن وعائشة وتزوج في الاسلام أسماء بنت عميس وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب فولدت له محمد بن أبي بكر وتزوج أيضا في الاسلام حبيبة بنت خارجة بن زيد الانصارية فولدت له بعد وفاته أم كلثوم

﴿أسماء قضاته وعماله وكتابه﴾

لما ولي أبو بكر قال له أبو عبيدة انا أكفيك المال وقال له عمر انا أكفيك القضاء فمكث عمر سنة لا يأتيه رجلان وكان علي بن أبي طالب يكتب له وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان وكان يكتب له من حضر وكان عامله على مكة عتاب بن أسيد ومات في اليوم الذي مات فيه أبو بكر وقيل مات بعده وكان على الطائف عثمان بن أبي العاص وعلى صنعاء المهاجر بن أبي أمية وعلى حضرموت زياد بن لبيد الانصاري وعلى خولان يعلى بن منية وعلى زبيد ورمع أبو موسى وعلى الجند معاذ بن جبل وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي وبعث جرير بن عبد الله الى نجران وعبد الله بن ثور الى جرش وعياض بن غنم الى دومة الجندل وكان بالشام أبو عبيدة وشرحبيل ويزيد وعمرو وكل رجل منهم على جند وعليهم خالد بن الوليد وكان نقش خاتمه نعم القادر الله وعاش أبوه بعده ستة أشهر وأياما ومات وله سبع وتسعون سنة

﴿ذكر بعض أخباره ومناقبه﴾

الجيوش والعدد والسلاح وفيما صف له ألف فيل وقد أحدقت به خمسون ألف فارس دون الرجالة فلما نظرته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤسها وبسطها خراطيمها حتى جذبت بالمحاجن وراطنها الفيالون بالهندية فلما بصر بذلك ابرويز تأسف على ما خص به الهند من فضيلة الفيلة وقال ليت الفيل لم يكن هنديا وكان فارسيا انظروا اليها والى سائر الدواب وفضلوها بقدر ما ترون من معرفتها وأدبها وقد افتخرت الهند بالفيلة وعظم أجسامها ومعرفتها وحسن طاعتها وقبولها الرياضات وفهمها المرادات وتمييزها بين الملك وغيره وان غيرها من الدواب لا يفهم شيأ من ذلك ولا يفصل بين شيئين وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب جملا من الفصول في أخبار الفيلة وما قالته الهند وغيرهم في ذلك وتفضيلها على سائر الدواب فكانت مدة ملك ابرويز الى أن خلع وسملت عيناه وقتل ثمانيا وثلاثين سنة (ثم ملك بعده) ولده قباذ المعروف بشيرويه القابض على أبيه والجاني عليه والقاتل له والفرس تسميه المشوم وفي أيامه كان الطاعون بالعراق وغيرها من الاقاليم فهلك فيه مائتا ألف من الناس فالمكثر يقول هلك نصف الناس والمقلل يقول الثلث وكان ملك شيرويه الى ان هلك سنة وستة أشهر وقيل أقل من ذلك ولكسرى ابرويز

كان أبو بكر أول الناس اسلاما فى قول بعضهم وقد تقدم الخلاف فى ذلك وقال النبى صلى الله عليه وسلم مادعوت أحدا الى الاسلام الا كانت له عنه كبوة غير ابى بكر والذى ورد له عن النبى صلى الله عليه وسلم من المناقب فكثير كشهادته له بالجنة وعتقه من النار وغير ذلك من الاخبار بخلافته تعريضا كقوله صلى الله عليه وسلم للمرأة ان لم تجدينى فأتى أبا بكر وكقوله اقتدوا بالذين من بعدى ابى بكر وعمر الى غير ذلك وشهد بدرا وأحدا والخندق وغير ذلك من المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتق سبعة نفر كلهم يعذب فى الله تعالى منهم بلال وعامر بن فهيرة وزنيرة والنهدية وابنها وجارية بنى مؤمل وأم عبيس وأسلم وله أربعون ألفا انفقها فى الله مع ما كسب من التجارة ولما ولى الخلافة وارتدت العرب خرج شاهرا سيفه الى ذى القصة فجاءه على وأخذ بزمام راحلته وقال له أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك لا تفجعنا بنفسك فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للاسلام نظام فرجع وأمضى الجيش وكان له بيت مال بالسنح وكان يسكنه الى ان انتقل الى المدينة فقيل له ألا تجعل عليه من يحرسه قال لا فكان ينفق جميع ما فيه على المسلمين ولا يبقى فيه شئ فلما انتقل الى المدينة جعل بيت المال معه فى داره وفى خلافته انفتح معدن بنى سليم وكان يسوى فى قسمته بين السابقين الاولين والمتأخرين فى الاسلام وبين الحر والعبد والذكر والانثى فقيل له لتقدم أهل السبق على قدر منازلهم فقال انما أسلموا لله ووجب أجرهم عليه يوفيهم ذلك فى الآخرة وانما هذه الدنيا بلاغ وكان يشترى الاكسية ويفرقها فى الارامل فى الشتاء ولما توفى أبو بكر جمع عمر الامناء وفتح بيت المال فلم يجدوا فيه شيأ غير دينار سقط من غرارة فترحموا عليه قال أبو صالح الغفارى كان عمر يتعهد امرأة عمياء فى المدينة بالليل فيقوم بامرها فكان اذا جاءها وجد غيره قد سبقه اليها ففعل ما أرادت فرصده عمر فاذا هو أبو بكر كان يأتيها ويقضى اشغالها سرا وهو خليفة فقال له أنت هو لعمرى قال أبو بكر بن حفص بن عمر لما حضرت أبا بكر الوفاة حضرته عائشة وهو يعالج الموت فتمثلت

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فنظر اليها كالغضبان ثم قال ليس كذلك ولكن جاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انى قد كنت نحلتك حائط كذا وفى نفسى منه شئ فرديه على الميراث فردته فقال انما هما اخواك واختاك قالت من الثانية انما هى أسماء قال ذات بطن بنت خارجة يعنى زوجته وكانت حاملا فولدت أم كلثوم بعد موته وقال لها أما انا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارا ولا درهما ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم ولبسنا من خشن ثيابهم وليس عندنا من فئ المسلمين الا هذا العبد وهذا البعير وهذه القطيفة فاذا مت فابعثى بالجميع الى عمر فلما مات بعثته الى عمر فلما رآه بكى حتى سالت دموعه الى الارض وجعل يقول رحم الله أبا بكر لقد اتعب من بعده ويكرر ذلك وأمر برفعه فقال عبد الرحمن بن عوف سبحان الله تسلب عيال أبى بكر عبدا وناضحا وسحق قطيفة ثمنها خمسة دراهم فلو أمرت بردها عليهم فقال لا والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم لا يكون هذا فى ولايتى ولا يخرج أبو بكر منه واتقلده انا وأمر أبو بكر ان يرد جميع ما أخذ من بيت المال لنفقته بعد وفاته وقيل ان زوجته اشتهت حلوا فقال ليس لنا ما نشترى به فقالت أنا استفضل من نفقتنا فى عدة أيام ما نشترى به قال افعلى ففعلت ذلك فاجتمع لها فى أيام كثيرة شئ يسير فلما عرفته ذلك لتشترى به حلوا أخذه فرده الى بيت المال وقال هذا يفضل عن قوتنا وأسقط من نفقته بمقدار ما نقصت كل يوم وغرمه لبيت المال من ملك كان له هذا والله هو التقوى الذى لا مزيد عليه

ولابنه شيرويه أخبار عجيبة ومراسلات قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا (ثم ملك بعد شيرويه) ولده أردشير ولى عهد الملك وهو ابن سبع سنين فسار اليه من انطاكية من بلاد الشام شهريار مرزبان المغرب المقدم ذكره مع ابرويز وملك الروم فقتله فكان ملكه خمسة أشهر (ثم ملك شهريار) نحوا من عشرين يوما وقيل شهرين وقيل غير ذلك واغتالته ابنة لكسرى ابرويز يقال لها آزرمى دخت فقتلته (ثم ملك كسرى بن قباذ ابن ابرويز) وقيل انه ابن لابرويز وكان بناحية الترك فسار يريد دار الملك فقتل فى الطريق بعد ملكه ثلاثة أشهر (ثم ملك بعده بوران) بنت كسرى ابرويز فكان ملكها سنة ونصفا (ثم ملك رجل) من أهل بيت الملك من ولد سابور بن يزدجرد الاثيم يقال له فيروز خشنس فكان ملكه شهرين (ثم ملكت ابنة لكسرى) ابرويز يقال لها آزرمى دخت فكان ملكها سنة وأربعة أشهر (ثم ملك فرخ زاد خسرو) بن كسرى ابرويز وهو طفل فكان مدة ملكه شهرا وقيل أشهرا (ثم ملك يزدجرد بن شهريار) بن كسرى ابرويز بن هرمز بن أنوشروان قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام بن يزدجرد بن سابور بن أردشير بن بابك بن ساسان وهو آخر ملوك الساسانية فكان ملكه الى ان قتل عمر ومن

ويحق قدمه الناس رضي الله عنه وأرضاه وكان منزل أبي بكر بالسنح عند زوجته حبيبة بنت خارجة فأقام هنالك ستة أشهر بعد ما بويع له وكان يغدو على رجليه الى المدينة وربما ركب فرسه فيصلي بالناس فاذا صلى العشاء رجع الى السنح وكان اذا غاب صلى بالناس عمر وكان يغدو كل يوم الى السوق فيبيع ويبتاع وكانت له قطعة غنم تروح عليه وربما خرج هو بنفسه فيها وربما رعيت له وكان يحلب للحي أغنامهم فلما بويع بالخلافة قالت جارية منهم الآن لا يحلب لنا منائح دارنا فسمعها فقال بلى لعمري لأحلبنها لكم واني لأرجو ان لا يغيرني ما دخلت فيه فكان يحلب لهم ثم تحول الى المدينة بعد ستة أشهر من خلافته وقال ما تصلح أمور الناس مع التجارة وما يصلح الا التفرغ لهم والنظر في شأنهم فترك التجارة وأنفق من مال المسلمين ما يصلحه وعياله يوما بيوم ويحج ويعتمر فكان الذي فرضوا له في كل سنة ستة آلاف درهم وقيل فرضوا له ما يكفيه فلما حضرته الوفاة أوصى ان تباع أرض له ويصرف ثمنها عوض ما أخذه من مال المسلمين وكان أول وال فرض له رعيته نفقته وأول خليفة ولي وأبوه حي وأول من سمى مصحف القرآن مصحفا وأول من سمي خليفة (زنيرة بكسر الزاي والنون مشددة وعبيس بضم العين المهملة وبالباء الموحدة المفتوحة ثم بالياء المثناة من تحت وبالسين المهملة ومنية بالنون الساكنة والياء تحتها نقطتان)

﴿ذكر استخلافه عمر بن الخطاب﴾

لما نزل بابي بكر رضي الله عنه الموت دعا عبد الرحمن بن عوف فقال أخبرني عن عمر فقال انه أفضل من رأيك الا انه فيه غلظة فقال أبو بكر ذلك لانه يراني رقيقا ولو أفضى الامر اليه لترك كثيرا مما هو عليه وقد رمقته فكنت اذا غضبت على رجل أراني الرضا عنه واذا لنت له أراني الشدة عليه ودعا عثمان بن عفان وقال له أخبرني عن عمر فقال سريرته خير من علانيته وليس فينا مثله فقال أبو بكر لهما لا تذكرا مما قلت لكما شيأ ولو تركته ما عدوت عثمان والخيرة له ان لا يلي من أموركم شيأ ولوددت اني كنت من أموركم خلوا وكنت فيمن مضى من سلفكم ودخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر فقال استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه وكيف به اذا خلا بهم وأنت لاق ربك فسائلك عن رعيتك فقال أبو بكر أجلسوني فأجلسوه فقال أبالله تخوفني * اذا لقيت ربي فسألني قلت استخلفت على أهلك خير اهلك ثم ان أبا بكر احضر عثمان بن عفان خاليا ليكتب عهد عمر فقال له اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة الى المسلمين أما بعد ثم أغمي عليه فكتب عثمان اما بعد فاني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرا ثم افاق أبو بكر فقال اقرأ علي فقرأ عليه فكبر أبو بكر وقال أراك خفت ان يختلف الناس ان مت في غشيتي قال نعم قال جزاك الله خيرا عن الاسلام واهله فلما كتب العهد أمر به ان يقرأ على الناس فجمعهم وأرسل الكتاب مع مولى له ومعه عمر فكان عمر يقول للناس أنصتوا واسمعوا لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يألكم نصحا فسكن الناس فلما قرئ عليهم الكتاب سمعوا وأطاعوا وكان ابو بكر اشرف على الناس وقال أترضون بمن استخلفت عليكم فاني ما استخلفت عليكم ذا قرابة واني قد استخلفت عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا فاني والله ما ألوت من جهد الرأي فقالوا سمعنا وأطعنا ثم احضر أبو بكر عمر فقال له اني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصاه بتقوى الله ثم قال يا عمر ان لله حقا بالليل لا يقبله في النهار وحقا في النهار لا يقبله بالليل وانه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ألم تر يا عمر انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه غدا الا الحق أن يكون ثقيلا ألم تر يا عمر

بلاد خراسان عشرين سنة وذلك لسبع سنين ونصف خلت من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وفي سنة احدى وثلاثين من الهجرة وقيل غير ذلك في مقدار ملكه وخبر مقتله (قال المسعودي) وذهب الاكثر من الناس ممن عني باخبار الفرس وايامهم الى ان جميع من ملك من آل ساسان ابن اردشير بن بابك الى يزدجرد ابن شهريار من الرجال والنساء ثلاثون ملكا امرأتان وثمانية وعشرون رجلا ووجدت في بعض التواريخ ان عدد ملوك الساسانية اثنان وثلاثون ملكا وعدد الملوك الأول وهم الفرس الاول من كيومرث الى دارا بن دارا تسعة عشر ملكا منهم امراة وهي جمانة بنت بهمن وافراسياب التركي وسبعة عشر رجلا وعدد ملوك الطوائف الذين قدمنا ذكرهم في مقتل دارا بن دارا الى ان ظهر اردشير بن بابك أحد عشر ملكا وهم ملوك الشعن والران ومن اجلهم سمي سابور ملوك الطوائف الاشعان لجميع الملوك من كيومرث بن آدم وهو أول ملوك بني آدم على ما ذكرت الفرس الى يزدجرد ابن شهريار بن كسرى ستون ملكا منهم ثلاث نسوة وعدة ما ملكوا من السنين اربعة آلاف سنة واربعمائة سنة وخمسون سنة وقيل ان عدة الملوك من كيومرث الى يزدجرد

انما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان
ان لا يوضع فيه الا باطل ان يكون خفيفا ألم تر يا عمر انما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة
مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغبا راهبا لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له ولا يرهب رهبة
يلقى فيها بيديه ألم تر يا عمر انما ذكر الله أهل النار باسوإ اعمالهم فاذا ذكرتهم قلت انى لارجو ان
لا أكون منهم وانه انما ذكر أهل الجنة باحسن اعمالهم لانه تجاوز لهم عما كان من سيئ فاذا ذكرتهم
قلت أين عملى من أعمالهم فان حفظت وصيتى فلا يكونن غائب أحب اليك من حاضر من الموت
ولست بمعجزه وتوفى أبو بكر فلما دفن صعد عمر بن الخطاب فخطب الناس ثم قال انما مثل العرب
مثل جمل آنف اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده وأما انا فورب الكعبة لاحملنكم على
الطريق وكان أول كتاب كتبه الى أبى عبيدة بن الجراح بتولية جند خالد وبعزل خالد لانه كان
عليه ساخطا فى خلافة أبى بكر كلها لوقعته بابن نويرة وما كان يعمل فى حربه وأول ما تكلم به عزل
خالد وقال لا يلى لى عملا أبدا وكتب الى أبى عبيدة ان أكذب خالد نفسه فهو الامير على ما كان
عليه وان لم يكذب نفسه فانت الامير على ما هو عليه وانزع عمامته عن رأسه وقاسمه ماله فذكر ذلك
لخالد فاستشار اخته فاطمة وكانت عند الحرث بن هشام فقالت لا والله لا يحبك عمر أبدا وما يريد
الا ان تكذب نفسك ثم ينزعك فقبل رأسها وقال صدقت فابى ان يكذب نفسه فامر أبو عبيدة فنزع
عمامة خالد وقاسمه ماله ثم قدم خالد على عمر بالمدينة وقيل بل هو أقام بالشأم مع المسلمين وهو أصح

﴿ذكر فتح دمشق﴾

قيل ولما هزم الله أهل اليرموك استخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب الحميرى وسار حتى
نزل بالصفر فاتاه الخبر ان المنهزمين اجتمعوا بفحل واتاه الخبر أيضا بان المدد قد أتى أهل دمشق
من حمص فكتب الى عمر فى ذلك فاجابه عمر يأمره بان يبدأ بدمشق فانها حصن الشام وبيت
ملكهم وان يشغل أهل فحل بخيل تكون بازائهم واذا فتح دمشق سار الى فحل فاذا فتحت عليهم
سار هو وخالد الى حمص وترك شرحبيل بن حسنة وعمرا بالاردن وفلسطين فارسل أبو عبيدة الى
فحل طائفة من المسلمين فنزلوا قريبا منها وبثق الروم الماء حول فحل فوحلت الارض فنزل عليهم
المسلمون فكان اول محصور بالشام اهل فحل ثم اهل دمشق وبعث أبو عبيدة جندا فنزلوا بين
حمص ودمشق وأرسل جندا آخر فكانوا بين دمشق وفلسطين وسار ابو عبيدة وخالد فقدموا على
دمشق وعليها نسطاس فنزل أبو عبيدة على ناحية وخالد على ناحية وعمرو على ناحية وكان هرقل
قريب حمص فحصرهم المسلمون سبعين ليلة حصارا شديدا وقاتلوهم بالزحف والمجانيق وجاءت
خيول هرقل مغيثة دمشق فمنعتها خيول المسلمين التى عند حمص فخذل أهل دمشق وطمع فيهم
المسلمون وولد للبطريق الذى على أهلها مولود فصنع طعاما فاكل القوم وشربوا وتركوا مواقفهم
ولا يعلم بذلك احد من المسلمين الا ما كان من خالد فانه كان لا ينام ولا ينيم ولا يخفى عليه من
امورهم شئ وكان قد اتخذ حبالا كهيئة السلالم وأوهاقا فلما أمسى ذلك اليوم نهض هو ومن
معه من جنده الذين قدم عليهم وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومذعور بن عدى وامثاله وقالوا
اذا سمعتم تكبيرا على السور فارقوا الينا واقصدوا الباب فلما وصل هو واصحابه الى السور ألقوا
الحبال فعلق بالشرف منها حبلان فصعد فيهما القعقاع ومذعور واثبتا الحبال بالشرف وكان ذلك
المكان احصن موضع بدمشق واكثره ماء فصعد المسلمون ثم انحدر خالد واصحابه وترك بذلك
المكان من يحميه وامرهم بالتكبير فكبروا فاتاهم المسلمون الى الباب والى الحبال وانتهى خالد

ثمانون ملكا ورأيت جماعة
من الاخباريين وأصحاب
السير وارباب الكتب المصنفة
فى التواريخ وغيرها يذهبون
الى ان سنى الفرس الى الهجرة
ثلاثة آلاف سنة وستمائة
وتسعون سنة منها من كيومرث
الى انتقال الملك الى منوشهر
الف وتسعمائة واثنتان
وعشرون سنة ومن منوشهر
الى زرادشت خمسمائة وثلاث
وثمانون سنة ومن زرادشت
الى الاسكندر مائتان وثمان
وخمسون سنة وملك الاسكندر
خمس سنين ومن اسكندر الى
ملك اردشير خمسمائة سنة
وسبع عشرة سنة ومن اردشير
الى الهجرة اربعمائة سنة
وسنذكر فيما يرد من هذا
الكتاب جملا من تاريخ العالم
والانبياء والملوك فى باب نفرده
لذلك فى الموضع المستحق له من
هذا الكتاب دون ذكر الهجرة
وخلافة ابى بكر ومن تلا عصره
من الخلفاء ومن ملوك بنى امية
وبنى العباس لانا قد افردنا لما
ذكرنا بابا آخر فيما يرد من هذا
الكتاب بعد انقضاء أخبار
الامويين والعباسيين ترجمناه
بذكر التاريخ الثانى وكانت
الفرس من بدء الدهر أربعة
اجناس الى ان جاء الله تعالى
بالاسلام فالصنف الاول يقال
له الفداهان وهم الارباب كما
يقال رب المتاع ورب الدار
وذلك من كيومرث الى
افريدون هم كيان من

الى من يليه فقتلهم وقصد الباب فقتل البوّابين وثار أهل المدينة لا يدرون ما الحال وتشاغل أهل كل ناحية بما يليهم وفتح خالد الباب وقتل كل من عنده من الروم فلما رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة وبذلوا له الصلح فقبل منهم وفتحوا له الباب وقالوا له ادخل وامنعنا من أهل ذلك الجانب ودخل أهل كل باب بصلح مما يليهم ودخل خالد عنوة فالتقى خالد والقواد في وسطها هذا قتلا ونهبا وهذا صفحا وتسكينا فأجروا ناحية خالد مجرى الصلح وكان صلحهم على المقاسمة وقسموا معهم للجنود التي عند فحل وعند حمص وغيرهم ممن هو رده للمسلمين وأرسل أبو عبيدة الى عمر بالفتح فوصل كتاب عمر الى أبي عبيدة يأمره بارسال جند العراق نحو العراق الى سعد بن أبي وقاص فأرسلهم وأمّر عليهم هاشم بن عتبة المرقال وكانوا قد قتل منهم فأرسل أبو عبيدة عوض من قتل وكان ممن أرسل الاشتر وغيره وسار أبو عبيدة الى فحل

﴿ذكر غزوة فحل﴾

فلما فتحت دمشق سار أبو عبيدة الى فحل واستخلف على دمشق يزيد بن أبي سفيان وبعث خالدا على المقدمة وعلى الناس شرحبيل بن حسنة وكان على المجنبتين أبو عبيدة وعمرو بن العاص وعلى الخيل ضرار بن الازور وعلى الرجال عياض بن غنم وكان أهل فحل قد قصدوا بيسان فهم بها فنزل شرحبيل بالناس فحلا وبينهم وبين الروم تلك المياه والاوحال وكتبوا الى عمر وكانت العرب تسمي تلك الغزاة ذات الردغة وبيسان وفحل وأقام الناس ينتظرون كتاب عمر فاغترهم الروم فخرجوا وعليهم سقلار بن مخراق فأتوهم والمسلمون حذرون وكان شرحبيل لا يبيت ولا يصبح الا على تعبية فلما هجموا على المسلمين لم يناظروهم فاقتتلوا أشد قتال كان لهم ليلتهم ويومهم الى الليل وأظلم الليل عليهم وقد حاروا فانهزم الروم وهم حيارى وقد أصيب رئيسهم سقلار والذي يليه نسطوس وظفر المسلمون بهم وركبوهم ولم تعرف الروم مأخذهم فانتهت بهم الهزيمة الى الوحل فركبوه ولحقهم المسلمون فأخذوهم ولا يمنعون يد لامس فوخزوهم بالرماح فكانت الهزيمة بفحل والقتل بالرداغ فأصيب الروم وهم ثمانون ألفا لم يفلت منهم الا الشريد وقد كان الله يصنع للمسلمين وهم كارهون كرهوا البثوق والوحل فكانت عونا لهم على عدوّهم وغنموا أموالهم فاقتسموها وانصرف أبو عبيدة بخالد ومن معه الى حمص وممن قتل في هذه الحرب السائب بن الحرث بن قيس بن عدي السهمي له صحبة (فحل بكسر الفاء وسكون الحاء المهملة وآخره لام)

﴿ذكر فتح بلاد ساحل دمشق﴾

لما استخلف أبو عبيدة يزيد بن أبي سفيان على دمشق وسار الى فحل سار يزيد الى مدينة صيدا وعرقة وجبيل وبيروت وهي سواحل دمشق على مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحا يسيرا وجلا كثيرا من أهلها وتولى فتح عرقة معاوية بنفسه في ولاية يزيد ثم ان الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر وأوّل خلافة عثمان فقصدهم معاوية ففتحها ثم رمّها وشحنها بالمقاتلة وأعطاهم القطائع ولما ولي عثمان الخلافة وجمع لمعاوية الشام وجه معاوية سفيان بن مجيب الازدي الى طرابلس وهي ثلاث مدن مجتمعة ثم بنى في مرج على أميال منها حصنا سمي حصن سفيان وقطع المادّة عن أهلها من البر والبحر وحاصرهم فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة وكتبوا الى ملك الروم يسألونه ان يمدّهم أو يبعث اليهم بمراكب يهربون فيها الى بلاد الروم فوجه اليهم بمراكب كثيرة فركبوا فيها ليلا وهربوا فلما أصبح سفيان وكان يبيت هو والمسلمون في حصنه ثم يغدو على العدوّ فوجد الحصن خاليا فدخله وكتب بالفتح

افريدون الى دارا بن دارا وهم الاشغان وهم ملوك الطوائف بعد الاسكندر على ما ذكرنا في باب ذكر ملوك الطوائف ثم الساسانية وهم الفرس الثانية وقد ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه في اخبار الفرس الذي رواه عن كسرى ان الفرس طبقات اربع ممن سلف وخلف فالطبقة الاولى من كيومرث الى كوشتاسب والطبقة الثانية كيان من كيقباد الى الاسكندر بن فيلبش وآخرهم دارا والطبقة الثالثة وهم الاشغانية ملوك الطوائف والطبقة الرابعة سماهم ملوك الاجتماع وهم الساسانية اولهم اردشير بن بابك ثم سابور ثم اردشير هرمز نرسي بن هرمز هرمز بن نرسي سابور بن هرمز اردشير بن هرمز سابور بن اردشير سابور بن سابور بهرام ابن سابور يزدجرد بن بهرام بهرام ابن يزدجرد فيروز بن يزدجرد بلاش بن يزدجرد قباد بن فيروز انوشروان بن هرمز ابرويز شيرويه اردشير شهربراز بوران كسرى بن قباد فيروز خشنس آذرمي دخت فرخ زاد خسرو يزدجرد وانما ذكرنا هؤلاء بعد ان قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب للخلاف الواقع وتباين الروايات والتواريخ في أعدادهم وأسمائهم فاوردنا ما قاله المتنازعون من الاخباريين وقد أتينا على أخبارهم وسيرهم وسياستهم

الى معاوية فاسكنه معاوية جماعة كثيرة من اليهود وهو الذى فيه الميناء اليوم ثم بناه عبد الملك بن مروان وحصنه ثم نقض أهله ايام عبد الملك ففتحه ابنه الوليد فى زمانه

﴿ذكر فتح بيسان وطبرية﴾

لما قصد أبو عبيدة حمص من فحل أرسل شرحبيل ومن معه الى بيسان فقاتلوا أهلها فقتلوا منهم خلقا كثيرا ثم صالحهم من بقى على صلح دمشق فقبل ذلك منهم وكان أبو عبيدة قد بعث بالاعور الى طبرية يحاصرها فصالحه أهلها على صلح دمشق أيضا وان يشاطروا المسلمين المنازل فنزلها القواد وخيولها وكتبوا بالفتح الى عمر قال أبو جعفر وقد اختلفوا فى أى هذه الغزوات كان قبل الاخرى فقيل ما ذكرنا وقيل ان المسلمين لما فرغوا من اجنادين اجتمع المنهزمون بفحل فقصدها المسلمون فظفروا بها ثم لحق المنهزمون من فحل بدمشق فقصدها المسلمون فحاصروها وفتحوها وقدم كتاب عمر بن الخطاب بعزل خالد وولاية أبى عبيدة وهم محاصرون دمشق فلم يعرفه أبو عبيدة ذلك حتى فرغوا من صلح دمشق وكتب الكتاب باسم خالد وأظهر أبو عبيدة بعد ذلك عزله وكانت فحل فى ذى القعدة سنة ثلاث عشرة وفتح دمشق فى رجب سنة أربع عشرة وقيل ان وقعة اليرموك كانت سنة خمس عشرة ولم تكن للروم بعدها وقعة وانما اختلفوا للقرب بعض ذلك من بعض

﴿ذكر خبر المثنى بن حارثة وأبى عبيدة بن مسعود﴾

قد ذكرنا قدوم المثنى بن حارثة الشيبانى من العراق على أبى بكر ووصية أبى بكر عمر بالمبادرة الى ارسال الجيوش معه فلما أصبح عمر من الليلة التى مات فيها أبو بكر كان أوّل ما عمل ان ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيبانى ثم بايع الناس ثم ندب الناس وهو يبايعهم ثلاثا ولا ينتدب أحد الى فارس وكانوا أثقل الوجوه على المسلمين واكرهها اليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم وقهرهم الامم فلما كان اليوم الرابع ندب الناس الى العراق فكان أوّل منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفى وهو والد المختار وسعد بن عبيد الانصارى وسليط بن قيس وهو ممن شهد بدرا وتتابع الناس وتكلم المثنى بن حارثة فقال أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه فانا قد فتحنا ريف فارس وغلبناهم على خير شقى السواد ونلنا منهم واجترأنا عليهم ولنا ان شاء الله ما بعدها فاجتمع الناس فقيل لعمر أمّر عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين أو الانصار قال لا والله لا أفعل انما رفعهم الله تعالى بسبقهم ومسارعتهم الى العدوّ فاذا فعل فعلهم قوم وتثاقلوا كان الذين ينفرون خفافا وثقالا ويسبقون الى الرفع أولى بالرياسة منهم والله لا أومّر عليهم الا أولهم انتدابا ثم دعا أبا عبيد وسعدا وسليطا وقال لهما لو سبقتماه لوليتكما ولادركتما بها الى ما لكما من السابقة فأمّر أبا عبيد وقال له اسمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واشركهم فى الامر ولم يمنعنى ان أومّر سليطا الا سرعته الى الحرب وفى التسرع الى الحرب ضياع الاعراب فانه لا يصلحها الا الرجل المكيث وأوصاه بجنده فكان بعث أبى عبيد أوّل جيش سيره عمر ثم بعده سير يعلى بن منية الى اليمن وأمره بجلاء أهل نجران بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لا يجتمع بجزيرة العرب دينان

﴿ذكر خبر النمارق﴾

فسار أبو عبيد الثقفى وسعد بن عبيد وسليط بن قيس الانصاريان والمثنى بن حارثة الشيبانى أحد بنى هند من المدينة وأمر عمر المثنى بالتقدم الى ان يقدم عليه أصحابه وأمرهم باستنفار من حسن اسلامه من أهل الردة ففعلوا ذلك وسار المثنى فقدم الحيرة وكانت الفرس تشاغلت عن المسلمين

وعهودهم ومكاتباتهم وتوقيعاتهم وكلامهم عند عقد التيجان على رؤسهم ورسائلهم وسائر ما كان من الحوادث فى أعصارهم وما كوروه من الكور واحدثوه من المدن وغير ذلك من أحوالهم فيما سلف من كتبنا وانما نذكر فى هذا الكتاب جوامع من تاريخهم واعداد ملوكهم ولمع من بعض أخبارهم وكذلك ذكرنا فى كتابنا فى أخبار الزمان خطب الطبقات الاربع وما حفر كل ملك منهم من الانهار وانفرد ببنائه من المدن وآراء الملوك واحكامها وكثير من قضاياها فى خواصها وعوامها وانساب أصحاب خيل الملك ومن كان على خيل كل ملك منهم فى الحروب وانساب حكامهم وزهادهم ممن اشتهر بذلك فى اعصارهم وانساب المرازبة وذكر أولاد الطبقات الاربع ممن تقدم ذكرهم وتشعب أنسابهم وتفرق اعقابهم ووصفنا الابيات الثلاثة التى شرفها كسرى على سائر من بسواد العراق وهم مشهورون فى أهل السواد الى وقتنا هذا واشرف السواد بعد هذه الابيات الثلاثة من السهارجة الذين شرفهم ابرج وجعلهم اشراف السواد ثم الطبقة الثانية بعد السهارجة هم الدهاقين وهم ولد وهكرت بن فردال بن بابك بن مرس بن

بموت شهريران حتى اصطلحوا على سابور بن شهريار بن اردشير فثارت به آزرميدخت فقتلته وقتلت الفرخزاد وملكت بوران وكانت عدلا بين الناس حتى يصطلحوا فارسلت الى رستم بن الفرخزاد بالخبر وتحثه على السير وكان على فرج خراسان فاقبل لا يلقى جيشا لآزرميدخت الا هزمه حتى دخل المدائن فاقتتلوا وهزم سياوخش وحصره وآزرميدخت بالمدائن ثم افتتحها رستم وقتل سياوخش وفقأ عين آزرميدخت ونصب بوران على ان تملكه عشر سنين ثم يكون الملك في آل كسرى ان وجدوا من غلمانهم أحدا والا ففي نسائهم ودعت مرازبة فارس وأمرتهم ان يسمعوا له ويطيعوا وتوجته فدانت له فارس قبل قدوم أبي عبيد وكان منجما حسن المعرفة به وبالحوادث فقال له بعضهم ما حملك على هذا الامر وأنت ترى ما أرى قال حب الشرف والطمع ثم قدم المثنى الى الحيرة في عشر وقدم أبو عبيد بعده بشهر فكتب رستم الى الدهاقين ان يثوروا بالمسلمين وبعث في كل رستاق رجلا يثور باهله فبعث جابان الى فرات بادقلى وبعث نرسي الى كسكر ووعدهم يوما وبعث جندا لمصادمة المثنى وبلغ المثنى الخبر فحذر وعجل جابان ونزل النمارق وثاروا وتوالوا على الخروج وخرج أهل الرساتيق من أعلى الفرات الى أسفله وخرج المثنى من الحيرة فنزل خفان لئلا يؤتى من خلفه بشئ يكرهه وأقام حتى قدم عليه أبو عبيد فلما قدم لبث أياما يستريح هو وأصحابه واجتمع الى جابان بشر كثير فنزل النمارق وسار اليه أبو عبيد فجعل المثنى على الخيل وكان على مجنبتي جابان جشنس ماه ومردانشاه فاقتتلوا بالنمارق قتالا شديدا فهزم الله أهل فارس وأسر جابان أسره مطر بن فضة التيمي وأسر مردانشاه اسره أكتل ابن شماخ العكلي فقتله وأما جابان فانه خدع مطرا وقال له هل لك ان تؤمنني وأعطيك غلامين أمردين خفيفين في عملك وكذا وكذا ففعل فخلى عنه فأخذه المسلمون وأتوا به أبا عبيد وأخبروه انه جابان وأشاروا عليه بقتله فقال اني أخاف الله ان أقتله وقد آمنه رجل مسلم والمسلمون كالجسد الواحد ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم وتركوه وأرسل في طلب المنهزمين حتى أدخلوهم عسكر نرسي وقتلوا منهم (اكتل بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح التاء المثناة باثنتين من فوقها وفي آخره لام)

﴿ذكر وقعة السقاطية بكسكر﴾

ولحق المنهزمون بكسكر ونرسي وهو ابن خالة الملك وكان له النرسيان وهو نوع من التمر يحميه لا يأكله الا ملك الفرس أو من أكرموه بشئ منه ولا يغرسه غيرهم واجتمع الى نرسي الفالّة وهو في عسكره فسار أبو عبيد اليهم من النمارق فنزل على نرسي بكسكر وكان المثنى في تعبيته التي قاتل فيها بالنمارق وكان على مجنبتي نرسي بندويه وتيرويه ابنا بسطام خال الملك ومعه أهل باروسما والزوابي ولما بلغ الخبر بوران ورستم بهزيمة جابان بعثا الجالينوس الى نرسي فلحقه قبل الحرب فعاجلهم أبو عبيد فالتقوا أسفل من كسكر بمكان يدعى السقاطية فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزمت فارس وهرب نرسي وغلب المسلمون على عسكره وأرضه وجمعوا الغنائم فرأى أبو عبيد من الاطعمة شيئا كثيرا فنفله من حوله من العرب وأخذوا النرسيان فاطعموه الفلاحين وبعثوا بخمسه الى عمر وكتبوا اليه ان الله أطعمنا مطاعم كانت الاكاسرة تحميها وأحببنا ان تروها ولتشكروا انعام الله وافضاله وأقام أبو عبيد وبعث أبو عبيد المثنى الى باروسما وبعث والقا الى الزوابي وعاصما الى نهر جور فهزموا من كان تجمع وأخربوا وسبوا أهل زندورد وغيرها وبذل لهم فروخ وفراونداد عن أهل باروسما والزوابي وكسكر الجزاء معجلا فاجابوا الى ذلك وصاروا صلحا وجاء فروخ وفراونداد الى أبي عبيد بانواع الطعام

عشر بنين فأبناء هؤلاء العشرة هم الدهاقين وكان وهكرت أول من تدهقن والدهاقين تتفرع على مراتب خمس ومن ذكرنا كانت ملابسهم تختلف على قدر مراتبهم وقتل يزدجرد الآخر من ملوكهم على حسب ما ذكرنا وله خمس وثلاثون سنة وخلف من الولد بهرام وفيروز ومن النساء ادرك وسها ومرداوند وأكثر عقبه بمرو والاكثر من ابناء الملوك واعقاب الطبقات الاربع بسواد العراق الى الآن يتدارسون انسابهم ويحفظون احسابهم كحفظ العرب من قحطان ونزار ولا خلاف فيما ذكرنا عند ذوي الدراية كما وصفنا ﴿قال المسعودي﴾ فاذ قد ذكرنا جوامع من اخبار الفرس وطبقاتهم فلنذكر الآن ملوك اليونانيين ولمعا من اخبارهم وتنازع الناس في بدء انسابهم على الاختصار والايجاز والله ولي التوفيق برحمته ورضوانه

﴿ذكر ملوك اليونانيين ولمع من أخبارهم وما قاله الناس في بدء انسابهم﴾

﴿قال المسعودي﴾ تنازع الناس في فرق اليونانيين فذهب طائفة من الناس الى انهم ينتمون الى الروم ويضافون الى ولد اسحق وقالت طائفة أخرى ان يونان هو ابن يافث بن نوح وذهب

والاخبصة وغيرها فقال هل أكرمتم الجند بمثلها فقالوا لم يتيسر ونحن فاعلون وكانوا يتربصون قدوم الجالينوس فقال أبو عبيد لا حاجة لنا فيه بئس المرء أبو عبيد ان صحب قوما من بلادهم استأثر عليهم بشيء ولا والله لا آكل مما أتيتم به ولا مما أفاء الله الامثل ما يأكل أوساطهم فلما انهزم الجالينوس أتوه بالاطعمة أيضا فقال ما آكل هذا دون المسلمين فقالوا له ليس من أصحابك أحد الا وقد أتى بمثل هذا فأكل حينئذ

﴿ذكر وقعة الجالينوس﴾

ولما بعث رستم الجالينوس أمره أن يبدأ بنرسي ثم يقاتل أبا عبيد فبادره أبو عبيد الى نرسي فهزمه وجاء الجالينوس فنزل بباقسيا ثامن بارو سما فسار اليه أبو عبيد وهو على تعبيته فالتقوا بها فهزمهم المسلمون وهرب الجالينوس وغلب أبو عبيد على تلك البلاد ثم ارتحل حتى قدم الحيرة وكان عمر قد قال له انك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية تقدم على قوم تجرؤا على الشر فعلموه وتناسوا الخير فجهلوه فانظر كيف تكون وأحرز لسانك ولا تفشين سرك فان صاحب السر ما ضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه واذا ضيعه كان بمضيعة

﴿ذكر وقعة قس الناطف ويقال لها الجسر ويقال المروحة وقتل أبي عبيد بن مسعود﴾

ولما رجع الجالينوس الى رستم منهزما ومن معه من جنده قال رستم أي العجم أشد على العرب قال بهمن جاذويه المعروف بذي الحاجب وانما قيل له ذا الحاجب لانه كان يعصب حاجبيه بعصابة ليرفعهما كبرا فوجهه ومعه فيلة ورد الجالينوس معه وقال له ان انهزم الجالينوس ثانية فاضرب عنقه فاقبل بهمن جاذويه ومعه درفش كابيان راية كسرى وكانت من جلود النمر عرض ثماني أذرع وطول اثني عشر ذراعا فنزل بقس الناطف وأقبل أبو عبيد فنزل بالمروحة فرأت دومة امرأته أم المختار ابنه ان رجلا نزل من السماء باناء فيه شراب فشرب أبو عبيد ومعه نفر فاخبرت بها أبا عبيد فقال لهذه ان شاء الله الشهادة وعهد الى الناس فقال ان قتلت فعلى الناس فلان فان قتل فعليهم فلان حتى أمر الذين شربوا من الاناء ثم قال فان قتل فعلى الناس المثنى وبعث اليه بهمن جاذويه اما ان تعبر الينا وندعكم والعبور واما ان تدعونا نعبر اليكم فنهاه الناس عن العبور ونهاه سليط أيضا فلج وترك الرأي وقال لا يكونوا أجرأ على الموت منا فعبر اليهم على جسر عقده ابن صلوبا للفريقين وضاقت الارض باهلها واقتتلوا فلما نظرت الخيول الى الفيلة والخيل عليها التجافيف رأت شيأ منكرا لم تكن رأت مثله فلم تقدم عليهم واذا حملت الفرس على المسلمين بالفيلة والجلاجل فرقت خيولهم وكراديسهم ورموهم بالنشاب واشتد الامر بالمسلمين فترجل أبو عبيد والناس ثم مشوا اليهم ثم صافحوهم بالسيوف فجعلت الفيلة لا تحمل على جماعة الا دفعتهم فنادى أبو عبيد احتوشوا الفيلة واقطعوا بطانها واقلبوا عنها أهلها اوثب هو على الفيل الابيض فقطع بطانه ووقع الذين عليه وفعل القوم مثل ذلك فما تركوا فيلا الا حطوا رحله وقتلوا أصحابه واهوى الفيل لابي عبيد فضربه أبو عبيد بالسيف وخبطه الفيل بيده فوقع فوطئه الفيل وقام عليه فلما بصر به الناس تحت الفيل خشعت أنفس بعضهم ثم أخذ اللواء الذي أمره بعده فقاتل الفيل حتى تنحى عن أبي عبيد فاخذه المسلمون فاحرزوه ثم قتل الفيل الامير الذي بعد أبي عبيد وتتابع سبعة أنفس من ثقيف كلهم يأخذ اللواء ويقاتل حتى يموت ثم أخذ اللواء المثنى فهرب عنه الناس فلما رأى عبد الله بن مرثد الثقفي ما لقي أبو عبيد وخلفاؤه وما يصنع الناس بادرهم الى الجسر فقطعه وقال يا أيها الناس موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا وحاز

المشركون

قوم الى انهم من ولد اوراس ابن ياوان بن يافث بن نوح وذهب قوم الى انهم قبيل متقدم في الزمان الاول وانما وهم من وهم ان اليونانيين ينتسبون الى حيث تنسب الروم وينتمون الى جدهم ابراهيم لان الديار كانت مشتركة والمقاطع والمواطن كانت متساوية وكان القوم قد شاركوا القوم في الصحبة والمذهب فلذلك غلط من غلط في النسبة وجعل الاب واحدا وهذا طريق الصواب عند المفتشين وسبيل البحث عند الباحثين والروم قفت في لغتها ووضع كتبها اليونانيين فلم يصلوا الى كنه فصاحتهم وطلاقة السنتهم والروم انقص في اللسان من اليونانيين واضعف في ترتيب الكلام الذي عليه نهج تعبيرهم وسنن خطابهم ﴿قال المسعودي﴾ وقد ذكر أن يونان أخو قحطان وانه من ولد عابر بن شالخ وأن أمره في الانفصال عن دار أخيه كان سبب الشك في الشركة في النسب وانه خرج عن أرض اليمن في جماعة من ولده واهله ومن انضاف الى جملته حتى وافى اقاصي بلاد المغرب فاقام هنالك وانسل في تلك الديار واستعجم لسانه ووازى من كان هنالك في اللغة الاعجمية من الافرنجية والروم فزالت نسبته وانقطع نسبه وصار منسيا في ديار اليمن غير معروف عند

المشركون المسلمين الى الجسر فتواثب بعضهم الى الفرات فغرق من لم يصبر وأسرعوا فيمن صبر وحمى المثنى وفرسان من المسلمين الناس وقال أنا دونكم فاعبروا على هينتكم ولا تدهشوا ولا تغرقوا أنفسكم وقاتل عروة بن زيد الخيل قتالا شديدا وأبو محجن الثقفي وقاتل أبو زبيد الطائي حمية للعربية وكان نصرانيا قدم الحيرة لبعض أمره ونادى المثنى من عبر نجا فجاء العلوج فعقدوا الجسر وعبروا الناس وكان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس وعبر المثنى وحمى جانبه فلما عبر ارفض عنه أهل المدينة وبقي المثنى في قلة وكان قد جرح وأثبت فيه حلق من درعه وأخبر عمر عمن سار في البلاد من الهزيمة استحياء فاشتد عليه وقال اللهم ان كل مسلم في حل مني أنا فئة كل مسلم يرحم الله أبا عبيد لو كان انحاز الى لكنت له فئة وهلك من المسلمين أربعة آلاف بين قتيل وغريق وهرب ألفان وبقي ثلاثة آلاف وقتل من الفرس ستة آلاف وأراد بهمن جاذويه العبور خلف المسلمين فأتاه الخبر باختلاف الفرس وانهم قد ثاروا برستم ونقضوا الذي بينهم وبينه وصاروا فريقين الفهلوج على رستم وأهل فارس على الفيرزان فرجع الى المدائن وكانت هذه الوقعة في شعبان وكان فيمن قتل بالجسر عقبة وعبد الله ابنا قبطي بن قيس وكانا شهدا أحدا وقتل معهما أخوهما عباد ولم يشهد معهما أحدا وقتل أيضا قيس بن السكن بن قيس أبو زيد الانصاري وهو بدري لا عقب له وقتل يزيد بن قيس بن الحطيم الانصاري شهد أحدا وفيها قتل أبو أمية الفزاري له صحبة والحكم بن مسعود أخو أبي عبيد وابنه جبر بن الحكم بن مسعود

﴿ذكر خبر أليس الصغرى﴾

لما عاد ذو الحاجب لم يشعر جابان ومردانشاه بما جاء به من الخبر فخرجا حتى أخذا بالطريق وبلغ المثنى فعلهما فاستخلف على الناس عاصم بن عمرو وخرج في جريدة خيل يريدهما فظنا انه هارب فاعترضاه فأخذهما أسيرين وخرج أهل أليس على أصحابهما فأتوه بهم أسرى وعقد لهم بها ذمة وقتلهما وقتل الاسرى وهرب أبو محجن من أليس ولم يرجع مع المثنى بن حارثة

﴿ذكر وقعة البويب﴾

لما بلغ عمر خبر وقعة أبي عبيد بالجسر ندب الناس الى المثنى وكان فيمن ندب بجيلة وأمرهم الى جرير بن عبد الله لانه كان قد جمعهم من القبائل وكانوا متفرقين فيها فسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يجمعهم فوعده ذلك فلما ولي أبو بكر تقاضاه بما وعده النبي صلى الله عليه وسلم فلم يفعل فلما ولي عمر طلب منه ذلك فكتب الى عماله انه من كان ينسب الى بجيلة في الجاهلية وثبت عليه في الاسلام فأخرجوه الى جرير ففعلوا ذلك فلما اجتمعوا أمرهم عمر بالعراق وأبوا الا الشام فعزم عمر على العراق وينفلهم ربع الخمس فأجابوا وسيرهم الى المثنى بن حارثة وبعث عصمة بن عبد الله الضبي فيمن تبعه الى المثنى وكتب الى أهل الردة فلم يأته أحد الا رمى به المثنى وبعث المثنى الرسل فيمن يليه من العرب فتوافوا اليه في جمع عظيم وكان فيمن جاءه أنس بن هلال النمري في جمع عظيم من النمر نصارى وقالوا نقاتل مع قومنا وبلغ الخبر رستم والفيرزان فبعثا مهران الهمذاني الى الحيرة فسمع المثنى ذلك وهو بين القادسية وخفان فاستبطن فرات بادقلي وكتب الى جرير وعصمة وكل من أتاه ممدا له يعلمهم الخبر ويأمرهم بقصد البويب فهو الموعد فانتهوا الى المثنى وهو بالبويب ومهران بازائه من وراء الفرات فاجتمع المسلمون بالبويب مما يلي الكوفة اليوم وأرسل مهران الى المثنى يقول اما أن تعبر الينا واما أن نعبر اليك فقال المثنى اعبروا فعبر مهران فنزل على شاطئ الفرات وعبى المثنى أصحابه وكان في رمضان فأمرهم بالافطار ليقووا على

النسابين منهم وكان يونان جبارا عظيما وسيما جسيما وكان حسن العقل والخلق جزل الرأي كثير الهمة عظيم القدر وقد كان يعقوب بن اسحق الكندي يذهب في نسب يونان الى ما ذكرنا من أنه أخ لقحطان ويحتج لذلك بأخبار يذكرها في بدء الانساب ونوردها من حديث الآحاد والافراد لا من حديث الاستفاضة والكثرة وقد رد عليه أبو العباس عبد الله ابن محمد الناشي في قصيدة طويلة وذكر خلطه نسب يونان بقحطان على حسب ما ذكرنا آنفا في صدر هذا الباب فقال

أبا يوسف اني نظرت فلم أجد
على الفحص رأيا صح منك ولا عقدا
وصرت حكيما عند قوم اذا امرؤ
بلاهم جميعا لم يجد عندهم عندا
أتقرن الحادا بدين محمد
لقد جئت شيأ يا أخا كندة ادّا
وتخلط يونانا بقحطان ضلة
لعمري لقد باعدت بينهما جدّا

ولما نشأ ولد يونان وكبر خرج يسير في الارض يطلب موضعا يسكنه فانتهى الى موضع من المغرب فنزل بمدينة اثينا وهي المعروفة بمدينة الحكماء في ديار المغرب في صدر الزمان وأقام بها هو ومن معه من ولده فكثر نسله بها وبنى بها البنيان العظيم الى أن أدركته الوفاة فجعل وصيته الى الاكبر من ولده واسمه جريتوس فقال له يا بني

عدوّهم فافطروا وكان على مجنبتى المثنى بشير بن الخصاصية وبسر بن أبى رهم وعلى مجردته المعنى أخوه وعلى الرجل مسعود أخوه وعلى الردء مذعور وكان على مجنبتى مهران بن الازاذبة مرزبان الحيرة ومردانشاه وأقبل الفرس فى ثلاثة صفوف مع كل صف فيل ورجالهم أمام فيلهم ولهم زجل فقال المثنى للمسلمين ان الذى تسمعون فشل فالزموا الصمت ودنوا من المسلمين وطاف المثنى فى صفوفه يعهد اليهم وهو على فرسه الشموس وانما سمى بذلك للينه وكان لا يركبه الا اذا قاتل فوقف على الرايات يحرضهم ويهزهم ولكلهم يقول انى لارجو ان لا يؤتى الناس من قبلكم اليوم والله ما يسرنى اليوم لنفسى شئ الا وهو يسرنى لعامتكم فيجيبونه بمثل ذلك وأنصفهم من نفسه فى القول والفعل وخلط الناس فى المحبوب والمكروه فلم يقدر أحد أن يعيب له قولا ولا فعلا وقال انى مكبر ثلاثا فهيؤا ثم احملوا فى الرابعة فلما كبر أوّل تكبيرة اعجلتهم فارس وخالطوهم وركدت خيلهم وحربهم مليا فرأى المثنى خللا فى بنى عجل فحمل بعد لحيته لما يرى منهم وأرسل اليهم يقول الامير يقرأ عليكم السلام ويقول لا تفضحوا المسلمين اليوم فقالوا نعم واعتدلوا فضحك فرحا فلما طال القتال واشتد قال المثنى لانس بن هلال النمرى انك امرؤ عربى وان لم تكن على ديننا فاذا حملت على مهران فاحمل معى فاجابه فحمل المثنى على مهران فازاله حتى دخل فى ميمنته ثم خالطوهم واجتمع القلبان وارتفع الغبار والمجنبات تقتل لا يستطيعون ان يفرغوا لنصر أميرهم لا المسلمون ولا المشركون وارتث مسعود أخو المثنى يومئذ وجماعة من اعيان المسلمين فلما أصيب مسعود تضعضع من معه فقال يا معشر بكر ارفعوا رايتكم رفعكم الله ولا يهولنكم مصرعى وكان المثنى قال لهم اذا رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما انتم فيه الزموا مصافكم وأغنوا عمن يليكم وأوجع قلب المسلمين فى قلب المشركين وقتل غلام نصرانى من تغلب مهران واستوى على فرسه فجعل المثنى سلبه لصاحب خيله وكان التغلبى قد جلب خيلا هو وجماعة من تغلب فلما رأوا القتال قاتلوا مع العرب قال وافنى المثنى قلب المشركين والمجنبات بعضها يقاتل بعضا فلما رأوه قد ازال القلب وافنى اهله وثب مجنبات المسلمين على مجنبات المشركين وجعلوا يردون الاعاجم على أدبارهم وجعل المثنى والمسلمون فى القلب يدعون لهم بالنصر ويرسل اليهم من يذمرهم ويقول لهم عاداتكم فى أمثالهم انصروا الله ينصركم حتى هزموا الفرس وسبقهم المثنى الى الجسر وأخذ طريق الاعاجم فافترقوا مصعدين ومنحدرين وأخذتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم وجعلوهم جثثا فما كانت بين المسلمين والفرس وقعة أبقى رمة منها بقيت عظام القتلى دهرا طويلا وكانوا يحزرون القتلى مائة ألف وسمى ذلك اليوم الاعشار أحصى مائة رجل قتل كل رجل منهم عشرة وكان عروة بن زيد الخيل من أصحاب التسعة وغالب الكنانى وعرفجة الازدى من أصحاب التسعة وقتل المشركون فيما بين السكون اليوم وضفة الفرات وتبعهم المسلمون الى الليل ومن الغد الى الليل وندم المثنى على أخذه بالجسر وقال عجزت عجزة وقى الله شرها بمسابقتى اياهم الى الجسر حتى أحرجتهم فلا تعودوا أيها الناس الى مثلها فانها كانت زلة فلا ينبغى احراج من لا يقوى على امتناع ومات اناس من الجرحى منهم مسعود أخو المثنى وخالد بن هلال فصلى عليهم المثنى وقال والله انه ليهوّن وجدى أن صبروا وشهدوا البويب ولم ينكلوا وكان قد أصاب المسلمون غنما ودقيقا وبقرا فبعثوا به الى عيال من قدم من المدينة وهم بالقوادس وأرسل المثنى الخيل فى طلب العجم فبلغوا السيب وغنموا من البقر والسبى وسائر الغنائم شيأ كثيرا فقسمه فيهم ونفل أهل البلاد وأعطى بجيلة ربع الخمس وأرسل الذين تبعوا المنهزمين الى

اني قد وافيت الاجل وقربت من الحتم الواجب وانى راحل عنك ومفارقك ومفارق اخوتك وأهل بيتك وقد كانت أحوالكم حسنة النظام بى وكنت كهفا فى الشدائد وعونا على المحن ومجنا فى الزمان فعليك بالجود فانه قطب الملك ومفتاح السياسة وباب السيادة وكن حريصا على اقتناء الرجال بالانعام عليهم تكن سيدا رشيدا واياك والحيد عن الطريقة المثلى التى عليها بنى العقل فان من ترك رأى اللب وثمرة العقل تورط فى المهالك ووقع فى مقابض المتالف ثم مات يونان واستولى ولده جرينوس على مكان أبيه وضم اليه أهله وولده وغاخيرهم وكثر نسلهم فغلبوا على ديار المغرب من بلاد الافرنجة والتوكير وأجناس الامم من الصقالبة وغيرهم وكان أوّل ملوكهم من سماه بطليوس فى كتابه فيليش وتفسيره محب الفرس وقيل ان اسمه ملبص وقيل فيلفوس وكانت مدة ملكه سبع سنين وقد قيل ان اليونانيين لما ان سار البخت نصر من ديار المشرق نحو الشام ومصر والمغرب وبذل السيف كانوا يؤدون الطاعة ويحملون الخراج الى فارس وكان خراجهم بيضا من ذهب عددا معلوما ووزنا مفهوما وضريبة محصورة فلما أن كان من أمر الاسكندر ابن فيليش وهو الملك الماضى الذى هو أوّل ملوك اليونانيين

المثنى

المثنى يعرفونه سلامتهم وانه لامانع دون القوم ويستأذنونه فى الاقدام فاذن لهم فاغاروا حتى بلغوا ساباط وتحصن أهله منهم واستباحوا القرى ثم مخروا السواد فيما بينهم وبين دجلة لايخافون كيدا ولا يلقون مانعا ورجعت مسالح العجم اليهم وسرهم أن يتركوا ماوراء دجلة (بسر بن أبى رهم بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة)

(ذكر خبر الخنافس وسوق بغداد)

ثم خلف المثنى بالحيرة بشير بن الخصاصية وسار يمخر السواد وأرسل الى ميسان ودست ميسان وأذكى المسالح ونزل أليس قرية من قرى الانبار وهذه الغزوة تدعى غزوة الانبار الآخرة وغزوة أليس الآخرة وجاء الى المثنى رجلان احدهما أنبارى فدله على سوق الخنافس والثانى حيرى دله على بغداد فقال المثنى أيتهما قبل صاحبتها فقالا بينهما مسيرة أيام قال أيهما اعجل قالا سوق الخنافس يجتمع بها تجار مدائن كسرى والسواد وربيعة وقضاعة يخفرونهم فركب المثنى وأغار على الخنافس يوم سوقها وبها خيلان من ربيعة وقضاعة وعلى قضاعة رومانس بن وبرة وعلى ربيعة السليل بن قيس وهم الخفراء فانتهب السوق ومافيها وسلب الخفراء ثم رجع فاتى الانبار فتحصن أهلها منه فلما عرفوه نزلوا اليه وأتوه بالاعلاف والزاد وأخذ منهم الادلاء على سوق بغداد وأظهر لدهقان الانبار أنه يريد المدائن وسار منها الى بغداد ليلا وعبر اليهم وصبحهم فى اسواقهم فوضع السيف فيهم وأخذ ماشاء وقال المثنى لا تأخذوا الا الذهب والفضة والحر من كل شئ ثم عاد راجعا حتى نزل بنهر السالحين بالانبار فسمع أصحابه يقولون ما اسرع القوم فى طلبنا نخطبهم وقال احمدوا الله وسلوه العافية وتناجوا بالبر والتقوى ولا تتناجوا بالاثم والعدوان انظروا فى الامور وقدروها ثم تكلموا انه لم يبلغ النذير مدينتهم بعد ولو بلغهم لحال الرعب بينهم وبين طلبكم ان للغارات روعات تضعف القلوب يوما الى الليل ولو طلبكم المحامون من رأى العين ما أدركوكم وأنتم على الفرات حتى تنتهوا الى عسكركم ولو أدركوكم لقاتلتهم التماس الاجر ورجاء النصر فثقوا بالله وأحسنوا به الظن فقد نصركم فى مواطن كثيرة ثم سار بهم الى الانبار وكان من خلفه من المسلمين يمخرون السواد ويشنون الغارات مابين اسفل كسكر واسفل الفرات وجسوا مثقبا الى عين التمر وفى أرض الفلاليج والمثنى بالانبار ولما رجع المثنى من بغداد الى الانبار بعث المضارب العجلى فى جمع الى الكباث وعليه فارس العناب التغلبى ثم لحقهم المثنى فسار معهم فوجدوا الكباث قد سار من كان به عنه ومعهم فارس العناب فسار المسلمون خلفه فلحقه وقد رحل من الكباث فقتلوا فى أخريات أصحابه وأكثروا القتل فلما رجعوا الى الانبار سرح فرات بن حيان التغلبى وعتيبة بن النهاس وأمرهما بالغارة على احياء من تغلب بصفين ثم أتبعهما المثنى واستخلف على الناس عمرو بن أبى سلمى الهجيمى فلما دنوا من صفين فر من بها وعبروا الفرات الى الجزيرة وفنى الزاد الذى مع المثنى وأصحابه فاكلوا رواحلهم الا مالابد منه حتى جلودها ثم أدركوا عيرا من أهل دبا وحوران فقتلوا من بها وأخذوا ثلاثة نفر من تغلب كانوا خفراء وأخذوا العير فقالوا لهم دلونا فقال أحدهم امنونى على أهلى ومالى وأدلكم على حى من تغلب فامنه المثنى وسار معهم يومه فهجم العشى على القوم والنعم صادرة عن الماء وأصحابها جلوس بافنية البيوت فقتل المقاتلة وسبى الذرية واستاق الاموال وكان التغلبيون بنى ذى الرويحلة فاشترى من كان مع المثنى من ربيعة السبايا بنصيبه من الفئ وأعتقوهم وكانت ربيعة لاتسابى اذ العرب يتسابون فى جاهليتهم وأخبر المثنى ان جمهور من سلك البلاد قد انتجع شاطئ دجلة فخرج المثنى

على ماذكره بطليموس ماكان من ظهوره وهمته بعث اليه دارانوس ملك فارس وهو دارا بن دارا يطالب بما جرى من الرسم فبعث اليه الاسكندر انى قد ذبحت تلك الدجاجة التى كانت تبيض بيض الذهب وأكلتها فكان من حروبهم مادعا الاسكندر الى الخروج الى أرض الشام والعراق فاصطلم من كان بها من الملوك وقتل دارا بن دارا ملك الفرس وقد أتينا على خبر مقتله ومقتل غيره من ملوك الهند ومن لحق بهم من ملوك المشرق فى الكتاب الاوسط ونسب قوم الاسكندر انه الاسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن هردوس ابن ميطون بن رومى بن نويط بن نوفيل بن رومى بن ليطى بن يونان ابن يافث بن نوح ونسبه قوم انه من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم ومنهم من رأى انه الاسكندر بن يونه بن سرحون بن رومى بن قرمط بن نوفيل بن رومى بن الاصفر بن اليفز بن العيص بن اسحق بن ابراهيم وقد تنازع الناس فيه فنهم من رأى انه ذو القرنين ومنهم من رأى انه غيره وتنازعوا أيضا فى ذى القرنين فنهم من رأى انه انما سمى بذى القرنين لبلوغه باطراف الارض وان الملك الموكل بجبل قاف سماه بهذا الاسم ومنهم من رأى انه من الملائكة وهذا قول يعزى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وعلى مجنبتيه النعمان بن عوف ومطر الشيبانيان وعلى مقدمته حذيفة بن محصن الغلفاني فسار وأتى طلبهم فادركوهم بتكريت فاصابوا ماشاؤا من النعم وعاد الى الانبار ومضى عتيبة وفرات ومن معهما حتى أغاروا على صفين وبها النمر وتغلب متساندين فاغاروا عليهم حتى رموا طائفة منهم فى الماء فجعلوا ينادونهم الغرق الغرق وجعل عتيبة وفرات يذمران الناس ويناديانهم تغريق بتحريق يذكرانهم يوما من أيام الجاهلية احرقوا فيه قوما من بكر بن وائل فى غيضة من الغياض ثم رجعوا الى المثنى وقد غرقوهم وقد بلغ الخبر عمر فبعث الى عتيبة وفرات فاستدعاهما فسألهما عن قولهما فاخبراه انهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب ذحل انما هو مثل فاستحلفهما وردهما الى المثنى (عتيبة بن النهاس بالتاء المثناة من فوقها والياء المثناة من تحتها والباء الموحدة)

(ذكر الخبر عن الذى هيج أمر القادسية وملك يزدجرد)

لما رأى أهل فارس ما يفعل المسلمون بالسواد قالوا لرستم والفيرزان وهما على أهل فارس لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهنتما أهل فارس وأطمعتما فيهم عدوهم ولم يبلغ من أمركما ان نقركما على هذا الرأى وأن تعرضاها للهلكة ما بعد بغداذ وساباط وتكريت الا المدائن والله لتجتمعان أو لنبدأن بكما ثم نهلك وقد آشتفينا منكما فقال الفيرزان ورستم لبوران ابنة كسرى اكتبى لنا نساء كسرى وسراريه ونساء آل كسرى وسراريهم ففعلت فاحضروهن جميعهن وأخذوهن بالعذاب يستدلونهن على ذكر من أبناء كسرى فلم يوجد عند واحدة منهن أحد وقال بعضهن لم يبق الاغلام يدعى يزدجرد من ولد شهريار بن كسرى وأمه من أهل بادوريا فارسلوا اليها وطلبوه منها وكانت قد أنزلته أيام شيرى حين جمعهن فقتل الذكور وأرسلته الى أخواله فلما سألوها عنه دلتهم عليه فجاؤا به فملكوه وهو ابن احدى وعشرين سنة واجتمعوا عليه فاطمأنت فارس واستوثقوا وتبارى المرازبة فى طاعته ومعونته فسمى الجنود لكل مسلحة وثغر فسمى جند الحيرة والابلة والانبار وغير ذلك وبلغ ذلك من أمرهم المثنى والمسلمين فكتبوا الى عمر بن الخطاب بما ينتظرون من أهل السواد فلم يصل الكتاب الى عمر حتى كفر أهل السواد من كان له عهد ومن لم يكن له عهد فخرج المثنى حتى نزل بذى قار ونزل الناس بالطف فى عسكر واحد ولما وصل كتاب المثنى الى عمر قال والله لاضربن ملوك العجم بملوك العرب فلم يدع رئيسا ولا ذا رأى وذا شرف وبسطة ولا خطيبا ولا شاعرا الا رماهم به فرماهم بوجوه الناس وغررهم وكتب عمر الى المثنى ومن معه يأمرهم بالخروج من بين العجم والتفرق فى المياه التى تلى العجم وأن لا يدعوا فى ربيعة ومضر وحلفائهم أحدا من أهل النجدات ولا فارسا الا أحضروه اما طوعا أو كرها ونزل الناس بالجل وشراف الى غضى وهو جبل البصرة وبسلمان بعضهم ينظر الى بعض ويغيث بعضهم بعضا وذلك فى ذى القعدة سنة ثلاث عشرة وأرسل عمر فى ذى الحجة من السنة مخرجه الى الحج الى عماله على العرب أن لا يدعوا من له نجدة أو فرس أو سلاح أو رأى الا وجهوه اليه فاما من كان على النصف ما بين المدينة والعراق فجاء اليه بالمدينة لما عاد من الحج وأما من كان أقرب الى العراق فانضم الى المثنى بن حارثة وجاءت امداد العرب الى عمر وحج فى هذه السنة عمر بن الخطاب بالناس وحج سنيه كلها وكان عامل عمر على مكة هذه السنة عتاب بن أسيد فيما قال بعضهم وعلى الطائف عثمان بن أبى العاص وعلى اليمن يعلى بن منية وعلى عمان واليمامة حذيفة بن محصن وعلى البحرين العلاء بن الحضرمى وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح وعلى فرج الكوفة وما فتح من

ايضا

والقول الاول لابن عباس فى تسمية الملك اياه ومنهم من رأى أنه كان بذؤابتين من الذهب وهذا قول يعزى الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وقد قيل غير ذلك والغا ذكر تنازع الشرعيين من أهل الكتب وقد ذكره تبع فى شعره وافتخر به وانه من قحطان وقيل ان بعض التبابعة غزا مدينة رومية فاسكنها خلقا من اليمن وان ذا القرنين هو الاسكندر من أولئك العرب المتخلفين بها والله أعلم وسار الاسكندر بعد ان ملك بلاد فارس فاحتوى على ملوكها وتزوج بابنة ملكها دارا بن دارا بعد ان قتله ثم سار الى أرض السند والهند ووطئ ملوكها وجاءت اليه الهدايا والخراج وحارب ملكها فوروكان أعظم ملوك الهند وكان له معه حروب وقتله الاسكندر مبارزة ثم سار الاسكندر نحو بلاد الصين والتبت فدانت له الملوك وحملت اليه الهدايا والضرائب وسار فى مفاوز الترك يريد خراسان من بعد ان ذلل ملوكها ورتب الرجال والقواد فيما افتتح من الممالك ورتب ببلاد التبت خلقا من رجاله وكذلك ببلاد الصين وكور بخراسان كورا وبنى مدنا فى سائر أسفاره وكان معلمه ارسطاطاليس حكيم اليونانيين وهو صاحب كتاب المنطق ومابعد الطبيعة وتلميذ افلاطون وافلاطون تلميذ سقراط

أرضها المثنى بن حارثة وكان على القضاء فيما ذكر على بن أبى طالب وفى هذه السنة مات أبو كبشة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعد ذلك وفى خلافة ابى بكر مات سهل بن عمرو أخو سهيل وهو من مسلمة الفتح وفى خلافته مات الصعب بن جثامة الليثى وفى أول خلافته مات ابنه عبد الله ابن أبى بكر وكان قد جرح فى حصار الطائف ثم انتقض عليه جرحه فمات وفى هذه السنة توفى الارقم بن أبى الارقم يوم مات أبو بكر وهو الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيا بداره بمكة أول ما أرسل

(ثم دخلت سنة أربع عشرة)

(ذكر ابتداء أمر القادسية)

لما اجتمع الناس الى عمر خرج من المدينة حتى نزل على ماء يدعى ضرارا فعسكر به ولا يدرى الناس ما يريد أيسير أم يقيم وكانوا اذا أرادوا أن يسألوه عن شئ رموه بعثمان أو بعبد الرحمن بن عوف فان لم يقدر هذان على علم شئ مما يريد ثلثوا بالعباس بن عبد المطلب فسأله عثمان عن سبب حركته فاحضر الناس فاعلمهم الخبر واستشارهم فى المسير الى العراق فقال العامة سر وسر بنا معك فدخل معهم فى رأيهم وقال اغدوا واستعدوا فانى سائر الا ان يجئ رأى هو أمثل من هذا ثم جمع وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسل الى على وكان استخلفه على المدينة فاتاه والى طلحة وكان على المقدمة فرجع اليه والى الزبير وعبد الرحمن وكانا على المجنبتين فحضرا ثم استشارهم فاجتمعوا على ان يبعث رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرميه بالجنود فان كان الذى يشتهى فهو الفتح والا اعاد رجلا وبعث آخر ففى ذلك غيظ العدو فجمع عمر الناس وقال لهم انى كنت عزمت على المسير حتى صرفنى ذو والرأى منكم وقد رأيت ان أقيم وابعث رجلا فاشيروا على برجل وكان سعد بن أبى وقاص على صدقات هوازن فكتب اليه عمر بانتخاب ذوى الرأى والنجدة والسلاح فجاءه كتاب سعد وعمر يستشير الناس فيمن يبعثه يقول قد انتخبت لك ألف فارس كلهم له نجدة ورأى وصاحب حيطة يحوط حريم قومه اليهم انتهت أحسابهم ورأيهم فلما وصل كتابه قالوا لعمر قد وجدته قال من هو قالوا الاسد عاديا سعد بن مالك فانتهى الى قولهم وأحضره وامره على حرب العراق ووصاه وقال لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله لا يمحو السئ بالسئ ولكنه يمحو السئ بالحسن وليس بين الله وبين أحد نسب الا طاعته فالناس فى ذات الله سواء الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الامر الذى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه ووصاه بالصبر وسرحه فيمن اجتمع اليه من نفر المسلمين وهم أربعة آلاف فيهم حميضة بن النعمان بن حميضة على بارق وعمرو بن معديكرب وأبو سبرة بن ذؤيب على مذحج ويزيد ابن الحرث الصدائى على صداء وحبيب ومسلية وبشر بن عبد الله الهلالى فى قيس عيلان وخرج اليهم عمر فى فتية من السكون مع حصين بن نمير ومعاوية بن خديج دلم سباط فاعرض عنهم فقيل له مالك وهؤلاء فقال ما مر بى قوم من العرب أكره الى منهم ثم أمضاهم فكان بعد يذكرهم بالكراهة فكان منهم سودان بن حمران قتل عثمان وابن ملجم قتل عليا ومعاوية بن حديج جرد السيف فى المسلمين يظهر الاخذ بثار عثمان وحصين بن نمير كان أشد الناس فى قتال على ثم ان عمر أخذ يوصيهم ويعظهم ثم سيرهم وأمد عمر سعدا بعد خروجه بالفى يمانى وألفى نجدى وكان المثنى ابن حارثة فى ثمانية آلاف وسار سعد والمثنى ينتظر قدومه فمات المثنى قبل قدوم سعد من جراحة

وصرف هؤلاء همهم الى تقييد علوم الاسماء الطبيعية النفيسة وغير ذلك من علوم الفلسفة واتصالها بالالهيات وابانوا عن الاشياء وأقاموا البرهان على صحتها وأوضحوها لمن استبهم عليه تناولها وسار الاسكندر راجعا من سفره يؤم المغرب فلما سار الى مدينة شهر زور اشتدت علته وقيل ببلاد نصيبين من ديار ربيعة وقيل بالعراق فعهد الى صاحب جيشه وخليفته على عسكره بطليموس فلما مات الاسكندر طافت به الحكماء ممن كان معه من حكماء اليونانيين والفرس والهند وغيرهم من علماء الامم وكان يجمعهم ويستريح الى كلامهم ولا يصدر الامور الا عن رأيهم وجعل بعد ان مات فى تابوت من الذهب ورصع بالجوهر بعد ان طلى جسمه بالاطلية الماسكة لاجزائه فقال عظيم الحكماء والمقدم فيهم ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا وقام فوضع يده على التابوت فقال أصبح آسر الاسراء اسيرا ثم قام حكيم ثان فقال هذا الاسكندر الذى كان يخبأ الذهب فصار الذهب يخبأه وقال الحكيم الثالث ما ازهد الناس فى هذا الجسد وأرغبهم فى هذا التابوت وقال الحكيم الرابع من أعجب العجب ان القوى قد غلب والضعفاء لاهون مغترون وقال الخامس

انقضت عليه واستخلف على الناس بشير بن الخصاصية وسعد يومئذ بزرود وقد اجتمع معه ثمانية آلاف وأمر عمر بنى أسد ان ينزلوا على حد أرضهم بين الحزن والبسيطة فنزلوا فى ثلاثة آلاف وسار سعد الى شراف فنزلها ولحقه بها الاشعث بن قيس فى ألف وسبعمائة من أهل اليمن فكان جميع من شهد القادسية بضعة وثلاثين ألفا وجميع من قسم عليه فيئها نحو من ثلاثين ألفا ولم يكن أحد اجرأ على أهل فارس من ربيعة فكان المسلمون يسمونهم ربيعة الاسد الى ربيعة الفرس ولم يدع عمر ذا رأى ولا شرف ولا خطيبا ولا شاعرا ولا وجيها من وجوه الناس الا سيره الى سعد وجمع سعد من كان بالعراق من المسلمين من عسكر المثنى فاجتمعوا بشراف فعباهم وأمر الامراء وعرف على كل عشرة عريفا وجعل على الرايات رجالا من أهل السابقة وولى الحروب رجالا على ساقتها ومقدمتها ورجلها وطلائعها ومجنباتها ولم يفصل الا بكتاب عمر فجعل على المقدمة زهرة بن عبد الله ابن قتادة بن الحوية فانتهى الى العذيب وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل على الميمنة عبد الله بن المعتم وكان من الصحابة أيضا واستعمل على الميسرة شرحبيل بن السمط الكندى وجعل خليفته خالد بن عرفطة حليف بنى عبد شمس وجعل عاصم بن عمرو التميمى على الساقة وسواد بن مالك التميمى على الطلائع وسلمان بن ربيعة الباهلى على المجردة وعلى الرجالة حمال بن مالك الاسدى وعلى الركبان عبد الله بن ذى السهمين الحنفى وجعل عمر على القضاء بينهم عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى وعلى قسمة الفىء أيضا وجعل رائدهم وداعيتهم سلمان الفارسى والكاتب زياد ابن أبيه وقدم المعنى بن حارثة الشيبانى وسلمى بنت خصفة زوج المثنى بشراف وكان المعنى بعد موت أخيه قد سار الى قابوس بن قابوس بن المنذر بالقادسية وكان قد بعثه اليها الفرس يستنفر العرب فسار اليه المعنى فقتله فاقامه ومن معه ورجع الى ذى قار وسار الى سعد يعلمه برأى المثنى له وللمسلمين يأمرهم أن يقاتلوا الفرس على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب ولا يقاتلوهم بعقر دارهم فان يظهر الله المسلمين فلهم ماوراءهم وان كانت الاخرى رجعوا الى فئة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم الى ان يرد الله الكرة عليهم فترحم سعد ومن معه على المثنى وجعل المعنى على عمله وأوصى باهل بيته خيرا ثم تزوج سعد سلمى زوج المثنى وكان معه تسعة وتسعون بدريا وثلثمائة وبضعة عشر ممن كانت له صحبة فيما بين بيعة الرضوان الى مافوق ذلك وثلثمائة ممن شهد الفتح وسبعمائة من أبناء الصحابة وقدم على سعد كتاب عمر بمثل رأى المثنى وكتب عمر أيضا الى أبى عبيدة ليصرف أهل العراق ومن اختار ان يلحق بهم الى العراق وكان للفرس رابطة بقصر ابن مقاتل عليها النعمان بن قبيصة الطائى وهو ابن عم قبيصة بن اياس صاحب الحيرة فلما سمع بمجىء سعد سأل عنه وعنده عبد الله بن سنان بن خزيم الاسدى فقيل رجل من قريش فقال والله لاجادنه القتال فان قريشا عبيد من غلب والله لا يخرجون من بلادهم الا بخفير فغضب عبد الله بن سنان من قوله وأمهله حتى دخل قبته فقتله ولحق بسعد وأسلم وسار سعد من شراف فنزل العذيب ثم سار حتى نزل القادسية بين العتيق والخندق بحيال القنطرة وقديس أسفل منها بميل وكتب عمر الى سعد انى ألقى فى روعى أنكم اذا لقيتم العدو هزمتموهم فمتى لاعب أحد منكم أحدا من العجم بامان أو باشارة أو بلسان كان عندهم امانا فاجروا له ذلك مجرى الامان والوفاء فان الخطأ بالوفاء بقية وان الخطأ بالغدر هلكة وفيها وهنكم وقوة عدوكم فلما نزل زهرة فى المقدمة وأمسى بعث سرية فى ثلاثين معروفين بالنجدة وأمرهم بالغارة على الحيرة فلما جازوا السيلحين سمعوا جلبة فكنوا حتى جاذوهم واذا أخت آزاذمرد بن آزاذبه

ياذا الذى جعل أجله ضمانا وجعل أمله عيانا هلا باعدت من أجلك لتبلغ بعض أملك هلا حققت من أملك الامتناع عن فوت أجلك وقال السادس أيها الساعى المنتصب جمعت ماخذلك عن الاحتياج فغودرت عليك أوزاره وفارقت أيامه فغناه لغيرك ووباله عليك وقال السابع قد كنت لنا واعظا فما وعظتنا موعظة أبلغ من وفاتك فمن كان له عقل فليعقل ومن كان معتبرا فليعتبر وقال الثامن رب هائب لك كان يغتابك من ورائك وهو اليوم بحضرتك لا يخافك وقال التاسع رب حريص على سكوتك اذلا تسكت وهو اليوم حريص على كلامك اذلا تتكلم وقال العاشر أماتت هذه النفس لئلا تموت وقد ماتت وقال الحادى عشر وكان صاحب خزانة كتب الحكمة قد كنت تأمرنى ان لا أبعد عنك فاليوم لا أقدر على الدنو منك وقال الثانى عشر هذا اليوم عظيم العبر أقبل من شره ما كان مدبرا وأدبر من خيره ما كان مقبلا فمن كان باكيا على من زال ملكه فليبك وقال الثالث عشر ياعظيم السلطان اضمحل سلطانك كما اضمحل ظل السحاب وعفت آثار مملكتك كما عفت آثار الرباب وقال الرابع عشر يامن ضاقت عليه الارض طولا وعرضا ليت شعرى كيف حالك فيما احتوى عليك

مرذبان الحيرة تزف الى صاحب الصنين وهو من أشراف العجم فحمل بكير بن عبد الله الليثى أمير السرية على شيرزاد بن آزادبه فدق صلبه وطارت الخيل على وجوهها وأخذوا الاثقال وابنة آزادبه فى ثلاثين امرأة من الدهاقين ومائة من التوابع ومعهم مالا يدرى قيمته فاستاق ذلك ورجع فصبح سعدا بعذيب الهجانات فقسم ذلك على المسلمين وترك الحريم بالعذيب ومعها خيل تحوطها وأمر عليهم غالب بن عبد الله الليثى ونزل سعد القادسية وأقام بها شهرا لم يأته من الفرس أحد فارسل سعد عاصم بن عمرو الى ميسان فطلب غنما أو بقرا فلم يقدر عليها وتحصن منه من هناك فاصاب عاصم رجلا بجانب أجمة فسأله عن البقر والغنم فقال ما أعلم فصاح ثور من الاجمة كذب عدو الله ها نحن فدخل فاستاق البقر فاتى بها العسكر فقسمه سعد على الناس فاخصبوا أياما فبلغ ذلك الحجاج فى زمانه فارسل الى جماعة فسألهم فشهدوا أنهم سمعوا ذلك وشاهدوه فقال كذبتم قالوا ذلك ان كنت شهدتها وغبنا عنها قال صدقتم فما كان الناس يقولون فى ذلك قالوا انه يستدل بها على رضا الله وفتح عدونا فقال ما يكون هذا الا والجمع أبرار أتقياء قالوا ما ندرى ما أجنت قلوبهم فاما ما رأينا فما رأينا قط ازهد فى دنيا منهم ولا أشد بغضا لها ليس فيهم جبان ولا عار ولا غدار وذلك يوم الاباقر وبث سعد الغارات والنهب بين كسكر والانبار فحووا من الاطعمة ما استكفوا به زمانا وكان بين نزول خالد بن الوليد العراق وبين نزول سعد القادسية والفراغ منها سنتان وشئ وكان مقام سعد بالقادسية شهرين وشئ حتى ظفر فاستغاث أهل السواد الى يزدجرد واعلموه ان العرب قد نزلوا القادسية ولا يبقى على فعلهم شئ وقد أخربوا ما بينهم وبين الفرات ونهبوا الدواب والاطعمة وان أبطأ الغياث أعطيناهم بايدينا وكتب اليه بذلك الذين لهم الضياع بالطف وهيجوه على ارسال الجنود فارسل يزدجرد الى رستم فدخل عليه فقال انى أريد ان أوجهك فى هذا الوجه فانت رجل فارس اليوم وقد ترى ما حل بالفرس مما لم يأتهم مثله فاظهر له الاجابة ثم قال له دعنى فان العرب لا تزال تهاب العجم ما لم تضر بهم بى ولعل الدولة أن تثبت بى اذا لم أحضر الحرب فيكون الله قد كفى ونكون قد أصبنا المكيدة والرأى فى الحرب أنفع من بعض الظفر والاناة خير من العجلة وقتال جيش بعد جيش أمثل من هزيمة مرة وأشد على عدونا فابى عليه وأعاد رستم كلامه وقال قد اضطرنى تضييع الرأى الى اعظام نفسى وتزكيتها ولو أجد من ذلك بدا لم أتكلم به فانشدك الله فى نفسك وملكك دعنى أقم بعسكرى وأسرح الجالينوس فان تكن لنا فذلك والا بعثنا غيره حتى اذا لم نجد بدا صبرنا لهم وقد وهناهم ونحن حامون فانى لا أزال مرجوا فى أهل فارس ما لم أهزم فابى الا ان يسير فخرج حتى ضرب عسكره بساباط وأرسل الى الملك ليعفيه فابى وجاءت الاخبار الى سعد بذلك فكتب الى عمر فكتب اليه عمر لا يكربنك ما يأتيك عنهم واستعن بالله وتوكل عليه وابعث اليه رجالا من أهل المناظرة والرأى والجلد يدعونه فان الله جاعل دعاءهم توهينا لهم فارسل سعد نفرا منهم النعمان بن مقرن وبسر بن أبى رهم وحملة بن حوية وحنظلة بن الربيع وفرات بن حيان وعدى بن سهيل وعطارد بن حاجب والمغيرة بن زرارة ابن النباش الاسدى والاشعث بن قيس والحرث بن حسان وعاصم بن عمرو وعمرو بن معدي كرب والمغيرة بن شعبة والمعنى بن حارثة الى يزدجرد دعاة فخرجوا من العسكر فقدموا على يزدجرد وطووا رستم واستأذنوه على يزدجرد فحبسوا وأحضر وزراءه ورستم معهم واستشارهم فيما يصنع ويقوله لهم واجتمع الناس ينظرون اليهم وتحتهم خيول كلها صهال وعليهم البرود وبايديهم السياط فاذن لهم وأحضر الترجمان وقال له سلهم ما جاء بكم وما دعاكم الى غزونا والولوع ببلادنا أمن أجل اننا

منها وقال الخامس عشر أعجب لمن كانت هذه سبيله كيف شرهت نفسه بجمع الحطام الهائد والهشيم البائد وقال السادس عشر أيها الجمع الحافل والملتقى الفاضل لا ترغبوا فيما لا يدوم سروره وتنقطع لذته فقد بان لكم الصلاح والرشاد من الغى والفساد وقال السابع عشر انظروا الى حلم النائم كيف انقضى وظل الغمام كيف انجلى وقال الثامن عشر وكان من حكماء الهند يا من كان غضبه الموت هلا غضبت على الموت وقال التاسع عشر قد رأيتم أيها الجمع هذا الملك الماضى فليتعظ به الآن هذا الباقى وقال العشرون هذا الذى دار كثيرا والآن يقر طويلا وقال الحادى والعشرون ان الذى كانت الآذان تنصت له قد سكت فليتكلم الان كل ساكت وقال الثانى والعشرون سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته وقال الثالث والعشرون مالك لا تقل عضوا من أعضائك وقد كنت تستقل ملك الارض بل مالك لا ترغب بنفسك عن ضيق المكان الذى أنت به وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد وقال الرابع والعشرون وكان من نساك الهند وحكمائها ان دنيا يكون هكذا آخرها فالزهد أولى ان يكون فى أولها وقال الخامس والعشرون وكان

تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا فقال النعمان بن مقرن لاصحابه ان شئتم تكلمت عنكم ومن شاء آثرته
فقالوا بل تكلم فقال ان الله رحمنا فأرسل الينا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ووعدنا على
اجابته خير الدنيا والآخرة فلم يدع قبيلة الا وقاربه منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة ثم أمر أن
نبتدئ الى من خالفه من العرب فبدأنا بهم فدخلوا معه على وجهين مكره عليه فاغتبط وطائع
فازداد فعرفنا جميعا فضل ما جاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق ثم أمرنا ان نبتدئ بمن
يلينا من الامم فندعوهم الى الانصاف فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح
كله فان ابيتم فامر من الشر هو اهون من آخر شر منه الجزية فان أبيتم فالمناجزة فان اجبتم الى
ديننا خلفنا فيكم كتاب الله واقمنا على ان تحكموا باحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وان
بذلتم الجزى قبلنا ومنعناكم والا قاتلناكم فتكلم يزدجرد فقال انى لا اعلم فى الارض أمة كانت
أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم قد كنا نوكل بكم قرى الضواحى فيكفوناكم
ولا تطمعوا أن تقوموا للفارس فان كان غرر لحقكم فلا يغرنكم منا وان كان الجهد فرضنا لكم
قوتا الى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم فاسكت القوم فقام
المغيرة بن زرارة فقال أيها الملك ان هؤلاء رؤس العرب ووجوههم وهم اشراف يستحيون من
الاشراف وانما يكرم الاشراف ويعظم حقهم الاشراف وليس كل ما ارسلوا به قالوه ولا كل
ما تكلمت به اجابوك عنه فجاوبنى لا كون الذى ابلغك وهم يشهدون على ذلك لى فاما ما ذكرت
من سوء الحال فهى على ما وصفت وأشد ثم ذكر من سوء عيش العرب وارسال الله النبى صلى الله
عليه وسلم اليهم نحو قول النعمان وقتال من خالفهم أو الجزية ثم قال له اختر ان شئت الجزية عن
يد وأنت صاغر وان شئت فالسيف أو تسلم فتنجى نفسك فقال لولا ان الرسل لا تقتل لقتلتكم
لا شئ لكم عندى ثم استدعى بوقر من تراب فقال احملوه على اشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من
باب المدائن ارجعوا الى صاحبكم فاعلموه انى مرسل اليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معه فى
خندق القادسية ثم أورده بلادكم حتى اشغلكم بانفسكم باشد مما نالكم من سابور فقام عاصم بن
عمرو ليأخذ التراب وقال انا اشرفهم انا سيد هؤلاء فحمله على عنقه وخرج الى راحلته فركبها
واخذ التراب وقال لسعد أبشر فوالله لقد أعطانا الله أقاليد ملكهم واشتد ذلك على جلساء الملك
وقال الملك لرستم وقد حضر عنده من ساباط ما كنت أرى ان فى العرب مثل هؤلاء ما أنتم بأحسن
جوابا منهم ولقد صدقنى القوم لقد وعدوا أمرا لا يدركنه أو ليموتن عليه على انى وجدت أفضلهم
احمقهم حيث حمل التراب على رأسه فقال رستم أيها الملك انه أعقلهم وتطاير الى ذلك وأبصرها
دون أصحابه وخرج رستم من عند الملك غضبان كئيبا وبعث فى أثر الوفد وقال لثقته ان أدركهم
الرسول تلافينا أرضنا وان أعجزوه سلبكم الله ارضكم فرجع الرسول من الحيرة بفواتهم فقال
ذهب القوم بأرضكم من غير شك وكان منجما كاهنا وأغار سواد بن مالك التميمى بعد مسير الوفد
الى يزدجرد على النجاف والفراض فاستاق ثلثمائة دابة من بين بغل وحمار وثور وأوقرها سمكا
وصبح العسكر فقسمه سعد بين الناس وهذا يوم الحيتان وكانت السرايا تسرى لطلب اللحوم فان
الطعام كان كثيرا عندهم فكانوا يسمون الايام بها يوم الاباقر ويوم الحيتان وبعث سعد سرية
أخرى فاغاروا فأصابوا ابلا لبنى تغلب والنمر واستاقوها ومن فيها فنحر سعد الابل وقسمها فى
الناس فاخصبوا وأغار عمرو بن الحرث على النهرين فاستاق مواشى كثيرة وعاد وسار رستم من
ساباط وجمع آلات الحرب وبعث على مقدمته الجالينوس فى أربعين ألفا وخرج هو فى ستين ألفا

صاحب مائدته قد فرشت
النمارق ونضدت الوسائد
وهيأت الموائد ولا أرى عميد
المجلس وقال السادس والعشرون
وكان صاحب بيت ماله قد
كنت تأمرنى بالجمع والادخار
فالى من ادفع ذخائرك وقال
السابع والعشرون وكان
خازنا من خزائنه هذه مفاتيح
خزائنك فمن يقبضها قبل ان
أوخذ بما لم آخذ منها وقال
الثامن والعشرون هذه
الدنيا الطويلة العريضة
طويت منها فى سبعة أشبار
القول التاسع والعشرون قول
زوجته روشنك بنت دارا بن
دارا الملك فارس ما كنت
أحسب ان غالب دارا الملك
يغلب وان كان هذا الكلام
الذى سمعت منكم معاشر
الحكماء فيه شرابه فقد خلف
الكاس الذى تشرب به
الجماعة القول الثلاثون ما حكى
عن أمه انها قالت حين جاءها
نعيه لئن فقدت من ابنى امره
فما فقدت من قلبى ذكره
وقبض الاسكندر وهو ابن
ست وثلاثين سنة وكان ملكه
تسع سنين قبل قتله لدارا بن
دارا وست سنين بعد قتله لدارا
ابن دارا وتملكه على سائر ملوك
الارض وملك وهو ابن احدى
وعشرين سنة وذلك بمقدونية
وهى مصر وعهد الى ولى
عهده بطليموس بن اذينة ان
يحمل تابوته الى والدته
بالاسكندرية وأوصاه ان يكتب

وفى ساقته عشرون ألفا وجعل فى ميمنته الهرمزان وعلى الميسرة مهران بن بهرام الرازى وقال رستم للملك يشجعه بذلك ان فتح الله علينا توجهنا الى ملكهم فى دارهم حتى نشغلهم فى أصلهم وبلادهم الى ان يقبلوا المسالمة وكان خروج رستم من المدائن فى ستين ألف متبوع ومسيره عن ساباط فى مائة ألف وعشرين ألف متبوع وقيل غير ذلك ولما انفصل رستم عن ساباط كتب الى أخيه البنذوان أما بعد فرموا حصونكم وأعدوا واستعدوا فكأنكم بالعرب قد قارعوكم عن أرضكم وابنائكم وقد كان من رأيى مدافعتهم ومطاولتهم حتى تعود سعودهم نحوسا فان السمكة قد كدرت الماء وان النعائم قد حسنت والزهرة قد حسنت واعتدل الميزان وذهب بهرام ولا أرى هؤلاء القوم الا سيظهرون علينا ويستولون على ما يلينا وان أشد ما رأيت ان الملك قال لتسيرن أو لاسيرن بنفسى ولقى جابان رستم على قنطرة ساباط وكانا منجمين فشكى اليه وقال له الا ترى ما أرى فقال له رستم اما انا فأقاد بخشاش وزمام ولا اجد بدا من الانقياد ثم سار فنزل بكوثى فاتى برجل من العرب فقال له ما جاء بكم وماذا تطلبون فقال جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم وابنائكم ان أبيتم ان تسلموا قال رستم فان قتلتم قبل ذلك قال من قتل منا دخل الجنة ومن بقى منا انجزه الله ما وعده فنحن على يقين فقال رستم قد وضعنا اذن فى أيديكم فقال أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها فلا يغرنك من ترى حولك فانك لست تحاول الانس انما تحاول القدر فضرب عنقه ثم سار فنزل البرس فغصب أصحابه الناس ابناءهم وأموالهم ووقعوا على النساء وشربوا الخمور فضج أهلها الى رستم فقال يا معشر فارس والله لقد صدق العربى والله ما اسلمنا الا أعمالنا والله ان العرب مع هؤلاء وهم لهم حرب أحسن سيرة منكم ان الله كان ينصركم على العدو ويمكن لكم فى البلاد بحسن السيرة وكف الظلم والوفاء والاحسان فاذا تغيرتم فلا أرى الله الا مغيرا ما بكم وما أنا بآمن من ان ينزع الله سلطانه منكم وأتى ببعض من يشكى منه فضرب عنقه ثم سار حتى نزل الحيرة ودعا أهلها وتهددهم وهم بهم فقال له ابن بقيلة لا تجمع علينا ان تعجز عن نصرتنا وتلومنا على الدفع عن أنفسنا ولما نزل رستم بالنجف رأى كأن ملكا نزل من السماء ومعه النبى صلى الله عليه وسلم وعمر فأخذ الملك سلاح أهل فارس فختمه ثم دفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم فدفعه النبى صلى الله عليه وسلم الى عمر فأصبح رستم حزينا وأرسل سعد السرايا ورستم بالنجف والجالينوس بين النجف والسيلحين فطافت فى السواد فبعث سوادا وحميضة فى مائة مائة فأغاروا على النهرين وبلغ رستم الخبر فارسل اليهم خيلا وسمع سعد ان خيله قد وغلت فأرسل عاصم بن عمرو وجابر الاسدى فى آثارهم فلقيهم عاصم وخيل فارس تحوشهم ليخلصوا ما بأيديهم فلما رأته الفرس هربوا ورجع المسلمون بالغنائم وأرسل سعد عمرو بن معديكرب وطليحة الاسدى طليعة فسارا فى عشرة فلم يسيروا الا فرسخا وبعض آخر حتى رأوا مسالحهم وسرحهم على الطفوف قد ملؤها فرجع عمرو ومن معه وأبى طليحة الا التقدم فقالوا له أنت رجل فى نفسك غدر ولن تفلح بعد قتل عكاشة بن محصن فارجع معنا فأبى فرجعوا الى سعد فأخبروه بقرب القوم ومضى طليحة حتى دخل عسكر رستم وبات فيه يجوسه ويتوسم فهتك اطناب بيت رجل عليه واقتاد فرسه ثم هتك على آخر بيته وحل فرسه ثم فعل بآخر كذلك ثم خرج يعدو به فرسه ونذر به الناس فركبوا فى طلبه فأصبح وقد لحقه فارس من الجند فقتله طليحة ثم آخر فقتله ثم لحق به ثالث فرأى مصرع صاحبيه وهما ابنا عمه فازداد حنقا فلحق طليحة فكر عليه طليحة واسره ولحقه الناس فرأوا فارسى الجند قد قتلا وأسر الثالث وقد شارف طليحة عسكره فأحجموا عنه ودخل طليحة على سعد ومعه

اليها اذا أتاها نعيه ان تتخذ وليمة وتنادى فى مملكتها ان لا يتخلف عنها أحد وأن لا يجيب دعوتها من قد فقد محبوبا أو مات له خليل ليكون ذلك مأتم الاسكندر بالسرور خلاف مأتم الناس بالحزن فلما ورد نعيه اليها ووضع التابوت بين يديها نادت فى أهل مملكتها على ما به أمرها فلم يجب أحد دعوتها ولا بادر الى ندائها فقالت لحشمها ما بال الناس لم يجيبوا دعوتى فقالوا لها أنت منعتهم من ذلك قالت وكيف قيل لها أمرت ان لا يجيبك من فقد محبوبا أو عدم خليلا أو فارق حبيبا وليس فيهم أحد الا وقد أصابه بعض ذلك فلما سمعت ذلك استيقظت وعلمت ما به سئلت وقالت لقد عزانى ولدى أحسن العزاء وقالت يا اسكندر ما اشبه أواخرك بأوائلك وأمرت به فجعل فى تابوت من المرمر وطلى بالاطلية الماسكة لاجزائه وأخرجته عن الذهب لعلمها ان من يطرأ بعدها من الملوك والامم لا يتركونه فى ذلك الذهب وجعل التابوت المرمر على أحجار نضدت وصخور نصبت من الرخام والمرمر قد رصفت وهذا الموضع من الرخام والمرمر باق ببلاد الاسكندرية من أرض مصر يعرف بقبر الاسكندر الى هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جوامع من أخبار

الفارسى وأخبره الخبر فسأل الترجمان الفارسى فطلب الامان فأمنه سعد قال أخبركم عن صاحبكم هذا قبل ان أخبركم عمن قبلى باشرت الحروب منذ أنا غلام الى الآن وسمعت بالابطال ولم أسمع بمثل هذا ان رجلا قطع فرسخين الى عسكر فيه سبعون ألفا يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة فلم يرض أن يخرج كما دخل حتى سلب فرسان الجند وهتك عليهم البيوت فلما ادركناه قتل الاول وهو يعد بألف فارس ثم الثانى وهو نظيره ثم أدركته أنا وخلفت من بعدى من يعدلنى وأنا الثائر بالقتيلين فرأيت الموت واستؤسرت ثم أخبره عن الفرس وأسلم ولزم طليحة وكان من أهل البلاء بالقادسية وسماه سعد مسلما ثم سار رستم وقدم الجالينوس وذا الحاجب فنزل الجالينوس بحيال زهرة من دون القنطرة ونزل ذو الحاجب بطيزناباذ ونزل رستم بالخرارة ثم سار رستم فنزل بالقادسية وكان بين مسيره من المدائن و وصوله القادسية أربعة أشهر لا يقدم رجاء ان يضجروا بمكانهم فينصرفوا وخاف أن يلقى ما لقى من قبله وطاولهم لولا ما جعل الملك يستعجله و ينهضه وكان عمر قد كتب الى سعد يأمره بالصبر والمطاولة أيضا فأعد للمطاولة فلما وصل رستم القادسية وقف على العتيق بحيال عسكر سعد ونزل الناس فما زالوا يتلاحقون حتى أعتموا من كثرتهم والمسلمون ممسكون عنهم وكان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلا منها فيل سابور الابيض وكانت الفيلة تألفه فجعل فى القلب ثمانية عشر فيلا وفى المجنبتين خمسة عشر فيلا فلما أصبح رستم من تلك الليلة ركب وسار مع العتيق نحو خفان حتى أتى على منقطع عسكر المسلمين ثم صعد حتى انتهى الى القنطرة فتأمل المسلمين ووقف على موضع يشرف منه عليهم و وقف على القنطرة وأرسل الى زهرة فوافقه فأراده على ان يصالحه و يجعل له جعلا على ان ينصرفوا عنه من غير ان يصرح له بذلك بل يقول له كنتم جيراننا وكنا نحسن اليكم ونحفظكم ويخبره عن صنيعهم مع العرب فقال له زهرة ليس أمرنا أمر أولئك انا لم نأتكم لطلب الدنيا انما طلبتنا وهمتنا الآخرة وقد كنا كما ذكرت الى ان بعث الله فينا رسولا فدعانا الى ربه فأجبناه فقال لرسوله انى سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بدينى فانا منتقم بهم منهم وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد الا ذل ولا يعتصم به أحد الا عز فقال له رستم ما هو قال اما عموده الذى لا يصلح الا به فشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال وأى شئ أيضا قال واخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله والناس بنو آدم وحواء اخوة لاب وأم قال ما أحسن هذا ثم قال رستم أرأيت ان أجبت الى هذا ومعى قومى كيف يكون أمركم أترجعون قال اى والله قال صدقتنى أما ان أهل فارس منذ ولى اردشير لم يدعوا أحدا يخرج من عمله من السفلة وكانوا يقولون اذا خرجوا من أعمالهم تعدوا طورهم وعادوا اشرافهم فقال زهرة نحن خير الناس للناس فلا نستطيع ان نكون كما تقولون بل نطيع الله فى السفلة ولا يضرنا من عصى الله فينا فانصرف عنه ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا فأنفوا فأرسل الى سعد ان ابعث الينا رجلا نكلمه ويكلمنا فدعا سعد جماعة ليرسلهم اليهم فقال له ربعى بن عامر متى نأتهم جميعا يروا انا قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل فأرسله وحده فسار اليهم فحبسوه على القنطرة وأعلم رستم بمجيئه فأظهر زينته وجلس على سرير من ذهب وبسط البسط والنمارق والوسائد المنسوجة بالذهب وأقبل ربعى على فرسه وسيفه فى خرقة ورمحه مشدود بعصب وقد فلما انتهى الى البسط قيل له انزل فحمل فرسه عليها ونزل وربطها بوسادتين شقهما وادخل الحبل فيهما فلم ينهوه وأروه التهاون وعليه درع وأخذ عباءة بعيره فتدرعها وشدها على وسطه فقالوا ضع سلاحك فقال لم آتكم فأضع سلاحى بأمركم انتم دعوتمونى

فاخبروا

الاسكندرية وعجائبها ومصر وأخبارها ونيلها فى الموضع المستحق له من ذلك فى كتابنا ان شاء الله تعالى

﴿ذكر جوامع من حروب الاسكندر بأرض الهند﴾

﴿قال المسعودى﴾ لما قتل الاسكندر فور صاحب مدينة المانكير من ملوك الهند وانقاد اليه جميع ملوك الهند على حسب ما ذكرناه من حمل الاموال والخراج اليه بلغه ان فى أقاصى أرض الهند ملكا من ملوكهم ذا حكمة وسياسة وديانة وانصاف للرعية وانه قد أتى عليه من عمره مئون من السنين وأنه ليس بأرض الهند من فلاسفتهم وحكمائهم مثله يقال له كند وكان قاهرا لنفسه مميتا لصفاته من الشهوة الغضبية وغيرها حاملا لها على خلق كريم وأدب رائق فكتب اليه كتابا يقول فيه أما بعد فاذا أتاك كتابى هذا فان كنت قائما فلا تقعد وان كنت ماشيا فلا تلتفت والا مزقت ملكك وألحقتك بمن مضى من ملوك الهند فلما ورد عليه الكتاب أجاب الاسكندر بأحسن جواب وخاطبه بملك الملوك وأعلمه انه قد اجتمع له قبله أشياء لا يجتمع عند غيره مثلها الا من صارت اليه عنه فمن ذلك ابنة له لم تطلع الشمس على أحسن صورة منها وفيلسوف يخبرك بمرادك قبل ان تسأله لحدة مزاجه وحسن قريحته

فاخبروا رستم فقال أئذنوا له فاقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه فلم يدع لهم نمرقا ولا بساطا الا افسده وهتكه فلما دنا من رستم جلس على الارض وركز رمحه على البسط فقيل له ما حملك على هذا قال انا لا نستحب القعود على زينتكم فقال له ترجمان رستم واسمه عبود من اهل الحيرة ما جاء بكم قال الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام فأرسلنا بدينه الى خلقه فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وارضه دوننا ومن أبى قاتلناه حتى نفضى الى الجنة او الظفر فقال رستم قد سمعنا قولكم فهل لكم ان تؤخروا هذا الامر حتى ننظر فيه قال نعم وان مما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نمكن الاعداء اكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم ثلاثا فانظر فى أمرك واختر واحدة من ثلاث بعد الاجل اما الاسلام وندعك وارضك أو الجزاء فنقبل ونكف عنك وان احتجت الينا نصرناك أو المنابذة فى اليوم الرابع الا ان تبدأ بنا أنا كفيل بذلك عن اصحابى قال أسيدهم انت قال لا ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجير أدناهم على اعلاهم فخلا رستم برؤساء قومه فقال هل رأيتم كلاما قط أعز وأوضح من كلام هذا الرجل فقالوا معاذ الله أن نميل الى دين هذا الكلب أما ترى الى ثيابه فقال ويحكم لا تنظروا الى الثياب ولكن انظروا الى الرأى والكلام والسيرة ان العرب تستخف باللباس وتصون الاحساب ليسوا مثلكم فلما كان من الغد أرسل رستم الى سعد ان ابعث الينا ذلك الرجل فبعث اليهم حذيفة بن محصن فأقبل فى نحو من ذلك الزى ولم ينزل عن فرسه ووقف على رستم راكبا قال له انزل قال لا أفعل فقال له ما جاء بك ولم يجئ الاول قال له ان أميرنا يحب ان يعدل بيننا فى الشدة والرخاء وهذه نوبتى فقال ما جاء بكم فأجابه مثل الاول فقال رستم المواعدة الى يوم ما قال نعم ثلاثا من امس فرده وأقبل على أصحابه وقال ويحكم اما ترون ما أرى جاءنا الاول بالامس فغلبنا على أرضنا وحقر ما نعظم وأقام فرسه على زبرجنا وجاء هذا اليوم فوقف علينا وهو فى يمن الطائر يقوم على أرضنا دوننا فلما كان الغد أرسل ابعثوا الينا رجلا فبعث المغيرة بن شعبة فأقبل اليهم وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب وبسطهم على غلوة لا يوصل الى صاحبهم حتى يمشى عليها فأقبل المغيرة حتى جلس مع رستم على سريره فوثبوا عليه وانزلوه ومعكوه وقال قد كانت تبلغنا عنكم الاحلام ولا أرى قوما أسفه منكم انا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضا فظننت انكم تواسون قومكم كما نتواسى فكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى ان بعضكم أرباب بعض فان هذا الامر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه احد وانى لم آتكم ولكن دعوتمونى اليوم علمت انكم مغلوبون وان ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول فقالت السفلة صدق والله العربى وقالت الدهاقين والله لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا ينزعون اليه قاتل الله أولينا حين كانوا يصغرون أمر هذه الامة ثم تكلم رستم فحمد قومه وعظم أمرهم وقال لم نزل متمكنين فى البلاد ظاهرين على الاعداء أشرافا فى الامم فليس لاحد مثل عزنا وسلطاننا ننصر عليهم ولا ينصرون علينا الا اليوم واليومين والشهر للذنوب فاذا انتقم الله منا ورضى علينا رد لنا الكرة على عدونا ولم يكن فى الامم أمة اصغر عندنا أمرا منكم كنتم أهل قشف ومعيشة سيئة لا نراكم شيأ وكنتم تقصدوننا اذا قحطت بلادكم فنأمر لكم بشئ من التمر والشعير ثم نردكم وقد علمت انه لم يحملكم على ما صنعتم الا الجهد فى بلادكم فأنا آمر لاميركم بكسوة وبغل وألف درهم وآمر لكل منكم بوقر تمر وتنصرفون عنا فانى لست أشتهى ان أقتلكم فتكلم المغيرة فحمد الله واثنى عليه وقال ان الله خالق كل شئ ورازقه فمن صنع شيأ فانما هو يصنعه وأما

واعتدال بنيته واتساعه فى علمه وطبيب لا تخشى معه داء ولا شيأ من العوارض الا مايطرأ من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية وحل العقدة التى عقدها المبدع لها المخترع لهذا الجسم الحى وان كانت بنية الانسان وهيكله قد نصبت فى هذا العالم عرضا للآفات والحتوف والبلايا وقدح عندى اذا أنا ملأته شرب منه عسكرك بجمعه ولا ينقص منه شئ ولا يزيده الوارد عليه الا دهاقا وأنا منفذ جميع ذلك الى الملك وصائر اليه فلما قرأ الاسكندر الكتاب ووقف على ما فيه قال تكون هذه الاشياء الاربعة عندى ونجاة هذا الحكيم من صولتى أحب الىّ من ان لا تكون عندى ويهلك فأنفذ اليه الاسكندر جماعة من حكماء اليونانيين فى عدة من الرجال وتقدم اليهم ان كان صادقا فيما كتب به فاحملوا ذلك الىّ ودعوا الرجل فى موضعه وان تبينتم أن الامر بخلاف ذلك وأنه أخبر عن الشئ على خلاف ما هو به فقد خرج عن حد الحكمة فأشخصوه الىّ فمضى القوم حتى انتهوا الى الملك فتلقاهم بأحسن لقاء وأنزلهم أحسن منزل فلما كان فى اليوم الثالث جلس لهم مجلسا خاصا للحكماء منهم دون من كان معهم من المقاتلة فقال بعض الحكماء لبعض ان صدقنا فى الاول

الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك فنحن نعرفه فالله صنعه بكم ووضعه فيكم وهو له دونكم وأما الذي ذكرت فينا من سوء الحال والضيق والاختلاف فنحن نعرفه ولسنا ننكره والله ابتلانا به والدنيا دول ولم يزل أهل الشدائد يتوقعون الرخاء حتى يصيروا اليه ولم يزل اهل الرخاء يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم يقصر عما أوتيتم واسلمكم ضعف الشكر الى تغير الحال ولو كنا فيما ابتلينا به اهل الكفر لكان عظيم ما ابتلينا به مستجلبا من الله رحمة ورأفة علينا ان الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولا ثم ذكر مثل ما تقدم من ذكر الاسلام والجزية والقتال وقال له وان عيالنا قد ذاقوا طعام بلادكم فقالوا لا صبر لنا عنه فقال رستم اذا تموتون دونها فقال المغيرة يدخل من قتل منا الجنة ومن قتل منكم النار ويظفر من بقي منا بمن بقي منكم فاستشاط رستم غضبا ثم حلف ان لا يرتفع الصبح غدا حتى نقتلكم أجمعين وانصرف المغيرة وخلص رستم بأهل فارس وقال أين هؤلاء منكم هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا أم كاذبين والله لئن كان بلغ من عقلهم وصونهم لسرهم ان لا يختلفوا فما قوم ابلغ لما أرادوا منهم ولئن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شيء فلجوا وتجلدوا فأرسل رستم رسولا خلف المغيرة وقال له اذا قطع القنطرة فاعلمه ان عينه تفقأ غدا فأعلمه الرسول ذلك فقال المغيرة بشرتني بخير وأجر ولولا ان اجاهد بعد هذا اليوم أشباهكم من المشركين لتمنيت ان الاخرى ذهبت فرجع الى رستم فأخبره فقال اطيعوني يا أهل فارس اني لأرى لله فيكم نقمة لا تستطيعون ردها ثم أرسل اليه سعد بقية ذوي الرأي فساروا وكانوا ثلاثة الى رستم فقالوا له ان أميرنا يدعوك الى ما هو خير لنا ولك والعافية أن تقبل ما دعاك اليه ونرجع الى أرضنا وترجع الى أرضك ودارنا لكم وأمركم فيكم وما أصبتم كان زيادة لكم دوننا وكنا عونا لكم على أحد ان أرادكم فاتق الله ولا يكونن هلاك قومك على يدك وليس بينك وبين ان تغبط بهذا الامر الا ان تدخل فيه وتطرد به الشيطان عنك فقال لهم ان الامثال أوضح من كثير من الكلام انكم كنتم أهل جهد وقشف لا تنتصفون ولا تمتنعون فلم نسئ جواركم وكنا نميركم ونحسن اليكم فلما طعمتم طعامنا وشربتم شرابنا وصفتم لقومكم ذلك ودعوتموهم ثم أتيتمونا وانما مثلكم ومثلنا كمثل رجل كان له كرم فرأى فيه ثعلبا فقال وما ثعلب فانطلق الثعلب فدعا الثعالب الى ذلك الكرم فلما اجتمعوا اليه سد صاحب الكرم النقب الذي كن يدخلن منه فقتلهن فقد علمت ان الذي حملكم على هذا الحرص والجهد فارجعوا ونحن نميركم فاني لا أشتهي ان أقتلكم ومثلكم أيضا كالذباب يرى العسل فيقول من يوصلني اليه وله درهمان فاذا دخله غرق ونشب فيقول من يخرجني وله أربعة دراهم وقال أيضا ان رجلا وضع سلة وجعل طعامه فيها فأتى الجرذان فخرقوا السلة فدخلوا فيها فأراد سدها فقيل له لا تفعل اذن تخرقه لكن انقب بحياله ثم اجعل قصبة مجوفة فاذا دخلها الجرذان وخرجن منها فاقتل كل ما خرج منها وقد سددت عليهم ان يقتحموا القصبة ولا يخرج منها أحد الا قتل فما دعاكم الى ما صنعتم ولا ارى عددا ولا عدة قال فتكلم القوم وذكروا سوء حالهم وما من الله به عليهم من ارسال رسوله واختلافهم أولا ثم اجتماعهم على الاسلام وما أمرهم به من الجهاد وقالوا وأما ما ضربت لنا من الامثال فليس كذلك ولكن انما مثلكم كمثل رجل غرس أرضا واختار لها الشجر وأجرى اليها الانهار وزينها بالقصور وأقام فيها فلاحين يسكنون قصورها ويقومون على جنانها فخلا الفلاحون في القصور على ما لا يحب فأطال امهالهم فلم يستحيوا فدعا اليها غيرهم وأخرجهم منها فان ذهبوا عنها تخطفهم الناس وان أقاموا فيها صاروا خولا لهؤلاء فيسومونهم

صدقنا فيما بعدها مما ذكر فلما أخذت الحكماء مراتبها واستقرت بها مجالسها أقبل عليهم مباحثا لهم في أصول الفلسفة والكلام في الطبيعيات وما فوقها من الالهيات وعلى شماله جماعة من حكمائه وفلاسفته فطال الخطب في المبادي الاول وتشاجوا القوم ونظروا في موضوعات العلماء وترتيبات الحكماء على غير مراء وتناهى بهم الحكماء الى غاية كان اليها صدورهم من العلويات ثم أخرج الجارية فلما ظهرت لابصارهم رمقوها باعينهم فلم يقع طرف واحد منهم على عضو من أعضائها مما ظهر فأمكنه ان يتعدى ببصره الى غيره وشغله تأمل ذلك وحسنه وحسن شكلها واتقان صورتها فخاف القوم على عقولهم لما ورد عليهم عند النظر اليها ثم ان كل واحد منهم رجع الى نفسه وفهمه وقهر سلطان هواه ودواعي طبعه ثم أراهم بعد ذلك ما تقدم الوعد به وسيرهم وسير الفيلسوف والطبيب والجارية والقدح معهم وشيعهم مسافة من أرضه فلما وردوا على الاسكندر أمر بانزال الطبيب والفيلسوف ونظر الى الجارية فحار عند مشاهدتها وبهرت عقله وأمر قيمة جوار به بالقيام عليها ثم صرف همته الى الفيلسوف والى علم ما عنده

الخسف ابدا والله لولم يكن ما نقول حقا ولم يكن الا الدنيا لما صبرنا عن الذى نحن فيه من لذيذ عيشكم ورأينا من زبرجكم ولقارعنا كم عليه فقال رستم اتعبرون الينا أم نعبر اليكم فقالوا بل اعبروا الينا ورجعوا من عنده عشيا وأرسل سعد الى الناس ان يقفوا مواقفهم وأرسل اليهم شأنكم والعبور فارادوا القنطرة فقال لا ولا كرامة اما شئ غلبنا كم عليه فلن نرده عليكم فباتوا يسكرون العتيق حتى الصباح بالتراب والقصب والبراذع حتى جعلوه طريقا واستتم بعدما ارتفع النهار ورأى رستم من الليل كأن ملكا نزل من السماء فاخذ قسى أصحابه فختم عليها ثم صعد بها الى السماء فاستيقظ مهموما واستدعى خاصته فقصها عليهم وقال ان الله ليعظنا لو اتعظنا ولما ركب رستم ليعبر كان عليه درعان ومغفر وأخذ سلاحه ووثب فاذا هو على فرسه ولم يضع رجله فى الركاب وقال غدا ندقهم دقا فقال له رجل ان شاء الله فقال وان لم يشأ ثم قال ان ما صفا الثعلب حين مات الاسد يعنى كسرى وانى أخشى أن تكون هذه سنة القرود وانما قال هذه الاشياء توهينا للمسلمين عند الفرس والا فالمشهور عنه الخوف من المسلمين وقد أظهر ذلك الى من يثق به

﴿ذكر يوم ارماث﴾

لما عبر الفرس العتيق جلس رستم على سريره وضرب عليه طيارة وعبى فى القلب ثمانية عشر فيلا عليها صناديق ورجال وفى المجنبتين ثمانية وسبعة وأقام الجالينوس بينه وبين ميمنته والفيرزان بينه وبين ميسرته وكان يزدجرد قد وضع بينه وبين رستم رجالا على كل دعوة رجلا أولهم على باب ايوانه وآخرهم مع رستم فكل ما فعل رستم شيأ قال الذى معه للذى يليه كان كذا وكذا ثم يقول الثانى ذلك للذى يليه وهكذا الى ان ينتهى الى يزدجرد فى أسرع وقت وأخذ المسلمون مصافهم وكان بسعد دماميل وعرق النسا فلا يستطيع الجلوس انما هو مكب على وجهه فى صدره وسادة على سطح القصر يشرف على الناس والصف فى أصل حائطه لو تعداه الصف فواق ناقة لاخذ برمته فما كرثه هول تلك الايام شجاعة وذكر ذلك الناس وعابه بعضهم بذلك فقال

نقاتل حتى أنزل الله نصره ❊ وسعد بباب القادسية معصم
فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ❊ ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فبلغت أبياته سعدا فقال اللهم ان كان هذا كاذبا وقال الذى قاله رياء وسمعة فاقطع عنى لسانه فانه لواقف فى الصف يومئذ أتاه سهم غرب فاصاب لسانه فما تكلم بكلمة حتى لحق بالله تعالى وقال جرير بن عبد الله نحو ذلك أيضا وكذلك غيره ونزل سعد الى الناس فاعتذر اليهم وأراهم ما به من القروح فى فخذيه واليتيه فعذره الناس وعلموا حاله ولما عجز عن الركوب استخلف خالد بن عرفطة على الناس فاختلف عليه فاخذ نفرا ممن شغب عليه فحبسهم فى القصر منهم أبو محجن الثقفى وقيده وقيل بل كان حبس أبى محجن بسبب الخمر وأعلم الناس انه قد استخلف خالدا وانما يأمرهم خالد فسمعوا وأطاعوا وخطب الناس يومئذ وهو يوم الاثنين من المحرم سنة أربع عشرة وحثهم على الجهاد وذكرهم ما وعدهم الله من فتح البلاد وما نال من كان قبلهم من المسلمين من الفرس وكذلك فعل أمير كل قوم وأرسل سعد نفرا من ذوى الرأى والنجدة منهم المغيرة وحذيفة وعاصم وطليحة وقيس الاسدى وغالب وعمرو بن معديكرب وأمثالهم ومن الشعراء الشماخ والحطيئة وأوس بن مغراء وعبيدة بن الطبيب وغيرهم وأمرهم بتحريض الناس على القتال ففعلوا وكان صف المشركين على شفير العتيق وكان صف المسلمين مع حائط قديس والخندق فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق ومع الفرس ثلاثون ألف مسلسل وأمر سعد الناس بقراءة

والى علم الطبيب ومحله من صنعة الطب وحفظ الصحة وقص الحكماء عليه ما جرى لهم من المباحثة مع الملك الهندى ومن أحضره من فلاسفته وحكمائه فأعجبه ذلك وتأمل اغراض القوم ومقاصدهم والغاية التى اليها كان اصدرهم واقبل ينظر الى مطاردة الهند فى عللها ومعلولاتها وما يصفه اليونانيون من عللها وصحة قياسها على ما قدمنا من أوضاعها ثم أراد محنة الفيلسوف على حسب ما أخبر عنه فخلا بنفسه وأجال فكره فسنح له سانح من الفكر بايقاع معنى يختبره به فدعا بقدح فملأه سمنا وأدهقه ولم يجعل للزيادة عليه سبيلا ودفعه الى رسول له وقال له امض به الى الفيلسوف ولا تخبره بشئ فلما ورد الرسول بالقدح ودفعه الى الفيلسوف قال بصحة فهمه وتبينه للامور المتقنة المحكمة فى نفسه لامر ما بعث هذا الملك الحكيم بهذا السمن الى وأجال فكره وسبر المراد به ثم دعا بنحو ألف ابرة فغرز أطرافها فى السمن وأنفذها الى الاسكندر فأمر الاسكندر بسبكها كرة مدورة ململمة متساوية الاجزاء وأمر بردها الى الفيلسوف فلما نظر اليها الفيلسوف وتأمل فعل الاسكندر فيها أمر ببسطها وبأن يتخذ منها مرآة بحضرته وصقلها فصارت جسما صقيلا

سورة الجهاد وهى الانفال فلما قرئت هشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها فلما فرغ القراء منها قال سعد الزموا مواقفكم حتى تصلوا الظهر فاذا صليتم فانى مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا فاذا سمعتم الثانية فكبروا والبسوا عدتكم ثم اذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس فاذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لا حول ولا قوة الا بالله فلما كبر سعد الثالثة برز أهل النجدات فانشبوا القتال وخرج اليهم من الفرس أمثالهم فاعتوروا الطعن والضرب وقال غالب بن عبد الله الاسدى

قد علمت واردة المسائح * ذات اللسان والبيان الواضح

أنى سمام البطل المسالح * وفارج الامر المهم الفادح

فخرج اليه هرمز وكان من ملوك الباب وكان متوجا فاسره غالب فجاء به سعدا ورجع وخرج عاصم وهو يقول

قد علمت بيضاء صفراء اللبب * مثل اللجين اذ تغشاه الذهب

أنى امرؤ لا من يعيبه السبب * مثلى على مثلك يغريه العتب

فطارد فارسيا فانهزم فاتبعه عاصم حتى خالط صفوفهم فحموه فاخذ عاصم رجلا على بغل وعاد به واذ هو خباز الملك معه من طعام الملك وخبيصه فاتى به سعدا فنفله أهل موقفه وخرج فارسى وطلب البراز فبرز اليه عمرو بن معديكرب فاخذه وجلد به الارض فذبحه وأخذ سواريه ومنطقته وحملت الفيلة عليهم ففرقت بين الكتائب فنفرت الخيل وكانت الفرس وقد قصدت بجيلة بسبعة عشر فيلا فنفرت خيل بجيلة فكادت بجيلة تهلك لنفار خيلها عنها وعمن معها وأرسل سعد الى بنى أسد ان دافعوا عن بجيلة وعمن معها من الناس فخرج طليحة بن خويلد وحمال بن مالك فى كنائبهما فباشروا الفيلة حتى عدلها ركبانها وخرج الى طليحة عظيم منهم فقتله طليحة وقام الاشعث بن قيس فى كندة فقال يا معشر كندة لله در بنى أسد أى فرى يفرون وأى هز يهزون عن موقفهم أغنى كل قوم ما يليهم وأنتم تنتظرون من يكفيكم أشهد ما احسنتم اسوة قومكم من العرب فنهدوا ونهد معه فازالوا الذين بازائهم فلما رأى الفرس ما يلقى الناس والفيلة من أسد رموهم بحدهم وحملوا عليهم وفيهم ذو الحاجب والجالينوس والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد فاجتمعت حلبة فارس على أسد ومعهم تلك الفيلة فثبتوا لهم وكبر سعد الرابعة وزحف اليهم المسلمون ورحا الحرب تدور على أسد وحملت الفيول على الميمنة والميسرة فكانت الخيول تحيد عنها فارسل سعد الى عاصم بن عمرو التميمى فقال يا معشر بنى تميم أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة قالوا بلى والله ثم نادى فى رجال من قومه رماة وآخرين لهم ثقافة فقال يا معشر الرماة ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل وقال يا معشر أهل الثقافة استدبروا الفيلة فقطعوا وضنها وخرج يحميهم ورحا الحرب تدور على أسد وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد وأقبل أصحاب عاصم على الفيلة فاخذوا باذناب توابيتها فقطعوا وضنها وارتفع عواؤهم فما بقى لهم فيل الا أوى وقتل أصحابها ونفس عن أسد وردوا فارسا عنهم الى مواقفهم واقتتلوا حتى غربت الشمس ثم حتى ذهبت هدأة من الليل ثم رجع هؤلاء وهؤلاء وأصيب من أسد تلك العشية خمسمائة وكانوا ردا للناس وكان عاصم حامية للناس وهذا اليوم الاول وهو يوم ارماث فقال عمرو بن شاس الاسدى

جلبنا الخيل من أكناف نيق * الى كسرى فوافقها رعالا

تركن لهم على الاقسام شجوا * وبالحقوين أياما طوالا

قتلنا رستما وبنيه قسرا * تثير الخيل فوقهم الهيالا

ترد صورة من قابلها من الاشخاص لشدة صفائها وزوال الدرن عنها وأمر بردها الى الاسكندر فلما نظر اليها وتأمل حسن صورته فيها دعا بطست فجعل المرآة فيه وأمر باراقة الماء فيه عليها حتى رسبت وأمر بحمل ذلك الى الفيلسوف فلما نظر الفيلسوف الى ذلك أمر بالمرآة فجعل منها مشربة كالطرجهارة وجعلها فى الطست فوق الماء فطفت فوقه وأمر بردها الى الاسكندر فلما نظر الاسكندر الى ذلك أمر بتراب ناعم فملئت منه وردها الى الفيلسوف فلما نظر الفيلسوف الى ذلك تغير لونه وحال وجزع وتغيرت صفاته وأسبل دموعه على خده وكثر شهيقه وطال أنينه وظهر حنينه وأقام بقية يومه غير منتفع بنفسه ثم أفاق من ذلك الحال وزجر نفسه وأقبل عليها كالمعاتب لها وقال ويحك يا نفس ما الذى قذف بك فى هذه السدفة وأصار بك الى هذه الغمة ووصلك بهذه الظلمة أنسيت وأنت فى النور تمرحين وفى العلوم تسرحين وتنظرين فى الضياء الصادق وتتفسحين فى العالم المشرق أنزلت الى عالم الظلم والمعاندة والغشم والمفاسدة تتخطفك الخواطف وتتهرك العواصف قد حرمت علم الغيوب والكون فى العالم المحبوب ورميت بشدائد المطلوب ورفضت كل مطلوب

الابيات وكان سعد قد تزوج سلمى امرأة المثنى بن حارثة الشيبانى بعده بشراف فلما جال الناس يوم ارماث وكان سعد لا يطيق الجلوس جعل سعد يتململ جزعا فوق القصر فلما رأت سلمى ما يصنع الفرس قالت وامثنياه ولا مثنى للخيل اليوم قالت ذلك عند رجل ضجر مما يرى فى أصحابه ونفسه فلطم وجهها وقال أين المثنى عن هذه الكتيبة التى تدور عليها الرحا يعنى أسدا وعاصما فقالت أغيرة وجبنا فقال والله لا يعذرنى اليوم أحد ان لم تعذرينى وأنت ترين ما بى فتعلقها الناس لم يبق شاعر الا اعتد بها عليه وكان غير جبان ولا ملوم

(ذكر يوم أغواث)

ولما أصبح القوم وكل سعد بالقتلى والجرحى من ينقلهم فسلم الجرحى الى النساء ليقمن عليهم وأما القتلى فدفنوا هنالك على مشرق وهو واد بين العذيب وعين الشمس فلما نقل سعد القتلى والجرحى طلعت نواصى الخيل من الشام وكان فتح دمشق قبل القادسية فلما قدم كتاب عمر على أبى عبيدة بن الجراح بارسال أهل العراق سيرهم وعليهم هاشم بن عتبة بن أبى وقاص وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو التميمى فعجل القعقاع فقدم على الناس صبيحة هذا اليوم وهو يوم اغواث وقد عهد الى أصحابه ان يتقطعوا اعشارا وهم ألف كل ما بلغ عشرة مدى البصر سرحوا عشرة فقدم أصحابه فى عشرة فأتى الناس فسلم عليهم وبشرهم بالجنود وحرضهم على القتال وقال اصنعوا كما أصنع وطلب البراز فقالوا فيه يقول أبو بكر لا يهزم جيش فيهم مثل هذا فخرج اليه ذو الحاجب فعرفه القعقاع فنادى يا ثارات أبى عبيدة وسليط وأصحاب الجسر وتضاربا فقتله القعقاع وجعلت خيله ترد الى الليل وتنشط الناس وكان لم يكن بالامس مصيبة وفرحوا بقتل ذى الحاجب وانكسرت الاعاجم بذلك وطلب القعقاع البراز فخرج اليه الفيرزان والبنذوان فانضم الى القعقاع الحرث بن ظبيان بن الحرث أحد بنى تيم اللات فتبارزوا فقتل القعقاع الفيرزان وقتل الحرث البنذوان ونادى القعقاع يا معشر المسلمين باشروهم بالسيوف فانما يحصد الناس بها فاقتتلوا حتى المساء فلم ير أهل فارس فى هذا اليوم ما يعجبهم وأكثر المسلمون فيهم القتل ولم يقاتلوا فى هذا اليوم على فيل كانت توابيتها انكسرت بالامس فاستأنفوا عملها فلم يفرغوا منها حتى كان الغد وجعل القعقاع كل ما طلعت قطعة من أصحابه كبر وكبر المسلمون ويحمل ويحملون وحمل بنو عم القعقاع عشرة عشرة على ابل قد ألبسوها وهى مجللة مبرقعة وأطافت بهم خيولهم تحميهم وأمرهم القعقاع أن يحملوها على خيل الفرس يتشبهون بالفيلة ففعلوا بهم هذا اليوم وهو يوم اغواث كما فعلت فارس يوم ارماث فجعلت خيل الفرس تفر منها وركبتها خيول المسلمين فلما رأى الناس ذلك سروا بها فلقى الفرس من الابل أعظم ما لقى المسلمون من الفيلة وحمل رجل من تميم على رستم يريد قتله فقتل دونه وخرج رجل من فارس يبارز فبرز اليه الاعرف بن الاعلم العقيلى فقتله ثم برز اليه آخر فقتله وأحاطت به فوارس منهم فصرعوه وأخذوا سلاحه فغبر فى وجوههم التراب حتى رجع الى أصحابه وحمل القعقاع بن عمرو يومئذ ثلاثين حملة كل ما طلعت قطعة حمل حملة وأصاب فيها وقتل فكان آخرهم بزرجمهر الهمدانى وبارز الاعور بن قطبة شهريار سجستان فقتل كل واحد منهما صاحبه وقاتلت الفرسان الى انتصاف النهار فلما اعتدل النهار تزاحف الناس فاقتتلوا حتى انتصف الليل فكانت ليلة ارماث تدعى الهدأة وليلة أغواث تدعى السواد ولم يزل المسلمون يرون يوم اغواث الظفر وقتلوا فيه عامة اعلامهم وجالت فيه خيل القلب وثبت رجلهم فلولا ان خيلهم عادت أخذ رستم أخذا وبات الناس على ما بات عليه القوم ليلة

أين مصادرك الطيبه وراحتك القويه حلت فى الاجساد فقوى عليك الكون والفساد حلت يا نفس بين السباع القاتلة والافاعى المهلكة والنيران المحرقة والريح العاصفة وصيرتك الاعمار فى قرارات الاجسام لا تشاهدى الا غافلا ولا ترين الا جاهلا قد زهد فى الخيرات ورغب عن الحسنات ثم رفع طرفه نحو السماء فرأى النجوم تزهر فقال بأعلى صوته يالك من نجوم سائره وأجسام زاهره من عالم شريف طلعت ولشئ ما وضعت انك من عالم نفيس قد كانت النفس فى أعاليه ساكنه وفى اكنافه قاطنه فقد أصبحت عنه ظاعنه ثم أقبل على الرسول وقال خذه ورده الى الملك يعنى التراب ولم يحدث فيه حادثة فلما ورد الرسول على الاسكندر أخبره بجميع ما شاهد فتعجب الاسكندر من ذلك وعلم مرامى الفيلسوف ومقاصده وغاية مراده فيما وقع بالنفوس من النقلة عما علا من العوالم الى هذا العالم ولما كان فى صبيحة تلك الليلة جلس له الاسكندر جلوسا خاصا ودعا به ولم يكن رآه قبل ذلك فلما أقبل ونظر الى صورته وتامل قامته وخلقته نظر الى رجل طويل الجسم رحب الجبين معتدل البنية فقال فى نفسه هذه بنية تضاد الحكمة فاذا اجتمع حسن الصورة

ارماث ولم يزل المسلمون ينتمون فلما سمع سعد ذلك قال لبعض من عنده ان تم الناس على الانتماء فلا توقظني فانهم اقوياء وان سكتوا ولم ينتم الآخرون فلا توقظني فانهم على السواء فان سمعتهم ينتمون فايقظني فان انتماءهم من السوء ولما اشتد القتال وكان أبو محجن قد حبس وقيد فهو في القصر قال لسلمى زوج سعد هل لك ان تخلين عني وتعيريني البلقاء فلله علي ان سلمني الله أن أرجع اليك حتى أضع رجلي في قيدي فأبت فقال

كفى حزنا ان تردى الخيل بالقنا * وأترك مشدودا علي وثاقيا

اذا قمت عناني الحديد وأغلقت * مصاريع دوني قد تصم المناديا

وقد كنت ذا مال كثير واخوة * فقد تركوني واحدا لا أخاليا

ولله عهد لا أخيس بعهده * لئن فرجت أن لا أزور الحوانيا

فرقت له سلمى وأطلقته وأعطته البلقاء فرس سعد فركبها حتى كان بحيال الميمنة كبر ثم حمل على ميسرة الفرس ثم رجع خلف المسلمين وحمل على ميمنتهم وكان يقصف الناس قصفا منكرا وتعجب الناس منه وهم لا يعرفونه فقال بعضهم هو من أصحاب هاشم أو هاشم بنفسه وكان سعد يقول لولا محبس أبي محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء وقال بعض الناس هذا الخضر وقال بعضهم لولا ان الملائكة لا تباشر الحرب لقلنا انه ملك فلما انتصف الليل وتراجع المسلمون والفرس عن القتال أقبل أبو محجن فدخل القصر وأعاد رجليه في القيد وقال

لقد علمت ثقيف غير فخر * بانا نحن أكرمهم سيوفا

وأكثرهم دروعا سابغات * وأصبرهم اذا كرهوا الوقوفا

وانا وفدهم في كل يوم * فان عموا فسل بهم عريفا

وليلة قادس لم يشعروا بي * ولم أشعر بمخرجي الزحوفا

فان أحبس فذلكم بلائي * وان أترك أذيقهم الحتوفا

فقالت له سلمى في أي شئ حبسك فقال والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته ولكنني كنت صاحب شراب في الجاهلية وانا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني فقلت

اذا مت فادفني الى أصل كرمة * تروي عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفنني بالفلاة فانني * أخاف اذا مامت أن لا أذوقها

فلذلك حبسني فلما أصبحت أتت سعدا فصالحته وكانت مغاضبة له وأخبرته بخبر أبي محجن فاطلقه فقال اذهب فما أنا مؤاخذك بشئ تقوله حتى تفعله قال لاجرم لا أجيب لساني الى قبيح أبدا

(ذكر يوم عماس)

ثم أصبحوا اليوم الثالث وهم على مواقفهم وبين الصفين من قتلى المسلمين ألفان من جريح وميت ومن المشركين عشرة آلاف فجعل المسلمون ينقلون قتلاهم الى المقابر والجرحى الى النساء وكان النساء والصبيان يحفرون القبور وكان على الشهداء حاجب بن زيد واما قتلى المشركين فبين الصفين لم ينقلوا وكان ذلك مما قوى المسلمين وبات القعقاع تلك الليلة يسرب أصحابه الى المكان الذي فارقهم فيه وقال اذا طلعت الشمس فاقبلوا مائة مائة فان جاء هاشم فذاك والا جددتم للناس رجاء وجدا ولا يشعر به أحد وأصبح الناس على مواقفهم فلما ذر قرن الشمس أقبل أصحاب القعقاع فحين رآهم كبر وكبر المسلمون وتقدموا وتكتبت الكتائب واختلفوا الضرب والطعن والمدد متتابع فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى اليهم هاشم فاخبر بما صنع القعقاع فعبى

اصحابه

وحشن الفهم كان أوحد زمانه ولست أشك ان هذا الشخص قد علم كل ما راسلته به وأجابني عليه من غير مخاطبة ولا موافقة ولا مباحثة فليس في وقته أحد يدانيه في حكمته ولا يلحقه في علمه وتامل الفيلسوف الاسكندر فادار أصبعه السبابة على وجهه ووضعها على أرنبة انفه وأسرع نحو الاسكندر وهو جالس على غير سرير ملكه فحياه بتحية الملوك فاشار اليه الاسكندر بالجلوس فجلس حيث أمره فقال له الاسكندر ما بالك حين نظرت الي ورميت بطرفك نحوي أدرت أصبعك حول وجهك ووضعتها على أرنبة انفك قال تاملتك أيها الملك بنورية عقلي وصفاء مزاجي فتبينت فكرتك في وتاملك لصورتي وأنها قلما تجتمع مع الحكمة فاذا كان ذلك كان صاحبها أوحد زمانه فادرت أصبعي مصداقا لما سنح لك وأريتك مثالا شاهدا كما انه ليس في الوجه الا أنف واحد فكذلك ليس في دار مملكة الهندي غيري ولا يلحق أحد من الناس بي في حكمتي فقال له الاسكندر ما أحسن ما تأتى لك ماذكرت وانتظم لك بحسن الخاطر ما وصفت فدع عنك هذا ما بالك حين أنفذت اليك قدحا مملوأ سمنا غرزت فيه ابرا ورددته الي قال الفيلسوف علمت أيها الملك انك تقول ان قلبي قد امتلأ وعلمي قد انتهى

أصحابه سبعين سبعين وكان فيهم قيس بن هبيرة بن عبد يغوث المعروف بقيس بن المكشوح المرادي ولم يكن من أهل الايام انما كان باليرموك فانتدب مع هاشم حتى اذا خالط القلب كبر وكبر المسلمون وقال أوّل قتال المطاردة ثم المراماة ثم حمل على المشركين يقاتلهم حتى خرق صفهم الى العتيق ثم عاد وكان المشركون قد باتوا يعملون توابيتهم حتى أعادوها وأصبحوا على مواقفهم وأقبلت الرجالة مع الفيلة يحمونها أن تقطع وضنها ومع الرجالة فرسان يحمونهم فلم تنفر الخيل منهم كما كانت بالامس لان الفيل اذا كان وحده كان أوحش واذا أطافوا به كان آنس وكان يوم عماس من أوّله الى آخره شديدا العرب والعجم فيه سواء ولا تكون بينهم نقطة الا أبلغوها يزدجرد بالاصوات فيبعث اليهم أهل النجدات ممن عنده فلولا ان الله ألهم القعقاع ما فعل في اليومين والا كسر ذلك المسلمين وقاتل قيس بن المكشوح وكان قد قدم مع هاشم قتالا شديدا وحرض أصحابه وقال عمرو بن معديكرب اني حامل على الفيل ومن حول الفيل بازائه فلا تدعوني أكثر من جزر جزور فان تأخرتم عني فقدتم أبا ثور يعني نفسه وأين لكم مثل أبي ثور فحمل وضرب فيهم حتى ستره الغبار وحمل أصحابه فافرج المشركون عنه بعدما صرعوه وان سيفه لفي يده يصارمهم وقد طعن فرسه فاخذ برجل فرس أعجمي فلم يطق الجري فنزل عنه صاحبه الى أصحابه وركبه عمرو وبرز فارسي فبرز اليه رجل من المسلمين يقال له شبر بن علقمة وكان قصيرا فترجل الفارسي اليه فاحتمله وجلس على صدره ثم أخذ سيفه ليذبحه ومقود فرسه مشدود في منطقته فلما سل سيفه نفر الفرس فجذبه المقود فقلبه عنه وتبعه المسلم فقتله وأخذ سلبه فباعه باثني عشر ألفا فلما رأى سعد الفيول قد فرقت بين الكتائب وعادت لفعلها أرسل الى القعقاع وعاصم ابني عمرو اكفياني الابيض وكانت كلها آلفة له وكان بازائهما وقال لحمال والربيل اكفياني الاجرب وكان بازائهما فاخذ القعقاع وعاصم رمحين وتقدما في خيل ورجل وفعل حمال والربيل مثل فعلهما فحمل القعقاع وعاصم فوضعا رمحيهما في عين الفيل الابيض فنفض رأسه فطرح ساسته ودلى مشفره فضربه القعقاع فرمى به ووقع لجنبه وقتلوا من كان عليه وحمل حمال والربيل الاسديان على الفيل الآخر فطعنه حمال في عينه فأقعى ثم استوى وضربه الربيل فابان مشفره وبصر به سائسه فبقر انفه وجبينه بالطبرزين فافلت الربيل جريحا فبقي الفيل جريحا متحيرا بين الصفين كلما جاء صف المسلمين وخزوه واذا أتى صف المشركين نخسوه وولى الفيل وكان يدعى الاجرب وقد عور حمال عينيه فالقى نفسه في العتيق فاتبعته الفيلة فخرقت صف الاعاجم فعبرت في أثره فاتت المدائن في توابيتها وهلك من فيها فلما ذهبت الفيلة وخلص المسلمون والفرس ومال الظل تزاحف المسلمون فاجتلدوا حتى أمسوا وهم على السواء فلما أمسى الناس اشتد القتال وصبر الفريقان فخرجا على السواء

(ذكر ليلة الهرير وقتل رستم)

قيل انما سميت بذلك لتركهم الكلام انما كانوا يهرون هريرا وأرسل سعد طليحة وعمرا ليلة الهرير الى مخاضة أسفل العسكر ليقوموا عليها خشية أن يأتيه القوم منها فلما أتياها قال طليحة لو خضنا وأتينا الاعاجم من خلفهم قال عمرو بل نعبر أسفل فافترقا وأخذ طليحة وراء العسكر وكبر ثلاث تكبيرات ثم ذهب وقد ارتاع أهل فارس وتعجب المسلمون وطلبه الاعاجم فلم يدركوه واما عمرو فانه أغار أسفل المخاضة ورجع وخرج مسعود بن مالك الاسدي وعاصم بن عمرو وابن ذي البردين الهلالي وابن ذي السهمين وقيس بن هبيرة الاسدي واشباههم فطردوا القوم فاذا هم

كامنلاء هذا الاناء من السمن فليس لاحد من الحكماء فيه مستزاد فاخبرت الملك ان علمي يستزيد في علمه ويدخل فيه دخول هذه الابر في هذا الاناء قال فاخبرني مابالك حين عمل من الابر كرة وأنفذتها اليك صيرتها مرآة ورددتها الى صقيلة قال علمت أيها الملك انك تريد أن قلبك قد قسا من سفك الدماء والشغل بسياسة هذا العالم كقسوة هذه الكرة فلا يقبل العلم ولا يرغب في فهم الغايات والعلوم والحكمة فاخبرتك مجيبا مثلا بسبك الكرة والحيلة في أمرها بجعلي منها مرآة صقيلة مؤدية الى الاجسام عند المقابلة لحسن الصفاء قال له الاسكندر صدقت قد أجبتني عن مرادي فاخبرني أيها الفيلسوف حين جعلت المرآة في الطست ورسبت في الماء جعلتها قدحا فوق الماء طافية ثم رددتها الى قال الفيلسوف علمت انك تريد بذلك ان الايام قد انقضت وقصرت والاجل قد قرب ولا يدرك العلم الكثير في المهل القليل فاجبت الملك ممثلا اني سأعمل الحيلة في ايراد العلم الكثير في المهل القليل الى قلبه وتقريبه من فهمه كاحتيالي للمرآة من بعد كونها راسبة في الماء حتى جعلتها طافية عليه قال له الاسكندر صدقت فاخبرني مابالك حين ملأت الاناء ترابا رددته الى ولم تحدث فيه حادثة كنعلك فيما سلف قال علمت انك تقول ثم الموت

لا يشدون ولا يريدون غير الزحف فقدموا صفوفهم وزاحفهم الناس بغير اذن سعد وكان أول من زاحفهم القعقاع وقال سعد اللهم اغفرها له وانصره فقد أذنت له ان لم يستأذني ثم قال أرى الامر ما فيه هذا فاذا كبرت ثلاثا فاحملوا وكبر واحدة فلحقهم أسد فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم حملت النخع فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم حملت بجيلة فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم حملت كندة فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم زحف الرؤساء ورحا الحرب تدور على القعقاع وتقدم حنظلة بن الربيع وأمراء الاعشار وطليحة وغالب وحمال وأهل النجدات ولما كبر الثالثة لحق الناس بعضهم بعضا وخالطوا القوم واستقبلوا الليل استقبالا بعد ما صلوا العشاء وكان صليل الحديد فيها كصوت القيون ليلتهم الى الصباح وأفرغ الله الصبر عليهم افراغا وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها ورأى العرب والعجم أمرا لم يروا مثله قط وانقطعت الاخبار والاصوات عن سعد ورستم وأقبل سعد على الدعاء فلما كان عند الصبح انتهى الناس فاستدل بذلك على انهم الاعلون وكان أول شئ سمعه نصف الليل الباقي صوت القعقاع بن عمرو وهو يقول

نحن قتلنا معشرا وزائدا * أربعة وخمسة وواحدا
نحسب فوق اللبد الاساودا * حتى اذا ماتوا دعوت جاهدا
* الله ربي واحترزت عامدا *

وقتلت كندة تركا الطبري وكان مقدما فيهم وأصبح الناس ليلة الهرير وتسمى ليلة القادسية من بين تلك الليالي وهم حسرى لم يغمضوا ليلتهم كلها فسار القعقاع في الناس فقال ان الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم فاصبروا ساعة واحملوا فان النصر مع الصبر فاجتمع اليه جماعة من الرؤساء وصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح فلما رأت ذلك القبائل قام فيها رؤساؤهم وقالوا لا يكونن هؤلاء أجد في أمر الله منكم ولا هؤلاء يعني الفرس أجرأ على الموت منكم فحملوا فيما يليهم وخالطوا من بازائهم فاقتتلوا حتى قام قائم الظهيرة فكان أول من زال الفيرزان والهرمزان فتأخرا وثبتا حيث انتهيا وانفرج القلب وركد عليهم النقع وهبت ريح عاصف فقلعت طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق وهي دبور ومال الغبار عليهم وانتهى القعقاع ومن معه الى السرير فعثروا به وقد قام رستم عنه حين أطارت الريح الطيارة الى بغال قد قدمت عليه بمال فهي واقفة فاستظل في ظل بغل وحمله وضرب هلال بن علقمة الحمل الذي تحته رستم فقطع حباله ووقع عليه أحد العدلين ولا يراه هلال ولا يشعر به فازال عن ظهره فقارا وضربه هلال ضربة فنفحت مسكا ومضى نحو العتيق فرمى بنفسه فيه واقتحمه هلال عليه وأخذ برجليه ثم خرج به فضرب جبينه بالسيف حتى قتله ثم القاه بين أرجل البغال ثم صعد السرير وقال قتلت رستم ورب الكعبة الى الى فاطافوا به وكبروا وانفله سعد سلبه وكان قد أصابه الماء ولم يظفر بقلنسوته ولو ظفر بها لكانت قيمتها مائة ألف وقيل ان هلالا لما قصد رستم رماه رستم بنشابة أثبت قدمه بالركاب فحمل عليه هلال فضربه فقتله ثم احتز رأسه وعلقه ونادى قتلت رستم فانهزم قلب المشركين وقام الجالينوس على الردم ونادى الفرس الى العبور واما المقترنون فانهم جشعوا فتهافتوا في العتيق فوخزهم المسلمون برماحهم فما أفلت منهم مخبر وهم ثلاثون ألفا وأخذ ضرار ابن الخطاب درفش كابيان وهو العلم الاكبر الذي كان للفرس فعوض منه ثلاثين ألفا وكانت قيمته ألف ألف ومائتي ألف وقتلوا في المعركة عشرة آلاف سوى من قتلوا في الايام قبله وقتل من المسلمين قبل ليلة الهرير ألفان وخمسمائة وقتل ليلة الهرير ويوم القادسية ستة آلاف فدفنوا في

وانه لابد منه ثم لحوق هذه البنية بهذا العنصر البارد اليابس المعتل الذي هو الارض ودثورها وتفرق أجزائها ومفارقة النفس الناطقة الصافية الشريفة اللطيفة لهذا الجسد المرئي قال الاسكندر صدقت ولاحسنن الى الهند من أجلك وأمر له بجوائز كثيرة وأقطعه قطائع واسعة فقال له الفيلسوف لو أحببت المال لما أردت العلم ولست أدخل على علمي ما يضاده وينافيه واعلم أيها الملك ان الغنية توجب الخدمة ولسنا نجد عاقلا من خدم غير ذاته واستعمل غير ما يصلح نفسه والذي يصلح النفس الفلسفة وهي صقالها وغذاؤها وتناول الحيوانية وغيرها من الموجودات ضدها والحكمة سبيل الى العلو وسلم اليه ومن عدم ذلك عدم القربة من بارئه واعلم أيها الملك أن بالعدل ركب جميع العالم بجزئياته ولا يقوم بالجور والعدل ميزان البارئ جل وعز فكذلك حكمته مبرأة عن كل ميل وزلل وأشبه الاشياء من أفعال الناس بافعال بارئهم الاحسان الى الناس وقد ملكت أيها الملك بسيفك وصولة ملكك وتأنيك في أمورك وانتظام سياستك أجسام رعيتك فتحر أن تملك قلوبهم باحسانك اليهم وانصافك لهم وعدلك فيهم فهي خزانة سلطانك فانك ان قدرت ان تقول قدرت ان تفعل فاحترز من ان تقول تأمن من ان تفعل فالملك السعيد من تمت له رياسة

الخندق حيال مشرق ودفن ما كان قبل ليلة الهرير على مشرق وجمعت الاسلاب والاموال فجمع شئ لم يجمع قبله ولا بعده مثله وأرسل سعد الى هلال فسأله عن رستم فاحضره فقال جرده الا ما شئت فاخذ سلبه فلم يدع عليه شيأ وأمر القعقاع وشرحبيل باتباعهم حتى بلغا مقدار الخرارة من القادسية وخرج زهرة بن الحوية التميمى فى آثارهم فى ثلثمائة فارس ثم أدركه الناس فلحق المنهزمين والجالينوس يجمعهم فقتله زهرة وأخذ سلبه وقتلوا ما بين الخرارة الى السيلحين الى النجف وعادوا من أثر المنهزمين ومعهم الاسرى فرؤى شاب من النخع وهو يسوق ثمانين رجلا أسرى من الفرس واستكثر سعد سلب الجالينوس فكتب فيه الى عمر فكتب عمر الى سعد تعمد الى مثل زهرة وقد صلى بمثل ما صلى به وقد بقى عليك من حربك ما بقى تفسد قلبه أمض له سلبه وفضله على أصحابه عند عطائه بخمسمائة ولما اتبع المسلمون الفرس كان الرجل يشير الى الفارسى فيأتيه فيقتله وربما أخذ سلاحه فقتله به وربما أمر رجلين فيقتل أحدهما صاحبه ولحق سلمان ابن ربيعة الباهلى وعبد الرحمن بن ربيعة بطائفة منهم قد نصبوا راية وقالوا لا نبرح حتى نموت فقتلهم سلمان ومن معه وكان قد ثبت بعد الهزيمة بضعة وثلاثون كتيبة استحيوا من الفرار وقصدهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين لكل كتيبة منها رئيس وكان قتال أهل الكتائب من الفرس على وجهين منهم من هرب ومنهم من ثبت حتى قتل وكان ممن هرب من أمراء الكتائب الهرمزان وكان بازاء عطارد ومنهم أهوذ وكان بازاء حنظلة بن الربيع وهو كاتب النبى صلى الله عليه وسلم ومنهم زاد بن بهيش وكان بازاء عاصم بن عمرو ومنهم قارن وكان بازاء القعقاع وكان ممن ثبت وقتل شهريار بن كنارا وكان بازاء سلمان بن ربيعة وابن الهربذ وكان بازاء عبد الرحمن بن ربيعة والفرخان الاهوازى وكان بازاء بسر بن أبى رهم الجهنى ومنهم خسرشنوم الهمذانى وكان بازاء ابن الهذيل الكاهلى وتراجع الناس من طلب المنهزمين وقد قتل مؤذنهم فتشاح المسلمون فى الاذان حتى كادوا يقتتلون وأقرع سعد بينهم فخرج سهم رجل فاذن وفضل أهل البلاء من أهل القادسية عند العطاء بخمسمائة خمسمائة وهم خمسة وعشرون رجلا منهم زهرة وعصمة الضبى والكلج وأما أهل الايام قبلها فانهم فرض لهم على ثلاثة آلاف فضلوا على أهل القادسية فقيل لعمر لو ألحقت بهم أهل القادسية فقال لم أكن لالحق بهم من لم يدركهم وقيل له لو فضلت من بعدت داره على من قاتلهم بفنائه قال كيف أفضلهم عليهم وهم شجن العدو وهل فعل المهاجرون بالانصار هذا وكانت العرب تتوقع وقعة العرب وأهل فارس بالقادسية فيما بين العذيب الى عدن أبين وفيما بين الابلة وايلة يرون ان ثبات ملكهم وزواله بها وكانت فى كل بلد مصيخة اليها تنتظر ما يكون من أمرها فلما كانت وقعة القادسية سارت بها الجن فأتت بها اناسا من الانس فسبقت أخبار الانس وكتب سعد الى عمر بالفتح وبعدة من قتلوا وبعدة من أصيب من المسلمين وسمى من يعرف مع سعد بن عميلة الفزارى وكان عمر يسأل الركبان من حين يصبح الى انتصاف النهار عن أهل القادسية ثم يرجع الى أهله ومنزله قال فلما لقى البشير سأله من أين فأخبره قال يا عبد الله حدثنى قال هزم الله المشركين وعمر يخب معه يسأله والآخر يسير على ناقته لا يعرفه حتى دخل المدينة واذا الناس يسلمون عليه بامرة المؤمنين قال البشير هلا أخبرتنى رحمك الله انك أمير المؤمنين فقال عمر لا بأس عليك يا أخى وأقام المسلمون بالقادسية فى انتظار قدوم البشير وأمر عمر الناس ان يقوموا على أقباضهم ويصلحوا أحوالهم ويتابع اليهم أهل الشام ممن شهد اليرموك ودمشق ممدين لهم وجاء أولهم يوم اغواث وآخرهم بعد الغد

أيامه والملك الشقى من انقطعت عنه فمن تحرى فى سيرته العدل استنار قلبه بعذوبة الطهارة

(قال المسعودى رحمه الله)

وخلا الاسكندر عن الفيلسوف لا يمكنه المقام معه فلحق بارضه وللاسكندر مع هذا الفيلسوف مناظرات كثيرة فى أنواع من العلوم ومكاتبات ومراسلات جرت بين الاسكندر وبين كند ملك الهند قد أتينا على مبسوطها والغرر من معانيها والزهر من عيونها فى كتابنا فى أخبار الزمان وأما القدح فامتحنه حين أدهقه بالماء وأورد عليه الناس فلم ينقص شربهم منه شيأ وكان معمولا بضرب من خواص الهند والروحانية والطبائع التامة والتوهم وغير ذلك من العلم مما يدعيه الهند وقد قيل انه كان لآدم أبى البشر عليه السلام بارض سرنديب من بلاد الهند مبارك له فيها فورث عنه وتداولته الملوك الى ان انتهى الى كند هذا الملك العظيم سلطانه وما كان عليه من الحكمة وقيل غير ذلك من الوجوه مما قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وللطبيب معه أخبار ظريفة ومناظرات عجيبة فى أوائل المعرفة وصنعة الطب وترقيه الى مبسوط الصنعة من الطبيعيات وغيرها أعرضنا عن ذكرها خوفا من الاطالة وميلا الى الاختصار فى هذا المكان لتعلق الكلام بالتوهم الذى تدعيه الهند فى صنعة الطب وغيرها وقد كان للاسكندر فى

يوم الفتح فكتبوا فيهم الى عمر يسألونه عما ينبغى أن يشار فيه مع نذير بن عمرو وقيل كانت وقعة القادسية سنة ست عشرة قال وكان بعض أهل الكوفة يقول انها كانت سنة خمس عشرة وقد تقدم انها كانت سنة أربع عشرة (حميضة بن النعمان بضم الحاء المهملة وفتح الميم وبالضاد المعجمة بسر بن أبى رهم ضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة والحوية بفتح الحاء المهملة وكسر الواو وقيل بالجيم المضمومة وفتح الواو والاول أصح وحمال بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم والمعنى بضم الميم وفتح العين المهملة والنون المشددة وحصين بن نمير بضم الحاء وفتح الصاد ومعاوية بن حديج بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وآخره جيم والمعتم بضم الميم وسكون العين المهملة وفتح التاء فوقها نقطتان وآخره ميم مشددة وصرار بكسر الصاد المهملة وبالراءين المهملتين بينهما ألف موضع عند المدينة وصنين بكسر الصاد المهملة والنون المشددة بعدها ياء ساكنة معجمة باثنتين من تحتها وآخره نون موضع من ناحية الكوفة) انتهى خبر القادسية

(ذكر ولاية عتبة بن غزوان البصرة)

قيل فى هذه السنة بعث عمر عتبة بن غزوان الى البصرة وكان بها قطبة بن قتادة السدوسى يغير بتلك الناحية كما كان يغير المثنى بناحية الحيرة فكتب الى عمر يعلمه مكانه وأنه لو كان معه عدد يسير ظفر بمن كان قبله من العجم فنفاهم عن بلادهم فكتب اليه عمر يأمره بالمقام والحذر ووجه اليه شريح بن عامر أحد بنى سعد بن بكر فاقبل الى البصرة وترك بها قطبة ومضى الى الاهواز حتى انتهى الى دارس وفيها مسلحة الاعاجم فقتلوه فبعث عمر عتبة بن غزوان قال له حين وجهه يا عتبة انى قد استعملتك على أرض الهند وهى حومة من حومة العدو وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ويعينك عليها وقد كتبت الى العلاء بن الحضرمى ان يمدك بعرفجة بن هرثمة وهو ذو مجاهدة ومكايدة للعدو فاذا قدم عليك فاستشره وادع الى الله فمن أجابك فاقبل منه ومن أبى فالجزية والا فالسيف واتق الله فيما وليت واياك ان تنازعك نفسك الى كبر مما يفسد عليك اخوتك وقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعززت به بعد الذلة وقويت به بعد الضعف حتى صرت أميرا مسلطا وملكا مطاعا تقول فيسمع منك وتأمر فيطاع أمرك فيالها نعمة ان لم ترفعك فوق قدرك وتبطرك على من دونك واحتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ولهى أخوفهما عندى عليك ان تستدرجك وتخدعك فتسقط سقطة تصير بها الى جهنم اعيذك بالله ونفسى من ذلك ان الناس أسرعوا الى الله حتى رفعت لهم الدنيا فارادوها فأرد الله ولا ترد الدنيا واتق مصارع الظالمين انطلق أنت ومن معك حتى اذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فأقيموا فسار عتبة ومن معه حتى اذا كانوا بالمربد تقدموا حتى بلغوا حيال الجسر الصغير فنزلوا فبلغ صاحب الفرات خبرهم فاقبل فى أربعة آلاف فالتقوا فقاتلهم عتبة بعد الزوال وكان فى خمسمائة فقتلهم أجمعين ولم يبق الا صاحب الفرات فاخذه أسيرا ثم خطب عتبة أصحابه وقال ان الدنيا قد تصرمت وولت جدا ولم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء ألا وانكم منتقلون منها الى دار القرار فانتقلوا بخير ما يحضر بكم وقد ذكر لى لو ان صخرة ألقيت من شفير جهنم لهوت سبعين خريفا ولتملأن أو عجبتم ولقد ذكر لى ان ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين خريفا وليأتين عليه يوم وهو كظيظ ولقد رأيتنى وأنا سابع سبعة مع النبى صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام الا ورق السمر حتى تقرحت اشداقنا والتقطت بردة فشققتها بينى وبين سعد فما من أولئك السبعة من أحد الا وهو أمير مصر من الامصار وسيجربون الناس بعدنا وكان نزوله البصرة فى

أسفاره وتوسطه الممالك وقطعه الاقاليم ومشاهدته الامم وملاقاته الحكماء مع تنائى ديارهم وبعد أوطانهم واختلاف لغاتهم وعجائب صورهم وتباينهم فى شيمهم وأخلاقهم أخبار كثيرة من حروب ومكايد وحيل وفنون من السير وما أحدث من الابنية قد اتينا على شرح ذلك فيما سلف من كتبنا مما سمينا وغير ذلك مما عن وصفها أمسكنا وانما ذكرنا اليسير من أخباره لئلا يعرى كتابنا من شئ منها مع ذكرنا لمسيره ووفاته وبالله التوفيق

(ذكر ملوك اليونانيين بعد الاسكندر)

(ثم ملك بعد الاسكندر) الملك خليفته بطليموس وكان حكيما عالما شابا مدبرا وكان ملكه أربعين سنة وقيل بل كان ملكه عشرين سنة وقد كان لهذا الملك وهو التالى للملك الاسكندر حروب مع بنى اسرائيل وغيرهم من ملوك الشام * وذكر جماعة من أهل الدرايات بأخبار ملوك العالم انه أول من اقتنى البزاة ولعب بها وضراها وأنه ركب فى بعض الايام فى طربه الى بعض منتزهاته فنظر الى باز يطير فرآه اذا علا صب واذا سفل خفق واذا أراد أن يستوى ذرق فاتبعه حتى اقتحم شجرة ملتفة كثيرة الشوك فتأمله فأعجبه صفاء عينيه وصفرتهما وكمال خلقه فقال هذا طائر حسن له سلاح

ربيع الاول أو الآخر سنة أربع عشرة وقيل ان البصرة مصرت سنة ست عشرة بعد جلولاء وتكريت أرسله سعد اليها بأمر عمر وان عتبة لما نزل البصرة أقام نحو شهر فخرج اليه أهل الابلة وكان بها خمسمائة أسوار يحمونها وكانت مرفأ السفن من الصين فقاتلهم عتبة فهزمهم حتى دخلوا المدينة ورجع عتبة الى عسكره وألقى الله الرعب فى قلوب الفرس فخرجوا عن المدينة وحملوا ما خف وعبروا الماء وأخلوا المدينة ودخلها المسلمون فأصابوا امتاعا وسلاحا وسبيا فاقتسموه وأخرج الخمس منه وكان المسلمون ثلثمائة وكان فتحها فى رجب أو فى شعبان ثم نزل موضع مدينة الرزق وخط موضع المسجد وبناه بالقصب وكان أول مولود بها عبد الرحمن بن أبى بكرة فلما ولد ذبح أبوه جزورا فكفتهم لقلة الناس وجمع لهم أهل دستميسان فلقيهم عتبة فهزمهم وأخذ مرزبانهم أسيرا وأخذ قتادة منطقته فبعث بها مع أنس بن حجية الى عمر فقال له عمر كيف الناس فقال انثالت عليهم الدنيا فهم يهيلون الذهب والفضة فرغب الناس فى البصرة فأتوها واستعمل عتبة مجاشع بن مسعود على جماعة وسيرهم الى الفرات واستخلف المغيرة بن شعبة على الصلاة الى ان يقدم مجاشع ابن مسعود فاذا قدم فهو الامير وسار عتبة الى عمر فظفر مجاشع بأهل الفرات وجمع الفيلكان عظيم من الفرس للمسلمين فخرج اليه المغيرة بن شعبة فلقيهم بالمرغاب فاقتتلوا فقال نساء المسلمين لو لحقنا بهم فكنا معهم فاتخذن من خمرهن رايات وسرن الى المسلمين فلما رأى المشركون الرايات ظنوا أن مدد المسلمين قد أقبل فانهزموا وظفر بهم المسلمون وكتب الى عمر بالفتح فقال عمر لعتبة من استعملت على البصرة فقال مجاشع بن مسعود فقال أتستعمل رجلا من أهل الوبر على أهل المدر واخبره بما كان من المغيرة وأمره ان يرجع الى عمله فمات فى الطريق وقيل فى موته غير ذلك وسيرد ذكره سنة سبع عشرة وكان من سبى ميسان يسار أبو الحسن البصرى وأرطبان جد عبد الله بن عون بن أرطبان وقيل ان امارة عتبة البصرة كانت سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة والاول أصح فكانت امارته عليها ستة أشهر واستعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة فبقى سنتين ثم رمى بما رمى واستعمل أبا موسى وقيل استعمل بعد عتبة أبا موسى وبعده المغيرة * وفيها أعنى سنة أربع عشرة ضرب عمر ابنه عبيد الله وأصحابه فى شراب شربوه وأبا محجن * وفيها أمر عمر بالقيام فى شهر رمضان فى المساجد بالمدينة وجمعهم على أبى بن كعب وكتب الى الامصار بذلك وحج بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب وكان على مكة عتاب بن أسيد فى قول وعلى اليمن يعلى ابن منية وعلى الكوفة سعد وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح وعلى البحرين عثمان بن أبى العاص وقيل العلاء بن الحضرمى وعلى عمان حذيفة بن محصن وفى هذه السنة مات أبو قحافة والد أبى بكر الصديق بعد موت ابنه * وفيها مات سعد بن عبادة الانصارى وقيل سنة احدى عشرة وقيل سنة خمس عشرة * وفيها قتل سليط بن عمرو بن عامر بن لؤى * وفيها ماتت هند بنت عتبة بن ربيعة أم معاوية وكان اسلامها يوم الفتح

(ثم دخلت سنة خمس عشرة)

وقيل ان الكوفة مصرها سعد بن أبى وقاص فى هذه السنة دلهم على موضعها ابن بقيلة قال لسعد أدلك على أرض ارتفعت عن البقة وانحدرت عن الفلاة فدله على موضعها وقيل غير ذلك ويأتى ذكره

(ذكر الوقعة بمرج الروم)

فى هذه السنة كانت الوقعة بمرج الروم وكان سبب ذلك ان أبا عبيدة وخالد بن الوليد سارا بمن

ويبنغى أن تتزين به الملوك فى مجالسها فأمر أن يجمع منها عدة لتكون فى مجلسه زينة فعرض لباز منها ايم وهو الحية الذكر فوثب عليه البازى فقتله فقال الملك هذا ملك يغضب مما تغضب منه الملوك ثم عرض له بعد أيام ثعلب كان داجنا فوثب عليه البازى فما افلت الا جريحا فقال الملك هذا ملك جبار لا يحتمل الضيم ثم مر طائر فوثب عليه فأكله فقال الملك هذا ملك يمنع حماه ولا يضيع أكله فلعب بها ثم لعب بها بعده ملوك الامم من اليونانيين والروم والعرب والعجم وغيرهم وفى من بعده من ملوك الروم يلعب الشواهين والاصطياد بها وقد قيل ان الازارقة وهم ملوك الاندلس من الاشبان أول من لعب بالشواهين وصاد بها وكذلك اليونانيون أول من صاد بالعقبان ولعب بها وقد ذكر أن ملوك الروم أول من صاد بالعقبان (قال المسعودى) وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا الجبل الفتح والابواب جملا من أخبارها وأخبار من لعب بها وقد كان من سلف من حكماء اليونانيين يقولون ان الجوارح أجناس خلقها الله تعالى وأنشأها على منازلها ودرجاتها وهى أربعة أجناس وثلاثة عشر شكلا فأما الاجناس الاربعة فهى البازى والشواهين والصقر

معهما من فحل قاصدين حمص فنزلا على ذى الكلاع و بلغ الخبر هرقل فبعث توذر البطريق حتى نزل بمرج الروم غرب دمشق ونزل أبو عبيدة بمرج الروم أيضا ونازله يوم نزوله شنش الرومى فى مثل خيل توذر امدادا لتوذر وردأ لاهل حمص فلما نزل أصبحت الارض من توذر بلاقع وكان خالد بازائه وأبو عبيدة بازاء شنش وسار توذر يطلب دمشق فسار خالد وراءه فى جريدة وبلغ يزيد بن أبى سفيان فعل توذر فاستقبله فاقتتلوا ولحق بهم خالد وهم يقتتلون فاخذهم من خلفهم ولم يفلت منهم الا الشريد وغنم المسلمون ما معهم فقسمه يزيد فى أصحابه وأصحاب خالد وعاد يزيد الى دمشق ورجع خالد الى أبى عبيدة وقد قتل توذر وقاتل أبو عبيدة بعد مسير خالد شنش فاقتتلوا بمرج الروم فقتلت الروم مقتلة عظيمة وقتل شنش وتبعهم المسلمون الى حمص فلما بلغ هرقل ذلك أمر بطريق حمص بالمسير اليها وسار هو الى الرها وسار أبو عبيدة الى حمص

﴿ذكر فتح حمص وبعلبك وغيرهما﴾

فلما فرغ أبو عبيدة من دمشق سار الى حمص فسلك طريق بعلبك فحصرها فطلب أهلها الامان فامنهم وصالحهم وسار عنهم فنزل على حمص ومعه خالد وقيل انما سار المسلمون الى حمص من مرج الروم وقد تقدم ذكره فلما نزلوها قاتلوا أهلها فكانوا يغادونهم القتال ويراوحونهم فى كل يوم بارد ولقى المسلمون بردا شديدا والروم حصارا طويلا فصبر المسلمون والروم وكان هرقل قد أرسل الى أهل حمص يعدهم المدد وأمر أهل الجزيرة جميعها بالتجهز الى حمص فساروا نحو الشام ليمنعوا حمص عن المسلمين فسير سعد بن أبى وقاص السرايا من العراق الى هيت وحصروها وسار بعضهم الى قرقيسيا فتفرق أهل الجزيرة وعادوا عن نجدة أهل حمص فكان أهلها يقولون تمسكوا بمدينتكم فانهم حفاة فاذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم فكانت أقدام الروم تسقط ولا يسقط للمسلمين اصبع فلما خرج الشتاء قام شيخ من الروم فدعاهم الى مصالحة المسلمين فلم يجيبوه وقام آخر فلم يجيبوه فناهدهم المسلمون فكبروا تكبيرة فانهدم كثير من دور حمص وزلزلت حيطانهم فتصدعت فكبروا ثانية فاصابهم أعظم من ذلك فخرج أهلها اليهم يطلبون الصلح ولا يعلم المسلمون بما حدث فيهم فاجابوهم وصالحوهم على صلح دمشق وأنزلها أبو عبيدة السمط بن الاسود الكندى فى بنى معاوية والاشعث بن ميناس فى السكون والمقداد فى بلى وأنزلها غيرهم وبعث بالاخماس الى عمر مع عبد الله بن مسعود وكتب عمر الى أبى عبيدة ان أقم بمدينتك وادع أهل القوة من عرب الشام فانى غير تارك البعثة اليك ثم استخلف ابو عبيدة على حمص عبادة بن الصامت وسار الى حماة فتلقاه أهلها مذعنين فصالحهم أبو عبيدة على الجزية لرؤسهم والخراج على أرضهم ومضى نحو شيزر فخرجوا اليه يسألون الصلح على ما صالح عليه أهل حماة وسار أبو عبيدة الى معرة حمص وهى معرة النعمان نسبت بعد الى النعمان بن بشير الانصارى فاذعنوا له بالصلح على ما صالح عليه أهل حمص ثم أتى اللاذقية فقاتله أهلها وكان لها باب عظيم يفتحه جمع من الناس فعسكر المسلمون على بعد منها ثم أمر بحفر حفائر عظيمة تستر الحفرة منها الفارس راكبا ثم أظهروا انهم عائدون عنها ورحلوا فلما جنهم الليل عادوا واستتروا فى تلك الحفائر وأصبح أهل اللاذقية وهم يرون ان المسلمين قد انصرفوا عنه فاخرجوا سرحهم وانتشروا بظاهر البلد فلم يرعهم الا والمسلمون يصيحون بهم ودخلوا معهم المدينة وملكت عنوة وهرب قوم من النصارى ثم طلبوا الامان على ان يرجعوا الى أرضهم فقوطعوا على خراج يؤدونه قلوا أو كثروا وتركت لهم كنيستهم وبنى المسلمون بها مسجدا جامعا بناه عبادة بن الصامت ثم وسع فيه بعد ولما فتح المسلمون اللاذقية جلا أهل جبلة

والعقاب وقد ذكرنا هذه الاجناس والاشكال على طريق الخبر فى الكتاب الاوسط على مراتبها من سائر أنواع الحيوان الجوارح ودلائلها وما قاله الناس فى ذلك (ثم ملك بعد بطليموس) هيقلوس وكان رجلا جبارا وفى أيامه عملت الطلسمات وظهرت عبادة التماثيل والاصنام لشبه دخلت عليهم وأنها وسائط بينهم وبين خالقهم تقربهم اليه وتدنيهم منه وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وقيل أربعين وقد قيل ان الذى تملك بعد خليفة الاسكندر بطليموس الثانى محب الاخ وغزا بنى اسرائيل ببلاد فلسطين وايليا من أرض الشام فسباهم وقتل منهم وطلب العلوم ثم رد بنى اسرائيل الى فلسطين وحمل معهم الجواهر والاموال وآلات الذهب والفضة لهيكل بيت المقدس وكان ملك الشام يومئذ انطيخس وهو الذى بنى مدينة انطاكية وكانت دار ملكه وجعل بناء سورها أحد عجائب العالم فى البناء على السهل والجبل ومسافة السور اثنا عشر ميلا عدة الابراج فيه مائة وستة وثلاثون برجا وجعل عدد شرافاته أربعة وعشرين ألف شرافة وجعل على كل برج من الابراج بنوبة بطريق أسكنه اياه برجاله وخيله وجعل كل برج منها طبقات والبطريق فى أعلاه وجعل

من الروم عنها فلما كان زمن معاوية بنى حصنا خارج الحصن الرومى وشحنه بالرجال وفتح المسلمون مع عبادة بن الصامت انطرطوس وكان حصنا فجلا عنه أهله فبنى معاوية مدينة انطرطوس ومصرها وأقطع بها القطائع للمقاتلة وكذلك فعل ببانياس وفتحت سلمية أيضا وقيل انما سميت سلمية لانه كان بقربها مدينة تدعى المؤتفكة انقلبت باهلها ولم يسلم منهم غير مائة نفس فبنوا لهم مائة منزل وسميت سلم مائة ثم حرف الناس فقالوا سلمية وهذا يمشى لقائله لو كان أهلها عربا ولسانهم عربيا وأما اذا كان لسانهم أعجميا فلا يسوغ هذا القول ثم ان صالح بن على بن عبد الله ابن عباس اتخذها دارا وبنى ولده فيها ومصروها ونزلها من نزلها من ولده فهى وأرضوها لهم

(ذكر فتح قنسرين ودخول هرقل القسطنطينية)

ثم أرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد الى قنسرين فلما نزل الحاضر زحف اليهم الروم وعليهم ميناس وكان من أعظم الروم بعد هرقل فاقتتلوا فقتل ميناس ومن معه مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها فماتوا على دم واحد وسار خالد حتى نزل على قنسرين فتحصنوا منه فقالوا لو كنتم فى السحاب لحملنا الله اليكم أو لانزلكم الينا فنظروا فى أمرهم ورأوا مالقى أهل حمص فصالحوهم على صلح حمص فأبى خالد الا على خراب المدينة فاخربها فعند ذلك دخل هرقل القسطنطينية وسببه ان خالدا وعياضا ادربا الى هرقل من الشام وادرب عمرو بن مالك من الكوفة فخرج من ناحية قرقيسيا وادرب عبد الله بن المعتم من ناحية الموصل ثم رجعوا فعندها دخل هرقل القسطنطينية وكانت هذه أول مدربة فى الاسلام سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة فلما بلغ عمر صنيع خالد قال أمر خالد نفسه رحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال منى وقد كان عزله والمثنى بن حارثة وقال انى لم أعزلهما عن ريبة ولكن الناس عظموهما فخشيت ان يوكلوا اليهما فاما المثنى فانه رجع عن رأيه فيه لما قام بعد أبى عبيدة ورجع عن خالد بعد قنسرين وأما هرقل فانه خرج من الرها وكان أوّل من انجح كلابها ونفر دجاجها من المسلمين زياد بن حنظلة وكان من الصحابة وسار هرقل فنزل بشمشاط ثم أدرب منها نحو القسطنطينية فلما أراد المسير منها علا على نشز ثم التفت الى الشام فقال السلام عليك ياسورية سلام لا اجتماع بعده ولا يعود اليك رومى أبدا الا خائفا حتى يولد المولود المشؤم وياليته لا يولد فما أحلى فعله وأمر فتنته على الروم ثم سار فدخل القسطنطينية وأخذ أهل الحصون التى بين اسكندرية وطرسوس معه لئلا يسير المسلمون فى عمارة ما بين انطاكية وبلاد الروم وشعث الحصون فكان المسلمون لا يجدون بها احدا وربما كمن عندها الروم فأصابوا غرة المتخلفين فاحتاط المسلمون لذلك

(ذكر فتح حلب وانطاكية وغيرهما من العواصم)

لما فرغ أبو عبيدة من قنسرين سار الى حلب فبلغه ان أهل قنسرين نقضوا وغدروا فوجه اليهم السمط الكندى فحصرهم وفتحها واصاب فيها بقرا وغنما فقسم بعضه فى جيشه وجعل بقيته فى المغنم ووصل أبو عبيدة الى حاضر حلب وهو قريب منها فجمع اصنافا من العرب فصالحهم أبو عبيدة على الجزية ثم أسلموا بعد ذلك وأتى حلب وعلى مقدمته عياض بن غنم الفهرى فتحصن أهلها وحصرهم المسلمون فلم يلبثوا ان طلبوا الصلح والامان على أنفسهم واولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحصنهم فأعطوا ذلك واستثنى عليهم موضع المسجد وكان الذى صالحهم عياض فاجاز أبو عبيدة ذلك وقيل صولحوا على ان يقاسموا منازلهم وكنائسهم وقيل ان أبا عبيدة لم يصادف بحلب أحدا لان أهلها انتقلوا الى انطاكية وراسلوا فى الصلح فلما تم ذلك رجعوا اليها وسار أبو

كل برج منها كالحصن عليها أبواب حديد وآثار الابواب ومواضع الحديد بين الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وأظهر فيها مياها من أعين وغيرها الا سبيل الى قطعها من خارجها وجعل اليها مياها منصبة فى قنى مخرقة الى شوارعها ودورها ورأيت فيها فى هذه المياه ما يستحجر فى مجاريها المعمولة من الخزف لترادف البصر فيها فيتراكم طبقات ويمنع الماء من الجريان بانسداده فلا يعمل الحديد فى كسره وقد ذكرنا ذلك فى كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب بما شاهدناه وحكاه وحكى الينا خبرا مما يولده ماء انطاكية فى اجساد الحيوان الناطق وأجوافهم وما يحدث فى معدهم من الرياح السوداوية الباردة والقولنجية الغليظة وقد أراد الرشيد سكناها فقيل له بعض ما ذكرنا من أوصافها وترادف الصدا على السلاح من السيوف وغيرها بها وعدم تفارع الطيب بها واستحالته على اختلاف أنواعه فامتنع من سكناها (ثم ملك) على اليونانيين بعد هيفلوس بطليوس الصانع ستا وعشرين سنة (ثم ملك) بعده عليهم بطليوس المعروف بمحب الاب تسع عشرة سنة وكانت له حروب مع ملوك الشام وصاحب انطاكية الاسكندروس وهو الذى بنى مدينة فامية بين حمص

عبيدة من حلب الى انطاكية وقد تحصن بها كثير من الخلق من قنسرين وغيرها فلما فارقها لقيه جمع العدو فهزمهم فألجأهم الى المدينة وحاصرها من جميع نواحيها ثم انهم صالحوه على الجلاء أو الجزية فجلا بعض وأقام بعض فأمنهم ثم نقضوا فوجه أبو عبيدة اليهم عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة ففتحها على الصلح الاول وكانت انطاكية عظيمة الذكر عند المسلمين فلما فتحت كتب عمر الى أبي عبيدة ان رتب بانطاكية جماعة من المسلمين واجعلهم بها مرابطة ولا تحبس عنهم العطاء وبلغ أبا عبيدة ان جمعا من الروم بين معرة مصرين وحلب فسار اليهم فلقيهم فهزمهم وقتل عدة بطارقة وسبى وغنم وفتح معرة مصرين على مثل صلح حلب وجالت خيوله فبلغت بوقا وفتحت قرى الجومة وسرمين وتيزين وغلبوا على جميع أرض قنسرين وانطاكية ثم أتى أبو عبيدة حلب وقد التاث أهلها فلم يزل بهم حتى اذعنوا وفتحوا المدينة وسار أبو عبيدة يريد قورس وعلى مقدمته عياض فلقيه راهب من رهبانها يسأله الصلح فبعث به الى أبي عبيدة فصالحه على صلح انطاكية وبث خيله فغلب على جميع أرض قورس وفتح تل عزاز وكان سلمان بن ربيعة الباهلي في جيش أبي عبيدة فنزل في حصن بقورس فنسب اليه فهو يعرف بحصن سلمان ثم سار أبو عبيدة الى منبج وعلى مقدمته عياض فلحقه وقد صالح أهلها على مثل صلح انطاكية وسير عياضا الى ناحية دلوك ورعبان فصالحه أهلها على مثل منبج واشترط عليهم ان يخبروا المسلمين بخبر الروم وولى أبو عبيدة كل كورة فتحها عاملا وضم اليه جماعة وشحن النواحي المخوفة وسار الى بالس وبعث جيشا مع حبيب بن مسلمة الى قاصرين فصالحهم أهلها على الجزية أو الجلاء فجلا أكثرهم الى بلد الروم وأرض الجزيرة وقرية جسر منبج ولم يكن الجسر يومئذ وانما اتخذ في خلافة عثمان للصوائف وقيل بل كان له رسم قديم واستولى المسلمون على الشام من هذه الناحية الى الفرات وعاد أبو عبيدة الى فلسطين وكان بجبل اللكام مدينة يقال لها جرجومة وأهلها يقال لهم الجراجمة فسار حبيب بن مسلمة اليها من انطاكية فافتتحها صلحا على ان يكونوا أعوانا للمسلمين وفيها سير أبو عبيدة بن الجراح جيشا مع ميسرة بن مسروق العبسي فسلكوا درب بغراس من أعمال انطاكية الى بلاد الروم وهو أول من سلك ذلك الدرب فلقي جمعا للروم معهم عرب من غسان وتنوخ واياد يريدون اللحاق بهرقل فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ثم لحق به مالك الاشتر النخعي مددا من قبل أبي عبيدة وهو بانطاكية فسلموا وعادوا وسير جيشا آخر الى مرعش مع خالد بن الوليد ففتحها على اجلاء أهلها بالامان واخربها وسير جيشا آخر مع حبيب بن مسلمة الى حصن الحدث وانما سمي الحدث لان المسلمين لقوا عليه غلاما حدثا فقاتلهم في أصحابه فقيل درب الحدث وقيل لان المسلمين أصيبوا به فقيل درب الحدث وكان بنو أمية يسمونه درب السلامة لهذا المعنى

ذكر فتح قيسارية وحصر غزة

في هذه السنة فتحت قيسارية وقيل سنة تسع عشرة وقيل سنة عشرين وكان سببها ان عمر كتب الى يزيد بن أبي سفيان ان يرسل معاوية الى قيسارية وكتب عمر الى معاوية يأمره بذلك فسار معاوية اليها فحصر أهلها فجعلوا يزاحفونه وهو يهزمهم ويردهم الى حصنهم ثم زاحفوه آخر ذلك مستميتين وبلغت قتلاهم في المعركة ثمانين الفا وكملها في هزيمتهم مائة ألف وفتحها وكان علقمة بن مجزز قد حصر القيقار بغزة وجعل يراسله فلم يشفه أحد بما يريد فأتاه كأنه رسول علقمة فأمر القيقار رجلا ان يقعد له في الطريق فاذا مر به قتله ففطن علقمة فقال ان معي نفرا يشركونني في الرأي فانطلق فآتيك بهم فبعث القيقار الى ذلك الرجل ان لا يعرض له فخرج

علقمة

وانطاكية (ثم ملك) بعده على اليونانيين بطليموس صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطي وغيره أربعا وعشرين سنة (ثم ملك) بطليموس محب الام خمسا وثلاثين سنة (ثم ملك) بعده بطليموس الصانع سبعا وعشرين سنة (ثم ملك) بطليموس المخلص سبع عشرة سنة (ثم ملك) بعده بطليموس الاسكندراني اثنتي عشر سنة (ثم ملك) بعده بطليموس الحديدي ثمان سنين (ثم ملك) بعده بطليموس الجوال ثمانيا وستين سنة وكانت له حروب كثيرة (ثم ملك) بعده بطليموس الحديد ثلاثين سنة (ثم ملكت) بعده ابنته قلبطره وكان ملكها اثنتين وعشرين سنة وكانت حكيمة متفلسفة مقربة للعلماء معظمة للحكماء ولها كتب مصنفة في الطب والزينة وغير ذلك من الحكمة مترجمة باسمها منسوبة اليها معروفة عند صنعة أهل الطب وهذه الملكة آخر ملوك اليونانيين الى أن انقضى ملكهم ودثرت أيامهم وامحت آثارهم وزالت علومهم الا ما بقي في أيدي حكمائهم وقد كان لهذه الملكة خبر طريف في موتها وقتلها لنفسها وقد كان لها زوج يقال له انطونيوس مشارك لها في ملك مقدونية وهي بلاد مصر من اسكندرية وغيرها فسار اليهم الثاني من ملوك الروم ومن بلاد رومية وهو اوغسطس وهو أول من

علقمة من عنده فلم يعد وفعل كما فعل عمرو بالارطبون (محرز بجيم وزايين الاولى مكسورة)

(ذكر فتح بيسان ووقعة أجنادين)

ولما انصرف أبو عبيدة وخالد الى حمص نزل عمرو وشرحبيل على أهل بيسان فافتتحاها وصالحا أهل الاردن واجتمع عسكر الروم بغزة واجنادين وبيسان وسار عمرو وشرحبيل الى الارطبون ومن معه وهو باجنادين واستخلف على الاردن أبا الاعور فنزل بالارطبون ومعه الروم وكان الارطبون ادهى الروم وأبعدها غورا وكان قد وضع بالرملة جندا اعظيما وبايلياء جندا اعظيما فلما بلغ عمر بن الخطاب الخبر قال قد رمينا ارطبون الروم بارطبون العرب فانظروا عما تنفرج وكان معاوية قد شغل أهل قيسارية عن عمرو وكان عمرو قد جعل علقمة بن حكيم الفراسى ومسروق بن فلان العكى على قتال ايلياء فشغلوا من به عنه وجعل أيضا أبا أيوب المالكى على من بالرملة من الروم فشغلهم عنه وتتابعت الامداد من عند عمر الى عمرو وأقام عمرو على اجنادين لا يقدر من الارطبون على شئ ولا تشفيه الرسل فسار اليه بنفسه فدخل عليه كانه رسول ففطن به الارطبون وقال لا شك أن هذا هو الامير أو من يأخذ الامير برأيه فامر انسانا ان يقعد على طريقه ليقتله اذا مر به وفطن عمرو لفعله فقال له قد سمعت منى وسمعت منك وقد وقع قولك منى موقعا وانا واحد من عشرة بعثنا عمر والى هذا الوالى لنكانفه فارجع فآتيك بهم الآن فان رأوا الذى عرضت على الآن فقد رآه الامير وأهل العسكر وان لم يروه رددتهم الى مأمنهم فقال نعم ورد الرجل الذى أمر بقتله فخرج عمرو من عنده وعلم الرومى انها خدعة اختدعه بها فقال هذا أدهى الخلق وبلغت خديعته عمر بن الخطاب فقال لله در عمرو وعرف عمرو مأخذه فلقيه فاقتتلوا باجنادين قتالا شديدا كقتال اليرموك حتى كثرت القتلى بينهم وانهزم ارطبون الى ايلياء ونزل عمرو اجنادين وأفرج المسلمون الذين يحصرون بيت المقدس لارطبون فدخل ايلياء وازاح المسلمين عنه الى عمرو وقد تقدم ذكر وقعة اجنادين على قول من يجعلها قبل اليرموك وسياقها على غير هذه السياقة فلهذا ذكرناها هنالك وههنا

(ذكر فتح بيت المقدس وهو ايلياء)

فى هذه السنة فتح بيت المقدس وقيل سنة ست عشرة فى ربيع الاول وسبب ذلك أنه لما دخل ارطبون ايلياء فتح عمرو غزة وقيل كان فتحها فى خلافة أبى بكر ثم فتح سبسطية وفيها قبر يحيى بن زكريا عليه السلام وفتح نابلس بامان على الجزية وفتح مدينة لد ثم فتح تبنى وعمواس وبيت جبرين وفتح يافا وقيل فتحها معاوية وفتح عمرو مرج عيون فلما تم له ذلك ارسل الى ارطبون رجلا يتكلم بالرومية وقال له اسمع ما يقول وكتب معه كتابا فوصل الرسول ودفع الكتاب الى ارطبون وعنده وزراؤه فقال ارطبون لا يفتح والله عمر وشيأ من فلسطين بعد اجنادين فقالوا له من أين علمت هذا فقال صاحبها رجل صفته كذا وكذا وذكر صفة عمر فرجع الرسول الى عمرو فاخبره الخبر فكتب الى عمر بن الخطاب يقول انى اعالج عدوا شديدا وبلادا قد ادخرت لك فرأيك فعلم عمر ان عمرا لم يقل ذلك الا بشئ سمعه فسار عمر عن المدينة وقيل كان سبب قدوم عمر الى الشام ان أبا عبيدة حصر بيت المقدس فطلب اهله منه ان يصالحهم على صلح اهل مدن الشام وان يكون المتولى للعقد عمر بن الخطاب فكتب اليه بذلك فسار عن المدينة واستخلف عليها على بن أبى طالب فقال له على أين تخرج بنفسك انك تريد عدوا كلبا فقال عمر ابادر بالجهاد قبل موت العباس انكم لو فقدتم العباس لانتقض بكم الشر كما ينتقض الحبل فمات العباس لست سنين من خلافة عثمان

تسمى قيصر واليه تنسب القياصرة بعده وسنذكر خبره فى ملوك الروم بعد هذا الموضع وكانت له حروب بالشام ومصر مع قلبطرة الملكة ومع زوجها انطونيوس الى أن قتله ولم يكن لقلبطره فى دفع اغسطس ملك الروم عن ملك مصر حيلة وأراد أغسطس اعمال الحيلة فيها لعلمه بحكمتها وليتعلم منها اذ كانت بقية الحكماء اليونانيين ثم بعدها يقتلها فراسلها وعلمت مراده فيها وما قصد وتزهابه من قتل زوجها وجنودها فطلبت الحية التى تكون بين الحجاز ومصر والشام وهى نوع من الحيات تراعى الانسان حتى اذا تمكنت من النظر الى عضو من أعضائه نفرت أذرعا كثيرة كالريح فلم تخطئ ذلك العضو بعينه حتى تتفل عليه تفلة فتأتى عليه ولا يعلم بها لخموده من فوره ويتوهم الناس انه قد مات فجأة حتف انفه ورأيت نوعا من هذه الحيات بين بلاد خوزستان من كور الاهواز لمن أراد بلاد فارس من البصرة وهو الموضع المعروف بخامردوية بين مدينة دروق وبلاد الباسيان والعندم فى الماء وهى حيات شبرية وتدعى هنالك القبرية ذات رأسين تكون فى الرمل وفى جوف تراب الارض فاذا أحست بالانسان أو غيره من الحيوان وثبت من موضعها أذرعا كثيرة فضربت باحدى رأسيها الى أى موضع من ذلك الحيوان فتلحقه من ساعته ضد الحياة وعدمها الحينه فبعثت

فانتقض بالناس الشر وسار عمر فقدم الجابية على فرس وجميع ماقدم الشام أربع مرات الاولى على فرس والثانية على بعير والثالثة على بغل رجع لاجل الطاعون والرابعة على حمار وكتب الى امراء الاجناد ان يوافوه بالجابية ليوم سماه لهم فى المجردة ويستخلفوا على أعمالهم فلقوه حيث رفعت لهم الجابية فكان أول من لقيه يزيد وأبو عبيدة ثم خالد على الخيول عليهم الديباج والحرير فنزل وأخذ الحجارة ورماهم بها وقال ما أسرع مارجعتم عن رأيكم اياى تستقبلون فى هذا الزى وانما شبعتم مذ سنتين وبالله لوفعلتم هذا على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم فقالوا يا أمير المؤمنين انها يلامقة وان علينا السلاح قال فنعم اذن وركب حتى دخل الجابية وعمرو وشرحبيل كانهما لم يتحركا فلما قدم عمر الجابية قال له رجل من اليهود يا أمير المؤمنين انك لاترجع الى بلادك حتى يفتح الله عليك ايلياء وكانوا قد شجوا عمرا وأشجاهم ولم يقدر عليها ولا على الرملة فبينما عمر معسكر بالجابية فزع الناس الى السلاح فقال ماشأنكم فقالوا ألا ترى الى الخيل والسيوف فنظر فاذا كردوس يلمعون بالسيوف فقال عمر مستأمنة فلا تراعوا فأمنوهم واذا أهل ايلياء وحيزها فصالحهم على الجزية وفتحوها له وكان الذى صالحه العوام لان ارطبون والتذارق دخلا مصر لما وصل عمر الى الشام وأخذوا كتابه على ايلياء وحيزها والرملة وحيزها فشهد ذلك اليهودى الصلح فسأله عمر عن الدجال وكان كثير السؤال عنه فقال له وما مسئلتك عنه يا أمير المؤمنين أنتم والله تقتلونه دون باب لد ببضع عشرة ذراعا وأرسل عمر اليهم بالامان وجعل علقمة بن حكيم على نصف فلسطين واسكنه الرملة وجعل علقمة بن مجزز على نصفها الآخر وأسكنه ايلياء وضم عمرا وشرحبيل اليه بالجابية فلقياه راكبا فقبلا ركبته وضم كل واحد منهما محتضنهما ثم سار الى بيت المقدس من الجابية فركب فرسه فرأى به عرجا فنزل عنه وأتى ببرذون فركبه فجعل يتجلجل به فنزل وضرب وجهه وقال لا اعلم من علمك هذه الخيلاء ثم لم يركب برذونا قبله ولا بعده وفتحت ايلياء وأهلها على يديه وقيل كان فتحها سنة ست عشرة ولحق ارطبون ومن أبى الصلح من الروم بمصر فلما ملك المسلمون مصر قتل وقيل بل لحق بالروم فكان يكون على صوائفهم والتقى هو وصاحب صائفة المسلمين ومع المسلمين رجل من قيس يقال له ضريس فقطع يد القيسى وقتله القيسى فقال فيه

فان يكن ارطبون الروم أفسدها * فان فيها بحمد الله منتفعا
وان يكن ارطبون الروم قطعها * فقد تركت بها أوصاله قطعا

﴿ذكر فرض العطاء وعمل الديوان﴾

وفى سنة خمس عشرة فرض عمر للمسلمين الفروض ودون الدواوين وأعطى العطايا على السابقة واعطى صفوان بن أمية والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو فى اهل الفتح أقل ما أخذ من قبلهم فامتنعوا من أخذه وقالوا لانعترف ان يكون احد اكرم منا فقال انى انما أعطيتكم على السابقة فى الاسلام لا على الاحساب قالوا فنعم اذن وأخذوا وخرج الحرث وسهيل باهليهما نحو الشام فلم يزالا مجاهدين حتى أصيبا فى بعض تلك الدروب وقيل ماتا فى طاعون عمواس ولما أراد عمر وضع الديوان قال له على وعبد الرحمن بن عوف ابدأ بنفسك قال لا بل ابدأ بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الاقرب فالاقرب ففرض للعباس وبدأ به ثم فرض لاهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ثم فرض لمن بعد بدر الى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية الى ان أقلع أبو بكر عن أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف فى ذلك من شهد الفتح وقاتل عن أبى بكر ومن ولى الايام قبل القادسية كل هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ثم فرض لاهل القادسية

وأهل

قلبطره هذه الملكة فاحتمل لها حية من هذه المقدم ذكرها التى توجد باطراف الحجاز فلما ان كان اليوم الذى علمت أن أغسطس يدخل قصر ملكها أمرت بعض جواريها ومن أحبت فناءها قبلها وأن لايلحقها العذاب بعدها فسمتها فى انائها فخمدت من فورها ثم جلست قلبطره الملكة على سرير ملكها ووضع تاجها على رأسها وعليها ثيابها وزينة ملكها وجعلت أنواع الرياحين والزهر والفاكهة والطيب ومايجمع بمصر من عجائب الرياحين وغيرها مما ذكرنا مبسوطة فى مجلسها وقدام سريرها وعهدت بما احتاجت اليه من أمورها وفرقت حشمها من حولها فاشتغلوا بانفسهم عن ملكتهم لما قد غشيهم من عدوهم ودخوله عليهم فى دار ملكهم وأدنت يدها من الاناء الزجاج الذى كانت فيه الحية فقربت يدها منه فتفلت عليها الحية فجفت مكانها وانسابت الحية وخرجت من الاناء ولم تجد حجرا ولا مذهبا تذهب فيه لاتقان تلك المجالس بالرخام والمرمر والاصباغ فدخلت فى تلك الرياحين ودخل اغسطس حتى انتهى الى المجلس فنظر اليها جالسة والتاج على رأسها فلم يشك فى انها تنطق فدنا منها فتبين انها ميتة وأعجب بتلك الرياحين فمد يده الى كل نوع منها يلمسه ويتبينه ويعجب خواص من معه به ولم يدر ماسبب موتها فبينما هو كذلك من تناول تلك الرياحين

وأهل الشام ألفين ألفين وفرض لاهل البلاء النازع منهم ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة فقيل له لو ألحقت أهل القادسية باهل الايام فقال لم اكن لالحقهم بدرجة من لم يدركوا وقيل له قد سويت من بعدت داره بمن قربت داره وقاتلهم عن فنائه فقال من قربت داره أحق بالزيادة لانهم كانوا ردأ للحتوف وشجى للعدو فهلا قال المهاجرون مثل قولكم حين سوينا بين السابقين منهم والانصار فقد كانت نصرة الانصار بفنائهم وهاجر اليهم المهاجرون من بعد وفرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفا ألفا ثم فرض للروادف المثنى خمسمائة خمسمائة ثم للروادف الثليث بعدهم ثلثمائة ثلثمائة سوى كل طبقة في العطاء قويهم وضعيفهم عربهم وعجمهم وفرض للروادف الربيع على مائتين وخمسين وفرض لمن بعدهم وهم أهل هجر والعباد على مائتين وألحق باهل بدر أربعة من غير أهلها الحسن والحسين وأباذر وسلمان وكان فرض للعباس خمسة وعشرين ألفا وقيل اثني عشر ألفا وأعطى نساء النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف الا من جرى عليها الملك فقال نسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضلنا عليهن في القسمة فسو بيننا ففعل وفضل عائشة بألفين لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها فلم تأخذ وجعل نساء أهل بدر في خمسمائة خمسمائة ونساء من بعدهم الى الحديبية على اربعمائة أربعمائة ونساء من بعد ذلك الى الايام ثلثمائة ثلثمائة ونساء أهل القادسية مائتين مائتين ثم سوى بين النساء بعد ذلك وجعل الصبيان سواء على مائة مائة ثم جمع ستين مسكينا وأطعمهم الخبز فاحصوا ما أكلوا فوجدوه يخرج من جريبتين ففرض لكل انسان منهم ولعياله جريبتين في الشهر وقال عمر قبل موته لقد هممت ان أجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف ألفا يجعلها الرجل في أهله وألفا يزوّدها معه وألفا يتجهز بها وألفا يترفق بها فمات قبل أن يفعل وقال له قائل عند فرض العطاء يا أمير المؤمنين لو تركت في بيوت الاموال عدة لكون ان كان فقال كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقاني الله شرها وهي فتنة لمن بعدي بل أعد لهم ما أعد الله ورسوله طاعة الله ورسوله هما عدتنا التي بها أفضينا الى ما ترون فاذا كان المال ثمن دين أحدكم هلكتم وقال عمر للمسلمين أني كنت امرأ تاجرا يغني الله عيالي بتجارتي وقد شغلتموني بأمركم هذا فما ترون انه يحل لي في هذا المال وعلي ساكت فاكثر القوم فقال ما تقول يا علي فقال ما أصلحك وعيالك بالمعروف ليس لك غيره فقال القوم القول ما قال علي فاخذ قوته واشتدت حاجة عمر فاجتمع نفر من الصحابة منهم عثمان وعلي وطلحة والزبير فقالوا لو قلنا لعمر في زيادة نزيده اياها في رزقه فقال عثمان هلموا فلنستبرئ ما عنده من وراء وراء فاتوا حفصة ابنته فاعلموها الحال واستكتموها ان لا تخبر بهم عمر فلقيت عمر في ذلك فغضب وقال من هؤلاء لاسوءنهم قالت لا سبيل الى علمهم قال أنت بيني و بينهم ما أفضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك من الملبس قالت ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد والجمع قال فاي الطعام ناله عندك أرفع قالت حرفا من خبز شعير فصببنا عليه وهو حار أسفل عكة لنا فجعلناها دسمة حلوة فاكل منها قال وأي مبسط كان يبسط عندك كان أوطأ قالت كساء ثخين كنا نربعه في الصيف فاذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه قال يا حفصة فابلغيهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر فوضع الفضول مواضعها وتبلغ بالترجية فوالله لاضعن الفضول مواضعها ولا تبلغن بالترجية وانما مثلي ومثل صاحبي كثلاثة سلكوا طريقا فمضى الاول وقد تزود فبلغ المنزل ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى اليه ثم اتبعه الثالث فان لزم طريقهما ورضي بزادهما لحق بهما وان سلك غير

وسمها اذ قفزت عليه تلك الحية فرمته بسمها فيبس شقه من ساعته وذهب بصره الايمن وسمعه فتعجب من فعلها وقتلها لنفسها وايثارها الموت على الحياة مع الذل ثم ما كادته به من القاء الحية بين الرياحين فقال في ذلك شعرا بالرومية يذكر حاله وما نزل به وقصتها وأقام بعد ما نزل به ما ذكرنا يوما وهلك ولولا أن الحية كانت قد أفرغت سمها على الجارية ثم على قلبطره الملكة لكان أغسطس قد هلك من ساعته ولم تمهله هذه المدة وهذا الشعر معروف عند الروم الى هذه الغاية يذكرونه في نوحهم و يرثون به ملوكهم ويذكروه في اغانيهم وهو متعالم معروف عندهم وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا سير هؤلاء الملوك وأخبارهم وحروبهم وطوافهم البلاد وأخبار حكمائهم وما أحدثوه من الآراء والنحل ومقائل فلاسفتهم وغير ذلك من أسرارهم وعجيب أخبارهم والذي يعول عليه من عدد ملوكهم واتفق على ذلك أهل المعرفة باخبارهم ان جميع عدد ملوك اليونانيين أربعة عشر ملكا آخرهم الملكة قلبطره وان جميع عدد سني ملوكهم ومدة أيامهم وامتداد سلطانهم ثلثمائة سنة وسنة واحدة وكان كل ملك ملك على اليونانيين من بعد الاسكندر ابن فيلبس يسمى بطليموس وهذا الاسم الاعم الشامل لملكهم كتسمية ملوك الفرس كسرى وتسمية ملوك الروم قيصر وتسمية

طريقهما لم يجامعهما

﴿ذكر الحروب الى آخر السنة فمن ذلك يوم برس وبابل وكوثى﴾

لما فرغ سعد من أمر القادسية أقام بها بعد الفتح شهرين وكاتب عمر فيما يفعل فكتب اليه عمر يأمره بالمسير الى المدائن وان يخلف النساء والعيال بالعتيق وان يجعل معهم جندا كثيفا وان يشركهم فى كل مغنم ماداموا يخلفون المسلمين فى عيالاتهم ففعل ذلك وسار من القادسية لايام بقين من شوال وكل الناس مؤدمذ نقل الله اليهم ما كان فى عسكر الفرس فلما وصلت مقدمة المسلمين برس وعليهم عبد الله بن المعتم وزهرة بن حوية وشرحبيل بن السمط لقيهم بها بصبهرا فى جمع من الفرس فهزمه المسلمون ومن معه الى بابل وبها فالة القادسية وبقايار ؤسائهم النخيرخان ومهران الرازى والهرمزان واشباههم وقد استعملوا عليهم الفيرزان وقدم بصبهرا منهزما من برس فوقع فى النهر ومات من طعنة كان طعنه زهرة ولما انهزم بصبهرا أقبل بسطام دهقان برس فصالح زهرة وعقد له الجسور واخبره عن اجتمع ببابل فارسل زهرة الى سعد يعرفه ذلك فقدم عليه سعد ببرس وسيره فى المقدمة وأتبعه عبد الله وشرحبيل وهاشما المرقال واتبعهم فنزلوا على الفيرزان ببابل وقد قالوا نقاتلهم قبل ان نفترق فاقتتلوا فهزمهم المسلمون فانطلقوا على وجهين فسار الهرمزان نحو الاهواز فاخذها فاكلها وخرج الفيرزان نحو نهاوند فاخذها فاكلها وبها كنوز كسرى وأكل الماهين وسار النخيرخان ومهران الى المدائن وقطعا الجسر وأقام سعد ببابل فقدم زهرة بين يديه بكير بن عبد الله الليثى وكثير بن شهاب السعدى حتى عبرا الصراة فلحقا باخريات القوم وفيهم فيومان والفرخان فقتل بكير الفرخان وقتل كثير فيومان بسورا وجاء زهرة فجاز سورا ونزل وجاء سعد وهاشم والناس ونزلوا عليه وتقدم زهرة نحو الفرس وكانوا قد نزلوا بين الدير وكوثى وقد استخلف النخيرخان ومهران على جنودهما شهريار فنازلهم زهرة فبرز والى قتاله وخرج شهريار يطلب المبارزة فاخرج زهرة اليه أبا نباتة نائل بن جشم الاعرجى وكان من شجعان بنى تميم وكلاهما وثيق الجلوة فلما رأى شهريار نائلا ألقى الرمح ليعتنقه وألقى أبو نباتة رمحه ليعتنقه أيضا وانتضيا سيفهما فاخلدا ثم اعتنقا فسقطا عن دابتهما فوقع شهريار عليه كانه جبل فضغطه بفخذه وأخذ الخنجر وأراد حل ازرار درعه فوقعت اصبعه فى فى نائل فكسر عظمها ورأى منه فتورا فبادره وجلد به الارض ثم قعد على صدره واخذ خنجره وكشف درعه عن بطنه وطعن به بطنه وجنبه حتى مات وأخذ فرسه وسواريه وسلبه وانهزم أصحابه فذهبوا فى البلاد وأقام زهرة بكوثى حتى قدم عليه سعد فقدم اليه نائلا وألبسه سلاح شهريار وسواريه واركبه برذونه وغنمه الجميع فكان أول اعرجى سور بالعراق وأقام بها سعد أياما وزار مجلس ابراهيم الخليل عليه السلام وقيل كانت هذه الوقعات سنة ست عشرة (نائل بالنون وبعد الالف ياء تحتها نقطتان وآخره لام)

﴿ذكر بهرشير وهى المدينة العتيقة وهى المدائن الدنيا من الغرب﴾

ثم ان سعدا قدم زهرة الى بهرشير فمضى فى المقدمات فتلقاه شيرازاد دهقان ساباط بالصلح فارسله الى سعد فصالحه على تأدية الجزية ولقى زهرة كتيبة بنت كسرى التى تدعى بوران وكانوا يحلفون كل يوم ان لا يزول ملك فارس ما عشنا فهزمهم وقتل هاشم بن عتبة وهو ابن أخى سعد المقرط وهو أسد كان لكسرى قد ألفه فقبل سعد رأس هاشم وقبل هاشم قدم سعد وأرسله سعد فى المقدمة الى بهرشير فنزل الى المظلم وقرأ أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال ثم ارتحل فنزل

على

ملوك اليمن تبع وتسمية ملوك الحبشة النجاشى وتسمية ملوك الزنج وهلمين وقد ذكرنا جملا من مراتب ملوك العالم وسماتهم واسمهم الاعم الشامل لهم فيما سلف من كتابنا وسنورد بعد هذا الموضع بالموضع المستحق له من هذا الكتاب جملا عن ذكر الملوك والممالك ان شاء الله تعالى

﴿ذكر ملوك الروم وما قاله الناس فى أنسابهم وعدد ملوكهم وتاريخ سنيهم﴾

تنازع الناس فى الروم ولأية علة سموا بهذا الاسم فمنهم من قال سموا روما لاضافتهم الى مدينة رومية واسمها روماس بالرومية وعرب هذا الاسم فسمى من كان بها روما وكذلك الروم فى لغتهم لا يسمون أنفسهم ولا يدعون أهل الثغور الارميس ومنهم من رأى ان هذا الاسم اسم للاب وهو روم بن سماحلين بن هربان بن عقلا بن العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام ومنهم من رأى انهم سموا باسم جدهم رومى بن ليطن بن يونان بن يافث بن بربه ابن مرحون بن رومية بن مربط بن نوفل بن روين بن الاصفر بن اليفز بن العيص ابن اسحق بن ابراهيم عليه السلام وقد ذكر جماعة ممن سلف من شعراء العرب قبل ظهور الاسلام ذلك الاشتهار ما وصفنا فيهم منهم عدى بن زيد العبادى حيث يقول

على بهرشير ووصلها اسعدوا المسلمون فرأوا الايوان فقال ضرار بن الخطاب الله أكبر ابيض كسرى هذا ما وعد الله ورسوله وكبر وكبر الناس معه فكانوا كلما وصلت طائفة كبروا ثم نزلوا على المدينة وكان نزولهم عليها فى ذى الحجة وحج بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب وكان عامله فيها على مكة عتاب بن أسيد فى قول وعلى الطائف يعلى بن منية وعلى اليمامة والبحرين عثمان بن أبى العاص وعلى عمان حذيفة بن محصن وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبى وقاص وعلى البصرة المغيرة بن شعبة وفيها مات سعد بن عبادة الانصارى وقيل توفى فى خلافة أبى بكر ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وكان أسن من أسلم من بنى هاشم

(ثم دخلت سنة ست عشرة)

ذكر فتح المدائن الغربية وهى بهرشير

فى هذه السنة فى صفر دخل المسلمون بهرشير وكان سعد محاصرا لها وأرسل الخيول فأغارت على من ليس له عهد فأصابوا مائة ألف فلاح فأصاب كل واحد منهم فلاحا لأن كل المسلمين كان فارسا فارسل سعد الى عمر يستأذنه فاجابه ان من جاءكم من الفلاحين ممن لم يعينوا عليكم فهو امانة ومن هرب فادركتموه فشأنكم به فخلى سعد عنهم وأرسل الى الدهاقين ودعاهم الى الاسلام أو الجزية ولهم الذمة فتراجعوا ولم يدخل فى ذلك ما كان لآل كسرى فلم يبق غربى دجلة الى أرض العرب سوادى الا آمن واغتبط بملك الاسلام وأقاموا على بهرشير شهرين يرمونهم بالمجانيق ويدبون اليهم بالدبابات ويقاتلونهم بكل عدة ونصبوا عليها عشرين منجنيقا فشغلوهم بها وربما خرج العجم فقاتلوهم فلا يقومون لهم وكان آخر ما خرجوا متجردين للحرب وتبايعوا على الصبر فقاتلهم المسلمون وكان على زهرة بن الحوية درع مفصوم فقيل له لو أمرت بهذا الفصم فسرد فقال لهم انى على الله لكريم ان نزل سهم فارس الجند كلهم ان لا يؤمنني من هذا الفصم حتى يثبت فى فكان أول رجل أصيب من المسلمين يومئذ هو بنشابة من ذلك الفصم فقال بعضهم انزعوها فقال دعونى فان نفسى معى ما دامت فى لعلى أن أصيب منهم بطعنة أو ضربة فمضى نحو العدو فضرب بسيفه شهر يار من أهل اصطخر فقتله وأحيط به فقتل وما انكشفوا وقيل ان زهرة عاش الى أيام الحجاج فقتله شبيب الخارجى وسيرد ذكره واشتد الحصار باهل المدائن الغربية حتى أكلوا السنانير والكلاب وصبروا من شدة الحصار على أمر عظيم فبينما هم يحاصرونهم اذ أشرف عليهم رسول الملك فقال الملك يقول لكم هل لكم الى المصالحة على ان لنا ما يلينا من دجلة الى جبلنا ولكم ما يليكم من دجلة الى جبلكم أما شبعتم لا أشبع الله بطونكم فقال لهم أبو مقرن الاسود بن قطبة وقد انطقه الله تعالى بما لا يدرى ما هو ولا من معه فرجع الرجل فقطعوا دجلة الى المدائن الشرقية التى فيها الايوان فقال له من معه يا أبا مقرن ما قلت له قال والذى بعث محمدا بالحق ما أدرى وانا أرجو ان أكون قد نطقت بالذى هو خير وسأله سعد والناس عما قال فلم يعلم فنادى سعد فى الناس فنهدوا اليهم فما ظهر على المدينة أحد ولا خرج رجل الا رجل ينادى بالامان فأمنوه فقال لهم ما بقى بالمدينة من يمنعكم فدخلوا فما وجدوا فيها شيأ ولا أحدا الا الأسارى وذلك الرجل فسألوه لاى شئ هربوا فقال بعث الملك اليكم يعرض عليكم الصلح فاجبتموه انه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبدا حتى نأكل عسل أفريدون باترج كوثى فقال الملك ياويلتيه ان الملائكة تتكلم على ألسنتهم ترد علينا فسار والى المدينة القصوى فلما دخلها المسلمون أنزلهم سعد المنازل وأرادوا العبور الى المدائن فوجدوا المعابر قد أخذوها ما بين المدائن وتكريت

وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور وقد كان العيص بن اسحق وهو عيصو تزوج من بنات الكنعانيين فأكثر أولاده منهم وقد قيل ان العماليق وهم العرب البادية الذى كانوا بالشام من ولد اليغز بن عيصو وهذا ما لا ينقاد اليه علماء العرب الا فى الروم دون ما ذكرنا من العماليق وغيرهم وهذه الانساب كلها تتعلق بما فى التوراة وغيرها من كتب العبرانيين (قال المسعودى) وغلبت الروم على ملك اليونانيين لاخبار يطول ذكرها ويتعذر فى هذا الكتاب شرحها وكان أول من ملك من ملوك الروم فيها ساطوحاس وهو جانيوس الاصغر بن روم بن سماحاين فكان ملكه اثنتين وعشرين سنة وقد قيل ان أول من ملك من ملوك الروم قيصر واسمه هالوس بن افليوس ثمان عشرة سنة وفى نسخة أخرى ان أول من ملك من ملوك الروم بعد اليونانيين يوليس سبع سنين ونصفا وكانت مدينة رومية بنيت قبل الروم بأربعمائة سنة (ثم ملك) بعده اغسطس بن قيصر ستة وخمسين سنة وهذا الملك هو الاول من ملوك الروم واسمه قيصر وهو الثانى من ملوكهم وتفسير قيصر أى شق عنه وذلك ان أمه ماتت وهى حامل به فشق بطنها فكان

ذكر فتح المدائن التي فيها ايوان كسرى

وكان فتحها في صفر أيضا سنة ست عشرة قيل وأقام سعد ببهرشير أياما من صفر فأتاه علج فدله على مخاضة تخاض الى صلب الفرس فأبى وتردد عن ذلك وفجأهم المد وكانت السنة كثيرة المدود ودجلة تقذف بالزبد فأتاه علج فقال ما يقيمك لا يأتي عليك ثلاثة حتى يذهب يزدجرد بكل شيء في المدائن فهيجه ذلك على العبور ورأوا رؤيا أن خيول المسلمين اقتحمت دجلة فعبرت فعزم سعد لتأويل الرؤيا فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون اليه معه ويخلصون اليكم اذا شاؤا في سفنهم فيناوشونكم وليس وراءكم شيء تخافون ان تؤتوا منه قد كفاكم أهل الايام وعطلوا ثغورهم وقد رأيت من الرأي ان تجاهدوا العدو قبل ان تحصدكم الدنيا ألا اني قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم فقالوا جميعا عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل فندب الناس الى العبور وقال من يبدأ ويحمي لنا الفراض حتى تتلاحق به الناس لكي لا يمنعوهم من العبور فانتدب له عاصم بن عمرو ذو البأس في ستمائة من أهل النجدات فاستعمل عليهم عاصما فقدمهم عاصم في ستين فارسا وجعلهم على خيل ذكور واناث ليكون أساس لسباحة الخيل ثم اقتحموا دجلة فلما رآهم الاعاجم وما صنعوا أخرجوا للخيل التي تقدمت مثلها فاقتحموا عليهم دجلة فلقوا عاصما وقد دنا من الفراض فقال عاصم الرماح الرماح اشرعوها وتوخوا العيون فالتقوا فاطعنوا وتوخى المسلمون عيونهم فولوا ولحقهم المسلمون فقتلوا أكثرهم ومن نجا منهم صار أعور من الطعن وتلاحق الستمائة بالستين غير متعبين ولما رأى سعد عاصما على الفراض قد منعها أذن للناس في الاقتحام وقال قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهزمن عدوه ولا قوة الا بالله العلي العظيم وتلاحق الناس في دجلة وانهم يتحدثون كما يتحدثون في البر وطبقوا دجلة حتى ما يرى من الشاطئ شيء وكان الذي يساير سعدا سلمان الفارسي فعامت بهم خيولهم وسعد يقول حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه وليهزمن عدوه ان لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات فقال له سلمان الاسلام جديد ذللت لهم البحور كما ذلل لهم البر أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا فخرجوا منه كما قال سلمان لم يفقدوا شيأ الا أن مالك بن عامر العنبري سقط منه قدح فذهبت به جرية الماء فقال له الذي يسايره معيرا له أصابه القدر فطاح فقال والله اني لعلى حالة ما كان الله ليسلبني قدحي من بين العسكرين فلما عبروا ألقته الريح الى الشاطئ فتناوله بعض الناس وعرفه صاحبه فأخذه صاحبه ولم يغرق منهم أحد غير ان رجلا من بارق يدعى غرقدة زال عن ظهر فرس له أشقر فثنى القعقاع عنان فرسه اليه فأخذ بيده فأخرجه سالما وخرج الناس سالمين وخيلهم تنفض أعرافها فلما رأى الفرس ذلك وأتاهم أمر لم يكن في حسابهم خرجوا هاربين نحو حلوان وكان يزدجرد قد قدم عياله الى حلوان قبل ذلك وخلف مهران الرازي والنخيرجان وكان على بيت المال بالنهروان وخرجوا معهم بما قدروا عليه من خير متاعهم وخفيفه وما قدروا عليه من بيت المال وبالنساء والذراري وتركوا في الخزائن من الثياب والمتاع والآنية والفصوص والالطاف ما لا يدرى قيمته وخلفوا ما كانوا أعدوا للحصار من البقر والغنم والاطعمة وكان في بيت المال ثلاثة آلاف ألف ألف ألف ثلاث مرات أخذ منها رستم عند مسيره الى القادسية النصف وبقي النصف وكان أول من دخل المدائن كتيبة الاهوال وهي كتيبة عاصم بن عمرو ثم كتيبة الخرساء وهي كتيبة القعقاع بن عمرو فأخذوا في

سككها

هذا الملك يفتخر في وقته بان النساء لم تلده وكذلك من حدث بعده من ملوك الروم ممن كان من ولده يفتخرون بهذا الفعل وما كان من أمهم فصارت سمة لمن طرأ بعده من ملوك الروم والله أعلم * وغزا هذا الملك الشام ومصر والاسكندرية وأزال من بقي من ملوك الاسكندرية ومقدونية وهي مصر وقد قدمنا ان كل ملك كان يلي مقدونية والاسكندرية يسمى بطليموس واحتوى هذا الملك أعني اغسطس على خزائن ملوك الاسكندرية ومقدونية ونقلها الى رومية وكانت له حروب كثيرة في الارض وقد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا وكان يعبد الاوثان وبنى بأرض الروم مدنا وكورا نسبت تلك المدن اليه منها قيسارية وكذلك بالشام بساحل فلسطين مدينة قيسارية وكان مولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بها وهو يسوع الناصري على حسب ما قدمنا لاثنتين وأربعين سنة خلت من ملك قيصر أغسطس هذا فكان من ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلثمائة سنة وتسع وستون سنة ورأيت بمدينة انطاكية في بعض تواريخ الروم الملكية في كنيسة القسيان انه كان من ملك الاسكندر الى مولد المسيح ثلاثمائة سنة وتسع سنين وكان مولد يسوع

سككها لا يلقون فيها أحدا يخشونه الا من كان فى القصر الابيض فاحاطوا بهم ودعوهم فاستجابوا على تأدية الجزية والذمة فتراجع اليهم أهل المدائن على مثل عهدهم ليس فى ذلك ما كان لآل كسرى ونزل سعد القصر الابيض وسرح سعد زهرة فى آثارهم الى النهروان ومقدار ذلك من كل جهة وكان سلمان الفارسى رائد المسلمين وداعيتهم دعا أهل بهرشير ثلاثا وأهل القصر الابيض ثلاثا واتخذ سعد ايوان كسرى مصلى ولم يغير ما فيها من التماثيل ولم يكن بالمدائن أعجب من عبور الماء وكان يدعى يوم الجراثيم لا يبقى أحد الا شخصت له جرثومة من الارض يستريح عليها ما يبلغ الماء حزام فرسه ولذلك يقول أبو بجيد نافع بن الاسود

وأملنا على المدائن خيلا * بحرها مثل برهن أريضا
فانتثلنا خزائن المرء كسرى * يوم ولوا وحاض منها جريضا

ولما دخل سعد الايوان قرأ كم تركوا من جنات وعيون وزروع الى قوله قوما آخرين وصلى فيه صلاة الفتح ثمانى ركعات لا يفصل بينهن ولا يصلى جماعة وأتم الصلاة لانه نوى الاقامة وكانت أول جمعة بالعراق وجمعت بالمدائن فى صفر سنة ست عشرة ولما سار المسلمون وراءهم أدرك رجل من المسلمين فارسيا يحمى أصحابه فضرب فرسه ليقدم على المسلم فاحجم وأراد الفرار فتقاعس فادركه المسلم فقتله وأخذ سلبه وأدرك رجل آخر من المسلمين جماعة من الفرس يتلاومون وقد نصبوا لاحدهم كرة وهو يرميها لا يخطئها فرجعوا فلقيهم المسلم فتقدم اليه ذلك الفارسى فرماه باقرب مما كانت الكرة فلم يصبه فوصل المسلم اليه فقتله وهرب أصحابه (أبو بجيد بضم الباء الموحدة وفتح الجيم وبعدها ياء تحتها نقطتان ودال مهملة)

﴿ذكر ما جمع من غنائم أهل المدائن وقسمتها﴾

كان سعد قد جعل على الاقباض عمرو بن عمرو بن مقرن وعلى القسمة سلمان بن ربيعة الباهلى فجمع ما فى القصر والايوان والدور وأحصى ما يأتيه به الطلب وكان أهل المدائن قد نهبوها عند الهزيمة وهربوا فى كل وجه فما أفلت أحد منهم بشئ الا أدركهم الطلب فاخذوا ما معهم ورأوا بالمدائن قبابا تركية مملوءة سلالا مختومة برصاص فحسبوه طعاما فاذا فيها آنية الذهب والفضة وكان الرجل يطوف ليبيع الذهب بالفضة متماثلين ورأوا كافورا كثيرا فحسبوه ملحا فعجنوا به فوجدوه مرا وأدرك الطلب مع زهرة جماعة من الفرس على جسر النهروان فازدحموا عليه فوقع منهم بغل فى الماء فعجلوا وكبوا عليه فقال بعض المسلمين ان لهذا البغل لشأنا فجالدهم المسلمون عليه حتى أخذوه وفيه حلية كسرى ثيابه وخرزاته ووشاحه ودرعه التى فيها الجوهر وكان يجلس فيها للمباهاة ولحق الكلج بغلين معهما فارسيان فقتلهما وأخذ البغلين فابلغهما صاحب الاقباض وهو يكتب ما يأتيه به الرجال فقال له قف حتى ننظر ما معك فحط عنهما فاذا سفطان فيهما تاج كسرى مرصعا وكان لا يحمله الا الاسطوانتان وفيه الجوهر وعلى البغل الآخر سفطان فيهما ثياب كسرى التى كان يلبس من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم بالجوهر وغير الديباج منسوجا منظوما وأدرك القعقاع بن عمرو فارسيا فقتله وأخذ منه عيبتين فى احداهما خمسة أسياف وفى الاخرى ستة أسياف وادراع منها درع كسرى ومغافره ودرع هرقل ودرع خاقان ملك الترك ودرع داهر ملك الهند ودرع بهرام جوبين ودرع سياوخش ودرع النعمان استلبها الفرس أيام غزاهم خاقان وهرقل وداهر وأما النعمان وجوبين فحين هربا من كسرى والسيوف من سيوف كسرى وهرمز وقباذ وفيروز وهرقل وخاقان وداهر

الناصرى بايليا من بلاد فلسطين وهو أورشليم بالعبرانية فمن هبوط آدم الى مولد المسيح فى تواريخ اصحاب الشرائع من أهل الكتب خمسة آلاف سنة وخمسمائة سنة وخمسون سنة وأقام اغسطس وهو قيصر ملكا بعد مولد المسيح أربع عشرة سنة ونصفا وكان مدة ملكه على الروم برومية وفى سائر أسفاره ستة وخمسين سنة على حسب ما قدمنا من موته واسمع الحية اياه بقدونية وجفاف نصفه وذهاب سمعه وبصره عند ذكرنا الفعل قلبطره بنفسها فى الباب الذى قبل هذا الباب (ثم ملك الروم بعده) طيباريوس وكان مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة ولثلاث سنين بقيت من ملكه رفع المسيح عليه السلام ولما هلك هذا الملك برومية اختلفت الروم وتحزبت فاقاموا على اختلاف الكلمة والتنازع فى الملك مائتى سنة وثمانية وتسعين سنة لا نظام لهم ولا ملك يجمعهم ولما انقضى ما ذكرنا من المدة ملكوا عليهم بطاريس بمدينة رومية فكان ملكه أربع سنين والقوم لا يعرفون غير عبادة التماثيل والصور (ثم ملك بعده) فلوريوس أربع عشرة سنة وذلك برومية وهو أول ملك من ملوك الروم شرع فى قتل النصارى وأتباع المسيح وقيل ان فى أيامه قتل برومية بطرس واسمه باليونانية شمعون والعرب تسمية سمعان هو

وبهرام وسياوخش والنعمان فاحضر القعقاع الجميع عند سعد فخيره بين الاسياف فاختار سيف هرقل وأعطاه درع بهرام ونفل سائرها فى الخرشا الاسيف كسرى والنعمان بعث بهما الى عمر ابن الخطاب لتسمع العرب بذلك حسبوها فى الاخماس وبعثوا بتاج كسرى وحليته وثيابه الى عمر ليراه المسلمون وأدرك عصمة بن خالد الضبى رجلين معهما حماران فقتل أحدهما وهرب الآخر وأخذ الحمارين فاتى بهما صاحب الاقباض فاذا على أحدهما سفطان فى أحدهما فرس من ذهب بسرج من فضة وعلى ثفره ولبانه الياقوت والزمرد المنظوم على الفضة ولجام كذلك وفارس من فضة مكلل بالجوهر وفى الآخر ناقة من فضة عليها شليل من ذهب وبطان من ذهب ولها زمام من ذهب وكل ذلك منظوم بالياقوت وعليها رجل من ذهب مكلل بالجواهر كان كسرى يضعهما على اسطوانتى التاج وأقبل رجل بحق الى صاحب الاقباض فقال هو والذين معه ما رأينا مثل هذا ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه فقالوا هل أخذت منه شيأ فقال والله لولا الله ما أتيتكم به فقالوا من أنت فقال والله لا أخبركم فتحمدونى ولكنى أحمد الله وأرضى بثوابه فاتبعوه رجلا فسأل عنه فاذا هو عامر بن عبد قيس وقال سعد والله ان الجيش لذو أمانة ولولا ما سبق لاهل بدر لقلت انهم على فضل أهل بدر لقد تتبعت منهم هناة ما أحسبها من هؤلاء وقال جابر بن عبد الله والذى لا اله الا هو ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية انه يريد الدنيا مع الآخرة فلقد اتهمنا ثلاثة نفر فما رأينا كاماناتهم وزهدهم وهم طليحة وعمرو بن معديكرب وقيس ابن المكشوح وقال عمر لما قدم عليه بسيف كسرى ومنطقته وزبرجده ان قوما أدوا هذا لذو أمانة فقال على انك عففت فعفت الرعية فلما جمعت الغنائم قسم سعد الفئ بين الناس بعد ما خمسه وكانوا ستين ألفا فاصاب الفارس اثنى عشر ألفا وكلهم كان فارسا ليس فيهم راجل ونفل من الاخماس فى أهل البلاء وقسم المنازل بين الناس وأحضر العيالات فانزلهم الدور فاقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جلولاء وحلوان وتكريت والموصل ثم تحولوا الى الكوفة وأرسل سعد فى الخمس كل شئ أراد أن يعجب منه العرب وما كان يعجبهم أن يقع وأراد اخراج خمس القطيف فلم تعتدل قسمته وهو بهار كسرى فقال للمسلمين هل تطيب أنفسكم عن أربعة أخماسه فنبعث به الى عمر يضعه حيث يشاء فانا لا نراه ينقسم وهو بيننا قليل وهو يقع من أهل المدينة موقعا فقالوا نعم فبعثه الى عمر والقطيف بساط واحد طوله ستون ذراعا وعرضه ستون ذراعا مقدار جريب كانت الاكاسرة تعده للشتاء اذا ذهبت الرياحين شربوا عليه فكأنهم فى رياض فيه طرق كالصور وفيه فصوص كالانهار أرضها مذهبة وخلال ذلك فصوص كالدر وفى حافاته كالارض المزروعة والارض المبقلة بالنبات فى الربيع والورق من الحرير على قضبان الذهب وزهره الذهب والفضة وثمره الجوهر واشباه ذلك وكانت العرب تسميه القطيف فلما قدمت الاخماس على عمر نفل منها من غاب ومن شهد من أهل البلاء ثم قسم الخمس فى مواضعه ثم قال أشيروا على فى هذا القطيف فمن بين مشير بقبضه وآخر مفوض اليه فقال له على لم يجعل الله علمك جهلا ويقينك شكا انه ليس لك من الدنيا الا ما أعطيت فامضيت أو لبست فابليت أو أكلت فافنيت وانك ان تبقه على هذا اليوم لم تعدم فى غد من يستحق به ما ليس له فقال صدقتنى ونصحتنى فقطعه بينهم فاصاب عليا قطعة منه فباعها بعشرين ألفا وما هى باجود تلك القطع وكان الذى سار بالاخماس بشير بن الخصاصية وأثنى الناس على أهل القادسية فقال عمر أولئك أعيان العرب ولما رأى عمر سيف النعمان سأل جبير بن مطعم عن نسب النعمان فقال جبير كانت العرب تنسبه

الى

وبولص صلبا منكسين وما كان من خبرهما مع سيمن الساحر برومية وهما من أتى الى انطاكية وأخبر الله عز وجل عنهما فى سورة يس ثم كان لهما بعد ذلك نبأ عظيم وذلك بعد ظهور دين النصرانية برومية فجعلا فى أجربة من البلور فهما على ذلك بمدينة رومية فى بعض الكنائس الى هذه الغاية على حسب ما قدمنا آنفا فيما سلف من هذا الكتاب وأكثر من عنى بأخبار العالم وسير ملوكهم وتاريخهم فذهب قوم الى أنهما قتلا برومية فى ملك الخامس من ملوك الروم وتفرق تلاميذ يسوع الناصرى فى الارض فسار مار الى العراق فمات بمدينة برمى والصافية على شاطئ دجلة بين بغداد وواسط وهذا البلد بلد على بن عيسى ابن داود بن الجراح ومحمد بن داود بن الجراح وغيرهما من الكتاب فقبره هنالك فى كنيسة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة يعظمه أهل دين النصرانية ومضى توما وكان من الاثنى عشر الى بلاد الهند داعيا الى شريعة المسيح فمات هنالك وسار آخر الى آخر مدينة بخراسان فمات هنالك وموضع قبره مشهور يعظمه النصارى ومنهم ارد مات ببلاد قوف وحا البحار وكرخ حران فى تخوم العراق وموضعه مشهور ومات مارقس بالاسكندرية من أرض مصر وقبره هنالك وهو أحد التلاميذ

الى اسلاقبص وكان أحد بنى عجم بن قبص يجهل الناس بعجم فقالوا الحم فنفله سيفه وولى عمر بن الخطاب سعد بن أبى وقاص صلاة ماغلب عليه وحربه وولى الخراج النعمان وسويدا ابنى مقرن سويدا على ماسقت الفرات والنعمان على ماسقت دجلة ثم استعفيا فولى عملهما حذيفة بن أسيد وجابر بن عمرو المزنى ثم ولى عملهما بعد حذيفة ابن النعمان وعثمان بن حنيف (حذيفة بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين)

(ذكر وقعة جلولاء وفتح حلوان)

وفى هذه السنة كانت وقعة جلولاء وسببها ان الفرس لما انتهوا بعد الهرب من المدائن الى جلولاء وافترقت الطرق باهل اذربيجان والباب وأهل الجبال وفارس قالوا ان افترقتم لم تجتمعوا أبدا وهذا مكان يفرق بيننا فهلموا فلنجتمع للعرب به ولنقاتلهم فان كانت لنا فهو الذى نحب وان كانت الاخرى كنا قد قضينا الذى علينا وأبدينا عذرا فاحتفروا خندقا واجتمعوا فيه على مهران الرازى وتقدم يزدجرد الى حلوان وأحاطوا خندقهم بحسك الحديد الا طرقهم فبلغ ذلك سعدا فارسل الى عمر فكتب اليه عمر أن سرح هاشم بن عتبة الى جلولاء واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو وان هزم الله الفرس فاجعل القعقاع بين السواد والجبل وليكن الجند اثنى عشر ألفا ففعل سعد ذلك وسار هاشم من المدائن بعد قسمة الغنيمة فى اثنى عشر ألفا منهم وجوه المهاجرين والانصار واعلام العرب ممن كان ارتد ومن لم يرتد فسار من المدائن فر بابل مهروذ فصالحه دهقانها على ان يفرش له جريب الارض دراهم ففعل وصالحه ثم مضى حتى قدم جلولاء فحاصرهم فى خنادقهم واحاط بهم وطاولهم الفرس وجعلوا لا يخرجون الا اذا أرادوا وزاحفهم المسلمون نحو ثمانين يوما كل ذلك ينصر المسلمون عليهم وجعلت الامداد ترد من يزدجرد الى مهران وامد سعد المسلمين وخرجت الفرس وقد احتفلوا فاقتتلوا فارسل الله عليهم الريح حتى أظلمت عليهم البلاد فتحاجزوا فسقط فرسانهم فى الخندق فجعلوا فيه طرقا مما يليهم يصعد منه خيلهم فافسدوا حصنهم وبلغ ذلك المسلمين فنهضوا اليهم وقاتلوهم قتالا شديدا لم يقتتلوا مثله ولا ليلة الهرير الا انه كان أعجل وانتهى القعقاع بن عمرو من الوجه الذى زحف فيه الى باب خندقهم فاخذه وأمر مناديا فنادى يامعاشر المسلمين هذا أميركم قد دخل الخندق وأخذ به فأقبلوا اليه ولا يمنعكم من بينكم وبينه من دخوله وانما أمر بذلك ليقوى المسلمين فحملوا ولا يشكون بان هاشما فى الخندق فاذا هم بالقعقاع بن عمرو وقد أخذ به فانهزم المشركون عن المجال يمنة ويسرة فهلكوا فيما اعدوا من الحسك فعقرت دوابهم وعادوا رجالة واتبعهم المسلمون فلم يفلت منهم الامن لا يعد وقتل يومئذ منهم مائة ألف فجللت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه فسميت جلولاء بما جللها من قتلاهم فهى جلولاء الوقيعة فسار القعقاع بن عمرو فى الطلب حتى بلغ خانقين ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حلوان نحو الرى وقدم القعقاع حلوان فنزلها فى جند من الاساورة والحمراء وكان فتح جلولاء فى ذى القعدة سنة ست عشرة ولما سار يزدجرد عن حلوان استخلف عليها خسرشنوم فلما وصل القعقاع قصر شيرين خرج عليه خسرشنوم وقدم اليه الزينبى دهقان حلوان فلقيه القعقاع فقتل الزينبى وهرب خسرشنوم واستولى المسلمون على حلوان وبقى القعقاع بها الى ان تحول سعد الى الكوفة فلحقه القعقاع واستخلف على حلوان قباذ وكان أصله خراسانيا وكتبوا الى عمر بالفتح وبنزول القعقاع حلوان واستأذنوه فى اتباعهم فابى وقال لوددت ان بين السواد وبين الجبل سدا لا يخلصون الينا ولا نخلص اليهم حسبنا من الريف السواد انى آثرت سلامة المسلمين على الانفال

الاربعة الذين ألفوا الانجيل

وقد كان لمارقس مع أهل مصر خبر ظريف فى مقتله قد أتينا على السبب فى ذلك فى كتابنا الاوسط الذى كتابنا هذا تال له وأتينا على قصته مع أهل مصر ووصيته لهم حين أراد المسير الى المغرب انه من جاءكم على صورتى فاقتلوه فانه سيرد عليكم بعدى اناس يتشبهون بى فبادروا الى قتلهم ولا تقبلوا منهم ما يقولون ومضى وغاب عنهم برهة من الزمان ولم يلحق بحيث أراد فرجع اليهم فلما هموا بقتله قال لهم ويحكم أنا مارقس قالوا الا قد أخبرنا أبونا مارقس وعهد الينا بقتل من يتشبه به قال فانى أنا مارقس قالوا الاسبيل الى تركك ولا بد من قتلك فقتلوه وقد كان قبل ذلك سئل فى بدء الامر عن البراهين المؤيدة لقوله وطلبوا منه المعجزات وقال له بعضهم ان كنت صادقا فيما أتيتنا به فاعرج الى هذه السماء ونحن نراك فنزع عنه زرثيابه وأتزر بمئزر صوف على ان يصعد الى السماء فتعلق به جماعة من تلامذته وقالوا له ان مضيت فمن لنا بعدك اذ كنت الاب وكان أمره بعد ذلك على ما وصفنا وتلاميذ المسيح اثنان وسبعون تلميذا واثنا عشر من غير الاثنين والسبعين فاما الذين نقلوا الانجيل فهم لوقا ومارقس ويحيى ومتى ومنهم من الاثنين والسبعين لوقا ومتى وقد يعد متى أيضا فى غير الاثنى عشر ولا أدرى ما معناهم فى ذلك والاثنان

وأدرك القعقاع فى اتباعه الفرس مهران بخانقين فقتله وأدرك الفيرزان فنزل وتوغل فى الجبل فتحامى وأصاب القعقاع سبايا فارساهن الى هاشم فقسمهن فاتخذن فولدن وممن ينسب الى ذلك السبي أم الشعبي وقسمت الغنيمة وأصاب كل واحد من الفوارس تسعة آلاف وتسعة من الدواب وقيل ان الغنيمة كانت ثلاثين ألف ألف فقسمها سلمان بن ربيعة وبعث سعد بالاخماس الى عمر وبعث الحساب مع زياد بن أبيه فكلم عمر فيما جاء له ووصف له فقال عمر هل تستطيع ان تقوم فى الناس بمثل ما كلمتنى به فقال والله ما على الارض أهيب فى صدرى منك فكيف لا أقوى على هذا من غيرك فقام فى الناس بما أصابوا وما صنعوا وبما يستأنفون من الانسياح فى البلاد فقال عمر هذا الخطيب المصقع فقال ان جندنا أطلقوا السنتنا فلما قدم الخمس على عمر قال والله لا يجنه سقف حتى اقسمه فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن الارقم يحرسانه فى المسجد فلما أصبح جاء فى الناس فكشف عنه فلما نظر الى ياقوته وزبرجده وجوهره بكى فقال له عبد الرحمن ابن عوف ما يبكيك يا أمير المؤمنين فوالله ان هذا لموطن شكر فقال عمر والله ما ذاك يبكينى وبالله ما أعطى الله هذا قوما الا تحاسدوا وتباغضوا ولا تحاسدوا الا ألقى الله بأسهم بينهم ومنع عمر من قسمة السواد لتعذر ذلك بسبب الآجام والغياض وتبعيض المياه وما كان لبيوت النار ولسكك البرد وما كان لكسرى ومن جامعه وما كان لمن قتل والارجاء وخاف أيضا الفتنة بين المسلمين فلم يقسمه ومنع من بيعه لانه لم يقسم وأقروها حبيسا يولونها من أجمعوا عليه بالرضا وكانوا لا يجمعون الا على الامراء فلا يحل بيع شئ من أرض السواد ما بين حلوان والقادسية واشترى جرير أرضا على شاطئ الفرات فرد عمر ذلك الشراء وكرهه

﴿ذكر فتح تكريت والموصل﴾

وفى هذه السنة فتحت تكريت فى جمادى وسبب ذلك ان الانطاق سار من الموصل الى تكريت وخندق عليه ليحمى أرضه ومعه الروم واياد وتغلب والنمر والشهارجة فبلغ ذلك سعدا فكتب الى عمر فكتب اليه عمر ان سرح اليه عبد الله بن المعتم واستعمل على مقدمته ربعى بن الافكل وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة فسار عبد الله الى تكريت ونزل على الانطاق فحصره ومن معه أربعين يوما فتزاحفوا أربعة وعشرين زحفا وكانوا أهون شوكة من أهل جلولاء وأرسل عبد الله ابن المعتم الى العرب الذين مع الانطاق يدعوهم الى نصرته وكانوا لا يخفون عليه شيأ ولما رأت الروم المسلمين ظاهرين عليهم تركوا أمراءهم ونقلوا متاعهم الى السفن فارسلت تغلب واياد والنمر الى عبد الله بالخبر وسألوه الامان وأعلموه انهم معه فارسل اليهم ان كنتم صادقين فأسلموا فأجابوه وأسلموا فارسل اليهم عبد الله اذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنا أخذنا ابواب الخندق فخذوا الابواب التى تلى دجلة وكبروا واقتلوا من قدرتم عليه ونهد عبد الله والمسلمون وكبروا وكبرت تغلب واياد والنمر وأخذوا الابواب فظن الروم ان المسلمين قد أتوهم من خلفهم مما يلى دجلة فقصدوا الابواب التى عليها المسلمون وأخذتهم سيوف المسلمين وسيوف الربعيين الذين أسلموا تلك الليلة فلم يفلت من أهل الخندق الا من أسلم من تغلب واياد والنمر وأرسل عبد الله بن المعتم ربعى بن الافكل الى الحصنين وهما نينوى والموصل فسمى نينوى الحصن الشرقى وسمى الموصل الحصن الغربى وقال اسبق الخبر وسرح معه تغلب واياد والنمر فقدمهم ابن الافكل الى الحصنين فسبقوا الخبر وأظهروا الظفر والغنيمة وبشروهم ووقفوا بالابواب وأقبل ابن الافكل فاقتحم عليهم الحصنين وكلبوا أبوابهما فنادوا بالاجابة الى الصلح وصاروا ذمة وقسموا الغنيمة فكان سهم

الفارس

اللذان من الاثنى عشر يحيى بن سبداى ومارقس صاحب الاسكندرية والثالث الذى ورد انطاكية وقد تقدمه بطرس وتوما وهو بولس وهو الثالث المذكور فى القرآن بقوله تعالى فعززنا بثالث قال وليس فى سائر رهبان النصرانية من يأكل اللحم غير رهبان مصر لان مارقس أباح لهم ذلك (ثم ملك الروم نيرون واستقام ملكه ورغب على حسب ما قدمنا وغى دين النصرانية الى الروم فكثرت فيهم الدعاة اليه فقتل هذا الملك منهم خلائق كثيرة وكان ملكه أربع عشرة سنة (ثم ملك بعده) طيطش وأسباسيانوس مشتركين فى الملك ثلاث عشرة سنة وذلك بمدينة رومية ولسنة خلت من ملك هذين الملكين سارا الى الشام وكانت لهما مع بنى اسرائيل حروب عظيمة وقتل فيهما من بنى اسرائيل ثلثمائة ألف وخربا بيت المقدس وأحرقا الهيكل بالنار وحرثاه بالبقر وأزالا رسمه ومحوا أثره وكانت عبادتهما للاصنام ووجدت فى بعض كتب التواريخ ان الله عاقب الروم من ذلك اليوم الذى خربت فيه بيت المقدس ان يسبى كل يوم منهم سبى يفعل ذلك من أطاف بلادهم من الامم فلا يوم من أيام العالم الا والسبى واقع بهم قل ذلك أو كثر (ثم ملك الروم بعدهما) دوسطناس خمس عشرة سنة عابد التماثيل معظما لها ولتسع سنين من

الفارس ثلاثة آلاف درهم وسهم الراجل ألف درهم و بعثوا بالاخماس الى عمر وولى حرب الموصل ربعي بن الافكل والخراج عرفجة بن هرثمة وقيل ان عمر بن الخطاب استعمل عتبة بن فرقد على قصد الموصل وفتحها سنة عشرين فاتاها فقاتله أهل نينوى فاخذ حصنها وهو الشرقي عنوة وعبر دجلة فصالحه أهل الحصن الغربي وهو الموصل على الجزية ثم فتح المرج وبانهذرا وباعذرا وحبتون وداسن وجميع معاقل الاكراد وقردى وبازبدى وجميع اعمال الموصل فصارت للمسلمين وقيل ان عياض بن غنم لما فتح بلدا على ما نذكره أتى الموصل ففتح أحد الحصنين وبعث عتبة بن فرقد الى الحصن الآخر ففتحه على الجزية والخراج والله أعلم (المعتم بضم الميم وسكون العين المهملة وآخره ميم مشددة)

(ذكر فتح ماسبذان)

ولما رجع هاشم من جلولاء الى المدائن بلغ سعدا ان آذين بن الهرمزان قد جمع جمعا وخرج بهم الى السهل فارسل اليهم ضرار بن الخطاب في جيش فالتقوا بسهل ماسبذان فاقتتلوا فاسرع المسلمون في المشركين وأخذ ضرار آذين أسيرا فضرب رقبته ثم خرج في الطلب حتى انتهى الى السيروان فأخذ ماسبذان عنوة فهرب أهلها في الجبال فدعاهم فاستجابوا له وأقام بها حتى تحوّل سعد الى الكوفة فارسل اليه فنزل الكوفة واستخلف على ماسبذان ابن الهذيل الاسدي فكانت أحد فروج الكوفة وقيل ان فتحها كان بعد وقعة نهاوند

(ذكر فتح قرقيسيا)

ولما رجع هاشم من جلولاء الى المدائن وقد اجتمعت جموع أهل الجزيرة فامدّوا هرقل على أهل حمص وبعثوا جندا الى أهل هيت فارسل سعد عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف في جند وجعل على مقدمته الحرث بن يزيد العامري فخرج عمر بن مالك في جنده نحو هيت فنازل من بها وقد خندقوا عليهم فلما رأى عمر بن مالك اعتصامهم بخندقهم ترك الاخبية على حالها وخلف عليهم الحرث بن يزيد يحاصرهم وخرج في نصف الناس فجاء قرقيسيا على غرة فأخذها عنوة فأجابوا الى الجزية وكتب الى الحرث بن يزيد ان هم استجابوا فخل عنهم فليخرجوا والا فخندق على خندقهم خندقا ابوابه مما يليك حتى أرى رأيي فراسلهم الحرث فأجابوا الى العود الى بلادهم فتركهم وسار الحرث الى عمر بن مالك * وفيها غرب عمر بن الخطاب ابا محجن الثقفي الى ناصع وفيها تزوج ابن عمر صفية بنت أبي عبيد أخت المختار * وفيها حمى عمر الربذة لخيل المسلمين * وفيها ماتت مارية أم ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى عليها عمر ودفنها بالبقيع في المحرم وفيها كتب عمر التاريخ بمشورة علي بن أبي طالب وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب واستخلف على المدينة زيد بن ثابت وكان عماله على البلاد الذين كانوا في السنة قبلها وكان على حرب الموصل ربعي بن الافكل وعلى خراجها عرفجة بن هرثمة وقيل كان على الحرب والخراج بها عتبة بن فرقد وقيل كان ذلك كله الى عبد الله بن المعتم وعلى الجزيرة عياض بن غنم

(ثم دخلت سنة سبع عشرة)

(ذكر بناء الكوفة والبصرة)

في هذه السنة اختطت الكوفة وتحوّل سعد اليها من المدائن وكان سبب ذلك ان سعدا أرسل وفدا الى عمر بهذه الفتوح المذكورة فلما رآهم عمر سألهم عن تغير ألوانهم وحالهم فقالوا وخومة البلاد غيرتنا فامرهم عمر أن يرتادوا منزلا ينزله الناس وكان قد حضر مع الوفد نفر من بني تغلب

ملكه نفى يوحنا التلميذ أحد الاربعة من أصحاب الانجيل الى بعض جزائر البحر ثم ردّه بعد ذلك (ثم ملك بعده) بيونوس سنة (ثم ملك بعده) طرنانوس سبع عشرة سنة يعبد الاصنام ولتسع سنين خلت من ملكه مات يحيى التلميذ (ثم ملك بعده) ادريانيس احدى عشرة سنة يعبد التماثيل وخرب سائر ما بنى بنو اسرائيل بالشام (ثم ملك بعده) انطاوليس برومية ثلاثا وعشرين سنة وبنى بيت المقدس وسماه ايليا وهو أول من سماه بهذا الاسم ايليا (ثم ملك بعده) مرليس سبع عشرة سنة يعبد الاصنام (ثم ملك بعده) قرقودس يعبد الاوثان ثلاث عشرة سنة (ثم ملك بعده) سربوس ثمان عشرة سنة (ثم ملك بعده) ولده يقال له انطونيس يعبد التماثيل سبع سنين (ثم ملك بعده) انطونيس الثاني أربع سنين يعبد التماثيل وفي آخر ملك هذا الملك مات جالينوس الطبيب (ثم ملك بعده) الاسكندر ماميـاس وتفسير ماميـاس العاجز وكان يعبد التماثيل وكان ملكه ثلاث عشرة سنة (ثم ملك بعده) مقسمين يعبد التماثيل وكان ملكه ثلاث سنين (ثم ملك بعده) عرديانس يعبد التماثيل ست سنين (ثم ملك بعده) يعربس يعبد الاوثان ستين سنة وأمعن في قتل النصرانية وطلبهم ومن هذا الملك هرب أصحاب

لما قدوا عمر على قومهم فقال لهم عمر أعاقدهم على ان من أسلم منكم كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ومن أبى فعليه الجزية فقالوا اذن يهربون و يصيرون عجما و بذلوا له الصدقة فأبى فجعلوا جزيتهم مثل صدقة المسلم فاجابهم على أن لا ينصروا وليدا فهاجر هؤلاء التغلبيون ومن أطاعهم من النمر واياد الى سعد بالمدائن ونزلوا بالمدائن ونزلوا معه بعد بالكوفة وقيل بل كتب حذيفة الى عمر ان العرب قد رقت بطونها وجفت أعضادها وتغيرت ألوانها وكان مع سعد فكتب عمر الى سعد أخبرني ما الذي غير ألوان العرب ولحومهم فكتب اليه سعد ان الذي غيرهم وخومة البلاد وان العرب لا يوافقها الا ما وافق ابلها من البلدان فكتب اليه عمر أن ابعث سلمان وحذيفة رائدين فليرتادا منزلا بريا بحريا ليس بيني و بينكم فيه بحر ولا جسر فارسلهما سعد فخرج سلمان حتى أتى الانبار فسار في غربي الفرات لا يرضى شيأ حتى أتى الكوفة وسار حذيفة في شرقي الفرات لا يرضى شيأ حتى أتى الكوفة وكل رملة وحصباء مختلطين فهو كوفة فأتيا عليها وفيها ديرات ثلاثة دير حرقة ودير أم عمرو ودير سلسلة وخصاص خلال ذلك فأعجبتهما البقعة فنزلا فصليا ودعوا الله تعالى ان يجعلها منزل الثبات فلما رجعا الى سعد بالخبر وقدم كتاب عمر اليه أيضا كتب سعد الى القعقاع بن عمرو وعبد الله بن المعتم ان يستخلفا على جندهما ويحضرا عنده ففعلا فارتحل سعد من المدائن حتى نزل الكوفة في المحرم سنة سبع عشرة وكان بين نزول الكوفة ووقعة القادسية سنة وشهران وكان فيما بين قيام عمر واختطاط الكوفة ثلاث سنين وثمانية أشهر ولما نزلها سعد كتب الى عمر انى قد نزلت بالكوفة منزلا فيما بين الحيرة والفرات بريا وبحريا تنبت الحلفاء والنصى وخيرت المسلمين بينها وبين المدائن فمن أعجبه المقام بالمدائن تركته فيها كالمسلحة ولما استقروا بها عرفوا أنفسهم ورجع اليهم ما كانوا فقدوا من قوتهم واستأذن أهل الكوفة في بنيان القصب واستأذن فيه أهل البصرة أيضا واستقر منزلهم فيها في الشهر الذي نزل أهل الكوفة بعد ثلاث نزلات قبلها فكتب اليهم ان العسكر أشد لحربكم وأذكر لكم وما أحب أن أخالفكم فابتنى أهل المصرين بالقصب ثم ان الحريق وقع في الكوفة والبصرة وكانت الكوفة أشد حريقا في شوال فبعث سعد نفرا منهم الى عمر يستأذنونه في البنيان باللبن فقدموا عليه بخبر الحريق واستئذانه أيضا فقال افعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنة يلزمكم الدولة فرجع القوم الى الكوفة بذلك وكتب عمر الى البصرة بمثل ذلك وكان على تنزيل الكوفة أبو هياج بن مالك وعلى تنزيل البصرة عاصم بن دلف أبو الجرباء وقدر المناهج أربعين ذراعا وما بين ذلك عشرين ذراعا والازقة سبع أذرع والقطائع ستين ذراعا وأول شئ خطه فيهما و بنى مسجداهما وقام في وسطهما رجل شديد النزع فرمى في كل جهة بسهم وأمر ان يبنى ما وراء ذلك وبنى ظلة في مقدمة مسجد الكوفة على اساطين رخام من بناء الاكاسرة في الحيرة وجعلوا على الصحن خندقا لئلا يقتحمه أحد ببنيان وبنوا لسعد دارا بحياله وهي قصر الكوفة اليوم بناه روزبه من آجر بنيان الاكاسرة بالحيرة وجعل الاسواق على شبه المساجد من سبق الى مقعد فهو له حتى يقوم منه الى بيته ويفرغ من معه وبلغ عمر ان سعدا قال وقد سمع أصوات الناس من الاسواق سكنوا عنى السويط وأن الناس يسمونه قصر سعد فبعث محمد بن مسلمة الى الكوفة وأمره ان يحرق باب القصر ثم يرجع ففعل فبلغ سعدا ذلك فقال هذا رسول أرسل لهذا فاستدعاه سعد فأبى ان يدخل اليه فخرج اليه سعد وعرض عليه نفقة فلم يأخذ وأبلغه كتاب عمر اليه بلغني انك اتخذت قصرا جعلته حصنا ويسمى قصر سعد بينك وبين الناس

الكهف (١) وقد اختلف الناس في أصحاب الكهف والرقيم فمنهم من رأى ان أصحاب الكهف هم أصحاب الرقيم وزعموا ان الرقيم هو مارقم من أسماء اهل الكهف في لوح من حجر على باب تلك المغارة ومنهم من رأى ان اصحاب الرقيم غير أصحاب الكهف وقد ذكرنا كلا الموضعين بأرض الروم (وقد حكى) أحمد بن الطيب عن مروان السرخسي تلميذ يعقوب بن اسحق الكندي عن محمد بن موسى المنجم حين أنفذه الواثق بالله من سر من رأى الى بلاد الروم حتى أشرف على أصحاب الرقيم وهو الموضع المعروف من بلاد الروم بحارى وقد ذكرنا في الكتاب الاوسط قصة أصحاب الكهف وموضعهم وكيفية أحوالهم الى هذه الغاية وخبر أصحاب الرقيم وما حكاه محمد بن موسى المنجم من خبرهم وما لحقه من الموكل بهم حين أراد قتله بالسم وقتل من كان معه من المسلمين وأخبرنا عن السد الذي بناه ذو القرنين مانعا ليأجوج ومأجوج (قال المسعودي) وجدت في كتاب صور الارض وما عليها من الابنية المعظمة والهياكل المشيدة قد صور مقدار عرض السد فيما بين الجبلين دون الطول والذهاب في الصعد تسع درج ونصف من درج الفلك فقدار ذلك من الجبل الى الجبل خمسون

(١) فيه ان الملك الذي هرب منه أصحاب الكهف اسمه دقيانوس كما في القاموس وكتب التفسير اه قاله نصر الهوريني

باب

باب فليس بقصرك ولكنه قصر الخبال انزل منه مما يلى بيوت الاموال وأغلقه ولا تجعل على القصر بابا يمنع الناس من دخوله فخاف له سعد ما قال الذى قالوا فرجع محمد فابلغ عمر قول سعد فصدقه وكانت ثغور الكوفة أربعة حلوان وعليها القعقاع وماسبذان وعليها ضرار بن الخطاب وقرقيسيا وعليها عمر بن مالك أو عمرو بن عتبة بن نوفل والموصل وعليها عبد الله بن المعتم وكان بها خلفاؤهم اذا غابوا عنها وولى سعد الكوفة بعد ما اختطت ثلاث سنين ونصفا سوى ما كان بالمدائن قبلها

﴿ذكر خبر حمص حين قصد هرقل من بها من المسلمين﴾

وفى هذه السنة قصد الروم أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين بحمص وكان المهيج للروم أهل الجزيرة فانهم أرسلوا الى ملكهم وبعثوه على ارسال الجنود الى الشام ووعدوا من أنفسهم المعاونة ففعل ذلك فلما سمع المسلمون باجتماعهم ضم أبو عبيدة اليه مسالحهم وعسكر بفناء مدينة حمص وأقبل خالد من قنسرين اليهم فاستشارهم أبو عبيدة فى المناجزة أو التحصن الى مجىء الغياث فاشار خالد بالمناجزة وأشار سائرهم بالتحصين ومكاتبة عمر فاطاعهم وكتب الى عمر بذلك وكان عمر قد اتخذ فى كل مصر خيولا على قدره من فضول أموال المسلمين عدة لكون ان كان فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس وكان القيم عليها سلمان بن ربيعة الباهلى ونفر من أهل الكوفة وفى كل مصر من الامصار الثمانية على قدره فان نابتهم نائبة ركبها الناس وساروا الى أن يتجهز الناس فلما سمع عمر الخبر كتب الى سعد ان اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم فان أبا عبيدة قد أحيط به وكتب اليه أيضا سرح سهيل بن عدى الى الرقة فان أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص وأمره ان يسرح عبد الله بن عتبان الى نصيبين ثم ليقصد حران والرها وان يسرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ وان يسرح عياض بن غنم فان كان قتال فامرهم الى عياض فمضى القعقاع فى أربعة آلاف من يومهم الى حمص وخرج عياض بن غنم وأمراء الجزيرة وأخذوا طريق الجزيرة وتوجه كل أمير الى الكورة التى أمر عليها وخرج عمر من المدينة فاتى الجابية لابى عبيدة مغيثا يريد حمص ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص وهم معهم خبر الجنود الاسلامية تفرقوا الى بلادهم وفارقوا الروم فلما فارقوهم استشار أبو عبيدة خالدا فى الخروج الى الروم فاشار به فخرج اليهم فقاتلهم ففتح الله عليه وقدم القعقاع بن عمرو بعد الوقعة بثلاثة أيام فكتبوا الى عمر بالفتح وبقدوم المدد عليهم والحكم فى ذلك فكتب اليهم أن اشركوهم فانهم نفروا اليكم وانفرق لهم عدوكم وقال جزى الله أهل الكوفة خيرا يكفون حوزتهم ويمدون أهل الامصار فلما فرغوا رجعوا

﴿ذكر فتح الجزيرة وارمينية﴾

وفى هذه السنة فتحت الجزيرة قد ذكرنا ارسال سعد العساكر الى الجزيرة فخرج عياض بن غنم ومن معه فارسل سهيل بن عدى الى الرقة وقد ارفض أهل الجزيرة عن حمص الى كورهم حين سمعوا باهل الكوفة فنزل عليهم فاقام يحاصرهم حتى صالحوه فبعثوا فى ذلك الى عياض وهو فى منزل وسط بين الجزيرة فقبل منهم وصالحهم وصاروا ذمة وخرج عبد الله بن عتبان على الموصل الى نصيبين فلقوه بالصلح وصنعوا كصنع أهل الرقة فكتبوا الى عياض فقبل منهم وعقد لهم وخرج الوليد بن عقبة فقدم على عرب الجزيرة فنهض معه مسلمهم وكافرهم الا اياد بن نزار فانهم دخلوا

ومائة فرسخ وهذا عند جماعة من أهل النظر والبحث مستحيل كونه وقد أنكر ذلك محمد بن كثير الفرغانى المنجم وتكلم عليه وبرهن على فساده وأفرد محمد بن الطيب الذى قتله المعتضد بالله لما ذكرنا من الكهف والرقيم رسائل قد أتينا على ما قيل فى ذلك فى كتابنا المترجم بالكتاب الاوسط (ثم ملك حابس) ثلاث سنين (ثم ملك بعده) بدنوس نحوا من عشرين سنة وقيل خمس عشرة سنة (ثم ملك بعده) فورس نحوا من عشرين سنة (ثم ملك بعده) ولد له يقال له فارس نحوا من سنتين (ثم ملك بعده) فليطاليس عشر سنين (ثم ملك بعده) قسطنطين (قال المسعودى) والذى وجدت فى الاكثر من كتب التواريخ مما اتفقوا عليه ان عدة ملوك الروم الذين ملكوا بمدينة رومية وهم الذين قدمنا ذكرهم فى هذا الكتاب تسعة وأربعون ملكا وجميع عدد سنى ملكهم من أول ملك ملكهم على حسب ما ذكرنا من الخلاف فى صدر هذا الكتاب الى قسطنطين هذا وهو ابن هلانى أربعمائة وسبع وثلاثون سنة وسبعة أشهر وسبعة أيام ونسخ كتب التواريخ فى هذا المعنى مختلفة غير متفقة فى أسماء ملوكهم ومدة ممالكهم واكثرها بالرومية فكتبنا من

أرض الروم فكتب الوليد بذلك الى عمر ولما أخذوا الرقة ونصيبين ضم عياض اليه سهيلا وعبد الله وسار بالناس الى حران فلما وصل أجابه أهلها الى الجزية فقبل منهم ثم ان عياضا سرح سهيلا وعبد الله الى الرها فاجابوهما الى الجزية وأجروا كل ما أخذوه من الجزيرة عنوة مجرى الذمة فكانت الجزيرة أسهل البلدان فتحا ورجع سهيل وعبد الله الى الكوفة وكتب أبو عبيدة الى عمر بعد انصرافه من الجابية يسأله أن يضم اليه عياض بن غنم اذا أخذ خالدا الى المدينة فصرفه اليه فاستعمل حبيب بن مسلمة على عجم الجزيرة وحربها والوليد بن عقبة على عربها فلما قدم كتاب الوليد على عمر بمن دخل الروم من العرب كتب عمر الى ملك الروم بلغني ان حيا من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك فوالله لتخرجنه الينا أو لنخرجن النصارى اليك فاخرجهم ملك الروم فخرج منهم أربعة آلاف وتفرق بقيتهم فيما يلي الشام والجزيرة من بلاد الروم فكل ايادي في أرض العرب من أولئك الاربعة آلاف وأبى الوليد بن عقبة ان يقبل من تغلب الا الاسلام فكتب فيهم الى عمر فكتب اليه عمر انما ذلك بجزيرة العرب لا يقبل منهم الا الاسلام فدعهم على أن لا ينصروا وليدا ولا يمنعوا أحدا منهم من الاسلام وكان في تغلب عز وامتناع فهم بهم الوليد فخاف عمر ان يسطو عليهم فعزله وأمر عليهم فرات بن حيان وهند بن عمرو الجملي وقال ابن اسحق ان فتح الجزيرة كان سنة تسع عشرة وقال ان عمر كتب الى سعد بن أبي وقاص اذا فتح الله الشام والعراق فابعث جندا الى الجزيرة وأمر عليه خالد بن عرفطة أو هاشم بن عتبة أو عياض بن غنم قال سعد ما أخر أمير المؤمنين عياضا الا لان له فيه هوى وانا موليه فبعثه وبعث معه جيشا فيه أبو موسى الاشعري وابنه عمر بن سعد ليس له من الامر شئ فسار عياض ونزل بجنده على الرها فصالحه أهلها مصالحة حران وبعث أبا موسى الى نصيبين فافتتحها وسار عياض بنفسه الى دارا فافتتحها ووجه عثمان بن أبي العاص الى أرمينية الرابعة فقاتل أهلها فاستشهد صفوان بن المعطل وصالح أهلها عثمان على الجزية ثم كان فتح قيسارية من فلسطين وهرب هرقل فعلى هذا القول تكون الجزيرة من فتوح أهل العراق والاكثر على انها من فتوح أهل الشام فان أبا عبيدة سير عياض بن غنم الى الجزيرة وقيل ان أبا عبيدة لما توفي استخلف عياضا فورد عليه كتاب عمر بولاية حمص وقنسرين والجزيرة فسار الى الجزيرة سنة ثمان عشرة للنصف من شعبان في خمسة آلاف وعلى ميمنته سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي وعلى ميسرته صفوان بن المعطل وعلى مقدمته هبيرة بن مسروق فانتهت طليعة عياض الى الرقة فاغاروا على الفلاحين وحصروا المدينة وبث عياض السرايا فاتوه بالاسرى والاطعمة وكان حصرها ستة أيام فطلب أهلها الصلح فصالحهم على أنفسهم وذراريهم وأموالهم ومدينتهم وقال عياض الارض لنا قد وطئناها وملكناها فاقرها في أيديهم على الخراج ووضع الجزية ثم سار الى حران فجعل عليها عسكرا يحصرها عليهم صفوان بن المعطل وحبيب بن مسلمة وسار هو الى الرها فقاتله أهلها ثم انهزموا وحصرهم المسلمون في مدينتهم فطلب أهلها الصلح فصالحهم وعاد الى حران فوجد صفوان وحبيبا قد غلبا على حصون وقرى من أعمال حران فصالحه أهلها على مثل صلح الرها وكان عياض يغزو ويعود الى الرها وفتح سميساط وأتى سروج ورأس كيفا والارض البيضاء فصالحه أهلها على صلح الرها ثم ان أهل سميساط غدروا فرجع اليهم عياض فحاصرهم حتى فتحها ثم أتى قريات على الفرات وهي جسر منبج وما يليها ففتحها وسار الى رأس عين وهي عين الوردة فامتنعت عليه وتركها وسار الى تل موزن ففتحها على صلح الرها سنة تسع عشرة وسار الى آمد فحصرها فقاتله أهلها ثم صالحوه على صلح الرها وفتح

ذلك مما نأتي وصفه ولهؤلاء الملوك أخبار وسير هي موجودة في كتب النصارى الملكية قد أتينا على مبسوطها والغرض منها في كتابنا في أخبار الزمان وما شيدوا من البنيان وما كان لهم في هذا العالم من الاسفار وبالله التوفيق

﴿ذكر ملوك الروم المتنصرة وهم ملوك القسطنطينية ولمع من أخبارهم﴾

(ملك قسطنطين) بعد أن هلك فليطاليس برومية وهو يعبد الاوثان وكان أول ملك انتقل من ملوك الروم عن رومية الى بوزنطيا وهي مدينة القسطنطينية فبناها وسماها باسمه الى وقتنا هذا وكان له في بنائها خبر ظريف مع بعض ملوك برجان لخوف داخله من بعض ملوك ساسان وكان خروجه من رومية ودخوله في دين النصرانية لسنة خلت من ملكه ولتسع سنين من ملكه خرجت أمه هلاني الى أرض الشام فبنت الكنائس وسارت الى بيت المقدس وطلبت الخشبة التي صلب عليها المسيح عندهم فلما صارت اليها حلتها بالذهب والفضة واتخذت لوجودها عيدا وهو عيد الصليب وهو لاربع عشرة تخلو من ايلول وفيه تفتح الترع والخلجانات ببلاد مصر على حسب ما نورده عند ذكرنا لاخبار مصر من هذا الكتاب

ميا فارقين على مثل ذلك ركفرتوثا فسار الى نصيبين فقاتله أهلها ثم صالحوه على مثل صلح الرها وفتح طور عبدين وحصن ماردين وقصد الموصل ففتح أحد الحصنين وقيل لم يصل اليها وأتاه بطريق الزوزان فصالحه ثم سار الى ارزن ففتحها ودخل الدرب فاجازه الى بدليس وبلغ خلاط فصالحه بطريقها وانتهى الى العين الحامضة من أرمينية ثم عاد الى الرقة ومضى الى حمص فمات سنة عشرين واستعمل عمر سعيد بن عامر بن حذيم فلم يلبث الا قليلا حتى مات فاستعمل عمير بن سعد الانصاري ففتح رأس عين بعد قتال شديد وقيل ان عياضا أرسل عمير بن سعد الى رأس عين ففتحها بعد ان اشتد قتاله عليها وقيل ان عمر أرسل أبا موسى الاشعري الى رأس عين بعد وفاة عياض وقيل ان خالد بن الوليد حضر فتح الجزيرة مع عياض ودخل حماما بآمد فاطلى بشئ فيه خمر فعزله عمر وقيل ان خالدا لم يسر تحت لواء أحد غير أبي عبيدة والله أعلم ولما فتح عياض سميساط بعث حبيب بن مسلمة الى ملطية ففتحها عنوة ثم نقض أهلها الصلح فلما ولى معاوية الشام والجزيرة وجه اليها حبيب بن مسلمة أيضا ففتحها عنوة ورتب فيها جندا من المسلمين مع عاملها

﴿ذكر عزل خالد بن الوليد﴾

في هذه السنة وهي سنة سبع عشرة عزل خالد بن الوليد عما كان عليه من التقدم على الجيوش والسرايا وسبب ذلك انه كان ادرب هو وعياض بن غنم فاصابا أموالا عظيمة وكانا توجها من الجابية مرجع عمر الى المدينة وعلى حمص أبو عبيدة وخالد تحت يده على قنسرين وعلى دمشق يزيد وعلى الاردن معاوية وعلى فلسطين علقمة بن مجزز وعلى الساحل عبد الله بن قيس فبلغ الناس ما أصاب خالد فانتجعه رجال وكان منهم الاشعث بن قيس فاجازه بعشرة آلاف ودخل خالد الحمام فتدلك بغسل فيه خمر فكتب اليه عمر بلغني انك تدلكت بخمر وان الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنه ومسه فلا تمسوها اجسادكم فكتب اليه خالد انا قتلناها فعادت غسولا غير خمر فكتب اليه عمر ان آل المغيرة ابتلوا بالجفاء فلا أماتكم الله عليه فلما فرق خالد في الذين انتجعوه الاموال سمع بذلك عمر ابن الخطاب وكان لا يخفى عليه شئ من عمله فدعا عمر البريد فكتب معه الى أبي عبيدة أن يقيم خالدا ويعقله بعمامته وينزع عنه قلنسوته حتى يعلمكم من أين أجاز الاشعث أمن ماله أم من مال أصابه أصابها فان زعم انه فرقه من اصابة أصابها فقد أقر بخيانة وان زعم انه من ماله فقد أسرف واعزله على كل حال واضمم اليك عمله فكتب أبو عبيدة الى خالد فقدم عليه ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر فقام البريد فسأل خالدا من أين اجاز الاشعث فلم يجبه وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيأ فقام بلال فقال ان أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا ونزع عمامته فلم يمنعه سمعا وطاعة ووضع قلنسوته ثم اقامه فعقله بعمامته وقال من أين أجزت الاشعث من مالك أجزت ام من اصابة اصبتها فقال بل من مالي فاطلقه وأعاد قلنسوته ثم عممه بيده ثم قال نسمع ونطيع لولاتنا ونفخم ونخدم موالينا قال وأقام خالد متحيرا لا يدري امعزول أم غير معزول ولا يعلمه أبو عبيدة بذلك تكرمة وتفخمة فلما تأخر قدومه على عمر ظن الذي كان فكتب الى خالد بالاقبال اليه فرجع الى قنسرين فخطب الناس وودعهم ورجع الى حمص فخطبهم ثم سار الى المدينة فلما قدم على عمر شكاه وقال قد شكوتك الى المسلمين فبالله انك في أمري لغير مجمل فقال له عمر من أين هذا الثراء قال من الانفال والسهمان ما زاد على ستين ألفا فلك فقوم عمر ماله فزاد عشرين الفا فجعلها في بيت المال ثم قال يا خالد والله انك علي لكريم وانك الي لحبيب وكتب الى الامصار اني لم أعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فخموه وفتنوا به فخفت ان يوكلوا اليه فاحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع وان لا يكونوا

وهي التي بنت كنيسة حمص على أربعة أركان وذلك من عجائب بنيان العالم واستخرجت الكنوز والدفائن بمصر والشام وصرفت ذلك الى بناء الكنائس وتشييد دين النصرانية وكل كنيسة بالشام ومصر وبلاد الروم فانها بنتها هذه الملكة هيلانى أم قسطنطين وقد جعل اسم الصليب في كل كنيسة لها وليس في الروم في أحرفهم هاء وأحرف هيلاني خمسة أحرف فالاول امالة وهو بحساب الجمل خمسة والثاني وهو اللام ثلاثون والثالث امالة أيضا وهي خمسة والرابع النون وهي خمسون والخامس ياء وهو في حساب الجمل عشرة فذلك مائة اختصارا على ما ذكرناه هذه صورة الحرف الذي هو مائة بالرومية ولتسع عشرة سنة خلت من ملك قسطنطين بن هيلاني اجتمع ثلثمائة وثمانية عشر اسقفا بمدينة نيقية بارض الروم فأقاموا دين النصرانية وهذا الاجتماع أول الاجتماعات الستة الرومية السنودسات واحدها سنودس فالاول بنيقية على ما ذكرنا من العدد وكان الاجتماع فيه على اريوس وهذا اتفاق من سائر دين النصرانية من الملكية والمشارقة وهم العباد الذين تسميهم الملكية وعامة الناس النسطورية واتفاق من

بعرض فتنة وعوضه مما أخذ منه

﴿ذكر بناء المسجد الحرام والتوسعة فيه﴾

وفيها أعنى سنة سبع عشرة اعتمر عمر بن الخطاب وبنى المسجد الحرام ووسع فيه وأقام بمكة عشرين ليلة وهدم على قوم أبوا أن يبيعوا ووضع أثمان دورهم فى بيت المال حتى أخذوها وكانت عمرته فى رجب واستخلف على المدينة زيد بن ثابت وأمر بتجديد انصاب الحرم فأمر بذلك مخرمة بن نوفل والازهر بن عبد عوف وحويطب بن عبد العزى وسعيد بن يربوع واستأذنه أهل المياه فى ان يبنوا منازل بين مكة والمدينة فأذن لهم وشرط عليهم ان ابن السبيل أحق بالظل والماء وفيها تزوج عمر أم كلثوم بنت على بن أبى طالب وهى ابنة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها فى ذى القعدة

﴿ذكر غزوة فارس من البحرين﴾

قيل كان عمر يقول لما أخذت الاهواز وما يليها وددت ان بيننا وبين فارس جبلا من نار لا نصل اليهم منه ولا يصلون الينا وقد كان العلاء بن الحضرمى على البحرين ايام أبى بكر فعزله عمر وجعل موضعه قدامة بن مظعون ثم عزل قدامة وأعاد العلاء يناوى سعد بن أبى وقاص ففاز العلاء فى قتال أهل الردة بالفضل فلما ظفر سعد باهل القادسية وازاح الاكاسرة جاء باعظم مما فعله العلاء فاراد العلاء ان يصنع فى الفرس شيأ ولم ينظر فى الطاعة والمعصية وقد كان عمر نهاه عن الغزو فى البحر ونهى غيره أيضا اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وخوف الغرر فندب العلاء الناس الى فارس فأجابوه وفرقهم اجنادا على أحدها الجارود بن المعلى وعلى الآخر سوار بن همام وعلى الآخر خليد بن المنذر بن ساوى وخليد على جميع الناس وحملهم فى البحر الى فارس بغير اذن عمر فعبرت الجنود من البحرين الى فارس فخرجوا الى اصطخر وبازائهم أهل فارس وعليهم الهربذ فحالت الفرس بين المسلمين وبين سفنهم فقام خليد فى الناس فخطبهم ثم قال اما بعد فان القوم لم يدعوكم الى حربهم وانما جئتم لمحاربتهم والسفن والارض لمن غلب فاستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين فأجابوه الى ذلك ثم صلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالا شديدا بمكان يدعى طاوس فقتل سوار والجارود وكان خليد قد أمر أصحابه أن يقاتلوا رجالة ففعلوا فقتل من أهل فارس مقتلة عظيمة ثم خرجوا يريدون البصرة ولم يجدوا الى الرجوع فى البحر سبيلا وأخذت الفرس منهم طرقهم فعسكروا وامتنعوا ولما بلغ عمر صنيع العلاء أرسل الى عتبة بن غزوان يأمره بانفاذ جند كثيف الى المسلمين بفارس قبل ان يهلكوا وقال فانى قد ألقى فى روعى كذا وكذا نحو الذى كان وأمر العلاء باثقل الاشياء عليه تأمير سعد عليه فشخص العلاء الى سعد بمن معه وأرسل عتبة جيشا كثيفا فى اثنى عشر ألف مقاتل فيهم عاصم بن عمرو وعرفجة بن هرثمة والاحنف بن قيس وغيرهم فخرجوا على البغال يجنبون الخيل وعليهم أبو سبرة ابن أبى رهم أحد بنى عامر بن لؤى فسار بالناس وساحل بهم لا يعرض له أحد حتى التقى أبو سبرة وخليد بحيث أخذ عليهم الطريق عقيب وقعة طاوس وانما كان ولى قتالهم أهل اصطخر وحدهم ومن شذ من غيرهم وكان أهل اصطخر حيث أخذوا الطريق على المسلمين فجمعوا أهل فارس عليهم فجاؤا من كل جهة فالتقوا هم وأبو سبرة بعد طاوس وقد توافت الى المسلمين امدادهم وعلى المشركين شهرك فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركين وأصاب المسلمون منهم ما شاؤا وهى الغزوة التى شرفت فيها نابتة البصرة وكانوا أفضل نوابت الامصار ثم انكفؤا بما

اصابوا

اليعاقبة على هذا السندوس أيضا والسندوس الثانى بالقسطنطينية على مقدونوس وعدة المجتمعين فيه من الاساقفة مائة وخمسون رجلا والسندوس الثالث بافسوس وعددهم مائتا رجل والسندوس الرابع بخلقدونية وعددهم ستمائة وستون رجلا والسندوس الخامس بقسطنطينية وعددهم مائة وستة وأربعون رجلا والسندوس السادس كان فى ملكة المدن وعددهم مائتان وتسعة وثمانون رجلا وسنذكر بعد هذا الموضع فى ترتيب ملوك الروم هذه السندوسات وغلبة دين النصرانية وزوال عبادة التماثيل والصور وكان السبب فى دخول قسطنطين بن هلانى فى دين النصرانية والرغبة فيه ان قسطنطين خرج فى بعض حروب برجان وغيرهم من الامم وكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من سنة ثم كانت عليه فى بعض الايام فقتل من أصحابه خلق كثير فخاف البوار فرأى فى النوم كان رماحا نزلت من السماء فيها عذب وأعلاما على رؤسها صلبان من الذهب والفضة والحديد والنحاس وأنواع الجواهر والخشب وقيل له خذ هذه الرماح وقاتل بها عدوك تنصر فجعل يحارب بها فى النوم فرأى عدوه منهزما وقد نصر عليه وولاه

أصابوا وكان عتبة كتب اليهم بالحث وقلة العرجة فرجعوا الى البصرة سالمين ولما أحرز عتبة الاهواز واوطأ فارس فاستأذن عمر فى الحج فاذن له فلما اقضى حجه استعفاه فابى أن يعفيه وعزم عليه ليرجعن الى عمله فدعا الله ثم انصرف فمات فى بطن نخلة فدفن وبلغ عمر موته فمر به زائرا قبره وقال أنا قتلتك لولا انه أجل معلوم وأثنى عليه خيرا ولم يختط فيمن اختط من المهاجرين وانما ورث ولده منزلهم من فاختة بنت غزوان وكانت تحت عثمان بن عفان وكان حباب مولاه قد لزم سيمته فلم يختط ومات عتبة بن غزوان على رأس ثلاث سنين من مفارقة سعد وذلك بعد ان استنفذ الجند الذين بفارس ونزلهم البصرة واستخلف على الناس أبا سبرة بن أبى رهم بالبصرة فاقره عمر بقية السنة ثم استعمل المغيرة بن شعبة عليها فلم ينتقض عليه أحد ولم يحدث شيأ الا ما كان بينه وبين أبى بكرة ثم استعمل أبا موسى على البصرة ثم صرف الى الكوفة ثم استعمل عمر بن سراقة ثم صرف ابن سراقة الى الكوفة من البصرة وصرف أبو موسى من الكوفة الى البصرة فعمل عليها ثانية وقد تقدم ذكر ولاية عتبة بن غزوان البصرة والاختلاف فيها سنة أربع عشرة

(ذكر عزل المغيرة عن البصرة وولاية أبى موسى)

فى هذه السنة عزل عمر المغيرة بن شعبة عن البصرة واستعمل عليها أبا موسى وأمره أن يشخص اليه المغيرة بن شعبة فى ربيع الاول قاله الواقدى وكان سبب عزله انه كان بين أبى بكرة والمغيرة بن شعبة منافرة وكانا متجاورين بينهما طريق وكانا فى مشربتين فى كل واحدة منهما كوة مقابلة للاخرى فاجتمع الى أبى بكرة نفر يتحدثون فى مشربته فهبت الريح ففتحت باب الكوة فقام أبو بكرة ليسده فبصر بالمغيرة وقد فتحت الريح باب كوة مشربته وهو بين رجلى امرأة فقال للنفر قوموا فانظروا فقاموا فنظروا وهم أبو بكرة ونافع بن كلدة وزياد بن أبيه وهو أخو أبى بكرة لامه وشبل بن معبد البجلى فقال لهم اشهدوا قالوا ومن هذه قال أم جميل بن الافقم وكانت من بنى عامر بن صعصعة وكانت تغشى المغيرة والامراء وكان بعض النساء يفعلن ذلك فى زمانها فلما قامت عرفوها فلما خرج المغيرة الى الصلاة منعه أبو بكرة وكتب الى عمر فبعث عمر أبا موسى أميرا على البصرة وأمره بلزوم السنة فقال أعنى بعدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فى هذه الامة كالملح قال له خذ من أحببت فاخذ معه تسعة وعشرين رجلا منهم أنس بن مالك وعمران بن حصين وهشام بن عامر وخرج معهم فقدم البصرة فدفع الكتاب بامارته الى المغيرة وهو أوجز كتاب وأبلغه أما بعد فانه بلغنى نبأ عظيم فبعثت أبا موسى أميرا فسلم اليه ما فى يدك والعجل فاهدى اليه المغيرة وليدة تسمى عقيلة ورحل المغيرة ومعه أبو بكرة والشهود فقدموا على عمر فقال له المغيرة سل هؤلاء الاعبد كيف رأونى أمستقبلهم أم مستدبرهم وكيف رأوا المرأة أو عرفوها فان كانوا مستقبلىّ فكيف لم أستتر أو مستدبرىّ فبأى شئ استحلوا النظر الىّ فى منزلى على امرأتى والله ما أتيت الا امرأتى وكانت تشبهها فشهد أبو بكرة انه رآه على أم جميل يدخله كالميل فى المكحلة وانه رآهما مستدبرين وشبل ونافع مثل ذلك واما زياد فانه قال رأيته جالسا بين رجلى امرأة فرأيت قدمين مخضوبتين يخفقان واستين مكشوفتين وسمعت حفزا شديدا قال هل رأيت كالميل فى المكحلة قال لا قال هل تعرف المرأة قال لا ولكن أشبهها قال فتنح وأمر بالثلاثة فجلدوا الحد فقال المغيرة اشفنى من الاعبد قال اسكت أسكت الله نامتك أما والله لو تمت الشهادة لرجمتك باحجارك

(ذكر الخبر عن فتح الاهواز ومناذر ونهر تيرى)

الدبر فاستيقظ من رقدته ودعا بالرماح فركب عليها ما ذكرنا ودفعها فى عسكره وزحف الى عدوه فولوا وأخذهم السيف فرجع الى مدينة نيقية وسأل أهل الخبرة عن تلك الصلبان وهل يعرفون ذلك فى شئ من الآراء والنحل فقيل له ان بيت المقدس من أرض الشام مجمع لهذا المذهب وأخبر بما فعل من قبله من الملوك من قبل النصرانية فبعث الى الشام والى بيت المقدس فحشد له ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا فاتوه وهو بنيقية فقص عليهم أمره فشرعوا له دين النصرانية فهذا هو السندوس الاول وهو الاجتماع على ما ذكرنا وقد قيل ان أم قسطنطين هلانى كانت قد تنصرت وأخفت ذلك عنه قبل هذه الرؤيا وكان ملك قسطنطين الى أن هلك احدى وثلاثين سنة وفى وجه آخر من التاريخ انه ملك خمسا وعشرين وقد أتينا على أخباره وحروبه وخروجه مرتادا لموضع القسطنطينية ووروده الى هذا الخليج الآخذ من بحر مانطش ونيطش فى كتابنا أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط وأن خليج القسطنطينية يأخذ من هذا البحر ويجرى الماء فيه جريا ويصب الى بحر الشام ومسافة هذا الخليج ثلثمائة وخمسون ميلا وقيل أقل من ذلك وعرضه فى الموضع الذى يأخذ من بحر

وفي هذه السنة فتحت الاهواز ومناذر ونهرتيرى وقيل كان سنة عشرين وكان السبب في هذا الفتح انه لما انهزم الهرمزان يوم القادسية وهو أحد البيوتات السبعة في أهل فارس وكانت أمته منهم مهرجانقذف وكور الاهواز فلما انهزم قصد خوزستان فلكها وقاتل بها من أرادهم. وكان الهرمزان يغير على أهل ميسان ودستميسان من مناذر ونهرتيرى فاستمد عتبة بن غزوان سعدا فامده بنعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود وأمرهما أن يأتيا أعلى ميسان ودستميسان حتى يكونا بينهم وبين نهرتيرى ووجه عتبة بن غزوان سلمى بن القين وحرملة بن مريطة وكانا من المهاجرين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما من بنى العدوية من بنى حنظلة فنزلا على حدود ميسان ودستميسان بينهم وبين مناذر ودعوا بنى العم فخرج اليهم غالب الوائلى وكليب بن وائل الكليبي فتركا نعيما وأتيا سلمى وحرملة وقالا أنتما من العشيرة وليس لكما منزل فاذا كان يوم كذا وكذا فانهدوا للهرمزان فان أحدنا يثور بمناذر والآخر بنهرتيرى فنقتل المقاتلة ثم يكون وجهنا اليكم فليس دون الهرمزان شئ ان شاء الله ورجعا وقد استجابا واستجاب قومهما بنو العم بن مالك وكانوا ينزلون خوزستان قبل الاسلام فاهل البلاد يأمنونهم فلما كان تلك الليلة ليلة الموعد بين سلمى وحرملة وغالب وكليب وكان الهرمزان يومئذ بين نهرتيرى وبين دلب وخرج سلمى وحرملة صبيحتهما في تعبية وأنهضا نعيما ومن معه فالتقوا هم والهرمزان بين دلب ونهرتيرى وسلمى بن القين على أهل البصرة ونعيم بن مقرن على أهل الكوفة فاقتتلوا فبيناهم على ذلك أقبل مدد من قبل غالب وكليب وأتى الهرمزان الخبر بان مناذر ونهرتيرى قد أخذا فكسر ذلك قلب الهرمزان ومن معه هزمه الله واياهم فقتل المسلمون منهم ما شاؤا وأصابوا ما شاؤا واتبعوهم حتى وقفوا على شاطئ دجيل وأخذوا ما دونه وعسكروا بحيال سوق الاهواز وعبر الهرمزان جسر سوق الاهواز وأقام وصار دجيل بين الهرمزان والمسلمين فلما رأى الهرمزان ما لا طاقة به طلب الصلح فاستأمروا عتبة فاجاب الى ذلك على الاهواز كلها ومهرجانقذف ما خلا نهرتيرى ومناذر وما غلبوا عليه من سوق الاهواز فانه لا يرد عليه وجعل سلمى على مناذر مسلحة وأمرها الى غالب وحرملة على نهرتيرى وأمرها الى كليب فكانا على مسالح البصرة وهاجرت طوائف من بنى العم فنزلوا البصرة ووفد عتبة ووفدا الى عمر منهم سلمى وجماعة من أهل البصرة فامرهم عمر أن يرفعوا حوائجهم فكلهم قال أما العامة فانت صاحبها وطلبوا لانفسهم الا الاحنف بن قيس فانه قال يا أمير المؤمنين انك كما ذكروا ولقد تعزب عنك ما يحق علينا انهاؤه اليك مما فيه صلاح العامة وانما ينظر الوالى فيما غاب عنه باعين أهل الخبر ويسمع بآذانهم فان اخواننا من أهل الكوفة نزلوا في مثل حدقة البعير الغاسقة من العيون العذاب والجنان الخصاب فتأتيهم ثمارهم ولم يخضدوا وانا معشر أهل البصرة نزلنا سبخة هشاشة وعقة نشاشة طرف لها في الفلاة وطرف لها في البحر الاجاج يجرى اليها ما جرى في مثل مرىء النعامة دارنا فعمة وطبقتنا ضيقة وعددنا كثير واشرافنا قليل وأهل البلاء فينا كثير درهمنا كبير وقفيزنا صغير وقد وسع الله علينا وزادنا في أرضنا فوسع علينا يا أمير المؤمنين وزدنا طبقة تطوف علينا ونعيش بها فلما سمع عمر قوله أحسن اليهم وأقطعهم مما كان فيألاهل كسرى وزادهم ثم قال هذا الفتى سيد أهل البصرة وكتب الى عتبة فيه بان يسمع منه ويرجع الى رأيه وردهم الى بلدهم وبينا الناس على ذلك من ذمتهم مع الهرمزان وقع بين الهرمزان وغالب وكليب في حدود الارضين اختلاف فحضر سلمى وحرملة لينظرا فيما بينهم فوجدا غالبا وكليبا محقين والهرمزان مبطلا فحالا بينهما وبينه فكفر الهرمزان ومنع ما قبله

واستعان

مانطش نحو من عشرة أميال وهنالك عمائر ومدينة للروم تدعى سباه تمنع من يرد في هذا البحر من مراكب الروم وغيرها ثم يضيق هذا الخليج عند القسطنطينية فيصير عرضه وهو موضع العبور من الجانب الشرقى الى الموضع الغربى الذى فيه القسطنطينية نحوا من أربعة أميال وعليه العمائر وينتهى في ضيقه الى الموضع المعروف بالاندلس وهنالك جبال وعين ماء كثير ماؤها موصوف تعرف بعين مسلمة بن عبد الملك وكان نزوله عليها حين حاصر القسطنطينية وأتته مراكب المسلمين في فم هذا الخليج مما يلى بحر الشام ومنتهى مصبه مضيق وهنالك برج يمنع من فيه من يرد من مراكب المسلمين في الوقت الذى للمسلمين فيه مراكب تغزو الروم وأما الآن فمراكب الروم تغزو بلاد الاسلام ولله الامر من قبل ومن بعد وأخبرنى أبو عمير عدى بن حاتم بن عبد الباقى الازدى وهو شيخ الثغور الشامية قديما الى وقتنا هذا وهو من أهل التحصيل انه لما عبر الى القسطنطينية في هذا الخليج حين دخل لاقامة الهدنة والفداء كان يتبين جرية هذا الماء وبرده مما يلى بحر مانطش ونيطش وربما يتبين في الماء الجرى مما يلى بحر الشام فيجده فاترا وهذا يدل على اتصال ماء هذين البحرين وأنه قد دخل

واستعان بالاكراد وكف جنده وكتب سلمى ومن معه الى عتبة بذلك فكتب عتبة الى عمر فكتب اليه عمر يأمره بقصده وأمد المسلمين بحرقوص بن زهير السعدى كانت له صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره على القتال وعلى ما غلب عليه وسار الهرمزان ومن معه وسار المسلمون الى جسر سوق الاهواز وأرسلوا اليه اما أن تعبر الينا أو نعبر اليك فقال اعبروا الينا فعبروا فوق الجسر فاقتتلوا مما يلى سوق الاهواز فانهزم الهرمزان وسار الى رامهرمز وفتح حرقوص سوق الاهواز ونزل بها واتسعت له بلادها الى تستر ووضع الجزية وكتب بالفتح الى عمر وأرسل اليه الاخماس

﴿ذكر صلح الهرمزان وأهل تستر مع المسلمين﴾

وفى هذه السنة فتحت تستر وقيل سنة ست عشرة وقيل سنة تسع عشرة قيل ولما انهزم الهرمزان يوم سوق الاهواز وافتتحها المسلمون بعث حرقوص جزء بن معاوية فى أثره بامر عمر الى سوق الاهواز فما زال يقتلهم حتى انتهى الى قرية الشغر وأعجزه الهرمزان فمال جزء الى دورق وهى مدينة سرق فاخذها صافية ودعا من هرب الى الجزية فاجابوه وكتب الى عمر وعتبة بذلك فكتب عمر الى حرقوص واليه بالمقام فيما غلبا عليه حتى يأمرهما بامره فعمر جزء البلاد وشق الانهار وأحيا الموات وراسلهم الهرمزان يطلب الصلح فاجاب عمر الى ذلك وأن يكون ما أخذه المسلمون بايديهم ثم اصطلحوا على ذلك وأقام الهرمزان والمسلمون يمنعونه اذا قصده الاكراد ويجىء اليهم ونزل حرقوص جبل الاهواز وكان يشق على الناس الاختلاف اليه فبلغ ذلك عمر فكتب اليه يامره بنزول السهل وأن لا يشق على مسلم ولا معاهد ولا تدركك فترة ولا عجلة فتكدر دنياك وتذهب آخرتك وبقى حرقوص الى يوم صفين وصار حروريا وشهد النهروان مع الخوارج

﴿ذكر فتح رامهرمز وتستر واسر الهرمزان﴾

قيل كان فتح رامهرمز وتستر والسوس فى سنة سبع عشرة وقيل سنة تسع عشرة وقيل سنة عشرين وكان سبب فتحها أن يزدجرد لم يزل وهو بمرو يثير أهل فارس أسفا على ما خرج من ملكهم فتحركوا وتكاتبوا هم وأهل الاهواز وتعاقدوا على النصرة فجاءت الاخبار حرقوص ابن زهير وجزأ وسلمى وحرملة فكتبوا الى عمر بالخبر فكتب عمر الى سعد أن ابعث الى الاهواز جندا كثيفا مع النعمان بن مقرن وعجل فلينزلوا بازاء الهرمزان ويتحققوا أمره وكتب الى أبى موسى أن ابعث الى الاهواز جندا كثيفا وأمر عليهم سهل بن عدى أخا سهيل فابعث معه البراء بن مالك ومجزأة بن ثور وعرفجة بن هرثمة وغيرهم وعلى أهل الكوفة والبصرة جميعا أبو سبرة بن أبى رهم فخرج النعمان بن مقرن فى أهل الكوفة فسار الى الاهواز على البغال يجنبون الخيل فخلف حرقوصا وسلمى وحرملة وسار نحو الهرمزان وهو برامهرمز فلما سمع الهرمزان بمسير النعمان اليه بادره بالشدة ورجا أن يقتطفه ومعه أهل فارس فالتقى النعمان والهرمزان باربك فاقتتلوا قتالا شديدا ثم ان الله عز وجل هزم الهرمزان فترك رامهرمز ولحق بتستر وسار النعمان الى رامهرمز ونزلها وصعد الى ايذج فصالحه تيرويه على ايذج ورجع الى رامهرمز فاقام بها ووصل أهل البصرة فنزلوا سوق الاهواز وهم يريدون رامهرمز فاتاهم خبر الوقعة وهم بسوق الاهواز وأتاهم الخبر ان الهرمزان قد لحق بتستر فساروا نحوه وسار النعمان أيضا وسار حرقوص وسلمى وحرملة وجزء فاجتمعوا على تستر وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس والجبال والاهواز فى الخنادق وأمدهم عمر بابى موسى

فى بحر الروم الى هذا الخليج أيضا وسمعت غير واحد من أهل التحصيل ممن غزا غزاة سلوقية مع غلام زرافة وقد كانوا دخلوا الى خليج القسطنطينية وساروا فيه مسافة بعيدة أنهم وجدوا الماء فى هذا الخليج يقل فى أوقات من الليل والنهار ويكثر كالجزر والمد وعليه العمائر والمدن فلما أحسوا بنقصان الماء بادروا بالخروج منه الى البحر الرومى وان فى مدخله من بحر الروم مدينة تقرب من فم الخليج والخليج يطيف بالقسطنطينية من جهتين مما يلى الشرق ومما يلى الشمال وفى الجانب الجنوبى البر وفيه باب الذهب مطلى على صفائح النحاس وأعلى موضع فى سورها نحو من ثلاثين ذراعا وقد ذكر أنه أقل من ذلك وأن أقصر موضع فيه عشرة أذرع ولها أبواب كثيرة مما يلى البر والبحر وحولها كنائس كثيرة وقد قيل ان لها ثلاثين بابا ومنهم من زعم أن عليها مائة باب صغارا وكبارا وهو بلد عفن مختلف المهاب مرطب للابدان لكونه بين ما وصفنا لهذه البحار (قال المسعودى) ولم تزل الحكمة باقية عالية زمن اليونانيين وبرهة من مملكة الروم تعظم العلماء وتشرف الحكماء وكانت لهم الآراء فى الطبيعيات والجسم والعقل والنفس والتعاليم الاربعة أعنى الارثماطيقى وهو علم الاعداد والجومطريقى وهو

وجعله على أهل البصرة وعلى الجميع أبو سبرة فحاصروهم اشهرا وأكثروا فيهم القتل وقتل البراء ابن مالك وهو أخو أنس بن مالك في ذلك الحصار الى الفتح مائة مبارزة سوى من قتل في غير ذلك وقتل مثله مجزاة بن ثور وكعب بن ثور وعدة من أهل البصرة وأهل الكوفة وزاحفهم المشركون أيام تستر ثمانين زحفا يكون لهم مرة ومرة عليهم فلما كان في آخر زحف منها واشتد القتال قال المسلمون يا براء اقسم على ربك ليهزمنهم قال اللهم اهزمهم لنا واستشهدني وكان مجاب الدعوة فهزموهم حتى أدخلوهم خنادقهم ثم اقتحموها عليهم ثم دخلوا مدينتهم وأحاط بها المسلمون فبينماهم على ذلك وقد ضاقت المدينة بهم وطالت حربهم خرج رجل الى النعمان يستأمنه على أن يدله على مدخل يدخلون منه ورمى في ناحية أبي موسى بسهم ان أمنتموني دللتكم على مكان تأتون المدينة منه فأمنوه في نشابة فرمى اليهم بأخرى وقال انهدوا من قبل مخرج الماء فانكم تقتحمونها فندب الناس اليه فانتدب له عامر بن عبد قيس وبشر كثير ونهدوا لذلك المكان ليلا وقد ندب النعمان اصحابه ليسيروا مع الرجل الذي يدلهم على المدخل الى المدينة فانتدب له بشر كثير فالتقوا هم وأهل البصرة على ذلك المخرج فدخلوا في السرب والناس من خارج فلما دخلوا المدينة كبروا فيها وكبر المسلمون من خارج وفتحت الابواب فاجتلدوا فيها فأناموا كل مقاتل وقصد الهرمزان القلعة فتحصن بها وأطاف به الذين دخلوا فنزل اليهم على حكم عمر فأوثقوه واقتسموا ما أفاء الله عليهم فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف وسهم الراجل ألفا وجاء صاحب الرمية والرجل الذي خرج بنفسه فأمنوهما ومن أغلق بابه معهما وقتل من المسلمين تلك الليلة بشر كثير وممن قتل الهرمزان بنفسه مجزاة بن ثور والبراء بن مالك وخرج أبو سبرة بنفسه في أثر المنهزمين الى السوس ونزل عليها ومعه النعمان بن مقرن وأبو موسى وكتبوا الى عمر فكتب الى أبي موسى برده الى البصرة وهي المرة الثالثة فانصرف اليها من على السوس وسار زر بن عبد الله بن كليب الفقيمي الى جنديسابور فنزل عليها وهو من الصحابة وأمر عمر على جند البصرة المقترب وهو الاسود بن ربيعة أحد بني ربيعة بن مالك وهو صحابي أيضا وكانا مهاجرين وكان الاسود قد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جئت لاقترب الى الله بصحبتك فسماه المقترب وأرسل أبو سبرة وفدا الى عمر بن الخطاب فيهم أنس بن مالك والاحنف بن قيس ومعهم الهرمزان فقدموا به المدينة وألبسوه كسوته من الديباج الذي فيه الذهب وتاجه وكان مكللا بالياقوت وحليته ليراه عمر والمسلمون فطلبوا عمر فلم يجدوه فسألوا عنه فقيل جلس في المسجد لوفد من الكوفة فوجدوه في المسجد متوسدا برنسه وكان قد لبسه للوفد فلما قاموا عنه توسده ونام فجلسوا دونه وهو نائم والدرة في يده فقال الهرمزان أين عمر قالوا هو ذا فقال أين حرسه وحجابه قالوا ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب قال فينبغي ان يكون نبيا قالوا بل يعمل بعمل الانبياء فاستيقظ عمر بجلبة الناس فاستوى جالسا ثم نظر الى الهرمزان فقال الهرمزان قالوا نعم فقال الحمد لله الذي أذل بالاسلام هذا وغيره اشباهه فأمر بنزع ما عليه فنزعوه وألبسوه ثوبا صفيقا فقال له عمر يا هرمزان كيف رأيت عاقبة الغدر وعاقبة أمر الله فقال يا عمر انا واياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم فلما كان الآن معكم غلبتمونا ثم قال له ما حجتك وما عذرك في انتقاضك مرة بعد أخرى فقال أخاف أن تقتلني قبل ان أخبرك قال لا تخف ذلك واستسقى ماء فأتي به في قدح غليظ فقال لو مت عطشا لم استطع ان أشرب في مثل هذا فأتي به في اناء يرضاه فقال اني أخاف أن أقتل وانا أشرب فقال عمر لا بأس عليك حتى تشربه فأكفأه فقال عمر أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه بين

القتل

والاسترنوميا وهو علم النجوم والموسيقي وهو علم تأليف اللحون ولم تزل العلوم قائمة السوق مشرقة الاقطار قوية المعالم شديدة المقاوم سامية البناء الى ان تظاهرت ديانة النصرانية في الروم فعفوا معالم الحكمة وأزالوا رسمها وعفوا سبلها وطمسوا ما كانت اليونانية أبانته وغيروا ما كانت القدماء منهم أوضحته وكان من شريف ما تركته المعرفة بعلم الموسيقي لانه غذاء للنفس ومطرب لها وملهيها تبتهج عند سماعه وتحن الى تأليف أوضاعه وقد نطقت الحكمة بشرفه ونبهت على نفاسة محله فقال الاسكندر من فهم الالحان استغنى عن سائر اللذات وقد قالت الفلاسفة ان النغم فضيلة شريفة كانت تعذرت عن المنطق ليست في قدرته فلم يقدر على اخراجها فاخرجتها النفس ألحانا فلما اظهرتها سرت بها وعشقتها وطربت اليها ورتبت الحكماء الاوتار الاربعة بازاء الطبائع الاربعة فجعلوا الزير بازاء المرة الصفراء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم والبم بازاء السوداء وقد أشبعنا القول في الموسيقي وأصحاب الملاهي والايقاع وأصناف الرقص والطرب والنغم ونسب النغم وما استعملته كل أمة من الامم من أصناف الملاهي من

القتل والعطش فقال لا حاجة لى فى الماء انما اردت ان استأمن به فقال عمر له انى قاتلك فقال قد أمنتنى فقال كذبت قال أنس صدق يا أمير المؤمنين قد أمنته قال عمر يا أنس أنا أؤمن قاتل مجزاة بن ثور والبراء بن مالك والله لتأتين بمخرج أولا عاقبنك قال قلت له لا بأس عليك حتى تخبرنى ولا بأس عليك حتى تشربه وقال له من حولك مثل ذلك فأقبل على الهرمزان وقال خدعتنى والله لا انخدع الا أن تسلم فاسلم ففرض له فى ألفين وانزله المدينة وكان المترجم بينهما المغيرة بن شعبة وكان يفقه بالفارسية الى ان جاء المترجم وقال عمر للوفد لعل المسلمين يؤذون أهل الذمة فلهذا ينتقضون بكم قالوا ما نعلم الا وفاء قال فكيف هذا فلم يشفه أحد منهم الا ان الاحنف قال له يا أمير المؤمنين انك نهيتنا عن الانسياح فى البلاد وان ملك فارس بين أظهرهم ولا يزالون يقاتلوننا ما دام ملكهم فيهم ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يخرج احدهما صاحبه وقد رأيت انا لم نأخذ شيأ بعد شئ الا بانبعاثهم وغدرهم وان ملكهم هو الذى يبعثهم ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح فنسيح فى بلادهم ونزيل ملكهم فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس فقال صدقتنى والله ونظر فى حوائجهم وسرحهم وأتى عمر الكتاب باجتماع أهل نهاوند فاذن فى الانسياح فى بلاد الفرس وقتل محمد بن جعفر بن أبى طالب شهيدا على تستر فى قول بعضهم (اربك بفتح الهمزة وسكون الراء وضم الباء الموحدة وفى آخره كاف موضع عند الاهواز)

﴿ذكر فتح السوس﴾

قيل ولما نزل أبو سبرة على السوس وبها شهريار أخو الهرمزان أحاط المسلمون بها وناوشوهم القتال مرات كل ذلك يصيب أهل السوس فى المسلمين فأشرف عليهم الرهبان والقسيسون فقالوا يا معشر العرب ان مما عهد الينا علماؤنا انه لا يفتح السوس الا الدجال أو قوم فيهم الدجال فان كان فيكم فستفتحونها وسار أبو موسى الى البصرة من السوس وصار مكانه على أهل البصرة بالسوس المقترب بن ربيعة واجتمع الاعاجم بنهاوند والنعمان على أهل الكوفة محاصرا أهل السوس مع أبى سبرة وزر محاصرا أهل جنديسابور فجاء كتاب عمر بصرف النعمان الى نهاوند من وجهه ذلك فناوشهم القتال قبل مسيره فصاح أهلها بالمسلمين وناوشوهم وغاظوهم وكان صاف بن صياد مع المسلمين فى خيل النعمان فأتى صاف باب السوس فدقه برجله فقال انفتح بظار وهو غضبان فتقطعت السلاسل وتكسرت الاغلاق وتفتحت الابواب ودخل المسلمون وألقى المشركون بايديهم ونادوا الصلح الصلح فاجابهم الى ذلك المسلمون بعد ما دخلوها عنوة واقتسموا ما أصابوا ثم افترقوا فسار النعمان حتى أتى نهاوند وسار المقترب حتى نزل على جنديسابور مع زر وقيل لابى سبرة هذا جسد دانيال فى هذه المدينة قال وما علمى بذلك فاقره فى أيديهم وكان دانيال قد لزم نواحى فارس بعد بختنصر فلما حضرته الوفاة ولم ير أحدا على الاسلام أكرم كتاب الله ممن لم يجبه فقال لابنه ائت ساحل البحر فاقذف بهذا الكتاب فيه فأخذه الغلام وغاب عنه وعاد وقال له قد فعلت قال ما صنع البحر قال ما صنع شيأ فغضب وقال والله ما فعلت الذى أمرتك به فخرج من عنده وفعل فعلته الاولى فقال كيف رأيت البحر صنع قال ماج واصطفق فغضب أشد من الاول وقال والله ما فعلت الذى أمرتك به فعاد الى البحر وألقاه فيه فانفلق البحر عن الارض وانفجرت له الارض عن مثل التنور فهوى فيها ثم انطبقت عليه واختلط الماء فلما رجع اليه وأخبره بما رأى فقال الآن صدقت ومات دانيال بالسوس وكان هنالك يستسقى بجسده فاستأذنوا عمر فيه فامر بدفنه وقيل فى أمر السوس ان يزدجرد سار بعد وقعة جلولاء فنزل اصطخر ومعه سياه فى سبعين من

اليونانيين والروم والسريانيين والنبط والسند والهند والفرس وغيرهم من الامم وذكرنا مناسبة النغم للاوتار وممازجة النفس والالحان وكيفية تولد الطرب وأنواع السرور وذهاب الغم وزوال الحزن وعلل ذلك الطبيعية والنفسية وما أحاط بذلك من جميع الوجوه فى كتابنا المترجم بكتاب الزلف وأتينا على ظريف اخبارهم وأنواع لهوهم وتلاهيهم فى كتاب اخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط فاغنى ذلك عن اعادته ههنا اذ هذا الكتاب فى غاية الايجاز وان سنح لنا سانح ذكرنا لمعا من هذه الجوامع فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وان تعذر ذلك فقد قدمنا التنبيه على ما سلف من كتبنا على الشرح والايضاح (ثم ملك الروم) بعد قسطنطين بن هلانى الملك المتنصر قسطنطين ابن قسطنطين وهو ابن الملك الماضى وكان ملكه أربعا وعشرين سنة وبنى كنائس كثيرة وشيد دين النصرانية (ثم تملك) ابن أخى قسطنطين الاول يوليانس فرفض دين النصرانية ورجع الى عبادة الاوثان وهو يوليانس المعروف بالحنفى وأهل دين النصرانية لبغضهم فيه رجوعه عن النصرانية وتغييره رسومها يسمونه بليانس البرباط وغزا العراق فى ملك سابور بن

عظماء الفرس فوجهه الى السوس والهرمزان الى تستر فنزل سياه الكلتانية وبلغ أهل السوس أمر جلولاء ونزول يزدجرد اصطخر فسألوا أباموسى الصلح وكان محاصرا لهم فصالحهم وسار الى رامهرمز ثم سار الى تستر ونزل سياه بين رامهرمز وتستر ودعا من معه من عظماء الفرس وقال لهم قد علمتم انا كنا نحدث ان هؤلاء القوم سيغلبون على هذه المملكة وتروث دوابهم فى ايوانات اصطخر ويشدون خيولهم فى شجرها وقد غلبوا على ما رأيتم فانظروا لانفسكم قالوا رأينا رأيك قال أرى ان تدخلوا فى دينهم ووجهوا شيرويه فى عشرة من الاساورة الى أبى موسى فشرط عليهم ان يقاتلوا معه العجم ولا يقاتلوا العرب وان قاتلهم أحد من العرب منعهم منهم وينزلوا حيث شاؤا ويلحقوا باشرف العطاء ويعقد لهم ذلك عمر على ان يسلموا فاعطاهم عمر ما سألوا فاسلموا وشهدوا مع المسلمين حصار تستر ومضى سياه الى حصن قد حاصره المسلمون فى زى العجم فالقى نفسه الى جانب الحصن ونضح ثيابه بالدم فرآه أهل الحصن صريعا فظنوه رجلا منهم ففتحوا باب الحصن ليدخلوه اليهم فوثب وقاتلهم حتى خلوا عن الحصن وهربوا فملكه وحده وقيل ان هذا الفعل كان منه بتستر

(ذكر مصالحة جنديسابور)

وفى هذه السنة سار المسلمون عن السوس فنزلوا بجنديسابور وزر بن عبد الله محاصرهم فأقاموا عليها يقاتلونهم فرمى الى من بها من عسكر المسلمين بالامان فلم يفجأ المسلمين الا وقد فتحت أبوابها وأخرجوا أسواقهم وخرج أهلها فسألهم المسلمون فقالوا رميتم بالامان فقبلناه واقررنا بالجزية فقالوا ما فعلنا وسأل المسلمون فاذا عبد يدعى مكنفا كان أصله منها فعل هذا فقالوا هو عبد فقال أهله الا نعرف العبد من الحر وقد قبلنا الجزية وما بدلنا فان شئتم فاغدروا فكتبوا الى عمر فاجاز أمانهم فأمنوهم وانصرفوا عنهم

(ذكر مسير المسلمين الى كرمان وغيرها)

قيل فى سنة سبع عشرة أذن عمر للمسلمين فى الانسياح فى بلاد فارس وانتهى فى ذلك الى رأى الاحنف فأمر أباموسى ان يسير من البصرة الى منقطع ذمة البصرة فيكون هنالك حتى يأتيه أمره وبعث بألوية من ولى مع سهيل بن عدى فدفع لواء خراسان الى الاحنف بن قيس ولواء اردشير خرة وسابور الى مجاشع بن مسعود السلمى ولواء اصطخر الى عثمان بن أبى العاص الثقفى ولواء فسا ودارابجرد الى سارية بن زنيم الكنانى ولواء كرمان الى سهيل بن عدى ولواء سجستان الى عاصم بن عمرو وكان من الصحابة ولواء مكران الى الحكم بن عمير التغلبى فخرجوا ولم يتهيأ مسيرهم الى سنة ثمان عشرة وأمدهم عمر بنفر من أهل الكوفة فامد سهيل بن عدى بعبد الله بن عتبان وأمد الاحنف بعلقمة بن النضر وبعبد الله بن أبى عقيل وربعى بن عامر وأمد عاصم بن عمرو بعبد الله بن عمير الاشجعى وأمد الحكم بن عمير بشهاب بن المخارق فى جموع وقيل كان ذلك سنة احدى وعشرين وقيل سنة اثنتين وعشرين وسنذكر كيفية فتحها هنالك ونذكر أسبابها ان شاء الله تعالى وكان على مكة هذه السنة عتاب بن أسيد فى قول وعلى اليمن يعلى بن منية وعلى اليمامة والبحرين عثمان بن أبى العاص وعلى عمان حذيفة بن محصن وعلى الشام من ذكر قبل وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبى وقاص وعلى قضائها أبو قرة وعلى البصرة وأرضها أبو موسى وعلى القضاء أبو مريم الحنفى وقد ذكر من كان على الجزيرة والموصل قبل وحج بالناس فى هذه السنة عمر ابن الخطاب

أردشير بن بابك فاتاه سهم غرب فذبحه وقد كان سار الى العراق فى جنود لا تحصى ولم يكن أساور حيلة فى دفعه ولقائه لمفاجأته اياه فانصرف سابور عن اللقاء الى الحيلة فى دفعه وكان من أمره ما وصفنا وكان ملكه الى ان هلك سنة وقيل أكثر من ذلك وهو الملك الثالث من بعد ظهور دين النصرانية ولما هلك بليانس جزع من كان معه من الملوك والبطارقة والجيوش ففزعوا الى بطريق كان معظما فيهم يقال له مريناس وقيل انه كاتب الماضى فابى عليهم ان يملك الا ان يرجعوا الى دين النصرانية فاجابوه الى ذلك وضايق سابور القوم وأحاط بعساكرهم فكان لمريناس مع سابور مراسلات ومهادنة واجتماع ومحادثة ومعاشرة ثم افترقا وانصرف بجيوش النصرانية موادعا لسابور وأنفاف عليه ما اتلف من أرضه بأموال حملها اليه وهدايا من لطائف الروم وشيد هياكل فى دين النصرانية وردها الى ما كانت عليه ومنع من الاصنام والتماثيل وقتل على عبادتها وكان ملكه سنة (ثم ملك بعده) أوانيس وهو على دين النصرانية ثم رجع عنها وهلك فى بعض حروبه وكان ملكه الى ان هلك أربع عشرة سنة وقيل ان فى أيامه استيقظ أصحاب الكهف

(ثم دخلت سنة ثمان عشرة)

(ذكر القحط وعام الرمادة)

في سنة ثمان عشرة أصاب الناس مجاعة شديدة وجدب وقحط وهو عام الرمادة وكانت الريح تسفي ترابا كالرمادة فسمي عام الرمادة واشتد الجوع حتى جعلت الوحش تأوي الى الانس وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها وفيه أيضا كان طاعون عمواس وفيه ورد كتاب أبي عبيدة على عمر يذكر فيه ان نفرا من المسلمين أصابوا الشراب منهم ضرار وأبو جندل فسألناهم فتأولوا وقالوا خيرنا فاخترنا قال فهل أنتم منتهون ولم يعزم فكتب اليه عمر انما عنى فانتهوا وقال له ادعهم على رؤس الناس وسلهم احلال الخمر أم حرام فان قالوا حرام فاجلدهم ثمانين ثمانين وان قالوا حلال فاضرب أعناقهم فسألهم فقالوا بل حرام فجلدهم وندموا على لجاجتهم وقال ليحدثن فيكم يا أهل الشام حدث فحدث عام الرمادة وأقسم عمر ان لا يذوق سمنا ولا لبنا ولا لحما حتى يحيى الناس فقدمت السوق عكة سمن ووطب من لبن فاشتراهما غلام لعمر بأربعين درهما ثم أتى عمر فقال يا أمير المؤمنين قد أبر الله يمينك وعظم أجرك قدم السوق وطب من لبن وعكة من سمن ابتعتهما بأربعين درهما فقال عمر أغليت بهما فتصدق بهما فاني أكره ان آكل اسرافا وقال كيف يعنيني شأن الرعية اذا لم يصبني ما أصابهم وكتب عمر الى أمراء الامصار يستغيثهم لاهل المدينة ومن حولها ويستمدهم فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة بن الجراح بأربعة آلاف راحلة من طعام فولاه قسمتها فيمن حول المدينة فقسمها وانصرف الى عمله وتتابع الناس واستغنى أهل الحجاز وأصلح عمرو بن العاص بحر القلزم وأرسل فيه الطعام الى المدينة فصار الطعام بالمدينة كسعر مصر ولم ير أهل المدينة بعد الرمادة مثلها حتى حبس عنهم البحر مع مقتل عثمان فذلوا وتقاصروا وكان الناس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الامصار فقال أهل بيت من مزينة لصاحبهم وهو بلال بن الحرث قد هلكنا فاذبح لنا شاة قال ليس فيهن شئ فلم يزالوا به حتى ذبح فسلخ عن عظم أحمر فنادى يا محمداه فأرى في المنام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فقال ابشر بالحياة ائت عمر فاقرأه مني السلام وقل له اني عهدتك وأنت في العهد شديد العقد فالكيس الكيس يا عمر فجاء حتى أتى باب عمر فقال لغلامه استأذن لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عمر فاخبره ففزع وقال رأيت به مسا قال لا فادخله وأخبره الخبر فخرج فنادى في الناس وصعد المنبر فقال انشدكم الله الذي هداكم هل رأيتم شيأ تكرهون قالوا اللهم لا ولم ذاك فاخبرهم ففطنوا ولم يفطن عمر فقالوا انما استبطأك في الاستسقاء فاستسق بنا فنادى في الناس وخرج معه العباس ماشيا فخطب وأوجز وصلى ثم جثا لركبتيه وقال اللهم عجزت عنا انصارنا وعجز عنا حولنا وقوتنا وعجزت عنا أنفسنا ولا حول ولا قوة الا بك اللهم فاسقنا وأحي العباد والبلاد وأخذ بيد العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وان دموع العباس لتتحادر على لحيته فقال اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم وبقية آبائه وأكبر رجاله فانك تقول وقولك الحق وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة فحفظتهما بصلاح آبائهما فاحفظ اللهم نبيك صلى الله عليه وسلم في عمه فقد دلونا به اليك مستشفعين مستغفرين ثم أقبل على الناس فقال استغفروا ربكم انه كان غفارا وكان العباس قد طال عمره (٣) وعيناه تذرفان ولحيته تجول على صدره وهو يقول اللهم أنت الراعي فلا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد صرخ الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم فأغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس الا القوم الكافرون

من رقدتهم على حسب ما أخبر الله جل ثناؤه عنهم انهم بعثوا أحدهم بورقهم الى المدينة وهذا الموضع من أرض الروم في الشمال وللناس ممن عني بعلم الفلك وازورار الشمس عن كهفهم في حال طلوعها وغروبها لموضعهم من الشمال كلام كثير وقد أخبر الله تعالى في كتابه قال وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم الآية وكانوا من أهل مدينة افسس من أرض الروم (ثم ملك بعد أوانيس) عرامطناميس خمس عشرة سنة ولسنة من ملكه كان اجتماع النصرانية وهو أحد الاجتماعات باسم القوم في روح القدس عندهم واحرقوا مقدونيس بطريق القسطنطينية وهو السنودس الثاني (ثم ملك بعده) بدرسيس الاكبر وتفسير هذا الاسم عندهم عطية الله وقام بدين النصرانية وعظم منها وبنى كنائس ولم يكن من أهل بيت الملك ولا من الروم وانما كان أصله من الاشبان وهم بعض الملوك السالفة وقد كان ممن ملك الشام ومصر والاندلس وقد تنازع الناس فيهم فذكر الواقدي في كتاب فتوح الامصار أن بدأهم من أهل أصبهان وأنهم نافلة من هنالك وهذا يوجب انهم من قبل ملوك فارس الاولى وذكر عبد الله بن خرداذبه نحو ذلك وساعدهما على ذلك جماعة من أهل السير

فنشأت طريرة من سحاب فقال الناس ترون ترون ثم التأمت ومشت فيها الريح ثم هدأت ودرت فوالله ما تروحوا حتى اعتنقوا الجدار وقلصوا المآزر وطفق الناس بالعباس يمسحون أركانه ويقولون هنيئا لك ساقي الحرمين فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب

بعمي سقى الله الحجاز وأهله * عشية يستسقي بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغبا * اليه فما ان رام حتى أتى المطر
ومنا رسول الله فينا تراثه * فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر

(ذكر طاعون عمواس)

في هذه السنة كان طاعون عمواس بالشام فمات فيه أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير الناس ومعاذ ابن جبل ويزيد بن أبي سفيان والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وعتبة بن سهيل وعامر بن غيلان الثقفي مات وأبوه حي وتفانى الناس منه قال طارق بن شهاب أتينا أبا موسى في داره بالكوفة نتحدث عنده فقال لا عليكم ان تخففوا فقد أصيب في الدار انسان ولا عليكم ان تنزعوا من هذه القرية فتخرجوا في فسيح بلادكم ونزهها حتى يرفع هذا الوباء وسأخبركم بما يكره ويتقى من ذلك ان يظن من خرج انه لو أقام مات ويظن من أقام فأصابه لو خرج لم يصبه فاذا لم يظن المسلم هذا فلا عليه ان يخرج اني كنت مع أبي عبيدة بالشام عام طاعون عمواس فلما اشتعل الوجع وبلغ ذلك عمر كتب الى أبي عبيدة ليستخرجه منه ان سلام عليك أما بعد فقد عرضت لي اليك حاجة أريد ان أشافهك فيها فعزمت عليك اذا أنت نظرت في كتابي هذا الا تضعه من يدك حتى تقبل فعرف أبو عبيدة ما أراد فكتب اليه يا أمير المؤمنين قد عرفت حاجتك الي واني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله في وفيهم أمره وقضاءه فخلني من عزيمتك فلما قرأ عمر الكتاب بكى فقال الناس يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة فقال لا وكأن قد وكتب اليه عمر ان ترفع بالمسلمين من تلك الارض فدعا أبا موسى فقال له ارتد للمسلمين منزلا قال فرجعت الى منزلي لأرتحل فوجدت صاحبتي قد أصيبت فرجعت اليه فقلت له والله لقد كان في أهلي حدث فقال لعل صاحبتك أصيبت قلت نعم قال فأمر ببعيره فرحل له فلما وضع رجله في غرزه طعن فقال والله لقد أصبت ثم سار بالناس حتى نزل الجابية وكان أبو عبيدة قد قام في الناس فقال أيها الناس ان هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وان أبا عبيدة سأل الله ان يقسم له منه حظه فطعن فمات واستخلف على الناس معاذ بن جبل فقام خطيبا بعده فقال أيها الناس ان هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وان معاذا يسأل الله ان يقسم لآل معاذ حظهم فطعن ابنه عبد الرحمن فمات ثم قام فدعا به لنفسه فطعن في راحته فلقد كان يقبلها ثم يقول ما أحب ان لي بما فيك شيأ من الدنيا فلما مات استخلف على الناس عمرو ابن العاص فخرج بالناس الى الجبال ورفعه الله عنهم فلم يكره عمر ذلك من عمرو وقد قيل ان عمر بن الخطاب قدم الشام فلما كان بسرغ لقيه أمراء الاجناد فهم أبو عبيدة بن الجراح فاخبروه بالوباء وشدته وكان معه المهاجرون والانصار خرج غازيا بالجمع المهاجرين الاولين والانصار فاستشارهم فاختلفوا عليه فمنهم القائل خرجت لوجه الله فلا يصدك عنه هذا ومنهم القائل انه بلاء وفناء فلا نرى ان تقدم عليه فقال لهم قوموا ثم أحضر مهاجرة الفتح من قريش فاستشارهم فلم يختلفوا عليه وأشاروا بالعود فنادى عمر في الناس اني مصبح على ظهر فقال أبو عبيدة افرارا من قدر الله فقال نعم نفر من قدر الله الى قدر الله أرأيت لو كان لك ابل فهبطت واديا له عدوتان

احداهما

والاخبار والاشهر من أمرهم انهم ولد يافث بن نوح وهم من ملوك الاندلس من الازارقة واحدهم ازريقي وقد تنوزع في دياناتهم فنهم من رأى انهم كانوا على دين المجوس ومنهم من رأى انهم كانوا على مذهب الصابئة وغيرهم من عبدة الاصنام وقد قلنا ان الاشهر من انسابهم انهم ولد يافث بن نوح فكان مدة ملك بدرسيس الى ان هلك عشر سنين (ثم ملك بعده) أوباديس أربع عشرة سنة وكان على دين النصرانية (ثم ملك بعده) ابنه بدرسيس الاصغر وذلك بعد بنية أفسس وجمع مائتي أسقف وهذا الاجتماع الثالث الذي قدمنا ذكره آنفا ولعن فيه نسطورس البطرك وقد ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان الحيلة التي وقعت على نسطورس بطرك القسطنطينية صاحب الكرسي بالاسكندرية وما كان من نسطورس ونفيه ليوحنا المعروف بالراهب وما كان في بدرياز وجة الملك الى ان نفي نسطورس من القسطنطينية الى انطاكية ثم منها الى صعيد مصر والمشارقة من النصارى أضيفوا الى نسطورس لانهم اتبعوه وقالوا بقوله واعانوه وسمتهم الملكية بهذا الاسم لتعيرهم وتعيبهم بذلك وقد كانت المشارقة بالحيرة وغيرها من المشرق تدعى بالعباد وسائر نصارى المشرق يأبون هذه

احداهما مخصبة والاخرى جدبة أليس ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله فسمع بهم عبد الرحمن بن عوف فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه واذا وقع ببلد وأنتم به فلا تخرجوا فرارا منه فانصرف عمر بالناس الى المدينة وهذه الرواية أصح فان البخاري ومسلما أخرجاها في صحيحيهما ولان أباموسى كان هذه السنة بالبصرة ولم يكن بالشام لكن هكذا ذكره وانما أوردناه لننبه عليه (عمواس بفتح العين المهملة والميم والواو وبعد الالف سين مهملة وسرغ بفتح السين المهملة وسكون الراء المهملة وآخره غين معجمة) ومعنى قوله دعوة نبيكم حين جاءه جبريل فقال فناء أمتك بالطعن أو الطاعون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبالطاعون ولما هلك يزيد بن أبي سفيان استعمل عمر أخاه معاوية بن أبي سفيان على دمشق وخراجها واستعمل شرحبيل بن حسنة على جند الاردن وخراجها وأصاب الناس من الموت مالم ير مثله قط وطمع له العدو في المسلمين لطول مكثه مكث شهورا وأصاب الناس بالبصرة مثله وكان عدة من مات في طاعون عمواس خمسة وعشرين ألفا

(ذكر قدوم عمر الى الشام بعد الطاعون)

لما هلك الناس في الطاعون كتب امراء الاجناد الى عمر بما في أيديهم من المواريث فجمع الناس واستشارهم وقال لهم قد بدا لي ان أطوف على المسلمين في بلدانهم لانظر في آثارهم فأشيروا علي وفي القوم كعب الاحبار وفي تلك السنة أسلم فقال كعب يا أمير المؤمنين بأيها تريد ان تبدأ قال بالعراق قال فلا تفعل فان الشر عشرة أجزاء تسعة منها بالمشرق وجزء بالمغرب والخير عشرة أجزاء تسعة بالمغرب وجزء بالمشرق وبها قرن الشيطان وكل داء عضال فقال علي يا أمير المؤمنين ان الكوفة للهجرة بعد الهجرة وانها لقبة الاسلام ليأتينها يوم لا يبقى مسلم الا وحن اليها لينتصرن باهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط فقال عمر ان مواريث أهل عمواس قد ضاعت فأبدأ بالشام فاقسم المواريث واقيم لهم ما في نفسي ثم ارجع فاتقلب في البلاد وأبدي اليهم أمري فسار عن المدينة واستخلف عليها علي بن أبي طالب واتخذ ايلة طريقا فلما دنا منها ركب بعيره وعلى رحله فرو مقلوب واعطى غلامه مركبه فلما تلقاه الناس قالوا أين أمير المؤمنين قال امامكم يعني نفسه فساروا امامهم وانتهى هو الى ايلة فنزلها وقيل للمتلقين قد دخل أمير المؤمنين ايلة ونزلها فرجعوا واعطى عمر الاسقف بها قميصه وقد تخرق ظهره ليغسله ويرقعه ففعل وأخذه ولبسه وخاط له الاسقف قميصا غيره فلم يأخذه فلما قدم الشام قسم الارزاق وسمى الشواتي والصوائف وسد فروج الشام ومسالحها وأخذ يدورها واستعمل عبد الله بن قيس على السواحل من كل كورة واستعمل معاوية وعزل شرحبيل بن حسنة وقام بعذره في الناس وقال اني لم أعزله عن سخطة ولكني أريد رجلا أقوى من رجل واستعمل عمرو بن عتبة على الاهراء وقسم مواريث أهل عمواس فورث بعض الورثة من بعض وأخرجها الى الاحياء من ورثة كل منهم وخرج الحرث بن هشام في سبعين من أهل بيته فلم يرجع منهم الا أربعة ورجع عمر الى المدينة في ذي القعدة ولما كان بالشام وحضرت الصلاة قال له الناس لو أمرت بلالا فاذن فامره فاذن فما بقي أحد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وبلال يؤذن الا وبكى حتى بل لحيته وعمر أشدهم بكاء وبكى من لم يدركه ببكائهم ولذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الواقدي ان الرها وحران والرقة فتحت هذه السنة على يد عياض بن غنم وان عين الوردة وهي رأس عين فتحت فيها على يد عمير بن سعد وقد تقدم شرح فتحها وفي هذه السنة في ذي الحجة حول عمر المقام الى موضعه اليوم وكان ملصقا بالبيت

الاضافة الى نسطورس ويكرهون أن يقال لهم نسطورية وقد أبد برصوما مطران نصيبين رأي المشارقة في الثالوث وهو الكلام في الاقانيم الثلاثة والجوهر الواحد وكيفية اتحاد اللاهوت القديم بالناسوت المحدث وكان ملك بدريسيس الى ان هلك اثنتين وأربعين سنة (ثم ملك بعده) مرقيانوس (ثم ملك الروم) بالخاريا زوجة مرقيانوس وكانت ملكة معه وفي ايامها كان خبر اليعاقبة من النصارى ووقوع الخلاف بينهم في الثالوث فكان ملكها سبع سنين وأكثر اليعاقبة بالعراق وبلاد تكريت والموصل والجزيرة ومصر وأقباطها الا اليسير فانهم ملكية والنوبة والارمن يعاقبة ومطران اليعاقبة بتكريت بين الموصل وبغداد وقد كان لهم بالقرب من رأس العين واحد فات وصاحبهم اليوم بناحية حلب ببلاد قنسرين والعواصم وكرسي اليعاقبة رسمه ان يكون بمدينة

وفيها استقضى عمر شريح بن الحرث الكندي على الكوفة وعلى البصرة كعب بن سور الازدي وكانت الولاة على الامصار الولاة في السنة قبلها وحج بالناس عمر بن الخطاب

﴿ثم دخلت سنة تسع عشرة﴾

قال بعضهم ان فتح جلولاء والمدائن كان هذه السنة وكذلك فتح الجزيرة وقد تقدم ذكر فتح الجميع والخلاف فيه وقيل فيها كان فتح قيسارية على يد معاوية وقيل سنة عشرين وقد تقدم ايضا ذكر ذلك سنة ست عشرة وفي هذه السنة سالت حرة ليلى وهي قرب المدينة نارا فامر عمر بالصدقة فتصدق الناس فانطفأت وحج بالناس هذه السنة عمر وكان عماله فيها من تقدم ذكرهم وفيها قتل صفوان بن المعطل السلمي وقيل بل مات سنة ستين آخر خلافة معاوية وفيها مات أبي بن كعب وقيل بل مات سنة عشرين وقيل اثنتين وعشرين وقيل اثنتين وثلاثين والله أعلم

﴿ثم دخلت سنة عشرين﴾

﴿ذكر فتح مصر﴾

قيل في هذه السنة فتحت مصر في قول بعضهم على يد عمرو بن العاص والاسكندرية أيضا وقيل فتحت الاسكندرية سنة خمس وعشرين وقيل فتحت مصر سنة ست عشرة في ربيع الاول وبالجملة فينبغي ان يكون فتحها قبل عام الرمادة لان عمرو بن العاص حمل الطعام في بحر القلزم من مصر الى المدينة والله أعلم وقيل غير ذلك واما فتحها فانه لما فتح عمر بيت المقدس وأقام به اياما وأمضى عمرو بن العاص الى مصر واتبعه الزبير بن العوام فاخذ المسلمون باب اليون وساروا الى مصر فلقيهم هنالك أبو مريم جاثليق مصر ومعه الاسقف بعثه المقوقس لمنع بلادهم فلما نزل بهم عمرو وقاتلوه فارسل اليهم لا تعجلونا حتى نعذر اليكم وليبرز الي أبو مريم وأبو مريام فكفوا وخرجا اليه فدعاهما الى الاسلام أو الجزية وأخبرهما بوصية النبي صلى الله عليه وسلم باهل مصر بسبب هاجر أم اسمعيل عليه السلام فقالوا قرابة بعيدة لا يصل مثلها الا الانبياء آمنا حتى نرجع اليك فقال عمرو مثلي لا يخدع ولكني أؤجلكما ثلاثا لتنظرا فقالا زدنا فزادهم يوما فرجعا الى المقوقس فأبى ارطبون ان يجيبهما وأمر بمناهدتهم فقال لاهل مصر اما نحن فسنجتهد ان ندفع عنكم فلم يفجأ عمرا الا البيات وهو على عدة فلقوه فقتل ارطبون وكثير ممن معه وانهزم الباقون وسار عمرو والزبير الى عين الشمس وبها جمعهم وبعث الى الفرما ابرهة بن الصباح وبعث عوف بن مالك الى الاسكندرية فنزل عليها قيل وكان الاسكندر وفرما اخوين ونزل عمرو بعين الشمس فقال أهل مصر لملكهم ما تريد الى قتال قوم هزموا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم فلا تعرض لهم ولا تعرضنا وذلك في اليوم الرابع وناهدوهم وقاتلوهم فلما التقى المسلمون والمقوقس بعين الشمس واقتتلوا جال المسلمون فذمرهم عمرو فقال له رجل من اليمن انا لم نخلق من حديد فقال له عمرو اسكت انما أنت كلب قال فانت أمير الكلاب فنادى عمرو باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاجابوه فقال تقدموا فبكم ينصر الله فتقدموا وفيهم أبو بردة وابو برزة وتبعهم الناس وفتح الله على المسلمين وظفروا وهزموا المشركين فارتقى الزبير بن العوام سورها فلما أحسوه فتحوا الباب لعمرو وخرجوا اليه مصالحين فقبل منهم ونزل الزبير عليهم عنوة حتى خرج على عمرو من الباب معهم فعقدوا صلحا بعدما أشرفوا على الهلكة فاجروا ما أخذوا عنوة مجرى الصلح فصاروا ذمة واجروا من دخل في صلحهم من الروم والنوبة مجرى أهل مصر ومن اختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه واجتمعت خيول المسلمين بمصر

انطاكية وكذلك لهم كرسي بمصر ولا أعلم لهم غير هذين الكرسيين وهما مصر وانطاكية (ثم ملك بعدها) اليون الاصغر بن اليون وكان ملكه ست عشرة سنة وفي ايامه احرم سعرة اليعقوبي بطرك الاسكندرية واجتمع له من الاساقفة ستمائة وستون اسقفا وفي تاريخ الروم ان عدة المجتمعين ستمائة وستون رجلا وذلك بخلقدونية وهذا الاجتماع هو السندوس الرابع عند الملكية واليعاقبة لا تعتد بهذا السندوس ولهم خبر ظريف في قصة سواري البطرك وما كان من أمره وخبر تلميذه يعقوب البراذعي ودعوته الى مذهب سواري واليعاقبة أضيفت الى مذهب يعقوب البراذعي هذا وبه عرفت وكان من أهل انطاكية يعمل البراذع (ثم ملك بعد اليون الاصغر) ابنه ليون سنة على دين الملكية (ثم ملك بعده) بيروهو من بلاد الارمينيان وكان

وبنوا الفسطاط ونزلوه وجاء أبو مريم وأبو مريام الى عمرو وطلبا منه السبايا التى أصيبت بعد المعركة فطردهما فقالا كل شئ اصبتموه منذ فارقناكم الى ان رجعنا اليكم ففى ذمة فقال عمرو لهما أتغيرون علينا وتكونون فى ذمة قالا نعم فقسم عمرو بن العاص السبى على الناس وتفرق فى بلدان العرب وبعث بالاخماس الى عمر بن الخطاب ومعها وفد فاخبروا عمر بن الخطاب بحالهم كله وبما قال أبو مريم فرد عمر عليهم سبى من لم يقاتلهم فى تلك الايام الاربعة وترك سبى من قاتلهم فردوهم وحضرت القبط باب عمرو وبلغ عمر أنهم يقولون ما ارث العرب ما رأينا مثلنا دان لهم نخاف أن يطمعهم ذلك فامر بجزور فطبخت ودعا أمراء الاجناد فاعلموا أصحابهم فحضروا عنده وأكلوا أكلا عربيا انتشكوا وحشوا وهم فى العباء بغير سلاح فازداد طمعهم وأمر المسلمين أن يحضروا الغد فى باب مصر واحديتهم ففعلوا وأذن لاهل مصر فرأوا شيأ غير ما رأوا الامس وقام عليهم القوام بالوان مصر فاكلوا أكل أهل مصر فارتاب القبط وبعث أيضا الى المسلمين تسلحوا للعرض غدا وأذن لهم فعرضهم عليهم وقال لهم علمت حالكم حين رأيتم اقتصاد العرب فخشيت أن تهلكوا فاحببت ان أريكم حالهم فى أرضهم كيف كانت ثم حالهم فى أرضكم ثم حالهم فى الحرب فقد رأيتم ظفرهم بكم وذلك عيشهم وقد كلبوا على بلادكم بما نالوا فى اليوم الثانى فاردت ان تعلموا ان ما رأيتم فى اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثالث وراجع الى عيش اليوم الاول فتفرقوا وهم يقولون لقد رمتكم العرب برجلهم وبلغ عمر ذلك فقال والله ان حربه لمنية ما لها سطوة ولا سورة كسورات الحروب من غيره ثم ان عمرا سار الى الاسكندرية وكان من بن الاسكندرية والفسطاط من الروم والقبط قد تجمعوا له وقالوا نغزوه قبل أن يغزونا ويروم الاسكندرية فالتقوا واقتتلوا فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وسار حتى بلغ الاسكندرية فوجد أهلها معدين لقتاله فارسل المقوقس الى عمرو يسأله الهدنة الى مدة فلم يجبه الى ذلك وقال لقد لقينا ملككم الاكبر هرقل فكان منه ما بلغكم فقال المقوقس لاصحابه صدق فنحن أولى بالاذعان فاغلظوا له فى القول وامتنعوا فقاتلهم المسلمون وحصروهم ثلاثة أشهر وفتحها عمرو عنوة وغنم ما فيها وجعلهم ذمة وقيل ان المقوقس صالح عمرا على اثنى عشر ألف دينار على أن يخرج من الاسكندرية من أراد الخروج ويقيم من أراد القيام وجعل فيها عمرو جندا ولما فتحت مصر غزوا النوبة فرجع المسلمون بالجراحات وذهاب الحدق لجودة رميهم فسموهم رماة الحدق فلما ولى عبد الله بن سعد بن أبى سرح مصر أيام عثمان صالحهم على هدية عدة رؤس فى كل سنة ويهدى اليهم المسلمون كل سنة طعاما مسمى وكسوة وأمضى ذلك الصلح عثمان ومن بعده من ولاة الامور وقيل ان المسلمين لما انتهوا الى بلهيب وقد بلغت سباياهم الى اليمن أرسل صاحبهم الى عمرو انى كنت أخرج الجزية الى من هو أبغض الى منكم فارس والروم فان أحببت الجزية على ان ترد ما سبيتم من أرضى فعلت فكتب عمرو الى عمر يستأذنه فى ذلك ورفعوا الحرب الى أن يرد كتاب عمر فورد الجواب من عمر لعمرى جزية قائمة أحب الينا من غنيمة تقسم ثم كأنها لم تكن وأما السبى فان أعطاك ملكهم الجزية على ان تخيروا من فى أيديكم منهم بين الاسلام ودين قومه فمن اختار الاسلام فهو من المسلمين ومن اختار دين قومه فضع عليه الجزية وأما من تفرق فى البلدان فانا لا نقدر على ردهم ففعل فعرض عمرو ذلك على صاحب الاسكندرية فاجاب اليه فجمعوا السبى واجتمعت النصارى وخيروهم واحدا واحدا فمن اختار المسلمين كبروا ومن اختار النصارى نخروا وصار عليه جزية حتى فرغوا وكان من السبى أبو مريم عبد الله بن عبد الرحمن

يذهب الى رأى اليعقوبية وكان ملكه سبع عشرة سنة وكانت له حروب مع خوارج خرجوا عليه من دار الملك فظفر بهم (ثم ملك بعده) انسطاس وكان يذهب الى مذهب اليعقوبية وبنى مدينة عمورية وأصاب كنوزا ودفائن عظيمة وكان ملكه الى أن هلك تسعا وعشرين سنة (ثم ملك بعده) يوسطيانوس تسع سنين (ثم ملك بعده) سطاناس تسعا وثلاثين سنة وقيل أربعين وبنى كنائس كثيرة وشيد دين النصرانية وأظهر مذاهب الملكية وبنى كنيسة الرها وهى احدى عجائب العالم والهيا كل المذكورة وقد كان فى هذه الكنيسة منديل يعظمه النصارى وذلك أن يسوع الناصرى حين أخرج من ماء المعمودية تنشف به فلم يزل هذا المنديل يتداول الى ان قرر بكنيسة الرها فلما اشتد أمر الروم على المسلمين وحاصروا الرها فى هذه السنة وهى سنة اثنتين وثلاثين

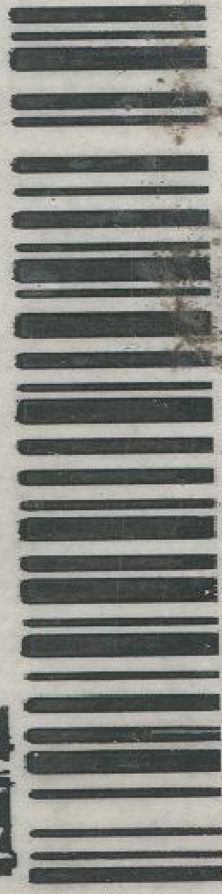
فاختار الاسلام وصار عربفرنـد وكان ملوك بنى أمية يقولون ان مصر دخلت عنوة وأهلها عبيد نازيد عليهم كيف شئنا ولم يكن كذلك

﴿ذكر عدة حوادث﴾

وفى هذه السنة أعنى سنة عشرين غزا أبو بحرية عبد الله بن قيس أرض الروم وهو أوّل من دخلها فيما قيل وقيل أوّل من دخلها ميسرة بن مسروق العبسى فسبى وغنم وقيل فيها عزل عمر قدامة بن مظعون من البحرين وحدّه فى الخمر واستعمل أبا بكرة على البحرين واليمامة وفيها تزوّج عمر فاطمة بنت الوليد أم عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وفيها عزل عمر سعد بن أبى وقاص عن الكوفة لشكايتهم اياه وقالوا لا يحسن يصلى وفيها قسم عمر خيبر بين المسلمين وأجلى اليهود عنها وقسم وادى القرى وفيها أجلى يهود نجران الى الكوفة وفيها بعث عمر علقمة بن مجزز المدلجى الى الحبشة وكانت تطرقت بلاد الاسلام فأصيب المسلمون فجعل عمر على نفسه ان لا يحمل فى البحر أحدا أبدا يعنى للغزو وقيل سنة احدى وثلاثين (مجزز بجيم وزاءين الاولى مكسورة مشدّدة) وفيها مات أسيد بن حضير (أسيد تصغير اسد وحضير بالحاء المهملة المضمومة والضاد المفتوحة والراء) وفيها مات هرقل وملك ابنه قسطنطين وفيها ماتت زينب بنت جحش ونزل فى قبرها أسامة بن زيد وابن أخيها محمد بن عبد الله بن جحش وحج بالناس عمر وكان عماله على الامصار من كان قبل هذه السنة الا من ذكرت انه عزله وكان قضاته فيها القضاة فى السنة قبلها وفيها مات عياض بن غنم وهو الذى فتح الجزيرة وهو أوّل من أجاز الدرب الى الروم وفيها مات بلال بن رباح مؤذن النبى صلى الله عليه وسلم بدمشق وقيل بحلب وفيها مات أنيس بن مرثد بن أبى مرثد الغنوى وله ولابيه ولجده صحبة وقتل أبوه فى غزوة الرجيع وفيها مات سعيد بن عامر بن حذيم الجمحى شهد فتح خيبر وكان فاضلا وكان على حمص حتى مات وقيل مات سنة تسع عشرة وقيل سنة احدى وعشرين وعمره أربعون سنة وفيها مات أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وفيها ماتت صفية بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وسلم وفيها قتل المظهر بن رافع الانصارى قدم من الشام ومعه من علوج الشام فلما كان بخيبر أمرهم قوم من اليهود فقتلوه فاجلاهم عمر (المظهر بضم الميم وفتح الظاء المعجمة وتشديد الهاء وآخره راء مهملة)

﴿تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث وأوّله ثم دخلت سنة احدى وعشرين﴾

وثلثمائة أعطى هذا المنديل للروم ففرحوا الى الهدنة وكان للروم عند تسليمهم هذا المنديل فرح عظيم (ثم ملك بعده) ابن أخيه فرسطيس ثلاث عشرة سنة على رأى الملكية (ثم ملك بعده) طباريس أربع سنين وأظهر فى ملكه أنواعا من اللباس والآلات وآنية الذهب والفضة وغير ذلك من آلات الملوك (ثم ملك بعده) موريقس عشرين سنة ونصر كسرى أبرويز على بهرام جور فقتل غيلة وبعث ابرويز غضبا له بجيوش الى الروم وكانت لهم حروب على حسب ما قدمنا (ثم ملك بعده) قوماس ثمان سنين الى ان قتل أيضا (ثم ملك هرقل) وكان بطريقا فى بعض الجزائر قبل ذلك فعمر بيت المقدس وذلك بعد انكشاف الفرس عن الشام وبنى الكنائس ولسبع سنين من ملكه كانت هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة شرفها الله تعالى


Bibliotheca Alexandrina
04086628
